





عُلماء وأعلام

كتبوا في

مجلة الوعي الإسلامي الكويتية

مقالات حصرية نُشرت في المجلة

لـ ٣٥٠ عالماً من علماء الأمة الإسلامية وأعلامها

ما بين عامي ١٣٨٥هـ - ١٤٢٦هـ

الإصدار
الرابع عشر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com





علماء وأعلام

كتبوا في

مجلة الوعي الإسلامي الكويتية

مقالات حصرية نشرت في المجلة

لـ ٣٥ عالماً من علماء الأمة الإسلامية وأعلامها

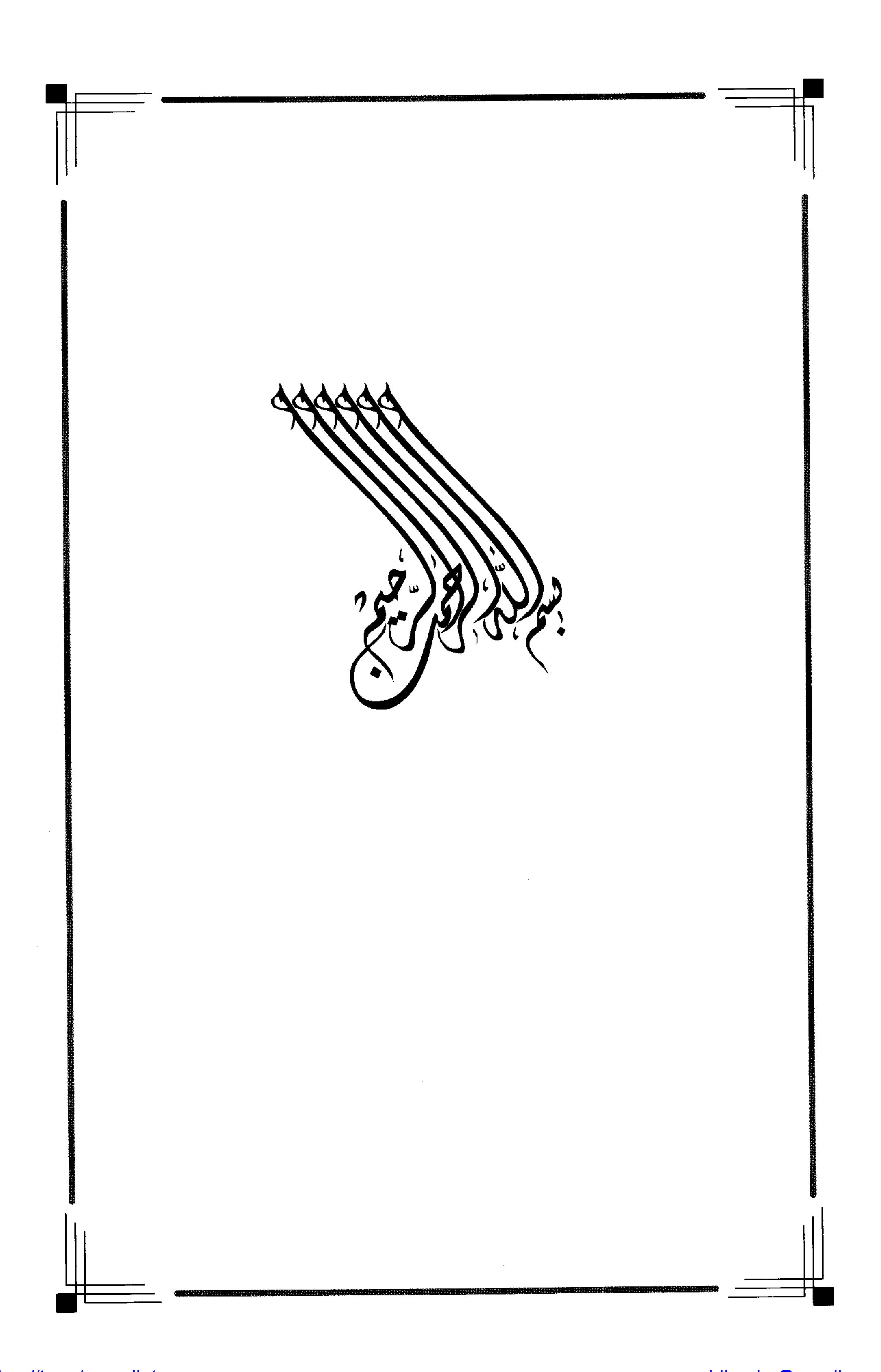
ما بين عامي ١٣٨٥ هـ - ١٤٢٦ هـ

الجزء الأول

الإصدار الرابع عشر

الوعي الإسلامي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية



تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت
في مطلع كل شهر عربي
جميع الحقوق محفوظة

الإصدار الرابع عشر

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

www.alwaei.com	الموقع على الإنترنت
info@alwaei.com	البريد الإلكتروني

العنوان
ص.ب ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت
هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤ - فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تصـــدير

بقلم رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، ووهب له العقل ليعقل عن ربه ما شرعه وأبان، وأنزل القرآن تبصرة للعقول والأذهان، أحمده حمداً يملأ الميزان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ كل يوم هو في شأن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الناس كافة بالدليل والبرهان، اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى، قد أعزّ العلم والعلماء، وشرّفهم في الأرض والسماء، وهم في الناس كالنجوم، يهتدون بها في البر والبحر، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم قدوة الأتقياء، بل هم صفوة الأولياء، وهم حجة بين الله تعالى وبين بريته، فإن العلماء هم سراج الأمة وضياؤها بلا مراء، يبينون لهم الأحكام، ويفرقون لهم الحلال من الحرام، ويخرجوهم بفتواه من الآثام، ويوضحون لهم شرائع الإسلام، فيا له من شرف ما أعلاه، ومن عز ومنصب ما أسماه، وما أخطره على من لم يتحر في فتواه، ولم يراقب في علمه وعمله مولاه، فالعلماء سُرُج الأرض، وكل عالم مصباح زمانه، يستضيء به أهل زمانه وعصره،

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ... متى يمت عالم منها يمت طرفُ

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ... وإن نأى عاد في أكنافها التلف

قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الرعد: ٤١) أي موت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

علمائها وفقهائها، فإن بهم صلاح الدين، وقمع المعتدين، ومعرفة رب العالمين، وقد نفع الله بعلمهم، وانتشرت كتبهم في أصقاع المعمورة، منها المحفوظ في الصدور ومنها المسطور في الأوراق، وهذا الأخير بحاجة إلى العناية والرعاية حتى ينتفع به طلاب العلم، ومن هذه العلوم والكتب كتابنا هذا الذي هو عبارة عن مقالات متعددة جمعناها مما نُشر على مدار سنوات في مجلة الوعي الإسلامي، فهو حلقة في سلسلة التراث العلمي لمواصلة العمل الجاد لتحقيق وتوثيق ثروة العلماء لينتفع بها بعد موتهم وتُخلد ذكراهم.

وهذه المقالات العلمية المتنوعة نموذج رائع على قيمة العلم المنشور في المجلات المُعْتنية بتراث العلماء والفقهاء وسائر المصلحين.

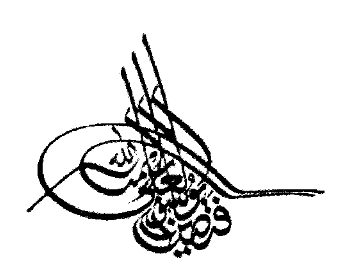
وفي هذا الديوان عددٌ من المناظرات وفوائد المساجلات، وما كان عليه أولئك الجلة العلماء من كريم الأخلاق وجميل الصفات.

والله نسأل في الختام أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين النفع العميم، كما أسأله تعالى أن يجعله في موازين العلماء الراحلين الذين أَثْرَوْا مجلة الوعي الإسلامي منذ عقود.

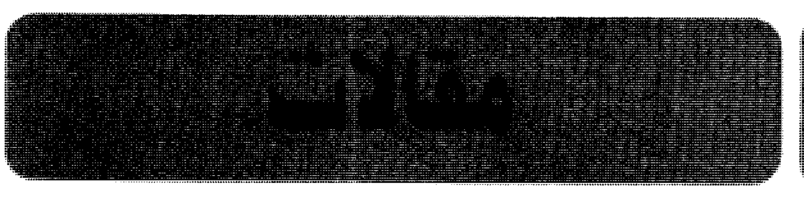
فرحمة الله عليهم جميعاً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

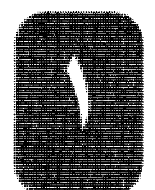
رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

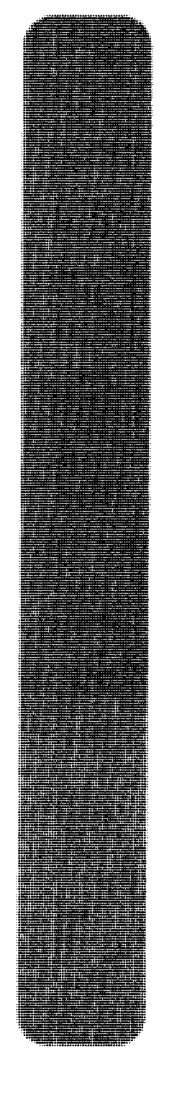


https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد



- ترجمة الشيخ
- المقالات

١- الإسلام والمجتمع المثالي (١).

العدد (١) محرم (١٣٨٥هـ) - مايو (١٩٦٥م).

٢- الإسلام والمجتمع المثالي (٢).

العدد (٦) جمادى الآخرة (١٣٨٥هـ) - أكتوبر (١٩٦٥م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

محمد محيي الدين عبد الحميد



● **مولده:**

ولد الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد في قرية كفر الحمام بمحافظة الشرقية سنة (١٣١٨ هـ- ١٩٠٠م)، ونشأ في كنف والده العالم الأزهري الشيخ/ عبد الحميد إبراهيم الذي كان من رجال القضاء والفتيا.

حصل على شهادة العالمية النظامية مع أول فرقة دراسية تنال هذه الدرجة وفق طريقة دراسية منتظمة، وذلك في سنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م).

عمل مدرسا بكلية اللغة العربية بالأزهر، ثم مدرسا في قسم الدراسات العليا، ثم وكيلا فيها، ثم مديرا لتفتيش العلوم الدينية والعربية، ثم تقلد عمادة كلية اللغة العربية.

اختير في لجنة الفتوى بالأزهر، ثم تولى رئاستها، ثم عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم رئيسا للجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وكان عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر.

حقق وشرح الآجرومية، وقطر الندى، وشذور الذهب، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومغني اللبيب، وغيرها من كتب الفقه والأصول والحديث وعلم الكلام والتاريخ الإسلامي.

● **وفاته:**

توفي الشيخ في ٢٥ ذو القعدة ١٣٩٢هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ١٩٧٢م، تاركًا خلفه إنتاجا خصبا لا تزال الأجيال تنتفع بما فيه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلام والمجتمع المثالي (١)

العدد (١) محرم (١٣٨٥هـ) - مايو (١٩٦٥م).

أثارني إلى الكتابة في هذا الموضوع عاملان، لكل واحد منهما وزنه وقيمته، ولكل واحد منهما دوافعه وآثاره.

أما أحدهما فإنه قد استقر في ذهني مما أسمعه من رجالات الغرب، الذين قدر لي أن ألقاهم، ومن إخواننا العرب الذين يذهبون إلى هناك ويتصلون برجالاتهم، ويعيشون في مجتمعاتهم، ثم يعودون إلينا، فينقلون لنا صورة عنهم تمثل أفكارهم وحياتهم، ثم ما أقرأه فيما يترجم لنا من مؤلفاتهم في الأدب والاجتماع.

أن بلاد الغرب تعيش اليوم في حيرة وفي اضطراب وفي قلق ذهني، وأن معنوياتهم وروحانياتهم ومقدساتهم التي عظموها الأحقاب الطويلة ليس لها اليوم استقرار في نفوسهم ولا ثبات، وأن عوامل كثيرة تتجاذبهم فتميل بهم ذات اليمين مرة، ثم تميل بهم ذات اليسار مرة أخرى، وقد بلغ بهم الحال أن تزلزلت عقائدهم التي استمسكوا بها فترة طويلة من الزمن، والتي غزوا من أجلها بلاد الشرق غزوا مسعورا، وقد تدفعهم هذه الاضطرابات النفسية وهذا القلق وهذا التأرجح إلى البحث عن عقيدة أخرى أدنى إلى أحكام العقل، وأقرب إلى مسايرة الحياة التي ينشدونها، كما قد يدفعهم كل ذلك إلى اطراح العقائد ونبذها جملة، والارتماء في أحضان الإلحاد والفوضى والإباحية، فيصعب العلاج وتنتكس الإنسانية، ويعود الناس في العالم أشبه ما يكونون بقطعان من وحوش الغاب.

وأما العامل الثاني فإني شعرت بأن الناس في الشرق، مهبط الرسالات السماوية، قد شرعوا ينفضون عنهم غبار الرقدة الطويلة التي فرضها عليهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاستعمار، وأخذوا يبصرون أحوال أنفسهم وأحوال الناس من حولهم، وأن دين الإسلام الذي يدين به أكثرهم، هو في جملته وتفصيله دين الفطرة السليمة والعقل المستقيم، فلو صح وعيهم ثم استقام تفكيرهم، وأحسنوا الدعوة إليه، وقاموا بما أوجبه الله عليهم من التفقه فيه والبشارة به، وتكاتف ذوو البصر من أمرائهم وعلمائهم على الدعاية له بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال المبني على الأساليب الحديثة، رجونا من وراء ذلك كله خيرا عظيما.

● حاجة البشرية إلى الإسلام

رأينا أهل الفكر في العالم اليوم على أحد حالين: أولهما: تردد وشك وحيرة وتفكير طويل ورغبة ملحة في طلب الخلاص من هذا التردد وهذا الشك وهذه الحيرة.

وثانيهما: انتفاض ووعي وشعور بالمسؤولية، وإحساس خفي بواجب طال إهماله، فما هو إلا أن يتفق أصحاب هذا الانتفاض وهذا الوعي وهذا الشعور وهذا الإحساس على أن يؤدوا ما فرض الله عليهم من فهم دينهم فهما صحيحا، وعرضه على الفريق الأول ميسرا مجلوا مدعوما ببيان ما تحمله تعاليمه من أسباب العزة والقوة والمساواة والمحبة إلى درجة الإيثار، فإذا هم مقبلون عليه راغبون فيه، لأنهم سيتحققون من أنه الوسيلة التي لا وسيلة غيرها لراحة نفوسهم، وثلج صدورهم، وتخليصهم من أرباق الحيرة والتردد والشك، والوصول بهم إلى حياة وادعة ومعيشة طيبة مستقرة.

ورأينا مع ذلك تهافت أصحاب المبادئ المتطرفة على غزو بلاد الإسلام والشرق عامة في عقر ديارهم طورا باسم الاقتصاد، وطورا باسم العلم، لأنهم أيقنوا أن الغزو السياسي قد أصبح مما لا مجال له اليوم، وهم فيما بين هذا وذاك يدسون ويكيدون كيدا مستورا، وقد يستطيعون بدسهم وكيدهم وخداعهم أن يزلزلوا أفكار كثير من أهل الشرق، وأن يميلوا بأفكار قوم آخرين منهم إلى حالة من الفوضى والاضطراب والاختلاط، ليست بأقل خطرا من حالة الأولين، فلو أن ذوي البصيرة من المسلمين وأهل الشرق عامة أخلدوا إلى الدعة والراحة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ورضوا من الغنيمة بسلامتهم في أنفسهم، لأوشك الخطب أن يتفاقم، واستحال بعد ذلك رأب الصدع، ولم يبق في مقدور أحد أن يتلافى الشر الجارف أو يجنبه نفسه وأهله ومواطنيه.

نحن في بلادنا نتعرض كل يوم لخطر لا نحسه، لأنه يدب فينا دبيبا خفيا، ونحن أحرياء أن نبحث وندقق في البحث ونطيل التدقيق، لئلا يدهمنا الخطر. ونحن بما فرض علينا من الدعوة للإسلام، وبما انبعث فينا- أو في جماعة منا- من الوعي الصحيح ومن الطموح إلى اجتذاب النفوس الحائرة، أو التي على مفترق الطرق، أحرياء أن نهب هبّة عاقلة حكيمة نقيم بها العذر لأنفسنا، ونعلن بها أننا لم نهن ولم نضعف، وأن الهبة الكبرى التي هبها أسلافنا الأمجاد فملأوا بها العالم نورا وهدى وقوة، كانت من طبيعة ديننا الحنيف، وأن الركود والاستكانة والجمود التي حلت بنا في أيام سالفة كانت مجلوبة طارئة يسَّر لها نسياننا أو تناسينا لتعاليم هذا الدين، وأن الجالب لها المدبر لأسبابها الساعي لبلوغها غايتها هم أعداء هذا الدين من ذوي القوى المادية بقصد أن يموهوا على الناس ويفهموهم أن ديننا هو سبب ذلك الركود وهذه الاستكانة وهذا الجمود، وفاتهم أن العلة الواحدة لا تكون علة للشيء ولنقيضه، وأنه قد ثبت ثبوتا لا يحتمل الجدال أن هذا الدين بتعاليمه الصحيحة قد أخرج أمة من ظلمة الشرك والتقليد ومن تيه الفوضى والضلالة ومن عماية الانحلال والتفكك إلى نور التوحيد، وتمجيد العقل، وإلى جادة النظام والهداية، وإلى بصيرة الوحدة والقوة والتدافع لاحتلال أسمى مكانة وفرض سلطانها على رقعة الكون المعروفة يومئذ، فمحال أن تكون هذه التعاليم هي السبب في الرجوع إلى ما يزعمون من الفرقة والعجز والفوضى والاستغلال.

● الإسلام دين الفطرة

إن الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل الصحيح، وهو الدين الذي يتفق وما تقتضيه بدائه العقول البعيدة عن الهوى وما تشتهيه الأنفس، ولن يجد باحث يتخذ العقل معيار أحكامه دينا مجد العقل وجعل له منزلة فوق كل منزلة، ونندد بمن يميل مع الهوى ومع مألوف العادات والمتوارث عن الآباء والأسلاف، لن يجد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الباحث دينا كدين الإسلام جعل من شرط صحة الإيمان بالله تعالى أن يعرف المؤمن الدليل العقلي على وجوده سبحانه، وعلى اتصافه بصفاته التي يجب أن يتصف بها كالقدرة الشاملة والإرادة النافذة، وقضى أن من لم يعرف هذا الدليل بعقله ويجزم به جزما لا يقبل التردد لا يكون مؤمنا ناجيا. وأعداء هذا الدين لا ينكرون هذا، وهم يعرفونه في قرارة أنفسهم، ويؤمنون أن أهل هذا الدين إن رجعوا إليه صافيا نقيا واتبعوا تعاليمه من أعماق قلوبهم حتى خالطت حلاوته شغافها عاد لهم مجدهم وارتفعت كلمتهم ودان سلطان أعدائهم، هم يعلمون ذلك كله، وهم يخشون أن تذهب ريحهم، فهم لذلك حريصون على أن يفرقوا كلمة أهل هذا الدين وأن يحولوا بينهم وبين الرجوع إلى ما كان عليه سلفهم.

لذلك كان من أول الواجبات على أولي العلم من أتباع هذا الدين، وعلى ذوي السلطان منهم من الرؤساء والأمراء والقادة والزعماء، أن يبصروا قومهم، وأن يبينوا لهم دينهم على ما كان عليه رسول الله وأصحابه المهتدون بهديه، ولذلك رأينا أن نستهل هذه الأبحاث بالبحث عن صفات المجتمع المثالي الذي يحبه الله تعالى ورسوله صلوات الله عليه.

ويقتضينا هذا البحث أن نتعرف الصفات التي أوجب الإسلام على المسلم أن يتصف بها في ذات نفسه، وعن الصفات التي أوجب الإسلام على المسلم أن يتصف بها بوصفه فردا من أفراد أسرة، وعن الصفات التي أوجب الإسلام على المسلم أن يتصف بها بوصفه واحدا من آحاد حي يسكنه جماعة من مواطنيه، وعن الصفات التي أوجب الإسلام على المسلم أن يتصف بها بوصفه واحدا من آحاد قرية أو مدينة من مدن وطنه، وعن الصفات التي يجب على المسلم أن يتصف بها بوصفه فردا من الأمة كلها. فهذه خمس حالات نرانا مضطرين إلى الوقوف عند كل حالة منها وقفة قصيرة لنتدبرها ونبين تعاليم الإسلام فيها. وسنذكر النصوص الواردة عن الله تعالى وعن رسوله صلوات الله عليه في كل حالة من هذه الحالات.

ونبادر فنعلن قبل الإفاضة في البحث أننا لن نستوعب استيعابا نستطيع معه أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نقول إن هذه الصفات هي كل ما يريده الإسلام من المسلمين، ولكنا ذكرنا في كل حال أوضح الصفات وأظهرها، وما يعد نموذجا صالحا منها، وما لعله يعتبر أساسا لما لم نذكره أو باعثا حثيثا على التخلق بغيره من صفات الكمال الإنساني.

● **الهدف من التكاليف**

وقبل أن نأخذ في بيان ما تيسر لنا بيانه نقرر أن المقصود الأهم من التكاليف الشرعية في دين الإسلام، هو تربية الضمير الإنساني بصقل النفس وتنقيتها من الأثرة والأنانية والجحود والاستغلال والجبرية والميل إلى الهوى، وتعويدها حب الحق وإيثاره، وإعلانه ما كان في إعلانه مصلحة، وذلك يفضي بها إلى أن تعلم أن ما خفي على الناس لا يخفى على الله، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأن الإفلات من العقوبة الدنيوية العاجلة قد يكون سببا في شدة العقوبة في آجل الحياة أو فيما عند الله، وما لم يجد المسلم عباداته موصلة إلى خشية ربه وإخباته له وإقباله عليه، وأنها حاملة له على ترك النقائص والابتعاد عن الآثام فليعلم أنها عبادات صورية لم تنفعل بها نفسه فلم تؤت ثمرتها التي أراد الله تعالى أن تؤتيها، وانظر إلى قوله سبحانه ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (العنكبوت: ٤٥). ثم انظر إلى قوله جلت كلمته: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (التوبة: ١٠٣). ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ (البقرة: ١٨٣). فإذا أنت نظرت في هذه الآيات ونحوها من كتاب الله تعالى وجدت كل عبادة من العبادات التي كلف الله بها عباده قد أراد أن تنفعل بها نفس المكلف حتى يكون لها تأثيرها، وهي وسيلة من أعظم الوسائل لتهذيبها وتطهيرها، والله أجل من أن ينظر إلى صور العبادات، وقد أراد أن تكون مما تقرب منه وتدل على خلوص قلب المكلف له، ولتفصيل هذا الكلام موضع غير هذا، لعل الله جلت قدرته يهيئ لنا ما نوفيه حقه من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البحث في وقت قريب.

وموعدنا لتفصيل الكلام في الحالات الخمس التي أشرنا إليها في عدد قادم إن شاء الله.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الإسلام والمجتمع المثالي (٢)

العدد (٦) جمادى الآخرة (١٣٨٥هـ) أكتوبر (١٩٦٥م)

ونأخذ اليوم بيان الصفات التي أراد الله ورسوله للمؤمن أن يتصف بها في نفسه، ونود- قبل أن نفيض في بيانها- أن نلفت الذهن إلى بعض ما قدمنا الإشارة إليه، وهو أن المقصد الأسمى من التكاليف الشرعية هو وصل ما بين المؤمن وربه، وتوثيق هذه الصلة حتى يصير مراقبا له في كل ما يأتي وما يذر، وحتى يعلم أنه سبحانه هو وحده النافع الضار، وأن يثق بأن الناس جميعا لو اتفقوا على أن ينفعوه بشيء لم يرده الله لم يستطيعوا السبيل إلى ذلك، وأن الناس كلهم لو أجمعوا على أن يضروه بشيء لم يرده الله ما استطاعوه، ولذلك تجد التكاليف الشرعية كلها قد اشترط لصحتها أن تسبق بالنية وأن تتصل هذه النية بها، ومن أجزاء هذه النية أنه يفعل هذا الفعل خالصا لوجه الله تعالى، وهو يبدأ صلاته بقوله «الله أكبر» ويأخذ في نية صومه «إيمانا واحتسابا لوجه الله تعالى» ويبتدئ أعمال حجه بعد النية بقوله «لبيك اللهم لبيك» وهكذا كل عمل من أعمال البر، فإذا لاحظ العبد ذلك ظل مراقبا لربه عالما أنه مطلع عليه، فإذا استمر على هذه الحال طهر قلبه فصار نقيا صافيا خالصا من أدران المادية وما يجره التعلق بالمادية من الحقد والحسد والتباغض وإضمار الشحناء والكيد والوقيعة، وطهرت نفسه فأصبحت قريبة من الكمالات الإنسانية، من نحو المودة وحب الخير للناس إلى حد الإيثار والتضحية في سبيلهم، وما لم يؤد فعل التكاليف الشرعية إلى ما ذكرنا من طهارة القلب وزكاة النفس فإنها تكون قليلة الحظ من القبول، فلينظر المؤمن إلى نفسه، فما لم يجد قلبه مشرقا، وما لم يحس بأن حظوظ الشيطان قد فارقته، وما لم يجد نفسه أنه لا يضمر غير ما يظهر، وما لم

يجد أنه لا يأتي من أعمال البر شيئا إلا رغبة في عمل البر ومرضاة لربه وطلبا لنفع الناس في غير امتنان على أحد منهم ولا حبا في مثوبتهم، ما لم يجد ذلك كله من نفسه فليعلم أنه لا يؤدي ما يؤديه من التكاليف على الوجه الذي أراده الله، وأن أداءه هذه التكاليف قليل الجدوى وقليل القبول، وهذا سر من أسرار قوله ﷺ: «رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» أو كما قال.

ثم نقول:

في القرآن الكريم آيات كثيرة تعرضت لصفات المؤمن التي يجب عليه أن يتصف بها نفسه، ونحن لو تتبعنا هذه الآيات كلها وبينا ما في كل آية منها طال بنا القول طولا نخشى أن يمله القارئ فلنجتزئ من ذلك بموضعين من القرآن الكريم ذكر الله تعالى فيهما جماع ما ينبغي للمؤمن أن يتصف به.

● الموضع الأول

الآيات الكريمة التي في آخر سورة الفرقان، وذلك قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ (الفرقان: ٦٣-٧٥).

● الموضع الثاني

قوله تعالى في مفتتح سورة «المؤمنون» ﴿۞ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون: ١-١١).

تضمنت هذه الآيات الكريمة ثماني عشرة خصلة من خصال المؤمنين، من ذلك في آيات سورة الفرقان اثنتا عشرة خصلة، والخصال الباقية في آيات سورة «المؤمنون»، ولكن مجموع المذكور فيهما من الخصال عند التحقيق خمس عشرة خصلة، وذلك لأن خصلتين منها قد تكررتا في الموضعين وخصلة أخرى ذكرت في آيات سورة «المؤمنون» مرتين ذكرت في كل مرة منهما بناحية من نواحيها والموضوع العام في الموضعين واحد.

ومما يحسن التنبيه له أن في القرآن الكريم مواضع كثيرة نص في بعضها على خلال من هذه الخلال، ونص في بعضها على خلال أخرى غير هذه الخلال، ولكنا نعتبر هذه الخلال الخمس عشرة نموذجا عاليا لما يجمل بالمؤمن أن يتخلق به، ولما لو تخلق به إنسان لجره إلى جميع خلال البر والتقوى، والخير يدفع إلى الخير، فإذا اكتفينا ببيان هذه الخصال وبيان ما تجلبه لمن يتصف بها من كمال نفسي وإشراق روحي يستتبعان الاستمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها كنا كمن أخذ من الأمر بلبابه وكمن وضع يده على مفاتيح الخيرات كلها فهو يطرقها من أي الأبواب أراد.

● الصفة الأولى

التواضع، وقد كنى الله تعالى عن هذه الصفة بقوله سبحانه في آيات سورة الفرقان ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣) كما كنى عن ضدها - وهو التعالي على الناس والاستكبار والجبرية - بقوله جلت كلمته في سورة لقمان ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ (لقمان: ١٨) وكنى عن ذلك مرة أخرى في سورة الإسراء بقوله ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ (الإسراء: ٣٧).

والتواضع أسمى معايير الكمال النفسي، وهو من صفات الأنبياء والمرسلين، وهو صفة تحمل المتخلق بها على ألا يعتد بما عنده من علم لأنه يعلم أن كل ما أوتيه من علم فهو قليل بالنظر إلى ما لا يزال مطويا عنه، وعسى أن يكون عند غيره ممن هو أقل منه ما لا عِلْمَ له به، فإذا تيقن ذلك كله اندفع يطلب علم ما لم يعلم، ولم ير غيره ممن لم يذع له صيت في العلم أقل من أن يأخذ عنه.

وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك في قصة موسى والعبد الصالح حيث دفعه إلى أن يقول للعبد الصالح ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ (الكهف: ٦٦)، واحتمل في سبيل هذا- وهو نبي يكلمه الله- أن يقول له العبد الصالح ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ (الكهف: ٦٧-٦٨)، كما أن هذه الصفة تحمل المتخلق بها على ألا يعتد بما عنده من مال وفير وجاه خطير، لأنه يعلم أن الله لو شاء لجعل ما في يده في يد غيره ممن هم في حاجة إليه وجعله هو صاحب الحاجة إلى هؤلاء، كما أنه يعلم أن المال غاد ورائح، ورب حادثة لا يلقي لها بالا اجتاحت هذا المال كله في طرفة عين، فإذا علم مع ذلك أن الذكر بالخير باق على الدنيا ما بقي فيها ناس، وأن ثواب الإنفاق في الخير أعظم ربحا وأكثر فائدة من اكتناز الأموال، واستيقنت نفسه ذلك اندفع ينفق في سبيل الله تعالى فنال خير المثوبة، وقد ضرب الله لنا مثل من اغتر بماله وزعم أن حذقه وخبرته بضروب تثمير المال سبب ما عنده فلم يرع فيه حق الضعفاء والمعوزين، ثم كانت عاقبته ما ختم الله به قصته في سورة القصص، وذلك قوله سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ (القصص: ٨١).

بالجملة فإن هذه الصفة تحمل المتخلق بها على ألا يعتد بشيء عنده مما يتميز به بعض الناس من جاه أو مال أو رفعة نسب أو صحة أو قوة جسم أو بسطة علم أو نحو ذلك، وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في هذه الصفة، فقد كان يكون في مهنة أهله، وقد كان يحمل حاجته بنفسه ويقول: صاحب الحاجة أحق

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بحملها، وقد كان يأكل على الأرض، وقد كان يقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد، ويقول: أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد، كل ذلك وهو رسول الله وصفوته من خلقه أجمعين وهو من أشرف العرب نسبا وأرفعهم بيتا، وقد كان يجالس المستضعفين والموالي، حتى إن صناديد قريش رغبوا له أن ينحي عن مجلسه هؤلاء الموالي ووعدوه إن نحاهم أن يدخلوا في دينه - وكان ذلك أحب شيء إليه - فكان أن أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (الكهف: ٢٨)، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (الانعام: ٥٢-٥٣)، وقد رغب رسول الله ﷺ في التواضع في غير حديث، وحذر من الكبر والتعالي والجبروت والزهو والخيلاء في غير حديث، فمما ورد عنه من الحث على التواضع وبيان ما أعد الله للمتواضعين في الدنيا والآخرة ما رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٢٨٥) ط بولاق، كتاب البر) من قوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه» ومنه ما رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٤ ط بولاق - ١٠/ ٤٠٨ بهامش فتح الباري ط بولاق) ورواه مسلم في صحيحه (٢/ ٣٥٤ ط بولاق) من قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»، العتل - بضم العين والتاء وتشديد اللام - الأكول المنوع. والجواظ - بفتح الجيم وتشديد الواو - فسروه بالجموع المنوع، وفسروه بالقصير البطين، وفسروه بالكثير اللحم المختال في مشيته، وفسروه بالغليظ الفظ، والمستكبر - ومثله المتكبر - الذي يتشبع بما ليس عنده أو الذي يستعلي على الناس يرى أن ما عنده خير مما عندهم وهو الذي يقول الله تعالى في شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ (غافر: ٣٥)، ومنه ما رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٣٥٣ ط بولاق - كتاب الجنة) عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال «احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون، والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها» وصدق رسول الله ﷺ، فإن الجبار ما يزال يعنف بالناس، ويشتط في معاملتهم، ويأخذهم بالقسر والإعنات حتى يسلبهم حقوقهم، ويدفعهم عنها، وقد يسلبهم أموالهم وأرواحهم بغير حق فيتفاقم الشر، وتغدو الحياة إلى جواره جحيما لا يطاق، فكان جزاؤه أن جعله الله في العذاب الأليم، وإن المتكبر ما يزال يتيه بنفسه، ويزهي على الناس، ويحتقرهم حتى يهون أمرهم عليه، وحتى يرى أنه لا يدانيه أحد فلا يبالي - بعد أن تتأصل في طباعه هذه الخلال - أن يعتدي على من يعاشرونه، وما أبدع ما وصف الله به المتكبرين في الآية التي تلوناها أول الكلام على هذه الصفة من سورة لقمان وفي الآية الأخرى من سورة الإسراء، ثم ما أروع هذه السخرية بالمتكبر التي ختمت بها آية سورة الإسراء ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ (الإسراء: ٣٧).

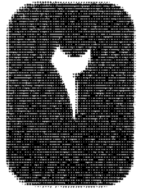
نعم إنه - مهما يشمخ بأنفه ومهما يتعال برأسه، ومهما يتطاول ببدنه - لن يبلغ الجبال طولا، وإنه مهما يدب بقدميه، ومهما يثقل ببدنه لن يخرق الأرض، فليكفكف من غلوائه، وليترك تيهه وتعاليه، وليكن مع الناس يفيدهم ويفيدونه، ويتعاون معهم ويتعاونون معه، فالإنسان قليل بنفسه مهما يعظم قدره، كثير بإخوانه، وقد تقتل الفيل نملة، وقد تموت الأفاعي من سموم العقارب.

نسأل الله تعالى أن يبصرنا بقدر أنفسنا، وأن يباعد بيننا وبين البأو والصلف والكبرياء.. إنه أكبر مسؤول، وإلى عدد مقبل نأخذ فيه في بعض ما بدأناه، إن شاء الله.



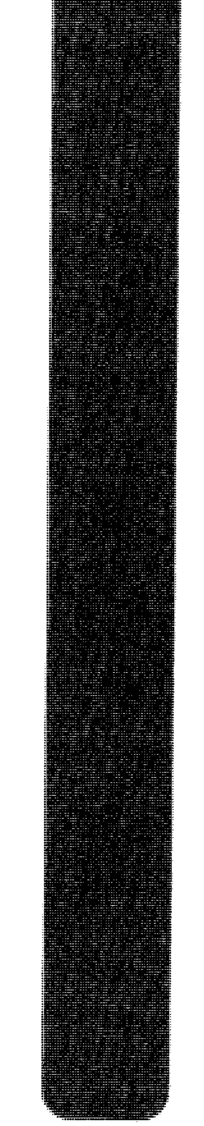
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الأستاذ عبد العزيز العلي المطوع



- ترجمة الشيخ
- المقالات

١- الإيمان.

العدد (٢) صفر (١٣٨٥هـ) - يونيو (١٩٦٥م).

٢- بين الفقه والولاية.

العدد (٣) ربيع الأول (١٣٨٥هـ) - يوليو (١٩٦٥م).

٣- أعمال تذكر فتشكر.

العدد (٤) ربيع الآخر (١٣٨٥هـ) - أغسطس (١٩٦٥م).

٤- لا تحتقر الطين.

العدد (٥) جمادى الأولى (١٣٨٥هـ) - سبتمبر (١٩٦٥م).

٥- في رحاب القرآن (١).

العدد (٨٤) ذو الحجة (١٣٩١هـ) - يناير (١٩٧٢م).

٦- في رحاب القرآن (٢).

العدد (٨٥) محرم (١٣٩٢هـ) - فبراير (١٩٧٢م).

٧- في رحاب القرآن (٣).

العدد (٨٦) صفر (١٣٩٢هـ) - مارس (١٩٧٢م).

٨- نظرات في سورة الإخلاص.

العدد (٩٨) صفر (١٣٩٣هـ) - (مارس ١٩٧٣م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الأستاذ

عبد العزيز العلي المطوع



● مولده:

ولد «عبدالعزيز علي عبدالوهاب المطوع» عام ١٣٢٨هـ في أكتوبر ١٩١٠م، وهو من قبيلة السهول.

وتعلم في المدرسة الأحمدية، واشتهر بذكائه الحاد وفطنته، وقد تخرج من المدرسة وعمره أحد عشر عاما وكان ترتيبه الأول على المدرسة، وهو ما جعله محط إعجاب أساتذته في ذلك الوقت.

نشأ نشأة دينية وأدبية في بيت كريم، ورافق عددا كبيرا من رجالات الكويت الذين ساهموا في بناء نهضة البلاد بمختلف أشكالها، خاصة الجانب التعليمي منها.

وكان عضوا بمجلس المعارف في عهد الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وعضوا في المجلس البلدي سنة ١٩٥١-١٩٥٤م.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ سباقا لفعل الخيرات في السر والعلن، أنفق الكثير في الأعمال الخيرية داخل الكويت وخارجها، وكان بحق سفيرا لبلاده بين بلدان العالم، كما كان رمزا لعطاء الكويت، وكرم أهلها.

أسس المحسن عبدالعزيز علي المطوع بالتعاون مع المحسن عبدالعزيز يوسف المزيني جمعية الإرشاد الإسلامية التي تم افتتاحها في عهد الشيخ عبدالله السالم، وقد حققت الجمعية نجاحا عظيما في مجالات الدعوة والإرشاد والتعليم، برئاسة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنشأ رحمه الله "جمعية مصطفى محمود الخيرية" على أرض مصر ومن مهامها تقديم العون للفقراء والمساكين وكذلك تقديم العلاج المجاني للمرضى المسلمين.

وأسس دارا للمسنين بالتعاون مع جمعية دار المسلم التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية المصرية.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ طالبا للعلم حتى أواخر أيام حياته، وتم اختياره كعضو في مجلس الأمناء بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية.

وأنشأ لجنة تتولى الإنفاق على الطلبة الأفارقة الراغبين في التعليم وابتعاثهم إلى مدارس وجامعات مصر وذلك على نفقته الخاصة، كما أنشأ وساهم في العديد من الجمعيات الخيرية في كثير من دول العالم منها: الهند وباكستان وأفغانستان ولبنان، ومعظم البلاد الإسلامية.

● **مؤلفاته:**

قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتأليف العديد من الكتب العلمية منها: «الرأس والبنكرياس»، و«خواطر باحث».

● **وفاته:**

توفي المحسن عبدالعزيز المطوع في السابع عشر من ذي القعدة ١٤١٦هـ الموافق للسابع من أبريل ١٩٩٦م.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل أعماله في ميزان حسناته وأسكنه فسيح جناته.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإيمان

العدد (٢) صفر (١٣٨٥هـ) - يونيو (١٩٦٥م).

الإيمان هو منة الله العظمى على عباده المستعدين لاستقباله، إذ هو قوة نورانية فعالة، تستمدها وتشعها أجهزة صالحة قابلة، كما تستمد المشاكي الصالحة النور من الكهرباء لتقضي على الظلام، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ (النور: ٣٥).

والإنسان الصالح جهاز صالح ملزم بالاتصال والتفاعل مع النور والخير عن أهلية واستحقاق ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ (الفتح: ٢٦)، وعلى العكس من ذلك الخفافيش العمياء عن النور، والأجهزة الفاسدة التي لا تستقبل النور ولا تشعه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (هود: ٢٨) ومن المعلوم أن الأرمد لا يبصر نور الشمس، ولا يشعر المريض بطعم الماء ولا المزكوم بشذى الورد.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وما ضرر الورود وما عليها ... إذا المزكوم لم يطعم شذاها

والإيمان ضروري للإنسان، بل إنه لفي مقدمة ضرورات الحياة التي لا يستغني عنها الإنسان في حال من الأحوال، إذ هو الحب الصادق، والإخلاص الكامل، والاطمئنان بكل معانيه، وهو الجاذبية التي تُكَوِّن من الأفراد مجموعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صامدة تؤدي رسالتها في الحياة. والإنسان مهما حاول المكابرة فهو مفطور على الإيمان بالقوة المبدعة لهذا الوجود والقدرة الأزلية اللانهائية التي يقرها العقل، ويؤمن بها العلم، ويخر لها العلماء سجدا، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨) ولذلك أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب ليتم نعمة الله على الناس ظاهرة وباطنه، ليهلك من هلك عن بينه ويحيي من حيَّ عن بينة، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولله سنن كونية في خلقه كسنن النور والظلام فالنور يمحق الظلام، وعلى قدر ما يخبو من النور يحل الظلام ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ (غافر: ٥١).

وتنازع البقاء بين الأمم وتنافسها ضروريان لإصلاح الأرض وعمارتها، ولا بد للعالم من توحيد كلمته على كلمة التوحيد يوما ما، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ (الروم: ٤-٥).

● قصة واقعية تؤيد التقاء الناس على كلمة التوحيد

لقد جمعتني إحدى المصادفات مع ملحد يدافع عن الشيوعية ويجادل منكرا الألوهية، ويحاول تحكيم المنطق في جدله، ومما قلت له في أثناء الحديث: هل تعلم أنك تؤمن بالله شئت أم أبيت؟

قال: وكيف ذلك؟

فكان جوابي، إذا كنت تنكر الألوهية الحقة فبم تؤمن؟

قال: أؤمن بالإنسان وبالعلم، فقلت له: إنك ترى هذه الأرض وما بها من خيرات وترى هذا الفضاء وما فيه من ذرات ومجموعات وأسرار، هل كان لهذا الإنسان يد في إبداع ذلك ونصيب في تنظيمه؟ بل وفي خلق نفسه وتكوين دقائق جسمه؟

فقال: لا، قلت: إذن هناك قوة وراء ذلك أبدعت هذا الوجود ونظمته، وهذه القوة هي الله الذي نؤمن به ونعبده، إذ إننا لا نعبد جرما محدودا في زاوية من زوايا الكون الواسع، بل نؤمن بالقوة اللانهائية التي لم يكن هذا الكون بالرغم من سعته، إلا جزءًا من أجزاء مخلوقاتها، وحلقة في قبضتها، فقال: الطبيعة هي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي أوجدت الكون، فقلت: إننا نعبد القوة الخفية التي أوجدت هذا الكون، فان سميتها الطبيعة، فنحن نسميها اللّٰه، ولا خلاف بيننا إلا بالتسمية، ولاشك أنك تشاركني أن المبدع المنظم خالق العقل والسمع والبصر وسائر الطاقات لابد أن يكون سميعا بصيرا قادرا عالما موصوفا بجميع صفات الكمال التي تنبغي لهذا المبدع الجبار العظيم، أما إذا قلت كما يقول الآخرون: أن الطبيعة صماء عمياء عاجزة فاعلم أن فاقد الشيء لا يعطيه!

واغتنمت فرصة سكوته مبهوتا، فعرجت على موضوع الشيوعية وبادرته بقولي: إن الشيوعية في نظري متأخرة كثيرا عما جاء به محمد ﷺ، بل هي في طريقها إلى ذلك وسوف تلتقي معنا إذا كانت المصلحة رائدها كما يدعي مؤسسوها وذلك بعدما يمر عليها من تضحيات مريرة وتجارب قاسية، بدليل أن الشيوعية تتضمن أمرين كما يقولون، **الأول**: نفي الألوهيات، **والثاني**: التطور مع المصلحة.

والإسلام سبقها إلى ذلك، حيث إن مفتاح الإيمان عندنا هو لا إله إلا الله، إذ بنصف الجملة الأولى (لا إله) نفي الألوهيات في كل ما اتخذه الإنسان من عبادة أخيه الإنسان حيا في صومعته أو قصره أو ميتا في تمثاله أو قبره، وغير ذلك من عبادات النور والنار والكواكب والبحار والأحجار والأشجار، وبنصف الجملة الثاني (إلا الله)، استثناء للقوة الأزلية القادرة العالمة المبدعة.

وكل ما قاله لي محدثي بعد ذلك: إن كان هذا هو الإسلام، فالعقل يقبله وهو ضالة العلماء والحيارى، ولكني أرى أعمال المسلمين تخالف ذلك ولا تظهر الإسلام بهذا المظهر المقبول لأن كثيرين ينظرون إلى العقيدة من خلال أعمال أتباعها الذين هم ثمراتها.

قلت له: معك حق في ذلك، ولكن أرجو ألا يغيب عن بالك أنه قد اندست على هذا الدين فئة من ألد أعدائه بقصد تشويه الحقائق فيه فكان لهم نصيب مما أرادوا، فكنا كما ترى نهبا بين الأمم ولكن السر في صمودنا رغم ذلك، أن كل منتصر علينا إذا لم يذب فينا فلا نذوب فيه والمغول والأتراك قد اعتنقوا ديننا رغم انتصاراتهم علينا، ولم تستطع فرنسا إذابة الشعب الجزائري فيها رغم اعتبارها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجزائر جزءا من فرنسا طيلة مائة وثلاثين سنة وجعلها اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية ولغة المدارس فيها، ولابد لنا بعد هذه الفترة المريرة والبلاء العظيم من عودة إلى النهج القويم والصراط المستقيم لتستهدي الدنيا برسالتنا الحقة المثلى، وإني أعتقد بأنك تشاركني الرأي بأن اتحاد المسلمين سيكون هو القوة الفاصلة بين معسكري الشرق والغرب، المرجحة للجانب الذي ترضى عنه، وعقيدتنا الوسطى بين الرأسمالية والاشتراكية ومركزنا الوسط وثرواتنا الطبيعية، كل ذلك يؤهلنا لنكون الأمة الوسط ويخاطبنا قرآننا العظيم موجها إيانا لهذا المركز المهم بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

قال محدثي: فليكن ذلك وليلتق العالم شرقه وغربه في النقطة الوسط، وبذلك، الخير للعالم لو تم، ولكن متى؟ فقلت له: أرجو أن يكون ذلك قريبا، وليس بيننا وبين ذلك إلا أن يصلح الفرد فيصلح المجموع، لأن الميدان الأول لكفاح الإنسان نفسه.

ومن خلال هذه المحاورة يظهر أن أبعد أهل العالم عن الإيمان بالله يلتقون مع كلمة «لا إله إلا الله» فكيف بأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، لاسيما وأن الفاتيكان منذ عهد البابا «بيوس الثاني عشر» وهو يمهد للاعتراف بالإسلام كدين سماوي جدير بالحياة، والآية القرآنية الآتية تؤيد ذلك ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (الحج: ٤٠).

والآية الثانية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (البقرة: ٦٢). وقوله جل شأنه ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ (التوبة: ١١١).

وهذا ما حدا بي إلى التنبيه لمقاييس الإيمان الخالي من شوائب الردة التي هي الرجعية والجاهلية، ليعرض كل فرد منا نفسه على هذه المعايير كي يضمن لنفسه الفوز ولأمته النصر ويكون جديرا بهذا الوعد العظيم ممن لا يخلف الميعاد، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (النور: ٥٥) ولو صدقنا الله لصدقنا فتلك سنة كونية ولن تجد لسنة الله تبديلا.

● **مقاييس الإيمان**

يقول المولى ﷻ مخاطبا الذين آمنوا من الرعيل الأول في المدينة المنورة وكل مؤمن بعد ذلك إلى آخر الأزمنة مبينا مقادير الإيمان ومعايير الرجحان والخسران بهذه الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (المائدة: ٥٤) نعم.. هذه صفات المؤمن الموعود بالاستخلاف في الأرض وهي صفات خمس.

الأولى: الحب من الله ولله وفي الله، ومن حب الله اتباع رسله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران: ٣١).

الثانية: ذل المؤمن على أخيه المؤمن عن حب وتكافؤ لا عن ضعف أو خوف والمقصود به هو التواضع وخفض الجناح لأخيه المؤمن، يقول المولى سبحانه مخاطبا الرسول ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ (الشعراء: ٢١٥). ويأمر سبحانه المؤمن بخفض جناحه للوالدين بقوله ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء: ٢٤). أي لا من الضعف ولا من الخوف.

الثالثة: عزة المؤمن على الكافر، والكافر هو الجاحد لله ورسوله وكتبه واليوم الآخر عن عمد ومكابرة، وهو لغة الذي يواري الحق بالباطل عن قصد، ولهذا قيل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الزراع أنهم كفار لأنهم يغطون الحب بالتراب والكفر (بفتح الكاف) هو المزرعة وتستعمل هذه الكلمة حتى يومنا هذا في بعض البلدان العربية، والعزة المطلوبة هي العزة الرشيدة الحكيمة التي لا يخالطها بغي أو كبرياء.

الرابعة: الجهاد في سبيل الله وهو شرط من شروط الإيمان، حيث لا عزة لأمة بدون جهاد ولا كيان لها بدون منعة ودفاع.

الخامسة: المؤمن الكامل الإيمان لا يخاف في الحق لومة لائم.

هذه هي المقاييس الخمسة التي يجب على المؤمن عرض نفسه عليها لمعرفة مقدار حقيقة إيمانه والشوائب التي تشوب ذلك من ردة أو رجعية نتيجة لما ينقصه من هذه الصفات، ولقد عرض الرعيل الأول نفسه عليها فنجح وسادت رسالته جزءًا كبيرا من العالم وشع نورها على الدنيا بأسرها، أما نحن فدرجاتنا دون النجاح، ولاشك، وإذا كان هناك تفاوت بيننا فهو بمقدار درجات السقوط، إذ علامة النجاح العزة الكاملة التامة، والجهاد الكامل، وميراث الأرض وخلافتها باتحادنا، وسيادة فكرتنا، وقد آن الأوان أن يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ليتبدد الظلام بانبثاق النور من مشاك صالحة، ويزهق الباطل بظهور الحق على أيد عاملة، ويعم العالم الخير والسلام.

وما من شك أن واجب العرب في هذا المضمار كبير ومسؤوليتهم عظيمة وباتحادهم وعزتهم عزة للإسلام مصداقا لمأثور القول: «لا يعز آخر هذه الأمة إلا بما عز أولها»، فقد جعل الله ختام الرسالات الربانية والكتب السماوية فينا، وفي لغتنا، واصطفانا لذلك بقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (فاطر: ٣٢).

اللهم إيت بهم واجعلنا منهم- والسلام على من استنار بالحق فاستهداه وعرف واجبه فأداه ورحمة الله وبركاته.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بين الفقه والولاية

العدد (٣) ربيع الأول (١٣٨٥هـ) - أغسطس (١٩٦٥م).

● الفقه والفهم

في الأثر عن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ما معناه - اختتم الله وحي النبوات برسالة سيدنا محمد ﷺ ولم يبق بعد القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم إلا فهم منهما يؤتيه الله عبدا من عباده مصداقا لقول الرسول الكريم ﷺ «رب مبلغ أوعى من سامع»، وقوله ﷺ «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، وقوله ﷺ «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»، وآيات القرآن العظيم تحثنا على التبصر والتفكير والنظر في آيات الله والوعي لأحكامه، وقد رأى بعض المسلمين المتقدمين إغلاق باب الاجتهاد خشية أن يُدخل أصحاب الأغراض والأمراض على الدين من هذا الباب ما ليس منه، وفريق آخر رأى إطلاق الرأي واستعمال الفكر، أما القسم الثالث فقد حث على الاجتهاد بشروط خاصة، وعلى التفكير والنظر والاعتبار والغوص على المعاني والمفاهيم القيمة في حدود الكتاب والسنة، وهذا هو القسم الوسط الذي نؤمن به وندعو له، وإننا نجد مع ذلك كثيرا من الفقهاء يحفظون فقه المتقدمين ويتورعون عن التفكير فيما عدا ذلك من التزود في الفقه والفهم والتفكير في كتاب الله وسنة رسوله، والغوص على المعاني المفيدة المتجددة مع الزمن.. والحقيقة أن مثل هؤلاء العلماء المتقيدين بأقوال المتقدمين والحافظين لها غيبا لا فرق بينهم وبين من يملك نسخا من الكتب التي يحفظونها للرجوع إليها كلما اقتضت الحاجة. ومن البديهي أن الذي يحفظ كتاب الله غيبا أجدر منهم باسم العالمية (إذا صح أن نسمي الحفظة للعلم المتقدم بالعلماء) مع أن الذي لا يحفظ كتاب الله غيبا يستطيع قراءته بين دفتي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المصحف، فطالب العلم الجدير بهذا الاسم هو الذي يكون مع الاستفادة والاستنارة بما حفظه مما كتبه المتقدمون من علوم ودونوه من معارف عامة يغوص على المعاني القيمة والمفاهيم المفيدة بفهم سليم وفقه مستقيم يرجو به الدرجات العلى عند الله في الكتاب والسنة.

ولقد جاء في مستهل العدد الأول من مجلة «الوعي الإسلامي» في كلمة رئيس التحرير تحت عنوان «أخي القارئ» عبارات تؤيد هذا المعنى وهي «. . . والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد أو أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال، وأصبح الباحثون الإسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد ولو بشكل جماعي لمواجهة أساليب الحياة الحديثة، وتكييفها من الوجهة الدينية، فأين الاجتهاد إذن وأين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكل جديدة، ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا وما أريد أن أفتح صدر المجلة له وأعرضه للمناقشة، لعلنا نصل بذلك إلى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو. . .».

● **الولاية**

الولاء ضد العداء والموالي ضد المعادي والله هو ولينا والمؤمن المتقي هو ولي الله ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، ويقول سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ (يونس: ٦٢-٦٤).

فقد بين المولى سبحانه وتعالى أن كل مؤمن تقي ولي لله، نسأله سبحانه أن يوفق جميع المسلمين إلى الإيمان والتقوى ليفوزوا بالولاء والمحبة، فالولي قد لا يعرف نفسه و قد لا يعرفه الناس، والولاء هو الحب لله ومن الله وفيه، وقد بينت في كلمة لي بالعدد الثاني من هذه المجلة الغراء صفات المؤمن المحب والمحبوب والعزيز المجاهد الذي لا يخاف، في الله لومة لائم وعلامته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاستخلاف في الأرض وإصلاحها ونشر العدالة فيها.

أما اقتصار أولياء الله على عدد من الأموات شيدت لهم قبور وزخرفت، وقالوا هؤلاء هم أولياء الله، فليس من الدين في شيء على ما أعتقد، وقد راجعت القاموس (المنجد) لأنظر المعنى اللغوي للولي فكان مما قاله «إن الولي عند المسلمين بمثابة القديس عند المسيحيين» فجزمت أن المعنى هذا مأخوذ من عقائد أهل الكتاب المتقدمين ودخيل على الإسلام، والتماثيل عند المتقدمين والمتأخرين ترمز إلى رجال خدموا بلادهم وأمتهم ودينهم فاتخذت لتخليد ذكراهم والتقرب بها إلى الله، ومعاذ الله أن يتخذ مسلم يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر الأضرحة قربة إلى الله، أو يحلها محل التماثيل عند المتقدمين، لا سيما وأن ميزة الإسلام على الأديان الأخرى انه لم يجعل واسطة بين العبد وربه يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (البقرة: ١٨٦). ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ (الزمر: ٣). ويقول سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ (العنكبوت: ٤١). ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ (الأعراف: ١٩٦).

والكويت منذ عرفت ليس فيها أضرحة خاصة، والكويتي يعمل بالسنة وهي إعادة تراب القبر عليه ورشه بالماء لقوله ﷺ: «خير القبور الدوارس» والآن وقد وفد على الكويت الكثير من أبناء البلاد الإسلامية أخذنا نرى تفاوتا بين القبور وأبنية بعضها، وإني مع وضوح رأيي كذلك أستفتي لجنة الفتوى الموقرة في وزارة الأوقاف، فإن قالت بالتحريم أرجو أن يمنع التمادي في زخرفة القبور منعا باتا لتبقى الكويت على ما كانت عليه سدا للذرائع وبعدا عن المزالق واتقاء للشرك الذي هو أخفى من دبيب النمل، وقد جاء في الملتقطات «لسيدي العم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي» في الجزء السادس قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ (يونس : ٦٢ - ٦٤).

فالولي بينه الله وهو المؤمن المتقي بقلبه، إن كل مؤمن اتقى محارم الله فهو ولي، وليس بعد تعريف الله شيء. فالأرض مملوءة بأولياء الله ولا تنخدع بقول المخرفين الذين يقولون: إن الولي هو الذي يمشي على البحر وتطوى له الأرض ويؤدي صلاته في الحرم الشريف. أما البشرى لهم في الحياة الدنيا فهي كما جاء بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ (الأحزاب: ٤٧)، وأما في الآخرة فهي بشرى الملائكة بقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت: ٣٠).

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أعمال تذكر فتشكر

في سبيل الدعوة الإسلامية

العدد (٤) ربيع الآخر (١٣٨٥هـ) - يوليو ١٩٦٥م)

أولا: اقترح السيدان الفاضلان حمد المشاري وراشد الفرحان، عضوا مجلس الأمة الكويتي، أن يصدر المجلس إلى الحكومة رغبة يوصيها فيها بالإسهام في نشر الدعوة الإسلامية في الخارج، وفي خدمة الدين الحنيف في مختلف المجالات. ولذلك يستحق هذا الاقتراح أن يسجل بالشكر الجزيل والثناء الكبير وفيما يلي نص الاقتراح المذكور.

سعادة رئيس مجلس الأمة الموقر:

نظرا لكون الكويت دولة إسلامية في واقعها وبصريح دستورها، ونظرا كذلك لأن شعوبا كثيرة في القارتين الأفريقية والآسيوية لا تزال على الفطرة دون اعتناق لدين معين، وقد تفتحت قلوب هذه الشعوب لتقبل الدعوة الدينية، فقد أصبح واجبا علينا وعلى سائر البلاد الإسلامية حمل رسالة الدين الإسلامي إلى تلك البلاد وهذه الشعوب.

لذلك أرجو أن يتفضل المجلس الموقر بالموافقة على هذا الاقتراح برغبة إلى الحكومة، بأن تمد إدارة الدعوة والإرشاد بوزارة الأوقاف نشاطها إلى الدول والشعوب المشار إليها، مستعينة على ذلك فيما يرصد في ميزانيتها السنوية لهذا الغرض، وبما يقدمه المواطنون من زكوات وتبرعات، على أن تخصص الوزارة لهذه المهمة الجليلة صندوقا خاصا، وأن تنشئ هيئة من موظفيها المختصين وبعض أهل الرأي من المواطنين المهتمين بمثل هذه الرسالة.

وأعتقد أنه لا يخفى على أحد مقدار ما يبذل من جهود لحساب التبشير بالديانات والملل الأخرى بل والمبادئ الهدامة، وليس بخاف على حضرات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأعضاء الكرام ما تبذله الدعاية الصهيونية ضد العرب في البلاد الإسلامية والعقيدة الإسلامية التي يدينون بها، متخذة من هذه البلاد مراكز للمؤتمرات اليهودية العالمية ضد القومية العربية والإسلام، فنشر الإسلام في تلك البلاد الأفريقية فريضة على كل مسلم، وهو هداية دينية لعشرات الملايين من البشر، وعصمة لها من الانزلاق وراء الدعايات والمبادئ الهدامة.

ثانيا: يذكر بالشكر لحضرة صاحب السمو الأمير المحبوب ولحكومته الاهتمام الواضح بالشؤون الدينية، مما عبر عنه الخطاب الأميري الذي افتتحت به الدورة النيابية الثالثة لمجلس الأمة حيث جاء بالخطاب المذكور ما يلي:

إن حكومتي إيمانا منها برسالة الدين في إصلاح المجتمع، تواصل إنشاء المساجد داخل المدينة وفي المناطق السكنية الجديدة والقرى مع مراعاة البساطة والاقتصاد في النفقات والحفاظ على المظهر اللائق بها، والسهر في الوقت نفسه على راحة الأئمة والمؤذنين. كما قررت إنشاء معهد للإمامة في أحد المساجد واستقدام بعض الوعاظ المتخصصين لرفع مستوى الأئمة والوعاظ وتمكينهم من أداء رسالتهم الروحية في المجتمع وتثقيف الجمهور بالثقافة الإسلامية المفيدة وتعاليم الدين الحنيف.

وتولي الحكومة «الوقف» عنايتها باستثمار أمواله تحقيقا لقصد الواقفين، كما أنها معنية بدراسة إحياء التراث الإسلامي الذي يبرز معالم الثقافة الإسلامية والسبق العلمي الذي عرف به مفكرو الإسلام قديما وحديثا، وأنشأت قسما للترجمة والبحوث الإسلامية.

ثالثا: يذكر ويشكر كذلك ما جاء في رد مجلس الأمة على الخطاب الأميري من دعوة صريحة للحكومة للعمل على نشر الدين الحنيف في الخارج وتمكين جذور العقيدة الصحيحة بين المسلمين كافة، فقد جاء هذا الرد الذي رفع إلى حضرة صاحب السمو أمير البلاد كما يلي:

«يود المجلس أن تلحق مكتبة دينية ثقافية بكل مسجد لكي يتسنى للجمهور الاطلاع على الكتب الثقافية الدينية، ولهذا تكون المساجد قد أدت جانبا هاما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من رسالتها الدينية والثقافية، وتكون الكويت بذلك قد عممت مراكز التثقيف في جميع أنحاء البلاد.

وإن المجلس ليبارك عناية الحكومة بالوقف واستثمار أمواله تحقيقا لقصد الواقفين، كما أنه يشجع الحكومة على إحياء التراث الإسلامي الذي يبرز معالم الثقافة الإسلامية قديما وحديثا، ويدعو المجلس وزارة الأوقاف للقيام بواجبها الديني، وهو واجب المسلمين كافة نحو بث الدعوة الإسلامية السمحاء في البلاد الأفريقية الحديثة الاستقلال التي حال المستعمر عهدا طويلا دون دخول الإسلام إليها أو انتشاره فيها، وأن تسهم في نشر الدين الإسلامي في هذه البلاد وتزويدها بالمصاحف والكتب الدينية المبسطة باللغة العربية واللغات المحلية قدر المستطاع، وأن تعنى الوزارة بنشر موسوعة للفقه الإسلامي على المذاهب الإسلامية المختلفة، لكي تكون مرجعا باقيا لهذا الفقه الأصيل الذي يخشى ضياعه بتناقص العلماء والمختصين في التشريع الإسلامي.

والآن، ما واجب وزارة الأوقاف بعد هذه التوجيهات وإزاء تلك الرغبات؟

إنه مما يستحق الذكر بالشكر ما تبذله وزارة الأوقاف - في صمت وإيمان - لتمكين الدين القيم في النفوس، ولتمسك المجتمع بالقيم الدينية التي ساد بها المسلمون العالم قديما، والتي هي سبيلهم الكفيل بإعادة مجدهم الغابر. ولسنا بصدد تعداد مظاهر اهتمامها ببيوت الله، إنشاء وتعميرا وصيانة، وبغير ذلك من الأمور الإسلامية التي تقوم هذه الوزارة عليها، ولكنا بصدد المطالبة ببرنامج للعمل مستقبلا بالإضافة إلى مهامها الحالية المشكورة، إن الآمال معقودة على أن تتحقق تلك الرغبات والتوجيهات السامية التي سبق ذكر جانب منها، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور الآتية:

١- تنظيم هيئة بالوزارة تضم إلى جانب كبار موظفيها عددا كافيا من ذوي الرأي المعنيين بالشؤون الدينية من أبناء الكويت لمعاونة الوزارة في رسالتها المتزايدة يوما بعد يوم، وبخاصة في شأن الدعوة الإسلامية في الخارج.

٢- مضاعفة الاهتمام بالوعي والإرشاد الديني في الكويت عن طريق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المساجد والمحاضرات ومختلف وسائل النشر، من إذاعة وتلفزيون وصحافة، بحيث تكون هذه الوسائل أداة لتمكين العقيدة والخلق الإسلامي ومحاربة كل مظاهر التحلل الخلقي التي تهدد الأجيال الصاعدة والنشء الذي عليه مستقبل الأمة.

٣- بذل كل عون مستطاع لشد أزر الداعين للإسلام في الدول الأفريقية والآسيوية التي لم تبلغها الدعوة الإسلامية بعد، وإنشاء المراكز الإسلامية التي تقوم على هذه المهمة السامية، والاستعانة بالوفود الموثوق بها إلى تلك البلاد تحقيقا لهذه الغاية وتوطيدا لروابط الأخوة بين البلاد الإسلامية عامة.

٤- زيادة العناية بمجلة «الوعي الإسلامي» التي أحسن المسلمون استقبالها بزيادة حجمها ومضاعفة الكميات المطبوعة منها، وترجمة بعض موضوعاتها إلى اللغات الحية وغيرها من اللغات كالأوردية والسواحلية وغيرها وإرسالها إلى جميع الأقطار، وطبع النافع المفيد من كتب التراث الإسلامي: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (التوبة: ٣٣).

صرح مصدر كبير مسؤول في الوزارة بأن رسالتها الأصلية هي نشر الدعوة الإسلامية وهي لا تألو جهدا في سبيل تحقيق هذه الغاية السامية بمختلف الوسائل والأساليب، وقد أنشأت حديثا إدارة الدعوة والإرشاد وإدارة الشؤون الإسلامية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا تحتقر الطين

العدد (٥) جمادى الأولى (١٣٨٥هـ) - سبتمبر (١٩٦٥م)

لقد اقتضت حكمت البارئ جلت عظمته أن جعل ملائكته الكرام من نور، يملأ كل حيز مفتوح للنور، وينفذ من كل نافذة مفتوحة لاستقباله، وخلق الشيطان من مارج من نار، يمثل الظلام الذي يحل تلقائيا في كل مكان مغلق عن استمداد النور، ثم خلق الإنسان من سلالة من طين: أي جهاز طيني قابل لاستمداد النور وإشعاعه إن ذَكَرَ وصلح، والعكس إن غفل وفسد، ومعلوم ما هو حاصل من التخالف بين النور والظلام كسنة كونية.

والملائكة الكرام يغارون ألا يقدر الله حق قدره، ويسبح حق تسبيحه، ويقدس حق تقديسه بغفلة مثل هذا الإنسان الحيادي الوسط ذي القابليتين والمجال الأول للطاقتين المتضادتين، فيغلق نوافذه عن النور، فيهوي إلى الفساد والإفساد في الأرض، ويسفك الدماء، وقد ظهر ذلك من الحوار بين الله وملائكته في هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ۝٣٠﴾ (البقرة: ٣٠).

● التقدم العلمي ميزة الإنسان

كما ظهر من الامتحان العلمي الذي نجح به آدم في الملأ الأعلى بعد ذلك أن لدى هذا المخلوق الآدمي ناحية ليست موجودة لدى الملائكة الكرام، وهي التقدم العلمي والتطور الفكري، وأن للإنسان تصرفا وطموحا، وأنه ينشد الكمال، ويحارب الحرمان، فإذا لم يخرج به ذلك عن إنسانيته الجزئية في هذا الكون فإنه يسمو على الملائكة فضلا عن المخلوقات الأخرى، فأمر الله ملائكته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكرام بالسجود لآدم تقديرا للخير الذي نجح به، فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستنكف إبليس مع سقوطه في الامتحان العلمي اعتزازا بناريته واحتقارا للطينة الآدمية ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ (الأعراف: ١٢) ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ (ص: ٧٦) فطرده الله من رحمته.

ومن الغريب أن أرى البعض يحتقرون الطينة الآدمية باسمها أحيانا وباسم المادة أحيانا أخرى اعتقادا منهم أن في ذلك تقربا إلى الله، والذي يظهر مما تقدم أن الذي يحتقر الطينة الآدمية يحاكي الشيطان في فعلته ويستحق البعد والعقاب أو التنبيه والعتاب وفي قصة آدم عليه السلام ما يوضح ذلك:

بينما كان أبونا آدم عليه السلام غارقا في طموحه وتفكيره متجاوزا إنسانيته المحدودة، متسائلا عن أمور ثلاثة حرم منها كإنسان مخلوق طيني له ملكية محدودة، وله عمر محدود، ويجب أن تكون له أنظمة وقوانين يلتزم بتطبيقها وهذه الأمور الثلاثة:

١- لماذا لم يكن كالملائكة في نورانيتهم وانطلاقهم؟

٢- لماذا ينقص عمره في كل يوم يمر عليه؟

٣- لماذا حرمت عليه هذه الشجرة الواحدة؟

فكانت نظريته أنانية بحتة متجهة نحو الحرمان ناشدة الكمال، إذ لو ارتفع بتفكيره لما احتقر الآدمية التي أمر الله من الملأ الأعلى بالسجود لها، كما أن الخلود لا يكون إلا لله وحده، وأن كامل الملك لا يكون إلا لله كذلك، فكانت لآدم فترة غفلة عن استقبال النور﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ (طه: ١١٥) استغلها الظلام كسنة كونية ليحقر الطينة عنده ويخلصه منها ويغريه أيضا بتحقيق الحرمانين الآخرين وهما إدخال الشجرة الواحدة في ضمن ملكه الواسع وإباحة الأكل منها، ومعرفة فلسفة تحريمها والأمر الثاني أو الثالث هو الخلود، وقد أخبرنا القرآن عن ذلك ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (الأعراف: ٢٠).

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ (طه: ١٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

• في معترك الحياة

ونرى أن الله جلت حكمته انتصر للآدمية الصالحة في جميع المواقف إذ أمر الملائكة الكرام بالسجود لآدم، وعاقب الشيطان بالطرد من رحمته عندما احتقرها وامتنع من السجود، وعاتب آدم نفسه عندما فكر في التخلص من الطينة بالهبوط إلى الأرض ليؤدي هو وذريته الامتحانات العلمية المتواصلة المقرونة بالإيمان والتقوى، فالناجح في تسخير الأرض واكتشاف كنوزها وخباياها وفي سبر أغوار الفضاء ومعرفة أسراره الكونية يفوز بجنة الخلد والنعيم المقيم والراسب في مختلف شؤون الحياة من علمية وعبادية أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

وإن من يتأمل في المخلوقات الثلاثة، الإيجابي والسلبي والحيادي قد يخطر له ما خطر لي من المقارنة بينها وبين عناصر الذرة التي تتكون منها المخلوقات في الأرض وفي السماء وهي: البروتون إيجابي، والإلكترون سلبي، والنترون حيادي، ولولا اختصام الملأ الأعلى لأصبح الجميع إيجابيين وتعطلت التقدمية العلمية التي فضلها اللّه، وانتصر لها في جميع المواقف، وتعطل بقاء الإنسان في الوسط الطبيعي بين السلب والإيجاب ليؤدي رسالته.

والنفس هي مناط الخير والشر في مصيرها ومصير الجهاز الآدمي ما وجدت فيه وتفاعلت معه، وحكمها فيما يظهر لي كحكم سائق السيارة إن أحسن إمساك المقود، ولزم الطريق السوي وتحاشى الاصطدام بحدود استطاعته قد ينجو وتنجو السيارة والعكس بالعكس.

وبانفصال النفس عن الجسم ينقطع عمل الإنسان إلا مما قدمه من خير أو ما خلفه من آثر طيب كصدقة جارية وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له، وكل من مات ندم على عمل الشر وعدم الاستزادة من الخير. ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ (الزمر : ٥٦).

ولذلك يجب ألا نسقط دور الجهاز الطيني في مقبل حياتنا الأخروية أو أن نقلل من أهمية المرحلة الأرضية التي تجتازها نفوسنا من خلال أجهزتنا الفانية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي تترتب عليها، كما يجب علينا بمقتضى انتصارنا العلمي عند اختصام الملأ الأعلى أن نستغل كياننا الآدمي بكل إمكانياته لنحقق من الخير ما ميز الله به آدم على سائر المخلوقات وفي الحديث الشريف «إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض وحتى الحيتان في البحر ليصلون على معلم الناس الخير» وفي الأثر عنه ﷺ «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها». «ومن تساوى يوماه فهو مغبون».

وعلى ضوء ما تقدم أهيب برجال العلم والمعرفة ألا يحتقروا الآدمية التي نصرها الله في الملأ الأعلى وفي جميع المواقف بالعلم والخير، والعلماء مهما مالو أو انحرفوا في البداية فلا بد من الاستقرار للعلم الصحيح على الإيمان لقوله جلت حكمته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ وقوله سبحانه ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ وقوله جل شأنه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٠٥﴾ نعم سيقول العلماء بعد ما يتبين لهم الحق لقد درست يا محمد بمدرستك الربانية.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في رحاب القران الكريم (١)

العدد (٨٤) ذو الحجة (١٣٩٣هـ) - يناير (١٩٧٢م).

هذه نظرات في كتاب الله تعالى بدأها الأستاذ عبدالعزيز العلي المطوع القناعي بهذا المقال، ووعد مشكورا بمتابعتها، وسنوالي القراء بها إن شاء الله.

● مقدمة في إعجاز القرآن وبيانه:

القرآن العظيم، آخر الكتب السماوية، نزل على خاتم رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين، وهو المعجزة الكبرى، والنعمة العظمى، التي أنعم الله بها على عباده إلى يوم الدين، وهو المرجع الأكبر لهم في شؤون دينهم ودنياهم، الصالح لكل زمان ومكان، ولكل عصر ومصر، وحسبنا فيه ما وصفه الرسول الكريم به حيث قال: «كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» (الترمذي).

جاء القرآن الكريم مصدقا لجميع الكتب السماوية من قبله ومهيمنا عليها، فقد قال سبحانه في سورة المائدة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (المائدة: ٤٨).

والقرآن العظيم أنزله الله محكما ثم فصلت آياته ثم ازدادت تفصيلا وبيانا بتقدم العلم وتطور الزمن لأنه منزل بعلم الله الذي له ما في السموات والأرض: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: ٦١).

ولقد قال جل شأنه في الآية الأولى من سورة هود: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ وقد جاء في الآية «١٧» من سورة هود ما يضيف إلى هذه الآية بيانا جديدا وذلك فيما يظهر من قوله سبحانه ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ﴾.

والبينة هي النور المبين والقرآن العظيم، ويتلوه أي يتبعه شاهد مما يظهر من تفصيل ما أحكم من آيات كتاب الله، ويكشف عنه العلم كلما تقدم، أما الشاهد قبله فهو كتاب موسى إماما ورحمة، وفي الآيات ١٧، ١٨، ١٩ من سورة القيامة ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾.

وفي الآية ٣٨ من سورة الأنعام: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

كما جاء في الآية ٥٩ من سورة الأنعام: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ وفي الآية ٨٩ من سورة النحل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

وجاء في الآية ٣٧ من سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الآية ٧٥ من سورة النمل: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ وفي مستهل سورة يوسف: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾. وفي الآية ٥٢ من سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وفي الآية ٥٣ منها: ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

وفي الآية الثالثة من سورة فصلت يقول سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾. وفي الآية ١١١ من سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

يتضح لنا من الآيات المتقدمة أن القرآن العظيم منزل بعلم الله، وأن فيه تفصيلا لكل شيء، وتبيانا لكل أمر، وهذا التفصيل يأتي تأويله تباعا في أوقاته كما تتفتح البراعم في مواسمها بحدائق البصائر النيرة، وبفعل النظرات المخلصة، والتفكير الموفق في النفوس المؤمنة، والأفئدة المستعدة للنور، والأجهزة المستقبلة للخير في مختلف الأزمنة والأمكنة، وآيات الله تحث الإنسان على التفكير والتبصر والنظر مع البعد عن التكلف في الرأي أو التعجل به قبل أوان الفتح وتفصيل الآيات لقوم يعلمون.

ولقد جاء في سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (فصلت: ٥٣).

وجاء في سورة الواقعة:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ (الواقعة: ٧٥ - ٨٠).

ولعل الذي يظهر من جواب القسم أن بين دفتي هذا القرآن العظيم المنزل من رب العالمين مكنونات من العلم كثيرة تتجدد مع تقدم المعرفة في مسيرة الزمن وأنه لا يتماس معه لاستخراج هذه الكنوز المكنونة إلا المطهرون، ولعل بيان هذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطهر جاء في جواب المصطفى ﷺ عندما سئل عن الراسخين في العلم وهو: «من طهرت سريرته وحسنت سيرته وعف بطنه وفرجه» وأن المقصود من هذا الحديث فيما يظهر أن يكون الإنسان وعاء طاهرا نظيفا لاستقبال الفيض، وحمل أمانة العلم في الوقت المناسب: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

والقرآن العظيم هو كتاب الزمن ومأدبة الله الخالدة، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٧) وقول المصطفى ﷺ «أنا رحمة مهداة» وقوله ﷺ «القرآن مأدبة الله في الأرض فخذوا من مأدبة الله ما استطعتم».

وفي الأثر أن الرسول ﷺ لما نزلت الآيات ٦٥، ٦٦، ٦٧ من سورة الأنعام وهي: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قال: إنها، آتية ولم يأت تأويلها بعد، ولعل هذه الحروب من تأويلها: فالطائرات من فوق، والألغام من تحت، والحروب المذهبية والحزبية قائمة بين الأخ وأخيه في جميع أنحاء العالم، وما تلك الأنباء إلا من إعجاز القرآن العظيم وإخباره عن المستقبل، وقد كان السلف الصالح يتورع عن التكلف خشية استعجال المعنى قبل الأوان وقد وعد الله سبحانه ببيانه بعد الوعد بحفظه في بضع آيات من سورة القيامة وقد تقدم ذكرها.

ومما يؤثر عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن حرف من القرآن فقال رضي الله عنه: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت بحرف من كتاب الله في غير ما أراد الله».

وسئل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: هل خصكم الله بشيء من القرآن أهل البيت؟ قال «لا، إلا فهما أوتيه رجل في كتاب الله».

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ تكرر ذلك في سورة القمر ويقول سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (الدخان: ٥٨) وجاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في سورة الأنعام: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥)﴾ (١٠٤، ١٠٥) ولعل مما يظهر من هاتين الآيتين وما قبلهما من السورة نفسها أن المتقدمين من العلماء في العالم سيقولون بعدما يستبين لهم الأمر: حقا لقد درست يا محمد بمدرستك الربانية فسبقت مدرستك جميع المدارس بل فاقتها: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)﴾.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ (محمد: ٢٤) ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ (النساء: ٨٢). ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤)﴾ (النساء: ١٧٤).

إن كتاب الله العظيم هو دستور الزمن ونوره ومرجع الناس إلى يوم القيامة وهو معين العلم تنهل منه النفوس العطشى إلى المعارف والعلوم وتتطلب المزيد من معينه الصافي الذي لا ينضب.

إن طالب العلم نهم لا يشبع من سلسبيله، وخضم العلم أمام طالبيه واسع الجنبات مترامي الشطآن، متزاحم الموج، عذب المورد والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥) ولا يخفى ما في ذلك من التشجيع للازدياد من العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

وقد كان رسول الله لا يستعجل بيان القرآن ولا يتكلف ليه وهو الذي نزل عليه القرآن وهو الطاهر الأمين الذي هو أولى الناس بالازدياد من العلم، ومما يدل على عدم تكلفه ﷺ في معاني كتاب الله وتركه الأمر للزمن وللأذهان المتفتحة أمر الله سبحانه وتعالى لخاتم رسله في ختام سورة «ص» ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)﴾ وقوله ﷺ: «من سمع مني مقالة فليبلغها كما سمعها رب مبلغ أوعى من سامع» والسامع صحابي والمبلغ من بلغه بعد ذلك إلى يوم القيامة.

على أن جانبا من المتأخرين قد أطلقوا أقلامهم بتفاسير مطولة لا تخلو من تكلف متعاقب ونقل مكرر، وجاء بعضها كموسوعات كبيرة ومفيدة في أمور كثيرة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

غير التفسير، وإذا كانت بعض آيات كتاب الله تشتمل على ما جاء في بعض هذه التفاسير فإنها لا تتقيد بها وحتى أسباب التنزيل تشتمل عليها الآيات دون التقيد بها وقد قيل: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وغالبا ما يقيد المفسر نفسه بما سبقه من تفاسير محملا المسؤولية في ذلك لغيره وربما كان ذلك خشية الرد عليه وفقدان مكانته بين الكثرة الغالبة في المجتمع وربما أدى ذلك إلى قطع رزقه، ومعروف أن الأقوال القديمة لها استقرارها في الأذهان على ما قد يكون فيها من غريب ودخيل، وقد يذهب البعض إلى ما يظنونه تمكينا للمعنى فيؤيدون ما يفسرونه ببيت من الشعر قد يرصونه رصا يحشرون معنى الآية فيه حشرا أو بأحدوثة من الإسرائيليات أو غير ذلك مما قد يشغل أغلبية القراء عن التفكير في سمو المعاني القرآنية وأهدافها الكريمة وأسلوبها الرصين، راضين بهذا الحشو الغريب عن مفهوم السلف الصالح وورعه.

ثم إننا في عصر العلم وعصر العلم مدعاة لاستخراج الجديد من كتاب الله لتعلم الدنيا أن كل جديد في العلم إنما هو كشف عن بعض مكنونات هذا الكنز العظيم والكتاب الخالد الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، إنه علم الله المبدع العظيم الذي يسعى الإنسان لاكتشافه ما وسعه جهده في هذا السبيل مصداقا لقوله سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ (النساء: ١٦٦).

ومادام القرآن العظيم هو المنزل بعلم الله والأسرار العلمية التي يحاول اكتشافها العلماء هي من علم الله فلابد من يوم يعلم فيه الذين آمنوا بالعلم أن القرآن الكريم قد سبقهم إلى الإنباء بهذا الكشف فيعودون إلى فطرة الإيمان بإله واحد مالئ للكون ومهيمن عليه، وتصحو روح الخير فيهم ويستيقظ بيقظتهم الحيارى والمتشككون وكل منحرف عن الطريق الأقوم، فيطلون على الحقيقة من النافذة التي أطل منها من آمنوا قبلهم فتتبلور الأفكار الشاردة والآراء المتأثرة بالعصبية الموروثة والمعتقدات المتشعبة حول هذا الكتاب الخالد المنزل بعلم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الله الذي يعلم الخبء في السمٰوات والأرض والذي سجل فضل العلماء بقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩) وإن آيات كتاب الله في فضل العلم كثيرة، كما ورد عن المصطفى ﷺ في فضل العلماء على النساك، أذكر من ذلك قوله ﷺ: «لغدوة أو روحة في سبيل العلم تعدل عبادة أربعين خريفا» وفي الآثر عنه ﷺ: «من تساوى يوماه فهو مغبون» ويفسر هذا الحديث حديث آخر عنه ﷺ: «إذا طلع علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله فلا بورك لي في شمس ذلك اليوم».

وحبذا لو نقح ما لدينا من تفاسير واستخرج منها ما هو دخيل وغريب ثم ركز على ما يظهر من مفاهيم كتاب الله دون تكلف أو تزمت، سيما ما ظهر حتى اليوم من علوم تؤيد ما ورد في كتاب الله، وشرحت في إطار العلوم الثابتة دون الجنوح إلى التشكيك في أثر القديم وفضله، ولا إلى التشبث بالجديد ورِوائه، واتخذ كتاب الله وسنة رسوله حكما وفيصلا في ذلك.

وكما أن في الكتاب العظيم منبعا لكل علم فإن فيه حلا لكل الخلافات المذهبية في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وغير ذلك، قديما وحديثا وإنه الوسط بين اليمين واليسار وكذلك كانت الأمة التي نزل عليها هذا الكتاب وفي موقعها الجغرافي أيضا لتكون في الذروة المرموقة وفي موضع الحكم بين الناس، قال جل شأنه في سورة البقرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

فإذا ما أمرت الأمة بالمعروف ونهت عن كل ما ينكره العرف عن إيمان بالله وتصديق بكلماته، كانت خير أمة أخرجت للناس مصداقا لقوله سبحانه، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠). وفي الآية ٦٤ من سورة النحل قال جل شأنه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

وفي الآية ٢١٣ من سورة البقرة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾.

والقرآن العظيم كثيرا ما يطلب إلى الجميع التفكر والتبصر والتدبر في الآيات وفتح القلوب، وعندها تفيض المعاني العظيمة منها على الألسنة والأقلام المؤمنة فتنطلق رسلا وكتبا إلى العالم أجمع في مختلف أحواله وعصوره، وفي هذا نشر لرسالة الحق والسلام، وبعث لنور الهداية المحمدية إلى الدنيا بأسرها، لتخرجها من الظلمات إلى النور، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ (يونس: ٩)، والإيمان هو الهدف الأول وهو وسيلة الهداية التي هي المرحلة التالية بعد الإيمان والعمل الصالح مصداقا لقوله سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ (طه: ٨٢) وقوله سبحانه: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ (المائدة: ١٦): ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ (العنكبوت: ٦٩). ولقد جاء في الآية ١١ من سورة التغابن: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

كذلك يوجب القرآن الكريم أن يقوم كل بدوره دون تقصير أو كتمان، حيث حرم الله الكتمان في كتابه، وإني لأكتفي في هذا المجال بذكر ما ورد في سورة البقرة في الآيتين ١٥٩، ١٦٠: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾.

وإن من يوفق للإيمان والهدى كمثل المشكاة الصالحة المتصلة بالتيار تستمد النور وتشعه لذوي الأبصار فتبدل ظلامهم نورا.

ومرة أخرى أقول: إن القرآن العظيم حلقات متماسكة يفسر بعضه بعضا ويمكن أن تكون الفاتحة عنوانا له وواسطة لعقده، بحيث يمكن أن يلتقي طرفا القرآن العظيم عند سورة الفاتحة «والطرفان هما سورة البقرة وسورة الناس»، على أني قبل أن أتابع الترتيب القرآني أود أن أبدأ بسورة الناس وهي الخاتمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لأنها ترتبط مع الفاتحة برباط وثيق كما ترتبط السورتان «الناس والفاتحة» بسورتي «الفلق والإخلاص» وهذا ما أرجو أن أوفق إلى تقديمه كأنموذج وجهد محدود راجيا أن يحقق الله على أيدي من هم أوسع مني علما وأنسب ظروفا وإمكانات إتمام ما سأبدأ به بإذن الله.

وإنه على الرغم مما يحيط بي من مشاغل تستنفذ جل وقتي، ومن قلة معلومات وضيق اطلاعاتي فيما عدا تلاوة القرآن الكريم، ككل مسلم يتلو كتاب الله أو يسمعه، فإني أرى أن علي واجبا لا مناص من أدائه إزاء مسؤوليتي أمام الله حول عرض ما ظهر لي من معان خلال تفكيري عند تلاوة كلام الله مع اعترافي بالتقصير، وإني لأعترف أيضا بأن ما أقدمه قد يحتوي جديدا على القارئ والسامع ومعروف أن الاستجابة السريعة للجديد ليست بالأمر السهل حتى ذلك الذي جاء على أيدي رسل كرام يوحى إليهم من رب العالمين، مؤيدين بالمعجزات فكيف إذا كان الجديد من إنسان مثلي يعترف بتقصيره وعدم سعة اطلاعه ولكن الذي يشفع لي ويطمئنني أني أحرص استطاعتي على ألا أتكلف ولا أخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا أجانب العلوم الراسخة ولا أجافي المنطق السليم ولا أعرض معاني كتاب الله للنظريات القابلة للتغيير والتبديل، إلى جانب ذلك فإني كلي إصغاء لمن يرشدني إلى أخطائي وجل من لا يخطئ، «والحكمة ضالة المؤمن» ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

وإذا كنت أقدم للقارئ اللبيب ما وسعني من جهد المقل فذلك للعرض لا للفرض، وإن هذا العرض ليس تفسيرا ولكنها خواطر تلوح لي عند تلاوة كتاب الله والتأمل في رحابه.

فرأيت لزاما علي أن أدونها عسى أن يكون بها من النفع ما أرجو معه عفو الله ورضوانه، والله سبحانه هو العلام الحكيم والهادي إلى سواء السبيل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في رحاب القرآن الكريم (٢)

العدد (٨٥) محرم (١٣٩٢هـ) - فبراير (١٩٧٢م).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ **(سورة الناس).**

قل أعوذ: الاستعاذة في بدء السورة من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، هي تخلية، وطلب الهداية من رب العالمين الرحمن الرحيم إلى الصراط المستقيم والطريق القويم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين - كما جاء في ختام سورة الفاتحة - هي تخلية وجب الحمد عليها فكان ذلك الحمد في الافتتاح لفاتحة كتاب الله، ومن المعلوم أن الضلال والهدى لا يجتمعان في قلب إنسان في وقت واحد كما لا يجتمع النور والظلام في مكان وزمان واحد.

صحيح أن قوة إشعاع النور تختلف وتبدأ من الشمعة الواحدة وأن الإنسان غالبا ما يتردد ويتشكك ويحتار ولكن الحيرة والتردد والتشكيك لا تلبث أن تزول ويحل محلها إيمان سلمي يهدي إلى صراط مستقيم، كما يحل النور محل الظلمات ويذهب الباطل أمام قوة الحق وهذه سنن كونية لا تبديل لها ولا تحول عنها، قال سبحانه: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ (الإسراء: ٨١) وقال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سبحانه أيضا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ (الفرقان: ٦٢).

برب الناس: رب الناس هو رب العالمين الرحمن الرحيم كما جاء في سورة الفاتحة.

ملك الناس هو مالك يوم الدين كما ورد في سورة الفاتحة أيضا وكلمة ملك بالنسبة لله غالبا ما تأتي في كتاب الله مقرونة بيوم الدين، اليوم الذي لا ملك ولا مالك فيه غيره سبحانه مصداقا لقوله جل شأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ (الانفطار: ١٧-١٩) وقوله سبحانه: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ (الحج: ٥٦) وقوله سبحانه: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ﴾ (الأنعام: ٧٣) وقوله سبحانه: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ (الفرقان: ٢٦) وقوله سبحانه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ (غافر: ١٦) وفي الأثر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن قال ابن العلاء، وهو محمد أبو كريب: بيده الأخرى: (وكلتا يديه يمين) ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟».

ولعل في تكرار ذكر الناس ما يفيد أنهم مركز الثقل، وبيت القصيد ومصداق قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٥-١٠٧).

الوسواس الخناس والجنة والناس: الظاهر أن كل ضار سواء أكان من الناس أم من الجِنَّة فهو شيطان يستعاذ من شره وكل ما جن عن العين فهو من الجنة والخناس هو الذي يخنس أي: ينكمش ويتضاءل ويقصر عند ذكر الرحمن وهم مردة الجنة كما قال سبحانه في موضع آخر من كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ (الأعراف: ٢٠١) إن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شياطين الجن تمثل الظلام الذي لا يجدي في إزالته مهانة، أو تجهم عليه، أو لعنة توجه إليه ولكن شمعة تزيل جانبا من الظلام بقدر قوة إشعاعها وعلى قدر امتداد الإشعاع يكون انحسار الظلام.

إن شيطان الجن يخنس ويقصر ويتلاشى، عند ذكر الرحمن، ثم ينبعث ويكبر كلما غفل الإنسان عن ذكر الله مصداقا لقوله سبحانه ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ (الزخرف: ٣٦).

وقد ورد عن المصطفى ﷺ أنه قال لرديفه حينما عثرت ناقته وقال الرديف: «تعس الشيطان» فقال له الرسول ﷺ: «لا تقل ذلك فإنك إذا قلتها تكابر وقال بقوتي صرعته، ولكن قل بسم الله فإنك إذا قلتها تصاغر حتى يكون كالذبابة».

وقد جاء في الحديث الشريف ما يدل على اعتبار الميكروبات الضارة شياطين أيضا لقوله صلوات الله عليه: «قصوا الأظافر كي لا تتظلل تحتها الشياطين» ولعل المقصود من ذلك ألا تكون وكرا لهذه الشياطين أي الميكروبات الضارة، ومن الفطرة حف الشارب وهو في طريق مجرى الغذاء والتنفس، وقد ورد في الأثر عنه ﷺ: «الفطرة خمس: حف الشارب، وإعفاء اللحية، ونتف الإبط، وقص الأظافر، وحلق العانة».

وكذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه «غلقوا الأبواب إذا وقدتم، وأطفئوا المصابيح وأوكوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب» وقال أيضا: «تنكبوا الغبار فإنه من النسمة» ومن الندب تغطية الفم عند التثاؤب، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

أما شياطين الإنس فقد لا يتأثرون بكلمة الحق، ولا يحفلون بإشعاع النور، وقد وصفهم الله سبحانه بقوله ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ (الأعراف: ٢٠٢) وإنما تردعهم العدالة الحقة بالقصاص عند إقامة الحدود، وقد جاء عن الرسول ﷺ أنه أقام الحدود، وقد جاء عن الرسول ﷺ أنه قال «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في رحاب القرآن الكريم (٣)

العدد (٨٦) صفر (١٣٩٢هـ) - مارس (١٩٧٢م)

(سورة الفلق مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

الاستعاذة: بدئت سورة الفلق بالاستعاذة كما بدئت سورة الناس، غير أن الاستعاذة في هذه السورة استعاذة برب الفلق، والفلق يشمل الكائنات جميعا وهذا أشمل معنى مما جاء في سورة الناس وأعم.

من شر ما خلق: إن الاستعاذة في سورة الناس قد جاءت من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، أما في سورة الفلق فقد جاءت الاستعاذة من كل مخلوق يمكنه أن يبعث الشر أو يلحق الضرر بعباد الرحمن بالذات أو بالواسطة.

ومن شر غاسق إذا وقب: تكررت الاستعاذة في هذه السورة وركزت الآية بصفة خاصة على الغاسق إذا وقب، ويظهر أن الغاسق: اسم فاعل مشتق من الغسق الذي هو الظلمة في الثلث الأول من الليل، لأن الوسوسة في الصدر تحدث أرقا وقلقا يذهب بالنوم ويسلب لذة الراحة والطمأنينة وقد يدفع ذلك إلى مغادرة المرء فراشه غاسقا خارج منزله، فهذا الغاسق إذا استبدت به شهواته غسقا فقد وقب وكبا وهوى في حمأة الذنوب، فالرجل الميقاب لغة: كثير شرب الخمر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والوقباء: سبة معروفة عند العرب ومداخل السوء وقبات، ومن ولجها يعتبر واقبا والسير الميقاب: المتواصل ليلا ونهارا، والأوقاب الحمقى، وقد ورد في معنى الوقبة أنها: كل نقرة في الجسم كالنقرتين الموجودتين بالقرب من كتفى الإنسان، كما أن ضمور البطن من أثر الجوع يسمى في اللغة وقبة، وكذلك أوقاب الناس ملابسهم وحوائجهم فلو سرق لص في الغسق أوقاب الناس بدافع الجوع شمله معنى الوقب.

ومن معاني الوقب غور العين وعفونة شماريخ النخلة وبالجملة فإن كل ما يطرأ على الغاسق من عمل سيئ يدخل في شموله كلمة الوقب.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴿٤﴾﴾:

النفث لغة: خروج شيء من داخل الجوف كنفاثة المصدور، ونفث الحية للسم وقد جاء النفث بصيغة جمع المؤنث مما قد يشير الى أنه إذا كان الرجل المؤرق يزايل منزله عادة للتنفيس والترفيه عن نفسه، فليس ذلك من عادة المرأة بمفردها كما هو النظام الغالب في المجتمع فتنفث المرأة المنعزلة المعقدة الناقمة على المجتمع نفثا يخشى معه على تفكيك عرى الخير وعقد النكاح وغير ذلك. والله سبحانه هو أعلم بما يريد.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴿٥﴾﴾: الحاسد كالغاسق وزنا ومغزى فالغسق مشتق من ظلمة الليل والحسد من ظلمة الصدر، والنفوس لا تكاد تخلو في الغالب من رذيلة الحسد وإن تفاوتت درجاتها.

والحسد غير الطموح المشروع، وغير الغبطة والتنافس في الخير، وفي الحكمة المعروفة: «قاتل الله الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله» فالحاسد يستعاذ منه إذا رام الأذى بمحسوده، ومن سهام الحسد نظرة العين، وهي إحدى نوافذ الشر خارج الصدر.

هذه الأمور الثلاثة التي تأكدت وتكررت الاستعاذة منها وهي: الوقب، والنفث والحسد، إنما تخرج من الصدر وليدة القلق والأرق، المتأتيين من وسوسة شياطين الجن والإنس في الصدور، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما روي من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن خالد بن الوليد اشتكى إلى رسول الله ﷺ الأرق - فقال له صلوات الله عليه: «ألا أعلمك كلمات اذا قلتهن نمت؟ «قل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جارا من شر خلقك أجمعين، أن يفرط علي أحد منهم أو أن يطغى، عز جارك وتبارك اسمك».

ولعل المتأمل في هذا الحديث الشريف، يرى أن الرسول صلوات الله عليه، قد استنبط ذلك من السور الثلاث . سورة الفاتحة، والناس، والفلق.

نبدأ الحديث بربوبية الله للخلق كلهم التي بدئت بها السور الثلاث، وقد طلب منه الرسول أن يستعيذ بالله بعبارة «كن لي جارا من شر الخلق أجمعين».

والاستجارة هي الاستعاذة، وهكذا ورد في سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ ولعل في قول الرسول صلوات الله عليه: «أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى» استجارة بالله من الشياطين، حتى لا يفرط عليه منهم الوقب أو النفث أو الحسد أو غير ذلك.

وفي هذا الحديث ما يطمئننا على سلامة ما ذهبنا إليه من ترابط بين السور الثلاث المذكورة : سورة الفاتحة، وسورة الناس، وسورة الفلق.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نظرات في سورة الإخلاص

العدد (٩٨) صفر (١٣٩٣هـ) - مارس (١٩٧٣م).

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾: من البداهة والفطرة في الإنسان وما يصل إليه من تعاليم الرسل الكرام: وحدانية الله الأزلية اللانهائية المنفردة بذاته وصفاته سبحانه، لا رب للعالمين غيره، ولا إله يعبد بحق سواه.

ولعله أصبح من المألوف لدى الكاتب والمتحدث والسامع والقارئ جميعا، ان معنى كلمة أحد هو «واحد» ولكن في معناها ما هو أعمق من ذلك، حيث لم يأت في اللغة أن معنى لفظ «أحد» هو «واحد» إلا إذا كان اللفظ مضافا كما في أحد الناس أو إحدى النساء وكذلك في الأعداد المركبة كأحد عشر أو إحدى وعشرين.

وتأتي كلمة «أحد» للذوات العقلاء في ثلاثة مواطن: الإثبات، والنفي، والتحدي، أما الإثبات فإنه لم يرد بالنسبة لمخلوق إلا في القليل النادر، كأن يقول قائل: ليس في البيت أحد (في حالة النفي) فاذا سمعه فرد أو أكثر في الدار قال: نحن هنا: ردا على هذا النفي غير الصحيح، وبغير ذلك لا أعتقد أن لها في باب الإثبات مجالا آخر.

وقد افتتحت سورة الإخلاص بالإثبات وهذا أمر خاص بالله سبحانه، ومن هذه الآية يتبين أن الله ذات واجبة الوجود ولا يصح إثبات الوجود المطلق إلا لله وحده، كما لا يصح النفي على الاطلاق إلا مع الاستشعار بإثبات وجود الله سبحانه في كل مكان يليق بجلال قدسه وإحاطة علمه إذ لا يستطيع إنسان ما أو أكثر أن يقول ليس معي أحد (في حالة النفي) أو يقول لا يقدر علي أحد (في حالة التحدي) لأنه سبحانه مطلع على خلقه وهو معهم أينما كانوا ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ (الأنعام : ١٨) وفى الآية السابعة من سورة المجادلة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ .

وقد جاء في سورة البلد آيات أربع ابتداء من الآية الرابعة حتى السابعة وردت فيها كلمة «أحد» وهي : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ ولا يخفى ما في ذلك من الاستفهام الاستنكاري، فكلمة «أحد» : للذوات العقلاء ككلمة : من : وذلك كقولنا : من في البيت ؟ بمعنى أفي البيت أحد؟ وعليه فمعنى الآية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ أنه سبحانه ذات واجبة الوجود مهيمنة عليه، متسنمة على عرش كل ذرة من ذراته، أو خلية من خلاياه، كما جاء في ختام سورة يس : ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ وبيده سبحانه ناصية كل دابة، مصداقا لقوله جل شأنه في سورة هود ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ (هود: ٥٦) وقوله سبحانه في سورة المؤمنين : ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (المؤمنون :٨٨).

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ : والصمد من يصمد لجميع ما يحتاج إليه الخلائق ويحفظها ويهيمن عليها، وتطلق لغة أيضا على من لا جوف له فلا يأكل ولا يشرب ولا يحدث له ما يترتب على الأكل والشرب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ومن معاني الصمد أنه صامد للوجود كله وتصمد إليه جميع الخلائق، وقد أورد بعض المفسرين في تفسير كلمة الصمد، أنها تشمل صفات الكمال لله جلت عظمته، فإذا ما وجب علينا في حالة النفي الاستشعار بوجود العلي القدير وجود هيمنة وعلم، وجب علينا أيضا الاعتقاد بأن هذا الوجود لا يعتريه نقصان ولا زوال ولا تأخذه سنة ولا نوم : ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ (يونس: ٦١).

فإذا قال فرد أو أكثر مثلا وهو يتناول طعامه: «أنه لا يأكل معي أحد» فالجواب على ذلك هو: الله أحد معك ولكنه صمد منزه عن الأكل والشرب، وعن كل ما لا يليق بجلال عظمته سبحانه وتعالى، وفي باقي هذه السورة، ما يؤيد المعنى المتقدم فكما أنه جل شأنه لا يأكل ولا يشرب فإنه لم يلد ولم يكن له كفوا أحد.

ولعلنا نستطيع أن نقول خلاصة لما تقدم أنه سبحانه منفرد بالعلو اللانهائي في غير بعد وبوحدانية صمدانية خلاقة وسعت كل شيء رحمة وعلما، غنية عن الكفء قادرة على الإبداع والحفظ والإعادة، صامدة للوجود كله، لا محل فيه لثان كند أو كفو، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾ (مريم: ٩٣- ٩٥).

وحدانية كمال مطلق غير محدود، وليست وحدانية عدد لأن الواحد في الحساب قد يفيد القلة كما يفيد الرقم الأول فقط، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ (الحديد: ٣).

وكما جاء في ختام سورة (الإخلاص) ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ ومن آية الكرسي في سورة البقرة: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) وقوله أيضا ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) على أن الوحدانية القهارة موجودة في كل آية من آيات كتاب الله ولاسيما السور الثلاث: الفاتحة، والناس، والفلق. ففي البسملة توحيد، وفي قراءة الحمد لله رب العالمين توحيد، وكذا الشأن في كل آية بعد ذلك.

وقد جاء في الأثر أن في سورة الإخلاص صفة هذه الوحدانية وأنها أنزلت عندما قال العرب لخاتم رسل الله: صف لنا ربك.

على أن هذه الوحدانية موجودة بالفطرة في كل إنسان عاقل يؤديها العلم كلما تقدم، فالإنسان هو وعاء العلم وبالعلم فُضِّل آدم على الملائكة الكرام في الملأ الأعلى.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومعنى ازدياد العلم في الإنسان محاولة اكتشاف علم ما وراءه وهنا نتساءل: إذا كان ولابد من الاعتقاد بأن وراء علم هذا الإنسان علوما واسعة لم يصل الإنسان إلّا إلى النزر اليسير منها ـ فإن ذلك يوحي للعالم أن وراء هذا الكون مكونا ووراء هذا الإبداع مبدعا يحاول الإنسان جهده أن يكتشف ما يستطيع أن يستكشفه من أسرار ومكونات، ومن أبسط الأمثلة سؤال يطرح نفسه، فهل لك أيها الإنسان رأي أو مشاركة في خلق أو في نظام ذرة واحدة من ذرات الكون اليابسة أو خلية واحدة من خلاياه الرطبة ؟ فإذا كان الجواب لا : فمن هو ذا يا ترى؟ وإنه لتغلب الحيرة والبلبلة والظنة على الكثيرين، فيسمون ما يعتقدون وجوده قوة خارقة، وعلم ما وراء الإنسان ـ بالطبيعة تارة، واللانهاية تارة أخرى،والدهر ثالثة، مع أنهم لم يأتونا بوصف أو كنه لهذه الطبيعة أو الدهر أو اللانهاية.

والسؤال الذي يفرض نفسه: إذا كانت هذه الطبيعة أو اللانهاية أو الدهر أو غير ذلك من المسميات عاقلة قادرة سميعة بصيرة عالمة موصوفة بصفات الكمال كلها، تنشئ وتطور وتكون وتبدع وتنظم وتحفظ، فماذا نسميها إذا لم نسمها الله؟ والفرق بيننا وبينهم إذن هو مجرد التسمية، والمعبود بحق عندنا هو القوة المبدعة لهذا الوجود والمهيمنة عليه والمنظمة الحافظة له التي نسميها : الله - فإذا سماها الآخرون بلغاتهم باسم آخر فلا يضير ذلك عقيدة التوحيد بشيء وقد قال الأقدمون من قبل ما قاله الطبيعيون ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ وذلك كما جاء في الآية ٢٤ من سورة الجاثية: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ .

وقد جاء في الأثر عن الرسول ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله» أما إذا كانت الطبيعة كما يعتقدون صماء عمياء جاهلة، فإن فاقد الشيء لا يعطيه، وكيف خلقت لنا الطبيعة سمعا وبصرا وهي لا تعرف السمع والبصر؟ على أن العلم والفطرة كفيلان بتوكيد وجود الخلاق العليم في تصور كل إنسان شاء أم أبى، والعلم يهدي للإيمان مصداق قوله سبحانه في (الآيه ٢٢ من سورة الروم): ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ

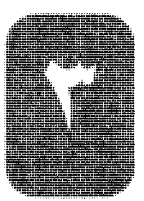
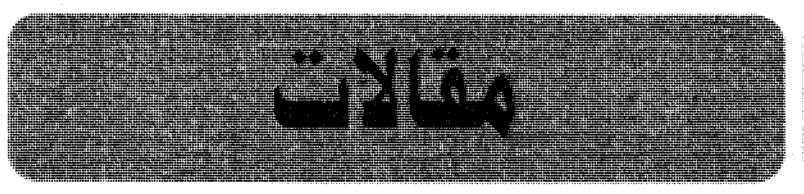
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (وفى الآيه السادسة من سورة سبأ): ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ وفي (الآيه ٢٨ من سورة فاطر): ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

وقال جل شأنه: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ (الإسراء: ١٠٧) وقال سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ (الحج: ٥٤).



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

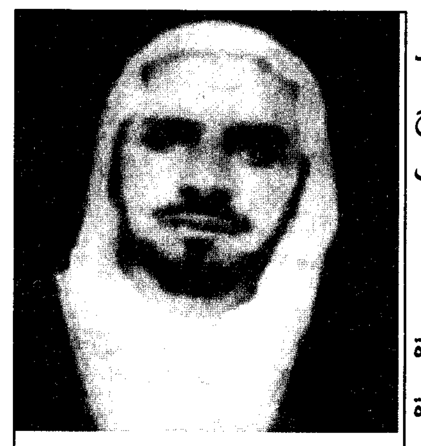
الشيخ أحمد الخميس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

أحمد الخميس



هو الشيخ أحمد الخميس الجبران، وقد سمي بـ «الخلف» نسبة إلى عائلة خاله الشيخ عبدالله الخلف الدحيَّان، ولد في مدينة الكويت سنة ١٣١١هـ الموافق ١٨٩٣م.

● **نشأته وتعليمه:**

لما استكمل الشيخ تعليمه الأولي من قراءة وكتابة، وقراءة لكتاب الله، سافر إلى بلدة الزبير حاضرة العلم في زمنه لما فيها من العلماء والمدارس الشرعية، فأخذ العلم فيها من الشيخ العلامة عبدالمحسن البابطين الذي كان مدرسا في مدرسة دويحس الشرعية، كما درس العلوم العربية والشرعية على يد الشيخ محمد العوجان، وتلقى الفقه الحنبلي والحديث على يد الشيخ عبدالله الحمود، ثم عاد الشيخ إلى الكويت فلازم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان طالبا لمزيد من العلم الشرعي، ويعتبر خاله الشيخ عبدالله الخلف المربي الأول له.

عمل الشيخ مدرسا في مدرسة النجاة الأهلية في الزبير، ثم درَّس في المدرسة المباركية في الكويت، ثم استأجر ديوانا وفتحه مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، ولما افتتح شملان بن علي مدرسة السعادة سنة ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م تم تعيين الشيخ أحمد مدرسا ومديرا لها وبقي فيها ما يقارب الخمس سنوات حتى أغلقت أبوابها.

كما قام الشيخ بالتدريس في كشك الصقر، وشاركه في التدريس الشيخ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عبدالوهاب بن عبدالله الفارس، ثم تولى الشيخ إمامة مسجد البدر خلفا للشيخ عبدالله الخلف، واشتهر الشيخ رحمه الله بأسلوبه الأدبي، وكتب في العديد من المجلات، منها مجلة «الوعي الإسلامي» التي خصَّها بعدد من المقالات.

في سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م، تم تعيين الشيخ قاضيا في المحكمة الشرعية، ثم وكيلا للمحكمة الكلية ثم مستشارا في محكمة الاستئناف العليا في ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م، بموجب مرسوم أميري.

● **وفاته:**

توفي الشيخ أحمد في ٢٤ جمادى الثانية ١٣٩٤هـ الموافق ١٤/ ٧/ ١٩٧٤م، رحمه الله رحمة واسعة.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكويت تمنع الخمر

العدد (٢) صفر (١٣٥٨هـ) - يونيو (١٩٦٥م).

«أصدرت حكومة الكويت قانونا يعاقب كل من باع أو اشترى أو تناول أو قبل التناول أو حاز بأي صورة كانت بقصد الاتجار أو الترويج خمرا أو شرابا أو مسكرا، ويعاقب كل من تعاطى في مكان عام، أو في مكان يمكن رؤيته فيه، أو في ناد خاص خمرا، أو شرابا مسكرا، وكل من جلب إلى المكان المذكور الخمر أو الشراب المسكر لشخص بقصد تناوله فيه، ويعاقب كل من وجد في حالة سكر بين، وكل من أقلق الراحة بسبب تناوله الخمر» .

و«الوعي الإسلامي» تحيي الكويت الدولة العربية المسلمة وتأمل أن يحذو حذوها سائر الدول العربية الإسلامية.

في كل عصر نجد الإسلام آية كبرى، ومعجزة تدل أنها فوق مستويات القدرات البشرية، فجميع أحكامه ومناهجه وتعاليمه قائمة على أصول راسخة رسوخ الجبال الشامخات، فمنذ ألف وثلاثمائة سنة ونيف ارتفع صوت الإسلام على لسان المصطفى ﷺ يعلن للإنسانية أن الخمر عدوة العقل والجسم والإخاء، وأنها أم الخبائث ومصدر الجرائم ومستنقع السموم، ولقد نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ (المائدة: ٩٠-٩١) وبعد هبوط الوحي بالتحريم القاطع بنص الآية الكريمة أرسل رسول الله ﷺ مناديا ينادي: يعلن تحريمها على المسلمين فاستجاب المسلمون لذلك وعكفوا على دنان الخمر يكسرونها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويهرقون ما فيها، وبهذا حفظ الله أمة الإسلام من هذا الشر الخطير والوباء العظيم.

واليوم نحن نستبشر خيرا بما قرره مجلس الأمة مستجيبا لنداء الأمة ومشاعر الشعب. واليوم ونحن نجد مجلس الوزراء يجتمع متضامنا مع مجلس الأمة على منع دخولها إلى هذا البلد المسلم لا يسعنا إلا أن نرفع آسمى آيات التقدير لمجلس وزرائنا، ونسأله تعالى أن يجعلهم أبدا ودائما مثالا للخير وسبيلا لإسعاد هذا الشعب الكريم والمحافظه على دينه ومثله وأخلاقه، وليس بعجب أن تنتصر إرادة الخير على إرادة الشر، إرادة العقل على إرادة الجنون والطيش، وإرادة الحياة على إرادة الانتحار.

أيها المسلمون قد أجمع أساطين الطب، وأجمع علماء النفس، وأجمع علماء الاجتماع، وأجمعت طبقات الناس على أن الخمر طريق الشر، بل هي الشر والفتنة، فلا غرابة أن ترتفع أصوات الألوف من الناس فى الكويت المسلمة المؤمنة برسالة القرآن مطالبة بمنع الخمر، ومن حقها الآن أن تشكر أولي الأمر على تلبية النداء، وإجابة طلباتها.

والآن نستطيع أن نقول لكم عودوا إلى إسلامكم، عودوا إلى إيمانكم، عودوا إلى ساحات الجهاد الإسلامي والنضال الأخلاقي تعد لكم الكرامة والعزة والألفة والمودة، واستمعوا الى صوت محمد ﷺ «تركتكم على بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يضل عنها إلا هالك» وذلك مصداق قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (الأنعام: ١٥٣) أيها الآباء إنكم تتحملون متاعب الحياة، وتتعبون، وتجاهدون ليلا ونهارا، فإذا مرض أطفالكم ذهب النوم عن أجفانكم، وإذا تأخروا عن موعد الحضور عم قلوبكم الخوف والقلق والذعر، هؤلاء الأبناء الأعزاء حشاشة النفس وأكباد المجتمع، لا يصح أن ندعهم فريسة الإلحاد وفريسة للخمر، هؤلاء زهرات حياتنا لا يصح أن نتركهم تفسد عقولَهم وأرواحَهم وضمائرهم أقدامُ الكفر والمجون والاستهتار بالأخلاق والقيم، هؤلاء الأطهار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفطريون لا يجوز أن نتركهم عزلا بدون سلاح، يعتدي عليهم دعاة الفساد، ويجرهم زحف الإباحية، هؤلاء أعز ما نملك أمل أمتنا الباسم، أمل ديننا وفرقاننا وإسلامنا يجب أن نفتح آفاق الثقافة الإسلامية لنقيهم من أضاليل وأكاذيب ما يسمعون.

أيها الوزراء أيها القادة يا من بيدهم مقاليد الأمة المسلمة، أنتم تحكمون شعبا مسلما وأمة مسلمة، والمسلم وفي لمن يحسن إليه، والخمر أم الكبائر والآثام وقد عقدتم العزم متضامنين مع مجلس الأمة بمنع استيرادها فشكرناكم. شكرتكم النخوة والمروءة ومكارم الأخلاق يا أصحاب المعالي، إن من الصفات المميزة للحاكم المسلم أن يكون الإسلام أقرب إليه من الحياة وما فيها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ (التوبة: ٢٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر».

وفق الله المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العلاقة بين الزوجين

العدد (٥) جمادى الأولى (١٣٨٥هـ) - سبتمبر (١٩٦٥هـ)

● الزواج طمأنينة

عني الإسلام بإظهار الأهداف الروحية من الزواج، وقد جعلها الركائز التي يقوم عليها بناء الحياة الزوجية والدعائم التي تحقق الألفة والمودة، وتتمثل في سكون النفس مع اضطرابها الجنسي الفطري بالحب بين الزوجين وتوسيع دوائر المودة والألفة بين العشيرتين بالمصاهرة واكتمال عواطف الحنان والرحمة الإنسانية وانتشارها بين الزوجين لتنتقل إلى البنين والبنات، وإلى هذه المعاني الروحية يرشدنا تعالى بقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الروم: ٢١).

● الصلة الجسدية

ومع هذا لم يغفل الإسلام الجانب الجنسي والعلاقة الجسدية بين الزوجين، فقد هدى بها إلى أقوم سبيل، وأرشد طريق، لتحقيق أهداف حق الفطرة الغريزية، وبذلك تجنب الانحراف والاعوجاج، فقد كان اليهود والمجوس يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها، والنصارى كانوا يجامعونها في الحيض ولا يبالون، وعرب الجاهلية تأثروا باليهود في هذه الناحية، فكانوا إذا حاضت المرأة لا يؤاكلونها، ولا يشاربونها، ولا يجالسونها على فراش، ولا يساكنونها في بيت، لذلك توجه بعض المسلمين إلى النبي ﷺ للسؤال عما يحل لهم وما يحرم عليهم في معاملة الحائض فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة: ٢٢٢) وفهم بعض الأعراب أن الاعتزال ألا يساكنوهن، فبين النبي ﷺ لهم المراد من الآية وقال: إنما أمركم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم آمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم، فلما سمع اليهود ذلك قالوا: هذا الرجل يريد ألا يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه.

وإذا رجعنا إلى الطب الحديث نجده قد كشف النقاب عما يوجد في إفرازات الحيض من مواد سامة تضر بالجسم إذا بقيت فيه، فالأعصاب التناسلية تكون في وضع احتقان والأعصاب مضطربة بسبب إفرازات الغدد الداخلية فالاختلاط الجنسي يضرها ضررا بليغا وربما كان سببا في منع نزول الحيض، وقد يكون سببا في التهاب الأعضاء التناسلية.

وفي الآية تشبيه للقاح الجنسي بالإنبات وأن الغاية من الحرث والزرع هو الإنتاج، وكذلك الغاية من اللقاح الجنسي هو التوالد والتناسل، ومكان ذلك معلوم، وما عداه محظور ممنوع منهي عنه، ولذلك نجد الرسول ﷺ ينهى الرجال عن إتيان المرأة في غير المكان الطبيعي الذي أعد لذلك، «وقال لا تأتوا النساء في أدبارهن»، وقال «لعن الله من أتى امرأة في دبرها»، وقال في الذي يأتي امرأة في دبرها اللوطية الصغرى.

• حفظ أسرار الزوجية

وقد أثنى القرآن على المرأة أن تحفظ السر بالغيب فقال سبحانه: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤) وفي جملة الغيب الذي يجب أن تحفظه المرأة بل هو في طليعة ذلك ما كان من أسرار الزوجية، فلا يصح أن تذكره في المجالس وتجعله مادة لسمرها مع صويحباتها، وكذلك يجب على الرجل ما يجب على المرأة في هذا المضمار من كتمان للسر وحفظ للحاجات والمتع الزوجية، فقد ورد عن الرسول ﷺ عن أبي هريرة قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ فلما سلم أقبل علينا بوجهه، فقال: مجالسكم. هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق بابه، وأرخى ستره، ثم يخرج، فيحدث، فيقول: فعلت بأهلي كذا، وفعلت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كذا؟» فسكتوا، فأقبل على النساء، فقال: منكن من تحدث؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ، ويسمع كلامها فقالت: أي والله إنهم يتحدثون، وإنهن يتحدثن، فقال عليه السلام: «هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة، فقضى حاجته منها، والناس ينظرون إليه»

وفي هذا التشبيه ما فيه من تحقير وازدراء لهذه العادة الخسيسة والحماقة الوضيعة.

● **المعاشرة الزوجية**

عقد الزواج عهد وثيق ربط بين قلب الرجل وقلب المرأة، وبذلك أصبح كل فرد منهما أليفا للآخر، ويسمى زوجا بعدما كان فردا، لأن كل واحد من الرجل والمرأة يمثل أليفه وخليله، ويحمل بين ضلوعه وحناياه آماله وآلامه.

وقد صور القرآن الكريم قوة هذا الرباط بين الزوجين وعظمته فقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧) وهو تعبير بليغ معجز يكشف عن مقدار الاندماج والستر والحماية والطهر والجمال الذي يحقق كل منهما لصاحبه، ومن أجل ذلك كان على كل من الزوجين حقوق وواجبات للآخر ينبغي تحقيقها والنزول عند رغباتها وأهدافها كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨) وقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا كسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر في المبيت». فلا يجوز للزوج المسلم أن يترك زوجته بلا نفقة وبلا كسوة ولا مسكن، وفي الحديث: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»، ولا يجوز أن يضرب وجه زوجته لما فيه من إهانة واحتقار ومذلة للإنسان مع ما في ذلك من خطر جسيم على أجمل عضو في الإنسان، فالوجه هو جماع محاسن الجسم البشري وفيه حواس الذوق والشم والبصر.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية أجازت للمسلم عند الضرورة أن يؤدب زوجته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الناشزة المتمردة الخارجة على بيت الزوجية وعش الحياة فهي لم تبح له مع هذه الضرورات ضربها ضربا مبرحا مؤلما يصيب وجهها أو مقاتلها، وكذلك لا يجوز للمسلم أن يهين زوجته بأن يؤذيها بلسانه، ويسمعها مر الكلام كأن يقول لها قبحك الله، وما شابه ذلك أو شاكله من الكلمات الجارحات المؤذيات.

وللزوج كذلك على المرأة حقوق، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد في الدخول إلى بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج منه وهو كاره، ولا تطيع فيه أحدا، ولا تعتزل فراشه، ولا تضربه إذا كانت أقوى منه جسدا، وبذلك تسعد في حياتها، ويرضى عنها ربها، وتكون لها الدرجات العلى.

● **سياسة البيت**

وعلى المسلم أن يصبر على زوجته إذا رأى منها ما يكره من تصرفاتها العاطفية، فالمرأة سريعة الغضب سريعة الانفعال سريعة الرضى، ويجب أن يذكر حسناتها وما تقوم فيه من الخدمة المنزلية وتربية الأبناء وإدخال السرور على الجميع في حالات الرضى، وفي الحديث «لا يفرك (لا يبغض) مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقا رضي منها غيره».

وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ (النساء: ١٩) وكذلك أوجب الإسلام على المرأة أن تسترضي زوجها، وتدخل عليه السرور والسعادة، وتكون معه في أزمات الحياة، وحذرها من أن تدع زوجها يبيت وهو غاضب عليها، وفي الحديث: ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا رجل أم قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصادمان (متخاصمان).

وطالما أن الرجل سيد البيت وقطب الرحى وهو محور لسعادة الأسرة ونقطة ارتكازها فعلى المرأة أن تطيعه أولا، فإن تمردت، وعصت، وخرجت عن طاعته فسدت الشراكة، واضطربت سفينة المنزل وقد تغرق طالما تسير بدون ربان وبدون قيادة.

وإذا لاحظ الزوج على زوجته آثار النشوز ومظاهر العصيان والتعالي، فعليه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن يحاول إصلاحها بما يقدر وبما يستطيع من صبر وأناة وكلمات طيبات ومعاملة رقيقة فإن لم تنجح هذه المعاملة في إصلاحها هجرها في المضجع فإن لم تفد هذه التجربة القاسية عمد إلى تأديبها بالضرب غير المبرح، وهو علاج قد يجدي أحيانا في بعض النساء ضعيفات المعرفة والعقل، ومع هذا الذي أباحه الإسلام فنجد أن الضرب غير مرغوب فيه فهو الضرورة القاسية والعلاج الأخير الذي لا يعمد إليه إلا بعد أن تعجزه الحيلة، وينفد الصبر ولات مناص، فقد نفر الرسول من الضرب فقال: يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ولعله أن يجامعها آخر اليوم فإن لم تنفع جميع هذه الوسائل فعلى المجتمع الإسلامي أن يتدخل وعلى أهل الرأي والخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أن يتدخلوا للإصلاح فيبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها لعل الله يوفق بينهما.

وفي هذا كله قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ (النساء: ٣٤ -٣٥).

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزواج وآثاره في حياة الفرد والجماعة

العدد (٣٦) ذو الحجة (١٣٨٧هـ) - فبراير ١٩٦٨م)

إذا ألقينا نظرة فاحصة على واقعنا الاجتماعي، وجدنا أن الفتنة قد ذرت قرونها في كل ناحية من نواحي حياتنا الاجتماعية، منذرة بأفدح الأخطار وأوخم العواقب، ووجدنا أن مظاهر الفساد والانحلال آخذة بالازدياد والانتشار بترويج المروجين من دعاة الفتنة والضلال الذين لا يتقون الله ولا يبالون بغير شهواتهم وغرائزهم وأنانيتهم الدنيئة، غير عابئين ولا مكترثين بما يجرونه على مجتمعهم من مفاسد وشرور وفضائح وخراب.

ومن الصعب أن نتلمس في هذا المقال جميع مظاهر الفساد وأسبابه في حياتنا الاجتماعية، ولذا سأقصر الحديث على أهم جانب من جوانب حياتنا الاجتماعية، والذي تكمن فيه أسباب كثيرة من المشاكل والمفاسد، كما تكمن بنفس الوقت طريقة العلاج والحلول السليمة. . هذا الجانب هو الجانب الذي يتعلق بالحياة الزوجية وبناء الأسر، وما ينتج عنه من آثار في حياة الفرد والجماعة.

فالزواج من الناحية الاجتماعية واجب تدفع إليه غريزة حب الاجتماع وغريزة البقاء والحفاظ على الجنس البشري، وهو السبيل الطبيعي المشروع لقيام الصلة بين الرجل والمرأة، هذه الصلة التي تعتبر من أقوى الدعائم الاجتماعية، والتي تنشأ بسببها أمتن الروابط والصلاة بين أفراد المجتمع.

والزواج من الناحية الشخصية سبيل للسكن النفسي والاطمئنان الروحي والعاطفي وطهارة للقلب والنفس، وحماية للمروءات ووقاية من الانحراف والانزلاق إلى المحرمات، كما هو سبيل لتنمية المودة والألفة والرحمة وجميع معاني الخير بين الجنسين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولما كان للزواج كل هذه الأهمية من الناحيتين الاجتماعية والفردية، فقد رسم الله سبحانه وتعالى له منهجا واضحا مفصلا، وحدَّ له حدودا ووضع له قواعد وأصولا وأوجب فيه التزامات على الطرفين وحذر من التهاون فيها، وأنذر العابثين بقواعده، وحدوده أشد العقاب للحفاظ على قدسيته وضمان أداء وظيفته على خير وجه، فالزواج عهد ميثاق قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ (النساء: ٢١) وفي ذلك إشارة إلى أن النساء أخذن من الرجال ميثاقا عظيما وهو ميثاق الزواج، وعهد الإخلاص والوفاء يلتزم كل من الطرفين، ويؤدي كل طرف منهما ما يجب عليه نحو الآخر من المعاشرة بالمعروف على أساس المشاركة الفعلية بينهما، فلا غنى لأحدهما عن الآخر ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وأي ميثاق وأي عهد أعظم من العهد الذي أخذه الله على الرجال للنساء عندما يوثق هذا الميثاق بقول «والله على ما نقول وكيل».. وقد جعل الله تعالى الزواج من آياته العظيمة فقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الروم: ٢١).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: ١) فلا غرابة بعد ذلك أن نعرف حرص الإسلام على سلامة الحياة الزوجية وترغيبه بالزواج والحض عليه، إن الزواج سبيل لإعفاف وصيانة الرجال والنساء من حياة الفوضى والعبث والرذيلة، وخلاص من القلق والاضطراب وسبيل للاستقرار النفسي والاجتماعي.

ولكن الزواج قد يكون أو قد يصبح من أهم أسباب الفساد والفوضى الاجتماعية وعدم الاستقرار وخلق كثير من المشاكل الاجتماعية والخلقية والمفاسد الخطيرة، وذلك عندما يساء استعماله، إما عن جهل أو عن سوء نية.. فالرجل الذي يرى الزواج وسيلة لمتعة الجسد وقضاء الشهوة فقط دون اعتبار للمعاني الروحية والعاطفية والنفسية والاجتماعية والخلقية الكريمة يسيء إلى هذا النظام الكريم بإساءة استعماله، فالذي يتخذ الزواج ستارا لمآرب شيطانية فيقدم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على الزواج ممن يشتهيها قلبه، وهو يضمر في نفسه نية التوقيت والعزم على الطلاق بعد أن ينال غايته الدنيئة، فحكمه حكم الزاني بل إن عمله هذا لهو أشد من الزنا فظاعة وخبثا وسوء عاقبة لأنه يكون قد غرر بفتاة بريئة خدعها بعقد الزواج ثم رمى بها بعد أن ملت نفسه منها، وتاقت لأخرى دون حساب لمصير هذه الفتاة ومستقبلها وسمعتها، وسواء كان المقدم على الزواج قد أسر في نفسه العزم على الطلاق بعد مدة معينة أم لم ينو ذلك، فإن التسرع بالطلاق واللجوء إليه لأتفه الأسباب يعتبر إخلالا بالميثاق الذي قطعه على نفسه بالوفاء والصدق والإخلاص وعبثا بنظام الزواج فالطلاق أبغض الحلال إلى الله ولا يجوز اللجوء اليه إلا عند الضرورة القصوى، وعند تعذر أو عدم جدوى وسائل التفاهم وطرق التوفيق وإزالة الخلاف.. فكم من أسرة تهدمت بتسرع الرجل بإيقاع الطلاق على زوجته لأتفه الأسباب دون تقوى من الله أو حساب للنتائج الخطيرة التي تترتب على الطلاق في حال الفرد والأسرة والمجتمع والأخلاق.. فالطلاق إنما شرعه الله للناس ليكون الحل المناسب عندما لا يوجد حل سواه، ولكن بعض الناس يسيئون استعمال هذا الحق فيستعملونه بغير حق إضرارا بالآخرين أو تحقيقا لشهوات حيوانية لا تعرف القناعة ولا المروءة، فالرجل الشهواني الذي لا هم له إلا التنقل من امرأة إلى أخرى يسيء إلى نفسه بتحطيم قواه وماله، ويسيء إلى المجتمع الذي يعيش فيه ويفسد على كثير من الأسر نظام حياتهم، وأي إنسان هذا المزواج المطلاق الذي لا تصفو عشيرته ولا يأمنه صاحب ولا يحفظ عهدا ولا ميثاقا.

وإن الإسلام الذي أباح الطلاق للضرورة أباح التعدد للضرورة كذلك، وكم من الرجال وخاصة ممن أعطاهم الله بسطة في الجسم والمال يسيئون استعمال التعدد، فيتخذونه وسيلة لأهوائهم دون مراعاة لنظام التعدد من شرط العدل وحسن المعاملة، فالظلم والطغيان والاعتداء على حقوق الغير حرام، وغير جائز وقوعه على أبعد الناس، فكيف يصح أن تعامل به الزوجة وهي أقرب الناس إلى الرجل وفي الحديث الشريف «من كان له زوجتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وشقه ساقط» فتعدد الزوجات إنما أباحه الله لغايات اجتماعية وأخلاقية سامية وقيده بقيود كفيلة بتحقيق المنافع الشخصية والاجتماعية الذي أبيح لأجلها، فالتعدد مثلا هو الحل الوحيد المناسب عند وقوع الحروب الطاحنة والكوارث التي تقضي على كثير من الرجال، بحيث لو كان التعدد ممنوعا لأدى إلى حرمان كثير من النساء من الزواج والمعيل لعدم كفاية الرجال في مثل هذه الحالات، كما أن هناك حالات عديدة تستوجب التعدد وتجعل اللجوء إليه أفضل الحلول، وسبيلا للحيلولة دون حدوث كثير من المآسي والجرائم والحوادث الأخلاقية المؤسفة، وهذه أوروبا بعد الحربين العالميتين خير شاهد على ما حصل من فجور وفوضى أخلاقية لنقص الرجال وبقاء كثير من النساء بلا أزواج عرضة للرذائل وحبائل الشيطان . . وإذا ظهرت بعض النتائج السيئة لنظام التعدد في مجتمعنا، فهذه النتائج ليست من مساوئ النظام بل هي مساوئ الذين انحرفوا عن النظام، والذين أساءوا فهم واستعمال هذا الحق، فظلموه وقد أمروا بالعدل وجاروا وقد أمروا بالإنصاف وحسن المعاملة، وفي مثل هذه الحالات يكون العيب من الناس المنحرفين لا من نظام التعدد نفسه. . فقد ورد أنه يأتي على الناس زمان يكون للخمسين القيم الواحد من الرجال، فما هو الحل غير التعدد في مثل هذه الحالة؟

وبعد هذا الاستعراض نخلص إلى القول إن إساءة استعمال حق الزواج والطلاق والتعدد والانحراف عن المنهج الذي رسمه الله تعالى للناس في أمور الزواج والطلاق والتعدد، هو السبب في حدوث كثير من المفاسد الأخلاقية والاجتماعية وإن الدواء الوحيد هو العودة إلى الدين الحق إلى المنهج الرباني الذي شرعه لعباده، فيا أيها المسلمون رجوعا إلى كتاب الله وسنة نبيه الكريم ﷺ، ورجوعا إلى دين الإسلام، دين الرحمة والخير والبر، دين العدالة والحرية والكرامة دين العقل والسلامة للبشرية دين المدنية الفاضلة الكريمة، فالإسلام مصباح الحياة وكوكب السعادة ومبعث الاطمئنان والاستقرار للبشرية، فبالإسلام نسعد ونبني حياتنا على أمتن القواعد وأفضل الأسس، وبالإسلام تستقر حياتنا وتستقيم أمورنا، ونحفظ أسرنا وأعراضنا وكرامتنا ومروءتنا، وبالإسلام نزدهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

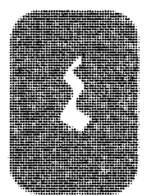
ونتقدم ونحقق الخير لأنفسنا ولمجتمعنا وللبشرية جمعاء، فالإسلام - والإسلام وحده - دستور للحياة الكريمة المستقرة السعيدة.

فاللهم ردنا والمسلمين جميعا إلى دينك ردا جميلا حميدا والحمد لله رب العالمين.

* * *

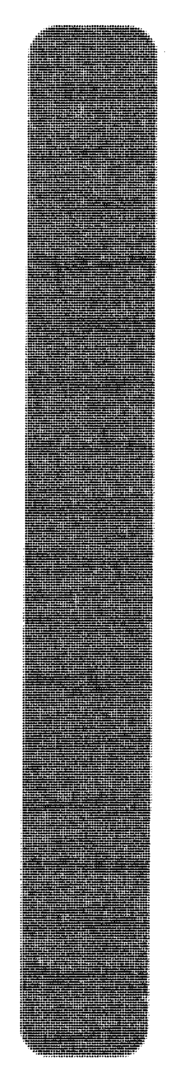
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الأستاذ
أحمد حسن الزيات



❑ **ترجمة الشيخ.**

❑ **المقالات:**

١- الإسلام والمبادئ المثالية.

العدد (٢) صفر (١٣٨٥هـ) - يونيو (١٩٦٥م).

٢- من تراثنا الأدبي.

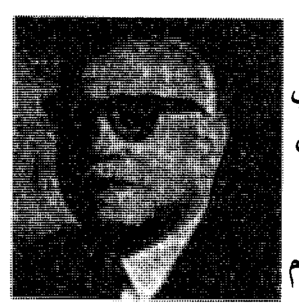
العدد (١٤٤) ذو الحجة (١٣٩٦هـ) - ديسمبر (١٩٧٦م)

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الكاتب

أحمد حسن الزيات



ولد الشيخ أحمد حسن الزيات بقرية كفر دميرة القديم، في طلخا بجمهورية مصر العربية سنة ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٥م، وهو: صاحب «الرسالة» أديب من كبار الكتَاب.

دخل الأزهر قبل الثالثة عشرة من عمره، وفصل قبل إتمام دراسته. وعمل في التدريس الأهلي، فعلَّم العربية في مدرسة (الفرير) نحو سبع سنوات، وتعلم مدة في مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة.

دَرس الأدب العربي في المدرسة الأميركية بالقاهرة (١٩٢٢) ثم في دار المعلمين ببغداد (١٩٢٩) وأقام ثلاث سنوات صنف فيها كتابه «العراق كما عرفته» واحترق الكتاب قبل نشره.

عاد إلى القاهرة، فأصدر مجلة «الرسالة» سنة (١٩٣٣م -١٣٥٣هـ) ثم إلى جانبها «الرواية» وأغلقهما. وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وعين في المجلس الأعلى للآداب والفنون. وكان قبل ذلك من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق.

نال جائزة الدولة التقديرية (سنة٦٢) ثم أعاد الرسالة سنة (٦٣) فلم تكن لها مكانتها الأولى، فاحتجبت وانقطع إلى تحرير «مجلة الأزهر» سنة ١٣٧٢- ٧٤ هـ، وله عدة مؤلفات منها: (كتاب تاريخ الأدب العربي، ثم كتاب دفاع عن البلاغة، أصول الأدب، في ضوء الرسالة)

وكان من أرق الناس طبعا، ومن أنصع كتَاب العربية ديباجة وأسلوباً. وللسيد جمال الدين الألوسي كتاب «أدب الزيات في العراق».

وفاته: وتوفي بالقاهرة. وحمل إلى قريته فدفن فيها سنة ١٣٨٨هـ الموافق ١٩٦٨م، رحمه الله رحمة واسعة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المبادىء المثالية التي تضمنتها دعوة الإسلام

العدد (٢) صفر (١٣٨٥هـ) - يونيو (١٩٦٥م).

عبقرية الإسلام هي ذلك الإشراق الذي انبثق من غار حراء، فكشف للرسول صلوات الله وسلامه عليه - عن أطوار النفس البشرية فى طوايا الغيب، فدعا دعوته الخالدة إلى تكريم الإنسان، وتنظيم العمران، وتعميم الخير، وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمؤاخاة، والمساواة والحرية والسلام.

فالتوحيد سبيل القوة، والمؤاخاه سبيل التعاون، والحرية سبيل الكرامة، والسلام سبيل الرخاء، وتلك هي الغايات التي ترجو الإنسانية بلوغها عن طريق العلم والمدنية، فلا تنكشف أمانيها بعد طول السرى وفرط اللغوب إلا عن سحاب خلب، وسراب خادع.

هذه المبادىء المثالية التي تضمنتها دعوة الإسلام، معلومة من القرآن بالنصوص الصريحه، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف.

فالتوحيد ركن من أركان الدين وعنوان من عناوينه، وهو من الكلم الجوامع التي وعت جوهر الإصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة، وهو توحيد الله، وتوحيد العقيدة، وتوحيد الغاية، وتوحيد اللغة، وتوحيد الحكم، وتوحيد التشريع، وتوحيد الدين والدنيا، وشواهد التوحيد مذكورة فى كتاب الله لا يختلف فى مدلولها أحد.

وفكرة الوحدة الإنسانية هي مزية الدعوة المحمدية على كل دعوة، وفي سبيلها صدق الإسلام بكل دين أنزل، وبكل نبي أرسل ودعا الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعا إلى خطة واحدة وكلمة سواء، ثم وصل الدين بالدنيا، وكانت اليهودية والنصرانية تفصلان بينهما، فالأولى كان همها الصفق والاجتراح،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والأخرى كان سبيلها الرهبانيه والتنسك، ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد، فلا تعمل إلا بوحيه، ولا تسير إلا بهديه، ثم آخى بين المؤمنين ليجتمعوا على صدق المودة ويتعاونوا على لأواء العيش، فلا يبغي قوي، ولا يبخل غني، ولا يظلم متسلط.

بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، ثم توثقت عرى الإخاء بين المجاهدين في سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وأصبح هؤلاء القلال الضعاف في بضع سنين أئمة للناس وورثة لكسرى وقيصر.

كذلك فى سبيل الوحدة الإسلاميه والأخوة الإسلامية، فرض الإسلام الزكاة وشرع الحج، وأمر بالإحسان والبر، ثم سوى بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم في الحقوق والواجبات بمحو العصبية الوطنية، وقتل النعرة الجنسية، وجعل التقديم والتكريم للتقوى، فقال الرسول الكريم فى خطبة الوداع: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى».

المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الإنسان بمعناه الصحيح، لأنهم أتباع محمد، ومحمد وحده هو الذي أعلن حقوق الإنسان بهذا المعنى لأنه رسول الله، والله وحده هو الذي ألهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة.. أرسله رحمة للذين استضعفوا في الأرض لقلة المال كالمساكين، أو لفقد العشير كالموالي، أو لضعف النصير كالأرقاء، أو لطبيعة الخلقه كالنساء، فكفل الرزق للفقير بالزكاة، وضمن العز للذليل بالعدل، ويسر الحرية للرقيق بالعتق، وأعطى الحق للمرأه بالمساواة.

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالته ممن لم يكونوا من جنس مبين، ولا من وطن معين، إنما كانوا أمة من أشتات الخلق، وأنحاء الأرض، اجتمع فيها العربي والفارسي، والرومي والتركي، والهندي والصيني، والبربري والحبشي - على شرع واحد هو الإسلام، وتحت تاج واحد هو الخلافة، والإسلام الذي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقول شارعه العظيم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠) لم يخص بالتكريم لون دون لوناً، ولا طبقة دون طبقة، إنما ربا ببني آدم جميعا أن يسجدوا لحجر أوشجر أو حيوان، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان.

وفي هذه الأصول الإسلاميه - كما ترى - أفضل ما بالديمقراطية، وأجمل ما بالمدنية، فهي حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا. ولقد كانت كذلك يوم كان لحملتها دولة، ولدعاتها صوت، ولمعتنقيها يقين، فلما دالت الدولة وخضع الصوت، وأراب اليقين، تمزق المسلمون قطعانا في فدافد الأرض، لا مرعى يجود، ولا حظيرة تؤوي، ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام في رأي السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل، فصموا عن دعائه، وعموا عن ضيائه، فليت شعري متى يتاح لدعوة محمد من يجدد حبلها وينشر فضلها، ويقول لأولئك الذين يحاولون أن يرفعوا قواعد العالم على أساس جديد ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من تراثنا الأدبي

العدد (١٤٤) ذو الحجة (١٣٩٦هـ) ديسمبر (١٩٧٦م).

على رأس الكتاب المبرزين في عالم الأدب والبيان، الكاتب الكبير المرحوم أحمد حسن الزيات. صاحب مجلة «الرسالة» التي كانت تصدر في القاهرة أسبوعيا، وكان لها أكبر الأثر في نشر الوعي الأدبي والثقافي في العالم العربي والإسلامي.
وقد جمعت مقالات الأستاذ الزيات في كتاب مستقل (من وحي الرسالة) وقد جاء فيه المقال التالي:

وعدتك يا خالد أن أقص عليك حديث الرجل السعيد بخلقه ودينه عسى أن تجد فيه ما يبرد غيظك ويبرد حلمك ويقر بالك وهأنذا اليوم أسوق إليك هذا الحادث على سرده:

دخل علي هذا الرجل وأنا مكب على عمل دقيق حافز فلم يسعني حين رأيت ما عليه من سمت الوقار وسيما الخير إلا أن أدع ما في يدي وأتفرغ له.

نعم يا سيدي-!

أنا رجل من أهل. . قرأت ما كتب في «الرسالة» عن الأخلاق ونكولها أمام الغرائز الوصولية في الإنسان فساءني -وأيم الله- أن تشتبه المعالم حتى يضل الهادي، وأن تعترك الظنون حتى يشك المؤمن وأليس لي قلم أضعه بين هذه الأقلام فيدلها على موضع الحق أو يعينها على مقطع الحكم فآثرت أن أشخص إليك لأكون أمامك مقالا حيا يقرر ودليلا ناطقا يؤيد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الحق أن الرجل كان في بزته العربية المهندمة ولهجته الطبيعية المتزنة كأنما ينطق عن وحي الفضيلة العليا فقلت له: أتظن أن الفاضل ينجح بمحض فضله في هذا العصر الآلي الأصم؟

فقال: لا أظن وإنما أعتقد، لا أنكر مع هذا الاعتقاد أن الفضيلة وعرة الطريق وأن الخير صعب المرتقى وفي قول الرسول الكريم: «حفت الجنة بالمكاره».

و«القابض على دينه كالقابض على الجمر» ما يصدق ذلك ولكن الفضائل تعليم وتعويد ورياضة فإذا أوقف غرسها في النشء وضعف أثرها في المجتمع دل ذلك على فشل التربية لا على فشل الفضيلة أنا رجل واسع الثراء سابغ النعمة.

وقد جمعت مالي الوفر من ذلك الطريق السوي الذي ألزمني إياه أبي منذ الصغر فليس في نصابه قرش زائف ولا متر مغتصب. ورثت عن أبي الدين الصحيح على أنه دستور الدنيا والخلق الصريح على أنه جوهر الدين ثم زاولت التجارة بالصدق والصبر فاستغنيت واقتنيت العمائر والضياع فأثريت وأديت الصلاة فوصلت ما بيني وبين الله وآتيت الزكاة فأصلحت ما بيني وبين الناس ثم أحصنت نفسي بالزواج الباكر فوهبت البنين وعصمت شهوتي من المتع الحرام فرزقت العافية وطهرت قلبي من الطمع الحاسد والخصام الحاقد فأوتيت السكينة ثم جهلت البنك فجعلت الربا والدين وأنكرت المحكمة فأنكرت العداوة والظلم ووضعت فضل مالي في أيدي ذوي الخلق من التجار يحفظونه لي ويستثمرونه لهم وجعلت أرضي في ذوي الدين من الزراع يريعونها علي ويستغلونها عليهم وسست بالمؤاساة والرحمة قلوب البائسين حولي فسللت منهم الضغينة ثم كان لي في كل مبرة سهم وفي كل مستشفى سرير وفي كل مشروع وطني يد. فأنا أمشي في الناس ملحوظ الشهادة محفوظ الغيب لا تمتد يد إلى مالي لأنه مبذول للسائل والمحروم، ولا ينبسط لسان في عرضي لأن جاهي موقوف على المتعطل والمظلوم، ولا يأتمر أحد بحياتي لأن وجودي أمان للشقي من البؤس والجريمة، أما سعادتي في نفسي وولدي فهي أعظم وأتم من سعادتي في عملي ومالي، أجدني كنف الرجاء لكثير من الأسر الفقيرة ومصدر العزاء لطائفة من القلوب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكسيرة وأرى في كل نظرة وفي كل بسمة وكل كلمة معاني لا تتناهى من العرفان والحنان والشكر فتعظم سعادتي في نفسي وتجمل دنياي في عيني ويغمرني شعور من عزة المؤمن وزهو الخاشع لأن حياتي لها هذا الخطر في حياة بعض الناس. ثم أنظر إلى بني الثمانية فأرى في وجودهم صورتي وفي صدورهم محبتي وفي شعورهم عاطفتي وفي ميولهم رضاي وفي آمالهم مناي فأقبل يدي ظاهرا وباطنا وأقول لنفسي: احمدي الله يا نفسي واشكريه فإن عليا لن يموت، وإن ثراءه لن يبيد، وإن بناءه لن يتقوض!

ذلك كله يا سيدي بفضل الخالق فإذا كان قد تهيأ لمثلي على جهلة بقواعد المدنية وضروريات العلوم أن يجمع بمعونة الله وحده هذه الثروة الضخمة وليس له رأس مال من إرث ولا فيض من رزق حكومة وأن ينال هذا الجاه العريض وليس له نسب عريق في أسرة ولا سبب وثيق إلى سلطان وأن يخلق من حوله هذا النعيم المقيم فيغرق فيه أهله وعشيرته وبيئته وأن يرفع بناء الأخلاق الفاضلة في بنيه بالتربية وفي أهله بالقدوة وفي مواطنيه بالتقليد فكيف لا يستطيع معلمو المدرسة ووعاظ المسجد ومشرعو البرلمان أن يخلقوا في كل مكان هذه البيئة وتلك الجنة فيصلح المجتمع ويسعد العالم!

فقلت له وقد أعجبني عقله وأمتعني حديثه: يا سيدي إن من سعادتك وسعادة الناس بك أنك صاحب عمل لا صاحب علم وأنك رجل عزيمة لا رجل رأي فلو كنت من كهنة العلم لصعدت إلى قدس الأقداس وظلت تقرأ الفلسفة والأخلاق لرياضة العقل أو للذة المعرفة أو لشهوة الجدل ثم رميت الناس من عليا سمائك بالآراء المتعارضة والأحكام المتناقضة لتصطرع في المطابع حينا ثم تموت في الكتب.

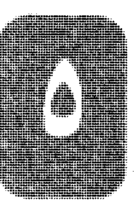
لايزال المربون يا سيدي يجادلون في أغراض التربية ويجربون نظرياتها المختلفة في حقولهم الخاصة، فليت شعري وشعرك أيتاح لهؤلاء في دهر من الدهور أن يفيضوا على أعته الأمم ويتولوا القيادة في ركب الحياة؟ ادع الله للناس أن يلهمهم من الحق ما ألهمك وأن يعلمهم من قواعد الخير ما علمك؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال صاحبي الثائر خالد وقد شبا وجهه بشيء من الإيمان والاطمئنان: وهل نستطيع أن نعد كثيرا من الناس على غرار هذا الرجل؟ فقلت له يا صاحبي ليست المسألة مسألة إحصاء وعد، وإنما هي مسألة إمكان وواقع. ومتى ثبت أن الأخلاق الفاضلة استطاعت أن تصنع من هذا الرجل هذا المثال، فلم لا تستطيع أن تصنع على غراره ملايين الرجال؟

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

د. عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر سابقا

- ترجمة الشيخ.
- المقالات:

١-الإسلام ومقومات الحضارة.

العدد (٢) صفر (١٣٨٥هـ) يونيو (١٩٦٥م).

٢- الرسول ﷺ وسنته الشريفة.

العدد (٢٣) ذو القعدة (١٣٨٦هـ)، فبراير (١٩٦٧م).

٣- الإسراء والمعراج.

العدد (٦٧) رجب (١٣٩٠ هـ) سبتمبر (١٩٧٠م).

٤- اقرأ باسم ربك.

العدد (٦٩) رمضان ١٣٩٠هـ - نوفمبر ١٩٧٠م).

٥- الوحدة الإسلامية.

العدد: (١٠٨) ذوالحجة (١٣٩٣هـ) ديسمبر (١٩٧٣م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الدكتور

عبد الحليم محمود



● **مولده:**

ولد في ٢ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ الموافق ١٢ مايو ١٩١٠م، بقرية أبوأحمد مركز بلبيس بمحافظة الشرقية. نشأ في أسرة كريمة مشهورة بالصلاح والتقوى.

التحق بالأزهر سنة ١٩٢٣م حصل على العالمية سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م ثم سافر إلى فرنسا حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية، ثم عمل مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية بكليات الأزهر ثم عميدا لكلية أصول الدين، وعضوا ثم أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية فنهض به وأعاد تنظيمه، عُين وكيلا للأزهر سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م فوزيرا للأوقاف وشيخا للأزهر.

له أكثر من ٦٠ مؤلفا في شتى المجالات، بعضها بالفرنسية، من أشهر كتبه: أوروبا والإسلام، والتوحيد الخالص أو الإسلام والعقل، وأسرار العبادات في الإسلام، والتفكير الفلسفي في الإسلام، والقرآن والنبي.

● **وفاته:**

توفي الشيخ في صبيحة يوم الثلاثاء الموافق (١٥ ذو القعدة ١٣٩٧هـ - ١٧أكتوبر ١٩٧٨م) تاركا ذكرى طيبة ونموذجا لما يجب أن يكون عليه شيخ الأزهر.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الإسلام ومقومات الحضارة

العدد (٢) صفر (١٣٨٥هـ) يونيو (١٩٦٥م)

إن الحضارة السليمة هي الحضارة التي استكملت جميع مقوماتها، ولا خلاف بين ذوي الآراء المستنيرة في أن مقومات الحضارة الأساسية إنما ترجع إلى أربعة: العلم، ومما لا شك فيه أنه لا يتأتى أن تقوم حضارة من دون علم. والعلم إذن هو الأساس الأول الذي تبنى عليه الحضارات، بل إنه قد تقوم حضارة ما على العلم وحده، فيكون العلم هو المقوم الوحيد لهذه الحضارة، ولكنها تكون حضارة ناقصة، بل تكون حضارة بتراء.

والمقوم الثاني للحضارة الذي لا تقل أهميته عن أهمية العلم، والذي إذا وزنا الأمور بمقاييس الروح وقسناها بموازين إسعاد الإنسانية، يفضل العلم المادي، هو الجانب العقدي.

والعقيدة إذن هي المقوم الثاني للحضارة، فإذا ما انتفت العقيدة، وزالت فقامت الحضارة على العلم وحده، فإن الإنسانية تشقى بها شقاء لا يعوضه ما تجد من ترف مادي يكفله لها العلم المادي.

بيد أن العقيدة إذا ما أصبحت شكلا ورسمًا، أو صورة وهيكلا، فإنها لا تفيد كثيرا في أن تسم الحضارة بسمة الروح الحقة، أو تطبعها بطابع الإنسانية الكريمة.

ولابد إذن من الجانب الثالث وهو الأخلاق، وما من شك في أن الأخلاق من دون عقيدة، لا تقوم لها قائمة، وإنما تكون سفسطة، لا غناء فيها، أو فلسفة جدلية، لا تنبع من القلب، ولا تثبت أمام تيارات الأهواء.

إن الرحمة والإخاء، وإن المودة والتعاون، وإن الشجاعة والكرم، وإن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفضيلة على وجه العموم، وإن الخير في صوره المتعددة، إن كل ذلك لا يكون وليد دراسات فلسفية ولا نتاج جدل كلامي.

والأخلاق التي تكون مقومة للحضارة إذن، مؤثرة على القلب، غامرة للكيان الإنساني، إنما هي الأخلاق الدينية، فإذا ما انفصلت الأخلاق عن الدين، فإنها لا تساوي، في موازين الرحمة والأخوة، أو بتعبير أدق في عالم القلوب والأرواح، قلامة ظفر.

إن الإنسان لا يخضع في سلوكه الأخلاقي للفلسفة، وهي متعارضة مختلفة، وهي تذهب في الشرح والتعليل والتوجيه كل مذهب، وهي تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس، وتنقض غدًا ما أبرمته اليوم.

إن الفلسفة - هكذا وجدت، ونمت وتطورت، واستمرت - متأرجحة، لا دوام لها على رأي، ولا استقرار لها على حال.

وإذا كانت العقيدة التي نعنيها ويعنيها المصلحون، كمقوم للحضارة، إنما هي عقيدة من وحي السماء، فإن الأخلاق التي نعنيها والتي يعنيها المصلحون المخلصون إنما هي من وحي السماء.

أما المقوم الرابع، فإنه التشريع العادل، والتشريع العادل، هو التشريع الذي يلم واضعه بظروف الإنسان وطبيعته وفطرته إلمامًا كاملا، فيصدر التشريع على علم تام، ولا يتأتى ذلك لبني البشر، وتشريع بني البشر- حسبما شاهد المشاهدون- لا يقود الناس للخضوع له عن طواعية واختيار، بل يقودها للطاعة رهبة القانون، وهي كلما آنست من نفسها استطاعة الفرار من طائلة القانون أخلت به، وكلما آنست من نفسها المقدرة على هدم أسوار القانون هدمته.

ولابد إذن من تشريع تنقاد له الإنسانية طواعية واختيارًا وهو التشريع الإلهي.

العلم، والعقيدة، والأخلاق، والتشريع.. تلك هي مقومات الحضارة السليمة، وكل حضارة لا تتوفر فيها هذه المقومات، فإنما هي حضارة ناقصة بمقدار نقص مقوماتها.

فلننظر الآن في الإسلام في ذاته، وفي الإسلام من خلال التاريخ حتى نتبين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مدى تضمنه لهذه المقومات، ومدى تحقيقه لها على مر الزمن، مقارنين كل ذلك بالحضارة الحديثة.

ونبدأ بالعلم، ولا ريب في أن الحضارة الحديثة، بدأت في قوة جارفة بمنهجين في العلم يختلفان ويتعارضان ويتنازعان، أحدهما المنهج الحسي التجريبي، أو المنهج البيكوني، والثاني المنهج العقلي البدهي، أو المنهج الديكارتي أو المنهج الحدسي حينما نفسر الحدس كما فسره المناطقة بأنه انتقال الذهن إلى المطلوب بسرعة.

وكل من المنهجين نشأ معارضا لمنهج القياس الأرسطي، وكل منهما يرى أن القياس الأرسطي إنما يعنى بالصورة والشكل، ولا شأن له بالحقيقة والجوهر، بل ولا شأن له بالواقع والتطبيق، ومن أجل ذلك سمي بالمنطق الصوري: أي منطق الصورة لا الجوهر.

والمنهج البيكوني هو منهج علمي، أما المنهج الديكارتي فإنه منهج فلسفي.

وسنتحدث عن منهج ديكارت، إن شاء الله، حينما نتحدث في مقال تالٍ عن العقيدة. أما الآن فسنقصر الحديث على المنهج التجريبي.

إنه منهج الاستقراء أي تتبع الجزئيات عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة للوصول إلى الحكم عليه في صورة من صورها حكما كليا أو - بعبارة أخرى - للوصول إلى اكتشاف القوانين العامة، أو للوصول إلى معرفة نواميس الكون.

ومجال الاستقراء إنما هو الطبيعة، لأنه ملاحظة جزئيات في عالم الطبيعة، وأداته الحس، فهو ملاحظة محسوسات.

وعلى أساس من هذا المنهج قامت الحضارة الأوروبية الحديثة بكل ما فيها من صناعة في الطبيعة ومن اكتشافات في الكيمياء، ومن قوانين فلكية، ومن اختراعات في جميع المجالات المادية والحسية.

وعلى أساس من هذا المنهج أيضا ستتطور هذه الحضارة وترقى وتتسع كمًّا وكيفًا إلى ما شاء الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهذا المنهج في المشهور المتعارف يدين في وجوده إلى فرنسيس بيكون، ولكنه عند الدارسين لتاريخ الفكر الأوروبي يدين لروجر بيكون، أكثر مما يدين لغيره، والملاحظون الدارسون للعلوم يرون أن روجر بيكون كان أدق وأعمق في بيان المنهج وفي تطبيقه.

بيد أن روجر بيكون - على خلاف مواطنيه - يعترف في صراحة لا لبس فيها، وفي وضوح لا شائبة فيه، أنه مدين في منهجه للعرب وللحضارة العربية.

وهذه الحقيقة التي حاول الغربيون جاهدين أن ينكروها ويخفوها فيما مضى، يعلنها الآن بعض المنصفين منهم، فها هو ذا الأستاذ بريفولت يتحدث في كتابه: «بناء الإنسانية» عن أصول الحضارة الغربية فيقول: إن روجر بيكون درس اللغة العربية، والعلم العربي، والعلوم العربية، في مدرسة أكسفورد، على خلفاء معلميه العرب في الأندلس.

وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية، وهو لم يملّ قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة.

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوروبية.

وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون قد انتشر انتشارا واسعا، وانكب الناس في لهف على تحصيله في ربوع أوروبا.

ويقول بريفولت أيضا: «لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج».

إن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في أسبانيا لم تنهض في عنفوانها إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام.

ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية[١].

أخذت أوروبا المنهج العلمي المادي عن الإسلام باعتراف واضع هذا المنهج نفسه، وباعتراف المنصفين من المؤرخين، وليس بعد اعتراف واضع المنهج نفسه مقالا لقائل.

ومع ذلك، فإن المنهج الإسلامي أكمل وأتم وأشمل، وقد أخذته أوروبا ناقصا. وفي المقال التالي، إن شاء الله، سنتحدث عن موقف الإسلام من العلم وعن المنهج العلمي في الحضارة الإسلامية في عمومه وشموله.

وبالله التوفيق

(١) انظر كتاب «التجديد الديني في الإسلام» للدكتور إقبال، ترجمة الاستاذ عباس محمود .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرسول ﷺ وسنته الشريفة

العدد (٢٣) ذوالقعدة (١٣٨٦هـ) فبراير (١٩٦٧م)

يقول الله تعالى لرسوله الكريم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨).

وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله، فموسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل خاصة، فاقتصرت دعوته عليهم لدرجة أنه حينما ذهب هو وهارون، عليهما السلام، إلى فرعون قال له ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ (طه: ٤٧)، فموسى ذهب إلى فرعون ليرسل معه بني إسرائيل، ولم يكافح سيدنا موسى الشعوب، أو الأمم في سبيل دعوته.

وعيسى عليه السلام إنما أرسل إلى «خراف بني إسرائيل الضالة» على حد تعبيرهم القديم، ولم يحاول سيدنا عسيى أن يبشر بدعوته خارج فلسطين، ويجاهد من أجلها.

أما رسول الله ﷺ فإنه أرسل إلى الناس جميعا.

أرسل إلى الناس جميعا من حيث المكان، وأرسل إليهم جميعا من حيث الزمان، فهو الرسول الدائم، زمانا ومكانا، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (الأعراف: ١٥٨) ولقد امتزج رسول الله ﷺ برسالته الخالدة، فكان هو هي، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «لقد كان خلقه القرآن».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهذه الكلمة من السيدة عائشة، رضوان الله عليها، تحتاج إلى تحديد وبيان، ذلك أن الأخلاق القرآنية تحدد الخلق الكريم في حده الأدنى، ثم لا تقتصر على ذلك وإنما ترسم القمم من مكارم الأخلاق، وتوجه إلى السنام منها، وتقود إلى المشارف العليا من درجات المقربين.

والقرآن يحدد الدرجة التي وصل إليها الرسول من الخلق القرآني، فيقول سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

وهذه الآية القرآنية تحدد درجة الأخلاق القرآنية التي وصل إليها الرسول ﷺ، إنها ذروتها وسنامها، ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

إنه ﷺ بعث ليتمم المكارم الأخلاقية، ليتممها بذاته، بسلوكه، وليتممها بقوله، برسالته، إنه لم يبعث ليبشر بالأخلاق وحسب، وإنما ليتمم مكارمها. ومكارم الأخلاق لا يحدها- من حيث التبشير بها - مكان، ولا يحدها زمان، بل ولا يحدها عالم من عوالم الله في الأرض أو السماء، ومن أجل ذلك كانت رسالته صلوات الله عليه وسلامه رحمة للعالمين، كما يقول الله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) ورسول الله ﷺ ، لأنه يمثل الأخلاق القرآنية في ذروتها وسنامها، جعل الله، سبحانه وتعالى، له مكانة خاصة بين المسلمين، فهو صلوات الله وسلامه - لأنه تمثل القرآن وحققه- أصبح بذلك يمثل الحق بقوله، ويمثل الحق بعمله، فلا ينطق عن الهوى ولا يعمل بالهوى.

ويقول الله تعالى له معبرا عن هذه الحقيقة أروع تعبير:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (الشورى: ٥٢-٥٣)، ويقول الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ (الأنعام: ١٦١) بل إن طريق الدعوة نفسه كان صلوات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الله وسلامه عليه يسير فيه معصوما. ودعوته وطريق دعوته يسير فيهما على هدى وعلى نور من ربه. ولذلك فإن ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ (النساء: ٨٠).

ويعمم الله سبحانه الحكم تعميما، ويطلقه إطلاقا فيقول سبحانه: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ (الحشر: ٧) ويقول الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ (النور: ٥٤).

واتباع الرسول ﷺ سبب في محبة الله تعالى لمن يتبعه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران: ٣١) إن حب العبد لله لا يفيد ما لم يتخذ العبد الوسيلة الناجحة لذلك، وهذه الوسيلة هي اتباع رسول الله ﷺ.

ولقد قال الله سبحانه وتعالى في حديث قدسي رواه الإمام البخاري: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه».

وهذه النوافل التي ذكرت في الحديث القدسي الشريف، والتي إذا أكثر الإنسان منها بعد أداء الفرائض أحبه الله، إنما هي سلوك رسول الله ﷺ، إنها طريق رسمه - صلوات الله عليه وسلامه- بقوله وبعمله، إنها سنته - صلوات الله وسلامه عليه- التي سنها، لينال الإنسان بها محبة الله سبحانه.

ولقد أحب الله سبحانه رسوله، وكان هذا الرسول ﷺ بعبوديته لله سبحانه حبيب الله. وبلغ الرسول - صلوات الله عليه وسلامه- بعبوديته التامة درجة أول المسلمين، وكان حبيب الله ونبيه ورسوله، ميزه الله سبحانه وتعالى على بقية البشر بكونه خيرهم، وهذا التمييز لا يخرجه - صلوات الله وسلامه عليه - عن البشرية فهو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بشر، وهو خير البشر، ومن أجل أنه خير البشر، يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣).

إن الإنسان الذي خصه الله بالوحي، واجتباه لرسالته، واصطفاه ليكون - باسمه سبحانه - بشيرا ونذيرا، إن هذا الإنسان الذي فضله الله على العالمين يجب أن نعرف له مكانته وننزله في الشرف الذي أنزله الله فيه.

إن هذا السراج المنير والرؤوف الرحيم ينبغي ألا يُدعى كما يُدعى زيد وعمر (بمعنى: لا تنادوه باسمه فتقولوا: يا محمد، ولا بكنيته فتقولوا: يا أبا القاسم، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم، بأن تقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، يا إمام المرسلين، يا رسول رب العالمين، يا خاتم النبيين، وغير ذلك) واستفيد من هذه الآية - كما يقول الشيخ الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين، أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم، لا في حياته، ولا بعد وفاته.

فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه ﷺ، فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة. ويقول الله سبحانه في أوائل سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ (الحجرات: ١) أي لا تتقدموا بأمر من الأمور، قولا كان أو فعلا، إلا إذا أذن الله ورسوله، وكل أمر، قولا كان أو فعلا، أتاه الإنسان من دون إذن الله ورسوله، فإنه لا يقع على السنن المستقيم، يقول الضحاك: «هو عام في القتال وشرائع الدين، أي لا تقطعوا أمرا من دون الله ورسوله» ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ (الحجرات: ١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ (الحجرات: ٢) فإنكم إذا فعلتم ذلك يخشى عليكم ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ (الحجرات: ٢)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ (الحجرات: ٣).

أما هؤلاء الذين أساءوا الأدب، فأخذوا ينادونك من وراء الحجرات مناداة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأعراب الأجلاف، في غلظة وفي جفاء فإنهم ناقصو العقول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ (الحجرات: ٤-٥) على أن مجرد الرغبة في الحديث إلى رسول الله ﷺ يحتاج تنفيذها إلى تقديم صدقة. يقول الله تعالى في سورة المجادلة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (المجادلة: ١٢) وتدل الآية الكريمة على أن ترك تقديم الصدقة فيه شيء، لأن من لم يجد الصدقة فإن موقف الله سبحانه منه- لعدم قدرته - المغفرة والرحمة، ولا تكون المغفرة والرحمة إلا على إثم أتاه الإنسان، وكان عدم توفر الاستطاعة سببا في مغفرة الله سبحانه.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ (المجادلة: ١٣).

وإذا حملكم خوف الفقر على ألا تفعلوا، وإذا قادكم الضعف الإنساني على ألا تنفذوا ذلك، ثم ندمتم واستغفرتم، فتداركوه حتى يتوب الله عليكم، وأثبتوا حسن نيتكم، وصفاء سريرتكم، بأن تقيموا الصلاة على الوجه الأكمل وتؤتوا الزكاة طيبة بها نفوسكم، وتطيعوا الله ورسوله في الصغير والكبير، وما من ريب في أن الله سبحانه خبير بكل ما تعملون. يقول الله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ (المجادلة: ١٣).

وبعد، فيقول رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

ويقول الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ (الاحزاب: ٤٥-٤٧) تلك هي مكانة الرسول ﷺ عند الله، فهل هي كذلك عند البشر؟

***

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسراء والمعراج

منهج الإيمان والحكمة في رحلة الحياة

العدد (٦٧) رجب (١٣٩٠ هـ) سبتمبر (١٩٧٠م).

أخرج الإمام أحمد والشيخان عن أنس عن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ، حدثهم عن ليلة أسري به، وكان مما قال في هذا الحديث الصحيح: أن جبريل عليه السلام شق عن صدره، واستخرج قلبه الشريف، ثم «أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة، فغسل قلبي، ثم حشي ثم أعيد».

وأخرج الشيخان من طريق يونس عن الزهري عن أنس قال:

كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فرج سقف بيتي وأنا في مكة فنزل جبرائيل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست ملئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري ثم أطبقه».

● **ثم بدأت الرحلة**

● **وكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ**، هو مشهد قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال النبي ﷺ: «يا جبرائيل ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه».

وأول مشهد إذن بعد امتلاء القلب حكمة وإيمانا، هو مشهد الجهاد، وما من شك، في أن القلب إذا امتلأ إيمانا وحكمة، فإن الجهاد يصبح في أوائل ما يحافظ عليه من شعارات

١- جهاد النفس لتتزكى، وتزكية النفس لا حد لها، والصفاء لا نهاية تحده. وكلما سما الإنسان في الصفاء درجة استشرف إلى أسمى منها.

وكلما سما قرب من الله أكثر، والقرب من الله لا نهاية له، وهذا القرب هو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غاية المؤمنين، ومن وقف منه عند حد معتقدا أن هذا هو نهاية المطاف فإن هذا يكون دليلا على أن همته ليست بهمة السابقين السباقين.

٢- وجهاد الأسرة حتى تستقيم، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ (التحريم: ٦).

ووقاية الأهل من النار، هو جهادهم حتى يستقيموا ويمتنعوا عن الوقوع في المعصية، فذلك هو وقايتهم من النار.

٣- وجهاد المجتمع ليكون مجتمعا مؤمنا، وهذا الجهاد عنصر هام من عناصر خيرية الأمة الإسلامية، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ (آل عمران: ١١٠)

ويقول سبحانه ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾(المائدة: ٧٨-٧٩) ورسول الله ﷺ يقول، فيما رواه الترمذي وأبوداود: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

ويقول صلوات الله وسلامه عليه في جهاد المجتمع: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

٤- ومن أسمى أنواع الجهاد جهاد العدو بالسلاح واللسان والمال، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ (الحجرات: ١٥).

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق».

ولقد أخرج الشيخان عن الصحابي الجليل، أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟

قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله».

ولقد اهتم الإسلام بأمر الجهاد بحيث جعله شعار كل مسلم، وأحاطه بعناية بالغة.

لقد بين الله سبحانه أن الاستئذان في التخلف عن الجهاد يتنافى مع الإيمان، بل يتعارض معه، بل ينتفي الإيمان عند التخلف مع القدرة.

يقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (التوبة: ٤٤-٤٥).

وموالاة الأعداء كفر، يقول سبحانه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (المجادلة: ٢٢).

ولقد وصل الأمر في عقاب التاركين للجهاد أن ينذرهم رسول الله ﷺ إنذارا شديدا، فعن أبي بكر ﷺ، فيما رواه الطبراني بإسناد حسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب».

وإذا انتهى الجهاد إلى الاستشهاد، فالمصير الجنة والقرب من الله، وفي القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة أروع وأجمل تصوير لمكانة الشهيد في الآخرة.

يحدث ابن كثير أن رسول الله ﷺ، لما رأى جابر بن عبدالله مهتما لاستشهاد أبيه في غزوة أحد قال له مطمئنا ومبشرا: «ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟، فقال جابر: قلت بلى، قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كفاحا (والكفاح المواجهة).

قال: سلني أعطك. قال: أسالك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب ﷻ: إنه قد سبق مني القول بأنهم إليها لايرجعون، قال: «أي رب فأبلغ من ورائي». (أي أبلغهم بهذه النعمة الكبرى التي يتقلب فيها الشهيد في الجنة)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧١).

فالشهيد سعيد باستشهاده، ويتمنى أن لو أعيد إلى الدنيا مرة أخرى، ليكون شهيدا من جديد. ومن الأحاديث أيضا أن حارثة بن سراقة قد استشهد في غزوة بدر فأتت أمه - وهى بنت البراء - رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ألا تحدثني عن حارثة، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، أجتهد عليه في البكاء؟ فقال ﷺ: «يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

هذا هو الجهاد الذي رأى رسول الله ﷺ، مشهده أول ما رأى من مشاهد بعد أن ملئ قلبه الشريف حكمة وإيمانا.

أما الآية الكريمة التي يقول عنها صاحب الكشاف: «ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية»، فهي ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ (التوبة: ١١١).

يقول صاحب الكشاف: ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية، لأنه أبرزه في صورة عقد عاقده رب العزة، وثَمنُه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط، بل إذا كانوا قاتلين أيضا لإعلاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كلمته، ونصر دينه.

وجعله مسجلا في الكتب السماوية وناهيك به من صك، وجعل وعده حقا ولا أحد أوفى من وعده فنسيئه أقوى من نقد غيره.

وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم، وهو استعارة تمثيلية، صور جهاد المؤمنين، وبذل أموالهم وأنفسهم فيه، وإثابة الله لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء.

وأتى بقوله: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ بيانا لمكان التسليم وهو المعركة وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «الجنة تحت ظلال السيوف»[١].

ثم أمضاه بقوله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ (يونس: ٦٤)

وبعد.. فإن منهج الإيمان والحكمة في حياة المؤمنين وفي رحلة الحياة يبدأ بالجهاد.

● **وأما المشهد الثاني الذي رآه ﷺ**، بعد مشهد المجاهدين فهو مشهد تاركي الصلاة يقول الحديث الشريف: «ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة».

وهذا المشهد يتناسق وينسجم مع مشهد آخر رآه رسول الله ﷺ فيما يراه النائم، يقول رسول الله ﷺ: «... فانطلقت فمررت على ملك وأمامه آدمي، وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمي، فيقع دماغه جانبا، وتقع الصخرة جانبا».

ولما سأل ﷺ عن ذلك، قيل له «أولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة، ويصلون الصلوات لغير مواقيتها، فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار».

والصلاة في الإسلام لها أهميتها الكبرى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، وفي باب: «الجنة تحت بارقة السيوف» عن عبد الله بن أبي أوفى.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولأهمية الصلاة في الجو الإسلامي كانت لها مقدمات منها الطهور، أي الوضوء، وقد قال عنه رسول الله ﷺ إنه شطر الإيمان، فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

ومن مقدمات الصلاة الأذان، ولقد كان للأذان مشهد في رحلة الإيمان والحكمة.

فقد روى زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخرجه ابن مردويه وأبو نعيم من طريق محمد ابن الحنفية «أن رسول الله ﷺ، شاهد فيما شاهده ملكا يخرج من وراء حجاب ويقول: الله أكبر، الله أكبر، فنودي من وراء حجاب: صدق عبدي أنا أكبر، فقال الملك أشهد أن لا إله إلا الله، فنودي من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا الله لا إله إلا أنا، فقال الملك: أشهد أن محمدًا رسول الله، فنودي من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أرسلت محمدًا رسولا، فقال الملك: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فنودي من وراء الحجاب: صدق عبدي، ودعا إليَّ عبادي، فقال رسول الله ﷺ: فيومئذ أكمل الله لي الشرف على النبيين والمرسلين والأولين والآخرين». وما من شك في أن كتب السنة، وكتب السيرة استفاضت في كيفية ابتداء المسلمين في التفكير في الإعلام بالصلاة، وأنهم تداولوا الأمر فيما بينهم واستقر الرأي على الأذان في صورته الراهنة، وذلك عن طريق رؤيا رآها صحابي جليل، وأيده فيها برؤيا أخرى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وعن بقية الصحابة أجمعين، ويكون الأذان إذن قد بشر به في الملأ الأعلى قبل إلهامه عن طريق الرؤى، في عالم المُلك.

هذا بعض مقدمات الصلاة إعلانا عن أهميتها.

وأهمية الصلاة آتية من أنها تذكر بالله، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يقول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سبحانه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الطبراني في الأوسط بإسناد لا بأس به، عن عبدالله بن قرط ﷺ «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله». وروى الأئمة مالك وأبوداود، والنسائي وابن حبان في صحيحه، عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة»، وفي رواية لأبي داود، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس صلوات افترضهن الله، من أحسن وضوءهن وصلَّاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه».

ومما لاشك فيه أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأنها بذلك تقرب من الله سبحانه وتعالى حتى لقد أطلق عليها الصالحون أنها معراج المؤمنين إلى الله، ومثل بعضهم القيام فيها بين يدي الله بالإسراء إلى بيت المقدس والركوع فيها بالعروج إلى السماء، والسجود فيها بالقرب من الله سبحانه وهو القائل ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ (العلق: ١٩)، ورسول الله ﷺ يقول: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

وينصح صلوات الله وسلامه عليه بالدعاء في السجود لمكانة القرب من الله سبحانه وتعالى، بيد أن الصلاة التي ثمرتها ذلك إنما هي الصلاة التي استكملت الشروط، وشروطها ذكرها القرآن في ثلاثة جوانب:

أ - إقامتها.

ب - المحافظة عليها.

جـ- الدوام عليها.

ومما قاله القرآن في وصفه المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ (الأنفال: ٢-٤) ويقول سبحانه (البقرة: ٢٣٨)، ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ (البقرة: ٢٣٨)، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (المعارج: ١٩-٢٣) وإقامة الصلاة، أداؤها على الوجه الكامل بقدر الاستطاعة، وذلك أنه حينما ينطق بتكبيرة الإحرام ويكون بذلك قد دخل في الصلاة فإنه يجب عليه أن ينفصل عن كل ما سوى الله سبحانه، أي ينفصل عن الأهل والمال والجاه والوظيفة، ينفصل عن كل ما يشغل كيانه عن الله سبحانه، وذلك تحقيق لقوله، الله أكبر، فمادام هو الأكبر - وقد نطق بذلك المصلي - فعليه أن ينصرف إليه وحده لا يشغله عنه دنيا ولا هوى، لا يشغله عنه المال والبنون.

والصلاة المقامة هي الصلاة التي استكملت الخشوع، يقول سبحانه ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ (المؤمنون: ١-٢)، الصلاة المقامة هي الصلاة التي يشعر فيها المصلي أنه بين يدي الله، ويشعر فيها بمعاني أم الكتاب التي لا تنفد معانيها، والتي تذكر الإنسان بحمد الله على نعمه، وبرحمة الله العامة الشاملة، وتذكره بيوم الحساب، وتعلمه أنه سبحانه مختص بالعبادة ومختص بالاستعانة ثم الدعاء بالهداية الذي يقول الله سبحانه وتعالى عند طلبه: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

ثم يركع متواضعا، والسجود منتهى التواضع، ومن أجل ذلك كان منتهى القرب من الله سبحانه وتعالى، أما المحافظة على الصلاة فإنها أداء الصلاة في أول الوقت، وأول الوقت رضوان الله، ووسطه رحمة الله، وآخره مغفرة الله.

أما الدوام على الصلاة، فإنه معنى من أجمل المعاني، إنه الاستمرار في جو الصلاة، في جو الصلة بالله، فالصلاة صلة بين العبد وربه، وهذه الصلة يجب أن تدوم سواء أكان الإنسان في الصلاة بالفعل أم لم يكن فيها واقعيا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فإذا أقام الإنسان الصلاة وحافظ عليها، وداوم على الشعور بجوها فإنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر وتقربه من الله سبحانه وتعالى. يقول الإمام القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: إن نبينا، عليه الصلاة والسلام، أتى للأمة بالمعراج على التحقيق، فإن الصلاة لنا بمنزلة المعراج، وقد كان المعراج له، عليه الصلاة والسلام، ثلاثة منازل من الحرم إلى المسجد الأقصى ثم إلى سدرة المنتهى ثم منها إلى قاب قوسين، فكذلك لنا الصلاة ثلاثة منازل، القيام، ثم الركوع، ثم السجود، وهي نهاية القرب قال الله تعالى ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ (العلق: ١٩).

وبعد، فإن الصلاة قد فرضت والرسول ﷺ أقرب ما يكون من ربه، إنها فرضت وهو في مقام قاب قوسين أو أدنى.

وهذا المقام ينتهي في فضل الله وفي كرمه بـ «أدنى» أي أدنى من «قاب قوسين» في هذا المقام أوحى الله إلى عبده ما أوحى، وكان فيما أوحاه سبحانه الصلاة التي جعلها صلة بين العبد وربه والتي جعلها مفزعا للعبد في كل ما أهمه، وقد كان رسول الله ﷺ كلما حزبه أمر يفزع إلى الصلاة.

● **أما المشهد الثالث الذي رآه** ﷺ في رحلة الإيمان والحكمة أو في منهج الإيمان والحكمة أو في حياة الحكمة والإيمان فهو مشهد يتعلق بالزكاة.

«ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقوم، ورضف جهنم وحجارتها، قال: ما هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا».

ولقد أخذت الزكاة، فيما بعد، الحظ الكافي من الاهتمام، ولكن موضوع المال على وجه العموم أخذ منذ ابتداء الإسلام وطيلة نزول الوحي حظا يتناسب مع مكانته في المجتمع، ومع صلته بالنفس صلة وثيقة من حيث توفيره لكل ما تطلبه الحياة من رغبات ضرورية كانت أو كمالية.

وقبل أن نتحدث عن نظرة الإسلام للمال على وجه العموم نتعجل فنذكر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مشاهد أخرى خاصة بالمال حتى نستكمل المشاهد الخاصة بالمال:

● الربـــا

أ- جاء في رواية أبي سعيد الخدري عن البيهقي وفي رواية أبي هريرة عن ابن أبي حاتم «. . . فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر، فيقول: اللهم لا تقم الساعة، وهم على سابلة آل فرعون، قال: فتجيء السابلة فتطؤهم، قال: فسمعتهم يضجون إلى الله، قال: قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء من أمتك ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

ب- أخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت ليلة أسري بى رجلا يسبح في نهر يلقم الحجارة، فسألت من هذا؟ فقيل لي: هذا آكل الربا».

جـ- «. . . قال ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط، يعرضون على النار لا يستطيعون أن يتحولوا من مكانهم ذلك، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء أكلة الربا».

د- ولقد مثل آكل الربا له ﷺ، في رؤية منامية على الوجه الآتي يقول: «فمضيت فإذا أنا بنهر من دم يفور كفوران المرجل، وعلى حافتي النهر ملائكة بأيديهم نار، كلما طلع طالع قذفوه بها، فيقع في فيه، فيشتعل إلى أسفل ذلك النهر».

فلما سأل ﷺ عن تفسير ذلك قيل له «أما النهر الذي رأيت يفور كفوران المرجل، فيه قوم عراة على حافة النهر فأولئك الذين أكلوا الربا فهم يعذبون به حتى يصيروا إلى النار»[1].

● آكل مال اليتيم

١- «. . . ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل، فتفتح أفواههم ويلقمون حجرا ثم يخرج من أسافلهم، فسمعتهم يضجون إلى الله قلت يا

---

(١) المعراج للقشيري ص ١٤.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جبرائيل: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ (النساء: ١٠) [(١)].

ب - قال: «ورأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل في أيديهم قطع من النار كالأنهار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت: من هؤلاء ياجبرائيل؟ فقال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما».

والآن نبدأ بإلقاء الضوء على موقف الإسلام بالنسبة للمال:

إنه أولا: ملك لله يمنحه سبحانه لمن يشاء في سعة أو في قلة حسبما تقتضيه حكمته، إنه ملك لله يستخلف عليه من يشاء من عباده، فالمالك في الإسلام مستخلف فيما يملك إذا كان يسمى المستخلف مالكا.

يقول سبحانه ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ (الحديد: ٧)

ويقول تعالى ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (النور: ٣٣)

إن المال مال الله، والعبد مستخلف فيه، والمالك لم يترك الأمر بدون قواعد، وإنما وضع القواعد الكثيرة، ونتحدث عن هذه القواعد دون ترتيب معين.

من هذه القواعد، أن هذا المال وإن كان لله، فإنه ليس حقا مشاعا لكل الناس، وإنما المالك يمنح من شاء ما شاء. ويحرم حرمة تامة أن يعتدي إنسان على آخر فيأخذ من المال بغير وجه حق.

وحرمة المال كحرمة النفس وحرمة العرض، ورسول الله ﷺ، يقول في خطبة الوداع «... إنما أموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، اللهم هل بلغت اللهم فاشهد».

ومن مات دون ماله فهو شهيد.

وآخذ المال بغير وجه حق يصل به الأمر إلى قطع يده.

وفي الصحيحين عن عروة عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ، في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟

---

(١) الخصائص ج١ ص ٩١٤ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ، فأتي بها رسول الله ﷺ، فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله ﷺ، فقال: «أتشفع في حد من حدود الله ﷻ» فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ومن القواعد الهامة، أن في المال حقوقا.. إن فيه الزكاة، والزكاة حارب عليها سيدنا أبو بكر ﷺ، يروي الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر ﷺ، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر ﷺ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»؟

فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتهم على منعه.

فقال عمر ﷺ: فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق» (متفق عليه).

ولكن الزكاة ليست هي الحق الوحيد في المال، فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ (الذاريات: ١٩).

ويقول سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥).

وهذه الآيات عامة هدفها إشعار المؤمنين بأن في المال- من أي نوع كان- حقا يجب أن يؤدى.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● وفي المال حق أداء الصدقة

يقول تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ (البقرة: ٢٦٥).

ويقول سبحانه ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ (البقرة: ٢٧١)

ويقول تعالى ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ (ابراهيم: ٣١).

ويقول سبحانه ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ (الحديد: ٧).

ومن القواعد قاعدة مزدوجة تتمثل في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ (الليل: ٥-٢١).

والجانب الأول من هذه القاعدة المزدوجة، أو الوجه المشرق منها هو أن من استجاب لله ورسوله في المال، فإن الله سبحانه وتعالى ييسره لليسرى، واليسرى هنا معنى من المعاني التي تتضمن الكثير من الخير، إنها تتضمن ما يعبر الله عنه بقوله ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (سبأ: ٣٩)

وتتضمن ما يعبر الله عنه بقوله ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ (البقرة: ٢٦١-٢٦٢).

أما الجانب الثاني من هذه القاعدة المزدوجة فإنه إنذار للبخيل بأن عاقبة بخله ستعود عليه وهو أن الله سيجعل خطواته كلها «عسرى» قلق نفساني وشح مادي، وقد عبر الله سبحانه عن بعض ذلك بقوله ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ (محمد: ٣٨).

وبعد، فإن من أجمل المشاهد التي رآها رسول الله ﷺ في رحلة الحكمة والإيمان، هذا المشهد الذي نختتم به هذا المقال.

أخرج ابن ماجه والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق يزيد ابن أبي مالك عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر، فقلت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟

قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة».



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اقرأ باسم ربك..

العدد (٦٩) رمضان ١٣٩٠هـ - نوفمبر ١٩٧٠م)

محاضرة ارتجلها الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر في الموسم الثقافي الذي أقامته وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في شهر رمضان الماضي نقلها وأعدها: عبد المعطي بيومي

آية من كتاب الله حددت موقف الإسلام من قضايا الفكر العالمية في صراحة وحزم وسمو. . وتضمنت رسالة الإسلام الشاملة عقائد وأخلاق وعبادات (قدمها في زهاء ساعة ونصف في عشية ليلة من ليالي الإشراق الروحي فضيلة الدكتور المحاضر في أسلوب سهل، راق رائق).

قال فضيلته: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا.

وبعد:

فإن موضوع هذا الحديث أول آية نزلت من القرآن الكريم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ (العلق : ١) والآية لها ألفاظ ولها جو وسنتحدث عن ألفاظها وعن جوها بقدر الطاقة البشرية مستعينين بالله متوكلين عليه.

● **القرآن والعلم:**

وأول ما يلاحظ أن تبتدئ الآية الكريمة بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ فهي من أول الأمر ولأول لحظة موجهة إلى الجانب العلمي، والواقع أن الأمة الإسلامية الآن في هذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النهضة لابد لها من العلم أساسا تقوم عليه فإذا انحرفت عن هذا الأساس فانها لا تقوم على أساس سليم ولا على أساس صحيح.

ومنذ البدء كان للإسلام حملة قوية في سبيل حث المسلمين على العلم، وان الآيات لتتوالى بعد ذلك حاثة على العلم،محبذة له، آمرة به: حتى ليصل الأمر فيما يتعلق بموقف الإسلام من العلم أن يتلمسه الرسول عليه الصلاة والسلام من ربه ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ (طه: ١١٤) و﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ شعار العالم المسلم الحق: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ في كل لحظة في كل ساعة.. في كل يوم، والشعار الإسلامي هو أن من استوى يوماه في الجانب العلمي فهو مغبون ومن لم يصل إلى زيادة في الجانب العلمي فهو إلى نقصان.

بل إن الأمر ليصل إلى أن الله سبحانه وتعالى يرفع العلماء إلى أسمى مرتبة إيمانية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ (آل عمران: ١٨) فقد شهد أولو العلم في هذه الآية الكريمة مع الله وملائكته التوحيد: شهدوا أن لا إله إلا هو، وشهادة التوحيد أسمى مراتب الإيمان، والواقع أن العلماء يصلون إلى هذه المرتبة لأنهم يرون من حكمة الله ما لا يراه غيرهم.. فعلماء التشريح يرون الإبداع المبدع لإتقان المتقن.. يرون هذه الحكمة الحكيمة في صنع الله سبحانه وتعالى فيخرون للأذقان سجدا له وحده، كذلك فإن علماء الفلك يرون هذه السعة الشاسعة في الكون كما يرون تنظيمه وتنسيقه ودقة جريان أفلاكه ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ (يس: ٤٠) يرون هذه الدقة فيخرون له موحدين في أسمى شعور أيماني.

نعم.. إنها قمة الإيمان: شهادة التوحيد تلك التي يشهدها العلماء مع الله والملائكة. وللإيمان منها مراتب منها أقول: لا اله إلا الله. أو أنطق: لا اله إلا الله. أو اقتنع: بأن لا إله إلا الله. أو أومن بأن لا إله إلا الله. أو أعتقد أن لا إله إلا الله وكل هذه المراتب هي دون المرتبة الأخيرة وهي أشهد أن لا إله إلا الله.

ولقد أعلن الله سبحانه وتعالى أن هذه المرتبة الأخيرة - شهادة التوحيد ينالها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلماء المقتدون بالله وملائكته في هذه الشهادة، ولن تجد في مجالات الآداب العالمية شرقية ولا غربية إشادة بالعلم أكبر من هذه الإشادة أو أسمى من هذه الإشادة.

وإذا قصرت الأمة الإسلامية في تحصيل العلم فهي مقصرة في تحصيل أسمى مراتب الإيمان وإذا قصرت في الجانب العملي فهي مقصرة في المنهج الذي دعا إليه سبحانه وتعالى وحثت عليه أول كلمة من القرآن «اقرأ».

● أي علم؟

ولكن ما هو العلم المقصود الذي دعا إليه سبحانه وأشاد به رسوله؟ إنه العلم على وجه العموم. العلم بالكون. العلم بالطبيعة. العلم بالفلك. العلم بالكيمياء. كما إنه العلم بالتفسير والفقه وبغير ذلك من علوم الدين.. إنه العلم على إطلاقه المطلق!

هذه الدعوة إلى العلم بين فيها رسول الله ﷺ قيمة العلماء أيضا، يقول عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقا يبتغي به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء.. وفضل العالم على العابد (وانظروا هنا التشبيه والقياس. فضل العالم على العابد لا يشبه رسول الله ﷺ ولا يقرن في التمثيل العالم وصاحب المنصب أو العالم والثري وإنما العالم والعابد) وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر..» هذه هي الدعوة الإسلامية إلى العلم.

● بدعة تعارض الدين مع العلم:

وهنا يأتي سؤال من أين هذه البدعة الشائعة التي يروجها كثير من الملاحدة عن تعارض الدين والعلم، هل يتأتى حقيقة - والأمر كذلك - أن يكون هناك تعارض بين الإسلام والعلم؟ ولنتبصر الأمر قليلا ما هو العلم الذي يقولون إنه متعارض مع الدين؟ إنه العلم بمعناه الحديث، وكلمة العلم بالمعنى الحديث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعني: القواعد والقوانين التي اتخذت أساسا لها التجربة والملاحظة. إذن العلم الذي يعنونه ميدان الكون.. الطبيعة.. العالم المحسوس.. عالم المادة.. ومادام الأمر كذلك فلا يتأتى مطلقا أن يكون هناك تعارض بين عالم الألوهية عالم الإيمان.. عالم الأخلاق.. عالم التوحيد.. عالم العقائد.. وبين العالم الذي مجاله محدود بالمادة والحس، فان دائرة الدين ودائرة المادة والحس مختلفتان، فلا يتأتى أن يكون هناك تعارض.. فكيف نشأت إذن فكرة التعارض بين الدين والعلم؟.

الواقع أنها لم تنشأ في ربوع الإسلام بل ولم تنشأ في الشرق وانما نشأت في أوروبا، والسبب بسيط ومعروف عند كل من درس تاريخ الفكر في أوروبا.

في يوم من الأيام في العصور الوسطى تبنت الكنيسة أراء أرسطو في الطبيعة وما وراء الطبيعة واتخذت هذه الآراء قاعدة ومقياسا ومقدسا من المقدسات وأرسطو شخصية بشرية تخطئ وتصيب فلما بدأت النهضة وقامت على أساس الملاحظة والتجربة بدأت ترى أن طبيعة أرسطو.. كيمياء أرسطو.. أخلاق أرسطو كل ذلك منهار، وبدأ العلماء يبرهنون على انهيار نظريات أرسطو في الطبيعة وغيرها وكان كل عالم يحاول الخروج على فكر أرسطو كانت الكنيسة تنكل به، تبعث به إلى السجن، تعذبه على أي وضع من الأوضاع، وكانت هناك محاكم التفتيش تنكل بكل من خرج على آراء أرسطو، و آراء ارسطو التي يمكن بسهولة هدمها والتي تنهار في يسر إنما هي الآراء في الطبيعة والكيمياء والفلك، ولم يكن عند أرسطو الوسائل التي تمكنه من الإجادة فيما يتعلق بعالم الكون، عالم المادة، عالم المحسوس، فأخفق في كل خطواته وكان انهياره في عصر النهضة تاما شاملا، ولكن العلماء لم يكفوا: كانوا يبرهنون على أخطاء أرسطو في عالم المادة. وشاعت فكرة التعارض بين الكنيسة والعلماء، وانتهت هذه الفكرة بأن صارت - بعد تحريفها- تعارضا بين الدين والعلم، وتناقلها الأوربيون، وأسبابها معروفة في أوروبا ثم كان هناك هؤلاء الببغاوات في الشرق الذين يريدون أن ينقلوا كل ما في الغرب إلى الشرق، والذين يعتقدون أن البيئة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشرقية هي البيئة الغربية تماما بتمام في جوها الفكري وفي جوها الروحي والإيماني.. وأخطأوا فليس هناك تعارض بين الدين والعلم وليس هناك تعارض بين العلم والإسلام على وجه الخصوص.

● **هدف القراءة في الإسلام:**

وننتهي بذلك من كلمة «أقرأ» ويأتي بعد ذلك ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، إنه لم يقل اقرأ وينهي الأمر وإنما قيدها، قيدها لا في مجالها ولا في موضوعها ولم يقيدها في السماء ولا في الأرض ولا فيما بينهما وإنما قيدها في النوايا.. في الأهداف والغايات، قيدها بأن تكون باسم ربك وقد يقرأ الإنسان ويقول: أقرا باسم المصلحة العامة وأكثر الناس يقرأون باسم المصلحة العامة، وقد يقرأ الإنسان باسم ملك أو باسم الوطن وهؤلاء جميعا يختلفون ويتعارضون وهم وإن اختلفوا وتعارضوا فانهم يقرأون جميعا باسم الوطن أو الملك أو المصلحة العامة أو إلى غير ذلك من الأمور، وليست هذه هي القراءة الإسلامية إن القراءة في الإسلام لا تكون باسم المصلحة شخصية أو عامة، وإنما يجب أن تكون القراءة باسم ربك.

● **«اقرأ» رمز لكل عمل:**

وكلمة القراءة هنا رمز فلا يعني القرآن أبدا في «اقرأ باسم ربك» القراءة وحسب، وإنما يعني بـ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ رمزا لكل ما يمكن عمله في الحياة، اعمل باسم ربك، قم باسم ربك، تحرك باسم ربك، نم باسم ربك، لتكن حياتك حركة وسكونا قولا وعملا فعلا وتركا ليكن كل ذلك باسم ربك والآية التي نفسر ذلك بعض التفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣) فالصلاة والنسك والحياة بأكملها بل والممات أيضا لله رب العالمين، يجب أن يكون كل ذلك لله رب العالمين وفي سبيل الله رب العالمين أو يجب أن يكون كل ذلك «باسم ربك».

ومهما تعددت أنواع الأعمال في الحياة ومهما تعددت أصناف الأقوال فالمسلم مادام قد دخل في الإسلام ومادام قد عقد مع الله بيعة الإيمان فإن حياته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كلها يجب أن تكون باسمه تعالى. فـ«اقرأ» رمز إذن . . تعلم أو اعمل أو امتنع عن العمل، وإذا عملت فيجب أن يكون عملك باسم ربك وإذا امتنعت عن العمل فلا بد أن يكون الامتناع أيضا باسم ربك.

وإذا كانت اقرأ في جانب الإيجاب وإذا كانت ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ في جانب الإيجاب أيضا فإن هناك آيات في جانب السلب مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ (الأنعام: ١٢١) وكل ما لم يذكر اسم الله عليه فإنه فسق.

الإيجاب والسلب الحركة والسكون والأقوال والأعمال والصمت كل ذلك يجب أن يكون باسم ربك. . ونأتي بعد ذلك إلى ﴿اسْمُ رَبِّكَ﴾

● التربية الآلهية في إطار الإسلام:

كنا نعتقد أن تأتي أول كلمة في القرآن قائلة باسم ربك «الله» لأن كلمة الله هي الكلمة التي تنطوي على كل الأسماء والصفات الإلهية إنها الكلمة التي تتضمن جميع المعاني، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يقل اقرأ باسم الله وإنما قال: اقرأ باسم ربك، ولم يعبر الله سبحانه وتعالى بـ«ربك» مصادفة أو اعتباطا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأعمال الله سبحانه وتعالى أعمال حكيمة والمعنى هنا: اقرأ باسم المربي أو اقرأ باسم التربية الإلهية: إذا دخَلتَ في هذا النظام الذي يسمى الإسلام فوطن نفسك منذ البدء على أن تكون قراءتك وحياتك في إطار التربية الإلهية فإذا خرجت عن إطار التربية الإلهية فقد خرجت عن هذا النظام، اقرأ في إطار التربية الإلهية إيجابا أو سلبا، اقرأ في إطار التربية الإلهية قولا وعملا وحركة وسكونا، فإذا لم تفعل ذلك فلست داخلا أبدا في نطاق هذا النظام. . الإسلام.

● كيف تكون الثقافة باسم ربك؟

ونحن الآن في خضم من الثقافات الوافدة من الغزو الفكري كيف تكون القراءة باسم ربك؟ والواقع أن الإسلام فرق منذ البدء بين أمرين وأوجب أن تكون هذه التفرقة ظاهرة بين أعين المصلحين في الأمة الإسلامية: فرق بين مجال المادة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكيمياء والطبيعة والفلك إلى آخر هذه النواحي، وبين مجال الثقافة النظرية البحتة، الثقافة التي تتصل بما وراء الطبيعة والأخلاق.

أما فيما يتعلق بالمادة: بناحية الحس، بغزو الفضاء، بالصواريخ، بالذهاب إلى القمر، بكل ما يتعلق بهذا الكون المادي بأرضه في أعماقها، ببحاره في أغوارها، بسمائه في فضائها الشاسع، بسمواته بالكواكب: فإن القرآن والإسلام أوجب علينا وجوبا أن نسخر كل ذلك. والله سبحانه وتعالى قد امتن علينا أن سخر لنا الأرض والكواكب والقمر فذكر كل ذلك صراحة وسخر لنا ما بين السموات والأرض فإذا أردنا الاستجابة لله سبحانه وتعالى فيجب أن نكون أول المسخرين للأرض والسماء وما بينهما من الشمس والقمر، يجب أن نكون من أوائل أو من أئمة الذين يكتشفون كل ذلك ويسيطرون على كل ذلك وإن نحن تأخرنا في جانب من هذه الجوانب فنحن آثمون دينيا ووطنية وعروبة وإسلاما وآثمون في حق أنفسنا باعتبارنا أمة من الأمم أو جنسا من الأجناس. هذا الجانب أوجبه الله سبحانه وتعالى وسماه المسلمون تسمية جميلة سموه «اكتشاف نواميس الله في الكون» وبينما الإسلام يوجب هذا الجانب فإنه يقف موقفا حاسما من الثقافة النظرية الدخيلة وفي هذا المجال يمكننا أن نذكر بعض القصص.

رأى رسول الله ﷺ سيدنا عمر ﷺ يقرأ في صحيفة من التوراة فقال له ما هذا يا عمر؟ قال إنها صحيفة من التوراة، وإذا برسول الله ﷺ ينفعل ويخاطب سيدنا عمر بلهجة ليست هي لهجة الود المألوفة بين الرسول وعمر بل يقول له منتهرا: «أتتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ (يعني أتتشكون فيها في ملتكم ودينكم في شريعتكم؟)، والله لو كان موسى حيا لما حل له إلا اتباعي» مالكم تذهبون إلى التوراة أو إلى غير التوراة من الكتب وعندكم كتاب الله ويطيع سيدنا عمر مستجيبا لما حثه عليه رسول الله قائلا: «رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا».

وينتهي الأمر فيما يتعلق بالتوراة. وهناك صورة أخرى: حدث أن بعض الصحابة كانوا مع اليهود وهم يقرأون التوراة فتخشع الصحابة.. تقول الرواية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تخشع الصحابة أي خشعوا معتقدين أن التوراة - في أساسها- كتاب منزل من الله وإن كان قد حدث له تغيير أو تبديل فلم يحدث له ذلك في جملته.

وعلم الرسول ﷺ بذلك بمجرد تخشع صحابته لسماع التوراة فقرأ على الصحابة معاتبا ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ (العنكبوت: ٥١) ما بالهم يتخشعون للتوراة وعندهم كتاب الله سبحانه وتعالى؟ وينتهي الأمر بالصحابة إلى أن لا يفعلوا مرة أخرى مثل ذلك فإن الرسالة الإسلامية لها ذاتية معينة فإذا فقدت هذه الذاتية وانماعت في الثقافة والأمم الأخرى فان الأمة الإسلامية لا يصبح لها مبرر لوجودها لأن مبرر الوجود للأمة الإسلامية هي رسالتها وذاتية هذه الرسالة.

هذا هو الرسول ﷺ يبرهن للصحابة أن هدايتهم في رسالتهم وإن بقاءهم ووجودهم مرتهن ببقاء الرسالة فيجب ألا يكون هناك ما يلوث هذه الرسالة من قريب أو من بعيد حتى ولو كان توراة أو كان إنجيلا. يجب علينا أن نكون في إطار هذه التعاليم: اقرأ باسم ربك.. لا باسم أفلاطون ولا أرسطو ولا ديكارت ولا داروين ولا كارل ماركس وإنما باسم ربك.

● **تقييم الثقافة البشرية العقلية:**

هذه الثقافة البشرية الغازية ما وضعها في حقيقة الأمر؟! وحين نحاول أن نحدد وضعها في حقيقة لن نلجأ إلى رأينا الشخصي بل إلى حقائق التاريخ والواقع.

أما وضعها الحقيقي فهي متغيرة لا ثبات لها وفي كل يوم هناك «مُودة من المُودات» وكأي «مُوْدَة» تنشأ وتتطور وتعم ثم تأخذ في التقلص وتنتهي ليحل محلها «مودة» أخرى وتيار آخر وموجة أخرى، وكل شخصية من الشخصيات التي أثرت في التاريخ لها دور يبدأ وينتهي ولنأخذ مثلا شخصية من الشخصيات، لا نأخذها هي بالذات وإنما نأخذها كمثال، هناك مثلا (أوجست كونت) مؤسس علم الاجتماع أو الفيلسوف الأكبر في عهده فيما يتعلق بعلم الاجتماع، كادت فرنسا أن تؤلهه وكادت أوروبا جميعها أن تقدسه ثم لم يمض إلا قليل حتى انتهى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أوجست كونت وأصبحت آراؤه مجموعة من خرافات العهد الماضي لا قيمة لها في العهد الحاضر وكل شخصية على هذا المثل تنشأ وتتطور وتعم وينتهي الأمر بأن تندثر وتنهار وتزول وإذا أردنا أن نقول الحقيقة الخالصة فإنا نقولها، وعلى أرض صلبة: هذه الثقافة البشرية الغربية هي مجرد سوفسطائية.

حقيقة، إنهم يفرقون بين شخصيات كالسوفسطائية وبين شخصيات كديكارت مثلا لكن في حقيقة الأمر فإن هذه التفرقة ليست على أساس سليم. لماذا؟ لأنه - وهذه نقطة من أهم النقاط - في مجال الثقافة النظرية ليس هناك مقياس للحقيقة والخطأ، للصواب والوهم، للباطل والصدق، لقد حاول العلماء منذ العصر اليوناني إلى الآن أيجاد هذا المقياس فلم يمكنهم إيجاد المقياس العقلي للثقافة العقلية، المقياس الذي يفرق بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ لم يوجد للآن، حاول أرسطو إيجاده فيما سموه بالمنطق فلم يفلح وأخفق المنطق إخفاقا كاملا وقد حاول ديكارت إيجاده فأخفق.

ولقد أعلن ديكارت يوما أنه وجد المقياس وأشادت أوروبا بديكارت لأنه عثر على مقياس الحقيقة وأعلن ديكارت أيضا أنه سيؤلف مذهبا في الطبيعة وفيما وراء الطبيعة وسيؤلفه على هذا المقياس الذي وجده، وألف ديكارت مذهبه في الطبيعة وقبل أن تنتهي حياة ديكارت أعلن العلماء أن مذهب ديكارت في الطبيعة باطل.

وهكذا بقيت هذه الثقافة العقلية للآن في جميع أدوارها وعصورها ثقافة ظنية وكلما جاءت أمة لعنت أختها ولو كان في هذه الثقافة العقلية يقين لظهر ولو في موضوع واحد وتصوروا أن جميع قضايا الثقافة العقلية منذ أن نشأت في العصر اليوناني حتى الآن ليس فيها قضية واحدة اتفق عليها، وهذا شيء بديهي معروف ولكن هذا التعميم الذي أعممه قد لا يكون واضحا عند بعض العقول ولكنه شيء بديهي معروف عند مؤرخي الفكر.

● **الفلسفة لا رأي لها:**

ويمكن أن نقول ونحن من الصدق بمكان أن الفلسفة - والفلسفة هي قضايا عقلية بحتة - لا رأي لها في أي موضوع من الموضوعات ولا في أي قضية من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القضايا لأن كل موضوع من الموضوعات فيه رأيان أو عدة آراء فهناك في كل موضوع المنكر له والمثبت، فليس هناك موضوع واحد في قضايا الفلسفة أو فيما وراء الطبيعة والأخلاق إلا وفيه الرأي المثبت والرأي المنكر فالفلسفة في حقيقة أمرها لا رأي لها.

ومن أجل ذلك لا تطور فيها ولا تقدم بخلاف العلم المادي القائم على الأسس المادية لأن هناك التجربة التي تفرق بين الخطأ والصواب ومن أجل ذلك فإن كل عالم يأتي يبني على ما سبق إليه من سبقه، أما الفلاسفة فكل فيلسوف يأتي يهدم ما قبله من آراء ويبني آراء جديدة وهي من أجل ذلك لا تتطور، والفلاسفة أنفسهم هؤلاء الذين يبحثون فيما وراء الطبيعة والأخلاق يؤمنون بأن آراءهم ظنية لا ثبات لها.

وكل هذا يهدينا ويرشدنا إلى أنه يجب أن نقرأ باسم ربك، يجب أن تكون أخلاقنا وتشريعنا في إطار التربية الإلهية ومن هنا كانت الحكمة في عدم التعبير بـ «اقرأ باسم الله» والتعبير بـ«اقرأ باسم ربك» ونأتي الآن إلى قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

● **لماذا نقرأ باسم ربك:**

ويمكن أن يتساءل الإنسان.. ما هي الضرورة التي توجب أن أقرأ باسم ربي لا أقرأ باسم أفلاطون أو أرسطو وتأتي كلمة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ كبرهان طويل عريض على ضرورة القراءة باسم ربك.. باسم الذي خلق والذي سوَّى والذي نسق كل خلية فيك ورتب كل ذرة في جسمك، اقرأ باسم الأعرف بك والأعرف بما يتناسب معك وهو الذي وضع لك هذه التربية، وهذا الذي خلق، تربية ليست تربية من لا يعرفك وإنما هي تربية الذي رتب وسوى ونسق فهو أعرف بك منك وأعرف بما يتناسب معك.

وهكذا فان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ هي البرهان الذي يحسم الأمر في أن لا يقرأ باسم أفلاطون وأرسطو لأنهم بعيدون عنك بل هم بشر من البشر يخطئون ويصيبون ولكن ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ لا يتأتى أن يخطئ سبحانه وتعالى.. هذا هو الجو الذي نأخذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من الألفاظ . .

● الصدق هو الجو العام:

ونأتي بعد ذلك إلي الجو العام للآية أي أننا لن نتجه هنا إلي الألفاظ لفظا لفظا وانما نتجه إلي الآية بشكل عام لنتعرف على جوها العام.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ إنها بدهيا تحمل الصدق في نفسها لا تحتاج مطلقا إلي مناقشة ولا مماراة فيما يتعلق بالصدق، يدعوك إلى أن تقرأ باسم ربك وإلى أن تتجرد لربك، لا يدعوك باسمه ولا باسم مصلحة وإنما يدعوك وقد تجرد من كل هذه النوازع المادية والنفسية وهو يدعوك أن تتجرد لله سبحانه وتعالى هذه الدعوة لا يمكن أن تكون خطأ لأنه ما الصواب حينئذ؟ إنها مجرد دعوة إلى أن تتجرد لله سبحانه وتعالى في حياتك ومن أجل ذلك فحين سمعها لأول وهلة وَرَقَةُ بن نوفل قال: هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى وآمن بها من غير دليل لأن الجو العام يفضي إلى الصدق ويهدي إلى الحق ولا يمكن أن يتخلله باطل أو يغشاه كذب.

فالصدق إذن هو جو الآية الكريمة، الصدق أينما كانت وكنا؛ شرقا أو غربا قديما أو حديثا لا يتغير جو الآية بحسب الزمان أو بحسب المكان لا يمكن لمؤمن أيا كان أن يقول إن هذه الآية فيها كذب أو شبهة كذب وهي حين تحمل الصدق في نفسها تعتبر مرادفة لكلمة أخرى لا تحتمل إلا الصدق أيضا تلك الكلمة هي: «الإسلام»، الكلمة التي هي عنوان لهذا الدين فهي تحمل الصدق في نفسها لأنها تعبير موجز لقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وهذه تعبير موجز لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ (الأنعام: ١٦٣).

ذلك أن معنى الإسلام أن تستسلم لله سبحانه وتعالى، أن توطد نفسك على أن تكون في إطار التربية الإلهية.

إسلام . . اقرأ باسم ربك . . وتوحيد أيضا . . يتفق كل ذلك ويتطابق مع كلمة الدين، الخضوع لله، الاستسلام له، فالإسلام تسليم مطلق، سئل رسول الله ﷺ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما هو؟ فقال: أن يسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، فإن يسلم لله قلبك، هذا هو معنى اقرأ باسم ربك وهذا هو الدين وهذا هو: قل أن صلاتي ونسكي. الخ.

والواقع أننا منذ المبدأ مباشرة في جو من الصدق إذا تدبره الإنسان فلا يتأتى الشك فيه أو المماراة.

• مسألة وجود الله في الإسلام:

وإذا كان الصدق جوا من أجواء الآية فهناك جو آخر ذلك أننا كنا ننتظر أيضا أن تبدأ الرسالة بالاستدلال على وجود الله ولكن الرسالة الإسلامية لم تبدأ بالاستدلال على وجود الله وإنما بدأت بأن افترضت سبحانه وتعالى موجودا لاشك في ذلك، وأما المشكلة الكبرى أو المهمة الأساسية للدين فهي أن تقرأ باسم ربك؛ أي أن تكون حياتك في إطار التربية الإلهية.

ومسألة وجود الله سبحانه وتعالى مسألة لم توجد قط قبل العهد اليوناني وقد كانت البشرية قبل العهد اليوناني لا تنكر وجود الله ولا تلحد فيه بل كانت بالعكس تعتقد في أكثر من إله. نزل آدم عليه السلام بالتوحيد الخالص وانحرفت الإنسانية لا إلى الإنكار بل إلى التعدد فلما عم الإنكار وأوشك أن يعم نزل رسول مبشر بالتوحيد، وكل رسول كان مبشرا بالتوحيد وحينما تنتهي الحياة بالرسول يبدأ الانحراف في الإنسانية لا بإنكار وجود الله بل بالاعتقاد في أكثر من إله فينزل رسول ثالث وحكمة إرسال الرسل كانت في أساسها التبشير بالتوحيد وحينما تتصفح التوراة لا نجد فيها - حتى على وضعها الراهن - إثبات وجود الله كهدف من الأهداف فلم يكن وجود الله مشكلة حتى يكون إثبات له ثم جاءت قبل المسيحية الفلسفة اليونانية وحينما جاءت الفلسفة اليونانية كان الدين الذي عليه اليونان دينا خرافيا أسطوريا وذلك معروف ونشأ في هذه الفترة اليونانية القديمة كثير من الناس لم يرضوا بهذا الدين دينا فحاولوا أن يكونوا لأنفسهم دينا فبدأوا عقليا بإثبات وجود الله وجاءت المسيحية محررة منظمة للأمر ذاهبة إلى وضعها الصحيح وتركت خرافة أو أسطورة أو بدعة إثبات وجود الله وليس في الإنجيل محاولة من قرب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا من بعد فيما يتعلق بإثبات وجود الله، ولكن العقلية اليونانية التي أضرت بالبشرية كلها والتي سارت مع أديانها دائما منحرفة بها إلى الوضع البشري بدل أن تتبع هذا السمو الذي أحبه الله للإنسانية بقوانينه وقواعده كانت العقلية اليونانية تنحرف بالإنسانية إلى أن تتلوث أفكارها بالبشرية بالعقلية البشرية الغير معصومة والتي تخطئ وتصيب وقد انحرفت المسيحية إلى الوضع الذي أصبحت فيها مسألة وجود الله مشكلة يجب الاستدلال عليها.

وجاء القرآن وذهب بالإنسانية إلى الوضع الصحيح مسألة وجود الله فهي مسألة فطرية وليست من مسائل المناقشة أو الجدل أو الاستدلال بل إن وجود الله في القرآن من القداسة بحيث لا يوضع موضع الجدل ولا موضع المناقشة ولا موضع الاستدلال، ليس هناك هدف في القرآن هو إثبات وجود الله، هناك مثلا هدف في القرآن هو إثبات رسالة الرسول ﷺ، إثبات صدق الرسول ﷺ ، وهناك آيات كثيرة بهذا الصدد وآيات كثيرة في إثبات التوحيد صراحة أو ضمنا وبكل وسيلة من وسائل الإثبات تلك أهداف من أهداف القرآن لكن تجرَّد القرآن تماما من هدف إثبات وجود الله إذ لا يتأتى مطلقا أن يضع الله نفسه مسألة وجوده موضع استدلال لأن الاتجاه إلى الاستدلال ينطوي في ثناياه على أن الأمر الآخر - وهو الإنكار - محتمل، ولا يتأتى أن يضع الله مجرد وجوده لا صفة من صفاته موضع مناقشة واستدلال للأخذ والرد ومن أجل ذلك لم يكن هناك في أول آية نزلت من القرآن محاولة لهذا الإثبات.

ثم حينما بدأ الرسول ﷺ يعلن الإسلام ويجهر به لم يبدأ بإثبات وجود الله وإنما بدأ بالأسلوب الصحيح القويم.. التحدي بصدقه.. إثبات أنه صادق، هل عهدتم علي كذبا؟ أعلنوا جميعا أنهم لم يعهدوا عليه من كذب قط، وأنه كان صادقا طول حياته. وكان من المنطق حين أعلنوا عن صدقه أن يؤمنوا بما جاء به لكنهم لم يؤمنوا لأسباب كثيرة تحدث عنها القرآن منها مثلا : التنافس القبلي. الرسول ﷺ لم يحاول إثبات وجود الله، ولكن من الغريب أيضا أنك إذا تصفحت العهد المكي لا تجد سؤالا وُجِّه لرسول الله ﷺ عن إثبات وجود الله ولا تجد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرسول ﷺ يتحدث عن هذا الإثبات وإذا انتقلنا إلى عهد سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لا نجد المسألة تطرح على بساط البحث وإذا سرنا إلى عهد الأمويين حتى عند نشوء المعتزلة في آخر عهد الأمويين والمعتزلة سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، عدل الله وتوحيد الله لم يدر في خلدهم مسألة إثبات وجود الله وهكذا الأمر إلى عهد المأمون، في هذه الفترة - من بدء الإسلام حتى عهد المأمون - لم يدر أبدا نقاش ولا جدل ولا حديث عن مسألة وجود الله إثباتا ولا إنكارا وإنما القضية مسلمة في كل هذه الأجواء وفي كل هذه العهود.

في عهد المأمون ترجمت الفلسفة اليونانية ولمَّا ترجمت الفلسفة اليونانية ترجمت بكل ما فيها من أضاليل وبكل ما فيها من أوهام وانحرافات وقد انحرفت الأمة اليونانية في الفن وانحرفت في الأدب والفلسفة والفكر وانحرفت في كل المجالات التي تحدثت عنها وخاضت فيها وهذا الانحراف هو الذي أثر على الأمم في مجال التاريخ الواسع لأنها انحرفت إلى البشرية، والإنسان ميال بطبيعته إلى أن يحقق بشريته التي تخطئ وتصيب وتهتدي وتضل، وليس ذلك بالأمر الصعب على الإنسان بل إن الإنسان يندفع بغريزته إلى أن يحقق بشريته، وما أتت الأديان إلا لترتفع بالإنسان إلى درجة من الدرجات الإيمانية التي يحبها الله ويحبها رسوله.

ترجمت الفلسفة اليونانية في عهد المأمون كما قلنا وكان المسلمون قبل ذلك يرون أن هذا الذي يترجم إن كان في مجال العقائد حقا فعندنا ما هو أحق منه وهو عقيدتنا بالأسلوب القرآني، فقرآننا بأسلوب عربي مبين، هو الأسلوب الإلهي الدقيق في نضرته في صفائه في قوته في دقته مالنا وللبشر الآخرين في البيئات والأديان الأخرى نترجم ثقافتهم في العقائد وهل عندنا نقص في هذا المجال؟ كان ذلك شعور المسلمين وكان الأمر كذلك في مجال الأخلاق فعندنا مصدران.. الكتاب والسنة وإن كانت الأخلاق الواردة حقا فعندنا ما هو أحق منها وإن كانت باطلا فنحن في غنى عن هذا الباطل.

وتحدى المأمون شعور المسلمين الأتقياء تحداهم في صراحة، وأمر بترجمة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الثقافة اليونانية في غثها وسمينها في خطئها وفائدتها في انحرافها وعدم انحرافها وأتت مع هذه الثقافة فكرة إثبات وجود الله.. هذه الثقافة كان من الممكن أن تكون محدودة لولا أن الأمراء في عهد المأمون حاولوا التقرب إليه، ومن وسائل التقرب أن يكونوا مع هوى المأمون، وهواه في ترجمة هذه الثقافة وبذلوا هم الآخرون الأموال في ترجمتها. الأثرياء حاولوا كذلك التقرب إليه بهذه الترجمة فبذلوا هم الآخرون أموالهم في هذا السبيل كما حاول المثقفون نفس الشيء فأقبلوا على تعلم الثقافة اليونانية وتعليمها وشاعت الثقافة اليونانية. وبدأت ينفر منها المسلمون الأتقياء وبدأت كأنها ليست لها شرعية الإقامة ولكنها أخذت تتخذ مظهر الشرعية في الإقامة وأقامت واحتلت أرض المسلمين وأذهانهم وعقولهم وبدأت مسألة وجود الله معها تتخذ مظهر المشكلة بل انتهى بها الأمر إلى أن أصبحت المسألة الأولى في علم الكلام الإسلامي مع أنها بدعة يجب أن تزول من الجو.

● **علاج الملحدين :**

هناك من يتساءل عن الملحدين كيف نناقشهم والواقع أن الملحد لا يؤمن بالمناقشة بل هو الذي يحاول أن يجرك إليه. أن يجعلك من الملحدين ما استطاع إلى ذلك فإن الملحدين في أغلبهم الأعم طائفة مأجورة تنطق باسم الأجر الذي تأخذه وإذا لم يمكن أن يتخلى عن أجره إذن لا يتخلى عن فكرته ولو ظهر له الحق.

ولكن ما هو الحل الإسلامي لموضوع الملحد؟ الواقع أن هناك مقدسات في كل دولة، مثلا أمريكا من مقدساتها الرأسمالية وكل دعوة إلى الشيوعية في عرف أمريكا تذهب بصاحبها إلى السجن والتنكيل، وروسيا من مقدساتها الشيوعية وكل دعوة إلى الرأسمالية في روسيا تذهب بصاحبها إلى التنكيل والتعذيب والسجن. للدول مقدسات وأقدس مقدسات الدولة الإسلامية هو الإيمان بالله ويجب على الأقل أن يكون لنا في القانون ما يشبه ما في قوانين أمريكا وروسيا فيما يتعلق بمقدساتها، أما الحل الإسلامي في نفسه فهو أن الملحد مرتد يستتاب وإلا قتل ولتنفذ هذه الفكرة في شخص واحد في قطر فسوف لا تجد في هذا القطر ملحدا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واحدا وإذا نفذ نظام الإسلام كان ذلك هو الحل الوحيد لأزمة - إن كان هناك أزمة - الانحراف الإلحادي في الأمة الإسلامية.

● **موقفنا من الثقافة الغربية:**

والسؤال الأخير الذي أسأله وأجيب عليه لننتهي من هذه المحاضرة هو ما قد يقوله قائل: **ماذا نفعل بهذه الثقافة الغربية، أنتركها تركا باتا لا نتفهمها ولا نعقلها ولا نبحث فيها، أننعزل عن هذا العالم؟**

وهذا ما لا أدعو إليه ولا أقول به إنما الذي أريده من المسلمين أن يأخذوا هذه الثقافة بمأخذها الواقعي الصحيح أي أنها ثقافة بشرية ثقافة معارضة بالثقافات الأخرى البشرية في البيئات الغربية أيضا، إنها ثقافة لا نسبة لها إلى الصدق إلا كنسبة الرأي المعارض، ومن أجل ذلك كانت كلها منذ أن وجدت إلى الآن ظنية وليس فيها مسألة عقلية واحدة يمكن إثباتها في يقين، **ولقد كان منهج الإمام الغزالي في تحدي الفلاسفة منهجا من أقوى المناهج: إنكم تقولون بالعقل، وتثبتون بالعقل وها أنذا أجعل جميع آرائكم منهارة بالعقل نفسه وليس منطقي بأقل من منطقكم بل ربما يكون أقوى.** وهدم الإمام الغزالي جميع آراء الفلاسفة بالعقل نفسه الذي برهن به الفلاسفة على جميع آرائهم .. إذا أخذناها على هذا الوضع فليس هناك من بأس من أن نعبث فيها إذا شئنا أن نعبث في يوم من الأيام.

والوضع الصحيح أن يكون المنبع الوحيد لثقافتنا لأخلاقنا لتشريعنا لعقائدنا هو ما أحبه الله ورسوله: القرآن والسنة ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١).



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نشر السنة

واجب ديني وإصلاح خلقي واجتماعي

العدد (٨٨) ربيع الآخر (١٣٩٢هـ) - مايو (١٩٧٢م).

في لقاء لمجلة منبر الإسلام القاهرية مع الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشؤون الأزهر دار الحديث فيه حول السنة النبوية ومكانتها ودورها التشريعي والإصلاحي قال فضيلته: إن السنة دعوة بالحسنى إلى الرقي الأخلاقي الذي تجري وراءه الإنسانية المهذبة.

إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صدوقا فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء.. وإلى العامل أن يتقن عمله «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» وإلى الصانع أن يؤدي العمل كما يجب حيث أخذ الأجر، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل.

وهي دعوة إلى الأب باعتباره أبا، وإلى الأم في وضع أمومتها، وإلى الأخ في مهمة أخوته، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع، أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته، لأنه مسؤول عن رعيته يقول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع وككم مسؤول عن رعيته».

وهي دعوة للناس إلى الأمانة حيث إنه لا إيمان لمن لا أمانة له، وإلى الصدق، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، ويقول ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا». وهي دعوة الى الرحمة العامة الشاملة.. وصلوات الله وسلامه على من قال: «إنما أنا رحمة مهداة» ومن قال: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» ومن قال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله». وخذ أي خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع فسترى في السُّنة دعوة إليه بوسيلة وبأخرى وبثالثة.. خذ مثلا ترابط المجتمع وتضامنه فستجد قوله ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم: فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».

وقوله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وهى في هذه الدعوة تنبه دائما إلى دور الأمة الإسلامية في الأخلاق العالمية.. إن دورها إنما هو دور الرائدة الراعية، وعلى الرائد دائما ان يكون المثل الأعلى، والأسوة الكريمة، والقدوة الصالحة.. ورسول الله ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» وفى رواية أخرى: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق».

ومن قوله المعبر صلوات الله وسلامه عليه: «إن من أحبكم إلي وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا».

ولقد كان رسول الله ﷺ الصورة الحية الناطقة التي طبقت ـ كمبادئ إنسانية ممكنة ـ الخلق الذي رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء والذي عبرت عنه السُّنة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أجمل تعبير وأبلغه.

قد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟.. قالت، كان خلق رسول الله ﷺ القرآن.. ثم قالت: أتقرأ سورة المؤمنون اقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ (المؤمنون: ١-١١). قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

ومن أجل هذا التقدير الكريم للسُّنة الشريفة، كان العلماء المستنيرون في كل عصر يجاهدون من أجلها ومن أجل مكارم الأخلاق التي تعبر عنها. وكان هؤلاء العلماء علماء السُّنة يعرفون بسيماهم. فقد كانوا من الزهد في حطام الدنيا بحيث لا ينازعون الناس في دنياهم.

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾ (آل عمران: ٢٦ - ٢٧).

وكانوا صادقين، وقد كان الصدق دينهم.. فطرتهم مهما نالهم في سبيله من أذى وكانوا صابرين على الحياة، وصابرين على العمل.

لقد أقاموا نهارهم وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله ورسوله ﷺ.

والمثل الذي نحب أن نسوقه ـ كصورة لهؤلاء القوم ـ هو الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، إنه المحدث الذي حاول أن يكون صورة صادقة لما كان عليه رسول الله ﷺ في الزاوية الأخلاقية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وسيرة الإمام ـ رضوان الله عليه ـ مثل أعلى في التمسك بما يراه حقا، وفي الصبر على ما يناله في سبيل التمسك بالحق.

على أن كل من تشبع بالسنة حقا إنما هو صورة ـ قريبة بقدر المستطاع ـ من الإمام أحمد.

ولقد كان الإمام البخاري وغيره ممن أشربت نفوسهم حب السنة أمثلة كريمة للخلق الكريم.

ومن الأمثلة التي يجهلها الناس عادة وهي مثال لخلق المحدثين مثال الإمام سفيان الثوري.

يقول صاحب كتاب «نتائج الأفكار القدسية» عنه: كان عالم هذه الأمة وعابدها وزاهدها، وكان لا يُعلِّم أحدا العلم حتى يتعلم الأدب، ولو في عشرين سنة، وكان يقول: إذا فسد العلماء فمن بقى في الدنيا يصلحهم؟ .. ثم ينشد:

يا معشر العلماء يا ملح البلد ... ما يصلح الملح إذا الملح فسد

وكان سفيان المذكور كما حكي عنه في الطبقات الصغرى، إذا جلس للعلم وأعجبه منطقه، يقطع الكلام ويقوم ويقول: «أخذنا ونحن لا نشعر» وكان يملي الحديث ويقول: «والله لو رآني عمر بن الخطاب لضربني بالدرة وأقامني وقال: مثلك لا يصلح للحديث»، وكان يقول للناس إذا طلبوا منه الحديث: «والله ما أرى نفسي أهلا لإملاء الحديث، ولا أنتم أهلا أن تسمعوه، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال القائل: «افتضحوا فاصطلحوا». وكان قد امتنع من الجلوس للعلم، فقيل له في ذلك فقال: «والله لو علمت أنهم يريدون بالعلم وجه الله لأتيتهم في بيوتهم وعلمتهم، ولكن إنما يريدون به المباهاة وقولهم حدثنا سفيان».

لقد وقفت طويلا عند قوله: (إذا جلس للعلم وأعجبه منطقه يقطع الكلام ويقوم ويقول: «أخذنا ونحن لا نشعر».

لقد أخذت أتأمل في هذه الحادثة التي تعتبر عن محاولة مخلصة للابتعاد عن الفخر والعجب، وذلك من أجل إخلاص النفس في حركاتها وأفعالها وأقوالها لله وحده.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن الناس عادة يباهون بمنطقهم القوي، وبأقوالهم الحسنة، وبتعلق الناس بهم، ويحبون المدح والثناء. أما سفيان فإنه حينما كان يجلس للدرس فتتعلق الآذان بمنطقه الرائع، وتتعلق القلوب بمعانيه النقية، وتمتد إليه الأعين لا تريد أن تفوتها حركة من حركاته، ويسكت الناس وكأن على رؤوسهم الطير، فيجد سفيان أحيانا لكل ذلك أثرا من الارتياح في نفسه، يعتريه مباشرة الخوف من أن يكون ذلك إعجابا أو فخرا أو كبرياء، فيستغفر الله: ويطوي أوراقه، ويقول كلمته: «أخذنا ونحن لا نشعر».

والأمثلة للخلق الكريم هدف ـ دائما ـ لسهام العصابات الأثيمة التي استهواها الشيطان في قليل أو في كثير، إنه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها وبين الممثلين لنزعات الهوى والضلال.. ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق في كل عصر، لفقدت الإنسانية الثقة بنفسها، وما اطمأن إنسان لإنسان، وما وثق شخص بآخر.

لقد ربت السنة رجالا، وخصائصها التي ربت بها الرجال موجودة فيها لأنها من طبيعتها ومن ذاتها، لقد شهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال، وأولتهم ثقتها وتقديرها.

إن الإمام أحمد بن حنبل، وإن الإمام البخاري، وإن أمير المؤمنين في الحديث الإمام سفيان الثوري وأمثال هؤلاء ـ رضي الله عنهم ـ منارات يهتدي بها عشاق المثل العليا الأخلاقية.

لابد ـ إذن ـ من العمل على نشر السنة وإذاعتها، ومحاولة الإكثار من النفوس التي تتشربها وتحققها وتتمثلها وتجعلها كيان حياتها.

ولابد من نشرها للثروة اللغوية. ومن أجل ذلك كله شرعنا بتوفيق الله تعالى في إنشاء كلية للسُنَّة، مبتدئين في ذلك بالنواة الأولى لها وهي (القسم العالي للسُّنة) الذي يتبع مؤقتا كلية أصول الدين.

* * *

وإن أول هذه الكتب وأجدرها بالعناية وبتكرار القراءة هو صحيح البخاري،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ورضي الله عن مؤلفه.. وصحيح البخاري يفيد في:

١ـ اللغة، فهو ثروة لغوية هائلة، والإمام البخاري يفسر في كثير من الأحيان بعض الألفاظ، ومنها ألفاظ القرآن الكريم.

٢ـ الأسلوب، إنه أعلى أسلوب بشري فهو أسلوب رسول الله ﷺ الذي أوتي الفصاحة والبلاغة وجوامع الكلم.

٣ـ أحكام الدين: إن الإمام البخاري ﷺ رتبه على أبواب الفقه، وفي كل حديث منه توجيه أو شرح لزاوية من زوايا الدين.

٤ـ الأخلاق في ذروتها وقمتها، والله سبحانه وتعالى يقول عن صاحبها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (القلم: ٤).

٥-وقراءته تفيد كثيرا في فهم القرآن، بل يمكنك أن تقول إنها كلها فوائد في فهم القرآن. إنها تفيد في ناحية اللغة. وتفيد من ناحية العمق في فهم الأسلوب، وتفيد كثيرا من ناحية ما تذكره عن أسباب نزول الآيات، وتفيد في فهم القرآن حينما تتحدث بطريقة مباشرة عن تفسير القرآن الكريم.

٦ ـ ولقد سئلت مرة عن أحسن سيرة لرسول الله ﷺ، فقلت: صحيح البخاري وصحيح مسلم وكل الأحاديث الصحيحة.. وذلك أن سيرة رسول الله ﷺ تبدو أوضح ما تكون وأدق ما تكون في الأحاديث الصحيحة، وكل حديث منها هو سيرة، سواء تعلق بالأخلاق أو بالغزوات أو بالعبادات أو بالتشريع، وهي تفيد في تصوير البيئة والجو الذي كان يعيش فيه رسول الله ﷺ، وتفيد في بيان مدى التغيير والتبديل الذي أحدثه رسول الله ﷺ في بيئته عن طريق الوحي.

٧ـ وقراءته عبادة، وذلك أنه تعلم لسيرة الرسول ﷺ، وتفقه في أحكام الدين: ووسيلة للتخلق بأخلاق من قال فيه الإمام البوصيري:

ومنتهى القول فيه أنه بشر　　وأنه خير خلق الله كلهم

والأمر كذلك فيما يتعلق بصحيح الإمام مسلم.

وإذا كان صحيح الإمام البخاري أصح كتاب بعد القرآن الكريم، فإن صحيح الإمام مسلم لا يكاد يقل عن هذه المرتبة، وكلاهما من الكتب المباركة..

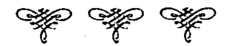
https://t.me/megallat　oldbookz@gmail.com

والفوائد التي تترتب على القراءة في كتاب البخاري هي الفوائد التي تترتب على القراءة في صحيح الإمام مسلم، وهي الفوائد التي تترتب على قراءة الموطأ للإمام مالك رضي الله عنه.

وإذا كان موطأ الإمام هو أولا وبالذات كتاب فقه، فإنه يستند في آرائه إلى الأحاديث الشريفة، ويرتبها بحسب الباب الذي يتحدث فيه وبحسب فصول الباب.. إنه كتاب (فقه) في الصورة المثالية، وهو كتاب «حديث» من أوثق كتب الحديث، وهو يشترك مع الصحيحين في أنه يصور السيرة النبوية بالمعنى العام للسيرة.

وإن من الكتب المباركة التي يجب أن تكون عند كل مسلم، كتاب رياض الصالحين.. ولقد تحرى الإمام النووي أن لا يدخل فيه إلا الصحيح والحسن من الأحاديث، وهو كتاب يصف الأخلاق الإسلامية في مكارمها وفي سموها.

وبعد: فإن السُّنة النبوية الشريفة هي تصوير لأكرم الخلق على الله، إنها صورة من جعله الله أسوة حسنة، فقراءتها وتدارسها وتدريسها إنما هو وسيلة لاتباعه ﷺ، وفي ذلك اتباع للخير ونشره. وصلوات الله وسلامه على من كان خلقه القرآن.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوحدة الإسلامية

العدد: (١٠٨) ذوالحجة (١٣٩٣هـ) ديسمبر (١٩٧٣م)

بعث الله رسوله محمدا ﷺ برسالة الإسلام، وهي هدي الله للإنسانية جمعاء، فكان من صحابته الأوائل الذين استجابوا للدعوة في بكورها، بلال الحبشي وصهيب الرومي، وكون الرسول من صحابته هؤلاء، على اختلاف أجناسهم، جماعة واحدة قامت على أكتافها أعباء الرسالة الإسلامية.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة وحد بين أهلها من الأوس والخزرج، كما وحد بين المهاجرين والأنصار. فنشأت الدولة الإسلامية بالمدينة، على أكتاف هذه الجماعة الإسلامية الموحدة، فكانت الوحدة منهج هذه الدولة، وقوامها، ولم يكن يعكر صفو هذه الوحدة أو يهدد كيانها غير مؤامرات اليهود ودسائسهم، فكان إجلاء الرسول لهم عن المدينة درسا خالداً لأمته يتعلمون منه أن اليهود مصدر خطر دائم على وحدتهم، وأن التخلص منهم وإجلاءهم عن الأرض العربية ضرورة لقيام هذه الوحدة واستمرارها مع ضرورة مفروضة عليهم يسعون إليها بالجهاد وبكل وسائل الكفاح.

لم يرحل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، إلا وقد توافدت عليه قبائل الجزيرة العربية من الشمال والجنوب والشرق والغرب تبايعه على التوحيد وتتوحد تحت راياته.

ولم تنقض خلافة الراشدين الأربعة - رضي الله عنهم - إلا بعد أن وحدت بين مختلف الأجناس في شرق الدولة الإسلامية وغربها.

فالوحدة أساس قيام الدولة الإسلامية، وسر قوتها، واستمرارها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكما أن الوحدة قوة للمؤمنين، فهي سند إيمانهم وركيزتهم يدعون إليها حين يدعون إلى عبادة الله الواحد.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ (الأنبياء: ٩٢).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ (المؤمنون: ٥١-٥٢).

وقال رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

وعندما دعا الله - سبحانه - المسلمين إلى الجهاد دعاهم إليه باعتبارهم وحدة جامعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ (الصف: ٤).

وترتبط وحدة الأمة الإسلامية بأسس الإسلام في العقيدة والشريعة والأخلاق جميعا.

في مجال العقيدة ترتبط هذه الوحدة باتجاه المسلمين إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

فقلوب المسلمين تتجه بكليتها إلى وجهة واحدة، وهي عبادة الله الأحد الذي لا ولد له ولا صاحبة ولا حاشية، الذي له الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، الذي لا فضل عنده لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

هذه القلوب المخلصة للوجهة الواحدة، يربيها الإسلام على الوحدة تربية لا نظير لها في عقيدة أخرى.

وفي مجال الشريعة ترتبط هذه الوحدة بالتزام المسلمين بنظام تشريعي واحد مصدره الله الواحد الأحد ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هنا تقوم معيشة المسلمين، ويقوم نظام حياتهم على أسس ومبادئ موحدة في جميع المجالات التي لا يشملها التشريع، في نظام الدولة، ونظام الأسرة، في نظم الحياة الاقتصادية، وفي نظم العلاقات الاجتماعية وغيرها.

وفي مجال الأخلاق ترتبط هذه الوحدة بتربية المسلمين وفقا لمبادئ وأسس أخلاقية ثابتة موحدة، في الأخوة، والرحمة، والعدل، والشجاعة، والكرم وغيرها من أمهات الفضائل والقيم الإسلامية التي وضحها الكتاب، ووضحتها السنة، وصارت دستورا لأخلاق المسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض وفي أي فترة من فترات التاريخ.

وإن المنهج الذي يرشد إليه الإسلام لتحقيق هذه الوحدة بسيط بساطة الأسس التي تقام عليها.

يتمثل هذا المنهج في قوله تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

إذا فزع المسلمون إلى حبل الله وشريعته، إذا اعتصم المسلمون بهذا الرباط الموصول بينهم وجدوا أنفسهم على طريق واحد وعلى مسيرة واحدة، وعلى مقصد واحد، ولا يبقى بعد إلا شكل يختار لها، شكل يدعو إليه الواقع أو يفرضه، فهو سهل التطبيق.

ان منطلق هذه الوحدة ومسلكها يقوم على الالتحام الصادق بالعقيدة الإسلامية التحاما لا يتيح فرصة أو يترك ثغرة لتطفل التيارات الغازية التي تصدر إلى المجتمعات الإسلامية هادفة تنحية الإسلام من قلوب المسلمين وأفكارهم.

والالتحام بالعقيدة مظهره تحكيم شريعة الله في كل شؤوننا فنطبق حدوده، ونلتزم بما أمر به، وننتهي عما نهى عنه، بحيث يبدو المجتمع المسلم تجسيدا حيًّا للإسلام في عقيدته وشريعته.

ونحب أن نوجه نظر أولئك الذين يظهرون التخوف أو غير صادقين إلى أن تطبيق الحدود الإسلامية التي شرعها الله محوط بأقوى ضمانات التطبيق في شريعة الإسلام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم إن تطبيق هذه الحدود من شأنه أن يجفف منابع الإثم، والتجارب في بعض الدول الإسلامية التي التزمت بتطبيق حد السرقة خير شهيد.

وإننا نرى اليوم وفي الثلث الأخير من القرن العشرين في بعض البلاد صاحبة النفوذ حكومات جعلت الإعدام عقوبة تطبق على السارق.

على أن الأمر، من قبل ومن بعد، هو تحتم الاستجابة الطيعة لتطبيق تعاليم الإسلام ومقرراته، دون هوادة أو تراخ، لأن ذلك مظهر الانتماء الصادق لهذا الدين.

وإذا كان لا يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، فإنه يجب أن تغطي تعاليم الإسلام كل جانب من جوانب حياتنا: تربويًّا، وقانونيًّا، وثقافيًّا، وإعلاميًّا، واقتصاديًّا، وسلوكيًّا، فلا يكون في أي جانب من حياتنا ما يجافي الإسلام أو يخرج عليه، لا نفرط في ذلك ولا نقصر دون بلوغ الغاية.

هذه هي ضرورة الوحدة في الإسلام.

وهذا هو منهج الإسلام إلى الوحدة، وفضلا عن ذلك فلقد أصبحت اليوم ضرورة حياة للمسلمين في مشرق الأرض ومغربها.

إننا في عصر تفرقنا فيه فتداعت إلينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، وتوزعنا الأقوياء شيعا وأتباعا، وصرنا نتلمس الرضا من كل جانب، وأنه لا نجاة لنا ولا عصمة ولا نصر إلا بوحدة تجمعنا على حبل الله.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

كانت الوحدة سر قيام هذه الأمة، وسر قوتها، والآن تصبح هذه الوحدة سر استمرارها ونجاتها، وإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقيه مصر الليث بن سعد (١)

نشأته وحبه للعلم

العدد (١٤٥) محرم (١٣٩٧هـ) - يناير (١٩٧٧م).

الليث بن سعد بن عبدالرحمن، ويكنى أبا الحارث، والمشهور ـ كما يقول الخطيب البغدادي ـ أنه «فهمي»، أما كونه «فهمي» فإن مما يؤيده ما ذكره القلقشندي قال: (وقال القضاعي في خططه في الكلام على دار الليث بالفسطاط: وكان له دار بقرقشندة بالريف بناها فهدمها ابن رفاعة أمير مصر عنادا له، وكان ابن عمه فبناها الليث ثانيا: فهدمها، فلما كانت الثالثة أتاه آت في منامه فقال له: يا ليث:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ (القصص: ٥).

فأصبح وقد فلج ابن رفاعة، فأوصى إليه ومات بعد ثلاث).

ويبدو أنه ندم على ما كان منه بالنسبة لليث، يقول يحيى بن بكير: « كتب الوليد بن رفاعة ـ وهو أمير مصر ـ في وصيته: قد أسندت وصيتي لعبدالرحمن بن خالد بن مسافر إلى الليث بن سعد، وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث فإن له نصحا ورأيا.. وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة).

ويقول المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق:

«وابن رفاعة المقصود هنا هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت ابن ظاعن الفهمي الذي ولي مصر سنة ١٠٩، وتوفي وهو وال عليها سنة ١١٧، والوليد بن رفاعة عربي صراح، ومن فهم، ليس في نسبته خلاف، فإذا كان الليث ابن عمه فهو أيضا عربي فهمي».

ونقل البغدادي رواية عن أبي مسلم صالح بن أحمد بن عبدالله العجلي عن أبيه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال: «ليث بن سعد يكنى أبا الحارث، مصري فهمي ثقة» أهـ.

ونحن لا نرى إلا أن الإمام الليث مصري عربي من فهم.. وفهم بطن من قيس علان، ومرجعهم إلى العدنانية.

ونحن إذا كنا نرى أن الإمام الليث مصري عربي من فهم فإننا نوافق في ذلك بعض من كتبوا عنه.. بيد أن كثيرا من المؤرخين يرون رأيا آخر.. ويكفينا المشهور من أنه: «عربي من فهم»، وما روي من أنه ابن عم أمير مصر، ابن رفاعة العربي الأصيل.

أما عن تاريخ ميلاده فإن أرجح الأقوال أنه ولد سنة أربع وتسعين. وروي ذلك عن الليث نفسه، يقول ابن بكير: سمعت الليث يقول: «ولد في شعبان سنة أربع وتسعين». ويحدد ابن بكير أكثر فيقول: «لأربع عشر خلت من شعبان..» ويزيد ابن حبان الأمر تحديدا فيقول: «يوم الجمعة». أما مكان ميلاده فـ: «قلقشندة»، وهي بلدة أبي العباس القلقشندي. وحينما يتحدث القلقشندي عن محافظة القليوبية فإنه يقول: «ومن بلادها بلدتنا قلقشندة»، ثم يصفها بقوله: «وهي بلدة حسنة المنظر، غزيرة الفواكه»، ثم يقول: «وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير»، وذكر ابن يونس في تاريخه أن الليث ولد بها..

وقد كان الليث يحبها حبا كثيرا، يدل عليه أنه حينما بنى بها بيتا وهدمه ابن عمه الحاكم أعاد بناءه، ثم أعاد البناء للمرة الثالثة بعد أن هدمه الحاكم في المرة الثانية، وليس حبه بغريب، فهي مهد ميلاده، ومكان نشأته وصباه، وكانت: «حسنة المنظر، غزيرة الفواكه» وبعض الناس يقول عنها: قرقشندة...

ولقد أبدل ياقوت في معجم البلدان اللام وراء، يقول صاحب «صبح الأعشى»: «وهو الجاري على ألسنة العامة، وعليه جرى القضاعي فيما رأيته مكتوبا عنه في خططه».. ولكن ذلك خطأ يعلنه القلقشندي وهو العالم الكبير الذي يوثق بكلامه عن بلدته، ويوافقه في ذلك ابن خلكان الذي يذكر ضبطها فيقول: «بفتح القاف وسكون اللام. وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة». وهكذا هي مكتوبة في دواوين الديار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المصرية، وهذا الضبط في الشكل هو نفس الضبط فيما جرى على ألسنة العامة: أعني قرقشندة.. وهذه البلد تقع الآن في مركز طوخ.

ولد الإمام بهذه البلدة، وأخذ يتعلم على الصورة المألوفة حينئذ: كانوا يبدأون بحفظ القرآن، ويتعلمون عن طريق ذلك الكتابة والقراءة، وكانوا يتعلمون علوم القرآن، ويتعلمون الحديث والفقه وعلوم الإسلام والعربية على وجه العموم.

وبدت نجابة الليث في سن مبكرة، بل كان إماما يفتي وهو في بواكير شبابه. روى ابن حجر العسقلاني عن يحيى بن بكير أنه قال: سمعت شرحبيل بن يزيد يقول: أدركت الناس في زمن هشام بن عبدالملك وهم متوافرون، مثل يزيد بن حبيب، وعبيد الله بن أبي جعفر، وجعفر ابن أبي ربيعة، والحارث بن يزيد، وابن هبيرة، ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء أهل الشام، للرباط، والليث بن سعد يومئذ حدث شاب، وإنهم ليعرفون فضله، ويقدمونه ويشار إليه.

وقال يعقوب بن سفيان: «سمعت يحيى بن بكير يقول: سمعت الليث يقول: رآني يحيى بن سعيد الأنصاري وقد فعلت شيئا من المباحات، فقال: لا تفعل فإنك إمام منظور إليك.. قلت: ويحيى بن سعيد تابعي من شيوخ الليث».

لقد كان إماما منظورا إليه وهو يومئذ حدث شاب.. وإذا كان هذا الحدث الشاب بلغ هذا المبلغ فإنه قد بلغه بجده واجتهاده، وبلغه بذكائه المتوقد، وذاكرته القوية.

ولم ينم الفتى الإمام على شهرته هذه التي بلغها، ولا على تقديره هذا الذي كان له وسط العلماء، وإنما واصل الليل بالنهار في الدراسة والأخذ عن العلماء.. وكان أستاذا يدرس للجمهور والعلماء، وتلميذا يتلقى عن العلماء، واستمر كذلك إلى نهاية حياته.. ونروي عن ذلك بعض القصص: لقد حج أول حجة سنة ثلاث عشرة ومائة، وكما يقول الله تعالى في الحجاج: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ (الحج: ٢٨) فإن الليث كانت منافعه التي شهدها في هذه الحجة هي أن يأخذ عن العلماء: قال البخاري: «قال يحيى بن بكير عن الليث قال: سمعت من ابن شهاب الزهري بمكة سنة ثلاث عشرة، وهي أول سنة حج».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان الليث يجل ابن شهاب ويحبه ويحترمه لعلمه وفضله، روى ابن حجر عن عمرو بن خالد قال: «قلت لليث: بلغني أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهري.. قال: نعم، للعلم، فأما لغير ذلك فلا، والله ما فعلته بأحد قط» ويقول ابن حجر عن الليث: «وقد سمع من ابن شهاب الزهري كثيرا، ويدخل بينه وبين الزهري الواسطة بواحد، وباثنين، وبثلاثة».

وكان من منافع الليث التي شهدها بمكة في حجته تلك أن أخذ عن نافع مولى ابن عمر، ونافع هذا من أوثق الرواة عن ابن عمر: لم يختلف في ذلك أحد من المحدثين، والسلسلة الذهبية عند كثير من المحدثين: مالك عن نافع عن ابن عمر.. يقول الليث فيما رواه غير واحد:

«دخلت على نافع مولى ابن عمر فقال: من أين؟

قلت: من أهل مصر.

قال: ممن؟

قلت: من قيس.

قال: ابن كم؟

قلت: ابن عشرين.

قال: أما لحيتك فلحية ابن أربعين».

كان نافع أسمر اللون، ومن طريف ما يروى عن الليث في حجته تلك أنه لم يحج وحده وإنما رافقه ابن لهيعة.. ويقول الليث: «حججت أنا وابن لهيعة فرأيت نافعا مولى ابن عمر فدخلت معه إلى دكان علاف فحدثني، فمر بنا ابن لهيعة فقال: من هذا؟ قلت: مولى لنا. فلما رجعنا إلى مصر جعلت أحدث عن نافع، فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال: أين لقيته؟ قلت: أما رأيت العبد الذي كان في دكان العلاف؟ هو ذاك.

ويقول ابن حجر:

«وقعت لي نسخة الليث بن سعد عن نافع، فيها من الأحاديث المرفوعة والموقوفة نحو المائة، ومع ذلك فكان الليث يروي عنه ما ليس عنده منه مشافهة،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ـ بالواسطة ـ وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد» وإذا كان ذلك وهو في سن العشرين فإن السنين تمضي وهو في نفس الأسلوب من الدراسة والتدريس وها هو ذا قد نيف على الستين، وقد سافر إلى العراق.

ويقول أبو صلاح: «خرجت مع الليث في سنة إحدى وستين بعد المائة فشهدنا الأضحى ببغداد، فقال لي الليث: سل عن منزل هشيم الواسطي فقل له: أخوك الليث المصري يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث إليه شيئا من كتبك.

فذهبت إليه، ففعل، فكتبت لليث منها، وسمعتها من هشيم مع الليث».

والمتتبع لما يرويه الليث من الأحاديث يجد فيها كثيرا مما يتعلق بحسن السلوك وكمال الخلق إلى جانب ما يتعلق بأحكام الحدود والمعاملات كما يقول المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق.

وفي بغداد ـ في هذه الرحلة ـ جرى حديث بين الإمام الليث وهارون الرشيد، فيه حكمة وفيه من سداد الرأي ما فيه..

روى ابن حجر عن الليث بن سعد قال: «ولما قدمت على هارون الرشيد قال لي: يا ليث، ما صلاح بلدكم؟ قلت، يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا إجراء النيل وصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكدر فإذا صفا رأس العين صفت العين، قال: صدقت يا أبا الحارث».

استفاد الليث من رحلاته صغيرا، واستفاد من رحلاته كبيرا، وكانت حياته كلها استفادة وإفادة.. يقول أبو نعيم في الحلية:

«أدرك الليث نيفا وخمسين رجلا من التابعين».

ويقول ابن حجر عمن تلقى عنهم الليث:

«سمع ببلده من يزيد بن أبي حبيب، وجعفر بن ربيعه، والحارث ابن يعقوب، وعبيد الله بن أبي جعفر.. وبالحجاز من عطاء بن أبي رباح ونافع مولى ابن عمر، وهشام بن عروة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبي الزبير محمد بن مسلم المكي، وأيوب بن موسى الأموي، وعبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة، وعمرو بن شعيب، وعمرو بن دينار، وقتادة» وسمع في رحلته إلى العراق ـ وهو كبير ـ من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هشيم وهو أصغر منه.

ويقول ابن حجر أيضا: «وسمع من أبي الزبير، وحديثه عنه من أصح الحديث، فإنه لم يسمع منه شيئا دلس فيه» ويستفيض صاحب كتاب الرحمة الغيثية في ذكر من سمع منهم الليث.

وسار الليث في حياته متبعا للشعار الإسلامي: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤). وإذا كان من سمات الليث حب العلم: استفادة وإفادة، فإن له سمات أخرى والحديث موصول.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقيه مصر الليث بن سعد (٢)

كرَمه واتزانه

العدد (١٤٦) صفر ١٣٩٧هـ) - فبراير (١٩٧٧م).

من جميل تجليات الله تعالى على أئمة الفقه أنهم كرماء، ولقد كان الكرم صفة ظاهرة من صفات الإمام أبي حنيفة ﷺ. لقد كان ورعا يضرب بورعه الأمثال، وكان كريما يكسب حياته من التجارة. وكان الإمام مالك سخيا، كريم النفس، كريم اليد، وكان تاجرا يقبل عليه الناس لصدقه وأمانته. وكان الإمام الشافعي كريما لا يبقي ولا يذر رغم فقره.. وكذلك كان الإمام محمد بن الحسن الشيباني ومن أكثر الناس ثراء وكرما الإمام الرباني الزاهد عبد الله بن المبارك.. وكان كريما بالسنة لكل محتاج ولكنه كان يؤثر على الخصوص أهل العلم: طلبة وأساتذة، ويرى أن الإنفاق على أهل العلم من أنفس وجوه الإنفاق، ولا نجد شبيها لعبد الله بن المبارك في ثرائه العريض، وكرمه الواسع، إلا الليث بن سعد.

وقد اختلفت الروايات فيما يتعلق بدخله السنوي، وتراوحت الروايات فيما بين عشرين ألف دينار ومائة ألف دينار. ونرى أن هذا الاختلاف مرده إلى فترات من حياته، فهي تعبر مثلا عن دخله في مقتبل عمره، وعن دخله عندما كان في دور الرجولة الناضجة، وعن دخله بعد لقائه بهارون الرشيد وهكذا.

ولكن هذه الروايات الكثيرة التي تتحدث عن دخله الواسع تذكر كلها تقريبا أنه لم يكن يدخر من دخله شيئا، بل يذكر الكثير منها أنه في آخر العام يكون مدينا، ولهذا تذكر هذه الروايات أنه لم تجب عليه الزكاة قط في ماله، فما كان يحول الحول على شيء منه باق مخزون.

يقول شعيب بن الليث: «قال أبي: ما وجبت علي زكاة قط منذ بلغت»، ونذكر هنا بعض هذه الروايات التي تتحدث عن كرمه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونبدأ بما كان بينه وبين مالك: لقد كان مالك كريما واسع الكرم كما ذكرنا، ولكرمه هذا كان أحيانا يكون في حاجة للمال لينفق منه، ويكرم منه، فكان يكتب إلى الليث، وكان الليث يلبي حاجة مالك سواء أكتب مالك إليه أم لم يكتب!

يقول ابن وهب:

كان الليث بن سعد يصل مالك ابن أنس بمائة دينار في كل سنة، فكتب مالك إليه: إن علي دينا، فبعث إليه بخمسمائة دينار.

ويقول أبوصالح كاتب الليث:

(كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا - أي احتجب - فقلنا: ليس يشبه هذا صاحبنا.. قال: فسمع مالك كلامنا، فأمر بإدخالنا عليه، فقال لنا: من صاحبكم؟ قلنا: الليث بن سعد. قال: تشبهوني برجل كتبت إليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فأنفذ إلينا منه ما صبغنا به ثياب صبياننا وثياب جيراننا، وبعنا الفضل بألف دينار؟)

ويقول قتيبة بن سعيد: سمعت ابن الليث يقول:

خرجت مع أبي حاجا، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب، قال: فجعل على الطبق ألف دينار ورجعه إليه.

ويروي ابن حجر ما يلي:

وقال أبو حاتم بن حبان: كان الليث لا يتردد إليه أحد إلا أدخله في جملة عياله مادام يتردد إليه، ثم إن أراد الخروج زوده بالبلغة إلى وطنه.

وقال عباس بن محمد الدوري: «سمعت يحيى بن معين يقول: كان الليث يصلي في المسجد كل صلاة، يجيء على فرسه، فكان له مجلس يجلس فيه قربه يحيى بن أيوب، فغمزه، فقام معه، فسأله عن مسألة فأجابه، فبعث إليه بمائة دينار.

وقال الترمذي: سمعت قتيبة يقول: كان الليث في كل صلاة يتصدق على ثلاثمائة مسكين.

وقال أشهب: «كان الليث لا يرد سائلا، وكان يطعم الناس الهرائس بعسل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النحل وسمن البقر في الشتاء، وفي الصيف بشيء من اللوز والسكر.

وحدث إسحاق بن إسماعيل قال: «سمعت محمد بن رمح يقول: كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه درهما قط بزكاة».

ويروي منصور بن عمار الواعظ المشهور القصة الطريفة الآتية:

كان الليث إذا تكلم رجل في المسجد الجامع أخرجه، قال فلما دخلت مصر تكلمت في الجامع فإذا رجلان قد دخلا فأخذا بي فقالا:

أجب أبا الحارث.

قال: فذهبت وأنا أقول: واسوأتاه، أخرج من البلد هكذا، قال: فلما دخلت على الليث سلمت فقال: أنت المتكلم في المسجد؟

قلت: نعم.

قال: أعد علي ما قلت:

قال: فأعدته فرق الشيخ وبكى.

فقال: ما اسمك؟

قلت: منصور بن عمار.

قال: أبو السري؟

قلت: نعم.

فدفع إلي كيسا وقال: صن هذا الكلام عن أبواب السلاطين، ولا تمدحن أحدا من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين، ولك علي في كل سنة مثلها.

وكان الليث يواسي الغرباء والمحتاجين حتى وإن لم يكونوا محتاجين، يقول أسد بن موسى: «كان عبد الله بن علي يطلب بني أمية فيقتلهم، فرحلت إلى مصر فدخلتها في هيئة رثة، فدخلت على الليث، فلما فرغ المجلس خرجت، فتبعني خادم فقال: اجلس حتى أخرج إليك، فجلست حتى خرج وأنا وحدي، فدفع لي صرة فيها مائة دينار، وقال: يقول لك الليث: أصلح بهذه النفقة أمرك، ولم شعثك، وكان معي في حجزتي ألف دينار فأخرجتها له وقلت: استأذن لي على الشيخ، فدخلت فأخبرته بنسبي، فقال: إنها صلة وليست صدقة، واعتذرت إليه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن قبول صلته، وقلت: أكره أن أعود نفسي عادة وأنا عنها غني. قال: فادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها، فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة».

وكان يعين على نوائب الحق، يقول قتيبة بن سعيد:

«لما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد من الغد بألف دينار» وجاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الحارث، إن ابنا لي عليلا واشتهى عسلا، فقال: يا غلام، أعطها مرطا من عسل، والمرط عشرون ومائة رطل، وكان مع المرأة إناء صغير الحجم، فلما رآه كاتب الليث راجع الليث قائلا: إنها تطلب قليلا من العسل. فقال الليث: إنها طلبت على قدرها، ونحن نعطيها على قدرنا، وأمره أن يعطيها المرط.

ومن أجمل أنواع الكرم الليثي ما تعبر عنه القصة التالية التي يرويها الحارث بن مسكين، يقول: «اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلوها، فاستقالوه فأقالهم ثم دعا بخريطة فيها أكياس، فأمر لهم بخمسين دينارا، فقال له الحارث: ابنه، في ذلك. فقال: اللهم غفرا، إنهم قد كانوا أملوا فيه أملا، فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا».

أما أسفار الليث في نهر النيل من القاهرة إلى الإسكندرية وبالعكس، فإنها تصور عادات جميلة، وندع لأبي رجاء قتيبة، الحديث عنها، قال: «قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية، وكان معه ثلاث سفائن سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عياله، وسفينة فيها أضيافه، وكان إذا حضرته الصلاة يخرج إلى الشط فيصلي.. وكان ابنه شعيب إمامه فخرجنا لصلاة المغرب، فقال: أين شعيب؟ فقالوا: حمَّ، فقام الليث فأذن وأقام ثم تقدم فقرأ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ ويجهر بسم الله الرحمن الرحيم، ويسلم تسليمه تلقاء وجهه.

وكان الليث يعيش عيشة متزنة سوية، وكان بعيدا عن الانفعالات، ومن أجل ذلك تمتع بشباب طويل.

قال أبو رجاء: (وكان الليث أكبر من ابن لهيعة، ولكن إذا نظرت إليهما تقول:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذا ابن، وذا أب، يعني ابن لهيعة الأب».

قال ابن بكير: سمعت الليث بن سعد كثيرا ما يقول: أنا أكبر من «ابن لهيعة» فالحمد لله الذي متعنا بعقلنا».

وكان لهذه الحياة السوية نظام رتيب لا يكاد يتخلف يصفه أشهب ابن عبد العزيز يقول:

«كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها، أما أولها فيجلس لنائبة السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان، فإذا أنكر من القاضي أمرا أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل.. ويجلس لأصحاب الحديث، وكان يقول: نحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم. ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه. ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده كبرت حاجته أو صغرت. قال: وكان يطعم الناس في الشتاء الهرايس بعسل النحل، وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز بالسكر».

وينعكس هذا الاتزان على حياته الفكرية، ومن أمثلة ذلك ما يقوله عثمان بن صالح قال: «كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك. وكان أهل حمص ينتقصون عليا حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائل علي فكفوا عن ذلك.

وبعد: فيقول شعيب بن الليث عن أبيه قال:

«لما ودعت أبا جعفر ببيت المقدس قال: أعجبني ما رأيت من شدة عقلك، والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك. قال شعيب: وكان أبي يقول: لا تخبروا بهذا ما دمت حيا».

هذا هو الليث!! تثقف كأحسن ما تكون الثقافة، واستمر يدرس ويبحث إلى آخر حياته، وسارت به الحياة في اتزان تام فطالت به فترة الشباب وفترة الصحة، وكان شهما كريما بالنسبة للقريب وللبعيد، وآثر مكارم الأخلاق طيلة حياته. ولكنه كان من قبل ذلك ومن بعده: محدثا وفقيها. والحديث موصول.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقيه مصر الليث بن سعد (٣)

محدثًا وفقيهًا

العدد (١٤٧) ربيع الأول (١٣٩٧هـ) - مارس (١٩٧٧م)

إذا كان الليث يروي أحاديث في الأخلاق جعلت الشيخ مصطفى عبد الرازق، وجعلت أبا نعيم يضعانه في مصاف الصوفية الأوائل، فإن الليث كان محدثا بأوسع ما تتضمنه كلمة «محدث»، لقد كانت دائرته في الحديث أوسع من الجانب الأخلاقي. . إنه كان محدثا من طراز المحدثين المتخصصين في الحديث، الذين لا يقتصرون على جانب دون آخر.

وكان فقيها من الطراز الأول. . لقد كان فقيها مجتهدا مثله في ذلك كمثل الإمام مالك، والإمام الثوري، والإمام الأوزاعي، والإمام أحمد بن حنبل. . وغيرهم من الفقهاء الذين كانوا يلتصقون بالنص، وكانوا يوصفون بأنهم أهل الأثر.

يروي صاحب تاريخ بغداد أن الليث سمع علماء المصريين والحجازيين. وروى عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وابن شهاب الزهري وسعيد المقبري وأبي الزبير المكي ونافع مولى ابن عمر وعمرو ابن الحارث ويزيد بن أبي حبيب وعقيل بن خالد ويونس بن يزيد وعبد الرحمن بن خالد الفهمي وسعيد ابن أبي هلال.

أما من حدثوا عنه فيذكر الخطيب البغدادي ما يلي:

حدث عنه هشيم بن بشير وعطاف بن خالد وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن وهب وأبو عبد الرحمن المقرئ وعبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن أبي مريم ويحيى بن بكير وعبد الله بن صالح الجهني وعمرو بن خالد وعبد الله بن يوسف التنيس.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويقول أيضا: وقدم بغداد وحدث بها، فروى عنه من أهلها: حجين بن المثنى، ومنصور بن سلمة، ويونس بن محمد، وهاشم بن القاسم، ويحيى ابن إسحاق البلخي، وشبابة بن سوار، وموسى بن داود، وجماعة من البصريين سمعوا منه ببغداد»

ويقول صاحب النجوم الزاهرة: قال الذهبي:

وحج سنة ثلاث عشرة ومائة فلقي عطاء ونافعا وابن أبي مليكة وأبا سعيد المقبري وأبا الزبير وابن شهاب فأكثر عنهم، ثم ذكر جماعة كثيرة ممن روى عنه.

إنه محدث، فهل هو ثقة؟ ما درجته كمحدث؟

ونبدأ بذكر رأي الإمام أحمد بن حنبل فيه: يقول أحمد بن سعد الزهري: «سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الليث بن سعد فقال: ثقة ثبت.. ويقول: «الليث كثير العلم، صحيح الحديث. ويقول الحسين بن إدريس الأنصاري: حدثنا أبو داود قال: سمعت أحمد يقول:

«ليس فيهم - يعني أهل مصر - أصح حديثا من الليث بن سعد، وعمرو بن الحارث يقاربه. ويروي صاحب تاريخ بغداد ما يلي: «قال الفضل - وهو ابن زياد - قال أحمد: «ليث بن سعد كثير العلم، صحيح الحديث».

ونذكر رأي يحيى بن معين:

عن عثمان بن سعيد الدارمي قال: قلت ليحيى: فالليث أحب إليك، ويحيى ثقة.. قلت: فالليث كيف حديثه عن نافع؟ فقال: صالح ثقة.

ويروي النسائي كثيرا من الأحاديث التي رواها الليث ويقول: «أبو الحارث الليث بن سعد المصري، ثقة».

ويقول صاحب كتاب الرحمة الغيثية: قال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة: الليث يحتج بحديثه؟ قال: إي، لعمري.

وقال يحيى بن معين: ثبت.

وقال يعقوب بن شيبة ومحمد بن سعد وآخرون: ثقة.

ويقول صاحب ميزان الاعتدال: «الليث بن سعد الفهمي أبو الحارث: أحد

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأعلام والأئمة الأثبات، ثقة، حجة بلا نزاع».

لقد كان الليث محدثا ثقة، وكان واسع الأفق، رحب الصدر يتصرف بذكاء وحكمة، ومما روي عنه في ذلك ما ذكره صاحب الحلية قال: عن عمر بن سلمة قال: «تكلم الليث بن سعد في مسألة، فقال له رجل: يا أبا الحارث، في كتابك غير هذا؟.. قال: في كتابي أو في كتبنا ما إذا مر بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا».

وقال شعيب بن الليث: قيل لأبي: «إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك.. قال: لو كتبت ما في صدري في كتبي ما وسعه هذا المركب».

ولم يكن الليث في فقهه من أهل الرأي بل كان من أهل الأثر، وكان في الذروة من أهل الأثر، ومن المشهور أن الإمام مالكا هو إمام أهل الأثر، ومع ذلك فإن الآراء تختلف في ذلك، يقول الشافعي ﷺ: «الليث بن سعد أتبع للأثر من مالك بن أنس».

وقال في العبر: كان أتبع للإثر من مالك.

أما عن فقه الإمام الليث فيرى ابن حجر ما يلي:

عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال: سمعت الشافعي يقول: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.. وفي رواية عن الشافعي: «ضيعه قومه». وفي أخرى: «ضيعه أصحابه» وقال أبو محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: سمعت يحيى بن بكير يقول:

الليث أفقه من مالك، ولكن كانت الحظوة لمالك. ويروي صاحب شذرات الذهب عن يحيى بن بكير نحوه أما عن تقدير الليث تقديرا عاما شاملا، فإننا نذكر ما يلي: قال أبو يعلى الخليلي.

كان إمام وقته بلا مدافعة.

وقال ابن حبان:

كان من سادات أهل زمانه فقها وعلما، وحفظا وفضلا وكرما.

ويقول ابن سعد: «وكان ثقة، كثير الحديث، صحيحه، وكان قد استقل بالفتوى في زمانه بمصر، وكان سريا من الرجال، نبيلا سخيا له ضيافة».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقال النووي في تهذيبه: «أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث».

ويقول يحيى بن بكير فيما رواه صاحب الشذرات: ما رأيت أحدا أكمل من الليث: كان فقيه النفس، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة، ونتساءل: هل هذه السعة في الأفق، والرحابة في الصدر، والغزارة في العلم، جعلت في بعض آراء الليث شذوذا؟ وهذا تساؤل نراه ضروريا.. أما الإجابة عنه فقد سبق بها ابن حجر حيث يقول:

«ولقد تتبعت كتب الخلاف كثيرا فلم أقف فيها على مسألة واحدة، انفرد بها الليث عن الأئمة من الصحابة والتابعين، إلا في مسألة واحدة، وهي أنه كان يرى تحريم أكل الجراد الميت، وقد نقل ذلك أيضا عن بعض المالكية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ونبدأ في بيان آراء الليث ببعض ما كان بينه وبين الإمام مالك:

● **مالك والليث:**

كان بين الإمام مالك والإمام الليث رضي الله عنهما، مودة واحترام، يجل كل منهما الآخر، ويقدره تقديرا عظيما، على الرغم من اختلافهما في بعض الأمور، ولقد تبادل مالك والليث رسالتين حفظهما التاريخ، من أمتع الرسائل التي تبودلت بين كبار العلماء، فيهما تقدير متبادل وحسن بيان للرأي مع الأدب في التعبير، وحرص على وضوح الفكرة في أسلوب موجز.

بدأ مالك التراسل فأرسل إلى الليث هذه الرسالة التي تبدأ بتحية الإسلام، وحمد الله تعالى والدعاء للمرسل والمرسل إليه إنه يقول في ذلك:

من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد: سلام عليكم، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد. عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا وإياكم من كل مكروه.

ثم يبدأ الإمام مالك بذكر مقدمة للأساس الذي يراه مقياسا لصحيح الآراء، ولكنه في هذه المقدمة لا ينسى الثناء على الليث والاعتراف بمنزلته ولا ينسى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الموعظة والتخويف من الله تعالى فيقول:

واعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مختلفة مخالفة لما عليه عندنا وببلدنا الذي نحن فيه، وأنت في أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة مَنْ قِبَلَكَ واعتمادهم على ما جاءهم منك.. حقيق بأن تخاف على نفسك، وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه فإن الله تعالى يقول في كتابه:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (التوبة: ١٠٠). وقال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ (الزمر: ١٨). ثم يبدأ الإمام مالك في شرح وجهة نظره، ووجهة نظر الإمام مالك معروفة منذ عهده، وقد تحدث الأئمة عنها قديما وحديثا، ولا نجد خيرا من شرح الإمام مالك لها في رسالته هذه: إنه يقول بعد المقدمة التي ذكرناها:

فإنما الناس تبع لأهل المدينة:

أ- إليها كانت الهجرة.

ب- وبها تنزل القرآن، وأحل الحلال وحرم الحرام.

ج- وبها كان الصحابة إذ رسول الله ﷺ بين أظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل ويأمرهم فيطيعونه، ويسن لهم فيتبعونه.. حتى توفاه الله، واختار له ما عنده، صلوات الله وسلامه عليه ورحمته وبركاته.

د- ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ممن ولي الأمر من بعده، بما نزل بهم: فما علموا أنفذوه، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم، وحداثة عهدهم، وإن خالفهم مخالف، أو قال امرؤ غيره أقوى منه وأولى، ترك قوله، وعمل بغيره.

هـ- ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبل، ويتبعون تلك السنن.

أما النتيجة التي يصل إليها الإمام مالك من كل ما تقدم فهي:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«فإذا كان الأمر بالمدنية ظاهرا معمولا به، لم أر لأحد خلافه: للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز انتحالها ولا ادعاؤها، ولو ذهب أهل الأمصار يقولون: هذا العمل ببلدنا وهذا الذي مضى عليه من مضى منا لم يكونوا فيه من ذلك الذي جاز لهم».

والفكرة التي يدعو إليها الإمام مالك، والتي يجعلها إحدى أسس مذهبه هي أن عمل أهل المدينة حجة، وذلك للأسباب التي ذكرها ولها شأنها الكبير ووجاهتها التي لا تنكر.

ومع ذلك فإن العلماء أخذوا يفصلونها تفصيلا يستغرق الاحتمالات العقلية وأخذوا يقلبونها على مختلف وجوهها.

فيقولون مثلا: إن الإجماع الكامل لأهل المدينة حدث بالفعل في أمور منها مثلا:

أوقات الصلاة وعدد الركعات في الفروض.

ولكن هل شمل الإجماع بقية المسائل؟

ألم يختلف أهل المدينة أنفسهم في كثير من الأمور الفرعية التي تكون موضوع الفقه؟

ثم أمر آخر: هل يستوي إجماع أهل المدينة-إذا حدث - المستند إلى نقل مع إجماع أهل المدينة المستند إلى استنباط؟ ثم هل حدث إجماع حقيقي لأهل المدينة فيما عدا المسائل التي لم يختلف فيها أحد من المسلمين؟

لقد دار حول ذلك وغيره مما يتعلق بعمل أهل المدينة وحجيته أبحاث مستفيضة في كتب أصول الفقه.

وسنرى فيما بعد نظرة الإمام الليث للموضوع فإن فيها بيانا ومنطقا لا يتأتى أن يفعله باحث، اللهم إلا نادرا ولكننا قبل أن نذكر رد الليث على هذه الرسالة نذكر الختام الذي ختم به الإمام مالك رسالته وهو في غاية النفاسة، إنه يقول:

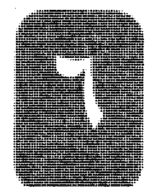
«فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك لنفسك، واعلم أني أرجو ألا يكون قد دعاني إلى ما كتبت إليك إلا النصيحة لله وحده، والنظر لك، والضن بك، فأنزل

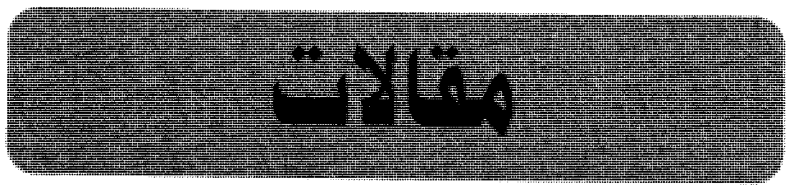
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كتابي منزلته: فإنك إن فعلت تعلم أني لم آلك نصحا، وفقنا الله وإياك لطاعته، وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال والسلام عليك ورحمة الله. أهـ.

إنها رسالة تتسم بالأدب الرفيع النفيس.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





٦ مقالات

الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي

❑ **ترجمة الشيخ.**

❑ **المقالات:**

١- إشراقة الإسلام.

العدد (٣) ربيع الأول (١٣٨٥هـ) يوليو (١٩٦٥م)

٢- أحمد بن حنبل (١).

العدد (١١) ذو القعدة (١٣٨٥هـ) فبراير (١٩٦٦م).

٣- أحمد بن حنبل (٢).

العدد (١٤) صفر (١٣٨٦هـ) مايو (١٩٦٦م).

٤- من ملامح النبوة والرسالة.

العدد (٢٥) محرم (١٣٨٧هـ) إبريل (١٩٦٧م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الكاتب

محمد عبد اللطيف السبكي

ولد الشيخ في١٨ سبتمبر عام ١٨٩٦ ، بقرية سبك الضحاك بمحافظة المنوفية ومن هنا جاء لقبه السبكى نسبة إلى اسم القرية.

بعد تخرجه من الأزهر شغل الشيخ رحمه الله مدير عام التفتيش على التعليم الأزهري، ثم عميد كلية الشريعة لمدة خمس سنوات.

تولى الشيخ موقع رئاسة تحرير «مجلة الأزهر» قرابة العشرين عاما ، وله عدد كبير من المؤلفات كان أشهرها «فى رياض القرآن، والهجرة، والسيرة النبوية، والجهاد»، وكتاب «الحلال والحرام» و«المنتخب من السنة» و«الموسوعة الدينية» و«المنتخب من السنة». فضلا عن مئات المقالات التى نُشرت في العديد من الصحف والمجلات.

تدرج الشيخ في المناصب إلى أن حصل على عضوية هيئة كبار العلماء، وكان قاب قوسين من وصوله إلى مشيخة الأزهر لولا رأيه الصادم والمفارق للسائد حول فوائد البنوك والتأمين على الحياة الذي حال دون ذلك وتم العدول عن قرار تعيينه شيخا للأزهر قبل دقائق من وصوله إلى المنصب. اختاره الشيخ المراغي شيخ الأزهر رئيسا للجنة الفتوى لخمس سنوات أو يزيد.

كما كان رئيسا للجنة إحياء التراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ولجنة التعريف بالإسلام.

وفاته: توفي الشيخ السبكي فى٣١ مارس سنة ١٩٦٩م رحمه الله رحمة واسعة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إشراقة الإسلام كانت بالدعوة إلى العلم

العدد (٣) ربيع الأول (١٣٨٥هـ) يوليو (١٩٦٥م).

في غضون ليلة من ليالي رمضان، وفي ظلمة غار موحش برأس الجبل كانت إشراقة الوحي على النبي الأمي بدعوته إلى القراءة.

وفي هذه الدعوة المفاجئة إيذان بأن القراءة وسيلة المعرفة، وإيحاء بأن الثقافة عماد الإنسانية، وتوجيه علوي إلى أن الحياة الجديدة التي هبط جبريل يحمل مصباحها إلى محمد بن عبدالله ﷺ، هي حياة العقل الراشد، والمعرفة الفياضة، والاهتداء بالعلم في آفاق هذه الدنيا.

أو هي حياة الوعي الإنساني في أكمل أطواره، أو هي حياة الإسلام وكفى.

ثم يكون هذا الأمر فوريًّا، ليس معلقًا على شيء ولا مرجأ عن تلك الساعة الراهنة.

وكيف ومحمد بن عبدالله أمي، لا يعرف كيف يقرأ، ولا يدري وسيلة لتعلم القراءة في ليلته الرهيبة؟

وهنا يتلهف محمد ويعتذر: ما أنا بقارئ.. ما أنا بقارئ (ثلاث مرات).

ثم يتكفل الله برفع الحرج عن مصطفاه، ويلقنه جبريل الأمين بقية وحيه الأول.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ (العلق: ١- ٢)، وبهذا يعلمه: أن بدء القراءة يكون بذكر التسمية لله ذي القدرة على خلق الإنسان من علقة هينة الشأن.

ثم ينتقل به نقلة ثانية إلى التوجيه نحو العلم، والعلم، لاشك، ثمرة القراءة للإنسان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويشيد بالقلم، لأنه الأداة الحتمية لقيد العلم، وتدوين بنوده، وضبط شوارده، ليكون عماد الإنسانية، وثروة الدنيا، ووسيلة الحضارة على تعاقب الأزمان والأجيال، كما ينشد الإسلام في دعوته إلى العالم كله.

ولم يكن القلم كذلك بالنسبة للنبي المبعوث بهذه الرسالة، لأن الله كرمه عن الحاجة إلى القلم، وتعهده بالوحي من عنده، ورفعه عن بهتان الأفاكين، واتهامهم له بأنه ينقل عن إنسان سواه ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ (العنكبوت: ٤٨)، فالأمية في شأنه تمام الكمال له ﷺ.

ثم لتنظر بعد ذلك: هل العلم المطلوب نوع واحد؟ أو كله مستمد من جانب خاص؟

الذي نعهده - أولا - أن العلم يكون فيضًا محضًا من جانب الله، وهذه رسالة الله إلى خلقه من طريق الوحي إلى رسله، وذلك علم الدين.

أو هو علم كسبي يهدي الله إليه من يشاء، ممن توافرت لهم المواهب ونبهت فيهم القرائح، ونشطت منهم العزائم، فطرقوا أبواب العلم من جهاته المتعددة، والتمسوه بالحواس، وبالعقول، والتجارب، وأغراهم النجاح بمواصلة السير في آفاقه فأسلمت لهم المعرفة قيادها، ولا تزال في طريقها الفسيح الممدود. وذلك في علوم الدنيا.

وعلى جوانب العلم الصحيح نبتت معلومات أخرى لا تعتبر من علم الدين، ولا من علوم الدنيا، وإنما هي في الحقيقة كالطفيليات، تنجم في مجاري الماء، وعلى متن الحقول، فيحسبها البسطاء فصائل من النبات، وليست بنبات مفيد.

ومنها كهانة الكهان، وهي تراث قديم مزيف، ولا تزال شائعة بين الناس.

فإن يكن العلم - على إطلاقه - مستمدا من الوحي، أو كسبا بالمواهب الرشيدة، فالكهانة غير ذلك كله.

والذي نعهده: أن الكهانة في قديمها وحديثها تخمين مصطنع وتظاهر جريء بمعرفة الغيب الذي لا يعرفه الناس.

وبيانها في ضوء القرآن والسنة: أن الله - سبحانه - يعلم الغيب وحده، وأنه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا يبدي غيبه إلا إذا شاء، ولمن شاء من ملائكته ورسله.

فعندما يبرز شيئا من غيبه لملائكته، ليتهيأ كل ملك منهم لتنفيذ ما يتعلق به من شؤون الدنيا وأهلها، يتحدث الملائكة بهذا فيما بينهم.

وقد جعل الله للشياطين من الجن قدرة على محاولات لا يطيقها الإنسان، فكان من دأب الجن أن يصعدوا إلى السماء فيقتربوا منها ليتسمعوا أحاديث الملائكة، ثم ينزلوا على خبثاء الناس الذين يلابسونهم في الأرض ويلقوا إليهم بما سمعوا، ويخلطوه بالكذب الكثير من عندهم.

ثم يتحدث هؤلاء الكهان إلى الناس بما عرفوا أو يزيدون فيه أو ينقصون منه ويبدلون.

فإذا أصاب الكهان صدفة في بعض ما يقولون، حسب الأغرارُ من السامعين أن الكهان يعرفون الغيب المكنون عند الله.

وعلى هذا راجت الكهانة، ولا تزال مقبولة عند أناس، وهي فتن شيطانية تفسد عقائد مصدقيها، وتزعزع ثقتهم في علم الغيب.

وكان هذا فاشيا قبل الإسلام، ولكن الله أعجز الشياطين عن الكثير من هذا، أو عن أكثره، فلم يعد لهم كبير تأثير في هذا منذ نزل القرآن، وبعث به محمد بن عبدالله ﷺ.

وإن يكن هناك قليل من هذا فإنه لاختبار الناس في تدينهم، وفي تصديقهم للأكاذيب على ربهم.

والله يقول ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣).

ويحكي عن الجن قولهم ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ (الجن: ٨-٩)، وذلك أن الملائكة تحرس السماء من محاولات الجن.

فإذا حاولوا، كعادتهم، تبعتهم بالشهب النارية فتحرقهم أو تطاردهم فيعودوا فاشلين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبهذا نعلم أن الله كفانا شرًّا كبيرًا من محاولات الجن، وعلّمنا أن لهم ضلالات، لنتحفظ من الكهان، ولا نطيع الأباطيل التي يستخدمون فيها الفنجان والودع، وضرب الرمل، واستحضار الشياطين.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحمد بن حنبل (١)

العدد (١١) ذوالقعدة (١٣٨٥هـ) فبراير (١٩٦٦م).

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، ويمتد نسبه إلى نزار بن معد، ثم يصعد في هذا الأصل الشامخ إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

في سنة أربع وستين ومائة من الهجرة خرج محمد بن حنبل من بلده مرو إلى بغداد مقر الخلافة العباسية، وكانت زوجه صفية بنت عبدالملك الشيباني رفيقة سفره، وهي حامل حينذاك، وفي ربيع الأول من السنة عينها وضعت الزوجة في بغداد طفلها أحمد بن حنبل وهو إمامنا الذي نتحدث عنه.

كان جده حنبل واليا على سرخس في ظل العباسيين، وكان أبوه محمد قائدا في الجيش بعد، ولعل عمله في الجيش سبب انتقاله إلى بغداد قاعدة الحكم، وملتقى القواد.

غير أن أحمد نشأ يتيما لوفاة والده أيام طفولته، فلم ير أبا، ولا جدا، ولم يكن أبوه حين الوفاة قد جاوز الثلاثين من عمره، فلم يدرك أن يدخر مالا أو عقارا إلا دارا ببغداد كان يسكنها، وبعد وفاته أقامت الزوجة مع طفلها أحمد في جانب من الدار، وأجرت الجانب الآخر بدريهمات، كانت تستعين بها على العيش، حاضنة لولدها الصغير، وعلى هذا الحال تعهدت الأم صفية ابنها أحمد حتى بلغ مبلغ الفتيان، وانتهى من تعلم القرآن، مبرزا فيه تبريزا لفت إليه الأنظار، وأثار حوله العجب.

في السادسة عشرة من عمره نهض إلى طلب الحديث وجمعه في نشاط غريب من مثله، وكثير على سواه، حتى قال هو عن نفسه بعد: «كنت ربما أردت البكور في الحديث، فتأخذ أمي بثيابي وتقول: حتى يصبح الناس، توفر على الرواية،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأكبَّ على التحصيل». فلم يشغله عن هذا طلب عيش ولا رقة حال، ولا تعرف إلى ذي سلطان، ولم يقعد به خلو يده عن الأسفار والسعي وراء العلماء في كل واد.

رحل من بغداد إلى الكوفة، ونزل البصرة ومكة، وطاف بالمدينة واليمن وقصد الشام والجزيرة، وهبط على خراسان وفارس، ويمم بلادا أخرى كثيرة يتتبع شيوخها، ويلقى علماءها، ويأخذ عن كلٍّ ما لديه من الحديث، مما يصح عنده، ويطمئن إليه، فلم يفته عالم سمع به، ولا بعدت عليه جهة يستقي منها العلم بسنة الرسول ﷺ، وما أثر عن أصحاب الرسول، ولقد أعيته النفقة يوما عن الوصول إلى بلاد الري ليأخذ عن عالمها جرير بن عبدالحميد، فكان يتأسف لعجزه ويقول: لو كانت عندي خمسون درهما كنت خرجت إلى الري إلى جرير بن عبدالحميد، ولكن خرج بعض أصحابنا، ولم يمكني الخروج، ولم يزل حريصا على لقاء جرير هذا حتى لقيه ببغداد في رحلة جاء فيها جرير، والتمس أحمد من علمه ما تهيأ له. ويحدثنا عنه أحمد بن سنان من سراة القوم في واسط فيقول: «قدم علينا أحمد بن حنبل في جماعة من البغداديين إلى الشيخ يزيد بن هارون واستقرضوني كلهم مالا وردوا إلا أحمد بن حنبل، لم يستقرضني بل أعطاني فروة له فبعتها له بسبعة دراهم».

وقد هوّن على أحمد هذه المشاق وسهّل عنده تلك المصاعب حفظ نادر، وفهم ممتاز، ورغبة لا يلحقها ملل، وتوفيق لم يعهد مثله إلا في رجال اختصهم الله تعالى بفضله، وقيضهم لحفظ السنة، وضبط الشريعة وصيانة الأحكام. قال أبوزرعة: كُتب أحمد بن حنبل ليس في أوائل أجزائها أسماء المحدثين الذين سمع عنهم، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه. وقال كذلك: حزرت كتب أحمد في اليوم الذي مات فبلغت اثني عشر حملا وعدلا ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان، ولا في بطنه حدثنا فلان، وكل ذلك كان يحفظه من ظهر قلبه، والروايات عنه في تقدير مواهبه تملأ الصفحات، وقد دأب أحمد على رواية الحديث، والتردد من بلد إلى بلد، ومن شيخ إلى شيخ، حتى بلغ الأربعين من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عمره فاستوى له أن يجلس للتحديث، وكان قبلُ يمتنع أن يجلس لذلك، ويمتنع أن يجلس للفتوى، إلا ما كان يسأل عنه من علم عنده.

وكثيرا ما كان يحيل السائلين على معاصريه من العلماء، بعدا عن التورط في الفتوى، وهي سنة الصحابة والتابعين.

● مكانته في الحديث

استطاع أحمد أن يجمع من الحديث خمسين ألفا وسبعمائة ألف حديث، ثم نقدها نقد الصيرفي الخبير، حتى صفاها من الدخيل، واستقر به الأمر على نحو من أربعين ألفًا، دَوَّنَ أحمد هذه الأحاديث في كتابه المشهور بالمسند، وحرص عليه حرص البخيل على ماله، وكان يقول لابنه عبدالله «احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماما». ويقول إسحق بن حنبل قريبه وتلميذه: جمعنا أحمد، أنا وصالح وعبدالله ابنا الإمام، وقرأ علينا المسند، وما سمعه منه غيرنا، وقال لنا «هذا كتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألف حديث، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه فإن وجدتموه فيه وإلا فليس بحجة»، وكانت هذه هي مكانته في الحديث.

● محنة الإمام أحمد

على عهد الرشيد توقدت جمرات الخلاف المذهبي بين المعتزلة وغيرها من الطوائف، ونبتت الفكرة بأن القرآن مخلوق- يعني ليس بقديم- ثم اندلع لهيب الفتنة أيام المأمون، والمعتصم من بعده، وأخذت بدعة القرآن في مد وجزر بين الداعين إليها من أمثال بشر المريسي وأحمد بن أبي دؤاد قاضي بغداد، وبين المعارضين لها من أمثال أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح وغيرهما من وجوه العلماء. وكان المأمون يشد أزر المبتدعين لهذه الأحدوثة، ويعمل على كسب أنصار لها من أمثال أحمد بن حنبل ممن هم في مكان القدوة بين الناس، وبعد محاولات عدة ومناظرات حادة يئس المأمون من أحمد ومن معه من المعارضين، فأعمل سيفه في رقاب نفر منهم، وزج في السجن بآخرين، منهم ابن حنبل.

فلبث في السجن ثمانية وعشرين شهرًا- بين أخريات عهد المأمون وأول عهد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعتصم- لقي فيها من ضروب الهوان والإيذاء، ما لا يطيقه إنسان ولا يصفه قلم، تقلبت عليه أحداث وحيكت له الدسائس من رجال المعتصم، وهو لا يلقى ذلك إلا بيقين راسخ، وصبر لا يهين، وجلادة تزيد الخصوم بأسا منه وحيرة في أمره.

● **تمسكه برأيه**

كان يؤتى به من السجن مقيدًا مهانا إلى مجالس المناظرة، ويواجه فيها بأحمد ابن أبي دؤاد، وأحمد بن رباح، وأبي شعيب الحجام، وأمثال هؤلاء من بطانة الخلفاء، فيقيم عليهم الحجة، ويلزمهم الخزي، فيضاعفون القيد في رجليه، ويعاد إلى السجن مخلوع النعلين مسحوبا في مذلة، ثم تتجدد المأساة من ساعة إلى ساعة ويضرب بالسياط المبرحة مرة بعد مرة، ويقطع عنه الزاد يوما وأيامًا، فما يكون منه إلا ثبات على حقه وازدراء لباطلهم واستهانة بكل ما يصنعون. ومما أثر عنه في إبان هذه المحنة أن الخليفة المعتصم أمر به يوما فجيء به من السجن وأوقفه بين يديه، وقال له: وقرابتي من رسول الله ﷺ لأضربنك بالسياط حتى تقول كما أقول بخلق القرآن، ثم التفت إلى الجلاد، وقال له: خذه إليك، فأخذه ناحيته وبدأ يضربه، وحينما ضربه السوط الأول قال أحمد: باسم الله، وفي الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وفي الرابع قال: لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا، ثم ما زال الجلاد يضربه إلى تسعة وعشرين سوطا، ويقول ميمون بن الأصبغ حينما بلغ الضرب إلى السوط التاسع والعشرين انقطعت التكة من سروال أحمد (رباط اللباس)، فقلت الساعة ينهتك، فرمى أحمد بطرفه إلى السماء، وحرك شفتيه، فثبت السروال ولم ينزل.

ويقول ابن الاصبغ هذا: فدخلت إلى أحمد في سجنه بعد سبعة أيام، وقلت له يا أبا عبدالله، أرأيتك يوم ضربوك قد انحل رباط سروالك فرفعت طرفك نحو السماء، وحركت شفتيك، فأي شيء قلت؟ قال أحمد: قلت اللهم إني على الصواب فلا تهتك لي سترًا. ولما تضاعفت المأساة بعد هذا تأذت نفس المروزي وهو صاحب أحمد وتلميذه، فدخل عليه السجن يومًا، وقال له: يا أستاذ، قال

الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩)، يريد منه أن يوافق الخليفة على قوله- ولو ظاهرًا- لينجو من الهلاك، فقال أحمد: يا مروزي، اخرج فانظر أي شيء ترى، فخرج المروزي إلى رحبة دار الخليفة، فوجد جمهرة من الناس لا يحصيها العدد، وبأيديهم الأقلام والمحابر، فسألهم المروزي: أي شيء تعملون؟ فقالوا ننتظر ما يقول أحمد فنكتبه، فدخل المروزي على أحمد وأخبره بذلك، فقال له أحمد: يا مروزي، هل أضل هؤلاء كلهم؟ أنا أقتل نفسي ولا أضلهم.

وفي هذه المحنة وأحاديثها فصول طوال، وقصص عجيب، كلها تدل على كمال الإيمان، ورسوخ العلم، وقوة الحجة، كما تدل على أن بطانة السوء شر ما يبتلى به الأمراء والرؤساء.

● تراجع المعتصم

وأخيرًا يئس المعتصم من إخضاع أحمد، فأشار عليه بعض بطانة السوء أن يقتله، ولكن آخرين منهم تخوفوا أن يكون قتله سببًا في فتنة شديدة، وهياج عام لتعلق الناس به، وتخوفوا كذلك أن يكون القتل سببا في فتنة أخرى لزيادة حب الناس لأحمد، وتعلقهم به أكثر إذا رأوه صبر حتى قتل.

هم يحسدوني على موتي فواعجبًا حتى على الموت لا أخلو من الحسد

وقد جنح المعتصم لهذا الرأي، وحضر عم الإمام أحمد، وبعض أهله، وأشهدهم على أن أحمد صحيح البدن، وقال قد سلمته إليكم صحيح البدن.

● في عهد الواثق

وبهذا سكت الناس وهدأوا، ولم يكد يخرج أحمد من سجنه ويعود إلى مجالس العلم أياما حتى توفي المعتصم، وخلفه الواثق بالله، فاستدعى أحمد، وأفهمه أنه سوف لا يتعرض له، وإنما يطلب منه ألا يظهر في بلد يسكنه الخليفة، فاعتكف أحمد بعد ذلك نحو أربع سنوات من سنة ٢٢٨- ٢٣٢هـ، وكان اعتكافه في دار إبراهيم بن هانئ النيسابوري.

ويروي عنه إبراهيم هذا أنه طلب منه يوما أن ينقله من مكانه إلى مكان سواه،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقال إبراهيم إني أخشى عليك يا أبا عبدالله أن تراك العيون، فقال له أحمد إن فعلت أفدتك، فنقله إلى دار أخرى، فقال له يا إبراهيم اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام، ثم تحول، وليس ينبغي أن يتبع رسول الله ﷺ في الرخاء وفي الشدة.

● **تحوّل في صالح الإمام**

وظل أحمد على اختفائه هذه المدة حتى توفي الواثق، وولي من بعده المتوكل. جاء المتوكل بسياسة جديدة، فأنكر ما كان يدعو إليه المأمون والمعتصم، وقاوم المفسدين بشجاعة لم تتهيأ للواثق، وآزر أهل السنة وشجعهم بماله وسلطانه، حتى خبت نار الفتنة، وعاد الحق إلى نصابه، واستطاع الإمام أحمد وتلاميذه أن يستردوا حريتهم المغصوبة ويعودوا إلى مجالس العلم آمنين وإلى إعلان كلمة الحق مطمئنين.

● **مذهبه في الفقه وما يقال عنه**

غلبت على الإمام أحمد نزعته إلى روايات الحديث وتدوينه عن رسول الله ﷺ فلم يكن يعنى بالتأليف في الفقه، ولا يدعو الناس إلى التدوين عنه، بل كان ينهى أن يكتب كلامَه سائله، ويود لو أن الناس سلكوا مسلكه، وتتبعوا حديث الرسول ﷺ والمأثور عن أصحابه، وكان يقول: عليكم بالحديث، ويقول: إنما أُمرنا أن نأخذ العلم من فوق. ومن أجل ذلك لم تكن له مؤلفات بعد المسند، إلا رسائل محدودة في الورع، وفي الصلاة، وفي الناسخ والمنسوخ، وفي المتقدم والمؤخر في القرآن، وفي جوابات القرآن، وفي المناسك.

وهذا التمنع عن التأليف لئلا يضيق وقته عن خدمة السنة، والسنة عنده بعد القرآن هي كل شيء، وأعز من كل شيء، والله سبحانه وتعالى يعلم حسن قصده، فحفظ علمه ونفع به عباده، إذ وفق تلاميذه أن يدونوا مسائله، ويثبتوا كل ما عرفوا عنه من أحكام، فكتبوا في هذا أكثر من ثلاثين سفرا، وظلت هذه الثروة العلمية تراثا خالدا للإسلام، وشاء الله أن يمتد فضل هذا الإمام فلم يبق مذهبه في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العراق، بل امتد إلى الشام ومصر، بل صار المذهب السائد المعتمد به في المملكة العربية السعودية. وإن مذهبًا يقوم على السنة ويستظل بلوائها، لجدير به أن تخفق رايته في بلد ترعرعت فيه السنة، وأشرقت فيه شمس الإسلام.

● مكانته في الفقه إلى جانب مكانته في الحديث

لم يكن أحمد معنيا بجمع الحديث لمجرد الحفظ والشهرة، بل جمعه وعنى نفسه في تحصيله ليصل إلى كل ما شرع الله، وليعرف ما يتجه إلينا في خطاب الله. وقد تسنى له ذلك فى ضوء علمه الغزير بالسنة ومعرفته الواسعة بكتاب الله، وقدرته الممتازة على تأويل الآيات أو تفسيرها، وأخذ ما يؤخذ من ألفاظها ومعانيها فكان له في الفقه مجال فسيح، وفهم صحيح، وكانت لمذهبه أصول وقواعد كلها موضع القبول عند الآخذين عنه، كما كانت موضع الإجلال عند معاصريه من عظماء زمانه.

وأي الناس أعرف بالإمام أحمد من أقرانه وشيوخه وتلاميذه، وهذا هو الشافعي رضي الله عنه يقول: «خرجت من بغداد، وما تركت فيها أحدا أورع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل». وهذه شهادة من شيخ لتلميذه، وتلميذ لشيخه، فقد أخذ كل منهما عن الآخر، وكل يعرف صاحبه حقا. وكذلك يقول قتيبة بن سعيد «لو أدرك أحمد عصر الثوري ومالك والأوزاعي والليث بن سعد، لكان هو المقدم» وكان أبو القاسم ابن الخليلي يقول: كان أحمد بن حنبل إذا سئل عن المسألة كأن علم الدنيا بين عينيه. ويقول إسحق بن راهويه: كان أحمد إمامًا للدنيا. فنحن إزاء هذه الشهادات وأمثالها، وإزاء ما نعرف عن مذهبه بمزاولتنا له، لا يسعنا أن نضعه في الفقه إلا في الصف الأول من الأئمة، كما اعتبروه في الحديث إمام الأئمة.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحمد بن حنبل (٢)

العدد (١٤) صفر (١٣٨٦هـ) مايو (١٩٦٦م)

● تهمتان كاذبتان

ومع ما لهذا الإمام من فضل واسع فقد علقت بأذهان الناس نحوه فكرتان كاذبتان ليس لهما حظ من صواب.

الأولى: أن فقه الإمام أحمد لا يتسع لحاجات الناس، وهذا لوقوفه عند النصوص، وتحرجه عن طرق باب القياس والاستنباط. والشريعة كما تؤخذ من النص تؤخذ بالقياس على المنصوص، وإلا ضاقت وكانت حرجًا، وذلك ما وقع فيه أحمد بن حنبل.

هذه تهمة من اثنتين يتحدث بها بعض المتعلمين. وهؤلاء في حاجة إلى الإرشاد والتوجيه، ذلك أن أحمد كثير الثروة من الأحاديث ومن المأثور عن الصحابة، كما قلنا وعرفنا، ومن كانت لديه ثروة كهذه فقلما يحتاج إلى القياس، كما يحتاج من لم تتوفر له هذه الكثرة، حتى إنك لتجد للإمام أحمد في المسألة الواحدة روايتين أو أكثر، وقد تجد لعلماء مذهبه بجانب ما نقلوا عنه توجيهات أخرى في المسألة الواحدة، وذلك كله لتعدد الأدلة واستوائها في القوة، وهذا يشهد بأن مذهب أحمد واسع الجوانب، كثير الموارد والمصادر، وهو أمر يعلمه الباحثون فيه من أولي العلم. وقد يحدثك به جمهرة من العلماء ومن رجال القضاء الشرعي والأهلي وممن لهم إقبال على الفقه الإسلامي.

على أن أحمد لم يغلق باب الاجتهاد، بل دعا إليه في قوله: إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق. يعني من الأدلة لا بالتقليد، وكذلك لم يحظر القياس، بل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أقره وعمل به، وقال فيه: لا يستغني أحد عن القياس. وللقياس باب واسع في مذهبه، فكيف يقال: فقه أحمد قليل، والاجتهاد عنده محدود؟

نعم، لم يكن مذهب أحمد مذهب السلطان في مصر يوما ما، ولا كان مذهب القضاء إلا في فترات قصيرة، وفي جهات محدودة، فلم يتسع له الأفق كما اتسع لغيره، ولم يكثر فيه التخريج والتفريع كما كثر في مذاهب أخرى، لكن ليس معنى هذا أن فقه أحمد يضيق بما يحتاج إليه الناس، بل فيه فسحة لكل ما يجد ويقع من أحداث وشؤون، وإن لم تتسع لذلك نصوص يدخرها المذهب، فليتسع باب القياس، وباب الاستحسان عند أحمد وعلماء مذهبه، وليس في ذلك من حرج، متى وجد الداعي وتوافرت المسوغات.

والتهمة الثانية: وهذه تهمة أخرى ليست بضيق مذهبه وقلة أحكامه-كما زعموا- وإنما هي أشنع ذكرًا وأسوأ أثرا، هي تهمة التزُّمت والجمود والجنوح إلى الشدة والجفاف والبعد عن الرفق، سواء أكان في أحكام الدين أم في معاملات الناس، لم تبق هذه التهمة لدى بعض من أهل العلم فحسب كما كانت الأولى، بل جرت على ألسنة العوام وأصبحت فكاهة يتندرون بذكرها، حتى ليتصورون الحنابلة بعيدين عن سماحة الإسلام في المعاملات ومقتضيات الحياة.

وما كنا لنأبه لهذه الأراجيف لولا أنها تجر إلى سوء الفكرة عن الإمام أحمد وعن فقهه، ونحن من هذه التهمة في موقف العجب!

ولكن على أي حال:

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبًا فما اعتذارك من قول إذا قيلا

وإني لأقف رويدًا أمام هذه الفرية المكذوبة علّنا نرى الأصل الذي نجمت عنه والركن الذي هبت منه، والأمر في تعليلها لا يتعدى فروضا ثلاثة:

الأول: أن الناس في بلادنا يرون كثرة الأتباع للمذاهب الأخرى وقلة أتباع أحمد بالنسبة للآخرين فيعتبرون ذلك أمارة على الشدة والصلابة.

إن كل هذا رجم بالغيب، وعماية في الرأي، فما كانت الكثرة ولا القلة ميزانا بين مذهب ومذهب، وإنما الناس في طلب العلم، وخاصة في مصر وراء الآمال،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد كان مذهب أبي حنيفة يوما ما قليل الأتباع، فلما آزره سلطان الحكم العثماني واتخذوه مذهب الدولة رغب الناس فيه وأقبلوا عليه، فبان فضله وكثر أتباعه.

ومذهب أحمد غريب عن مصر، فلم تكن له مواطنة تعززه كما للشافعي ﷺ، ولم يصادف حظوة من تأييد الحكام كما لمذهب أبي حنيفة أحسن الله إليه، فليس صوابا أن تكون القلة أمارة على الصعوبة.

السبب الثاني: وهو أشبه بالصواب، أن الحنابلة في القرن الرابع الهجري بعد وفاة الإمام أحمد بفترة طويلة كانوا ذوي كثرة وغلبة في بغداد، وكانوا في مأمن من مقاومة الخلفاء فاستغلوا كثرتهم في مناصرة مذهبهم، وتعرضوا بالعنف لمن يخالفهم، وأساءوا إلى كثير من الخاصة ووجوه القوم، وابتدعوا أقوالا متطرفة تنسب إلى المذهب حتى اليوم، وليست منه في شيء، وأحدثوا في ترويجها شغبا آلم الناس، وأوغر صدور الحكام فنهض الخلفاء لمقاومتهم وهددوهم بالإيذاء والتنكيل حتى أقلعوا عن هذه المشادة، فإن صح هذا الموقف تعليلا لما ينسب إلى المذهب من شدة فهو تعليل وقتي في زمانه، وهو محلي لم يتعد حنابلة بغداد يومذاك، فليس من الإنصاف أن تلصق هذه القالة بصاحب المذهب، أو تساير أتباعه حتى في مصر وبعد هذه السنين الطوال، إنها فئة قليلة تشذ عن المذهب يوما ما، فيرمى بدائها الأبرياء في آخر الأيام؟

غيري جَنَىٰ وأنا المعذب فيكمو ... فكأنني سبابة المتندم

السبب الثالث: وهو أغرب من سابقيه وأصدق عندي، أن الإمام أحمد لقي من دسائس حساده وعنت الخلفاء ما ذكرت، ونزل به من الإيذاء والتعذيب ما لا يطيقه إلا المخلصون لدين الله الصابرون على ما أصابهم في سبيل الله، حتى هانت عليه حياته ورخصت عنده نفسه، ورضي بالموت عذبًا سائغًا دون أن يقول كلمة يرضي بها الخليفة، وينقذ بها نفسه مخافة أن يكون في لفظته مساس بالقرآن، أو أن يتأول الناس كلامه فيضلوا بسببه وهو يرى الموت أهون من الضلال والإضلال، فيبتعد عن الضلال ولو من أبعد الطرق، ويقدم على الهلاك ولو بأبشع الطرق، ما دام في هلاكه صيانة لكلام الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيا ترى أيكون تحفظ الإمام لدينه وحرصه على الناس أن يضلوا بسببه أمرًا معيبًا عند البعض، وتهمة بالجمود والعصبية العمياء، ويُعيّر من أجله كل ثابت على مبدئه أو محتفظ بكرامته، أو معتز بشخيصته أو معتصم بدينه بأنه حنبلي؟

إن كانت العزيمة والتمسك بهذه الفضيلة معابة، فأنعم بالحنبلية شعارًا فوق رأسي، ووشاحا في صدري، وراية في يميني، وغرة في جبيني، وليقل الناس ما شاءوا «إن المحب عن العذال في صمم».

نعم، إن موقف أحمد إزاء الخلفاء لموقف التضحية، وهو المثار لهذه القالة، وكان العهد أن يشاد بهذا في الذكريات الطيبات، وأن يجري على ألسنة الناس مجرى الباقيات الصالحات، ولكن لما اعتل ذوق الناس للفضيلة، وفسد الرأي في تقديرها واضطرب في فهم ميزان الأخلاق، وانتكس الحق بينهم، وظهر الباطل فيهم، قلبوا الأوضاع على سمت غير سمتها، وسموا الأشياء بغير أسمائها، فكان الذياد عن الحق، أو عن العقيدة، رذيلة، وكانت مكرمة أحمد عندهم نقيصة.

ومن يك ذا فم مرٍ مريض يجد مُرًّا به العذب الزلالا

● سيداتي، وسادتي القراء

وإني إذ وقفت بكم أمام هذه التهمة ووصلت بكم إلى أن قائلها إنما يشهد على نفسه بالغباء، ويعلن جهالته بالفضيلة أين تكون، فإني لأرى من الحق علي، ومن سداد القول أن أنبه إلى أمرين، أحدهما: أن الإصلاح الاجتماعي في مصر قد لفت الأنظار إلى تطعيم القانون بالمذاهب الأربعة بعد أن تبين الحرج في البقاء على مذهب واحد، وبذلك أصبح قانون الأحوال الشخصية الذي يعمل به في المحاكم مزيجًا من المذاهب المذكورة، ولمذهب الحنابلة فيه قسط ذو بال، وفي هذا قضاء على سوء الظن بمذهب أحمد. كما أن الناس أصبحوا يعرضون مشاكلهم على لجنة الفتوى بالأزهر، ويسألون الحكم على المذاهب الأربعة، أو على المذهب الأرفق بحالتهم، وهذا يبشر بالتحلل من النزعات القديمة.

الأمر الثاني: الذي أنبه إليه هو أن أضرب لكم أمثلة من مذهب أحمد لم ترد عند غيره من المشهورين ليزداد الحق وضوحا لديكم، وتعلموا أن مذهبه يسر ولا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عسر فيه.

رقم (١) تجيز المذاهب للمتوضئ أن يمسح على خفه بدلا من غسل رجليه مع ملاحظة الشروط المعلومة، وأحمد بن حنبل يجيز المسح على الخف من الجلد وعلى الشراب الذي تلبسونه متى كان ساترا للقدم غير مخروق، وكان لبسه بعد وضوء كامل، ولم يزد لبسه للمقيم عن يوم وليلة.

رقم (٢) يجيز مذهب الحنابلة - على رواية فيه - أن يصلي الإنسان وهو لابس حذاءه بعد أن يمسح نعليه جيدا بالأرض ليزيل ما يمكن إزالته وما بقي من نجاسة النعلين معفو عنه.

رقم (٣) يجيز الحنابلة الجمع بين الظهر والعصر ثم بين المغرب والعشاء جمع تقديم في وقت الأولى أو جمع تأخير في وقت الثانية، وذلك لأصحاب الأعذار الذين لا يستطيعون تأدية كل صلاة في وقتها كعساكر البوليس في غير وقت الراحة، وكسائق القطار والترام والمريض والحامل والمرضعة، والعمال في المتاجر والمصانع، إذا كان عملهم لا يسمح أو يلحقهم ضرر في معايشهم إذا اشتغلوا بالصلاة في كل وقت.

رقم (٤) البهائم والطيور التي يؤكل لحمها وما يخرج من برازها لا يكون نجسا ولا يحتاج لتطهير ما تلوث بها من الثياب إذا كان علفها طاهرًا. وفي هذا فسحة وسهولة على الفلاح، وبائع الطيور، أما الدم فنجس كله.

رقم (٥) خروج الدم من جسم المتوضئ لا ينقض الوضوء إذا كان قليلا في نظر الإنسان حسب تقديره.

رقم (٦) إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد وصليت العيد لم يجب عليك أن تحضر للجمعة، وكفاك أن تصلي الظهر ولا إثم، فإن حضرت إلى مكان الجمعة وجبت.

رقم (٧) صلاة الجمعة عند الحنابلة تصح في وقت الضحى قبل دخول الظهر.

رقم (٨) إذا لم تجد المرأة زوجًا أو محرمًا من أهلها يخرج معها للحج فإنه لا يجب عليها مهما كانت غنية، بل لا يحل أن تسافر لأجله وحدها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رقم (٩) إذا دفع المشتري عربونًا وشرط على نفسه أن يتركه للبائع إذا لم يتم شراؤه ثم لم يتم الشراء فالعربون ملك حلال للبائع مهما بلغت قيمته.

رقم (١٠) إذا كان أحد الأقارب غنيا وكان له أقارب فقراء لا يرثون وجب عليه أن يوصي لهم بشيء من ماله يأخذونه بعد وفاته.

رقم (١١) ذبح الحيوان والطيور حلال ولو كانت قصبة الرقبة غير مستديرة وسواء أكان الذبح من أعلاها أم من أسفلها أو من سطحها، ولكن بشرط تسميته عند الذبح.

رقم (١٢) مذهب الحنابلة يوجب العدل بين الأولاد في التركة والعطايا فلا يجوز عندهم إعطاء الذكور وحرمان الإناث، ولا تفضيل واحد منهم بأكثر من حقه الشرعي، إلا إذا سمح الآخرون عن طيب نفس منهم، وذلك لعدم الضغينة بين الأولاد، وهي حكمة معقولة يؤيدها الدليل والواقع.

رقم (١٣) الحيل التي يتوصل بها إلى تحليل محرم ممنوعة عند الحنابلة، وإن كان ظاهرها الصحة، فزواج المحلل باطل كما هو باطل عند بعض الأئمة، حتى ولو لم يصرحوا في العقد بشرط التحليل، بل متى نواه المحلل فلا يجعله حلالا، لأن العبرة في العقود بالمقاصد لا بمجرد الألفاظ وعدمها.

وإذا أعطى والد شيئا من ماله لأحد أولاده، وجعل ذلك بيعا صوريا له ثمن اسمي، فهو حرام وباطل في مشهور المذهب، لأنه احتيال على تفضيل بعضهم على بعض من غير تراضيهم.

بقيت مسألة مشهورة يقولها الناس هي أن ظل خيال الكلب ينجس من وقعت عليه في مذهب الإمام أحمد، وهي مسألة محرفة عن أصلها الصحيح، فخيال الكلب لا أثر له عندنا، ونجاسة الكلب عندنا كما هي عند غيرنا، فإن كان جافا لا بلل فيه فمسه لا ينجس، وريقه وعرقه والبلل منه نجس، ومسه ينجس. أما أصل المسألة الشائعة فإن الحديث النبوي صح عند الحنابلة على أن الكلب الأسود الذي ليس فيه أي لون آخر إذا مر بين المصلي وبين سترة صلاته بطلت الصلاة، وهذا هو المذهب والحديث عندهم قوي غير معارض، وعندما يصح الحديث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالحنابلة لا ينصرفون عن الأخذ به، وإن غابت الحكمة العقلية. وقد صرح في الحديث بعلة ذلك، ونصه: «الكلب الأسود شيطان، إذا مر بين يدي المصلي بطلت صلاته». فالعلة في البطلان هي شبه الكلب بالشيطان، وهل الشيطان نفسه يبطل الصلاة بمروره، وهو دائما يحضرنا في الصلاة وفي غيرها؟ ذلك سؤال وارد، ولكن أدبهم مع الحديث لا يجعل للاعتراض أثرًا في الحكم.

وعندي أن الكلب الأسود البهيم لا يكاد يوجد، وقد تنقضي حياة الإنسان ولا يصادفه كلب أسود كالزيتونة.

وفي الحق أن الكلب بهذا الوصف بشع المنظر كريه إلى النفس، كما تكره رؤية الشيطان، والنبي صلوات الله عليه أكرم الناس شعورًا، وأرجحهم ذوقا وأسلمهم نظرة، ولعله بهذا ينفر الناس من قنية الكلب الأسود، ويحملهم على التباعد عنه، لأن الشيطان يتمثل به أكثر مما يتمثل بشيء آخر.

فإذا أدركنا قبح الكلب الأسود أكثر من غيره، وأدركنا تمثل الشيطان به أكثر من سواه، قرب إلى أذهاننا تنفير النبي ﷺ منه، حتى لا نحرص على اقتنائه، ذلك ما أحاوله. وعلى أي حال، فمادام في كل مذهب بعض أحكام نحس فيها غرابة ليست في غيرها، فمذهب أحمد لم يكن بدعا، وما دامت الشريعة بوجه عام مستقاة من القرآن والسنة وعمل الصحابة، فما ينبغي أن يعاب على فقيه شيء يقول به في مذهبه عن دليل صحيح.

هذه طائفة من القول عن أحمد ومذهبه، ومنها يظهر للقارئ أن هذا الإمام وقد ضرب في الورع أصدق الذكريات جدير عند الله - فيما نرجو له- بمكانته بين الصديقين والشهداء والصالحين. ويظهر كذلك أنه كان في الأولين شخصية مشرفة من كل ناحية، وأن سيرته في الآخرين ستظل عطرة فياحة يتضوع أريجها كلما ذكره الذاكرون، كما يتضوع أريج الأزهار في الرياض الناضرات كلما داعبها النسيم.

فإذا سمعتم بعد اليوم من يتفكه بكلمة حنبلي فقولوا له:

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة

ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من ملامح النبوة والرسالة

العدد (٢٥) محرم (١٣٨٧هـ) إبريل (١٩٦٧م)

● الإرهاص قبل الوحي

لم تكن نبوة الأنبياء، ولا رسالات الرسل - عليهم جميعا صلاة الله وسلامه - من قبيل الوحي المفاجئ كما يتوهم البعض، بل كانت بعد مقدمات من جانب الله تعالى تتعلق بالإنسان الذي سيختاره الله لنبوته، أو لرسالته.

فتكون هذه المقدمات أمارات سابقة، تدل الناس في حينها على ما سيكون لهذا الإنسان من شأن خاص، ثم يحقق الله تلك الأمارات بالوحي من عنده، إلى عبده الذي اختاره وأرهص له.

وليكن حديثنا - أولا - عن الإرهاص حتى نفرغ، ثم يكون الحديث عن الوحي.

● (أ) الإرهاص

١- قال في القاموس المحيط: أرهص الله عبده: جعله معدنا للخير. وقد اصطلح العلماء قديما على تسمية الملامح التي تبدو في جانب هذا العبد إرهاصات.

والمعنى المقصود: أنها أمارات من الله على أن هذا الإنسان معدن الخير، كما هو المدلول اللغوي.

وقد حدثنا القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ عن جملة من الإرهاصات بالنسبة لفريق من الأنبياء والرسل، من غير استيعاب للجميع.

ولم يتوسع القرآن الكريم، ولا السنة، في هذا الشأن عن الجميع، لأنه شيء يطول، والله- تعالى- يريد أن يبين لنا في تخفيف عنا، دون أن يشق علينا ما لا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نطيقه ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ (النساء: ٢٨). ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (النساء: ١٦٤)، وأما التاريخ فلم نجعله عمدتنا في هذا، لما عسى أن يقال فيه.

هذا، وقد ذكر الإمام القرطبي - في تفسيره - ما روي عن أبي ذر الغفاري ﷺ أنه قال: «قلت يا رسول الله، كم كانت الأنبياء، وكم كان المرسلون؟ قال ﷺ كانت الأنبياء مائة ألف، وأربعة وعشرين ألف نبي، وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا».

ثم قال القرطبي: هذا أصح ما روي في ذلك. وهذا كلام بين، وفيه الكفاية، لأن ما روي في ذلك كثير، وليس كله راجحا، كما صرح الإمام القرطبي.

والقرآن الكريم لم يتعرض لهذا العدد كله، كما نوهنا، تخفيفا، وتيسيرا.

وحينما نستعرض ما ورد موجزا في القرآن الكريم والسنة من تلك الإرهاصات أو الملامح، سنراها تأخذ في القلب نصيبها من الروعة، وتثير في النفس مباهج الإعجاب، وتنبه الإنسان رويدا رويدا من غفلة إلى يقظة، ومن جهالة إلى معرفة، ومن إنكار إلى إيمان، يوم كانت تلك الإرهاصات في عصرها، أو بعد عصرها، لمن لا يزالون في شقاق عن بعض الأنبياء والرسل.

وحينما يفقه الإنسان ويصيب الحق، يتأكد أن تلك الإرهاصات كانت وسيلة رحيمة بالإنسان الذي تعلقت به، إذ جعله الله معدنا للخير، لأنها تمهيد له، وتوجيه للأنظار نحوه. فلا يكون ظهوره بالوحي فيهم بعد ذلك بعيدا كل البعد عن مألوفهم، وما عهدوا فيه من الخير، ولا يستوحشون منه كما يستوحشون من غريب دخيل عليهم، فيتجهمون له جميعا، أو يتهجمون عليه.

وكذلك يتأكد من يفقه، ويصيب الحق، أن تلك الإرهاصات كانت وسيلة رحيمة بالقوم، لأنها تخلق فيهم وعيًا سابقًا، وتثير بينهم تفكيرا في شأنه، ومناجاة فيما عهدوا من ملامحه التي لم تكن لغيره من جمهرة الناس في محيطهم.

وذلك التمهيد يقرب الساعة العقلية بينهم وبينه، ويدنيهم أو يدني فريقا منهم إلى الاستئناس به. ويكون هذا التمهيد سبيل التجاوب بين الداعي والمدعوين،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأيسر على الجانبين كثيرا مما لو فاجأهم بالوحي من الله، دون إرهاصات تتقدمه، توقظهم من غفلاتهم.

ويوضح قولنا هذا أن الله - تعالى- جرت سنته على أن يختار نبيه أو رسوله من بين قومه، ليكونوا على معرفة بشخصيته، وعلى علم بسيرته، وعلى خبرة بأصوله، وبكل ما يدور حوله فيهم.

فلا يكون مريبا، ولا مسترابا فيه، ولا يكون مغمورا في نفسه، ولا مغموزا فيه.

وإذا سفهوا في شأنه كان مردودا عليهم بالواقع الذي يعلمونه حقا دون أن ينزل قدره عن مكانته التي هيأها له ربه، ولا عن كرامته التي أقامه الله عليها.

وإن تناولوه من ناحية تمسه من هذا القبيل أو من قبيل دعوته، فالله كفيل بحمايته، ويظل بتكريم الله من المصطفين الأخيار، لم يمسسه سوء القالة.

وإن أزهقوا روحه وسفكوا دمه، فإنما هو الاستشهاد في سبيل الله، يذهب ضحيته الأخيار من عباد الرحمن، ويبوء بإثمهم الأشرار من جنود الشيطان.

وكان المفروض بعد أن تحصل الإرهاصات لمن جعلهم الله معدن الخير أن يكون للعقول رشاد، وللقلوب تَبصُّر، فلا تتخلف الاستجابة المرموقة عن المقدمات المشهودة بما أرهص الله به لعبده.

ولكن الناس يختلفون في فطرتهم، وفي ميولهم، فمن حسنت فطرتهم واستقامت ميولهم كانوا مهتدين، وقليل ما هم، ومن عميت بصائرهم وانحرفت ميولهم ضلوا عن الرشد، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ (هود:١١٨-١١٩).

● الإرهاص لآدم عليه السلام

١- كان الإرهاص من فجر الحياة الدنيا، فحينما أراد الله أن يلقي الأضواء حول عبده آدم قبل أن يكون له شأن معروف أخبر الملائكة بقوله - سبحانه - ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ (البقرة: ٣٠)، فأدرك الملائكة من هذا، أو من أمارات بجانب هذا النبأ: أن ذلك تنويه بما سيكون لآدم في هذا العالم من قدر خطير، لأن آدم هو الوافد عليهم، فليس لديهم من مخلوق يتجه إليه الفكر سوى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذا الإنسان الأرضي الذي كرمه ربه، فذلك إرهاص مبكر، تنبه له الملائكة، وعلقوا عليه بالاستفهامات، والتعاجب، وسبق إلى ذهنهم أنهم خير وأولى بالخلافة في الأرض من هذا الإنسان الذي لم يكن مستخلصا مثلهم من عالم النور، ولا مطبوعا مثلهم على تسبيح الله، والتقديس، ولكن الله رجع بهم إلى حكمته، وعلمه الرباني فقال لهم ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

٢- ثم كان إرهاص آخر بما أفاض الله على آدم من علم لم تتهيأ له طبيعة الملائكة ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) أسماء المخلوقات من بحار، وأشجار، وجبال، ونجوم، وكائنات أخرى. مما له ارتباط بحياة آدم في الأرض، التي سيكون خليفة فيها، هو وذريته إلى يوم القيامة، يعبدون الله فيها، ويستثمرونها بجهودهم.

٣- وكان إرهاص ثالث بتلك المناظرة التي امتحن الله فيها الملائكة، إذ عرض عليهم أن يجيبوا عن تلك المسميات، فلم يكن لهم الإمداد الذي ظفر به آدم. وهذا لعدم الأهلية لذلك العلم، ولكن آدم كان بطبيعته متأهلا، وكان بإمداد الله لهُ عالما، ومجيبا عما سئل.

٤- ثم كان إرهاص رابع: بتكليف الله للملائكة أن يعظموا آدم تعظيما يناسب مقامه بعد أن تبين لهم ما كان خافيا عليهم من حكمة الله في صنعه، واختياره للإنسان دون الملائكة.

٥- ويكون الإرهاص الخامس بتوبيخ الله لإبليس على امتناعه من تعظيم آدم تعظيما أشاد الله به، حتى سماه سجودا، وإن لم يكن سجودا على الجبهة كما نعهد، فإن هذا النوع لم يشرع لغير الله.

٦- وينتهي ذلك الإرهاص في هذه القضية بطرد إبليس من الجنة، رجيما مسخوطا بلعنة الله إلى يوم الدين، بسبب عصيانه لله في ما أمره من تعظيم آدم، ويلعنه الناس على وجه الأرض دائما.

لم يكن آدم أثناء هذا نبيا، ولا رسولا، وإنما هي تمهيدات لما يصادفه بعد ذلك من الوحي، فأي إرهاص يكون أبلغ من هذا في مطلع التاريخ البشري؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم يقال: هل كان هذا الإرهاص تمهيدا لنبوة آدم، أو لرسالته كذلك؟

ويختلف العلماء في تحقيق هذا، ففريق يقرر أنه نبي فقط، لعدم وجود قوم يحتاجون إلى رسول فيهم. وآخرون يعتبرونه رسولا إلى ذريته الذين عاش فيهم أزمانا وعلمهم مما أوحى إليه ربه. وكيفما كان الرأي الأرجح، فآدم نبي على أقرب الوجوه، ورسول على قول راجح.

وتلك إرهاصات له- عليه السلام- وهذا ما أثبتناه من نصوص القرآن الكريم وكفى.

● الإرهاص لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- قدم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على مكة وهي خلاء من السكان، ومعه زوجته هاجر المصرية وولده إسماعيل، ثم تركها في رعاية الله حيث لا أنيس، ولا جليس، ولا زرع، ولا ضرع، وإنما هو تنفيذه لأمر الله، واستئناس منه برعاية الله، وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ (إبراهيم: ٣٧).

فهذه الدعوات التي جرت على لسان إبراهيم حين مبارحته لتلك البقعة الجرداء التي اختارها الله مقاما لزوجته، ولولده الوحيد الذي رزق به على كبر من السن، وبعد تشوق ورجاء - تعتبر إرهاصة لإسماعيل، وفي طيها أسرار علوية ستبدو على الأيام.

ثم يخلق الله الماء - بعد ذلك - بجانب إسماعيل، ويجمع حوله السكان، ويعمر الوادي بأهله الذين استوطنوه من العرب، ويشب إسماعيل فيهم، ويترعرع جسمه على خير ما كان يرجو أبوه، وعلى خير ما كان يطمع إبراهيم في تأهيل المكان بأفئدة من الناس تهوي اليه.

٢- وبعد ذلك أذن الله بإرهاصة ثانية لإسماعيل، وهي موقفه من أبيه حينما أخبره إبراهيم بما أوحي إليه من ذبحه قربانا إلى الله لما بلغ معه السعي (يعني شب، وتهيأت قدرته لمزاولة الاعمال) ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ (الصافات: ١٠٢).

وكان إبراهيم لابد منفذا لرؤياه، لأنها وحي، كما هو الشأن في منامات الأنبياء.

وهذا موقف ليس هينا على والد مع ولده، وخاصة إبراهيم في شيخوخته مع وحيده إسماعيل الفتى، ولكنها عزيمة الرسالة، وصدق العهد مع الله من أنبيائه فوق عاطفة الأبوة والرفق بالبنوة، بل كانت عاطفة إبراهيم برؤياه إلى ولده، حتى لا يكون التنفيذ على غرة من إسماعيل. مع التصميم على التنفيذ فإن الغرة ليست من صنائع المؤمنين، فضلا عن النبيين، ثم كان بالاستفهام، ولم يكن بالأسلوب الخبري، لأن إبراهيم كما يشهد الله له رقيق القلب، كثير الضراعة والاسترحام، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ (هود: ٧٥). فهو يترفق بولده فيما يسوق إليه من تنفيذ ذبحه، طاعة لربه، ويكل الأمر ظاهرا إلى رأيه بهذه الاستشارة.

وكان إسماعيل يدرك أن أباه فاعل ولا محالة، فماذا أجاب في طاعة أبيه؟ قال: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢) وكان هذا وعدا صادقا حقا، واستسلاما طيعا.

ثم ما كاد إبراهيم يتناول سكينه، ويلقي ولده على وجهه ليذبحه من الخلف، ويتفادى النظر إلى وجهه، لتخفيف الهول عن نفسه، حتى كانت رعاية الله أرفق من أبوة إبراهيم، وأسرع من وضع السكين على مقتل إسماعيل، إذ هتف هاتف السماء برحمة الله: ﴿... يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (الصافات: ١٠٤-١٠٧)- أي كبش كان ضحية إسماعيل - فهذه إرهاصة ثانية غير هينة الشأن، وقعت لإسماعيل وكانت مقرونة بالثناء من الله على إبراهيم وولده بما أثنى من الخير حتى كرر وصفهما بالمحسنين في القصة بسورة الصافات (١٠٢ -١١٠). كما تحدث القرآن بعد ذلك عن صدق إسماعيل في قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ (مريم: ٥٤).

٣- ثم كانت إرهاصة ثالثة مذكورة في قوله تعالى ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥).

فتطهير مكان الكعبة داخل المسجد الحرام مما يكون به من أقذار وآثار تراكمت على طول الزمن، وإعداده لما تهيأ له من طواف الطائفين، وعبادة العاكفين والقائمين والركع السجود، لا يعتبر هذا كله شأنا عاديا يعهد الله به إلى مطلق إنسان، وإنما هو قضاء رباني يعهد الله به إلى رسوله إبراهيم ليقوم بتنفيذه مع ولده إسماعيل.

وقد كان ذلك التعاون، وتَحَقَّقَ العهد، وأقيم بناء البيت في البقعة المطهرة على يد رسول الله إبراهيم، وولده إسماعيل، وهما يجأران إلى الله بأطيب الدعوات ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة: ١٢٧ - ١٢٨).

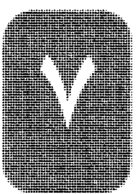
وعلى ذلك تم البناء، وتحقق الدعاء، وشرع الحج، وصار البيت ملتقى جامعا للمسلمين من كل فج، ومناطا لهديهم، وجمعا بين قلوبهم على توحيد الله، وعصمة لهم بدين الله وتنظيما لصفوفهم حول من يصطفيه الله لدعوته ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ - تقويما لهم - (المائدة: ٩٧).

فإن يكن تطهير مكان البيت الحرام، وإقامة بنائه عهدا من الله تعالى إلى إبراهيم، وهو نبي مبعوث، فإن هذا بالنسبة لإسماعيل إرهاص واضح من جانب الله بما سيكون له من شأن بعد ذلك. وقد كان وتحققت رسالته بعد تلك الملامح السالفة.

وهي باكورة الرسالات في العرب، من نسل إسماعيل بصفة أخص، ثم لم تعقبها رسالة فيهم إلا أخيرا برسالة خاتم الأنبياء محمد- عليه الصلاة والسلام.

وإنما تحولت الرسالة من بعد إسماعيل إلى إسحاق أخيه لأبيه ثم استرسلت في يعقوب وبنيه من أنبياء بني إسرائيل - يعقوب - وعلى أي حال فقد ظلت في ذرية إبراهيم: مبدأ، ونهاية ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ (العنكبوت: ٢٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

د. محمد محمد أبو شهبة

❑ ترجمة الشيخ.

❑ المقالات:

(١) اعرف عدوك: أعداء الإنسانية.

العدد (٤) ربيع الثاني (١٣٨٥هـ) أغسطس (١٩٦٥م)

(٢) نحو ثقافة إسلامية.

العدد (١٦) ربيع الثاني (١٣٨٦هـ) - يوليو (١٩٦٦م).

(٣) تحويل القبلة إلى الكعبة.

العدد (٢٠) شعبان (١٣٨٦هـ) - نوفمبر (١٩٦٦م).

(٤) الجهاد في الإسلام (١).

العدد (٢٨) ربيع الثاني (١٣٨٧هـ) - يوليو (١٩٦٧م).

(٥) الجهاد في الإسلام (٢).

العدد (١٣٥) ربيع الأول (١٣٩٦هـ) - نوفمبر (١٩٧٠م).

(٦) أبو حنيفة النعمان (١).

العدد (٧٠) شوال (١٣٩٠هـ) - مارس (١٩٧٠م).

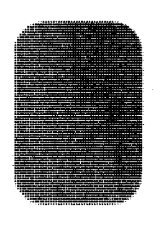
(٧) أبو حنيفة النعمان (٢).

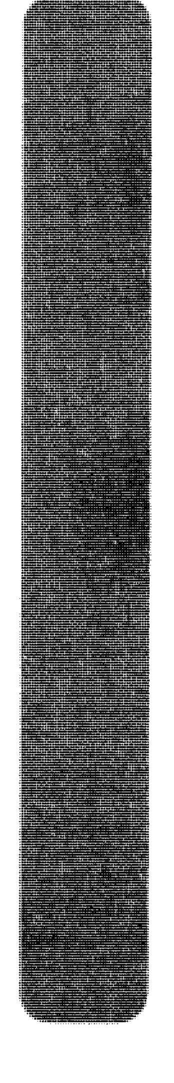
العدد (٨٣) ذو القعدة (١٣٩١هـ) - ديسمبر (١٩٧١م).

(٨) اللغة العربية في القرآن.

العدد (١٧٤) جمادى الآخرة (١٣٩٩هـ) - إبريل (١٩٧٩م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





(٩) القرآن والسنة معا.

العدد (١٧٦) شعبان (١٣٩٩)هـ - يونيو (١٩٧٩م).

(١٠) الموعظة البليغة .

العدد (١٧٨) شوال (١٣٩٩هـ) - أغسطس (١٩٧٩م).

(١١) مساهمة المسلمين في العلوم.

العدد (١٨٢) صفر (١٤٠٠هـ) - ديسمبر (١٩٧٩م).

(١٢) المساجد الثلاثة.

العدد (١٨٧) رجب (١٤٠٠هـ) مايو (١٩٨٠م).

(١٣) ترغيب الشباب في الزواج.

العدد (١٩٨) رمضان (١٤٠٠هـ) - يوليو (١٩٨٠م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعريف بالكاتب

الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ بقرية «منية جناح» الواقعة على ضفاف نهر النيل فرع رشيد التابعة لمركز ومدينة دسوق - محافظة كفر الشيخ - في ٢٥ شوال ١٣٣٢هـ - ١٥/ ٩/ ١٩١٤م.

بعد حصوله على الشهادة العالية في العام ١٩٣٩م، التحق بقسم الدراسات العليا «شعبة التفسير والحديث»، ثم نال شهادة الدكتوراه في عام١٩٤٦م بدرجة الامتياز، ثم عُين مدرسا بكلية أصول الدين ثم رقي إلى أستاذ مساعد، ثم أستاذ.

وفي عام ١٩٦٩م عين عميدا لكلية أصول الدين بأسيوط، أول كلية بأول فرع أنشئ لجامعة الأزهر في مصر.

في مطلع حياته العلمية أعير إلى المملكة العربية السعودية للتدريس بالمعهد العالي السعودي الذي صار كلية للشريعة، ثم أُعير إلى كلية الشريعة بجامعة بغداد فمكث بها عاما واظب فيه على درس الجمعة في مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان، ثم أعير للجامعة الإسلامية بأم درمان بالسودان فمكث فيها نحو ثلاث سنوات، كانت توفده الجامعة كل رمضان إلى غرب السودان.

اهتم رَحِمَهُ اللَّهُ بالتأليف في القرآن الكريم وعلومه، والسنة النبوية المشرفة وعلومها والفقه والتشريع والسيرة النبوية والرد على المستشرقين، والمبشرين والملحدين، فمن مؤلفاته: «توفيق الباري في شرح صحيح البخاري، المدخل لدراسة القرآن الكريم، علوم الحديث» وغيرها.

وفاته: توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في أيام عيد الفطر، بعد فريضة الصيام في صباح يوم الجمعة الموافق ٥ شوال ١٤٠٣هـ - ١٥/ ٧/ ١٩٨٣م عن عمر يناهز تسعة وسبعين عاما قضاها عالما عاملا وداعية مجاهدا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اعرف عدوك

أعداء الإنسانية

العدد (٤) ربيع الثاني (١٣٨٥هـ) أغسطس (١٩٦٥م)

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ (الأعراف: ١٦٧).

هذا إعلام من الله سبحانه صادق بأنه سيسلط على اليهود إلى يوم القيامة من ينزل بهم أشنع العذاب وأسوأه إذا ما ضلوا، وفجروا، وعاثوا في الأرض فسادا، وذلك لأن الله جلت حكمته سريع العقاب لمن عصاه، وغفور رحيم لمن أطاعه، وأناب إليه.

وكما كتب الله على اليهود تسليط الغير عليهم بسبب عصيانهم وإفسادهم في الأرض، كتب عليهم أن يفرقهم في الأرض بددا، وأن منهم الصالحون، وكثير منهم الطالحون المفسدون، وأن الله سيبتليهم بالخصب والجدب، والصحة والمرض، والقوة والضعف، والغنى والفقر، لعلهم يرجعون عن غيهم وإفسادهم، وتطاولهم على الأنبياء، وإسرافهم في قتلهم والنيل منهم، قال عز شأنه: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ (الأعراف: ١٦٨).

وما ذكره القرآن الكريم على لسان نبينا الصادق الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب، ولم يعرف عنه أنه أخذ عن أحد من أهل الكتاب والعلم بالتواريخ شيئا، هو الحق الذي أيده التاريخ الصحيح، وشهدت به الوقائع الجارية، فهم من قبل موسى عليه الصلاة والسلام والله يسلط عليهم بين الحين والحين من يقتص منهم ويسومهم سوء العذاب، وقد نجاهم الله على يد موسى مما أصابهم من فرعون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقومه، ولكنهم لم يشكروا هذه النعمة الجلى، وغيرها، وكفروا بالله، وبما جاء به الأنبياء والمرسلون، وما كان ربك لليهود ظالما، فسبحانه ثم سبحانه من أن يكون ذلك ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت: ٤٦) ولكنهم قوم مرنوا على سفك الدماء وانتهاك الأعراض، واغتصاب الأموال، والسعي في الأرض بشتى أنواع المفاسد، وهم إن قدروا، أو ملكوا لا يراعون إلًّا ولا ذمة، ولا يلتزمون بشريعة، ولا يحترمون حقا، ولا عرفا، ولا خلقا كريما، ويضربون بالمقررات والحقوق الإنسانية عرض الحائط، وإن ضعفوا وذلوا كانوا أداة غدر وخيانة، ودسائس ومؤامرات، وعوامل تخريب وإفساد وشر.

● **عصابة متمردة**

وقد وصفهم نبي الله موسى عليه السلام في التوراة بأنهم متمردون، ورقابهم صلبة، وقلوبهم قاسية، وأخبر أنهم بعد موته سيكونون أشد تمردا وعصيانا، ففي سفر التثنية الإصحاح ٣١ فقرة ٢٤-٣٠ «(24) فعندما كمل موسى كتابة هذه التوراة في كتاب إلى تمامها (25) أمر موسى اللاويين حاملي التابوت عهد الرب قائلا (26) خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب عهد الرب إليكم ليكون هناك شاهدا عليكم (27) لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هو ذا وأنا بعد حي معكم، اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي (28) اجمعوا إلي كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض (29) لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام، لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم (30) فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه».

وقد جاء القرآن الصادق المهيمن على الكتب السماوية السابقة بتصديق ذلك وأفاض في ذكر مثالبهم، وتعداد مساوئهم وتجرئهم وسفاههم على ربهم، وعلى أنبيائه، وعلى الناس قاطبة، فالله سبحانه حينما يسلط عليهم من يخزيهم ويذلهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إنما يجازيهم بأفعالهم، ويؤاخذهم بجرائمهم، وصدق الله حيث يقول: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ (البقرة: ٢٥١).

لقد سلط عليهم لما طغوا وتجبروا «بختنصر» البابلي فقتلهم، وخرب ديارهم، وأسر الكثيرين منهم، وأذلهم حينا من الزمان، ثم لما قووا، وعلوا في الأرض، وأكثروا من الإفساد وقتل الأنبياء سلط الله عليهم أيضا من ملوك فارس والروم «كطيطوس» النصراني فأذل كبرياءهم، وأسام وجوههم وتبر ديارهم، وعاشوا مستذلين حقبا من الزمان.

وإليك قول الحق تبارك وتعالى في هذا ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الإسراء: ٤ - ٨).

فتأمل معي في قوله سبحانه ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ (الاسراء: ٨) يعني إن عدتم إلى المعاصي والإفساد عدنا إلى تسليطنا عليكم من يذلكم في الدنيا، هذا عدا ما ندخره لكم من عذاب أليم في الآخرة.

● الأعداء الألداء

هذه بعض جرائمهم[1]، وهذه بعض عقوبات الله لهم على يد عباد من عباده قبل مجيء خاتم الأنبياء، فلما جاء الإسلام، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة أحسن

(١) ومن أعظم جرائمهم قتل أحد ملوكهم يحيى عليه السلام من أجل امرأة بغي ومحاولتهم قتل عيسى عليه السلام ومكرهم به لولا أن أنجاه الله منهم ورفعه إليه، ورميهم السيدة العذراء مريم بالزنا، فهل نسيت دول الاستعمار اليوم وهي مسيحية هذه الجرائم؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إليهم، وأقرهم على دينهم ودنياهم، ولكنهم قابلوا الإحسان بالإساءة، والتسامح بالخديعة، والعفو بمحاولة القتل، وألبوا عليه الأعداء، ونقضوا العهود وأرادوا غير مرة طعنه وأصحابه من الظهر، وأسفوا إسفافا لا يرتضيه إنسان فيه بقية من حياء أو خلق، فما كان من الرسول والصحابة إلا أن أذلوهم وهزموهم شر هزيمة وأجلوهم عن الأرض الطيبة - أرض المدينة - إلى خيبر وغيرها، ثم لم يلبث يهود خيبر وما جاورها أن غدروا وأفسدوا، فحاصرهم المسلمون وأذلوهم، فلم يجدوا بدًّا من النزول على حكم الله ورسوله، وبذلك أدال الله دولتهم، وأذهب عزهم، وقضى على سلطانهم في الجزيرة العربية، وعاشوا في خيبر وما جاورها أذلاء صاغرين، ثم تولى الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة، فأجلاهم عن أرض خيبر وما جاورها، وبهذا طهر أرض الحجاز من رجسهم، وغدرهم وخيانتهم، وشرهم المستطير، وكما ابتلي اليهود في القديم بمن أذلهم، وشردهم، ابتلوا في العصر الحديث بحكام ألمانيا النازية فساموهم سوء العذاب، وطردوهم من بلادهم شر طردة، وشردوهم في الآفاق.

● إن موعدهم الصبح

وقد لاحت لهم بارقة أمل في هذا العصر لما احتضنهم المستعمرون، أعداء الإسلام، وأعداء العرب، وأعداء الإنسانية، ووعدوهم بالوطن القومي، وجمعوهم من الآفاق، وأسكنوهم في الأرض المباركة أرض فلسطين الشهيدة، وأمدوهم بأسلحة الهلاك والدمار، والغدر والخيانة، فذبحوا وقتلوا العرب الآمنين، أهل البلاد الأصليين، وانتهكوا الأعراض، واغتصبوا الأموال، ثم كان ما كان من إجلاء العرب أبناء البلاد، وتمتع المغتصبين بخيرات البلاد وبركاتها، وبقي أهل البلاد مشردين في الصحراء والعراء، يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء، وهد من كيانهم الجوع والعري والبرد والحر، كل ذلك على مرأى ومسمع من العالم الحر، عالم القرن العشرين، ولئن عز عليهم عدل أهل الأرض، فلن ييأسوا من عدل السماء وصدق الله العظيم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ (إبراهيم: ٤٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الباطل مهما علا وتجبر فلابد أن يكون مآله إلى العفاء والفناء، والحق مهما ضعف وتوارى وراء حجب الباطل فلابد له يوما من الظهور والاستعلاء، وما يتراءى لإسرائيل اليوم من قوة ومنعة فإنما هي فورة قدر، سرعان ما تزول، وسحابة صيف عن قريب تقشع، ودولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة وهذه سنة الله في الكون، ولن تجد لسنة الله تبديلا، وصدق الله العظيم﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ (الرعد: ١٧)، ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾ (الإسراء: ٨١)، ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾(الأنبياء: ١٨).

أيها المسلمون: لقد سمعتم في القرآن الكريم- الذي هو ذكركم وشرفكم - كيف قرن الله سبحانه بين علوهم علوا كبيرا، وإفسادهم في الأرض إفسادا كبيرا، وسمعتم أن اليهود لما علوا واستكبروا في الأرض، سلط الله عليهم في كل مرة من أذلهم وتبر ديارهم، وسمعتم ما أوعد الله به من تسليط من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، وسمعتم قوله: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾ (الاسراء: ٨) فهل بعد ذلك يشك مؤمن معتز بدينه وعروبته في أن الله القوي القاهر سيديل - على أيديكم - دولتهم، ويكسر شوكتهم، ويصيرهم مثلا وعبرة في الآخرين؟ لقد وعدنا الله سبحانه، ووعدهم بلفور وأعوانه، فأين وعد بلفور المتجني الآثم من وعد الله الحق الصادق؟ لقد سمعتم أن الله سبحانه جرت سنته مع اليهود أن يدعهم حتى يبلغ إفسادهم وظلمهم المدى، وحينئذ يأخذهم بأيدي عباد له أشداء أخذ عزيز مقتدر، وإن هذا اليوم لقريب إن شاء الله إذا ما سار المسلمون في الطريق اللاحب، طريق الوحدة، وجمع الكلمة، ولم الشمل، وأخذوا أنفسهم بهدى القرآن من إعداد العدة، وأخذ الأهبة للأعداء، وعقد العزم على إرجاع الحق المغتصب وصدق الله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ (الأنفال: ٦٠).

لقد لاحت أضواء الفجر، وبدت بواكير النصر، وذلك بعقد المؤتمرات والمشاورات بين ملوك العرب ورؤسائهم وقادتهم، وستؤتي أكلها قريبا بإذن الله سبحانه، وإن غدا لناظره قريب، إن أملنا ورجاءنا كبير أن ينصر الله الفئة المؤمنة على الفئة الكافرة الغادرة، وأن ينصر أهل الحق على أهل الباطل، وأهل الصلاح على أهل الفساد، ولكن لذلك ثمنا غاليا، أن نعتز بإسلامنا كأقوى ما يكون الاعتزاز، ونهتدي بهدى شريعتنا التي صيرت من العرب خير أمة أخرجت للناس، وإذا تآزر الإسلام والعروبة فقل على المستعمرين والباغين العفاء.

ولا يسعني إلا أن أختم مقالي بهذا الحديث النبوي الشريف، روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر وأبي هريرة ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله»..

● **الهجرة الصهيونية**

فتحت السلطات اليهودية أبواب فلسطين لليهود بعد عام ١٩٤٨، وفيما يلي صورة عن هذه الهجرة بين عامي ١٩٤٨ -١٩٦٠م حسب البلاد التي قدم منها المهاجرون.

القارة	الدولة	عدد المهاجرين
أوروبا	- رومانيا	١٤٥,٠٠٠
	- بولندا	١٣٠,٠٠٠
	- بلغاريا	٣٩,٠٠٠
	- هنغاريا	٢٧,٠٠٠
	- تشيكوسلوفاكيا	١٨,٠٠٠
	- يوغوسلافيا	٧,٥٠٠
	- الاتحاد السوفياتي	٥,٠٠٠
	- أقطار أوروبية أخرى	٤٥,٠٠٠
المجموع =	٤١٦,٥٠٠	

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تابع الجدول بأعداد المهاجرين اليهود

أميركا	- الولايات المتحدة	٥,٠٠٠
	- أقطار أميركية أخرى	١٠,٠٠٠
المجموع =		١٥,٠٠٠
آسيا	العراق	١٢٠,٠٠٠
	اليمن	٥٠,٠٠٠
	تركيا	٣٦,٠٠٠
	إيران	٣٣,٠٠٠
	الهند	٥,٥٠٠
المجموع=		٢٤٤,٥٠٠
إفريقيا	الجزائر، تونس، مراكش	١٥٠,٠٠٠
	ليبيا	٣٢,٠٠٠
	ج. ع. م	٢٥,٠٠٠
المجموع =		٢٠٧,٠٠٠
أقطار لم تحدد		٢٢,٠٠٠
المجموع العام =		٩٠٥,٠٠٠

نقلا عن نشرة فلسطين التي تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نحو ثقافة إسلامية

العدد (١٦) ربيع الثاني (١٣٨٦هـ) يوليو (١٩٦٦م)

لقد استقلت معظم البلاد الإسلامية والعربية سياسيًّا، وأصبح لها كيان دولي قوي، ورأي له قيمته وخطره في المشاكل الدولية والعالمية بعد أن كان يصدق عليها قول الشاعر العربي:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستشهدون وهم حضور

وجرت في مضمار الاستقلال الاقتصادي أشواطا بعيدة ولم تعد تابعة لأحد في اقتصادها كما كانت من قبل، وبقي عليها أن تتم استقلالها الثقافي، وأن تحيي ما أماته الاستعمار من ثقافتنا الإسلامية العربية الأصيلة، هذه الثقافة التي هي بسبب وثيق من ديننا وأخلاقنا وعروبتنا وبيئتنا، والتي تتسم بالروحانية والخلقية الكريمة والمعاني الإنسانية النبيلة، والتي أظلت العالم بظلالها الوارفة أحقابًا من الزمان، والاستعماريون الدخلاء لما اغتصبوا بلاد الإسلام والعروبة في القرن الأخير لم يكتفوا بالغزو السياسي والاقتصادي، بل جعلوا جل اهتمامهم مسخ معالم الثقافة الإسلامية والعربية من نفوس الشعوب وإحلال الثقافة الغربية محلها، واتبعوا في ذلك وسائل الإرهاب حينا، والترغيب حينا آخر حتى تم لهم الكثير مما أرادوا، وغدا من المؤسف حقا أن نجد بعض اللغات الأوروبية كالإنجليزية والفرنسية هي السائدة في بلاد جل أهلها عرب مسلمون وأصبحت اللغة العربية لغة القرآن غريبة في هذه الأقطار، لا تستقيم بها ألسنة أهلها، وإنما ينطقونها برطانة أعجمية، ولسان غير عربي، وإذا كان هذا حال اللغة العربية فما بالك بغيرها من ألوان الثقافة الإسلامية والعربية، وما أكثرها وأجلها.

وليس أدل على نجاح المستعمرين في إضعاف الثقافة الإسلامية والعربية في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البلاد التي منيت بهم من أن علوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية، وهما الأصلان الأصيلان للإسلام، لا يكاد يعرف منهما طلاب المدارس والمعاهد والجامعات المدنية شيئا ذا غناء، وإذا استثنينا جامعة الأزهر، وبعض الجامعات الإسلامية الأخرى، وبعض الكليات التي تعنى بالدراسات الإسلامية فإننا نجد الثقافة القرآنية والحديثية تكاد تنحصر في جملة من الآيات، والأحاديث النبوية تدرس دراسة سطحية خاطفة على أنها نماذج أدبية، أو أمثلة لآداب وأخلاق إسلامية، من غير أن يكون لها أثر واضح في الاعتقاد والسلوك والآداب.

وكم من المثقفين وطلاب المدارس والجامعات من يعرف ما هو القرآن؟ وكيف نزل؟ ومتى نزل؟ وعلى أي حال كان يتلقاه النبي ﷺ؟ وأسباب نزوله؟ ومكيه ومدنيه؟ ومميزات وخصائص كل من القسمين، وكيف جمع القرآن الكريم ودون بين يدي النبي ﷺ؟ وما هي الأطوار التي مر بها جمع القرآن وكتابته وعناية الأمة الإسلامية بكتابها من لدن الصحابة حتى وصل إلينا كما أنزله الله من غير تحريف ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، وما هو إعجاز القرآن؟ وما هي وجوه الإعجاز؟ وإقامة الأدلة والبراهين على هذا الإعجاز إلى غير ذلك من الثقافة القرآنية التي لا يستغني عنها مسلم فضلا عن طالب علم كأمثال القرآن، وأقسامه، وقصصه ومجازه، ومحكمه ومتشابهه، وجدله ومناظراته، وأنواع حججه وبراهينه وطريقته الفذة الغضة في إقامة براهينه العقلية والكونية والوجدانية، وهذا قل من كثر، وغيض من فيض من الثقافة القرآنية ولعلك تعجب معي من هذه القصة. قال الأصمعي سمعت بنتا من الأعراب خماسية أو سداسية[1] تنشد:

أستغفر الله لذنبي كله ... قتلت إنسانا بغير حله

مثل غزال ناعم في دله ... وانتصف الليل ولم أصله

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك!

فقالت: ويحك أيعد هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ

(١) يعني بنت خمس أو ست سنين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ (القصص:٧) فجمع في آية واحدة بين خبرين، وأمرين، ونهيين، وبشارتين[1] فإذا كانت ثقافة هذه البنت الصغيرة على هذه الحال، فما بالك بالكبار من الرجال، والكبيرات من النساء؟ وكم من المثقفين وطلاب العلم اليوم من يساوي هذه البنت أو يدانيها في ثقافتها؟

وليست الثقافة الحديثة بأوفر حظا من الثقافة القرآنية لدى الكثرة الكاثرة من طلاب العلم والمثقفين، وكم من هؤلاء من يعلم ما هي السنة وما هو الحديث؟ وما هو الخبر وما هو الأثر؟ ومنزلة السنة من القرآن؟ والأدلة المتكاثرة على حجية السنة واعتبارها مصدرا من مصادر التشريع، ومتى دونت الأحاديث؟ وعناية المسلمين بها من لدن النبي ﷺ إلى أن دونت وكتبت في الصحاح، والمسانيد، والسنن، والجوامع، ثم استمرت هذه العناية إلى وقتنا هذا شرحا وفقها واستنباطا، وتنقية لها من كل شوائب الاختلاق والدس بحسب الجهد البشري، وذلك بفضل القواعد والأصول التي وضعها علماء أصول الرواية في الإسلام والتي تعتبر بحق أوفى القواعد وأرقاها، وأدقها في علم النقد بقسميه نقد السند والمتن، أو بالتعبير الحديث النقد الخارجي والنقد الداخلي، وللمحدثين في تاريخ نقد الرجال وميزانهم الميزان الدقيق ثروة لا تكاد تعرف في أمة من الأمم، فكم من المثقفين وطلاب العلم من يثقفون هذه المعارف ويعرفونها؟

فمتى نرى هذه الثقافة الإسلامية الأصيلة أمرا مشاعا بين طلابنا وطالباتنا، ومثقفينا ومثقفاتنا، حتى نعود بالمجتمع الإسلامي إلى ما كان عليه من نضج علمي، وثقافة واسعة بالقرآن والسنة.

وإذا تركنا الثقافة القرآنية والحديثية إلى غيرهما من ألوان الثقافة والمعارف الإسلامية وجدنا معرفة الطلاب والمثقفين لها ضحلة، فالدراسات الفقهية والتشريعية لم تلق العناية بها، ونحن الأمة الإسلامية لنا تاريخ حافل مجيد في الفقه والاجتهاد، وعندنا ثروة ضخمة من كتب الفقه والأصول والشروح والأقضية

---

(١) الخبران أوحينا وخفت، الأمران أرضعيه وألقيه، النهيان ولا تخافي ولا تحزني، البشارتان إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والفتاوى تعدو عن الحصر، وتملأ خزانة وحدها، وهذه الثروة الطائلة لا تحتاج إلا إلى ترتيب وتهذيب وتقنين فتبدو في ثوب قشيب جذاب يجذب الأبصار ويشبع العقول، وكان من أثر ضعف الثقافة الفقهية أن الكثرة من طلاب العلم العرب يعرفون عن رجال القانون، وأصحاب الشروح على هذه القوانين ما لا يعرفونه عن الأئمة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، والليث بن سعد، وأبي يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن، والبويطي، والمزني، والربيع الجيزي، وابن القاسم، وأشهب، والخلال، والسرخسي، والطحاوي وغيرهم من أساطين الفقه والشريعة. والدراسات اللغوية والأدبية ضعيفة وقَلَّ الاعتناء بها، ولذا نجد الطلاب يعرفون من أدباء الغرب وأعلامه أكثر مما يعرفون عن أعلام اللغة والأدب من المسلمين العرب أمثال الأصمعي، والجاحظ وابن عبدربه، وأبي علي القالي، وأبي الفرج الأصبهاني، والقلقشندي، والنويري والجوهري، والفيروزآبادي وابن منظور وغيرهم وما أكثرهم.

وكذلك الدراسات العقلية والفلسفية الإسلامية لا تجد عند طلاب الجامعات ومعاهد العلم قبولا ورواجا كدراسة الفلسفة الأوروبية ورجالها، لذلك لا تعجب إذا كان الطالب يعرف عن أعلام الفلسفة الغربية ما لا يعرفه عن الغزالي والكندي وابن سينا والفارابي وابن رشد والرازي الذين لم يكونوا مجرد نقلة للفلسفة الإغريقية كما زعم المتجنون على العرب، وأنكروا أن يكون لهم فضل وابتكار في علم أو فلسفة وإنما فهموا وناقشوا، وهضموا ما وعوه، وصيروا منه عصارة شهية مستساغة، وضموا إلى ذلك ما ابتكروه وابتدعوه من نظريات، وبذلك خطوا بالمعارف الفلسفية والإنسانية خطوات مشكورة.

ويعرف عن علماء الغرب وأعلام الفكر الذين ساهموا في التراث الإنساني، ما لا يعرفه عن البخاري ومسلم والطبري والقاضي عياض وابن حزم وابن عبدالبر والزمخشري وابن القيم والذهبي والسبكي وإمام الحرمين وابن حجر والسخاوي والسيوطي والألوسي وغيرهم وما أكثرهم.

ويعرف عن رواد الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ما لا يعرفه عن ابن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تيمية وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وغيرهم.

وكان من آثار الاستعمار السيئة في الثقافة أنه حاول طمس معالم الحقيقة فنسب إلى الغرب كل علم وحضارة وجرد الشرق ولاسيما العرب من كل فضل مع أن فضل العلماء العرب على الحضارة الإنسانية معروف غير منكور، إن طلابنا في المدارس والمعاهد والجامعات يدرسون الكثير من النظريات في الطبيعة والكيمياء والرياضة والفلك وغيرها، ويعرفون الكثير عن أصحاب هذه النظريات قدامى ومحدثين ولكنهم يجهلون فضل العلماء المسلمين والعرب على العالم في ابتداع أصول هذه العلوم والوصول إلى بعض نظرياته، هذا الفضل الذي شهد به المنصفون من علماء الغرب مثل «كاجوري» الذي قال: «إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر» ومثل «سيديو» العالم الفرنسي الذي قال: «إن إنتاج أفكارهم - أي العرب- الغزيرة ومخترعاتهم النفيسة تشهد أنهم أساتذة أهل أوروبا في جميع الأشياء».

لقد آن الأوان للقضاء على ما تركه الاستعمار من مسخ ثقافي، وافتراءات على الثقافة الإسلامية العربية الأصيلة، وأن نعيد هذه الثقافة قوية كما كانت، وأن نجعل لها السيادة على الثقافات الأخرى، وأن نلقن الطلاب والناشئة فضل آبائهم وأجدادهم على العلم والحضارة، حتى يشبوا وهم معتزون بثقافتهم وبأنفسهم.

أليس من المؤسف أن يغيب عن علم طلابنا ومثقفينا أن «الخوارزمي» العالم العربي يعتبر من كبار رياضيي العالم وأنه أول من وضع علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب، فقد رتبه وبوبه ووضع أصوله التي تعد أساسا لكثير من بحوثه، و«جابر بن حيان» العالم العربي من ألمع علماء الكيمياء العالميين الذين أضافوا مباحث مهمة، ونظريات دقيقة إلى الثروة الإنسانية العلمية جعلته في عداد الخالدين في تاريخ التقدم الفكري، و«البيروني» العالم العربي كان له كعب عال وقدم راسخة في كثير من العلوم والمعارف الإنسانية وكانت له ابتكارات قيمة وبحوث نادرة في الرياضيات والفلك، والتاريخ والجغرافيا، وقد قال «سخاو»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعد أن اطلع على مؤلفاته وبحوثه المبتكرة: إن البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ.

و«ابن الهيثم» من مفاخر الأمة العربية ومن علماء العرب العالميين برع في الرياضيات ولاسيما في بحوث البصريات ولولاه لما تقدمت تقدمها المعروف، والعلماء المسلمون والعرب هم الذين هذبوا الأرقام الهندية التي نستعملها الآن والتي وصلت إلى الغرب بوساطة الكتب العربية، وهم الذين استعملوا الصفر للغاية التي نستعملها الآن ووضع علامة الفاصلة للكسر العشري، وقد أثبتت التحريات الحديثة أن العرب هم الذين اخترعوا «الرقاص» و«الاسطرلاب» وأنهم من الذين مهدوا لإيجاد التكامل والتفاضل واللوغورتمات إلى غير ذلك من المعارف الإنسانية والاختراعات العلمية التي ساهمت في تقدم الفكر وتكوين الحضارة البشرية[1].

إنني حينما أدعو إلى إحياء الثقافة الإسلامية العربية لا أريد الانعزال عن الثقافات الأخرى من غربية أو شرقية، وعدم الاستفادة منها، لأن الثقافات يلقح بعضها بعضا، ويستفيد بعضها من بعض، ولكني أريد ألا تطغى الثقافات الأخرى على ثقافتنا الإسلامية العربية الأصيلة، وأن يكون علمنا بها علما شاملا لكل مسلم وعربي لا يختص بفئة دون فئة، ولا بجامعة دون جامعة، ولا بكلية دون كلية، وماذا على طالب الطب وطالب الهندسة وطالب الرياضة وطالب التجارة وطالب الزراعة وطالب الفلسفة و... و... لو حظي بقسط من الثقافة الإسلامية والعربية يجعله على علم بها؟ وبذلك تزول الأمية الدينية عن كثير من المتعلمين، ثم ليكن بعد هذا التخصص والتعمق في الدراسات الإسلامية للجامعات والكليات التي عنيت عناية خاصة بهذا اللون من الثقافة، فمبدأ التخصص هذا أمر معروف ومعمول به في كل جامعات العالم.

ومن العجيب أن الجامعات الإسلامية أو معظمها قد حظي طلابها بقسط غير قليل من العلوم الأخرى كالرياضة والطبيعة والكيمياء والأحياء وتقويم البلدان

(١) انظر كتاب «تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك» للأستاذ الجليل قدري حافظ طوقان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(الجغرافيا) ونحوها بينما طلاب الكليات المدنية لم يخطوا أي خطوات تذكر نحو الثقافة الإسلامية الأصيلة.

إن هذه الانفصالية بين علوم الدين وعلوم الدنيا لم تكن معروفة في عصور الإسلام الذهبية أيام أن كانت الحضارة الإسلامية العربية هي السائدة في أركان الدنيا المعروفة، فكان الأطباء والفلاسفة وأمثالهم على علم أصيل بعلوم الشريعة واللغة العربية، وأوضح مثل لذلك أبو الوليد ابن رشد فيلسوف قرطبة بالأندلس، فله بجانب كتبه الفلسفية كتب قيمة في الفقه والتشريع أجلها كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وهو يعتبر من كتب الفقه المقارن، عرض فيه مؤلفه الآراء الفقهية عرض عالم بالشريعة خبير بآراء الفقهاء وأدلتهم وأصولهم.

واقرأ ما كتبه المؤرخ الكبير وفيلسوف العرب الاجتماعي ابن خلدون في مقدمته عن العلوم الإسلامية والعربية فإنك سترى عالما خبيرا بكل هذه العلوم والمعارف الإسلامية والعربية، بل اقرأ ما كتبه حجة الإسلام الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة» لتجد نفسك أمام عالم كبير بالشريعة والأصولين أصول الدين وأصول الفقه مع إحاطته بالفلسفة ودقائقها وأصولها.

وأحب أن أنبه إلى أن الثقافة شيء والعلوم ولاسيما التجريبية شيء آخر، فالثقافة تتلون بألوان الشعوب أي بالمقومات التي تكون هذه الثقافة، أما العلم فكلأ مباح للبشرية جمعاء فلنأخذ منه ما نشاء، ولنجر فيه أشواطا لنلحق فيه من سبقنا، أو نسبقهم إن استطعنا.

وقد قال معلم البشرية ومنقذ الإنسانية نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه «الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها» (رواه ابن ماجه)، ورواه العسكري بلفظ «العلم ضالة المؤمن حيث وجده أخذه».

فهل تعود للثقافة الإسلامية العربية مكانتها؟ وهل يعيد أبناء الجيل الحاضر أمجاد الماضي؟ ذلك ما نرجو وما ذلك على الله بعزيز.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحويل القبلة إلى الكعبة

العدد (٢٠) شعبان (١٣٨٦هـ) - نوفمبر (١٩٦٦م).

لقد فرضت الصلوات الخمس بالإجماع ليلة الإسراء والمعراج قبيل الهجرة من مكة إلى المدينة وفي صبيحتها نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ من عند الله معلما له كيفيتها، ومبينا له أوقاتها، فما أن زالت الشمس حتى أمر رسول الله ﷺ فنودي بأصحابه، فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت. النبي يقتدي بجبريل، والمسلمون يقتدون بالنبي من ظهر هذا اليوم إلى ظهر اليوم الثاني.

ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد البدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نزل جبريل فأمني فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات».

وقيل إن جبريل صلى بالنبي يومين متتاليين ليبين له أول الوقت وآخره لكل صلاة. روي عن ابن عباس وجابر أن النبي ﷺ قال: «أمني جبريل عند البيت مرتين»، وقد كان النبي والمسلمون يتوجهون في صلاتهم إلى قبلة قطعا وهذا أمر مجمع عليه، لأن استقبال القبلة شرط مَن شروط الصلاة، ولكن الخلاف فيما وراء ذلك، وهو: أكان النبي ﷺ وهو بمكة يتوجه إلى الكعبة أم إلى بيت المقدس؟

● قبلة الرسول في مكة

ذهب طائفة من العلماء إلى أن قبلته ﷺ بمكة كانت إلى بيت المقدس إلا أنه لا يستدبر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس، وهذا لن يتأتى إلا إذا وقف بين الركنين الأسعد (الأسود) واليماني لأن وجه من يقف هكذا يكون نحو الشمال، فيستقبل الكعبة، وبيت المقدس في آن واحد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

روي هذا عن ابن عباس، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة استمر على ذلك ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم نسخ ذلك بالتوجه إلى الكعبة، وعلى هذا يكون حصل في القبلة نسخ واحد.

وذهب الكثيرون من العلماء إلى أن قبلته ﷺ بمكة كانت الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس المدة السالفة، ثم ولاه الله سبحانه إلى الكعبة قبلة أبيه الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقبلة آبائه وأجداده العرب، لما رأى من استشراف نفسه ﷺ إلى ذلك، وعلى هذا يكون حصل في القبلة نسخان، قال الشيخ الإمام أبوعمر بن عبدالبر حافظ الأندلس: «وهذا أصح القولين عندي»[1] ويؤيد هذا حديث إمامة جبريل بالنبي ﷺ عند البيت، وهو ما ذكرناه آنفا ففي بعض طرقه أن ذلك كان عند باب البيت (الكعبة) ومحال لمن يكون عند باب الكعبة أن يجمع بين استقبال الكعبة وبيت المقدس في وقت واحد، وهذا يضعف الرأي الأول.

ويتفرع عن هذا البحث بحث آخر وهو استقبال بيت المقدس أكان بوحي أو باجتهاد؟

الذي عليه جمهور العلماء أن استقبال رسول الله ﷺ بيت المقدس إنما كان بأمر الله ووحيه، وأن ذلك بالقرآن ويستدلون لذلك بقول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ (البقرة: ١٤٣) ويكون معنى ﴿كنت عليها﴾ أي التي أنت عليها الآن وهي بيت المقدس، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (آل عمران: ١١٠) أي أنتم في قول بعض المفسرين، وهذا على ما هو الظاهر من أن قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٢) الآيات نزلت قبل قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية وقبل توجهه للكعبة وهو بالمدينة، وهو أحد وجهين في تفسير الآية[2] أو المراد التي كنت عليها وأنت بمكة. وهذا إنما يتأتي على أحد الرأيين في الجهة

---

(١) تفسير القرطبي ج١ ص ١٥٠.

(٢) تفسير الآلوسي ج٢ ص٢.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي كان يتوجه إليها النبي ﷺ بمكة!! وعلى هذا يكون نسخ التوجه إلى بيت المقدس بالأمر بالتوجه إلى الكعبة ثانيا نسخا للقرآن بالقرآن(!!).

وذهب بعض العلماء إلى أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاد من النبي ﷺ يعني بالسنة، ثم نسخ بالقرآن فعلى هذا يكون نسخا للسنة بالقرآن. وهو أمر مختلف فيه بين العلماء[1]، ومحل بسط ذلك كتب الأصول، وليس هذا من قصدنا في هذا البحث.

● الحكمة في استقبال بيت المقدس

وسواء أكان استقبال النبي ﷺ بيت المقدس في صلاته بالمدينة بأمر من الله ووحي، أم باجتهاد من النبي، فقد كان ذلك تأليفا لليهود، وتحبيبا لهم في الدخول في الإسلام، فلما لم تثمر هذه السياسة فيهم أحب النبي ﷺ أن يرجع إلى قبلة أبيه وأبي العرب إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وكان كثيرا ما يدعو ويقلب وجهه في السماء حتى استجاب الله الدعاء، فأمره بالتوجه إلى الكعبة.

روى الطبري وغيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت، أي قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (البقرة: ١٤٤).

وكان مما جعل النبي يدعو ربه ويطيل الدعاء أن اليهود ـ لعنهم الله ـ اتخذوا من توجهه إلى بيت المقدس ذريعة للطعن فيه فصاروا يقولون يخالفنا ويتبع قبلتنا.. بل طمع بعضهم فيما هو من قبيل المستحيل فقالوا: اتبع قبلتنا، عما قليل سيتبع ديننا، فحسم الله سبحانه كل هذه الأراجيف بأن أمره بالتوجه إلى الكعبة، قبلته وقبلة المسلمين إلى يوم القيامة، وبتوجه النبي ﷺ وأصحابه إلى بيت

---

(١) شرح مسلم ج٥ ص٩ تفسير القرطبي ج٢ ص١٥٠، ١٥١.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقدس أولا ثم أمرهم بالتوجه إلى الكعبة ثانيا جمع الله له وللمسلمين التوجه إلى القبلتين، وحازوا الشرفين.

• كم شهرا توجه فيها النبي والمسلمون إلى بيت المقدس

وقد اختلفت الروايات الصحيحة في هذا، ففي بعض الروايات بالجزم بستة عشر شهرا، وفي بعضها بالجزم بسبعة عشر شهرا، وفي بعضها بالشك والتردد بينهما، وإليك هذه الروايات وتمحيصها وتحقيق الحق فيها.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب «أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده. أو قال أخواله من الأنصار[1]، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل البيت، فداروا كما هم قبل البيت، وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك». وكذلك رواها مسلم على الشك أيضا، وفي رواية لمسلم بلفظ «ستة عشر شهرا» بالجزم وفي رواية للبزار والطبراني بلفظ «سبعة عشر شهرا» بالجزم.

والجمع بين هذه الروايات سهل، وذلك بأن يكون من جزم بستة عشر شهرا لفق من شهر القدوم والتحويل شهرا وألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر شهرا عدهما معا، ومن شك تردد فيهما. أيجعلهما شهرا واحدا أم شهرين.

• في أي شهر وقع التحويل

الثابت أن قدوم النبي ﷺ المدينة كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف بين العلماء، وإن اختلفوا في يوم القدوم، والصحيح الذي جزم به جمهور العلماء أن التحويل للكعبة كان في منتصف رجب من السنة الثانية للهجرة، وقد روى ذلك الحاكم عن ابن عباس بسند صحيح، فتكون المدة إما ستة عشر شهرا أو سبعة

(١) شك من وهم أجداده لأن جدة أبيه سلمى بنت عمرو النجارية منهم وهم أخواله لأنهم أخوال جده عبدالمطلب فأي التعبيرين صحيح.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عشر على التسامح، وإذا راعينا التدقيق في الحساب، وأن القدوم كان في الثاني من شهر ربيع الأول ـ كما قال ابن اسحق ـ تكون المدة ستة عشر شهرا وثلاثة أيام، وهذا التدقيق ليس من شأن الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب. وذهب بعض العلماء إلى أن التحويل كان في منتصف شهر شعبان، وقد ذكره النووي في الروضة وأقره مع أنه رجح في شرحه لمسلم رواية ستة عشر شهرا لكونها مجزوما بها عند مسلم، ولا يستقيم أن يكون ذلك في شعبان إلا إذا ألغى شهري القدوم والتحويل، وهناك روايات أخرى شاذة لا ينبغي الالتفات إليها كروايات ثمانية عشر شهرا أو ثلاثة عشر شهرا، أو تسعة أشهر،[1] وذكر موسى بن عقبة أن التحويل كان في جمادى الآخرة من السنة الثانية والحق ما ذكرناه أولا.

• في أي مسجد وقع التحويل وفي أي صلاة؟

وقد اختلفت الروايات في الصلاة التي وقع فيها تحويل القبلة إلى الكعبة، وكذا في المسجد الذي وقع فيه التحويل، فقيل الظهر، وقيل العصر، وقيل في مسجد بني سلمة، وقيل في المسجد النبوي. وذكر ابن سعد في الطبقات أن النبي ﷺ زار أم بشر بن البراء معرور في بني سلمة فصنعت لهم طعاما وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين من الظهر، ثم أمر بالتوجه إلى البيت، فاستدار نحو الكعبة، فسمي هذا المسجد مسجد القبلتين، وقد زرت هذا المسجد وتشرفت بالصلاة فيه، ولا يزال معروفا إلى يومنا هذا، والتحقيق ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ أن المسجد الذي وقع فيه التحويل مسجد بني سلمة لما زار أم بشر بن البراء، وأن الصلاة كانت صلاة الظهر، وأن أول صلاة صلاها بالمسجد النبوي متوجها فيها إلى الكعبة هي صلاة العصر، فخرج رجل ممن صلى مع النبي بالمسجد النبوي، فمر على بني حارثة وهم يصلون في مسجدهم بالمدينة العصر، فأخبرهم بتحويل القبلة، فاستداروا في صلاتهم إلى الكعبة[2] ثم ذهب هذا الرجل أو غيره إلى «قباء» فأدركهم في صلاة الفجر وهم يصلون إلى بيت

---

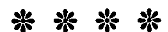
(١) فتح الباري ج١ ص٧٩ - ٨١.

(٢) المرجع السابق ص٨٠.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقدس، فأخبرهم بنزول آية التحويل فتوجهوا في صلاتهم إلى الكعبة، وبذلك يظهر التوافق جليا بين الروايات، وأنها يكمل بعضها بعضا، ولا تعارض بينها في الحقيقة ونفس الأمر.

وقد كانت الكعبة ولا تزال إلى يوم القيامة، قبلة المسلمين في كل قطر ومصر، وفي السفر والحضر، ومثابة للناس وأمنا، ورمزا لوحدة المسلمين فإلههم واحد، وقبلتهم واحدة، وغايتهم واحدة، وبذلك يتحد المظهر والمخبر، وتتوحد الغايات والمقاصد.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجهاد في الإسْلام (١)

العدد (٢٨) ربيع الثاني (١٣٨٧هـ) - يوليو (١٩٦٧م).

• تشريع الجهاد في الاسلام

لقد مكث النبي ﷺ ثلاثة عشر عاما بمكة، وهو يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد حارب أهل مكة الدعوة الإسلامية حربا لا هوادة فيها، وآذوا النبي وأصحابه إيذاء تجاوز كل معاني الإنسانية ومع هذا كان المسلمون يزدادون عددا وقوة، وصلابة في التمسك بدينهم، وكان الله سبحانه ينزل على نبيه من الآيات ما يقوي عزيمته وعزائم أصحابه، ويثبتهم على الصبر والتحمل، وذلك مثل قوله سبحانه ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ (المدثر: ١٠) وقوله ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾ (الشورى: ٤٣) وقوله ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾(الاحقاف ٣٥) وقوله ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧﴾ (النحل: ١٢٧).

وكان المسلمون كثيرا ما يأتون إلى النبي ﷺ ما بين مضروب ومشجوج ومعذب، شاكين إليه، فيثبتهم ويضرب لهم الأمثال والعظات، ويقول لهم «اصبروا فاني لم أومر بقتال» ويقول «لقد كان الرجل من قبلكم يضرب بالسيف من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر - يعني الإسلام - حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه» (رواه البخاري وأحمد).

وقد تحمل المسلمون بفضل التربية المحمدية ولا سيما الفقراء والأعبد ومن لا عصبية له منهم من صنوف العذاب والبلاء ألوانا، فما صرفهم ذلك عن دينهم، وما تزعزعت عقائدهم، وصمدوا صمود الأبطال مع قلتهم وفقر الكثير منهم وما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سمعنا أن أحدا منهم ارتد سخطة عن دينه، أو أغرته مغريات المشركين في النكوص عنه، وإنما كانوا كالذهب الإبريز، لا تزيده النار إلا صفاء ونقاوة، وكالحديد لا يزيده الصهر إلا قوة وصلابة، بل بلغ من بعضهم أنهم وجدوا في العذاب عذوبة، وفي المرارة حلاوة، وفي الآلام آمالا.

ثم كان أن هاجر بعضهم إلى بلاد الحبشة هجرتين، ثم هاجروا جميعا إلى المدينة تاركين الأهل والولد، والمال والوطن، متحملين آلام الاغتراب، ومرارة الفاقة والحرمان، وإن كانوا قد وجدوا في أهل المدينة أهلا بأهل، وجيرانا بجيران، ووطنا بوطن، ولاسيما بعد أن عقد النبي بينهم وبين إخوانهم الأنصار عقد التآخي والتحاب في الله، هذا العمل البارع الذي أقام الأخوة في الله مقام الأخوة النسبية، بل وأفضل منها، وقد أصبح للمسلمين بعد الهجرة كيان وسلطان، وأضحوا ذوي عدد وقوة، واستمر المشركون في التضييق عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم ووقفوا للدعوة الإسلامية بالمرصاد، فلم يكن بد من أن يأذن الله لهم في القتال.

● متى شرع الجهاد؟

والذي يترجح عندي بعد البحث والنظر أن تشريع الجهاد كان في أوائل السنة الثانية للهجرة، وذلك لأن المسلمين كانوا مشتغلين بتنظيم أحوالهم الدينية والدنيوية كبنائهم المسجد النبوي، وأمور معايشهم وطرق اكتسابهم، وتنظيم أحوالهم السياسية كعقد التآخي بينهم، وموادعة اليهود المساكنين لهم في المدينة كي يأمنوا شرورهم، ولا يقال أن النبي ﷺ أرسل سرايا في السنة الأولى، لأنها كانت للاستطلاع والمناوشات، والتضييق عليهم اقتصاديا، وإرغامهم على أن يفكروا جديا في تغيير خطتهم تجاه المسلمين، وتركهم يبلغون دين الله، وهم آمنون إلى الناس كافة.

● أول ما نزل في الجهاد

وكانت أول آية نزلت في تشريع الجهاد في الإسلام هي قوله سبحانه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (الحج ٣٩ . ٤١).

والإذن لا يكون إلا بعد منع، فأسلوب الآيات يشعر بأنها أول ما نزل، وأيضا فقد روى الحاكم في المستدرك عن حبر القرآن عبد الله بن العباس - رضي الله عنهما - أنها أول ما نزل في القتال، ورواه عبد الرزاق وابن المنذر عن الإمام الزهري عالم الحجاز والشام.

وروى ابن جرير عن أبي العالية وهو من التابعين أن أول آية نزلت فيه قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ (البقرة ١٩٠).

ويرى بعض العلماء ان أول ما نزل هو قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ (التوبة: ١١١).

والذي نرجحه هو الأول وهو الذي يؤيده العقل والنقل، وأما الآية الثانية فهي إلى تنظيم شؤون القتال، وتحديد حدوده أقرب، والتنظيم إنما يكون بعد الإذن، وأما الآية الثالثة، فهي إلى الحث والترغيب في الجهاد أقرب.

● لم شرع الجهاد في الاسلام؟

لقد تضمنت آيات سورة الحج المذكورة آنفا الأسباب والأغراض والحكم التي لأجلها شرع الجهاد، ولن أخرج في بيان ذلك عن منطوق الآيات وفحواها، حتى يكون في هذا المقام الحجر لمن يتقول على الإسلام، ومن هذه الآيات نستخلص الأسباب والحكم الآتية:

١- تأمين دعوة الإسلام، الدين العام الخالد، الذي ارتضاه الله سبحانه للبشرية جمعاء، ومساندة هذه الدعوة التحريرية الكبرى التي لم يشهد لها العالم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مثيلا من قبل، ولن يشهد لها مثيلا من بعد، حتى يتمكن النبي صلوات الله وسلامه عليه من تبليغ رسالة ربه حسبما صدع به الوحي في قوله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ (المائدة ٦٧).

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الأنعام: ١٩).

وتأمين المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام عن رضى واختيار واطمئنان، وحمايتهم من أذى المشركين ومنحهم حقهم في الإعلان عن عقيدتهم وهم آمنون، وليس من الحق والعدل أن يدافع أصحاب المذاهب الباطلة عن باطلهم بالقوة، وأن يترك أصحاب العقائد الصحيحة، والشريعة السمحة من غير أن يؤذن لهم في الدفاع عن عقيدتهم وشريعتهم، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ﴾ وأي ظلم أظلم من أن لا يجد الهداة والمصلحون متنفسا لدعواتهم الخيرة في أرض الله الواسعة؟ ومن أن يحجر عليهم فلا يستطيعون الإعلان عن عقيدتهم، ولا إظهار شعائرهم؟ والمظلوم إن لم يجد النصر من أهل الأرض، فسيجده لا محالة من السماء وصدق الله ﴿... وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾.

٢- الانتصار للنفس، والانتصاف للمظلوم من الظالم فها هم المشركون قد آذوا المسلمين وحاولوا ما وسعهم الجهد أن يفتنوهم عن دينهم، فلما لم يفلحوا أخرجوهم من ديارهم وأهليهم وأموالهم، والانتصار للنفس أمر فطرى وحق من حقوق الإنسان، قررته الشرائع السماوية، والقوانين الأرضية، وقد قرر الله سبحانه هذا الحق الإنساني في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ (الشورى: ٤١- ٤٢) وقد أمر الله المسلمين بالصبر والعفو والتسامح طوال العهد المكي مع المشركين أملًا أن يرعووا، ولكنهم لم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يزدادوا إلا بطرا وأشرا، وظلما واستعلاء في الأرض، فأما إذا لم تفلح معهم سياسة المهادنة والتسامح، فلتقابل القوة بالقوة، والسلاح بالسلاح، وإلا صار السكوت والإغضاء عند القدرة على الانتصار عجزًا وضعفًا ومهانة.

وليس من العدل والحق والإنصاف أن يترك المشركون يمرحون في الأرض، ويجوبون الجزيرة من الجنوب إلى الشمال، ولا يؤذن للمسلمين أن يحاربوهم من جنس ما حاربوهم به وأن يقطعوا عليهم تجارتهم، ويأخذوا منها ما تصل إليه أيديهم نظير ما اغتصبوا من أموالهم، وأن يضيقوا عليهم مثل ما ضيق المشركون عليهم وصدق الله حيث قرر هذا المبدأ الحق فقال ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (الشورى ٣٩ . ٤٠).

٣- إن في تشريع الجهاد نشر السلام والأمان في الأرض وتأمين كل ذي دين على دينه، واحترام مقدسات الأديان بين الناس، والإسلام هو الدين الذي ألزم معتنقيه بالإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب السماوية المنزلة من عند الله، وكتابه - وهو القرآن - هو الشاهد والمهيمن على الكتب السماوية كلها لأنه هو الكتاب الذي سلم من التحريف والتبديل، فقد نقل بأقوى طرق النقل والإثبات وهو التواتر المفيد للقطع واليقين، والمسلمون حينما تكون لهم السلطة والغلبة في الأرض، لا خشية على أهل الأديان الأخرى منهم، لأن لهم من وصايا دينهم ما يعصمهم من الظلم والجور والتعنت، وطالما أوصى النبي بالمعاهدين وأهل الذمة خيرا، وهذا ما صدقه الواقع التاريخي فحينما كان السلطان للمسلمين في الأرض لم يضار أحد من أهل الذمة في دينه، ولا في دنياه، ولا في نفس أو عرض أو مال، فلما ذهبت ريحهم، وغلبوا على أمرهم ذاقوا من أعدائهم ألوان العذاب من تقتيل، وتخريب، وانتهاك للحرمات.

وليس أدل على ذلك من أن الإسلام قبل من أهل الكتاب، إما أن يسلموا، وإما أن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية، وهي ليست للإكراه على الدخول في الإسلام، أو المضايقة، ولكنها نظير ما تقوم به الدولة الإسلامية من رعاية،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحماية لغير المسلمين، وما تؤديه لهم من خدمات اجتماعية، واقتصادية وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا الغرض النبيل في قوله سبحانه ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)[1].

٤- إن الإسلام بما خصه الله به من عموم الدعوة للناس أجمعين، وبما جاء به من عقائد وتشريعات وآداب أكسبته الصلاحية لكل زمان ومكان، وهو الحقيق بأن يسود في الأرض، والمسلمون المتمسكون به عقيدة، وعلما وعملا، وأخلاقا وسلوكا، هم الأحق بالسيادة والاستخلاف في الأرض، لأنهم هم الذين ينشرون فيها الهدى والرحمة، والحق والعدل والبر والخير، وهم الذين يتآمرون بالمعروف، ويتناهون عن المنكر، وهما أساس كل خير وإصلاح، وليس من شك في أن هذا يتطلب الجهاد والكفاح، وبذل النفس والمال في سبيل هذا الغرض في قوله ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ (الحج: ٤١) وقد أشار الله سبحانه بهذه الأصول التي ذكرها في هذه الآية إلى ما عداها ويجري في فلكها، فالصلاة رأس العبادات البدنية التي تزكي النفس، وتحسن علاقة المخلوق بالخالق، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، والزكاة رأس العبادات المالية التي تقيم المجتمع على أساس من التعاون والتكافل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما أساس كل خير ديني أو دنيوي، وهما دعامتا كل إصلاح والقضاء على كل شر، وبهما يصلح المجتمع ويتطهر من الفساد.



---

(١) الصوامع: متعبدات الرهبان، البيع: متعبدات اليهود والنصارى، وهي الكنائس، والصلوات: متبعدات للنصارى أيضا، والمساجد: متعبدات المسلمين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجهاد في الإسلام (٢)

العدد (١٣٥) ربيع الأول (١٣٩٦هـ) - نوفمبر (١٩٧٠م).

• حكم الجهاد في الإسلام

الجهاد من الفروض الكفائية عند جمهور أهل العلم من السلف والخلف، ومعنى هذا أنه إذا قام به من يكفي في دفع غائلة الأعداء، ونصر الإسلام، وتأمين الطريق لدعوته سقط عن الباقين، ولا يكونون آثمين، وإن لم يقم به من يكفي في هذا أثمت الأمة كلها، ولا يرتفع هذا الإثم إلا بخروج من فيهم الكفاية، ولو أدى ذلك إلى تجنيد جميع القادرين عليه، والدليل على أنه فرض كفائي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة: ١٢٢)، وقد استفاض في السنة أن الصحابة ما كانوا يخرجون إلى الغزو جميعا بل كان يبقى بعضهم، ويتخلف عن النبي أو معه من تقتضي المصلحة بقاءه، ولو خرج المسلمون جميعا لتعطلت المصالح، ووقف دولاب الأعمال، وهذا شيء يأباه الإسلام.

• متى يكون الجهاد فرض عين؟

ويصير الجهاد فرض عين في أحوال ثلاثة:

الأول: إذا التقى الجيشان، وتقابل الصفان تعين على الجيش الإسلامي الجهاد والثبات، وحرم عليه الفرار، إلا أن يكون ذلك لمكيدة أو خدعة حربية أو لأخذ مكان أحسن وأفضل أو للانحياز إلى فئة أخرى من المسلمين المجاهدين، قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (الأنفال: ٤٥)، وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ (لأنفال: ١٥-١٦) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قيل ما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله. والسحر. وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. وأكل الربا. وأكل مال اليتيم. والتولي يوم الزحف. وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

ويرى بعض العلماء أن الفرار كبيرة ولا يجوز مهما كان عدد الأعداء، ويرى البعض الآخر أن الفرار كبيرة إذا لم يزد عدد الأعداء عن ضعف المسلمين، فإن زاد فلا، لقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (لأنفال: ٦٦)، ويرون أن هذه الآية مقيدة لآيات الثبات وعدم الفرار، ويؤيد الرأي الأول ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والرعيل الأول من المسلمين من الثبات والصبر، وعدم الفرار مهما بلغت كثرة الأعداء فقد صمد المسلمون في غزوة «مؤتة» وهم ثلاثة آلاف أمام مائتي ألف من الروم والعرب المستعربة من لخم وجذام، وفي اليرموك التقى المسلمون أضعاف أضعافهم من الأعداء فثبتوا وصمدوا وكانت العاقبة لهم، والنصر المبين. وليس من الفرار ما يراه قائد الجيش من الانسحاب حتى لا يحاط بجيشه أو يفنى عن آخره، وإنما ذلك داخل تحت قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ (لأنفال: من الآية١٦) وذلك كما حدث في «مؤتة» من انسحاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد بعد أن كبد العدو خسائر فادحة ولذلك اعتبر النبي ﷺ ذلك فتحا حيث قال وهو ينعي الأمراء في مؤتة «ثم أخذها ـ الراية ـ سيف من سيوف الله ففتح الله عليه» (رواه البخاري)، ولما عير أهل المدينة الجيش وقد عاد إليها بقولهم: يا فرار، قال النبي ﷺ : «بل هم الكرار». . !!

الثاني: إذا هاجم الأعداء بلدا من بلاد الإسلام أو نزلوا فيه تعين على أهله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جميعا قتالهم، ودفعهم بما استطاعوا، ووجب على إخوانهم المسلمين في كل قطر وبلد أن يخفوا إليهم بالعون والمساعدة أداء لحق الأخوة الإسلامية التي نص عليها القرآن في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: من الآية١٠) ودعا إليها النبي ﷺ ففي الحديث الذي رواه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: «المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله» وفي رواية «ولا يسلمه» أي لا يخذله إذا استنصر به، ولا يسلمه أو يتركه لأعدائه ينالون منه، ولو أن المسلمين في كل قطر وبلد نفذوا هذا المبدأ السامي لما طمع فيهم طامع، ولبقوا ـ كما كانوا ـ أعزة أقوياء مرهوبي الجانب.

الثالث: إذا استنفر ولي الأمر ـ خليفة أو ملكا أو رئيسا أو أميرا ـ قوما أو أقواما لزمهم الخروج وتعين عليهم الجهاد وذلك لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ (التوبة: ٣٨-٣٩).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا» وفي معنى الاستنفار العام إعلان التعبئة العامة في العرف الحديث فعلى كل قادر أن يجند نفسه لنصرة الحق والوطن والتضحية في سبيلهما بالنفس والمال.

- **من يرى أن الجهاد فرض عين**

وبعض السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم كان يرى أن الجهاد فرض عين على كل حال، وفي جميع الأزمان، ويستدلون بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (التوبة: ٤١)، يعني شبابا وشيبا، ورجالا وركبانا، وأغنياء وفقراء، وأقوياء وضعفاء. ويرى ابن عباس وغيره من السلف أن حكم هذه الآية قد نسخ بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

● مثل عليا للحرص على الجهاد

وممن كان يرى هذا الرأي من الصحابة الأمجاد أبوأيوب الأنصاري صاحب المأثرة الباقية، وهي إنزال النبي ﷺ بداره على الرحب والسعة بعد الهجرة إلى المدينة، وقد كان ﷺ يستدل بالآية السابقة على فرضية الجهاد على كل حال كما كان يرى الرغبة عن الجهاد، والاشتغال بالأهل والمال إلقاء بالنفس إلى التهلكة مستدلا بقوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥). ففي حصار القسطنطينية حمل رجل من المهاجرين على صف العدو حتى خرقه فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب الأنصاري ـ وكان حاضرا ـ نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا: صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الإسلام وظهر قلنا قد أكرمنا الله بصحبة النبي ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيها فنزل فينا: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، رواه أبو داود والترمذي، وقد لزم أبوأيوب الجهاد في حياة الرسول وبعده، ولم يتخلف عن غزوة قط، ولما أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لغزو القسطنطينية تحرج في أول الأمر ولكن نفسه نازعته إلى الجهاد فقال: «ما ضرني من استعمل على الجيش» ثم لحق بهم وأبلى بلاء حسنا، ثم مرض أثناء الحصار فعاده يزيد، فقال له: ما حاجتك..؟ قال: حاجتي إذا أنا مت فاركب بي ما وجدت مساغا في أرض العدو. فإذا لم تجد فادفني ثم ارجع، فلما توفي صلى عليه يزيد والمسلمون، وفعلوا ما أوصى به، ودفن بجوار أسوار القسطنطينية شاهدا على لون رائع من ألوان البطولة الإسلامية الفذة.

● أبو طلحة الأنصاري

ومن هؤلاء أبوطلحة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وأحد الذين أحاطوا بالنبي يوم أحد ونافحوا عنه، قرأ سورة التوبة وهو شيخ كبير فأتى على هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (التوبة: ٤١) فقال: أرى ربنا استنفرنا شيوخا وشبابا،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جهزوني يا بني، فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك، فأبى فركب البحر غازيا فمات، فلم يجدوا جزيرة يدفنوه بها إلا بعد تسعة أيام، ولم يتغير، فدفنوه بها.

● المقداد بن الأسود

ومن هؤلاء السادة الأبطال المقداد بن عمرو المشهور بابن الأسود، روى ابن جرير الطبري عن أبي راشد أنه رأى المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ بحمص يريد الغزو ـ وكان شيخا كبيرا قد سقط حاجباه على عينيه ـ فقال له: لقد أعذر الله إليك، فقال: أتت علينا سورة البحوث يريد هذه الآية من سورة التوبة: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

ومن التابعين سعيد بن المسيب قال الإمام الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له: إنك عليل صاحب ضر فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد، وحفظت المتاع، وغير هؤلاء السادة الأخيار كثير.

وبحسب هؤلاء السادة الأمجاد أنهم مجتهدون في فهم الآية فإن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر، وبحسبهم فضلا ومثوبة هذه النية الصادقة، وبهؤلاء الأبطال المغاوير وأمثالهم، وما أكثرهم، مكن الله للمسلمين في الأرض، وانتشر الإسلام حتى بلغ المشرق والمغرب، فهل يعيد المسلمون هذه المفاخر والأمجاد..؟ ذلك ما نرجو وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إمام الفقهاء أبوحنيفة النعمان (١)

العدد (٧٠) شوال (١٣٩٠ هـ) - نوفمبر (١٩٧٠م)

لمّا انتشر الإسلام واتسعت رقعته، وامتد سلطانه حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار، دخلت فيه الكثرة الكاثرة من أبناء هذه البلاد التي استظلت بلواء الإسلام عن طواعية واختيار، وأخلصوا لهذا الدين وللغته العربية لغة القرآن غاية الإخلاص، فلا تعجب إذا وجد من هؤلاء أئمة أعلام، في التفسير والحديث، والفقه والاجتهاد، واللغة العربية وعلومها وآدابها، والعلوم العقلية ولاسيما الكلام، والعلوم العملية كالطب والهندسة، والرياضيات كالحساب والجبر والمقابلة، والعلوم الكونية كالكيمياء والطبيعة والفلك.

من هؤلاء الأئمة الأعلام إمام الفقهاء أبوحنيفة النعمان، الذي يعتبر مفخرة للفقه الإسلامي، ولاسيما في عصوره الأولى. وسأتناول في هذا المقال شيئا من جوانبه الفقهية والاجتهادية، وعلمه بالقرآن والسنة، وأنه ذو باع طويل فيهما، وعصره ونسبه، وحياته الخصبة المشرفة التي تجعله في عداد الخالدين من رجالات العلم في العالم.

● **نسبه ونشأته**

الإمام أبوحنيفة: هو النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي ولاء، ذلك أن زوطي جد الإمام كان فارسًا من أهل كابل، وكان مملوكا لبني تيم الله ابن ثعلبة، فأسلم فأعتق، فصار ولاؤه لهم. أما والده ثابت فقد ولد على الإسلام، وهذا هو المعتمد في نسبه، وإن زعم بعضهم أنه لم يجر على أحد من أجداده رق، بل بالغ البعض، فجعله يتصل إلى العرب بنسب.

ولا يضير الإمام، قط، أن يكون أصله فارسيا، ولا أن يكون أحد أجداده

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

استُرِق ثم أُعتق، لأن الإسلام لا يفرق بين عربي وعجمي، ولا بين مولى وسيد في التقدير الديني والعلمي، وفي الموالي من رفعه دينه وعلمه إلى مقاعد الشرف والسيادة، وفي العرب من أوبقه كفره، ورمى به في زوايا الإهمال جهله. وكانت ولادة الإمام بالكوفة سنة ثمانين للهجرة، وقد عاش بها معظم حياته، ولم يفارقها إلا إلى مكة فترة وجيزة، وإلى بغداد قبل وفاته، وكانت وفاته سنة مائة وخمسين، فهو إذن عاصر معظم الدولة الأموية، وأوائل دولة بني العباس.

● عصره وكونه تابعيا

إن العصر الذي عاش فيه الإمام يعتبر من عصور الإسلام الذهبية. والإمام ولد ونشأ في قرن يعتبر من القرون الخيرة الفاضلة، وهو عصر التابعين، ففي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، وقد صح كما قال الإمام الذهبي أنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وهو صغير، وروى ابن سعد في كتابه «الطبقات» عن الإمام أنه قال: «قدم أنس بن مالك الكوفة ونزل النخع، وكان يخطب بالحمرة قد رأيته مرارا». كما أنه رأى عبدالله بن أبي أوفى، وغيره من الصحابة، ورؤيته بعض الصحابة ليس فيها خلاف بين العلماء، وإنما الخلاف في سماعه منهم، والثقات من حفاظ الحديث ونقاده على أن الإمام لم يسمع من أحد منهم، ومذهب جمهور المحدثين أن السماع من الصحابي ليس شرطا لتحقق كونه تابعيا، وهي خصوصية امتاز بها الإمام عن بقية الأئمة الأربعة.

● أساتذته وشيوخه

وللإمام شيوخ كثيرون من أعيانهم: محمد بن السائب الكلبي النسابة المفسر، وجعفر الصادق، وابن شهاب الزهري عالم الشام والحجاز، وشعبة بن الحجاج، وربيعة الرأي شيخ الإمام مالك، وسليمان بن مهران من كبار المحدثين، وحماد ابن أبي سليمان وهو الأستاذ الأكبر للإمام أبي حنيفة، وقد لازمه ملازمة طويلة وتخرج على يديه، ونهل وعل من معينه الثر، وحتى أثر عن حماد أنه قال: «لقد أنزفتني».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **تلاميذه**

وقد روى عن الإمام وأخذ منه العلم والفقه الكثيرون من الأئمة، من مشاهيرهم: محمد بن إسحاق بن يسار إمام أهل المغازي، ومحمد بن عمر الواقدي، وإبراهيم بن أدهم، والحسن البصري، وأبويوسف القاضي، ومحمد بن الحسن، وزفر بن الهذيل، وغيرهم، وهؤلاء الثلاثة هم أخص تلاميذه المتفقهين عليه، ويدل على جلالته أن بعض شيوخه قد أخذ عنه كربيعة الرأي ومالك وحماد بن أبي سليمان، ووصل بعض المؤلفين في مناقبه بتلاميذه والآخذين عنه إلى نحو الثمانمائة وسرد أسماء الكثيرين منهم.

● **فقه الإمام**

والإمام أبوحنيفة أحد أذكياء الدنيا المعدودين، ورائد الأئمة المجتهدين المشهورين، وأحد الفقهاء الأربعة المتبوعين، الذين طبقت شهرتهم الآفاق، وسادت مذاهبهم في أقطار العروبة والإسلام، وقد أقر للإمام بالفقاهة وتملك ناصية الاجتهاد، وبلوغه الغاية في ذلك، جمهرة من فقهاء الشريعة الكبار، وأئمة الحديث المشهورين، روي عن الإمام اللوذعي محمد بن إدريس الشافعي أنه قال: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة»، وهذا عبدالله بن المبارك يقول: «كان أبوحنيفة أفقه الناس، ما رأيت أفقه منه».

ويقول في حقه سفيان الثوري: «وهو أفقه أهل الأرض»، وأثنى عليه وعلى قوة حجته إمام دار الهجرة مالك بن أنس فقال: «لقد رأيت فتى لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته».

● **علمه بالقرآن والسنة**

وقد كان الإمام حافظا للقرآن، مديما للقراءة له، وقد روي أنه كان يختم القرآن في رمضان ستين ختمة، ختمة بالليل وختمة بالنهار. كما كان عالما بعلومه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وعامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، إلى غير ذلك من علوم القرآن التي لا بد منها لمن يبلغ الاجتهاد في الأحكام، وبيان الحلال والحرام. كما كان ﷺ حافظًا للأحاديث والسنن، شديد العناية بها، ثقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الرواية، بصيرا بالعلل والرجال، مقبول الجرح والتعديل. روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن سفيان بن عيينة قال: «أول من أقعدني للحديث أبوحنيفة، قدمت الكوفة، فقال أبوحنيفة: هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار، فاجتمعوا علي فحدثتهم»، وناهيك برجل يزكي سفيان بن عيينة في الحديث، والإمام أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، وهو أحد الأئمة الستة في الحديث يعتمد على الإمام في التعديل والتجريح، فيروي في كتاب العلل من «جامعه» عن الحماني قال: سمعت أبا حنيفة يقول: «ما رأيت أكذب من جابر الجعفي ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح»، كما أثنى عليه جهابذة الحديث ونقاده، سئل يحيى بن معين وهو الإمام الحجة في الجرح والتعديل: هل حدث سفيان عن أبي حنيفة؟ قال: «نعم كان أبوحنيفة ثقة صدوقا في الفقه والحديث، مأمونًا على دين الله». وروي عنه أنه قال: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: «لا نكذب الله تعالى، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة».

وكان يحيى بن سعيد القطان يذهب في الفتوى مذهب الكوفيين فيختار قول أبي حنيفة من أقوالهم، ويقول في حق الإمام تلميذه أبو يوسف وهو من حفاظ الحديث كما قال ابن جرير الطبري «كان أبوحنيفة أبصر بالحديث مني»، ويقول: «ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة». ولا عجب أن يكون الإمام أبوحنيفة بهذه المنزلة، وقد أخذ الحديث عن رجاله كسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، والأعمش، وغيرهم من أئمة الرواية، وكانت الكوفة آنئذ منزلا لكثير من الأئمة الذين جمعوا بين الرواية والدراية. وأما ما ذكر في تاريخ بغداد من الطعن في الإمام، فذلك من آثار التحامل والتعصب، قال الإمام السيوطي في كتابه «مناقب أبي حنيفة»: «لا تغتر بكلام الخطيب فإن عنده العصبية الزائدة على جماعة من العلماء كأبي حنيفة وأحمد، وبعض أصحابه، وتحامل عليهم بكل وجه»، ولم يسلم - في الغالب - أحد من مشاهير العلماء من الطعن والتجريح بغير حق، ولعن الله الحاسدين والحاقدين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

• التجني على الإمام

وقد غمط الإمام حقه في العناية بالأحاديث والسنة وثقته في الرواية بعض حاسديه، ورموه بما ليس فيه، فزعموا أنه قليل البضاعة في الحديث، وأنه قلت روايته تبعًا لذلك قلة لا نصدقها في حق طالب من طلاب الحديث، فضلا عن إمام مجتهد تزعّم مدرسة في الفقه والاجتهاد، يعتبر رجالها مفخرة من مفاخر الإسلام قديمًا وحديثًا، وإليك ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته، وحكايته هذا القول الضعيف عن هذا البعض، ورده عليهم، قال: «واعلم أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الإكثار من هذه الصناعة والإقلال، فأبوحنيفة ﷺ يقال بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثًا أو نحوها، ومالك رَحِمَهُ اللَّهُ إنما صح عنده في كتاب الموطأ وغايتها ثلاثمائة حديث أو نحوها، وأحمد بن حنبل في مسنده خمسون ألف حديث، ولكل ما أداه إليه اجتهاده في ذلك، وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث، فلذا قلت روايته، ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الأئمة، لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، ومن كان قليل البضاعة في الحديث فيتعين عليه طلبه، إلى أن قال: والإمام أبوحنيفة إنما قلت روايته لمّا شدد في شروط الرواية والتحمل، وضعّف رواية الحديث اليقين إذا عارضها الفعل النفسي، وقلت من أجلها روايته فقل حديثه، لا أنه ترك رواية الحديث متعمدا فحاشاه من ذلك، ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم والتعويل عليه».

فها نحن نرى أن ابن خلدون ذكر هذه المقالة المتجنية على الإمام بلفظ «يقال»، وهي من صيغ التضعيف في عُرف علماء الرواية، وإذا كان ابن خلدون بيّن السبب في قلة رواية الإمام، فمراده بذلك القلة النسبية لا ما حكاه في صدر كلامه بصيغة التضعيف، ومما ذكرنا من نص المقدمة يتبين للباحث المنصف والقارئ المتثبت أن عزو هذا القول الضعيف إلى ابن خلدون تجنٍ كذلك على العلامة ابن خلدون، وخيانة للأمانة في البحث، وقد انزلق إلى هذا الرأي الضعيف الذي لا سند له بعض الكاتبين المحدثين في الحياة العقلية في صدر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلام وجعله من قول الثقات، ويعلم الله أن القائل به ليس من الثقة في شيء، وأنا لا أنكر تفاوت الأئمة في الحفظ والرواية، فذلك أمر معلوم مفروغ منه، ولكن الذي لا أكاد أصدقه أن تنزل مرويات الإمام الأعظم إلى هذه القلة الضئيلة، وكيف يتهيأ لمجتهد أن يبني مذهبا على سبعة عشر حديثا صحت عنده، وأقل ما يقال في مسائله التي تكلم فيها أنها تبلغ ثلاثا وثمانين ألف مسألة في العبادات والمعاملات، وكيف يجوز قبول هذا القول وشاهد العيان يرده، فكثرة أحاديث الإمام تظهر من حججه المسرودة في أبواب الفقه التي نقلها عنه أصحابه، والمدونة في تلك المسانيد السبعة عشر لكبار الأئمة من أصحابه وسائر الحفاظ، وكان مع الخطيب البغدادي عندما حل في دمشق مسند أبي حنيفة للدارقطني، ومسند أبي حنيفة لابن شاهين، وهما زائدان على السبعة عشر المذكورة.

والظاهر أن الخطأ دخل على القائل بأن الإمام لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثا من أنه سمع أن للإمام سبعة عشر مسندا، أي كتابا مرتبة أحاديثه على حسب الصحابة، فظن أن المراد بالمسند الحديث الذي ذكر له إسناد، فوهم هذا الوهم الفاحش. وكيف نصدق مثل هذا الرأي العاري عن الحجة، وهذا هو الحسن بن زياد أحد تلاميذ الإمام كان يقول: «كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث: ألفين لحماد، وألفين لسائر المشيخة». وإليك ما ذكره الحافظ الناقد الذهبي في حق الإمام: «ولولا كثرة اعتنائه بالحديث ما تهيأ له استنباط مسائل الفقه، فإنه أول من استنبطه من الأدلة، وعدم ظهوره في الخارج لا يدل على عدم اعتنائه بالحديث كما زعمه بعض من يحسده، وليس كما زعم، وإنما قلت الرواية عن الإمام وإن كان متسع الحفظ لأمرين، أحدهما: اشتغاله باستنباط المسائل من الأدلة كما كان أجلاء الصحابة، كأبي بكر وعمر وغيرهما، يشتغلون بالعمل عن الرواية حتى قلت روايتهم بالنسبة لكثرة حديثهم، وكثرة رواية من دونهم بالنسبة إليهم، وهذان الإمامان مالك والشافعي لم يرويا إلا القليل بالنسبة لما سمعاه لاشتغالهما باستخراج المسائل، ثانيهما: أن الإمام أبا حنيفة كان من المتشددين في الرواية وفي تصحيح الأحاديث، وقد ذكر العلامة ابن الصلاح أن من مذاهب التشديد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- يعني في الرواية- مذهب من قال: لا حجة إلا فيما رواه الراوي من حفظه وذلك مروي عن مالك وأبي حنيفة رضي الله عنهما.

وكان للإمام شفوف نظر في الأحاديث، والترجيح بينها، ومن لا يعرف ذلك يلصق به ما هو براء منه. سئل الأعمش وهو من كبار المحدثين عن مسائل، فقال لأبي حنيفة: ما تقول فيها؟ قال كذا وكذا، فقال الأعمش من أين لك كذا؟! فقال الإمام: أنت حدثتنا عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ بكذا وحدثتنا عن فلان الصحابي عن رسول الله ﷺ بكذا، وسرد عدة أحاديث على هذا النمط وصار يتكلم فيها، ويستنبط منها على حسب اجتهاده.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإمام أبوحنيفة النعمان (٢)

العدد: (٨٣) ذوالقعدة (١٣٩١هـ) ديسمبر (١٩٧١م).

في مقال سابق تحدثت عن بعض جوانب حياة إمام الفقهاء، وهو الإمام أبوحنيفة النعمان، أحد الأئمة المتبوعين والمشهورين، وقد ركزت عنايتي في ذاك المقال على نفي تهمة ألصقت بالإمام زورا من قديم الزمان، وهي قلة بضاعته في الحديث. واليوم أعرض لجوانب أخرى من حياة هذا الإمام الكبير، ولاسيما اجتهاده الفقهي، ومنحاه في هذا الاجتهاد، فأقول وبالله التوفيق.

● تحول في حياة الإمام

لم يشتغل الإمام في صغره ومبدأ حياته بطلب العلم والاختلاف إلى مجالس العلماء، وإنما كان يختلف إلى الأسواق، فقد كان يحترف التجارة في البز[1]، وفي غدوة من غدواته إلى السوق، مر على الإمام الشعبي وهو جالس، فدعاه، فقال له: إلى من تختلف؟ فقال أبوحنيفة: أختلف إلى فلان - يريد رجلا معروفا بالتجارة - فقال الشعبي: لم أعن السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء، فقال له أبوحنيفة: أنا قليل الاختلاف إليهم، فقال له الشعبي: لا تفعل، وعليك النظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وفطنة، فقال أبوحنيفة: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم فنفعني الله به.

● اشتغاله في أول طلبه بالجدل والكلام

وقد رأى أبوحنيفة في أول طلبه للعلم الإسلام يتعرض للطعن من بعض الطوائف كالزنادقة وأضرابهم ممن دخلوا في الإسلام وهم يضمرون الكيد

(١) في القاموس المحيط: البز: الثياب، أو متاع البيت من الثياب ونحوها، وبائعه البزاز، وحرفته البزازة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والعداء، كما رأى ظهور كثير من الطوائف المبتدعة الذين ابتدعوا في الإسلام ما ليس منه كالروافض، والخوارج، والمرجئة، والقدرية الذين يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف[١]. فاشتغل في أول أمره بعلم الجدل، والكلام، والرد على الروافض والخوارج والزنادقة وأضرابهم. وقد أكسبه هذا اللون من المعرفة قوة في الحجاج والجدل وإفحام الخصوم، والمرونة العقلية الفائقة، والقدرة على حل المشكلات والمعضلات، وسرعة البديهة في المجادلة والمناظرة، مما سنعرض لشيء منه فيما بعد.

ثم خطر له خاطر فقال: إن المتقدمين من أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين من بعدهم، لم يكن فيهم شيء مما نذكره نحن، وكانوا عليه أقدر، وبه أعرف، وأعلم منا بحقائق الأمور، ولم يروا منازعين، ولا مجادلين، ورأيت خوضهم في الشرائع، وأبواب الفقه، فبدا له في الأمر بداء[٢].

- **اشتغاله بالفقه**

وبينما هو على هذا الحال، وكان يجلس بالقرب من حلقة الإمام حماد بن أبي سليمان، الذي صار فيما بعد أجل أساتذة أبي حنيفة، وأعظمهم تكوينا له، وتأثيرا فيه، إذ جاءته امرأة فقالت له: رجل له امرأة أراد أن يطلقها للسنة، كيف يصنع؟ قال أبو حنيفة: «فلم أدر ما أقول، وسقط في يدي، فأمرتها أن تسأل حمادا، ثم ترجع إليّ فتخبرني، فذهبت فسألت حمادا، فأجابها ثم رجعت فأخبرتني. وكان لهذه الحادثة تأثيرها في نفسه فقال: لا حاجة لي في الكلام فأخذت نعلي وصرت أجلس إلى حماد أسمع مسائله وأحفظ قوله حتى قال: «لا يجلس أحد في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة، فصحبته عشر سنين»، فقال أبوحنيفة فنازعتني نفسي الطلب للرياسة، يعني أن يتصدى للتدريس، فأحببت أن أعتزله، وأجلس في حلقة نفسي، فخرجت ليلة، وعزمي أن أفعل، فلما دخل المسجد ورأيته لم

---

(١) أي مستأنف: أي أن الله لا يعلم بالأشياء قبل وقوعها، وقد تطورت كلمة القدرية فأضحت وصفا لمن يقولون، إن العبد يخلق أفعاله الاختيارية وهم المعتزلة.

(٢) أي ظهر له رأي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تطب نفسي أن أعتزله، فجلست معه، ولأمر ما، تخلف حماد عن الدرس، فأمر أبا حنيفة أن يجلس مكانه، فوردت عليه مسائل، فكان يجيب عنها ويكتب الجواب، وبعد شهرين قدم أستاذه حماد، فعرض عليه أبو حنيفة المسائل التي أفتى فيها فوافقه في أربعين مسألة وخالفه في عشرين، فآلى الإمام أبوحنيفة على نفسه ألا يفارق شيخه حمادا أبدا حتى يموت، فلم يفارقه حتى مات بعدما أخذ عليه كل ما كان عنده من علم، وكان كثيرا ما يناقش شيخه حمادا ويسأله ويناظره، حتى كان ربما يتبرم منه، لذلك روي عن الإمام أنه قال: «لزمت حمادا لزوما ما أعلم أحدا لزم أحدا مثلما لزمته، وكنت أكثر السؤال فربما يتبرم مني، ويقول: يا أبا حنيفة قد انتفخ جنبي، وضاق صدري».

ولعلك أيها القارئ الكريم على ذكر من الكلمة الصادقة المعبرة عن غاية الاستقصاء التي قالها له شيخه حماد: «لقد أنزفتني».

● تأهل أبي حنيفة للأستاذية

ولما مات شيخ الإمام حماد فكر طلاب العلم والمعرفة فيمن يقوم مقامه فأجلسوا كثيرين من أهل العلم فلم يجدوا عندهم كبير غناء[1]، ثم أجلسوا الإمام أبا حنيفة، فوجدوا عنده من العلم والفقه ما لم يجدوه عند غيره، ووجدوا عنده في سائر المعارف والثقافات السائدة آنئذ نفاذا وسعة أفق وعلما غزيرا، فلزموه وتركوا غيره، وعظم شأنه حتى صارت حلقته أعظم حلقة في المسجد، فتخرج به أقوام صاروا أئمة في العلم، من أشهرهم الفقهاء: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وزفر بن الهذيل العنبري، وواعظ زمانه الحسن البصري، وإمام أهل المغازي محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة المشهورة، ومتصوف زمانه إبراهيم بن أدهم وغيرهم.

وكذلك كان مرجع الناس في الفتوى وحل المشكلات المستعصية والمسائل العلمية العويصة، بل كانوا يرجعون إليه فيما يعتريهم في حياتهم الدنيوية، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق، لا يدخل بلدا إلا اجتمع عليه

---

(١) غناء - بفتح الغين- أي نفع واستغناء بهم عنه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الناس، وسألوه، قال الإمام الليث بن سعد محدث مصر، وعالمها وفقيهها: كنت أتمنى رؤية أبي حنيفة حتى رأيت الناس متقصفين[1] على شيخ، فقال له رجل يا أبا حنيفة وسأله عن مسألة، فوالله ما أعجبني صوابه، كما أعجبني سرعة جوابه.

● **منحاه في الاجتهاد**

الإمام أبوحنيفة كغيره من الكثيرين من أئمة الفقه والاجتهاد يأخذ بالأصول الأربعة، التي تستنبط منها الأحكام، ويعرف الحلال والحرام:

١- الكتاب ٢- والسنة

٣- والإجماع ٤- والقياس.

والثلاثة الأولى قدر متفق عليه بين جميع الفقهاء، وأما القياس فهو محط خلاف الفقهاء في الأخذ به أو عدم الأخذ به، والآخذون به يختلفون في الأخذ به قلة وكثرة، فمنهم المكثر ومنهم المقل لأصول أصلوها وقواعد وضعوها.

وقد كان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه عالما بالأصلين الشريفين اللذين إليهما عند التحقق مرجع جميع الأحكام، وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة، علما أهّله لأن يكون إماما كبيرا بين أئمة الاجتهاد في الإسلام، أما علمه بالقرآن الكريم، وأسباب نزوله، وأول ما نزل، وآخر ما نزل، وتدرجه في التشريع، ومكيه ومدنيه، وعامه، وخاصه، ومطلقه، ومقيده، ومحكمه، ومتشابهه، وناسخه، ومنسوخه فهذا ما أقر به الموافق والمخالف، وأما علمه بالمصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، فقد بينت في المقال السابق بما لا يدع مجالا للشك علم الإمام أبي حنيفة بالسنن والأحاديث، ونفيت عنه تهمة قلة بضاعته في الحديث، وندرة ما صح عنه من أحاديث.

وقد بين لنا الإمام أبوحنيفة منهجه في الاجتهاد، فقد روي عنه أنه قال: «آخذ بكتاب الله، فإن لم أجد في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد في سنة رسول الله ﷺ أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع من شئت، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم، - يعني النخعي-

(١) مجتمعين في التزاحم عليه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والشعبي وابن سيرين والحسن- يعني البصري- وعطاء- أي التابعين - فقوم اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا». وروي عنه أيضا أنه قال: «إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ «فعلى الرأس والعين»، وإذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن رأيهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم»(١). وقد قدمت في المقال السابق أن الإمام أبا حنيفة يعتبر من التابعين لأنه لقي بعض الصحابة، بل قيل إنه روى عن بعضهم فهو حينما يزاحمهم ويجتهد مثلهم فلأنه من طبقتهم، وهو منهج لا غبار عليه.

ولكن بعض الحاسدين له، والحاقدين عليه رموه بأنه لا يأخذ بالأحاديث والآثار ويغلّب الرأي والقياس عليها، وهاهو الإمام يدافع عن نفسه فيقول: «عجبا للناس يقولون أفتي بالرأي. وما أفتي إلا بالأثر».

وقال لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام: هذه مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإن كل محدثة بدعة(٢)، فهل بعد هذه المقالات الواضحة البينة يدعي مدعٍ أن الإمام كان لا يأخذ بالأحاديث والآثار(٣).

نعم، إذا لم يجد في القرآن والسنة والأحاديث وضاق عليه الاستدلال بها ولم يكن في المسألة إجماع فليس إلا إعمال الرأي والاجتهاد، وهذا هو ما دل عليه الحديث المشهور أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام حين بعثه إلى اليمن في السنة العاشرة للهجرة أميرا وقاضيا ومفتيا. «كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟» قال بما في كتاب الله، قال «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟» قال: أجتهد، وإني لا آلو - أي لا أقصر - قال:

---

(١) عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان، مخطوط بمكتبة الحرم المكي.

(٢) عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان، مخطوط بمكتبة الحرم المكي.

(٣) الحديث: هو قول النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية. والأثر: هو ما روي عن الصحابة من أقوالهم وأفعالهم من غير أن يرفع وينسب إلى النبي ﷺ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فضرب رسول الله ﷺ صدري(١)، ثم قال «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله» (رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه)، وهذا تقرير قولي من النبي ﷺ لطريقة معاذ، ومنهجه في الحكم والاجتهاد، وقد شاع على ألسنة بعض أهل العلم، ولاسيما المتحاملين منهم على الإمام أبي حنيفة، أنه لا يأخذ بكثير من الأحاديث، وأنه يرجح الرأي والقياس عليها، وهي مقالة فيها تجنٍ على الإمام، ومجافاة للحق والواقع. وإليك ما قاله إمام اشتهر بحدة اللسان، وصراحة النقد، وعدم المداهنة في الحق، وهو الإمام أبو محمد ابن حزم الأندلسي، قال: وجميع أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة، أن ضعيف الحديث أولى عندهم من القياس والرأي، فهو لا يقيس إلا إذا انسدت عليه مسالك الاستدلال بالأحاديث التي يحتج بها.

وقد بينت أن الإمام له شروط شديدة في الحكم على الأحاديث بالصحة والحسن، ومعاذ الله أن يترك حديثا صحيحا، ثم يحتج بالقياس والرأي، وما عسى أن يبدو في نظر بعض العلماء والباحثين أنه كذلك بادي الرأي، فعند التحقيق والتدقيق يظهر أنه ليس كذلك. وأرجو أن تتاح لي الفرصة للحديث عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

على أني أحب في هذا المقام أن أقول: إن المجتهد مهما جلت منزلته واتسع علمه بالأحاديث والآثار لا يلزم أن يبلغه كل حديث مروي، ولو بلغه فليس بلازم أن يصح عنده، ولو صح عنده فليس بلازم أن يأخذ به، لأنه قد يكون - ولو في نظره هو - مرجوحا، أو منسوخا، أو مخصصا بدليل آخر أو مقيدا، أو غير ذلك مما يعرفه أهل العلم بأصول الفقه، ومسالك الاجتهاد في الإسلام. ومن ثم كان اختلاف الأئمة في الفروع الفقهية مع أنهم جميعا كان معولهم في استنباط الأحكام الفقهية على القرآن والسنة، وكانوا ينشدون الحق والصواب لا يبغون بهما بديلا، ولم يكن للهوى النفسي، والتعصب للرأي بغير حق أي أثر في استنباطاتهم، واجتهاداتهم، وإذا حدث في بعض العصور تعصب مذهبي فقد كان

(١) يعني بيده تثبيتا لما في قلبه من هذا العلم المكنوز، والفقه الأصيل، وزيادة شرح لصدره.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك في العصور المتأخرة، ومن أتباع الفقهاء المتأخرين حينما كسدت سوق الاجتهاد وغلبت ملكة التقليد.

وقد نقل الإمام الشاطبي في الموافقات أنه ما من إمام من الأئمة الأربعة إلا صح عنه أنه قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط».

وهذا هو اللائق بمقام أئمتنا الكبار وأخلاقهم، وجلال أقدارهم.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اللغة العربية
هي لغة القرآن والإسلام

العدد (١٧٤) جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ - إبريل (١٩٧٩م).

● شبه جزيرة العرب

هي عبارة عن هذا الجزء الذي يقع في الجنوب الغربي من قارة «آسيا» وهي أكبر شبه جزيرة في العالم، ويبلغ متوسط عرضها سبعمائة ميل، ومنتهى طولها ألف ومائة ميل، ومساحتها حوالي ألف ألف ميل مربع (مليون ميل بلغة اليوم).

ويحدها من الجنوب البحر العربي (المحيط الهندي) ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق الخليج العربي، ونهر الفرات، ومن الغرب البحر الأحمر، وبرزخ السويس قديما، وتسمى قناة السويس الآن، ومن ثم نرى أنها تحيط بها البحار والأنهار من جميع الجهات إلا جزءا قليلا منها، ولهذا يطلق عليها البعض تجوزا «جزيرة العرب».

وهذا التحديد الذي يقول به الهمداني يدخل بلاد الشام كلها، والبادية التي بين العراق والشام، وبادية سيناء في جزيرة العرب.

وهو يتفق، وما ذكره «هيرودوت» المؤرخ القديم غير أنه اعتبر «نهر النيل» الحد الغربي للقارة، وجعل صحراء مصر الشرقية كما هي معروفة الآن من الجزيرة العربية.

● موقع شبه الجزيرة العربية

وتحتل شبه جزيرة العرب موقعا هاما، إذ أنها تربط بين قارات ثلاث: آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، وأما من الناحية الخريطية الحضارية قبل الإسلام فهي تربط بين الحضارتين السائدتين حينذاك في العالم: الحضارة الرومانية، والحضارة الفارسية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **الجنس العربي**

والجنس الذي يسكن شبه الجزيرة العربية يسمى: الجنس العربي، وهو أحد الأجناس السامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام ولكنه أكثرها محافظة على خصائص الساميين، وهذا الجنس يتكلم اللغة العربية.

● **اللغة العربية**

اللغة: هي الألفاظ التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، والإفصاح عما في نفوسهم، واللغة العربية هي إحدى اللغات السامية، ومن هذه اللغات السامية: السريانية والعبرانية والحبشية، ولكنها أكثرها محافظة على خصائص اللسان السامي، وترجع هذه المحافظة إلى طبيعة الحياة في شبه الجزيرة، وهي طبيعة الانعزالية والمحافظة على الأنساب، والأحساب، وعدم التزوج من غيرهم، أو تزويجه منهم مهما كان من الجاه والسلطان فقد عصمت هذه الحياة الجنس العربي، واللغة العربية من الهجمات التي تعرض لها غير العرب من الجنس السامي، وغير اللغة العربية من فروع اللسان السامي كالسريانية والعبرانية والحبشية، وإذا كانت الأمة العربية من الجنس الأبيض أرقى الأجناس البشرية، بل قد عدها بعض علماء التشريح أنموذجا للتقويم البشري الكامل، «اثنولوجيا» - فإن لغتها أرقى اللغات الحية على الإطلاق، وأثراها، وأخفها على اللسان، وأحبها إلى الآذان، وأشملها لمقومات الآداب والعلوم من الألفاظ والتراكيب.

● **الأمة العربية في التاريخ**

والأمة العربية من أقدم الأمم وأشهرها، كان لها في التاريخ القديم، والحديث آثار لا تزال باقية إلى الآن.

وقد كرم الله تبارك وتعالى وجودها، بأن اختار منها خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمدا ﷺ، وعلى آله، وأصحابه فكان شاهد صدق على أنها الأمة الجديرة بقيادة العالم إلى تحقيق السعادتين: الدنيوية، والأخروية، إذا عضت بالنواجذ على هذا الدين الإسلامي، الذي هو خاتم الأديان، وأكملها، وأوفاها بحاجات البشر جميعا كما خلد الله تبارك وتعالى اللغة العربية حينما جعل آية النبي ﷺ العظمى،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومعجزته الكبرى وحيا يتلى، وقرآنا عربيا مبينا ما بقي مسلم على وجه الأرض.

وما من أمة إسلامية إلا وتاريخها ممتزج بتاريخ الأمة العربية المسلمة، وما من أمة إسلامية إلا لهذه الأمة العربية التي حملت لواء الإسلام، ونشرته في الخافقين فضل عليها، فالأمم الإسلامية في الشرق والغرب مدينة لأمة العرب المسلمة التي حملت مشعل الرسالة المحمدية بعد الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حتى بلغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار!!.

● القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر

والقرآن الكريم هو كتاب العربية الأكبر، ورمز وحدة العرب الكبرى، وجامعتهم العظمى، وبه اكتسبت لغة العرب بقاءها وحيويتها، وبه صار العرب أمة مؤمنة موحدة، متآلفة القلوب ومتجانسة المزاج، متحدة اللسان، متشابهة البيان.

وبه صار المسلمون في صدر الإسلام أمة واحدة، لا يفرق بينها جنس، ولا لون، ولا لغة وقد انصهرت كل هذه الفوارق، وذابت في نور الإسلام، ولم يبق الاعتزاز إلا بشيء واحد، وهو الإسلام، ولغة القرآن، وصار لسان الواحد منهم يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

ومن القرآن استمد العرب والمسلمون علومهم، ومعارفهم، وتلونت به ثقافتهم، فما من علم من علومهم، إلا وله بالقرآن سبب، وله منه ورد، ومدد.

ولولا هذا الكتاب العربي المبين لاستعجمت لغة العرب، وأصبحت في عداد اللغات الميتة، فهو الذي يجدد شبابها كلما اعتراها الهرم، والضعف، ويأخذ بيدها إذا ألم بها التخلف والركود ولولا هذا الكتاب العربي المبين لما كانت هذه الثروة الطائلة من العلوم التي تدور حول القرآن ولغة القرآن وتجول وتصول في رحابه الواسعة.

وما من عربي ـ أيا كان دينه ـ إلا وله بهذا الكتاب مفخرة، واعتزاز، ومزاولة له، وحب لأنه يشبع فطرته العربية، ووجدانه البياني، ويوائم روحه العربية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

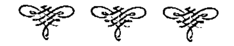
الصافية الشفافة ويرى في أسلوبه، وتفننه في القول والخطاب المثل الأعلى للبيان العربي الفصيح البليغ.

● انتشار اللغة العربية بين المسلمين من غير العرب

لما جاور الرسول ﷺ الرفيق الأعلى، وحمل الصحابة رضوان الله عليهم، ومن جاء بعدهم من التابعين فمن بعدهم ـ تبليغ الرسالة من بعده إلى الناس كافة كانوا يحملون القرآن الكريم بيد والسيف باليد الأخرى، لا لإكراه الناس على الدخول في الإسلام، وقبول شريعته.. كلا وحاشا!! وإنما لحماية الدعوة إلى الإسلام، وإلى شريعته، والحق ما لم تكن له قوة تؤيده وتحميه ضاع بين سطوة الباطل، وسلطان البغي.

ولو أن قياصرة الرومان، وأكاسرة الفرس، وغيرهم من ملوك أمم الأرض ورؤسائها تركوا للمسلمين الدعوة إلى دينهم الحق بالحجة والبرهان، والحكمة، والموعظة الحسنة، وفي ظل الأمان والسلام لما وقعت حروب، ولانتشر الإسلام بقوة حجته، ومواءمته للفطرة البشرية، والعقول السليمة، والنفوس التي تجردت من أهوائها وشهواتها، والأرواح الصافية الشفافة التي لم تدنسها الظلمات الأرضية، والعوائق المادية.

وكان الإسلام ولغة القرآن يسيران جنبا إلى جنب، في البلاد المفتوحة، فما إن يدخل الرجل أو المرأة في الإسلام حتى كان أول ما يفكران فيه حفظ القرآن أو شيء من القرآن، حفظ السنة أو شيء منها، فمن ثم انتشرت اللغة العربية في البلاد المفتوحة، بسرعة انتشار الإسلام.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن والسنة معا

العدد (١٧٦) شعبان (١٣٩٩هـ) - يونيو (١٩٧٩م).

روى الإمام أبوداود في «سننه» بسنده عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إنني أوتيت الكتاب، ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه»

● تخريج الحديث

رواه أبوداود في سننه - كتاب السنة - باب لزوم السنة، وسنده صحيح، وقد سكت عنه المنذري فهو صالح للاحتجاج به ورواه الترمذي في جامعه بسنده عن المقدام بن معد يكرب ولفظه! قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، هو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه، وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله، كما حرم الله» (قال الترمذي: هذا حديث حسن).

● الشرح والبيان

قوله ﷺ: «ألا إنني أوتيت الكتاب، ومثله معه» ألا: أداة استفتاح، وهي تفيد التنبيه إلى ما يجيء بعدها فيأتي وقد تشوقت إليه النفس، فيتمكن فيها فضل تمكن، و «أوتيت» بمعنى أعطيت من «آتى» بمعنى أعطى، والمراد بالكتاب:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن الكريم، وقد صار علما على القرآن الكريم بالغلبة، وإذا أطلق لفظ الكتاب في لسان الشرعيين انصرف إلى القرآن، وهو في الأصل مصدر كتب، ثم استعمل الكتاب في المكتوب، استعمال المصدر في اسم المفعول، ثم صار علما بالغلبة كما ذكرت، وقد كرر هذا الاسم «الكتاب» أو «كتاب» في القرآن الكريم في مواضع كثيرة يطول الكلام لو تتبعناها.

ومثله معه: المراد به السنن والأحاديث النبوية، ومن القرآن الكريم والسنة النبوية يكون خير الهدي وهو هدي نبينا محمد ﷺ وفي الكتاب الكريم قول الله تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥) وفيه أيضا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩).

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه «إن خير الخديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ»، (انظر صحيح البخاري، كتاب الأدب، وصحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب الخطبة) وهذا الكلام النبوي، الموجز، البديع، يحتمل وجهين!.

- أنه ﷺ أوتي من الوحي الباطن غير المتلو، مثل ما أعطي من الوحي الظاهر الجلي المتلو.

- أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى بلفظه كما أنزله الله، من غير تبديل، ولا تحريف، ولا قراءة بالمعنى، وأعطي من البيان مثله أي أُذن له ﷺ أن يبين ما في الكتاب الكريم: القرآن فيعم، ويخص، ويقيد، ويشرح الغامض، ويفصل المجمل، ويزيد عليه، ويشرع ما ليس في الكتاب، فيكون في لزوم قبوله ووجوب العمل به كالظاهر المتلو من القرآن، والوجهان متلازمان وفي الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٣-٤). قوله ﷺ: «ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يوشك مضارع أوشك بمعنى قرب، والمراد بقوله: شبعان أنه ممن يعيش لبطنه لا لعقله وروحه، وبقوله ﷺ «متكئ على أريكته» أنه من أهل الترفه والدعة الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم من مظانه، ويرتحلوا في سبيل الحصول عليه كما هو الشأن في المحدثين والعلماء، و«الأريكة» هي السرير في الحجلة - بفتح الحاء المهملة والجيم، واللام -وتجمع على حجال، والمراد بالحجلة: الخيمة التي تزين بالستائر، والبسط، وفي معنى الحجلة الحجرة المزينة بذلك، وقيل: هي كل ما اتكئ عليه من سرير أو وسادة، أو حشية ونحوها.

والمراد بقول هذا الرجل المتنعم الذي ليس من أهل العلم والفقه: «عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» الاستغناء بالقرآن العظيم عن السنة النبوية، وهو جهل وحماقة، وإلحاد في الدين، فالسنة هي الأصل الثاني من أصول التشريع، والقرآن والسنة كلاهما بوحي إلا أن القرآن وحي متلو، والسنة وحي غير متلو، والأول بوحي جلي عن طريق جبريل عليه السلام، والسنة بوحي ولكنه أعم من أن يكون بطريق جبريل أو من غير طريق جبريل كالإلهام، والمنام، والقذف في القلب وغيرها من أنواع الوحي.

قوله ﷺ في رواية الترمذي: «وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله» هو رد على هؤلاء الهدامين الجهلاء، الذين افتجروا هذا الإفك المبين، وكذلك نقول: وإن ما أحل رسول الله مثل ما أحل له، وكلتا القضيتين لازمة للأخرى، ولكنه الإيجاز الممدوح المطلوب في كلام النبي ﷺ.

ثم بين رسول الله ﷺ بعض ما حرم بالسنة ولم يحرم بالقرآن فقال صلوات الله وسلامه عليه: «ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها».

أما الحمار الأهلي فهو الإنسي بخلاف حمار الوحش فإن أكله حلال، كما في الأحاديث الصحاح، والحسان، وفي صحيح البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه صاد حمارا وحشيا، وأفضل منه فأكل منه النبي ﷺ، ويحرم كل ذي ناب من السباع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كالأسد، والنمر والدب وأمثالها التي تعتمد على أنيابها، وفي بعض الروايات الأخرى «ولا كل ذي مخلب من الطير» وذلك كالنسر، والصقر ونحوهما من جوارح الطيور، وكواسرها «ولا لقطة معاهد» لقطة -بضم اللام، وفتح القاف أو سكونها، وفتح الطاء- وهي كل ما يلتقط من الطريق، ولا يعرف صاحبه والمعاهد هو من كان له عهد وذمة عند المسلمين، ولقطة المسلم كذلك لابد من تعريفها حتى ييأس من وجود صاحبها، ولكنه ﷺ خص لئلا يظن بعض من لا يعلم أن لقطة الذمي حلال، ولا تعرف كلقطة المسلم وهو يدل على حرمة أموال أهل الذمة كحرمة أموال المسلمين، فانظر أيها القارئ المتبصر الفطن، الفرق ما بين تشريع الإسلام، وبين مزاعم اليهود الكاذبة في قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: ٧٥) ومرادهم ليس علينا حرج ولا إثم في أكل مال الأميين وهم العرب، وذلك لأنهم يستحلون ظلم من خالف دينهم، وزادوا في التبجح فزعموا أن هذا التشريع من الله بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية السابقة.

قوله ﷺ: «إلا أن يستغني عنها صاحبها» لتفاهتها أو لعدم حاجته إليها، وعدم طلبها فله أخذها والانتفاع بها أما قوله ﷺ «ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه».

القرى ما يقدم للضيف من نزل وطعام، وهل هذا القرى على الوجوب أم هو على الندب لأنه من محاسن الأخلاق؟ خلاف بين العلماء فمنهم من قال بالوجوب، ومنهم من قال بالندب، ومنهم من فصل إن كان في بلاد ليس فيها بيع طعام، ولا فنادق فقراه واجب، وإلا فهو مندوب وكلمة «على» تشعر بالوجوب لما فيها من الإلزام، والتحتيم «فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه».

روي لفظ «يعقبهم» بروايتين: الأولى بالتخفيف يعني يُعْقِبهم -بضم الياء، وسكون العين، وكسر القاف من أعقب، «وروي بالتشديد يعني «يُعَقِّبهم» بضم الياء وفتح العين وكسر القاف المشددة» من المعاقبة يعني يأخذ من أموالهم بقدر قراه، وما يحفظ عليه حياته ويبلغه مقصده.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد حمل بعض العلماء الحكم على حالة الضرورة الملجئة، لأنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه، وبعضهم عمم، فحمله على حالة الضرورة وغيرها، لأنه من الارتفاقات التي تكون بين المسلمين ومن محاسن الأخلاق التي ينبغي أن تكون.

● **ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب**

لقد دل هذا الحديث على معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث أخبر بمغيب، فوقع كما قال، فقد ظهرت فئة في القديم، والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الماكرة الخبيثة، وهي الاكتفاء بالقرآن العظيم عن الأحاديث والسنن، وغرضهم هدم نصف الدين، أو إن شئت فقل هدم الدين كله، لأنه إذا أهملت السنة فسيؤدي ذلك ولا ريب إلى استعجام معظم القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا اندرست السنن والأحاديث، واستعجم على الأمة فهم القرآن وتدبره فقل على الإسلام العفاء!!

وهذا لن يكون أبدا مادام في الأمة الإسلامية فئة قائمة على الحق يعيشون له، ويصدون الغارات عنه، ولا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وصدق الله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (التوبة: ٣٢).

التمسك بالقرآن الكريم، والسنة النبوية عقيدة، وعبادة، وشريعة وعلما، وعملا وسلوكا، ومنهجا فإن في التمسك بهما خير الدنيا والآخرة وفي الحديث الشريف «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي» رواه الحاكم في المستدرك وإسناده حسن، ورواه الإمام الجليل مالك في «الموطأ» بلاغا، والبلاغات من قبيل المنقطع والمرسل ولكن الحديث الأول يعتبر شاهدا له.

منزلة التكافل الاجتماعي في الإسلام، وأن الإسلام العظيم بلغ في التكافل الاجتماعي ما لم يبلغه دين من الأديان لأنه الدين العام الباقي، الكامل، الخالد، وما لم يبلغه قانون من القوانين الوضعية قديما وحديثا، وذلك من قوله ﷺ: «ومن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نزل على قوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه».

إن القرآن والسنة كليهما بوحي من الله إلا أن الأول أوحي بلفظه ومعناه والثانية أوحيت بالمعنى، فمن ثم جاز رواية الأحاديث والسنن بالمعنى لعالم خبير بالألفاظ، ومدلولاتها، واللغة العربية وعلومها، والشريعة، ومقاصدها، وهذا من رحمة الله بالأمة، حيث لم يجعل الموحى به من القبيل الأول حتى لا يشق على الأمة ولا من القبيل الثاني حتى لا يدعو ذلك إلى التهاون في حفظ القرآن الكريم، وهو الكتاب الوحيد الذي أوجب الله على الأمة حفظه، بحيث يحفظه عدد كثير يثبت بهم التواتر، فإن فرطت الأمة في حفظ كتاب ربها فهي آثمة، والله الهادي إلى سواء السبيل.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

موعظة بليغة

العدد (١٧٨) شوال (١٣٩٩هـ) - أغسطس (١٩٧٩م).

روى الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني بسنده عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي. وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن سارية رضي الله عنه. وهو ممن نزل فيه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين، وعائدين، ومقتبسين.

فقال العرباض: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه. فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون. ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله. كأن هذه موعظة مودع. فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا. فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي. وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي. تمسكوا بها. وعضوا عيها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة. وكل بدعة ضلالة».

• تخريج الحديث

أخرج الحديث أبو داود وأخرجه أيضا الترمذي في جامعه، ولم يذكر الصلاة وفي آخر تقديم، وتأخير: وإسناده صحيح انظر (جامع الترمذي، كتاب العلم، حديث رقم ٢٢٦٨).

وأخرجه أيضا الإمام أحمد في المسند (المسند جـ٤ ص١٣٠، ١٣١) وأخرجه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ابن ماجه في مقدمة السنن، باب اتباع رسول الله ﷺ (سنن ابن ماجه حديث رقم ٤٢).

● الشرح والبيان

قالا: أتينا العرباض بن سارية رضي الله عنه وهو ممن نزل فيه ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (التوبة: ٩٢).

العرباض بن سارية صاحبي جليل، صحب النبي ﷺ، وغزا معه، وجاهد في سبيل الله، وقد أراد بقولهما: وهو ممن نزل فيه ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ﴾ بيان منقبة من مناقبه، وقد كان هذا في غزوة تبوك، وكانت في السنة التاسعة للهجرة، وكان النبي ﷺ بلغه أن الروم يجمعون الجموع لغزو المدينة، فأراد أن يغزوهم قبل أن يغزوه، وكانت هذه من سياسة رسول الله في الحروب، وهي حكمة عالية بالغة الغاية في الصواب حتى لا يتجرأ الأعداء - وما أكثرهم - على غزو بلاد الإسلام، وليبين لهم أن سلطان الله في الأرض لا يخاف أحدا.

وكان مما حدث أن جماعة من المسلمين لم يكن عندهم ظهر يركبون عليه، ولا نفقة ينفقون منها على الجهاد، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فاعتذر لهم بعدم وجود الظهر الذي يركبون عليه، فرجعوا وهم يبكون حزنا على ما فاتهم من شرف الخروج في الجهاد في سبيل الله فَلْيَعِ المسلمون والعرب اليوم ذلك، وليعلموا أنه لا يمكن استرجاع عزتنا المفقودة، وقوتنا المرهوبة إلا بأن نتخلق بأخلاق هؤلاء السادة الأبرار، حبا في الجهاد، ورغبة في الاستشهاد وهذا المذكور في الحديث جزء من الآية الثانية والتسعين من سورة التوبة.

«قلنا أتيناك زائرين، وعائدين ومقتبسين».

والزيارة من حق المسلم على المسلم، وكذلك العيادة من حق المسلم على المسلم كما في الأحاديث الصحاح في الصحيحين وغيرهما، والظاهر أنه كان مريضا، وإلا تكون العيادة بمعنى الزيارة، ويكون الكلام من قبيل عطف التفسير، ومعنى «ومقتبسين» يعني من علمك ومروياتك عن رسول الله ﷺ، فالعلم نور،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما سيأخذانه منه من العلم قبس من هذا النور، وهو تعبير بليغ وقد كان الرجلان بليغين حقا حيث قدما الزيارة، والعيادة، على الاقتباس، فهو من قبيل تقديم الوسيلة بين يدي المطلوب وهو يدل على ما كان يتمتع به الصحابة من البلاغة، والذكاء، والكياسة «فقال العرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب».

وكان من سنة رسول الله ﷺ إذا ما صلى بالناس صلاة جماعة استدار إليهم.. وواجههم، ليعظهم ويذكرهم، أو ليسأله سائل فيجيبه، والموعظة البليغة هي المطابقة لمقتضى الحال، وللظروف والملابسات التي كانت تدعو إليها آنذاك، وكلام رسول الله ﷺ كله فصيح بليغ، فوصف «الموعظة» بالبليغة من قبيل التوضيح، لا التخصيص لأنه لم يكن لرسول الله ﷺ مواعظ غير بليغة، نعم فيها البليغ والأبلغ.

ومعنى «ذرفت» أي سالت وجرت من تأثيرها الدموع من العيون، «ووجلت» يقال وجل القلب بكسر الجيم في الماضي - يوجل - بفتح الجيم في المضارع - من باب سمع يسمع إذا خاف وفزع، والوجل: خوف ممزوج بخشية الله، والإشفاق على النفس من عقابه، ومثل هذا تظهر آثاره بذرف الدمع من العين.

فقال رجل: «يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع!! فماذا تعهد إلينا».

الظاهر أن هذه الموعظة كانت في أخريات حياة النبي ﷺ ومعنى «مودع» أي للدنيا ولنا، وقد كان الصحابي القائل لهذه المقالة على غاية من الدقة في التعبير، فلم يقل: إنها موعظة مودع مثلا، وإنما قال: «كأن هذه..» لأن اليقين في مثل هذا غير ممكن، لأن الأعمار بيد الله، والآجال لا يعلم حقيقتها إلا الله تبارك وتعالى وصدق الله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

وقد فهموا كونها موعظة مودع، من الموعظة، ومن القرائن والأحوال التي كانت حينئذ.

«فماذا تعهد إلينا» يعني توصينا: يقال: عهد إليه بكذا يعهد، إذا أوصى إليه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا فإن من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا».

وقد كانت الوصاة بتقوى الله لازمة من لوازم خطب رسول الله ﷺ، ومواعظه، والتقوى لها معنيان: معنى قلبي نفسي، وهو الذي عناه رسول الله ﷺ بقوله «التقوى ههنا - ثلاثا - وأشار إلى صدره الشريف» ومعنى يتعلق بالجوارح والسلوك وأحسن ما تعرف به: امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، وهي بهذا المعنى شاملة لكل هدى، وحق، وخير، فمن ثم ظهر السر في توصية رسول الله ﷺ بها دائما في خطبه، ومواعظه، والتقوى ما لم تكن نابعة من القلب فإنها لا تدوم، وسرعان ما تزول.

وقد كان رسول الله ﷺ على حق حينما أتبع التوصية بالتقوى بالتوصية بالسمع والطاعة للخليفة والأمير وإن كان عبدا حبشيا وعبدا منصوبة على أنها خبر كان المحذوفة مع اسمها ولذلك نظائر في الأحاديث الصحيحة، ففي حديث بدء الوحي المروي في الصحيحين عن السيدة عائشة - رضي الله عنها- قول ورقة بن نوفل: «يا ليتني فيها جذعا» أي أكون جذعا.

وذلك لأن رسول الله ﷺ يعلم أنه سيكون هناك خلاف على الخلافة والإمارة، فكانت الوصية بالسمع والطاعة أمرا لا بد منه وليس أدل على ذلك من أن رسول الله ﷺ لم يجاور الرفيق إلا وقد بدأ الخلاف على الخلافة، ولولا فضل الله على هذه الأمة وتوفيقه لقادتها فبايعوا الخليفة الأول الصديق أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه، ثم صار إجماعا فيما بعد، لكانت فتنة في الأرض، وفساد كبير، ثم كان بعد ذلك من الخلاف على الخلافة، بعد سيدنا عثمان رضي الله عنه، ما أحدث صدعا في وحدة الأمة الإسلامية حينذاك ووقعت وقائع عظيمة سالت فيها الدماء بلا حساب، ولسنا نخوض فيما وقع، فتلك دماء طهر الله منها أيدينا، فلنطهر منها ألسنتنا -والله تبارك وتعالى- يغفر لنا، ولهم، والله المستعان، وعليه التكلان. قول رسول الله ﷺ: «فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عيها، بالنواجذ» السنة المراد بها هنا الطريقة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المشروعة في الدين، فتشمل الاعتقاديات، والعبادات، واجبة كانت أم مندوبة، والمعاملات والأخلاقيات، والجنائيات، والسياسات، والمعاهدات وغيرها «وسنة الخلفاء الراشدين المهديين».

السنة: هي الطريقة أيضا والخفاء الراشدون: هم السادة الأخيار أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضوان الله عليهم أجمعين.

الراشد: اسم فاعل من رشد، يرشد، من باب: فرح يفرح، ورشد - بفتح الشين- يرشد - بضم الشين- من باب: نصر ينصر، رشدا، ورشدا، ورشادا، والرشد ضد الغي، والرشد: الاستقامة على الدين، والالتزام بتكاليفه.

و«المهديين» جمع مهدي، يقال: هداه، يهديه فهو مهدي، والله هاديه، والمهدي: هو الذي هداه الله، وأوصله إلى الحق، ووفقه إلى الدوام عليه.

«والنواجذ» جمع ناجذ، وهي الأضراس التي بعد الأنياب، وهذا مثل لشدة الاستمساك بالأمر، والحرص عليه، لأن العض بالنواجذ يلزم منه العض بجميع الأسنان، أو بمعظمها على الأقل.

«وإياكم ومحدثات الأمور» هذا تحذير من الوقوع في البدع المضلة. والمحدثات: جمع محدثة، وهي البدعة، والبدعة: هي كل ما استحدث وليس لها أصل ودليل في الشرع من كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس أما ما يكون لها أصل في الشرع فلا يعتبر بدعة فكتابة القرآن في صحف مجموعة في عهد الصديق ﷺ، والمصاحف في عهد عثمان ﷺ لا يعتبران بدعة لأن لهما أصل في الدين، وهو وجوب المحافظة على القرآن الكريم، وما أدى إلى الواجب فهو واجب، وكذلك نقط المصاحف، وشكلها لصيانة القرآن من اللحن، والتحريف لا يعتبران بدعة أيضا بل هما من الأمور الواجبة.

«وكل محدثة بدعة» وما دمنا عرفنا البدعة بأنها ما ليس لها دليل، ولا أصل فلزم أن تكون كل محدثة بدعة، وأما ما له أصل في الدين فهو بمعزل عن البدعة والعلماء المحققون على هذا، وعليه فلا يقسمون البدعة إلى الأحكام الخمسة، وأما الذين قسموا البدعة إلى الأحكام الخمسة فهم يريدون بالبدعة كل ما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

استحدث سواء أكان لها أصل في الدين أم ليس لها وعند التحقيق نجد أن الخلاف لفظي، وليس حقيقيا، وأنه اختلفت العبارات لاختلاف الاعتبارات.

«وكل بدعة ضلالة»

وحق للبدعة أن تكون ضلالة، لأن ما ليس مشروعا، ولا دليل له في الشرع يعتبر ضلالة، إذ ليس بعد الحق المشروع إلا الضلالة، ونعوذ بالله من الضلالة، والعمل بها، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية للإمام مسلم «من عمل عملا ليس عيه أمرنا فهو رد» يعني مردود عيه، وغير مقبول لمخالفته لسنة رسول الله ﷺ وشرعه.

ويؤخذ من الحديث الأحكام والآداب الآتية:

وجوب الاستمساك بسنة رسول الله ﷺ، وطريقته، وهديه وهي شاملة لما ثبت بالقرآن الكريم الذي هو أصل الدين، ومنبع الصراط المستقيم، ولما ثبت بالسنة والأحاديث، التي تعتبر الأصل الثاني من أصول التشريع في الإسلام، والاعتصام بها في كل شأن من شؤون ديننا ودنيانا.

وجوب السمع والطاعة لمن تولى أمور المسلمين وإن كان عبدا حبشيا كأن رأسه زبيبة كما في الأحاديث الأخرى، مادام مطيعا لله، قائما بحقوقه، وحقوق الرعية التي شرعها الإسلام، فإن عصى الله أو أمر بشيء فيه معصية الله فلا طاعة له، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه قول رسول الله ﷺ «إنما الطاعة في المعروف».

وقد كان الشارع الحكيم حكيما غاية الحكمة حينما أمر بالسمع والطاعة للأمراء لأن لو فتحنا باب المخالفة والمحادة، والمحاربة لأية مخالفة تبدر من الولاة لأصبحت حياة المسلمين، حروبا متواصلة، وفي ذلك فتنة في الأرض وفساد كبير وأي وال لا يمكن أن يرضي جميع الرعية!! لأن الكثرة الكاثرة من المسلمين تتحكم فيهم الأهواء والشهوات النفسية، وصدق الله: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة: ٥٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن سنة الخلفاء الراشدين الأربعة كسنة رسول الله ﷺ وهذه شهادة لهم، وتزكية بأنهم على الحق، ولا يتطرق لأعمالهم الابتداع وأنهم متبعون، وليسوا بمبتدعين، ونعوذ بالله أن يطعن فيهم طاعن أو يحكم عليهم بالعصيان، أو الكفر زنديق ملحد، بعد شهادة الله تبارك وتعالى لهم في غير ما آية، وشهادة رسول الله ﷺ لهم كما سمعت. إن الخير كل الخير في الاتباع: اتباع ما كان عليه رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة الكرام، ولاسيما الخلفاء الراشدون الأربعة والشر كل الشر في الابتداع، والبدعة أحب إلى الشيطان من كذا وكذا معصية لأن المبتدع يفعل البدعة وهو يعتقد حسنها، والتقرب إلى الله بها، أما العاصي فهو يفعل المعصية، وهو يعلم أنها معصية، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المتبعين، ونعوذ بالله من أن نكون من المبتدعين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مساهمة المسلمين في العلوم الإسلامية والعربية

العدد (١٨٢) رجب (١٤٠٠هـ) - ديسمبر ١٩٧٩م).

انتشر الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ وذلك بفضل الله ثم بفضل الصحابة الأبطال، ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم.. حتى بلغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار من المحيط الأطلسي غربا أو كما كانوا يسمونه آنذاك «بحر الظلمات» إلى المحيط الهادي شرقا، وأصبحت أصداء كلمة التوحيد والإقرار برسالة سيدنا محمد تتلاقى من فوق المآذن في اليوم، والليلة خمس مرات، وفي هذه الرقعة الفسيحة من العالم المعروف حينئذ، بعد قرنين من الرسالة، أو يزيد، حتى لقد مرت سحابة ببعض خلفاء بني العباس، فنظر إليها قائلا: «أمطري حيث تمطرين، فحيث تمطرين فسيأتيني خراجك»!! وقد كان هذا الانتشار السريع آية على إعجاز القرآن الكريم، وعلى أن هذا الاسلام دين إلهي حقا.

ولم يكن هذا الانتشار السريع الذي أذهل الكثيرين ممن كتبوا في التاريخ من غير المسلمين عن إكراه، أو قسر وإجبار، وإنما كان عن طواعية واختيار، فقد وجدت الشعوب التي رزحت تحت نير حكام الفرس، والرومان، ومن على شاكلتهم في الإسلام أفضل دين يَعْرِفُ لبني الإنسان حرياتهم، ويَرعى حرماتهم: حرمة الدم، والعرض، والمال، ويعرف لهم حقوقهم قبل أن يعرف العالم المعاصر «حقوق الإنسان» بأربعة عشر قرنا.

كما وجدوا فيه الدين الذي أراحهم مما كانوا فيه من ظلم، وعسف، وكفر، وضلالات، وخرافات، وأوهام وجهالات، وأشعرهم بكرامتهم الإنسانية التي كانت مهددة وحقوقهم التي كانت مضيعة، كما وجدوا في ظله الوارف الرحمة بأوسع معانيها والعدل بأوسع معانيه، والأمان، والاستقرار، والسلام، حتى في

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

الحروب التي خاضوها كانوا أرحم الناس، وأعدل الناس، مع أن الحروب مبناها على الغلظة، والقسوة، والظلم والسفه، والجهل، وصدق غوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي المشهور حيث قال: «لم نجد أرحم، ولا أعدل من العرب في فتوحاتهم» ومراده العرب المسلمون، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وقد انتشرت اللغة العربية الشريفة: لغة القرآن والسنة بسرعة كانتشار الإسلام، بل قد تعلم هذه اللغة الشريفة بعض أبناء هذه البلاد الذين لم يتشرفوا بالدخول في الإسلام كاليهود والنصارى، والمجوس ممن سنوا بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية نظير ما تقوم به الدولة الإسلامية نحوهم من حماية ورعاية، وخدمات اجتماعية كثيرة من شق الترع، وتعبيد الطرق، وإقامة الكباري والجسور، وسكر الأنهار ونحوها من الخدمات الكثيرة.

• مشاركة المسلمين من غير العرب في العلوم العربية والاسلامية

وقد بلغ الكثيرون من هؤلاء المسلمين من غير العرب مبلغ المسلمين العرب في حذق اللغة العربية والعلم بدقائقها، وخصائصها، حتى صاروا من كبار علمائها، إجادة، ونطقا، وعلما بقواعدها وكذلك بلغ المسلمون المستعربون مبلغ المسلمين العرب في العلوم العربية من لغة، ونحو، وصرف، وبلاغة، وفي العلوم الإسلامية الأصيلة من التفسير وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والعلوم العقلية كالمنطق الذي يعتبر معيار المعقول، وعلم الكلام، والجدل، والفلسفة بأقسامها، والعلوم الاجتماعية كعلم الأخلاق، والمواعظ، والتاريخ ونحوها، والعلوم الكونية كعلم سنن الله الكونية، والكيمياء، وعلم البصريات وعلم الفلك وغيرها من العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهوم راجحة، في العصور الذهبية للحضارة الإسلامية الزاهية التي قامت على الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وعلى الإيمان بالروح، والجسد، وأن لكل منهما مطالبهما، وأن الإنسان ليس جسما من لحم، وعظم، وعصب فحسب، وإنما هو مركب من روح وجسد، وقد جاء الإسلام الدين العام الخالد بالوفاء بكل ما تحتاج إليه الروح، والوفاء بكل ما يحتاج إليه الجسد، فمن ثم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كانت الحضارة الإسلامية فريدة في بابها، فهي ليست حضارة تقوم على إنكار الله تبارك وتعالى، وعلى إنكار الأديان والطعن فيها، ومحاربتها كما هو الشأن في الحضارة الشيوعية المعاصرة، وما يدور في فلكها وليس حضارة مادية تؤمن بالله، وتقر بالدين، ولكنها فصلت الدين عن الدنيا، وحصرته بين جدران الكنائس كما هو الشأن في الحضارة الغربية المعاصرة، ولا هي حضارة قائمة على إنكار مطالب الجسد بل وتعذيب الجسد، والانعزال عن الدنيا، وزخارفها، وذلك كما كان الشأن في بعض الحضارات القديمة في الهند، وما على شاكلتها، وإنما هي حضارة متميزة بتميز الإسلام عن غيره من الأديان، تميز العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد، وتميز الشريعة عن غيرها من الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية الأرضية، وتميز الأخلاقيات الإسلامية عن غيرها من الأخلاقيات قديما وحديثا.

وهذه المشاركة العلمية الجادة تدل على أن هؤلاء الذين تعلموا لغة القرآن والسنة قد تعلموها عن صدق، وإيمان بأنها لغة الإسلام، وأن ذلك لم يكن لنفع دنيوي، ولا لنفاق ومداهنة لأن الحريات كانت مكفولة لكل من كان يعيش في دولة الإسلام، والحرمات كانت مصونة في هذه الدولة سواء في ذلك المسلمون، وأهل العهد والذمة من اليهود والنصارى.

وعلى أن هؤلاء الذين دخلوا في هذا الدين العام الخالد: دين الإسلام دخلوا فيه عن اعتقاد، ويقين، بأنه أمثل الأديان، وأوفاها بحاجات البشر، وأصلحها لإيجاد حياة كريمة، وتكوين مجتمع فاضل ولولا هذا لما جاهدوا في تحصيل العلم هذه المجاهدة الصادقة، ولما أتعبوا أنفسهم هذا التعب المضني في سبيل تدوين العلوم الإسلامية، وجمعها، وتبويبها، وقد كان لهم في الخلود إلى الراحة مندوحة عن كل هذا إن أرادوا، ولكنه الإخلاص لهذا الدين، والحب لهذه اللغة الشريفة: لغة القرآن والإسلام.

● مثال عجيب في تعليم بعض العلوم الإسلامية من غير المسلمين

لقد ذكر الإمام السيوطي في «تدريبه» أثناء تعلمه عن الإجازة وأقسامها،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأحكامها، والرواية بها كلاما عن «الإجازة» للكافر، قال: «وأما الإجازة للكافر فلم أجد فيه نقلا - يعني عمن سبقه-، وقد تقدم أن سماعه صحيح، قال: ولم أجد عن أحد من المتقدمين، والمتأخرين الإجازة للكافر، إلا أن شخصا من الأطباء يقال له: محمد بن عبد السميع، سمع الحديث في حال يهوديته على أبي عبد الله الصوري، وكتب اسمه في الطبقة مع السامعين، وأجاز الصوري لهم، وهو من جملتهم، وكان ذلك بحضور المزي، فلولا أنه يرى جواز ذلك ما أقر عليه، ثم هدى الله هذا اليهودي إلى الإسلام، وحدث - يعني بما أجازه به شيخه الصوري - وسمع منه أصحابنا.

وقد وقفت متعجبا عند هذا المثال العجيب: وهو حرص هذا الطبيب اليهودي على حضور مجالس هذا الإمام المحدث الصوري، والعلم بالحديث النبوي يعتبر من خصائص الثقافة الإسلامية الأصيلة، ولو أن هذا الطبيب اليهودي عني بعلوم اللغة، والأدب، أو بتلقي علوم الطب والكيمياء، والفلك ونحوها التي تعتبر أمرا مشتركا بين المسلمين وغيرهم، لما كنت أعجب، وهذا يدل على أن الثقافة الإسلامية في هذا العصر كان لها سلطانها على النفوس حتى غير المسلمة، وأنها كانت تستهوي غير المسلمين، وإذا كانت هذه الحال بالنسبة لغير المسلمين من يهود، ونصارى، فما بالكم بالنسبة للمسلمين المؤمنين بالقرآن، وبلغة القرآن، وبرسول الله، وبحديث رسول الله ﷺ ؟!! إنه - والله- لأمر عجيب حقا، أن تفرض الثقافة الإسلامية الأصيلة نفسها على غير المسلمين!!

أمثلة للعلماء المسلمين من غير العرب الذين شاركوا في الحياة العلمية

- **علوم اللغة العربية**

(١) فمن هؤلاء الذين برعوا في علوم اللغة، والنحو، والصرف الإمام اللغوي النحوي عمرو بن عثمان الشيرازي الملقب: بسيبويه، وإليه يرجع الفضل في تقييد علم النحو، وألف في علم النحو «الكتاب» وإذا أطلق لفظ الكتاب عند النحاة، لا ينصرف إلا إلى كتاب سيبويه. ومنهم الإمام في اللغة وفقهها أبوعلي الفارسي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٢) وألف في علم متن اللغة، وبيان معاني المفردات، الإمام أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد **الجوهري** الفارابي المتوفى في حدود سنة أربعمائة من الهجرة على اختلاف في التعيين كتابه «الصحاح» جمع فيه أربعين ألف مادة.

(٣) وألف أيضا الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي **الفيروزآبادى**، وهي بلدة من بلاد فارس كما ذكر ذلك في مادة «فرز» من قاموسه وبها ولد أبوه وجده وأما هو فولد «بكارزين» كما صرح بذلك في كتابه، في مادة «كرز» وهي من بلاد فارس أيضا وكان ميلاده عام **٧٢٩**هـ، وتوفي في ليلة الثلاثاء العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة بمدينة زبيد من بلاد اليمن السعيد.

وقد اعتنى بالحديث، وله مشاركة في التأليف فيه، ولكنه جد واجتهد في علم اللغة حتى صار إماما فيها، وليس أدل على ذلك من كتابه القيم «القاموس المحيط» الذي جمع فيه ستين ألف مادة، والقاموس: ماء البحر الواسع.

لم يفقه في هذا إلا الكتاب المعروف «بلسان العرب» لمؤلفه الإمام القاضي **جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المصري** المولود سنة ثلاثين وستمائة، والمتوفى سنة إحدى عشرة وسبعمائة من الهجرة يعني قبل ميلاد مجد الدين صاحب القاموس بثمانية عشر عاما فقد جمع في كتابه «ثمانين ألف مادة» والظاهر أن صاحب القاموس لم يطلع على هذا الديوان اللغوي العربي العظيم، وإلا لزاد عليه أو على الأقل لنوه به.

● التفسير وعلومه

(١) وألف منهم في التفسير الإمام الحافظ، المفسر، المؤرخ **محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبوجعفر الطبري** المولود سنة أربع وعشرين ومائتين، والمتوفى سنة عشر وثلاثمائة، ومن أجل مؤلفاته التفسير الكبير المسمى «جامع البيان في تفسير القرآن» قال فيه الإمام الجليل النووي في «تهذيبه»: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله، وقال أبوحامد الإسفراييني لو رحل رجل إلى الصين حتى ينظر تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا عليه: وهو من أجل كتب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التفاسير بالمأثور وأصحها يذكر فيه ما ثبت عن النبي ﷺ ، وما ورد عن الصحابة والتابعين، وقد زاد فيه على من سبقه ممن ألفوا في التفسير بالمأثور، أنه عرض فيه لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، كما ذكر فيه الكثير من وجوه الاستنباط والأعاريب واللغات، والاستشهاد بالشعر على بعض معاني الألفاظ.

ولولا ما شابه من رواية الإسرائيليات، وبعض الموضوعات، من غير تنبيه إليها لكان جديرا بكل ما قيل فيه.

وللإمام ابن جرير مؤلفات كثيرة جليلة منها:

(أ) كتاب «تهذيب الآثار» (ب) وكتاب «تاريخ الأمم والملوك»

(جـ) وكتاب «القراءات» (د) وكتاب «تاريخ الرجال» في الفقه.

(٢) ومنهم الإمام جارالله محمود بن عمر **الزمخشري**، صاحب التفسير المشهور «الكشاف» وهو من أجل كتب التفسير بالرأي والاجتهاد، ومن أحسن التفاسير - إن لم يكن أعظمها - في إظهار إعجاز القرآن الكريم، لولا ما شابه من ذكر بعض الموضوعات والإسرائيليات، ومن ذكر بعض الآراء الاعتزالية، التي قد تخفى على الكثيرين، ولا يتنبه إليها إلا القليلون، وقد ركب الصعب في توجيه بعض الآيات القرآنية كي يتخذ منها دليلا للانتصار لمذهب أهل الاعتزال، وقد قيض الله له الإمام العالم الكبير أحمد بن المنير عالم الاسكندرية وخطيبها، فألف كتابه الجليل «الانتصاف» وقد طبع مع الكشاف، و«الانتصاف» يؤمن على قارئ «الكشاف» من أن تجوز عليه بعض الآراء الاعتزالية، وكانت وفاة صاحب الكشاف سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

(٣) ومنهم الإمام القاضي المفتي **أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي** ولد سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بقرية قرب القسطنطينية ونشأ في بيت علم، وفضل، ودين، وقد تتلمذ على والده وغيره من العلماء حتى صار علما من الأعلام، ولي التدريس مدة، ثم ولي القضاء، وصار يتنقل من بلد إلى بلد حتى وصل إلى الإفتاء، وكان متمكنا من اللغات الثلاث: العربية، والفارسية، والتركية ولم يَدَع له التدريس، وولاية القضاء، والتنقل بين البلاد مجالا للتأليف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلم يترك لنا إلا تفسيره المسمى «إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم»، وبعض حواشي أخرى على تفسير الكشاف، وعلى شرح «العناية على الهداية» وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، ودفن بجوار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه.

● الحديث الشريف وعلومه

وألف في الحديث وعلومه من هؤلاء المسلمين الأعاجم الذين صاروا عربا بالمربى أئمة أجلاء، كثيرون ولعل أجل خدمة أداها هؤلاء للإسلام هي ما قاموا به نحو الحديث وعلومه من جمع في الصدور، وتقييده في الكتب والسطور، وتأليف الدواوين الكبيرة التي تعتبر المرجع لأحاديث رسول الله ﷺ، وحفظها من الضياع، والتي تعتبر الأصل الثاني من أصول التشريع في الإسلام وإليكم بعض هؤلاء الأئمة، **ونبدأ بأمير المؤمنين في الحديث الإمام الكبير البخاري**:

١- هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، بن إبراهيم، بن المغيرة بن بردزبه، كان جده بردزبه مجوسيا على دين قومه، أما والده المغيرة فقد أسلم على يد اليمان الجعفي، والي بخارى في هذا الوقت، فنسب إليه ولاء إسلام لا ولاء عتاقه فمن ثم قيل في نسب البخاري الجعفي، وأما جده إبراهيم فلم أقف على شيء من أخباره، وأما والده إسماعيل فكان عالما جليلا سمع من حماد بن زيد، والإمام مالك، وترجم له ابنه ابو عبد الله الإمام في كتابه «التاريخ الكبير» وذكر له ابن حبان ترجمة في كتاب «الثقات»، وقد جمع والده إسماعيل إلى العلم الورع والتقوى، وروي عنه أنه قال عند وفاته «لا أعلم في مالي درهما من حرام، ولا من شبهة» فالبخاري من بيت دين وعلم، وورع، فلا عجب أن ورث هذه الخلال الكريمة فيما ورث عن أبيه.

ولد البخارى يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة، ببلدة بخارى وتوفي «بخرتنك» قرية على فرسخين من سمرقند، ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنين وستين عاما إلا ثلاثة عشر يوما، فرضي الله عنه وأرضاه. وليس من قصدي في هذا، الكتابة عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البخاري فذلك يحتاج إلى مجلد كبير، وقد وفيته حقه في كتابي «أعلام المحدثين» وإنما أريد أن حياته المباركة التي قضاها في التطواف، والترحال ما بين بخارى وسمرقند إلى العراق، إلى مكة، والمدينة من بلاد الحجاز، إلى بلاد اليمن، إلى بلاد مصر تمخضت عن أعظم كتاب من كتب الأحاديث والسنن، وأصح كتاب في الإسلام بعد كتاب الله تبارك وتعالى: القرآن الكريم وهو «الجامع المسند الصحيح» الذي لا يجهله في العالم الإسلامي عالم، ولا جاهل، ولا رجل، ولا امرأة، ولا صغير ولا كبير ولو أن حياة الامام البخارى لم تتمخض إلا عن هذا الجامع الصحيح لكفى، فما بالكم وقد ترك ثروة ضخمة من الكتب الحديثية التي أثرت المكتبة الحديثية في الإسلام منها:

(١) التاريخ الكبير
(٢) التاريخ الصغير
(٣) الأدب المفرد
(٤) القراءة خلف الإمام
(٥) بر الوالدين
(٦) رفع اليدين في الصلاة
(٧) التاريخ الأوسط
(٨) كتاب الضعفاء
(٩) كتاب المبسوط
(١٠) الجامع الكبير
(١١) المسند الكبير
(١٢) التفسير الكبير
(١٣) كتاب العلل
(١٤) كتاب الهبة
(١٥) كتاب الفوائد
(١٦) كتاب الكنى
(١٧) كتاب الوحدان
(١٨) كتاب أسامي الصحابة.

ومن هذه الكتب ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط، ومنها ما لم يعلم إلا عن طريق ذكر بعض الأئمة له.

٢- الإمام الحافظ أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، بن سداد ابن عمرو السجستاني صاحب كتاب «السنن» ولد سنة اثنتين ومائتين، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائتين.

وقد طوف في الأقاليم، وارتحل، ولقي الكثيرين من التلاميذ، وكان شديد الاعتزاز بكرامة العلم والعلماء، ومما يدل على هذا الاعتزاز ما رواه الإمام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخطابي بسنده عن أبي بكر بن جابر بن جابر خادم أبي داود قال: كنت مع أبي داود ببغداد، فصلينا المغرب، إذ قرع الباب ففتحه، فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن، فدخلت على أبي داود فأخبرته بمكان الأمير، فأذن له فدخل، فقعد، ثم أقبل عليه أبو داود وقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ فقال: خلال ثلاث، فقال: هي..؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنا، ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض، فتعمر بك، فإنها قد خربت، وانقطع عنها الناس لما جرى من مجيء الزنج فقال: هذه واحدة، هات الثانية، قال: وتروي لأولادي كتاب «السنن» فقال: نعم، هات الثالثة، فقال: وتفرد لهم مجلسا للرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة، فقال أبو داود: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس: شريفهم، ووضيعهم في العلم سواء!! قال ابن جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون، ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة.

أقول: وهكذا فليكن العلماء، لا يسعون إلى الملوك والأمراء، وإنما يسعى إليهم الملوك والأمراء.

٣- الامام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أحد الأجلاء الذي يقتدى بهم ويرحل إليهم ولد سنة تسع ومائتين، وتوفي بترمذ في شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو صاحب التصانيف المفيدة التي من أجلها:

(١) جامع الترمذي (٢) وكتاب العلل الملحق بالجامع في آخره (٣) وكتاب «الشمائل النبوية» وهو أحسن الكتب في هذا الباب وأشملها.

٤- الإمام الحافظ شيخ الاسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب الخراساني القاضي كان إمام أهل عصره في الحديث والمقدم على أضرابه، وفضلاء عصره، ولد بنساء سنة خمس عشرة ومائتين وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة بالرملة على الصحيح وهي بلد من بلاد فلسطين ومن أجل مؤلفاته: «السنن الكبرى» و«السنن الصغرى» المعروفة «بالمجتبى» و«الخصائص».

٥- الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني الربعي صاحب السنن

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وغيرها من الكتب المعتبرة، ولد سنة تسع ومائتين، وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين ومن مؤلفاته (١) كتاب السنن (٢) كتاب تفسير القرآن الكريم وهو تفسير حافل كما قال ابن كثير.

٦- **الإمام الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري الملقب بالحاكم والمعروف بابن البيع** ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وتوفي سنة خمس وأربعمائة وله مؤلفات كثيرة من أجلها:

(١) كتاب المستدرك (٢) علوم الحديث

(٣) كتاب الإكليل (٤) المدخل.

٧- **الإمام أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي**، المتوفى حوالي سنة ٣٦٠هـ ويقال: إنه أول من ألف في علوم الحديث على الإطلاق في كتابه «المحدث الفاصل، بين الراوي والواعي».

٨- **الإمام أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٢هـ** ومن أجل مؤلفاته كتاب «علوم الحديث» الذي جمع فيه شتات هذا العلم في كتب المتقدمين .

● **الفقه وأصوله:**

وألف في علم الفقه وأصوله كثيرون منهم:

(١) الإمام الكبير أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الفارسي الأصل والمولود «بكابل» سنة ثمانين للهجرة، والمتوفى سنة مائة وخمسين للهجرة، ويكفي الإمام أبا حنيفة جلالة قول الإمام الشافعي فيه «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة» وليس له إلا «الفقه الأكبر» في الاعتقاد لا في الفروع والفقه كما يُظن ولكن تلاميذه، ولا سيما الإمام محمد بن الحسن دونوا فقهه وأقواله في كتبهم وهو مؤسس المذهب الحنفي أحد المذاهب الأربعة المعروفة المتبوعة في العالم الإسلامي.

وجاء بعد الإمام كثيرون من الأحناف الذين ساروا على منهج الإمام في أصوله من الذين صاروا عربا بالمربى كالإمام السرخسي، والإمام محمد بن علي المرغيناني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صاحب كتاب «الهداية» وغيرهما وفي كل مذهب من المذاهب الثلاثة الأخرى المالكي، والشافعي، والحنبلي علماء كثيرون ممن كانوا في الأصل أعاجم ثم صاروا عربا بالمربى لا يحصيهم العد، ويطول الكلام جدا لو ذكرتهم.

● **تذكير وتنبيه**

وما ينبغي أن يعلم أن المؤلفين في اللغة وعلومها، والتفسير وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله والسير والتواريخ وسائر الفنون والعلوم من العرب الأصلاء كثيرون جدا مثل هؤلاء أو أكثر منهم، وليس أدل على ذلك من أن الأئمة الأربعة المتبوعين ثلاثة منهم عرب خلص، والرابع وهو أبو حنيفة هو فارسي الأصل ولكني أردت أن أبين أن الكثرة الكاثرة من الشعوب التي دخلت في الإسلام عن طواعية واختيار أخلصوا لهذا الدين غاية الإخلاص وللغة العربية الشريفة: لغة القرآن والإسلام فسرعان ما تعلموا اللغة العربية حتى صاروا كأهلها، وسرعان ما حذقوا العلوم الشرعية والعربية كحذق أهلها لها بل أشد، وبذلك ألقم الذين زعموا أن «الإسلام قام على السيف والإكراه» حجرا، وألقي إليهم بحجة لا يستطيعون لها ردا؟



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال

العدد (١٨٧) رجب ١٤٠٠هـ - مايو ١٩٨٠م

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى» ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ بلفظ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي» (صحيح البخاري، كتاب الصلاة، أبواب التطوع، باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة).

• تخريج الحديث

رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ﵁ يبلغ به عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى».

ورواه من طريق أخرى بلفظ «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد...» بدون ذكر «لا» و«إلا».

ورواه من طريق ثالثة عن سليمان الأغر أنه سمع أبا هريرة ﵁ يخبر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء» (صحيح الإمام مسلم ـ كتاب الحج ـ باب فضل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المساجد الثلاثة).

وأخرج الحديث أيضا الإمام أبو داود في سننه، في كتاب الحج.

والإمام النسائي في كتاب الصلاة، فالحديث رواه أربعة من أصحاب الكتب الستة.

• الشرح والبيان

بالنظر في روايات الحديث الواردة في الصحيحين نجد أن الترتيب جاء في رواية الإمام البخاري الأولى، ورواية الإمام مسلم الأولى، والثالثة على حسب الفضل والمنزلة، وذلك بذكر المسجد الحرام أولا، ثم المسجد النبوي ثانيا، ثم المسجد الأقصى ثالثا، وجاءت الرواية الثانية في صحيح مسلم بتقديم المشاهد الحاضر وهو المسجد النبوي على المسجدين الآخرين، وإن كانت «الواو» في اللغة العربية لا تفيد ترتيبا، وإنما هي لمطلق الجمع والتشريك في الحكم، وقد جاء الترتيب في رواية البخاري الثانية على حسب التقديم الزمني.

ومن هذه الروايات أيضا يتبين لنا أن معظم الروايات جاءت بطريق الحصر، إما «بلا» و«إلا» كما في رواية البخاري ورواية مسلم الأولى، وإما بطريق الحصر «بإنما» كما في رواية الإمام مسلم الثالثة، وبعضها جاء بغير حصر كما في رواية الإمام مسلم الثانية فيكون المعول عليه ما جاءت به معظم الروايات وهو الحصر حملا للمطلق على المقيد.

فإن كان النبي ﷺ قال الحديث غير مرة فيكون من التفنن في العبارة، وإلا فيكون الاختلاف في الحصر وعدمه، وفي الترتيب من تصرف الرواة لدخوله تحت جواز الرواية بالمعنى، ومن هذا العرض للروايات، ومع ملاحظة أن الواو لا تفيد ترتيبا، نرى أنه لا اختلاف في الحقيقة بين الروايات، وأنها على سواء، وكفاها الله شر الاختلاف والتناقض.

وهذا من الأمور المهمة التي أحرص عليها غاية الحرص في دراسة السنة، وهو التوفيق بين الروايات والأحاديث توفيقا قريبا مقبولا.

و«الرحال» جمع رحل، وهو للبعير كالسرج للفرس، و هو دون القتب - بفتح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القاف والتاء ـ و «لا» نافية.

وشد الرحال كناية عن السفر وذلك كما في رواية مسلم الثالثة «إنما يسافر. .» وخير ما يفسر به الحديث ما جاء في رواية أخرى، لأن الروايات يفسر بعضها بعضا.

والحديث في هذا التعبير العربي الأصيل خرج مخرج الغالب، والكثير في العصر الأول من أن أغلب الأسفار، ولاسيما البعيدة، كانت على الجمال والنياق، وإلا فيستوي في شد الرحال السفر على الدابة، أو السفر على قاطرة أو سيارة، أو السفر على طائرة، أو السفر على فلك أو باخرة، أو المشي على الأقدام، وذلك بدليل رواية «إنما يسافر. .» وجملة «لا تشد الرحال. . .» خبرية لفظا إنشائية معنى، يعني أنها سيقت مساق النفي، والمراد النهي، فكأن النبي ﷺ قال: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» واستعمال النفي وإرادة النهي أسلوب بلاغي استفاض به القرآن المعجز المبين، واستفاضت به الأحاديث النبوية التي جاءت من قول النبي ﷺ ومن أسرار البلاغة في هذا، الإشارة إلى أن النهي امتثل، فأصبح أمرا واقعا مخبرا عنه وأيضا فالنفس البشرية من طبعها التأني عن الأوامر والنواهي فيكون في ذكره بصيغة النفي حمل على الامتثال فلله در كلام رسول الله ﷺ والمعنى لا تشدوا الرحال، ولا تسافروا إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه، والعبادة إلا إلى هذه المساجد الثلاثة المشرفة في الأرض، والدليل على أن متعلق النهي عن شد الرحال هي الصلاة، ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغى الصلاة فيه غير المسجد الحرام، والأقصى، ومسجدي هذا» وإسناده حسن وأيضا فشد الرحال إلى هذه المساجد لن يكون إلا للصلاة، والتعبد، والأصل في المستثنى أن يكون من جنس المستثنى منه.

وبهذا التقدير المأخوذ من كلام النبوة لا يكون الحديث منافيا، ولا محرما لشد الرحال لطلب العلم، وللجهاد، وللسعي في الأرض بالتجارة، ونحو ذلك فهذه أمور أجمع العلماء على مشروعيتها، بل قد تكون مستحبة، بل قد تكون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واجبة، ودلائل ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصى.

والمساجد: جمع مسجد، وهو في اللغة مكان السجود، ويطلق ويراد به المكان المعد للعبادة، وهو المراد هنا وكسر الجيم في المسجد أمر سماعي وإلا فالقياس في مثل هذا فتح الجيم، قال الفراء: «كل ما كان على فعل يفعل مثل دخل يدخل - يعني بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع - فالفعل منه بالفتح اسما كان أو مصدرا إلا أحرفا - يعني كلمات - ألزموها كسر العين من ذلك: المسجد، والمطلع، والمشرق، والمغرب، والمسقط، والمفرق، فجعلوا الكسر علامة الاسم... قال: والفتح في كلها جائز وإن لم نسمعه» (لسان العرب، مادة سجد).

ثم بين رسول الله ﷺ المساجد الثلاثة بقوله: «المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى» و«المسجد الحرام» إما مجرور على البدلية، وإما الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، يعني: هي المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى.

وهذا الأسلوب أسلوب الإجمال، ثم التفصيل والبيان، من الأساليب العربية الأصيلة في التربية والتعليم، والتثقيف، لأن ذكر الشيء مجملا مما يجعل النفس تتشوف إلى معرفته، فإذا جاء البيان تمكن في النفس غاية التمكن، وإليكم - يا قارئي الكرام - تعريفا بهذه المساجد الثلاثة:

المسجد الحرام: والمراد به مسجد مكة بلد الله الحرام، وسمي «حراما» لأن الله سبحانه وتعالى عظمه، وشرفه، وحرمه وما حوله من يوم أن خلق السموات والأرض، وجعله مثابة للناس، وأمنا فلا يقتل به عائذ، ولا يهاج فيه حيوان، ولا يصاد فيه طير، ولا تقطع شجرة، ولا يختلى خلاه - أي لا يجز ولا يقطع عشبه الذي ينبت من غير استنبات الناس - فالحرام أمان للإنسان، والحيوان، والطير، بل والجماد وصدق الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ (آل عمران: ٩٧) آمنا على نفسه، وآمنا على عرضه، وآمنا على ماله، هذا هو المكان الوحيد في الأرض الذي جعله الله حرما آمنا من يوم الخليل إبراهيم ﷺ إلى أن

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يقوم الناس لرب العالمين، وأحر بالمسجد الحرام أن يكون حرما آمنا، وهو وما حوله من مكة، وما حواليها إلى حدود الحرم المعروفة من لدن أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والتي وضعت عليه النصب من جهاته الأربع، والنصب هي حجارة نصبت لتكون علامات على حدود الحرم يراها من يقدر الله تبارك وتعالى أن يزور هذه البقاع المقدسة حاجا، أو معتمرا.

«ومسجد الرسول ﷺ» وفي رواية للإمام مسلم «ومسجدي» فإن كان الحديث قاله النبي ﷺ غير مرة فيكون من التفنن في العبارة وهكذا شأن الفصحاء البلغاء، وإن كان الحديث قاله النبي ﷺ مرة واحدة فيكون المرجح عندي أن يكون لفظ الرسول ﷺ هي رواية «ومسجدي هذا» لما فيه من الإشارة المفيدة للتأكيد من أن ذلك من قول الرسول ويكون ما عداها من قبيل التصرف من الرواة لدخوله تحت جواز الرواية بالمعنى، ومثل هذا لا يترتب عليه أي ضرر ما من جهة استنباط الحكم أو المعنى، وأيا كان التعبير «مسجدي هذا» أو «مسجدي» أو «مسجد الرسول ﷺ» فالحكم لا يختلف.

وفي قوله ﷺ: «ومسجد الرسول ﷺ» من التفخيم، والتكريم لشأن المسجد النبوي ما فيه، فكأنه قال: والمسجد المنتسب إلى الرسول الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين والذي أخرجكم من الظلمات إلى النور: من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الجاهلية وخرافاتها وضيقها، إلى نور الإسلام، وسماحته، ويسره «ومسجد الأقصى» وفي الرواية الأخرى «ومسجد إيلياء».

المراد بالمسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس، و«إيلياء» هي القدس فلا خلاف بين التعبيرين، ووصف بالأقصى، لبعد المسافة بينه وبين البيت الحرام الذي هو أول بيت وضع مشرفا في الأرض، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبائث الحسية والمعنوية وليس هذا بالوجه المقبول في تعليل الوصف بالأقصى، لأن الكعبة البيت الحرام كذلك منزهة عن الأقذار والخبائث، وصدق الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥).

والإضافة في قوله: «ومسجد الأقصى من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، ومثل ذلك في الكتاب المعجز المبين، قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (القصص: ٤٤).

● ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب

هذا الحديث ظاهر الدلالة على فضيلة المساجد الثلاثة على غيرها من المساجد، وفضيلة شد الرحال إليها، وتحمل الأسفار، والمشاق، والمتاعب في سبيل زيارتها والصلاة فيها، والتعبد بها، والمساجد بعامة وإن كانت أشرف البقاع في الأرض إلا أن هذه الثلاثة لها من الخصائص والمميزات ما ليس لغيرها من المساجد الأخرى، وإليكم بيان هذه الخصائص:

أن كل مسجد من هذه المساجد الثلاثة قد بناه نبي من الأنبياء والمرسلين.

فالكعبة المشرفة قد بناها أبو الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعاونه ابنه الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام قال عز شأنه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (البقرة: ١٢٧-١٢٩).

وقد استجاب الله الدعاء، فقد تقبل عملهما وبارك فيه غاية البركة، فكان ما بنياه مثابة للناس وأمنا، يثوبون إليه من كل أطراف الدنيا، فيجد فيه الخائف أمنته والمستجير ملاذه، والمتعبد ما يقضي حاجات نفسه، والداعي استجابة دعائه وتقبل الله دعاءهما فكانت هذه الأمة المسلمة التي هي من ذريتهما هي الأمة الإسلامية، وكان النبي المبعوث فيها هو نبي آخر الزمان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فتلا عليهم القرآن، وعلمهم الكتاب والحكمة، وزكاهم بأن أخرجهم من الظلمات إلى النور.

وأما المسجد الأقصى فالذي بناه هو الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويكون الخليل بعد أن بنى الكعبة البيت الحرام أمره الله تعالى ببناء بيت المقدس، وقيل بناه حفيده يعقوب بن إسحاق عليهما الصلاة والسلام.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان بسندهما عن أبي ذر ﵁ قال «قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد».

فجائز جدا أن يكون الخليل بعد أن بنى الكعبة بمعونة ابنه إسماعيل أمره الله بعد أربعين سنة من بناء الكعبة ببناء بيت المقدس، أو يكون ابنه إسحاق، أو حفيده يعقوب قد قام ببناء بيت المقدس بعد بناء الكعبة بأربعين عاما.

ولا يشكلن على القراء الكرام ما اشتهر من أن باني بيت المقدس هو سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام، لأن سليمان لم يكن بانيا له من الأصل وإنما كان مجددا فمثله كمثل من جددوا بناء الكعبة بعد بناء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وأما المسجد النبوي بالمدينة فبانيه هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وأصحابه الغر الميامين، وهذا أمر ثابت في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما من كتب الأحاديث، والسنن، والمسانيد، وهذا أمر نقله الخلف عن السلف حتى بلغ حد التواتر المفيد للقطع واليقين، وللمسجد النبوي في قلب ونفس وشعور كل مسلم ذكريات، وذكريات لا يكفي في بيانها مقال، ولا بضعة مقالات، وإنما هو أمر يحتاج إلى كتاب برأسه.

وإذا كانت المساجد الثلاثة المشرفة بهذه المثابة، وبهذه المنزلة الكريمة، ولها ذكريات حبيبة إلى قلب كل مسلم ومسلمة فهي جديرة بأن تشد إليها الرحال، وأن يعكف على العبادة فيها من يشاء، ففي ساحاتها تسكب العبرات، وتستجاب الدعوات، وتتنزل الرحمات، وتنفح الأعطيات، وإن لله تبارك وتعالى في أيام دهركم لنفحات، فتعرضوا لها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترغيب الشباب في الزواج

العدد (١٩٨) جمادى الآخرة (١٤٠١هـ) - أبريل (١٩٨١م)

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».
(صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فعليه بالصوم).

● تخريج الحديث

هذا الحديث رواه الإمام مسلم أيضا في صحيحه، فهو متفق عليه (كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة..)

وفي بعض روايات الإمام مسلم بزيادة في آخره، وهي : «فلم ألبث أن تزوجت».

● الشرح والبيان

راوي هذا الحديث هو عبد الله بن مسعود، فمن يا ترى يكون ابن مسعود؟

هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل ينتهي نسبه إلى هذيل، وأمه هي أم عبد بنت سواء، وهي هذلية أيضا.

وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكذلك أسلمت أمه قديما وكانا كثيرا ما يغشيان بيوت أزواج النبي ﷺ للخدمة وقضاء الحاجات حتى كان يظن من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يراهما أنهما من آل بيت الرسول ﷺ .

وابن مسعود - على ضآلة جسمه، وضعف عصبيته - هو أول من جهر بالقرآن في مجامع صناديد أهل الشرك، وقد آذوه غاية الأذى، ولكنه لم يعبأ بالإيذاء، وقال للنبي وأصحابه: لئن شئتم لأغادينهم بها - يعني لأقرأن عليهم سورة الرحمن في الغد ولكنهم قالوا له: حسبك ما فعلت، وهذا يدل على أنه كان يحمل قلبا مؤمنا حقا، لا يَرْهَب أحدا من زعماء الشرك، ويستعذب الأذى والهوان في سبيل الله وفي سبيل رسوله، صاحب الدعوة ﷺ ، وهذا الضعيف في جسمه، القوي في إيمانه هو الذي أجهز على فرعون هذه الأمة، أبي جهل - لعنه الله - وعلاه وهو في سكرات الموت، واحتز رأسه وهو يقول له : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم!!وهكذا لم يتخل عن فرعونيته حتى وهو مجندل على الأرض خاسئ ذليل حقير .

وكان كثير الملازمة لرسول الله ﷺ وهو صاحب السواك، والمطهرة والوساد والنعلين يحملهما في ساعديه إذا خلعهما النبي ﷺ، ويلبسهما إياه إذا أراد السير. وهو يدل على مبلغ حب الصحابة للرسول وتكريمهم له.

وكان من أحفظ الناس للقرآن وقد عده النبي ﷺ أحد أربعة ممن يؤخذ منهم القرآن، كما كان من أعلم الناس بعلوم القرآن ولا سيما المكي، والمدني، وأسباب النزول، روي ذلك في الأحاديث الصحاح كما كان من أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ﷺ، له في الصحيحين وغيرهما أحاديث كثيرة. وبعد هذه الحياة الحافلة بالصحبة والجهاد والعلم ونشره كانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين للهجرة فرضي الله عنه وأرضاه.

قول ابن مسعود: «كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا» .

المراد بالمعية هنا المصاحبة على الهدى والخير، والحق، والبر، والتعاون على نشر الدعوة إلى الله وإلى الإسلام و «شبابا» جمع شاب، وغرضه : هو ومن كان معه ممن هم على شاكلته من شباب الإسلام «لا نجد شيئا» يعني نتزوج به، فقال لهم النبي : «يا معشر الشباب. . .» .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعشر هم الجماعة الذين يشملهم وصف ما، يقال للشباب معشر، وللأنبياء معشر وللعلماء معشر، وهكذا.. والشباب: جمع شاب، ويجمع أيضا على شببة - بفتح الشين والباءين الموحدتين - وشبان - بضم الشين وفتح الباء المشددة.

والشاب: هو من حين البلوغ إلى سن الثلاثين، وقيل: إلى الثانية والثلاثين، ومن الثلاثين إلى الأربعين يقال له: كهل وما زاد على الأربعين يقال له شيخ، وهذا في عرف اللغة العربية الشريفة وأما في غير اللغة فللناس فيه أعراف أخرى، فقد يطلق على الشاب أو الكهل إذا كان من أهل الدين والعلم والمنزلة في قومه وخص الشباب بالخطاب، لأن الغالب وجود القوة الدافعة لهم إلى النكاح فيهم بخلاف الكهول والشيوخ. وإن كان هذا المعنى معتبرا إذا وجد الداعي إلى الزواج في الكهول والشيوخ أيضا. «من استطاع منكم الباءة فليتزوج».

الباءة - بالباء الموحدة بعدها همزة، آخره تاء تأنيث - ويقال أيضا: الباه - بالمد بلا همز - ويقال أيضا: الباء - بمد الباء وبهمزة بدون هاء - ورابع اللغات «الباهة» بإبدال الهمزة هاء، والباءة مأخوذة في اللغة من الباءة وهي المنزل ومنه مباءة الإبل، وهي مواطنها، وقيل لعقد النكاح باءة لأن عادة العرب أن من تزوج امرأة بنى لها منزلا.

وقد اختلف العلماء في المراد بالباءة على قولين:

الأول: أن المراد بالباءة مؤن النكاح من مهر، ونفقة وإسكان ونحوها وعلى هذا يكون المعنى من استطاع منكم يا معشر الشباب مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع مؤن النكاح ومستلزماته فلا يتزوج وعليه بالصوم فإن الصوم يضعف الشهوة ويحد من سلطانها ويكفكف من غلوائها.

الثاني: ومنهم من قال، المراد بالباءة القدرة على المباشرة.. والقيام بحقوق الزوجة بعد الزواج، وقد نوقش هذا القول بأنه غير مستقيم في المعنى، لأن من ليست له قدرة على المباشرة الزوجية ليس في حاجة إلى الصوم ليحول بينه وبين الاستجابة للشهوة، والعمل بمقتضاها وإلا كان الصوم غير مفيد ولا ناجع لأنه وعدمه سيان بالنسبة لمن ليست له قدرة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والذي عليه المحققون : أن المراد بالباءة مجموع الأمرين معا : القدرة على المباشرة، والقدرة على مؤن النكاح ومتطلباته، وبذلك يستقيم معنى الحديث ويكون المعنى ومن لم يستطع فعليه بالصوم لكسر الشهوة وإضعاف سلطانها على النفس وليس من شك في أن الصوم يفيد الشباب الذين لم تتوافر لهم وسائل النكاح، وفي الوقت ذاته هو عبادة مشروعة وبذلك يستفيد من الصوم فائدتين: الأولى تهذيب النفس وتأديبها والحيلولة بينها وبين الوقوع في المعصية بسبب عدم الزواج، والثانية : كونها عبادة تقرب صاحبها إلى الله وتغلب الجانب الروحي في الإنسان على الجانب المادي فانظروا - يا رعاكم الله - إلى تشريعات الإسلام الحكيمة !!وقد علل الرسول الكريم أمر الشباب بالتزوج بقوله «فانه أغض للبصر وأحصن للفرج».

وأغض وأحصن فعلا تفضيل والمعنى أن التزوج أشد غضا للبصر عن الامتداد إلى الحرمات وأشد إحصانا للمرء من الوقوع في الفاحشة، وليس من شك في أن المتزوج عندما يحمله على الغض وهي زوجته، فإذا كان ولا بد فلينظر إليها وإن تاقت نفسه إلى النساء فعنده زوجته يقضي معها حاجته، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا حينما قال :«إذا رأى أحدكم امرأة حسناء، فأعجبته فليأت أهله - فإن البضع واحد، ومعها مثل ما معها» (رواه الخطيب بلفظه ومسلم بمعناه).

ولن تجدوا - وأيم الحق - أنجع من هذا الدواء النبوي الكريم لمثل هذه الحالة، وقد بلغ الفصيح البليغ ﷺ الغاية في الأدب القولي والأدب النفسي بهذا الحديث الموجز البليغ الذي تنطق به العذراء في خدرها فلا يخدش حياءها، ولا تجد حرجا فيما تفوه به وهي قدرة في التعبير انفرد به النبي المعلم المربي المؤدب ﷺ.

قوله ﷺ: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» وفي رواية الطبراني «ومن لم يقدر على ذلك فعليه بالصوم» وهما بمعنى واحد وقد قال العلماء إن في هذا الأسلوب النبوي البليغ «فعليه بالصوم»، إغراء للغائب وهو مما اختلف فيه علماء اللغة، وعلماء النحو، لأن الإغراء إنما يكون للحاضر لا للغائب.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والحق أن هذا الأسلوب الفصيح البليغ ليس من إغراء الغائب، وإنما هو من إغراء المخاطبين الحاضرين الذين خاطبهم ﷺ بقوله : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج» فالهاء في قوله : «فعليه» ليست للغائب وإنما هي لحاضر ولكنه مبهم، إذ لا يصح خطابه بالكاف فيقال : فعليك بالصوم فإن من يختار الصوم منهم مبهم غير معروف، فلذلك حسن الإتيان به على صورة الغائب ومثل ذلك من الكلام المعجز المبين قوله تعالى ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ بعد قوله عز شأنه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ (البقرة: ١٧٨) فلله در كلام الله، وكلام رسوله ﷺ !!!

«فإنه له وجاء» هذا الكلام من التشبيه البليغ يعني فإنه له كالوجاء والوجاء - بكسر الواو - هو في الأصل بمعنى الطعن، يقال: وجأه بالسيف إذا طعنه، والمراد به هنا : رض الأنثيين حتى تنقطع العروق التي توصل المادة المنوية وبذلك يفقد الحيوان شهوته فيسمن جسده ويطيب لحمه، وأما الخصاء فهو شل الأنثيين وإخراجهما فالوجاء ليس هو الخصاء، ومن فسره به فقد تساهل، ويزيد من روعة هذا التشبيه البليغ أن المخاطبين كانوا يعرفون الوجاء والخصاء غاية المعرفة، ومراعاة أحوال المخاطبين عماد البلاغة في اللغة العربية الشريفة لغة القرآن والسنة.

● ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب والتوجيهات

(١) أن الزواج سنة من سنن الفطرة، وأنه في حق الشاب أو الرجل القادرين الموسرين اللذين ليست عندهما موانع شرعية، ويتيقن كل منهما أو يغلب على ظنه غلبة الوقوع في الفاحشة فرض أو واجب، وعلى الشاب الذي يسافر إلى البلاد التي تعم فيها الفاحشة ويتسهل له الوقوع فيها، أن يتزوج قبل أن يسافر ليحصن نفسه من الوقوع في الفاحشة.

وفي حق من يخشى على نفسه التعرض للفتنة ولا يتحقق ذلك ولا يغلب على ظنه، مسنون مستحب لقوله ﷺ: «فليتزوج» وأدنى ما يحمل عليه الاستحباب والسنية، وفي حق من يعلم من نفسه عدم القدرة على المباشرة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو عدم القدرة على مؤن النكاح والنفقة حرام، وفي حق من يترجح عنده عدم القدرة أو عدم القيام بحقوق الزوجية مكروه وفي حق من يستوي في حقه الزواج وعدمه إن كان تقيا أو مشتغلا بعلم أو تأليف شغله عن الوقوع في الحرام، بل وعن التفكير فيه - هو مباح، ومن ثم نرى أنه تعتريه الأحكام الخمسة.

(٢) الوجاء، والخصاء لا يجوز بالنسبة للإنسان، لما يترتب عليه من قطع النسل الذي يترتب عليه خراب الأرض، وعدم عمارتها، وكذلك كل ما كان في معناهما كالعمليات التي يجرونها الآن لتعقيم الرجال، أو لتعقيم النساء، فكل هذا حرام في الإسلام وفي حكم الله وشرعه، وقد يسألني سائل فيقول: وما رأيك في تناول الدواء لهذا الغرض؟

والجواب: إن الدواء قسمان: دواء يقطع الشهوة ويقضي عليها وهذا لا يجوز، ودواء يسكن الشهوة ويضعفها ولا يقطعها، وهذا يجوز لأنه في معنى الصوم الذي يضعف الشهوة ويكسرها ولا يقطعها.

(٣) وأما الخصاء أو الوجاء للحيوان فالحيوان إما أن يكون غير مأكول اللحم، أو مأكول اللحم أما الأول فلا يجوز حتى لا ينقرض النوع والله تبارك وتعالى لم يخلق شيئا في هذه الدنيا إلا لحكمة ومصلحة، وأما مأكول اللحم فيجوز اخصاؤه في صغره رغبة في السمن وطيب اللحم، ولا يجوز في كبره لما فيه من تعذيب الحيوان، والإسلام رحيم بالحيوان، كما هو رحيم بالإنسان، وفي الحديث الصحيح: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» والقتلة - بكسر القاف اسم هيئة والمراد الذبح المشروع ومما ينبغي أن يعلم أن الخصاء لا يكون على سبيل التعميم وإلا لانقطع نسل الحيوان وحينئذ فلا يجوز.

(٤) استدل بعض العلماء بهذا الحديث على تحريم الاستمناء لأنه ﷺ أرشد عند العجز عن التزوج إلى الصوم فلو كان الاستمناء مباحا لكان الإرشاد إليه أسهل وهو استدلال حسن وقد أباحه بعض العلماء لأجل تسكين الشهوة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعدم الوقوع في الفاحشة، والحق هو عدم الإباحة وقد ذكر بعض الأطباء الحذاق أن الاستمناء له أضرار كثيرة وقد يفضي إلى أمراض خبيثة كالأمراض الصدرية وكثيرًا ما يؤدي إلى أن يفقد الشباب القدرة على المباشرة بعد الزواج، ومن قواعد الشريعة المؤكدة أنه «لا ضرر ولا ضرار» ولم أستدل بالحديث المشهور «ناكح يده ملعون» لأنه حديث ضعيف لا يقوم به الاحتجاج.

(٥) أن الرهبانية في الإسلام غير مشروعة والرهبنة هي ترك التزوج واعتزال الدنيا وملازمة الصوامع والشريعة الإسلامية هي الشريعة السمحة الموائمة للفطر، وطبائع البشر، ولو ترهب الناس جميعا فمن الذي سيعمر الأرض؟! وفي الحديث الذي رواه الطبراني بسنده من حديث سعد بن أبي وقاص قول رسول الله ﷺ: «إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة» وأما الحديث المشهور على الألسنة «لا رهبانية في الإسلام» فلا أصل له ولم يثبت وإنما الثابت هو حديث الطبراني فليعلم ذلك من يزعمون أنه حديث.

(٦) التزوج لأجل إكثار النسل أمر مشروع ومرغوب فيه في الإسلام وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها حديث: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم يوم القيامة» وهو حديث أخرجه ابن حبان، وقال الحافظ ابن حجر: إنه حديث صحيح ومنها ما رواه البيهقي من حديث أبي أمامة: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى».

والدعوة إلى تحديد النسل وتقليله بين المسلمين دعوة في أصلها استعمارية يقصد بها الحد من هذه الكثرة الكاثرة في الأمة الإسلامية ثم تطورت فلبست ثوب الاقتصاد وحماية العالم من المجاعة وحصل بها تلبيس على كثير من المسلمين وليسأل هؤلاء الذين يدعون إلى هذه الدعوة الفاشلة أنفسهم: هل استنفذوا المنافع والوسائل التي أودعها الله في الأرض - وما أكثرها - وهي تكفي لكل من في الأرض وأكثر منهم؟ إن كثيرا مما استودع في أرض الله لا يزال بكرا لم تمسسه يد مستثمر وما استفيد به منها لم

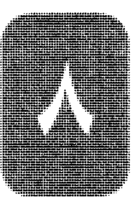
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

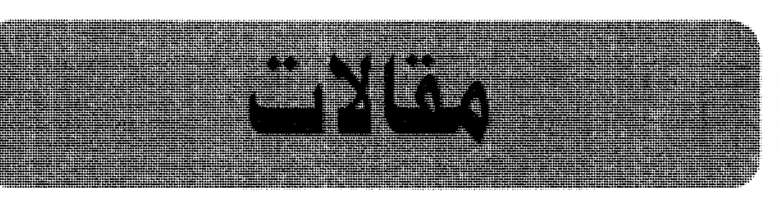
يحسن استغلاله وما استغل أصبح نهبا مقسما بين المشتغلين والمنتفعين بل الكثير من موارد البلاد الفقيرة المتخلفة اقتصاديا إنما ينتفع بها غير أهلها!! أليس كذلك؟! بلى والله!!

(٧) أن على البلاد الإسلامية والعربية الغنية في الثروات والموارد أن تعمل ما استطاعت على تكثير النسل بين أهلها حتى يوجد من أبنائها من يدافعون عنها في هذا العالم الذي لا يخضع إلا للقوة، إن الموارد الكثيرة من الرجال خير من الموارد من المال والرجال هم الذين يأتون بالمال، والمال عاجز عن توفير الرجال وصدق الله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ (فصلت: ٩-١٠).



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





٨ مقالات

الشيخ علي الطنطاوي

❏ **ترجمة الشيخ.**

❏ **المقالات:**

١- نحن والحضارة الغربية.

العدد (٦) جمادى الآخرة (١٣٨٥هـ) اكتوبر (١٩٦٥م).

٢- سبحان مقسم الأرزاق.

العدد (٩) رمضان (١٣٨٥هـ) يناير (١٩٦٦م).

٣- دليل الحاج.

العدد (١٢) ذو الحجة (١٣٨٥هـ) - مارس (١٩٦٦م).

٤- عام جديد.

العدد (١٣) محرم (١٣٨٦هـ) - إبريل (١٩٦٦م).

٥- عبرة من تاريخنا.

العدد: (١٨) جمادى الثانية (١٣٨٦هـ) سبتمبر (١٩٦٦م)

٦- زورق الأحلام.

العدد (٢٢) شوال (١٣٨٦هـ) - يناير (١٩٦٧م).

٧ - ما هي السماء.

العدد (٢٥) محرم (١٣٨٧هـ) - إبريل (١٩٦٧م).

٨- أربع قواعد للإيمان.

العدد (٣٥) ذو القعدة (١٣٨٧هـ) - يناير (١٩٦٨م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ علي الطنطاوي



● **مولده:**

ولد الشيخ علي مصطفى محمد الطنطاوي في مدينة دمشق في **٢٣** جمادى الأولى **١٣٢٧**هـ - **١٢** يونيو **١٩٠٩**م من أسرة علم ودين، فأبوه الشيخ مصطفى الطنطاوي من أهل العلم، وجده الشيخ محمد الطنطاوي عالم كبير، وخاله الأستاذ محب الدين الخطيب الكاتب الإسلامي الكبير والصحافي الشهير.

التحق بكلية دار العلوم في مصر، إلا أنه لم يكمل دراسته، وعاد إلى دمشق ليلتحق بكلية الحقوق التي تخرج منها عام **١٩٣٣**م، ثم عمل مدرساً في العراق، ولما عاد إلى دمشق عمل قاضياً شرعياً، وتدرج في الوظائف التعليمية والقضائية حتى بلغ فيها مكانة عالية.

هاجر رحمه الله إلى المملكة العربية السعودية **١٩٦٣**م فعمل مدرساً في كليتي اللغة العربية والشريعة في الرياض ومكة المكرمة، وقدَّم العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وحقق العديد من كتب التراث، وله العديد من المؤلفات منها:

«ذكريات، فتاوى، تعريف عام بدين الإسلام، أبو بكر الصديق، الجامع الأموي في دمشق، من نفحات الإسلام، أعلام التاريخ، القضاء في الإسلام، قصص من الحياة»

● **وفاته:**

توفي رحمه الله يوم الجمعة، الثالث من ربيع الأول **١٤٢٠**هـ، الموافق للثامن عشر من حزيران، عام **١٩٩٩**م بجدَّة، دفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة في اليوم التالي بعد ما صُلِّي عليه في الحرم المكي الشريف.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نحن والحضارة الغربية

العدد (٦) جمادى الآخرة (١٣٨٥هـ) أكتوبر (١٩٦٥م)

زرت الرياض من سنتين، بعد غيبة عنها امتدت ثلاثين سنة، فتفضل جماعة من طلبة العلم فاستقبلوني في المطار، وصحبوني إلى البلد، وسلكت السيارة شارع الوزارات، تمر بتلك المغاني (الفيلات) الجميلات، وتلك الأبنية الكبيرات المشرفات، وأنا أنظر إليها نظر المندهش الذي يفاجأ بما لم يكن يتوقع، فقد كان عهدي بتلك البقاع أنها صحراء جرداء، ما فيها نبت ولا ماء، وليس فيها من بناء، وأراها الآن شارعا ضخماً في وسط حديقة ممتدة فيها الورد والزهر، وفيها أنواع الشجر، والماء يجري فيها متدفقاً من الأنابيب، والعمارات على جانبيها، والسيارات تجري على طرقها.

وكان أصحابي كلما رأوني أزداد دهشة ازدادوا اندفاعاً في الوصف ومبالغة في البيان.

ثم قال لي واحد منهم وقد أخذته نشوة كل دليل يطلع الغريب على جمال بلده:

أهذه أول مرة ترى فيها الرياض؟

قلت: إني أعرفها من قبل أن تولد، ولكن ليست هذه هي الرياض التي أعرفها، وكانت السيارة قد بلغت بنا «الديرة» وصرنا في جوار المسجد الكبير، فتهلل وجهي وأحسست مثل ما يحسه الغريب الضال، اذا أبصر في زحمة الناس وجه حبيب يعرفه ويألفه، وصحت:

هذه هي الرياض التي أعرفها، هذه الأسواق الضيقة وهذه المنازل المبنية من اللبن والطين، إن لي هنا ذكريات، والذكريات هي الحياة، أما تلك الشوارع التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مررنا بها بعد المطار، فليس لي فيها ذكرى، فهي على جمالها غريبة عني، وهذه على ما هي عليه أحس كأني منها أو كأنها مني.

وأعجب هذا الكلام أحد الجماعة وأثار كمائن نفسه فقال:

- أي والله، هذه هي بلدنا وهذه حياتنا، فيا ليت هذه المدنية الغربية لم تصل إلينا ولم نرها، إن هذه البيوت المبنية من الطين التي لا تنيرها الكهرباء، ولا تصل إليها السيارات، وليس فيها البرادات ولا الغسالات، خير من تلك العمارات وما فيها، لقد أفسدت هذه المدنية أخلاقنا، وأضاعت علينا ديننا وما جاءنا منها إلا الشر، وانبرى له آخر، فقال له:

- أتريد منا أن نعود إلى عهد البداوة، في عصر الذرة والصاروخ، وأن ندع ثمرات الحضارة، ونعيش محرومين منها، على حين يستمتع الناس من حولنا بها؟

إنها مدنية العصر، ليست لأمة دون أمة، ولا لبلد دون بلد.

وكثر المتكلمون وتداخلت الأصوات، ولكن الأقوال كلها كانت تتردد بين رأيين:

هل علينا أن نأخذ بهذه المدنية بكل ما فيها، ونقبلها بخيرها وشرها، لأنه لابد منها، ولا انفكاك عنها، أم إن علينا أن نتركها ونبتعد عنها، لأنها لا توافق أحكام ديننا، ولا تمشي مع خلائقنا، ولأن الإسلام ينكر الإقبال عليها والأخذ بها.

أنا رجل من المخضرمين، عرفت هذه البلاد قبل أن تتصل بها الحضارة الغربية، وعرفتها بعدها.

لقد زرت «جدة» أيام كانت جدة محاطة بسور له أبواب تغلق كل عشية، وتفتح في النهار، ولا يدخل إليها ولا يخرج منها إلا من هذه الأبواب، وعرفتها وقد أوشكت أن تصير مثل الإسكندرية أو بيروت.

وعرفت دمشق وما فيها سيارة واحدة وما فيها إلا عشرون داراً فيها الكهرباء وليس فيها إلا شارع واحد شقه جمال باشا سنة ١٩١٦، أما الراد (الراديو)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والرائي (التلفزيون) وأمثالهما، فلم يكن قد اخترع من ذلك شيء.

وعرفت الرياض سنة ١٩٣٥، والرياض التي ترونها الآن، وإني لأفكر وأوازن بين الحالين وأسأل نفسي: هل ربحنا أم خسرنا؟

أي الفريقين أهدى وأصوب رأيا: من يريد منا أن نأخذ بهذه الحضارة أخذا كاملا، أمن يريد أن نتركها وننصرف عنها؟

الحق. الحق بين الفريقين فلا هؤلاء على حق ولا هؤلاء، لقد ربحنا باقتباسنا من هذه الحضارة وخسرنا، وكل شيء في الدنيا فيه ربح وفيه خسارة.

إن هذه الحضارة ليست شرا محضاً، وليست كذلك خيرا محضا، فالقول بأن نتركها كلها مردود، والقول بأن نأخذها كلها مردود.

وهل نستطيع أن نتركها بعدما انغمسنا فيها، وصارت هي عماد حياتنا؟ إن من يطلب ذلك يطلب ما لا يكون، ولو نحن استطعنا تركها فهل من المصلحة أن نتركها؟

أيريد هؤلاء أن نغلق المستشفيات، ونطرد الأطباء وأن نلغي شركة الخطوط الجوية ونبيع طياراتها، وأن نذهب إلى الحج من الرياض إلى مكة على الإبل فنمضي على الطريق عشرين يوماً بدلا من أن نذهب في ساعة وبعض الساعة في طيارة البوينغ، وأن نحل شركة الكهرباء ونرفع أسلاكها من الشوارع، ونرجع إلى الشمع وسرج الزيت، وأن نحارب اليهود بالسيف والرمح بدلا من المدفع والصاروخ؟

ولماذا نفعل ذلك؟

أما الإسلام فلا يوجب علينا أن نترك هذه الحضارة بكل ما فيها، فلا تحتجوا بالإسلام.

الإسلام قد حرم محرمات وفرض فرائض، وترك أموراً على الإباحة الأصلية، فما حرمه الإسلام نتركه، ولو أجمع أهل الأرض على قبوله والعمل به، وما أوجبه نأتيه، ولو اتفق سكان المعمورة على استنكاره والإعراض عنه، وما كان من المباحات مما لم يدع الإسلام إلى الأخذ به ولا إلى تركه، ننظر فإن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان فيه نفع لنا أخذناه لأن الحكمة ضالة المؤمن، ولأن المصلحة العامة هنا مقصد من مقاصد الشارع، وفي مثل هذا لا فيما ورد فيه النص[١] يقول ابن القيم[٢]: إن الحكم الشرعي يدور مع المصلحة فحيثما تحققت فثم شرع الله، ولأن علينا أن نعمل لدنيانا كما نعمل لآخرتنا ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧)، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢).

ثم إننا لسنا غرباء عن هذه الحضارة، ولا واغلين عليها بل نحن شركاء فيها، نحن من أصحابها.

إن الحضارات نوعان كما قسمها «شينكلر» في كتابه المشهور: حضارات محلية كحضارات الهند والصين، وحضارة عالمية، والحضارة العالمية بناء من ثلاثة أدوار اشترك فيه ثلاثة بانين.

أما الدور الأول فقد بناه المصريون والفينيقيون واليونان، ومن شاركهم فيه وأعانهم عليه.

والثاني بناه المسلمون.

والثالث بناه الغربيون.

وكل دور منها يقوم على ما تحته فلولاه ما قام.. فنحن شركاء في هذه العمارة لنا فيها دور من ثلاثة ولسنا مستأجرين ولا مستجدين ولا معتدين، نحن من أصحاب الدار.

ولكن ليس معنى هذا أن نقبلها بكل ما فيها.. إن فيها شروراً كثيرة ومفاسد مردها جميعا إلى أصلين:

أحدهما ما تحمله من أفكار ومبادئ، فيها ما يزيغ المؤمن عن شرعة الحق وما يضله عن سبيل الهدى.

---

(١) كما ظن - خطأ -الأستاذ الجليل عبد الوهاب خلاف في كتابه «السياسة الشرعية».

(٢) وهو ابن قيم الجوزية، وكثير من الناس يخلطون بينه وبين ابن الجوزي مع أن ابن الجوزي بغدادي، وهذا شامي، والجوزية مدرسة بناها ابن الجوزي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والثاني وهو أشد وأنكى ما يغلب على هذه الحضارة من تهاون بمسائل الجنس وإطلاق للشهوات، وهو أشد، لأن الأول وإن كان فيه الكفر أحياناً، لا يجد عند كل شاب استعدادا لقبوله، أما الثاني فإنه يجد القبول في كل نفس لأن الله ركب في نفس كل شاب الميل إلى المرأة، فمن عمد إلى إثارة الشهوات وأيقظ الغريزة، استهوى بذلك الشباب جميعاً، إلا من عصم الله بعصمته، وقليل ما هم، بل أقل من القليل.

فإذا أردنا أن نصحح موقفنا من هذه الحضارة، فلنصنع مثل الذي صنع أجدادنا لما اتصلوا بالفرس وغيرهم من الشعوب ذوات الحضارات الأولى.

وإنهم أخذوا من حضاراتهم وعيونهم مفتحة، وعقولهم حاضرة، وميزان الشرع في أيديهم، لم يأخذوها عمى ولا تقليداً، ولم يقلدوا أهلها تقليد القردة بلا نظر ولا علم.

هذا هو الحق وهذا هو طريق الاعتدال لا إفراط ولا تفريط، فما كان فيها من مخترعات نافعة وما كان من تقدم علمي، وما كان من رفاهية وراحة ليس فيها محرم نأخذه كله.

وما كان فيها من تهاون بالفضائل والعفاف، وإطلاق للغرائز والشهوات، وتسهيل للزنا، وتصعيب للزواج وهذه القصص التي فيها الأدب المكشوف، والأفلام التي تعلم الناشئة فنون الغرام، وطرق الإجرام نتركه كله، كما نترك كل فلسفة وكل علم وكل مذهب اجتماعي ينافي أحكام ديننا.

ولابد من تفصيل لهذا الإجمال يأتي - إن شاء الله - فيما سيجيء من المقال.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سبحان مقسم الأرزاق

العدد (٩) رمضان (١٣٨٥هـ) - يناير (١٩٦٦م).

فكرت اليوم في أمر الرزق، فوجدت أمر الرزق عجيباً، كل امرئ يأكل رغيفه، لا يبيت أحد جائعاً ولكن كلا يجد رغيفه في مكان.

الموظف جعل الله رغيفه على مكتبه، يقعد على كرسيه يدخن دخينته ويترشف قهوته، ويمد يده فيأخذه. ومنهم من يكون ساكناً في مكة (مثلاً)، ورغيفه في جدة، فهو يذهب كل يوم، يقطع أكثر من سبعين كيلا[1] ليأتي به ويرجع، فإذا لم يذهب إليه لم يأخذه.

ومنهم من يكون من أهل الشام أو مصر، ولكن الله يضع له رغيفه، في بعض السنين في الكويت أو في الرياض... والطيار وضع رغيفه فوق السحاب وقيل له: اصعد لتأخذه، والغواص وضع رغيفه في أعماق البحار وقيل له: انزل لتأخذه، وعامل المنجم رغيفه في بطن الأرض، أو في وسط الصخر الصلد، لا يصل إليه حتى يفجره بالديناميت.

والعطار يتناوله بيد مضمخة بالعطر، والزبال يتناوله بيد ملطخة بالزبل.

ومن يأكله هنيئاً مريئًا، ومن يأكله ليحاسب عليه من بعد حساباً عسيراً، وقد يصلى به سعيراً.

ومن الناس من يكون مثل **أمين الصندوق** في المصرف، تحت يده مئات الآلاف، وماله منها آخر الشهر إلا خمسون ديناراً، وهو الغني البخيل، تكون عنده الأموال الطائلة، ويعيش هو وأهله على القليل فهو «أمين صندوق» يحفظها

(١) الكيل وجمعه أكيال، مثل الميل والأميال، تعريب كيلو متر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ليستمتع الورثة من بعده بها، ويكون عليه حسابها.

ومن يكون مثل «المعتمد المالي» أعني الموظف الذي يوكله إخوانه في الدائرة باستلام الرواتب من الخزانة وتوزيعها، وهذا هو الغني الذي يلهمه الله الإنفاق على الفقراء، إنه يعطي كلا رزقه لا يعطيه من رزق نفسه، فهو كالمعتمد، ولكن الموظف المعتمد يكون جزاؤه كلمة شكر، وربما حرموه من كلمة الشكر وهذا المحسن يوصل إلى الفقراء أرزاقهم، ويكون له عن كل مائة دينار يوزعها سبعون ألف دينار: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾ (البقرة: ٢٦١).

* * *

ومن يكون حافظاً لمال والمال مقسوم لغيره

حدثني مرة الشيخ صادق المجددي سفير الأفغان سابقاً في مصر، أنه كلف مرة بمهمة سياسية عاجلة في روسيا، وخاف أن يمر ببلد لا تؤكل ذبيحة أهله شرعاً، وكان عنده دجاجتان فأمر بذبحهما، واتخذت له زوجته سفرة[1] منهما، حملها معه، فلما وصل إلى طاشقند[2] دعاه شيخ مسلم. فكره أن يأخذ الدجاجتين معه إلى دار الشيخ، ورأى في طريقه امرأة مسلمة فقيرة معها أولادها، ورأى الجوع بادياً عليهم وعليها، فدفع إليها الدجاجتين.

فلم تمض ساعة حتى جاءته برقية أن ارجع فقد صرف النظر عن «المهمة» فكانت هذه الرحلة لأمر واحد هو أن الدجاجتين كانتا في داره ولكنهما ليستا له ولا لأهله، إنهما لهذه المرأة وأولادها، فطبختهما زوجته وحملهما بنفسه أربعة آلاف كيل ليوصلهما إليها.

وقرأت مرة ولست أذكر الآن أين قرأت، خبر رجل تاجر كان في بغداد على عهد الموفق وابن طولون فأضاق وافتقر حتى نقض داره وباع أنقاضها، ولم يبق

(١) السفرة زاد المسافر.

(٢) وكانت تسمى الشاش ومنها الشاشي الكبير والشاشي الصغير الفقيهان الشافعيان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

له شيء، فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له: اذهب إلى مصر، إلى حارة كذا، في جهة كذا، يأتك الرزق، فلم يلق لذلك بالا، فعاودته الرؤيا، مرات، كل مرة يجد هذا القائل، ويسمع منه هذا القول، فاستدان من المال ما استطاع السفر به إلى مصر، فلما وصلها سأل عن الجهة والحارة والدار، فإذا هي دار صاحب شرطة أحمد بن طولون، فقبض عليه، وقال له أنت جاسوس للموفق، وضربه عشرة مقارع ليقر، وهو يتنصل، ويقول: ما أنا بجاسوس.

قال له: فما الذي جاء بك إلى داري.

فقص عليه القصة، فضحك منه وقال له: أنت مجنون، أنا من شهور أجد في المنام من يقول لي أن في دار فلان التاجر في بغداد تحت الشجرة جرة فيها خمسة آلاف دينار، فلا أبالي، وأنت تسمع كلمة في المنام، ولعل رؤياك من أضغاث الأحلام، فتصدق؟

وكانت الدار التي ذكرها صاحب الشرطة داره هو فعاد إلى بغداد، واستخرج الجرة من تحت الشجرة...

* * *

والرزق ليس المال وحده، وقد يُعطَىٰ الرجل المال الوفير، ويحرم ما هو أحب إليه، وأعز عليه من المال.

أما سمعتم قصة السيد الغني الذي كان له القصر الفخم، ومن حوله الخدم والحشم، وكان في صندوقه الذهب والجوهر، ولكنه كان مريضاً قد اصطلحت عليه أضداد الأمراض، اجتمعت عليه على حين لا يجتمع الضدان وربطته بسريره سنوات، فاشتهى يوماً أن يرى بستان قصره فنحوا سريره حتى واجه النافذة، فنظر فرأى الفلاح وزوجته وولده، قد افترشوا التراب، ووضعوا أمامهم صحن الفول المدمس[1] وعصروا عليه الليمون، ونقطوا عليه زيت الزيتون، وهرسوا بصلات، فجعلوا منها في الخبز الحار الخارج لتوه من التنور، ثم غمسوها في

---

(١) الديماس معربة بمعنى الحمام، فكلمة «المدمس» إذن لها أصل فصيح.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صحن الفول فأكلوا، ثم أخذوا من الساقية فشربوا ثم شبعوا فمسحوا أفواههم، وقالوا من أعماق قلوبهم، ربنا لك الحمد والشكر.

فقال الرجل: آه ليتني آكل مثل هذه الأكلة وأبقى بلا مال.

وإذا كانت هذه القصة مثلاً مضروباً لا يدرى أهي من الواقع أم من الخيال، فإني أعرف في دمشق رجلاً (توفي من سنين طوال) كانت له أعلى العمارات وأكبرها، وكان له أوسع الضياع وأجلها، وكانت له آلاف الأسهم في أشهر الشركات وله الحسابات الجارية في أعظم المصارف، وكانت في معدته قرحة خبيثة فهو لا يستطيع أن يدخل إليها شيئاً إلا الحليب وكان لا يبصر إلا بنظارتين يركب إحداهما على الأخرى، ثم لا يفرق من بعد عشرة أمتار بين الإنسان والحمار، أعني الحمار الحقيقي لأن الحمار المجازي في ظاهره كالإنسان.. وهو بعد هذا لا يقدر أن يقارب النسوان، ولا أن يستمتع بلذة السمر مع الإخوان.

فماذا بقي له من لذائذ العيش؟ ألا يتمنى لو ذهب نصف ماله، لو ذهب ثلاثة أرباعه، وكان كامل الصحة، متين البناء، حاد البصر، قادراً على... على «الأشياء الأخر»؟.

وهاتوا أفقر فقير لأسأله هل يرضى أن نقطع قطعة من أنفه بمقدار رأس الإصبع، ونعطيه ألف دينار؟

والفقير الذي عنده عشرة أولاد يشتكي من كثرتهم، والإنفاق عليهم، أينزل عن واحد منهم لأكلة لحوم البشر. فيعملوا من لحمه «كفتة» ويأكلوه أمامه، ويأخذ خمسين ألف دينار؟

أفليست هذه كلها نعماً أكبر من نعمة المال؟

البصر يا إخوان نعمة، والمعدة الصحيحة نعمة، والولد نعمة، وكلها يدخل في حساب الأرزاق، فلا تحسبوا الرزق «المرتب» وحده، فهذه النعم كلها من الرزق.

فاسعوا لطلب الرزق، وجدوا فيه ولا تدخروا وسعاً ولا جهداً، ثم ارضوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعد ذلك بما جاءكم، ولا تغضبوا ولا تسخطوا، هل يغضب الموظفون على زميلهم الذي يعتمدونه لتوزيع الرواتب آخر الشهر، ويقولون: لماذا أعطيت الرئيس أكثر مما أعطيت الفراش؟

أم يعلمون أن الرواتب حددتها الحكومة من قبل ولم يحددها هو، ولا يملك زيادة فيها ولا نقصاً، ولا تبديلاً ولا تحويراً؟

إن الأرزاق مثلها، إنها محددة من قبل، إنها مقدرة من الأزل، والذي قدرها هو الله ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ (الزخرف: ٣٢).

فنحن نعمل ونجد ونكافح ونتخذ الأسباب كلها، لأن الله أمرنا بالعمل والجد والكفاح واتخاذ الأسباب، ثم نرضى بعد هذا بما جاءنا من الله، فلا نعيش خاملين، ولا نحيا ساخطين، وهذا هو شأن المسلمين.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

دليل الحاج

العدد (١٢) ذو الحجة (١٣٨٥هـ) - مارس (١٩٦٦م).

يا عازمين على الحج، يا من يشد الرحال، ويعد الأحمال، ليصل إلى فناء الحرم، ويقوم عند الملتزم، ويشرب من ماء زمزم...

قفوا قليلاً، فاستمعوا مني كلمة، ثم امضوا على بركة الله.. إنكم ما حملتم مشاق السفر، ولا رضيتم بفراق الأهل، ولا أنفقتم هذا المال، إلا ابتغاء ثواب الله، وادخاراً من الحسنات ليوم الحساب. فهل علمتم قبل أن تمشوا أن الحج حجان: حج مبرور وردت الأحاديث الصحاح بأنه ليس له ثواب إلا الجنة، وأن صاحبه يرجع منه كيوم ولدته أمه.

وحج ما فيه إلا إنفاق المال وإرهاق الجسد، وفراق العيال. فماذا تعملون ليرفع الله حجكم إليه، ولا يرده عليكم، فيضرب به وجوهكم. أنا أقول لكم: هل ترتفع الطيارة إذا أثقلتها بالحديد، وحملتها أضعاف ما تطيق، ثم ربطتها بحبال الفولاذ إلى صخور الجبل؟.

إنها لا ترتفع إلا إذا خففت أحمالها، وقطعت عنها حبالها وكذلك الأعمال. فإذا أردتم أن يصعد حجكم فخففوا عن عواتقكم أثقال الذنوب، واقطعوا الحبال التي توثقكم بأرض الشهوات، أو حلوها.

فاقعد يا أخي الحاج وحدك، واحصر فكرك قبل أن تخطو أول خطوة في طريق الحج، وحاسب نفسك، وانظر في حياتك في بيتك، وصلاتك بأهلك، وروابطك بأصحابك، وسلوكك في «وظيفتك»[1] أو تجارتك وفي مصادر ثروتك. وطرق إنفاقك، فكر فيها كلها، وقسها بمقياس الشرع، فما وجدته منها

(١) الوظيفة في اللغة الراتب ولكني استعملتها بالمعنى الذي يفهمه الناس.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

محرماً فتب منه، واستسمح أصحابه قبل أن تمضي إلى الحج.

انظر هل أنت تارك لفريضة من الفرائض؟ هل أنت مرتكب لمحرم من المحرمات؟ هل أسأت رعاية من استرعاك الله أمره من أهلك وولدك؟ هل أنت ظالم لزوجتك قد كرَّهت إليها بسوء معاملتك عيشها، أو أنت منقاد إليها تتبع رغباتها التي تغضب ربها؟ هل رضيت بترك أولادك الصلاة؟ هل وضعتهم في مدارس غير المسلمين؟ هل أكلت مال أحد، أو تعديت عليه؟ هل لأحد في ذمتك دين لم تقضه، أو حق لم تسدده؟ هل تقصر في عمل الوظيفة إن كنت موظفاً؟ هل تأخذ الرشوة؟ هل تعامل الناس بالربا إن كنت تاجراً؟ هل تعقد عقوداً مخالفة للشرع؟ انظر في هذا كله وأمثاله، فتب منه، وليس يكفي أن تعزم على ترك الذنب بقلبك، أو أن تعلنه بلسانك، بل أن تتخذ الأسباب لذلك.

فإن كنت تتعامل بالربا، وأردت أن تتوب منه، وألا تعود إليه. فصف حساب عملائه، واقطع صلاتك بهم. وخذ رأس مالك ودع موارد الربا، ولا يغررك أن الربا سمي بـ «الفائدة» فلقد ورد أن الناس في آخر الزمان يسمون المحرمات بغير أسمائها ليستحلوها.

وإن كنت تتكسب من عمل محرم، كأن تكون عاملاً في ناد يسقي الخمر، ويجمع الجنسين. أو في مصرف يرابي وأنت تشتغل فيه كاتبا للربا. أو كنت في مؤسسة أو مصلحة تنشر الإلحاد، أو تؤذي المسلمين وأردت أن تتوب، ففتش لنفسك عن عمل آخر، وإلا لم تنفعك توبتك عنه وأنت ملازم له .

واعلم أن الله هو الرزاق، وأن من يتق الله لا من يعصه يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب. وكذلك الحال في كل محرم.

ثم تدبر أمورك وأمور عيالك في غيبتك، لتريح بالك منها، فلا تفكر فيها وأنت في الحج. فتعطي أهلك من النفقة ما يكفيهم في غيابك، وتوكل بهم من يقوم بأمرهم إلى حين عودتك، وتعهد بعملك إلى من تثق به، وتعتمد بعد الله عليه.

واعلم يا أخي الحاج، أن الحج غسل للقلب من أوضار الذنوب، فهل يغسل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحد جسده من الأوساخ بالماء الوسخ؟ فكيف إذن تبغي أن تتخلص بالحج من تبعات الحرام. إذا كان حجك بمال حرام؟ إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. فليكن أول ما تصنعه أن تعد لنفقات حجك مالاً حلالاً.

لا أريد بالمال الحلال أن يكون خالياً من كل شبهة فلقد ذكر العلماء من قرون طوال أن ذلك كان كالمتعذر في أزمانهم، فكيف بزماننا؟ ولكن أريد ألا يكون المال الذي أعددته للحج، مالاً ظاهر الحرمة، كأن يكون مغصوباً أو متحصلاً من الربا، أو من مهنة يحرمها الشرع كالاتجار بالخمر، أو زراعة الحشيش، أو نشر الكتب والمجلات المفسدة للدين وللأخلاق.

المال الحرام ردوه إلى أصحابه الذين أخذ منهم ظلماً. فهذا أفضل من الحج، ثم إن وجدتم بعد ذلك ما تحجون به من المال الحلال. وإلا فانتظروا حتى يبعثه الله إليكم فتحجوا.

ومن كان منكم موسرا فليحمل معه ما يزيد عن نفقات حجه، ونفقات أهله في غيابه، ولينو بذلك مساعدة المحتاج وإسعاف المنقطع، لا يوزعه على الشحاذين الذين اتخذوا السؤال حرفة، ولعل فيهم من هو غني، بل يعطي من يثق بحاجته، ومن يكون عفيفاً، فيظنه الناس من عفته وإبائه غنياً وهو في أشد الفقر.

أمثال هؤلاء فأعطوهم، وإذا لم تعرفوهم فاسألوا عنهم من تثقون به من أفاضل أهل الحرمين.

● **الرفيق قبل الطريق**

واعلموا أن على ألسنة الناس أقوالا سائرة يلقونها، لا يفكرون بمعناها، وكأنها من كثرة الترداد قد صارت ألفاظاً بلا معان، وهي ثمرة تجارب بشرية طويلة، منها قولهم «الرفيق قبل الطريق».

وأولى سفرة باختيار الرفيق الصالح سفرة الحج، ورب رفيق حججت معه فاستفدت من علمه، واسترحت إلى حلمه، واطمأننت إلى أمانته، ورب رفيق نغص عليك حجتك، وأضاع عليك ثوابك.

رفيق يجعل الحج مردوداً مرفوضاً، ورفيق يجعله مبروراً مقبولاً. فاختر لك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رفيقاً عالماً بالمناسك، فإن لم تجد فخذ كتاباً من كتب المناسك لعالم موثوق به، ولا تركن إلى هذه الكتب التي يؤلفها من ليسوا بعلماء ولو رأيت الإعلان عنها، والدعوة إليها، فإن فيها خطأً كثيراً، ولا تأخذ كلام المطوفين قضية مسلمة فإن أكثرهم من غير العلماء، ولا تقبل من كل من يتكلم في العلم. فربما تكلم في العلم في زماننا، وتصدر للإفتاء من ليس بعالم ولا بطالب علم.

فإذا أعددتم المال الحلال، وانتقيتم الرفيق الصالح، وتبتم من ذنوبكم، وأديتم الحقوق التي عليكم، فأخلوا أذهانكم من هموم العيش وخلفوها وراءكم، وفرغوا قلوبكم ما استطعتم لربكم، فإنكم تفكرون في الدنيا العمر كله، ففكروا في الآخرة هذه الأيام فقط، وتعملون طول حياتكم لما لا ينفعكم بعد موتكم، فاعلموا هذه الأيام فقط لما يبقى لكم، ويفيدكم يوم العرض على ربكم.

* * *

● يا إخوتي الحجاج

إنكم تقومون للصلاة، تنظرون إلى مسير الشمس في النهار، وتبحثون عن نجم القطب في الليل، وتضعون «البوصلة» أمامكم وتستحضرون موقع البلد في أذهانكم لتعرفوا أين تقع الكعبة، فتجعلوها قبلتكم في صلاتكم. وبينكم وبينها الأبعاد والآماد وبينكم وبينها الصحارى والبحار، والجبال والأنهار، لا يمنعكم بعدها ولا تصدكم العوائق دونها، عن أن تتجهوا إليها بأجسادكم وقلوبكم، وأن تتصوروها على الغيبة، وتحنوا إليها على البعد، فها أنتم هؤلاء تمشون إليها كما يمشي المحب إلى لقاء المحبوب، ودونه الحجب والأستار، فكلما جزتم إليها بادية، أو ركبتم بحراً، رفع لكم من دونها حجاب، وكلما دنوتم منها شبراً، رفع لكم ستر، حتى وصلتم إلى «المواقيت».

● لباسه الرسمي

هذي مواقيت الحرم يا حجاج فقفوا، هذه أعتاب ديار المحبوب، هذه مشارف بيت المليك، إن من يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا، يلبس للمقابلة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لباسها الرسمي، وهذه أبواب حضرة ملك الملوك، رب العالمين، فاخلعوا عن أجسادكم ثياب الدنيا، والبسوا للنسك لباسه الرسمي.

البسوا ثياب الإحرام، التي لا يمتاز فيها غني عن فقير، ولا أمير من أجير، وانزعوا معها حب الدنيا وانزعوا مشاغلها ومشاكلها عن قلوبكم، واغسلوا بالماء أجسادكم، واغسلوا بتجديد التوبة نفوسكم، وانووا إما الحج وحده، وإما العمرة والحج مقرونين، تدخلون بالعمرة فتطوفون وتسعون وتبقون محرمين إلى انتهاء أعمال الحج، وأما العمرة وحدها فإذا أكملتم مناسكها «أي طفتم وسعيتم» حلقتم ولبستم ثيابكم وحللتم، ثم أحرمتم بالحج يوم الحج، والأول هو الإفراد، والثاني القرآن، والثالث التمتع، وكل ما تنوون حسن، وكل من الثلاثة هو الأفضل في أحد المذاهب، وإن كان التمتع هو آخر ما أمر رسول الله ﷺ والعمل به أولى.

* * *

أجيبوا داعي الله

ثم اصغوا تسمعوا صوت الشرع في قلوبكم يأمركم بالتوحيد وإخلاص العبادة لله، واتباع سبل الخير، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، اسمعوا أوامر الله في آيات كتابه وأقوال نبيه، فإذا تمثلت لأذهانكم، فأجيبوا بألسنتكم وبقلوبكم:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

لبيك أمرتنا فأطعنا، ونهيتنا فاجتنبنا، فأعنا اللهم على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فإنا لا نستطيع أن نقوم بها بغير معونتك، لا شريك لك فنطلب منه، ولا إله سواك، فنفر إليه، لقد فررنا إليك، وجئنا قاصدين بيتك، فهل تردنا عن بابك خائبين، وأنت أكرم الأكرمين؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه حدود منزل الوحي، لقد جزتموها الآن محرمين، فجدوا السير، واحدوا المطي أو استحثوا سائق السيارة.

لقد دنوتم الآن من الحرم، أتعرفون يا إخوان ما الحرم؟

هنا دار السلام إن عمت الأرض الحروب. هنا دار الأمن إن شمل الناس الخوف.

كل حي ها هنا آمن، الناس والحيوان والنبات، ليس ها هنا حرب ولا قتال، الحيوان ها هنا لا يصاد، والأشجار لا تقطع. لا عدوان على أحد، ولا تجاوز على شيء.

هذه حدود الحرم، ألا ترون أعلامها؟

لقد أقام هذه العلامات أبو الأنبياء إبراهيم، وبقيت حيث أقامها. لقد دخلتم الآن الحرم، فجددوا التلبية واجهروا بها، وقولوا بقلوبكم مع ألسنتكم:

لبيك اللهم، قد دعوتنا فأجبنا، سمعنا المؤذن يؤذن بالحج فجئنا رجالاً وعلى كل ضامر، أتينا من مكان بعيد، نجزع الأرض، نطوي البيد، نركب الريح، ونمتطي اللجج، امتثالاً لأمرك، وابتغاء رضاك.

لبوا يا حجاج، واجهروا بالتلبية، لبوا عند كل رابية وجبل، تلب معكم الروابي والجبال، لبوا كلما صعدتم نشزا، لبوا كلما هطبتم وادياً، لبوا فهذه جبال مكة، بدت لكم.

لقد وصلتم، لم يبق إلا قليل، فجدوا المسير.

هذه مكة فادخلوها من أعلاها، من جهة ذي طوى (حي الزاهر) ثم اهبطوا من الحجون، من عند المقبرة، فمن هناك دخلها رسول الله ﷺ، ثم امشوا من عند المسعى حتى تدخلوا من باب السلام (باب بني شيبة).

لقد زالت الحجب حجاباً بعد حجاب، وتقاربت الأبعاد ساعة بعد ساعة، حتى بلغتم الأرب فنسيتم التعب، فهنيئاً لكم، نلتم المرام، هذا باب السلام وهذه زمزم، وهذا المقام، وهذه الكعبة البيت الحرام.

فلبوا وهللوا، وادعوا فإن دعاء المسلم أول ما يرى الكعبة مستجاب، هذا هو

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المشهد الذي قطعتم من أجل رؤيته الآفاق، وحملتم المشاق، إني لن أنسى يوم وقفت هذا الموقف أول مرة، من إحدى وثلاثين سنة، لقد سلكنا الصحارى من دمشق، فكنا كلما دنونا يوماً زاد الشوق بنا شهراً. حتى تمنيت أن تطوى لي الأرض، وأن يتصرم الزمن.

وأكثر ما يكون الشوق يومًا إذا دنت الخيام من الخيام

حتى إذا وقفت على باب السلام صفق من الفرحة القلب، وبكت من السرور العين، فما رأيت الكعبة إلا من خلال الدموع.

هذه دارهم وأنت محب ما بقاء الدموع في الآماق!

إني لا أتمنى إلا أمنية واحدة، هي أن أنسى هذا المشهد لأستمتع برؤيته من جديد. هذه مكافأة الحاج.. إنها لذة من لذائذ الروح لا مثيل لها، فأشبهه بها لأدل عليها من لم يعرفها.

لذة لا يدرك مداها إلا من ذاقها، لذة لا توصف ولا تعرف

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

أسأل الله أن يمن بذلك على كل راغب فيه، مشتاق إليه.

❋ ❋ ❋

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عام جديد

العدد (١٣) المحرم (١٣٨٦هـ) - أبريل (١٩٦٦م).

لما قعدت أكتب هذا الفصل، لم يكن في ذهني شيء عن الموضوع الذي أكتب فيه، ولكني نظرت في التقويم المعلق بالجدار فوجدت الموضوع. الموضوع «أول المحرم».

أفيمر بكم أول المحرم، كما يمر غيره من الأيام، وفي صبيحته ولد عام، وفي ليلته قضى عام؟.

يجتاز المسافر مرحلة من الطريق فيحط الرحال، ويقف ليستريح، فيتلفت وراءه ليرى كم قطع وينظر أمامه ليبصر كم بقي.

والتاجر تنتهي سنته، فيقيم موازينه ويحسب غلته، ليعلم ماذا ربح وماذا خسر.

وهذه «محطة» جديدة، نقف فيها ونحن نسير على طريق الحياة، وسنة أخرى تمضي من العمر، أفلا نقف عليها ساعة نفكر ونذكر ونحسب ونعتبر؟

نحن اليوم في أول المحرم من سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف ننظر إليه في الفجر، فنراه يوماً طويلاً يمتد أمامنا، نستطيع أن نعمل فيه ما نشاء، نستمتع فيه (إن أردنا) بدنيانا، ونحمله ما نريد حمله من الزاد إلى أخرانا، فإذا أمسى المساء وذهب اليوم- لم نعد نستطيع أن نستفيد منه ولا أن نستمتع فيه.

نظنه باقياً لنا، فـ«نُبذر» في دقائقه، كما يبذر المسرف في ماله ونضيع ساعاته، ولكنا لا نجده حتى نفقده. إنه لا يكاد يبدأ حتى ينتهي ثم يمضي، فلا يعود أبداً.

اذكروا الآن أول يوم من المحرم سنة خمس وثمانين.

لقد كنا نراه (أيضاً) ونحن نستقبله طويلاً، وكنا نقدر أن نصنع فيه خيراً كثيرا، فأين هو منا اليوم؟. وأين الأول من المحرم سنة أربع وثمانين؟.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأين أوائل المحرمات التي مرت بنا، أو مررنا نحن بها من قبل؟ ماذا بقي منها في أيدينا؟.

تمضي السنة وتجيء أخرى بعدها، فمن لم يعمل خيراً فيها، عمله في التي تليها.

إن فاتك عمل الخير في النهار، فعندك الليل (خلفة) منه، فاعمل الخير فيه. مواسم متتابعة إن أضعت الموسم فلم تزرع فيه، فازرع في الذي يليه.

وإن رسبت في الامتحان في دورة حزيران، فعندك دورة أيلول.

هي خلفة لك ما بقيت حيا، ولكن هل تعلم كم تبقى حيا؟.

❊ ❊ ❊

ينقضي العام - فتظن أنك عشته، وأنت في الحقيقة قد مته، لا تعجبوا من هذا المقال ودعوني أوضح الفكرة بالمثال.

أنت كالموظف الذي منح إجازته السنوية، شهراً كاملاً، إذا قضى فيها عشرة أيام يكون قد خسر منها عشرة أيام فصار الشهر عشرين، فإذا مر عشرون صار الشهر عشراً، فإذا تم الشهر انقضت الإجازة فكأنها لم تكن.

أتظنون أني «أتفلسف»؟ لا والله بل أصف الواقع.

نحن كلما ازداد عمر الواحد منا سنة في العد، نقصت من عمره سنة في الحقيقة، حتى ينفد العمر، ويأتي الأجل، ونستقبل حياة أخرى تبدأ بالموت.

فتحت كتابي «من حديث النفس» فقرأت فيه فصلاً نشرته في العدد الممتاز من مجلة «الرسالة» في مطلع سنة ١٩٣٨، عنوانه «على أبواب الثلاثين» لو تصورت يومئذ أني ساقرأه في مطلع سنة ١٩٦٦، لتراءى لعيني دهر طويل ثمان وعشرون سنة، أنظر إليها الآن، بعد ما مرت، فأراها كأنها يوم وليلة.

ولو نظرت الآن على ما بعد ثمان وعشرين سنة على سنة (١٩٩٤) لرأيتها بعيدة جداً، ولكن من يقرأ هذا الفصل يومئذ سيرى سنتنا هذه كأنما كانت بالأمس.

فنحن نوسع المستقبل بالأمل.

❊ ❊ ❊

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما هذا المستقبل الذي نسعى إليه، ونكد من أجله؟.

لما كنت طالباً كان مستقبلي في نيل الشهادة. فلما نلتها صار المستقبل في الوصول إلى الوظيفة. فلما وصلت إليها صار المستقبل في بناء الأسرة وإنشاء الدار، وإنسال الولد، فلما صارت لي الزوجة والدار والأولاد والحفدة، صار المستقبل في الترقيات والعلاوات والمال المدخر، وفي الشهرة والمجد والكتب والمقالات، فلما تم لي بفضل الله ذلك كله، لم يبق لي مستقبل أفكر فيه، إلا أن ينور الله بصيرتي، ويريني طريقي، فأعمل للمستقبل الباقي للآخرة وإني لفي غفلة منها.

فالمستقبل في الدنيا شيء لا وجود له. إنه يوم لن يأتي أبداً، لأنه إن جاء صار «حاضراً» وطفق صاحبه يفتش عن «مستقبل» آخر. يركض وراءه.

إنه (كما قلت مرة) مثل حزمة الحشيش المعلقة بخشبة مربوطة بسرج الفرس تلوح أمام عينيه فهو يعدو ليصل إليها، وهي تعدو معه فلا يدركها أبداً.

إن المستقبل الحق في الآخرة، فأين منا من يعمل له؟ بل أين من يفكر فيه؟.

* * *

وقد يكون هذا الذي أقوله «فلسفة»، ولكنها فلسفة واقعية، إنها حقائق لا يفكر فيها أحد منا.

نحن كالمسافر في الباخرة أو في الطيارة، همه الغرفة الجميلة، أو المقعد المريح، يركب في الدرجة الأولى ويأكل أطيب الطعام، ويتصفح الجرائد والمجلات ينقل بصره فيما حوله أو تحته من المشاهد ولكن هذا كله لأيام السفر، وأيام السفر معدودة، أفما كان خيراً له لو فكر فيما يريحه في إقامته في البلد الذي يمضي إليه؟.

أما كان أنفع له لو تحمل بعض المتاعب في ليالي السفر القليلة، ووفر ماله ليشتري به الراحة في سنوات الإقامة الطويلة؟.

أم قد شغلته متعة السفر عن التفكير في سبب السفر، وجمال الطريق عن غاية الطريق؟.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحياة سفر، فكم من الناس يسأل نفسه لم السفر؟ وإلى أين الرحيل؟ كم منا من يسأل ما الحياة؟ ولماذا خلقنا؟ وإلام المصير؟

* * *

إننا نقطع الوقت من الصباح إلى المساء، في مشاغل نخترعها لننسي بها أنفسنا، ونبدد بها أعمارنا، من أحاديث تافهة، ومجالس فارغة، ومطالعات في كتب لا تنفع، أو نظرات في مجلات لا تفيد، فإن خلا أحدنا بنفسه، ثقلت عليه صحبة نفسه، وحاول الهرب منها، كأن نفسه عدو له لا يطيق مجالسته فهو يضيق بها، ويفتش عما يشغله عنها، وكأن عمره عبء عليه، فهو يحاول أن يلقيه عن عاتقه، وأن يتخلص منه.

* * *

نفر من نفوسنا ونبدد أعمارنا، في لذائذ نتوهمها، ونسعى وراءها ولكننا لا ننالها.

ولما كنت أشرف على طبع كتاب ابن الجوزي «صيد الخاطر» الذي قدمت له وعلقت عليه، وجدت فيه كلمة عظيمة، يقول فيها «إن لذائذ الدنيا نماذج تعرض ولا تقبض».

نماذج (ريكلامات)[1] **للعرض والإعلان، لا للبيع والاقتناء، فأنت تسر برؤيتها، ولكن لا تقدر على امتلاكها.**

خذوا أكبر لذات الدنيا، (اللذة المعروفة...) تروا أنها ليست في الحقيقة إلا لحظة دقيقة أو دقيقتين، لا تكاد تحس بأنك قد وصلت إليها، حتى تجد أنك قد فقدتها.

إنها ليست إلا «نموذجا» للذة الآخرة، فما يستمر هنا دقيقة فقط، يدوم هناك إلى الأبد.

---

(١) صرنا نفسر العربي بالإفرنجي، هذا والله العجب!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إنك فيها كمن يعطى ملعقة من الطعام ليذوقه ويجد طعمه في حَلْقِه، فإذا ارتضاه اشترى منه فأكل حتى شبع.

فالذواق في الدنيا والشبع في الآخرة.

لذلك ترى الرجل الفاسق، يشكو «الجوع الجنسي» مهما «ذاق» من الحرام. يعرف مائة من النساء، ثم يرى الواحدة بعد المائة فتطلبها نفسه، كأنه ما عرف امرأة قط، ولا يزال كذلك حتى يعجز جسده، ولا تكل رغبته، فهو كالعطشان الذي يشرب من ماء البحر، وكلما ازداد شرباً، ازداد عطشاً.

وما عهد «فاروق» ببعيد.

ومثلها لذة المال.

إن الفقير الذي ينام في كوخ الطين، ويأكل خبز الشعير، ويمشي بالحذاء البالي، أو يركب عربة النقل، التي يجرها الحمار، يتصور أنه لو نام يوماً على فراش الغني، أو أكل على مائدته، أو ركب في سيارته، لنال اللذائذ كلها ولكن الغني الذي ألف ذلك لم يعد يجد فيه لذة، بل يجد الألم إن فقد منه شيئاً.

والشاب المغمور، يتمنى أن يكون علماً مشهوراً، تردد الإذاعات اسمه وتنشر الصحف رسمه، ويتحدث الناس عنه، ولكن العالم المشهور الذي ألف ذلك لم يعد يهتم به ولا يباليه.

إن لذات الدنيا مثل السراب، ألا تعرفون السراب؟. تراه من بعيد غديرا، فإذا جئته لم تجد إلا الصحراء. فهو ماء ولكن من بعيد!.

عفواً يا سادتي القراء، إن جئت أعظكم وأزهدكم، فما أردت وعظاً ولا تزهيداً، وما أنا من الوعاظ الزهاد، ولكنها خواطر أثارها في نفسي أننا في اليوم الأول من المحرم، وإني وقفت كما يقف المسافر، وقعدت أحسب كما يحسب التاجر.

إني أنظر إلى حياتنا هذه التي نعيشها، فأرانا فيها كموكب من السيارات، تمضي مجنونة مسرعة، متسابقة، هم كل واحدة أن تسبق الأخرى، وتخلفها وراءها، ولكن لو سألت سواقها إلى أين يسيرون ولماذا يسرعون؟ لما وجدت عندهم جواباً.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سباق إلى المال، سباق إلى اللذات، سباق إلى الوظائف، سباق في كل طريق من طرق الحياة.

ثم ينتهي العمر، فنترك كل ما استبقنا إليه، ونمضي. فلنقف لحظات في مطلع كل عام، لنسائل أنفسنا ما الذي نربحه من هذا السباق؟ أو ليس «الربح» الحق في جهة أخرى، غير الجهة التي يتجه الناس كلهم إليها، ويحسبون أن الربح المقصود فيها؟.

إن هذا اليوم نذير لنا. بأن السنة المقبلة ستمضي كما مضت السنة المودعة، وإن كل واحدة منها تحمل معها جزءاً من أعمارنا، حتى تنفد أعمارنا، فلنتدارك ما بقي، ولنكن يوماً واحداً في السنة من المتناصحين ومن المتواصين بالحق، والمتواصين بالصبر.

إنكم تقرأون في المجلات كلاماً كثيراً، كلاماً جليلاً يزيد ثقافة عقولكم، وكلاماً جميلاً يدخل البهجة على قلوبكم وكل هذا خير، ولكن خيراً منه أن تسمعوا كلمة تذكركم أخراكم، وتنفعكم يوم العرض على ربكم.

وما أصلح - والله - لأن أقول أنا هذه الكلمة، وأنا إلى أن أوعظ فأتعظ، أحوج مني إلى أن أعظ، ولكن «على مدير الكاس أن ينهى الجلوس».

لما أردت أن أسافر إلى جدة، من بيروت، قعدت في مطعم المطار، أفطر وأنتظر، وكان المطعم ممتلئاً، وكل من فيه يأكل ويشرب ويتحدث، مثلما كنت آكل وأشرب وأتحدث، تراهم فتحسبهم أصدقاء متلازمين لا يفترقون. وأن شملهم جميع لا يتشتت، ولكن مطار بيروت الذي تحط فيه كل ربع ساعة طيارة، وتقوم منه طيارة، لا يلبث الصوت أن يخرج منه ينادي من «المكبر».

ركاب طائرة boac المسافرة إلى لندن، يتوجهون إلى أرض المطار.

فتترك أكلها وشربها جماعة من الحاضرين، وتقوم.

ثم ينادي:

- ركاب طائرة klm المسافرة إلى جاكرتا.

فيترك ناس أكلهم وشربهم ويقومون.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وطائرة إلى أميركا، وأخرى على الكونغو، وثالثة إلى إيران، ورابعة إلى موسكو.

فنظرت في الناس وقلت لأخي، وكان معي. هذه هي حياتنا.

نعكف على طعامنا وشرابنا، ومشاغل عيشنا، وإذا بالنداء يدعو من «جاء دوره» ليذهب على حيث يحمل، إما إلى غابات أفريقية، وإما إلى ثلج سيبيريا، وأما إلى ملاهي باريز ومشاهد نيويورك.

فمن كان مستعداً للسفر حاجاته مقضية، وحقائبه معدة، وحمله خفيف، مضى مستريح البال، ومن «جاء دوره»، وهو لم يعد متاعه، ولم يقض حاجته ذهب بلا زاد، ومضى على غير استعداد.

أفلا نستعد للسفرة التي لا بد منها، ونتزود لها الزاد الذي لا ينفع غيره فيها؟

أم نحن نتناسى الموت وهو أمامنا نظنه أبعد شيء عنا، وهو أقرب الأشياء منا، نصلي على الأموات ونشيع الجنائز، ونحن نفكر في أمور الدنيا، كأنا مخلدون فيها، وكأن الموت كتب على الناس كلهم إلا علينا؟

● **يا إخوتي القراء:**

إننا نعيش الأيام كلها في غفلة، فلننتبه اليوم، ولنقف كما يقف المسافر على المحطة، ينظر كم قطع من الطريق وكم بقي عليه منه؟ ولنفتح دفاترنا كما يفتح دفاتره التاجر، لنرى ماذا ربحنا في سنتنا التي مضت وماذا خسرنا، ولنمد أيدينا، فنقول: يا ربنا، اغفر لنا ما سلف، ووفقنا فيما بقي.

اللهم إذا كتبت لنا، أن نعيش إلى مثل هذا اليوم من قابل، فاجعل ما يأتي خيرا لنا، وللمسلمين مما ذهب، . . . وإلا، فاكتب لنا بفضلك وكرمك حسن الخاتمة، واغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.

* * *

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عبرة من تاريخنا

العدد (١٨) جمادى الثانية (١٣٨٦هـ) - سبتمبر (١٩٦٦م)

كنت أتمنى ألا أحدثكم إلا أحاديث المكارم والمفاخر، ولا أقص عليكم إلا أخبار النصر والظفر ولكني رجل مؤرخ، وحياة الأمم كحيوات الأفراد، فيها الصفاء وفيها الكدر، وفيها الأعراس وفيها المآتم، ولا أكون أمينا على التاريخ، ولا صادقاً في الرواية، ولا ناصحاً للقارئين، إذا أريتكم صفاء الماضي دون كدره، وسردت عليكم مباهجه دون مآسيه، ولعل العبرة في الهزيمة أكبر من العبرة بالنصر.

وأنا أستجديكم اليوم الدمع، وأدعوكم إلى البكاء، لا بكاء أبي عبدالله الصغير الذي سأحدثكم حديثه فهذا بكاء الأنذال، إنما أريد بكاء الرجال، والرجل قد تجيش عاطفته، ويسيل قلبه دمعا من عينيه، ثم يمسح الدمعة وينسى العاطفة، ويحكم العقل، ويمضي إلى العمل فلئن ضاعت منا الأندلس (وسترون لم ضاعت) فقد أبقت لنا عبرة، ولقنتنا درسا.

حديث اليوم عن الفردوس الإسلامي الذي فقدناه، عن المأساة التي لم ير تاريخنا مثلها، اللهم إلا مأساة فلسطين، التي ستغدو لنا إن بقينا على غفلتنا وانقسامنا أندلسا جديدة، ولن يكون ذلك إن شاء الله مادام في السماء رب عادل، وعلى الأرض شعب مسلم.

الحديث عن أبي عبدالله الصغير، وعن سقوط الأندلس، وما هو (مع الأسف) إلا إشارات عابرة لتلكم الأحداث الجسام، وكلمات قليلة عن هاتيكم الفواجع الكثيرة التي ملأت صحف التاريخ أسى وحزنا.

نحن الآن في أواخر العهد بالأندلس، فلقد تقلص ذلك المجد المنبسط،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وانزوت تلك الراية التي كانت ترفرف على أسوار طليطلة وقصور قرطبة، وعلى سيف البحر من المرية إلى برشلونة، والتي جازت جبال البرانس (البيرنة) حتى بلغت قلب فرنسا، لقد مضى ذلك كله وانقضى، فلا أمية باقية تلوح أعلام قوادها وهي على عرش الخضراء في دمشق، أو على عرش الزهراء في قرطبة، ولا الموحدون تموج «الزلاقة» بفرسانهم الذين ينتزعون النصر من بين فكي الدهر، لقد ذهبت الدول الحاكمة القوية، فَنَادِ اليوم لا يُلَبِّكَ القائد عبدالرحمن الغافقي ولا الأمير عبدالرحمن الداخل، ولا الخليفة عبدالرحمن الناصر، ولا يُجِبْكَ الملك المظفر أسد الصحراء ابن تاشفين.

وقد ذهبت الإمارات القوية، فما في البلاد اليوم مثل الحاجب المنصور، ولا مثل ابن عباد، ما فيها إلا إمارة صغيرة حقيرة فيها عرش صغير حقير، نخر سوس الخلاف باطنه، وهدت فؤوس الإسبان جوانبه، ولا يزال أهله يتنازعون عليه، ويتقاتلون من حوله، عرش بني الأحمر في غرناطة.. أتعرفون من أين جاءت هذه الإمارة التي كتب الله أن يكون ضياع الأندلس على أيديها؟

كانت دولة الموحدين تحكم البلاد كلها، والموحدون صحراويون أشداء، لم تكن الحضارة بترفها قد أفسدتهم يوم أقبلوا، ولا المدن بنعيمها، فكانوا ينامون بمثل عين الذئب، ويكشرون عن مثل أنياب الأسد، كانوا أسود قفر، فانجحرت منهم الذئاب، وفرت من أمامهم، فلما ذاقوا متع الحضارة، واستراحوا إلى النعيم صاروا طواويس، فاستأسدت من ضعفهم الثعالب.

وخرج عليهم ابن هود، فاقتطع لنفسه ما استطاع من بلادهم، وخرج على ابن هود ابن الأحمر، فانتزع منه ما قدر عليه من بلاده، وكان الموحدون في الأصل خارجين على الإمامة العظمى فكانت مملكة بني الأحمر هذه، مملكة خوارج على خوارج على خوارج.

ولم ينج ابن الأحمر من أمراء كانوا أصغر منه، فخرجوا عليه، يشترون منه ملكه برأس ماله، وكان يحميهم الإسبان الذين كانوا يمدون أيديهم أبداً من وراء ستار، فيضرمون هذه النار، فلم يجد وسيلة لاستبقاء لذة الحكم، إلا أن يبيع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نفسه للشيطان، ويخضع للإسبان، ويجعل من نفسه ملكاً على المسلمين، وتابعا لأعدائهم وكذلك يصنع حب السلطان، وهذه مصيبتنا دائماً، الانقسام وشهوة الحكم.

ثم تتنبه في نفسه حمية المسلم، وتستيقظ عزة المؤمن، فيقطع حبل مودة الإسبانيين، وتقوم الحرب بينه وبينهم، ويعينه ملوك المغرب بجامع الأخوة الإسلامية التي لا تنفصم قط عراها، فينتصر عليهم.

ويتسلسل الملك في أولاده إلى العهد الذي أحدثكم حديثه، حين يقوم النزاع على هذا العرش الصغير الذي لا يستحق أن يتنازع عليه غريبان، فضلاً عن أن يتقاتل من أجله أخوان، أبوعبدالله الكبير المعروف بالزغل، وأبوالحسن والد أبي عبدالله الصغير، وغلب الأول على الملك، وإن كان الثاني أقوى وأحزم وأبرع وأحكم، واستهوته حلاوة هذا العسل، فأنسته السم الكامن في قرارته، وحمات النحل التي تحوم من حوله، وغرق في لذائذه، وكانت له زوجة شريفة عفيفة من بنات عمه اسمها عائشة، هي أم ولديه محمد وهو أبوعبدالله الصغير ويوسف، فتركها وعشق فتاة إسبانية بارعة الجمال فاتنة الحسن وارتكب جريمة مثلثة اللعنات:

١- حكمها في نفسه وقصره، وأطلعها على دخيلته وسره هي وقومها الإسبان اعداؤه وأعداء بلاده ودينه.

٢- وظلم من أجلها زوجته الشرعية وجافاها وأذلها.

٣- ثم عمل ما لا يعمد رجل شريف، فحبسها هي وولديها في البرج وبقيت الحمراء كلها لهذه الإسبانية تمرح فيها هي وأعوانها وتكيد للعرش وصاحبه، وتخدم قومها الإسبان وهي محمية بعرش الملك المسلم.

وكانت هذه السيدة عائشة امرأة قادرة داهية أريبة فلم ترض لنفسها هذا المصير، وأعدت العدة للفرار من البرج العالي وكاتبت أنصارها، وهيأتهم للثورة على زوجها، ثم شققت الستائر والملاحف واتخذت منها حبالا تعلقت بها وولداها وهبطت من البرج.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبينما كان أبوعبدالله الكبير يقاتل الإسبان، ينازل جيشا لهم جرارا جاء ليقضي على هذه البقية الباقية من دولة العرب في الأندلس، كانت عائشة وابنها أبو عبدالله الصغير يقاتلان الملك العربي، الأب يؤثر لذته على مروءته ويسيء لولده إرضاء لزوجته، والابن يحارب أباه، وكل ذلك والعدو على الأبواب.

هذا العدو الذي لم يكفه ما اقتطع من بلاد العرب، ولم يكفه ما أراق من دمائهم فهو لا يزال لما يرى من تخاذلهم وانقسامهم وغفلتهم يطمع في القضاء عليهم.

وانتزع أبوعبدالله الصغير هذا العرش المنحوس من أبيه، وغلبه عليه ولكن الإسبان جاءوا فأسروا أبا عبدالله الصغير، وحرموه بر الوالد، ولذة الحكم.

وراحت عائشة تعمل عملها، تستبيح كل شيء لتنقذ ولدها، لقد غلبتها عاطفتها فنسيت حقوق الأمة وواجبات الدين وأحكام الشرف، فعرضت على الإسبان معاهدة تخضع البلاد كلها لحكم ملك قشتالة، ويؤدي أهلها الجزية إليه بعد أن كانوا هم الذين يأخذونها منه، معاهدة الذل والخزي والعار، ومع ذلك فقد تدلل الإسبان وأعرضوا، وشمخوا بأنوفهم لأنه لم يعد يرضيهم (وقد رأوا العرب يفقدون سلائق آبائهم، وبطولات ما ضيهم) إلا أخذ كل شيء ولم يطلقوا أبا عبدالله الصغير من الأسر إلا بعد ثلاث سنين، ودفعت البلاد حريتها ثمن حريته، وبذلت كرامتها وحياتها ليتربع على عرشه، وعاد.. وعاد معه الانقسام، وانشطرت البلاد الإسلامية شطرين، شطر تبع هذا الملك الذي باع نفسه للشيطان كما فعل جده من قبل، فكان ملكا على المسلمين وعبدا للإسبان، وشطر بقي على الولاء لعمه أبي عبدالله الكبير.

ووقعت الحرب الأهلية، وأعان الإسبان صنيعتهم وتابعهم، فطرد عمه وانفرد على هذا العرش الملطخ بالأوضار.

ورحل أبوعبدالله الكبير إلى المغرب وكان بطلا مجرباً وقائدا حازماً أريباً، ورأى الإسبان أنه لم يبق في الميدان إلا هذا الشاب الضعيف، أبوعبدالله الصغير، فقرعوا طبول الحرب، وأعلنوا أن قد أزفت ساعة طرد العرب من إسبانيا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكانت عائشة قد أغضبت الله لترضي الإسبان، وألبست قومها الذل والعار، ليستمتع ابنها بهذه اللعبة الحلوة التي أسمتها «العرش» فلم تستبق العرش، ولا رضا الإسبان.

وكانت المعركة الأخيرة، وبدأ الهجوم الغادر على القرى المسلمة في الضواحي فكان منها أمثال «دير ياسين» وورد اللاجئون بالآلاف المؤلفة على غرناطة، وهاج الناس وماجوا يفتشون عن القائد، والمسلمون مهما قل عددهم، ونضب موردهم وساءت حالهم، وانقطع مددهم، لا يفقدون بطولتهم ماداموا يجدون القائد الذي يقودهم في المعركة الحمراء، فلما ظهر هذا القائد وكان البطل الفارس المغوار موسى بن أبي الغزان، ورفع لهم لواء الجهاد، وسل سيف القتال، عصفت في رؤوسهم نخوة العروبة، وغلت في دمائهم عزة الإيمان وأقدموا يدافعون، ولولا ضعف أبي عبدالله الصغير، ولولا هذه الحاشية، حاشية السوء، ولولا الانقسام وتدخل النساء في شؤون الملك، لبدأت هذه الفئة المجاهدة عهداً جديداً في تاريخ الأندلس قد يمتد قرونا أخر، وما كان طارقا يوم هبط هذه الجزيرة، أقوى عدة ولا كان أكثر عدداً، ولكن كان جنده أشد اتفاقاً وطاعة، وأكثر إيماناً.

لقد أبدى موسى وهؤلاء الأبطال المجاهدون من ضروب البطولة، وألوان التضحيات، ما لم يعرف التاريخ أعظم منه روعة، وأكثر جلالا، لكن كانت لله إرادة في العرب والإسبان، فلم يكن لهذه التضحيات وهذه البطولات ثمرة تقطف من رياض النصر، لقد قر رأي هذا الملك الضعيف العاجز وحاشيته على التسليم وكانت الهدنة.

وعقدوا معاهدة جديدة مع الإسبان ونسوا أنهم كلما عاهدوا عهداً نقضوه.

معاهدة ظنوا أنهم سيحفظون بها للعرب أملاكهم وحريتهم في دينهم ودنياهم، فلم يكن منها إلا ما حدثكم التاريخ، وقص عليكم الرواة.

وتلفتوا يفتشون عن نصير فلم يجدوا نصيراً، واستجاروا بإخوانهم المسلمين فلم يلقوا مجيراً، وكان آل عثمان في أوج سلطانهم، يحكمون ما بين خراسان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأسوار فينا، ولكن لم يلتفت إليهم السلطان سليمان عاهل آل عثمان، رغم الصرخة القوية التي أطلقها الشاعر الأندلسي، فدوت في أرجاء الأرض ولا تزال تدوي في أجواء الزمان.

وخرج الملك المسلم، سليل الأبطال، ليضع بين يدي عدوه أمانة القرون التي انتهت إليه، ليلقي على قدميه بكرامة المسلمين وأمجادهم، ليفتح له عاصمة ملكه، ويبيحه أبهاء الحمراء ومقاصرها.

فلما تلاقيا هم بأن ينزل عن فرسه، مترجلا أمام فرديناند، فمنعه من الترجل وتقبل خضوعه واستخذاءه، ثم حوله إلى زوجته إيزابيلا فقدم إليها طاعته وولاءه، وسلمها مفاتيح غرناطة.

وختم هذا السفر الضخم الذي ملأناه مجداً وفضيلة وعلما، فكانت خاتمته الخزي والعار، وهكذا تقوض هذا الصرح الذي أقمناه على جماجم أبطالنا، ونضحنا عليه دماء شهدائنا، ثم هدمناه بمعاول التفرق والانقسام، وشهوة الحكم وانتهاب اللذات، وهكذا انتهت في لحظة، حياة ثمانمائة سنة عاشها العرب في الأندلس جعلوها فيها شعلة نور، وروضة زهر وثمر، على حين كانت أوروبا صحراء موحشة، تائهة تحت سجف الظلام.

وبكى أبوعبدالله بكاء الجبان الذليل فصرخت أمه عائشة: ابك مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال.

ومشى أبوعبدالله حتى إذا بلغ تل غرناطة، وقف وتلفت ينظر من بعيد إلى شرفات القصر الذي كان منزل آبائه وملعب صباه وعرش ملكه فصار لعدوه، فهو لن يدخل أبهاءه مرة ثانية ولن يمرح في جناته، ولن تكتحل عينه برؤية الماء يفور من نوافيره ولن يصافح أنفه ريا عبيره.

وأدار رأسه، ومشى إلى الأمام يستقبل الآتي المجهول، وغابت عن عينيه أبراج الحمراء إلى الأبد.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زورق الأحلام

العدد (٢٢) شوال (١٣٨٦هـ) - يناير (١٩٦٧م).

"الإنسان مخير لا مسير، ولكنه لا يستطيع أن يسير إلا في الطريق الذي رسمه القدر".

زرت صديقاً لي، من رفاق الصغر، فرأيت ولده منكباً على أوراق له، يفكر ويكتب، ثم يمزق ما كتب، ثم يعود على التفكر. فقلت لأبيه: ما له؟

قال: إنه مستغرق في «الإنشاء».

قلت: فيم يكتب؟

قال: في الموضوع الأزلي الذي لا يمل منه مدرسو الإنشاء، ولا يسأمون من ترديده.

قلت: ما هو؟

فضحك وقال: السؤال الذي يلقى في كل بلد، وفي كل وقت، لا يتبدل بتبدل الأمكنة ولا الأزمان. وهو: «ماذا تريد أن تكون في المستقبل؟».. وسكت لحظة. كأنه يتذكر. ثم قال لي:

- تذكر كم مرة سئلنا هذا السؤال في المدرسة؟

قلت أذكر، لقد كتبت فيه مرات لست أحصيها. عشرين مرة؟ ثلاثين، أكثر من ذلك! وكنت في كل مرة أنطلق مع أحلامي أتخيل دروب الحياة وقد فرشت لي بالسجاد الذي تغوص فيه من لينه الأقدام. ثم رشت عليها العطور، ونثرت فوقها الأوراد والزهور.

لقد طالما تخيلت نفسي هائماً في رياض هذا المستقبل، أنشق ريا عطره،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأجتلي جمال زهره، وأرتع في خيره المرجى وبره.

تصورت نفسي طبيباً له العيادة الكبيرة، والزبائن الكثر، وعشت في هذا الحلم حتى تخيلت نفسي أرى «اللوحة» على بابي، وأمد يدي لألمس «السماعة» في عنقي.

وتصورت نفسي ضابطاً كبيراً، قد هبطت النجوم من سمائها حتى استقرت على كتفيه، ونزل البرق حتى صار يخرج من قرع مهمازيه.

وتصورت نفسي صاحب المزارع الواسعة الشاسعة. والحقول الممرعة المزهرة، أفيق فيها مع العصافير لأتطلع إليها، أكحل العين في الإصباح بمرآها.

وتصورت وتصورت، فأين مني الآن تلك التصورات؟

لقد أردت لنفسي، وأراد الله لي، فكان ما أراد الله لي، لا ما أردت لنفسي.

كنت من شهور أقلب أوراقاً لي قديمة، أفتش يها عن وثيقة أطلبها، فوجدت «إيصالا» هذا نص ما فيه:

المملكة المصرية
دار العلوم العليا
نادي التمثيل والموسيقى **نمرة متسلسلة (٧٠)**

وصل من حضرة العضو محمد علي الطنطاوي الطالب في دار العلوم العليا مبلغ ١٠ فقط (عشرة قروش صاغ) قيمة اشتراكه عن شهر اكتوبر سنة ١٩٢٩ .
تحريراً في
اكتوبر ١٩٢٩

الخاتم الرسمي
أمين الصندوق
الإمضاء
(محمد علي الضبع)

علي الطنطاوي عضو نادي التمثيل والموسيقى؟!

وتصورت ماذا تكون خاتمة القصة التي بدأت بهذا الإيصال لو قدر لها أن تكتمل فصولاً.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلى أين كان يصل بي ذلك الطريق الذي وضعت قدمي عليه، يوم صرت عضواً في هذا النادي لو أني تابعت السير فيه حتى بلغت آخره؟

كنت أبدأ ممثلاً في الكلية، ثم أعتلي خشبة المسرح، ثم أدخل فرقة من الفرق ثم يسجل اسمي في القائمة التي تبدأ باسم «يوسف وهبي» وتنتهي باسم «إسماعيل ياسين».

فيكون «علي الطنطاوي» اليوم ممثلاً عجوزاً[1] متقاعداً، يتسكع على أبواب الحانات، ويعاشر القينات، ويسهر الليالي، وينام الأيام[2]، ويعود بلا صحة ولا مال، وربما عاد بلا دنيا ولا دين.

ولم يكن يحول بيني وبين هذه الغاية شيء. فالاستعداد لذلك في نفسي كبير والرغبة فيه شديدة، وكان يزين لي فأراه يومئذ حسناً، ولكن الله صرفني عنه.

وما كان ذلك بعمل مني. ولكن بصنع الله لي.

وفي أوراقي التي وجدت فيها هذا «الإيصال» شهادة مكتوبة بالخط الديواني ولها إطار مذهب الحواشي، وفي رأسها اسم وزارة الأوقاف، فيها قرار تعييني إماماً في جامع رستم في حي العقيبة في دمشق.

إي والله، وتاريخها سنة ١٩٢٤. أي من ثنتين وأربعين سنة شمسية.

إني لأنظر إلى هذه الشهادة، وأرجع البصر إلى ذلك «الإيصال» الذي اصفر لونه، وبلي ورقه، وتمزقت طياته، فأرى عجباً. دونه والله ما يشطح إليه خيال القصاص.

من إمام جامع، إلى ممثل في «التياترو»

ولكن كيف دخلت نادي التمثيل والموسيقى؟

إني لأتأمل هذا «الإيصال»، فأعود إلى أيامي الماضيات إلى سنة ١٣٤٧هـ، وقد نلت شهادة البكالوريا كما كنا نسميها يومئذ، أو التوجيهية كما تسمى اليوم وكان الفرنسيون قد أنشأوها تلك السنة فحملتها وسافرت إلى مصر، فدخلت دار

---

(١) كلمة عجوز في الأصل للمرأة ولكنها عمت في الاستعمال.

(٢) اليوم في الأصل النهار.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلوم العليا، وانتسبت إلى الجامعة المصرية وكنت أول سوري يؤم مصر للدراسة العالية في غير الأزهر، وكنت أحرر في مجلتي خالي وأستاذي محب الدين الخطيب: المجلة الأدبية الأولى في العالم العربي- وهي (الزهراء) والمجلة الدينية الأولى في العالم الإسلامي. وهي (الفتح).

وأعلنت عمادة الكلية (أو مديرية المدرسة كما كانت تسمى) عن تأليف ناد للتمثيل والموسيقى، ودعوا من يريد الاشتراك فيه إلى طلب الانتساب، فكنت فيمن أراد.

وجاءونا برجل (ممثل) يعلمنا التمثيل قصير متحذلق لا أدري ما صنع الله به، بعد هذه السنين، التي قاربت الأربعين ولا أزال أذكر اسمه، حفظته لغرابته، وإن كان مكان الأسماء من ذاكرتي قد كثرت فيه الخروق التي لا ترقع.

واختبرنا بجمل نلقيها إلقاء مسرحياً على أن نعبر عن معانيها بخلجات وجوهنا، ولهجات حروفنا وإشارات أيدينا - فلما جاءت النوبة إلي - وألقيت تلك الجمل دهش هو ومن كان معنا من الطلاب ورأوا شيئاً ما كانوا يتوقعونه وشهدوا بأن هذا الشامي. . «ممثل جامد» أي ماهر، ونعوذ بالله من الجمود. .

ما كانوا يتوقعونه مني، أما أنا فكنت أتوقعه من نفسي، لأني كنت قد ألفت من تلاميذي في المدرسة الابتدائية التي كنت أعلم في دمشق فرقة للتمثيل، وكنت أكتب لهم القصة، وأعلمهم تمثيلها، وكنت بارعاً في التمثيل.

وما أريد أن أفيض في سرد القصة، فلذلك كتاب عنوانه «ذكريات نصف قرن» كتبت منه كثيراً. وبقي علي منه كثير.

ولكن أريد بيان العبرة من هذه القصة.

لقد اشتغلت بالتمثيل، واحترفت الصحافة، وغصت في السياسة، ولكن اللّٰه كان يوجه طريق سيري، فلم يختر لي من ذلك كله شيئاً.

لا، لا أقول «إن الإنسان مسير»، فإنها أضل مقالة قالها الإنسان والإنسان مخير، أعطاه الله اليدين، فهو يستطيع أن يحركهما ليتصدق على السائل، وأن يحركهما ليضرب البريء، ومنحه الرجلين فهو يقدر أن يمشي بهما إلى المسجد

ليصلي وإلى الماخور ليفسق.

«جول سيمون» يرد على من يدعي أنه مسير. فيقول له: سأرفع يدي بعد ثلاث دقائق. فهل تراهنني على أنني لا أستطيع أن أرفع يدي؟.

ولكن ليس معنى هذا أن الإنسان يستطيع أن يتحكم في الكون، ولا أن يقرر لنفسه المصير.

الصخرة لا تتحرك، والسيارة تتحرك، فنحن لا ننكر حركة السيارة، ولا «حرية» سائقها في التوجه بها، ولكن ليس معنى هذا أن يخترق بها الجبل، ولا أن يمشي بها على وجه الماء، إن السيارة تمشي «بحرية» سائقها واختياره ولكنها لا تمشي إلا على الطريق.

وكذلك الإنسان، إن له حرية واختياراً، ولكنه لا يستطيع أن يسلك إلا الطريق التي تشقها له الأقدار.

إنه كراكب الزورق في البحر، يوجهه حيث شاء، ولكن قد تضربه موجة عاتية فتحول وجهته من اليمين إلى الشمال، وكذلك تصنع الأيام، بزوارق الأحلام، كنت في مصر، وقد رسمت طريقي، وحددت وجهتي: أن أكمل الدراسة في دار العلوم، وأعمل في الصحافة، وإذا بموجة تلطم صدر زورقي، فتعيدني إلى دمشق، فأدخل فيها كلية الحقوق وأغامر في السياسة، وأقود الطلاب جميعاً في ساح النضال، وأحترف الصحافة، فأكتب في «فتى العرب» عند مؤلف «سيد قريش» وفي «ألف باء» عند باقعة الصحافة في الشام. ثم أتولى التحرير الداخلي في الجريدة الوطنية الكبرى، التي أصدرتها الكتلة الوطنية رافعة لواء النضال للاستقلال.

وكان آخر ما أفكر أن أكون موظفاً.

أنا أكون موظفاً في ظل الانتداب؟ وإذا فرض ما لا يكون وقبلت التوظيف[1] فلن أكون معلما، أنا أصير معلم صبيان.

ولكن هذا الذي كان:

(١) الوظيفة في الأصل بمعنى الراتب.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقد كانت في سنة ١٩٣١ نكسة وطنية، بعد انتخابات «٢٠ كانون» أي ديسمبر، التي قاطعناها، وسيطر الفرنسيون. وعطلوا الجريدة التي كنت أعمل فيها. فقبلت أن أكون معلماً، لئلا أدع إخوتي بلا طعام.

وضربت موجة أخرى زورقي، حين آذاني الحاكمون فنقلوني في أقل من ثلاث سنوات، بين خمس من القرى، وآذيتهم بقلمي ولساني، فتركت الشام وسافرت إلى العراق.

وكان لي في العراق إخوان، وكان لي تلاميذ، منهم من صار رئيس جمهورية (رحمه الله وأبقى في الرئاسة أخاه) ومنهم من لست أحصي ممن صاروا وزراء، وصار منهم كبار القضاة، والقادة والضباط، ما كان أحلى أيامي في العراق، وسلام مني لا ينقضي على إخواني وتلاميذي في العراق.

وصرفتني موجة إلى لبنان، فعملت في بيروت سنة ١٩٣٧م وصار من تلاميذي فيها أساتذة في الجامعة، وناس من كبار الناشرين وأصحاب المجلات، وصار منهم رئيس القضاء الشرعي، ومنهم الشاب العالم الصالح الذي سرني وفرح قلبي، أن سمعت من أيام نبأ انتخابه بالإجماع مفتياً للبنان.

وموجة أخرى، حولتني إلى القضاء، وما كنت أظن يوماً أن سألي القضاء، ثم عدت بعد أكثر من ربع قرن في القضاء، أمضيت نصفها في «محكمة النقض»، عدت بعد التقاعد، مدرساً في مكة المكرمة بجوار حرم الله.

جرني إلى هذا الكلام كله، موضوع الإنشاء.

فليفكر إخواننا المعلمون، حين يلقون هذا السؤال، فيما كانوا يجيبون عليه وهم طلاب.

هل كانوا يريدون أن يكونوا معلمين، أم كانت لهم غايات، طالما تطلعوا إليها، وحاولوا بلوغها؟

وأحلام كبار طالما كانوا يناجونها في خلواتهم، ويسامرونها في لياليهم ويحلمون بها في يقظاتهم.

وجهوا إليها زوارق حياتهم، وكل همهم أن يصلوا إليها، فجاءت موجة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فضربت الزورق فحولت طريقه؟

أما أنا فقد رث زورقي وبلي من طول ما توجه يميناً وتوجه شمالاً، فمر بي على كل بلد فرأيته، وأطال بي الرحلة واللذاذات، والمتاعب والآلام، عرفت لذة المال، ومتعة الشهرة وحلاوة المنصب، وإعجاب الجماهير، ولو عدت تلميذاً الآن وسئلت هذا السؤال، لقلت: إنه لم يبق لي من الآمال إلا أمل واحد، هو أن يرزقني الله حسن الخاتمة. وأن يخلفني في أهلي وبناتي، وأن يريني قبل موتي بياض النصر للإسلام وأهله، بعد هذا الليل الذي امتد سواده وعم، اللهم آمين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● رأي للمناقشة

ما هي السماء؟

العدد (٢٥) محرم (١٣٨٧هـ) إبريل (١٩٦٧م)

«الوعي الإسلامي» يكتب فيها بحمد الله فريق من جلة العلماء، ويقرأها جمهرة من خيرة القراء، لذلك رأيت أن أعرض فيها رأيا في السماء، لتقيم من أوده تعليقات العلماء. ولقد ذكرته في بعض ما كتبت استطرادا أو تلميحا، وأذكره اليوم تفصيلا وتصريحا بعد أن كثر الكلام عن وصول الإنسان إلى القمر، وكثر السؤال عن القمر، وكيف يمكن الوصول إليه وهو في السماء؟

● وموضوع المقال «ما هي السماء؟»

عندنا نصوص ثابتة في الدين، وعندنا أقوال مقررة في العلم.

أما الثابت في الدين فهو أن السماء ليست حدودا وهمية، ولا مدارات كواكب، كما ذهب إلى ذلك بعض العصريين من المفسرين، ولكن السماء «جرم» حقيقي، لأن الله سماها بناء، وقال﴿بَنَىٰهَا﴾، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ (النبأ: ١٢)، ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾﴾ (الشمس: ٥) ووصفها بأنها سقف لهذا العالم، فقال﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ (الأنبياء: ٣٢)، وقال ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ (الطور: ٥)، وجعل لها أبوابا تفتح وتغلق، فقال﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ (القمر: ١١)، ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤٠)، ونفى أن يكون فيها منافذ غير هذه الأبواب، فقال ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ (ق: ٦)، وأن السماء تفتح يوم القيامة ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ (النبأ: ١٩)، وأنها ﴿تَشَقَّقُ﴾ (الفرقان: ٢٥) ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ (الرحمن: ٣٧)، وتنفطر وتكشط، ولها بروج ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾ (البروج: ١)، ﴿جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بُرُوجًا﴾ (الفرقان: ٦١).

وأما المقرر في العلم فهو أن الشمس والقمر، يسبحان في الفضاء وهذا شيء صرح به القرآن فقال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠)، وأن الشمس على بعدها عنا، وكبرها بالنسبة إلى أرضنا يصل نورها إلينا في نحو ثمان دقائق، لأن النور يقطع في مسيره ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية، أي أنها تبعد عنا بالزمن الضوئي ٨ دقائق.

وأن من هذه الكواكب التي تظهر لنا نقطة في الفضاء، في الليلة السوداء، وقد لا تظهر لنا أبدا، منها ما يبعد عنا ألف ألف (أي مليونا) من السنين بالزمن الضوئي، ومنها ما يبعد عنا ألف مليون سنة وأكثر.

فاحسبوا كم (ثمان دقائق) في هذه المدة التي تبلغ (ألف مليون سنة) لتتصوروا كم هي أبعد من الشمس!

أما كبرها، فنحن نعلم أن القمر أصغر من أرضنا، والأرض لا تعد شيئا إلى جنب الشمس، والشمس وما يتبعها من سيارات، لو ألقيت هي وسياراتها في كوكب من هذه الكواكب، لكانت بالنسبة إليه كحبة رمل ألقيت في وادي نجد، أو كقطرة ماء قطرت في البحر المحيط.

وهذه الكواكب، على ضخامتها، كثيرة لا تحصى، يزيد عددها على ملايين الملايين، وتسير بسرعة مهولة، ومع ذلك لا تصطدم إلا إذا اصطدمت ست نحلات تطير وحدها حول الأرض، لأن هذا الفضاء واسع واسع كسعة جو الأرض بالنسبة إلى النحلات.

هذا ما يقوله علماء الفلك.

فأين مكان السماء من هذا الفضاء؟

إن الله ﷻ بعد أن وصف السماء بأنها بناء، وأنها سقف مرفوع، أكمل الصورة فجعل لهذا السقف مصابيح، فقال: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ (فصلت: ١٢)، وصرح بأن هذه المصابيح هي الكواكب، فقال ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ (الصافات: ٦)، فدل ذلك على أن الكواكب تحت السماء الدنيا، لأن المصابيح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا تكون إلا تحت السقف.

أما آية ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ (نوح:١٦) أي في السماوات، فلا يدل على غير ما قلت، لأن القمر إذا كان في السماء الدنيا، فهو في السموات كما لو كانت جوهرة في علبة، وهذه العلبة في علبة أخرى، والثانية في ثالثة، فقلت إن في هذه العلب جوهرة، والآيتان الأوليان أصرح، ولا يترك الدليل القطعي لدليل محتمل[1].

والذي تبين لي من هذا كله، من نصوص الدين، ومن مقررات علماء الفلك.

أن الشمس وتوابعها (وهن الأرض وأخواتها) وهذه الكواكب التي لا يحصى عددها تسبح في فضاء عظيم، وهذا الفضاء تحيط به كله «كرة» هائلة.

وهذه الكرة هي «السماء الدنيا» وهذا العالم بأرضه وشمسه وكواكبه في وسطها.

ولهذه الكرة سمك الله أعلم بمقداره، قال تعالى ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ وهي في فضاء لعله مثل هذا الفضاء، أو أصغر أو أكبر، وحوله كرة أخرى - لها سمك - هي السماء الثانية، ثم فضاء ثم كرة، وهكذا إلى السماء السابعة.

وبغير هذه الصورة لا تكون السموات طباقا.

وخارج الكرة الكبرى التي هي السماء السابعة، أجرام أكبر، أجرام لا يستطيع العقل مهما جهد وكد، أن يتصور مدى كبرها، هي «الكرسي والعرش» و«سدرة المنتهى».

هذه كلها عظمة المخلوق، فما بالك بعظمة الخالق!

وإذا نحن وصلنا إلى القمر والمريخ بل والشمس فأين القمر والمشتري والشمس من السماء؟

إذا كان بعد الشمس عنا، كبعد إبهامك عن خنصرك، تكون السماء أبعد عنك

---

(١) كل عقلاء الناس على دين واحد.

- قد يصح للإنسان أن يغير رأيه ولكن لا يصح له أن يغير مبدأه.

- انما يعتذر عما لا يمكن تغييره.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من أميركا، بملايين الملايين من المرات.

وإذا كان علماء الفلك يقولون بأن من الكواكب ما يسير ضوؤه في الفضاء من أول الزمان ولم يصل إلينا إلى الآن، فمعنى ذلك، أننا لو اخترعنا مركبة فضائية، تسير بسرعة الضوء، أي أنها تقطع ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية الواحدة، وأننا لو ركبنا فيها يوم ولد نوح، وسرنا من ذلك الوقت إلى اليوم لا نكون قد قطعنا من طريق السماء (الدنيا . .) إلا كما تقطع النملة التي تمشي دقيقة واحدة، من طريق «الكويت - أميركا»!

وأنا حين أنتهي إلى هذه الصورة، وأرى أن عالمنا كله، بكواكبه وفضائه محبوس في وسط الكرة الصغرى التي هي «السماء الدنيا»، أجد ذهني ينتقل إلى الجنين «المحبوس» في بطن أمه.

هذا الجنين، لو استطعت أن تسأله، واستطاع أن يجيبك، وقلت له، ما هي الدنيا؟

لقال لك: الدنيا هي هذا البطن، وهذه الأغشية.

فلو خَبَّرته، أن هاهنا «دنيا» أكبر، عالما فيه بر وبحر، وسهل وجبل، ومدن كبار، وأن دارا واحدا من دور هذه المدن، أكبر من دنياه هو بملايين المرات، لم يستطع أن يفهم ما تقول أو أن يتصوره، وكذلك نحن حين نسمع أن الجنة عرضها السموات والأرض، وأن قصراً واحداً من قصورها، أكبر من هذه الأرض كلها.

إن نسبة ملك الله، إلى هذا الفضاء الذي فيه الكواكب والنجوم، كنسبة هذا الفضاء إلى بطن الأم.

وهذا العالم البالغ الضخامة، موجود مثله على صورة بالغة الصغر، موجود في «الذرة»، الذرة التي لا تراها عين الإنسان ولا بالمجهر «الإلكتروني» فيها فضاء كهذا الفضاء، وكواكب مثل هذه الكواكب، تسبح فيه، ويدور بعضها على بعض، بنظام مقرر وقدر معلوم. فسبحان الله، لا إله إلا هو.

وما أحمق من لا يؤمن بالله!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أربع قواعد للإيمان

العدد (٣٥) ذو القعدة (١٣٨٧هـ) - يناير (١٩٦٨م).

● مقدمة

إذا كنت في مكة، وسألك سائل: هل في الطائف الآن مطر؟ تقول: لا أدري، لا تستطيع أن تجيب بـ «نعم»، لأنه ليس عندك دليل الوجود، ولا تقدر أن تجيب بـ «لا» لأنك لا تملك دليل العدم.

وهذا ما يسمى «الشك»: خمسون في المئة «إيجاب» وخمسون «نفي» فإن أبصرت في جهة الشرق غيوماً، تلوح على حواشي الأفق من بعيد، رجح عندك رجحاناً خفيفاً، أن في الطائف مطراً.

وهذا هو «الظن»: ستون في المئة «نعم»، وأربعون «لا».

فإن ازداد الغمام وتراكم، واسود وتراكب، وخرج البرق من خلاله، ازداد ظنك بنزول المطر.

وهذا ما يقال له «غلبة الظن»: سبعون أو خمس وسبعون في المئة نعم، فإن كنت ماشياً في طريق الطائف، وبلغتها، فرأيت المطر بعينك، وأحسست به على وجهك، «أيقنت» أنه نازل، و«علمت» بنزوله علم اليقين.

العلم «اليقين»: فالعلم[1] منشؤه الأول الحس: ما أدركه بحواسي أوقن بأنه موجود[2].

---

(١) عندنا العلم بالمعنى المطلق، وهو الذي يقابل الجهل، والعلم الذي يقابل الفن والفلسفة، والعلم الذي يقابل الشك والظن، وهو الذي يراد في هذا البحث.

(٢) وهذا هو العلم الضروري. ومنشؤه الثاني الخبر المتواتر، ثم العلم النظري ومنشؤه الدليل العقلي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكني أمشي في الصحراء، ساعة الظهيرة، فأرى بركة ماء، تبدو ظاهرة للعين، فإذا جئتها لم أجد إلا التراب، لأن ما رأيته «سراب».

وأضع القلم المستقيم، في كأس الماء، فأراه منكسراً، وهو لم ينكسر. فهل أشك فيما أدركه بالحواس؟ إذا شككت في المحسات لم يصح في الذهن شيء، واستوى العاقل والمجنون الذي ينكر ما هو كائن، ويتوهم ما لا يكون، لا، ولذلك أزيد شرطا آخر لحصول العلم بالحس، وهو ألا يحكم العقل بالتجربة السابقة، إن هذا وهم أو خداع حواس.

الحواس: ما الحواس، وما مداها؟

النفس سجينة في هذا الجسد، ولكن لها نوافذ تطل منها على العالم، وهذه النوافذ هي «الحواس» فهل ترى منها كل ما في العالم؟

«الحواس» أولاً ليست كاملة، لأن الكامل لا يقبل الزيادة، ولقد «كنا» نعرف، أن الحواس خمس، ثم أدركنا بالملاحظة والنظر في أنفسنا أنها في الواقع تزيد على خمس، فنحن نحس (مثلاً) التعب عقب المشي الطويل، أو الجهد المبذول، ونحس الجوع والعطش والغثيان - فكيف أحسسنا به، وما رأيناه ولا سمعناه، ولا لمسناه ولا شممناه؟

أحسسنا بحاسة سادسة يصح أن نسميها «الحاسة المشتركة»[1].

وتغمض عيوننا، فنحس بأن أيدينا مبسوطة أو مقبوضة، وأنها ممدودة أو

---

(١) لهذه القواعد قصة، أرويها كما وقعت، وهي أني كنت سنة ١٩٣٧ (أو ١٩٣٨- نسيت) مدرساً للأدب العربي في بغداد (بعد الزيات وقبل زكي مبارك) فكان الطلاب في الفصل على غاية من الهدوء والإصغاء، فكُلِّفْتُ مع الأدب بدرس الدين، وإذا بالفصل يضطرب، والفوضى تعم، فأدركت أن للدين في نفوسهم صورة مشوهة، فشرعت بمقدمة ألقيها بلا إعداد لها، ولا عزم سابق على إلقائها، فألهمني الله هذا البحث إلهاما، وما رأيته في كتاب، ولا قرأته لأحد، ونشرته ملخصاً في «الرسالة» من تلك الأيام (من ثلاثين سنة). ولما كانت الوحدة بين مصر والشام وكلفت إعداد مناهج المدارس الشرعية، أعددتها وحدي، وأدخلت هذا البحث في درس العقائد وأحلت على ما كتبت فيه فصار تدريسه مقرراً في مدارس سوريا الشرعية ودخل في كتبها الرسمية وإن كان من مؤلفيها من انتحله وأوهم أنه من نتاج فكره.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مرفوعة، وهذه حاسة سابعة «هي الحاسة العضلية».

وحاسة الحرارة والبرودة، وحاسة التوازن - حتى أن العلماء قد كشفوا «المركز» الذي فيه حاسة التوازن، وهو «سائل» أوجده الله في الأذن الداخلية، جربوا أن يستخرجوه من حيوانات المختبر (الأرانب والفيران)، فصارت تمشي بعد فقده مترنحة مثل مشية السكارى.

فلو كانت الحواس الخمس كاملة لما قبلت الزيادة عليها.

ثم إن البصر ندرك به «عالم الألوان»، والسمع ندرك به «عالم الأصوات»، أفليس من الممكن أن يكون بينهما عالم، لا أدركه، لأني لا أملك حاسة أدركه بها؟ ولم تعط النفس نافذة تطل منها عليه؟ عالم موجود ولكني لا أحس وجوده فهو مني كعالم الألون للأكمه! (الأكمه الذي ولد أعمى) قد يعرف بالسماع أن السهل أخضر، والبحر أزرق، والورد أحمر، ولكنه لا يعرف ما الخضرة وما الزرقة، وما الحمرة، لأن النافذة التي تطل منها نفسه على عالم الألوان مغلقة.

والأصم الذي لم يسمع أبدا، قد يعلم أن في الدنيا أنغاما، لها أسماء، وقد يحفظ أسماءها، ولكنه لا يعرف ما البياتي وما الرصد وما الصبا، بل إن لدينا دليلًا أظهر، هو الغرفة الساكنة التي نكون فيها، فلا نسمع فيها همسة، ولا نأمة ولا نحس فيها إلا السكون الكامل، في جوها جميع الأصوات (الخطب والمحاضرات والأغاني) التي تذيعها إذاعات الأرض، كلها موجودة، ولكنا لا نحسها، لأنا لا نملك حاسة ندركها بها، فإذا جئت بالراد «الراديو الذي يردها عليك» سمعتها واضحة.

ولا تعجبوا - فالجماد يدرك أحياناً ما لا يدركه الإنسان: ميزان الحرارة (الترمومتر)، يدرك زيادة الحرارة درجة واحدة، وأنت لا تدركها، وميزان الضغط (البارومتر)، والرادار، والبوصلة، كلها تحس ما لا تحسه، وتدرك من أوضاع الكون ما لا تدركه.

والعوالم التي سلطنا عليها، وأعطينا الحواس لإدراكها، هل ندركها كلها؟ إن البصر، يدرك عالم الألوان، ولكن هل يطلع على كل ما فيه، أهل يرى بعينه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النملة وهي تمشي على بعد ألف ذراع؟

إن لهذه النملة صوتاً. فهل يسمع بأذنه صوتها؟ إن في كأس الماء الذي يبدو للعين عذباً صافياً، آلاف الآلاف من الحيوانات الصغيرة. فهل يراها؟ لا، وهل يحق له أن ينكر وجودها لأنه لا يراها؟

هل يحق له أن يجحد الموجات الصوتية، لأنه لم يسمعها؟

- **فالقاعدة الأولى:**

هي أنه: **لا يحق لنا أن ننكر وجود أشياء لمجرد أننا لا ندركها بحواسنا.**

وهذا ما عبر عنه علماؤنا بقولهم: لا يشترط من عدم الوجدان عدم الوجود[1].

وهذه القاعدة، نرد بها اعتراض الماديين، على الإيمان بالمغيبات، يقول أحدهم: أنا لا أصدق بوجود الملائكة ولا الجن، لأني لا أراهم ولا أحس بهم، فنقول له:

كيف صدقت بوجود الموجات الصوتية في جو الغرفة، ولم تكن (قبل الراد) تسمعها، ولا تدرك وجودها، ونفيت إمكان وجود الملائكة، لمجرد أنك لا تراهم ولا تحس بهم؟

- **القاعدة الثانية:**

إن الله أعطانا قوة نصل بها إلى حيث لا تصل الحواس. وهي قوة «الخيال».

إن غابت عني داري في دمشق وأنا في مكة، تخيلتها فإذا هي أمامي، أرى بيوتها ومرافقها، وإن نأى عني صديقي تخيلته فرأيته..

أفلا يتمم الخيال نقص الحواس، وما مدى الخيال البشرى؟

الخيال بنوعيه، هذا «الخيال المرجع» الذي أشرت إليه، و«الخيال المبدع» خيال الشعراء والأدباء وإخوانهم من أهل الفنون، كله مقيد بالحس.

إن أقصى ما يعمله رجل الفن، مهما كان عبقرياً، أن يؤلف صورة جديدة من الأجزاء القديمة... فالذي نحت تمثال «فينوس» لم يأت به من العدم، ولا مما وراء المادة، بل نظر إلى أجمل عين، وأجمل وجه، وأجمل جسم، فألف بينها،

---

(١) فعل «وجد» يتبدل معناه بتبدل مصدره، فالوجود وجود الشيء بذاته، والوجدان شعورك بوجوده، والوجد العشق والموجدة الغضب، وكلها يقال فيه «وجد» «يجد».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فجعل منها تمثال امرأة، لم يجدها كاملة، ولكن وجد أوصالها فجمعها.

والقزويني في «عجائب المخلوقات»[1]، تصور أو زعم بأنه رأى حيواناً جسمه كفسطاط الأمير، وفمه كباب الدار، وأسنانه كأسنة الرماح.

وهو يطير في الجو، ويخطف برجليه الفيل، وهذه الصورة على غرابتها، لم يزد فيها على أن أخذ جسد الفيل، وفم الحوت، وأسنان النمر، وجناحي النسر. فكبرها وركبها.

والمذهب الخيالي في القصة.. انظروا أغرب ما جاء به أهله من قصص «ولز» إلى قصص الحياة على القمر، وفي المريخ.. وما جاء به المعري في رسالة الغفران، و«دانت الإيطالي» وابن شهيد الأندلسي تروه كله منتزعاً من الحياة الأرضية، حتى الذين كتبوا عن المريخ، بل الذين تصوروا الحياة الآخرة لم يستطيعوا أن يخرجوا عن حياة الأرض التي عرفوها.

فالقاعدة الثالثة هي أن الخيال لا يقدر أن يجاوز هذه الحياة المادية.

فنحن لا نستطيع أن نتخيل نغمة عطرة، ولا رائحة حمراء، ولا نتصور إلا الأبعاد الثابتة «الطول والعرض والارتفاع» لا نستطيع أن نتصور بعداً رابعاً[2]، ولا دائرة ليس لها محيط، ولا مثلثاً ليس له زوايا.

فكيف «إذن» نتخيل الآخرة، وما فيها؟

إن ابن عباس يقول: «ما في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء»، وهذا حق، فلا خمر الآخرة كخمرة الدنيا، ولا حورها كنسائها، ولا نار جهنم كنارها، ولا الصراط الممدود على جهنم كالجسور الممدودة على الأودية والأنهار.

ولكنها شيء آخر، شيء لا يمكن أن نتصوره ولا أن نتخيله، كما أن الجنين في بطن أمه لو أعطي العقل والفهم، وقيل له، إن ها هنا شمساً وقمراً، وبراً وبحراً، وسهلاً وجبلاً، لا يستطيع أن تصور ذلك أو يتخيله.. ونسبة الآخرة إلى الدنيا، كنسبة الدنيا إلى بطن الأم الذي فيه الجنين.

---

(١) أو غيره، فقد شككت، وضعفت الذاكرة، وضاع مني المرجع.

(٢) أعني بعداً حقيقياً، لا بالمعنى الاعتباري الذي جاء به آينشتاين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **العقل**

لما أبصرت العين العود المستقيم، منكسراً، وهو في كأس الماء، لم ينخدع العقل بما رأت العين، وعرف أنه لم يزل مستقيماً، ولما رأت التراب ماء، في الصحراء، عرف أنه سراب، وأنه ليس ماء ولكنه تراب...

فالعقل أصح حكماً، وحكمه أبعد مدى، ولكن هل يحكم على كل شيء، ويمتد مداه إلى غير ما نهاية؟

إن العقل لا يستطيع أن يحكم على شيء، حتى يحصره بين اثنين: الزمان والمكان، فيقول: متى؟ وأين؟ فما لم ينحصر بينهما، لم يكن للعقل عليه سلطان.

فلو قال لك مدرس التاريخ، إن حرباً وقعت بين العرب والفرس، ولكنها لم تقع قبل الإسلام ولا بعده، ولم تقع في زمن من الأزمان، ولكنها وقعت فعلاً. لم تدرك ذلك، ولم تصدقه، ولم تقبله.

ولو قال لك مدرس الجغرافية إن مدينة ليست في سهل ولا جبل، ولا في شرق ولا في غرب، ولا في أرض ولا في سماء، ليست في مكان، ولكنها موجودة فعلاً، لم تدرك ذلك، ولم تصدقه ولم تقبله.

ومعلوم بالضرورة أن الله ﷻ، وصفاته وآلاءه، لا تخضع للزمان ولا للمكان، والله لا أول له ولا آخر، ولا يشتمل عليه مكان، فالعقل لا يستطيع أن يحكم على الله ولا على صفاته، ولا على قضائه وقدره، كل عمله فيها فهم نصوص الوحي، الذي جاء من خارج العقل.

والعقل محدود، لا يستطيع أن يتصور غير المحدود، ولا يحكم على غير المتناهي، جرب أن تتصور حقيقة معنى الخلود في الجنة، أو في النار تجد العقل يحكم بالبقاء فيها مليون سنة، وعشرة ملايين، وأضعاف ذلك، ثم يقف، ويقول: وبعد؟ إنه يريد أن يصل إلى النهاية، إنه لا يتصور الخلود.

والله ﷻ، غير محدود، فالعقل لا يستطيع أن يحكم عليه.

وإذا بحث العقل فيما ندعوه «اللانهاية» انتهى بحثه إلى الوقوع في التناقض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي يحكم العقل ببطلانه. أي أن العقل عند بحثه في غير المحدود يحكم على نفسه بالبطلان.

الفيلسوف الألماني «كانت» له كتاب اسمه «نقد العقل» جاء فيه بأربع عشرة مسألة تثبت هذا، وقد عجب منها الفلاسفة والعلماء، ثم وجدت أن علماء الكلام في أدلتهم على إبطال الدور والتسلسل قد سبقوه إليها.

ومن أدلة علمائنا، أن تخرج من نقطة «م» مثلاً خطين مستقيمين متباعدين، وتفترض امتدادها إلى «اللانهاية». وتصل بينهما خطوطاً معترضة هي (ب جـ)، (ب١ جـ١)، (ب٢ جـ٢)، (ب٣ جـ٣)، وهكذا حتى تصل إلى اللانهايتين، وتسأل هل الخط الأخير وليكن (ب٨ جـ٨).

محدود أم هو غير محدود؟

إذا قلت إنه محدود، رد عليك أنه بين لا نهايتين فكيف يكون محدوداً؟

وإن قلت إنه غير محدود، رد عليك بأنه بين نقطتين، فكيف يكون غير محدود؟ فهو محدود وغير محدود، وهذا تناقض.

فثبت أن العقل يختل ميزانه، إن حاول الحكم على غير المحدود، ويقع في التناقض المستحيل.

فالعقل إذن لا يستطيع أن يحكم، ولا يصح حكمه إلا في الأمور المادية، أما «ما وراء المادة» أي عالم الغيب «المتافيزيك» فلا حكم للعقل عليه.

وهذا الذي أثبته «كانت» في كتابه، قال به علماؤنا من قبل. انظر كتاب شرح المواقف للسيد ورسالة المقصد الأسنى للغزالي[1].

● **القاعدة الرابعة: هي أن الإيمان بإله عقيدة بديهية، لا تخلو منها نفس.**

ولكن الإنسان قد يكون صحيح الجسد، مستوفي الأمن، رخي العيش، فيمر

---

(١) بقيت هذه الرسالة (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) في مكتبتي أكثر من ثلاثين سنة، لم أجد دافعاً إلى قراءتها، ثم أخذتها يوماً فوجدت فيها شيئاً عجيباً، من عبقرية الغزالي، فهو يتكلم عن الاسم والمسمى والصلة بينهما، ويربط بين أسماء الله وسلوك المسلم في الحياة، ويأتي بما لم يأت بمثله أحد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

به وقت لا يحس بها، وربما أنكرها، فهو «كافر» بها، أي مغطٌّ لها، لأن الكافر في اللغة هو الساتر، فإذا هزته المصائب، أو زلزلته الخطوب، أو شارف اليأس، ألقي عنها غطاؤها، فظهرت. وقد شرحت ذلك في مقالتي في عدد الشهر الماضي، من مجلة «رابطة العالم الإسلامي» فلا أكرره هنا.

وهذه القواعد الأربع، أساس للعقائد فيها الرد على جميع الشبه التي تعرض لعقول الملحدين وتظهر على ألسنة الخصوم.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فكروا لماذا؟

العدد (١٠٠) ربيع الآخر (١٣٩٣هـ) - مايو (١٩٧٣م)

أخذت القلم، وقعدت لأكتب المقالة التي شرفني الأستاذ رضوان حين كلفني كتابتها للجزء الممتاز من المجلة، فورد علي وارد صرف ذهني عنها، وجعلني أسائل نفسي: لماذ أكتب؟ وما الفائدة من الكتابة؟

هل نفعتنا الأحاديث والخطب والمقالات؟

لقد خطبت أول خطبة عامة سنة ١٣٤٥هـ (من نحو نصف قرن) ومازلت أخطب، وكتبت من تلك الأيام ومازلت أكتب، وحدثت في الإذاعة من يوم أنشئت محطة الشرق الأدنى في «يافا» قبل الحرب، ومازلت أحدث.

ويخطب ويكتب ويحدث عشرات وعشرات ممن هم أصفى مني جنانا، وأكثر إيمانا، وأفصح لسانا، وأجلى بيانا، وأقدم زمانا، خطبوا على كل منبر، وكتبوا في كل جريدة ومجلة، وحدثوا من كل إذاعة، فماذا كانت ثمرة هذا الجهد كله؟

هل نحن اليوم في مجتمعاتنا، في بيوتنا، في مدارسنا، في محاكمنا، في أسواقنا، في أزياء نسائنا، وسلوك شبابنا، هل نحن اليوم أقرب إلى الإسلام أم قبل خمسين سنة؟

من كان يقدر أن يتصور يومئذ أننا سنصير إلى ما صرنا إليه اليوم؟

وما لي أفرض الفروض، وأقدر الوقائع وعندي رسالة لي مطبوعة سنة ١٣٤٧هـ عنوانها «دمشق بعد تسعين سنة»، صورت فيها بخيال شبابي الجامح أغرب ما وصل إليه خيالي، فإذا الذي حدث فعلاً في خمس وأربعين سنة يسبق ما تخيلت وقوعه في تسعين سنة!

نعم، والرسالة مطبوعة موجودة، وحالنا قائم ملموس، بل لو تخيل رجل في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكويت قبل ربع قرن حال الكويت اليوم، لحسبوه قد جن وفقد العقل، فلماذا انتهت جهودنا إلى الهزيمة والفشل؟

فكروا لماذا؟

لو استقريتم أفراد المسلمين لوجدتم الكثرة الكاثرة لا تزال تؤمن بالله واليوم الآخر، أو تريد أن تعد من المؤمنين، وتكره أن توصف بالإلحاد أو بالفساد، ولوجدتم فيهم علماء كثيرين، وخطباء وواعظين، ومحاضرين ومدرسين، كلهم يدعو إلى الله، أو يحب أن يعد مع الدعاة إليه.

ووجدتم المساجد لا تزال عامرة بالمصلين، وخطب الجمعة تعلن بالمكبرات والإذاعات، والمدارس لا تزال تدرس فيها علوم الدين، وإن مسخت مناهجها، ونقصت ساعاتها، والإذاعات لا تزال تبدأ برامجها بالقرآن وتختمها بالقرآن، وإن وضعت بعد القرآن في الافتتاح عزفا على العود، وقبل القرآن في الختام مسرحية تكشف فيها العورات، وتظهر فيها المحرمات.

فكيف استطاع الدعاة من أعداء الإسلام (مع هذا) أن ينجحوا من حيث فشلنا نحن دعاة الإسلام؟

ألا ترون أن هذه المسألة تستحق أن تعرض في العدد الممتاز، وأن نجد لها الجواب؟

أكان ذلك لأن الذي ندعو إليه باطل؟ هذا محال، لأن الإسلام صيغ من جوهر الحق، لا من أعراض الأوهام، أم كان لأن الإسلام بليت حقائقه، فلم تعد تقوى على مواجهة الخطوب في عصر تفجير الذرة، واقتحام الفضاء؟

كلا، فالإسلام كان جديدا لما جاء، وبقي جديداً، لا يبلى ولا يقدم إلا في الأذهان التي تعجز أو تكسل أو تزهد في كشف أسرار القرآن، وهي لا تنفد على مر الزمان، ولا تزال أبداً يفيض نبعها لمن يعرف طريق الاستقاء منها، ولا يزال الذهن البشري يكشف في كل عصر من هذه الأسرار ما لم يكشفه السابقون.

لقد أظهر تقدم العلوم في أيامنا معاني آيات كانت في خفاء، وكان المفسرون يحاولون إدراكها، فيحومون ولا يصلون، ولا تزال في القرآن آيات فيها إشارات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتلميحات لأسرار سنن الله في الوجود، وقوانينه في الطبيعة، لم يصعد العلم بعد إلى الذروة التي يكشفها منها، وهذا من الأدلة على أن القرآن كتاب لم يخرج من فكر بشري، لأنه يستحيل على إنسان مهما كان عبقرياً، أن يشير إلى علوم لم يكن في أيامه ولا بعد أيامه بألف سنة من عرفها أو سمع بها، أو قدر وجودها.

كلا، أقولها مرة ثانية، فالإسلام كان صالحاً لعصر محمد وصحبه، وبقي صالحاً في عصر الذرة والصاروخ ومركبات القمر، وسيبقى صالحا، وسيبقى دستور الحق والخير والجمال، وطريق سعادة الجسم والعقل والروح في كل عصر.

وهذه دعوى ضخمة، ولكن معنا دليلها، وهو دليل أضخم من الدعوى، فلم يكن هذا الفشل إذن لـ «قصور» في الإسلام، فهل كان لـ «تقصير» منا في الدعوة إلى الإسلام؟ لأننا لم نستطع أن نستخرج من أصول الإسلام (من الكتاب وصحيح السنة) الأقضية والأحكام الملائمة لهذا الزمان، ولأننا (أو لأن مشايخنا) وقفوا عند كتب الفقه، يقرأونها ويعيدونها، لا يستطيعون الكلام عما ليس فيها، وعما جد من الأوضاع والمعاملات بعد موت مؤلفيها، فلما لم يجد الحكام عندهم حلا لمشكلات العصر من شرع الله، عمدوا إلى قوانين الأجانب فأخذوها، وتركوا دينهم لها، فكان علينا قسط كبير من تبعة هذا الذنب الكبير، كما قال ابن القيم في «الطرق الحكمية».

أم لأننا ندعو الناس، وندعو الشبان والشابات إلى الدين بغير الأسلوب الذي يصلح لدعوتهم، وأننا نخاطب أهل هذا العصر بلغة العصور المواضي، نفتح الكتاب المؤلف من قرون ونقرأ عليهم منه، فلا يسمعون منا، ولا يفهمون عنا؟

أم لطبيعة الوعظ، وأنه ثقيل على النفس؟ لأن النفوس تهوى الانطلاق والشرع يقيدها، وتميل مع اللذة حيث مالت والشرع يعدلها.

هذا واقع، ولكن العقل أيضاً (كاسمه) قيد، والحكمة قيد، واسمها مشتق من حكمة الدابة، والقوانين قيد، والحضارة قيد، والذي يريد أن يفلت من كل قيد يصير مجنوناً، فالمجنون هو الحر الحرية المطلقة، يعمل كل ما يشاء، يمشي

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عاريا، يعري امرأته ونساء المسلمين، يركب على كتفي سائق السيارة ويدلي ساقيه، يمنع لصوص الأموال ويسمح للصوص الأعراض، يحارب من يأتي ليفسد صحة الناس، أو يزهدهم بالولاء لوطنهم، ويدعوهم للولاء لإسرائيل، ويسالم المبشرين الذين يريدون إخراج أولاد المسلمين من دينهم، وإدخالهم في دين غيره، هذا الذي له الحرية المطلقة التي يفعل بها ما يشاء، وهذا هو المجنون.

أم لأن فيها من يجمل في الدعوة ولا يفصل؟ فيكون كراكب الطيارة تعلو جداً حتى لا ترى الكويت إلا نقطة سوداء، على سيف البحر، فيصفها فلا يفيد وصفه إياها، ومن يفصل قبل الإجمال، كمن تريد منه وصفا عاما للكويت، فيصور لك داره فيها، ويذكر كل ما في الدار، من أثاث ورياش وأزهار وأشجار، فلا تفهم من ذلك شيئا عن وضع الكويت.

أو يزيد على ذلك فيدعي أن داره هي الكويت، ويرد عليه جاره فيصف دار نفسه ويظن أنه وصف الكويت.

نعم، منا من ينادي بالرجوع إلى الإسلام، ويكرر ذلك ويعيده، ولكن لا يبين كيف يكون الرجوع إلى الإسلام، كخطباء الجمعة، يأمرون بتقوى الله، وهذا حق، ولكن لا يوضحون للناس كيف يتقون الله، فلا يستفيدون من قولهم «اتقوا الله»، ومنا من يأخذ بعض الفروع فيجعلها هي الدين، ويلقنها الشبان الناشئين، يبدأهم بها قبل تصحيح العقيدة، وقبل معرفة الكبائر لاجتنابها، والفرائض للقيام بها.

ثم نختلف على هذه الفروع، ونتجادل ونختصم، ونضيع بأسنا بيننا، ومعول الإلحاد، و«ديناميته» يعمل في أساس بناء الإسلام، فإذا تصدعت العمارة ومالت إلى السقوط، فهل يهتم أحد بكسر قفل الباب، أو زجاج النافذة؟

إذا كان المريض المصاب بسرطان القلب تحت أيدي الجراحين، في غرفة العمليات وهم يعدون الثواني يخافون أن يعاجله الموت قبل إتمام العملية، فهل يهتم أحد بشوكة دخلت تحت ظفره؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فما لنا نهتم بالفروع والأغصان، وجذع شجرة الإسلام مهدد بالكسر، لا سمح الله، ولن يسمح إن شاء الله، لأن الله تعهد بحفظ هذا الدين، فالدين محفوظ ولكن الامتحان لنا، فإما أن ننصر الله فينصرنا، وإما أن نخذل شرعه، فيستبدل بنا قوما غيرنا، يدخل في الإسلام شعب من الشعوب الحية، فيحمل لواءه، ويعلي مناره، ونكون نحن (لا قدر الله) كفقراء اليهود، لا دنيا ولا دين.

أم لأن فينا من يعظ الناس ولا يتعظ، ويأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويقع فيه؟ يكذب بلسان حاله، ما جاء بلسان مقاله، يخالف فعله قوله، وتناقض سيرته وعظه، فينفر ضعاف القلوب من الدين، ويكون حجة لهم على الصادقين من الداعين.

أم لأن منا من آثر دنياه على آخرته، ورضا الحكام على رضا الله؟ فوقف على أبوابهم، ومشى في ركابهم، فلما رأى ذلك العامة، ظنوا بأن جميع الداعين مثل هؤلاء المنحرفين، مع أن الله لا يخلي هذه الأمة من علماء يريدون وجهه وحده، يصدعون بالحق، لا يقولون إلا ما يرضي الله، فإذا عمت الفتنة، وعلت الضجة، ولم يعد يسمع صوت الحق، كان أقصى أمرهم أن يسكتوا ويعتزلوا، وينكروا بقلوبهم، لا يسايرون أحدا قط على حساب دينهم.

أم لأن الهجوم علينا كان أقوى من دفاعنا؟ لأننا لم نعد للمعركة (معركة الإلحاد والفساد)، خططا محكمة كخطط عدونا، بل نحن لم نعرف ماذا يخطط لنا العدو الذي يدخل علينا من كل باب، من مناهج المدرسة، وأزياء الثياب، ووسائل الإعلام، وقوانين الدولة وما تخرج المطابع من كتب، وما يشتمل عليه الفن من أشكال وألوان، من كل ذلك يدخل علينا العدو ونحن لا ندري، ولا أظن أن الله سيعذرنا لأننا لم نكن ندري.

فكنا نقعد حتى ينال عدو الإسلام منا منالا، فنثب وثبا قبل أن نحدد سبيلنا وندخل المعركة قبل أن نجمع جندنا، ونسوي صفوفنا، ونؤلف بين قلوبنا، فننهزم، ننهزم لأن الله جعل لكل شيء سبباً، فمن أخل باستيفاء أسباب النصر، فر منه النصر، وصحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم كانوا أكرم على الله منا، وهم مع ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قد هزموا في «أحد» لما تركوا بعض أسباب النصر التي قدرها الله له، كما قدر الأسباب كلها والمسببات، فخالف الرماة أمر قائدهم، وتركوا مواقعهم، أفنطمع أن ينصرنا الله، وقد قطعنا أسباب النصر كلها، ما اتصل منها بالأرض وما ارتبط بالسماء؟ لقد فقدنا إرثنا من الحماسة والنشاط، وتسللت إلى عروقنا جراثيم الخمول والكسل، فآثرنا الراحة على العمل، ولبستنا حقيقة، يوجعني الاعتراف بها، ويشد على صدري حتى أحس بالاختناق، ولكنها تبقى حقيقة.

حقيقة أعترف بها، وذقني من الخجل تضرب صدري، وبصري من الحياء إلى الأرض، هي أن أهل الباطل لهم من إيمانهم بباطلهم، وحماستهم له، ودفاعهم عنه، وبذلهم في سبيله المال والنفس، أكثر مما لنا (نحن أهل الحق) من الإيمان بحقنا، والجهاد في سبيله، وحمل الأذى في الذود عنه.

إنهم يمشون إلى مجاهل الأرض، يسكنون الأكواخ كأنها قبور، ويصبرون على معاشرة أصحابها، ليدعوهم إلى ما يؤمنون هم به، ومنهم من يقاتل في سبيل معتقده الأرضي، أقوى دول الأرض، التي ألهبت بطياراتها بلده بالنار، وأشاعت في أقطاره الدمار، وهو ماض لا ينثني، ونحن .. نحن المؤمنين بأن الجهاد أصل من أصول ديننا، نحن الذين نؤمن بأن شهيدنا حي في ضيافة ربنا، نحن أبناء من مشوا على أرجلهم، من المدينة إلى قلب فرنسا من هنا، وقلب الهند من هناك، ففتحوها كلها، لا ليأكلوا خيراتها، بل ليهدوا إلى الحق أهلها، ويحملوا إليهم من هذا الخير الذي أنزله الله من السماء، على غار حراء، نحن.. ننتهي إلى هذه النهاية؟!

يحتل اليهود قبلتنا الأولى، ومسرى نبينا، وتتحدانا امرأة عجوز ونحن سبعمائة مليون، وامرأة أخرى تمسك بخناق تسعين الف أسير منا، تسعون ألفا كآساد الشرى... يا أسفى!

ما أشد السقطة على رفيع القدر، عالي المقام!

ولكن هذا ذنبنا، نحن الذين أبعدنا الإسلام عن معركتنا، فأبعدنا بذلك النصر عنا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إننا ما هزمنا لنقص العدد، فنحن سبعمائه مليون، ولا لنقص المال، فعند المسلمين من الأموال أكثر مما عند اليهود، ولا لقلة السلاح، فعند المسلمين من السلاح أكثر مما عند اليهود، ولا لقلة العلماء، فعند المسلمين من العلماء (بعلوم الكون) أكثر مما عند اليهود، ولكن لقلة الدين.

لقد ضعنا بذلك وأضعنا الشباب، على أن في الشباب بحمد الله.. في الشباب والشابات في الشام ومصر والأردن وغيرها رجعة قوية إلى الإسلام، رجعة من الله ليست بعملنا ولا بجهودنا، رجعة وإن تكن في نطاق ضيق، وفي عدد قليل، لكنها قوية راسخة، وإن كان من المؤسف أن عيوبنا انتقلت إليهم، خلافاتنا، تمسكنا بالفروع قبل الأصول، تفرقنا فرقا، فيا ليت أبنائي وبناتي من الشباب والشابات يعتبرون بنا، ويجتنبون نقائصنا ومعايبنا.

إن هذه المعايب جعلتنا يا أولادي نصير إلى الضياع.

كلمة حق أقولها لكم، والحق يقال ويسمع، ولو كان مراً، نحن يا أولادي لم يبق فينا أمل، نحن الشيوخ (أعني بالسن)، نحن جيل الضياع، جيل الهزيمة، نحن أضعنا فلسطين ونحن سبعمائة مليون، فالأمانة الآن في أعناقكم أنتم، والحمل على عواتقكم، فلا تكونوا مثلنا.

لو أن سبعمائة مليون فأرة، (والعفو من قبح المثال) هجمت على لندن أو نيويورك لهرب منها أهل نيويورك أو لندن، فلماذا لا نصنع شيئاً؟

ما السبب؟

لا أناقش ولا أتفلسف، بل أقرر حقيقة، لو أن ولدك مرض فأخذته إلى طبيب فأعطاه دواء زاده مرضاً، فأخذته إلى آخر فأعطاه الدواء الذي كان فيه الشفاء، أفبعد هذه التجربة مجال لمقال؟

التجربة أصدق برهان، ونحن قد جربنا يوماً إدخال الإسلام إلى المعركة فاستنقذنا به القدس من أيدي جيوش أوروبة كلها بعدما ملكوها أكثر من تسعين سنة.

وجربنا إبعاد الإسلام عن المعركة فأضعنا القدس بعدما كانت في أيدينا ومع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك نجد صعوبة بالغة في إفهام المسلمين هذه الحقيقة الظاهرة أفليس هذا عجيباً؟

قلت في مطلع هذه المقالة أني بدأت أكتب وأخطب من أكثر من خمس وأربعين سنة، فما الذي أثمرته هذه الكتابات وهذه الخطب، وما كتب الكتاب الإسلاميون قبلي كالسيد رشيد رضا، والأمير شكيب أرسلان، وخالي محب الدين الخطيب، والأساتذة فريد وجدي وعبدالعزيز شاويش والغمراوي وغيرهم، ومن جاء معي أو بعدي ممن لا يحصيهم عدد ولا يجهلهم أحد فماذا كان حصاد هذا الجهد كله؟

لقد شهدنا في هذه السنين الخمسين عرى الإسلام تنقض عروة عروة، وصرح الإسلام يهدم حجراً حجراً، وأهل الخير والحق كل يوم إلى ضعف وقلة، وأهل الشر والباطل كل يوم إلى قوة وكثرة.

وكنت أبحث عن السبب، وذكرت ما خطر على بالي من الأسباب، وفي كلها قدرت النقص فينا، والذنب علينا، نحن الدعاة، أو الكتاب والخطباء الإسلاميين، فلم لا يكون النقص فيكم أنتم أيها القراء، والذنب عليكم؟ أو فينا وفيكم معا؟ ونكون مسؤولين جميعاً؟

أضرب لكم مثلا، اسكتوا كلكم قليلاً، هل تسمعون في الغرفة صوتاً؟

إن جو الغرفة التي ترونها ساكنة، كل الأصوات التي تخرج الآن من إذاعات الأرض كلها، إنكم لا تسمعونها، ولكن هاتوا رادا (راديو) فإنه يرد هذه الأصوات عليكم فتسمعونها، فإن كان الراد بلا ذخيرة (بطارية) لم يفدكم- وإن وجد- وكذلك المواعظ، المواعظ موجودة ولكنها تحتاج إلى قلوب، والقلوب لا تفيد إن كانت تحتاج إلى بطاريات فاستحضروا قلوبكم وضعوا لها بطاريات، تستفيدوا من كل ما تقرأون وما تسمعون، ولو كانت الموعظة من مقصر مثلي.

هاهنا السر، وهذا هو السبب في الفشل الذي انتهت إليه دعوتنا خلال هذا الأمد الطويل.

ليس النقص في المواعظ وفي الواعظين، وإن لم تبلغ ولم تبلغوا حد الكمال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن النقص في القلوب الواعية.

اللهم يا من قلوب العباد في يديه، أحي قلوب المسلمين، ولينها وارزقها الانتفاع بالموعظة، اللهم آمين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خواطر في القرآن

العدد (١١٢) ربيع الآخر (١٣٩٤هـ) - إبريل (١٩٧٤م)

تحت أيدي الناس اليوم أكثر من عشرين مليون كتاب، بجميع الألسن والخطوط، ولو سئلت: أي هذه الكتب أفضل وأكمل، وأجمل وأشمل، لقلت: القرآن.

وكل واحد من قراء هذه المجلة، يجيب بمثل هذا الجواب، لو سئل ذلك السؤال، ما عندي في ذلك شك، ولا عند أحد منهم في الجواب تردد.

ولكني فكرت، هل أقول هذا لأني مسلم آمن به ونشأ عليه، وتعوده حتى صار عنده من البديهيات[1]، أم هو حق في ذاته يقول به كل باحث منصف..؟

وذكرت كيف كان العربي يسمع الآيات من القرآن، فتملك قلبه، وتمسك لبه، حتى تقوده إلى الإسلام كما فعلت بعمر، أو تحمله على الإقرار أنه سحر، وأصل السحر في لسان العرب ما بان أثره، وخفيت علته.

فأخرجت مصحفاً كان معي، (وكنت لما خطرت لي هذه الخواطر في سفر بالطيارة) وجعلت أقرأ، أحاول أن أجد مثل ذلك الشعور الذي وجده عمر المسلم، والوليد الكافر، والذي كان يحس به كل عربي يقرأ القرآن، أو يسمعه.

فماذا كان؟ أقول لكم أم أكتم الأمر عنكم، خجلاً منكم...؟

إني لم أجد ذلك الشعور! حقيقة أقولها بأسف وخجل.

وفكرت مرة ثانية: لم لم أجده؟

ألأني أعرف القرآن وليس جديداً علي، فصار إحساسي به، كإحساسي عندما

(١) القياس الصرفي: بدهي، ولكن كلمة بديهي وطبيعي مستعملة من أكثر من ألف سنة، وصقلتها الألسنة والأقلام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنظر إلى الكعبة الآن، بعد إقامة أحد عشر عاماً في مكة؟

لقد فقدت تلك الهزة الرائعة التي شعرت بها لما رأيتها أول مرة، وأذهب الإلف روعة المناجاة، أم لأني تعودت أن أقرأ القرآن مسرعاً، أصل الآية بالآية لأبلغ نهاية «الختمة» فلا أتذوقها ولا أتدبرها ولا ألمح إشاراتها ومراميها؟ نعم، هذا هو السبب، إن قراءتي القرآن مثل سفري من مكة إلى جدة، همي وهم السائق أن أصل في خمسين دقيقة. لا أرى من الطريق شيئاً، إلا بيوتاً متناثرة في «بحرة» أو «حداء». وفضاء يرحب أو يضيق، وجبالاً تعلو أو تنخفض، وتدنو أو تبعد.

ولو سئلت ما شكل هذه البيوت؟ وماذا فيها من أناس ومن فرش؟ وما في هذا الفضاء من تراب ورمل؟ ما تركيبه؟ وما في هذه الجبال من صخور؟ ما نوعها؟ لما عرفت؛ لأني لم أتنبه لها، ولم أسأل عنها.

ولكن البعثة الجيولوجية[1] التي تجيء للكشف والتحري، وتمضي على الطريق خمسين يوماً بدلاً من خمسين دقيقة، تعرف هذا كله، وتقدم تقريراً عنه.

هذا هو مثال تلاوتنا وتلاوة الصحابة. نحن نكمل الختمة في يوم أو يومين ولا نفهم شيئا، ومن الصحابة من كان يمضي في دراسة السورة الواحدة سنين، ولكنه يتدبر ويعي، ويعمل بما تدبره ووعاه.

فهذه السرعة، وما يقابلها من انصراف الأذهان عند سماع القرآن، للصوت والألحان، وظن كثير ممن يسمون بالقراء، أن القرآن ليس إلا كلاماً معداً للتلحين ككلمات الأغاني، وتنافسهم على إجادة تلحينه والتصرف في أنغامه واتخاذنا القرآن مجرد شعار تفتتح به الحفلات، هذا كله وأمثاله هو الذي حجز بيني وبين التنبه إلى أسرار القرآن، وحرمني من الشعور بروعته، وقد كان يشعر بها كل عربي يسمعه ولو كان كافراً.

ما تبدل القرآن، بل تبدلت الألسنة التي تقرأ، والآذان التي تسمع، والقلوب التي تعي.

---

(١) جي: أرض، ولوجي: علم باليونانية القديمة والواو للتركيب كما يقولون مثلاً (فرانكو آراب).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إننا نقرأ القرآن بلا فهم، أو نطرب له بلا خشوع، أو نتخذه وسيلة لـ «الشحادة» على أبواب المساجد فلا يحق لنا (لا لي ولا لغيري) أن يتخذ من الشعور الذي يشعر به ميزاناً لتقويم[1] القرآن، فلندع الشعور إلى العقل.

ولنتصور لو أن رجلاً مثلي يقرأ (كما أقرأ) ما معدله أكثر من مئة صفحة في اليوم، من أكثر من خمسين سنة. حتى اطلع على جانب كبير من المعارف البشرية، وكان منصفاً ولو كان غير مسلم، وسئل السؤال الذي استهللت به المقال، فبماذا يجيب؟.

إنه ينظر فيرى أن البشرية شهدت كتباً عالمية، كان لها الأثر البالغ في الناس. أو في جمهور كبير من الناس.

منها ما نزل من السماء فحرفه البشر، كالكتاب الذي يدعى اليوم بـ «الكتاب المقدس» ومنها ما هو أرضي قدسه أتباعه، كالفيدا «vedas» الهندية، والأفستا «avesta» الفارسية المنسوبة إلى زراداشت، ومكتوبات كونفوشيوس (وأصل اسمه بالصينية: كونغ فوتس).

ومنها كتب أدبية كإلياذة هوميروس، ومسرحيات شكسبير وموليير ولافونتين وخطب فيخته «fichto» الألماني.

ومنها كتب فلسفية أو علمية كجمهورية أفلاطون ومحاورات سقراط وكتب أرسطو وخطبة المنهج لديكارت ونقد العقل لكانت، والتطور المبدع لهنري بركسون، والإنسان ذلك المجهول لكاريل، ونسبية آنشتاين.

وما كتب دارون، وفرويد، ودوركايم، ومكيافيلي، ثم هيجل وماركس وغيرها من أمثالها، فأنا إنما أُجْمِل وأمَثِّل، لا أستقصي وأفصل - ولم أذكر كتب المسلمين لسببين:

الأول: أني أحاول أن أفكر بعقل باحث منصف غير مسلم وغير متعصب لدين أو مذهب يمنعه من الإنصاف.

والثاني: أن كتب المسلمين كلها، متأثرة (من قريب أو بعيد) بالقرآن، فهي

(١) تقويم بالواو، أما تقييم فلا صحة لها، وإذا ظنوا أنها من «القيمة» فإن قيمة أصلها «قومة».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كالفرع عنه وأنا أتكلم هنا عن القرآن، فكيف أحتج بالفرع للأصل، وأقبل شهادة الولد للوالد؟

أقول: لو جاء هذا الباحث النزيه يوازن بين هذه الكتب وبين القرآن فماذا يجد؟

يجد أن المثل العليا للبشرية، والغايات القصوى للمعارف وللمشاعر الإنسانية، هي الحق والخير والجمال.

وهذه الكتب منها ما يبحث عن الحق، بوساطة الفكر، ولكنه لا يعنى بالجمال ولا يفتش عن الخير، ومنها ما يفتش عن الجمال من طريق الذوق، بوساطة العاطفة، ولكنه لا يهتم بالخير ولا بالحق.

أي أن منها كتباً في العلم وحده وكتباً في الأدب فقط وكتباً في الأخلاق وفلسفتها، ويجد أن منها ما هو مخالف لفطرة البشر، وطبيعة تكوينهم، والفطرة تأبى ما يخالفها، كالكتاب الذي يقبح الغنى لأهله، ويقول «لا يدخل الغني ملكوت السموات» والإنسان مفطور على حب المال ويزين لهم التبتل والرهبانية، والإنسان مغروز فيه «غريزة» الميل إلى الزواج. ويقول: «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر» والإنسان مجبول على دفع الأذى والرغبة في الانتقام.

والكتاب الذي يحاول أن يمحو الفرد ليثبت بزعمه المجموع، ويحرمه الربح ويكلفه الجد في العمل. ويريد أن يطمس عقله فلا يفكر به، بل بعقل طبقته. ويجعل الناس طبقات يجمعها الحرب والخصام لا الصلح والوئام. ويقول: بخرافة «حتمية التاريخ» مع أن التاريخ ليس إلا الرواية والتعليل لما كان، لا التحكم فيما سيكون، كما يهذي به الماركسيون.

ويجدُ كُتبَ الفكر والعلم - تبلى على الأيام جدتها- وتنقص قيمتها، فلا يبقى لها إلا مزية السبق الزمني حتى أن طالب الجامعة يعرف اليوم من الطب أكثر مما كان يعرف بقراط (أيبوقراط)، ومن الهندسة أكثر من إقليدس، ومن الفلك أكثر من كوبرنيك، ومن الكيمياء أكثر من لافوازيه.

وكتب الأدب يتبدل نظر الناس إليها، وتقديرهم إياها، بتبدل الأذواق، وتباين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العصور، وإن كانت أثبت (في الجملة) وأبقى من كتب العلم.

وكتب الأخلاق، تختلف أسسها، وتتعدد نظرياتها.

ويجد أن منها ما يظهر خطؤه فتخبو ناره، وتنطفئ أنواره، كآراء فرويد، ونظرية دارون، ومنها ما ينكشف لأتباعه، «عند التطبيق» ما فيه من ضرر بالغ، ونتائج مدمرة، فضلاً عن تعذر تطبيقه كاملاً، ككتاب «رأس المال» و«الميثاق» لماركس.

فإذا تركها ونظر إلى القرآن، فماذا يجد؟

يجد القرآن (أولاً) قد أحاط وحده بالمثل العليا كلها: الحق والخير والجمال، فكان كتاب علم ولكنه لا يفرض نظريات، ولا يسرد قوانين، بل يوجه الناس إلى إعمال عقولهم في فهم أسرار الحياة الدنيا ويؤكد لهم أن لهذه الحياة سنناً محكمة، وقوانين ثابتة، ويشير (بمقدار ما يفهم المجتمع الذي سمع القرآن أول مرة) إلى بعض هذه القوانين والسنن، ويدعوهم إلى اكتشافها في أنفسهم: في أجسادهم وعواطفهم، وفي الحيوانات من حولهم: الإبل والأنعام، وفي النباتات كيف تتجرد وتكسى وتموت في الشتاء ثم تحيا، وفي الأرض وما فيها، والسموات وما يرى منها. ويخبرهم أن كل شيء في الكون محدد المقادير. قائم على نسب مضبوطة، وعلاقات ثابتة. وأن الذي أوتوه من العلم بها قليل وأنه سيخلق ما لا يعلمون، ويعطي من يأتي من البشر من المعرفة بالكون ما لا يعرفون.

والقرآن يشير دائماً إلى قوانين الطبيعة التي طبعها الله، وينبه أتباعه إلى استثمار كل ما فيها وإلى أنه سخره لنا لننتفع به، إذا أعملنا عقولنا وأفكارنا، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية: ١٣) وليس هذا التسخير لمجرد الانتفاع بها في هذه الحياة المؤقتة بل لتكون علامات وآيات نستدل بها على طريق الانتفاع الحقيقي، في الحياة الأخرى الدائمة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (الجاثية: ١٣).

فمن أهمل عقله من المسلمين قَصَّر، ولم يدرك هذه الآيات، ومن انتفع بها ونسي خالقها وموجدها، كان جاحداً للمعروف- أتستفيد من الهدية وتنكر حق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مهديها؟ هذا ما يفعله أتباع هذه الوثنية الجديدة. وثنية العلم، الذين يكتشفون بعقولهم التي هي عطية الله القوانين الطبيعية التي وضعها الله، ثم لا يشكرون الله، بل ربما أنكروه وجحدوه!!

ومن انتفع منها النفع الذي وضعه الله فيها، وشكره عليها، كان مؤمنا عاقلاً، ومن عظمها لذاتها، وترك النفع الذي وضع فيها، كان أحمق جاهلاً، كمن يحفظ الثوب، ينظفه ويمسحه ولا يلبسه لدفع برد ولا حر، ولا لستر ولا لتجمل، ومن يجمع المال ويعده ويحبسه، ولا ينفق منه على نفسه ولا على أهله، ولا يشتري به أخرى، لذلك ورد «تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة» أي الثوب.

* * *

وهو كتاب عقائد ولكنها ليست فصولاً متسلسلة تشغل القلب بالعقيدة، وتصرفه عن إعمال العقل، وتذوق الجمال، بل هي آيات تقرر العقيدة من خلال التفكر في المخلوق وتأمل جماله للاستدلال به على خالقه.

وهو كتاب تشريع ولكنه ليس كمجموعة جوستينيان مثلاً نصوصاً وأحكاما تبين الأحكام فقط بل هو يصلها بالعقيدة، ويربطها بالخالق، حتى عندما يحدد حصص الورثة في التركة، أو أسلوب التوثيق عند الكاتب العدل.

وهو كتاب تاريخ ولكنه لا يجمع أطراف القصة من قصص الأنبياء ويسردها سرداً متصل الحلقات بل يأخذ منها في كل موطن جانباً يعرضه، للاعتبار به، فهو يحرص على الاستفادة من الخبر، لا على الإحاطة بالخبر.

ولعل حكمة هذا المزج بين القصص والعبرة، وتكرير القصة على صور مختلفة، وفي مواضع متعددة، هي (والله أعلم) أن مستقر العقيدة هو العقل الباطن[١]. وهذا الأسلوب في التلقين والإيحاء، غير المباشر، يوصل إليه رأساً لاسيما إذا اقترن بالتكرار، وقد تنبه لهذا المربون من الأجانب وأطالوا البحث فيه، واستعملوه في تلقين المبادئ التي يريدون الشباب عليها.

ولو كانت القصة معروضة عرضاً مدرسياً، يخاطب العقل الواعي لحفظتها

(١) راجع كتابي «تعريف عام بدين الإسلام».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«الذاكرة» لتقدمها إلى العقل عند الطلب فيعمل فيها، مناقشة وبحثاً وتشكيكاً، ثم تنساها على مر الأيام، كما ينسى التلميذ إذا كبر دروس المدرسة التي وعاها وامتحن فيها، ولكنه لا ينسى توجيهات المدرس، التي تجيء عفواً، وإني لأذكر الآن، والله، من هذه التوجيهات العارضة، أشياء سمعتها في المدرسة خلال أيام الحرب العالمية الأولى.

وقد ظن قوم ضلوا وزلوا، أن قصص الأنبياء في القرآن، كقصص الأدباء من أمثال إسكندر دوماس وشارلز دكنز، يراد بها العبرة ولا يحرص فيها على الحق[1] وهذا كلام باطل وجميع تلكم الكتب (إلا ما كان سماوياً وبقي كما نزل)، مهما سما فيها الفكر، ومهما رقت فيها العاطفة، كتب أرضية منبثقة من حياة الإنسان على هذه الأرض، محدود ما فيها بحدود هذه الحياة لا تعرف ما قبلها، ولا ما بعدها، لا تعرض له ولا تشير إليه، إلا بأصابع الخيال الذي لا تدعمه حقيقة، أو التوهم الذي لا يسنده دليل، والقرآن يشمل موضوعه ما قبل هذه الدنيا، وما بعدها، ويخبرنا معشر البشر (ولم نكن لنعلم لولا أن علمنا): من أين جئنا، ما أصلنا وإلى أين نمضي، وما مصيرنا.

فإن نظرنا إلى الموضوع، وجدنا القرآن وحده من بين تلك الكتب جميعاً هو الذي يحوي الدستور الكامل، للحياة الفردية والجماعية، الجسدية والروحية، ولحياة المجتمع المالية والاجتماعية والأخلاقية، والحكومية، حياته هذه القصيرة على الأرض، وحياته المقبلة في الآخرة.

بل إن من عجائب القرآن، أن هذا الدستور قد أجمل في أربع عشرة كلمة فقط، نعم أربع عشرة كلمة هي: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ

(١) منهم خلف الله في أطروحته التي طلب بها شهادة الدكتورية، وكنت تلك السنة (١٩٤٧م) مقيما في مصر موفدا من وزارة العدل في الشام إلى إدارة التشريع في مصر، وكنت أشرف على مجلة «الرسالة» لمرض صاحبها الأستاذ الزيات رحمه الله، فأثرتها عليه حربا تطاير شررها وانتشر خبرها، ووصلت إلى القضاء في دعوى أقامها علي الشيخ أمين الخولي، وكانت النتيجة أن رفضت الأطروحة تلك السنة، ومن رجع إلى مجلة «الرسالة» لسنة ١٩٤٧ وجد تفصيل الخبر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ .

يبدأ بالتذكير بحقيقة نعرفها ونوقن بها، ولكننا قد ننساها، هي أن رأس المال للإنسان، عمره، فكلما مر عليه يوم خسر منه يوماً، حتى تجيء ساعة الموت فيكون الخسر الكامل، لهذا أقسم بالعصر (أي الزمان) لا تعظيماً له كما يقسم البشر، بل للتنبيه إليه.

نخسر بالموت لأننا نترك كل شيء ونمضي. ولكن منا من لا يشمله هذا الخسر، هو الذي يحمل معه من خيرات هذه الدنيا ما ينتفع به في الآخرة، أولئك هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ثم يضع لنا المنهج العام للمبدأ وللتطبيق، للفرد في نفسه وللجماعة فيما بينها، فالمبادئ منها ما هو حق وما هو باطل، فالمؤمن يتمسك بـ «الحق»، والمتمسكون بالمبدأ الحق منهم من لا يصبر على مشاق التطبيق، فالمؤمن يحرص على «الصبر» عليها، حتى يطبقه تطبيقاً كاملاً.

ثم لا يكتفي كل واحد بنفسه، بل يتعاونون عليها و«يتواصون بها»[1] فيصلح الأفراد ويصلح بهم المجتمع.

هذا من حيث مجموعه، ومن حيث موضوعه.

أما أسلوبه فأسلوب مفرد، ليس في كل ما عرف البشر من كتب كتاب آخر له مثل هذا الأسلوب الذي جاء جديداً، وبقي جديداً، لأنه لم يقلد ولم يحتذ، ولم ينسج أحد على نوله، والقرآن يدور كله على وصل الإنسان الفاني بالله الباقي، بتوحيده وتذكره، وتجنب إشراك غيره في الألوهية معه، أو توجيه العبادة إلى سواه وعلى وصل هذه الحياة الفانية بالحياة «الآخرة» الباقية بالإيمان بها، والاستعداد لها، والعمل على ما ينفع فيها.

ولكنه لا يفصل بين الدين والدنيا، كما يفعل أتباع الديانات الأخرى[2] إذ يجعلون من الناس «رجال دين» يسلكون طريق الدين، ورجال دنيا أي رجال علم وسياسة ومال، فكل مسلم بنظر القرآن رجل دين مادام متمسكاً به، قائماً بواجباته

---

(١) لي تفسير مفصل لهذه السورة هذه خلاصته. أذعته في رمضان من عام ١٩٦٠ من إذاعة دمشق.
(٢) ودين الحق واحد: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومبتعداً عن محرماته، ورجل دنيا ما دام يبتغي فيها (من الحلال وحده)، العز والقوة والمال، ويقوم فيها بجلائل الأعمال.

وإذا كان طريق الدنيا وطريق الآخرة عندهم، كطريق قطر وطريق العراق للساكن في الكويت مثلاً، فمثالهما في القرآن كطريق العراق وطريق اسطنبول[١]، لا يختلفان بالاتجاه بل بالامتداد، فطالب الدنيا يقف عندها، ولا يجاوزها، وطالب الآخرة يتخذ الدنيا محطة في طريقه إليها يتزود منها لها.

هذه مقاصد القرآن، ولكنه خلال ذلك، يلم بكل ما يحتاج إليه الإنسان من أدوات توصله، إلى الكمال «الممكن» في الفكر والجسد والعاطفة والخلق الكريم، يمزجها مزجاً مفرداً، بأسلوب هو الغاية في الجمال فتصل به إلى منطقة اللاشعور (inconseience) أي العقل الباطن، حتى إذا استقرت فيها، ظهر أثرها في فكر الإنسان وعاطفته وسلوكه، ومجموع أعماله، لذلك «وبذلك» بدل الإسلام العرب، حتى ولدوا به في التاريخ ولادة أخرى، وخذوا مثالاً على ذلك عمر، وتصوروا ماذا بلغ لما أسلم، وماذا كان لو لم يسلم[٢].

ما فرط القرآن في شيء، ولكن ليس معنى هذا أن فيه حل تمرينات الحساب في دفتر التلميذ، وإعراب أبيات الاختبار في كتاب القواعد، وبيان عدد جبال البرازيل وطول أنهار فرنسا، القرآن لا يقدم إليك صندوق التفاح، بل يعطيك الأرض والخبرة التي تملك بها شجرة التفاح، لا يذكر لك قوانين الفيزياء بل يمنحك العقل ويرشدك إلى استعماله في معرفة قوانين الفيزياء، والفرنسيون يقولون في أمثالهم: «من أهديت إليه سمكة أشبعته يوماً، ومن تعلمه صيد السمك تشبعه كل يوم».

القرآن يدعو للتدبر والتفكر وإعمال العقل، في فهم آيات القرآن، وفي معرفة أسرار الأكوان، خبرنا بأنه وضع لكل شيء قانوناً، وأعطانا أبصاراً وعقولاً،

(١) أصلها «إسلام بول» أي «بلد الإسلام» سماها بذلك السلطان محمد الفاتح رحمه الله.

(٢) لي كتاب كبير عن عمر جمعت فيه أخباره كلها مع ذكر مصادره بالجزء والصفحة طبع سنة ١٩٣٥ ثم عدلته وسميته أخبار عمر طبع سنة ١٩٥٩ ولا يزال يطبع.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقال لنا: ﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (يونس: ١٠١). أنزل لكل داء دواء وقال، ابحثوا عن الدواء للداء، اكشفوا سنن الله وقوانينه في هذه الدنيا، واعرفوا «الطبيعة» التي طبعها عليها.

علم المسلم قبول التحدي والمناظرة العقلية والخضوع للبرهان القاطع، وأن نكلف الخصوم إبراز دليلهم إن كان لهم دليل ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١) لأن الدعوى بلا برهان حقها الرفض.

وأن نقول الحق ولو على أنفسنا، أي أن نخضع رغباتنا وشهواتنا، وآلامنا ولذاتنا لحكم الحق.

والقرآن يعلل أحكامه وأوامره، في العقائد الأساسية التي هي من البديهيات[1] ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ (الأنبياء: ٢٢) وفي الشرائع ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ (النساء: ٣).

ويشير إلى القوانين الاجتماعية، إشارته إلى القوانين الطبيعية، وإلى أنها من سنن الله الثابتة ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ (آل عمران: ١٣٧).

هذا قانون إلهي اجتماعي: الذين يكذبون الحق، ويرفضونه، ويسلكون غير سبيله تكون عاقبتهم الهلاك ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ (البقرة: ٢٠٥) وهذا أيضاً قانون.

ويمنع الاعتقاد بالخرافات، أي النتائج المتوهمة، لمقدمات غير مسلمة، أي ما ينافي التفكير العلمي من الاعتماد على المصادفات، كالاستقسام بالأزلام، والأوهام كالبحيرة والسائبة، وتصديق الدجالين من المشعوذين، واتخاذ أسباب لا تؤدي بطبيعتها إلى المسببات، كالحجب والتمائم، فهو بذلك يحرر الإنسان من عبودية الخرافات.

ويجعل المؤمن لا يصدق إلا بأحد اثنين: بما ثبت لديه ثبوتاً عقلياً مستنداً إلى الحس الصحيح، أو التجربة المضطردة. وبما جاء به الخبر اليقيني.

---

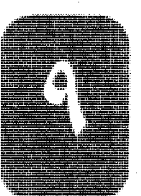
(١) انظر كتابي «تعريف عام بدين الإسلام».

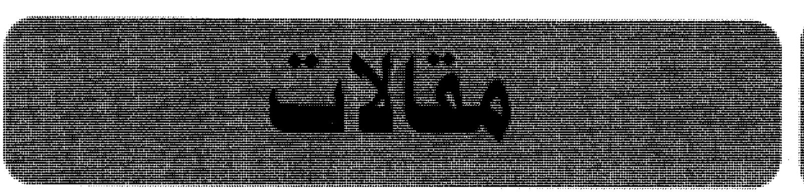
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهو دستور، ودستور الدولة في المادة يحدد الحدود العامة، ويبين الأهداف الكبرى ولكن لا يدخل في التفصيلات إلا في حالات خاصة لها ما يدعو إلى إدخالها في الدستور، فالدستور ينص على أن اللغة الرسمية للدولة هي العربية مثلاً، وعلى وجوب الاعتناء بها، لكن لا يشرح عمل اسم الفاعل والصفة المشبهة. وعلى أن القضاء مستقل، ولكن لا يحدد مدد التبليغ وطريقة التنفيذ وكذلك القرآن قال لنا: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ (النساء: ٣٨) وترك لنا اختيار الطرق والأساليب للوصول إلى تحقيق العدل.

* * *

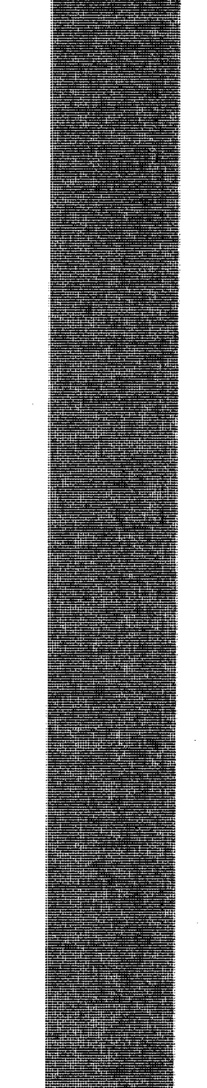
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





٩ مقالات

الشيخ نديم الجسر



❑ ترجمة الشيخ.

❑ المقالات:

١- شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين.

العدد (٧) رجب (١٣٨٥هـ)، نوفمبر (١٩٦٥م).

٢- الإيمان ضرورة إنسانية.

العدد (١٤) صفر (١٣٨٦هـ)، مايو (١٩٦٦م).

٣- نحن والشباب المثقف.

العدد (٢١) رمضان (١٣٨٦هـ)، ديسمبر (١٩٦٦م).

٤- وتحسبونه هيناً.

العدد (٢٩) جمادى الأولى(١٣٨٧هـ)، أغسطس (١٩٦٧م).

٥- ركائز التفكير الإسلامي (١).

العدد (٣٢) شعبان (١٣٨٧هـ)، نوفمبر (١٩٦٧م).

٦- ركائز التفكير الإسلامي (٢).

العدد (٣٤) شوال (١٣٨٧هـ)، يناير (١٩٦٨م).

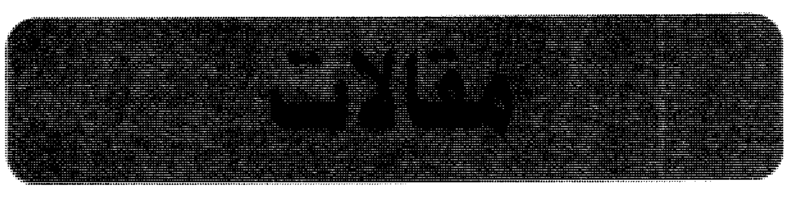
٧- حول مؤتمر القمة.

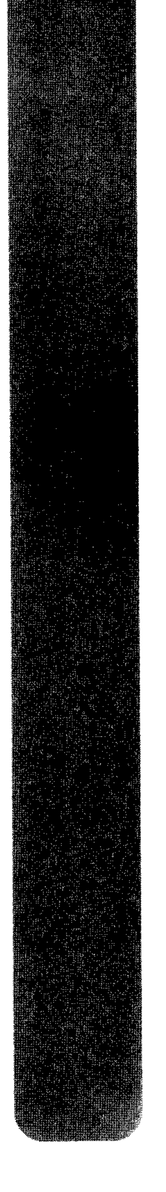
العدد (٣٧) محرم (١٣٨٨هـ)، مارس (١٩٦٨م).

٨- بشائر عن معركة المصير (١).

العدد (٤٨) ذو الحجة (١٣٨٨هـ)، فبراير (١٩٦٩م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





الشيخ نديم الجسر

٩- بشائر عن معركة المصير (٢).

العدد (٥٠) صفر (١٣٨٩هـ)، إبريل (١٩٦٩م).

١٠- ما وجدت لتبقى.

العدد (٨٩) جمادى الأولى (١٣٩٢هـ)، يونيو (١٩٧٢م).



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الكاتب

الشيخ نديم الجسر

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١٨٩٧ـ ١٩٨٠م)

● **حياته**

هو نديم بن حسين بن محمد بن مصطفى الجسر. ولد بطرابلس عام ١٨٩٧م، لأسرة مصرية الأصل، تلقى علومه الأولى على يد والده الشيخ **حسين الجسر** الذي كان عالماً مؤسساً للمدرسة الوطنية، ومحرراً في جريدة طرابلس، ثم كفله شقيقه الشيخ محمد الجسر الذي كان نائباً عن المدينة ويعتبر من أبرز رجال السياسة في طرابلس.

أنهى الشيخ نديم دراسته في حمص بسوريا، ثم أكملها في بيروت وبعدها التحق بالعمل في سلك القضاء. استُدعي إلى الخدمة العسكرية الإجبارية، في الجيش العثماني عام ١٩١٦م وخدم في الحجاز والسويس حيث وقع أسيراً بيد القوات الإنجليزية التي سجنته في القاهرة ولم يخرج إلا بعد وساطة من الشريف حسين، ثم عاد إلى طرابلس وعمل كاتباً في سراي المدينة عام ١٩٢٢م ثم عينه المفوض السامي كاتباً في المحكمة، ثم رقي إلى رئيس قلم، إلى أن عين قاضياً ثم مدعياً عاماً.

وبعد وفاة أخيه الشيخ محمد الذي ترشح لرئاسة الجمهورية اللبنانية، استقال الشيخ نديم وتعمم جرياً على التقليد العائلي وحفاظاً على مركز العائلة الديني وتمسكها بدورها القيادي في المدينة. انصرف إلى التدريس في جامع طينال.

ثم ترشح للانتخابات وفاز بمقعد في البرلمان عام ١٩٥٧م، وعلى إثر وفاة مفتي طرابلس الشيخ كاظم ميقاتي، تم انتخاب الشيخ نديم مفتياً للمدينة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **عمله**

تولى الشيخ رحمه الله عدة مناصب منها:

مستشار بمحكمة الاستئناف.

عضو بمجلس العدل والقضاء الشرعي.

عضو بمجلس النواب اللبناني عام ١٩٥٧م.

مفتي شمال لبنان وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

● **مؤلفاته**

للشيخ رحمه الله العديد من المؤلفات منها:

شرح قانون الجزاء.

الموجز في الفلسفة العربية.

قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن.

فلسفة الحرية في الإسلام.

أرجوزة في علم المواريث.

الإسلام في العالم المعاصر.

القرآن والسنة في التربية الإسلامية.

شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين.

ركائز التفكير الإسلامي.

قانون السببية عند الغزالي.

ألفية الجسر في علم أصول الفقه.

● **وفاته**

توفي الشيخ نديم الجسر عام ١٩٨٠م وصلي عليه في طرابلس ودفن فيها بعد حياة حافلة بالأنشطة الدينية والسياسية.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين(١)

العدد (٧) رجب (١٣٨٥هـ)، نوفمبر (١٩٦٥م).

نحن أمام ظاهرة اجتماعية خطيرة يشكو منها العالم الإسلامي بأسره، هي أن أكثر شبابنا المثقف بالثقافة العلمية العالية هم أقرب إلى الإلحاد، وأن القلة المؤمنين منهم أميل إلى إهمال العبادات والشعائر. هذه الظاهرة بدأت مع عصر النهضة العلمية في بلاد العرب والإسلام، وأخذت تزداد خطراً كلما ازدادت النهضة انتشاراً وازدهاراً، وقد منيت بالفشل كل المحاولات التي قام بها المصلحون في سبيل معالجتها.

ولكي نتوصل إلى دراسة صحيحة لأسباب هذه الظاهرة المزدوجة المتجلية بالإلحاد وإهمال الشعائر، علينا أن ندرس شخصية شبابنا، والمحيط الذي يعيشون فيه، والأفكار التي تغزو عقولهم، فشبابنا في عقله وجسده وميوله وأخلاقه يقف حائراً مرتبكاً بين عدة تيارات: سلطان العقل. أوهام العقل، سلطان العلم. أوهام العلم.

سلطان الجهل بحقيقة الإسلام، عدوى الملحدين. كيد المستعمرين. أخطاء المستشرقين والمؤرخين. العقد النفسية. فساد المحيط.

هذه أسباب ظاهرتنا الغريبة، نراها كثيرة معقدة ومتشابكة، منها الخارجي، ومنها الداخلي المحلي، ومنها العقلي، ومنها النفساني، ومنها الذي يستشري في قطر أكثر من قطر آخر، ومن كل هذا التعقيد والتشابك والتنوع والظهور والخفاء - كان الفشل في العلاج، فما لم نقنع شبابنا بأن الإيمان بالله هو من أصدق وأوجب

---

(١) ملخص البحث الذي ألقاه فضيلته في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية الذي انعقد بالقاهرة في شهر المحرم الماضي، وقام بالتلخيص مندوب المجلة في القاهرة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحكام العقل، وما لم نقنعهم بأن قضايا الدين لا تتناقض مع العقل ولا مع العلم لن يكونوا مؤمنين، وما لم نيسر لهم التربية الصالحة، والمعرفة الميسرة والقدوة الكريمة لن يكونوا عاملين .

● سلطان العقل في الإسلام

إن مزية الإسلام هو أنه قد جعل للعقل السلطان الأعلى في فهم النصوص المنزلة. .

هذا العقل الذي أمرنا الله في آيات كثيرة من القرآن أمراً قاطعاً أن نحتكم إليه عند جدلنا مع أنفسنا في معركة الشك - واليقين، وعند جدلنا مع غيرنا من الملحدين والمشركين، يشمل بسلطانه كل معنى في الوجود، ابتداء من أبسط الأمور، كإماطة الأذى عن الطريق إلى أعظم معنى في الوجود وهو الألوهية والوحدانية، وليس في الإسلام إيمان يتناقض مع العقل ولا نص يتناقض مع العقل، فكل نص يوجب ظاهره تناقضاً عقلياً في الذهن يتحتم علينا تأويله تأويلاً يرتفع به التناقض العقلي.

● أوهام التعقل

لابد لي قبل أن أضرب الأمثلة على سلطان العقل في قضايا الإيمان والدين أن أكشف النقاب عن أوهام التعقل مبيناً الفرق:

١ - بين المستحيل العقلي والمستحيل العادي.

٢- استحالة التعقل وصعوبة التصور.

٣- بين حكم عقلي عام تتفق عليه كل العقول السليمة، وبين نظرة فردية خالصة تختلف بشأنها العقول السليمة.

٤- بين الحقائق العلمية والمقطوع نهائياً بصحتها، والآراء العلمية غير المقطوع نهائياً بصحتها، والتي تبزغ وتظهر على مسرح التفكير حقبة من الزمن ثم تخبو إلى الأبد.

إن الخلط بين هذه الحقائق والفوارق هو من أوهام التعقل التي يقع في أغاليطها كثير من الناس، حتى المثقفون بأعلى الثقافات، فمن الواجب على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشاب الذي يدخل في جدل مع نفسه، أو غيره، حول أية قضية دينية أن يقف تمام الوقوف على هذه الفوارق كي لا يقع في أوهام التعقل.

فالمستحيل العقلي هو الذي يوجب تصور وجوده أو تصور عدمه تناقضاً عقلياً في الذهن كقولنا: الواحد نصف الثلاثة أو الجزء أكبر من الكل. أما المستحيل العادي: فلا يوجب تصور حصوله أو عدم حصوله تناقضاً عقلياً في الذهن ولكن جرت العادة أن نعده مستحيلاً في العادة: كخرق النواميس الكونية بالمعجزات الإلهية. كذلك نقول عن الفرق بين استحالة تعقل الشيء وبين صعوبة تصوره: كم من حقيقة يمكن تعقلها ولكن يصعب على الذهن تصورها: كعدد ذبذبات الصوت التي أثبت العلم أنها قد تبلغ بالحساب الدقيق القاطع إلى نصف مليون ذبذبة في الثانية فيمكن تعقل هذه الحقيقة ولكن لا يمكن تصورها مطلقاً في الذهن لأننا مهما جمعنا خيالنا وركزنا لا نستطيع أن نتصور أن ثانية من الزمن تتسع لنصف مليون ذبذبة ولكن يجب ألا تحملنا صعوبة التصور على القول باستحالة التعقل، فما كل شيء يصعب تصوره يكون مستحيلاً عقلاً ولا كل معقول يسهل تصوره.

كذلك نقول عن الفرق بين النظر العقلي العام الذي تتفق على صحته كل العقول السليمة بلا خلاف وبين النظرة الخاصة التي تختلف فيها العقول. فلا يقولن الشاب أثناء الجدل العقلي على قضية من قضايا الدين: هذا رأيي وهذا عقلي لأننا نقول له: عقلك وحدك ليس حجة على الحكم الصحيح، ولكن اتفاق كل العقول هو الحجة.

كذلك نقول عن الفرق بين الحقائق العلمية المقطوع عقلياً ونهائياً بصحتها، وبين الآراء والنظريات العلمية الظنية المرجحة التي لم يقم دليل قاطع على صحتها ويحتمل أن تظهر أدلة جديدة تنفي صحتها وتوجب بطلانها، والأمثلة كثيرة: كروية الأرض، حركة الشمس، الجاذبية الكهربائية، أوهام التاريخ التي تلبس ثوب الحقيقة القاطعة، فعلى الشباب ألا يبنوا آراءهم النهائية وجدلهم في إنكار القضايا والأخبار الدينية على أساس آراء علمية خاطئة أو ناقصة، يظنونها حقائق علمية ثم يظهر لهم بعد ذلك أن هذا الأساس الذي بنوا عليه جدلهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجحودهم وإلحادهم، هو أساس باطل، تعبوا في البناء عليه، ثم لما ظهر الحق خر البناء من القواعد.

● أمثلة على سلطان العقل في الإسلام

١- قضية وجود الله الخالق لهذا الكون: هي حقيقة ذكرتها الكتب المنزلة، وعند عرضها على العاقل، نجد أن إقرارها لا يشكل تناقضاً عقلياً، بل إنكارها هو الذي يشكل تناقضاً عقلياً، لأنه يجعل العالم الممكن الحادث المعلول موجوداً، بغير علة ولا فاعل، وهذا مستحيل يشكل تناقضاً عقلياً فاضحاً، أو يجعل المعلول عين العلة، هذا أيضاً مستحيل يشكل تناقضاً عقلياً فاضحاً، وعن هذين المستحيلين عبر القرآن بقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الطور: ٣٥).

٢- والوحدانية حقيقة ذكرتها كل الكتب السماوية: وعند عرضها على العقل نجد أن إقرارها لا يوجد تناقضاً عقلياً بل القول بتعدد الآلهة هو الذي يشكل تناقضاً عقلياً.

٣- قضية المعجزات التي ذكرتها الكتب السماوية: وعند عرضها على العقل لا نجد أن تصور حصولها يوجب تناقضاً عقلياً، بل ادعاء استحالتها استحالة عقلية لا عادية، هو الذي يوجب تناقضاً عقلياً عند من يؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق النواميس، لأن المعجزات هي خرق النواميس الكونية، وهذا الخرق مستحيل في العادة ولكنه غير مستحيل عقلاً لأن الذي خلق النواميس قادر على خرقها، ونحن نستنكر تفسير المعجزات الإلهية تفسيراً علمياً لأن هذا التفسير يفقد المعجزة معناها ويرد الشباب المثقف الذي نريد حمله على تصديق المعجزة إلى نكسة عقلية في معجزات يستحيل تفسيرها على أساس علمي.

٤- قضية البعث التي ذكرها وأكدها القرآن: عند عرضها على العقل لا نجد أن تصور حصول البعث يوجب تناقضاً عقلياً، بل القول باستحالة حصول البعث هو الذي يوجب تناقضاً عقلياً، لأن البعث هو خلق جديد، والذي خلق الإنسان أول مرة قادر على إعادة خلقه بل هو أهون عليه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- **تيسير الفهم والتفهم**

إن تيسير فهم النصوص، وفهم حكمة أحكام الدين، له أثر كبير في جذب الشباب المثقف نحو القيام بالعبادات والشعائر، وشبابنا مسدودة في وجوههم أسباب هذا التيسير للفهم من كل النواحي: في البيت، في المدرسة، بالكتب الضخمة التي يجفل الشباب من مجرد رؤيتها بل يعسر فهمها حتى على بعض علماء الدين، ومسدودة بجمود كثير من المسلمين المرشدين الذي يقابلون كل سؤال بغضبة، وكل استفهام بلعنة، وكل بحث عن المعقول بالتكفير، وأضرب على عدم تيسير الفهم مثلاً بسيطاً: فهذا القرآن الذي يخاطب العرب بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ (يوسف: ٢).

فيه أكثر من ألف كلمة عربية لا يعرف شبابنا المثقف معناها اللغوي، وهو يسمعها في كل يوم وليلة من الإذاعات فكيف الحال مع غير العرب؟

يجب أن نضع بين أيدي الشباب كتباً دينية واضحة سهلة جذابة وأن نقيم على تعليمهم في المعاهد أساتذة يحسنون الفهم والتفهيم، ويدركون أساليب التربية الفنية، ولهم صدور واسعة، وعقول نيرة، وثقافات تتناسب مع ثقافة الشباب المعاصر.

- **المثقفون والخرافات**

ومن أعظم ما ينفر الشباب المثقف من الدين تلك البدع والشوائب والخرافات التي ألصقت بالإسلام وهو براء منها، وليس أدل على بعد الإسلام وترفعه عنها من هدي القرآن والسنة الصحيحة، وهما المنبعان الأصيلان للتشريع فإذا تصفح الشباب القرآن وجدوا أنه في كل سورة بل في كل صفحة يعلي كلمة الحق، ويجعل العقل إليه هادياً والعمل عليه دليلاً، والعلماء عليه شهداء، ويحذر من الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً، ويستهزئ بالخرافات والأساطير، ويفصل فصلاً صارماً بين الألوهية والبشرية، ويخوف أشد التخوف من الشرك الخفي، ويجعل صلة العبد بالله من غير وسيط .

وإذا تصفح الشباب السنة الصحيحة وهي هدي الرسول قولاً وعملاً، وجدوا

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أنه ﷺ كان أبعد الناس عن أوهام الخرافات، وأشدهم إنكاراً للتنجيم والعرافة والشعوذة والاستجارة بغير الله، كان أعظم الناس تبرّأً من كل ما يرفعه عن مستوى البشرية والعبودية لله، كان ﷺ أكثر الناس ذكراً لله ولكنه لم يخرج عن سمت الوقار والإخبات إلى هرج الطقوس والحركات والرقص، وكان أعظم الناس زهداً وتقشفاً، لكنه لم يخرج في زهده وتقشفه وتصوفه- إذا جاز هذا التعبير -، عن بساطة الإخلاص إلى تعقيد الرياء الذي سرت طقوسه إلى المسلمين من الأمم التي اختلطوا بها بعد الفتح.

● عقدتا الكبت والتقنيط

من أسباب انصراف الشباب عن ممارسة الشعائر عقدتا الكبت والتقنيط، فالطريقة التي بها ساق الأب ابنه في صغره أو المعلم في المدرسة، إلى إقامة الشعائر، سببت له كبتاً نفسياً جعله ينفر من الشعائر، هذا الكبت النفسي، يجب أن يحل محله التشويق والترغيب والإيحاء والاستهواء بالنسبة للصغار، أما الشباب البالغون، فمن أهم أساليب الإيحاء لهم أن تعمل الجماعات الرياضية والكشفية وأمثالها على إدخال إقامة الصلاة وصيام رمضان في نظامها، وأخيراً يجدر بنا ونحن ندرس عقدة الكبت أن نيسر لهم أمر التطهر بالماء وبغير الماء عند المانع كي يستسهلوا الصلاة، ويتعودوا عليها[(١)]، وأن نيسر لهم أيضاً الجمع بين الصلاتين عند العذر أخذاً لمذهب الحنابلة، في هذا العصر عصر الكدح السريع المرير.

والشبان بحكم مرح الشباب وفورته وجموحه ولهوه، لابد أن تكون لهم مزالق في حياتهم، فإذا سمعوا من الوعاظ أهوال المنذرات تكونت في صدورهم عقدة القنوط، ولو أن الوعاظ اتبعوا نهج القرآن في الترغيب والترهيب لفتحوا لذلك الشباب في جدار يأسه كوة ينفذ منها إلى الأمل، ويخرج منها إلى التوبة.

إن الخطر الكامن خلف عقدة القنوط، هو أن تتكون عند الشباب المسترسل في الإلحاد والفساد لذة التنفيس عن نفسه بطرائق ثلاث: الجدل في الإلحاد،

(١) في حدود ما بينه فقهاء المسلمين الذين يعتد برأيهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاستهزاء بالشعائر، ثم جر الرفاق إلى الانزلاق .

ولقد سرت إلى شبابنا المثقف عدوى التقليد بعد أن قرأ تاريخ النزاع الطويل بين المفكرين ورجال الدين في أوروبا، الذي انتهى عند بعض المفكرين إلى الشك، وانتهى عند الماركسية المادية إلى الكفر والإلحاد، واحتقار الشعائر الدينية ومحاربة الدين ورجاله .

إن شبابنا الذي فتحت في تفكيره هوة من الفراغ بسبب ما يحمل في رأسه من غرور العقل وأوهام التعقل والجهل لحقيقة الإسلام، وما يحمل في صدره من عقد الكبت والقنوط أصبح بحاجة طبيعية لملء هذا الفراغ بأية فكرة تلائم نفسيته، فانجرف مع تقليد الغربيين في شكوكهم ثم زادته المشاكل الاقتصادية المعاصرة فراغاً فانجرف مع تقليد الماركسية بشيوعيتها وإلحادها.

● **عقدة التخاذل والاستخذاء**

وهي تظهر عند بعض الشبان الذين لم تتحمل رؤوسهم زهد الثقافة، فتخلوا باسم التقدمية عن شعائر دينهم وعزتهم الإسلامية في آن واحد، وهؤلاء المخاذيل ليسوا كلهم ملحدين بل قد يكونون في قرارة أنفسهم من المؤمنين، ولكن إذا ضمتهم المجالس والنوادي مع الإفرنج والمتفرنجين أظهروا من باب التفاخر بالتقدمية العصرية أنهم لا يبالون بشعائر الدين ولو كان أحدهم منتسباً إلى فرقة رياضية صغيرة، أو حزب سياسي هزيل أو حزب عقائدي ملحد، لرأيته يحمل شارتها ويرفع شعارها، ويفخر بها ويدافع عنها، ولكنه وهو المنسوب إلى أمة عظيمة لها في تاريخها ما يرفعها في كل مستويات المثل العليا فوق الأمم يتعير منها ومن شعائرها وتقاليدها، هذا الاستخذاء سببه جهل شبابنا للتاريخ ولو زعموا أنهم قرأوه واجتازوا به الامتحانات بجدارة.

وربما كان من أعظم أسباب ضعف الإيمان عند الشباب سوء القدوة في البيت والمدرسة والمسجد، ذلك لأن القدوة إنما تبنى على الاحترام والثقة، وما لم يكن للشباب في قرارة نفوسهم احترام لرجل الدين وثقة بعلمه وخلقه قولاً وعملاً، لا يمكن أن يتخذوا منه قدوة، بل يكون غير الصالح من رجال الدين سببا لتجريء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشباب على الإلحاد، وعلاج هذا الأمر يحتاج إلى إعداد جيل كامل من رجال الدين يتولى هو بدوره تخريج جيل من الآباء والأمهات والمعلمين الصالحين للقدوة، لتستكمل الحلقة دورتها.

● **سلطان الرأي العام**

إن أولئك المصابين من شبابنا بتلك العقد، والذين بلغ الأمر بهم إلى حد إعلان الإلحاد والاستهزاء بالدين، وإغواء الآخرين وتخذيل الأمة، هم مرضى، يجب أن نعالجهم كما نعالج كل الأمراض النفسية، والعقلية، أي تارة بالإيحاء والاستهواء والإرشاد، وتارة بشيء من القسوة، وعلاج القسوة من عمل الرأي العام، هذا الرأي العام الذي وضع به التشريع الإسلامي أعظم ركائز الإصلاح والزجر في المجتمع، فلو أن الرأي العام درج على إظهار الاستنكار والاحتقار للجاهرين بالإلحاد لأحدث ذلك أثراً عظيماً في الإصلاح.

● **وأخيراً. . .الإيمان بالله ضرورة**

إن آخر طرق العلاج مع الشباب المثقف، بل أولها عند البعض، أن نقنعهم بجدوى الإيمان وأنه ضرورة إنسانية في فلسفة «البراغماتيزم» أي فلسفة الذرائع. إن الفكرة إنما تكون حقاً لأنها نافعة، وإنما تكون نافعة لأنها حق، وإن الحق والنافع يعبران عن شيء واحد، هذه الفلسفة التي تتخذ من القيمة العملية للفكرة مقياساً للحقيقة ليست صحيحة في أساسها وليس هذا مقام الكشف عن جوانب الخطأ فيها، ولكننا نتخذ منها منطلقاً لطرح السؤال الآتي:

هل نبدأ التفكير في الحق أولاً لنستخرج منه النافع أم نبدأ التفكير في النافع الضروري لنقول عنه إنه حق؟

أرى أن نبدأ بالثاني ولكن من أي جوانب النفع والضرورة نمسك خيوط الجدل مع هذا الشباب الذين تحيط بهم الشكوك في الدين من كل جانب؟

لاريب أن البداية يجب أن تكون أمراً نتفق نحن والشباب على أنه «حق وضرورة» فما هو هذا الأمر؟ إنه «إنسانيتنا» التي يمكن أن يجادل الشباب في كل شيء إلا فيها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقول الفيلسوف الإسلامي الكبير، ابن مسكويه، إن المزية الوحيدة التي يتميز بها الإنسان عن الحيوانات كلها هي «مكارم الأخلاق». كأن يقال: إن الإنسان يمتاز عن الحيوانات بمزية واحدة هي «النطق أي العقل». ولكن التحقيق العلمي أثبت أن الحيوانات لا تخلو من عقل تدرك به كثيراً من أمور معيشتها لذلك صار علينا أن نبحث عن مزية أخرى خاصة، يمتاز بها الإنسان عن الحيوان، وبها يسمى إنساناً، وهذه المزية الخاصة هي الأخلاقية التي تتجلى بالضمير الإنساني. وجاء «دارون» بعد ابن مسكوية بعصور يقول: إن الضمير أو الحي الأخلاقي هو أظهر فاصل يفرق بين الإنسان والحيوان، وجاء «كانط» يتخذ من هذا الشعور الأخلاقي منطلقاً لإثبات خلود الأرواح ويوم الحساب ووجود الله الحكم العدل.. هذا الضمير الأخلاقي إنما يصونه الصيانة الكاملة شيء واحد: وهو الإيمان بوجود الله الحكم العدل القدير.

فتحقيق إنسانيتنا ضرورة اجتماعية، وإنسانيتنا لا تتحقق إلا بأخلاقيتنا، وأخلاقيتنا لا تصان إلا بالإيمان، فالإيمان إذن، أمر ضروري لأنه يمسك أخلاقيتنا التي تثبت بها إنسانيتنا.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإيمان ضرورة إنسانية

العدد (٧) رجب (١٣٨٥هـ) - نوفمبر (١٩٦٥م).

في فلسفة البراغماتيزم، التي سموها بالعربية «فلسفة الذرائع» أن الفكرة إنما تكون «حقاً» لأنها «نافعة»، وإنما تكون نافعة لأنها حق. وأن «الحق والنافع يعبران عن شيء واحد». أي أن القضية تصبح حقاً عندما تبررها العواقب. فنحن في زعم البراغماتيزمية الأميركية نخلق «الحقيقة» ونخلق «الحقيقي» حسب حاجة المجتمع.

إن هذه الفلسفة التي تتخذ من القيمة العملية للفكرة مقياساً للحقيقة، ليس صحيحة في أساسها وليس هذا مقام الكشف عن جوانب الخطأ فيها. ولكننا نتخذ منطلقاً لطرح السؤال الآتي: هل نبدأ التفكير في «الحق» أولاً، لنستخرج منه «النافع» أم نبدأ التفكير في «النافع الضروري» لنقول عنه إنه حق؟ إنني مع الشباب المثقف بالذات، وفي قضية الإيمان بالذات، أرى أن نبدأ بالثاني ولكن من أي جوانب النفع والضرورة نمسك خيط الجدل مع هؤلاء الشباب الذين تحيط بهم الشكوك في الدين من كل جانب؟.

يقول القرآن ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (الكهف: ٥٤) فكيف إذا كان هذا الإنسان من الشباب المزهو بسلاح العلم المجادل في كل القيم؟.

إن السنين الطوال سوف تنضج على جمر العذاب، تفكير الشباب، حتى يصدقوا أن الإيمان «حق وضرورة». ولكننا نريد أن نختصر لهم السنين الطوال، ونوفر عليهم عذاب الندم والحسرة إذا جاءت سكرة الموت بالحق، كما يقول القرآن. فمن أين نبدأ الكلام في أن الإيمان بالله ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية؟.

لاريب في أن البداية يجب أن تكون أمراً نتفق نحن والشباب على أنه «حق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وضرورة». فما هو هذا الأمر؟ إنه «إنسانيتنا» التي يمكن أن يجادل الشباب في كل شيء إلا فيها.

يقول الفيلسوف الإسلامي الكبير «ابن مسكويه» في كتابه الموجز الجليل «تهذيب الأخلاق» إن المزية الوحيدة، التي يتميز بها الإنسان عن الحيوانات الكثيرة كلها هي «مكارم الأخلاق».

ذلك أن كل مخلوق يشترك مع غيره من المخلوقات في بعض الصفات، ويمتاز عنها لنفسه بصفة ومزية خاصة لا يشاركه فيها غيره كالأسد يمتاز بالقوة والفرس بسرعة الجري، والبغل والحمار بحمل الأثقال، والعندليب والكنار بالتغريد، والطاووس بجمال الشكل. إلى غير ذلك.

أما الإنسان فإنه يشارك الحيوانات الأخرى، بصفات الحركة والتغذي والتناسل ويمتاز عنها بمزية واحدة هي «النطق» أي العقل. ومن هنا أطلقوا عليه اسم «الحيوان الناطق» أي العاقل.

ولكن التحقيق العلمي قد أثبت أن الحيوانات لا تخلو من عقل تدرك به كثيراً من أمور معيشتها.

لذلك صار علينا أن نبحث عن مزية أخرى خاصة يمتاز بها الإنسان عن الحيوانات، وبها يسمى إنساناً.

هذه المزية الخاصة هي «الأخلاقية» التي تتجلى «بالضمير الإنساني».

فالحيوان يعقل، وقد ترتقي فيه قوة التعقل، كما في بعض القرود، ولكنه لا يفهم معنى «الأخلاقية» ولا يمكن أن يكون له الشعور الذي نسميه «الضمير».

فأخلاقيتنا إذن هي المزية الوحيدة التي تثبت بها «إنسانيتنا». وإذا خرجنا عن هذه المزية عدنا إلى مرتبة الحيوانات، بل كان كل حيوان بمزيته الخاصة خيراً منا، لأننا فقدنا مزيتنا الخاصة، وليس لنا مزاياه الخاصة.

هكذا قال ابن مسكويه، وهكذا من بعده بعصور، جاء «داروِن» يقول: «إن الضمير أو الحس الأخلاقي هو أظهر فاصل يفرق بين الإنسان والحيوان» وجاء «كانت» يتخذ من هذا «الشعور الأخلاقي» منطلقاً لإثبات خلود الأرواح، ويوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحساب، ووجود الله الحكم العدل القدير.

هذا الضمير الأخلاقي إنما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة الساهرة النافذة من وراء حجب الخفاء شيء واحد وهو الإيمان بوجود الله الحكم العدل القدير.

فتحقيق إنسانيتنا ضرورة اجتماعية، وإنسانيتنا لا تتحقق إلا بأخلاقيتنا، وأخلاقيتنا لا تصان إلا بالإيمان.

فالإيمان إذاً، أمر ضروري لأنه يمسك أخلاقيتنا التي تثبت بها إنسانيتنا.

وأكرر القول للشباب: إن الإيمان بالله هو:

- أس الفضائل.
- ولجام الرذائل.
- وقوام الضمائر.
- وسند العزائم في الشدائد.
- وبلسم الصبر عند المصائب.
- وعماد الرضى والقناعة بالحظوظ.
- ونور الأمل في الصدور.
- وسكن النفوس إذا أوحشتها الحياة.
- وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت أيامه.
- والعروة الوثقى بين الإنسانية ومثلها الكريمة.

فلا يخدعنكم أيها الشباب، من يقول لكم أن مكارم الأخلاق تغني بوازع الضمير عن الإيمان. لأن مكارم الأخلاق التي تواضعنا عليها، للتوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع، لابد لها عند اعتلاج الشهوات في الشدائد والأزمات، أن تعتمد على الإيمان، بل إن هذا الشيء الذي نسميه ضميراً، إنما يعتمد في سويدائه على الإيمان.

وانقياد الناس لمكارم الأخلاق، إنما يكون بزاجر من السلطان أو وازع من القرآن أو رادع من المجتمع فإذا كنا في نجوة من سلطان القانون والدين والمجتمع لم يبق لنا وازع إلا الضمير. ونحن في معركة الشهوات والغرائز مع الضمائر، قل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن نرى الضمير منتصراً إلا عند القلة من الناس، وهذه القلة نفسها لا تستمسك بضمائرها عند جموح الشهوات، إلا إذا كانت تخشى الله.

ولو تركنا مكارم الأخلاق جانباً، ونظرنا إلى حاجتنا للإيمان من حيث هو سند في الشدائد، وبلسم للمصائب وسكن للنفوس، وعزاء للقلوب وعلاج لشقاء الحياة، لوجدنا أننا عند فقد الإيمان، نكون أسوأ حظاً في الحياة، وأدنى رتبة في سلم المخلوقات، من أذل البهائم، وأضعف الحشرات، وأشرس الضواري.

فالبهائم تجوع كما نجوع، ولكنها في نجوة من هم الرزق، وخوف الفقر وكرب الحاجة، وذل السؤال. . . وهي تلد كما نلد، وتفقد أولادها كما نفقد، ولكنها في راحة من هلع المشكلة، وجزع الميتة، وهم اليتامى المستضعفين.

وهي في أجسادها، تلذذ كما نلتذ، وتألم كما نألم، ولكنها في راحة مما يأكل القلوب، ويقرح الجفون، ويقض المضاجع، ويقطع الأرحام، ويفرق الشمل، ويخرب البيوت من المهلكات: كالحسد والكذب والنميمة والفرية والقذف والنفاق والخيانة والعقوق وكفر النعمة ونكران الجميل.

وهي تعرف بنوع من الإدراك، ما يضرها وما ينفعها، ولكنها في نجوة من أعباء التكليف، وأثقال الأوزار، ومضض الشك، وكرب الحيرة وعذاب الضمير.

وهي تمرض كما نمرض وتموت كما نموت ولكنها في راحة من التفكير في عقبى المرض، وفراق الأحباب، وسكرات الموت، ومصير الموتى وراء القبور.

والضواري تسفك الدماء لتشبع بلا سرف، ولكنها لا تسفكها أنفاً ولا جنفا ولا صلفا ولا ترفا ولا علوا في الأرض ولا استكباراً.

أما هذا الحيوان الفيلسوف الضعيف الهلوع الجزوع المطماع المحتال الفخور المترف المتكبر المتجبر السافك الدماء الذي لا يأتيه شقاء الحياة، أكثر ما يأتيه إلا من تفكيره فإنه لا علاج لشقائه إلا بالإيمان.

فالإيمان هو الذي يقويه، وهو الذي يعزيه، وهو الذي يسليه، وهو الذي يمنيه، وهو الذي يرضيه، وهو الذي يجعله إنساناً يسعى إلى مثله الأعلى لتسجد له الملائكة. . ومن دون هذا الإيمان يكون هذا الإنسان المسكين أتعس الخلائق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأسوأها حظاً، وأعظمها شقاء وأشدها بلاء وأحطها رتبة وأرذلها مصيراً.

وسبيله إلى الإيمان هو ذلك «التفكير» الذي كان سبب شقائه. إنه عبد لتفكيره قبل أن يكون عبداً لربه، ولا يكون عبداً لربه حق العبودية إلا بهذا التفكير. الذي ينسج خيوط سعوده ونحوسه في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

لقد خلق الله هذا الإنسان، ورفعه وكرمه وميزه بهذه النفس العاقلة المفكرة التي علمه بها الأسماء كلها، وخلفه بها على الأرض، وصيره بها فوق الملائكة، وكتب الفلاح لمن زكاها، والخيبة لمن دساها. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس: ٧-١٠) فكيف نزكيها؟

إننا نزكيها بالتفكير، حتى تتسامى إلى مثلها الأعلى، وتصل إلى «اليقين» من الحق والخير والجمال، فترى الله عنده.. وتجد من حلاوة الإيمان ما تدرك به سر شقائها وسعادتها، وضعفها وقوتها، وعجزها وقدرتها، وعبوديتها وحريتها.. بل سر خلقها، ووضعها على مفترق «النجدين» وتركيبها على هذه الصورة القابلة «للضدين»، التي من دونها لا يفهم معنى «العبودية» ولا يستقيم معنى «العبادة».

لذلك كان حقاً علينا من باب الحاجة والضرورة، إن لم يكن من باب الحق والعبادة والتقوى، ومن أجل سلامة عقولنا، وسلامة قلوبنا، وسلامة ضمائرنا، وسلامة إنسانيتنا ومثلها العليا وسلامة المجتمع، أن ندعو إلى الإيمان بالله، ونيسره للعقول، ونشرح له الصدور.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نحن والشباب المثقف

العدد (٢١) رمضان ١٣٨٦هـ ديسمبر ١٩٦٦م

أمام هذا الجيل الصاعد من الشباب المسلم، المزهو بسلاح العلم والعقل، المفتون بأقوال المستشرقين، لا يجوز لنا أن نحصر الرد على المتهجمين أو المشككين في مبادئ الإسلام في أن هذا المبدأ موضع إجماع المسلمين، ولا أن نشهر في المعركة أسلحة التفسيق والتكفير لنخنق أصوات الشباب؛ لأن خنق الأصوات يرد الشك إلى صدور الشباب ويجعلهم أكثر حيرة وزيغاً، وتصديقاً لتُهم المشككين من أعداء الإسلام، ولأن هؤلاء المثقفين من الشباب لا يكتفون بالردود السطحية، ولا يبالون بالتهديد والوعيد، ولا يقلعون عن التساؤل والاستفهام إلا إذا يئسوا من قدرة العلماء على الرد القاطع المقنع، ودخلوا- بيأسهم- إلى منطقة الزيغ والكفر لا سمح الله. ولست أدري - والله - سبباً يجعلنا ننكر على الشباب مطالبته لنا بالإقناع العقلي الحر، ونحن أهل دين يجعل للعقل السلطان الأعلى في فهم نصوص القرآن فضلاً عن الحديث.

● توطئة للكلام مع الشباب

وقبل أن أقدم للشباب المثقف ما عندي من وسائل الإقناع العقلي، وقبل أن أنصب لهم الميزان الذي توزن به صحة الأحاديث أو المبادئ الإسلامية يهمني أن أكرر لهم الشيء الذي طالما كررته في كل ما أكتب في الدين، لخير الشباب وهو: التنبيه إلى عدم الخلط بين المستحيل عادة، والمستحسن والمستهجن رأياً وذوقاً.

فالشباب المثقف، الذي يحسن التفريق والتمييز بين هذه المعاني عند التفكير في قضية رياضية أو فلسفية، لا يتورع عن الخلط بينهما عند التفكير في قضايا الإيمان والدين، ومن هنا يأتيهم الإنكار لكثير من الأحاديث الواردة في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصحيحين، بل الزيغ أمام المتشابهات من آيات القرآن، بل ضعف الإيمان بوجود الله.

وإذا كان بعضهم يتعمد هذا الخلط لمجرد المراء والتفاخر بتقليد الملحدين، فإن أكثر الناضجين منهم يقعون في هذا الخلط عن عدم انتباه، بل عن حسن نية وغيرة على الدين، حين يخيل إليهم أن بعض الأحاديث يتناقض مع العقل أو يتنافى مع الحق والخير والمصلحة.

فلهؤلاء أقول، من باب التنبيه لا من باب التعليم لشيء قد عرفوه في دراساتهم الرياضية الفلسفية: إن المستحيل العقلي هو الذي يحدث تصوره تناقضاً عقلياً في الذهن. كقولنا إن الجبل يدخل في الكأس أو أن الجمل يدخل في سم الخياط، كما مثل القرآن، أو إنكارنا أن الواحد نصف الاثنين، أو إنكارنا أن الكل أكبر من جزئه. أما المستحيل العادي فإنه لا يحدث تناقضاً عقلياً في الذهن والكن جرت «العادة» أن نستبعد وقوعه، مثل استبعادنا، قبل اليوم طيران الإنسان إلى السماء وسماع صوت المتكلم من أقصى الأرض، والوصول إلى القمر، وغير ذلك من الأمور التي كنا نحسبها، في العادة، «مستحيلة» ثم تبين أنها «ممكنة» ولذلك سموها المستحيلات العادية.

أما الاستحسان والاستهجان فإنهما لا يصلحان حجة للقطع بحسن الشيء وقبحه إلا إذا كان هنالك إجماع من كل العقول السليمة، كاستحسان الصدق واستهجان الكذب، أو كان هنالك نص ديني قاطع يقضي بهما، ولو خفيت علينا الحكمة بادئ الرأي، كالاستهجان لأكل لحم الخنزير. أما الاستحسان والاستهجان الصادران عن رأي الفرد، لا عن إجماع، وكذلك الاستبعاد الصادر عن رأي علمي لم يبلغ درجة اليقين فإنها كلها لا تصلح أن تكون أساساً للقطع والجزم بعدم صحة الأحاديث الصحيحة.

لأنه قد يكون وراء الرأي الفردي، أو وراء الرأي العلمي، حقيقة من النفع والضرر، أو حقيقة من العلم سوف تظهر لنا، كما ظهرت طبياً حكمة الحديث الآمر بغسل الإناء الذي تلوث بلعاب الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب لإزالة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جراثيم داء الكلب، وكما ظهر من ضرر القليل من الخمر وأثره في الأجنة، بالتجربة التي أجراها العلماء في أمريكا على عشرة أزواج من الأرانب سقيت تسع منها جرعات متفاوتة القدر من الخمر، فظهر تأثير الخمر وضررها في أجنتها جميعاً، حتى عند الزوجين اللذين لم يسقيا إلا جرعة واحدة فقط، أما الزوجان اللذان لم يسقيا شيئاً من الخمر فلم يظهر في أجنتهما أي أثر لأي ضرر. وعلى غرار هذين المثلين نذكر ما اكتشفه العلم مؤخراً من وجود مادة هرمونية في البول تسمى «يوروغا سترون ursgistrone» وأخرى تسمى «أنثلون Antheline» تنفعان في مرض «قرحة المعدة» كما ذكر ذلك الدكتور ميشال صليب أستاذ الأمراض الباطنية بكلية عين شمس في مبحث «قرح المعدة» من كتابه «أمراض الجهاز الهضمي» المؤلف بالإنجليزية المطبوع سنة ١٩٦٣م في الصفحة السادسة والأربعين. وقد تمكنت شركة «بارك ديفز» الإنجليزية الشهيرة من صنع علاج يسمى «كورتون Kurtone» يحتوي على هذه الهرمونات البولية. وهذا ما يحل الإشكال الذي كنا نعانيه في تفسير حديث البخاري عن شرب أبوال الإبل، الذي أمر النبي ﷺ به بعض الأعراب المرضى. فكل هذه الأحاديث عن غسل الإناء وتحريم الخمر والتداوي بالأبوال، قد قيلت منذ أربعة عشر قرناً، في وقت لم يكن فيه الناس يدركون بعقولهم وجود جراثيم الكلب، أو ضرر القليل من الخمر، أو نفع شرب البول في بعض الأمراض بل كنا كلنا نستهجن هذا الشرب ونستقذره ونحار في تفسير هذا الحديث للسائلين من الشباب.

وهكذا يظهر بجلاء أن الاستحسان من الأفراد، والاستبعاد المبني على الآراء العلمية (الظنية) لا يجوز أن تتخذ أساساً للقطع والجزم بعدم صحة الأحاديث النبوية الصحيحة.

وبعد فهذه توطئة نرجو ألا تغيب حقائقها الواضحة عن تفكير الشباب المثقف، عند كل بحث وتساؤل من بعض الأحاديث النبوية الواردة في صحيح البخاري أو صحيح مسلم. ولسنا نريد بها أن نحمل الشبان المثقفين على أن يتهيبوا البحث، ويدفنوا شكوكهم في صدورهم لتنقلب إلى زيغ مرير، بل نريد بها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن نضع لهم الميزان الذي يوزن به كل حديث يقع في تفكير الشباب، وظنهم أن ظاهره يخالف العقل أو الحق أو الخير أو العلم.

● **ما هو الميزان**

الميزان هو القرآن الكريم والعقل. وللإيضاح لابد من ذكر ست حقائق:

الحقيقة الأولى: أن القرآن قد يجعل للعقل السليم السلطان الأعلى في إدراك الحق والخير من أتفه شيء، كإماطة الأذى عن الطريق إلى أعظم شيء وهو الإيمان بوجود الله. وهذه أولى مزايا الإسلام. فنحن بالعقل نؤمن بوجود الله وبالعقل نؤمن بوحدانيته وكل صفات كماله، وبالعقل نؤمن بالقرآن الذي أمرنا بتحكيم العقل في كل أمر من أمور الإيمان.

الحقيقة الثانية: كل نص يوجب ظاهره تناقضاً عقلياً قاطعاً في الذهن يجب تأويله حتى يرتفع التناقض، وهذا متفق عليه عند العلماء، لأن تعطيل العقل يرجع بالتعطيل على جميع الآيات الكثيرة التي أمرنا الله فيها بتحكيم العقل في أمور الإيمان، ويرجع بالتعطيل على صدق الرسول الذي عرفنا صدق رسالته بالبراهين العقلية.

مثال ذلك: قول القرآن في سورة الكهف عن ذي القرنين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ (الكهف: ٨٦)، فإن ظاهر هذه الآية يتناقض مع الحكم العقلي البديهي القاطع الذي يقضي بامتناع دخول الجسم الكبير في الوعاء الصغير، لأن الأرض أصغر من الشمس بكثير، فوجب هنا تأويل ظاهر الآية، كما فعل العلماء الأعلام حين قالوا: إن المراد بها: أن ذا القرنين رأى الشمس في غروبها كأنها تغرب في العين الحمئة، كما يقول أحدنا رأيت الشمس تغرب في النيل أو في البحر وهو يعلم قطعاً أنها لا تغرب في النيل ولا في البحر بل تغرب وراء الأرض.

الحقيقة الثالثة: وهي نابعة من الحقيقة الثانية، وتابعة لها، ولكننا أفردناها عنها، وأبرزناها مستقلة، لأهميتها وخطرها: وهي أن التناقض لا يكون إلا بين قضيتين قاطعتين تتناقضان. أما إذا كانت إحدى القضيتين قاطعة والثانية غير قاطعة وإنما هي ظنية، فلا يكون هنا ذلك التناقض الذي يوجب تأويل النص.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ففي قضية غروب الشمس في العين نجد أننا بين قضيتين قطعيتين، الأولى قول القرآن ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ والثانية القضية البديهية القائلة بامتناع دخول الجسم الكبير وهو الشمس في الجسم الصغير وهو العين، فاحتجنا إلى التأويل الذي يرفع التناقض.

ولكنا في آية أخرى مشابهة في نفس سورة الكهف نجد أن التناقض غير متحقق: وإن كانوا في الماضي يظنون خطأ أنه موجود، ذلك في قوله تعالى عن ذي القرنين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ فهاهنا حقيقة قاطعة وهي قوله تعالى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ناشئ من العلم الجغرافي القديم الناقص، الذي كان معتمداً قبل اكتشاف مناطق القطبين، وقبل معرفة دورة الأرض حول الشمس وهي مائلة ميلاً يحدث عنه طول النهار في أحد القطبين حتى لا تغيب عنه الشمس عدة أشهر، وحلول الليل في القطب الثاني حتى لا تطلع عليه الشمس عدة أشهر. فقد كان الناس لا يجدون في بقاع الأرض التي عرفوها، بقعة تطلع عليها الشمس بلا ليل. فكان يبدو في الظاهر وجود تناقض بين القرآن والعلم. والحال أنه لا يوجب ذلك التناقض الحقيقي الذي شرطه قيام قضيتين قاطعتين تتناقضان، لأن نفي الناس وجود بقعة أرض لا تغيب عنها الشمس كان نفياً ظنياً خاطئاً بحسب ما عندهم من العلم الناقص عن جميع بقاع الأرض، فلما تم اكتشاف القطبين وظهرت البقاع التي تبقى الشمس فيها طالعة عدة أشهر تحقق صدق الآية.

نرجو ألا تغرب هذه الحقيقة الثالثة عن أذهان الشبان المثقفين، لأنهم سيقعون في الأحاديث النبوية الصحيحة على كلام يتوهمون فيه التناقض لاعتقادهم بأن الأمور التي يعرفونها قطعية، وهي لا تكون قطعية حقاً في باب العلم كما ظهر في المثال الآنف الذكر.

الحقيقة الرابعة: ليس في القرآن أبدا أي معنى أو خبر يحدث تناقضا مع أحكام العقل أو مع أحكام العلم اليقينية، لأن إرادة الله لا تتعلق بالمستحيلات العقلية. حتى المعجزات هي من الممكنات العقلية. فخلق عيسى من غير أب من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الممكنات، وفلق البحر لموسى من الممكنات، وانقلاب عصا موسى إلى حية تسعى من الممكنات، وتكلم عيسى في المهد من الممكنات، وإحياء الموتى من الممكنات، والإسراء بالنبي من مكة إلى بيت المقدس في ليلة واحدة من الممكنات. وقس عليه ما ورد في الأحاديث الصحيحة. ولكن لا تخرج في قياسك هذا عن القاعدة وهي التمييز الصحيح بين المستحيل عقلاً والمستحيل عادة، وبين أحكام العلم اليقينية والظنية، فالمستحيل العادي من نوع الممكن.

وأحكام العلم الظنية لا تصلح أساساً للقول بوجود التناقض.

الحقيقة الخامسة: أن القرآن فيه آيات «محكمات» وأخر «متشابهات» كما قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ (آل عمران: ٧).

فالمحكمات التي وصفها الله بأنها «أم الكتاب» هي الآيات التي لا يحدث تصور معانيها تناقضاً عقلياً في الذهن، بل القول باستحالتها هو الذي يحدث التناقض العقلي، لأنها إما أن تكون من نوع الواجب العقلي، وإما أن تكون من نوع الممكن العقلي. والقول باستحالة الواجب أو الممكن هو الذي يحدث التناقض العقلي. كما لا يخفى. أما المستحيل العقلي فلا تتعلق به إرادة الله كما سبق القول.

أما المتشابهات فهي ما يشتبه ويلتبس على الناظر أمرها فيظن أنها تحدث تناقضاً مع العقل، أو مع المحكمات وهي ليست كذلك. وقد أمرنا الله عند حصول هذا الالتباس، أن نرد المتشابهات إلى المحكمات، قبل أن نتورط في إنكارها، مادامت بذاتها لا تشكل في الحقيقة تناقضاً قطعياً مع العقل، أو مع المحكمات، أو مع العلم اليقيني القاطع، كما في الأمثلة التي ذكرناها عن المعجزات التي يشتبه على غير الراسخين في العلم أمرها ويعدها من المستحيلات، وهي من الممكنات. وكما في المثال الذي أوردناه عن طول ظهور الشمس في منطقة القطبين، فقد اشتبه على الناس أمر تلك الآية، فظنوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنها تناقض العلم، ثم تبين لنا أن القضية العلمية ليست يقينية بل ظنية كذبها العلم. فظهر بهذا حكمة أمر الله لنا بأن نرد المتشابهات إلى المحكمات، قبل أن نتورط في الجدل والمراء بشأنها، وبأن نقول عنها قول الراسخين في العلم، الذين يعرفون هذه الفروق بين التناقض الحقيقي المؤكد وشبهة التناقض فيعتمدون على صدق القرآن، ويرجعون في تصديق المتشابهات- ولو لم يعلموا تأويلها إلى المحكمات، ويقولون عن القرآن كله ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران: ٧)

الحقيقة السادسة: إن كل ما في السنة الصحيحة معتمد على أصل القرآن، ومردود إليه، ومقيد به فلا يناقضه أبداً. فالقرآن هو «الميزان» الذي نزن به الأحاديث الصحيحة فما كان منها متفقاً مع أصول القرآن فلا مجال للبحث فيه. وما كان منها متناقضاً مع القرآن، وكان التناقض قطعياً لا سبيل فيه إلى التوفيق، فهذا هو الذي يصح أن نقف عنده، ونبحث فيه عن صحة الحديث وقوته.

وخلاصة القول: إن الميزان الذي نزن به الحديث هو القرآن نفسه. فإن كان الحديث يتلاءم مع أصول القرآن، ولا يتناقض معها، لم يبق مجال عند المؤمن العاقل إلى نقد الحديث أو إنكاره اعتماداً على ما في تفكيره من الاستحسان أو الاستهجان أو الاستبعاد الظني. وكل ما نرجوه من الشبان المثقفين المخلصين ألا يستعجلوا في نشر النقد للحديث الصحيح الذي لا يسيغه تفكيرهم، وأن يعرضوه بأنفسهم، أو بمعونة أهل العلم، على الميزان الذي ذكرناه من القرآن والعقل. فإن وجدوا له أصلا في القرآن فقد انحل الإشكال. وإن لم يجدوا له أصلاً في القرآن لجأوا إلى ميزان العقل الذي قررناه وأوضحناه، فإن رأوا في الحديث ما يوجب تناقضاً عقلياً، لا ظنياً، مع أصل أو أكثر من أصول القرآن جاز لهم عندئذ البحث في مبلغ الحديث من الصحة.

هذا ما ألهمنا الله أن نكتبه في هذا الموضوع ليكون جواباً لكل شبهة. والله المستعان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتحسبونه هيناً..؟

العدد (٢٩) جمادى الأولى (١٣٨٧هـ)، أغسطس (١٩٦٧هـ)

قرأت في مجلة «الوعي» مقال[١] الأخ العالم الجليل الأستاذ أحمد الشرباصي عن لغة القرآن والتهاون الحادث في إتقانها، فرأيت فيه أموراً عظيمة تستحق أن يكتب فيها أكثر من مقال، ولا سيما ذلك التنادر بالمشايخ علماء الدين، الذي أشار إليه الأستاذ في نهاية مقاله بكلمه عابرة غير زاجرة.

إن التنادر والتفكه بذكر تفاصح النحاة وتفيهقهم وتمططهم هو أمر قديم. وقد لا يكون مضراً ومحرماً إلا عندما يدخل في باب الغيبة واللمز والسخرية من رجل معين. بل قد يكون- إذا برئ من هذه الآثام- نافعاً في رد كثير من النحاة عن تباردهم وتسامجهم، فمن كمال العالم أن يكون كيساً، ومن نقص العقل أن يكون متسامجاً من حيث لا يدري.

أما التنادر والتفكه بذكر علماء الدين، والسخرية من تقواهم وتورعهم وفقرهم[٢] فإنها فتنة جديدة استشرى خطرها في العصر الحديث، حتى أصبحت من الكبائر المهلكات الموبقات، التي لا يقف ضررها عند حدود التباغض بين الناس، كما هو الحال في الغيبة واللمز، بل تتعدى هذا كله حتى يصل إلى زعزعة الدين والإيمان في القلوب.

• نحن في غفلة

وقد لا يكون جميع المتنادرين والمتفكهين من ضعيفي الإيمان، ولكنهم في

---

(١) في العدد الرابع والعشرين.

(٢) كما نرى صوراً من ذلك في الأفلام والمسرحيات وإظهارهم بمظهر غير كريم على عكس ما نراهم يفعلون مع غير علماء الدين المسلمين مع الأسف. (الوعي).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غفلة عن أن هذا التسخر من حملة العلم والقرآن هو تسخر من الدين والقرآن، وتهاون في احترام الله ورسوله. وأخطر ما في هذه الغفلة أن الواقعين فيها لا يقعون في مثلها أبداً إذا كان الرجل الذي أثار سخريتهم خويدما لعظيم من الأمراء أو الوزراء.

● **توقير العلماء**

إن مقام علماء الدين عند الله عظيم. وقد عظم الله مقامهم في القرآن بآيات كثيرة أعظمها قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ١٨) فقرن سبحانه اسم العلماء إلى اسمه الأعظم، وجعلهم في العلم كالملائكة، وصيرهم من ناحية الإدراك لوحدانية الله في صف الرسل والأنبياء، فاكتفى بوصف العلم عن تخصيص الرسل والأنبياء بالذكر لأنهم سادة العلماء.. فهل بعد هذا المقام مقام في التعظيم؟

بل لو خلا كتاب الله من هذه الآية لكان واجباً علينا- بحكم العقل- أن نوقرهم، إن كنا مسلمين ومؤمنين حق الإيمان، لأن هؤلاء العلماء الفقهاء هم الذين انتدبهم الله لتعليمنا وإرشادنا وإنذارنا وتحذيرنا بقوله ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة: ١٢٢).

فإذا قل احترام العلماء بين الناس، قل بالضرورة الإصغاء إليهم، والأخذ بإرشادهم وإنذارهم وتحذيرهم وكفى بهذا فتنة في الدين.

بل نقول لهؤلاء المستهزئين بعلماء الدين. إنكم لو تركتم الأخذ بمواعظهم، وأقدمتم على ارتكاب المعاصي، لكان ذلك عند الله أهون، وأقرب إلى الغفران، من ذلك الاستهزاء، لأن ضرر معاصيكم ينحصر بكم، أما الاستهزاء بالعلماء فإنه يؤدي إلى قتل العلم، وتنفير الناس من الدين، وحملهم على الاستهزاء بالدين نفسه.. بل قد يؤدي إلى الكفر أخيراً.

● **أسباب هذه الفتنة**

إن فتنة التنادر والتفكه بذكر علماء الدين التي استشرى أمرها واستفحل في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العصر الحديث، لها أسباب كثيرة منها القديم ومنها الحديث، ومنها ما يقع وزره على الأمراء، ومنها ما يقع وزره على الأدباء ومنها ما يقع اللوم فيه على العلماء أنفسهم.

لقد بدأت هذه الفتنة بسفه الأمراء والحكام، وتعاليهم على علماء الدين، بعد أن كانوا في الصدر الأول من الإسلام موضع التوقير والتعظيم. ومن هذه الثغرة أخذت فتنة التنادر والتفكه تذر قرنها بسفه الأدباء والرواة والقصاصين، الذين يسامرون الأمراء، ويتعمدون إضحاكهم بالحكايات والنكات المروية أو المخترعة، فبدأوا- أول ما بدأوا- بذكر حماقات معلمي الصبيان، ثم تجاسروا على التفكه بذكر القراء. وتنوقلت هذه النكات بين الناس، حتى تجاسر بعض كبار الأدباء كالأصمعي والجاحظ وغيرهما على تدوينها في الكتب. أما علماء الدين فقد بقي احترامهم في القلوب، على الرغم مما بدر من بعض الأمراء من أذيتهم، لأسباب سياسية أو اجتهادية كلامية ظالمة. بل زاد هذا العدوان في احترام العلماء عند الناس جميعاً .

ثم جاءت عصور التأخر الإسلامي فانصرف الأمراء والحكام عن توفير أسباب الرزق الكريم لعلماء الدين، كما انصرف الناس عما جرت به العادة من إعانتهم. وأصبح رزق أكثر المشايخ محصوراً فيما يتناوله المحظوظون منهم من أجور زهيدة على وظائف الإمامة والخطابة والتدريس. ومن لم يسعده الحظ منهم بوظيفة لجأ إلى طلب الرزق من أبواب لا يليق بكرامة العلم والعلماء.

وزاد الطين بلة أن طائفة من العلماء الفقراء أرادوا أن يستروا فقرهم بما يسمونه «الدروشة» ولكن هذه الدروشة زادت عن حدها، حتى كادت تصبح طابعاً للفقراء وغير الفقراء، وانتقلت من الزهد إلى لون من التبذل في الملبس والنظافة والأكل في السوق، فاستقرت في أذهان الجيل الطالع المولع بالجمال والتجمل، صورة عن العلماء هي أبعد ما يكون عما يأمر به الدين من الجمال والتجمل.

وهكذا تضافرت الأسباب والدواعي للتقليل من احترام العلماء وتوقيرهم واستشرت الفتنة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولست أجد لهذه الفتنة علاجاً إلا إذا حزم حكام المسلمين في كل قطر إسلامي أمرهم على تنفيذ التوصيات الآتية:

١- حصر لبس الزي الديني في علماء الدين دون سواهم.

٢- الاتفاق على وضع زي ديني واحد موحد، وإذا تعسر ذلك، فوضع علامة خاصة يتميز بها علماء الدين عن سواهم.

٣- إغناء علماء الدين بالرواتب الكافية.

٤- أخذ علماء الدين بنظام مسلكي صارم يحملون به على ترك التبذل والدروشة والتزام دقائق آداب الدين في الوقار والنظافة والكياسة والظرف في الملبس.

٥- أن يمنع رجال الدين من قبول أي أجر من الناس على أي عمل من الأعمال أسوة بباقي الموظفين، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى.

وإني لأرجو أن يكون هذا الموضوع الخطير موضع عناية مجلة «الوعي» وعناية المفكرين، لعله يجتمع لنا من التوصيات الأخرى ما يكتمل به العلاج، وأن يكتب في هذا الأمر أكثر من مرة، لكي تستجيب الحكومات الإسلامية لهذه الدعوة المباركة للإصلاح الديني الذي نحن بأشد الحاجة إليه.

* * *

«الوعي الإسلامي» هذا الموضوع الذي علق عليه فضيلة العلامة الأستاذ الكبير الشيخ نديم وقدم بشأنه هذه الاقتراحات إنما هو ظاهرة لرياح عاتية هبت على النفسية المسلمة فاقتلعت منها أو من معظمها بذور التدين السليم، ومن البديهي أن الإنسان المسلم السليم الإيمان يجد نفسه مدفوعاً إلى احترام كل ما يمت للدين بصلة قريبة أو بعيدة. وفي المقدمة العلماء المسلمون الذين وهبوا حياتهم لترسيخ دعائم الإيمان في النفوس، وجعلوا أنفسهم شموعاً تضيء الطريق للسالكين.. ومن الطبيعي أن كل إنسان يعتنق فكرة أو مبدأ ترف نفسه لكل من يشاركه هذا المبدأ، وعلى الأخص أولئك الذين يمثلون الطليعة الهادية لهذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبدأ. . ويقوي حبه واحترامه لزملائه وقادته في المبدأ على قدر تفانيه في مبدئه وإخلاصه له. . فإذا ضعف تمسكه بفكرته ومبدئه كان تهاونه وعدم عنايته بمن يشاركونه مبدأه. . حتى أصحاب الحرف والمهن تجدهم يعظمون «معلميهم» ويعتبرونهم هداتهم ويتعصبون لهم ويحيطونهم بمظاهر التكريم.

فالداء الكمين لهذه الظاهرة التي نشكو منها يكمن في ضعف الوازع الديني في النفوس، كما يرجع إلى عدم عناية المجتمع ممثلاً أولاً في المسؤولين بإظهار صوت الدين عملياً. فإن الدولة مثلاً حين تتجه للهندسة وتعنى بأصحابها تجد المجتمع بالتالي يعظم من شأنهم، وهكذا في كل مجال تعنى به الدولة. .

إن أكبر وصمة لهذه الأمة الإسلامية العربية، التي تتنادى بالإسلام والعروبة إلا يلقى ممثلو الإسلام أو المتخصصون فيه وفي العربية ما يتسق مع ادعائنا الاعتزاز بإسلامنا وعروبتنا.

وكم يحز في النفس ويفتت القلب حزنا وأسفاً أن نلاحظ أن الطوائف غير الإسلامية تحيط هداتها الدينيين بالاحترام والتكريم في الوقت الذي يتظرف فيه بعض الكتاب والرسامين والمتحدثين المسلمين بالغض من مكانة هداتهم الدينيين، والذين يعلمونهم لغتهم القومية.

لقد رأينا صوراً ورأى غيرنا على الطبيعة ملك دولة غير مسلمة يطأطئ على يد أحد رجال دينه ويقبلها في المطار ونحن لا نريد عندنا مثل هذا، ولكنا نريد ما يدل عليه هذا التقبيل لليد وسط كبار رجال الدولة والسفراء وجموع المستقبلين. نريد أن يتوفر للعلماء المسلمين ما يجب نحوهم من تكريم كرمز حي على تكريمنا لديننا وعنايتنا بكل ما يتصل به وليكون لهم الصوت النافذ حين يجد الجد وتحتاج الأمة لهذا الصوت يجند قواها ويعبئها لحفظ كيانها والحفاظ على كرامتها.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ركائز التفكير الإسلامي (١)

موقف العقل من الإيمان وموقف القرآن من العلم والمعرفة

العدد (٣٢) شعبان ١٣٨٧هـ - نوفمبر ١٩٦٧م

كان أحد أساتذة الفلسفة في جامعة كبرى كتب يتساءل - كالمنكر - عن بعض آيات القرآن الكريم، ثم يدعي أن التفكير الإسلامي المعاصر مشدود إلى الوراء شدًا يمنعه من الانطلاق في آفاق العلم والمعرفة. فأجابه الشيخ نديم الجسر بجواب أوضح فيه ركائز التفكير الإسلامي القائم على «الحق» في باب العقل والعلم، توضيحاً امتاز به فضيلة الشيخ في مخاطبة الشباب والعلماء المتفلسفين بلغة العلم والفلسفة نفسها، وقد رأينا- تقديراً منا لهذا البحث أن نضعه بين أيدي القراء الكرام وبخاصة الشباب منهم. «الوعي الإسلامي»

وجود الله

أرجح أن الجدل بيننا الآن، ليس عن وجود الله أو عن عدم وجوده. فإنك وأنت أستاذ الفلسفة، لا بد أن تكون عند الحق من قول «فرنسيس باكون» «إن القليل من الفلسفة يبعد عن الله والكثير منها يرد إلى الله». والظاهر من كلامك أنك تؤمن بأن الله هو خالق الكون، ومؤمن- بالتالي، وبالبداهة- بأن خالق الكون هو خالق النواميس، وبأنه خالق الحياة، وخالق الذباب، الذي قال عنه القرآن، في سورة الحج ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ (الحج: ٧٣ - ٧٤) وقد نزل هذا قبل أن يقول (روجر بيكون)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

و«توماس اكويناس» بقرون طوال قوليهما المشهورين «ما من عالم قد عرف حتى اليوم حقيقة ذبابة».

وإنما أنت تستصعب تصور الذهن لهذا الإله، على طريقة القرآن الذي يقول عنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١) وتستشكل في خلق الله لآدم من تراب، وتقطع كل علاقة لله في خلق الأجنة، حتى تخرج من هذه الصعوبات والاستشكالات إلى ما يكاد يكون إلغاء لوجود الله.. وهذا ما يحيرني في أمرك. وإلا فقل لي: كيف نوفق بين كونك مؤمناً بأن الله خالق الكون، وخالق الحياة، وخالق الإنسان، وخالق النواميس، وكونك تغفل- وأنت العالم الألمعي- عن تفسير آيات خلق آدم، وخلق الجنين في بطن أمه بأنها قد تعني الخلق التطوري للخلية الإنسانية بطريق النواميس التي خلقها الله، مثلما قد تعني في الظاهر الخلق الدفعي المباشر، مع أن كلا الخلقين داخل في قدرة الله، وليس أحدهما بأدل على هذه القدرة والحكمة من الأخر.؟

ومهما يكن الأمر، فإننا لا نسوق الحديث إليك وحدك، بل نسوقه إلى من وراءك من الشبان العلماء الذين يؤمنون بوجود الله وبأنه خالق الكون، ويرددون في صدورهم بعض الأسئلة التي طرحتها وأمثالها. والحوار مع هؤلاء لا يدور، إذن، حول وجود الله. وإنما يدور الحوار حول القرآن الكريم وما فيه من آيات متشابهات، يبدو لك ولهم- في الظاهر- أنها تتناقض مع العقل أو مع العلم، ويدور أيضاً حول تفكير المسلمين في العالم المعاصر، وزعمك أنه مقيد ومشدود إلى الوراء شداً يمنعه من الانطلاق والتلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث.

فعلينا، إذن، أن نكشف تراب الظنون الباطلة عن ركائز التفكير الإسلامي، لنرى إن كانت تتعارض مع العقل أم تعتمد عليه، وتتنافى مع العلم - كما زعمت- أم تؤيده. وبهذا الكشف والتبيين يستكمل الرد على شكوكك وشكوك غيرك- مهما كان نوعها وموضوعها- حُجَجَه وبراهينه بدون تطويل، ويصبح هذا الرد المركز الذي نضعه كالجعبة فيها السهام، بل كخزانة الدواء في البيت، نجد فيها العلاج لكل شك وزيغ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ركائز التفكير الإسلامي

١- القرآن والعقل

إن القرآن يجعل للعقل السلطان الأعلى في إدراك كل معاني الحق والخير، من أتفه الأمور كإماطة الأذى عن الطريق، إلى أعظمها وهو وجود الله وصفات كماله.

وفي القرآن أكثر من (٣٠٠) آية تدعو إلى تحكيم العقل، وتزري أزراء شديداً، بالذين لا يحكمون عقولهم. وأبلغ هذه الآيات وأوجعها قوله ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنفال: ٢٢)، وكل إيمان لا يبنى على العقل لا يبعد من الإيمان الكامل. أما (إيمان العجائز) فإنما هو مقبول من باب العذر ورفع الحرج من العاجزين[1].

والقرآن يكره الجمود على تقاليد الآباء والأجداد، إذا كانت هذه التقاليد تناهض أحكام العقل القاطعة، ويهزأ بهؤلاء الجامدين، ويسخر من الخرافات والأساطير، وليس فيها أسرار يحدث تصورها تناقضاً عقلياً في الذهن. وكل نص في القرآن يحدث تصوره، في الظاهر، تناقضاً عقليا في الذهب يجب تأويله حتى يرتفع التناقض.

فالإسلام، إذن، هو الدين السماوي الذي يجعل (الجدل العقلي) الصارم طريقاً للوصول إلى الحق.

هذه حقائق يقينية مقررة، حتى تكاد تكون معلومة من الدين بالضرورة. ومن جهلها أو أنكرها فهو جاهل لحقيقة القرآن والإسلام.

---

(١) يكاد الناس جميعاً يتجهون في فهم إيمان العجائز إلى أنه الإيمان التلقائي الذي لا يقوم على دليل أو تعقل... فلماذا لا يفهم على أنه الإيمان الراسخ الذي دعمته الدلائل وتجارب السنين حتى صار ثابتاً لا يتزعزع وهنا يصبح رجاء لكل إنسان «اللهم إيماناً كإيمان العجائز» إذ لا يعقل - فيما أرى - أن يطلب المؤمن من الله أن يجعل إيمانه إيماناً غير قائم على دليل ولا تعقل..
«الوعي الإسلامي»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢- القرآن والحرية

إن حرية الإنسان، في نظر القرآن، هي أمر طبيعي وضروري وبديهي. وإن حرية الفرد مطلقة إلى آخر حدود الإطلاق ولا تقف إلا إذا اصطدمت بالحق أو بالخير.

وهذا المفهوم الجامع، كما أنه يشمل كل أنواع الحريات، من حرية التفكير وحرية العقيدة والقول والعمل والتملك والتصرف. فإنه يشمل، كذلك، كل أنواع الحق والخير، بالنسبة للفرد ذاته، وبالنسبة لغيره من الناس، وبالنسبة إلى المجتمع. لا فرق، في ذلك كله، بين أن يكون الفعل أو القول مباحاً بذاته للفرد، أو حقاً من حقوقه المشروعة، أو ضرباً من القربات إلى الله. فلو أسرف الفرد في أكل الطيبات إسرافاً مضراً بصحته انقلب المباح حراماً، ولو أسرف في إساءة استعمال حقه وقف حقه، ولو أسرف في الزهد والتقشف والتبتل بل في العبادة نفسها، بل في الصدقات والمبرات، إلى الحد الذي تصطدم عنده حريته بخير نفسه أو زوجه أو ولده أو وارثه أو المجتمع، لانقلبت قرباته هذه كلها إلى محظورات يمنعها القرآن[1].

٢- القرآن والعلم

إن القرآن يجعل لحقائق العلم الطبيعية القاطعة. نفس القوة التي للحقائق الرياضية القاطعة، أي نفس السلطان الذي للعقل. لأن العلوم الطبيعية إنما هي انكشاف للنواميس التي خلقها الله في الكون، فإنكارها، هو بالضرورة، إنكار للعقل الذي يدرك النواميس، وإنكار للذي خلق النواميس، ومعارضة للقرآن الذي استدل، في آيات كثيرة، بهذه النواميس على وجود الله وقدرته. وهذه الإنكارات تؤلف بذاتها تناقضاً عقلياً صارخاً بين الإيمان والعقل.

---

(١) نذكر في هذا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ من سورة المائدة. وقول رسول الله ﷺ حين جاءه من يريد أن يتصدق بماله كله فمنعه الرسول وأجاز له أن يتصدق بالثلث وقال له: «والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم يتكففون الناس». «الوعي الإسلامي»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وليس صحيحاً قولك «إن العلم الذي حث على طلبه الإسلام هو في جوهره العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها وليس الفيزياء والكيمياء». بل الحث عام يشمل علم الدين، الذي هو أعظم العلوم وأنفعها للمجتمع، ويشمل علم الطب، وكل علم ينفع الناس والمجتمع. وليس أدل على ذلك من الآية ٢٨ من سورة فاطر، التي يخلع بها القرآن وصف «الخشية الكاملة» على علماء الطبيعة، ويكاد يحصرها فيهم حين يقول ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٧ -٢٨) فهل العلماء هنا هم علماء الشريعة والفقه أم هم علماء الطبيعة العالمين بأسرار النواميس في الحياة والنبات والحيوان والمطر وطبقات الأرض الذين يهديهم علمهم إلى معرفة الله وخشيته.

٤- القرآن ليس بموسوعة

ولكن القرآن ليس بموسوعة للعلوم والفنون. وما فيه من الإشارات لبعض النواميس الطبيعية إنما هو للتدليل على وجود النظام المحكم، ثم الاستدلال الفعلي بهذا النظام على وجود الله وأما قول القرآن ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨) فليس معناه أنه موسوعة لعلوم الأولين والآخرين، كما يقول بعض البلهاء. بل معناه أنه لم يترك أصلاً من الأصول ولا مبدأ من المبادئ التي يرتكز عليها الحق والخير إلا ذكره وبينه.

٥- نهج القرآن في الخطاب

إن إعجاز القرآن اللغوي لا يقوم على بلاغته المعروفة عند بلغاء العرب فحسب، وإنما يقوم أيضاً على قدرة عجيبة في التعبير عن الحق بشأن النواميس الطبيعية والاجتماعية. التي لم تكن معروفة للعرب أو معروفة للبشر، ببيان يفهمه البدوي الساذج على قدره، ويفهم أسراره المدهشة العالم أو الفيلسوف على قدره. لأنه ما كان لله العليم الحكيم أن يخاطب الناس بأمور تفصيلية لا يفهمونها ولا سمعوا بها ولا تتسع لإدراكها معارفهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فإذا قال لهم سبحانه ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ (الحج : ٦٥) أو قال لهم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء: ١٢) أو قال لهم ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ (الزمر: ٥)- أو قال لهم ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ (النمل: ٦٠)- أو قال لهم ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ (الواقعة: ٧١-٧٢) - أو قال لهم ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾ (البلد: ٨) - أو قال غير ذلك من مئات الآيات الدالة على قدرته، المشيرة إلى النواميس التي وضعها في مخلوقاته، فإنه يقول لهم ما يفهمونه على ظاهره. من غير أن يشوش أفهامهم ويذهل عقولهم بذكر ما لا يفهمون من أسرار نواميس «الجاذبية، والنور، والبصريات ودوران الأرض على نفسها أمام الشمس، وقانون أرخميدس، أو أسرار عملية المطر، أو أسرار ناموس الاحتراق عند اتحاد الكربون مع الأوكسجين. . . الخ» ولكنه سبحانه يقول لمن سيأتي من العلماء الذين يطلعون على هذه الإسرار ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت: ٣٥) وقد جاء الوقت، وانكشفت بعض الأسرار، وتبين الحق. . والبقية تأتي. .

٦- قانون العلية

من ركائز التفكير العقلية في القرآن أمر الفطرة، ومن جملتها (قانون العلية). ذلك أن في عقولنا قوانين فطرية وهي التي سماها الفيلسوف (كانط) (قوانين العقل المنظمة) Les lois Reglatrices de La Raison، ومن جملتها، بل من أعظمها قانون العلية، الذي يتطلب، بالبداهة، لكل معلول علة، ولكل مسبب سبباً. هذا مقرر وليس لنا أن نشك فيه، كما أنه ليس لنا أن نتطلب عقولاً وراء عقولنا التي فطرنا الله عليها ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠) - وبهذه الفطرة من (قانون العلية) ندرك وود الله. ومهما اختلف المتفلسفون في هذه الفطرة وكونها مكتسبة من تجارب الإنسان الطويلة، أو كونها من خلق الله، فإن قانون العلية الذي اعتبره (ديكارت) صادقاً وغير خادع،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واستدل به على الله، وعلى صفات كماله، هو، على كل حال، القانون العقلي الذي يتحكم في إدراكنا لكل ما في الوجود، وعليه يقوم العلم، وعليه تقوم المعرفة، وعليه تقوم الحياة، وعليه يقوم الإيمان بالله.

٧- ميزان التناقض

إن النظر العقلي يدور في كل شيء من الماديات والمعنويات، والمشاهدات والمغيبات، حول أحكام ثلاثة. الوجوب والإمكان والاستحالة. هذا مفهوم عند أبسط الناس علماً وفهماً؟! ولكن الذي يشتبه ويخفى أحياناً، على بعض أرقى المثقفين من الشباب، هو التفريق بين نوعين من المستحيل.

المستحيل العقلي: وهو الذي يشكل تصور وجوده، أو تصور عدمه «تناقضاً عقلياً» في الذهن، كقولنا الواحد ربع الاثنين لا نصف الاثنين، أو قولنا جزء الشيء أكبر من الشيء، أو قولنا إن جبل لبنان يدخل في الفنجان. أما المستحيل العادي فهو لا يحدث تناقضاً عقلياً في الذهن، ولكننا بحكم العادة نظن أنه مستحيل، وما هو كذلك ولكننا تعودنا أن نراه مستبعداً كالمستحيل، ثم عرفتنا الأيام أنه ليس بمستحيل عقلي. مثل الصعود إلى السماء، والتخاطب والتناظر من أقاصي الأرض، والوصول إلى القمر.

والميزان الضابط في تكذيب الخبر ليس استبعاده واستغرابه، بل هو كونه يحدث تناقضاً عقليا- يقول «لايبنتز» فإن أحدثه نفيناه، وإن لم يحدثه توقفنا عن التكذيب. فلا يغفلن الشاب الثقيف عن التفريق بين هذين النوعين من المستحيل إذا هو تورط في جدل، حول الله والدين وأخبار القرآن.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ركائز التفكير الإسلامي (٢)

موقف العقل من الإيمان

العدد (٣٤) شوال ١٣٨٧هـ - يناير ١٩٦٨م

٨) نطاق العقل

ومن ركائز التفكير الإسلامي الراسية على أصول القرآن، التفريق في الإدراك، بين عالم الغيب وعالم الشهادة. وهذا نفس ما عرفته الفلسفة، وأوضحه «كانط». فهنالك نوعان من الإدراك للموجودات. إدراك لِكُنْهِ الشيء بذاته. وإدراك لوجوده بالدليل، مع العجز المطلق عن إدراك كنه ذاته. فالعقل البشري قد يستطيع إدراك كنه الشيء بذاته، إلى حد ما، ضمن نطاق محدود، وهو نطاق العالم المادي المحسوس «عالم الشهادة» أما في عالم الغيب غير المحسوس، فالعقل يستطيع إدراك وجود الشيء بالاستدلال ويستطيع إدراك بعض صفاته من آثاره، ولكنه يعجز عن إدراك كنه ذاته.

هذا مقرر لا يحتمل الجدل. وبهذا الإدراك نستدل على وجود الله، وعلى بعض صفات كماله، من آثاره، بدون أن نستطيع إدراك كنه ذاته.

٩) التصور والتعقل

ومن ركائز التفكير الإسلامي الذي ينبع من أصول القرآن أن نفرق بين التعقل والتصور. وهكذا يقول العلم، وهكذا تقول الفلسفة الصحيحة. فليس كل ما يمكن تعقله يمكن تصوره؛ لأننا قد نعقل وجود الشيء بالدليل، ولكن لا نستطيع أن نتصوره. وليس عجزنا عن تصور الشيء الذي تعقلناه مبرراً للقول بعدم وجوده. أترانا نستطيع أن نتصور أن ورقة من ورق السجاير الرقيق، الرقيق، إذا قطعت بالتضعيف ٤٥ مرة[(١)] ثم ركمت صعوداً فإنها تصل القمر؟ ولكننا بالحساب البسيط

(١) أي مرتين، فأربعة، فثمانية، فستة عشر، فاثنتين وثلاثين فأربعة وستين وهكذا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يمكن أن نتعقله.

وإذا ألقي إلينا من المجرة مثلاً جهاز تلفزيون أفلا نستدل به على وجود صانع، ثم نستدل به على بعض صفات ذلك الصانع، التي منها أنه عاقل وذكي وعالم.؟ ولكننا مع تعقل وجوده، وتعقل بعض صفاته، لا نستطيع تصور كنه ذاته، لأننا لم نشاهده ولم نحسه، ولكن هل يصح، في حكم العقل، أن ننكر وجوده، لأننا لا نستطيع تصور كنه ذاته، بعد أن تعقلنا وجوده وبعض صفاته بالدليل العقلي القاطع؟

١٠) غايات الأشياء

ومن ركائز التفكير الإسلامي الراسية على أصول القرآن كذلك أننا محجوبون عن إدراك كل بدايات الأشياء ونهاياتها. هذا مقرر. وهكذا خلقت عقولنا. بل هكذا خلقت حواسنا، حتى في عالم المادة الذي نعيش فيه، كما يقول «باسكال». فالصوت إذا أفرط في الشدة يصم أسماعنا، أو على الأصح لا نسمعه، والنور إذا أفرط في الشدة يغشى أبصارنا، بل يصعقنا كما صعق موسى، والقرب يمنعنا من الرؤية إذا أفرط، كما يمنعنا البعد. هذا هكذا في عالم الشهادة، فكيف إذا كان الأمر الذي نريد معرفة أولياته وبداياته ونهاياته وغاياته من عالم الغيب؟

١١) الظن والحق

ومن ركائز التفكير الإسلامي، أن الظن لا يغني من الحق شيئاً وهذا هو نفسه منطق العقل في إثبات الشيء ونفيه. هنالك فرق كبير عند القطع والجزم، بين الإثبات والنفي. فنحن نجزم بثبوت الشيء الذي يقوم الدليل العقلي أو العلمي القاطع على وجوده. ولكن لا يحق لنا أن نجزم بنفي الشيء أو الخبر الذي لم يقم لدينا الدليل على وجوده. إلا إذا كان تصور وجود هذا الشيء، أو هذا الخبر، يشكل تناقضاً عقلياً في الذهن، كما يقول «لايبنتز». أما إذا لم يكن الأمر كذلك، وكان الشيء أو الخبر من النوع الممكن، فإننا نقف أمامه موقفنا من كل ممكن غير مستحيل، فلا نقطع بثبوته عقلاً، ولا نقطع بنفيه عقلاً.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٢) نواميس الله لا تتخلف

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣) وكذلك يقول العلم أن النواميس الكونية ثابتة ولا تتعطل ولا تتخلف. ولكن الإنسان يستطيع أن يوقف تأثير ناموس بناموس آخر. ولا يقال هنا إن الإنسان عطل فعل الله، أو عطل خلق الله. ولكن يقال: إن ناموس الله تعطل بناموس الله، كما في تأخير نمو الخلية الإنسانية في الجنين، أو إفسادها، أو تشويهها بالمواد الكيماوية، أو بالأشعة، كما ذكرت في سؤالك.

هذه أهم الركائز في التفكير الإسلامي النابع من معين القرآن، وهي تكاد تكون كالبديهيات في منطق العقل، ومنطق العلم، ومنطق القرآن. وهي الكفيلة بالرد على كل التساؤلات والشكوك والصعوبات التي أثيرت، وبالرد على كل صعوبة يجدها الشاب الثقيف في بعض آيات القرآن، حتى يفهمها، أو يكف عن تكذيبها على الأقل. ويكفي الشاب الثقيف إذا كان يسأل للاستفهام حقاً، لا للجدل والمراء ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ (الحج: ٨) يكفي أن يعرض شكه على هذه الركائز، وينعم النظر فيها، ليجد الجواب الذي يرضاه العقل السليم، والمنطق القويم، والقرآن الكريم.

● في الرد بإيجاز على تساؤلاتك

أ- أما تساؤلك عن موقف المسلم من الثقافة والحضارة المعاصرة، والانقلاب العلمي، والثورة الصناعية، وكتاب «دارون» في أصل الأنواع، ومؤلف «ماركس» في «رأس المال»، ونظرية «آينشتاين» في «النسبية»، فإنك تجد جوابه في الركائز الثلاث الأولى التي أوضحنا فيها أن القرآن يقدس العقل والعلم والحرية. ولن يكون موقف المسلم، من هذه المستجدات التي ذكرتها، إلا كموقف كل إنسان ذي عقل سليم، يدركها ويفهمها، ويأخذ منها بكل ما يتلاءم مع الحق والخير على أساس مفهوم الحرية في الإسلام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما مذهب «دارون» فقد بينا في كتابنا «قصة الإيمان»[1]، نقلاً عن «الرسالة الحميدية» أنه عند ثبوته القاطع، لا يتنافى مع القرآن.

وأما نظرية «أينشتاين» في النسبية فقد بينا في قصة الإيمان أيضاً أنها لا تتعارض مع القرآن في شيء، لأن القرآن يؤيد كل ما هو حق في باب العقل والعلم.

ب- وأما تساؤلك عن خلق آدم من طين فتجد جوابه في كلامنا عن مذهب «دارون» في نفس الكتاب.

ومثله سؤالك عن المعجزات، فإنك تجد جوابه في الركائز (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١)، فالمعجزات التي قد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية لا في القرآن وحده، ما هي في الحقيقة إلا خرق للناموس من قبل الله. فإذا كنا نؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق نواميسه، فبداهة العقل تحكم بأن الذي خلق الناموس قادر على خرقه. والقول بنفي هذه القدرة هو الذي يشكل تناقضاً عقلياً.

وكذلك سؤالك عن الملائكة والجن، فإنك تجد جوابه في الركائز الخمس المذكورات. لقد كان تصور الملائكة والجن- لعمري- أكثر صعوبة قبل اكتشاف نواميس الضوء.. أما اليوم، بعد معرفة أمواج الضوء وأنواعها من المنظورة وغير المنظورة، وسلالمها الكثيرة التي يقع العالم المنظور في سلم واحد منها فقط، فقد أصبح من قبيل التعنت والمراء أن نقف من الملائكة والجن موقف الإنكار.

والخلاصة أن هذه الأمور الغيبية كلها، من خلق آدم، وخرق النواميس ووجود الملائكة والجن إنما يقع تصديقها أو تكذيبها تحت تمحيص مبدأ التناقض الذي ذكرناه في الركيزة (٧) وبما أنها من النوع الممكن، ولا يحدث تصور حدوثها أو وجودها «تناقضاً عقلياً في الذهن»، فلا مجال للجزم والقطع بتكذيبها.

جـ- وأما تساؤلك عن الآية الواردة في سورة «المؤمنون» التي تتعلق بخلق الإنسان من نطفة وعلقة ومضغة.. وقولك عنها إن ظاهرها يفيد الخلق الدفعي

---

(١) من أحسن ما كتب لهداية النفوس إلى خالقها ولعلنا نستطيع في المستقبل تقديم عرض لهذا الكتاب القيم إلى القراء. «الوعي الإسلامي».

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المباشر، وأن هذا يتنافى مع علم الأجنة، وما ثبت فيه من تطور الخلية الإنسانية وتحيرك في كيفية التوفيق بين خلق الله المباشر المتكرر للنطفة فالعلقة فالمضغة فالجنين في أطواره المذكورة، وبين كوننا نستطيع أن نتحكم في نمو الخلية، ونستطيع تأخيره أو تشويهها، ونكون بالتالي المعطلين لعمل الله في الخلق، فإنك لتجد جوابه في الركيزة (١٢)، وفي كلامنا عن خلق آدم ومذهب «دارون»، وقولنا فيه، أن الخلق يمكن أن يكون بالطريق التدريجي التطوري، على مقتضى نواميس وقوانين وضعها الله في الكون. وأحسب أن علم الأجنة مما يؤيد هذا الخلق التطوري، ويقدم عنه مثالاً محسوساً، وإن كان الخلقان يقعان تحت قدرة الله، وليس أحدهما أدل على القدرة من الآخر.

وأما تعجبك مما يعطيه ظاهر الآية من معنى الخلق المباشر المتكرر، فتجد جوابه في الركيزة التي بينا فيها أن نهج القرآن في مخاطبة الناس إنما يكون على قدر أفهامهم ومعارفهم. وما كان لله العليم الحكيم، الذي هو الخالق في الحقيقة على كل حال، أن يحير الناس، في عهد نزول القرآن، بذكر تفاصيل الخلق عن طريق الخلية، ونموها التطوري بقوة النواميس التي وضعها الله في الكون، وهم لا يفهمون معنى الخلية، ولا معنى الناموس، ولا معنى التطور. وهذا ما قلنا عنه أنه من إعجاز القرآن، حين يعبر عن المعنى بعبارة يفهمها البدوي الأمي على ظاهرها، ويفهمها العالم الفيلسوف في أعماق أسرارها.

وآخر الأجوبة عن أمر الخلية هذه تجده في الركيزة (١٢) التي قلنا فيها: إن نواميس الله لا تتخلف، ولكن يمكن توقيف أثرها بتسليط ناموس على ناموس. فنحن عندما نتحكم في نمو الخلية أو إفسادها أو تشويهها لا يقال: إننا عطلنا عملية الخلق التي يقوم بها الله بيده، ولكن يقال: إن أحد نواميس الله قد توقف بأحد نواميس الله، طبقاً لما أراد الله في الناموسين أن يتفاعلا، وطبقاً لما أراد الله للإنسان من التصرف في استعمال النواميس، والانتفاع بها، وطبقاً لما قدره الله في عمله الأزلي، من خلق الجنين، أو عدم خلقه. وهذا أظهر من أن يحتاج إلى جدل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

د- وأما كلامك عن مخالفة الله لجميع الأشياء، وعن قول القرآن عن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١) وقولك أنت عنه في آخر الكلام عن لسان المسلم: «كيف أؤمن بكائن يقال لي إنه في الحقيقة لا يوصف؟ وهل يكون ذهني خالياً من كل معنى أو تصور حينما أصفه بالعدل والرحمة مثلاً؟ ألا يكون عندئذ وجود مثل هذا الإله أو عدم وجوده سيين بالنسبة إليَّ؟».

فإني أسألك، في جوابه: ما لك يا دكتور؟

إنه ليبدو أنك تكاد تضع المشكلة في طريق مسدود أو تكاد تطلقها إلى ظل ذي ثلاث شعب. لا ظليل ولا يغني من اللهب فإما أن تنكر وجود الله، وإما أن تقول بالتجسيد للإله، وإما أن تقول بوحدة الوجود، وما أحسبك تريد شيئاً من هذا.

ثم. هل القرآن وحده قال بهذا التنزيه لله عن مشابهة الحوادث، أم أجمعت عليه كل الكتب السماوية المنزلة الصحيحة، كما أجمع عليه كل الفلاسفة الإلهيون؟

ألا تذكر ما قلناه في الركيزة «التاسعة» عن الفرق بين التعقل والتصور، وأن ليس كل ما يمكن تعقله بالدليل القاطع يمكن تصوره؟ ثم، ألا تذكر ما قلناه في الركيزة الثامنة عن عجز عقولنا عن إدراك كنه الشيء بذاته إلا في المحسوسات؟ ثم. من الذي زعم أن القرآن قال عن الله بأنه لا يوصف؟ أمثلك يقول هذا، والقرآن مملوء بصفات كمال الله سبحانه؟ ولو لم ترد صفات كمال الله في القرآن ألسنا نستطيع أن نعرفها من آثارها؟ ألم يعرفها «ديكارت» بعقله لما رجع عن شكه، واستنتج من وجود نفسه، وجود ربه وخالقه، ثم استنتج من آثاره أكثر صفات كماله[1]؟

هـ- وأما قولك: «إنه يفترض في المسلم أن يعتقد بإيمانه وقلبه لا بعقله وذهنه» فغير صحيح. بل عكسه هو الصحيح. فليس في الإسلام إيمان قلبي روحاني يكتفي بالتخيل أو الإلهام أو التلقين أو التقليد، دون أن يعتمد على أدلة العقل إذا

(١) فليس معنى الآية كما فهم الدكتور أنه لا يوصف بالعدل ولا بالرحمة. بل إنه يوصف بهما ولكن على أن نعلم أن الصفات التي يوصف بها غير صفاتنا نفسها التي توصف بها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نضج العقل، وبدأ بالتفكير، أما الذي يسمونه «إيمان العجائز» فإنه ليس بالإيمان الكامل الذي يقف على رجليه إذا عصفت زوابع الشك وأعاصير الشبهات. ولكنه يقبل من العجائز والعاجزين عن الاستدلال العقلي، من باب رفع الحرج والتكليف بالوسع، وهما من أهم وأحكم مبادئ القرآن. بل إن هذا الإيمان العجائزي، «الذي نحسبه قلبياً روحانياً إلهامياً تلقينياً تقليدياً» ينبع، في الحقيقة، من العقل الباطن الذي تكمن فيه - من غير شعور منا - أدلة العقل، بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومن بعضها قانون العلية الذي يتطلب العقل فيه لكل معلول علة، ولكل مسبب سبباً.

ولو اكتفى إيمان الإسلام بأن يكون من الظن والخيال والإلهام والتلقين والتقليد، لما كان يختلف في هذا عن إيمان المشركين وعبدة الأوثان!!. إن إيمان الإسلام هو إيمان الحق واليقين، لا إيمان الظن والخيال ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (النجم: ٢٨) وإذا كان إيمان المسلم يقع أخيراً، في القلب والضمير، فإنما ينحدر إليهما من قمة العقل، طاهراً من أدران الظنون والأوهام، بعد أن يمر بمصفاة العقل السليم، ويصبح صالحاً لمقاومة الشكوك والشبهات، كالدم الذي يرده القلب إلى حيث يصفى من سمومه، ليصبح قوياً وصالحاً لمقاومة الجراثيم.. هذا هكذا. ومن ظن أن في الإسلام إيماناً كاملاً غير هذا الإيمان العقلي البرهاني اليقيني، فإنه يشوه معنى الإيمان بالله، الذي يمتاز به دين الإسلام عن الوثنية المشركة بكل أشكالها.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يأس وأمل

حول مؤتمر القمة

العدد (٣٧) محرم (١٣٨٨هـ) - مارس (١٩٦٨م).

عرف القراء فضيلة الشيخ نديم الجسر كاتباً مجيداً وباحثاً عميقاً ولكن ربما لم يعرف الكثير منهم أنه شاعر ممتاز أيضاً، وهذه قصيدة من قصائده يعبر فيها أصدق تعبير وأجوده عما يجيش في صدورنا جميعاً. «الوعي الإسلامي».

أخشى على قلبي، وأنت حبيبه ... أن يستشيط إذا ظللت تذيبه
ما بي، وحقك، أن يكون منعماً ... سيان، عندي، برده ولهيبه
كلا، ولا بي أن يقر قراره ... هين علي سكونه ووجيبه
لكن أخاف فراره وإباقه ... إن طال من هذا الجفاء نصيبه
ويلي إذا انتهت الحياة ولم أجد ... قلباً منيباً في الحساب أنيبه
فتن الحياة أمرها تلك التي ... تأتي على القلب الكسير تريبه
واحسرتا للعبد يظلم نفسه ... ويظل يعلو بالثبور نعيبه
ويقول ربي شانني وأهانني ... ويخوض في قدر السماء يعيبه
وإذا أصاب الخير قال، بجهله ... هذا على علم لدي أصيبه
يكبو، ويطلب أن يقال عثاره ... يجني ويرجو أن تقال ذنوبه
وينام من سنن الحياة ويشتهي ... أن المحال إذا دعاه يجيبه
يا سادة جمع «الكتاب» شتاتهم ... ووقاهمُ من فرقة تهذيبه
بالله بالإسلام بالجرج الذي ... ما زال ينهر في القلوب صبيبه
لا تتركوا أحقادكم تطغى على ... إيمانكم بالله فهي تشوبه

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخطب في الإسلام فوق صغائر ... نلهو بهن وقد أطل رهيبه
لم ننس «أندلسا» وكيف أضاعها ... ذاك الشقاق، وفي الفؤاد ندوبه
دول نكاد نكون في تاريخنا ... صورا لها يطوي البعيد قريبه
ما كانت «الحمراء» إلا ومضة ... من عهد مجد قد أطل شحوبه
القصر لا يبقى إذا لم يحمه ... شعب أبي ضرستة حروبه
أولى علامات الزوال لأمة ... ترف يدب إلى الشعوب دبيبه
أستغفر الرحمن من يأس بدا ... مني على غرب الدموع غريبه
لم يجتمع، في صدر عبد مؤمن ... يأس مع الإيمان فهو يشوبه
ثلث البسيطة ملكنا، وعديدنا ... ثلث الورى والدين نحن قطوبه
ولنا من البر الفسيح عوالم ... ولنا من البحر المحيط دروبه
ولنا من الأمواه أعظم أنهر ... ولنا من النفط العظيم قليبه
ولنا، ببحر الروم، أطول ساحل ... هو حصة الأسد اشترته نيوبه
وعلى معابره الثلاثة تلتقي ... أشداقنا، فنجبه، ونجوبه
ويشد وحدتنا كتاب واحد ... نلقى عليه الله وهو حسيبه
مهما تفرقنا فلا معدى لنا ... عن ألفة يقضي بها تأديبه
هذا بمعركة البقاء سلاحنا ... لم يجتمع عند الشعوب ضريبه
إن مسنا قرح فما من معشر ... إلا أتاه، من القروح، نصيبه
دول هي الدنيا يداولها الذي ... خلق الوجود وصرفته غيوبه
هي نكبة لكن أكاد أرى بها ... خيراً لشعب أترفته عيوبه
ما الخطب، عندي، أن يباغت نائم ... في غفلة، بالمترفات، تنوبه
الخطب أن يبقى الخمار ملازماً ... شعباً توطأ بالنعال جنوبه

نديم الجسر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بشائر عن معركة المصير بين المسلمين وإسرائيل (١)
في ضوء القرآن والأحاديث النبوية والنواميس الكونية والتاريخ

العدد (٤٨) ذو الحجة ١٣٨٨هـ - فبراير ١٩٦٩م

في الأيام الأول من بعد المعركة الخاسرة شعرت أن صورة الإيمان قد اهتزت في القلوب، وأن الثقة بالله قد ارتجت بمس طائف من سوء الظن، وأن سكينة التفاؤل بوعد الله ورسوله قد انقلبت إلى قلق متشائم كاد يصل عند كثير من الناس، إلى حدود الشك والخوض في قدر الله، فأصبح أعظم همي، بل كل همي، أن أعيد الثقة إلى النفوس، في بلدي وكل بلد إسلامي زرته، ومن هنا كان اختياري لموضوع «المبشرات» ليعرف المسلمون من علماء الدين ما يحفظ عليهم إيمانهم، ويرد إليهم ثقتهم بالله وبأنفسهم، فألف معركة خاسرة تاعسة في ميادين الحروب أهون من معركة واحدة خاسرة تاعسة في طوايا النفوس والقلوب.

● **المسلمون بين الغرور والاستخذاء**

من جوامع الكلم المروية عن رسول الله ﷺ قوله «ما هلك امرؤ عرف قدره». ولكن أكثر الناس يحملون هذه الكلمة الجامعة على وجه واحد من النصيحة، وهو أن يعرف الإنسان جوانب ضعفه ونواحي عجزه، وقل أن يتبادر منها إلى الأذهان ذلك المعنى الأهم الأوسع، الذي نحن أحوج إليه اليوم، إن غفلة الإنسان عن معرفة قدر نفسه، في حقيقة ضعفها وعجزها ونقصها، ليست أكثر ضرراً من غفلته عن عرفان قدر نفسه في حقيقة قوتها وقدرتها.

ويزداد هذا الضرر ضراوة واستشراء إذا كانت الغفلة في حادث يتعلق بالجماعة والأمة، لأن للاستخذاء والخور واليأس والتهالك، عند صعقة البلية وبغتة النازلة، عدوى سارية طاغية، تنتقل من الضعفاء إلى الأقوياء بل من السخفاء إلى الحكماء، وهذا من حقائق علم النفس، ولولا ذلك لما استخذينا

وتهالكنا كلنا بعد النكبة: حيارى مولولين يائسين قانطين، كأن المسلمين لم يصابوا، قبل اليوم، بأية نكبة، وكأن تاريخ الأمم، التي تتحكم اليوم في الأرض، خلو من النكبات...

وهكذا دلت أحوال المسلمين، من قبل النكبة، على أنهم في غرور، ودلت أحوالهم، من بعد النكبة، على أنهم في استخذاء، والاستخذاء شر من الغرور.

فألف معركة خاسرة تاعسة في ميادين الحروب، أهون شراً، من معركة واحدة خاسرة يائسة في طوايا النفوس والقلوب.

واستخذاء النفوس أول علامات موت الأمة، كما أن الأمل، والثقة بالنفس، أول أسلحة النصر والبقاء.

والواثق بالله وبنفسه يستطيع أن يعد العدة. أما القانط من ربه ونفسه فلا يستطيع. ولو أعد له السلاح لا يحمله، وإن حمله لا يصدق في استعماله، لأنه يصبح إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢).

إن في تاريخنا، وتاريخ الدول التي تحكم العالم اليوم، عثرات وكبوات ونكبات أعظم، بألف مرة، من هذه النكبة التي أصابتنا.

معركة «أحد»، التي جرح بها النبي القائد الأعلى، في قلب معقله، وكاد يقتل، بعد تخبط الجيش وانكساره لم تكن نكبة الأبد.

وهزيمة «حنين» التي بقي فيها النبي وحده على سرجه ينادي الناس، لم تكن نكبة الأبد.

وفتح الصليبيين لبلاد الشام، وتمكنهم فيها مدة قرنين، لم يكونا نكبة الأبد.

واستيلاء التتر على بغداد عاصمة الخلافة وتخريبها، بعد قتل الخليفة المستخذي، لم يكونا نكبة الأبد على شعب نثل سهامه من «كنانة الله» فاستطاع أن يصنع معركة (حطين) ثم استطاع أن يبيد إبادة كاملة في «عين جالوت»، جيوش المغول المتحالفة مع الصليبيين، كما يقول مؤرخو الإفرنج أنفسهم متعجبين مدهوشين... وهزيمة دمياط، التي كانت تحمل كل عناصر النكبة اليائسة من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خيانة القائد المتراجع سعياً وراء العرش، إلى موت (الملك الصالح) لم تكن نكبة الأبد على شعب لم تخرجه الكارثة عن ثقته بالله، (الصالحية) لم تكن نكبة الأبد على شعب لم تخرجه الكارثة عن ثقته بالله، فاستطاع أن يأسر ملك فرنسا العظيم الشأن، ويسجنه في دار القاضي لقمان بالمنصورة.

واحتلال الاستعمار، في القرن الماضي، للهند وأندونيسيا، والجزائر وتونس ومصر والسودان والمغرب الأقصى وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق، أي للعالم العربي والإسلامي كله تقريباً، لم يكن نكبة الأبد. . .فهذه الأقطار كلها تتمتع اليوم بالاستقلال.

واحتلال الحلفاء في سنة ١٩١٨ لاستانبول عاصمة الخلافة، لم يكن نكبة الأبد على شعب لم يفقد ثقته بالله وبنفسه، فناضل وجاهد، وانتهى به الأمر، بعد ربع قرن أو أقل، إلى أن يرى الحلفاء الذين حطموه وحاولوا إذلاله، يستجدونه استجداء ليدخل معهم في حلف الأطلسي.

هذا عندنا. أما عند الأمم الأخرى فالأمثلة أكثر وأوجع.

إن أسر ملك فرنسا في معركة «المنصورة» لم يكن نكبة الأبد، فقد عاد الملك الأسير، بعد أمد قصير يشن حملة صليبية أخرى على تونس. . . فأخذه الله، هنالك بالطاعون كما أخذ أصحاب الفيل. . .

وأسر فرنسوا الأول ملك فرنسا في معركة «بافية»، التي «خسر فيها - على حد قوله- كل شيء إلا الشرف» لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع بعد ذلك أن يتحكم في أوروبا في عهد لويس الرابع عشر.

وانتصار فرنسا وحلفائها على ألمانية، في الحرب العالمية الأولى، لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع في الحرب العالمية الثانية أن يحتل باريس.

واحتلال ألمانيا الهتلرية، هذا، لفرنسا، لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع أن يسترد دوره في قيادة أوروبا، ويصنع القنبلة الذرية، في عهد ديغول.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

غثاء السيل

ذلك الاستخذاء في النفوس هو الذي عبر عنه النبي ﷺ «بالوهن» وشبهنا، من أجله «بغثاء السيل»، في حديث يعد من معجزات أخبار الغيب، يصف به حالة المسلمين، في عصورهم الأخيرة هذه وصفا ينطبق على واقعنا[1] الحاضر بعد مرور أربعة عشر قرنا مع الأسف الشديد!!

إن حاضر العالم الإسلامي اليوم يتلخص وصفه بما يأتي:

١- **في العدد**: كتلة هائلة من البشر يبلغ عددها الحقيقي، لو جرى إحصاء دقيق، أكثر من سبعمائة مليون، أي ما يزيد على ربع سكان الأرض.

٢- **في المكان**: تحتل هذه الكتلة العظيمة وسط العالم القديم وسرته، في رقعة واسعة متصلة تجمع بين آسيا وأفريقيا، وتشمل أكثر شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وجميع البحر الأحمر، وأكثر من ثلث البحر الأسود، وأكثر بحر قزوين، وتتسلط، تسلطا تاماً، على أخطر الممرات والمعابر البحرية في العالم القديم، مضيق جبل طارق، ومضيق الدردنيل، ومضيق البوسفور، وقناة السويس، ومضيق باب المندب، ومضيق هرمز، ومضيق «مالقا» وغيرها.

٣- **في الثروة المائية**: تضم هذه الرقعة الإسلامية ثلاثة من أعظم أنهار الدنيا: النيل والفرات والدجلة، عدا نهر العاصي ونهر السند وغيرهما من الأنهار والبحيرات.

٤- **في الثروة النباتية والحيوانية والمعدنية**:

تعتبر رقعة الأرض الإسلامية بحكم اتساعها، واتصال أراضيها، وتنوع

---

(١) بعض ضعاف النفوس يتخذون من هذا الحديث ذريعة للاستسلام والرضا بالضعف باعتبار أن هذا الوصف قاله الرسول الصادق، ولا بد أن يقع. والواقع أن الرسول قال هذا للتحذير من الوقوع فيه، وللتحذير من الرضا به والاستسلام له حين يحدث، فهو في حقيقته يبعث على القوة ويحث على التخلص من أسباب الضعف التي ذكرها وهي حب الدنيا وكراهة الموت. «الوعي الإسلامي».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أقاليمها ومناخاتها، وطول شواطئها، قارة كاملة تجمع كل أنواع الثروة النباتية والحيوانية والمعدنية المتنوعة. فهي في حالة اكتفاء ذاتي كامل، لا يعد لها فيه من الدول، إلا الولايات المتحدة الأميركية. هذا كله فوق ثروتها الممتازة، التي تتحكم في صناعة العالم القديم وتجارته، وفي وسائل النقل، بل تتحكم في مصير العالم عند الحروب الكبرى، وهي الثروة البترولية الهائلة، التي تبلغ في الإنتاج، أكثر من ربع إنتاج العالم كله، وعلى مزيد جديد يظهر في كل يوم، وتبلغ في احتياطي البترول، أكثر من ٢٦ ألف مليون طن، أي أكثر من ٥٦ في المائة تقريباً من احتياطي العالم المقدر بثمانية وأربعين ألف مليون طن. وهي ثروة لا يتم اعتزازنا بها إلا إذا تذكرنا أن إنتاج البترول غير العربي، ينحصر جزء منه في روسيا، ولا يكاد يكفيها لحاجاتها الصناعية والحربية، أما الأجزاء الأخرى فمحصورة في أمريكا البعيدة عن العالم القديم بعدا شاسعاً يجعل نقل البترول صعباً وغالياً بل يجعله، عند الحروب العامة، متعذراً.

إن هذه الحقائق التاريخية والجغرافية التي ذكرناها، بشيء من الإسهاب، تكاد تكون معلومة عند أقل الناس اطلاعاً، وما كنا بحاجة لذكرها لولا أن من طبيعة الإنسان، عند طغيان التشاؤم على قلبه، أن يذكر النقمة وينسى الصبر عليها، ويكفر النعمة وينسى الشكر لها. وإلى هذا أشار القرآن بقوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: ٥).

٥- في الوحدة الدينية: يضاف إلى تلك القوى البشرية والطبيعية الهائلة قوة معنوية لا مثيل لها، في تماسكها وقدسيتها، عند أمة من أمم الأرض، وهي قوة الأخوة الدينية، رغما عما يبدو، في الظاهر، من تعادي الحكومات العربية والإسلامية وتناحرها، فالحكام والحكومات شيء، والشعوب، في قلوبها وضمائرها شيء آخر.

ولكن على الرغم من هذه القدرة المادية والمعنوية الهائلة فإن أكثر العالم الإسلامي (من المغرب العربي على الأطلانطيكي إلى إندونيسيا وجوارها في أقصى الباسيفيكي، إلى التركستان والقفقاس إلى أواسط أفريقيا) كان محتلاً

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومستعمراً إلى وقت قريب، فصح وصدق، بهذا الواقع، ذلك الكلام المعجزة من قول النبي ﷺ لأصحابه «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. فسأله أحد أصحابه: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير. ولكنكم غثاء كغثاء السيل» وفي رواية[1] ورد ذكر «الوهن» و«كره القتال».

خميرة البقاء

ولكن هذه الأمة التي أصبحت، في عصورها الأخيرة «كغثاء السيل» مما اعتراها من «الوهن وكره القتال» لا تزال تحمل في باطنها خميرة البقاء.

لقد ظهرت على مسرح التاريخ أمم ودول وإمبراطوريات، حكمت العالم، ثم طواها الدهر حين دب فيها «الوهن» واجتاحتها أمم فتية قوية، أكلتها وبلعتها وهضمتها، حتى لم يبق لها وجود إلا في كتب التاريخ أو دور الآثار. ولكن هؤلاء المسلمين، الذين حكموا العالم، ثم صاروا كغثاء السيل، واجتمع لهم من أسباب الوهن ما يكفي لزوال الأمم وانقراضها، لا يزالون قائمين.

تداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، وأكلت من قصعتهم ولا تزال تأكل، ولكنها لم تستطع أن تأكلهم.

يذكرني هذا الصمود بالعادة، التي يروى أنها كانت متبعة عند الإسبارطيين الأشداء: كانوا يغطسون الطفل عند ولادته، في البحر تغطيسا يكفي في العادة لاختناقه وموته. فإن مات ذهب غير مأسوف عليه، وإن صمد فهو الصالح للنضال والبقاء.

فما هي الخميرة التي جعلت المسلمين يصمدون ويصلحون للبقاء على الرغم من تلك الكوارث التي أصابتهم؟

---

(١) جاء في هذه الرواية تكملة للحديث «ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهة الموت» «الوعي الإسلامي».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن المسلم المؤمن بالقرآن يجد الجواب في بشائر كثيرة، أوضحها قوله تعالى، بالتوكيد بعد التوكيد، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: ٩).

والذكر هو القرآن. وحفظه إنما يبلغ الغاية من تنزيله بحفظ الأمة التي تذكره وتحفظه.

ولكن المسلم يجد التعليل، الاجتماعي العقلي، لصمود المسلمين، في آيتين أخريين، يقبلهما عقله وإن لم يؤمن بالقرآن، لأنهما تكشفان عن ناموس اجتماعي تدركه العقول:

الآية الأولى قوله تعالى في سورة الرعد ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (الرعد: ١٧).

والآية الثانية قوله تعالي في سورة إبراهيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ (إبراهيم: ٢٤ -٢٧).

الزبد رغوة لا تلبث - وهي تفور وتعلو - أن تتلاشى وتذهب جفاء.

والذهب، الذي لا يفور ولا يعلو، هو الذي يبقى في الأعماق ويمكث في الأرض، ويصمد لتأثير الماء والهواء فلا يصدأ ولو تراكم عليه التراب.

والشجرة الطيبة يحافظ عليها الناس، والشجرة الخبيثة الضارة يجتثها الناس لتذهب طعاما للنار.

أليس هذا هو ناموس الأنسب والأصلح ؟

وما هو الزبد؟ أليس هو الباطل الذي يزهق كما قال القرآن؟

وما هو الذهب ؟ أليس هو الحق الذي يبقى كما قال القرآن؟

وما هي الشجرة الطيبة؟ أليست، هي شجرة الحق والخير؟

وما هي الشجرة الخبيثة؟ أليست هي شجرة الباطل والشر؟

لو أن للفلك أن يعكس دورته، ويرجع القهقرى إلى عهود الظلام العقلي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القديم، لكان ممكنا للشجرة الطيبة أن تجتث بمعول الجهل، ولكان ممكنا، للشجرة الخبيثة السامة، أن تعبد على أنها إله مخيف قتَّال، ولكن التفكير الإنساني أخذ يسير في النور نحو الحق. وكلما ازداد النور سطوعا ازداد الحق ظهورا، فخميرة بقاء المسلمين هي هذا الحق الذي يرتكز عليه الإسلام، والذي يزداد ظهورا وإشراقا كلما ازداد التفكير الإنساني نضوجا وازداد تفهما «لوسطية الإسلام».

وسطية الإسلام

ومن هذه الخميرة تنبع «وسطية الإسلام» التي بشرنا الله بها بقوله:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

والوسط هو العدل. والتوسط هو الاعتدال. والشهادة، هنا، بمعنى العلم والإعلام. فما هي هذه «الوسطية» العادلة المعتدلة، التي جعلنا الله عليها، وأمرنا أن نقف عندها، وأن نرشد الناس إليها؟

أهي في الوقوف مع الحق ضد الباطل؟

أهي في الوقوف مع الخير ضد الشر؟

هذه بديهيات ساذجة تقرها كل الديانات السماوية والقوانين والشرائع الأرضية، وتعرفها كل العقول، فليس فيها نظرة جديدة عميقة تصلح لحل أزمات الصراع الفكري حول قضايا الإيمان والعقل والعلم والحرية والمجتمع.

فالوسطية الإسلامية - إذن - أعمق من ذلك:

إنها في الوقوف بالمركز الوسط العدل الذي نكون فيه قادرين على أن نمنع تعارض الحق والخير مع الحق والخير: فالحق بذاته، لا يمكن أن يتعارض مع الحق، والخير بذاته لا يمكن أن يتعارض مع الخير. ولكن الإفراط والتفريط في النظرة هو الذي يعطل صفاء الإدراك، ويعكر صفاء الاستنتاج، ويشل القدرة على التوفيق بين هذه المعاني الكريمة:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالإيمان بالله حق وخير، وبه أمرنا. والعقل الذي ندرك به وجود الله حق وخير، وبتحكيمه أمرنا. وقضايا العلم حق وخير، وبالاستدلال بها على الخالق أمرنا. ولكن لا يجوز أن نجعل تحمسنا المفرط لخدمة الإيمان وصونه من الجدل سببا لتعطيل العقل بتحميله المتناقضات، أو نجعل تعظيمنا لقدر العقل سببا لتحميله ما هو فوق طاقته من معرفة كنه الغيب الذي استأثر الله بعلمه، أو نجعل زهونا باكتشاف قضايا العلم التي هي، في الحقيقة انكشاف لنواميس الله في خلقه، وسيلة للكفر بالله، وهي من أول الدلائل على الله.

وقدر الله حق وخير، وبالإيمان به أمرنا. والأخذ بالأسباب حق وخير، وبه أمرنا. فلا يجوز أن نجعل سوء فهمنا لمعنى القدر سببا لتعطيل الأخذ بالأسباب، أو نجعل اعتمادنا على الأسباب طريقا لإنكار قدر الله، الذي ﴿تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ (الروم: ٢٥). وإعداد القوة لدفع العدوان حق وخير، وبه أمرنا. والتوكل على اللّه حق وخير، وبه أمرنا. فلا يجوز أن نجعل اعتمادنا على إعداد القوة سببا لتعطيل اتكالنا على الله. أو نجعل اتكالنا على الله سببا لإهمال ما أمرنا به من إعداد القوة.

والحرية الشخصية للإنسان الفرد حق وخير، وبصيانتها أمرنا.

ومصلحة الجماعة حق وخير، وبحفظها أمرنا. فلا يجوز أن نعطل الحرية الشخصية تعطيلاً مطلقاً على حساب مصلحة الجماعة، ولا أن نتجاهل مصلحة الجماعة على حساب الإفراط في تقديس الحرية الفردية إلى حد الفوضى.

فالوسطية الإسلامية هي في هذا التوفيق بين هذه المعاني وأمثالها من الحق والخير، توفيقاً كاملاً تبقى معه غير متعارضة ولا متناقضة ولا يغني بعضها عن بعض.

بهذه الوسطية ساد المسلمون، ثم تخلوا عنها فأصبحوا كغثاء السيل، وتداعت عليهم الأمم حتى أضعفها وأذلها كاليهود ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣). صدق الله العظيم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عناصر أساسية

في معركة المصير الأبدي للأمم والدول عناصر ثلاثة طبيعية أولية أساسية وضرورية، يقوم عليها بقاؤها الأبدي. وعناصر أخرى ثانوية تساعد على استدامة البقاء. وما أشبه ذلك، عند التمثيل والتوضيح، بالإنسان: بين أن يخلق خلقاً سوياً، في جسده وحواسه، ثم يستكمل بعد ذلك أسباب بقائه بالسلاح، وبين أن يخلق، من بداية أمره، مسيخاً ضعيفاً مشوهاً، فلا ينفعه أي سلاح ثانوي في معركة البقاء.

والعناصر الثلاثة الطبيعية الأساسية التي لابد من اجتماعها للأمة التي يكتب لها البقاء هي:

أ- الأرض الكافية الوافية.

ب- العدد الكافي للبقاء.

ج- الوحدة الفكرية الوجدانية الضامنة لجمع القلوب.

وكل نقص، في غير هذه الثلاثة، من علم وتصنيع وتسلح يمكن تلافيه مع الزمن:

أما الأرض الكافية فأعني بها:

أ- تلك التي تضمن الاكتفاء الذاتي، للأمة القاطنة فيها، بالموارد الطبيعية: (المائية والنباتية والمعدنية الصالحة للغذاء والوقود والتصنيع والتسلح والحرب) فلا تحتاج معها إلى سواها من الأمم.

ب- وأن تكون الأرض منفتحة على العالم براً وبحراً، أي غير محصورة بالبر فلا بحر لها، وغير محصورة بالبحر.

ج- أن تكون الأرض مستعصية، بسعتها، وتنوع مناخاتها، على الفناء الشامل بالكوارث الطبيعية المختلفة، كالجفاف والصقيع والزلازل والخسف. فلو أصابها، في بعض مناطقها، شيء من هذه الكوارث سلمت المناطق الأخرى الكافية للعيش والاكتفاء الذاتي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما العدد الكافي فأعني به العدد الغفير:

د- الذي يضمن للأمة معيناً لا ينضب، أو غير سريع النضوب، من البشر، الذين يمدون الجيوش مهما طالت الحرب، ويخلفون الموتى عند الكوارث المرضية والمجاعات.

هـ- والذي يستعصي، بصورة خاصة، على خطر الفناء الجديد بالقنابل الذرية التي يمكن، إذا كانت أرض الأمة ضيقة وعددها قليلاً، أن تكون سبباً لإفناء الأمة بكاملها فلا يبقى منها عدد كاف يصلح لاستئناف الحياة واستمرار البقاء.

أما الوحدة الفكرية فإنما أعني بها الوحدة التي تجمع قلوب أفراد الأمة كلهم حول هدف واحد، ثابت، لا يزول ولا يحول ولا ينحرف باختلاف المؤثرات القومية والعنصرية والسياسية والاقتصادية، بل يثبت أمام كوارث الفقر والجوع والموت، ثباتاً عقائدياً يبقى قائماً في قرارة وجدان الأمة.

فإذا قيل لكم، يا شباب المسلمين، أن أمة على وجه الأرض، بل في تأريخ الأرض، قد اجتمعت لها هذه العناصر الطبيعية الأساسية الثلاثة الضامنة للبقاء الأبدي بأمر الله، أكثر مما اجتمع للأمة الإسلامية فلا تصدقوا، ومهما قيل لكم من ذهاب ريح المسلمين بسبب تنازعهم فلا تخافوا ولا تيأسوا.

أخوة المسلمين

إن أخوة المسلمين، على اختلاف أقطارهم وأعراقهم وألوانهم ومصالحهم الدنيوية، ليست من نوع الأخوة الوطنية، ولا من نوع العصبية، ولا من نوع الرابطة الاجتماعية، التي تشد الأواصر بين الخلطاء والشركاء حول مصالحهم الاقتصادية والمعاشية، ولكنها أخوة من صميم العقيدة، لا يتم إسلام المسلم، ولا يتحقق إيمانه إلا إذا استقرت في قلبه استقراراً وجدانيا، ينسى معه كل مصلحة شعوبية أو مذهبية أو عصبية أو إقليمية أو عائلية أو شخصية أو اقتصادية، أو معاشية، حتى يجعل هذه المصالح كلها تحت قدمه إذا تعارضت مع تلك الأخوة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلامية المقدسة.

ولا يغترن أحد من المسلمين أو غير المسلمين بما يراه اليوم في هذه الأخوة من تخلخل عند بعض ضعفاء النفوس، فإن هؤلاء قلة. ومثلهم عند الأمم كثير. ولاسيما الأمم التي دخلت زمنا طويلاً تحت حكم الغزو والاحتلال. ولكن ما من مسلم، مهما بلغ رجسه في الخيانة، ومهما بلغ الثمن الذي باع به نفسه، إلا ويجد في سويداء قلبه، إذا هو خلا، في سواد الليل، إلى نفسه، غصة أليمة في الفؤاد، وكرباً ممضاً في الضمير، مادام يؤمن بالله وبأن محمداً رسول الله.

هذه حقيقة يعرفها كل مسلم من نفسه وإن جهلها أو شك فيها غير المسلمين.

وكيف لا يكون المسلم كذلك إذا كان يؤمن بالله ورسوله، وهو يسمع قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠) وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾ (محمد: ٢٢-٢٣) ويسمع قول رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» وقوله ﷺ: «من بات ولم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم» وقوله ﷺ «من غشنا فليس منا» و«من حمل علينا السلاح فليس منا» وقوله «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وقوله ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».

للبحث بقية

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بشائر عن معركة المصير بين المسلمين وإسرائيل (٢)
في ضوء القرآن والأحاديث النبويَّة والنواميس الكونية والتاريخ

العدد (٥٠) صفر (١٣٨٩هـ) إبريل (١٩٦٩م)

ما وجدت لتبقى

أما إسرائيل فلن يكتب لها البقاء، لأنه لم يكتب لها البقاء.

يقول الذين خلقوها إنها وجدت لتبقى. وأنا أقول: إنها وجدت لتزول. لا أقولها مغروراً ولا موتوراً ولا مهولاً ولا معللاً بالآمال، ولكن أقولها عارفاً بنواميس الاجتماع، التي بني عليها وجود الأمم، وبقاؤها أو زوالها، بأمر الله، وحتمية التاريخ.

دولة إسرائيل هذه لن تبقى في فلسطين ولو اجتمع يهود العالم بملايينهم العشرة المبعثرة في جوانب الأرض، وجاءوا كلهم إلى فلسطين، وحمل كل واحد منهم مدفعاً في دبابة وصاروخاً في طيارة.

ما هي دولة شاوول وداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، اللذين نقرأ عن أمجاد ملكهما في تاريخ الدين والدنيا صفحات ذهبية، يكاد بريقها يوهمنا أنها دولة عظيمة؟

إنها دويلة بل أصغر من دويلة، لا يتعدى كيانها حدود رقعة صغيرة من قطر فلسطين الصغير القاحل، الضيق، المحصور بين الإمبراطوريات الفرعونية والكلدانية والآشورية والفارسية والمقدونية والرومانية، المتطاحنات في حروب لا نهاية لها للسيطرة على العالم القديم.

فهي من وجهة النظر إلى ماهية كيانها الأرضي والبشري، (وبقطع النظر عن الرسالة السماوية التي كانت ملقاة على عاتقها) لا تكفي، بأرضها وسكانها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهيكلها الذهبي، أن تكون لقمة في أشداق تلك الإمبراطوريات التي تقوم على جوانبها من الشرق والغرب.

هذا من بديهيات الناموس الإلهي الاجتماعي الذي يسمى «ناموس تنازع البقاء وبقاء الأنسب» وهو الأقوى بكل معاني القوة.

ولكن دولة داود وسليمان قد وجدت بتدبير الله من أجل حكمة عظيمة استنفذت أغراضها منذ عشرين قرنا.

إنها وجدت، بمعونة الله، لحماية رسالة الحق والخير، التي أراد الله حفظها، في تلك الفترة من التاريخ على يد الشعب الباقي، (بعد إبراهيم عليه السلام ونسله)، على عبادة الله الحق من طغيان الوثنية. فازدهرت الدولة في عهد داود وسليمان، حين كانت تقوم على مبادئ الحق والخير.

ثم فسد الشعب اليهودي، وخرج عن مبادئ الحق والخير، بفسوقه وعصيانه وترفه وظلمه وقتله الأنبياء، فخسرت الدولة اليهودية سبب وجودها وسند بقائها الأوحد، وخسرت الديانة اليهودية المحرفة مقومات صلاحها، فأرسل الله السيد المسيح، صلوات الله عليه، بالإنجيل والدين الحق، ليحل محل الديانة التي أفسدها أهلها.

وسلط الله على الدولة الفاسدة من زلزلها، وعلى الشعب المفسد الفاسق الظالم من مزقه وشرده تشريداً لم يعرف التاريخ نظيره في أي شعب من شعوب العالم: فكان الإجلاء الأول على يد بختنصر الكلداني، وكان بعد ذلك هدم الهيكل والتشتيت في أطراف الأرض على يد تيطوس الروماني، الذي لا نزال نقرأ اسمه وذكرى نصره على اليهود منقوشين على قوس النصر المنصوب له في روما.

انتهت الدولة اليهودية الصغيرة لأنه لم يبق لوجودها أي سند إلهي وهو حماية الدين الحق.

وانتهى الشعب اليهودي، كوحدة اجتماعية، لأنه لم يبق له كيان اجتماعي مستقل بحكم تشتته وضعفه وقلته وفقدان أرضه، وعانى اليهود، من ضروب الاضطهاد والقتل والذبح والحرق والتعذيب والإذلال على أيدي النصارى، ما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنبأ عنه القرآن بقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١).

بعد هذا التمهيد التاريخي والاجتماعي أعود فأكرر قولي: إن دولة إسرائيل لن تبقى:

أولاً- لأن كيان الدولة اليهودية فقد مبررات وجوده الدينية فأعطاها لغيره.

ثانياً- لأن دولة إسرائيل الجديدة الاصطناعية غير الطبيعية لا تصلح للبقاء، في أرض فلسطين بالذات، بحكم ناموس تنازع البقاء لأنها محرومة من العنصرين الأساسيين الضروريين للبقاء، وهما الأرض الكافية والعدد الكافي.

ثالثاً- لأن فلاسفة اليهود الذين فكروا بإيجاد دولة يهودية خدعوا أنفسهم حين ركزوا أنظارهم على جاذبية الدعاية الدينية، التي تسحر كل يهودي يقال له إنك سوف تحيي دولة داود وسليمان في هيكل سليمان.

فيا لغباء الفلاسفة.. لقد تذكروا جاذبية الدعاية الدينية عند اليهود، وغفلوا عن رد الفعل العنيف للدعاية الدينية عند المسلمين، الذين يدخل في صميم عقيدتهم حفظ المسجد الأقصى والأرض المقدسة، التي بذلوا في الحروب الصليبية دماء غزيرة حتى استردوها، والتي مضى على استقرارهم التاريخي فيها مدة تكاد تكون أطول مدد الاستقرار لشعب على أرض في التاريخ.

من هذا يظهر بوضوح: أن خلق هذه الدولة في أرض فلسطين الضيقة القاحلة، التي لا تكفي بمساحتها وثروتها الطبيعية لتكوين دولة قادرة على البقاء، ومن شعب لا يكفي بعدده، ولو اجتمع كله، للصمود، وفي وسط بحر من الامتداد العربي والإسلامي الهائل، ومع التجاهل الأبله لما يمكن أن يصير إليه العرب والمسلمون من العلم والقوة والتسلح، كان خلقاً مسيخاً يحمل في صدره عناصر زواله، لأنه لا يعتمد على أساس من الأسس التاريخية والاجتماعية أو الأرضية أو العددية أو الاقتصادية التي يبنى عليها بقاء الأمم.

وإن قيل لكم يا شباب المسلمين إن هذا الكيان الاصطناعي تحميه الدول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الغربية المسيحية إلى الأبد فلا تصدقوا، لأنه لا يوجد مبرر طبيعي أو تاريخي لحماية هذا الكيان إلى الأبد.

فالحماية إما أن تكون للعاطفة والمودة، وإما أن تكون للمصلحة: أما العاطفة والمودة فلا عاطفة ولا مودة. وتاريخ المسيحيين مع اليهود، هو سلسلة من القتل والخنق والحرب، كما هو معروف ومشهور من ألفي سنة إلى عهد الأفران النازية.

بل إن كانت هنالك مودة فإنه لولا مصلحة السياسة الاستعمارية ورواسب التاريخ الحربي التوسعي الطويلِ، لكانت المودة من المسيحيين للمسلمين أقرب. وبهذا بشر القرآن وأكد بعد أن أنذر بعداوة اليهود وشدد بقوله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ (المائدة: ٨٢).

وتبقى المساعدة للمصلحة السياسية، وهذا هو الواقع، فالدول الاستعمارية التي ساعدت على خلق إسرائيل لتكون شوكة في حلق العرب، إنما خلقتها لمصلحة سياستها الاستعمارية والبترولية، وسوف تظل تحميها ما دامت لها مصلحة في حمايتها.. فإذا قيل لكم إنها سوف تحميها إلى الأبد فلا تصدقوا.. فما في «سياسة المصلحة» شيء ثابت إلى الأبد.

ناموس التدافع الإلهي

وإذا كان سلطان المصلحة هو المسيطر فإننا نتساءل:

هل التخلي عن تونس والمغرب والجزائر والهند الصينية، أعظم وأوجع في ميزان المصلحة الإفرنسية من التخلي عن مساعدة إسرائيل؟

وهل التخلي عن الهند الدرة في التاج البريطاني، وعن مصر والسودان والعراق وغيرها، أعظم وأوجع في ميزان المصلحة الإنجليزية من التخلي عن مساعدة إسرائيل؟

الجواب واضح وبديهي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومع ذلك فإنه، بحكم سياسة المصلحة العليا، وبقوة حفظ التيارات الدولية المتعاكسة، اضطرت فرنسا وانكلترا لترك هذه المستعمرات العزيزة الغالية.

هذه السياسة الدولية المتعاكسة (المتدافعة)، التي تتفاعل على الأرض، فترغم الجبابرة على أن يتخلوا عن جبروتهم وطغيانهم، بحكم تدافعهم، فضلاً ورحمة من الله، هي الناموس الإلهي الذي عبر عنه القرآن بقوله ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١). صدق الله العظيم.

وبقوة هذا الناموس يقوم التوازن الدولي في جميع عصور التاريخ، ويقوم اليوم بين المعسكرين الشرقي والغربي.

وبقوة هذا الناموس نفسه، دفن الإنجليز والافرنسيون أربعين ألف جندي، من زهرة شبابهم، أمام حصون «سيفاستابول» ليردوا روسيا المسيحية عن تركيا المسلمة في حرب «القرم».

ولعله يكون قريباً ذلك اليوم الذي تجد به نفسها أمريكا، حامية إسرائيل الكبرى، «أمام الخطر الأصفر الهائل الآتي من الصين الشيوعية المسلحة بالقنبلة الذرية» مضطرة، بحكم «ناموس التدافع» إلى طلب المساندة من دول «المدار الإسلامي كما طلبتها من تركيا المسلمة حين استنجدتها الدخول معها في حلف الأطلسي» لتجعلها الحصن الأمامي الأول في وجه الخطر الشيوعي الأحمر. وما ذلك على الله بعزيز.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ (آل عمران: ٢٦).

نعمة التحدي

وعلى ذكر ناموس «التدافع»، الذي عده الله فضلاً منه على الناس، وما كان من حماية هذا الناموس للدولة العثمانية المسلمة عند تكالب الدول الغربية عليها، أذكر ناموسا آخر أشار إليه القرآن في آيتين، وعده من مزايا المؤمنين، وسماه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خيراً، لأنه يخلق من الضعف قوة، ومن البغي انتصاراً، ومن الشر خيراً، وهو ناموس «رد التحدي» وأثره في صراع الأمم عبر التاريخ.

الآية الأولى قوله تعالى في سياق آيات يمدح بها المولى صفات المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الشورى: ٣٩).

والآية الثانية قوله تعالى في آيات يذكر بها سبحانه تحدي المشركين للمسلمين، وبغيهم عليهم وإخراجهم لهم من المسجد الحرام ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ (البقرة: ٢١٦).

منذ أكثر من عشر سنوات دعيت للكلام في اجتماع عام عقد لتجديد الندب والنياحة على مصيبتنا في فلسطين. وكان أني بدأت الكلام، عن المصيبة بقولي «إنها نعمة وليست بنقمة»، وكان هذا المطلع غريباً عجيباً عند السامعين. وكنت أعني «نعمة التحدي»، التي أيقظت العرب والمسلمين من سباتهم العميق، اليوم وفي أيام متعددة من التاريخ.

ولم أكن يومئذ قرأت شيئاً مما فصله المؤرخ الفيلسوف البريطاني «تومبي» عن أثر «التحدي ورد التحدي» بين الأمم في سير التاريخ، ولكن كان منطلقي إلى الكلام من كارثة مذلة عايشتها في مطلع شبابي، فأدمت قلبي، وزعزعت ثقتي، مثلما تفعل اليوم كارثة الخامس من حزيران في شبابنا..

حكاية تلك الكارثة ربما عرفها بعض شبابنا المثقف إجمالاً ولكنهم قد لا يعرفونها بالتفصيل:

في الحرب العالمية الأولى طلب الحلفاء وعلى رأسهم انكلترا من دولة اليونان أن تدخل إلى جانبهم ليتمكنوا من مهاجمة تركيا من جهة الدردنيل. وما كان لدولة اليونان أن ترد لإنكلترا طلباً وهي صاحبة الفضل عليها في التخلص من حكم الأتراك. ولكن رئيس وزراء اليونان اغتنم هذه الفرصة فانتزع من الحلفاء وعداً بتكبير حدود اليونان حتى تشمل منطقة «أيونيا» اليونانية القديمة، وهي القسم الغربي من الأناضول الذي يضم في حفائره آثار «طروادة».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولما انتصر الحفاء جاءت اليونان تطالب بإنجاز الوعد ولكن السياسة الدولية لم تجد مبررا لاقتطاع جزء من تركيا وإعطائه لدولة صغيرة لم تستطع الدخول إليه في الحرب، فأشارت انكلترا على اليونان بخلق نزاع مع تركيا، والهجوم على الأناضول، ليكون هذا الاحتلال منطلقاً لتدخل الحلفاء، وإرغام تركيا على القبول بالأمر الواقع، وإعطاء القسم الغربي من الأناضول إلى اليونان، باسم الحق التاريخي الكاذب، الذي مضى على زواله ثلاثة آلاف سنة. وهي نفس التمثيلية المضحكة المبكية التي تلعبها إسرائيل بمساعدة الحلفاء أنفسهم، كانت الحالة قبل هجوم اليونان هكذا.

أساطيل الحلفاء ترسو في القرن الذهبي، وجيوشهم تسرح وتمرح في استانبول عاصمة الخلافة، والحفلات الراقصة تقام كل ليلة على ظهور البوارج، والسلطان ينام في قصره عند شاطئ البوسفور على أنغام موسيقى الأساطيل.. وظهرت يومئذ، في الأناضول، مبادئ مقاومة للحلفاء المحتلين لعاصمة الخلافة، من قبل مصطفى كمال وطائفة من شباب الأتراك.. ولكن ماذا يستطيع هؤلاء أن يفعلوا، والجيش التركي المسرح ليس له وجود، والشعب التركي في مثل حالة الحيرة واليأس والقنوط التي نحن العرب عليها اليوم، والفتاوى الدينية تصدر تترى من شيخ الإسلام في استانبول، بأمر مطاع من الحلفاء للسلطان، معلنة (في صفحات المجلة الدينية التي لا أزال أحتفظ بها في مكتبي) أن مصطفى كمال وصحبه عصاة على الخليفة وكفرة فجرة يستحقون الإعدام؟

وشاء ربك أن تقع المعجزة.. سبحانه.

في صبيحة يوم من تلك الأيام السود احتل اليونانيون أزمير، وسار جيشهم يشق بلاد الأناضول.

إن من طبيعة التحدي أن تختلف ردة الفعل عليه سرعة وبطأً، باختلاف مكانة الأمة المتحدية والأمة المتحداة، ومجدهما وعزتهما في التاريخ. وباختلاف الناحية التي يمسها التحدي:

فالأمة العزيزة قد تصر، بعض الوقت، على التحدي إذا وقع لها من أمة عظيمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عزيزة مثلها أو أكثر منها. أو كان يستهدف ما في القصعة، ولا يمس المقدسات في الصميم. ولكن إذا كان التحدي من أمة صغيرة ذليلة لأمة عزيزة، أو كان مما يجرح الأمة في مقدساتها، فذلك الذي يهون عنده الموت.

فلو كان الهجوم على الأناضول من فرنسا أو إنكلترا أو أمريكا، لما وجد الشعب التركي عاراً في الصبر عليه بعض الوقت. أما أن تأتي دويلة اليونان، التي كانت إلى الأمس القريب، ولاية تابعة للدولة العثمانية، لتهاجم الشعب التركي، الذي سبق له أن أرعب أوروبا، فهذا هو التحدي الذي صنع معركة «صقارية» الضاربة، التي لم يغسل الأتراك سيوفهم من دماء اليونان في نهايتها إلا بمياه البحر عند أزمير.

وطلبت اليونان من حليفتها وحبيبتها انكلترا المساعدة عند هذه النكبة، فكان جوابها «إن حكومة صاحب الجلالة لا ترغب في التورط بحرب عالمية جديدة».

ذلك أنه كان من قدر الله، الذي يقلب القلوب، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، أن الخلاف بدأ ينشب بين كلمنصو رئيس وزراء فرنسا ولويد جورج رئيس وزراء انكلترا على اقتسام تركة الرجل المريض، التي أخذت منها انكلترا حصة الأسد، فما كان من كليمنصو إلا أن انحرف لمساعدة الثورة التركية، وأمر الجيش الفرنسي الموجود في كيليكيا أن يخرج منها، ويترك جميع ما معه من العتاد الحربي ملكاً لحكومة الثوار الأتراك.

هذا مثل حي قريب العهد من أثر ناموس التحدي الذي سماه القرآن خيراً ومن أثر «ناموس التدافع» الذي سماه المولى فضلاً.

فالتحدي في الحروب الصليبية هو الذي خلق من الضعف قوة في معركة «حطين» والتحدي المغولي الصليبي هو الذي خلق من الضعف قوة في «عين جالوت» والتحدي في معركة دمياط هو الذي خلق من الضعف والفوضى قوة في معركة المنصورة. .

وهذا التحدي المعاصر في خلق إسرائيل هو الذي خلق اليقظة الشعبية عند العرب والمسلمين. وسوف يخلق من الوهن قوة واتحادا، في يوم تخفيه قدرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العليم الحكيم وراء الظروف الملائمة، التي يهيئها القدر لاحتدام «ناموس التدافع» الذي قلنا إنه ليس ببعيد.

بشارة من وراء الغيب

في الصحيحين حديث عن مقتلة تقع، في المستقبل البعيد، بين اليهود والمسلمين، وتكون النصرة فيها للمسلمين جاء في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتله»، وفي رواية عن ابن عمر أيضاً «أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله». وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله». وجاء في صحيح البخاري «عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله» وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله». وفيه عن عبد الله بن عمر «يقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله».

في أسبوع النكبة جاءني شاب مؤمن من أرقى المثقفين وسألني عن هذا الحديث. قلت: هو من أعظم المبشرات فعلى كل مسلم أن يعرفه، ويجعله نصب عينيه ليستضيء بنوره في هذه الأيام السود الحوالك.

قال: سألنا عنه أحد كبار العلماء فقال: إنه حديث ورد في الصحاح ولكنه آحادي وليست له قوة الحديث المتواتر.

قلت: كأنه يشك فيه؟ قال: لا، ولكنه يرى أنه لا ينبغي الاعتماد عليه. ولا يقصد بذلك إلا وقاية للناس من الشك بكلام رسول الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قلت: إن صاحبك هذا ربما كان حسن النية، وربما كان كبيراً في علم مصطلح الحديث، ولكنه لا يفهم شيئاً من فقه الحديث.

قال: كيف؟ قلت: إن هذا الحديث أصح من الصحيح، وأقوى من المتواتر.

قال: وهل يكون بين الأحاديث الصحيحة ما هو أصح من الصحيح، وبين الأحاديث الآحادية ما هو أقوى من المتواتر؟ قلت: أما في علم مصطلح الحديث فلا. وأما في فقه الحديث فنعم.

قال: لماذا؟ قلت: لأن هذا الحديث (بقطع النظر عن صحة السند) يحمل براهين صحته بذاته ولفظه ومعناه، وقد جاءت الأيام تبرهن على صدقه بواقع الحال.

ذلك أن نصوص الأخبار عن المغيبات منها ما لا يحمل براهين صحته بذاته، ولكننا نقول بصحته، اعتماداً على صحة السند، ومنها ما يحمل، فوق برهان السند الصحيح، براهين صحته بألفاظه ومعانيه والظروف التي روي فيها، ومنها ما تأتي أحداث المستقبل بتحقيق الأخبار الغيبية التي أنبأ عنها النص. خذ لك مثلاً آية الأخبار المبشرة بغلبة الروم للفرس في قوله تعالى ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ (الروم: ٢-٦).

إن هذه البشارة القرآنية من أخبار الغيب، لا تحمل براهين صحتها بذاتها؛ ولكن المسلمين آمنوا بها وصدقوا لأنها من القرآن، ثم جاءت الأيام، بعد بضع سنين، كما ذكر القرآن، تؤيد وتحقق، بالواقع، غلبة الروم للفرس. فكان ذلك من جملة وجوه إعجاز القرآن.

أما هذا الحديث، عن قتال اليهود، فإنه يحمل براهين صحته وصدقه من الوجوه الثلاثة: بسنده، وبذاته، وبواقع الحال. وهذا معنى قولي لك عنه أنه أصح من الصحيح وأقوى من المتواتر.

وسأشرح لك هذا المعنى ولكني أريد قبل ذلك أن أقول كلمة عن المشككين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذين يقولون، بحسن نية أو بسوء نية، إن الحديث آحادي ولا يجوز الاعتماد عليه في الصراع بيننا وبين إسرائيل، التي تعتمد على أسباب المادة والقوة، إن هؤلاء ينسون أو يتناسون أمرين:

الأول: أن هذه المبشرات هي من أوليات أسباب القوة، كما أوضحنا في صدر هذه المحاضرة عن نفع تشديد القلوب، وعن ضرر اليأس والاستخذاء، وعن ضرورة الثقة بالله من أجل إعداد القوة، بل من أجل القدرة على استعمال القوة.

ثانياً: أن أعداءنا اليهود ما استطاعوا جمع شتاتهم، وإعداد قوتهم إلا باعتمادهم على ما اخترعوه من المبشرات الدينية بإعادة الدولة اليهودية في أرض الميعاد.. أفيكون للمبشرات اليهودية، التي نعتقد، نحن المسلمين، أنها مخترعة كاذبة أثرها ونفعها عند أعدائنا، ثم نحاول، نحن، أن نهمل، أو نضعف مبشراتنا الدينية، التي نؤمن بأنها صادقة..؟ يا للعجب...

ولنرجع إلى شرح أدلة صدق الحديث:

أ- إن الحديث يصرح بأن المقتلة مع اليهود ستكون في المستقبل، بل في قوله، على إحدى الروايات، «لا تقوم الساعة حتى...» ما يفيد أن المقتلة ستكون في المستقبل البعيد.

ب- إن المفهوم من ظاهر وصف المقتلة أنها ستكون عظيمة وضارية.

ج- إن المفهوم من قول الحديث، في إحدى الروايات «تقاتلكم اليهود» أنهم هم الذين يبدأون المسلمين بالقتال وهذا يقتضي أن تكون لهم دولة وشوكة تشجعهم على أن يبدأوا بالقتال.

د- لا يخفى أن يهود الحجاز والجزيرة العربية لم يكن لهم كيان دولي قائم بذاته قبل الإسلام. وأما بعده فلم يعد لهم شوكة، بل لم يعد لهم وجود يظن معه أنهم يقاتلون المسلمين.

هـ- ولا يمكن أن يعني الحديث قتالاً يقع بين المسلمين وشراذم اليهود الضعفاء من أهل الذمة، لأن الإسلام يأمر بحماية أهل الذمة ورعايتهم، ولأن قتل مثل هذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشراذم الضعيفة ليس من الأمور الهامة التي تستحق أن يبشر بها النبي ﷺ، المسلمين بالنصر.

و- أما في الخارج فاليهود، بعد التشتيت الثاني، الذي حصل لهم على يد تيطوس الروماني، لم يعد لهم كيان دولي، أو تجمع، أو تكتل مستقل، في أي قطر من أقطار الأرض.

وأخيراً: لا يخفى أن اختلاق الأحاديث لا بد أن تكون له دواع وأسباب ومقاصد وأغراض وغايات: منها ما يتعلق بالخلافات السياسية، ومنها ما يتعلق بخدمة الشعوبية، ومنها ما يراد به استرضاء الحكام أو تبرير أخطائهم، ومنها ما يتعلق بأساطير الخلق والتكوين التي سماها علماء الحديث «الإسرائيليات»، ومنها ما سببه إظهار البراعة بحفظ الأحاديث، أو الاستعانة على الفلج في الجدل والمناظرة.

وكل هذه الدواعي لا بد فيها أن تنبع مما يتصل بالناس، ويحيط بهم، أو يهمهم، أو يجري في أحاديثهم من الأمور والمشاكل. وليس من المعقول أن يخترع أحد الناس حديثاً لا يمت بصلة إلى شيء من هذه الأسباب. ولو أن الحديث المذكور تعلق بقتال يقع مع الفرس أو الترك أو الروم أو الهنود، مثلاً، لكان افتراض اختلاقه ممكنا ومعقولاً، بقصد التبشير بالنصرة على هذه الأمم التي لها احتكاك مع المسلمين. وأما أن يوضع حديث عن مقتلة عظيمة تحمل بشائر النصرة على شعب ذليل مشتت لا شوكة له ولا دولة ولا كيان ولا تجمع ولا تكتل، بل لا ذكر له عند المسلمين، ولا يخطر بالبال التخوف منه، فإن اختلاق الحديث يكون بلا سبب ويكون بالتالي غير معقول.

وإذا لم يكن في العالم دولة يهودية، أو تجمع أو تكتل يهودي مستقل، يتصور معه حصول احتكاك أو قتال كبير مع المسلمين، فما هو، إذاً، معنى هذا الحديث؟

قد برهنا على أن اختلاقه غير معقول لأنه لا يرتكز على سبب من أسباب اختلاق الأحاديث الموضوعة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإذا كان صحيحاً وغير موضوع فكيف، وحالة اليهود على ما ذكرنا، سوف يتم تحقيق ما انطوى عليه من أخبار الغيب؟

لقد ظل الجواب عن هذا السؤال مخبوءاً وراء حجاب الغيب أربعة عشر قرناً حتى ظهرت دولة إسرائيل الحديثة، التي لم يخطر بالبال ولا بالخيال ظهورها في حياة الإمامين البخاري ومسلم رضي الله عنهما في القرن التاسع الميلادي أي في القرون الوسطى.

وأين ظهرت؟ أين؟

في قلب البلاد العربية والإسلامية، حيث أصبح حصول الاحتكاك مع اليهود معقولاً، بل في صميم الأرض المقدسة عند المسلمين، حيث أصبح وقوع القتال محتماً، وعلى مقربة من الكعبة بيت الله، ومقربة من «يثرب» مدينة الرسول، التي لليهود فيها ذكريات كلها أحقاد. أي حيث أصبح القعود عن القتال كفراً وخروجاً عن الإسلام...

وهكذا تحقق صدق الحديث النبوي المعجزة في حصول القتال، ولا بد أن يتحقق صدقه عن نتيجة القتال إن شاء الله. والأيام بيننا.

أيها المسلمون في الأرض كل الأرض

إني على يقين من أن هذه البشارة النبوية سوف تتحقق في يوم من الأيام قريب أو بعيد.

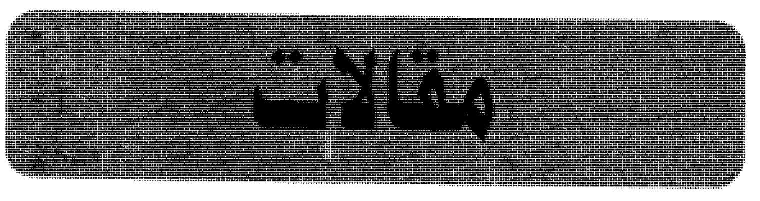
وعسى أن يكون قريباً بتعاون هذا الجيل الحاضر من حكام المسلمين وتناصرهم حتى لا تتكرر لعنة الله والتاريخ التي سجلها الشاعر الأندلسي، عند ضياع الأندلس، على المتنابذين والمتخاذلين في النصرة بقوله:

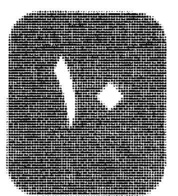
يا راتعين وراء البحر في سعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان
هل جاءكم نبأ من أرض أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

* * *

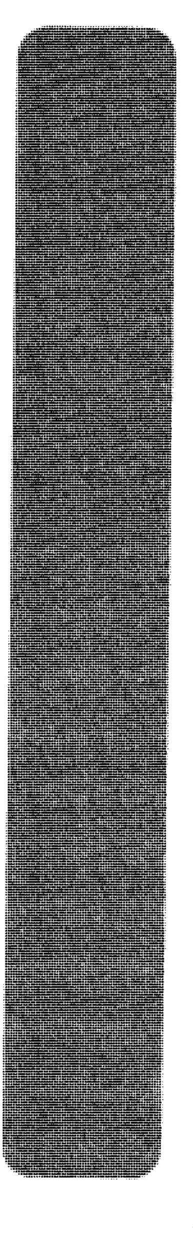
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





الشيخ عطية محمد صقر



❑ **ترجمة الشيخ.**

❑ **المقالات:**

١- قضية الدين.

العدد (٧) رجب (١٣٨٥هـ) - نوفمبر (١٩٦٥م).

٢- لبيك بحجة حقا، تعبد ورقا.

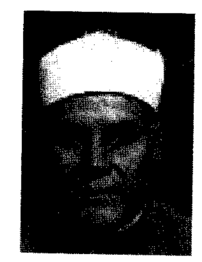
العدد (٨٤) ذو الحجة (١٣٩١هـ) - يناير (١٩٧٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة

الشيخ عطيه صقر



● مولده:

ولد الشيخ عطية محمد صقر في ٢٢ نوفمبر ١٩١٤م بقرية بهنا باي مركز الزقازيق.

حفظ الشيخ القرآن الكريم منذ أن كان عمره تسع سنوات، وحصل على الشهادة العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد من كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٩٤٣، وعُين خطيباً بالأوقاف ١٩٤٣م، وواعظاً بالأزهر ١٩٤٥م، كما عمل مترجماً للغة الفرنسية بمراقبة البحوث والثقافة بالأزهر، ثم مفتشاً للوعظ ومراقباً عاماً للوعظ حتى أحيل إلى التقاعد في عام ١٩٧٩م، ثم مستشاراً لوزير الأوقاف.

تدرج في العديد من المناصب الحيوية حتى وصل إلى شغل منصب رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وهو من أشهر من تولوا رئاسة اللجنة؛ فقد أصدر موسوعة كبيرة لفتاواه وصلت إلى أكثر من ثلاثين جزءاً، وكل جزء يحوي عدة أبواب تجمع الفتاوى في قضية أو مجال معين.

اختير عضواً بمجلس الشورى، وكان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، وعضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضواً بلجنة الفتوى بالأزهر.

● من مؤلفاته:

«الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الأسرة تحت رعاية الإسلام، دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة، الزكاة وآثارها الاجتماعية، الحجاب وعمل المرأة، البابية والبهائية تاريخا ومذهباً»

شارك في العديد من البرامج الدينية في الإذاعة والتليفزيون، وعقد العديد من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الندوات الدينية في دور التعليم والجمعيات والمؤسسات المختلفة. كما أن له مقالات في الصحف والمجلات العربية والإسلامية، منها مجلة الوعي الإسلامي الكويتية. وحصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.

● **وفاته:**

توفي في ٩ ديسمبر ٢٠٠٦ عن عمر يناهز ٩٢ عاماً رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وللمسلمين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قضية الدين في العصر الحديث

(العدد (٧) رجب (١٣٨٥هـ) - نوفمبر (١٩٦٥م)

الدين في حقيقته نظام إلهي، اختاره الله لهداية البشر وإصلاح دنياهم، وأخراهم، وقضية كونه نظاماً إلهياً، تحتم أن يكون في دقته وأحكامه متناسباً مع ما يتصف به الإله من صفات العدل والحق والحكمة، وأن يكون بعيداً عن مجال الشك والارتياب.

وهداية الله للبشرية فيض من رحمته، وقبس من عطفه، وتأكيد لقصور الإنسان عن معرفة كل ما يصلح أمره ويهديه السبيل.

وغاية الدين تبدو واضحة في مظهرين، هما عمارة الكون بالخير تحقيقاً لحكمة خلق الله آدم، ليكون خليفة في الأرض، وربط المخلوق بالخضوع لعظمته واستمداد العون منه، وتحمله مسؤولية ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، والرجوع إليه بعد البعث، ليلقى جزاءه على ما كسب من خير، واكتسب من شر.

هذه الهدايات الإلهية نزل بها الوحي متتابعاً في جميع عصور التاريخ على رسل اصطفاهم الله لحمل تبعة الرسالة، وقيادة الناس إلى الخير.

والأديان في مبادئها العامة الهادفة إلى تحقيق الغاية من وجود الإنسان، لا تختلف على مر العصور وفي مختلف البيئات. فعبادة الله وحده والشعور بالمسؤولية الكبرى أمامه، والإيمان باليوم الآخر، وكذلك مبادئ العدالة والحرية والمساواة والأخوة، وأخلاق الصدق والعفة والرحمة والتعاون وأمثالها من المبادئ والأخلاق الإنسانية والاجتماعية كلها قدر مشترك بين جميع الأديان غير أن علاج الدين لمشاكل الإنسانية، ورسم الطريق لبلوغ الغاية المرجوة قد أخذ أشكالاً متعددة، يتناسب كل شكل منها مع حاجة المجتمع إلى نوع معين من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الهداية، وأسلوب خاص من السلوك ومع استعداده للتجاوب مع ما تقرره هذه الهداية وتدعو إليه.

● **تطور المجتمعات البشرية**

والمجتمع البشري في تطور دائم وتغير مستمر، وهو في تنوعه بحسب الأقاليم والبيئات والظروف متفاوت في مشاكله، وفي الطرق المثلى لحل هذه المشاكل، كما أن التاريخ في سيره الحثيث يخلق مشاكل جديدة ويتنفس عن أحداث تقتضي علاجاً مناسباً قد لا تكون هناك صلة بينه وبين ما قرر من آلاف السنين.

وتعاليم الأديان كلما مست مشاكل الفرد والمجتمع، وكانت في أساليبها متجاوبة مع الفطرة متفقة مع العقل لا توجد رد فعل عام تنفر منه الطباع السليمة والعقول المتزنة الحرة- كان ذلك دليلاً قوياً على صدق هذا الدين وحيويته، وعلى جدارته بأن يكون منسوباً لله الذي لا يصدر عنه إلا كل عمل حكيم.

غير أن آفة الأديان عامة هي تشويه القائمين عليها من البشر لتعاليمهما، وإساءة فهم مقاصدها، والميل بها عن هدفها الأصيل، وتحكيم الأغراض والشهوات فيها، بغياً بينهم وتنافساً على مصالح دنيوية ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ (البقرة: ٧٩).

والأديان السماوية التي تقدمت في التاريخ على الإسلام كانت كلها مؤقتة جاءت لفترة معينة من الزمن، أو لقوم مخصوصين، لهم مشكلتهم الخاصة وكان الدين اللاحق ناسخاً للدين السابق مؤذناً بانتهاء مهمته. جاء يؤكد الأصول الأولى التي دعا إليها الدين السابق، وينبه إلى الأخطاء التي ارتكبها أتباع هذا الدين ويقرر مبادئ أخرى جديدة تصلح للطور الجديد. كما أن الرسالة التي تخص جماعة معينة لا تنافيها أن تكون هناك رسالة أخرى معاصرة لها جاءت لقوم آخرين لهم مشاكلهم الخاصة، كما اجتمعت في وقت واحد رسالة سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (العنكبوت: ٣١- ٣٢).

● **الإسلام دين عام**

ولم يسبق الإسلام دين عام للبشرية جميعاً يعم أجناسهم وألوانهم، ويشمل كل بيئاتهم. ولعل ذلك راجع إلى عدم تكامل المقومات الأساسية للمجتمع العام من حيث النضج العقلي، ومن حيث الشعور بالروح الجماعية والتعاون الشامل، نظراً لعدم سهولة المواصلات واكتفاء كل مجتمع اكتفاء ذاتياً بما يغطي مطالبه الضرورية التي اقتضاها وضعهم الاجتماعي المبسط، ومشاكلهم التي لا تستصعب على الحل. ويشير إلى خصوصية تلك الرسالات قول النبي ﷺ: «كان النبي ﷺ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» كما أن الرسالات السابقة انتهت مهمتها بظهور الإسلام الذي ختمت به الرسالات كلها، وكان هو دين البشرية حتى تقوم الساعة، فالنبي ﷺ: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» كما أن الرسالات السابقة انتهت مهمتها بظهور الإسلام الذي ختمت به الرسالات كلها، وكان هو دين البشرية حتى تقوم الساعة، فالنبي ﷺ خاتم النبيين بنص القرآن الكريم، وقد تحدث عن نفسه بذلك في عدة أحاديث.

والهداية الإسلامية في أبعادها الطولية والعرضية خصبة خصوبة تامة بالحلول الدقيقة لجميع مشاكل الناس وعلى مدى التاريخ، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

والإسلام يحمل خاصية العموم والخلود من أول يوم صاح فيه النبي صيحته المدوية بين العرب: «إني رسول إليكم خاصة وإلى الناس كافة» ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وكان يقرر هذه الحقيقة حتى في أشد أوقات الأزمات التي لا يظن معها خلاص أو نجاة. فكان في غزوة الخندق، والأحزاب مجتمعون حول المدينة يريدون أن يقضوا على الدعوة مرة واحدة، يتفاءل ويستبشر، ويمد نظره إلى الأفق الواسع في رحاب الدنيا العريضة، وإلى المدى البعيد في أحضان المستقبل. فهو

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يقول عندما ضرب الصخرة ثلاث مرات: «أعطيت مفاتيح الشام وفارس وصنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها».

● **دعوة الملوك والشعوب**

وكتب إلى الأمراء والملوك ورؤساء الدول المجاورة يدعوهم إلى التعاون معه على كلمة سواء هي العقيدة الصحيحة وتخليص الإنسان من عبوديته للإنسان، وتقرير مبادئ العدل والحق والمساواة، وهو حين يدعوهم إلى ذلك يقدر أسوأ النتائج برفض هذه الدعوة، فلا يفوته أن يدعوهم إلى الاعتراف بالدولة الإسلامية الجديدة كقوة لها كيانها ومقوماتها، يجب أن تعامل دوليا كبقية الدول المعترف بها، يتبين ذلك واضحاً من هذه الآية التي كتب بها إلى الملوك ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران: ٦٤).

وفي الوقت الذي بزغت فيه شمس الرسالة الإسلامية كان هناك دينان ما يزال لهما سلطان على رقعة واسعة من الأرض، هما اليهودية والنصرانية. ولكن الإسلام بقوته الذاتية التي تتمثل في مبادئه استطاع أن يكتسح سلطان هذين الدينين في زمن وجيز، وامتد رواقه في أقل من قرن من الزمان إلى حدود الصين شرقاً، وشواطئ المحيط الأطلسي غرباً في إفريقيا وأوربا .

● **حضارة الإسلام**

ظهر الإسلام في الشرق بقوته، وازدهرت حضارته، وغطت على الحضارات الأخرى، وحدثت عدة لقاءات بين الغرب والشرق، اطلع فيها الغرب المتأخر على حضارة الشرق المنبثقة من الدين الجديد فانكب رواد المعرفة على التزود من ثقافة الإسلام، ولم يستنكف الأحبار والرهبان أن يكونوا تلاميذ لعلماء المسلمين في جامعات الأندلس وغيرها، بل إن البلاط الإنجليزي أوفد بعثات من نسائه ليتعلمن الآداب والمراسيم في البلاط الإسلامي، واستدعت دول أوروبا مهندسين مسلمين لإقامة المنشآت والاستنارة بأفكارهم في المجالات المختلفة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتحرك في نفوس الغربيين عامة شوق كبير إلى الانفلات من قيود الأوضاع التي تسود بلادهم، والثورة على التعاليم الدينية التي كانت تتحكم في جميع شؤونهم، فانبعثت في عصر النهضة صيحات وصيحات تريد التحرر من القديم، والانطلاق إلى العالم الفسيح بعلومه واكتشافاته وحضارته، كما انطلق المسلمون من قبل وملكوا ناصية السلطان.

وبعد عراك دموي، وصدامات سجلها التاريخ بين القديم والحديث، انطلق مارد الغرب من القمقم، وجال جولته الناهضة التي يعيش الناس في ظلها الآن، وكان من عقابيل هذه النهضة عقدة نفسية ضد الدين الذي كان يسيطر من قبل على مشاعرهم وأفكارهم ويحول بينهم وبين الانطلاق والتحضر، وشهدت المؤلفات حملات قوية تهاجم الدين وتأخذ بجريرته الأديان الأخرى- ظناً من الناس أنها جميعاً على وتيرة واحدة، لا تتجاوب مع العلم ولا تساعد على النهوض، وكان الدين الإسلامي من الأديان التي أصيبت ببعض هذه السهام الطائشة، ووقر في نفوس بعض الشبان الذين تخرجوا في مدارس الثقافة الغربية المستوردة أن الإسلام كبقية الأديان حجر عثرة في سبيل التقدم والنهوض. وكان من واجبنا في هذه الأيام أن نتصدى لرد الشبهات، وإبراز محاسن الإسلام وتفاعله مع المدنية، وإن نعبئ كل قوانا للجهاد في هذا الميدان الذي نزلت فيه هذه المجلة المسلمة قوية نرجو لها ولأمثالها النصر إن شاء الله .

«الحديث موصول»

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لبيك بحجة حقاً تعبدًا ورِقاً

العدد (٨٤) ذو الحجة (١٣٩١هـ) - يناير (١٩٧٢م)

هذا العنوان الذي رواه البزار والدارقطني عن النبي ﷺ حين كان في حجة الوداع، مع قول سيدنا عمر ﷺ وهو يقبل الحجر الأسود، «والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» كما رواه البخاري ومسلم- هذان القولان يجران إلى الحديث عن حكمة التشريع للعبادات بوجه عام، وحكمته للحج بوجه خاص.

إن عبادة الله تقتضي القيام بالتكاليف دون الحاجة إلى فهم أسرارها والوقوف على الحكمة منها، مع ضرورة إيمان العبد بأن أفعال الله سبحانه لا تخلو عن حكمة وإن قصرت العقول عن فهمها ولم تصل إلى إدراك سرها، كما قال سبحانه في تشريع القتال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ (البقرة: ٢١٦).

والله سبحانه يعلم أن العباد ليسوا على درجة واحدة من التسليم والانقياد. ولهذا بين لهم بعض نواحي الحكمة في هذه التشريعات، يأتي بها مجملة أحياناً ومفصلة أحياناً أخرى، وتأتي الأحاديث النبوية فتوضح جوانب هذه الحكمة وتكشف عن بعض أسرارها. ولم يحظر سبحانه على الفكر أن يسرح في تفهم هذه الحكمة على ضوء ما جاءت بها النصوص. فما وصلت إليه العقول لا يغير حكماً قرره الإسلام، ولكنه يدعمه لتنشط النفس لأدائه، وتزداد إيماناً بحكمته.

وقد تحدث العلماء في تقويم العبادة حين تؤدى دون ملاحظة حكمتها وحين تؤدى والنفس متعلقة بما يترتب عليها من خير عاجل أو آجل، فقالوا: إن فهم الحكمة وإن كان ينشط النفس عند الأداء، ويحمي المكلف من الشبه التي يوجهها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأعداء إلا أن العبادة المؤداة في هذا الجو تشوبها شائبة المنفعة التي لولاها ما توجهت النفس إليها ولا تحملت ما فيه من تكليف. وهي في درجة الإذعان لله ليست كالعبادة التي يؤديها المؤمن لمجرد أنها أمر من الله الموصوف بالحكمة والمنزه عن العبث، غير متطلع إلى ما وراءها من نفع، فليس للعبد حاجة عند ربه، فلله أن يأمر وعلى العبد أن يطيع- على ما يشير إليه ما جاء في وصف صهيب: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه».

ومن هنا احتفظ الله بسر بعض التكاليف فلم يبينه ولم يشر إليه ليمحص إيمان المؤمنين ويميز الخبيث من الطيب. ومثل له العلماء بالحروف المقطعة أوائل السور، وببعض الأحكام الواردة في ثنايا العبادات التي منها مثلاً رمي الجمرات في الحج.

يقول الإمام الغزالي في الإحياء (ج١ ص ١٩١ طبعة عثمان خليفة) واجبات الشرع ثلاثة أقسام، قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه- وذلك كرمي الجمرات مثلاً إذ لا حظ للجمرة في وصول الحصاة لها، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى، لأن ما يعقل معناه فقد يساعد الطبع عليه، ويدعو إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية، وقال في ص ٢٤٠ «وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم، وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق، إلى مقتضى الاسترقاق. وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات».

ولعل الرسول ﷺ كان يحس أن في بعض النفوس خواطر تحوم حول بعض الشعائر التي تؤدى في الحج فنبه إلى جانب التعبد والتسليم المطلق فيها قائلاً وهو يلبي: «**لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً**». فالأمر في أداء العبادة لا بد أن يسيطر عليه مبدأ التسليم الذي أعلنه عمر وهو يقبل الحجر الأسود، مقرراً أنه ليست للنفوس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حظوظ في تقبيل ما لا يضر ولا ينفع، ولكنه الامتثال المطلق والاتباع التام لرسول الله ﷺ، فهو القدوة الحسنة والذي نزل فيه قول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١) وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧).

وقد قال ﷺ في وجوب اتباعه في العبادة بنوع خاص: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقال في الحج: «خذوا عني مناسككم» كما روته الكتب الصحيحة.

وإذا كان في بعض التشريعات الجزئية نواح لم ينص على حكمتها فإن العبادات الأساسية جاءت حكمتها منصوصة، إما في القرآن وإما في السنة، مع إطلاق العنان للفكر ليشرحها أو يبحث عن جوانب أخرى تدعمها، فالله سبحانه أمر بالنظر والتفكر والتدبر، والنبي ﷺ شجع على البحث حتى جعل للمخطئ فيما وصل إليه باجتهاده أجراً لا يحرمه من ثمرة العمل، فهو مثاب بنيته، وإن كان للمصيب أجران، أجر على بحثه وتعبه، وأجر على توفيقه الذي يفيد منه كما يفيد منه غيره.

ومهما يكن من شيء فإن الحكمة العامة للتشريع تتلخص في نقطتين أساسيتين أولاهما: ربط المخلوق بالخالق، لأنه هو الذي خلقه ثم رزقه ثم يميته ويحاسبه، فهو منه مخلوق وإليه راجع، فلا تنقطع صلته عن الله بدءاً ونهاية، وثانيتهما: إعداد العبد للحياة على الأرض ليحقق خلافته فيها.

ومن مظاهر النقطة الأولى، الإيمان بالله واليوم الآخر والتوجه إليه سبحانه بالعبادة وطلب المعونة، على ما يفيده قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (الفاتحة: ٥).

ومن مظاهر النقطة الثانية، الأخلاق الفردية والاجتماعية والتنظيمات الخاصة والعامة في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد والعمران وسائر الميادين التي تحدد فيها الحقوق والواجبات وعلى ضوء هذه الحكمة العامة بشقيها يمكننا أن نوضح حكمة تشريع الحج فيما يلي:

قال تعالى في بيان حكمة الحج المفروض من أيام إبراهيم عليه السلام والمأمور به

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في شريعة محمد ﷺ كأحد الأركان التي بني عليها الإسلام ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ (الحج: ٢٧- ٢٨). فكلمة المنافع التي يشهدها الحجاج كلمة عامة جامعة تشمل كل منفعة دينية ودنيوية، مادية ومعنوية، سياسية واقتصادية، ثقافية واجتماعية وغيرها، وإليك تفصيل هذه المنافع على ضوء حكمة التشريع العامة للعبادات.

أولاً: صلة العبد بربه تظهر في الحج عندما يحرم الحاج ملبياً مقراً بوحدانية الله شاكراً له أنعمه: «لبيك اللهم لبيك- لبيك لا شريك لك لبيك- إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» وحين يطوف بالبيت سائلاً متضرعاً يستمنح الله عفوه وبره، وحين يقبل الحجر ويستلمه معاهداً ربه على الطاعة مجدداً معه البيعة على ما رواه- أحمد وابن خزيمة في صحيحه عنه «أنه يمين الله يصافح بها خلقه» وفي سعيه بين الصفا والمروة كالمتردد قلقاً على مصيره، هل تفضل الله عليه عند طوافه فقبله أو لا، وفي وقوفه بعرفة متجرداً من كل زينة خاشعاً ضارعاً في ذلة وانكسار يباهي الله بأهل عرفات الملائكة إذا أتوه شعثاً غبرا ضاحين من كل فج عميق، يرجون رحمته ويخشون عقابه. وفي رميه للجمرات تشبه بحربه للشيطان، وفي الهدي والفداء رمز للتضحية بالدم وبأغلى ما يملك الإنسان، إيثارًا لما عند الله وجهاداً في سبيله.

وفي الحج ارتباط بمهد النبوة وعمارة لبيت الله، وتذكر لحوادث ماضية كانت سبباً في قدسية هذا المكان، من وجود هاجر وإسماعيل وحيدين في هذا الوادي، ولطف الله بهما فنبعت زمزم وعمر المكان وبني أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين. وذلك كله إلى جانب ذكر الله بالتكبير والتلبية عند المشاعر، في عرفات والمشعر الحرام ورمي الجمرات. مما يدل على حكمة الحج في ربط العبد بخالقه كما يشير إليه قول النبي ﷺ: «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله» (رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح).

ثانياً: الإحرام بالحج في ملابس متواضعة وبعد عن مظاهر الترف درس عملي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في التواضع وعدم الغرور بزخارف الحياة، وفيه نكران للذات وتركيز على الإخلاص لله في الطاعة، وقد حج النبي ﷺ على رحل رث وقطيفة خلقة، وقال: «اللهم حجاً لا رياء فيه ولا سمعة» (رواه الترمذي). وعن ابن عمر أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال يا رسول الله من الحاج؟ فقال: «الشعث التفل» (رواه ابن ماجه بإسناد حسن). والشعث هو البعيد العهد بتسريح شعره وغسله، والتفل هو من ترك الطيب والتنظف حتى كادت تتغير رائحته، وفي الحج تمرن على الأسفار والترحال، وتحمل للمضايقات، وضبط النفس عن السباب والفسوق والمغريات، وفيه إلى جانب ذلك ثقافة واطلاع وتفكر واعتبار، وكل هذا كمال نفسي يفيد منه الحجاج.

ثالثاً: لا ينكر أحد أن الحج فرصة لعقد مؤتمر إسلامي يتخطى حدود البيئة والجنس واللغة، ويعلو على الفوارق والعصبيات- ينبغي أن تناقش فيه المشاكل وتوضع الحلول وتتلاقى الأفكار وتتلاقح الثقافات وتتبادل المنافع من كل لون، توكيداً للوحدة الجامعة التي يقررها الله في قوله ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ (الأنبياء: ٩٢) وذلك كله لننهض سوياً بالواجبات الدينية والإنسانية، ولنقف صفاً واحداً أمام المحاولات التي تريد السوء للإسلام والمسلمين. وأن للمسلمين في هذا الموسم من عوامل الوحدة ما يعلو على كل العوامل. فربهم جميعاً واحد، ورسولهم واحد، وشريعتهم واحدة، وقبلتهم واحدة، وزيهم واحد، ونشيدهم واحد وكل ذلك يجعلهم كالجسد الواحد والبنيان المرصوص. وفي موسم الحج فائدة لأهل الوادي المقدس ولأرض النبوة الأولى، إجابة لدعوة إبراهيم ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم: ٣٧).

هذه بعض جوانب الحكمة في شريعة الحج. تدور حول المنافع التي ذكرت في القرآن.. تلك المنافع التي يمكن أن تكون لها صور تختلف باختلاف الظروف والأحوال، وعلى المسلمين أن يفيدوا منها ويطبقوها في حياتهم العملية ليكون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هناك تجاوب بين الدين والحياة، ولعل مما يلح علينا في هذه الأيام أن نتنبه إليه هو وحدة الكلمة للوقوف أمام الاستعمار وأذنابه، ولتخليص أرضنا المقدسة من رجس اليهود، وتمهيد الطريق لانطلاق الثورة العربية لتعيد ماضيها المشرق المجيد، الذي كانت به زعيمة العالم يوم كانت الدولة المسيطرة على مصير الناس اليوم تعيش في الأحراش وتتخبط في الظلمات.

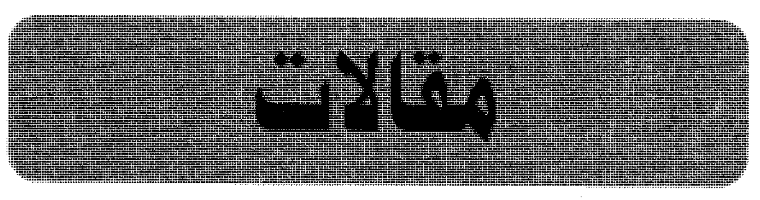
ولا يكون ذلك إلا بالتزام الطريق الذي خطه الإسلام واتباع النور الذي جاء به القرآن، وصدق الله العظيم: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥- ١٦).

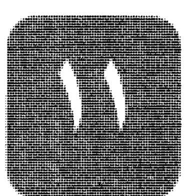
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ (النساء: ١٧٤ - ١٧٥).



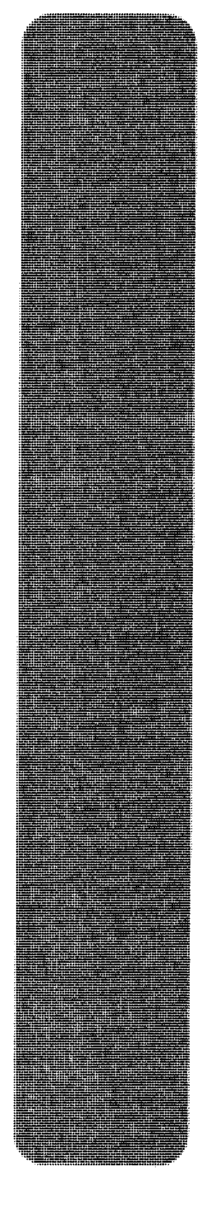
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





الشيخ عبد الله خياط



- ❑ **ترجمة الشيخ.**
- ❑ **المقالات:**

مقالة بعنوان : الحلال والحرام.

العدد (٧) رجب (١٣٨٥هـ) - نوفمبر (١٩٦٥م).

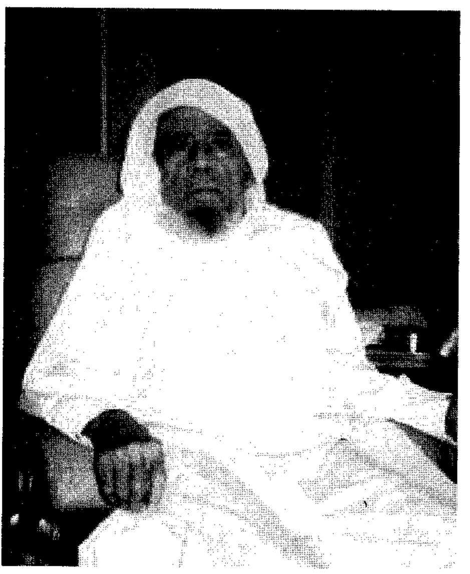


https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ عبد اللَّه خـياط

ولد الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط في ٢٩ شوال عام ١٣٢٦هـ بمكة المكرمة، ونشأ في بيت علم ودين، وكان أبوه مثقفاً ثقافة دينية عالية، وله إلمام بالفقه الحنفي والتفسير والحديث.



تلقى الشيخ رحمه الله تعليمه الابتدائي في مدرسة الخياط بمكة المكرمة، ودرس المنهج الثانوي بالمدرسة الراقية على عهد الحكومة الهاشمية، ودرس على علماء المسجد الحرام، وحفظ القرآن الكريم في المدرسة الفخرية، ثم التحق بالمعهد العلمي السعودي بمكة وتخرج منه في عام ١٣٦٠هـ، وكان يساعد الشيخ عبد الظاهر أبو السمح في صلاة التراويح وينفرد بصلاة آخر الليل.

تم تعيينه إماماً وخطيباً للحرم المكي عام ١٣٧٣هـ واستمر في عمله حتى عام ١٤٠٤هـ حيث طلب من جلالة الملك إعفاءه لظروفه الصحيَّة.

● وفاته:

توفي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في مكة المكرمة صباح يوم الأحد ٧ شعبان عام ١٤١٥هـ بعد عمر حافل بجلائل الأعمال، وشيعه خلق كثير من المحبين له والعارفين بفضله، يتقدمهم الأمراء والعلماء، رحمه الله رحمة واسعة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحلال والحرام

العدد (٧) رجب (١٣٨٥هـ) - نوفمبر (١٩٦٥م).

في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**».

هذا الحديث أصل من أصول الدين وقاعدة من قواعده، ففيه إيضاح عن الحلال والحرام، وبيان المشتبه بهما، وتوجيه الأنظار للإعراض عن الأخذ به طلبا لبراءة الدين والعرض، وحيث انتفت الشبهة ارتفع الحرج، وقد أورد العلماء رحمهم الله خلافا في أصل تحريم الأشياء، وهل الأصل فيها الحرمة فلا حلال إلا ما دل الدليل على تحليله، أم أن الأصل في الأشياء الإباحة، فيجوز للمرء أن يأكل ويشرب ويتمتع بالطيبات ما لم يرد نص على التحريم، وهذا هو رأي الجمهور وهو الذي تؤيده الآيات والأحاديث.

● المشتبهات

والمشتبه ما اشتبه بالحلال والحرام، ولا توجد قرينة تصرفه إلى أحدهما، ولا يعرف أكثر الناس حرمته أو حله، فهو ملتبس عليهم، والورع بالنسبة لهم تركه والانصراف عنه، ففي ذلك البراءة للدين والعرض، أما البراءة للدين فلأن الأخذ بالشبهة قد يكون سبباً في مزلة الأقدام، فيقع المرء في الحرام نتيجة لعدم التورع - نقل من حديث الحسن بن علي قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك**

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى ما لا يريبك» أي اترك ما يقع في نفسك منه شبهة من طعام أو شراب أو مال أو أي متاع، ولم تطب به نفسك، وخذ بالشيء الواضح المتيقن حله، الذي تطمئن إليه النفس ويسكن إليه القلب.

● التمتع بالطيبات

وهذا هو الورع المطلوب شرعا، لا الورع المزعوم المصطنع الذي يزهد في الحلال، ويمنع عن التمتع بالطيبات المباحة، ذكر المفسرون عند تفسير قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧) أن رسول الله ﷺ قام يوما فوصف القيامة وأهوالها فبكى الناس ورقت قلوبهم فاجتمع نفر من صحابة رسول الله ﷺ واعتزموا الترهب، وأن يلبسوا الخشن من الثياب ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم، ولا يقربوا النِّساء والطيب، ويسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم وقال: «إني لم أومر بذلك ثم قال: إن لنفسك عليك حقا، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصلي وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» ولم يكتف ﷺ بهذا البيان الشافي لمن جنح إلى الترهب، بل قام خطيبا وأعلنها مدوية في المجموع، قياما بواجب البلاغ وقال: «أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئا، وحجوا، واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع».

وفي هذا البيان النبوي الكريم الضافي رد على كل متنطع أو متزهد فيما أحل الله أو محرم لما أباحه لعباده من متع الحياة ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(الأعراف: ٣٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **مواقف الريبة**

وعلى عكس هذا الصنف الزاهد في الحلال من يتسامح في الأخذ بالشبهة، فينزلق في الحرام، ويستمرئه، ويندفع في تحقيق شهوات النفس المحرمة، وملذاتها وانطلاقاتها في كل ما تريد، غير مكترث بوعيد ولا ملتفت لسوط عذاب، وهو من شبهه الرسول الكريم ﷺ بالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وهو لا شك واقع.

أما البراءة للعرض فلأن من يقع في مواطن الريب تنطلق الألسنة فيه بالغيبة والاستطالة عليه بما هو منه بريء، وينسبون إليه السوء، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فرب سامع نكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً، وفي حديث عن النبي ﷺ أنه قال «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم» ورأى بعض أصحابه زوجة من زوجاته ﷺ تمشي وراءه فبادرهم بقوله «إنها صفية بنت حيي» دفعا بهم عن سوء الظن فيهلكوا، ورسما لطريق السلامة للأمة، هذا وهو رسول الله المعصوم من الزلل، فكيف بمن كان في أعقاب الزمن، وقد فسدت الضمائر والذمم، وغلب على أكثر الناس سوء الظن، أليس جديراً به أن يرتفع عن مواطن التهم، وعن كل ما يحمل على إساءة الظن؟!

وفي الحديث أيضا تصوير للسياج المنيع الذي ضربه الله على حدوده وما حرمه على عباده، حيث شبهه رسول الهدى ﷺ بالحمى يحميه الملوك، ويحظرون وروده والرعي فيه على رعاياهم، فمن قاربه وقع فيه لا محالة، وفيه أيضا تصوير للقلب النفسي (وهو مركز الوجدان والشعور الذي تصدر منه الإيعازات للنفس، فتعمل بإشاراته وإيعازاته) بالقلب المادي وهو مركز الدورة الدموية، فكما أن الجسد يصلح ويصح بسلامة القلب، والجوارح تقوم بواجبها تبعاً لذلك، فكذلك مركز الوجدان والشعور من النفس إذا كان صحيحاً سليما صحت الإرادات والنيات، واندفعت الجوارح نحو الخير والصلاح، فلا تصدر إلا عن خير، ولا تحجم إلا عن شر ومفسدة.

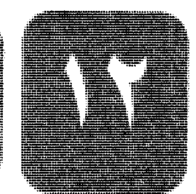
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

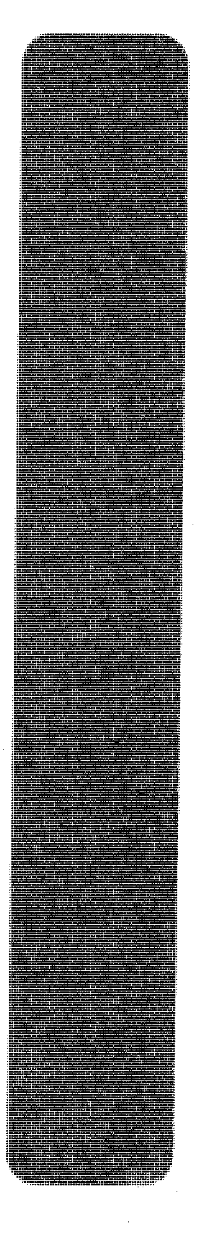
وبعد: فإن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، ومن الورع إن أراد المرء القدوم على أمر أن يراجع فيه قلبه قبل القدوم عليه، فإن اطمأن إليه وسكن فعله، وإلا تركه، ففي الحلال البين الواضح غنية عن كل مشتبه فيه أو ملتبس على المرء حقيقته.

والله الموفق.



مقالات





الأستاذ مالك بن نبي

- ترجمة الشيخ.
- المقالات:

١- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث (١).
العدد (٤٩) محرم (١٣٨٩هـ) - مارس (١٩٦٩م).

٢- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث (٢).
العدد (٥٢) ربيع الثاني (١٣٨٩هـ) - يونيو (١٩٦٩م).

٣- المجتمع الإنساني والإنسانية العذراء.
العدد (٧٧) جمادى الأولى(١٣٩١هـ) - يونيو (١٩٧١م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

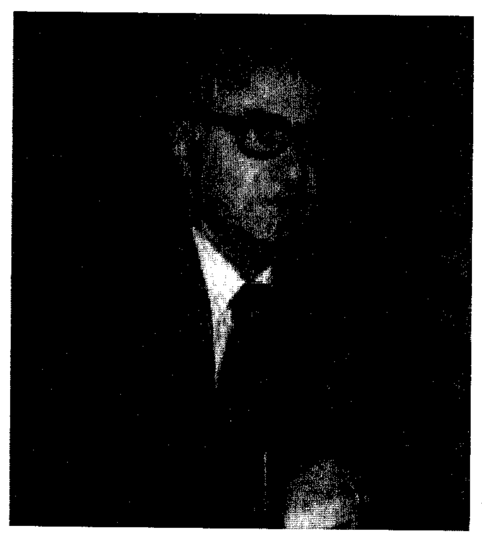
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الأستاذ

مالك بن نبي

مالك بن نبي من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين.

● مولده:



ولد في مدينة قسنطينة شرق الجزائر سنة ١٩٠٥م، وترعرع في أسرة إسلامية محافظة، فكان والده موظفاً بالقضاء الإسلامي حيث حول بحكم وظيفته إلى ولاية تبسَّة حيث بدأ مالك بن نبي يتابع دراسته القرآنية. والابتدائية بالمدرسة الفرنسية. وتخرج سنة ١٩٢٥م بعد سنوات الدراسة الأربع.

سافر إلى فرنسا حيث كانت له تجربة فاشلة فعاد مجددا إلى مسقط رأسه، وعمل عدة أعمال منها: عمله في محكمة أفلو، ثم استقال منه إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية.

سافر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرة ثانية إلى فرنسا لطلب العلم، فالتحق بمدرسة «اللاسلكي» ليتخرج كمساعد مهندس، ممّا يجعل موضوعه تقنياً خالصاً، أي بطابعه العلمي الصرف.

انغمس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدراسة وفي الحياة الفكرية، وأقام في فرنسا وتزوج من فرنسية ثم شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي، فأصدر كتبه «الظاهرة القرآنية، كتاب النهضة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ويعتبر من أهم ما كتب بالعربية في القرن العشرين» وغيرها.

انتقل إلى القاهرة بعد إعلان الثورة المسلحة في الجزائر سنة ١٩٥٤م وهناك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حظي باحترام كبير، فكتب فكرة الإفريقية الآسيوية ١٩٥٦م. وتوالت أعماله الجادة. وبعد استقلال الجزائر عاد إلى أرض الوطن، فعين مديراً للتعليم العالي في جامعة الجزائر المركزية، حتى استقال سنة ١٩٦٧ متفرغاً للكتابة، بادئاً هذه المرحلة بكتابة مذكراته، بعنوان «مذكرات شاهد القرن».

● **وفاته**

توفي رحمه الله يوم ٣١ أكتوبر ١٩٧٣م، مخلفا وراءه مجموعة من الأفكار القيمة والمؤلفات النادرة.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحادث والتاريخ

العدد (١١) ذوالقعدة (١٣٨٥هـ) فبراير (١٩٦٦م)

لقد كان التاريخ إلى حد القرن العشرين شبه متحف، حيث كان يأتي المؤرخ ليتزود بالمعلومات عن شعب ما وذلك في زاوية معينة مخصصة لهذا الشعب وسياسته وفنه وأدبه وفلكلوره. ذلكم هو التصور التقليدي للتاريخ.

بيد أنه كان من الممكن بالنسبة للمؤرخ أن يلاحظ في بعض الأوقات السمة المشتركة وصلة الرحم بين بعض زوايا المتحف، فهو إذ ذاك أمام «وحدة» تاريخية معينة. ولقد يسمي ج. أ. توينبي هذه الوحدة بحقل الدراسة أو مجال البحث.

ومجال البحث هذا عبارة عن المساحة التي يتم فيها النسيج التاريخي بفعل حوادث تجد تفسيراتها وغاياتها وأسبابها ومسبباتها في هذا المجال أو الحقل.

وهكذا يوسع توينبي التصور التقليدي توسيعا ملحوظاً يعمقه وذلك بتطعيمه بمفهوم «مجال البحث»، الذي يطيح بالإطار الوطني، حيث كان ينحصر تصور المؤرخ اليوناني «توسيديد».

إلا أن الإطار الجديد الذي يقترحه المؤرخ الإنجليزي الكبير، كان قد تداعى هو الآخر خلال القرون تحت وطأة دفع حوادث تاريخية أقوى وأكثر تشابكا من أن نلتمس لها تفسيرا، فيما يسميه المؤرخ الكبير بمجال البحث.

فسقوط الدولة الرومانية مثلا ظاهرة ينسبها المؤرخون إلى موجة المهاجرين العارمة التي تدافعت على شعوب الشرق الأوروبي، فدفعت بهم إلى غزو الغرب اللاتيني. ويفسر، فعلاً، الحادث في مشكلة كهذه في نطاق «مجال البحث الأوروبي»، بيد أننا إذا ذهبنا بالتحري مذهبا أبعد بأن نطرح هذا السؤال: ترى كيف نشأت هذه الموجة التي يسميها المؤرخون الألمان «الفولكار فاندرونغ».

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أي موجة الشعوب، هي الأخرى؟ ففي الحال يحطم سؤالنا هذا نطاق ما يسميه المؤرخ الإنجليزي بحقل الدراسة لأن الظاهرة التي كانت إلى الآن شيئاً أوروبيًّا تصبح فجأة «حدثا» آسيويًّا. وبالفعل فإن تداعي أسرة مالكة صينية قبل ذلك بقرون هو الذي دفع قبيلتين منغوليتين على المسارعة للنهب والسلب بحيث اصطدمتا، فكان لاصطدامهما أثره البعيد في دفع شعوب الشرق الأوروبي في التيار المسمى «موجة الشعوب» أو «الفولكار فاندرونغ». فهاهنا حدث معبر على تصور تاريخ عالمي على مستوى ذلك الزمن.

وهناك حدث آخر وقع بعد ألف عام من ذلك لا يقل كشفا عن التصور التاريخي العالمي في العصور الوسطى، ذلكم هو تدخل تيمورلنك الذي غير مجرى التاريخ، لأن حفيد جنكيز خان قد ظهر بالضبط في الوقت الذي كان يستعد الأمير العثماني بايزيد وملك القبيلة المغولية المسماة بالقبيلة الذهبية توغطاميش أحدهما في الغرب والثاني في الشرق، لغزو أوروبا تلك القارة التي كانت تنفض عنها غبار القرون الوسطى، وأخذت تدخل طريق النهضة.

وهكذا ينقذ عمل تيمورلنك جميع آمال هذه النهضة التي تشكل من غير منازع المقدمة التاريخية لعصر الذرة الذي نعيش فيه.

هل تيمورلنك جد عصرنا؟ فهذا تصور لم نعهده في التاريخ وبزيادة على ذلك فهو تصور لا شك أنه كان يغيب عن وعي الأمير التتاري نفسه.

وما قيمة معركة مارينيان على سبيل المثال إذا قيست بأحداث على هذا المستوى من التأثير العالمي؟ وعلى هذا يبدو لنا أن التاريخ نسيج معقد مما هو عارض وما هو مقدر.

وإنني أتذكر وأنا أكتب هذه الجملة انتقاداً وجه إلي في صحيفة باريسية غداة نشر كتاب «وجهة العالم الإسلامي» بأنني أحمل السببية في التاريخ أكثر مما تتحمل، ولو أجبت على هذا الانتقاد لقلت بكل بساطة إنني لست أحمل التاريخ، بل هو الذي يحملني. ولست أرى داعيا لإزاحة البصر عن تصور يفرض نفسه علينا، والواقع أن هذا يستدعي إقامة نظرية كاملة للحادث التاريخي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الحادث عند انقذافه يكون محملا بكل ما تستطيع الطبيعة البشرية أن تودعه فيه من غرض مصلحي وهوى وطموح وبغض ووهم. . .إلخ

إنه صاروخ منطلق في الزمان مدفوع بكل ما يحرك الإنسان، ولا ريب أن أثره ذو بال، ولو اقتصرنا على النظر إليه من هذا الجانب البشري، فقد يكون غزوا يغير الخريطة السياسية، أو ثورة تغير حياة أمة، أو ميلاد دولة، أو سقوط أخرى، أو ظهور فن صناعي، أو اختفاء فن آخر.

وكل هذا يحقق ما يكون قد سبق تصميمه وتدبيره عند منشئه، وقد لا يحقق ولكن دائماً في إطار «مجال بحث معين».

لقد كانت الحرب العالمية الأولى حادثاً تسببته إرادة التوسع الألمانية - إن وضعنا حادث سراجيفو البسيط جانباً.

تلكم كانت شحنتها التاريخية عند انطلاقه.

وقد كانت الحرب العالمية الثانية حادثاً مماثلا أطلقته إرادة القوة «الهتلرية».

ولكن الصاروخ يذهب إلى أبعد، إنه يخرج بعد انقذافه عن المسار الذي قدره العقل البشري له، فكأني به تتغير شحنته تدريجيا في الطريق، فلم يعد يندفع في الزمان أو التاريخ تبعا لسببية، ولكن بمقتضى غاية، وفي نهاية مستقره وغاية مطافه يصيب الحادث الوجدان البشري، ولا يحدد وقعه في مجال حقل دراسة معين، أي في حياة أمة أو مجتمع، ولكن في مجال شامل للإنسانية.

إن الحرب العالمية الأولى لا تطيح بآل «الهوهانزولارن، والهابسبورغ» فقط، ولكنها تنشئ فكرة جديدة تجسدت في شكل «عصبة الأمم».

إن وقع الحادث لم يهدم بعض البناءات السياسية فقط، ولكنه ولد مفهوما دوليًّا للمسؤولية، إلا أن بعض التركيبات الذهنية الخاصة بالقرن التاسع عشر قد تخلفت كما نرى ذلك عندما تتوزع عصبة الأمم المنبثقة من وعي الإنسانية رغيف المستعمرات الأخرى.

إن الحرب العالمية الثانية لم تكتسح المطامح الهتلرية والنظرية العنصرية، فحسب، ولكنها أخرجت إلى الوجود هيئة الأمم المتحدة، وربما يقول حفدتنا إن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القنبلة الذرية لم تهدم هيروشيما ونجازاكي، فقط، ولكنها وترت وأرهفت الشعور بالمسؤولية الدولية، فعجلت بتكوين وعي عالمي.

ومن الغرور أن يقال إن هذا الأمر كان يشغل العالم الفيزيائي أوبنهايمر عندما كان في فيافي النيفادا يضع آخر لمسة على القنبلة التي ستهدم هيروشيما.

إن وقع حادث ما أطلقت عنانه الإرادة البشرية يخرج في النهاية عن رقابتها.

إنه صاروخ مقذوف في الزمان يتجاوز دائماً تقديراتنا وحساباتنا، الأمر الذي أشار إليه ﷻ في قوله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)، والواقع أن المؤرخين الذين يصنفون التاريخ يعوزهم شيء من الحرية، أو بعبارة أخرى فالتاريخ الذي تهدف إليه إرادتنا يكون دوما دون التاريخ الذي تحققه، فبسبب المنطق الكارتزيائي الذي يقتصر حكمه على الحوادث على النظر إليها من زاوية الأسباب يغيب على نظرهم جزء أساسي من مدار الأحداث.

وبما أن الصاروخ لا يندفع- في هذا الجزء- بفعل قوى تحصر في مبدأ السببية ولكنه يخضع فيما يبدو لمبدأ فانٍ، فإن المؤرخين يهملون بهذا جانبا عظيماً من فلسفة التاريخ.

مع أن الحادث يحقق معناه الكامل ومؤداه الشامل عندما يبلغ مرساه وغايته في التاريخ، إلا أن اكتشاف هذا الجانب الثاني من معنى الحادث يتطلب من المؤرخ مزيدا من الحرية على ما يمنحه المنطق الكارتزيائي.

وإن إيمانوال مونيي أحد هؤلاء «المتحررين» استطاع بصره أن يرى - على حد تعبيره- شمولا في الظاهرة التاريخية بحيث يأتي كل حدث فيها ليقوم بدوره لخير المجموع ونجاته.

وهذا التصور لا يحيط رغم تعمقه إلا ببعض جوانب الموضوع، فعلينا أن نغوص في قلبه وأن نميز في الظاهرة التاريخية جانبين: الجانب العرضي البشري والجانب القدري كما يراه مونيي. ولا أظن أن هذا التصور التاريخي يمكن الاستغناء عنه في لحظة بلغت فيها مأساة الإنسانية أشد توترها، حيث نرى بروقاً مهددة فوق أعالي جبال الكاشمير ومستنقعات الفيتنام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث

العدد (٤٩) محرم (١٣٨٩هـ) - مارس (١٩٦٩م)

قامت الهند والمسلمون على الأخص بهذه الثورة ضد الإنجليز الذين سيطروا على البلاد بواسطة شركة الهند الشرقية الإنجليزية وانتزعوا الحكم فيها من المسلمين الذين كانوا يحكمونها في ذلك الوقت، ولكن الثورة فشلت فأعلنت إنجلترا ضم الهند لمستعمرات التاج ونفوا آخر الحكام المسلمين إلى رانجون وبقي فيها حتى مات. «الوعي الإسلامي»

يجب أولا أن يحدد المصطلح: إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية.

ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى «طبقات» على صنفين:

أ- من حيث الزمن، طبقة القدماء، مثل جربر دورياك Gerbert d,Aurillac والقديس طوماس الأوكويني وطبقة المحدثين مثل كاره دوفر Carrade Vaux، وجلد زهر Goldizer.

ب- من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم، فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين عليها المشوهين لسمعتها.

هكذا وعلى هذا الترتيب يجب أن تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الاستشراق، إلا أننا من الوجهة الاجتماعية الخاصة التي تهمنا في هذا البحث وفي النطاق الضيق المحدد لهذه السطور، نختار عن قصد فصلا خاصا، اختيارا تبرره مبررات إلغائنا للفصول الأخرى. إنه لمن الواضح أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي، دون أيما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تأثير على أفكارنا، نحن معشر المسلمين، إن ما كتبوا كان قطعا المحور الذي تحركت حوله الأفكار التي نشأت عنها حركة النهضة في أوروبا، بينما لا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم.

فلنترك إذن قضيتهم جانبا لمن تهمه دراسة التاريخ العام، كما نترك أيضا قضية المنتقدين على الحضارة الإسلامية المحدثين حتى ولو كان لهم بعض الأثر في تحريك أقلامنا أو كان لهم بعض الصيت في زمنهم وفي بلادهم مثل الأب لامانس، إنهم لا يدخلون في موضوع بحثنا لأن إنتاجهم، على فرض أنه مس ثقافتنا إلى حد ما، إلا أنه لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا، لما كان في نفوسنا من استعداد لمواجهة أثره تلقائيا، مواجهة تدخلت فيها عوامل الدفاع الفطرية عن الكيان الثقافي، كما وقع ذلك في العهد الذي نشر فيه كتاب «في الشعر الجاهلي» على غرار ما تقتضيه مسلمة قدمها المستشرق مرجليوت قبل سنة، فأثار كتاب طه حسين تلك الزوبعة من السخط التي تخللتها الصواعق الانتقامية المنطلقة من قلم مصطفى صادق الرافعي رحمه الله وأكرم مثواه.

ولكننا على عكس ذلك نجد للمستشرقين المادحين الأثر الملموس الذي يمكننا تصوره بقدر ما ندرك أنه لم يجد في نفوسنا أي استعداد لرد الفعل، حيث لم يكن هناك، في بادئ الأمر، مبرر للدفاع الذي فقد جدواه وكأنما أصبح جهازه معطلا لهذا السبب.

وموضوعنا هنا هو أن نبين ما كان لهذه الثغرة في جهازنا للدفاع عن الكيان الثقافي من أثر في تطور أفكار المجتمع الإسلامي منذ قرن، وأثناء هذا القرن العشرين على وجه الخصوص.

لا شك أن المستشرقين المادحين مثل رينو Renaud الذي ترجم جغرافية أبي الفداء في أواسط القرن الماضي، ومثل دوزي DOZY الذي بعث قلمه قرون الأنوار العربية في أسبانيا ومثل سيديبو Sedillo الذي جاهد جهاد الأبطال طول حياته من أجل أن يحقق للفلكي والمهندس العربي أبي الوفاء لقب المكتشف لما يسمى في علم الهيئة «القاعدة الثانية لحركة القمر» ومثل آسين بلاثيوس الذي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كشف عن المصادر العربية للكوميدية الإلهية، لا شك أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية، وللتاريخ وكل ذلك من أجل مجتمعهم الغربي.

ولكننا نجد أن أفكارهم كان لها وقع أكبر في المجتمع الإسلامي، في طبقاته المثقفة.

إن الجيل المسلم الذي أنتسب أنا إليه يدين إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية.

ولكننا إذا تصفحنا هذه القضية في ضوء خبرتنا الحديثة وفي ضوء تجاربنا القريبة لم يكن لهذه الوسيلة إلا الأثر المحمود في تطور أفكارنا وثقافتنا، بل كان لها أثر مرض هو الذي نريد طرحه كموضوع للبحث في هذه السطور.

فلكي نتصور هذا الأثر على صورته الحقيقية في مجتمعنا الإسلامي، يجب أن نعيد هذا النوع من الاستشراق إلى مصادره التاريخية.

إن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها، فكانت في مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد طوماس الإكويني، تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته من أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلا تلك الخطوات الموفقة التي هدتها إلى حركة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر.

وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها الاستعمارية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسات في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها، وربما انطبقت هذه المجهودات العلمية، في نفس أصحابها على مجرد الاعتراف بفضل تلك الشعوب وبمساهمتها في تكوين الرصيد الحضاري الإنساني، ولا شك أن المستشرق سيدييو والعلامة جوستاف لوبون يتسمان في إنتاجهما بميزة العلم الخالص والاجتهاد المخلص للحقيقة العلمية.

ولكن تجب هنا الملاحظة بأن هذا اللقاء الجديد وقع في ملابسات تاريخية لم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يكن فيها العلم الإسلامي علما حيا ينقل من أفواه الأساتذة مباشرة ومن كتبهم المعاصرة، بل أصبح أشبه شيء بعلم الآثار يكتشفه الباحثون الأوروبيون بحكم الصدفة ويصدقون أو لا يصدقون في نقله، ثم ينسبونه لأصحابه من العلماء المسلمين، أو ينسبونه لأنفسهم أو لأحد الأوروبيين، فهكذا كانت اكتشافات كبرى تنسب لغير أصحابها، مثل دورة الدم الصغرى للإنجليزي فليام هرفي، بينما كان صاحبها الطبيب المسلم ابن النفيس الذي عاش قبله بأربعة قرون.

كما تجب الملاحظة أيضا أن العالم الإسلامي أصبح في هذه الملابسات يعاني الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية، ويعاني بسببها على وجه الخصوص أثرين: مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية، ومحاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة.

لقد أحدثت هذه الصدمة، عند قبيل من المثقفين المسلمين شبه شلل في جهاز حصانتهم الثقافية، حتى أدى بهم مركب النقص إلى أن ولوا مدبرين أمام الزحف الثقافي الغربي، وألقوا أسلحتهم في الميدان، وكأنهم فلول جيش منهزم في اللحظة التي بدأ فيها الصراع الفكري يحتدم بين المجتمع الإسلامي والغرب، فأصبح هذا القبيل من المثقفين يبحث عن نجاته في التزيي بالزي الغربي، وينتحل في أذواقه وسلوكه كل ما يتسم بالطابع الغربي حتى ولو كان هذا الطابع مظهرا لا شيء وراءه من القيم الحضارية الغربية الحقيقية.

وبدأت تظهر في الأفق الثقافي الإسلامي الفكرة الجديدة التي حركت بعد ثورة سنة ١٨٥٨م بالهند، تأسيس جامعة عليكرة وحركت من جانب آخر ضد هذا المشروع، باعث النهضة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغاني.

وهكذا أصبح الفكر الإسلامي، على أثر الصدمة الثقافية التي اجتاحته وما تسبب عنها من مركب نقص، ينحاز إلى معسكرين، أحدهما يدعو لتقبل الفنون والعلوم والأشياء الغربية- حتى اللباس- والآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس.

فالتيار الأول كان من الناحية العقلية والسياسية والاجتماعية له أثره في لونين،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اللون الذي يتمثل في تأسيس جامعة عليكرة، واللون الذي يتمثل في دعوة جمال الدين الأفغاني مع تباين الأهداف وتشابه الوسائل التي كانت تفرض على العالم الإسلامي في كلتا الحالتين تطورا يؤدي به إلى الشيئية والتكديس.

وأما التيار الثاني وهو موضوع حديثنا لاتصاله بإنتاج المستشرقين فإنه وجد مخدره الطبيعي في أدب الفخر والتمجيد الذي أنشأه علماء مستشرقون أمثال دوزي عن الحضارة الإسلامية.

ولا يمكننا، على أية حال أن نجعل بين التيارين فاصلا قاطعا، لأن الثاني منهما لا يكون بصورة منهجية مدرسة مستقلة عن الأول، بل نجده يخامر الفكر الإسلامي على العموم ويتخلل اتجاهه العام كفكر يبحث عن حقنة اعتزاز للتغلب على المهانة التي أصابته من الثقافة الغربية المنتصرة، كما يبحث المدمن عن حقنة المخدر التي يستطيع بها مؤقتا إشباع حاجته المرضية.

وهذا لا يجعلنا ننفي لهذا التيار ولنوع الأدب الذي نتج عنه كل أثر حسن في مصير المجتمع الإسلامي، لأنه كان له نصيب لا يزهد فيه في الحفاظ على شخصيته، والجيل الذي أنا منه يدين له بذلك النصيب على الأقل في المحافظة على شخصيته الإسلامية.

إنني على سبيل المثال قد اكتشفت وأنا بين الخامسة عشرة والعشرين من العمر أمجاد الحضارة الإسلامية في ترجمة دوسلان لمقدمة ابن خلدون وفيما كتب دوزي وأحمد رضا بعد الحرب العالمية الأولى.

وإني لعلى إدراك تام لما أدين به لهذه المطالعات، وقد ذكرت ذلك في الجزء الأول من «مذكرات شاهد القرن» والآن وقد تجاوزت الستين من العمر أستطيع أكثر من ذي قبل تقدير هذا العلاج للفكر وللضمير، لا في النطاق الشخصي، بل في النطاق الشامل للمجتمع الإسلامي طيلة أربعين سنة بعد تجربتي، فأرى أن أقرر هنا مع الاختصار اللازم في هذا العرض أن مساوئ طريقة هذا العلاج تظهر لي بالتالي أكثر من حسناته وذلك لأسباب متعددة.

فالسبب الأول لأنه بديهي، ولأن ملاحظة الآثار النفسية لأسلوب التكوين،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أي البيداغوجية، تبرز تلقائيا بالنحو الذي نشير إليه بمثل بسيط.

إننا عندما نتحدث إلى فقير، لا يجد ما يسد به الرمق اليوم، عن الثروة الطائلة التي كانت لآبائه وأجداده، إنما نأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدر يعزل إلى حينٍ فكره مؤقتا وضميره عن الشعور بها، إننا نسكن الآلام، لا نشفيها.

فكذا لا نشفي أمراض مجتمع بذكر أمجاد ماضيه، ولا شك أن أولئك الماهرين في فن القصص قد قصوا للأجيال المسلمة في عهد ما بعد الموحدين قصة ألف ليلة وليلة، وتركوا بذلك (إثر كل سمر) نشوة تخامر مستمعيهم حتى يناموا على صورة ساحرة لماض مترف.

ولكن سوف تستيقظ هذه الجماهير في الغد، فتنفتح أبصارها من جديد على مشهد الواقع القاسي الذي يحيط بها في وضعها الذي لا تغبط عليه اليوم.

فالأدب الذي ينشد عصور الأنوار للحضارة الإسلامية يؤدي أولا هذين الدورين، إنه أتاح في مرحلة معينة الجواب اللائق للتحدي الثقافي الغربي الذي حفظ مع عوامل أخرى الشخصية الإسلامية، ولكنه من ناحية أخرى، نراه قد صب في هذه الشخصية الإعجاب بالشيء الغريب ولم يطبعها بما يطابق عصر الفعالية.

ربما تبدو هذه الملاحظة عارضة في هذا العرض، إلا أنها في نظرنا جديرة، على بساطتها، بكل الاهتمام، وذلك ليس لأنها تهمنا من جهة نظر الاجتماع فحسب، بل لأنها تهمنا أكثر إذا اعتبرنا مدلولها بالنسبة إلى مجال الصراع الفكري الذي تورط فيه العالم الإسلامي اليوم، في مرحلته الراهنة.

وإذا أردنا، بما يمكن من الإيجاز، التعريف بما نسميه «الصراع الفكري» في العالم الإسلامي فإنه يجب على الأقل أن نضع نصب أعيننا هذه القاعدة العامة: فكلما طرح المسلم أو المسلمون مشكلة ما تتصل بمصير هذا المجتمع، يجب علينا القطع بأن الاستعمار قد طرحها أو سيطرحها على الفور، وأنها لا تخفى على المختصين بالدراسات الإسلامية، فهم تناولوها قطعا بالبحث أو سيتناولونها، وأنهم سيبذلون كل جهدهم، إذا ما وفق المسلمون إلى حل من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحلول لهذه المشكلة، في تزييف هذا الحل إن كان صحيحا، أو في توسيع الرتق فيه إن كان مخطئا . . هذا أبسط تعريف للصراع الفكري.

وعليه، فإذا بدرت في العالم الإسلامي بادرة، حتى ولو كانت خافية على أبصارنا نحن، فسرعان ما تلتقطها مراصد أولئك الأخصائيين، فيضعونها تحت مجاهر التحليل، خصوصا إذا كانت تلك البادرة ذات صلة قريبة أو بعيدة بحركة الأفكار في العالم الإسلامي، وبنهضته، أفنجري عملية الفحص والتحليل إلى أقصى حدها، وتمر النتيجة بمائة عملية تقطير وتصفية، حتى يبقى في المبادرة عندما تبرز بعد هذه العمليات، أقل ما يمكن من الصواب وأكثر ما يمكن من الخطأ، يعني من الناحية العملية أقل ما يمكن من العوامل الميسرة للتطبيق وأكثر ما يمكن لجعله متعسرا أو مستحيلا.

ومن الواضح أن أول صورة تبرز فيها مبادرة هي صورة فكرية تشتمل على أفكار توجيهية من حيث مبررات العمل وكيفيته، فإذا تسممت المبررات بالريب والتشكيك أو فقدت الكيفية ما يجب من الوضوح، صعب العمل أو استحال.

إذن قضية الأفكار التوجيهية قضية رئيسية، وقد يكون التوجيه من حيث المبررات، إما إلى الأمام وإما إلى الخلف، إذا كان ملتفتا بصورة مرضية إلى الوراء.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المجتمع الإسلامي والإنسانية العذراء!

العدد (٧٧) جمادى الأولى (١٣٩١هـ) يونيو (١٩٧١م)

إن المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن هي مشكلة الحضارة وكيفية إيجاد الحلول الواقعية لها وإزالة التناقض بين النجاح المادي والتخلف المعنوي، أعني تخلف القيم أو إهمالها، لقد شعرت منذ فترة طويلة وعلى وجه التحديد منذ وصولي إلى أوروبا لتلقي العلم عام ١٩٣٠ أن المجتمعات المعاصرة تواجه مشكلات بالغة التعقيد ومتعددة الأنواع، وإذا كان من المفروض على رجل السياسة أن يتناول هذه المشكلات في تنوعها وتعددها ويجهد في إيجاد الحلول الملائمة لها، وإذا كان من حق رجل الفكر أيضاً أن يطرق هذا الطريق في بلاد متقدمة فأولى برجل السياسة والفكر في البلاد المتأخرة أن يوجه اهتماماً متزايداً لدراسة هذه المشكلات في مجتمعه وأن يجتهد في إيجاد الحلول الملائمة لها.

ومن الأخطاء والأخطار التي واجهت بعض الدول الإسلامية أنها تناولت مشكلاتها ووضعت لها حلولها وفقا للأنماط والنماذج التي واجهت بها الدول المتقدمة مشكلاتها، وإذا كان هذا الأمر له خطورته من الناحية السياسية، أعني من الناحية التطبيقية، فإن خطورته أشد من الناحية النظرية، لا سيما أن الناحية النظرية هي التي توحي بالحلول التي تطبق وتكون النتيجة أن تبقى حياتنا السياسية أسيرة مجهودات فكرية غير ملائمة لواقعنا، لأنها أخلت بمبدأ أساسي من مبادئ فلسفة التاريخ.

يمكننا أن نقرب هذه الحقيقة إلى ذهن القارئ إذا ما طبقناها على مستوى الأفراد، من المسلم به أن ما يمكن أن يصنعه أو يتحمله الرجل المكتمل من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مجهودات لا يمكن أن يصنعه أو يتحمله طفل صغير أو شيخ هرم، أيضا المجتمعات لها أعمارها، فهذا المجتمع في عنفوان شبابه، يستطيع أن يتحمل وينتج ما تنتجه المجتمعات المزدهرة، وهذا مجتمع ناشئ لا تستطيع قواه أن تواجه نفس الأعباء التي يتحملها المجتمع الأول، وهذا مجتمع ثالث هرم لا يستطيع لنفس الأسباب أن يقوم بالمهمات الكبرى مادام يستولي عليه هرمه.

وإذا أرجعنا هذه الاستعارات إلى مصطلح علم الاجتماع نقول بغير تردد إن المجتمع الإسلامي اليوم يتكون من عناصر بشرية مازالت تشكل ما نسميه بـ«الإنسانية العذراء»، أعني الإنسانية التي لم تدخل بعد في دورة حضارة، ولهذا السبب تحتفظ بكل رصيدها التاريخي الأمر الذي يملأها بالتفاؤل نحوها.

كما يتكون المجتمع الإسلامي أيضا من عناصر بشرية قامت بدور حضاري كبير وأنارت الإنسانية طيلة قرون ازدهارها وأتى على هذه المجتمعات ما يأتي على كل المجتمعات وكل الحضارات فاستولى عليها الهرم، وربما تجد نفسها في هذه الحالة عاجزة عن القيام بالمهمات التي يضطلع بها غيرها من الشعوب المتحضرة لأنها هرمت.

والمشكل الرئيسي إذن، بل أم المشكلات التي يواجهها العالم الإسلامي مشكلة الحضارة من طرفين، كيف تدخل الشعوب العذراء في دورة حضارية جديدة، وكيف تعود الشعوب الإسلامية التي خرجت من حلبة التاريخ لدورة حضارية جديدة.

إذا سلمنا بهذه الحقائق يبقى علينا أن نفكر في مصير العالم الإسلامي، وكيف يمكن لنا الدخول في دورة حضارية جديدة، هذه القضية باختصار هي التي وجهت لها كل مجهوداتي المتواضعة منذ ثلاثين سنة، ولسنا في حاجة إلى حديث طويل لكي نؤكد أن الفكر الإسلامي قد وضع حلولا لمشكلات العالم الإسلامي وما يعانيه إنسان العصر الحديث من قضايا ومواقف، إن القرآن الكريم قد وضع حلولا لهذه القضايا والمواقف، ويجب أن نعمل على ضوء هذه الحقيقة، فمن ناحية المشكلات الاجتماعية التي تواجه الإنسان تكفل القرآن بوضع تشريع المعاملات

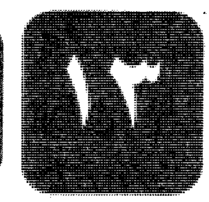
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

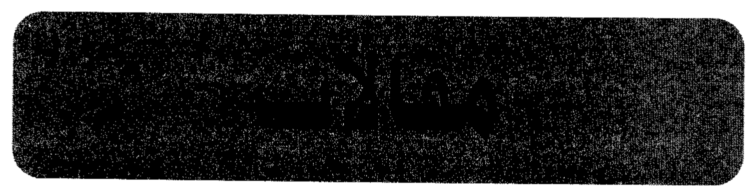
الاجتماعية كالزواج والمعاشرة والطلاق... إلخ، كما وضع تشريعا للمسائل الدنيوية كالبيع والشراء والتجارة من ناحية أخرى، فإن القرآن الكريم يضع في أعماق عقيدتنا الاستعدادات التي تؤهلنا لتطبيق المعاملات المتعددة ويحفزنا على الإبداع والابتكار.

إن حصيلة دراستي في هذه الناحية تتحدد في مجموعة من النقاط أبرزها أن الحضارة لا تصنع بمنتوجات حضارية مستوردة، بل هي التي تصنع وحدها المنتوجات الحضارية، وهذا يؤدي بنا إلى تساؤل تقليدي عن شروط الحضارة في جوهرها العام، والجواب من دون استطراد طويل، إن شروط الحضارة تتكون من ثلاثة عناصر: الإنسان.. التراب.. والوقت.. وإذا دققنا النظر في هذه العناصر نستطيع أن نستخلص المعنى المطلوب.

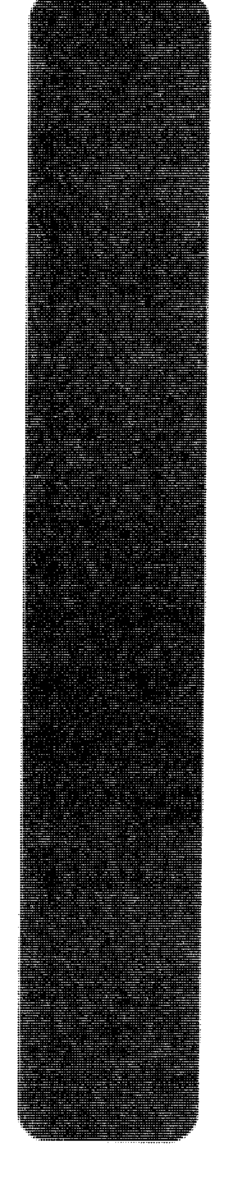
وإذا كانت هذه فقط شروط الحضارة فلماذا لا توجد حضارة في مجتمع توافرت فيه هذه الشروط وهي غالباً ما تتوافر في مجتمعات العالم الثالث الذي يضم أكبر كتلة بشرية وأخصب مساحات من التراب ولديه من الوقت ما لغيره من الدول صاحبة الحضارة، ومع ذلك فلا توجد حضارة كالموجودة في الدول الأولى، وفي رأيي أن السبب في ذلك أن هذه العوامل تتطلب إلى جانبها عاملا آخر لا غنى عنه، هو العامل النفساني، هذا العامل الذي يصطلح البعض على تسميته بكلمة «العقيدة» والبعض الآخر يسميه «أيديولوجية» فنحن إذن أمام قضية واضحة وضوحاً كاملاً، إن الشروط اللازمة لتكوين الحضارة موجودة.. والذي ينقصنا هو العمل بموجب العقيدة الإسلامية، الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يعيد المسلمين إلى عالم الحضارة الخلاقة والمبدعة، أو يدخلهم في حلبتها، ولكن شريطة أن يعتبروا أن هذه العقيدة رسالة هامة وضرورية ولا غنى عنها.. ولكن العقيدة لا يمكن أن تحرك الطاقات إلا بقدر تسخيرها- أي العقيدة- لحاجات أبعد وأسمى وأجل من الحاجات اليومية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





الشيخ السيد سابق



- ترجمة الشيخ.
- المقالات:

١- حجة الوداع.

العدد (١٢) ذو الحجة (١٣٨٥هـ) - مارس (١٩٦٦م).

٢- كيف نعيش.

العدد (٢٢) شوال (١٣٨٦هـ) - يناير (١٩٦٧م).

٣- التدين.

العدد (١١٦) شعبان (١٣٩٤هـ) - أغسطس (١٩٧٤م).

٤- الدولة الإسلامية.

العدد (١٨١) محرم (١٤٠٠هـ) - نوفمبر (١٩٧٩م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

سيد سابق



ولد الشيخ سيد سابق رحمه الله تعالى في يناير عام ١٩١٥م بقرية «إسطنها»، من مركز الباجور بمحافظة المنوفية، وأتم حفظ القرآن في صغره، ثم التحق بالأزهر في القاهرة، وظل يتلقى العلم ويترقى حتى حصل على العالمية في الشريعة عام ١٩٤٧م، ثم حصل بعدها على الإجازة من الأزهر وهي درجة علمية أعلى.

عمل رحمه الله بالتدريس بعد تخرجه في المعاهد الأزهرية، ثم بالوعظ في الأزهر، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف في نهاية الخمسينيات متقلداً إدارة المساجد، ثم الثقافة، فالدعوة، فالتدريب، ثم انتقل إلى مكة المكرمة للعمل أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز، ثم جامعة أم القرى، وأسند إليه فيها رئاسة قسم القضاء بكلية الشريعة، ثم رئاسة قسم الدراسات العليا، ثم عمل أستاذاً غير متفرغ.

● **مؤلفاته:**

أشهر كتبه وأحبها إليه الذي اقترن اسمه به هو «فقه السنة»، ومن مؤلفاته أيضاً: «مصادر القوة في الإسلام، الربا والبديل، تقاليد وعادات» وغيرها.

تخرج على يديه العديد من العلماء وطلبة العلم منهم الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور صالح بن حميد، وغيرهما، واستعان به الكثير من العلماء أمثال الشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمود شلتوت، ومحمد أبو زهرة.

● **وفاته**

مرض الشيخ في آخر حياته وأبى أن يمتنع عن التدريس في المساجد حتى وافته المنية مساء يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٠م عن عمر ناهز ٨٥ سنة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حجة الوداع

العدد (١٢) ذو الحجة (١٣٨٥هـ) - مارس (١٩٦٦م).

● الحج عبادة قديمة

الحج عبادة من العبادات القديمة التي عرفتها الأمم جميعاً منذ أقدم العصور، فقد كان لكل أمة مكان معين. أو أكثر تحج إليه وتؤمه مرة أو مرات، عرفه قدماء المصريين. والسريان، والصينيون، والهنود، واليونانيون، وعرفه الإسرائيليون. فقد كانوا يذهبون إلى أورشليم ليقضوا عيد الفصح بها حاجين متعبدين حسب ما أمروا به.

ولما جاءت المسيحية جعلت الحج في أول عهدها إلى قبور الأولياء والشهداء والقديسين ثم اتجهت به إلى أورشليم.

وكان العرب في العهد الجاهلي يحجون إلى البيت الحرام الذي بناه بمكة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

إلا أن حج العرب كان قد شابه الكثير من الوثنية - كما شابه الكثير من السيئات -، فقد كانوا يلبون ويقولون في تلبيتهم. «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك» كما كانوا يطوفون بالبيت عراة الأجسام رجالاً ونساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون. ويتعللون لذلك بأنه لا ينبغي لهم أن يطوفوا بالبيت في ملابس عصوا اللّه فيها. فسجل الله عليهم ذلك فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ (الأنفال: ٣٥).

والمكاء هو الصفير.. والتصدية هي التصفيق. وأمرهم الله أن يستروا عوراتهم فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١).

وإذا كان الحج قد عرفته الأمم القديمة جميعها. فالظاهر أن ذلك مستمد من الشرائع الإلهية. ومن الأصل السماوي. باعتباره من دين الله الذي كلف به جميع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأمم والشعوب. وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ (الحج: ٦٧).

● **الحج في الإسلام**

فلما جاء الإسلام فرض الحج على المسلمين كما فرضته الشرائع السابقة، وجعله أحد أركان الإسلام الخمسة وفريضة من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة. فلو أنكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الإسلام. يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧).

● **متى فرض**

والذي اختاره أكثر العلماء أن إيجابه كان سنة ست بعد الهجرة، لأنه نزل فيها قول الله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦) وهذا مبني على أن الإتمام يراد به ابتداء الفرض. ويؤيد هذا قراءة علقمة ومسروق وإبراهيم النخعي: «﴿وأقيموا﴾» رواه الطبراني بإسناد صحيح.

أما ابن القيم فقد رجح أن افتراض الحج كان سنة تسع أو عشر.

● **الترغيب فيه**

وقد رغب الشارع في أداء هذه الفريضة فاعتبرها من أفضل الأعمال. فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن أفضل الأعمال. قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟. قال: «ثم جهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا؟ قال: «ثم حج مبرور».

والحج المبرور هو الحج الذي لا يخالطه إثم وقال الحسن: أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة».

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «إني جبان وإني ضعيف، فقال: هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج» ومن ثم كان للحجاج عند الله المنزلة الرفيعة والمقام المحمود، يقول رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **شروط وجوبه**

وقد اشترط الفقهاء لوجوبه الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة، وإنما تتحقق الاستطاعة بصحة البدن وأمن الطريق وملك ما يكفيه ويكفي من يعوله كفاية فاضلة عن حوائجه الأصلية من مطعم وملبس ومسكن، وألا يوجد ما يمنع الناس من الذهاب إلى الحج كالحبس والخوف من سلطان جائر يمنع الناس منه.

● **حكمته**

قد يبدو أن الحج عبادة رمزية غير معقولة المعنى، ولا ظاهرة الحكمة وأن ما يأتيه الإنسان من أعمال إنما هو امتثال للأمر وإظهار للعبودية، وقيام بحق الله، ولكنه عند المتأمل تتجلى أسراره وتظهر آثاره النفسية والخلقية والاجتماعية.

● **أسراره النفسية**

إن شعائر الحج تثير في النفس ذكريات عذاباً، إذ إنها ترتبط بالواقع التاريخي لأبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً. والحج يلقي على هذه الذكريات من الظلال والألوان ما يجعلها شاخصة للعيون وماثلة في الأذهان. إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي رفع قواعد البيت وإسماعيل. وهو أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض. ومن ثم أمر الحنفاء أن يتوجهوا إليه كلما توجهوا إلى الله في صلاتهم، وأن يتلاقوا عنده كل عام يحدوهم الحب في الله والاجتماع عليه ليعلنوا تضامنهم واتفاقهم على إقامة شريعة الله الواحد.

ولا تزال النفس الإنسانية تهفو إلى مصدر إشعاعها الأول وتحن إليه، وتقيم لذلك المعالم الهادية وتتخذ منه حافظاً يرقى بحاضرها وينهض بها إلى حياة أهدى وأزكى.

ولقد جاشت نفس رسول الله ﷺ وانفعلت بهذه الذكريات فبكي وهو عند الكعبة وقال: «يا عمر: هنا تسكب العبرات».

● **آثاره الخلقية**

والحج نوع من السلوك ولون من ألوان التدريب العملي على مجاهدة النفس من أجل الوصول إلى المثل الأعلى، والاندماج في حياة روحية خالصة تمتلئ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيها القلوب بحب الله، وتنطلق الحناجر هاتفة بذكره مثنية عليه. وبينما يرتدي المرء ملابس الإحرام وهي ملابس خالية من الزينة ومن كل ما يثير في النفس دواعي العجب والخيلاء يقول الله تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ١٩٧) تشير هذه الآية إلى أن المرء حينما يدخل في أعمال الحج يجب عليه أن يعيش في جو من العفاف والأدب العالي فلا يتدلى إلى رفث ولا يميل إلى فسوق ولا ينطق بكلمة طائشة. أو ينظر نظرة فاحشة. كما تشير أيضاً إلى فعل الخير. وهو عمل إيجابي يجمل بكل مؤمن أن يهتم به ويحرص عليه.

● **آثاره الاجتماعية**

يمكن تلخيص الحكم الاجتماعية للحج فيما يلي:

١- إن الحج رحلة سياحية لتجميع أكبر عدد ممكن من أفراد الأمة الإسلامية ليشهدوا المنافع التي تعود عليهم بالخير والبركات. سواء أكانت منافع روحية أم منافع اقتصادية أم منافع سياسية.

٢- إن فيه تعارف الشعوب الإسلامية وتوحيد غاياتهم التي توجههم الوجهة التي تأخذ بأيديهم إلى حياة القوة والعزة والعلم والعمل. بما يفيده بعضهم من بعض ومن تبادل الآراء المختلفة والثقافات المتنوعة.

٣- يمكن عقد معاهدات واتفاقات في موسم الحج ودراسة الوسائل لتيسير التبادل الاقتصادي والثقافي مما تحتاج إليه هذه البلاد.

هذه هي بعض حكم الحج وأسراره.

فلننظر إلى أرض الله الواسعة ولنستحضر كل المؤتمرات والتجمعات، فهل نجد مجتمعاً أطهر وأبر من هذا المجتمع مع هذا العدد الوفير. والكثرة الكاثرة؟. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ (الحج: ٢٧ -٢٨).

● **كيفيته**

ومن الثابت أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حج حجة واحدة، وكان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك في السنة العاشرة من الهجرة وسميت حجته تلك بحجة الوداع، وقد بين فيها الرسول صلوات الله عليه مناسك الحج وقال: «خذوا عني مناسككم»، فمن اقتدى برسول الله ﷺ واهتدى بهديه في حجه كان حجه صحيحاً، وهذا بيان حجه كما رواه الإمام مسلم:

قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وإسحق بن إبراهيم جميعاً، عن حاتم، قال أبو بكر حدثنا حاتم بن إسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فسأل عن القوم حتى انتهى إلي. فقلت أنا محمد بن علي بن حسين فأهوى بيده إلى رأسي، فنزع زري الأعلى، ثم نزع زري الأسفل، ثم وضع كفه بين ثديي، وأنا يومئذ غلام شاب.

فقال مرحباً بك يا ابن أخي، سل عما شئت؟ فسألته- وهو أعمى وحضر وقت الصلاة، فقام في نساجة[1] ملتحفاً بها، كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها، ورداؤه إلى جنبه على المشجب[2] فصلى بنا، فقلت أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ فقال بيده فعقد تسعاً، فقال إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين[3] لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله.

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحيلفة، فولدت أسماء بنت عميس: محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟

قال: اغتسلي واستثفري[4] بثوب وأحرمي.

فصلى رسول الله ﷺ في المسجد، ثم ركب «القصواء»[5] حتى إذا استوت به

---

(١) نساجة ثوب يشبه الطيلسان.

(٢) المشجب اسم لأعواد- يوضع عليها الثياب- ومتاع البدن أشبه بما يسمى عندنا بالشماعة.

(٣) تسع سنين. أي بالمدينة قبل أن يحج.

(٤) الاستثفار: أن تشد في وسطها شيئاً وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها لمنع سيلان الدم - وفي هذا دليل على صحة إحرام الحائض والنفساء بعد استثفارهما. وعلى أن غسل الإحرام سنة لهما. ولغيرهما من باب أولى.

(٥) القصواء: اسم لناقة النبي ﷺ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهل(١) بالتوحيد (لبيك اللهم لبيك * لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك * لا شريك لك) وأهل الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته. قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت. فكان يقرأ في الركعتين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا، فرقى عليه حتى رأى البيت، واستقبل القبلة، فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده(٢). ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي(٣) سعى، حتى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا. حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل، وليجعلها عمرة».

فقام سراقة بن مالك بن جعشم، فقال يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك

---

(١) أهلَّ: من الإهلال وهو رفع الصوت بالتلبية.

(٢) هزم الأحزاب وحده. أي هزمهم بغير قتال من الآدميين. ولا بسبب من جهتهم والمراد بالأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ يوم الخندق.

(٣) بطن الوادي: هو الذي يقال له بين الميلين - لمن لم يسق الهدي - كما فعل الصحابة بأمر رسول الله ﷺ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رسول الله ﷺ أصابعه، واحدة في الأخرى، وقال: «دخلت العمرة في الحج مرتين، لا، بل لأبد أبد».

وقدم علي من اليمن ببدن النبي ﷺ، فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حلَّ.. ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبي أمرني بهذا. قال فكان علي يقول بالعراق. فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشاً[١] على فاطمة للذي صنعت، مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنّي أنكرت ذلك عليها، فقال صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟. قال:

قلت: «اللَّهمَّ إني أهلّ بما أهل به رسولك ﷺ قال: «فإن معي الهدي فلا تحلّ».

قال فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن. والذي أتى به النبي ﷺ مائة. قال فحلَّ الناس كلَّهم وقصروا[٢]، إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية[٣] توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب، والعشاء والفجر[٤] ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبّة من شعر تضرب له بنمرة. فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام. كما كانت قريش تصنع في الجاهلية[٥].

---

(١) محرشاً التحريش الإغراء - والمراد به أنه كان يعتب عليها.

(٢) يؤخذ من هذا، جواز فسخ الحج إلى العمرة لمن لم يسق الهدي- كما فعل الصحابة بأمر رسول الله ﷺ.

(٣) يوم التروية، هو اليوم الثامن من ذي الحجة وسمي بذلك لأنه مشتق من الرواية لأن الإمام يروي للناس مناسكهم. وقيل من الارتواء لأنهم يرتوون الماء في ذلك اليوم ويجمعونه بمنى.

(٤) يؤخذ من هذا أن من السنة صلاة خمسة أوقات بمنى. والمبيت بها هذه الليلة وهي ليلة التاسع من ذي الحجة. ومن السنة كذلك إلا يخرج يوم عرفة من منى إلا بعد طلوع الشمس ولا يدخل عرفات إلا بعد زوال الشمس، وهذا كله بحسب الاستطاعة.

(٥) كانت قريش في الجاهلية تقف بالمشعر الحرام، وهو جبل في المزدلفة يقال له قزح وقيل إن المشعر الحرام كل المزدلفة. وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات فظنت قريش أن النبي ﷺ يقف في المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه فتجاوزه ﷺ إلى عرفات لأن الله تعالى أمر بذلك في قوله ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ أي سائر العرب غير قريش وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة لأنها من الحرم، وكانوا يقولون نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فأجاز[١] رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء فرحلت[٢] له فأتى بطن الوادي[٣].

فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع. ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا، دم ابن ربيعة بن الحارث. كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع[٤]وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء. فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله. . . إلى قوله: ولهن عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لا تضلوا بعده، إن اعتصمتم به، كتاب الله وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا. نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة[٥] يرفعها إلى السماء ينكتها إلى الناس، اللهم اشهد، ثلاث مرات، ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلّ بينهما شيئاً[٦] ثم ركب رسول الله ﷺ. حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة[٧] بين يديه. واستقبل القبلة.

فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ ، وقد شنق[٨] للقصواء الزمام حتى إن

---

(١) فأجاز، أي جاوز المزدلفة ولم يقف بها، بل توجه إلى عرفات.

(٢) فرحلت، أي جعل عليها الرحل.

(٣) بطن الوادي، هو وادي عرفة.

(٤) ربا الجاهلية موضوع. أي باطل.

(٥) فقال بإصبعه السبابة أي يقلبها ويرددها إلى الناس مشيراً إليهم.

(٦) فيه دليل على مشروعية الجمع بين الظهر والعصر هناك في ذلك اليوم بسبب النسك أو بسبب السفر، على خلاف في ذلك.

(٧) حبل المشاة أي مجتمعهم.

(٨) شنق أي ضم وضيق.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رأسها ليصيب مورك رحله[١] ويقول بيده اليمنى[٢] أيها الناس: السكينة السكينة كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً[٣] ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر. وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة. ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً. فدفع قبل أن تطلع الشمس.

وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيما[٤] فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن[٥] يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل.

فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن محسر. فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى[٦] التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخزف، رمى من بطن الوادي[٧]. ثم انصرف إلى المنحر. فنحر ثلاثاً وستين بيده[٨] ثم أعطى علياً. فنحر ما غبر[٩] وأشركه في هديه، ثم أمر

---

(١) المورك الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا مل من الركوب.
(٢) ويقول بيده اليمنى أي يشير بها قائلاً الزموا السكينة. وهي الرفق والطمأنينة.
(٣) لم يسبح بينهما شيئاً أي لم يصل بينهما شيئاً من الصلوات وهذا الجمع متفق عليه من العلماء.
(٤) وسيماً جميلاً.
(٥) ظعن جمع ظعينة وهي البعير الذي عليه امرأة، ثم سميت به المرأة مجازاً لملابستها البعير.
(٦) فيه دليل على أن سلوك هذا الطريق من عرفات سنة. وهو غير الطريق الذي ذهب فيه إلى عرفات. وكان قد ذهب إلى عرفات من طريق «ضب» ليخالف الطريق كما كان يفعل في الخروج إلى العيدين في مخالفة طريق الذهاب والإياب.
(٧) بطن الوادي أي بحيث تكون مني وعرفات والمزدلفة عن يمينه ومكة عن يساره.
(٨) فنحر ثلاثاً وستين بيده، فيه دليل على استحباب تكثير الهدي، وكان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السنة مائة بدنة.
(٩) ما غبر: ما بقي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من كل بدنة ببضعة[١] فجعلت في قدر فطبخت، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ثم ركب رسول الله ﷺ. فأفاض إلى البيت[٢] فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبدالمطلب يسقون على زمزم فقال انزعوا[٣] بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم[٤] لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه». قال العلماء واعلم أن هذا الحديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد. قال القاضي عياض قد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا، وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءاً كبيراً أخرج فيه من الفقه مئة ونيفاً وخمسين نوعاً. قال ولو تقصى لزيد على هذا العدد قريب منه. قالوا وفيه دلالة على أن غسل الإحرام سنة للنفساء والحائض ولغيرهما بالأولى.

وعلى استثفار الحائض والنفساء، وعلى صحة إحرامهما، وأن يكون الإحرام عقب صلاة فرض أو نفل، وأن يرفع المحرم صوته بالتلبية ويستحب الاقتصار على تلبية النبي ﷺ. فإن زاد فلا باس، فقد زاد عمر: لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوباً منك ومرغوباً إليك.

وإنه لينبغي للحاج القدوم أولاً على مكة ليطوف طواف القدوم وأن يتسلم الركن- الحجر الأسود- قبل طوافه ويرمل في الثلاثة الأشواط الأول.

والرمل أسرع المشي مع تقارب الخطا وهو الخبب وهذا الرمل يفعله في ما عدا الركنين اليمانيين.

ثم يمشي أربعاً على عادته وأنه يأتي بعد تمام طوافه مقام إبراهيم ويتلو ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ثم يجعل المقام بينه وبين البيت ويصلي ركعتين. ويقرأ فيها- في الأولى- بعد الفاتحة «سورة الكافرون» وفي الثانية بعد الفاتحة

---

(١) ببضعة أي بقطعة من اللحم.

(٢) أفاض إلى البيت أي طاف بالبيت طواف الإفاضة.

(٣) انزعوا أي اسقوا بالإدلاء وانزعوا بالرشاء أي الحبال.

(٤) أن يغلبكم الناس على سقايتكم معناه لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحموا عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستسقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«سورة الإخلاص». ورد الحديث على أنه يشرع له الاستلام عند الخروج من المسجد كما فعله عند الدخول. واتفق العلماء على أن الاستلام سنة. وأنه يسعى بعد الطواف ويبدأ من الصفا ويرقى إلى أعلاه ويقف عليه، مستقبل القبلة ويذكر الله تعالى بهذا الذكر ويدعو ثلاث مرات ويرمل في بطن الوادي وهو الذي يقال له «بين الميلين» وهو- أي الرمل- مشروع في كل مرة من السبعة الأشواط. لا في الثلاثة الأول كما في طواف القدوم بالبيت وأنه يرقى أيضاً على المروة كما رقى على الصفا ويذكر ويدعو، وبتمام ذلك تتم عمرته.

فإن حلق أو قصر صار حلالاً. وهكذا فعل الصحابة الذين أمرهم ﷺ بفسخ الحج إلى العمرة.

وأما من كان قارنا، فإنه لا يحلق ولا يقصر ويبقى على إحرامه ثم في يوم التروية- وهو الثامن من ذي الحجة- يحرم من أراد الحج ممن حل من عمرته ويذهب هو ومن كان قارناً إلى منى، والسنة أن يصلي بمنى الصلوات الخمس وأن يبيت بها هذه الليلة - وهي ليلة التاسع من ذي الحجة - ومن السنة كذلك أن لا يخرج يوم عرفة من منى إلا بعد طلوع الشمس ولا يدخل «عرفات» إلا بعد زوال الشمس. وبعد صلاة الظهر والعصر جمعاً بعرفات فإنه ﷺ نزل بنمرة وليست من عرفات. ولم يدخل ﷺ الموقف إلا بعد الصلاتين. ومن السنة أن لا يصلي بينهما شيئاً، وأن يخطب الإمام الناس قبل الصلاة وهذه إحدى الخطب المسنونة في الحج.

والثانية: أي من الخطب المسنونة يوم السابع من ذي الحجة يخطب عند الكعبة بعد صلاة الظهر.

والثالثة: أي من الخطب المسنونة يوم النحر.

والرابعة يوم النفر الأول. وفي الحديث سنن وآداب منها:

أن يجعل الذهاب إلى الموقف عند فراغه من الصلاتين، وأن يقف في عرفات راكباً أفضل. وأن يقف عند الصخرات، عند موقف النبي ﷺ. أو قريباً منه، وأن يقف مستقبل القبلة. وأن يبقى في الموقف حتى تغرب الشمس. ويكون في وقوفه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

داعياً الله ﷻ. رافعاً يديه إلى صدره. وأن يدفع بعد تحقق غروب الشمس بالسكينة، ويأمر الناس بها إن كان مطاعاً فإذا أتى المزدلفة نزل بها وصلى المغرب والعشاء جمعاً بأذان واحد وإقامتين، دون أن يتطوع بينهما شيئاً من الصلوات، وهذا الجمع متفق عليه بين العلماء، وإنما اختلفوا في سببه، فقيل إنه نسك، وقيل لأنهم مسافرون- أي السفر هو العلة لمشروعية الجمع- ومن السنن المبيت بمزدلفة وهو مجمع على أنه نسك. وإنما اختلفوا في كونه- أي المبيت- واجباً أو سنة.

ومن السنة أن يصلي الصبح في المزدلفة ثم يدفع منها بعد ذلك. فيأتي المشعر الحرام فيقف به ويدعو.

والوقوف عنده من المناسك. ثم يدفع منه عند إسفار الفجر إسفاراً بليغاً، فيأتي بطن محسر، فيسرع السير فيه، لأنه محل غضب الله فيه على أصحاب الفيل، فلا ينبغي الأناة فيه ولا البقاء فيهن فإذا أتى الجمرة - وهي جمرة العقبة - نزل ببطن الوادي ورماها بسبع حصيات كل حصاة كحبة الباقلاء- أي الفول- يكَبّر مع كل حصاة. ثم ينصرف بعد ذلك على المنحر فينحر إن كان عنده هدي ثم يحلق بعد نحره.

ثم يرجع إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة وهو الذي يقال له طواف الزيارة.

ومن بعده يحل له كل ما حرم عليه بالإحرام. حتى وطء النساء، وأما إذا رمى جمرة العقبة، ولم يطف هذا الطواف فإنه يحل له كل شيء ما عدا النساء.

* * *

هذا هو هدي رسول الله ﷺ في حجه، والآتي به مقتد به ﷺ وممتثل لقوله «خذوا عني مناسككم» وحجه صحيح.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيف نعيش؟

العدد (٢٢) شوال (١٣٨٦هـ) يناير (١٩٦٧م)

● اختلاف مفهوم الكمال والسعادة

كل فرد من أفراد النوع الإنساني ينشد الكمال ويحرص على السعادة، ويحاول الوصول إليهما بكل سبيل، ولكن فهمهم لهما يختلف اختلافا بينا.

فمنم من يرى أن السعادة المنشودة محصورة في التمتع باللذائذ المادية والنعم الظاهرة.

ومنهم من يرى حقارة هذه اللذائذ، وأن السعادة هي الخروج عن دائرة الفطرة البشرية بتحريم الطيبات والانقطاع عن الدنيا.

وكل فريق من الفريقين مخطئ في فهمه، ومجانب للحق والصواب، إذ إنه فهم لا ينسجم مع الحياة، ولا يتسق مع ما خلق له الإنسان من تحقيق الخلافة في الأرض. فالفريق الأول الذي يؤثر الدنيا، ويحرص على لذائذها يفسد خلقه، وتضعف إرادته، ويضطرب أمره ولهذا مقت الله هذا السلوك، ووصفه بالكفر والضلال، وشبهه بسلوك الأنعام التي لا تعقل معنى الوجود، ولا تفهم قيمة الحياة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢).

وأما الفريق الآخر فإنه فريق انعزالي يقف من الحياة والوجود موقفا سلبيا.

وسلوك هذا الفريق من شأنه أن ينقل قياد الحياة إلى الأشرار، فيوجهوها حسب أهوائهم وتبع رغباتهم، وفي ذلك فساد الدين، وضياع الدنيا، والله يوجه الخطاب لهذا الصنف من الناس فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (المائدة: ٨٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● فكرة الإسلام عن مفهوم السعادة والكمال

وإذا كان كل من الفريقين مخطئا في فهمه للسعادة، وفي نظرته إلى الكمال في نظر الإسلام، فما رأيه إذن؟ هل وضح لنا صورتهما، ورسم معالمهما؟ نعم، فهو يرى أن الإنسان خليفة عن الله في الأرض، وأن عليه القيام بواجبات هذه الخلافة، وأنه جسد وروح، وأن الجسد ليس عدوا للروح ولا سجنا لها، وإنما هو أداة لها من أجل القيام بهذه الواجبات والتبعات، وأن الدنيا دار عمل، وميدان كفاح، وليست دار تعذيب أو شقاء، وأن على الإنسان أن يظهر مواهبه بالجد والسعي، والكدح والكفاح في كل ميدان من ميادين النشاط الإنساني.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ (الملك: ٢).

وإحسان العمل يتلخص في أن يحسن الإنسان صلته بالله عن طريق العقيدة والعبادة، ويحسن صلته بالناس عن طريق الخلق والبر، ليحقق بذلك كماله الروحي والإنساني.

يضاف إلى ذلك استخراج كنوز الأرض، والانتفاع بقوى الكون، وإصلاح النظام المعيشي لتحقيق الكمال المادي.

● اهتمام الإسلام بضرورات الإنسان وحاجاته المادية

لهذا نجد الإسلام عني بكسب المال وتحصيله باعتباره عصب الحياة وقوامها، وجعل ذلك فريضة من فرائضه: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم» وأوجب المحافظة عليه سواء كان عقاراً أم ذهبا أم فضة ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ (النساء: ٥)، واهتم بتوفير الحاجات الاستهلاكية من الغذاء والكساء والمسكن وما لا غنى للإنسان عنه ليكون على مستوى كريم من الحياة: «من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادما، أو ليس له دابة فليتخذ له دابة» (رواه أحمد).

وسئل رسول الله ﷺ عن حد الكفاية للفرد فقال «ما سد جوعتك، ووارى عورتك، وإن كان لك بيت يظلك فذاك، وإن كان لك دابة فبخ بخ» (رواه

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الطبراني).

وأمر بالأكل من الطيبات ونهى عن تحريمها واعتبر ذلك اعتداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (المائدة: ٨٧ -٨٨).

وامتن على الناس بالملابس ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (الأعراف: ٢٦).

والمراد أنه خلق لنا الملابس نداري بها عوراتنا ونتزين بها، كما امتن عليهم بالسكن فقال ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ (النحل: ٨٠).

وأمر بالزواج واعتبره آية من آياته ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ (الروم: ٢١).

وفي الحديث «تزوجوا الودود الولود».

والمرأة الحسناء لا يزهد فيها مهما غلا مهرها، لما في الزواج بها من تكميل للدين على أن تكون صالحة كي تسر العين بجمالها والقلب بكمالها. ويرغب في إقامة الدور والمساكن التي تحوي جميع المرافق والأثاث مادام لم يقصد المباهاة والمفاخرة، وبذلك تتسع دائرة العمران، وقد فعل ذلك الزبير بن العوام وابن المبارك ومحمد بن الحسن وكثير من الصحابة والتابعين والعلماء الراشدين.

- **الجمال والزينة**

ولا بأس بتزيينها وتجميلها فإن طلب الزينة والجمال مقصود حسن في ذاته، والنفس التي لم تفسد فطرتها تعشق الجمال وتتلذذ به.

والله سبحانه يقول﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ (النحل: ٥-٦). وأي فرق بين التلذذ بالجمال في الأنعام والجمال في الدور؟ ويقول سبحانه ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (النحل: ٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أي أن الله خلق هذه الدواب للركوب وللزينة، وإن لم يحتج إلى ركوبها، وأما الآثار التي وردت في كراهية رفع البنيان وزخرفته فليست على إطلاقها، وإنما المقصود بها كراهية ذلك إذا قصد بها المفاخرة والمباهاة، والتطاول على الناس، لا مجرد التلذذ بالجمال والزينة، فإنهما مطلوبان في كل حال ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢﴾ (الأعراف: ٣١ -٣٢).

إن الحرص على الجمال ابتغاء الحصول عليه مما يحبب فيه الإسلام، ويدعو إليه حتى يشعر الإنسان براحة نفسية من جانب، ويحتفظ بكرامته فلا يستخف به ولا ينزل عن مكانته التي هو أهل لها من جانب آخر.

وكثيرا ما يلفت القرآن نظر الإنسان إلى الجمال في الكون والطبيعة والأشياء المحيطة به.

﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦﴾ (الحجر: ١٦)، ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ (النمل: ٦٠).

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ۝٧﴾ (ق: ٦-٧).

والله سبحانه يحب الجمال في كل شيء جمال الأقوال وجمال الأفعال وجمال الصفات، وجمال الأسماء حتى جمال الثياب فعن مالك بن عوف قال أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة قال: «هل لك من مال؟ قلت: نعم، قال إذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته». وفي حديث آخر «إذا آتاك الله مالا فلير عليك فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس» وصح عن رسول الله ﷺ قوله «أحسنوا لباسكم وأصلحوا رواحلكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس».

والحديث يشير إلى أن المسلم شخصية فذة ممتازة، فكما طلب منه أن يطهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باطنه بالإيمان بالله والارتباط به، طلب منه أن يكون في مظهره كاملا أنيقا، بحيث يسترعي انتباه الناس في ملبسه ومركبه وأثاث بيته وحتى يكون فيهم كأنه شامة بينهم، أي بارزا ظاهرا.

فعن أبي يعفور قال: «سمعت ابن عمر يقول - وقد سأله رجل عما يلبس من الثياب - قال: ما لا يزدريك فيه السفهاء وما لا يعيبك فيه الحكماء» (رواه الطبراني).

وكان الحسن البصري يلبس ثوبا بأربعمائة، وفرقد يلبس المُسُح، فلقي الحسن، فقال ما ألين ثوبك؟ قال «يا فرقد ليس لين ثيابي يبعدني عن الله ولا خشونة ثوبك تقربك من الله» وقد أنكر أحد المتزمتين على أبي الحسن الشاذلي جمال هيئته وكان هذا الرجل ذا رثاثة فقال له أبو الحسن: يا هذا هيئتي هذه تقول: الحمد لله، وهيئتكم تقول: أعطوني من دنياكم.

ولا يدخل هذا الاستمتاع في الدنيا التي ذمها الإسلام في قوله ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» (رواه البيهقي في الشعب عن الحسن مرسلا).

فإن المراد بالدنيا التي هي رأس كل خطيئة هي حب الشرف والرئاسة، وحب المال رغبة في التفاخر والتكاثر والترؤس والعلو على الناس دون كفاية أو إرادة نصر الحق.

يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (القصص: ٨٣) وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» (رواه الترمذي)، لأنه لم يرد بالمال والشرف إلا العلو والفساد في الأرض.

أما إذا أراد بالمال والشرف نصرة الحق أو الوجاهة ليأخذ مكانته التي تليق به، أو كانت له كفاية يريد أن يجعلها في خدمة أمته فإن حب الشرف والمال وطلبهما حسن، فقد قال يوسف عليه السلام للملك: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وطلب أحد المسلمين من الرسول ﷺ أن يكون إمام قومه فقال الرسول ﷺ «أنت إمام قومك».

ومع هذا ينبغي الحذر والتوقي عما يلهي النفس، ويصرفها عن غايتها المثلى من الطهارة والنظافة وينحرف بها عن معاني الخير الى رذائل الأخلاق ومساوئ الصفات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ (المنافقون: ٩).

● **حقيقة الزهد**

وطلب الدنيا على هذا النحو لا يتنافى مع الزهد، لأن الزهد ليس في تحريم زينة الله التي أخرج لعباده ولا في ترك الطيبات من الرزق، وإنما الزهد الذي أراده الإسلام هو الزهد في الحرام، والزهد في الشبهات، والزهد في التوسع في اللذائذ والشهوات التي تصرف الإنسان عن واجباته الشخصية والاجتماعية، وتنسي المرء واجبه نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو بني جنسه.

وقد وضع الإسلام تحديدا للزهد فيما رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك وأن تكون في المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك».

والزهد بهذا المعنى يريح القلب والبدن ويكسب محبة الله ويجلب مودة الناس، عن سهل بن سعد قال «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال له: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» (رواه ابن ماجه).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التدين

العدد (١١٦) شعبان (١٣٩٤هـ) - أغسطس (١٩٧٤م)

من الظواهر التي تشاهد في المجتمعات البشرية، وعلى اختلاف درجاتها في سلم التطور، ظاهرة التدين، فالمجتمع البدوي الذي لم يعرف شيئا عن الحضارة، له معتقداته وعباداته، والمجتمع الحضري الذي بلغ شأوا في العلم والمدنية، له كذلك إيمانه بالغيب وطقوسه الخاصة.

ولظهور هذه الظاهرة وبروزها رأى العلماء أنه كلما وجد مجتمع وجد معه دين، أيا كان هذا الدين، وأيا كان مصدره.

ولا يعترض على هذا بأن المجتمع الشيوعي قد أسقط الدين من حسابه وأقام حياته على أساس ألَّا إله، والحياة مادة، فإن هذا لا يعبر في الواقع عن نفسية المجتمع، ولا يترجم مشاعره ترجمة صحيحة، إذ إن فكرة هذا الانحراف الديني نبتت في ذهن بعض الأفراد ونمتها الظروف الاجتماعية الخاصة، ظروف الفقر والحاجة والحرمان، وساعد على تقوية جذورها، وبسط سلطانها أنه لم يكن ثمة دين ينير العقل أو يطمئن القلب، فضلا عن أن المتظاهرين بالتدين كانوا مظهرا للتخلف والرذيلة، بل كانوا مضرب المثل في التفاهة والحقارة، ولم يقضوا يوما واحدا في جانب المحرومين، وإنما كانوا دائما عونا للقياصرة، وسندا للمستبدين.

فهذه الفكرة الإلحادية، ليست وليدة علم، ولا ممثلة للفطرة الإنسانية وإنما هي فكرة شاذة، أوحت بها الظروف القاسية، وخلقتها البيئة المجهدة، وروجت لها الأحقاد التي ملأت الصدور أمدا طويلا، ثم حمل الشعب عليها حملا، وأكره عليها إكراها، دون أن يكون له رأي أو اختيار.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومنذ قيامها وهي في حماية الحديد والنار.

وأعتقد أن الفطرة الإنسانية أقوى من جميع القوى التي تحاول أن تطمسها، وتغير معالمها، وأن لها الغلبة والنصر مهما طال الزمن.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (الرعد: ١٧)

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ (إبراهيم: ٢٦).

وإذا كان للدين هذه الجذور العميقة في النفس الإنسانية، فإنه لا يتصور أن يأتي يوم يعيش الناس فيه من غير دين، بل ستبقى النفس تنزع إليه، لأنها تنزع إلى شيء هو من طبيعتها، وتشعر بفراغ كبير إذا تخلت عنه.

وليست المشكلة هي مشكلة الدين، من حيث هو، فالتدين غريزة كما قلنا، وكما يقرر الإسلام: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم: ٣٠)، وفي الحديث الصحيح: «كل مولود يولد على الفطرة»، وإنما المشكلة الحقيقية، هي عدم وجود الدين التعليمي الذي يفتح آفاق الفكر، ويطلق الطاقات الكامنة في النفس ويدفع إلى السمو الروحي والكمال المادي.

لقد كان الإنسان فيما مضى - ولايزال ذلك في الطبقات الجاهلة - يستسلم لما يلقى إليه من عقائد، ويذعن لما يقال له من دين، ولا يكلف نفسه مشقة البحث، ولا مؤونة الدرس، ولو كان الذي يلقى إليه من الخرافات التي لا يصدقها العقل ولا يعترف بها العلم.

ولكن هذا الأمر قد تغير الآن في نظر الإنسان الذي يعيش في عصر العلم، إنه يريد من الدين أن يقنع عقله، ويرضي طموحه، ويساير تقدمه ويجاري تطوره، ولا يحرمه من ثمرة جهده، ولا لذة بدنه.

وربما كان عدم وجود دين ينطوي على هذه المبادئ، هو أحد الأسباب التي صرفت بعض العلماء الذين أسهموا في بناء الحضارة عن الدين، وجعلتهم يتجهون إلى العقل وحده، يستفتونه ويحتكمون إليه، ولا يعولون في قضية إلا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليه.

ولم تتح الفرصة لهؤلاء أن يطلعوا على مبادئ الإسلام الكريمة، وتعاليمه السامية، وإن كان أتيح لبعضهم أن يعرف الإسلام ممثلا في أعمال من ينتسبون إليه، وهي في واقعها تشويه لجمال الإسلام، وعرض سيئ لمبادئه الحقة، فكان حكمهم عليه كحكمهم على غيره من الديانات الأخرى.

إن الإنسان في هذا العصر - بالرغم من المغريات المادية التي صرفته عن الدين- تهفو نفسه إلى دين موثوق بأصله من جهة، وقادر على أن يسمو به إلى الكمال المادي والروحي من جهة أخرى.

ونحن نجزم في إيمان وفي ثقة، بأن الإسلام- والإسلام وحده- هو الذي توافر فيه هذان العنصران، لأنه هو الدين الذي وضحت معالمه، وكرمت مبادئه، وثبتت مصادره، وحفظت من التغيير والتحريف، والتبديل والتصحيف.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجرات: ٩).

وإنه كفيل بأن يحقق للإنسان ما ينشده من ارتقاء، وما يرجوه من كمال ورفعة.

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

والإسلام هو الدستور الكامل، والمنهج الذي استهدف إقامة حياة إنسانية رفيعة، يتحرر فيها العقل والضمير، وتستقل فيها الإرادة والتفكير، ويشعر فيها كل فرد بأنه سيد نفسه، ومالك أمره، وأنه لا سلطان لأحد عليه، سوى سلطان الحق، الذي يعلو ولا يعلى عليه.

وهو الذي أهاب بالناس أن يفتحوا عقولهم، ليعرفوا آيات الله في الكون، وسننه في الخلق، وحكمته في الطبيعة.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتعطيل قوى الإدراك، وعدم الانتفاع بها، يعتبر في نظره جريمة، يسأل عنها الإنسان، ويحاسب عليها الحساب العسير.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

والإسلام بعقائده، وعباداته، ومثله، وقيمه، قد بعث الحياة في العواطف الجامدة، واليقظة في القلوب الهامدة وحرك حواس الخير في الإنسان لتتسع نفسه للعلاقات الحسنة، والصداقات الطيبة، والمعاشرة بالمعروف.

وإنه إلى جانب هذا حارب الظلم، والبغي، حتى لا تهدر كرامة أحد، ولا تنتهك حرمة إنسان، ولا يشعر ضعيف بهوان، ولا يحس فقير بضياع ولا يؤخذ مال بغير حق.

وإنه أراد أن يقيم أطهر حياة وأنظفها على وجه الأرض.

حياة لا شرك فيها ولا وثنية، بل فيها التوحيد الخالص، والعبادة لله الذي تعنو له الوجوه، حياة لا ظلم فيها ولا استبداد بل فيها حق، وعدالة وحرية، وإخاء، حياة لا جهل فيها ولا أمية، بل فيها علم ومعرفة وحكمة.

حياة لا رفث فيها ولا فسوق، ولكن فيها طهارة، ونظافة وعفاف، حياة لا حسد فيها ولا حقد، بل فيها محبة وتعاون وتآزر وتناصر، حياة لا سرف فيها ولا ترف، بل فيها بذل، وكرم وإيثار، حياة لا خمر فيها، لا قمار، بل فيها كدح وعمل وطلب لما أحل الله.

وإنه استهدف تهذيب الفرد، وتعاون الجماعة، وإيجاد حكم أساسه الشورى، وغايته حراسة الدين، وسياسة الدنيا، وجعل في طليعة وظيفته الدعوة إلى هداية هذا الدين، لتعم الأخوة الإنسانية، مما يعجل بسلام عام، يعيش الناس في ظله آمنين.

هذا هو الإسلام الذي يمكن أن نقدمه للناس في عصر العلم والاكتشاف الذري، وإن هذا الوقت لهو أنسب الأوقات للنهوض بهذه الرسالة السامية.

فقد انتهت معظم الآراء في أوروبا وأميركا إلى وجوب المناداة بالعودة إلى الدين، لأن التطور المادي الذي لم يصحبه سند من روح تطور خطر لا غاية له إلا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخراب والدمار، ولأن النفوس قد أفسدها الطمع، والجشع، والشره، والأنانية، وهم أحوج ما يكونون إلى إصلاح هذه النفوس وعلاجها، ليسود المجتمع المودة، والرحمة، والمعاونة، والإيثار، والسماحة، والطيبة.

وهذه الفضائل لا مصدر لها إلا الدين والإيمان.

وليس من دين سوى دين الإسلام، يستطيع تقديم هذه الفضائل الإنسانية، وليس هذا هو رأينا الخاص، وإنما هو رأي علماء الغرب الذين درسوا الإسلام، ووقفوا على حقائقه.

يقول جولد زيهر: «إنه إذا أردنا الإنصاف ينبغي أن نؤمن بأن في الإسلام قوة صالحة، توجه الإنسان نحو الخير، وأن الحياة المتفقة مع التعاليم الإسلامية، حياة أخلاقية لا غبار عليها، ذلك أنها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله، والوفاء بالعهود، والمحبة، والإخلاص، وكف غرائز الأنانية، إلى هذه الفضائل التي أخذها الإسلام من الديانات التي اعترف لأصحابها بالرسالة».

المسلم الصالح هو الذي يحيا حياة يحقق فيها مطالب خلقية قاسية.

ولكي يتم هذا في أقصر وقت، وبأقل جهد، لابد من أن تتبنى الدولة الاضطلاع بهذا العبء، أو تحتضنه أمة مخلصة، فإن جهد الأفراد أضعف من أن يحتل النهوض بهذا الأمر الكبير.

وعلى الدولة، أو الأمة التي تتبناه أن تتمثله علما وعملا، وأن تكون صورة صادقة لمبادئه، وتعاليمه، كما جاء في الكتاب والسنة.

وبعرض الإسلام في صورته الصحيحة، وفي صورته العلمية التطبيقية نكون قد أقمنا الدعوة الإسلامية على أساس متين، بينما يكون علمنا وعملنا أقوى حجة، وأوضح برهانا، في الإقناع، والاستدلال، وإفحام من يتصدى لنا من الخصوم المعارضين.

إن الإسلام قوي بنفسه، لأنه الحق، ولكنه في حاجة إلى رجال يوضحون حقائقه، ويظهرون معالمه، ويضحون من أجله.

وإن أي جهد يبذل من أجل الإسلام لهو خدمة للإنسانية نفسها وهي أحوج ما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تكون إليه.

وإن مئات الملايين من البشر الذين يؤمنون بالإسلام ويدينون به، والذين يشغلون حيزا كبيرا من أرض الله الواسعة، ليحتاجون إلى من يزيدهم علما بالإسلام، وتبصرا به، وهم من جانبهم مستعدون لأن يكونوا جنود هذا الدين، وأنصاره المخلصين، ولن يدخروا وسعا في إعزازه وتأييده، ومناصرة كل من يمد يده إليهم.

إن صراع المبادئ اليوم على أشده، وإنه بالغ غاية العنف.

وإن كل دولة تتخذ كل الوسائل الممكنة لها، لترويج أفكارها والدعاية لمذاهبها، فتنشئ الوزارات، وتجهز الأجهزة، وتستغل الطاقات الفكرية، والأدبية، والفنية، لتأييد ما تراه، وإقناع الآخرين به.

وإذا كانت هذه الدول تنفق عن سعة، وتبذل هذه الجهود، من أجل تأييد أفكارها البشرية، القابلة للتغيير، فإن المسلمين أحق بالبذل وأولى بالتضحية، وأجدر بالتنظيم لحماية الإسلام الحق والتبشير به والدعاية له في آفاق الدنيا الرحبة المتعطشة لهداية الله، والفقيرة إلى من يرشدها إلى الحق وينير لها الطريق.

وإن هذا لهو جهاد الوقت، ولا يقل في قيمته عن جهاد الحرب والقتال.

وأي جهد يبذل في هذه السبيل لهو جهد عظيم يباركه الله، ويثيب عليه أجزل مثوبة.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدولة الإسلامية

العدد (١٨١) محرم (١٤٠٠هـ) - نوفمبر (١٩٧٩م).

١- الإسلام دين ودولة

الإسلام دين ودولة وعبادة وقيادة ومصحف وسيف فكما أن الإسلام واجب نحو الله وزكاة نفس وأدب فاضل مع المجتمع فهو كذلك قانون ونظام ولا قيام له إلا في ظل دولة تحميه وحكومة ترعاه وتسهر عليه.

ومفهوم الدولة في الإسلام يتفق مع مفهوم الدولة الحديث والذي أطلق عليه فقهاؤها«دار الإسلام».

والدولة أو دار الإسلام هي المنطقة التي يقطنها المسلمون وتطبق فيها أحكام الإسلام بواسطة حكومة منتخبة ترضى عنها الأمة. وتظفر بثقتها.

٢- طبيعة الدولة وأهدافها

والدولة الإسلامية دولة تقوم على أساس من المبادئ التي جاء بها الإسلام لتحقق التعاليم المثالية التي تجلب المصالح العامة والخاصة وتؤمن كل فرد على نفسه وماله وعرضه وحريته وكرامته وتوطد السلام بين الناس جميعاً فهي دولة لها أسس تقوم عليها وغايات تستهدفها وتعمل من أجلها وجملة هذه الأهداف هي:

أ- تنفيذ أحكام الإسلام في داخل الوسط الإسلامي.

ب- تبليغ الدعوة في الخارج لغير المسلمين.

جـ- حماية الدولة ورد عدوان المعتدين عليها حتى تبقى للمسلمين السيادة عليها ينفذون فيها حكم الله ويقيمون شريعته وهم سادة أحرار مستقلون.

٣- سلطان الدولة

والسلطات التي ترعى شؤون الدولة وتدير أمورها ثلاث:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أ- **السلطة التنفيذية**: ويختار أعضاءها رئيس الدولة مع استشارة أهل الصلاح والرأي.

ووظيفتها الأساسية: إدارة شؤون البلاد وتدبير إدارة الحكم ورعاية المصالح العامة والخاصة في حدود التشريع الإسلامي.

ب- **السلطة القضائية**: ويتولى شؤون هذه السلطة الفقهاء من الأمة والعلماء ممن لهم قدم راسخ في دين الله وبصر نافذ في معرفة أحوال الناس وقدرة على فض المنازعات والفصل في الخصومات والحكم بين الناس بالعدل.

جـ- **المجلس الشوري**: وهو الذي يتولى الإشراف على السلطة التنفيذية ويراقب تصرفاتها ويعينها بالمشورة ويقدم لها النصيحة وينقد ما يدعو إلى النقد ويحاسب من يستحق الحساب ويقوم المعوج بالطرق المشروعة.

ولا يختار لعضوية هذا المجلس إلا القمم الشامخة ممن توفرت فيهم خشية الله والتزموا القانون والأخلاق وكان لهم سداد الرأي والحرص على مصالح الأمة. والأمة الواعية هي التي تختار هؤلاء، لأنهم هم الذين يمثلون إرادتها ويتفانون في خدمتها وينهضون برسالتها.

٤- رئيس الدولة

والدولة لها رئيس مسؤول تختاره الأمة متى توفرت له عناصر الصلاحية من الإلمام بشؤون الأمة والقدرة على الاضطلاع بتبعات الحكم. والآيات والأحاديث الآتية تشير إلى عناصر الصلاحية، ومن الآيات:

١- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

٢- ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

٣- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

٤- ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

٥- ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن الأحاديث:

١- «أحب الناس إلى الله إمام عادل وأبغض الناس إلى الله إمام جائر» الطبراني والترمذي.

٢- «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشر أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» مسلم.

٣- «من قلد رجلاً عملاً على جماعة وفي تلك الجماعة من هو خير منه.. فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين». الحاكم.

٤- «إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة قيل وما تضييع الأمانة؟ قال إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة» البخاري.

٥- «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» الشيخان.

٥- قانون الدولة

والقانون في الدولة هو الشريعة، والشريعة تنتظم:

أ- القانون الدستوري.

ب- القانون العام المدني والجنائي.

جـ- قانون الأسرة.

د- قانون العلاقة الدولية.. ولا مانع شرعاً من سن قانون تقتضيه الحاجة بشرط أن يكون عن مشورة وألا يعارض نصاً أو قاعدة شرعية أو إجماعاً.

الحقوق والواجبات

والناس في الدولة الإسلامية متساوون في الحقوق والواجبات، والحقوق، حقوق إنسانية وسياسية ومدنية.

والحقوق السياسية هي:

١- حق تولي الوظائف العامة. ٢- حق الترشيح.

٣- حق الانتخاب. ٤- حق المناقشة والنقد والمعارضة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والحقوق المدنية هي:

١- حق العمل.

٢- حق التعاقد.

٣- حق الزواج.

ومنها الحقوق الإنسانية وهي:

حق الانتفاع بمرافق الدولة العامة وحرية التدين.

والواجبات هي:

١- السمع والطاعة في المعروف.

٢- تقديم النصيحة للحاكم.

٣- الجهاد من أجل إعلاء كلمة الدولة ورفع شأنها وكذلك العمل على توحيد كلمتها وتحريرها وإنهاضها بالعلم والعمل والإنتاج واقتباس كل جديد نافع فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

٦- العدل أساس الدولة

والعدل أساس الدولة ويتمثل في أمرين:

١- الحكم بما أنزل الله: فما أنزله الله عدل كله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام: ١١٥) صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام.

٢- إعطاء كل ذي حق حقه.

فللمسلم حق المؤاخاة والموالاة والبر والنصح والحماية «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قالوا قد عرفنا كيف ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم فذلك نصره» ولغير المسلم البر والقسط والمعاملة الحسنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ (الممتحنة: ٨).

ولكل حق المحافظة على الدم والعرض والمال والكرامة [كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه]. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٧- قوة الدولة

وتمتاز الدولة الإسلامية بنوعين من القوة:

١- القوة الروحية التي تتمثل في المعرفة بالله وفي حبه والإخلاص له وفي ذكره وشكره وحسن عبادته وفي طاعته والتزام ما شرع من أحكام.

٢- القوة المادية التي تتمثل في التدريب والإعداد والسلاح والذخيرة.

٨- السياسة المالية للدولة

وتملك المال تملكاً فردياً والتصرف فيه والانتفاع به حق مقرر متى كان سبب التملك سبباً مشروعاً ومتى كان التصرف في دائرة ما أحل الله.

وأسباب الملكية هي:

١- العقود الناقلة للملك مثل البيع والهبة والوصية.

٢- العمل في الصناعة أو التجارة أو الزراعة أو العمل الفكري والأدبي.

٣- الميراث وهو توزيع تركة المتوفى على ورثته من أصحاب الفروض والعصبة. ومهما كان التملك صحيحاً فإنه لا يحل الاعتداء عليه إلا عند الضرورة فلا باس من نزع الملكية مع التعويض العادل كأن يحتاج إلى نزع الملكية في حفر الجداول والأنهار وإنشاء الطرق ونحو ذلك مما تحتاج الأمة إليه في مصالحها العامة.

ومع احترام الإسلام للملكية الخاصة فإنه أوجب فيها حقوقاً للدولة وهذه الحقوق هي:

١- نفقة الأقارب الفقراء.

٢- الزكاة.

٣- كفاية الفقراء إذا لم تف الزكاة بحاجاتهم ولم يكن في بيت المال ما يكفيهم وفي الحديث: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليما» رواه الطبراني.

ومن حق الدولة أن تفرض ضريبة عند الجهاد حيث لا يوجد عندها من المال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما يكفي لدفع الخطر عن الأمة.

وقد أراد الإسلام بهذا النظام تقريب الفوارق الطبقية وتفتيت الثروة وتحقيق العدالة الاجتماعية.

وكما أن الإسلام يعترف بالملكية الخاصة فهو يعترف أيضاً بالملكية العامة التي تملكها الدولة وهي أنواع.

١- الأموال الموجودة بخلق الله مثل- الماء، والنار، والكلأ فقد جاء في الحديث أن الناس شركاء فيها.

ويدخل في هذا الباب المعادن والبترول والأحجار الكريمة ونحو ذلك.

٢- الأموال المعدة للنفع العام مثل: مال الوقف والمسجد والطرق والأنهار، أما الأرض التي فتحها المسلمون عنوة فهي مملوكة للدولة ويد الفاتحين عليها يد اختصاص لا يد ملك عام.

٩- السياسة الخارجية

الإسلام يجعل علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول علاقة أخوة وسلام لا علاقة عداوة وخصام. فالعالم كله أسرة واحدة وما تفرقوا شعوباً وقبائل إلا للتعارف وتبادل المنافع. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات: ١٣).

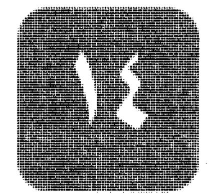
والإسلام يوافق على إنشاء عهود مع الدولة الأخرى ويدعو إلى احترامها. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (التوبة: ٤) وهو يدعوهم بأحسن الأساليب وهو لا يرفع السيف إلا دفاعاً عن حق أو إبطالاً لباطل. ولا يبدأ بحرب عدوانية ويعتبرها ضرورة وهي رحمة فلا يقتل إلا المقاتل.

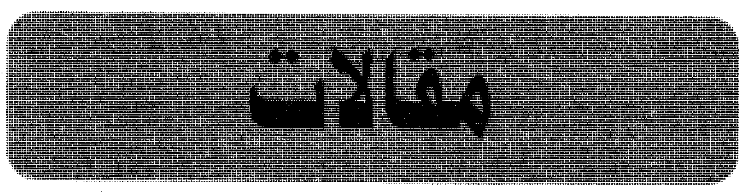
للذميين في أرض الإسلام ما للمسلمين والمستأمن له الأمان ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ (التوبة: ٦).

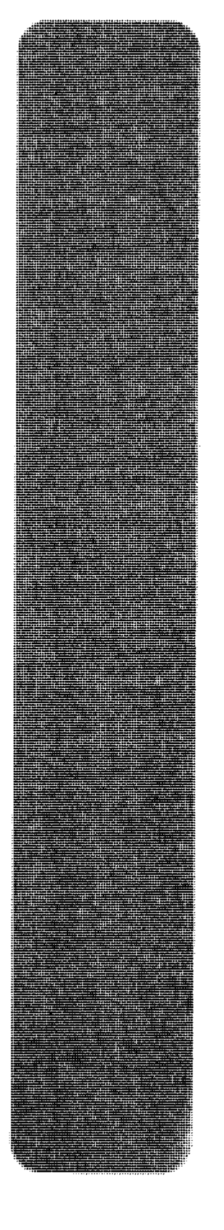
* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com







الشيخ مصطفى أحمد الزرقا

- ❑ **ترجمة الشيخ.**
- ❑ **المقالات:**

١- خصائص التشريع الاسلامي.

العدد (١٤) صفر (١٣٨٦هـ) - مايو (١٩٦٦م).

٢- حجة الشريعة على العقل.

العدد (٢٥) المحرم (١٣٨٧هـ) - إبريل (١٩٦٧م).

٣- موسوعة الفقه الاسلامي.

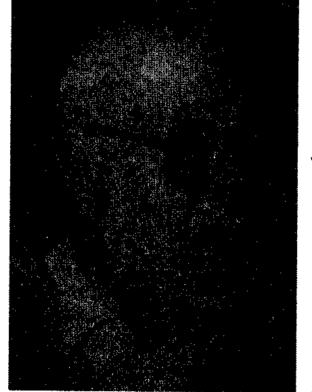
العدد (٢٦) صفر (١٣٨٧هـ) مايو (١٩٦٧م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

مصطفى أحمد الزرقا



● مولده ونشأته

من أبرز علماء الفقه في العصر الحديث، ولد الشيخ مصطفى الزرقا بمدينة حلب في سورية عام ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م في بيت علم وصلاح، فوالده الفقيه أحمد الزرقا، وجدّه العلّامة محمد الزرقا، وكلاهما من كبار علماء الأحناف، في حلب.

حفظ القرآن منذ صغره، وتتلمذ على يد المحدث محمد بدر الدين الحسني، والمؤرخ محمد راغب الطباخ، ثم نال شهادة البكالوريا الأولى في الآداب والثانية في الرياضيات والفلسفة، ثم التحق بالجامعة السورية.

في عام ١٩٣٣م تخرج من كليتي الحقوق والآداب معا، ثم كلية الشريعة عام ١٩٤٧ من جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا).

عينته وزارة الأوقاف في الكويت خبيراً للموسوعة الفقهية سنة ١٩٦٦، ودرَّس في عدد كبير من كليات الشريعة في سوريا والجامعة الأردنية والخليج، يعتبر حجة في الاجتهاد في كثير من القضايا مثل: قضايا البنوك والتلقيح الاصطناعي والبيوع الحديثة.

انتخب نائباً في مجلس الشعب السوري عام ١٩٥٤م وأسندت إليه وزارتا العدل والأوقاف عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٢م.

● تلامذته

من تلامذته: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وعبد الرحمن رأفت باشا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **ومن مؤلفاته**

«أحكام الوقف، الاستصلاح، الفعل الضار والضمان فيه، الفقه الإسلامي ومدارسه» وغيرها.

● **وفاته**

وافته المنية يوم السبت ١٩ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ الموافق ٣ يوليو ١٩٩٩ م بعد أذان صلاة العصر وهو جالس ينقح الفتاوى ويبوبها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خصائص التشريع الإسلامي

العدد (١٤) صفر (١٣٨٦هـ) - مايو (١٩٦٦م)

عرضت في محاضرتي الثانية التي ألقيتها في الموسم الثقافي، الذي دعتني إليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت بعض خصائص الفقه الإسلامي، وجوانب من مزاياه، التي تجعله هو المصدر الوحيد، الذي يجب أن يستمد منه كل تشريع ناظم للحقوق في البلاد العربية خاصة والإسلامية عامة، وأوضحت تلك الخصائص والمزايا بالأمثلة والشواهد العمليّة الواقعية من أحكام الفقه الإسلامي.

أ- فمن خصائصه الذاتية العامة التي أكسبته صفة الخلود وقابلية الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية في مراحل الحضارة الإنسانية، الخصائص الذاتية التالية:

١- السعة والاستيعاب والغنى بالنظريات القانونية في تنظيم الحقوق والالتزامات ومصالح المجتمع بصورة شملت كل شُعب القانون المعروفة إلى اليوم مبتدئة من علاقة الإنسان بأسرته من أحكام الزواج إلى الميراث وما بينهما، وتنتهي بأحكام القانون الدولي المنظم لعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الأمم والدول سلما وحربا. كل ذلك نظمه النظام القانوني في الشريعة الإسلامية بأعدل القواعد، وأحكم الأحكام، وأسمى المبادئ وأخلدها وأكثرها رعاية للمثل الإنسانية العليا، وتطعيمًا للعنصر القانوني بالعنصر الخلقي.

٢- الدقة المتناهية في بناء الأحكام، حتى لكأن الدارس الباحث في مسائل الفقه الإسلامي وآراء الفقهاء ونظرياتهم، يشعر كأنما هو أمام ميزان حساس يوزن به الألماس، وتظهر به الفروق بين المتشابهات مهما دقت وغمضت.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣- مرونة أصوله ومصادره، سواء ما كان منها نصوصًا كنصوص القرآن العظيم والسنة النبوية، وما كان منها طرقا ومسالك وقواعد ومقاصد كالقياس والاستحسان والاستصلاح. فطريق الاستحسان يفسح مجالا لتقرير أحكام استثنائية على خلاف القياس عندما تختلف الظروف والاعتبارات الخاصة بين المسائل المتشابهة التي يقاس بعضها على بعض في الأحكام. ومن الأمثلة التطبيقية لذلك أحكام المفقود وهو الذي فُقد ولا يدري أحد أهو حي أو ميت ولا أين هو. فالحكم الفقهي الأساسي في علاقاته وحقوقه وأمواله أنها تجمد فلا يرث ولا يورث منه حتى تثبت حياته، أو تثبت وفاته بمثبت أو بالقرائن الكافية كموت أقرانه جميعا في بلده، فعندئذ يحكم بوفاته وتوزع أمواله بين ورثته. هذا هو مقتضى قاعدة الاستصحاب القياسية.

ولكن عمر بن الخطاب ﷺ رأى أن تطبيق هذا القياس على الزوجة وتركها معلقة على عصمة زوجها المفقود حتى يموت أقرانه فيه حرج عظيم وضرر بليغ بالنسبة إلى الزوجة، لأن تجميد المال غير تجميد الزوجة، فقضى بالنسبة إلى الزوجة أن لها الحق أن تطلب القضاء لها بإنهاء الزوجية بعد أربع سنوات من فقدان زوجها في حال السلم، وبعد سنة واحدة فقط في أيام الحرب، وهذا حكم قرر بطريق الاستحسان استثناء من قاعدة الاستصحاب القياسية.

٤- مكانة العرف في الشرع الإسلامي، فإن العرف مصدر هام دائم للأحكام القضائية، وتتبدل الأحكام العرفية بتبدل العرف. وبما أن العرف مُعبر في أغلب الأحيان عن حاجات المجتمع، فاعتماده في الفقه الإسلامي مصدرا للأحكام والقضاء جعل هذا الفقه مستجيبا بصورة دائمة لهذه الحاجات سوى ما كان منها انحرافا يجب تقويمه، وللعرف في الفقه الإسلامي نظرية ضافية ذات قواعد وشرائط وتفصيل رائع.

٥- بناء أحكام الفقه الإسلامي على أساس التوازن بين الحقوق الفردية والمصلحة العامة والحق العام.

ويتجلى ذلك في منع التعسف في استعمال الحق الخاص، وفي منع الاحتكار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في التجارة، وفي الحجر على السفيه المبذر، والحجر على شخصين يخصهما الفقهاء بالذكر في ضمن التعميم وهما:

الطبيب الجاهل والمكاري المفلس «والمكاري هو من يتعهد للناس بالنقل السفري على دوابه مثل مكاتب السفريات اليوم». فإذا كان مفلسا ليس عنده دواب كافية يأخذ من الناس أجور النقل ثم لا يستطيع نقلهم في مواعيد سفرهم المقررة. فلذا يحجر عليه شرعا في فتوى الفقهاء.

٦- بناء أحكام الفقه الإسلامي على أساس الموضوعية والتجرد عن كل دافع من عصبية أو عاطفة خاصة سوى فكرة العدل والحق المجردة بقطع النظر عن اللون أو الجنس أو البيئة أو الدين أو أي صفة أخرى في الأشخاص الذين تطبق عليهم أحكام الشريعة.

ومن الأمثلة الرائعة على ذلك في التاريخ الإسلامي فتوى الإمام الأوزاعي للخليفة الأموي بعدم جواز قتل الرهائن، وهم أشخاص أخذهم المسلمون من الروم ضمانًا لعدم غدر قومهم - وكانت العادة العامة المتبعة أن تقتل الرهائن إذا غدر قومهم - فلما غدر الروم، وهَمّ الخليفة بقتل الرهائن عارضه الإمام الأوزاعي ونادى به أنه لا يحل قتلهم في شريعة الإسلام وقانونه، لأن الله - تعالى- قد منع أن يؤاخذ أحد من الناس بجريرة غيره، وقرر ألا تزر وازرة وزر أخرى. فإذا غدر الروم فإن ذنبهم لا يسري إلى رهائنهم التي أخذناها منهم، وقد نزل الخليفة على فتوى الإمام الأوزاعي هذه.

ومن الأمثلة الرائعة أيضا التي دوى بها التاريخ، حادثة محمد بن عمرو بن العاص فاتح مصر وأميرها عندما سبقه قبطي نصراني في حلبة سباق، فضربه محمد بن عمرو بقضيب، وقال له: أتسبق ابن الأكرمين، فلما اشتكى القبطي إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين في المدينة أحضر محمدا وأباه عمرا من مصر، بعد أن حقق وثبت لديه الحادثة، وقال لمحمد منذ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ ثم أمر القبطي النصراني أن يضرب محمد بن عمرو في المجلس ثم أمره أن يضرب أيضا أباه عمرًا، أمير مصر، فلما امتنع القبطي عن

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ضربه قال: إنما ضربك بسلطان أبيه.

من هذه الينابيع والأسس الموضوعية المجردة عن كل نزعة سوى مبدأ إحقاق الحق وإقامة العدل استمدت أحكام الفقه الإسلامي، وبهذه المادة بني صرحه العظيم الخالد، ولا يستغرب هذا في فقه مؤسسه الأول هو الرسول العربي القائل- عليه الصلاة والسلام- في التوصية بأهل الذمة، وهم المواطنون المقيمون في ظل الدولة الإسلامية من غير المسلمين: «من آذى ذميًّا فقد آذاني». فلنقارن هذا بالقانون الأسود القائم في أميركا مثلا على التمييز العنصري في الأحكام الإدارية والقضائية بين السود والبيض.

وبالقانون الروماني القديم، الذي هو أصل معظم التشريعات الأوروبية، والذي كان يميز في الأحكام بين الرومانيين والرعايا الآخرين من مواطني الدولة الرومانية.

٧- وهناك خاصة هامة في الفقه الإسلامي، هي خاصية بالنسبة إلى العرب فقط، وهي أنه فقه عربي المنشأ والمصدر. فالكتاب الأصلي الذي يستمد منه قواعده وتوجيهاته العامة في خطوطه العريضة هو القرآن، وهو عربي، والمؤسس الأول لهذا الفقه وهو الرسول محمد ﷺ هو عربي، وكلامه الذي هو نواته ثم شجرته الأصلية هو كلام عربي، والأدمغة التي خدمته ودونته في البداية هي عربية استمدته من تلك الأصول العربية، والعلماء اللاحقون الذين وسعوه ونموه بالأقيسة والاجتهاد والتخريج من مختلف الأمم الإسلامية، وإن كان منهم أناس غير عرب، إنما بنوا كل بحوثهم فيه على تلك الأسس العربية وما استنبط منها.

وبذلك يكون هذا الفقه العظيم الضخم تراثا عربيا قانونيا خَلُدَ على الزمن، بينما زال كل تراث علمي آخر انشأه الغرب أو اقتبسوه ووسعوه.

وهذا الميراث القانوني العربي، كما يقول الأستاذ السنهوري، هو مفخرة كل عربي، ولو غير مسلم، إذا كان حقا يعتز بعروبته وأصالته فيها وصادقا في ذلك.

هذا إجمال الخصائص الأساسية لهذا الفقه الإسلامي ومزاياه إلى جانب ما فيه من خصائص أخرى من نوع آخر كاللغة الاصطلاحية القانونية الخالدة التي أتى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيها فقهاؤنا بروائع المصطلحات مما لا يوجد له نظير في القانون، ومما لا يزال القانونيون العرب يستمدون منها حاجتهم في الترجمة عن الفقه الأجنبي، هذا إلى خصائص أخرى كثيرة فرعية يعرفها الراسخون من العلماء.

ومن هذا يتبين أن الفقه الإسلامي هو الفقه الوحيد الذي تجتمع فيه الخصائص والمزايا التي تفي بحاجة التشريع في البلاد العربية والإسلامية، لأنه منسجم مع تاريخها، ونابع من عقيدتها ولغتها الجامعة، كما أنه هو الذي يمكن أن تجتمع عليه البلاد العربية في توحيد تقنيناتها عن طريق استمدادها، ولا يمكن أن تجتمع كلمتها واتجاهاتها في ذلك على مصدر آخر سواه.

ومما يؤسف له أن كثيرًا من العالم العربي اليوم يجهلون أنفسهم وقيمة ما عندهم من تراث أصيل، ويتنكرون لذاتيتهم جهالة منهم، فيحبون استجداء الفقه والقانون من المصادر الأجنبية، معلنين أنهم فقراء جوف في هذا المضمار، ويظنون هذا تَقدُمية، بينما هم أغنى أمة بالتراث القانوني، ورحم الله شاعرنا المرحوم حافظ إبراهيم، اذ يقول:

أيشتكي الفقر غادينا ورائحنا ... ونحن نمشي على أرض من الذهب

أما شبهة الجهلاء الببغاويين، الذين يرددون ما كان زعمه بعض المشككين الخبثاء من المستشرقين أو سواهم من أن التشريع الإسلامي وفقهه مستمد من القانون الروماني فهذه شبهة أصبحت عتيقة رثة سخيفة لم تبق في حاجة إلى أن يهتم المحققون في جمع الأدلة على إدحاضها، ذلك لأن المستشرقين المنصفين منهم قد أغنونا عن دفعها، بما كتبوا هم وبينوا في هذا الشأن، وقرروا أن الفقه الإسلامي فقه أصيل مستقل بأصوله وفروعه غير مستمد من أي فقه آخر، وأن زعم استمداده من القانون الروماني هي خرافة تدل على عدم معرفة قائلها بالنظامين القانونيين كليهما، النظام الروماني والنظام الإسلامي. وإن كانت بعض قواعد العدل قد تتشابه بين أمة وأخرى نتيجة وحدة منطق التفكير العلمي ومنطق العدالة.

وأقرب ما أحيلكم عليه في ذلك قرار مجمع القانون الدولي المقارن في مدينة لاهاي عام ١٩٣٧، حيث صرح فيه بما ذكرت من عدم وجود أية صلة بين الفقه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلامي والقانون الروماني، وأن الفقه الإسلامي صالح لإمداد التشريع الحديث بأحسن النظريات والقواعد.

وقد نقلت أنا خلاصة هذا القرار في أوائل الجزء الأول من السلسلة الفقهية التي وضعتها باسم «الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد»، وكذا قرار مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي الذي عقد في كلية الحقوق بجامعة السوربون بباريس، وكنت مشتركا فيه باسم الجامعة السورية، حيث تضمن ذلك القرار تأكيد هذا المعنى، بالإضافة إلى بيان ما في مجموع المذاهب الفقهية من قيمة فقهية خالدة، تصلح أن تكون خير مستمد للتشريع الحديث.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجدتها وجدتها

حجة الشريعة على العقل

العدد: (٢٥) محرم (١٣٨٧هـ) إبريل (١٩٦٧م)

في حديث عابر مع أحد الأصدقاء من الشباب المؤمن الواعي، وهو شاب طلعة يحب أن يزداد علما كل يوم، وأن يتفهم وأن يسأل عما لا يعلم، وأن يعلم عن دليل، وأن يناقش ليفهم، ونحن زمرة من الأصدقاء في بيته منذ ثلاث ليال نودعه ليلة سفره إلى الحج، ولم يترك السؤال والبحث والنقاش في شؤون من الشريعة وأحكامها.. استطرد إلى الحديث عن صاحب له زميل في الوظيفة من رواد الحقيقة المتطلعين إلى المعرفة، مولع بالجدل صعب الانقياد، فيه شيء من العناد، ولكنه ليس من الذين يحبون الجدل للجدل، بل يريد أن يعرف الحقيقة وأن يقع عليها.

في غمرة تلك الأحاديث ونحن مع صديقنا في وداع الحجة إلى موطن حجة الوداع، عندما وصل به الحديث إلى صاحبه هذا الزميل في الوظيفة، ووصفه بما ذكرنا قال لنا: إنه على جدله الذي يجاوز به أحيانا حدود الاعتدال قد سمعت منه بالأمس جملة عبر بها عن ملاحظة من ملاحظاته ملكت علي إعجابي كله، وحضرت في ذهني فنزلت منه في مستقر ومستودع وأصبحت عندي إحدى ذخائر الفكر التي أختزنها.

قلنا فما هي تلك الجملة الحكيمة التي نزلت من إعجابك هذه المنزلة الرفيعة؟ أشركنا معك فيها يا رعاك الله، وهذا ثمنها نقدمه إليك سلفا، دعوات صالحات نرفعها إلى رب البيت المعمور الذي أنت إليه قاصد، أن يكتبك في المقبولين الأبرار، ويجعل حجك مثمرا لديه، وفي نفسك ثمرته التي شرع لأجلها، ويجعل متعتك الروحية فيه أعظم مما تؤمل.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تهللت أسارير صديقنا لهذه الدعوات، وانبرى يتابع حديثه ويروي لنا تلك الجملة التي سمعها من صاحبه الجدل.

فقال:

قال لي صاحبي هذا الذي حدثتكم عنه: إن من أعجب ما هو جدير بالملاحظة والاعتبار من غرائب الواقع في حياة الإنسان أن كل جزء في جسمه من الأجزاء التي لا تفهم ولا تعقل، يعمل بانتظام وإتقان دون خطأ، فالمعدة مثلا لا تخطئ في عملها وإفرازها وسائر نواحي وظائفها، ومثل ذلك الأمعاء، والكبد، والغدد المختلفة، والكلى، والعروق، والأعصاب بمختلف شعبها ومناطق نفوذها، إلى غير ذلك من آلاف أو ملايين الأجهزة وأجزائها وجزيئاتها في أداء وظائفها الحيوية التي تقوم بها حياة الانسان، والتي تحير عقول علماء الطب والتشريح وعلم الغريزة (الفيزيولوجيا)، وإن كان كثير من هذه الأجهزة والأجزاء قد يعجز، وقد يصاب بآفة مرضية فيختل عمله أو يقصر فيه، فهذا ليس بخطأ في عمله، فالمهم أنه لا يخطئ أبدا، وإن كان قد يعجز أو يمرض أو يصاب بآفة.

أما العقل وهو الجانب المدرك، أو مجموع القوى المدركة في الإنسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان، ويمثل الفكر والذكاء وقدرة الابتكار التي لا حدود لها، والتدبير والتخطيط للمقاصد المستقبلة، والحيلة البارعة للتغلب على جميع العقبات والصعوبات التي تواجهها حياة الإنسان، إلى غير ذلك من المواهب التي تضافرت على تزويد الإنسان بالعلم في كل مجال وميدان بكل ما في كلمة العلم من معنى وما تشمله من آفاق وأعماق، هذا العقل الذي هو الجانب المدرك الواعي، أو هو أداة الفهم والتعقل والبصيرة لا يعمل دون خطأ، وخطؤه أكثر من صوابه!! أليس ذلك مثار عجب، ومدار اعتبار؟

قال صديقي الذي كنا في زيارته: فأنا لا أزال أتدبر هذه الجملة من صاحبي هذا، فقد نزلت في قرارة نفسي، وأصبحت لدي في جملة الملاحظات الهامة التي اكتسبتها في حياتي.

قلت له: حقا إنها ملاحظة قيمة، وقد وجدت بها أنا أيضا ضالتي المنشودة،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كما وجد الحكيم اليوناني أرخميدس ضالته عندما لحظ، وهو في حوض الحمام أن وزن الأجسام وهي في الماء ينقص عن وزنها وهي خارجه، فصاح وجدتها وجدتها (Eureka Eureka) واستنبط القانون الطبيعي في نسبة نقصان الوزن في هذه الحال، ذلك القانون الذي استخدم بعد ذلك في مجالات علمية وصناعية ذات شأن كبير.

ذلك أنني تعهدت لمجلة الوعي الإسلامي بكتابة كلمة للعدد الممتاز منها، وقد قرب موعد تسليم الكلمة، وأنا لا أزال محتاراً في اختيار موضوع مناسب جديد. فقد وجدته الآن، ملاحظة صاحبك جزاه الله تعالى خيرا.

قال صديقي: فما هو الموضوع الصالح الذي وجدته في ملاحظة صاحبي هذه؟ قلت إنه حجة الشريعة على العقل، هذا الموضوع الخطير في ميزان الإيمان، حيث يقوم به الدليل على أن العقل مهما سما شأنه، وعظمت قدرته على المعرفة والاكتشاف والفهم، فإن صاحبه الإنسان هو في حاجة دائمة مع عقله هذا إلى النور السماوي الذي يهدي إلى الصواب وينير له سبيل الرشاد، ويجنبه كثيرا من الوقوع في المآزق، والتردي في الهاويات. أفتدري أيها الأخ لماذا كان كل جزء غير ذي فهم في الإنسان يعمل بانتظام دون خطأ، وكان العقل الذي هو أداة الفهم والإدراك يخطئ أكثر مما يصيب؟ قال: لماذا كان ذلك؟ قلت: إليك التعليل والبيان.

إن كل جهاز من أجهزة جسم الإنسان أو جسم أي حيوان، وكل جزء أو غدة أو خلية حية من خلاياه إنما يعمل بحكم الغريزة، وإنما يعمل عملا نمطيا رتيبا في وقت ثابت أو عند منبه معين، وإنما يعمل عمله هذا في طريق معبدة ووسيلة وظرف مهيأين، ففي هذه الشرائط يقوم الجزء الحي بعمله النمطي بحكم الغريزة فيصبح عمله ووظيفته أشبه بانحدار الماء الذي صب في طريق محصورة منحدرة، فالماء في هذه الحال لا يخطئ في الانحدار، ولا في سلوك المجرى الذي يراد انحداره فيه حتى يصل إلى مقره بحكم الجاذبية الأرضية فيحجز فيه ويستقر.

فالمعدة إذا نزلها الطعام قامت بعملها فيه بانتظام من الحركة والإفراز،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكذلك إذا رأت عين الجائع طعاما شهيا أو شم رائحته، أو ذكر اسمه له كان ذلك منبها عصبيا يشبه نزول الطعام إلى المعدة، فتبدأ أيضا بالإفراز اللازم، وهذا منها عمل نمطي رتيب في ظروف وشرائط متماثلة، فكلما توافرت وتكررت هذه الشرائط والظروف نبهت المعدة فعاودت عملها نفسه، وكررت قيامها بوظيفتها ذاتها بصورة لا تختلف عما عملته في مرة سابقة وعما ستعمله في مرة لاحقة، وهذا ما نعنيه بنمطية العمل.

ومثل ذلك يقال في الكلية أو الكبد أو العين . . . الخ بل في الكريات الحمراء أو البيضاء، وكل خلية من خلايا الجسم الحي، مما هو معروف في علم الغريزة (الفيزيولوجيا).

وإذا رأيت فارقا في التمثيل لهذا النوع من العمل الوظيفي الغريزي النمطي بين عمل أجزاء الجسم الحي وانحدار الماء في المجرى المحصور المنحدر من حيث إن الماء مادة غير حية، فينحدر كما يسقط الحجر بحكم قانون الجاذبية في اتجاه معين نحو مركز الأرض إذا قطع الخيط الذي يحمله في حين أن الجزء العامل في الجسم الحي هو جزء حي يعمل عن إحساس وتنبه هو مظنة للخطأ، ولكنه لا يخطئ فإني عندئذ أنقلك إلى مثال آخر أقرب إلى مطلوبك وأوضح، مثال العامل الواقف أمام آلة واحدة في معمل كبير عظيم فيه آلات كثيرة لكل واحدة منها وظيفة، وأمامها عامل يقدم لها المادة أو القطعة التي تعمل فيها، فلا أشبه لك الجزء الحي العامل في الجسم بالآلة التي تعمل في هذا المعمل، بل أشبهه لك بالعامل الواقف أمامها، ووظيفته كلما وصلت إليه القطعة محمولة على حاملة آلية أن يتناولها ويقدمها إلى الآلة التي أمامه لتعمل فيها عملها وتدفعها إلى حاملة آلية أخرى بجانبها فتحملها إلى عامل آخر، وهكذا، ولا بد أن تكون قد رأيت طريقة صناعة الأجزاء في المعامل، فهذا الشخص العامل، الواقف أمام الآلة ليتلقى القطعة القادمة إليه، ويقدمها إلى الآلة التي أمامه هو إنسان حي كامل مفكر فاهم واع، ولكنه في عمله هذا النمطي الرتيب بتقديم القطعة إلى الآلة كلما وصلت إليه قد أصبح أشبه بالآلة يقوم بهذا العمل الواحد بصورة تلقائية عفوية تعتمد على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإحساس الغريزي دون إعمال الفكر وتجميع المعلومات واستنباط النتائج منها، وهو في عمله هذا لا يخطئ أو قلما يخطئ كما لا يخطئ العضو أو الجزء من الأجهزة العاملة في جسم الإنسان الحي.

وكلما خرجت المهمة في العمل عن النطاق الضيق المحصور والنمطية الرتيبة، فاتسع النطاق، وتنوعت الوظيفة، وأصبحت عرضة لمواجهات جديدة ومفاجآت، فإنها عندئذ تحتاج إلى تفكير وتدبير ومعالجات مختلفة باختلاف نوعية الطوارئ وما يصحبها من ملابسات معقدة، فتجعل المهمة معقدة وتستوجب من الفكر عملا يعتمد على التشخيص والتمحيص والتحليل والتركيب، فإن الخطأ عندئذ يتسع مجاله فيقوى احتماله، ويكثر وقوعه.

ولنأخذ مثالا على ذلك عمل الطبيب الذي عليه تشخيص الداء ووصف الدواء النوعي له، فإنه كثيرا ما يواجه في المرضى بمرض واحد، لدى كل مريض حالة جديدة تحتاج إلى ترتيب مختلف، فإنه إن لم يختلف عليه المرض فقد اختلف المريض، وما يحمله مع المرض الرئيسي من ملابسات ومضاعفات وحساسية المريض واختلاف درجة المرض وحدته أو أزمانه، مما يستدعي ترتيبا وتدبيرا خاصا بهذا المريض دون آخر، فإن العلاج النوعي الواحد قد يفيد مريضا ولكنه يؤذي مريضا آخر بالمرض نفسه، ومن ثم يكثر خطأ الطبيب، لأنه يجب أن يكشف حالة غامضة مبهمة، وأن يعرف الطريق الصحيح الموصل في وسط متاهة مظلمة. وهذا بخلاف الصيدلي، فإنه قلما يخطئ في تقديم العلاج أو تركيبه وفقا لوصفة الطبيب.

بعد هذا أيها الأخ أصل بك إلى الناحية المقصودة، كثرة خطأ العقل، وسببها وعلاجها.

نعم إن العقل كما لاحظ صاحبك وقال، هو ذلك الجزء المدرك في تكوين الإنسان، هو الجانب المختص بالفهم والفكر ومعرفة الحقائق والوعي في السلوك، هو ذلك المصباح الكهربائي العظيم القوة البعيد المدى في الإنارة، ينير للإنسان ما حوله فيستطيع بذلك أن يبصر وأن يتبصر، ولكن مهمة العقل ليست

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نمطية رتيبة كعمل جزء من جهاز في جسم الإنسان أو خلية من خلاياه، إن مهمة العقل متنوعة معقدة، بل هي أكثر ما في الحياة تنوعا وأشدها تعقدا. إنها أصعب بملايين المرات من مهمة الطبيب الصعبة في تشخيص الأمراض الباطنة ومعالجتها في كل مريض.

إن العقل لكي لا يخطئ يجب أن يستطيع معرفة كل ما يحيط به من الأشياء المادية والاعتبارات المعنوية في كل ما هو حاضر أو غائب، قريب منه أو بعيد عنه وأن يعرف الملابسات التي تتصل بكل شيء من ذلك، ويبقى بعد كل هذه المعرفة لو استطاعها عرضة للخطأ بما يطرأ من تحولات ومفاجآت على الأوضاع والحالات في الظروف والأشياء التي تغير منها ما كان يعهده ويبني عليه، وأنى لعقل الإنسان كل هذه المعارف، وهو إنما يعيش في متاهات، في وسط مجاهل من هذا الكون العظيم الرهيب وموجوداته ونواميسه، ومهما ملك الإنسان وعقله الجبار من معارف وبصائر، فإنه لن يبلغ علمه وبصيرته أكثر مما يصل إليه نظر واقف على ساحل البحر المحيط الهادي مثلا بالنسبة إلى ما وراء الحدود التي يقف عندها امتداد بصره، وما في أعماق ذلك المحيط، وغيره من البحار الكبرى، وما في أجواز الفضاء وأغوار الكون كله، مما يقف عقل الإنسان تجاهه وتجاه ما يسمع عن بعضه في موقف حقارة وصغار، كحقارة الترابة الواحدة بالنسبة إلى الكرة الأرضية كلها، ولاسيما إذا تصورنا مدى ما يعنيه قول العلماء اليوم أن بين الكرة الأرضية وبعض النجوم التي تراها أعيننا مسافة مائة سنة ضوئية أو أكثر (وأنت تعلم معنى السنة الضوئية في تقدير مسافات الفضاء الكوني)[١].

فما مبلغ علم الإنسان وقدرة عقله بالنسبة إلى ما في الحياة البشرية ونواميس الكون من حقائق وخفايا وملابسات وتعقيدات، بالنسبة إلى الفرد وإلى الجماعة وإلى الحاضر والمستقبل إذا أراد أن يعرف كيف يبني حياته وسلوكه في طريق

---

(١) سرعة الشعاع الضوئي يقدرها علماء الفيزياء بأكثر من ثلثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة، ومسافة السنة الضوئية هي المسافة التي يحتاج الشعاع الضوئي إلى أن يستمر سائرا بهذه السرعة مدة سنة كاملة حتى يقطعها!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قويمة حكيمة رشيدة بين أمواج هذا الخضم العظيم الهائل؟

صدق الله العظيم بقوله في قرآنه الكريم ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ (الإسراء: ٨٥).

فعقل الإنسان في هذه المتاهة الهائلة والمجاهل المذهلة أشبه ما يكون بالطفل الصغير الذي كان يحبو فقويت رجلاه بعض الشيء فنهض يمشي وفرح بما وصل إليه من قدرة، وهو لا يعرف شيئا عما يعرض له من مزالق ونواتئ يتعثر بها، ولا يعرف ضعف ساقيه وعدم مرونته، فهو تارة تخونه قدرته فيهوي على شيء يؤذيه، وتارة يصطدم فيشج ويقع، وتارة يتعثر بذيله، إنه يقع ويقوم ويصل إلى الجدار مرة ويسقط دونه أخرى، وهكذا. ولكن الفرق بين عقل الإنسان وبين الطفل الذي بدأ يتعلم المشي هو أن الطفل سوف يتغلب على صعوبة المشي، بما يزداد من قوة ومن خبرة ومن مرونة، فيستطيع بعد مدة أن يمشي فلا يقع وأن يركض ويقفز. أما عقل الإنسان فيبقى ما بقيت الحياة طفلا يترعرع في بداية تعلم المشي، يقع ويقوم ويتعثر وينزلق في مجالات سلوكه في مسالك الحياة، مهما بلغ من علم ومعرفة، ومهما انكشف له من آفاق، لأن مدى علمه لا يعد شيئا يذكر بالنسبة إلى مدى جهله بما وراءه وأمامه من أمور مغلقة ومخاطر محجبة.

ذلك أن وظيفة العقل البشري هي أعظم شيء تنوعا وتعقدا، فهي ليست مهمة بسيطة نمطية في مجال محدود ممهد معبد يستطيع أداءها غريزيا بصورة آلية، إن وظيفته كوظيفة الطبيب المكلف بتشخيص داء باطن مستخف في الجسم بين مئات العلل التي لها أعراض مشابهة وعليه وصف الدواء الصحيح، وهذا تشبيه تصغير وتقريب، فمهمة العقل البشري في الواقع أعظم تعقيدا من مهمة هذا الطبيب بما لا يمكن معه قياس.

إن مهمته هي اختيار السلوك الصحيح المستقيم الموصل إلى أحسن النتائج في حياة الأفراد والجماعات، والمتنكب للمزالق المتوقي من العثرات والهاويات المغطاة بالأعشاب الغشاشة كمزارع الألغام في أرض العدو، بل إن التشبيه الأدق الأقرب لمهمة العقل البشري، وموقفه بين مصاعبها التي لا تغلب، هو أنه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كشخص ملقى في مفازات ومتاهات غير متناهية الأبعاد، وهي مليئة بالحيوانات المفترسة، والحشرات القتالة، والمزالق المردية، وتغمره فيها ظلمة حالكة دائمة لا تنجلي، ومعه مصباح يضيء له ما حوله إلى مسافة أمتار محدودة، وعليه أن يسلك طريقا آمنة إلى رزقه وقوام حياته، يصل فيها إلى مطلوبه ويتوقى المخاطر المهلكة.

ذلك لأن مدى العلم الذي يمكن أن يبلغه الإنسان بعقله بالنسبة إلى ما في هذا الكون الشاسع الزاخر بالعجائب والمتاهات والمجاهل هو أقل كثيرا من مدى نور هذا المصباح في هذه المفازات المظلمة، هذا إذا اقتصرنا في التصوير والتشبيه على مدى كل من أفق العلم وآفاق الجهل بما في الكون من حقائق وواقع، وأسقطنا من الحساب ما يحول بين العقل والتقدير الصحيح وحسن الاختيار من شهوات الإنسان وعوامله النفسية والمغريات التي تجذبه وتطغى على علمه وعقله، والمطامع المتسلطة على العقول والنفوس البشرية، وحب الأثرة والحظوظ، مما يدعو الإنسان إلى إيثار اللذائذ على الواجبات المتعبة، وما ينشأ عن كل ذلك من تغشية على الأبصار والبصائر، ودفع للأفراد والجماعات إلى أرض الألغام المكسوة بالأعشاب الغشاشة بدلا من طريق الأمان.

ففي هذا الواقع من طريق الإنسان ووعورتها وظلمتها ومن مهمة عقله ذلك المصباح المنير المحدود المدى، كان لا بد لهذا الإنسان من قائد ودليل بصير خبير إلى جانب المصباح الذي بيده، وإلا كان أمام مفاجآت حتمية من المخاطر وضلال الطريق، إن هذا القائد هو الشريعة الإلهية (والشريعة في أصل اللغة هي الطريق)، وإن الدليل هو أحكامها وتوجيهاتها وأوامرها ونواهيها. إنها ترسم له طريق الهدى البعيد المدى الذي يجهله ولا يعلم منه إلا القليل، بمقدار ما يمتد إليه نور مصباحه القاصر من أمتار، يرسم له هذه الطريق الأقوم الأسلم خالق الكون العالم بخوافيه وبكل ما فيه من مسالك ومهالك، والخبير بما ركبه هو في الإنسان من طبائع وغرائز ودوافع خير ونوازع شر، وما حف طريقه من مخاوف ومخاطر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فخالق الكون أعلم بما فيه، جعل للإنسان شريعته تعبيدا لطريق العقل. نعم إن الإنسان لا يستغني عن هذا المصباح مع الشريعة، ولكنه لا ينبغي له أن يغتر بمسافة النور القصيرة التي يبلغها ضوء هذا المصباح، فيظن في نفسه القدرة على الاستقلال عن الشريعة والانفصال عن الطريق الذي خططه له خالقه ومهده كي يجنبه المفاجآت الخطرة والمهالك.

بل عليه أن يتلمس بمصباحه المتواضع معالم هذه الطريق في حدود الشريعة الإلهية، لأن خالقه أدرى بما يصلحه وبما يفسده، لأنه أدرى بما يحيط به من مجاهل لا يستطيع هو معرفة ما فيها من آفات، فما حسنته له الشريعة بنصوصها الثابتة فهو حسن، ولو لم يستطع عقله إدراك حسنه، وما قبحته له فهو قبيح خطر وخيم العواقب على الفرد أو على الجماعة عاجلا أو آجلا.

هذه حجة الشريعة على العقل، تقوم على أساس هذا الواقع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. فليس للإنسان المؤمن أن يناقش الشريعة بعقله القاصر مناقشة الند للند، فيقول: ما قبله عقلي قبلته، وما لم يقبله رفضته!! فما هو عقله؟ وما مدى الثقة به؟!

إنما عليه أن يتفحص بعقله أوامر الشريعة ونصوصها، ويناقشها مناقشة المتفهم المطيع المستسلم الذي يريد أن يعرف ماذا يريد الشارع ليعرف كيف يطيع، هذا هو شأن العالم البصير وما سواه فشأن الجاهل المغرور.

نعم إن هذه الحجة تقنع المؤمن. أما الملحد المادي الذي لا يؤمن بالخالق ورسالاته الهادية بل يجحد الحقائق ويكابر في المحسوس مغرورا بعقله القاصر، فذلك لا ينفع معه الاحتجاج، بل يجب التأسيس معه أولا، والبدء بمناقشته من مبدأ آخر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

موسوعة الفقه الإسلامي

فكرتها .. الغاية منها .. كيف يمضي العمل فيها

العدد (٢٦) صفر (١٣٨٧هـ) مايو (١٩٦٧م)

● **منشأ فكرة الموسوعة**

لما عقد مؤتمر «أسبوع الفقه الإسلامي» في باريس في بهو كلية الحقوق من جامعة السوربون أول شهر تموز ١٩٥١م، بدعوة من لجنة الحقوق الشرقية في المجمع الدولي للقانون المقارن، وظهر - من المحاضرات التي ألقيت في موضوعات شتى من مختلف شعب الحقوق والقانون في الفقه الإسلامي - ما في هذا الفقه الأصيل المؤثل من ثروة حقوقية ونظريات قانونية خالدة القيمة، اتخذ المؤتمر قراره التاريخي الذي من جملة ما جاء فيه ما ترجمته الحرفية كما يلي:

أ- إن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة «حقوقية تشريعية» لا يمارى فيها.

ب- وإن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات، وإن الأصول الحقوقية هي مناط الإعجاب، وبها يستطيع الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها.

ويأمل المؤتمرون في أسبوع الفقه الإسلامي أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الإسلامي يسهل الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الإسلامية وفقا للأساليب الحديثة[١].

فهذا الأمل الذي دعا إلى تحقيقه مؤتمر «أسبوع الفقه الإسلامي» الأول في باريس كان هو النواة الأولى لفكرة «موسوعة الفقه الإسلامي» التي أنشئت لها لأول مرة لجنة خاصة في كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة ١٩٥٥.

(١) انظر المجلة الدولية للحقوق المقارنة، العدد ٤ من السنة (٣) الصادر في تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥١م.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● غاية الموسوعة

إن دراسة الحقوق وعلم القانون اليوم تتجه إلى المقارنة بين الشرائع والنظم ليستفيد الاتجاه التشريعي والاجتهاد القضائي من أحسن النظريات الحقوقية وأقربها إلى العدل.

ولاشك أن الفقه الإسلامي الذي هو أغنى فقه عرفه التاريخ البشري في أمة من الأمم هو أولى بالاطلاع عليه والمقارنة به، ولاسيما في البيئات العربية التي تربطها به وشيجة النسب، لأنه تراثها الأصيل المجيد، العربي الأصول والمنابع، فضلا عن غناه الواسع، وذلك لكي يمكن اتخاذه أساسا للتشريع والاجتهاد القضائي في البلاد العربية والإسلامية.

ولكن باختلاف الزمن وتطور الأساليب والحاجات الثقافية أصبح فقهنا هذا وما فيه من جوهر نفيس، ونظريات حقوقية محكمة، ومبادئ قانونية سامية ذات قيمة خالدة، كل ذلك فيه أصبح محجوبا عن أنظار الحقوقيين والمشرعين بغلاف من أسلوبه وترتيبه القديم، وعباراته المعقدة في كثير من كتبه، وبمراجعه الصعبة المسالك على غير المختصين، ولكن تطور الحياة وحاجاتها وتشعب الثقافة العامة جعلا الزمن أضيق من أن يسمح للباحث ببذل الجزء الكبير منه في المراجعة، وهذا ما يوجب على أبناء العربية اليوم تعبيد الطريق إلى هذا الفقه العالمي الضخم الذي أقام نظام العدل في مشارق الأرض ومغاربها نحو أربعة عشر قرنا، وواجه ألوان الحضارات، وحل جميع مشكلات الحياة بأحسن الحلول، وأعدل الأحكام، وأمرن القواعد في معالجة مشكلات اختلاف الزمان والمكان والأعراف والحاجات، بمذاهبه الاجتهادية المتعددة.

فغاية الموسوعة صياغة الفقه الإسلامي كما هو في مراجعه الأصلية وبأسلوب سهل، وتبسيط العبارات المعقدة التي تصادف فيه، دون أن يدخل الكتاب شيئا من اجتهاداتهم الشخصية، مع الإشارة إلى اختلاف المذاهب والاجتهادات في كل موطن يكون فيه ذلك هاما ومفيدا، ثم ترتيب هذه الأحكام الفقهية الشرعية في الموسوعة ترتيبا أبجديا على حروف المعجم بحسب الحرف الأول، وما يليه من الكلمة العنوانية الدالة على الموضوع الفقهي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فأحكام التقادم مثلا تذكر تحت كلمة «تقادم» التي تأتي في حرف التاء المثناة مع القاف، وأحكام عدة المرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها تذكر تحت كلمة «عدة» التي تأتي في حرف العين المهملة مع الدال وما يليها.

والأحكام المتعلقة بالأجير العام والأجير الخاص مثلا تذكر تحت كملة «أجير» التي تأتي في حرف الهمزة مع الجيم وما يليهما، وهكذا في كل موضوع فقهي، فكل باحث ولو غير فقيه مختص يستطيع أن يراجع في الموسوعة عن حكم الشريعة وآراء الفقهاء في كل موضوع بالنظر إلى ترتيب حروف كلمته، كما يراجع عن أي كلمة شاء في قاموس لغوي، لكنه في القاموس يراجع عن الكلمة ليرى معناها في اللغة، أما في الموسوعة الفقهية فيراجع عنها ليرى ما تحتها من أحكام الشريعة وفقهها في الموضوع، واختلاف المذاهب والآراء الفقهية في ذلك، مع الإحالة على مواطن البحث في مراجعه الفقهية الأصلية من كتب المذاهب بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة واسم المطبعة وتاريخ الطبع ليرجع إليها من يشاء.

وهذه الموسوعة يقدر لها لتكون وافية كافية أن تبلغ ثلاثين مجلدا فأكثر، ولاسيما أنها ستشتمل على جميع أقسام الفقه من عبادات ومعاملات وجنايات وعقوبات وقضاء وبينات وسياسة شرعية وأحكام الأسرة المعروفة اليوم باسم «الأحوال الشخصية» من النكاح إلى الميراث وما بينهما.

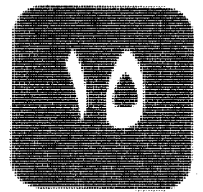
من هذا التعريف الموجز يتضح ما لفكرة الموسوعة الفقهية من شأن عظيم وما سيكون لتنفيذها من أثر عالمي في عالم التشريع والقانون يجعلها من الأعمال المخلدة.

وإن دولة الكويت التي تبني اليوم نهضتها بجد وسرعة ونشاط هي الجديرة بأن تجعل من هذا المشروع العلمي الجليل عنوانا مشرقا ومشرفا لنهضتها المباركة.

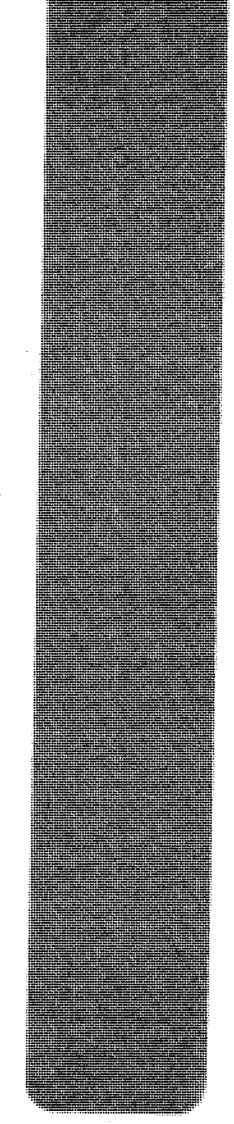
لذلك رأت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تتبنى هذا المشروع، وتجند له الكفاءات، وهي تأمل بفضل معونة فقهاء العالم الإسلامي الذين سيطلب إليهم أن يكتبوا فيما سيوزع عليهم من بحوث الموسوعة، وبفضل إدراكهم لهذا الواجب الإسلامي العام، أن تبرز هذه الموسوعة كاملة في أقصر زمن ممكن بالنسبة إلى طبيعة هذا المشروع العظيم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقالات



الشيخ محمود مهدي استانبولي



- **ترجمة الشيخ.**
- **المقالات:**

١- هل الإنسان خليفَة الله في الأرض.

العدد (٢٣) ذو القعدة (١٣٨٦هـ) - فبراير (١٩٦٧م).

٢- حول اجتهادات الخليفة عُمر بن الخطاب رضي الله عنه.

العدد (٣٣) رجب (١٣٨٧هـ) - اكتوبر (١٩٦٨م).

٣- الإنسان العربي بين الجاهلية والإسلام.

العدد (٣٤) شوال (١٣٨٧هـ) - يناير (١٩٦٨).

٤- التعليم الجامعي.

العدد (٣٤) شوال (١٣٨٧هـ) - يناير (١٩٦٨).

٥- الشخصية الإسلامية في معركة إثبات الذات.

العدد (٤٢) جمادى الثانية (١٣٨٨هـ) - اغسطس (١٩٦٨م)

٦- في رحاب الأماكن المقدسة.

العدد (٦٠) ذو الحجة (١٣٨٩هـ) - فبراير (١٩٧٠م).

٧- نظرية الإعدام بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

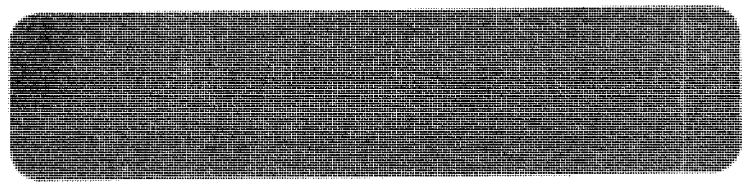
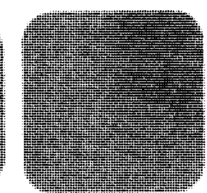
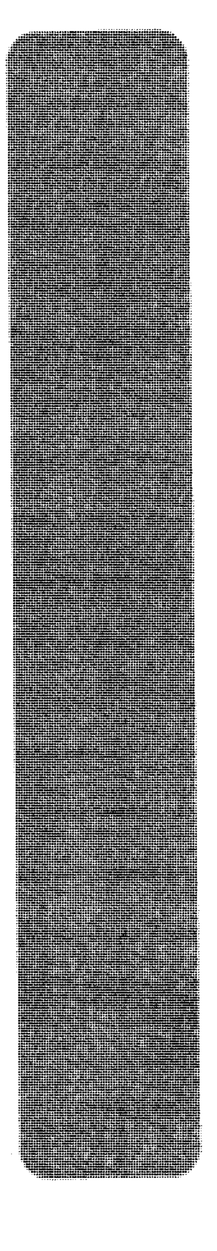
العدد(٩٢) شعبان (١٣٩٢هـ)- سبتمبر (١٩٧٢م)

٨- من غرائب المحاكمات في التاريخ

العدد (٩٣) رمضان (١٣٩٢هـ) - أكتوبر (١٩٧٢م).

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

٩- نصيحة ذهبية إلى مفكري الغرب وزعمائه

العدد (٩٤) شوال (١٣٩٢هـ) - نوفمبر (١٩٧٢م).

١٠- افتراء المستعمرين

العدد (٩٧) محرم (١٣٩٣م) - فبراير (١٩٧٣م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ
محمود مهدي استانبولي

● مولده

الشيخ محمود مهدي إستانبولي عالم وباحث وتربوي، ولد بدمشق سنة ١٣٢٧هـ، واهتم بتحصيل العلوم الشرعية والحديث الشريف، وعمل في المجال التربوي، قال عنه الشيخ علي الطنطاوي: إنه من أركان التربية في بلده، لازم المحدث الشيخ «محمد ناصر الدين الألباني»، وتبنى منهجه، وصحب الشيخ عبد الفتاح الإمام، وأخذ عنه مبادئ السلفية.

● مؤلفاته:

صنف رحمه الله العديد من الكتب التي لاقت الرواج والقبول منها: «تحفة العروس، كتب ليست من الإسلام، على هامش التربية الإسلامية، عبقرية الإسلام في التربية، مشكلات الغرب وكيف يحلها الإسلام، عظمة الإسلام، دفاع عن الإسلام.. بيني وبين المبشرين، مذكرات عن الحج، الرد على مفتريات الشيوعية، المنهج الإسلامي الجديد في التربية، السبيل إلى أسرة أفضل...». وغيرها من المصنفات.

● وفاته:

توفي الشيخ سنة ١٤٢٠هـ بعد ٩٣ سنة أمضاها في طلب العلم والتعليم، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له ولجميع المسلمين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هل الإنسان خليفَة الله في الأرض

العدد (٢٣) ذو القعدة (١٣٨٦هـ) - فبراير (١٩٦٧م).

شاع على ألسنة وكتابات كثير من الأدباء الإسلاميين أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وحجتهم في ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية.

وعلى الرغم من الاعتراضات التي وجهت إليهم، نرى بعضهم يصر على رأيه، ويروح يستغيث باللغة العربية للدفاع عن هذا الرأي، كأن اللغة- وحدها هي مصدر فهم القرآن، لا النصوص العامة للشريعة، ولو كانت كافية لاقتصرنا في صلاتنا على الدعاء، ومع ذلك فإن اللغة العربية ليست نصيراً لهم في هذا الفهم، ولا نريد أن ندخل معهم في هذه المناسبة، بمناقشة لغوية قد تطول...

لقد كان يكفي هؤلاء الكتاب للرجوع عن فكرتهم، كلمة للخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه...

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاويه (٣/ ٤٦١) «وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي، أن الخليفة هو الخليفة عن الله، مثل نائب الله، والله تعالى لا يجوز له خليفة. ولهذا قالوا لأبي بكر يا خليفة الله! فقال: «لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. حسبي ذلك» رواه أحمد في المسند (١/ ١٠/ ١١) بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي ﷺ: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا»..

ولا يجوز أن يكون أحد خلفاً منه (أي من الله تعالى) ولا يقوم مقامه، إنه لا سمي له، ولا كفء فمن جعل له خليفة فهو مشرك به!!.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والغريب - الغريب جداً - أن هؤلاء الكتاب المصرين على رأيهم في أن الإنسان خليفة الله في الأرض، يروحون أيضاً يقحمون - كما أقحموا اللغة - بعض آي القرآن الكريم لإثبات صحة ما ذهبوا إليه، كأن أبا بكر- رضي الله تعالى عنه وكأن الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وقد رأيناهما يرفضان نسبة خلافة الإنسان لله سبحانه- لم يفهما تلك الآيات!!

وقد استشهدوا على هذه الخلافة بقوله تعالى.

١- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وهذه الآية حجة عليهم لا لهم بدليلين:

أولاً: أن الله سبحانه عرض هذه الأمانة على السماوات والأرض والجبال فإذا كان الإنسان هو خليفة الله فكيف عرض سبحانه هذه الأمانة على غيره؟!

ثانياً: كيف يجعل الله الإنسان خليفة في الأرض، ثم يقول عنه إنه كان ظلوماً جهولاً؟!

٢- ومن الآيات التي استدل بها هؤلاء الكتاب على هذه الخلافة قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ (ص: ٧١-٧٧).

وليس في هذه الآية حجة لهم فيما ذهبوا إليه. والغريب أنهم فهموا من قوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ أي من روح الله نفسه مما جعلهم يتأكدون من هذه الخلافة! مع أن المقصود من روحه التي خلقها، وإلا كان الإنسان جزءاً من الله، وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ (الزخرف: ١٥).

وإذا كان لا يصح أن نقول إن الإنسان خليفة الله، فكذلك لا يصح أن نقول إنه أفضل المخلوقات كما زعم هؤلاء القائلون بالخلافة، ليدعموا حجتهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ودليلنا على ذلك أن رسول الله ﷺ نفسه وهو على سمو مكانته لم يقل إنني سيد المخلوقات، بل قال «إنني سيد ولد آدم». إن هناك الملائكة السفرة، الكرام البررة الذين يستنسخون من اللوح المحفوظ. وليس لدينا نص صريح على أفضلية الإنسان عليهم ولا العكس.

وليت هؤلاء الكتاب حاولوا فهم قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ (البقرة: ٣٠).

إن هؤلاء الملائكة لو فهموا أن آدم خليفة الله، لما تجرأوا، ولا توهموا أن خليفة الله سيفسد في الأرض، ويسفك الدماء، إنما فهموا أن آدم وذريته من البشر سيخلفون من سبقهم من المخلوقات الذين أفسدوا في الأرض، قاله ابن عباس والحسن كما جاء في تفسير الإمام ابن الجوزي.

ومما لا ينبغي إغفاله بهذه المناسبة أن بعض المفسرين ظنوا أن سؤال الملائكة لربهم كان على وجه الاعتراض أو الحسد، فقال السيوطي في تفسيره على لسانهم «فنحن أحق بالاستخلاف».

وهذا لا يليق بالملائكة. قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما يتوهمه بعض المفسرين، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول، أي لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه.

وههنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقاً- قال قتادة- وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها، فقالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية. وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون: يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، أي نصلي لك، كما سيأتي، أي لا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا؟ قال الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾! أي إني أعلم من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون...» اهـ باختصار عن تفسير ابن كثير.

ومن أعظم الأدلة على بطلان دعوى القائلين بأن الإنسان خليفة الله في الأرض قوله ﷺ في حديث له لأحد قواده «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم، أهون أن تخفروا ذمة الله، وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله أم لا؟» (رواه مسلم).

نعود بعد هذا كله إلى الآية التي اتخذها الكتاب المشار إليهم من أعظم حججهم على إثبات دعواهم من خلافة الإنسان لله تعالى.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيرها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل كما قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣٩) ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢) وقال ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (الزخرف: ٦٠) وقال ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ (الأعراف: ١٦٩).

ونقل القرطبي ما ملخصه عن زيد بن علي: وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه الصلاة والسلام فقط.. وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل.

ومن العجيب أن هؤلاء الكتاب لم يقتصروا على جعل آدم عليه السلام خليفة الله كما يمكن أن يفهم بعضهم من ظاهر الآية. بل ذهبوا إلى خلافة البشر كلهم مؤمنهم وكافرهم وصالحهم وفاسقهم!.

ولا شك أن فكرة خلافة الإنسان لله في الأرض مأخوذة عن نظرية الحلول والاتحاد ونظرية القطب الغوث لغلاة الصوفية. فقد قال أبو الحسن الشاذلي «للقطب خمس عشرة علامة، عدد منها أن يمد بمدد العصمة، والخلافة- وهو أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يكون خليفة الله في الأرض- والنيابة- وهي أن يكون نائباً عن الحق في تصريف الأحكام»[١]. إلى غير ذلك من صفات الألوهية، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!.

* * *

(١) معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص ٤٩- ٥١ باختصار نقلاً عن كتاب التصوف بين الحق والخلق للأستاذ محمد فهر الشفقه ص ١٠٠ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حول اجتهادات الخليفة
عُمر بن الخطاب رضي الله عنه

العدد (٣٣) رجب (١٣٨٧هـ) - أكتوبر (١٩٦٨م).

قام هذا الخليفة الراشد، والحاكم العبقري بطائفة من الإجراءات الحكيمة التي ظنها بعض الناس اجتهادات منه، جاءت خلاف نصوص الشريعة، فأخذوا يؤولون ذلك بأن الخليفة عمر نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره، وبذلك فتحوا المجال للعبث بالشريعة والجرأة عليها تحت ستار التحري عن المصلحة، والبحث عن علل وغايات النصوص دون ظواهرها(!!!).

وقد سرت عدوى هؤلاء إلى كثير من الشباب المثقف، الذي أخذ يتهاون بنصوصها متخذا من صنيع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حجة له بزعمه.

وقد رأيت أن أبحث هذا الموضوع الخطير، لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد لم يكن مجتهداً، إنما كان متبعاً لنصوص الشريعة التي خفيت على كثير من الباحثين الذين كتبوا في هذا البحث الشائك. وسأنقل كلامهم وأرد عليه.

١- قالوا: إن عمر منع سهم المؤلفة قلوبهم مع أن سهمهم مفروض بنصوص القرآن، وأولوا ذلك بأنه - رضي الله تعالى عنه - نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره، فقد كانت علة إعطائهم تأليفهم واتقاء شرهم عندما كان الإسلام ضعيفاً، فلما قويت شوكة الإسلام زال الداعي إلى إعطائهم.

أقول: إن هذا الخليفة فهم معنى لفظ المؤلفة قلوبهم محدوداً بطائفة معينة من الناس، فلما زالت أوقف سهمها، بينما هذا السهم أوسع من ذلك فيما دلت عليه نصوص الأحاديث الكثيرة التي وردت حول سهم المؤلفة قلوبهم، والتي بينت أصنافهم، وقد شرح ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره فقال: وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام منهم من يعطى ليسلم، كما أعطى النبي صلى الله عليه وآله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين.

وقد كان شهدها مشركاً، قال: فلم يزل يعطيني حتى صار أحب الناس إلي بعد أن كان أبغض الناس إلي. كما قال الإمام أحمد: حدثنا زكريا ابن عدي، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين، وإنه لأبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي» (ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري) .

ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى الرسول يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل، وقال: «إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم». وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن علياً بعث إلى النبي بذهبية في تربتها من اليمن، فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، وعلقمة بن علاثة وزيد الخير، وقال: «أتألفهم» ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه، ومنهم من يعطى ليجبي الصدقات مما يليه، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد، ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع والله أعلم.

وهل تعطى المؤلفة قلوبهم على الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ .

فيه خلاف، فروي عن عمر وعامر والشعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده، لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم في البلاد، وأذل لهم رقاب العباد.

وقال آخرون: بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة، وكسر هوازن، وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم. اهـ.

وعلى ذلك فلا يصح أن يقال إن عمر منع المؤلفة قلوبهم نصيبهم من الزكاة، بل الصواب أنه إنما منع من ليس من المؤلفة قلوبهم في فهمه هو، ولذلك فلا يجوز أن يتخذ فعل عمر هذا مثالاً للمنهاج الفقهي الواقعي، والنظر إلى علة النص، لا إلى ظاهره فليس في المسألة أكثر من فهم خاص لهذا النص القرآني.

إن سهم المؤلفة قلوبهم لو استخدمه المسلمون في أيام مجدهم وثرائهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لاشتروا به كثيراً من المرتزقة الذين يضللون أقوامهم أو يسكتون على ضلالهم لتتسنى لهم الحياة الرغيدة، فلو وجدوها من المسلمين عن طريق هذا السهم لدخلوا في دين الله أفواجاً وأدخلوا أقوامهم معهم!.

ولو كان لي من الأمر شيء، لجعلت سهم المؤلفة قلوبهم لتأليف كتاب الغرب وأدبائه وأرباب صفحه ليثنوا على الإسلام ويدافعوا عنه ويحضوا أقوامهم لاعتناقه!.

ومهما كان من اجتهاد الخليفة عمر رضي الله تعالى عنه، فقد كان اجتهاده في فهم النص، لا في تركه، فله أجر الاجتهاد لقوله ﷺ: «إذا أصاب الحاكم فله أجران، وإن أخطأ فله أجر» ورحم الله تعالى الإمام مالكاً فقد قال:

«كلهم يرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

٢- وقالوا: وكذا اجتهد عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين واكتفائه بتعزير السارق عن قطع اليد في عام المجاعة المسمى بعام الرمادة، فاعتبر فيه شبهة عامة في أنهم كانوا يسرقون عن ضرورة.

أقول: ليس في عمل الخليفة عمر وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين عام المجاعة اجتهاد منه، فإنه لا اجتهاد في مورد النص، إنما هو اتباع لنص قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ١٧٣) وقوله سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣).

وأستبعد لجوء هذا الخليفة الراشد حتى إلى تعزير السارق المضطر، - كما زعموا- وقد أعلن الله سبحانه بأنه ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

٣- وقالوا: وكذلك اجتهد عمر في منع تقسيم أراضي سواد العراق على المجاهدين الفاتحين لها الذين طالبوا بتقسيمها بينهم كما تقسم الغنائم الحربية بعد تخميسها حسب نص قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الأنفال: ٤١).

وقالوا أيضاً: وقد ذهب عمر إلى خلاف رأي هؤلاء المجاهدين، فاعتبر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأراضي من الفيء الذي تتعلق به حقوق المسلمين عامة حاضرهم وآتيهم رعاية لمصلحة الأجيال وحقوقها في بيت المال، وفقاً لما ينبئ به النظر السديد إلى مجموع النصوص القرآنية لا إلى بعضها دون بعض.

فأبقى- لذلك عمر الأرضين لأهلها وطرح عليها ضريبة الخراج، لأن ذلك أصلح لإحيائها، وأعم وأدوم لنفعها.

وقالوا أيضاً: وقد ثبت في السنة أنه عندما فتح النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- خيبر، وقد فتحت عنوة لا صلحا، ونزل أهلها اليهود والمحاربون على حكم الجلاء- عدت أراضيها من الفيء! وعزل النبي نصفها، فتركه للنوائب والنوازل، وقسم الباقي بين المسلمين.

أقول: من الغريب أن يزعم هؤلاء، أن عمر اعتبر أراضي سواد العراق من الفيء، كأن المسألة كيفية!! وقد فتحت عنوة بإيجاف الخيل وصولة الجيش في المعارك الحربية، وأغرب من ذلك أن يزعموا أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه اعتبر أيضاً أراضي خيبر من الفيء! وقد فتحت عنوة!!

ما أبعد الفرق بين توزيع أموال الغنائم وأموال الفيء، وقد ذكرنا سابقاً آية توزيع الغنيمة، وها نحن أولاء نذكر آية تعريف الفيء وطريقة توزيعه:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾ (الحشر: ٦). ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ (الحشر: ٧).

فهل يتصور العقل أن يعتبر عمر أراضي العراق من الفيء وقد فتحت عنوة وحرباً؟!.

أم هل يتصور العقل أيضاً أن يعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام أراضي خيبر فيئاً، وقد فتحها بالحرب والقتال؟!.

إن هؤلاء لما رأوا عدم توزيع أراضي العراق وخيبر حسب آية الغنائم لجأوا إلى هذه التأويلات، زاعمين أنها اجتهادات من عمر!.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن المؤسف أن هؤلاء المدعين لجأوا إلى تتمة آية الفيء في سورة الحشر السابقة لإثبات دعواهم وهي: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ . . الخ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الخ. . . ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وزعموا بأن الخليفة عمر بعد تلاوة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ قال للمجاهدين الذين طلبوا توزيع الأراضي: «ما أرى هذه الآية إلا عمت الخلق كلهم حتى الراعي بكداء».

ومن الغريب أن الحشر جاءت كلها في الفيء فكيف يعقل أن يحتج بها الخليفة عمر لرد طلب المجاهدين في توزيع الأراضي التي فتحت عنوة؟!.

والصواب أن هذا الخليفة إنما استشار المسلمين في طريقة توزيع أموال الفيء، لا أموال الغنائم.

جاء في كتاب «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي. أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبيهقي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه. ثم قال لهم: إني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال فتنظروا لمن ترونه، وإني قرأت آيات من كتاب الله، أقلقتني: سمعت الله- تعالى- يقول: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ - إلى قوله- ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (الحشر: ١٠) والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ - إلى قوله: ﴿رَّحِيمٌ﴾ - والله ما أحد من المسلمين إلا له حق في هذا المال أعطي منه أو منع منه حتى راع بعدن. . وقسم عمر ذات يوم من المال فجعلوا يثنون عليه، فقال: ما أحمقكم! لو كان لي ما أعطيتكم درهما!!اهـ.

ومما سبق ندرك أن اجتهاد عمر - رضي الله تعالى عنه- كان في طريقة تقسيم الفيء لا الغنائم خلافاً لما ذكره من نحن بصددهم.

نعود بعد هذه التوطئة إلى الكلام على حجة الخليفة عمر في عدم توزيع أراضي العراق على المحاربين نقلاً عن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ومنه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ندرك ونتحقق أن هذا الخليفة لم يكن مجتهداً، خلافاً للنص، إنما كان متبعاً للنص النبوي.

جاء في كتاب زاد المعاد:

«... والإمام مخير في أرض العنوة بين قسمها، ووقفها وقسم بعضها، ووقف البعض، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنواع الثلاثة: فقسم قريظة والنضير- أي على المحاربين - ولم يقسم مكة. وقسم شطر خيبر، وترك شطرها»[1].

فيكون عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه- اختار في أراضي العراق ما فعله الرسول في مكة.

وقد يعترض على هذا الكلام معترض، فيقول إن مكة لم تفتح عنوة، وهذا الاعتراض مردود!.

قال الإمام ابن القيم:

والذي يدل على أن مكة فتحت عنوة وجوه: أحدها أنه لم ينقل أحد قط أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح أهلها زمن الفتح، ولا جاءه أحد منهم صالحه عن البلد، وإنما جاءه أبو سفيان، فأعطاه الأمان لمن دخل داره، أو أغلق بابه أو دخل المسجد أو ألقى سلاحه.

ولو كانت قد فتحت صلحاً لم يقل: من دخل داره أو أغلق بابه أو دخل المسجد فهو آمن، فإن الصلح يقتضي الأمان العام. والثاني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنه أذن لي فيها ساعة من نهار، وفي لفظ أنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وفي لفظ فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقولوا: «إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم» وإنما أذن لي ساعة من نهار. وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس».

وهذا صريح في أنها فتحت عنوة، وأيضاً فإنه ثبت في الصحيح أنه جعل يوم

---

(١) ٢/ ١٣٧ باختصار.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفتح خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البيادقة وبطن الوادي. . وأيضاً فإن أم هانىء أجارت رجلاً، فأراد علي بن أبي طالب قتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء» وأيضاً ففي السنن بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يوم الفتح قال: «أمنوا الناس إلا امرأتين وأربعة نفر اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة». والله أعلم[(١)].

أكتفي الآن بهذا القدر، آملاً أن أكون وفقت لإقناع الذين كتبوا في اجتهادات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، إلى مبلغ حرص هذا الخليفة الراشد على نصوص الشريعة وتمسكه بها، وقد كان اجتهاده ينحصر في تقديم نص على آخر رأى فيه مصلحة للمسلمين.

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب، أو القى السمع وهو شهيد.

* * *

(١) زاد المعاد (٢/ ٦٩- ٧٠) باختصار.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإنسان العربي بين الجاهلية والإسلام

العدد (٣٤) شوال (١٣٨٧هـ) - يناير (١٩٦٨).

عاش الإنسان العربي قبل الإسلام في جاهلية عمياء، وفي ظلمات بعضها فوق بعض، فكانت العصبية القبلية على أشدها، شعارها: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» بمعناها الضيق البغيض، فكانت الحرب- على الرغم من ويلاتها - ملهى لهذا الإنسان، وسفك الدماء من أعظم ألهياته. كما كانت الوثنية والخمر والقمار من أبرز مظاهر حياته.

وكان يعامل المرأة معاملة سيئة فيعبث بها، ويأكل حقوقها، ويرثها كما يرث الدابة والمتاع، بل يروح أيضاً يكرهها على[1] الزنا- كما وصفه القرآن- ويأخذ أجرها.

قال تعالى في النهي عن ذلك: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ (النور: ٣٣).

وقد خضع الإنسان العربي في الجاهلية للاستعمار الفارسي في العراق واليمن، وللاستعمار الروماني في الشام، في أبشع صوره وأذل أشكاله.

وما كانت حال الإنسان العربي في الحجاز بأحسن من حالها في الشام والعراق، فكان شبه مستعمر للرأسمالية اليهودية عن طريق الربا أضعافاً مضاعفة

(١) لا نعتقد أن ذلك كان يمثل ظاهرة عامة في العرب حتى ندمغهم جميعاً بهذا العيب، وقد كانوا غيارى على محارمهم، كما كانوا يحترمون المرأة وينزلون عند رأيها بل إن من كبارهم من كان ينتسب إلى أمه، وهذا لا يمنع من وجود بعض الصفات التي ذكرها الكاتب في بعض الأفراد كما في كل مجتمع مما جعل القرآن الكريم يعنى باجتثاثها لتطهير المجتمع الإسلامي تطهيراً كاملاً. «الوعي الإسلامي».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حتى استولت على كثير من أراضيه، علاوة على الفتنة التي كانت تثيرها بين القبائل العربية لإشعال نيران الحروب بينها حتى كادت تهددها بالفناء.

● انحراف وفراغ مخيف

هذا وصف مجمل للإنسان العربي في الجاهلية الأولى. انحراف في العقيدة، انحلال في الأخلاق، فكان في طريقه إلى الاحتضار والانتحار.

إنا لنتصور هذا العربي المضطرب الضال، وهو يضرب في صحرائه على غير هدى، حائراً من هذا الكون الذي يحيط به، مقصراً في استعمال طاقته على هذه الأرض، لا يعرف كيف يحيا حياته، أو يستغل وجوده، ولكنه يتمنى لو خرج من هذه الحيرة، وجلا عنه هذا الظلام، فما هذه الحروب التي كانت تشتعل دونما أدنى تفكير أو وعي، إلا هرباً من هذا الفراغ، وقتلاً للوقت الذي يحويه... وما هذه العادات المتطرفة لدرجة القبح والشر التي ألمت بالعربي حيناً من الزمن إلا محاولة لقهر هذا الفراغ الذي لا يحصل ضمن أجوائه أدنى معنى للوجود، وأية غاية للحياة .

تصوروا هذا الإنسان وقد أفرغ نفسه إلا من تأملاته، وجرد عقله إلا من تفكيره الخاص، وأبقى قلبه وروحه في صفاء غريب، لا ينعكس عليهما إلا إحساسات حب عابر، وتشوفات تأملية... سريعاً ما تتحول إلى وجد وبكاء وذكرى، وأناشيد تصدح في الصحراء، على ألسنة الحداة... لم يزل صداها يرن في أعماقنا إلى اليوم.

● في رحاب الإسلام

تصوروه بعد هذه الشكوك التي ألمت به، وبعد هذه الاضطرابات التي عصفت بشخصه، وقد رأى أمامه فجأة كل ما يريد.. وكل ما يشبع ميوله ونزعاته إلى الحرية والجهاد والسمو.. إن المفاجأة لاشك قد أخذته ولم يستطع أن يصدق كل ما يرى، فهب لمقاومته، ثم وقف على شاطئه حذراً، ثم اقترب رويداً رويداً، حتى إذا اطمأن إليه وأنس له، عب منه بامتلاء، فأصبح الحياة التي تعاش، والرسالة التي تخدم، والمصير الذي يريد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لقد كان العربي فارغاً. فإذا بالإسلام يملؤه، ويفيض من جوانبه، وإذا به يمنحه شخصية جديدة كل الجدة، كانت شخصيته القديمة أساساً لها، ويظل ثلاثاً وعشرين سنة، مدة البعثة، في كفاح مرير وعلم مستزيد وتطور مستمر، حتى ينتهي ذات لحظة إلى ما يشبه الكمال، وهو الذي تاقت نفسه للكمال المطلق، بعد أن امتلأ هذا الامتلاء الثري بالإسلام.

إن أي شخص في العالمين وجد على الأرض ما استطاعت فلسفة أو عقيدة أو دين أن يعطيه عشر ما استطاع الإسلام أن يعطيه للعربي[1].

● **من الضعف إلى القوة**

لما بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأشرقت على هذا الإنسان العربي شمس الإسلام، انقلب شركه إلى إيمان، وانحلاله إلى قوة، وذله إلى عزة، فسارع إلى تحرير بلاده من اليهودية في الحجاز، ثم من الفرس والرومان في سورية والعراق.

في طريق المجد.

وتقدم بعد ذلك شرقاً وغرباً حتى فتح الهند والصين، وأسبانيا وقسماً كبيراً من فرنساً. كل ذلك بسرعة عجيبة أدهشت علماء الغرب فراحوا يطلقون على هذه الحادثة التاريخية اسم «المعجزة العربية».

لم تقتصر مهمة الإنسان العربي على هذا الفتح المبين بل أنشأ دولة عربية امتدت حدودها من المحيط الكبير شرقاً، إلى المحيط الأطلسي غرباً، وبلاد القفقاس شمالاً إلى إندونيسيا جنوباً، وقد قامت هذه الدولة بأعظم نصيب في إشادة الحضارة، بما قدمته من العلوم الرياضية والطبيعية والكيميائية والفلكية والجغرافية، على أيدي علماء، ما زالت تدرس نظرياتهم وكتبهم في الجامعات العلمية إلى عصور متأخرة، وكانوا من أعظم أسباب يقظة الغرب والجيد من مدينته الحاضرة، كما شهد بذلك كثير من علماء الغرب أنفسهم.

---

(١) مأساة العربي المسلم ص (٤٣- ٤٤).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● والفضل ما شهدت به الأعداء

قال يربفولت في كتابه «تيار الإنسانية»:

«لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية على العالم الحديث. . إن ما يدين به علمنا لعلم المسلمين ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة الإسلامية بأكثر من هذا: إنه يدين لها بوجود نفسه».

ثم ضرب الأمثلة الكثيرة على فضل العرب والمسلمين ولم يقتصر علماء الغرب المنصفون على الإشادة بفضل الإنسان العربي على المدنية، بل راحوا يألمون لانتصار شارل مارتل على عبد الرحمن الغافقي في معركة بواتيه في فرنسا.

يقول كلودفارير في المقدمة التي كتبها للترجمة الفرنسية من رواية العباسة أخت الرشيد تأليف جورجي زيدان: «أصيبت الإنسانية والعالم الغربي عام ٧٣٢ بكارثة عظمى لم تصب بمثلها في القرون الوسطى، وبقي أثرها ظاهراً في العالم مدة سبعة قرون أو ثمانية قرون، إن لم يكن أكثر من ذلك لأن روح التجدد كانت يومئذ قد بدت للعيان، حتى وقعت تلك الكارثة، فكان من نتائجها تأخر سير الحضارة، ورجوع العالم إلى الوراء، هذه الكارثة هي الانتصار المؤلم الذي أحرزه وحوش «الكاركا» من جيوش الإفرنج، التي كان يقودها «شارل مارتل» سليل الكارلنجيين، محارباً بها كتائب العرب التي لم يحسن عبد الرحمن جمعها وحشدها بالمقدار الكافي، فكان ذلك سبب خذلانها وتقهقرها.

(في ذلك اليوم المظلم تقهقرت الحضارة إلى الوراء ثمانية قرون).

● ظهور الإسلام خاتمة العصور القديمة

لم يقتصر الغربيون على الإشادة بفضل الإسلام على المدنية، بل راح الأستاذ «بيرون» يعلن في المؤتمر الدولي للعلوم التأريخية الذي عقد بمدينة «أوسلو» عاصمة النرويج في ١٤ آب ١٩٢٩ دعوته التي أعلنها في المؤتمر الخامس الدولي، إلى اعتبار ظهور الإسلام هو خاتمة العصور القديمة، وبداية إيقاظ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإنسانية في أول عصورها المتوسطة حيث بدأت أوروبا الغربية تكون مدنية جديدة وحياة جديدة، يجب معها اعتبار هذا الحادث العظيم هو بداية الوسيط[١].

● مبادئ قوية

وقد كان الإنسان العربي في ظلال الإسلام إيجابياً يؤمن بالقدر كقوة للاندفاع والنضال والعمل، فلا يخشى أحداً إلا الله، ويثور على التواكل وينكر الجبر، ويعتقد أنه مسؤول وحر، كما يعتقد أن الله سخر له ما في السماوات والأرض إذا هو قام بدوره بحق.

أصغى هذا الإنسان إلى النداء الإلهي، ومثل دوره في ميدان الجهاد والحضارة أعظم تمثيل، فدخل التاريخ بدور بطولي وقيادي وتبوأ سدرة المجد، والفخار والسؤدد.

● صورة الإنسان العربي المسلم

وقد أحببت بمناسبة الكلام على الإنسان العربي المسلم أن أنقل صورة رائعة من ألوف صوره التي تمثل مبلغ قوة شخصيته وشجاعته، واحتقاره للمظاهر الجوفاء، ومبلغ فهمه لمبادئ الإسلام.

أرسل سعد بن أبي وقاص قبل معركة القادسية «ربعي بن عامر» رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم، فدخل عليه، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحريرية، وأظهروا اليواقيت واللآلئ الثمينة العظيمة، وكان على رستم تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، ليدهش الرسول وينقل أخبار عظمته إلى المسلمين ليهابوه.

ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس

---

(١) ومما يؤسف له أن جميع مؤرخينا ومؤلفينا بحكم فقدان الشخصية العربية وبحكم التقليد الأعمى للمؤرخين الغربيين المتعصبين لا يزالون يعتبرون انقسام الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية يتطرقون إلى ظهور الإسلام كأعظم حادثة تافهة ولا يتطرقون إلى ظهور الإسلام كأعظم حادثة تاريخية في العالم كما ينادي المؤرخ الغربي نفسه! فيا لقلة الوعي وضعف الشخصية!! «الوعي الإسلامي».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته فوق رأسه.

فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها.

فقال له رستم: ما جاء بكم؟

فقال ربعي: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.. ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

ثم خرج ربعي وقد ملأ قلب قائد الفرس وجنده هلعاً ورعباً، بقوته المعنوية التي غرسها فيه الإسلام.

راحت العصور تمر، ونجم الإنسان العربي يتألق، وجيوشه تهزم الأعداء في كل المعارك، وأساطيله تشق عباب البحر، وتستولي على الممالك، ومدنيته تعم الخافقين.

● **مؤامرات الشعوبية**

وعلى حين غفلة، استيقظت الشعوبية الغادرة اللئيمة، وقد ساءها مجد هذا الإنسان العربي الذي ملأ الدنيا، وشغل الناس، وقضى على ملكها وجبروتها، فأكل الحسد والحقد قلبها فراحت تنسج الخطط، وتدبر المؤامرات، وتحيك الدسائس على توالي السنين، لم تمل، ولم تهدأ، فعمدت إلى مصدر هذا المجد، فعكرت نبع الإسلام الصافي، وأثارت الفتن، وحولت تياره القوي نحو الداخل، بعدما قهر إمبراطوريتين من أعظم إمبراطوريات التاريخ.

● **تخدير المارد**

ولم تكتف هذه الشعوبية بكل ذلك، بل أخذت تسعى لتخدير المارد العربي بسموم الأوهام والبدع والخرافات وغيرها من المبادئ الوثنية المميتة، وزهدته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالعلم والجهاد، ورغبته بالخلوات المظلمة، والتشرد بالبراري والقفار، وأنشأت له الزوايا والتكايا بدلاً من حلقات المعرفة والدراسة، ليخلد إلى الكسل والبطالة والفسق، وزينت له عقيدة الجبر والخضوع ليستسلم للأحداث، وصرفته عن عبادة الله وحده مصدر قوته وعظمته، إلى عبادة الأنبياء والأولياء، فراح هذا الإنسان العربي يرتمي على عتباتهم، ويتمسح بتراثهم، ويقدم لهم النذور والقرابين مستعيناً بهم في الملمات، وفي قضاء الحوائج، وقلبه يرتجف خوفاً وجزعاً منهم.

هذا في ميدان العقيدة، أما في ميدان العبادات، فقد زينت هذه الشعوبية لهذا الإنسان العربي التعصب المذهبي والتقليد الأعمى، مما قضى على البقية الباقية من تفكيره وشخصيته، فاتخذ شيوخه وأئمته أرباباً من دون الله، يحللون له ويحرمون، فبعد عن الإسلام وعن الله، وهو يحسب أنه لا يزال يعبده.

وكان من نتيجة بعده عن كتاب ربه وسنة نبيه، انقسامه على فرق وشيع يقاتل بعضها بعضاً، وهذا جزاء من يترك النور الهادي والصراط المستقيم ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٣ - ١٢٤).

● حملات الصليبيين والتتار

وبعد تخدير الشعوبية للإنسان العربي، عمدت إلى تأليب الصليبية والتتار عليه وعلى بلاده، فجاسوا خلال الديار وأعملوا القتل والذبح في صفوفه، وهدموا مدنيته وألقوا تراثه الفكري والعلمي في اليم.

فاستفاق إنساننا العربي على هذه الضربات الشديدة يستحث الخطا ويثير العزائم، فاستطاع طرد هذه الزحوف الأجنبية حقبة من الزمن، ولكنه ما لبث أن عاد إلى غفوته بتأثير أفيون الشعوبية، فعاش بعيداً عن مثله العليا الإسلامية، زاهداً في الحياة مستسلماً للأحداث، غارقاً في الأوهام، يوجه- حتى في المساجد وفي دروس الوعظ والإرشاد- توجيهاً بليداً ومخدراً، وما زال على هذه الحال حتى فاجأه الغرب في العصور الحديثة بقواه المادية، فتقهقر أمام حملات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المستعمرين ودسائس المستشرقين الذين زينوا له الإلحاد وحببوا إليه الإباحية، ورغبوه بترك تراثه وتقليد الغرب في تقاليده، فسقط صريعاً وانطمرت شخصيته تحت ركام المؤامرات، وخدعوه وأوهموه أن إسلامه هو الذي كان سبب نومه وانحطاطه، كل ذلك ليزهدوه بهذا الدين العظيم الذي حول في القديم طاقاته وخاماته إلى قوى جبارة قيادية، فتحت الدنيا، ومدنت العالم.

● على مفترق الطرق

إن الإنسان العربي اليوم على مفترق الطرق. فإما أن يختار طريق المستعمرين والمستشرقين، فيصغي إلى دسائسهم عن الإسلام، فيضيع شخصيته، ويدفن تراثه؛ ويفقد ذاته، ويضيع في متاهات الغرب، كما يضيع الجدول في رمال الصحراء، بل يشقى إلى الأبد كما يشقى الغرب نفسه اليوم بسبب أنظمته الوضعية التي تقوده إلى الهلاك وإلى انهيار الحضارة كما تنبأ بذلك كثير من فلاسفته.

وقد جرب هذا الإنسان العربي بذاته هذا الطريق، فغدا ألعوبة بين هذا وذاك، وفقد كثيراً من أجزاء بلاده، وغدا مهدداً بضياع الأجزاء الأخرى.

وإما أن يستيقظ، ويفهم إسلامه فهما جديداً، كما فهمه أسلافه المجاهدون، ويعمل حسب منهاجه، ولا يرضى بديلاً من التشريعات والأنظمة الوضعية مهما قويت الدعاية لها، وينطلق من قيوده، غير مصغ لدسائس الشعوبيين والمستعمرين والمستشرقين.

وبذلك يعيد سيرته الأولى كقوة مستقلة، ومعسكر لا شرقي ولا غربي، فيقود قافلة الإنسانية كما قادها من قبل، وينقذ الحضارة من السقوط والانهيار.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التعليم الجامعي

العدد (٣٤) شوال (١٣٨٧هـ) - يناير (١٩٦٨).

في رسالة من الكاتب الكبير والمؤلف الإسلامي المعروف الأستاذ محمود مهدي استانبولي وجهها إلى السادة مديري الجامعات العربية وأساتذتها من أجل تجديد الإرادات وشحذ الهمم والسير في دروب الإصلاح الصحيح لإنشاء جيل جديد يتحمل التبعات وإعادة المجد الضائع. وقد صدر هذه الرسالة بقوله: إن التعليم الجامعي في الحالة الراهنة لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور القيادي والعمل المصيري. ما لم نحدث انقلاباً جذرياً في مناهج الجامعة وأساليبها وامتحاناتها. وما لم نعد إلى ذاكرتنا أهداف هذا التعليم بصورة واضحة.

وتناولت الرسالة بشيء من التفصيل أهداف التعليم الجامعي الذي ينشد إعداد صفوة من الشباب الطموح الوثاب لقيادة أمتهم في الميادين المادية والروحية وهذا لا يتم إلا بتعليم يقوي في الطلبة الشعور بالتبعية، ويدفعهم إلى الحرية في البحث والاستقلال في الرأي. يتعرفون على مشكلات أمتهم ووطنهم، ويساهمون في وضع الحلول لها بإبداع ودراسة وتخطيط. . كل ذلك بموضوعية وشمول خاليين عن التعصب والهوى، وبروح جامعية بعيدة عن السطحية والغرور.

وتطالب الرسالة بأن تعمل الجامعات على تشجيع البحث العلمي والعمل على تقدم المعارف الإنسانية والكشوف العلمية. وتصنيع التعليم في مختلف درجاته وخاصة التعليم الجامعي، كما تركز الرسالة على ضرورة السمو بالقيم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الروحية لدى الطالب الجامعي.

ويستثير الواقعُ المؤلمُ الذي تعيش فيه الأمة العربية صاحبَ الرسالة، فيقول في خاتمتها: آمل أن توقظ هذه النكسة النائم. وتنبه الوسنان، وتشحذ الهمم شأن الأمم الحية التي تحيي النكسات نفوسها. وتثير عزائمها. وقد قال أحد الكتاب: لا شيء يجعلنا عظماء كالألم.

لنذكر الأعداء والأحزاب من يهود وكفرة الذين أحاطوا بالعروبة المسلمة من الداخل والخارج في غزوة الخندق فاستعدت وصبرت حتى تم لها النصر..

لنذكر هذه العروبة في غزوة أحد يوم انقض عليها الأعداء من أعلاها وأسفل منها، فأصيبت بنكسة رهيبة، فجمعت شملها، وشحذت إراداتها، وجددت عزيمتها فعاد لها النصر.

لنذكر الوقفة البطولية للإمام ابن تيمية يوم أنقذ الشام من غزوة التتار بإيقاظه للنفوس اليائسة حتى تحقق النصر.

لنذكر في العصر الحديث ما أصاب فرنسا في أول الحرب العالمية الثانية.

وما أصاب ألمانيا واليابان في نهايتها من نكسات قاصمة حتى ظن الكثيرون أنه لن تقوم لهذه الدول قائمة ولكن سرعان ما غالبت الصعاب، وصارعت النكبات، وسخرت بالمصائب، وقدمت التضحيات حتى أعادت قوتها، واسترجعت مكانتها بين الدول الكبرى.

إن حياتنا في سباق بين العلم والجهل.. بين الجهل والعلم.. بين التخطيط والتخليط.. بين المنهج والغرض.. بين المجد والدمار.

نرى أن يكون لنا تربية قوية وتعليم صحيح، يجعلاننا نسخر من النكبة، ونضحك للنكبة، ونبعث أمتنا من جديد.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشخصية الإسلامية في معركة إثبات الذات

العدد (٤٢) جمادى الثانية (١٣٨٨هـ) - اغسطس (١٩٦٨م).

لقد حرص الإسلام- هذا الدين الواعي- حرصاً عظيماً على توطيد دعائم الشخصية الإسلامية لتبقى متميزة عن غيرها بمعالمها الواضحة كالشمس بين الكواكب. صوناً لبقاء الأمة الإسلامية وحمايتها من الانحلال، فإنه ليس أسرع لضياع الأمة -أية أمة- من فقدان شخصيتها وذوبانها في تقاليد أمة أخرى وعاداتها.

لذا نجد المستعمرين يسارعون- أول ما يسارعون- إلى فرض عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم على الشعوب المستعمرة بمختلف الأساليب والوسائل، من أجل ضياعها وتلاشيها، وذهاب ريحها، ومن ثم اعتناق دين هؤلاء المستعمرين والميل إليهم لتعيش هذه الشعوب على مائدتهم، وتصبح خدماً لهم، كما حدث لزنوج أمريكا الذين يحبون اليوم عيشة الذل والاسترقاق، على الرغم من تشبههم بالغربيين، وتقليدهم لهم في كل شيء.

إن الغربيين ينظرون إلى غيرهم- ولو اعتنقوا دينهم- على أنهم برابرة وفقاً للمبدأ الروماني الذي قسم العالم قسمين: (غربيين وبرابرة).

وينبغي أن يتأكد المسلمون أن الغربيين لا يزالون يحملون نفوس الرومان وشراستهم وهمجيتهم، وإن تقدموا، وتقدمت بهم العصور، إنما يتميزون عليهم بأنهم يحاربون بالقذائف والصواريخ، بدلاً من الرماح والحراب، فهم لذلك أكثر إجراماً، وأشد فتكاً من جدودهم الأقدمين، وقد رأينا جرائمهم في سورية وفلسطين والجزائر وعمان وليبيا وغيرها من البلدان الإسلامية.

وعلى الرغم من بغض الغربيين للمسلمين كشرقيين، فهم يرغبون في تنصيرهم - والعياذ بالله- من أجل تحطيم معاقل الدفاع في نفوسهم، لما يعلمون من قوة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلام في نفوس أتباعه، وقد أدركوا ذلك في فتوحات المسلمين لبلاد الشام وفارس، وقضائهم على إمبراطوريتين من أعظم إمبراطوريات العالم القديم، وجربوه في حروبهم الاستعمارية في شمال إفريقية، وفي الشرق الأوسط، لذلك فهم يرغبون في تخلي المسلمين عن دينهم، وقد خصصوا من أجل ذلك جميع وسائل الإعلام، من كتب ومجلات وإذاعات وأفلام، وحشدوا جميع قواهم المادية والمعنوية من أجل تحقيق ذلك في أضخم غزو ثقافي وعسكري عرفه العالم.

لقد أعلن الإسلام حرباً لا هوادة فيها على تقليد المسلمين لغيرهم وأعلن أن «من تشبه بقوم فهو منهم» وفي هذا من التهديد ما فيه، وقد كان حرص هذا الدين العظيم على تمييز الشخصية المسلمة على غيرها من أول يوم مدعاة دهشة أعدائه حتى راح اليهود يقولون في عصر النبي ﷺ: «ما يريد محمد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه».

ومما يؤسف له، ويبعث في النفس الأسى والألم أن نجد المسلمين اليوم - أغلب المسلمين- على الرغم من جميع التوجيهات الإسلامية في التحذير من التشبه بغيرهم قد عم بينهم داء التشبه بهم في جميع مرافق حياتهم، حتى بات من المتعذر التمييز بينهم وبين الأجانب في عاداتهم وتقاليدهم، وغدوا تبعاً للغرب في كل ما يأتي به، حتى ولو كان فيه ضياع الأخلاق وانحلال الذات ومحاربة اقتصاديات الوطن الإسلامي.. وهم لا يعبأون بكل ذلك، ظانين أن هذا الأمر بسيط لا خطر فيه ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥).

وأسوق فيما يلي بعض الآيات والأحاديث في النهي عن التشبه بالكفرة والتحذير من تقاليدهم.

● **جاء في القرآن العظيم**

* ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ - الخطاب لموسى وهارون - ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٩).

* وقال موسى لأخيه هارون: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

* ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ (النساء: ١١٥).
* ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ - أي أهواء الكفار- ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٤٩).
* ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ (البقرة: ١٢٠).
* ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ (الجاثية: ١٨).

أما الأحاديث فهي قول الرسول ﷺ:

* «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب؟ قال: فهل الناس إلا هم؟
* «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا في خفافهم».
* «إياكم ولبوس الرهبان، فإنه من تزيا بزيهم أو تشبه فليس مني».
* «. . . ومن تشبه بقوم فهو منهم».

ومما ينبغي التنبه إليه بهذه المناسبة أن التهافت على تقاليد الغربيين أو التشبه بهم في عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم قد بلغ أشده في زماننا ظناً منا بأن ذلك يلحقنا بركابهم ويجعلنا مثلهم ويجلب لنا احترامهم وهذا ظن خاطئ[1]، فإن تقليدهم والتشبه بهم في هذه العادات والتقاليد لا يزيدهم إلا احتقاراً لنا، بسبب

---

(١) قال الدكتور طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر (ج١ص٤٥) لا . . لكن السبيل إلى ذلك ليست في الكلام يرسل إرسالاً، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة، وإنما هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء- وهي واحدة فذة ليس لها تعدد وهي: أن نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها (كذا) حلوها ومرها، وما يحب منها ويكره، وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخادع!!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقدان شخصيتنا وتلاشيها أمامهم، شأننا شأن القردة التي تضحك منها الناس نتيجة تقليدها لهم!

وكذلك هذا التقليد، وهذا التشبه لا يجعلاننا أقوياء أيضاً، لأن القوة بالعلم الصحيح، والاستعداد المادي العظيم والصناعة المهنية والعسكرية، وكل ذلك تراث إنساني مشترك من واجبنا اقتباسه وإلا كنا متأخرين وضعفاء في الدنيا وآثمين عند الله يوم القيامة.

ولنعلم أن الغربيين لا يحترمون ولا يهابون إلا القوي بصرف النظر عن عاداته وتقاليده.

ومما يؤسف له أن هذه الحضارة الغربية المادية التي بهرت أنظار الكثيرين وخدعت عقولهم، حتى راحوا يطالبوننا في الارتماء بين أحضانها، والأخذ بخيرها وشرها تحمل في طياتها جراثيم الانهيار والسقوط كما تنبأ لها علماء الغرب أنفسهم بسبب انهماكها باللذات وانصرافها إلى المادة، وتخليها عن القضايا الدينية والقيم الروحية.

ولنستمع الآن إلى شهادات الفلاسفة والمؤرخين المعاصرين في هذه الحضارة التي زهدت الكثيرين من المسلمين المغفلين في إسلامهم نتيجة مختلف أنواع الدعاية والإعلام حتى ظنوها المثل الأعلى الذي ليس بعده مطمع لطامع.

- **جاء في كتاب «فلسفة الحضارة»**

«الخاصة المروعة في حضارتنا هي أن تقدمها المادي أكبر بكثير من تقدمها الروحي، لقد اختل توازنها، فالاكتشافات التي جعلت قوى الطبيعة تحت تصرفنا على نحو لم يسبق له مثيل، قد أحدثت ثورة في العلاقات بين الأفراد بعضهم مع بعض، وبين الجماعات، وكذلك بين الدول، فأثرت معارفنا، وازدادت قواتنا إلى حد لم يكن في وسع أحد أن يتخيله، وبهذا أصبحت أحوال الناس المعيشية أفضل من عدة نواح، لكن حماستنا للتقدم والمعرفة وأسباب القوة التي بلغناها، تصور الحضارة تصوراً ناقصاً معيباً، فإننا نغالي في تقدير إنجازاتنا المادية ولا نقدر أهمية العنصر الروحي في الحياة حق قدره.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن الحقائق بدأت تدعونا إلى التفكير، إنها تقول بلسان حاد: إن الحضارة التي تنمو فيها النواحي المادية، دون أن يواكب ذلك نمو متكافئ في ميدان الروح، هي أشبه ما تكون بسفينة اختلت قيادتها، ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة التي ستقضى عليها».

وقال «أرنولد تونبي» المؤرخ الحضاري المعاصر في كتابيه: «الحضارة والغرب» و«الحضارة في محنة».

«إن الحضارة الغربية تمر الآن في طور من التدهور والانحلال الذي مرت به الإمبراطورية الرومانية من قبل، من أجل ذلك كانت فنون الصناعة والاقتصاد وغيرهما من المعارف علوماً غير كافية لتوفير أسباب الاستقرار والسعادة للمجتمع الإنساني، وكانت الروابط الروحية والخلقية والفكرية هي العمد التي يقوم عليها صرح المجتمع ويتماسك بها بناؤه».

وقد عبر العالم النفساني «قلدوكال» عن ضلال الحضارة الحديثة وخلوها من الهدف بقوله: «إن سيرنا أشبه بسير طائرة تقطع محيطاً عظيماً بسرعة فائقة، ومع أن ملاحيها لا يعلمون أين هم؟ ولا إلى أين يتجهون، فإنهم يستمرون في السير، جادين في استخدام آلاتهم، ومؤملين أن ذلك سوف يؤدي بكيفية ما إلى نتيجة ما»[(١)]. وهيهات هيهات فإن السقوط محتم.

ومع هذه الحقائق نرى أكثر زعماء العالم الإسلامي وقادته، لا يزالون يبذلون الجهود الجبارة والأموال الطائلة بقصد السير في طريق الغرب مما كان له أعظم الأثر في انحطاط المسلمين وشقائهم.

وكان الجدير بهؤلاء القادة والزعماء للعالم الإسلامي، وهم حملة أعظم تراث إسلامي وذخر حضاري، ونظام سماوي أن يقودوا قافلة البشرية الضالة نحو المدنية الصحيحة بدل أن يكونوا مقلدين لغيرهم من السائرين في طريق الضلال والهلاك.

وما أروع ما قاله المستشرق لويس ماسينيون:

---

(١) نقلاً عن كتاب «اتجاهات في التربية الحديثة» للأستاذ محمد فؤاد جلال (ص٢٦).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«ومن حق العرب علينا نحو ضيوفهم، والوافدين عليهم من مثلي أنا والأستاذ فانتاجو، أن نرفع الصوت عالياً طالبين إليهم المقاومة، أن يقاتلوا هذه الدعاية المذلة التي تقترح عليهم التنازل عن شرفهم وتراثهم، والاستسلام أمام القوة الغربية ورؤوس الأموال المصرفية التي تطلب إليهم الانسجام في طريقة تفكيرهم وعملهم مع هذه الحضارة الكاذبة، حضارة الإنسان الآلي التي لم تعد تؤمن بنفسها أو بالذات الإلهية، وتصبو إلى إخضاع العالم إلى نظامية ثقافية أمريكية بلهاء. إن هذا الإنتاج الصناعي المغشوش سيسقط سريعاً وشيكاً. ليصمد العرب فالعالم بحاجة إليهم»[1].

ويطيب لي بعد هذا أن أضع أمام القارئ بعض الحقائق التي يقررها هذا الرجل الذي أسلم وفقه الإسلام مع فقهه بالحياة.

يقول الأستاذ محمد أسد[2]:

إن السطحيين من الناس فقط ليستطيعون أن يعتقدوا أنه من الممكن تقليد مدنية ما في مظاهرها الخارجية من غير أن يتأثروا في الوقت نفسه بروحها، إن المدنية ليست شكلاً أجوف فقط، ولكنها نشاط حي، وفي اللحظة التي نبدأ فيها بتقبل شكلها، تأخذ مجاريها الأساسية ومؤثراتها الفعالة تعمل فينا، ثم تخلع على اتجاهنا العقلي كله شكلاً معيناً، ولكن ببطء، ومن غير أن نلحظ ذلك.

ولقد قدر الرسول ﷺ هذا الاختيار حق قدره حينما قال: «من تشبه بقوم فهو منهم». وهذا الحديث المشهور ليس إيماءة أدبية فحسب، بل هو تعبير إيجابي يدل على أن لا مفر من أن يصطبغ المسلمون بالمدنية التي يقلدونها...

إن الميل إلى تقليد التمدين الأجنبي نتيجة الشعور بالنقص- هذا، ولا شيء سواه، ما يصاب به المسلمون الذين يقلدون المدنية الغربية.

وكيما يستطيع المسلم إحياء الإسلام يجب أن يعيش عالي الرأس، يجب عليه أن يتحقق أنه متميز، وأنه مختلف عن سائر الناس، وأن يكون عظيم الفخر لأنه

---

(١) نقلاً عن كتاب «المعجزة العربية» لماكس فانتاجو (ص٥).

(٢) في كتابه «الإسلام على مفترق الطرق» ص (٨١-٨٦).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كذلك، ويجب عليه أن يكد ليحتفظ بهذا الفارق على أنه صفة غالية، وأن يعلن هذا الفارق على الناس بشجاعة بدلاً من أن يعتذر عنه بينما هو يحاول أن يذوب في مناطق ثقافية أخرى. على أن هذا لا يعني أن المسلمين يجب أن يصموا آذانهم عن كل صوت يأتي من الخارج، فإن أحدنا يستطيع أن يتقبل مؤثرات إيجابية جديدة من مدنية أجنبية ما، من غير أن يهدم مدنيته ضرورة، والنهضة الأوروبية أحسن مثل في هذا الباب، فقد رأينا كيف أن أوروبا تقبلت المؤثرات العربية فيما يتعلق بالعلم وأساليبه عن طيب خاطر، ولكنها لم تقبل المظهر الخارجي ولا روح الثقافة العربية قط.. الخ.

ثم يقول: وفي هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة والتيارات الثقافية المتعارضة لا يستطيع الإسلام أن يظل شكلاً أجوف. لقد انقضى نومه السحري الذي دام أجيالاً، فيجب أن ينهض أو يموت. إن المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل إلى مفترق الطرق، إنه يستطيع أن يظل واقفاً مكانه، ولكن معنى هذا أنه سيموت جوعاً، وهو يستطيع أن يختار الطريق التي تحمل فوقها هذا العنوان: «نحو المدنية الغربية» ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد، أو أنه يستطيع أن يختار الطريق التي كتب عليها «إلى حقيقة الإسلام» إن هذه الطريق وحدها هي التي تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم، وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حي.

أجل ينبغي أن يختار المسلمون من جديد الطريق التي كتب عليها «إلى حقيقة الإسلام». فليس طريق سواها تضمن لهم عزتهم ومجدهم، وقد جربوه في الماضي، فوحد كلمتهم وجعلهم سادة الدنيا وأساتذة العالم، وجربوا غيره فضلوا وشقوا وباءوا بالخزي والعار.

***

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في رحاب الأماكن المقدسة

العدد (٦٠) ذو الحجة (١٣٨٩هـ) - فبراير (١٩٧٠م).

تحدث الكثير من الكتاب والأدباء عن عظمة الجيل المثالي الذي أنشأه سيدنا محمد رسول الله ﷺ لأول مرة في تاريخ الإنسانية، فكان مثار الإعجاب والدهشة بعبقريته وبطولته وحسن سيرته، حتى من الغربيين أنفسهم، فراحوا يطلقون على هذا الانقلاب الفكري التربوي اسم «المعجزة العربية».

وقد كان إعداد هذا الجيل حلم الفلاسفة من أيام أفلاطون «٤٣٠ - ٣٤٨) ق.م في كتابه «الجمهورية»، والفارابي (٢٦٠- ٣٣٩)هـ في كتاب «المدينة الفاضلة» إلى عصر توماس مور (١٤٧٨- ١٥٣٥) في كتابه «يوثوبيا».

ولم يكن فضل رسولنا العظيم ليقتصر على سبق هؤلاء الفلاسفة في تحقيق هذا الحلم فحسب، بل إنه رسم المخططات والمناهج التربوية الرائعة، بوحي من ربه سبحانه، حتى جعل من أمته: ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ ففتحت الدنيا ومدنت العالم، وأنقذت الإنسانية من الظلمات إلى النور، بينما ضل هؤلاء الفلاسفة ضلالاً بعيداً في رسم هذه المخططات والمناهج، ولا يزال هذا الضلال إلى يومنا هذا، حيث يعاني الجيل- وخاصة في الغرب- أزمات رهيبة حتى بات يهدد الأمن والسلام بسبب ما يشعرون به من قلق وفراغ نتيجة حرمانه من الدين الصحيح.

وما أشد حاجة المسلمين، بل البشرية جمعاء، وخاصة في هذا العصر المضطرب الذي فشل فيه المربون فشلاً ذريعاً في ميادين التربية، إلى دراسة قواعد الإسلام وأساليبه في إعداد الجيل المثالي الذي لم يعرف له التاريخ مثيلاً في عظمته وسماحته وطموحه وحسن سيرته.. وأنا لا أذيع سراً إذا قلت: إنني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اكتشفت أنموذجاً لهذا الجيل المثالي يمثل دوره على مسرح الإنسانية مرة في كل عام في البقعة المباركة من الحجاز خلال موسم الحج .

هناك في موطن النور الذي أشرق منه الإسلام نجد الألوف المؤلفة والجماهير المحتشدة من الحجيج يعطوننا صورة مصغرة للجيل الإسلامي الذي رباه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لتكون حجة على الناس إلى يوم القيامة على عظمة الإسلام وسمو مبادئه.

فنشاهد المسلمين: أبيضهم وأسودهم وأحمرهم وأصفرهم يجتمعون على صعيد واحد، قد زالت بينهم الفوارق وانمحت الحدود، ووحد بينهم الإسلام، حتى كأنهم أعضاء أسرة واحدة، بل أعضاء جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

فالتعاطف بينهم يبلغ أشده والمحبة أوجها، حتى لترى الدموع تنهمر عند اللقاء. فأين هذه الأخوة من التمييز العنصري الذي نرى فواجعه وويلاته في الغرب حتى في القرن العشرين؟!

وهذا السلام- وما أشد حاجة الإنسانية إليه- يعم تلك البقعة المقدسة، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال . . حتى لنرى الطير يأمن الإنسان فيحلق فوق رأسه، وربما شاركه طعامه وشرابه!

والأمانة تصل إلى ذروتها، مما ليس له مثيل في جميع بقاع العالم، فنرى الحجاج يتركون أموالهم وأمتعتهم دون حراسة كأنهم في بيوتهم، وإذا عثر أحدهم على لقطة مهما كانت ثمينة فرح بإيصالها إلى صاحبها كما يفرح لو عادت إليه بعد ضياعها .

والبذل للفقراء يعيد سيرته الأولى يوم كان الغني يحمل صدقات أمواله من مكان إلى آخر باحثاً عن فقير يأخذها منه، ولا غرابة في ذلك، فالحاج قد ضرب أروع الأمثلة في التضحية بتركه ماله ووطنه وأهله وعمله إجابة لنداء ربه : ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ (الحج : ٢٧ -٢٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولو أن المسلمين أفادوا من فريضة الحج «منافع» سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية... كما تشير الآية السابقة وتؤكد، لكان لهم شأن: أي شأن ولخشيهم الأعداء، وما تجاسروا على الاعتداء عليهم.

وفي الحج يعود المسلم إلى حياة البساطة، فيقنع بأقل العيش وأسهل الشراب وأبسط الفراش، وقد يفترش الأرض ويلتحف السماء متجنباً الكماليات، ويألف الخشونة، ويترك النعومة والرفاهية، وهي من أسوأ الأمور في سلوك المسلم، لما تؤدي إليه من رخاوة الجسم وترهله، ومن استسلام النفس للراحة والنفور من الجهاد! لذا كان من أهم وصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «إياك والتنعم! فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين».

حتى الموت، فإنه في الحج تعود إليه بساطته وفطرته التي رسمها له الإسلام، فيغسل الميت ويصلى عليه ويدفن في جو كله خشوع وتواضع، فلا أذان مبتدع، ولا نخيل[1] ولا آس، ولا قراءة قرآن على الميت، ولا على قبره. فإن كتاب الله جاء للأحياء لا للأموات!

إن المسلمين في الحج يقومون بدورة تدريبية، لاعتياد حياة الخشونة والقسوة، وترك التنعم، فيذكروننا بقوله عليه الصلاة والسلام، وقد أثر الحصير على جنبه، وطلب منه أن يلان له الفراش: «مالي وللدنيا! ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

وقد كان لهذه التربية القوية الفضل الكبير في الفتح المبين يوم قضى المسلمون على الرغم من قلتهم وقلة اعتدتهم، على إمبراطوريتي الروم والفرس.

وذكر التاريخ أن القائد سعد بن أبي وقاص أرسل قبل معركة القادسية: «ربعي

---

(١) صحيح أنه ورد عن الرسول ﷺ أنه وضع جريد النخيل على قبرين، ولكن ذلك كان خصوصية له بدليل قوله- كما في صحيح مسلم: «لعل بشفاعتي يخفف عنهما». ولم يفعل ذلك سوى مرة أو مرتين، كما لم يفعله أصحابه رضوان الله عليهم، فكم أضاع ويضيع المسلمون الأموال الكثيرة على مثل هذه البدع. والسنة في زيارة القبور تكون بالسلام على أصحابها والدعاء لهم مع استقبال القبلة، لا استقبال القبر في الدعاء!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بن عامر» رسولاً إلى رستم قائد الفرس وأميرهم، فدخل عليه، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحريرية، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، وعليه تاجه، وقد جلس على سرير من ذهب.

ودخل «ربعي» بثياب صفيقة وترس بسيط وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك! فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا، وإلا رجعت! فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، ثم نزعها وجلس على الأرض، ولما سئل عن السبب قال: نهينا عن الجلوس على الحرير!!..

ولو رأيت الحاج في فصل الصيف، وقد سلطت عليه الشمس أشعتها في منطقة الحجاز الحارة، وهو يحمل أمتعته الثقيلة ويتصبب عرقاً، ويصعد السلالم ويسير المسافات، تنفيذاً لأوامر ربه.. لأعاد إلى ذاكرتك المسلم الأول، لما كان يقطع الفيافي والقفار مشياً على الأقدام، ليس له من العدة المادية سوى سيفه ورمحه. أما عدته المعنوية، فكانت في القمة: إيمان قوي بالله تعالى، وتضحية في سبيله، وحب للموت وشوق إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض.

وما ألفت أمة حياة النعومة والرفاهية إلا ذهبت قوتها حيث تصبح عرضة لهجوم الأعداء والاستسلام لهم.

وفي هذا العالم الذي أصبح فيه البشر- أكثر البشر- لصوص الأعراض وعبيد الشهوة، نرى الحاج يغض البصر، كأن النساء المسلمات أخواته وبناته، ونرى المرأة تغض البصر أيضاً، وتترك التبرج وترتدي لباس الحشمة، وتحمل الأثقال من أمتعة الحج، كأنها في ميدان الجهاد، فتذكرنا بالمرأة المسلمة الأولى يوم كانت عضواً عاملاً في بناء النهضة الإسلامية.

ويعطي موسم الحج إلى الحاج أسمى أنواع المراقبة لله تعالى، فهو يتذكر في رحلته البسيطة إلى الحج، رحلته الكبرى يوم يرحل فيها إلى ربه، ويؤكد عليها يوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يمتطي سيارته أو باخرته أو طائرته بالدعاء المأثور: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون».

وهذه المراقبة وهذه التذكرة للرحلة إلى الله من أسمى العوامل في الكف عن المعاصي والاستزادة من الأعمال الصالحات وتكوين الجيل المثالي، لذا نرى الحاج أكثر الناس خشية ومراقبة.

ومما يزيد هذا الحجيج اندفاعاً نحو تحقيق الجيل المثالي - ولو خلال موسم الحج - أنه يعيش خلال قيامه بهذه الفريضة في أرض الذكريات والتضحيات والبطولات والعظمات.

وكفى بها دروساً وعبرا..

أما بعد، فإن الكعبة بمثابة القلب لدنيا الإسلام، يبعث في المسلمين دماً جديداً: نقياً وقوياً! فليت الحجاج يتعهدون أنفسهم بعد رجوعهم من الحج! ليزدادوا صلاحاً، فلا يجرفهم التيار العام المنحرف، فيكونون على الدوام نواة للجيل المثالي بعدما ملأوا قلوبهم في الحج كما تملأ المولدات الكهربائية لتضيء على الناس وتبدد الظلمات المخيمة على العالم.



نظرية الإعدام بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

العدد (٩٢) شعبان (١٣٩٢هـ) - سبتمبر (١٩٧٢م).

تشغل قضية إعدام قاتل العمد علماء القانون والاجتماع، نظراً لخطورتها وقد انقسموا إلى فريقين متنازعين: فريق يقول بإعدامه، وفريق يقول بمنع هذا الإعدام.

وقد تركوا البشرية في حيرة واضطراب، لأنهم هم أنفسهم في حيرة واضطراب، لأن البشرية أعجز من أن يضعوا القوانين، وإنما يضعها خالقهم، كما وضع القوانين المادية الطبيعية. وسيبقى البشر في شقاء من مخالفة القوانين الإلهية كما هم يشقون إذا تركوا القوانين الطبيعية، فلا بد لهم من الخضوع لها حتى يتسنى لهم البقاء والرقي.

وقد أدلى كل من هذين الفريقين بحجج وأدلة نذكرها فيما يلي ثم نعقبها بحكم الشريعة الإسلامية في هذا الموضوع الخطير.

● أنصار نظرية إلغاء الإعدام

إن الذين يقولون بعدم الشرعية يحتجون بأن ليس من حق الهيئة الاجتماعية أن تزهق روح إنسان وهبه الله الحياة ولله وحده الحق أن يأخذها. واحتجوا أيضاً بأن عقوبة الإعدام هي عقوبة خطرة لأن الضرر الذي ينتج عنها غير ممكن تلافيه إذا ما نفذت في المحكوم عليه ثم بعد ذلك ثبت خطأ القاضي وظهرت براءته كما حدث فعلاً في كثير من القضايا، فمن يسترد عندئذ حياة البريء.

لاسيما وأن قناعة القضاة هي نسبية واختلاف الرأي بين قضاة الدرجات المختلفة شائع بكثرة. وقالوا أيضاً بأن هذه العقوبة جائرة ولا تتناسب مع الجريمة مهما كانت فظيعة. فضلاً عن أنها بشعة تشمئز منها النفوس. وقالوا كذلك بأنها لا فائدة جذرية لها لأن وجودها في التشريع لم يردع المجرمين عن ارتكاب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجرائم، ويستدلون على ذلك بأن نسبة الجرائم المعاقب عليها بالإعدام لم تقل في البلاد التي لا تزال قوانينها تقر عقوبة الإعدام ولم تزد نسبة هذه الجرائم في البلاد التي ألغتها.

ويقول أصحاب هذه النظرية إن المجرم مريض ومن واجب المجتمع أن يداويه حتى يشفى تماماً لا أن ينتقم منه.

وقد عبر عن هذا الاتجاه صاحب هذه النظرية الدكتور «ball» في كتابه «فيزيولوجية الدماغ» وهو أستاذ في باريس في أوائل القرن التاسع عشر بقوله: «إن الميل السريع إلى السرقة ثمرة فعالية زائدة لعاطفة حب التملك القوية»

● أنصار نظرية تنفيذ الإعدام

أما القائلون بشرعية هذه العقوبة فيجيبون عن هذه الحجج بقولهم:

١- إن من حق الهيئة الاجتماعية فرض هذه العقوبة لأنه إذا كان المجتمع لم يعط حق الحياة فهو لم يعط حق الحرية لأحد، فكيف يجاز له سجن الناس ومنعهم من الحرية، فضلاً عن أن الإنسان له حق الحياة كما له حق الحرية. فالاعتراض إذن على شرعية الإعدام يفضي إلى الاعتراض على شرعية كل العقوبات التي تمنح الحرية مع الاعتراف بأن الحياة هي أثمن من الحرية.

٢- إذا كانت عقوبة الإعدام هي خطرة في حال خطأ القاضي فعقوبة الحبس في هذه الحالة هي جائرة أيضاً وتؤثر في صحة الفرد وفي حياته بصورة لا يمكن معها تلافي الضرر.

٣- إذا كانت عقوبة الإعدام لم تخفف من الإجرام لدى كبار المجرمين فهي ولاشك خففت كثيراً من عدد المجرمين وهؤلاء هم كثر.

٤- إن الاعتراض القائم على عدم تناسب هذه العقوبة مع الجريمة يصح أيضاً بشأن كل عقوبة لأن تحقيق التناسب التام بين العقوبة والجريمة أمر غير مستطاع فتقدير الإنسان للأمور نسبي دائماً.

٥- إن خوف المجرمين من عقوبة الإعدام هو رادع لهم وله أثره.

٦- إن بلاء العقوبات الطويلة المدة أخطر وأوقع من عقوبة الموت على قصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عذابها. ومن الطرافة أن نذكر أن النظرية الأولى تمثل نظرية ما يسمى بالإنجيل والنظرية الثانية تمثل ما يسمى بالتوراة مما سنرى تفصيله.

وقد رأينا في كل من هاتين النظريتين السابقتين محاسن ومساوئ ذكرها أنصارهما وخصومهما فلا داعي لإعادتهما.

هذا- وإن النظرية القائلة بإلغاء الإعدام علاوة على مساوئها التي ذكرتها حين الكلام على النظرية الإسلامية فإنها خاطئة من نواح أخرى.

الأولى، أنها قد تؤدي إلى زيادة عدد الجرائم فإن نظام إصلاح المجرمين لا يرضي ذوي القتيل، فيثأرون له مما قد يؤدي إلى زيادة عدد الجرائم.

الثانية، أن هذه النظرية تميل إلى المدرسة الإيطالية القائلة بأن الجريمة هي نتاج طبيعي محض، وأنه ليس ثمة موضوع للتحدث عن حرية مزعومة ننسبها للمجرم، وقد دعا «لمبروزو» الذي يتزعم هذه المدرسة إلى دراسة السمات الخلقية «الجسمية» والنفسية المميزة للمجرمين[١].

وهذه النظرية جبرية رهيبة تدعو إلى عدم معاقبة المجرم بالكلية. قال «لمبروزو»: «المجرم ولد مجرماً». ولا يخفى ما في ذلك من خطر على المجتمع وتهديد لسلامة أفراده، وقد راح أنصار هذه المدرسة يطالبون بتكييف العقوبة مع الطبيعة النفسية «السيكولوجية» للمجرم وكل ذلك لتمييع القضية وإعفائه من العقوبة. وهي مخالفة لجميع الشرائع الإلهية والأنظمة الوضعية.

وقد جاء العالم الإنجليزي «كورنغ» فقام بدراسة حوالي ثلاثة آلاف سجين من نزلاء السجون بإنجلترا خلال ثمان سنوات متواليات وخلص من هذه الدراسة إلى أنه ليس ثمة طراز جسمي خاص يميز المجرم، بدليل أن النتائج الإحصائية للأقيسة التي أجريت على المجرمين أظهرت أن الفارق بين الأقيسة الجمجمية لدى كل من طلبة كمبردج أو أكسفورد لا يختلف عن الفارق الموجود بين المجرمين وغيرهم من سواد الناس[٢].

---

(١) راجع كتاب «الجريمة والمجتمع» للدكتور زكريا إبراهيم ص (١٥-١٦).

(٢) المصدر السابق ص (١٧-١٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومهما كان من شأن هذه النظرية، فإن الإسلام لا يهمل الحالة النفسية للمجرم، فإن كان مصاباً بالجنون أو اضطراب الغدد الصماء وغيرها من الأمراض النفسية التي تفقد المجرم عقله وإرادته وشخصيته فإنه يعفى من العقوبة ولكنه يحجر عليه حتى يشفى كما يراعى التشريع الإسلامي في ظروف المجرم وملابسات جريمته، فلا يعاقب السارق إذا كان جائعاً مضطراً ولم تؤمن له الدولة سبيل العمل، أو أجاعه رب عمله، فيعاقب الإسلام المسبب في هذه الحال.

ولا شك أن هذه النظرية تقول بإلغاء الإعدام والاستعاضة عنه بسجون كالمستشفيات حتى يشفى فيما إذا كان مصاباً بالجنون أو غيره مما يفقد عقله وإرادته.

وإنني أبعثها صرخة مدوية: إن السجون قد أفسدت في العالم علاوة على ما سببته من إيجاد المجرمين المحترفين الذين يتعلمون دروس الجريمة من زملائهم في السجن. ومما يؤسف له أن أنصار السجون لم يفكروا مطلقاً بزوجة السجين وأولاده الذين سيشردون غالباً بسبب اعتقال وليهم.

حقاً إن قضية السجن قضية شائكة جداً، ربما كنت أول من أسميته «قصر الضيافة» يكلف الأمة النفقات الباهظة سواء في إطعام السجناء وسواء في حراستهم وسواء في إيوائهم.

ولا يخفى أن هناك كثيراً من النفوس التي تألف مثل هذه الحياة التي هي أشبه بخلوات الصوفية ينعم بها السجناء كما ينعم الصوفية، ولا شك أن السجون تمتاز على هذه الخلوات بكونها مشتركة ومضيئة ولا تسبب الجنون والانحراف.

والغريب من أمر السجن أنه إذا نظم ونفذت الإجراءات التحسينية أصبح مكاناً مرغوباً فيه وقصراً للضيافة حقاً مما يشجع المجرمين على ارتكاب الجرائم. وإذا أهمل كان مصدراً لانتشار الأوبئة والأمراض والمفاسد الخلقية بجميع أنواعها، وفي الحقيقة فإن السجون كثيراً ما كانت تزيد المجرمين صلابة، فلم يكونوا يخرجون من السجن إلا لكي يعاودوا ارتكاب جرائمهم، مدفوعين إلى ذلك برغبة حادة في الثأر من المجتمع، هذا إلى أن اختلاط صغار المجرمين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بغيرهم من المجرمين الخطرين كثيراً ما كان يجعل من «السجن نفسه» مدرسة لتلقي فنون الإجرام. فلم يكن المجرم الصغير يغادر السجن إلا وقد أصبح مجرماً محترفاً يجيد من أساليب الجريمة ما لم يكن له به عهد، قبل أن تطأ قدماه أرض السجن.

ومن جهة أخرى فإن الأساليب السائدة في معاملة المجرمين قلما تنجح في ردع المجرمين والقضاء على أسباب الجرائم، بل هي قد تدفع بهم نحو الانفجار والتمرد والإمعان في تحدي القانون .

وقد ثبت بالفعل أن السجن عاجز عن توليد مشاعر الحب والتعاطف والصبر والطمأنينة النفسية والرغبة في العمل واستعادة مكانة الذات. وهي المشاعر الضرورية لإعادة التكيف إلى نفس المجرم.

وفضلاً عن ذلك، فإننا حينما نترك المجرم نهباً لذكريات الماضي، دون أن ننجح في شغل باله بالأفكار السليمة والمبادئ القويمة، فإننا نزيد من اختلال توازنه النفسي بدلاً من أن نعيد إلى شخصيته تنظيمها النفسي وتوافقها الاجتماعي، وهذا ما حدا بالكثيرين إلى القول بفشل الأنظمة القديمة للعقوبة (أي أنظمة السجون) نظراً لأنها لم تكن تهتم جدياً بإعادة المجرمين إلى حظيرة القانون، والعمل على تقويم شخصياتهم حتى يتمكنوا من العودة إلى الحياة الاجتماعية العادية في ظل احترام العادات والتقاليد والقانون.

إن أغلب المجتمعات لا زالت تميز الخارجين من السجن عن غيرهم من سواد الناس، فلا يكون من شأن هذا التمييز نفسه سوى أن يتسبب في عجز السجناء عن العودة إلى حياة التكيف مع الجماعة والتعامل مع غيرهم من المواطنين، حتى ولو صحت عزيمتهم على العدول نهائياً عن حياة الجريمة، ولا شك أنه حينما يشعر المجرم بأن المجتمع ليس على استعداد لتقبله أو أن ماضيه يقف حائلاً بينه وبين الاندماج في الجماعة من جديد، فإنه قد يندفع إلى مواصلة سلوكه الإجرامي بدلاً من أن يعمد إلى أخذ نفسه بالمعايير الجماعية. ولما كانت مواصلة حياة الإجرام هي أيسر على المجرم من السعي الجاهد في سبيل اكتساب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عادات توافقية جديدة فإن عدداً غير قليل من المجرمين لا يكاد يجد صعوبة في معاودة الانتماء إلى جماعات المجرمين المحترفين التي دأب على الاختلاف إليها .

لهذا كله نرى الشريعة الإسلامية لا تلجأ إلى السجن إلا في حالات نادرة وقتية كضمان سلامة التحقيق أو إنذار المجرم بالتشهير به، فقد وضعت لكل جريمة عقوبتها الزاجرة، بحسب نوع العمل الذي اقترفه المجرم، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (المائدة: ٤٥).

وقد كان النبي ﷺ يؤتى ببعض المفسدين ويربطهم بإحدى سواري المسجد أمام الناس. فحبذا لو تعمم هذه العقوبة في بعض جرائم التعزير فيربط المخالفون في أعمدة الكهرباء في بعض الشوارع أمام أنظار الناس فإن ساعات من هذه العملية تعدل شهراً أو شهوراً في السجون المعروفة ويكون فيها المخالف عبرة بليغة ورهيبة لمن يعتبر، وهي لا تكلف الأمة شيئاً يذكر.

والغريب أن بعض أدعياء القانون يحملون على هذا المبدأ أو مثله قطع يد السارق بأنه قاس، دون أن يوجدوا ما يقوم مقامه، وقد أفلست جميع حلولهم وسببوا انتشار الجرائم في العالم بصورة واسعة ومرعبة حتى بات الإنسان لا يأمن على حياته وعلى أولاده من القتل والخطف، وعلى أمواله من السلب والنهب في أرقى عواصم العالم كالولايات المتحدة مثلاً.

وقد طبق هذا القانون الإلهي في المملكة العربية السعودية في العصر الحديث فأعطى النتائج ونشر الأمن والسلام مما يحسدها عليه أرقى وأعظم دول العالم. وقد نسي هؤلاء الأدعياء المغرورون أن العقوبات الإسلامية تحمي حتى المجرم نفسه فلا يتجاسر على ارتكاب جريمته لشدتها، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة: ١٧٩).

وقديماً استطاع التشريع الإسلامي محو الجريمة أو الإقلال منها لدرجة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الندرة، ومن أهم ما ينبغي الإشارة إليه أن هذه العقوبات ليست إسلامية فقط، بل قد سبقتها إليها شريعة التوراة وهي شريعة اليهود والنصارى حتى يومنا هذا.

وقد ساعد على تحقيق هذا السلام ما كان يتحلى به المسلم من عقيدة عظيمة جعلت من المجرم يأتي ويعترف بجريمته مهما كانت قسوتها، لينجو من عذاب الله يوم القيامة.

بينما اليوم قد عجزت الدول عن اكتشاف الجرائم على الرغم من رقي الوسائل الحديثة حتى راحت تستعين بالكلاب «البوليسية».

● نظرية الشريعة الإسلامية

لقد اشتملت هذه النظرية على محاسن كل من النظريتين وخلت من مساوئهما في تنسيق عجيب وحل نفساني (سيكولوجي) دقيق. وهذه مزية التشريع الإسلامي العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد. ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

وهذه النظرية تتلخص في أن قاتل العمد يقتل قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ (الإسراء: ٣٣).

والإسلام دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها. وكل نفس هي حرم لا يمس، وحرام إلا بالحق. وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه، وليس متروكاً للرأي ولا متأثراً بالهوى. وقد جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة**».

فأما الأولى فهي القصاص العادل الذي إن قتل نفساً فقد ضمن الحياة لنفوس ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾. حياة بكف يد الذين يهمون بالاعتداء على الأنفس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والقصاص ينتظرهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء. وحياة بكف يد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولا يقفون عند القاتل بل يمضون في الثأر ويتبادلون القتل فلا يقف هذا الفريق وذاك حتى تسيل دماء ودماء. وحياة يأمن كل فرد على شخصه واطمئنانه إلى عدالة القصاص فينطلق آمناً يعمل وينتج فإذا الأمة كلها في حياة.

وأما الثانية فهي دفع للفساد القاتل في انتشار الفاحشة، وهي لون من القتل على النحو الذي بيناه.

وأما الثالثة فهي دفع للفساد الروحي الذي يشيع الفوضى في الجماعة، ويهدد أمنها ونظامها الذي اختاره الله لها، ويسلمها إلى الفرقة القاتلة. والتارك لدينه المفارق للجماعة إنما يقتل لأنها اختار الإسلام لم يجبر عليه، ودخل في جسم الجماعة المسلمة واطلع على أسرارها، فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها.

ولو بقي خارجها ما أكرهه أحد على الإسلام بل لتكفل الإسلام بحمايته إن كان من أهل الكتاب، وبإجارته وإبلاغه مأمنه إن كان من المشركين وليس بعد ذلك سماحة للمخالفين في العقيدة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ (الإسراء: ٣٣).

تلك الأسباب الثلاثة هي المبيحة للقتل، فمن قتل مظلوماً بغير واحد من تلك الأسباب فقد جعل الله لوليه - وهو أقرب عاصب إليه - سلطاناً على القاتل، إن شاء قتله وإن شاء عفا على الدية وإن شاء عفا عنه بلا دية فهو صاحب الأمر في التصرف في القاتل، لأن دمه له.

وفي مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الإسلام عن الإسراف في القتل استغلالاً لهذا السلطان الذي منحه إياه. والإسراف في القتل يكون بتجاوز القاتل إلى سواه ممن لا ذنب لهم، كما يقع في الثأر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الآباء والإخوة والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل، ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل، والولي مسلط على دمه بلا مثلة، فالله يكره المثلة والرسول قد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نهى عنها.

﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ يقضي له الله، يؤيده الشرع، وينصره الحاكم. فليكن عادلاً في قصاصه، وكل السلطات تناصره وتأخذ له بحقه[1]. وفي تولية صاحب الدم على القصاص من القاتل، وتجنيد سلطان الشرع وسلطان الحاكم لنصرته تلبية للفطرة البشرية وتهدئة للغليان الذي تستشعره نفس الولي الغليان الذي قد يجرفه ويدفعه إلى الضرب يميناً وشمالاً في حمى الغضب والانفعال على غير هدى. فأما حين يحس أن الله قد ولاه على دم القاتل، وأن الحاكم مجند لنصرته على القصاص، فإن ثائرته تهدأ ونفسه تسكن عند حد القصاص العادل الهادئ[2].

غير أن حكم قتل القاتل ليس مطلقاً، فإن في القرآن العظيم آية أخرى سنراها بعد قليل تقول بتنازل ذوي القتيل عن حق القتل، ولهم أخذ الدية أو التنازل عنها وليس لأحد غيرهم العفو عنه فهم وحدهم أصحاب الحق الشرعي والطبيعي في القاتل وهم وحدهم المفجوعون به. وفي هذه الحال يكون المقدم على القتل في حالة ذعر دائم وخوف رهيب من مطالبتهم بقتله من السلطة الحاكمة وقبوله العفو والدية مشكوك فيه، وربما كان بعيداً، فكم من الناس لم يقبلوا بالتنازل عن حقهم وأصروا على طلب الإعدام، فأعدم القاتل.

إلا أن هناك احتمالاً قد يكون ضعيفاً وقد يكون قوياً بأن تهب الهيئة الاجتماعية، إذا كان القاتل ليس من أصحاب السوابق، وكان من ذوي الفضل والعلم الذي يخسر المجتمع إذا فقدوا الحياة، فتسارع هذه الهيئة للتوسط ورجاء ذوي القتيل للعفو عنه سواء بأخذ الدية أو بدونها حسب رغبتهم الخاصة.

والأمل قد يكون قوياً بقبول شفاعتهم فينجو القاتل من الإعدام، وينجو المجتمع من فقده، وقد يكون هذا الأمل ضعيفاً فيقتل ويذهب ضحية جريمته.

والقضية في هذه الحال تأخذ وضعاً دقيقاً وحساساً يكون فيها المقدم على

---

(١) عقوبة الإعدام للأستاذ: المحامي مصطفى ذوق ص (٢- ٤).

(٢) في ظلال القرآن تأليف سيد قطب ص (٣١و٣٢) المجلد الخامس.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القتل في وضع رهيب يسيطر عليه الخوف كما صوره القرآن العظيم في آية ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [(١)].

• تفصيل الحكم الإسلامي

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [(٢)] (البقرة: ١٧٨ -١٧٩).

النداء للذين آمنوا بهذه الصفة التي تقتضي التلقي من الله، الذي آمنوا به في تشريع القصاص. وهو يناديهم لينبئهم أن الله فرض عليهم شريعة القصاص في القتلى، بالتفصيل الذي جاء في الآية الأولى. وفي الآية الثانية يبين حكمة هذه الشريعة، ويوقظ فيهم التعقل والتدبر لهذه الحكمة. كما يستجيش في قلوبهم شعور التقوى، وهو صمام الأمن في مجال القتلى والقصاص ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾.

وهذا العفو يكون بقبول الدية من أولياء الدم بدلاً من قتل الجاني، ومتى قبل ولي الدم هذا ورضيه، فيجب إذن أن يطلبه بالمعروف والرضى والمودة، ويجب على القاتل أو وليه أن يؤديه بإحسان وإجمال وإكمال، تحقيقاً لصفاء القلوب، وشفاء لجراح النفوس، وتقوية لأواصر الأخوة بين البقية الأحياء.

وقد امتن الله على الذين آمنوا بشريعة الدية هذه بما فيها من تخفيف ورحمة ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾.

ولم يكن هذا التشريع مباحاً لبني إسرائيل في التوراة، إنما شرع للأمة المسلمة استبقاء للأرواح عند التراضي والصفاء ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وفوق العذاب الذي يتوعده به في الآخرة... يتعين قتله، ولا تقبل منه

(١) هذا الحكم منسوخ بآية ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ...﴾ الآية.

(٢) قال ابن عباس: مما كتب على من كان قبلكم، فإنه كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهم الدية..» الحديث أخرجه البخاري والنسائي. والمسيحية كانت تقول بالعفو مطلقاً!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدية، لأن الاعتداء بعد التراضي والقبول، نكث للعهد، وإهدار للتراضي، وإثارة للشحناء بعد صفاء القلوب. ومتى قبل ولي الدم الدية فلا يجوز له أن يعود فينتقم ويعتدي.

ومن ثم ندرك سعة آفاق الإسلام، وبصره بحوافز النفس البشرية عند التشريع لها، ومعرفته بما فطرت عليه من النوازع.. إن الغضب للدم فطرة وطبيعة. فالإسلام يلبيها بتقرير القصاص دعوة إلى التسامي في حدود التطوع، لا فرضاً يكبت فطرة الإنسان ويحملها ما لا تطيق.

ثم يكمل سياق الحديث عن فريضة القصاص بما يكشف عن حكمتها العميقة وأهدافها الأخيرة ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ .

إنه ليس الانتقام، وليس إرواء الأحقاد. إنما هو أجل من ذلك وأعلى إنه للحياة، وفي سبيل الحياة، بل هو في ذاته حياة.. ثم إنه للتعقل والتدبر في حكمة الفريضة، ولاستحياء القلوب واستجاشتها لتقوى الله.

والحياة التي في القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء، فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل.. جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد، كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل. شفائها من الحقد والرغبة في الثأر. الثأر الذي لم يكن يقف عند حد في القبائل العربية حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاماً كما في حرب البسوس المعروفة عندهم.

وكما نرى نحن في واقع حياتنا اليوم، حيث تسيل الحياة على مذابح الأحقاد العائلية جيلاً بعد جيل، ولا تكف عن المسيل. وفي القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم، فاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها، واعتداء على كل إنسان حي يشترك مع القتيل في سمة الحياة، فإذا كف القصاص الجاني عن إزهاق حياة واحدة، فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها، وكان في هذا الكف حياة.. حياة مطلقة، لا حياة فرد، ولا حياة أسرة، ولا حياة جماعة.. بل حياة..

ثم - وهو الأهم والعامل المؤثر الأول في حفظ الحياة - استجاشة شعور التدبر لحكمة الله، ولتقواه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

هذا هو الرباط الذي يعقل النفوس عن الاعتداء، الاعتداء بالقتل ابتداء والاعتداء في الثأر أخيراً.. التقوى.. حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله، وتحرجه من غضبه وتطلبه لرضاه.

إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة، ولا يفلح قانون، ولا يتحرج متحرج، ولا تكفي التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع في قوة أكبر من قوة الإنسان.

وهذا ما يفسر لنا ندرة عدد الجرائم التي أقيمت فيها الحدود على عهد النبي ﷺ، وعهد الخلفاء، ومعظمها كان مصحوباً باعتراف الجاني نفسه طائعاً مختاراً.. لقد كانت هناك التقوى، كانت هي الحارس اليقظ في داخل الضمائر وفي حنايا القلوب، تكفها عن مواضع الحدود.. إلى جانب الشريعة النيرة البصيرة بخفايا الفطر ومكنونات القلوب.. وكان هناك ذلك التكامل بين التنظيمات والشرائع من ناحية والتوجيهات والعبادات من ناحية أخرى، تتعاون جميعها على إنشاء مجتمع سليم التصور سليم الشعور، نظيف الحركة نظيف السلوك، لأنها تقيم محكمتها الأولى في داخل الضمير[1].

أما بعد..

فإني تحدثت فيما سبق عن حكم من أحكام الإسلام، وهو الإعدام، وكيف أنه في القمة من الحق والعدل والرحمة، وقد اشتمل على مزايا نظرية الإعدام ونظرية إلغائه، وخلا من محاذيرهما بصورة رائعة.

فهل يشجعنا هذا المثال من ألوف الأمثلة على دراسة الشريعة الإسلامية والعمل بها من أجل تحقيق العدالة والحق والسلام، تلك الشريعة التي شهد بعظمتها كبار أساطين الشرق والغرب في القانون من مسلمين وغيرهم مما يضيق المجال عن التحدث عنه.

إننا نستصرخ الضمائر الحية، راجين أن يتناول هذا البحث بالدراسة والعناية والاهتمام، وإننا لا ندري كيف نسوغ لأنفسنا ترك تراثنا التشريعي الضخم،

---

(١) في ظلال القرآن تأليف سيد قطب ص (٦٨- ٧٢) الجزء الثاني- المجلد الأول.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والتهافت على القوانين الغربية المهلهلة التي من شأنها تضييع شخصيتنا العربية وتطبعنا بطبائع الغربيين فنعتنق أخلاقهم الإباحية، ونجعلهم سادة لنا، ونصبح خداما لهم، مثلنا في ذلك هنود أمريكا الذين اعتنقوا عقيدة القوم وقبلوا قوانينهم فلم ينفعهم ذلك شيئاً، وإنما هددهم بالفناء وعرضهم للخطر.

إن قبولنا تحكيم التشريع الإسلامي علاوة على كونه يحفظ كياننا ويصون قوميتنا، يجعلنا أئمة لخمسمائة مليون مسلم، وهم حلفاء طبيعيون لنا وأصدقاء صادقون يفرحون لفرحنا ويألمون لألمنا، باستثناء بعض حكوماتهم الدائرة في فلك الاستعمار. ولكن الحكومات لا تدوم وقد رأينا مصارعها، إنما البقاء للشعوب.

وهذه الشعوب تشارك العرب بعواطفهم وتقر لهم بالزعامة، وترى مصيرها مرتبطاً بمصيرهم.

خطب الحكيم محمد إقبال في أعضاء المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس عام (١٣٥٠- ١٩٣١) فقال: «إن الإسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب: أولهما الإلحاد، وثانيهما الاستعمار، وإن مستقبل المسلمين في العالم رهن بمستقبل العرب، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب، فإذا تمت وحدة العرب علا شأن المسلمين في كل أنحاء الأرض».

إن القومية العربية متعطشة اليوم إلى تحقيق العدالة بين شعوبها، وخاصة العدالة الاجتماعية فهي حريصة على ما يكفل بقاءها عزيزة ويجعلها تساهم في تأسيس الحضارة.

إلا أن بعض من يتظاهر بالإخلاص لهذه القومية، يغرينا بالارتماء في أحضان النزعات المتخلفة من أجل تحقيق هذه العدالة.

ما القول إذا كان هنالك نظام، لا يدعنا ذيلاً في القافلة، قافلة المعسكرات المتطاحنة، إنما يمنحنا مع العدالة (على اختلاف صورها) كرامة دولية عزيزة في الخارج، ويرد لنا اعتبارنا في المجتمع الدولي.

ما القول إذا كان هنالك نظام يحل مشكلاتنا الداخلية وفي الوقت ذاته لا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يدعنا نقف أبداً من المائدة الإنسانية وقفة المستجدي الذليل، بل وقفة المساهم في هذه المائدة المعطي ما عنده، وما عنده ليس بقليل.

إننا لنعجب كيف يمكن الإنسان أن ينأى بنفسه عن موقف الكرامة إلى موقف الذلة وعن دور المعطي إلى دور المستجدي، وعن مركز القيادة إلى موقف التبعة وهو قادر على الاختيار، لو قاوم في ضميره شعور الاضطرار.

إن لدينا ما نعطيه، ولسنا من المفلسين بحيث يتصور الكثيرون، أو بحيث تصورنا لأنفسنا المعسكرات الأجنبية.

إن لدينا ما نعطيه ولسنا من الإفلاس بحيث يتصور الكثيرون، أو بحيث يصورنا لأنفسنا الأجانب المستعمرون على اختلاف مشاربهم، إنما يصوروننا هكذا لغاية في أنفسهم، ليحل التخاذل في نفوسنا محل الثقة، واليأس محل التطلع، ولنسقط فرائس ذليلة مستغفلة، في هذا الفخ أو ذاك، إن لدينا ما نعطيه، ولكن في حاجة لأن نؤمن بأنفسنا، ففي هذا الإيمان حياة، وفي هذا الإيمان نجاة.

إذا اتضح أن الإسلام يملك أن يحل لنا مشكلاتنا الأساسية، ويمنحنا عدالة شاملة، ويردنا إلى عدل في الحكم، وعدل في المنزل، وعدل في الفرص، وعدل في الجزاء فإنه يكون بلا شك أقدر على العمل في بلادنا من كل مذهب آخر، نحاول استعارته عن طريق التقليد، أو عن طريقه المشاركة في الحضارة الإنسانية بالاستجداء.

أجل- إذا اتضح هذا كله- فالإسلام أقدر على العمل معنا هنا في الداخل، ولن نحتاج إلى استجلابه من وراء الحدود، كما نستجلب الثياب المستعملة الجاهزة فتجيء فضفاضة، أو خانقة، (وقد تجيء وفيها السل) لأنها لم تصنع على أعيننا ولم تفصل على قدنا، ولم تنبع من آلامنا وآمالنا.

والإسلام- يا قوم- صاحب لنا صديق، صاحبناه ألفاً وأربعمائة عام تقريباً، له في الجوانح هزة، وفي المشاعر ذكرى، وفي الضمائر أصداء، وليس بالغريب على أرواحنا ومشاعرنا وعاداتنا وتقاليدنا غربة المذاهب الأخرى التي نحمد منها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أشياء ونكره منها أشياء، ونألف منها اتجاهاً وننكر عليها اتجاهاً وتتوزع مشاعرنا إزاءها على أية حال توزيعاً لا يضمن معه توحيد الجبهة في طلب عدالة قوية كما نضمن توحدها إذا نحن هتفنا إلى العدالة باسم الإسلام.

إن الذين يريدون تنحية الإسلام عن معركة العدالة على أنواعها ليخوضوها تحت راية أخرى، إنما يخونون أنفسهم إن كانوا مخلصين في دعوى العدالة أو يخونون قضية الجماهير، جهلاً بقيمة القوة الكبرى التي يزودهم الإسلام بها، أو عداوة مريبة لهذه القوة العظيمة، أو احتقاراً لأنفسهم وكفراً بقيمتهم، رضاء كرضاء العبيد بفتات الموائد ووقفة الأذناب.

إننا نفهم جيداً أن ينصب المستعمرون والمستغلون والطغاة للإسلام لينحوه عن معركة الحكم، لأنه يحارب استعمارهم واستغلالهم وظلمهم بقوة، أما أن ينصب للإسلام دعاة العدالة ورجال القضاء فذلك أمر غير مفهوم عندنا، فإن وراءه لخبثاً ومؤامرة يجب أن يفطن إليها الأبرياء والمخلصون الذين يريدون العدالة لذاتها، ويكافحون للجماهير وحدها، ويتجردون لهذه الغاية النبيلة بلا رياء ولا التواء، ولا خيانة.

إن ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة في حق العدالة، وهدر لشرفنا العربي، فهي تجعل عقوبة من يزني بأمه أو ابنته أو شقيقته أقل- بكثير- من عقوبة من يسرق متاعاً بسيطاً.

إن ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة قومية، فهو طالما داس كرامتنا وحاول استرقاقنا وعرضنا للذبح والتشريد، فهل يليق اتباعه بدلاً من أن نثير عليه روح اللعنة والانتقام.

إن ارتباطنا بقوانين الغرب استهانة بحق الإسلام وتهاون بأوامر الله سبحانه الذي شاءت حكمته أن تحكم قوانينه الإنسانية البشر، كما حكمت قوانين الطبيعة الكون. وقد تم للبشر الإفادة من الطبيعة بخضوعهم لهذه القوانين، فما بالهم تمردوا على القوانين الأخرى حتى حرموا الإفادة من عدلها وخيرها وسلامها.

لقد وصف هذا الإله العظيم من يهجر قوانين الإسلام بالكفر والفسق والظلم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥).

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧)

وهل أكفر وأفسق وأظلم ممن يترك النظم الإلهية التي أثبت التطبيق، ثم أثبت رجال القوانين عظمتها- ثم يروح ويرتمي في أحضان القوانين الغربية الوضعية التي زادتنا فساداً وفوضى كما زادته خراباً وانهياراً.

اذكروا يوم كان أجدادكم العرب قبل أربعة عشر قرنا يتخطفهم الاستعمار الروماني والفارسي من كل مكان ويستذلهم، فجاء التشريع الإسلام العربي فأنقذهم ورفع لهم راية الحرية وقادهم إلى أعلى ذرى المجد.

اذكروا أجدادكم العرب الذين كانوا يهيمون في الضلالة وقد انقسموا إلى قبائل يذبح بعضها بعضاً، مما كان يهددهم بالفناء، فسارع الإسلام- بأسرع من البرق- فأصلحهم ووحد بينهم وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس.

اذكروا سرطان اليهود الذي كان يسري في جسم القبائل العربية والحجاز مهدداً إياها بالفقر والمرض حتى جاء الإسلام فاستأصل شأفتهم وأجلاهم عن الجزيرة العربية، اذكروا أن هذه الأمة العربية لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، وأن قوة العقيدة الصحيحة ليس مثلها قوة.

وأن هذا التشريع الإسلامي الذي أنشأ مدنية دمشق وبغداد والأندلس (وهي سبب المدنية الغربية) لن يعجز عن مدنية العصر الحديثة الصحيحة.

اذكروا أن جامعة إكسفورد الإنجليزية قد أنشأت كرسياً لمحاربة التشريع الإسلامي وإبعاد القومية العربية عن هذا النظام الديناميكي ليسهل استعمارها فهل يجوز أن نعمل كما يعمل المستعمرون؟

اذكروا أنكم حملة رسالة العروبة المؤمنة، وأن العالم اليوم على فوهة بركان، فقد عرضته المدنية المادية الحديثة ومذاهبها الهوجاء الإلحادية إلى الفناء باعتراف مفكري الغرب. سارعوا لحمل الشعلة وإنقاذ قافلة الإنسانية الضالة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من غرائب المحاكمات في التاريخ

العدد (٩٣) رمضان (١٣٩٢هـ) - أكتوبر (١٩٧٢م).

نشرت مجلة المختار (ريدرزدايجست) في أحد أعدادها مقالاً بعنوان «داروين في قفص الاتهام» بقلم «جون سوكبس» ذكر فيه قصة محاكمته، لأنه قال: إن أصل الإنسان قرد... كما يزعم داروين في نظريته: «النشوء والارتقاء» التي تخالف ما جاء في التوراة والإنجيل.

وقد أصدر القاضي حكمه عليه بطرده من التعليم وتغريمه (١٠٠) مئة دولار مع المصاريف، بناء على طلب هيئة المحلفين، وكان عددهم اثني عشر، ثلاثة منهم لم يسبق لهم أن قرأوا أي كتاب سوى الإنجيل، واعترف واحد بأنه لا يعرف القراءة!

فما أجهل وأسخف نظام المحلفين البالي، الذي لا يعرف الحق كحق، إنما يعرفه حسب صداه في الرأي العام مهما كان هذا الرأي جاهلاً وظالماً.

وإلى القارئ وصف طريف لهذه المحاكمة الغريبة:

سرت دمدمة بين أفراد الجمهور، وأنا أتخذ مكاني في قاعة المحكمة المزدحمة ببلدة «دايتون» الصغيرة بولاية تنيسي في ذلك اليوم الشديد القيظ من أيام يوليو ١٩٢٥م، وقد جلس إلى جواري أمام منضدة الدفاع المحامي الأول عن كلارنس دارو أشهر محامي الجنايات، بينما جلس في مواجهتنا نجم الادعاء وليام جننجز بريان الخطيب الذي اشتهر بذلاقة لسانه وهو يحرك في وهن مروحة من سعف النخيل.. وقد رشح الحزب الديموقراطي بريان ثلاث مرات في انتخابات الرئاسة، وهو زعيم حركة «الأصولية» التي تدعو للتمسك بحرفية الكتاب المقدس، والتي كانت السبب في تقديمي للمحاكمة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كنت قبل ذلك ببضعة أسابيع مدرساً ثانوياً مغموراً في بلدة جبلية صغيرة، وهأنذا الآن أشترك في محاكمة تذاع أنباؤها في أنحاء العالم، وقد جلس في قاعة المحكمة استعداداً للشهادة في صالحي ١٢ من مشاهير الأساتذة والعلماء وفي مقدمتهم البروفسور كيرت لي ماثر الأستاذ بجامعة هارفارد.. وكان هناك أكثر من مائة مخبر من مخبري الصحف ومندوبي الإذاعة، الذين جاءوا لأول مرة في التاريخ لإذاعة إحدى المحاكمات التي تجري أمام هيئة من المحلفين.

* * *

لقد أحاطت هذه القضية برأسي بعد وصولي إلى بلدة «دايتون» بقليل، لتدريس العلوم وتدريب فريق الكرة في المدرسة الثانوية.. وكان هناك صدام بين أنصار «الأصولية» من أهالي البلدة، وأنصار النظريات الحديثة، فالأصوليون يتمسكون بالتفسير الحرفي للنصوص الدينية، بينما يقبل الآخرون نظرية النشوء والارتقاء التي نادى بها عالم الأحياء البريطاني «تشارلس داروين» في القرن التاسع عشر، والتي تتلخص في أن كل الحياة الحيوانية، بما فيها القردة والإنسان، قد نشأت عن سلف مشترك.

وكان مذهب «الأصولية» قوياً في ولاية تنيسي، وقد أصدر المجلس التشريعي للولاية أخيراً قانوناً يحرم تدريس أية نظرية تنكر قصة الخلق كما وردت في الإنجيل، وكان القانون الجديد يهدف بصفة خاصة إلى تحريم نظرية داروين عن التطور، وقد اعتاد مهندس يدعى جورج رابلين أن يجلس في «صيدلية روبنسون» كل يوم حيث يجادل لفيفاً من أهل البلدة مهاجماً القانون.. وفي خلال مناقشة من هذه المناقشات قال رابلين إنه ليس هناك مدرس يستطيع أن يدرس علم الأحياء، دون أن يشرح نظرية النشوء والارتقاء.. ولما كنت مدرساً لعلم الأحياء، فقد بعثوا في طلبي لمعرفة رأيي..

وجئت لأقول لهم: رابلين على حق.. وعندئذ قال الصيدلي روبنسون:

- إذاً فأنت تخرق القانون!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قلت:

- وكذلك يفعل كل مدرس آخر.. فقد ورد شرح نظرية التطور في كتاب هانتر عن علم الأحياء، وهو الكتاب الذي ندرسه للطلبة.

واقترح المهندس أن نحمل الأمر إلى القضاء لنختبر مدى ما فيه من شرعية وعندما تلقيت قرار الاتهام في ٧ مايو، لم يكن هناك من يتوقع أن تصبح قضيتي من أشهر المحاكمات التي دارت في تاريخ الولايات المتحدة.. فقد أعلن «اتحاد الحريات المدنية» في أمريكا أنه سينقل قضيتي على المحكمة الأمريكية العليا إذا دعا الحال ليقرر ما إذا كان للمدرس أن يذكر الحقيقة دون أن يلقوا به في السجن، ثم تطوع بريان لمساعدة الولاية في إثبات اتهامي، وعلى الفور عرض المحامي الكبير كلارنس دارو خدماته للدفاع عني. والطريف أنني لم أكن أعرف دارو قبل ذلك.

وفي الوقت الذي بدأت فيه المحاكمة يوم ١٠ يوليو ١٩٢٥، كانت بلدتنا التي لا يزيد عدد سكانها على ١٥٠٠ نسمة قد أصبحت أشبه «بالسيرك».

فقد امتلأت المباني على طول الشارع الرئيسي بالأعلام والرايات، وازدحمت الشوارع التي تحيط بمبنى المحكمة العتيق بمنصات مؤقتة لبيع السجق والكتب الدينية والبطيخ، وأقام بعض رجال الدين الإنجيليين خياماً للوعظ.

وبالإضافة إلى دارو الداهية الذي يبلغ الثامنة والستين، كان الدفاع عني يتكون من المحامي الوسيم الساحر «راولي فيلد بالون» و«أرثرجارفيلد هايز» الهادئ المتبحر في القانون.. وفي هذه المحاكمة التي يلعب فيها الدّين دوراً رئيسياً كان دارو يمثل الإلحاد.. ومالون يمثل الكاثوليكية.. أما هايز فهو يهودي، وجاء أبي من ولاية كنتكي ليكون إلى جواري خلال المحاكمة.

ودعا القاضي رولستون أحد القسس المحليين ليفتتح الجلسة بالصلاة.. ثم بدأت المحاكمة بإحضار المحلفين، وقد ذكر ثلاثة من المحلفين الاثني عشر أنه لم يسبق لهم أن قرأوا أي كتاب سوى الإنجيل، واعترف واحد بأنه لا يعرف القراءة!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبعد المناقشات الأولية على الشكليات القانونية، نهض دارو ليلقي كلمته . .

فقال:

- يقول صديقي المدعي العام أن «جون سكوبس» يعرف لماذا يمثل أمامنا اليوم.

وأنا أعرف أيضاً لماذا هو هنا . . إنه هنا لأن الجهل والتعصب قد تحالفاً معاً وهو تحالف بالغ القوة . .

وجلس بريان يقرض بأسنانه أطراف مروحته المصنوعة من سعف النخيل، بينما سار دارو ببطء في أرجاء القاعة التي تتلظى من حرارة الجو . .

واستطرد يقول:

- إنكم تحاكمون اليوم أحد مدرسي المدارس العامة، وغداً الخاصة. وبعد ذلك محرري الكتب والصحف والمجلات . . وبعد فترة قليلة تطلقون الإنسان على الإنسان، والدين ضد الدين . . حتى نسير القهقرى . . إلى القرن السادس عشر المجيد، الذي كان المتعصبون فيه يشعلون حزم الحطب ليحرقوا الرجال الذين يجرؤون على إدخال أي ذكاء أو تنوير أو ثقافة إلى العقل البشري.

وعندما أنهى دارو خطابه. همست سيدة بصوت مرتفع: هذا الكافر الملعون!

وفي اليوم التالي بدأت النيابة في استدعاء شهود الإثبات، فشهد اثنان من تلاميذي، وهما ينظران إلي، وعلى شفتيهما بسمة الخجل، بأنني كنت أدرس لهما نظرية النشوء والارتقاء . .

ثم أضافا قائلين: إن هذه التجربة لم تسمم أفكارهما!

وبعد أن انتهت الشهادة، نهض بريان ليلقي كلمته على المحلفين.

فقال: المسألة بسيطة، فالمسيحي يؤمن بأن الإنسان جاء من أعلى . . وأصحاب نظرية التطور يؤمنون بأنه جاء من أسفل . . . وهنا ضحك الجمهور مما شجع بريان على مواصلة حملته، وكان يمسك في يده كتاباً لعلم الأحياء، ويصيح ضد العلماء الذين جاءوا إلى البلدة ليشهدوا في صالح الدفاع . .

وعندما انتهى بريان من كلمته الحماسية وقد برز فكه وتألقت عيناه صفق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحاضرون بشدة.

وعلى الرغم من ذلك، فقد بدا بوضوح أن أيام الحماسة البالغة التي كان بريان يكتسح فيها مؤتمر الحزب الديمقراطي اكتساح النار الهشيم قد ولت. وأحس الجمهور أن بطله لم يحرق الكفرة بأنفاسه الملتهبة كما كان يجب أن يفعل.

ونهض راولي مالون ليرد فقال:

إن مستر بريان ليس الوحيد الذي له الحق في التحدث عن الإنجيل، بل هناك أشخاص آخرون في هذه البلاد وهبوا حياتهم كلها لله والدين، أما بريان فقد وهب أغلب حياته وحماسته للسياسة.

ورشف بريان بعض الماء بينما كان صوت مالون يزداد ارتفاعاً وهو يدعو لحرية الثقافة، واتهم بريان بأنه يدعو لصراع حتى الموت بين العلم والدين.

وعندما انتهى مالون، ساد الصمت في أنحاء القاعة لحظة، ثم انفجرت فجأة عاصفة مدوية من التصفيق، فاقت ما لقيه بريان.. ووجدت نفسي أربت على ظهر مالون الذي كان العرق يبلل سترته.. ولكن على الرغم من أن مالون قد كسب جولة الخطابة، فإن القاضي رولستون رفض أن يسمح للعلماء بالشهادة لصالح الدفاع.

وبعد أن تأجلت الجلسة، امتلأت شوارع البلدة بالغرباء.. كان الباعة يصيحون على سلعهم في كل ركن، وكان هناك ٢٢ من عمال التلغرافات يرسلون كل يوم ١٦٥ ألف كلمة عن المحاكمة.

وبسبب الحرارة الشديدة والخوف من انهيار سقف مبنى المحكمة القديمة تحت ثقل الحشود المزدحمة، فقد تقرر استئناف المحاكمة في الخارج تحت الأشجار العالية. وبلغت المحاكمة ذروتها عندما تمسكت النيابة بوجوب تفسير الكتاب المقدس حرفياً وفقاً لنص القانون المعادي لنظرية دارون، وعندئذ كشف المحامي دارو عن ورقته الرابحة. بدعوة بريان نفسه للشهادة لصالح الدفاع!

ونظر القاضي إليه في ذهول.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعندئذ قال دارو:

- إننا ندعوه بصفته خبيراً في الإنجيل.. وسمعته كخبير في النصوص المقدسة، معروفة في أنحاء العالم!

وساورت الشكوك بريان، حيال دعوة دارو الداهية.. ولكنه لم يستطع أن يرفض هذا التحدى، فقد ظل بضع سنوات يحاضر ويكتب عن الكتاب المقدس ويشن حملة عنيفة على نظرية داروِن في أنحاء الولاية حتى قبل أن يصدر القانون الذي يحرم تدريسها.

وتلا دارو نصاً من سفر التكوين يقول: «والمساء والصباح كانا اليوم الأول».

ثم سأل بريان عما إذا كان يعتقد أن الشمس قد خلقت في اليوم الرابع فقال بريان إنه يعتقد ذلك.

وعاد دارو يسأله:

- وكيف يتسنى أن يكون هناك صبح ومساء بلا شمس..؟!!

فمسح بريان صلعته اللامعة في صمت... سرت قهقهة بين الحضور حتى الأتقياء منهم، بينما أخذ دارو يحكم وثاق الطوق الذي يطوق به عنق بريان.. فسأله عما إذا كان يعتقد حرفياً في قصة حواء.. فأجاب بريان بالإيجاب.. فقال دارو:

- وهل تعتقد أن الله عاقب الحية بأن حكم على كل الحيات بعدئذ أن تزحف على بطونها إلى الأبد[1].

- أجل.. إنني أؤمن بذلك..

- حسناً.. هل تعرف كيف كانت الحية.. تسير قبل ذلك..؟

وعندئذ انفجر الجمهور ضاحكاً. واحمر وجه بريان وارتفع صوته في حشرجة، واهتزت المروحة في يده. ودق القاضي مطرقته لإسكات الجمهور، ثم أجل المحاكمة لليوم التالي...

ووقف بريان المخذول وحده.

---

(١) ونص الفقرة في الإصحاح الثالث من سفر التكوين: «... على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك» وترى هل تتغذى الحية بالتراب؟! أرجو جواب المشاهدة والعلم والتجربة!!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي ظهر اليوم التالي طلب القاضي إلى المحلفين أن يصدروا قرارهم، فاختلوا في أحد أركان حديقة المحكمة، وظلوا يتبادلون الهمس تسع دقائق، ثم صدر حكمهم بأنني مذنب!

وأصدر القاضي رولستون حكمه بتغريمي ١٠٠ دولار مع المصاريف..

وقد وصف ورادلي فيلد مالون هذا الحكم بأنه «هزيمة منتصرة» وأشارت بعض صحف الجنوب - التي لا تزال مخلصة لبطلها المخذول بريان - إلى الحكم باعتباره انتصاراً له، ولكن بريان كان حزيناً مجهداً. فمات بعد يومين من صدور الحكم في بلدة دايتون!

وعرض عليّ أن أعود لوظيفتي كمدرس، ولكنني رفضت، فقد حصل بعض الأساتذة الذين جاءوا للشهادة في صالحي على منحة لي من جامعة شيكاغو، لأتمكن من متابعة دراسة العلوم. وأصبحت فيما بعد خبيراً جيولوجياً لإحدى شركات البترول في ليوزيانا وأمريكا الجنوبية.

ومنذ فترة قصيرة، عدت إلى «دايتون» لأول مرة منذ محاكمتي التي تمت منذ ٣٥ عاماً.. وبدت البلدة الصغيرة في نظري كما كانت تقريباً. فيما عدا جامعة «وليام بريان» التي أقيمت فوق قمة تل يطل على الوادي.

وكانت هناك بعض تغيرات أخرى أيضاً. فمذهب التطور أصبح يدرس في ولاية تنيسي بالرغم من أن القانون الذي أدانني لا يزال قائماً واجتاحت العاصفة الخطابية التي نفخها كلارنس دارو ورادلي مالون كل المدارس والجمعيات التشريعية في أنحاء أمريكا، وكأنها الريح المنعشة التي تجلب في أعقابها جوا جديداً من الحرية الثقافية والعلمية تنمو على مر السنين[١].

* * *

وهكذا انهزم بريان محامي الادعاء معنوياً أمام الجماهير نتيجة دفاع دارو محامي الدفاع وانهزمت بانهزامه التوراة التي اتضح أنها تناقض العلم والتجربة

(١) المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر في نيسان (أبريل) ١٩٦٥.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والمشاهدة مناقضة لا تدع مجالاً للشك!

وقد سرت موجة الإلحاد في الغرب بسبب ذلك ما دام أن الدين يخالف العلم. والحق أن دارو كان خبيثاً في دفاعه، كما كان بريان مغفلاً في ادعائه، فقد كان يكفيه أن يطالب بعقوبة المعلم لتدريسه نظرية لا تزال قيد التجربة، وقد رفضها كثير من العلماء وأثبتوا مناقضتها للعلم، ويعتبر الأسئلة السابقة لدارو عما جاء في التوراة، خروجاً عن الموضوع، وتهرباً من الجريمة.

ولكن شاءت الأقدار الإلهية أن يتضح ما في التوراة من مخالفات للحقيقة العلمية والمشاهدة الحسية نتيجة تحريفها كما اعترف بذلك كثير من المؤرخين الغربيين أنفسهم..

وقد أصدرت مجلة «لايف» العالمية عدداً خاصاً باسم «الكتاب المقدس» نقتطف منه ما يلي على قاعدة من فمك أدينك.

تقول هذه المجلة:

هذا الكتاب الذي نحن بصدده أوسع الكتب انتشاراً.. ولكنه مع ذلك كتاب إنسان!! إن مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت.. ولكن أغلب كلماته كتبها أشخاص آخرون لا يعرف أحد من هم!! ولا يمكن معرفتهم في يوم من الأيام، لقد ظل الوحي الإلهي إلى الإنسان ينتقل من الأب إلى الابن ألف سنة تقريباً بعد «إبراهيم» من غير أن يكتب! وبعد ذلك فقط بدأ اليهود في تدوينه! وكان ذلك قبل ألف سنة أخرى جديدة. وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم عدة مرات.

وأن تنقل وتنسخ. مما أوجد فرصاً أخرى جديدة لا تحصى لتغييرات لا عد لها، وبعضها مقصود!!

والبعض الآخر غير مقصود. ولما بدأت المسيحية تنتشر بسرعة، ازدادت الحاجة إلى عمل نسخ جديدة، لا سيما «العهد الجديد» وأخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخاً لأنفسهم بأنفسهم، أو كان أحدهم يقرأ بصوت مرتفع في «النسخ» بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من اثني عشر ناسخاً، وهذا ما مهد الطريق لأخطاء أكثر وأكثر!!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لذلك فإنه لا يوجد اليوم أي نص «أصلي» لأي جزء من هذا الكتاب!! وربما حوى «العهد الجديد» تغييرات أكثر وأبلغ من «العهد القديم»!!اهـ.

ونورد فيما يلي مثالاً من تحريف التوراة على مر السنين من أصل مئات الأمثلة، ما جاء في ترجمة سفر التكوين المطبوعة سنة ١٨١١ «هكذا سمى إبراهيم اسم الموضع مكان يرجم الله زائره».

وفي ترجمته المطبوعة سنة ١٨٤٤ وردت هذه الفقرة هكذا «دعا إبراهيم اسم ذلك المكان: الرب يرى».

وفي سفر التكوين في النسخ المتداولة اليوم.

«فدعا إبراهيم اسم ذلك المكان: يهوه يراه».

انظر الإصحاح الثاني والعشرين الفقرة الرابعة عشرة منه.

ومن أعظم الأدلة على تحريف التوراة ما جاء فيها من انحرافات أخلاقية في حق الأنبياء المعصومين الذين أرسلوا لهداية البشر وتهذيبهم، وإلى القارئ بعض الأمثلة على ذلك.

أولاً : النبي لوط زنا بابنتيه (سفر التكوين الإصحاح ١٩ الفقرة ٣٠).

ثانياً : أحد أولاد يعقوب يزني بسرية أبيه (سفر التكوين: ٣٥: ٢٢) .

ثالثاً : النبي يهوذا بن يعقوب يزني بكنته (سفر التكوين: ٣٨- ٦).

رابعاً: داود يزني بامرأة قائده أوريا (سفر صموئيل الثاني: ١١-٢).

خامساً: أحد أولاد داود يزني بأخته (صموئيل: ٢- ١٣).

سادساً: النبي سليمان يعبد الأصنام (سفر الملوك الأول: ١١).

سابعاً: تغزل هذا النبي بالنساء تغزلاً فاحشاً ويهيم بهن كأحد العشاق الفساق (نشيد الإنشاد).

ولم يكتف محرفو التوراة بنسبة الزنا إلى الأنبياء، بل راحوا ينسبونه إلى الله نفسه! «تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا» راجع سفر حزقيال (الإصحاح الثالث والعشرون).

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نعود بعد هذا الاستطراد إلى نظرية داروين التي صالت وجالت في القرن الماضي، وكانت سبباً في إلحاد الكثيرين وارتمائهم في أحضان الشهوات البهيمية بعدما زعمت أن أصل الإنسان حيوان، وقد تبع ذلك إنكار الإله والبعث. .

نعود لهذه النظرية لنثبت انهيارها وضلالها وجهل واضعها، باعتراف كبار أنصارها وأشدهم تحمساً لها.

قال جوليان هكسلي معلناً بكل صراحة تفرد الإنسان واستقلاله عن جميع الحيوانات.

«وبعد نظرية دارون لم يعد الإنسان مستطيعاً تجنب اعتبار نفسه حيواناً ولكنه بدأ يرى نفسه حيواناً غريباً جداً. وفي حالات كثيرة لا مثيل له. ولا يزال تحليل تفرد الإنسان من الناحية البيولوجية غير تام»[1].

وإذن فالإنسان متفرد في كيانه البيولوجي ذاته. . الذي ظن فيه دارون المشابهة الكاملة للحيوان، وبنى عليه تفسيره الحيواني للإنسان!

ويسرد هكسلي ألواناً من هذا التفرد البيولوجي. من بينها أنه في الحيوانات كلها ترتبط العضلات بالمخ بنوعين من الأعصاب، أحدها يتصل بالعضلات القابضة، والثاني يتصل بالعضلات الباسطة، ولا يصدر مخ الحيوان إلا نوعاً واحداً من الإشارات في اللحظة الواحدة. فإما إشارة للعضلات القابضة، وإما إشارة للعضلات الباسطة، فالكلب إما أن يهرش وإما أن يجري في اللحظة الواحدة، ولا يستطيع أن يهرش ويجري معاً في ذات الوقت. أما الإنسان، فهو - وحده في هذه الخلائق كلها - الذي يستطيع أن يقوم بأعمال متعارضة في آن واحد، لأن مخه يستطيع أن ينسق بين الأعمال المتعارضة[2]!

ويتحدث هكسلي عن «خواص» الإنسان البيولوجية فيقول: «وأولى خواص الإنسان الفذة وأعظمها وضوحاً، قدرته على التفكير التصويري، وإذا كنت تفضل استخدام عبارات موضوعية، فقل: استخدامه الكلام الواضح.

---

(١) جوليان هكسلي «الإنسان في العالم الحديث» ص٣.

(٢) المصدر السابق ص: ٢٧- ٢٩.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولقد كان لهذه الخاصية الأساسية في الإنسان نتائج كثيرة، وكان أهمها نمو التقاليد المتزايدة. .

ومن أهم نتائج تزايد التقاليد - أو إذا شئت - من أهم مظاهره الحقيقية ما يقوم به الإنسان من تحسين فيما لديه من عدد وآلات. .

وإن التقاليد والغدد لهي الخواص التي هيأت للإنسان مركز السيادة بين الكائنات الحية. وهذه السيادة البيولوجية في الوقت الحاضر خاصية أخرى من خواص الإنسان الفذة.

ولم يتكاثر الإنسان فحسب، بل تطور، ومدّ نفوذه، وزاد من تنوع سبله وهكذا يضع علم الحياة الإنسان في مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد المخلوقات، كما تقول الأديان.

ولقد أدى الكلام والتقاليد والغدد إلى كثير من خواص الإنسان الأخرى، التي لا مثيل لها بين المخلوقات الأخرى، ومعظمها واضح معروف. . ولذلك أرى عدم التعرض لها حتى أنتهي من التحدث عن الخواص غير المعروفة كثيراً، لأن الجنس البشري- كنوع- فريد في صفاته البيولوجية الخالصة، ولم تلق تلك الصفات من العناية ما تستحق، سواء من وجهة نظر علم الحيوان، أو من وجهة نظر علم الاجتماع. . وأخيراً فإن الإنسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية في طريقة تطوره».

ويقول هكسلي أيضاً في موضع آخر:

وهذه الخواص التي امتاز بها الإنسان، والتي يمكن تسميتها «نفسية» أكثر منها «بيولوجية» تنشأ من خاصية أو أكثر من الخواص الثلاث الآتية:

«الأولى» قدرته على التفكير الخاص والعلم.

«الثانية» التوحيد النسبي لعملياته العقلية، بعكس انفصام العقل والسلوك عند الحيوان .

«الثالثة» وجودات الوحدات الاجتماعية مثل القبيلة والأمة والحزب والجماعة الدينية، وتمسك كل منها بتقاليدها وثقافتها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهناك نتائج ثانوية كثيرة لتطور العقل من مرحلة ما قبل الإنسان إلى مرحلة الإنسان[١]، وهي بلا شك فريدة من الناحية البيولوجية. ولنذكر منها العلوم الرياضية البحتة والمواهب الموسيقية، والتقدير والإبداع الفنيين، والدين، والحب المثالي..

ولكن لا يكفي هنا أن نحصي بعض أوجه النشاط، ففي الحقيقة أن معظم أوجه النشاط الإنساني وخواصه، نتائج ثانوية لخواصه الأصلية. وكذلك فهي فذة من الناحية البيولوجية!!.. وقد يكون لتفرد الإنسان نتائج ثانوية أخرى لم تستغل بعد..

وبذلك يكون الإنسان فريداً في أحواله أكثر مما نظن الآن»[٢].

وقال العالم الأمريكي: «أ. كريسي موريسون» في كتابه:
"man does not stand alons" الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ محمود صالح الفلكي بعنوان «العلم يدعو إلى الإيمان».

«إن القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة» (الجينات)!!ص١٤٥.

«لقد رأينا أن «الجينات» متفق على كونها تنظيمات أصغر من الميكروسكوبية للذرات في خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية، وهي تحفظ التصميم، وكل السلف، والخواص التي لكل شيء حي. وهي تتحكم تفصيلاً في الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات، تماماً كما تقرر الشكل والشعر والأجنحة لكل حيوان بما فيه الإنسان» (ص١٤٧).

«ويلاحظ أن جميع الكائنات الحية، منفصل بعضها عن بعض بهوات كثيفة لا يمكن عبورها!! حتى إن الحيوانات المتقاربة ينفصل بعضها عن بعض كذلك».

«والإنسان حيوان من رتبة الطليعة، وتكوينه يشبه فصائل «السيميا» «الأورانجتان والغوريلا والشمبانزي» ولكن هذا الشبه الهيكلي ليس بالضرورة

---

(١) هذا رأي هكسلي الخاص وقد نقضه بنفسه مراراً.
(٢) من كتاب «الإنسان في العالم الحديث» ترجمة الأستاذ حسن خطاب.. مقتطفات متفرقة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

برهاناً على أننا من نسل أسلاف سيميائية «من القرود» أو أن تلك القرود هي ذرية منحطة للإنسان، ولا يمكن أحد أن يزعم أن سمك القد (cod) قد تطور من سمك الحساس وإن يكن كلاهما يسكن المياه نفسها، ويأكل الطعام نفسه، ولهما عظام تكاد تكون متشابهه..» (ص١٤٢).

«إن ارتقاء الإنسان الحيواني إلى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده هو خطوة أعظم من أن تتم عن طريق التطور المادي، ودون قصد ابتداعي».

«وإذا قبلت واقعية القصد، فإن الإنسان بوصفه هذا قد يكون جهازاً، ولكن ما الذي يدير هذا الجهاز؟ لأنه بدون أن يدار، لا فائدة منه، والعلم لا يعلل من يتولى إدارته، وكذلك لا يزعم أنه مادي!».

«لقد بلغنا من التقدم درجة تكفي لأن نوقن بأن الله قد منح الإنسان قبساً من نوره، ولا يزال الإنسان في طور طفولته من جهة الخلق، وقد بدأ يشعر بوجود ما يسميه «بالروح» وهو يرقى في بطء ليدرك هذه الهيئة بغريزته بأنها خالدة».

هذا، ومن أهم ما ينبغي الإشارة إليه أن دارون لم يكن ملحداً - كما يقولون[1]- بينما أدت نظريته إلى انتشار الإلحاد بين الناس. وقد كان من أهم غاياته رد المخلوقات الكبيرة إلى الحيوانات الصغيرة البسيطة بظنه، ليعلل طريقة وجود الحياة على الأرض لإنقاذ العلم من الوقوف عاجزاً عن إيجاد تعليل صحيح لها.

وقد كان مخطئاً خطأ فاحشاً فيما ذهب إليه من ظنه ببساطة هذه المخلوقات التي زعمها بدائية نشأت في الطبيعة أول ما نشأت ثم تطورت منها الحيوانات الأخرى.

يقول «رسل تشارلز إرنست» أستاذ الأحياء والنبات بجامعة فرنكفورت بألمانيا:

«لقد وضعت نظريات عديدة لكي تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات، فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين، أو من الفيروس،

(١) المصدر السابق مقتطفات من ص (٣- ص ٦).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة، وقد يخيل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التي تفصل بين عالم الأحياء، وعالم الجمادات. ولكن الواقع الذي ينبغي أن نسلم به هو أن جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان ذريعين. ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع، على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة، يمكن أن يؤدي إلى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية. وللشخص مطلق الحرية في أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة! فهذا شأنه وحدهَ ولكنه إذ يفعل ذلك إنما يسلم بأمر أشد إعجازاً وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله، الذي خلق الأشياء ودبرها.

«إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق. ولذلك فإنني أؤمن بوجود الله إيماناً راسخاً»[(١)].

وهكذا انهارت نظرية دارون وانهار معها الإلحاد الذي نجم بسببها، وثبت أن الإنسان جاء من الأعلى لا من الأسفل.

ومما يؤسف له ويحز في النفس أن هذه النظرية الهدامة التي أثبت العلم فشلها وضلالها في الغرب وألفت المجلدات في البرهنة على بطلانها، لا تزال تدرس في كثير من معاهدنا وجامعاتنا كأعظم حقيقة علمية، مما يدل على أن هناك مخططات مرسومة لإفساد النشء الإسلامي وإلقائه في هوة الإلحاد، ليعمل هدماً في كيان أمته ويتهالك على الشهوات والموبقات ما دامت حياته- كما تقول النظريات الإلحادية- صائرة إلى الفناء والاضمحلال، وما دام ليس هناك مثل عليا مقدسة، فكل شيء في تطور، حتى الأخلاق فما هو فضيلة اليوم رذيلة غداً . . .

(١) مقال «الخلايا الحية تؤدي رسالتها» في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهكذا يعمل الأعداء على هدم معاقل المقاومة في الأمة الإسلامية.

جاء في «بروتوكولات زعماء صهيون»:

«إن دارون ليس يهودياً، ولكننا استطعنا كيف نستخدم نظريته لهدم الأخلاق وانحراف الشباب غير اليهودي، ليفسح لنا المجال لحكم العالم...» فهل من معتبر.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نصيحة ذهبية إلى مفكري الغرب وزعمائه

العدد (٩٤) شوال (١٣٩٢هـ) - نوفمبر (١٩٧٢م).

كتب إليَّ بعض الجمعيات الإسلامية في ديار الغرب، تطلب مني أن أكتب لها رسالة في بيان مزايا الإسلام وحاجة الغرب إليه، تترجمها إلى اللغات الأجنبية وترسلها إلى مفكري الغرب وعلمائه وزعمائه في مختلف المناسبات تدعوهم فيها للإسلام، وذلك بناء على اقتراح لي أرسلته إليها.

واشترطت علي الإيجاز فسارعت إلى تلبية الطلب، وكتبت لها الرسالة التالية، آملا أن يتبناها من يقدر على تنفيذها، وتعديل ما يراه ضرورياً، والله سبحانه نسأل أن يتولانا بعنايته وتوفيقه.

- أيها الغربي، أخي في الإنسانية.

تحيات طيبة أبعث بها إليك من الشرق الجميل، من بلاد العرب، نبع النور والحكمة.

آملاً أن تسمح لي ما دمت أخي في الإنسانية- أن أقدم لك أعظم هدية سمينة، فيها سعادتك وسعادة قومك، بل وسعادة البشرية جمعاء. بل خلاصها من كل ما تعانيه من قلق واضطراب وفوضى.

اذكر - يا أخي في الإنسانية - أن جزيرة العرب كانت تتخبط قبل أربعة عشر قرناً بالضلال، والانحطاط، والفساد، والظلام، فحدثت حادثة عظيمة استطاعت بسرعةٍ عجيبةٍ أن تجعل من العرب خير أمة أخرجت للناس فسمت بأخلاقهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ووحدت كلمتهم، وجعلت منهم هداة مهديين انطلقت بهم في ميادين العلم والمدنية، فخرجوا إلى العالم ينقذونه من ظلمات الوثنية، والجهل.

فأسسوا أعظم حضارة عرفها التاريخ وكانت سبباً في إنقاذ البشرية كلها من ظلمات الجهل، والظلم، بشهادة مؤرخي وعلماء الغرب المنصفين الذين راحوا يطلقون عليها اسم «المعجزة العربية» وهي ظاهرة تاريخية عجيبة تستحق الدراسة للإفادة منها!.

إن هذه الهدية هي: «الإسلام».

ولاشك أنه بلغك عن هذا الدين الأخبار الكثيرة، ولكن أغلبها مشوه وكاذب، شوهه أناس لا يخافون الله، قد ماتت ضمائرهم، غايتهم تضليل الأبرياء، لتبقى لهم امتيازاتهم ويتسنى لهم امتصاص أموال الناس بالباطل.

إن هؤلاء الأشرار يحبون أن يبقى العالم في شقائه فيسعون جهدهم لتشويه حقيقة الإسلام، ليظهروه بمظهر سيّئ بمختلف وسائل الدعاية الكاذبة لتنفير الناس منه، وليبقوا في ظلام دامس وشقاء مستمر، مثلهم في ذلك مثل اللص يحاول - أول ما يحاول - إطفاء المصباح لتسهل عليه السرقة!

إن هذا المصباح المضيء، هو الإسلام الذي أضاء نوره العالم قبل أربعة عشر قرناً، فهم يحجبون ضياءه بمختلف الحيل والأساليب، ويخوفون جماعاتهم حتى من قراءة صفحات عنه، لأنهم يعلمون أن حقيقته وعظمته ستجذبهم إليه فيدخلون في دين الله أفواجاً.

ليس غايتي الدعاية للإسلام، إنما غايتي الأولى هدايتك إلى طريق الحق، وإنقاذك من الضلال، ومن الفراغ السحيق الذي تعانيه البشرية كلها بسبب النظم المادية التي تعكر حياتها وتهدد العالم بحرب هيدروجينية مدمرة نتيجة تركها للإسلام، شريعة الله!

وأهم ما ينبغي أن ألفت نظرك إليه أنك إذا دخلت الإسلام فلا تكون قد تركت ديانة المسيح عليه الصلاة والسلام.

أبداً! إن الإسلام امتداد للمسيحية الصحيحة، وإتمام لها، كما أن المسيحية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إتمام لشريعة موسى عليه السلام، هكذا أعلن المسيح عليه السلام في قوله «إنني ما جئت لأنقد الناموس، بل جئت لأتمم» وقال النبي محمد ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

قال لوزارون «ألفنس باسنت سابقاً» معترفاً بأن الإسلام هو الدين المسيحي محسناً ومحوراً، ونصح قومه الذين يلتمسون دينهم المفقود أن يستعينوا بالإسلام للعثور على ضالتهم المنشودة[1].

إنجيل يوحنا (١٤، ٢٤، ٢٥)، إنجيل مرقس (١٢، ٢٨)، إنجيل مرقس (١٣/ ٣٢) إنجيل متى (٢٠/ ٢)، إنجيل متى (١١، ١١)، إنجيل يوحنا (١٧، ٣)، إنجيل متى (٢١، ١١)، إنجيل يوحنا (٨، ٤)، إنجيل يوحنا (٦، ١٤)، إنجيل يوحنا (٥، ٨).

أجل راجع هذه الفقرات وفي مقدمتها ما جاء في (إنجيل مرقس ٢، ٣٣ حيث يقول المسيح: «الحق قلت: لأن الله واحد، وليس سواه»!

نجد توحيد الإله الذي جاء به الإسلام واضحاً في الأناجيل نفسها- كما هو واضح في التوراة- مما لا يدع مجالاً للشك في أن الله سبحانه واحد لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأن المسيح عبده ورسوله.

وراجع الفقرات التالية أيضاً من إنجيل يوحنا، ومثلها كثير في توراة يوحنا: ١٥، ٢٦ ويوحنا: ١٦، ١٢، ١٣، يوحنا: ١٥، ٢٢، يوحنا ١٦، ١٨.

أجل راجع هذه الفقرات وفي مقدمتها: «إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد - أي خاتم الأنبياء - وروح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله، لأنه ليس يراه ولا يعرفه. وأنتم تعرفونه، لأنه مقيم عندكم وهو ثابت بينكم «لأنه مذكور في التوراة،

(١) راجع تاريخ الإمام محمد عبده (٢/ ٤١٠)، وأرجو بهذه المناسبة مراجعة المجلد ٢٨ العدد ٧ الصادر في إبريل نيسان ١٩٦٥ من مجلة لايف الأمريكية حيث يثبت كبار العلماء الغربيين حدوث التحريف في التوراة والإنجيل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والإنجيل والفارقليط»[١]. روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم. والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى تؤمنوا!. أي تؤمنوا بالنبي محمد وتدخلوا في دينه! يوحنا: ١٤- ١٥) وما بعدها...

● **بشارات التوراة بمجيء الرسول محمد**

في التوراة عدد كثير من البشارات بمجيء الرسول محمد ﷺ، فعلى طالب الحقيقة مراجعتها في الإصحاح (١٨- والفقرة ٢٠) من سفر التثنية، والإصحاح (٣٢: والفقرة ٢١) والإصحاح (١٧ والفقرة ٢٠) من سفر الاستيثاء، والإصحاح (٤٩ الفقرة العاشرة) من سفر التكوين. والإصحاح (٤٢) من كتاب أشعيا، والإصحاح الرابع والخمسين من كتاب أشعيا، والباب الثاني من كتاب دانيال والفقرة ٣١، وجاء في أشعيا الإصحاح ٦٠ والفقرة ١- ٧ أجل في التوراة بشارات كثيرة، وفي مقدمتها ما جاء في الإصحاح الثالث والثلاثين قوله «جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، وتلألأ من جبل فاران» وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ بالإضافة على ما سبق «ومعه ألوف الأطهار».

فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل للمسيح. وتلألؤه من جبل فاران إنزاله القرآن على الرسول محمد.

ويمكن أن نستدل على أن فاران هي الحجاز بما جاء في التوراة على أن هاجر زوجة إبراهيم وأم إسماعيل سافر بها زوجها وأسكنها برية فاران، ومما هو ثابت في التاريخ أن هذه الهجرة كانت إلى الحجاز، وقاموس الكتاب المقدس نفسه، يفسر فاران: بالحجاز.

وقوله «ومعه ألوف الأطهار» يقصد صحابة الرسول محمد الذين رباهم فكانوا أمثال الطهر والأخلاق المثالية والجيل المثالي العظيم.

---

(١) ترجمت هذه الكلمة إلى اليونانية بلفظ «بيركلوطوس» أو باراكلوت فكانت بمعنى محمد وأحمد، كما هو واضح في الإنجيل المطبوع أعوام ١٨٢١ و ١٨٣١ و١٨٤٤ ثم حرفت ويا للأسف لإضاعة الحقيقة وترك البشرية في الضلال والفوضى.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لقد بشرت التوراة والإنجيل بمجيء نبي بعد المسيح (عليه السلام) الذي ذكر قاعدة لتميز الرسول محمد عن الأنبياء الكذبة فقال: «من ثمارهم تعرفونهم» وهل أعظم من الآثار التي جاء بها النبي محمد من عند ربه؟!

وفي مقدمتها: القرآن العظيم الذي لا يزال معجزته الخالدة على مر العصور، وقد تحدى الله سبحانه البشر أن يأتوا بمثله، وأن يجدوا فيه عيباً أو مخالفة للبديهيات العلمية الثابتة بعد مرور أربعة عشر قرناً على نزوله، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فإن في هذا القرآن عدداً كثيراً من الآيات التي سبقت العلم، مما لا يدع مجالاً للشك أنه من عند الله، بينما جاء في كتب بعض الأديان الأخرى من المهازل والسخافات والمتناقضات للعلم الشيء الكثير!

هذا وفقرة «من ثمارهم تعرفونهم» التي وردت في الإنجيل، وقد مر ذكرها، فإنها علاوة على إشارتها على ما سبق، فإنها تدل أيضاً على وعد السيد المسيح بمجيء الرسول محمد، وأن اليهود، والنصارى، كانوا ينتظرون مجيء هذا النبي.

إن اليهود المعاصرين للمسيح كانوا منتظرين نبياً آخر مبشراً به، وكان هذا المبشر عندهم غير المسيح، بدليل أنهم سألوا يوحنا قائلين: أأنت المسيح؟ ولما أنكر سألوه أأنت إيليا؟ ولما أنكر، سألوه: أأنت النبي المنتظر الذي أخبر به موسى. مما يدل على أن النبي محمدا كان منتظراً مثل المسيح وإيليا.

ولكن لعن الله المحرفين والمضللين الذين يخفون الحقيقة!!

إنك تتأكد مما سبق أن السيد المسيح قد أخبر وبشر بمجيء الرسول محمد ﷺ بصورة صريحة لا تدع مجالاً للشك، وحض على اتباعه، وسرعة الإيمان به، والدخول في دينه.

فما عليك إلا أن تؤمن به وتدخل في دين الإسلام.

وأذكر بهذه المناسبة أن الإسلام قد أشاد بعظمة المسيح، ورفع من شأنه، وأمر المسلمين بالإيمان به، وأثنى على أمه مريم الصديقة، في آيات.

إن البشرية اليوم بحاجة إلى الإسلام، بعدما أفلست جميع تشريعاتها ومذاهبها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الإسلام قادر على حل جميع مشكلات الغرب، بل مشكلات العالم بأسلوب طبيعي، وإنقاذه من القلق والفوضى والهلاك الذي يهدده، بسبب مذاهبه المنحرفة، التي سببت النزاع بين جماعاته، ذلك النزاع الذي يوشك أن يتحول إلى حرب هيدروجينية تعرض العالم والحضارة إلى الفناء.

إن الإسلام يرسم للعالم طريق السعادة الحقيقية، ويقدم له الحلول السريعة لمشكلاته كما اعترف بذلك كبار الساسة، والعلماء، والمؤرخين المنصفين في الغرب والشرق.

- **القوانين الطبيعية والتشريع السماوي**

اذكر- يا أخي في الإنسانية- أن الله العظيم قد وضع في هذا الكون لتنظيم العلاقة بين البشر والطبيعة قوانين مادية، فلابد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يستفيد من الطبيعة، وإذا خالف هذه القوانين عرض حياته للشقاء والانحطاط.

واذكر إلى جانب ذلك أن الله- سبحانه- وضع أيضاً قوانين تشريعية لتنظيم العلاقة بين البشر بعضهم ببعض، وهي ما تسمى الدين - فلا بد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يعيش سعيداً راقياً في حياته. وإذا خالف هذه التشريعات عرض حياته للشقاء والهلاك .

وما تعانيه البشرية اليوم من فوضى، وانحلال، وحروب، وفساد، ما هو إلا نتجية مخالفتها للتشريعات الإسلامية الإلهية، واعتمادها على تشريعات وضعية كانت سبباً في شقائها، فكما أن الإنسان لا يقدر أن يعدل قوانين الإله الطبيعية، كذلك لا يستطيع أن يعدل قوانين الإله التشريعية التي أنزلها عن طريق رسله إلى البشرية.

ويمكننا أن نقول أيضاً: إن البشرية إذا كانت عاجزة عن وضع القوانين بينها وبين الطبيعة وقد وضعها الإله، وفرض عليها اتباع هذه القوانين، فهي عاجزة كذلك أن تضع القوانين التشريعية بين أفرادها أنفسهم لأسباب وأسرار يطول الكلام عليها، وقد وضعها الإله وفرض على هذه البشرية اتباعها.

وقد جرب الفلاسفة، والعلماء، والساسة، وضع مثل هذه القوانين قبل عهد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أرسطو، وأفلاطون، إلى عهدنا هذا، ففشلوا جميعاً، بعدما عرضوا شعوبهم بسببها إلى الفوضى والهلاك.

فهذا أفلاطون (٤٣٠- ٣٤٨ ق.م) في كتابه «الجمهورية»، وهذا كنفوشيوس (٥٥٠- ٤٧٩ ق.م) في كتابه «الحوار»، وهذا الفارابي «٩٥٠م» في كتابه «يوتوبيا»، وهذه النازية، والفاشية، والرأسمالية، والديمقراطية، والشيوعية كلها قد انهارت، وتنهار، تاركة وراءها أسوأ الآثار والجرائم، بعد ما أنهكت البشرية في حروب طاحنة خلال نصف قرن من الزمن.

ولله در شوقي فقد خاطب الرسول محمداً ﷺ فقال يشير إلى الإسلام:

داء الجماعة من أرسطاليس لم يوصف له - حتى أتيت- دواء!

وكل ذلك من الأدلة الواضحة على حاجة البشرية إلى الإسلام، وأنه لا بد لها من الدخول فيه! جرب أن تقرأ عن الإسلام، ولو صفحات قليلة من مصادر موثوقة، حاول أن تطالع القرآن العظيم باللغة العربية إن كنت تحسنها، أو من الترجمة الصادقة، فإنه لا شك سيجذبك إليه لدراسته بتفصيل، إذا خلعت عنك رداء التعصب الذميم، والتقليد الأعمى، والتربية الحاقدة، التي تربيت عليها.

قبل أن أودعك، فإني أستصرخ ضميرك أن تسارع إلى دراسة الإسلام من مصادره الصحيحة: من القرآن، وحديث الرسول محمد، فإنه في ذلك نجاتك، ونجاة قومك، ونجاة البشرية جميعاً، من القلق، والاضطراب، والهلاك في الدنيا، وعذاب الله في الآخرة.

واذكر أن مئات الغربيين المفكرين المنصفين من جميع الدول الأوروبية والأمريكية دخلوا ويدخلون في الإسلام وأثنوا عليه، وشهدوا بأن باستطاعته حل جميع مشكلات العرب بسرعة وأنه- لا شك سيكون دين الغربيين في الوقت القريب، فما يمنعك أن تكون واحداً منهم فتنال سعادة الدنيا والآخرة.

واذكر في الختام أننا قد بلغناك دعوة الإسلام. فأصبحت مسؤولاً أمام الله عن الإيمان به. كما دعاك إلى ذلك السيد المسيح عليه السلام. ولا تنس في هذه المناسبة أن الإسلام غير المسلمين اليوم، فهم لا يعطون صورة صحيحة عنه. وهو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غير مسؤول عن تأخرهم وضعفهم وانحطاطهم. بعد أن تركوا التمسك به بحق، بسبب إهمالهم وانجرافهم في دعاية المستعمرين والمبشرين ضده.

ولا تنس أيضاً أن المسلمين لما تمسكوا بالإسلام تمسكاً صحيحاً وقوياً. وحدهم بعد فرقة. وقواهم بعد ضعف. ومدنهم بعد تأخر. وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس. ولما تركوه انهاروا وخذلوا، يشهد على ذلك التاريخ!

بعكس الحال في النصرانية بسبب تحريفها فإن الأوروبيين لما تمسكوا بها قد تأخروا وعاشوا في العصور الوسطى المظلمة في الغرب. والمتلألئة الراقية في الشرق بسبب حكم الإسلام ومبادئ الإسلام.

إن العالم اليوم يعيش في جاهلية مدمرة، وفوضى رهيبة. كما كان يعيش قبل بعثة الرسول محمد، وكلما تقدم الزمن فقد سعادته. وزاد في شقائه، وليس سوى الإسلام المنقذ والمخلص الوحيد.

● زعماء العالم

وبمناسبة الحديث عن الإسلام اذكر أن زعامة العالم في هذا الدين العظيم لن تكون للعرب خاصة، إنما تكون لأكثر الناس صلاحاً وإنتاجاً وتطبيقاً لمبادئ الإسلام التي هي مبادئ الحق، والقوة، والخير، والسلام، والجمال.

إن أول ما ينادي به الإسلام من أجل تحقيق السلام على الأرض. وإثارة الضمير الإنساني، أنه يعلن في مناسبات كثيرة أن البشرية ترجع في أصلها إلى نسب واحد وأبوين مشتركين، وإذا حكمنا العقل نجد أن كل ضرر يلحق بإحدى الجماعات البشرية ينتقل إلى الجماعات الأخرى بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، مما يدعوهم إلى المحبة، والوئام، والسلام.

وهذا المفهوم إذا كان غريباً في القديم، فإنه اليوم بعد اختراع وسائل النقل السريعة العجيبة والإذاعة والتلفزيون والهاتف والبرق... أصبح مقبولاً وضرورياً، فقد غدت الكرة الأرضية كوطن واحد، أو بلد واحد، وغدا سكانها كأسرة واحدة، أو كشعب واحد، فهل رأيت أسرة واعية أو شعباً مفكراً ينشأ بين أفراده النزاع والخصام؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبعد هذا النداء يعلن الإسلام. أنه لا بد لهذه المجموعة الإنسانية الواحدة من تشريع عظيم موحد، يعلمها حقوقها وواجباتها كيلا تختلف، ولا تتنازع فإنه ليس كاختلاف الناس في القوانين، والمعارك، سبب في النزاع، والخصام، فوضع لهم نظاماً راقياً ينطلق بهم في ميادين الرقي. والفضيلة. والسعادة، والسلام، فلا نزاع، ولا ظلم، ولا حرب، ولا جحود، ولا تأخر.

وليس هذا الكلام دعاية فارغة، فقد طبق الإسلام منذ قرون سابقة، فحقق جميع هذه الأهداف بشهادة المنصفين من الغربيين، وأوجد مدنية دمشق، وبغداد، والأندلس، فكانت سبب مدنية الغرب وإعجابه.

آه! ما أحوج الغربيين اليوم إلى الإسلام ليعلمهم الحياة السعيدة الراقية التي لم يذوقوها حتى الآن، صحيح أنهم طاروا في السماء، وغزوا القمر، ولكنهم ويا للأسف- لم يعرفوا حتى كيف يعيشون على الأرض بسعادة وسلام، فكانت هذه الاختراعات والاكتشافات سبب شقائهم، وباتت تهددهم بالدمار والفناء.

اذكر على الدوام أن محمداً رسول الله كما وصف نفسه- رحمة مهداة من الله إلى الإنسانية، وقد بعثه ليخرج الناس:

١- من عبادة المخلوق إلى عبادة الله وحده.

٢- ومن ضيق الدنيا إلى سعتها.

٣- ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام.

٤- ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث.

واذكر في ختام هذه الرسالة أن البشرية اليوم منقسمة إلى معسكرين متخاصمين، ويوشك أن تقع حرب مدمرة بينهما بسبب اختلافهما في الفردية والجماعية، في الرأسمالية، والشيوعية، وفي الروحية، والمادية، ولا يمكن توحيد هذين المعسكرين والتوفيق بينهما إلا بالإسلام، فهو وسط بن الرأسمالية، والشيوعية، وبين الفردية. والجماعية، وبين الروحية، والمادية.

تعال نصل إلى الله تعالى، وندعوه أن يجمع البشرية على دين واحد صحيح، يوحد بينها، ويحقق لها السعادة والرقي والسلام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

افتراء المستعمرين

العدد (٩٧) محرم (١٣٩٣م) - فبراير (١٩٧٣م).

من أنواع الحملات التي تفنن المبشرون والمستشرقون من ذوي الأغراض الماكرة في شنها على الإسلام لتزهيد المسلمين فيه وإبعادهم عنه ليصبحوا نهباً مقسماً للفوضى والاضطراب في التشريع ونظام الحياة، كي يسهل القضاء عليهم...

أجل من أنواع هذه الحملات التي يتفنن هؤلاء المبشرون والمستشرقون وأبواقهم المقلدة من أبناء جنسنا ويا للأسف في شنها على الإسلام.. اختلاق العيوب على كثير من تشريعاته كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات وقسوته في العقوبات، ولست في مجال تعداد مزايا هذه التشريعات وإثبات أنها فضائل لا عيوب، إنما أود بيان أن الإسلام ليس وحده الذي أتى بهذه الأنظمة.

فلماذا تشن عليه الحملات من هؤلاء المستعمرين والمستشرقين؟

وجميع هذه الأديان سواء في الحض على الحجاب وإباحة الطلاق وتعدد الزوجات والحزم في معاقبة الزناة والقتلة واللصوص!

كل ذلك يثبت مبلغ الحقد والبغض والافتراء الذي يشنه خصوم الإسلام عليه ظلماً وعدواناً لإبعاد أبنائه عنه وعن جهاده كي يصبحوا لقمة سهلة الازدراد والضياع، ولتنفير العالم منه، وقد بدأ يهتم بالإسلام ويستعد لدراسته وقبوله، بعد ما يئس من نظمه الوضعية الفاشلة التي تقوده إلى الهلاك.

إننا لا نقول القول جزافاً.

وليس لنا غاية بأن ندافع عن الإسلام بأسلوب اتهام غيره.

كلا.. ثم كلا..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فها نحن أولاء نأتي على المصادر اليهودية والنصرانية في إثبات الحجاب وجواز الطلاق وتعدد الزوجات وقتل القاتل ورجم الزاني وقطع يد السارق. .

● الحجاب

جاء في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين عن «رفقة» أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق. . فأخذت البرقع وتغطت. .

وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضاً أن «تامار». . خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت. .

وبعد ذلك بزمن كان فيليب أوف هيس، وفريدريك وليام الثاني البروسي، يبرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين، وأقر لوثر نفسه تصرف الأول منهما، كما أقره فلانكتون، وكان لوثر يتكلم في مختلف المناسبات عن تعدد الزوجات بغير اعتراض، فإنه لم يحرم بأمر من الله تعالى.

وفي سنة ١٦٥٠ الميلادية - بعد صلح وستفاليا بعد أن تبين النقص في عدد السكان من جراء الحرب الثلاثين- أصدر مجلس الفرنسيين بنورمبرج قراراً يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين، بل ذهبت بعض الطوائف النصرانية إلى إيجاب تعدد الزوجات، ففي سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون في مونستر صراحة: بأن المسيحي- حق المسيحي- ينبغي أن تكون له عدة زوجات، ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام إلهي مقدس. .

● الطلاق

جاء في الإصحاح الرابع والعشرين من التثنية: إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه، لأنه وجد فيها عيوباً شتى، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر.

وجاء في الإصحاح الثالث من كتاب أرميا: «إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر، فهل يرجع لها بعد؟ ألا تتنجس تلك الأرض نجاسة؟» ولا أدري لماذا تتنجس إذا رجعت إلى زوجها الأول ولم تتنجس إذا تزوجها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزوج الثاني؟!!

جاء في الإصحاح السابق: «وأما المتزوجون فأوصيهم- لا أنا بل الرب- ألا تفارق المرأة رجلها، وإن فارقته- وهذا اعتراف منه بجواز الطلاق- فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها».

وجاء في إنجيل متى: «أن السيد المسيح سئل عن الطلاق فاستنكره لقسوته، وقال إن من طلق امرأته لغير الزنى جعلها تزني، ودفع بالزوجة إلى اقتراف الرذيلة» «هل صحيح أن النساء جميعاً يزنين إذا طلقن؟!!».

وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني!

ولا أدري كيف نوفق بين هذا النص للمسيح عليه السلام الذي لا يفهم منه تحريم الطلاق؟

وفي الإصحاح الثالث من سفر أشعيا إن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن.

ويقول بولس المسمى بالرسول في رسالة كورنتوس الأولى: إن النقاب شرف للمرأة.

ولا يخفى أن البرقع أشد من الحجاب.

• تعدد الزوجات

جاء في أخبار العهد القديم أن داود وسليمان عليهما السلام قد جمعا بين مئات الزوجات الشرعيات والإماء، حتى نسب اليهود ظلماً وكذباً إلى سيدنا داود أنه أراد الزواج بامرأة قائده «أوريا» بالإضافة إلى زوجاته الكثيرات. بعد تعريض هذا القائد للقتل، وقد وقع كثير من المفسرين المسلمين في هذه الخطيئة بسبب أخذهم الإسرائيليات كأنها حقائق ثابتة!

وفي الإصحاح الثاني عشر من سفر صمويل الثاني يقول النبي ناتان لداود: «أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك.. لماذا أخذت امرأة أوريا لك امرأة؟!».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول كانت لسليمان سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السراري.

ويقول نيوفلد صاحب كتاب «قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين»: «إن التلمود والتوراة معاً قد أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه».

والديانة النصرانية هي تبع للديانة اليهودية لقول المسيح عليه السلام: «ما جئت لأنقض الناموس بل جئت لأتمم». فيمكن أن نجزم بإباحة تعدد الزوجات فيها، لاسيما وأنه لم يرد في الإنجيل نص صريح بتحريم هذا التعدد، غير أنه ورد في كلام بولس استحسان الاكتفاء بزوجة واحدة لرجل الدين.

وقال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «المرأة في القرآن الكريم»:

«وبقي تعدد الزوجات مباحاً في العالم المسيحي إلى القرن السادس عشر، كما جاء في تواريخ الزواج بين الأوروبيين»، ويقول وستر مارك في تاريخه: «إن ديارمات ملك إيرلنده كان له زوجتان، وسريتان، وتعددت زوجات الملوك الميروفنجين غير مرة في القرون الوسطى، وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السراري، وكان يظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولاً بين رجال الدين أنفسهم».

بل الزجر عنه، وبين قوله: «إنني ما جئت لأنقض الناموس»- أي الديانة اليهودية وهي تبيح الطلاق كما رأينا- «بل جئت لأكمل».

وعلى كل حال فإن جميع الدول الأمريكية والدول الأوروبية وآخرها إيطاليا بلد الفاتيكان! قد أخذت بالطلاق.

وبمناسبة الكلام على اشتراط الإنجيل- الحالي- الزنى في الطلاق، وهو أمر غير طبيعي ولا معقول، أنشئت في أمريكا عصابات من «كبار» المثقفين.. من المحامين والأطباء والكتاب ورجال القانون.. مهمتها.. ماذا؟!

مهمتها تيسير مهمة الزنى.. لأغراض قانونية..!!

ففي الولايات الكاثوليكية لا يباح الطلاق إلا في جريمة الزنى من أحد الزوجين فيحق للزوج الآخر أن يطلب الطلاق، ومن ثم يلجأ الطرف الكاره الذي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يطلب الطلاق - سواء هو الزوج أو الزوجة - إلى واحدة من هذه العصابات للإيقاع بالطرف الآخر في جريمة زنى، وضبطه متلبساً، وإعطاء المستندات اللازمة التي تمكن من طلب الطلاق لقاء أجر معلوم.

● **العقوبات:**

إن عقوبة قتل القاتل العمد ورجم الزاني والزانية المحصنين وغير ذلك من العقوبات الشديدة تشترك فيها الديانات الثلاث، وقد أشار إلى بعض ذلك الله سبحانه في القرآن الكريم بقوله: «﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي في التوراة - ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ » (المائدة: ٤٥).

وقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة بشأن الرجم؟» فقالوا نفضحهم ويجلدون.. قال عبد الله بن سلام - وكان منهم وقد أسلم: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة، فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا آية الرجم.

فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله، فرجما، فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة!!.. وهذا لفظ البخاري..

وفي هذه الحادثة نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله عليها، أي يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ أي المحرف أي الجلد أي أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه- أي بالرجم- فاحذروا» أي أن تقتلوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٤١).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومما سبق ندرك كذب وافتراء المستعمرين والمبشرين الذين يحاولون الطعن في الإسلام بتخصيصهم له في هذه النظم السابقة، متجاهلين ومتناسين أنها شرائع التوراة والإنجيل كما هي شريعة القرآن، وهي في منتهى العدل والحكمة كما ظهر ذلك حين تطبيقها في صدر الإسلام فكانت سبباً في تحقيق المدينة الفاضلة وإنشاء الجيل المثالي لأول مرة في تاريخ البشرية ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (التوبة: ٣٢- ٣٣).

كل ذلك بعكس نظمهم وتشريعاتهم الوضعية من ديموقراطية وشيوعية، وقد نرى مصارعها وفشلها في هذا العهد، كما رأينا مصارع الفاشية والنازية من قبل!

وأهم ما يريده الطغاة المفسدون من دسائسهم وافتراءاتهم أن يظهروا الإسلام للمرأة المسلمة بأنه عدوها، وأنه ظلمها في الوقت الذي حماها من الاعتداء على حقوقها والتبذل في سلوكها، وأعطاها حقوقها كاملة لأول مرة في التاريخ دون أن ترفع صوتاً أو تقدم احتجاجاً للمطالبة بها..

ألا ساء ما يعملون.

وساء ما يفترون.

وإذا كنا ذكرنا مما سبق وجه الشبه بين القرآن والتوراة والإنجيل في بعض الأحكام والتشريعات، فليس معنى ذلك أن الإسلام يقر كل ما جاء في اليهودية والمسيحية بعد تحريفهما من آراء ونظم عن المرأة، بل الأمر بالعكس، فقد ثار هذا الدين العظيم على كل ما يسيء إلى المرأة ويستذلها.. وإلى القارئ بعض ما جاء في الديانتين اليهودية والنصرانية وأقوال رؤسائهما من انحرافات يبرأ منها الحق والعدل والذوق ويحاربها الإسلام بلا هوادة، وذلك في قصة غريبة واقعية قصها عليَّ أحد طلابي:

ذهبت فتاة مسيحية إلى الكنيسة صحبة خطيبها لعقد زواجهما في ألمانيا الغربية وكان معهما طائفة كبيرة من أصدقاء وأقرباء كل منهما. وكان هذا الزوج مثقفاً درس بعض مبادئ الدين الإسلامي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما كاد القس ينتهي من مراسيم العقد حتى راح يوصي الزوج بقوله: «إنني أوصيك يا بني ألا تظلم زوجتك وتسيء معاملتها، وتحتقرها كما يحتقر الدين الإسلامي المرأة ويأمر المسلمين بسوء معاملتها!!

فغضب الزوج من هذا الكلام وقال بأعلى صوته:

«هذا الكلام مغاير للحقيقة، فإن الذي يحتقر المرأة ويأمر بظلمها هي الكنيسة، وما جاءت به من مبادئ، وما زعمته من أقوال المسيح، وهو لا شك بريء منها!».

ثم تمم الزوج كلامه:

«كل ذلك بعكس ما جاء به الإسلام الذي له الفضل الأكبر في إنصاف المرأة، وإعطائها حقوقها كاملة لأول مرة في تاريخ البشرية».

فدهش القس من هذه المفاجأة والتف القسس حول الكاهن، وتجمهر المدعوون حول الزوجين يطلبون من رجال الكنيسة التحقيق في ادعاء هذا الزوج، حتى إذا كان مخطئاً أقنعه القس بالتراجع عن كلامه..

اضطرب الكاهن لجرأة الزوج، وغلب على أمره تجاه ضغط الحضور فسأله عن دليله فيما يقول:

فتقدم بكل شجاعة وقال: ألم تقل الكنيسة في مبادئها:

«إن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور، وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء، فبحسبها ندامة وخجلاً أنها امرأة وينبغي أن تستحي من حسنها وجمالها، لأنه سلاح إبليس الذي لا يوازيه سلاح من أسلحته المنوعة، وعليها أن تكفر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبداً، لأنها هي التي قد أتت بما أتت به من الرزء والشقاء للأرض وأهلها».

ودونكم ما قاله ترتوليان أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتها، مبيناً نظرية المسيحية في المرأة:

«إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الممنوعة، ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الله- أي الرجل».

وكذلك يقول كرائي سوستام الذي يعد من كبار علماء الديانة المسيحية في شأن المرأة:

«هي شر لا بد منه، ووسوسة جبلية، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة ورزء مطلي مموه».

ثم قال هذا الزوج:

ألم يجتمع مجمع «ماكون» في القرن الخامس للبحث في مسألة: «هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟ أو لها روح؟».

وأخيراً قرر رجال الكنيسة في هذا المجمع: «إن المرأة خلو من الروح الناجية (من عذاب جهنم) ما عدا أم المسيح».

ألم يجتمع أيضاً مؤتمر في فرنسا عام ٥٨٦ تحت إشراف الكنيسة للبحث: «هل تعد المرأة إنساناً أو غير إنسان؟» وأخيراً قرروا «أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب» وقد جاء في التوراة التي يدين بها اليهود والنصارى: «المرأة أمرّ من الموت!! وإن الصالح أمام الله ينجو منها، رجلاً واحداً بين ألف وجدت، أما امرأة، فبين كل أولئك لم أجد!!».

فهل بعد هذا الاحتقار من قبل الكنيسة للمرأة احتقار؟!

وهل بعد هذا الظلم لها من ظلم؟!

هذا- وقد ذكرت الكنيسة لنا على لسان المسيح في الإنجيل أنه قال: «...إنه يولد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع أن يفعل فليفعل»[(١)].

فهل يعقل أن يقول هذا المسيح، فيعطل فطرة الرب في الزواج؟!

ومن المؤسف أن يعلق «ترتوليان» السابق الذكر على ما زعمته الكنيسة أنه من أقوال المسيح «لقد فتح المسيح للخصيان أبواب السماء؛ لأن حالتهم قد باعدت

(١) إنجيل متى: الإصحاح ١٩ الفقرة ١١.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بينهم وبين قربان النساء».

ولا يخفى على عاقل عاقبة الخصي ونتيجته في تشريد ملايين النساء وتركهن بدون أزواج، الأمر الذي يدفعهن إلى ارتكاب مختلف الجرائم الجنسية.

ومما يؤسف له أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها بنظر الكنيسة، فيجب أن تتجنب، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع ولنأخذ لذلك مثلاً شائعاً بين النصارى خلاصته:

أن الزوجين اللذين اتفق لهما أن يبيتا معاً ليلة عيد من الأعياد، لا يجوز لهما أن يعيِّدا ويشتركا مع القوم في رسومهم ومباهجهم، كأنهما قد اقترفا إثماً سلبهم حق المشاركة في حفل ديني.

ومن أعظم الأدلة على احتقار الكنيسة للمرأة والسعي لتعذيبها.

أن القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥ كان يبيح للرجل- تحت تأثير النظرة المسيحية للمرأة- أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات (نصف شلن).

وقد حدث منذ أعوام أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقسام فلما امتنع المشتري عن سداد الأقسام الأخيرة قتله الزوج البائع!

وهذا الاحتقار والذم للمرأة قد انتقلا عن المسيحية إلى كثير من الآداب الأوروبية، فقد جاء في المثل الروسي: «لا تجد في كل عشر نسوة غير روح واحدة».

وجاء في المثل الأسباني: احذر المرأة الفاسدة، ولا تركن إلى المرأة الفاضلة!.

وجاء في المثل الإيطالي: المهماز للفرس الجواد والفرس الجموح، والعصا للمرأة الصالحة، والمرأة الطالحة.

وأخيراً ختم الزوج كلامه قائلاً: «إنني أعلنها صريحة إن الكنيسة تحمل اليوم أعظم الجريمة فيما نراه في الغرب من انهماك في الشهوات الجنسية وتكالب على الزنى.. كنتجية حتمية لرد الفعل لتعاليم الكنيسة التي حاربت الفطرة الإنسانية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قروناً طويلة ثم ما لبث الغربيون أن ثاروا على نظمها وفكوا الأغلال وكسروا القيود وانطلقوا رجالاً ونساء في حياة الفجور وساروا وراء غرائزهم الجنسية إلى أبعد الحدود حتى بات الغرب مهدداً بخطر مخيف.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خطر إهمال التبشير في ديار الغرب

العدد (٩٨) صفر (١٣٩٣هـ) - مارس (١٩٧٣م).

إننا معشر المسلمين نعيش اليوم في خطر داهم، فإن الغرب يحاربنا حرباً صليبية لا هوادة فيها، ويعتبر قتالنا جهاداً مقدساً بسبب ما غرسه المبشرون في سكانه من عداوة لنا منذ نشأتهم، فهم يعتبروننا - ظلماً وافتراء - أعداء المسيح، وأعداء الإنسانية، ويحسبون تشريعنا تشريعاً همجياً، ويصفون رسولنا محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - بأنه من سفاكي الدماء، ومحبي الشهوات، والكذب على الله تعالى.

كل ذلك ليحجب هؤلاء المبشرون نور الإسلام عن البشرية، ويبقوا متمتعين بامتيازاتهم وسلطانهم.

لنستمع الآن إلى ما يقوله أحد المتعصبين من الغربيين، وما يذيعه على قومه، وهو باحث مستشرق فرنسي يدعى «كيمون» فقد ذكر في كتابه: «باثولوجيا الإسلام»:

«أن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور، ويجمع بين القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظة «الله»[1] إلى ما لا

(١) انظر كيف تسيء البدع والأوهام إلى سمعة الإسلام، فإن الذكر بلفظ «الله، الله» لم يرد في الكتاب أو السنة، وخاصة إذا كان مصحوباً بالرقص كما يحدث ذلك فيما يسمونه بحلقات الذكر، مما جعل هذا المستشرق يظن أن ذلك من الإسلام وراح يسميه بمظاهر الصرع والذهول العقلي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نهاية والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات»[١].

ويرى هذا المستشرق الخبيث وأمثاله كثيرون، المسلمين وحوشاً ضارية ويعتقد أن من الواجب إبادة خمسهم والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة، ووضع ضريح محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- في متحف اللوفر[٢].

يا للهول.. فكيف يهنأ لنا حال، ويهدأ لنا بال؟ وهذا ما يذاع عن الإسلام في ديار الغرب، ونحن ساهمون لاهون، ثم لا تلبث أن تنصب علينا حمم وقذائف الغربيين انتقاماً وتشفياً منا نتيجة هذه الدعايات والافتراءات التي لا نكلف أنفسنا الرد عليها بصورة صحيحة وعملية منتجة تصل إلى جميع الأسماع والأنظار.

وقد يعمد هؤلاء الغربيون قبل محاربتنا مادياً، إلى شن الحملات الثقافية والغزو الفكري بين أبنائنا وبناتنا لتسميم أفكارهم عن الإسلام عن طريق مدارسهم التبشيرية والعلمانية وبوساطة البعثات والسينما والكتب والمجلات وغيرها ليكونوا حرباً علينا وعلى عقيدتنا من الداخل.

إن الإسلام- والمسلمين- في حرب إذًا من الخارج والداخل ضد قوى هائلة، وإذا كنا باقين على شيء من الحياة، فلأن هؤلاء المستعمرين مختلفون فيما بينهم على اقتسام الغنيمة، ولو اتفقوا- كما كانت الحال عقب الحرب العالمية الأولى- لعمدوا إلى استعمارنا وامتصاص دمائنا، وبالتالي إلى إفنائنا واستئصالنا! وذلك لأن نفوسهم تغلي حقداً على الإسلام والمسلمين بسبب التربية الإجرامية والتوجيهات الهدامة والإشاعات الماكرة التي يتلقونها في بيوتهم ومدارسهم ومعابدهم، وقد رأينا مثالاً من هذا الحقد في كلام «كيمون» وقد جاء في إحدى الأناشيد الإيطالية التي تعلم للطلبة في المدارس:

«إني ذاهب يا أمي إلى الجهاد لمحو القرآن، وإذا ما مت، فلا تحزني علي، وإن سئلت عن سبب عدم حدادك، فقولي- وأنت فرحة- لقد استشهد في سبيل

(١) تاريخ الإمام محمد عبده (٣/ ٤٠٩).
(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٢٢٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القضاء على الإسلام».

وقد أعلن قادة فرنسا في مناسبات كثيرة أن الحرب في الجزائر بين الصليب والهلال بقصد الانتقام من المسلمين.

والمستعمرون غالباً يخفون نواياهم الدينية- أحياناً- تحت أستار اقتصادية وسياسية وغيرها من الحيل، ولكن غايتهم الحقيقية هي القضاء على الإسلام والمسلمين.

وقسماً بالله لو أن عرب فلسطين كانوا نصارى لما كان لهم هذا المصير، وهذه شعوب البلقان النصرانية، فإن أول ما فعلته حكومات أوروبا لما قويت، المسارعة إلى تحريرها من سلطان الدولة العثمانية المسلمة.

كل ذلك يفعله الغربيون على الرغم من حسن معاملة المسلمين لهم في عهود مجدهم وقوتهم، فمدوا إليهم يد المعونة وأنقذوهم من ظلمات الجهل باعتراف علمائهم ومؤرخيهم المنصفين مما لا مجال لسرده هنا.

❊ ❊ ❊

والآن، ما العمل؟ وكيف النجاة من أخطار الغربيين وغزوهم؟ ريثما يتم لنا الحصول على قوة كقوتهم واستعداد كاستعدادهم؟

السبيل إلى ذلك التبشير بالإسلام في البلدان الغربية لإطلاع الغربيين على عظمة الإسلام وإنسانيته وسماحته وسمو مبادئه، ومبلغ حاجتهم إليه وما خسروه بسبب محاربتهم له، وأنه صديق المسيح عليه الصلاة والسلام، ومؤمن بنبوته، وقد جاء هذا الدين رحمة للعالمين فاستطاع النهوض بالعرب خلال مدة قصيرة من الزمن، فانطلقوا من باديتهم وفتحوا الدنيا المعروفة وقتئذ وملأوها عدلاً ورحمة بعدما ملئت جوراً وهمجية.. وهو لا يزال- وإلى الأبد- يحمل بين طياته عناصر القوة والسعادة والمعرفة..

وينبغي أن يكون هذا التبشير على مستوى عال وبأرقى وسائل الإعلام، ونذكر فيما يلي نماذج منها لبيان مزايا الإسلام وحاجة الغرب إليه، كل ذلك بمختلف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اللغات الأجنبية:

١- استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية.

٢- الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين وإطلاعهم على الإسلام.

٣- صنع الأفلام السينمائية وعرضها في الغرب.

٤- المسارح والفرق التمثيلية.

٥- تأليف الكتب والنشرات المبسطة عن الإسلام.

٦- إنشاء مجلات إسلامية وخاصة للأطفال.

٧- التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الإسلام.

٨- تقوية الإذاعات العربية لإيصال صوت الإسلام إلى أسماع جميع الغربيين بأساليب حديثة مشوقة.

ويحسن إلى جانب ما سبق، إعلام الغربيين بما جاء في كتبهم الدينية من تحريف وتناقض ومعوقات عن التقدم والرقي.

كما يحسن أيضاً إعلام هؤلاء الغربيين عما جاء في هذه الكتب من توحيد الإله ونبوة المسيح، وبعثة محمد عليهما الصلاة والسلام.

وينبغي أن نشير بمناسبة الكلام عن التبشير إلى أن الظروف الحاضرة كلها مواتية له، فإن الغرب اليوم يعيش في قلق مخيف وفراغ سحيق بسبب إفلاس وعجز الديانة المسيحية ومثلها جميع النظم والقيم التي وضعها الغربيون لأنفسهم.. فكانت سبب اضطرابهم.. ووقوعهم فريسة للمادة التي كرسوا حياتهم لها، فكان مثلهم مثل عبدة الأصنام الذين صنعوا معبودهم، فما لبث أن أذلهم وأعمى أبصارهم..

هذا مثل الحياة المادية التي يعيشها الغربيون، فغدوا أسرى لها، وأفنوا أعمارهم من أجل الحصول عليها دون أن تحقق لهم الاستقرار والسعادة والطمأنينة بل كانت سبب حروب طاحنة بينهم.

واليوم شعروا بالفراغ نتيجة البعد عن القيم الروحية، ونادى كبار علمائهم ومفكريهم بقرب انهيار حضارتهم بسبب ذلك، وسموا هذا العصر بعصر القلق

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على الرغم من توفر جميع الوسائل المادية.

ففي هذه الأزمة الروحية إذا تقدم المسلمون بالإسلام الصحيح من منبعيه الفياضين: الكتاب والسنة، لا من الاختلافات المذهبية المضطربة، وبالأساليب الحديثة النفسانية (السيكولوجية) وأثبتوا للغربيين استعداد هذا الدين وقدرته على حل جميع مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما اعترف بذلك كثير من علمائهم المنصفين.

أجل إذا تقدم المسلمون بالإسلام إلى الغربيين بالصورة السابقة، فإنهم لا شك سيقبلون عليه إقبال الظمآن على الماء العذب، وسيدخلون فيه أفواجاً...

وبذلك نكون قد أنقذناهم من خطر داهم ينتظرهم من جراء فقدان المثل العليا واستعدادهم الجهنمي الذي يهدد البشرية كلها بالفناء.

كما نكون قد أنقذنا أنفسنا وأبناءنا الذين يسيرون وراءهم ويدورون بفلكهم.

وكذلك نكون قد أنقذنا الحضارة من شر محدق، ووجهنا هؤلاء الغربيين العباقرة وجهة صالحة نحو الحق والخير والسلام، وفتحنا للبشرية صفحة جديدة تحقق لها السعادة والرقي الصحيح.

لقد بشر الله سبحانه في القرآن العظيم بهذا اللقاء، وبإسلام العالم أجمع في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

وقوله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ (الصف: ٩).

كما بشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا المستقبل العظيم للإسلام بقوله: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر» رواه أحمد والطبراني والحافظ المقدسي وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وقد أعلن كثير من منصفي علماء الغرب وفلاسفته عن قرب اليوم الذي يدخل فيه الغربيون الإسلام، فقال الفيلسوف الإنكليزي «برنارد شو»:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«إن محمداً يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، ولو أن رجلاً مثله تولى قيادة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما، وإن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذاباً ومقبولاً لكل جيل من الناس، وقد تنبأت أنه سيكون مقبولاً لدى أوروبا غداً، وقد بدأ يكون مقبولاً لديها اليوم.. وفي الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومي، ومن أهل أوروبا دخلوا دين محمد، حتى لنتمكن أن نقول: إن تحول الغرب إلى الإسلام قد بدأ»(١).

هذا، وإذا سلمنا جدلاً أن الغرب في الوقت الحاضر لا يدخل في الإسلام فإننا نكون في هذا التبشير قد قمنا بواجبنا الديني، وأطلعنا الغربيين على ديننا وعرفناهم بمبادئه، وهم- ولا شك- سيقلعون عن محاربته وعن قتالنا.

* * *

ومن الغريب- والغريب جداً- أن يهمل المسلمون التبشير بدينهم وقد خص الله سبحانه في القرآن سهماً معيناً ومستقلاً من أموال الزكاة للتبشير، وهو سهم «المؤلفة قلوبهم» ولو استخدمه المسلمون بوعي لانتشر الإسلام في كل مكان..

وقد فهم الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله تعالى عنه- من هذا السهم قسما معيناً من الناس، فلما قوي الإسلام امتنع عن إعطائه لهم، وهو أوسع من ذلك قال الإمام ابن كثير في تفسيره:

«وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام، منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين، وقد كان شهدها مشركاً قال: فلم يزل يعطيني حتى صار أحب الناس إلي بعد أن كان أبغض الناس إليَّ. كما قال الإمام أحمد: حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري

---

(١) من رسالة سماها «نداء العمل» نشرت في مجلة «نور الإسلام» التي كان يصدرها الجامع الأزهر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال- وذكر الحديث السابق رواه مسلم والترمذي من حديث سعيد بن يونس عن الزهري.

ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم». وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن علياً بعث إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذهبية في تربتها في اليمن فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، وعلقمة بن علاثة، وزيد الخير وقال: «أتألفهم» .

ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه، ومنهم من يعطى ليجبي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد، ومحل تفصيل ذلك في كتب الفروع والله أعلم.

وهل تعطى المؤلفة على الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فيه خلاف، فروي عن عمر وعامر والشعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده، لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم في البلاد، وأذل لهم رقاب العباد.

وقال آخرون: بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر يحتاج إليه فيصرف إليهم»اهـ.

وجاء في تفسير الإمام ابن الجوزي قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم قوم كان رسول الله ﷺ يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم، وكانوا ذوي شرف، وهم صنفان: مسلمون وكافرون، فأما المسلمون، فصنفان، صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة، فتألفهم تقوية لنياتهم كعيينة بن الحصن، والأقرع، وصنف كانت نياتهم حسنة، فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين، مثل عدي بن حاتم، وأما المشركون، فصنفان، صنف يقصدون المسلمين بالأذى، فتآلفهم دفعاً لأذاهم مثل عامر بن الطفيل، وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام، تألفهم بالعطية ليؤمنوا، كصفوان بن أميه، وقد ذكرت عدد المؤلفة قلوبهم في كتاب «التلقيح» وحكمهم باق عند أحمد في رواية، وقال أبوحنيفة، والشافعي: حكمهم منسوخ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال الزهري: «لا أعلم شيئاً من نسخ حكم المؤلفة قلوبهم». أهـ.

* * *

لنفكر من جديد في سهم المؤلفة قلوبهم، ولنصرفه كما خطط له الإسلام مما رأينا خلاصته سابقاً، فإنه كفيل بإحداث انقلاب عظيم في صفوف الغربيين ودخولهم في دين الله أفواجاً، أو نجاتنا من شرهم على أقل تقدير، والحفاظ على البقية الباقية من ثروة المسلمين من الضياع وابتلاع المستعمرين لها نتيجة إهمالنا التبشير بديننا.

وقد حرص الرسول ﷺ كما حرص القرآن العظيم على التبشير، فلم تصرفه مشكلاته في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، وما لاقاه من مؤامرات المشركين من الخارج، ومؤامرات اليهود والمنافقين من الداخل عن هذا التبشير، فبعث الكتب والرسل إلى الملوك والأمراء والأقيال يبلغهم دعوة الإسلام ويحثهم على الدخول فيه مع أقوامهم الذين يحملهم تبعتهم.

وقد كان هذا الرسول العظيم يعرض نفسه على القبائل قبل الهجرة في موسم الحج ويشرح لها مبادئ الإسلام بمختلف الوسائل متحملاً في سبيل ذلك أنواع الاضطهاد والعنت، حتى دخل الكثيرون في الإسلام.

وقد رأيت من الطرافة - ونحن بصدد الحديث عن عرض الدعوة للإسلام - أن أتحدث عن الكتب التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما رافقها من أحداث وتطورات، لعلها تثير فينا الحماسة وتبعثنا على التضحية فنسارع إلى تبليغ دين الله تعالى إلى الأمم جمعاء حتى نكون شهداء حقاً عليهم يوم القيامة بأننا بلغناهم وإلا كانوا معذورين بعدم إسلامهم، وكنا مسؤولين عن تقصيرنا، وعما نلاقي منهم من اعتداء..

وأول ما فعله هذا الرسول أن هيأ رسله وأعدهم لحمل هذه الكتب وقطع المسافات الشاسعة لتسليمها إلى أصحابها وتحمل كل ما يتصور أن يصيبهم بسببها من اضطهاد وقتل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه فقال: «أيها الناس، إن الله قد بعثني رحمة للناس كافة فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم»..

قال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟

قال: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً، فرضي وسلم، وأما من مبعثه مبعثاً بعيداً، فكره وجهه وتثاقل».

ثم ذكر لهم أنه مرسل إلى هرقل وكسرى والمقوقس والحارث الغساني ملك الحيرة والحارث الحميري ملك اليمن، وإلى نجاشي الحبشة يدعوهم إلى الإسلام.

فأجابه أصحابه إلى ما أراد، فصنع له خاتماً من فضة نقش عليه «محمد رسول الله» وأرسل الكتب مع رسله.

ترى كيف كان مصير هذه الكتب وبماذا أجيب عنها؟

روى الطبري في الجزء الثالث من تاريخه أنه لما وصل كتاب رسول الله إلى هرقل ملك الروم، وهو بالشام يريد العودة إلى القسطنطينيه، جمع الروم وقال لهم ما ملخصه:

يا معشر الروم، إني عارض عليكم أموراً فانظروا فيما قد أردتها، قالوا: وما هي؟ قال: تعلمون - والله - أن هذا الرجل لنبي مرسل، إنا نجده في كتابنا، نعرفه بصفته التي وصف لنا، فهلم فلنتبعه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. فقالوا: نحن نكون تحت يدي العرب، ونحن أعظم الناس ملكاً وأكثرهم حالاً وأفضلهم بلداً. فلما أبوا عليه، قال: أما والله لترون أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم.. ثم جلس على بغل له، فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال: السلام عليك أرض سورية تسليم الوداع، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية.

أما كسرى فارس فإنه ثارت ثائرته، واشتد غضبه عندما تسلم كتاب الرسول، وبعث إلى عامله على اليمن- باذان- يأمره بأن ينهض لتأديب هذا الرجل وجاء في إنذاره «ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك فليأتياني به».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأرسل رجلين من قبله إلى الرسول، فلما وصلا إليه أخبراه أن كسرى يطلب مقابلته، فصرفهما الرسول على أن يلتقي بهما في الغد.. وحان موعد الرجلين، فذهبا لمقابلة الرسول ﷺ، فأخبرهما بمصرع كسرى بيد ابنه شيرويه، كما أخبره الوحي، فدهشا من هذا الخبر. وقال لهم رسول الله: «أخبرا ملككم ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى.. وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء».

ولما وصل الخبر إلى باذان وتحقق بعد ذلك من قتل كسرى قال: «إن هذا الرجل لرسول».. فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن.

وأما المقوقس عظيم القبط في مصر، فقد استقبل حامل كتاب الرسول بما يجب من إكرام وبعث معه بهدية: جاريتين وغيرهما، أما الجاريتان فمارية التي اختارها النبي لنفسه فولدت له إبراهيم من بعد، وسيرين التي أهداها إلى شاعره حسان بن ثابت.

وأما ملك الحبشة النجاشي، فقد ذكر المؤرخون أنه لما تسلم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضعه على عينيه، ونزل عن سريره وجلس على الأرض، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وحفظ الكتاب عنده، ثم بعث بكتاب إلى رسول الله جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمته وبركاته الذي لا إله إلا هو، والذي هداني للإسلام، أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام، فورب السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثته إلينا وقرّبنا ابن عمك وأصحابك، وأشهد أنك رسول الله صادقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يده لله رب العالمين.

وقد سر النبي كثيراً لإسلام النجاشي، ولما بلغه موته صلى عليه صلاة الغائب لعلمه أنه لم يصل عليه أحد في الحبشة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أكتفي بهذا القدر من سرد مبلغ اهتمام الإسلام بالتبشير، وقد جعله فرضاً عينياً على العلماء فقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ أي إلى الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

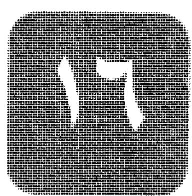
وفي الختام أستصرخ ضمائر المسؤولين وأصحاب الثروات في العالم العربي والإسلامي لإعطاء موضوع التبشير بالإسلام في ديار الغرب ما يستحقه من اهتمام، وهو أولى من التبشير به في أفريقيا وغيرها حيث يلقى هناك مقاومة عنيفة من جيوش المبشرين النصارى بوسائلهم المختلفة القوية.. ولا يوجد كل ذلك في الغرب نفسه، وهو مصدر الجريمة.

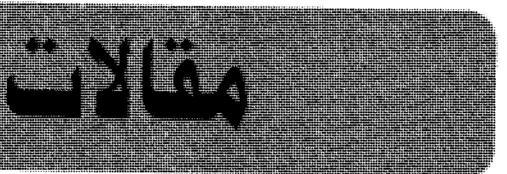
أليس مما يبعث على الأسى والحسرة أن نرى دول الغرب القوية تتعاون على حشد كثير من إمكانياتها وثرواتها للتبشير بالنصرانية في العالم مما أخضع لها كثيراً من الشعوب والجماعات والأفراد بينما نحن ساهمون لاهون عن هذا التبشير، مما جعلنا نحصد جزاء تفريطنا: استعماراً واضطهاداً وجلاء واعتداء وغيرها من الشرور لا نزال نعاني ويلاتها إلى يومنا هذا!

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾(ق: ٣٧).

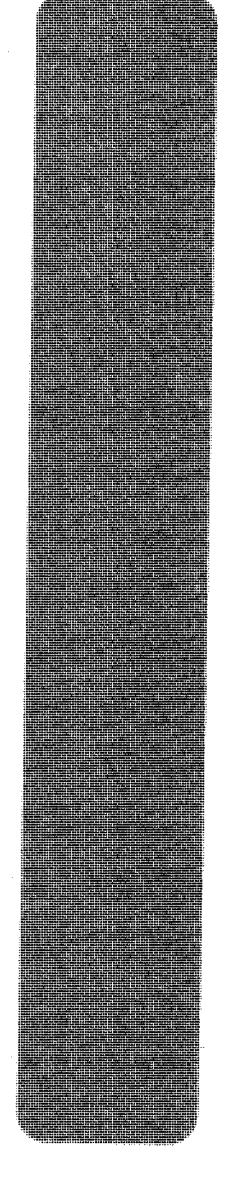


https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





الشيخ عبد الله النوري



❑ **ترجمة الشيخ.**

❑ **المقالات:**

١- القرآن والعرب.

العدد (٢٤) ذو الحجة (١٣٨٦هـ) - مارس (١٩٦٧م).

٢- كلكم راع ومسؤول عن رعيته.

العدد (٢٨) ربيع الثاني (١٣٨٧هـ) - يوليو (١٩٦٧م).

٣- بالعمل الصالح تطيب الحياة.

العدد (٣٣) رمضان (١٣٨٧هـ) - ديسمبر (١٩٦٧م).

٤- الحب في الإسلام.

العدد (٩٩) ربيع الأول (١٣٩٣هـ) - إبريل (١٩٧٣م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

عبد الله النوري



● **مولده ونشأته**

ولـد الشيخ عبـد الله بن الشـيخ محمـد النوري، فجر الثلاثاء ١٣ ربيع الأول سـنة ١٣٢٣هـ، المـوافق ١٧ مايو ١٩٠٥م، وكان رجلاً تقياً ورعاً محبوباً بين أهل الكويت، وكان مرجعا دينيا موثوقا في الدوله، إذ يرجع إليه أهل الكويت في مسائلهم الدينية.

وكان شاعراً ومؤلفاً وأديباً، وساهم في تطور التعليم في الكويت، ويعتبر من أبرز رجالات الكويت. وكان والده الشيخ محمد رجلا تقيا ومقبلا على التعلم والعلم منذ صغره.

عمل الشيخ عبد الله النوري بالتدريس والتعليم، ثم انتقل إلى التجارة وسافر على أثرها إلى الهند وسيلان، وإندونيسيا، وأستراليا، وغيرها، لكن التجارة لم تكن هدفه، فتركها والتحق بالتدريس في المدرسة المباركية ثم الأحمدية، ثم بالمعهد الديني، وقرأ الفقه الحنبلي والنحو على يد والده الذي توفاه الله في سنة ١٩٢٧، ولازم بعدها الشيخ عبد الله الخلف الدحيان فاستفاد منه كثيراً.

عين رَحِمَهُ ٱللَّهُ رئيسا لكتاب المحكمة، ثم سكرتيراً لرئيسها، ثم مفتشاً ومرشداً لأئمة المساجد، كما شارك في إدارة إذاعة الكويت، وفي عام ١٩٥٥ استقال من عمله بالمحاكم وأحيل إلى التقاعد حيث تفرغ للعمل بالمحاماة، ورُشِّح عضواً في لجنة الفتوى، ثم تفرغ بعدها للإمامة والتدريس.

● **مؤلفاته**

قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتأليف كتب كثيرة في الدعوة والإرشاد منها: «الرشد، المنبر،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ديوان من الكويت، قصة التعليم في الكويت»، وغيرها.

● **وفاته:**

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم السبت ١١ ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ الوافق ١٧ يناير ١٩٨١م وشيع جثمانه يوم الأحد ولم يمنع المطر في ذلك اليوم جموع المشيعين من الخروج في جنازته.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن والعرب

العدد (٢٤) ذو الحجة (١٣٨٦هـ) - مارس (١٩٦٧م).

العرب هم العرب قبل الإسلام وبعد الإسلام، ولكن شتان بينهم في الزمنين من قبل ومن بعد.

والله جل شأنه بعث رسوله محمدًا ﷺ، وأنزل عليه كتابه بلسانهم ليعلمهم ويزكيهم.

وكانوا قبل نزول القرآن في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، قد يعمد أحدهم إلى ابنته فيدفنها وهي حية، خوفا من عار ربما يلحق به.

وكانوا قبل نزول القرآن في فوضى، فلا وفاق يؤلف بين القلوب ولا جامعة تجمع بين القبائل، فهم دائمًا في حرب وعداء، وسفك دماء.

وكان الناس طبقات سيدًا ومسودا وشريفا ووضيعا وحرًّا وعبدًا.

وكان القوي منهم يأكل الضعيف، وكان عزيزهم يتمرغ على تراب الأوثان يطلب منها العون، ويسجد عند أقدام الأصنام يطلب منها المدد.

ذكر القرآن كل ذلك في مواضع عدة، فذكرهم بنعمة الله عليهم حيث ألف بين قلوبهم بالإسلام بعد أن كانوا أعداء، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث والميتة والدم ولحم الخنزير، وحرم عليهم عبادة الأوثان، وعبادة من لا يسمع دعاء ونداء، وعاب من إذا ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ (النحل: ٥٨-٥٩).

ونزل القرآن والناس في ضلالهم منهمكون، والحرب بين القبائل مستعرة.

ودعا الرسول بأمر الله إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وإلى توحيد الوجهة، وتحرير الإنسان من الذلة لغير الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كانت دعوة الإسلام هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ومعنى ذلك أن الله هو المعبود فلا معبود سواه، والإنسان كريم كرامة تجله عن أن يذل لغير المعبود الخالق البارئ المصور، وأن الإنسان أخو الإنسان، وهو عزيز لا يهون لمثله من بني الإنسان، والناس كلهم إخوة فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

وبدأت عزة النفس تجد طريقها عند من سمعوا صوت الحق وآمنوا به، وقرأوا شيئًا مما نزل على رسوله، فنهض بهم إيمانهم من الجهالة، وأخرجهم من سراديب الضلالة، فظهروا على مسرح الوجود ليكونوا النواة الأولى لأمة القرآن.

وظهرت الأمة العربية على وجه البسيطة بعد الإسلام، ولم تكن شيئا مذكورًا قبله، أخرجها الإسلام من زوايا النسيان لتكون ملء سمع الدنيا وبصرها، وكانت به خير أمة أخرجت للناس ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ويعلمون الناس الحق، ويأمرون بالعدل والإحسان، ويتواصون بالحق وبالصبر، ليصلوا بذلك كله إلى خير يعم العالمين.

وبالإسلام دخل العرب باب التاريخ.

فكان كتاب الله دستور دولتهم وقانون قضائهم، ورائد مجتمعهم، ومربي صغارهم وكبارهم، وكان كتاب الله هو الآمر الناهي في جميع مراحل الحياة في المسجد، والمدرسة، وفي البيت، والمتجر، والمعمل، وفي جميع الأدوار التي تمر بالإنسان منهم أو يمر بها، وهذه حقيقة أثبتها التاريخ، ولا يستطيع أن يجحدها إلا مكابر.

من هذا نفهم أن الإسلام هو الذي علم العرب معنى الكرامة، وهداهم إلى الألفة، وأذاقهم حلاوة المجد، وعزة السؤدد.

آمنوا بأن القرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن ما فيه من تشريع هو من عند الله وحده، وأنهم إن تمسكوا به فلن يضلوا الطريق، لأنهم في حماية الله سبحانه وتعالى الذي اختارهم لهذا الدين جنودًا، واختار لهم هذا الدين هداية وعزة، وجعلهم به خير أمة تهدي الناس وتبشر بالخير، ومن كان في حماية الله فلن يغلب، ومن يتخل الله عنه فهو من الهالكين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكانت الأمة قبل نزول القرآن محصورة في جزيرة العرب، لا تتعدى حدودها، وجاء القرآن وعرب أمما لم يكونوا من العرب، فأخرجهم من قائمة الشعوب الغير العربية وأثبتهم في قائمة الشعوب العربية الإسلامية.

كانت هذه الأمم تتكلم لغات مختلفة وتدين بأديان متباينة، فنطقت بلغة القرآن ودانت بدين القرآن.

وإذا كانت هذه الأمم اليوم تتكلم لهجات مختلفة، وقد لا يفهم المشرقي منهم لهجة المغربي، لكن إذا اجتمعا تفاهما بلغة القرآن الخالدة خلود الدهر، وهي اللغة الكريمة التي حفظها الله بالقرآن، والتي اكتسبت الخلود بالقرآن فاللغة العربية لن تبلى حتى يبلى الدهر.

بها نتعارف وبها نتفاهم وعليها نجتمع وبها يتصل بعضنا ببعض، لا أقول ذلك للعرب وحدهم ولكن للعرب والمسلمين.

وإنه من العقوق ونكران الجميل أن نتنكر للقرآن الذي رفع الله به العرب من ذلة فأعزهم، وعلمهم به من جهل فكرمهم، وهداهم به إلى رشاد فبصرهم وبنى لهم مجدًا خالدًا باقيًا ذكره بقاء التاريخ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كلكم راع ومسؤول عن رعيته

العدد (٢٨) ربيع الثاني (١٣٨٧هـ) - يوليو (١٩٦٧م).

لقد غزانا دعاة الإلحاد بضلالهم ووجدوا في شبابنا قبولا لتضليلهم لأن هذا الشباب جاهل في الدين لا يعرف قيمه ولا تعاليمه، والدعاة يحاولون تدمير هذه القيم واقتلاعها من صدور الناشئة والشباب حتى يصبح الجيل الذي يكون فيه هؤلاء الشباب رجالاً هدفا لكل ناهب ومكسباً لكل محارب، ومن أجل هذا فتح الغرب المجند لهؤلاء الدعاة أبواب ثقافته ودعا الأمة المسلمة في المشرق والمغرب ليتبادلوا معه الثقافة، والمسلمون الجاهلون بدينهم فرحوا بهذه المنة وفتحوا لوفده الصدور لبث سمومه في القلوب والعقول.

الإسلام الحنيف أولى هذه الناحية أمرها ووجه عناية المسلمين لها وحث على تربية الصغار وجعل كل فرد في الأمة راعياً وكلف كل راع بالعناية برعيته فقال المبعوث بهذا الدين ﷺ مبلغاً ومعلماً: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

وإذا أهمل المسؤولون هذا الأمر ضاع النشء وضاع بضياعه مستقبل الأمة، إذن فليكن المسؤول والدًا كان أو أخا أو معلما، مثلا صالحا لمن هم تحت مسؤوليته، يأمرهم بالخير ويفعله أمامهم ولا يفعل ما يخالفه ولاسيما إذا كانوا أطفالاً، لأن الأطفال أكثر خضوعا واستجابة للنداء.. بنين كانوا أو بنات، وللأطفال مرونة قابلة للتكيف يتقبلون التوجيه ويرتاحون له متى كان الموجه صالحاً يعرف كيف يستخدم عناصر التشويق استخداما طبيعيا لا تصنع فيه ولا افتعال، فإذا أمر المربي طفله بالصدق فلا يكذب وإذا أمره بالعدل فلا يظلم، وإذا نهى عن شيء فلا يفعله أمام طفله لأن الطفل كالمرآة تنعكس عليها أفعال من هو أكبر منه، فيفعلها تقليداً له من حيث لا يعلم، لأن الطفل يعتقد الكمال بمربيه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويفخر على أقرانه بأنه يقلد أباه أو عمه أو خاله أو أخاه الأكبر، وكثيراً ما تنغرس أفعال الأب في فكر ابنه الناشئ حتى إذا كبر فعل ما كان فعله أبوه من قبل دون ضابط أو رابط، لا يعبأ بالنتائج ولا يبالي بالعواقب.

وكثيراً ما انحرف شباب وشابات وفسد فتيان وفتيات من جراء هذا التقليد لأنهم لم يجدوا من يقومهم من اعوجاج أو يهديهم إلى صواب، الأب منهمك في ملذاته منكب على شهواته ساع إلى إشباع رغباته، لا يهمه من أمر البنين والبنات إلا أن يقدم لهم ولهن الطعام والكساء ظنا منه أن ذلك هو كل شيء في الحياة، فترك لهم الحبل على الغارب فنشأوا على ما كان تركهم عليه وكانت العاقبة سيئة في الأسرة وشرًّا في المجتمع، من أين للناشئ أن يعرف دينه إذا كان المربي لا دين له؟ ومن أين له أن يحتفظ بالآداب إذا كان المسؤول لا أدب عنده؟ ومن أين له أن يتمسك بتقاليده إذا كان وليه قد ضرب بالتقاليد عرض الحائط؟ ومن أين للناشئ الغض أن يجد في دينه ما يستهويه ويثير انتباهه وتحمسه ويحظى بإعجابه ورضاه إذا كان المسؤول عنه جاهلاً بكل شيء من ذلك؟

إن الحال لا يختلف في مكان عنه في مكان آخر فهو في البيت كما هو في المدرسة، وهو عند الأب كما هو عند المدرس فلا آمر بمعروف يأمر أو يأتمر، ولا ناهي عن منكر ينهى أو ينتهي، ولا شعائر للدين تقام هنا أو هناك، ولا يعنيهم أمرها عند أولاء وأولئك وهكذا ضاع الشباب بين البيت والمدرسة، وظل أثر الدين يتضاءل عندهم شيئاً فشيئاً ودعاة الإلحاد ساهرون يترقبون الفرص لبث سمومهم، وقد حانت وكان لهم ما أرادوا (جهل وإهمال) وهكذا ذوى غصن الدين حتى تلاشى في القلوب وحل محله الإلحاد.

إذن فماذا قدمنا لناشئتنا من نماذج طيبة لأعمالنا تكون لهم أسوة يقتدون بها ويفخرون بالاقتداء بها ولقد تعود شبابنا مع الأسف أن يرى النور ظلاماً، والرشد غيا حتى أبدل أسماء الفضائل بأقبح الأسماء فسمى الدين رجعية، والتمسك به جمودا، ولا لوم عليه، إنما اللوم على المسؤولين الذين أعرضوا عن الدين أو جهلوا قيمته أو تمسكوا بتقاليد بعيدة عن الدين، مع ما فيها من إساءة إليه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وديننا ولله الحمد وضاء مشرق، وهو في كل وقت وكل مكان وضاء مشرق، ولكن جهلنا به جعلنا ندخل فيه ما ليس منه عناداً منا وتقليداً لأئمة جهال أدخلوا في الدين ما ليس منه فضلوا وأضلوا.

والإسلام والحمد لله عقل كله، جاء به محمد ﷺ من عند الله لقوم يعقلون، وهو اليسر لا عسر فيه وهو السهل لا صعب فيه، وهو الهدى لا ضلال فيه، وهو كما وصفه سيد المرسلين محجة بيضاء ليلها كنهارها.

فيا أخي في الإسلام تعال إلى الإسلام ففيه النجاة، وتعال معي نجيل الطرف في جميع جهاتنا وكافة أحوالنا حتى نحدد موقفنا على ضوء ما نجده في ديننا لنرى هل نحن حقا مسلمون؟ وهل نحن جديرون بهذا النداء الكريم؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ (التحريم: ٦).

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالعمل الصالح تطيبُ الحياة

العدد: (٣٣) رمضان (١٣٨٧هـ) - ديسمبر (١٩٦٧م).

دعت الأديان كلها للعمل الصالح وتتابع رسل الله يحملون رسالته إلى عباده في مختلف الأزمان، يبشرون الناس بأن ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (الكهف: ٨٨)

والقرآن الكريم يحكي لنا عن قوم يونس﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يونس: ٩٨)

ويخبرنا عن نوح أنه قال لقومه ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (نوح: ١٠-١٢)

ويقص قصة هود عليه السلام فيقول هود لقومه﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (هود: ٥٢).

وبفعل الصالحات استخلف الله في الأرض أمما عمروها، ولكنهم بعد أجل عاثوا فيها فسادا وطغوا وظلموا، فأهلكهم الله بذنوبهم، وكأنهم لم يعمروا أرضاً، ولم يبسطوا بها يداً، ولا سلكوا فيها سبيلاً.

ثم ختم الله رسالات السماء ببعثة محمد ﷺ خاتم الأنبياء، يدعو الناس إلى الخير فاتبعته أمة كان منها الشهداء على الناس، وكانت خير أمة أخرجت للناس عبادة لله، ودعوة للخير، ونهيا عن المنكرات. وعدها الله ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ١١١)، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ (النور: ٥٥).

ووفى الله لهذه الأمة وعده واستخلفها في الأرض، فتكسرت من هيبتها عروش الطغاة، وهوت رهبة منها تيجان البغاة، ودالت أمام فتحها دول الظلم، وكانت الشعوب المظلومة تستقبل جيوش المسلمين الفاتحة بالترحيب.

لماذا؟ والجيش الفاتح لا يرحب به، ذلك لأن فتح المسلمين أمن وسلام، وجيش المسلمين الفاتح لا يقتل شيخاً ولا امرأة ولا طفلا ولا متعبداً تفرغ لعبادته، ولا يقطع شجرا ولا يهدم داراً، ولا يصطحب معه في الفتح الظلم والعدوان، والشعوب المفتوحة بلادها تعلم أن جيش المسلمين جاء ليحمي الحرية لا ليعتدي عليها وليكرم الإنسانية لا ليهينها ويحطم قيمتها، وليصون الملكية والأموال لا لينهب ويغتصب، وليصون الأعراض لا ليهتكها.

ودخل تلك البلاد مع الفاتحين كتاب الله العربي المبين، دخل باسم الله واسم رسوله وفيه الدين والدنيا دستور دولة، وقانون حكم، ومعاملات، ونظام مجتمع، وعبادة. يهدي للتي هي أقوم، كرامة تطيب للإنسان بها الحياة، وعلم يعرف به الإنسان قيمة الحياة.

وذاق الناس حلاوة الحياة في ظل الإسلام، وعرفوا ما هي الكرامة التي كرم الله بها الإنسان وعاش الناس في ظل الإسلام كراماً أعزة.

وطال على المسلمين الأمد كما طال على غيرهم من الأمم قبلهم، وأعرضوا عن القرآن وتعاليمه وقست قلوبهم على بعضهم فتفرقوا، وكانت النتيجة فشلا وذهاب ريح، وصدق الله العظيم ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ (طه: ١٢٤ - ١٢٦).

وبعد:

فما زلنا ندين بالإسلام (والحمد لله) ولن نزال إن شاء الله مسلمين نؤمن بالله ربا، وسيدنا محمد ﷺ نبيًّا، والقرآن كتاب الله ما زلنا نقدمه، ونعتني به، ولكنا (وأقولها بألم) أعرضنا عنه، فلا هو دستور دولة ولا قانون حكم ولا نظام مجتمع.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالقرآن كنا مسلمين، هدى الله به أسلافنا، وعلمهم، وزكاهم، وبه مكن لهم في الأرض، واستخلفهم فيها، ومحا بهم ظلم الناس للناس.

وفي ظل القرآن أقام المسلمون دولة الإسلام بين مشرق المعمورة ومغربها.

وظل القرآن أبداً لا ينحسر، ولكن الخلف الذي اتبع دعاة الضلال وباعة الشهوات هو الذي ابتعد عن ظل القرآن وانحسر عنه.

ختاما أقول لإخوتي أمة محمد ﷺ إن الباب لا يزال مفتوحاً لمن أراد دخوله، والظل مازال ممدوداً لمن أراد أن يستظل به، والله جل جلاله حي باق يستجيب لمن استجاب له.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٢).

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ (الأنبياء: ٩٤).

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحب في الإسلام

العدد (٩٩) ربيع الأول (١٣٩٣هـ) - إبريل (١٩٧٣م)

سألني سائل قال:

هل للمسلم أن يحب؟

وجوابي له:

إن الحديث عن الحب شائق، وإن البحث فيه شائك.

والله جل شأنه لما منح الحياة للحيوان منحه معها الحب، فالحب فطرة يهبها الله مع الحياة، أم الحيوان تحب صغارها وتدافع عن حياتها، إذا ما اعتدى عليها معتد، وقد تهلك في هذا الحب.

والإنسان أي إنسان يحيا ليحب ويحب ليحيا، وقد صدق من قال «الحياة الحب والحب الحياة».

وإن لحظات حب يعيشها الإنسان مع محبوبه يحس بها المحب معنى الحياة، فيشعر بالغبطة ويتذوق لذة السعادة وحلاوة النعيم.

وإن أول ما يمنحه الخالق للإنسان حين يهبه الحياة هو الحب.

فالأم وهي تحمل جنينها - وهنًا على وهن - تحس وكأنه جزء من جسمها، بل أعز جزء في جسمها. وبعضهن تراها وقد ذاب وجودها في حملها وكأن ذاتها في ذاته.

والأم وكل أم متى أحست بحركة جنينها بدأت تهيئ له ما يحتاجه بعد ولادته فتراها تقضي كل أوقاتها في لوازم هذا الطفل المنتظر. وحب الأم هو المثل الأعلى لكل ما عداه من أنواع الحب وأصنافه، والطفل، وأعني كل طفل، يحب أمه ويسر بوجودها إلى جانبه، ويحس أنه محبوبها، ألا ترى الطفل الذي تحنو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليه أمه بالحب وتلقمه ثديها بالعطف تطمئن نفسه ويبتسم لها حين تضمه إليها وتقبله، ثم ينام هانئ البال مرتاحا، لأنه أحس أنه غذي بالحب، وأنه سينام وهو يحمى بحمى الحب.

وحب القريب للقريب سماه الإسلام صلة الرحم، وأوجبها على كل قريب لقريبه وحذر من قطيعتها، وهي واجبة في كل دين، وفي كتاب الله في سورة النحل قال جل شأنه﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (النحل: ٩٠) وفي سورة الإسراء ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ (آية: ٢٦).

وفي الحديث الذي رواه الشيخان «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه».

وفي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر».

وفي الحديث القدسي أن الله ﷻ قال: «أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» رواه أبو داود عن عبدالرحمن بن عوف ورواه الترمذي عن غيره.

وحب المسلم للمسلم حب أخوة في الدين، والإسلام جعل من هذه الأخوة قرابة، هي أولى بالصلة من قرابة النسب، فقال جل شأنه في سورة الحجرات ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

وقال في سورة آل عمران ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ .(آل عمران: ١٠٣).

وهذه المحبة يجب أن تذوب فيها أفراد الأمة في الأمة كلها، لتصبح واحدة يتفانى كلها في كلها، كما أراد الله لها بقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾ (الأنبياء: ٩٢).

وحب الصداقة له في الإسلام مكانة، ما لم تكن هذه الصداقة لجلب منفعة، بل لله وحده، وقد جعل رسول الله ﷺ هذه الصداقة من الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام «ثلاث من كن فيه فقد وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» (رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك).

ومن كمال الإيمان في المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ولا ننسى قوله ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحيهما حين ذكر السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» والله جل شأنه يحب جميع خلقه، خلقهم ومنَّ عليهم بالنعم الكثيرة التي منها نعمة العقل، ونعمة الحياة، ونعمة الرزق، ونعمة الهواء، والماء والغذاء، ونعمة إرسال الرسل ليدلوهم على طريق الحياة، وينقذوهم من الضلال، كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ (الحجر: ١٠)، وقوله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ (الحديد: ٢٥).

يأمرهم بما فيه خيرهم وجمع شملهم، وينهاهم عن كل ما يضرهم في أفرادهم ومجتمعاتهم.

ولكنه جل شأنه يخص بمحبته الصالحين، والمتطهرين، والتوابين، والمحسنين، والمنفقين، والمقسطين، الذين يحبون الناس ويجاهدون في إعلاء كلمة الله ويقاتلون في سبيله كأنهم بنيان مرصوص.

والحب إذا وجد في أمة قوَّم أخلاقها، وأحيا في نفوس أفرادها الإخلاص بينهم، فتراهم متضامنين يسعى الجميع في مصلحة الجميع، يرحم كبيرهم صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم، فتراهم كتلة متماسكة وقوة هائلة، لا ينفذ إليها عدو كما قال الله تعالى في وصف محمد ﷺ وأصحابه ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)، أو كما قال في وصف صنف من عباده المؤمنين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ (المائدة: ٥٤).

وحبنا لله تعالى هو الذي دفعنا لعبادته، وطمعنا في حبه وهو الذي حذرنا من معصيته، فهو لا يحب الكافرين ولا العاصين، ولا الظالمين، ولا المتكبرين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والحب بين الأسرة وعميدها يجعل من البيت جنة تحسدها الجنان، فهو يحبهم، ويذلل الصعب في سبيل سعادتهم، والتوسعة عليهم وهم يحبونه ويفدونه بالمهج والأرواح.

أما الحب الطائش، أو حب الجسد، أو الحب الجنسي، وأعني الحب الذي غايته الشهوة، فهو حب حرام، وهناك حب يسمى العشق أو الحب العذري وهو حب مكتوم، يغطيه الصبر، وتكتمه العفة، ويبقى العاشق المحب متيما فيه، يمنعه الحياء من إفشاء سره، ويمنعه الإيمان في استهتاره في حبه، فيبقى صابرا والله جل شأنه أعد للصابرين أجرا عظيما وعدهم به، والله لا يخلف الميعاد.

وأذكر أني قرأت أثرا لا أعلم مدى صحته وهو «من عشق فكتم وعف ثم مات فهو شهيد».



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس المقالات

للمجلد الأول

مرتبة حسب الآتي: اسم صاحب المقالات ثم ترجمته، ثم عناوين مقالاته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

* * *

انتهى المجلد الأول ويليه المجلد الثاني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





علماء وأعلام

كتبوا في

مجلة الوعي الإسلامي الكويتية

مقالات حصرية نشرت في المجلة

لـ ٣٥٠ عالماً من علماء الأمة الإسلامية وأعلامها

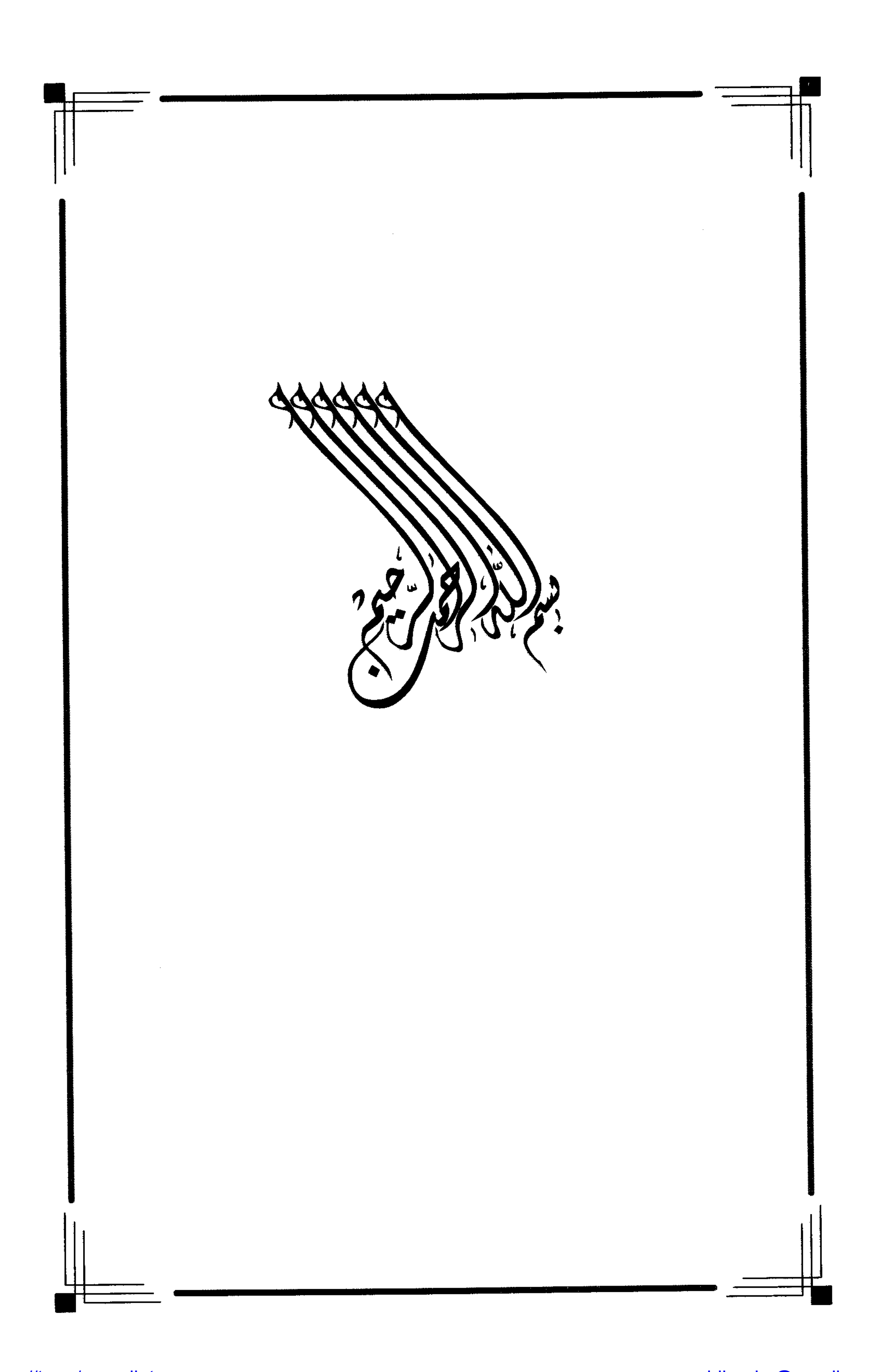
ما بين عامي ١٣٨٥هـ - ١٤٢٦هـ

الجزء الثاني

الإصدار الرابع عشر

الوعي الإسلامي

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية



تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت
في مطلع كل شهر عربي
جميع الحقوق محفوظة

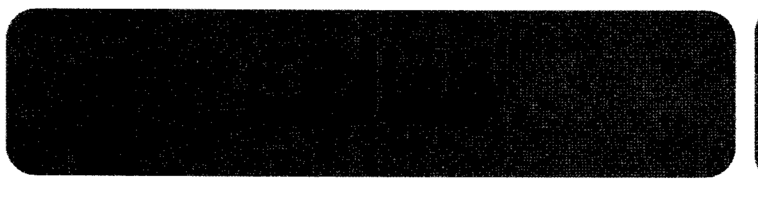
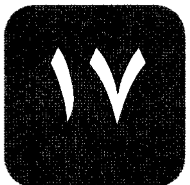
الإصدار الرابع عشر

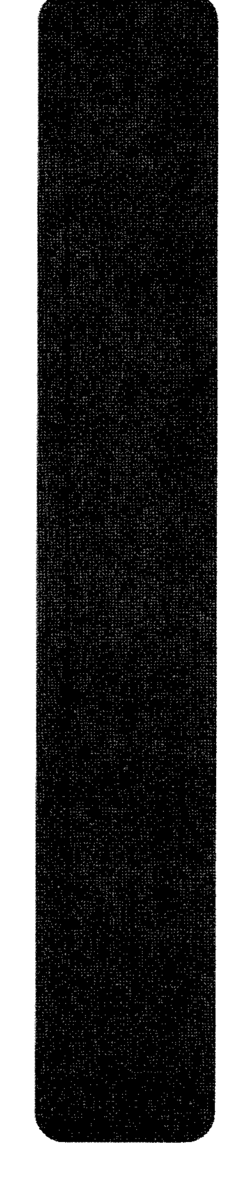
الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

الموقع على الإنترنت	www.alwaei.com
البريد الإلكتروني	info@alwaei.com

العنوان
ص.ب ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت
هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤ - فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



الشيخ حسن خالد

- ❑ **ترجمة الشيخ.**
- ❑ **المقالات:**

١- الحج.

العدد (٣٦) ذو الحجة (١٣٨٧هـ) - فبراير (١٩٦٨م).

٢- حكم الإسلام في كتاب «نقد الفكر الديني».

العدد (٦٢) محرم (١٣٩١هـ) - أبريل (١٩٧٠م).

٣- الشخصية المسلمة ضمان للسلام.

العدد (٧٣) محرم (١٣٩١هـ) - فبراير (١٩٧١م).

٤- الإسراء والمعراج.

العدد (٧٩) رجب (١٣٩١هـ) - أغسطس (١٩٧١م).

٥- حديث عن لبنان.

العدد (١٦٢) جمادي الآخرة (١٣٩٨هـ) - مايو (١٩٧٨م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

حسن خالد



● **مولده ونشأته**

هو الشيخ حسن بن سعد الدين خالد ، ولد في بيروت سنة ١٣٤٠هـ ١٩٢١م، وبدأ علومه الأولى في مدرسة الفاروق التابعة لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت، ثم التحق بالكلية الشرعية في بيروت (أزهر لبنان) وبقي فيها حتى تخرج سنة ١٣٥٩هـ ١٩٤٠م.

● **عمله**

عمل خطيباً في بعض مساجد بيروت ثم أرسله مفتي لبنان مع بعض زملائه إلى الجامع الأزهر في مصر لمتابعة تخصصه العالي في العلوم الدينية فالتحق بكلية أصول الدين التي بقي فيها إلى أن تخرج سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م، ثم عُيِّن كاتباً في المحكمة الشرعية في بيروت، ثم ترقى فيها إلى درجة رئيس قلم.

عُيِّن الشيخ حسن قاضياً في محكمة عكار الشرعية، ثم في محكمة شحيم، بالإضافة إلى ممارسته التدريس في أزهر لبنان، والخطابة في بعض مساجد بيروت.

بعد استقالة الشيخ محمد علايا من منصب الإفتاء، رشَّح الشيخ حسن خالد نفسه لهذا المنصب وتم انتخابه من قِبل الهيئة الناخبة مفتياً للجمهورية اللبنانية بالإجماع، وأصدرت الحكومة اللبنانية مرسوماً باعتماد هذا الانتخاب وقعه رئيس الجمهورية اللبنانية.

كان الشيخ رحمه الله يتمتع بثقافة دينية واسعة أهلته لها دراسته الأزهرية، ومن خلال هذه الأهلية قام بتأليف عدة كتب منها: «المواريث، الأحوال الشخصية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عند المسلمين، الشهيد، وله كتاب يتضمن البيانات والتصريحات الصادرة عن دار الفتوى خلال الحرب الأهلية في لبنان»، كما تم تعيين الشيخ عضواً في عدد من المؤسسات، منها رابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد.

● **وفاته**

توفي رحمه الله في بيروت في ١١شوال سنة ١٤٠٩هـ الموافق ١٩/ ٥/ ١٩٨٩م إثر انفجار بجانب سيارته أثناء مرورها في الطريق، ودُفن بمقبرة الأوزاعي. رحمه الله رحمة واسعة.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحج

العدد (٣٦) ذو الحجة (١٣٨٧هـ) - فبراير (١٩٦٨م).

الحج في اللغة القصد إلى عظيم. ثم خص بالقصد إلى مكة المشرفة للنسك. ويقال حججت بيت الله بمعنى قصدته لأفعال النسك. ويقال نسك وتنسك أي تعبد. ونسك نساكة صار ناسكاً. والنسك الذبيحة المتقرب بها. ثم توسع بها فصار اسماً للعبادة والطاعة. ومناسك الحج مواضع متعبداته.

والحج إلى بيت الله الحرام فرض عين إجماعاً، على كل مسلم حر بالغ عاقل مستطيع ذكراً أو أنثى. وهو أحد الأركان الخمسة في الإسلام لقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله إلى قوله وحج البيت من استطاع إليه سبيلا».

والحج فرض على المسلم والمسلمة في العمر مرة وما زاد فهو نفل بدليل ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال النبي ﷺ: لو قلت نعم لوجبت. ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها. الحج مرة فمن زاد فهو تطوع».

والمراد بالبيت المسجد الحرام بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ (آل عمران: ٩٦).

وهو أول بيت وضع للعبادة على الإطلاق وبإجماع العلماء بدليل النص القطعي. فهو سابق على المسجد الأقصى بعدة قرون. وهو كما قال المفسرون أقدم بيت وضع للعبادة. وليس ثمة أقدم منه.

وتحدثنا روايات عن وجود البيت من قبل آدم. ولكنا نمر عليها لنتحدث عما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحدث عنه القرآن الكريم من بناء سيدنا إبراهيم له بمؤازرة ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (البقرة: ١٢٧).

وقد اختلف العلماء في وقت ابتداء افتراض الحج والجمهور على أنه كان سنة ست للهجرة لأنه فيها نزل قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦) ولا يعقل أن يأمر الله بإتمام شيء لم يكن مفروضاً. ويؤيد هذا ما ورد في قصة ضمام بن ثعلبة من ذكر الحج. وقد كان قدومه على ما ذكره الواقدي سنة خمس للهجرة.

ونقل النووي أنها كانت سنة تسع. وقد رجح هذا القول بعض العلماء. ولا يكون الحج فرضاً على المسلم إلا مع الاستطاعة بدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧).

وقد ذهب الإمام مالك إلى اعتبار الاستطاعة بالبدن، وأوجب الحج على من قدر على المشي والكسب في الطريق.

وذهب الإمام الشافعي إلى اعتبار الاستطاعة بالمال. ولذلك فقد أوجب الاستنابة على المريض الذي لا يرجى برؤه إذا وجد أجرة من ينوب عنه، معتمداً في ذلك على جواب الرسول ﷺ على من سأله عن السبيل بقوله: «الزاد والراحة».

وذهب الإمام أبو حنيفة إلى اعتبار الاستطاعة بالصحة والمال معاً يؤيده في ذلك ما رواه عن ابن عباس أنه قال: السبيل أن يصح بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به.

ويؤول الإمام أبو حنيفة ما وقع في الحديث الذي اعتمد عليه الإمام الشافعي بأن ما وقع فيه بيان لبعض شروط الاستطاعة، بدليل أنه لو فقد أمن الطريق لم يجب الحج عليه، والظاهر أنه ﷺ لم يتعرض لصحة البدن في الحديث كأحد مقومات الاستطاعة لظهور الأمر. يؤيد هذا أنه قد ورد في بعض الروايات عن الإمام علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ سئل عن السبيل، فقال: «أن تجد ظهر بعير». ولم يذكر الزاد.

● **الاستطاعة للمرأة**

ومن معاني الاستطاعة بالنسبة للمرأة أن يكون معها رحم محرم أو زوج.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والأئمة الأربعة متفقون على عدم اعتبار المرأة مستطيعة ما لم يكن معها زوج أو رحم محرم. غير أن الإمام مالك يزيد بأنه يجوز للمرأة أن تحج وتعتبر مستطيعة إذا كان لها رفقة مأمونون. كما أن الإمام الشافعي يعتبرها أيضاً مستطيعة ويوجب عليها الحج إذا كان معها نسوة موثوق بهن. أما إن وجدت امرأة واحدة فقط. أو لم تجد، وكانت الطريق مأمونة، فالحج غير واجب عليها ولا تعتبر مستطيعة. غير أنها إذا حجت جاز منها ذلك.

كل هذا في الحج الذي هو فريضة، أما حج النفل فلا يجوز من المرأة مطلقاً إلا إذا كان معها رحم محرم أو زوج.

وسبب هذا التصعيب في حق المرأة الأخبار الصحيحة الواردة بمنع المرأة من السفر منفردة والاختلاء بأجنبي. فقد ورد أن ابن عباس سمع النبي ﷺ يخطب يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم. ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم. فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، فقال فانطلق فحج مع امرأتك» ومنها ما وقع عند الإمام الدارقطني بلفظ «لا تحجن امرأة إلا ومعها زوج».

● سفر المرأة للخارج!!

ومن استعراض رأي الفقهاء هذا والأخبار الواردة في الموضوع نجد مقدار تشدد الإسلام في موضوع سفر المرأة، وبالأخص إذا كان مسافة ثلاثة أيام مشياً. ونرى بالضرورة أنه ينبغي أن يلتفت نظرنا إلى ما يقع كثيراً من نسائنا وفتياتنا من سفرهن خارج البلاد، ومكثهن السنوات الطوال بين أحضان الغرباء بل المخالفين لنا في الدين والعقيدة، كما نرى بالضرورة وجوب إسداء النصيحة إلى النساء اللواتي يحججن إلى بيت الله الحرام حجة النفل منفردات، دونما محرم أو زوج بعدم السفر إلى الحج، وبالاستعاضة عنه بعمل صالح آخر من صدقة أو سواها.

● هل تجوز الإنابة في الحج

وقد يحول المرض أو الموت أو سواهما بين كثير من الناس وبين الحج، مع توفر الاستطاعة لديهم بمفهومها المالي أو البدني أو بمفهومهما، فهل يجوز لهم

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاستنابة؟؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نقول إن العبادات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: بدنية محضة كالصلاة والصوم. ومالية محضة كالزكاة والصدقة، ومزيج منهما كالحج. ولا يقبل القسم الأول النيابة مطلقاً بينما يقبله القسم الثاني دونما خلاف. أما القسم الثالث فقد اختلف فيه العلماء.

فذهب الإمام مالك إلى القول بعدم جواز الإنابة في الحج. وذهب الأئمة الثلاثة الباقون إلى جواز ذلك شرط العجز المستمر.

والذين قالوا بالجواز اعتمدوا الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا الباب: فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الله في الحج شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره. قال: «فحجي عنه».

كما روي أيضاً عن ابن عباس قال أتى النبي ﷺ رجل، فقال: إن أبي مات وعليه حجة الإسلام أفأحج عنه؟ قال: أرأيت لو أن أباك ترك ديناً عليه أقضيته عنه؟ قال نعم. قال: «فاحجج عن أبيك».

وأما الإمام مالك ﷺ فقد أخذ بظواهر النصوص الواردة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ (النجم: ٣٦ -٣٩). ولذلك فقد ذهب إلى القول بأن من مات ولم يحج، وهو قادر، ثم استأجر له ورثته من يحج عنه لم تكن حجة الأجير لتسقط الفرض عن كاهل المحجوج عنه.

ولما كان الأئمة الأربعة في هذا الموضوع بالذات مجتهدين وكان اجتهاد كل منهم عرضة للخطأ كما يمكن أن يكون صواباً.

ولما كان الإمام مالك رضي الله تعالى عنه قد ارتأى عدم جواز الاستنابة في الحج، فإن من واجبنا أن نستخلص أن على المرء المسلم القادر على الحج المبادرة إليه لأدائه بنفسه، خشية أن يكون رأي الإمام هو الصحيح، فيكون موته قبل الحج مع القدرة عليه سبب مؤاخذة شديدة جداً خصوصاً وأن العلماء غير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

متفقين فيما إذا كان يجوز تأخير الحج مع القدرة أم لا؟!

فقد ذهب صاحب نيل الأوطار إلى القول بوجوب الحج على الفور بعد الاستطاعة، وأن التأخير معها يورثه إثماً كبيراً.

وإلى هذا القول ذهب الإمام مالك رضي الله تعالى عنه وأبو حنيفة وأحمد وبعض أصحاب الإمام الشافعي كما ذهب إلى هذا الرأي من آل البيت الإمام زيد بن علي.

بينما ذهب الأئمة الشافعي والأوزاعي وأبو يوسف ومحمد من الأحناف إلى أن الحج واجب على التراخي، وأن التأخير مع الاستطاعة لا يجعل المؤخر آثماً إذا لم يكن خائفاً من فوات الحج بالفقر والعجز.

ولا يكون الحج صحيحاً إلا إذا كان الإحرام به في وقت خاص عملاً بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧) وهذه الأشهر هي شوال وذو القعدة وذو الحجة أي أنه يمكن الإحرام بالحج من أول شوال وتنتهي أركانه وواجباته في آخرها وهو ذو الحجة.

وقد اختلف العلماء في هذا، فقال بعضهم إن الأشهر المعلومات هي الثلاثة من أولها إلى آخرها. وهو ما ذهب إليه ابن مسعود وابن عمر والإمام مالك رضي الله عنهم أجمعين. وقال بعضهم إنها الشهران وعشر من ذي الحجة. وهو ما ذهب إليه أبوحنيفة والشافعي وأحمد.

● أركان الحج

ولا يتم الحج إلا بالقيام بالأركان التالية:

١- الإحرام.

٢- طواف الزيارة ويسمى طواف الإفاضة.

٣- السعي بين الصفا والمروة.

٤- الوقوف بعرفة.

ولو نقص واحد منها بطل الحج باتفاق الشافعية والحنابلة والمالكية.

أما الأحناف فهم يرون أن أركان الحج اثنان فقط، هما: الوقوف بعرفة، وأربعة أشواط من طواف الزيارة. وما تبقى فهي واجبات لا يبطل تركها الحج بل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يجب جبره بتقريب الدم. وهو ذبح شاة أو سواها حسب الواجب المتروك.

● **الإحرام**

والإحرام يكون من المواقيت المكانية المحددة لكل بلد والمبينة في كتب الفقه. ولا يجوز مجاوزتها ولا محاذاتها دون إحرام فمن جاوزها دونما إحرام يلزمه الدم، اللهم إلا إذا كان ثمة ميقات آخر يمكن أن يمر عليه، فعلى قاصد الحج عند الوصول إليه الإحرام.

● **ما يحرم على المحرم**

ويحرم على من أحرم عقد النكاح عند الشافعي ومالك وأحمد خلافاً للأحناف، كما يحرم عليه الجماع ودواعيه كالقبلة والمباشرة. ويحرم عليه المخاصمة مع الرفقاء عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ .

ويحرم عليه التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح أو الإشارة إليه أو الدلالة عليه. وأما صيد البحر فحلال وذلك لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ (المائدة: ٩٦).

ويحرم عليه استعمال الطيب، وتقليم الأظافر، ولبس المخيط إن كان رجلاً أو محيطاً ببدنه أو ببعضه بما تعود لبسه في غير أيام الحج.

ويحرم عليه أيضاً قص شعر رأسه أو حلقه أو غيرهما. كما يحرم عليه إزالة شعر غير الرأس، اللهم إلا إذا كان متأذياً به فيجوز له أن يزيله وعليه الفدية.

ويحرم على المحرم التعرض لشجر الحرم بقطع أو قلع أو إتلاف إلا الإذخر.

هذا ويسن للمحرم بعض الإجراءات ويكره له البعض الآخر. وبالإمكان الرجوع إلى المظان الفقهية للاطلاع عليها في هذا الباب[1].

وطواف الزيارة.. هو ركن كما قلنا. وإذا لم يقم به الحاج فيبطل حجه. وهو سبعة أشواط وعند أبي حنيفة أربعة أشواط والباقي من السبعة واجب.

---

(١) أصدرنا رسالة في الحج فيها بيان وتفصيل لأحكامه في جميع المذاهب، وقد وزعت هدية مع العدد الماضي من المجلة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ووقعته من فجر يوم النحر إلى آخر العمر عند الأحناف، ولا يكاد يخالفهم في هذا الشافعية والحنابلة. أما المالكية فهم يرون أن نهاية وقته آخر ذي الحجة.

وهناك طواف الوداع وهو واجب، وطواف القدوم وهو سُنة.

ويطلب في الطواف شروط أهمها الطهارة من الحدث والنجس، وستر العورة والبدء بالحجر الأسود محاذياً له أو لجزئه، وجعل البيت عن اليسار. وله سنن وواجبات وهي كثيرة وبالإمكان الاطلاع عليها في مظانها الفقهية أيضاً لعدم تيسر ذكرها جميعها في هذه الكلمة.

أما السعي بين الصفا والمروة فيشترط فيه أن يكون سبعة أشواط وأن يبدأ بالصفا والموالاة، وأن يكون بعد الطواف مع خلافات يسيرة بين الأئمة فيها وله مندوبات كثيرة.

أما الوقوف بعرفة فيطلب فيه أن يكون المحرم بالحج موجوداً على أرض عرفة على أية حالة. يقظان أو نائماً، قاعداً أو قائماً، بشروط أولها أن يكون من زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحجة إلى فجر يوم النحر عند الشافعية ويكفي الحضور في هذا الوقت ولو لحظة تجمع بين النهار والليل، ويشترط في الواقف أن يكون أهلاً للعبادة، فلا يقبل الوقوف من مجنون ولا سكران.

أما الأحناف فيرون جواز هذا الوقوف من أي إنسان مسلم. على أي حال كان ولو مجنوناً أو زائل العقل وسواء كان ناوياً أو لم يكن كذلك.

ويجب امتداد الوقوف حتى غروب الشمس إن وقف نهاراً وإن نزل قبل الغروب وجب عليه دم.

• واجبات الحج

يجب في الحج واجبات منها الوجود بمزدلفة، والمبيت بمنى ورمي الجمار والحلق والتقصير.

والوجود بمزدلفة يكون ولو بلحظة بعد نصف الليل، أما المبيت بمنى فيشترط فيه أن يكون بمعظم الليل من ليالي التشريق لمن لم يتعجل. أما من أراد التعجل والخروج من منى إلى مكة في اليوم الثاني من أيام التشريق أي ثالث أيام العيد فلا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بأس لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٢٠٣) بشرط أن يخرج منها قبل الغروب من اليوم التالي وأن ينوي ذلك ويجوز لمن به عذر أن لا يبيت فيها. كل هذا في رأي الشافعية.

أما الأحناف فيطلب عندهم من الحاج الوقوف بمزدلفة، ولو لوقت قصير بعد طلوع الفجر بقليل. فإذا لم يقف لغير عذر وجب عليه الدم. ثم ينزل إلى منى قبل طلوع الشمس ويرمي جمرة العقبة بكيفية مخصوصة، ثم يقطع التلبية ويذبح ويحلق أو يقصر، ثم يحل له كل شيء من محظورات الإحرام ما عدا النساء. وبعد الفجر من يوم النحر يمكنه أن يذهب إلى مكة ليطوف طواف الزيارة. ويسعى بين الصفا والمروة، وبعد الانتهاء منهما يحل له كل شيء حتى النساء. ومن ثم يعود إلى منى ليرمي الجمار الثلاث ثاني يوم النحر وثالثه ورابعه ولو بات خارج منى لم يجب عليه شيء، وإن أراد التعجل في يومين أيضاً فلا إثم عليه عملاً بالنص الحكيم.

ويفسد الحج بترك أحد هذه الأركان عند من اعتبرها أركاناً، كما يفسد بالجماع، على تفصيل بين المذاهب في الوقت الذي يكون فيه مفسداً للحج.

أما إذا ترك شيئاً من الواجبات، أو فعل شيئاً مما يحرم عليه فِعْلُه حالة الإحرام، كلبس المخيط المعتاد، أو التطيب أو تقليم الأظافر أو تغطية الرأس أو الوجه فعليه الفدية. وهي على التخيير إما إسالة دم، أو إطعام ستة مساكين أو صوم ثلاثة أيام.

بقي علينا أن نتكلم في كيفية حج النبي ﷺ. هل حج مفرداً أو قارناً أو متمتعاً وأيها أفضل؟

وبين يدي الجواب نقول إن الإفراد بالحج هو أن ينوي المحرم الحج فقط. والإقران هو أن ينوي الحج والعمرة معاً ويلبي بهما، والتمتع هو أن ينوي العمرة متمتعاً بها إلى الحج.

وسواء كان الحاج قارناً أو متمتعاً فإن عليه الدم. أما الأول فلما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكن قارنات. وأما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الثاني فلقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾(البقرة: ١٩٦).

وقد وردت بعض الأخبار أن رسول الله ﷺ حج قارناً. وقد أكد هذه الأخبار ووثقها ابن القيم في كتابه زاد المعاد، وأسهب في التدليل على صحتها، وإبطال نسبة سواه إلى رسول الله ﷺ.

غير أن بعض الرواة نقل أنه ﷺ حج مفرداً، وبعضهم نقل أنه حج متمتعاً.

ويرى الشافعي أن الإفراد في الحج أفضل. بينما يرى الأحناف أن القران أفضل. أما مالك فيرى أن التمتع أفضل.

وإني لأرى أن ذلك متروك لظروف الحاج ووقته فيختار أيها أنسب له من ناحية الوقت وغيره.

● كيفية الحج

هذا ولو شئنا وضع خطة يسيرة مختصرة لأعمال الحج، فإنا نستطيع إيرادها كما يلي:

لو أراد أحدنا الحج فإن عليه أن ينوي الإحرام بعد أن يغتسل ثم يأتزر بإزار ويرتدي برداء غير مخيطين. ويتطيب ويصلي ركعتين ثم يقول اللهم إني أريد الحج فيسره لي وتقبله مني. ثم يلبي عقب الصلاة بقوله: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

وبهذه التلبية مع النية بعد تلك الإجراءات. يصبح محرماً. ويكون هذا كله عند الميقات.

وبالإحرام يحظر على المحرم، الرفث والفسوق والجدال، وقتل الصيد والصيد ولبس القمصان والسراويل والبنطلونات والجاكيتات والعمائم والأحذية الكاملة التي تغطي كامل القدم. وتغطية الرأس والوجه ومس الطيب، وحلق الرأس وشعر البدن، ويطلب منه أن يكثر من التلبية. وبمجرد دخوله مكة يتجه إلى المسجد الحرام ثم يستقبل الحجر الأسود، ويكبر ويهلل، ويضعه عن يساره، ويطوف بالبيت سبعة أشواط، ثم يأتي المقام أو حيث يتيسر له من المسجد فيصلي ركعتين. ثم يخرج إلى الصفا، فيستقبل البيت، ويكبر ويصلي على النبي، ويرفع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يديه بالدعاء ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط. ثم يقصر أو يحلق، ويتحلل من الإحرام ويذبح شاة لهذا التمتع.

فإذا كان يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة، أحرم للحج وخرج إلى عرفات. فإذا زالت الشمس من اليوم التاسع صلى إن كان إماماً بالناس الظهر والعصر من وقت الظهر بأذان وإقامتين ولا يتطوع بينهما.

وإن كان منفرداً صلى الظهر حيث هو ثم عاد فصلى العصر في وقته أيضاً حيث هو.

ثم يتجه إلى الموقف. وعرفات كلها موقف إلا بطن عرنة، ويلبي ساعة بعد ساعة. حتى إذا غربت الشمس أفاض إلى مزدلفة، حيث يصلي الإمام بالناس المغرب والعشاء جمعاً بأذان وإقامة، والمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر ثم يصلي الفجر، وعند الإسفار يفيض إلى منى، ويبتدئ بجمرة العقبة، فيرميها بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة، ثم يذبح إن أحب، ويقصر أو يحلق. ويحل له كل المحظورات ما عدا النساء. ثم يأتي مكة من يومه. أو من غده، أو من بعد غده، ويطوف بالبيت طواف الزيارة ثم يسعى. ثم يعود إلى منى فيقيم بها حتى إذا زالت الشمس من اليوم الثاني من أيام النحر رمى الجمار الثلاث، ويكرر عمله في اليوم الثالث، ثم في الرابع، وإن أراد التعجل نفر إلى مكة في اليوم الثالث قبل طلوع فجر اليوم الرابع. وإن بقي حتى اليوم الرابع جاز له أن يقدم الرمي قبل الزوال وبعد الفجر. . ثم ينزل إلى مكة، ويطوف طواف الصدر، وهو ما يسمى طواف الوداع. وبذلك يتم الحج.

ولا ريب أن في هذا الذي سقناه من أعمال الحج ومناسكه مخالفات كثيرة لما عليه المذهب الشافعي وسواه ولكن هي طريقة اتبعها في غالبها الأحناف فلا بأس من اتباعها.

هذا وإن العمرة كالحج سواء بسواء إلا أنها تختلف عنه بأنه يمكن القيام بها طيلة أشهر السنة ولا يطلب فيها الوقوف بعرفة ولا المبيت بمزدلفة أو منى ولا رمي الحجار.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الحج إلى بيت الله الحرام عمل عام، جرى عليه العرب قديماً في الجاهلية والإسلام، ولا يزالون، وذلك لتعظيم هذا البيت الكريم. وأي تعظيم أكبر من افتراض حج الناس إليه على مدى الأجيال والقرون وتقلب الأوضاع والعهود؟

إنه أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد. فقد ورد عن رسول الله ﷺ «أنه سئل أي الأعمال أفضل؟ قال إيمان بالله ورسوله. قيل ثم ماذا؟ قال جهاد في سبيل الله. قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور».

والحج المبرور هو المقبول لأنه لم يخالطه إثم والذي قد وفيت أحكامه، بل إنه جعل الحج بالنسبة للنساء كالجهاد ويقوم مقامه. فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله هل على النساء من جهاد؟ قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة».

وقد ورد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

أيها الإخوة: في الحج منافع كثيرة أشار الله تعالى إليها بقوله ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ ومنافع الحج أكثر من أن نستوعبها في هذه الكلمة.

ولكن يكفي أن نقول إن في الحج تذكيراً للحاج بأحوال الآخرة والموت، لأنه عندما يقبل عليه يكثر من التوبة، ويحاول ما استطاع إخراج نفسه من المظالم التي سبق له أن وقع فيها، ويرد الحقوق إلى أصحابها، ويلبس ثياب الإحرام مشابها بذلك حال الميت عند قيامه من القبر مجردا حاسراً شبه عريان، مقبلاً على الله أشعث أغبر، ثم يقف في عرفات وقفة شبيهة بوقفة يوم العرض على الله.

فما أحلى أن يتذكر الإنسان دعاوى الخير، وما أجمل أن يعتبر من هذه التذكرات، فيصلح يومه وغده وحاله ومآله.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حكم الإسلام في كتاب نقد الفكر الديني

العدد (٦٢) محرم (١٣٩١هـ) - فبراير (١٩٧١م)

في هذه الفترة العصيبة من حياة العرب والمسلمين يحلو لبعض المحسوبين على الأمة العربية أن يعكروا صفوها، ويفرقوا كلمتها بما ينشرون من أفكار خاطئة وتهجمات ضارة، ينالون بها من الدين السماوي ومبادئه المقدسة، متذرعين بأنهم يقولون كلامهم في ظل من حرية الرأي، وهي دعوى تغري السذج والبسطاء يتأثرون بها، ويسيرون في ركاب هؤلاء المفسدين.

وكتاب «نقد الفكر الديني» نموذج من تلك النماذج المخربة، المجافية لأدب الدنيا وأدب الدين. ووضعا للحق في موضعه، وقطعاً لألسنة السوء، نوجه أنظار أبنائنا إلى ما يلي:

أولاً: إن الإسلام دين يكفل الحرية للفرد بكل أبعادها ليتصرف الإنسان من خلالها بمطلق أرادته. على أن للحرية في أعراف الناس وقوانينهم، كما أن لها في عرف الشرع وقانونه حدوداً يجب التزامها حتى لا تنقلب فوضى، تضر الفرد ذاته، وتضر مجتمعه، وتفقد فكرة المنطلق حرمته وقيمته. والمعروف أن حرية الإنسان تنتهي عند حدود حرية غيره وكرامته، وبهذا تصان الجماعة وتحفظ من الهزات والرجات والقلاقل.

ثانياً: إن في الإسلام مقدسات لا يجوز المساس بها ولا النيل منها لأي سبب وأي حجة. فالله والملائكة والجن والجنة والنار، والحساب والثواب والعقاب وخلق آدم من تراب وصدور الأمر من الله ﷻ لإبليس بالسجود له سجود تعظيم وتكريم، وإباء إبليس تنفيذ أمر ربه، كل هذه وغيرها مما ورد شبيهه في القرآن والسنة، مسلمات قطعية الثبوت في الإسلام، والإيمان بها فريضة محكمة على كل

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مسلم، والتشكك في تصديقها أو تصديق بعضها كفر صراح يخرج المسلم من الإسلام.

ثالثاً: إن رفض التسليم بهذه الغيبيات وأمثالها مما قطعت الأدلة الشرعية المتواترة بثبوته بحجة مخالفته للعلم هو افتراء على العلم نفسه، ذلك لأن العلم الوضعي لم يزل يشتمل على طائفة كبيرة من الغيبيات لم ينفذ بعد إلى أسرارها ومع هذا يسلم العلم بها تسليماً عفوياً، وذلك باعتراف المؤلف، فكيف يؤخذ على الديانات التسليم بما هو غيبي. وفوق هذا فالعلم البشري بما أوتي من النفاذ والقدرة لم يستطع ولن يستطيع أن يكتشف تلك المغيبات التي هي من أمر الله وخاصة علمه، وليس عدم اكتشاف العلم الإنساني لأمر دليل على عدم وجوده، وما كشفه العلم حتى أيامنا هذه لا يزال يسيراً بالنسبة إلى ما هو مجهول، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

رابعاً: إن مشايعة المنكرين والسير معهم وتأييدهم في أفكارهم وتبرير هذا الإنكار بحرية الرأي هو رفض لأمر الله ومروق بالتالي من الدين.

خامساً: وبناء على هذه الحقائق التي أسلفنا بها فإن كتاب «نقد الفكر الديني» بما اشتمل عليه من إنكار للغيبيات وافتراء على الدين والقرآن يعتبر مؤلفه خارجاً عن الإسلام مرتدا وكذلك من يؤيده ويجاريه في رأيه .

سادساً: إن واجب الدولة أن تقطع الطريق على مثل هذه الأفكار الضالة الهدامة التي تضر الأمة في صميمها، وتعرضها لانقسامات خطيرة وفتن شعواء، لا يعرف مداها إلا الله وإن على الدولة أن تطبق ما لديها من القوانين الصريحة في معاقبة كل من يتعرض للشعائر الدينية وللمقدسات بما يسيء حتى لا يضطر المسلمون إلى سلوك الطريق الذي يرونه فيه حماية عقيدتهم وصيانة دينهم.

سابعاً: وعلى أبنائنا جميعاً أن يحذروا هذه الأفكار الضارة السامة التي لا تلتزم بشرع ولا تؤمن بدين والتي تلتقي في صميم اتجاهاتها مع أفكار الصهيونية العالمية التي تستهدف محاربة الأديان لإضعاف المواطنين والاستيلاء على أوطانهم ومقدراتهم ومرافقهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشخصية المسلمة ضمان للسلام

العدد (٧٣) محرم (١٣٩١هـ) - فبراير (١٩٧١م).

السَّلام حديث اليوم في الشرق والغرب تتناوله أقلام المفكرين والأدباء والسياسيين في أعمدة الصحف اليومية والأسبوعية، كما يعالجونه في أبحاث مفردة مستفيضة.

وتهتم بالسلام في هذه الأيام الدول الكبرى والصغرى، ويغلب على الظن أن هذا الاهتمام هو لدى البعض منها بنسبة ما لها من مصلحة، ولذلك فإن خوضهم فيه يأتي بأساليب منوعة، فمنهم من يعقد له المؤتمرات المختلفة هنا وهناك يدعون إليها مختلف الجهات العلمية والدينية والفكرية والسياسية، وكثيراً ما يخفي البعض منهم وراء ذلك ما يهدم السلام.

ومنهم من يتحرك لذلك ويستخدم طاقاته كلها فكرياً ومادياً وعسكرياً، مقدماً على ذلك نشر قرارات وبيانات يخرج بها على الشعوب لابساً مسوح الرهبان ومدافعاً عن السلام وداعياً إليه، ومبرراً تحركه بأنه للسلام وحده، ولمصلحة الشعوب المتخلفة، ودون أن يكون له مأرب آخر. والله يعلم وهو يعلم وأذكياء الناس يعلمون أنه براء مما يقول، وأن مفهوم السلام لديه هو الاعتداء على أمن البلاد المتخلفة واستغلال ثرواتها وخاماتها ثم المحاولات الواضحة لإيجاد التوازن في المناطق عن طريق الضغط على هذه البلاد أو تلك لتسير في ركب سياسته أو تبقى في ظلاله.

ولقد كان لنا نصيب في المساهمة في عقد بعض هذه المؤتمرات على اختلاف الداعين إليها وتباعد مبادئهم الاجتماعية ومناهجهم السياسية.

ولا يساورنا الشك لحظة في أنه كانت تتخللها نوايا صادقة ونشاطات مخلصة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجهود بارة. بيد أنه تبين لنا من خلال الاجتماعات ومناقشات المدعوين إليها والمشرفين عليها أن ثمة سياسات خاصة تعمل في الخفاء في توجيه المؤتمرين وتحرص على أن يظلوا في قراراتهم وتوصياتهم ومطالبهم وتمنياتهم ضمن إطار محدود كما ثبت لنا أيضاً أن هذه المؤتمرات وإن كان ينفق عليها الملايين من الدولارات تقتصر على تحصيل مكاسب آنية، تتناول الشكل والمظهر، متجاهلة الجوهر والحقيقة.

وكأننا بالغالبية من هؤلاء العاملين في هذه المؤتمرات أو على رأسها كأننا بهم لا يهمهم أمر السلام في الواقع ونفس الأمر.

بل إنا لنعتقد أنهم حتى ولو رغبوا فيه واهتموا وأخلصوا في القصد إليه، لا يملكون في ذواتهم ولا في مجتمعاتهم المادة التي تمكنهم من الوصول إلى تحقيق ذلك.

ذلك أن السلام ليس شعارات تطلق ولا مقالات تدبج، ولا أفكاراً ومناهج ترسل. كما أنه لا يكون بالمال الغزير يغدق على طالبيه والراغبين فيه والعاملين في الأجهزة المختلفة، ولا في أسلحة قوية من مختلف الأوزان والأحجام والطاقات الفاعلة، تمنح إلى هؤلاء وأولئك، وليس بالعلم المجرد يحصل ويستوعب ويستخدم لتحقيق منجزات وكشوفات رائعة في مختلف الحقول البشرية يفيد منها الناس أو يتضررون، ولا بالرجال الأشداء الموهوبين، الذين يحسنون العمل في مراكز الإدارة والسياسة والاقتصاد والتوجيه حتى ولا بالأنظمة التي توضع، والتشريعات والقوانين التي تنشأ. نقول إنها ليست بهذه الأمور وحدها بل لابد قبل ذلك من ضمان وجود الشخصية الإنسانية الصالحة، القادرة على تحمل مسؤوليات الحياة بأمانة وإخلاص، وصبر وتضحية، واستيعاب لمقاصد الحياة وما بعدها، التي تستطيع وحدها بالاستعانة بما سبق أن تعمل بجد وحرص وغيرة وحماس لبناء مجتمع السلام المنشود.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لقد شاء جميع المشرعين السابقين من وراء قوانينهم التي وضعوها تنظيم المجتمعات البشرية وتحديد تحركات أفرادها بحيث لا يطغى منهم أحد على أحد ويبقى لكل واحد منهم كامل حريته مع كامل حرية الآخرين وبحيث يضمن بالتالي الحياة الفاضلة والعيش الرغيد في ظل المحبة والطمأنينة والسلام.

ولكنهم مع ذلك كانوا في غالب الأمر يقعون في الأخطاء والمزايدات إذ يضفون على الأنظمة كثيراً من هوياتهم وذاتياتهم ويصيغونها بالأسلوب الذي يكفل لهم وللمقربين منهم مصالحهم وبذلك انحرفوا عند الخط القيم الذي شاءوه لأنفسهم وللناس ودفعوا بالمجتمعات لتعيش في ظل ورحمة مصالح بعض الأفراد، فاختلط الحابل بالنابل وانقلب السحر على الساحر وتصادم الناس وكانت الثورات فالحروب، وتبخرت فكرة العدالة وهيمن على الأرض الرعب والخوف بدل أن يخيم عليها الرخاء والسلام.

* * *

من أجل ذلك سبقت مشيئة الله تعالى أن لا يترك الإنسان وحده في متاهات الدنيا ومسبعاتها فأرسل الرسل وأنزل معهم الكتب ليقوم الناس بالقسط ويعيشوا بسلام. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ (الحديد: ٢٥).

وكان الإسلام هذا الدين الذي ارتضاه الله للناس أجمعين في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) أجل كان في أكمل ثوب وأدق صيغة وأصلحها لمعاشهم في الدنيا ولإعدادهم لليوم العصيب، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾(الشعراء: ٨٨-٨٩). ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (فصلت: ٤١-٤٢).

بل كان هذا الدين الذي لم يرض سبحانه وتعالى من أي كان أن يتعبده إلا

بواسطته فقال ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران: ٨٥). ذلك أن هذا الدين هو وحده بين أديان السماء الذي استوفى كل عناصر الخير الدنيوي والأخروي، حوى العقيدة السليمة التي تناسب الفطرة لامتيازها بالوضوح والبساطة وخلوها من التعقيد، وضم الشريعة الغراء التي ضبطت سلوك الفرد وكبحت جماحه فنظمت له علاقته مع الله بواسطة عبادات «الصلاة والصوم والزكاة والحج» ومن قبل بواسطة الإيمان به وبالملائكة والكتب المنزلة والرسل واليوم الآخر والقدر، ونظمت له علاقته مع أخيه الإنسان ضمن دائرة الأسرة أبا وأما وأخاً وأختاً وابناً وبنتاً، ثم المجتمع الكبير فالمجتمع الأكبر، وبينت له في كل منها حقوقه وواجباته وحدوده وكفلت له حريته الفكرية والعقيدية والعملية والحياة الآمنة المطمئنة المكتفية في دائرة الحكم الإسلامي الرشيد، وبهذا الدين الإسلامي الكامل عقيدة وشريعة وسلوكاً تبرز شخصية نادرة المثال هي شخصية المسلم التي يمكنها وحدها- لو وجدت- ضمان تحقيق السلام في العالم.

ذلك أن من طبيعة هذه الشخصية أنها تتقيد بالنظام الذي آمنت به ثم تعمل مخلصة على إنجاح التقيد به من الذين آمنوا في حال الانحراف ومن الناس أجمعين. فهي وإن كانت مأمورة بتنفيذ بنوده وتطبيقها على ذاتها أولاً «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ (لقمان: ٢٢).

غير أنها تعتبر ذاتها في الوقت نفسه صاحبة هذا النظام وترى ذلك واجباً عليها فترتفع في نفسها الحرارة الغيورة التي تدفعها للسهر على تطبيق الآخرين له والتعبد به بل إنها لتنظر إلى نفسها نظرة الإثم إذا هي لم تقم بهذا الواجب، وتنتظر من الله في اليوم الآخر سوء الحساب، وبتعبير آخر إن الشخصية المسلمة هي في الواقع والدولة الحاكمة سيان: تشاركها في الحكم وتنقاد لها وتسلم لإنجاح مقاصدها فيه وتأتمر بأمرها.

إن المسلم في الدولة الإسلامية ركن إيجابي مسؤول، يسهر على مصالحها،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويتحمل معها مسؤولية الحكم. قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠) ويروى عن رسول الله ﷺ قوله «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». وقوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وقوله: «أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك».

* * *

وفضلاً عن هذا فإن شخصية المسلم مزودة بأجمل الأخلاق وأحلى الشمائل وأرق الصفات، وكلها تحدوه برفق وبصدق وعزيمة لتعزيز نزعة السلام والأمان في نفسه وفي من حوله، فالمسلم في عرف الإسلام هو «من سلم الناس من لسانه ويده»، وشعار المسلم في لقائه مع الناس ومنصرفه عنهم إفشاء السلام والأمان في نفسه وفيمن حوله، فالمسلم في عرف الإسلام يسن له السلام على من عرف ومن لا يعرف.

والمسلم في صلواته يتعهد باستمرار بضمان إشاعة السلام بين العباد الخيرين وتلافي الكبر وأسباب الخصام والنفرة مع الناس فهو يقول في جلوسه للتشهد من كل صلاة «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» كما يجتهد بأن يعفو عن السيئات ويتجاوز عن الهفوات، وإذا خاطبه الجاهلون قال حسنا وسلاماً. يقول تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ (الفرقان: ٦٣).

* * *

والسلام في العالم مادته الأولى كما نعتقد هي الناس، فهم منه كالقلب من جسم الإنسان. فكما أنه إذا صلح القلب صلح الجسد وإذا فسد فسد الجسد فإن الناس إذا صلحوا واستوفوا مادة الخير والتسامح تحقق السلام فيهم أو كانوا أقرب إليه من سواه، وإذا أفسدوا وأخلدوا إلى الأرض ومادتها ضلوا وزاغوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونزغ الشيطان بينهم وتعذر أن يشيع في ربوعهم السلام.

لذلك فإن الملحدين والمهرجين والماجنين والفسقة والمنافقين والماديين والكافرين بالله واليوم الآخر. كل هؤلاء وسواهم ممن يشاركونهم التخلي عن أديان السماء وفضائلها وحدودها وأنظمتها لا يمكنهم أن يؤمنوا للمجتمعات العالمية والخاصة ما تصبو إليه من الأمن والرخاء والسلام. ولو عقدوا المؤتمرات وأنفقوا الملايين وأتعبوا أدمغة المفكرين، ما برحوا لا يملكون في ذواتهم مادة الإسلام التي هي كما قلت سابقاً تكون في الشخصية الصالحة القادرة على تحمل مسؤوليات الحكم والحياة بأمانة وإخلاص وصبر وتضحية واستيعاب لمقاصد الحياة وما بعدها.

ولما كان يمكن تحقيق هذه الشخصية العاملة الساهرة المنتجة بالتعاليم الإسلامية، فإننا نرفع عقيرتنا موقنين أن في وجود الشخصية المسلمة وحدها الضمان لتحقيق السلام العالمي الصحيح، وإشاعة الأمان والطمأنينة والنجاة من الويلات وأحداث الرعب والدمار التي تزرعها الحروب في أي مكان تكون.

حفظ الله العالم من كل كرب وهدى الناس جميعاً لمادة الإسلام ولما يحب ويرضى ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ (النجم: ٥٦ -٥٨).



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خواطر في ذكرى الإسراء والمعراج

العدد (٧٩) رجب (١٣٩١هـ) - أغسطس (١٩٧١م).

في كل عام تتجدد ذكرى الإسراء والمعراج، وتتجدد بتجددها الآمال في مستقبل أكثر أمناً وعزة، من حاضر لا يخلو من أسباب القلق والاضطراب.

إن الأمة - والمجتمع منها - تكون مجموعة من الأفراد تقل وتكثر، فتتمثل فيهم وحدة المكان والزمان واللغة والدين والتاريخ والهدف، ويتم بينهم بالضرورة التعاقد على التعايش في ظل تعاون مخلص، وفي رعاية حكم يختارونه ويحتكمون إليه، ويسندون إليه أمر السهر على المثل والفضائل والأماني التي آمنوا بها، والمصالح التي اتفقوا عليها فيما بينهم، ووضعوا في ضوئها دستورهم، ونظام حياتهم ودولتهم. وهذا ما كان يشاهد واضحاً في أمة الإسلام من الخليج إلى المحيط، فقد تحققت فيها وحدة الزمان والمكان واللغة والدين والتاريخ والهدف، وارتضى أبناؤها بالضرورة التعاقد على أن يتعايشوا في ظل رخاء دائم، وتعاون مخلص وفي رعاية حكم قبلوه طوال قرون حتى نشأ بينهم النزاع .

واهتبل المستعمر الفرصة وبسط نفوذه عليهم وقطعهم دويلات، ولكنهم مع ذلك بقوا يمثلون فيما بينهم وحدة الزمان والمكان واللغة والدين، ووحدة التاريخ والهدف، رغم اختلاف الحاكم والمحكوم.

وما يزال شعار الوحدة يرتفع عالياً في مجتمعاتهم كلما سنحت الفرصة وهلت المناسبة، إن هذه الأمة ما تزال تتطلع إلى تحقيق أمانيها في ضوء كتابها ودستورها، وتعلم أن ذلك كله لا يليق أن يبقى أفكاراً وأماني راسبة في عقول ونفوس أبنائها، بل تتصدى لمحاولة إرساء قواعدها في حياتها الاجتماعية بصورة عملية فتجسدها في سلوك أفرادها وتصرفاتهم وتعاملهم وعلاقاتهم بعضهم مع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعض، فقد قال التابعي الجليل جندب بن عبد الله ﷺ: «عليكم بالقرآن، فإنه نور بالليل، وهدى بالنهار فاعملوا به على ما كان من فقر وفاقة فإن عرض بلاء فقدموا أموالكم دون أنفسكم فإن تجاوز البلاء، فقدموا أنفسكم دون دينكم فإن المسلوب من سلب دينه فإنه لا فاقة بعد الجنة ولا غناء بعد النار» .

وتجسيد هذه المعاني والمفاهيم السامية في حياة الأفراد والجماعات في الأمة الواحدة يفتقر إلى سهر مستمد من سلطة نافذة القول والفعل فإن المأثور أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ولا سبيل إلى إرساء وجود السلطة، وتعميق فاعليتها في الردع أو التشجيع والدفع إلا بفعل فئة تستمد قوتها ومهابتها من رضى المجتمع المؤيد لها، والذي يضعف، ويشتد بنسبة ما تكون عليه أريحية أبنائه سخاء وعطاء، وكلما كان البذل من هؤلاء سخياً جواداً تيسر لتلك الفئة الحاكمة مجال التوفيق، وتمكنت من التغلب على صعوبات الحياة ومشاكل المجتمع، وفازت بالنصر على المناوئين والمتمردين في داخل مجتمعاتها والطامعين بها من خارجها ولئن كانت السلطة الحاكمة بحاجة ماسة إلى عطاء رعاياها المادي وتشجيعهم المعنوي، فهي إلى مساعدتهم الشخصية أحوج.

ولهذا كان لزاماً على كل أمة تنشد لكيانها البقاء والاستمرار والأمن والوقار أن يكون جميع أفرادها دوماً مستنفرين وعلى أهبة النضال والدفاع ولو اقتضى ذلك منهم بذل الروح ذباً عن كيان الأمة وتعزيزاً لوجودها ومبادئها وتحصينا لهيبتها.

وكلما كثر في أفراد الأمة الموت دفاعاً عن حياضها، وحرصاً على كرامة عقائدها ومبادئها ووجودها اشتد عودها، وقوي جهازها الرادع، وهابها القاصي والداني من الناس وشاع في ربوعها الأمن والاستقرار وهنئ أبناؤها ورعاياها وانتشرت فيهم معالم البحبوحة والسعادة والرخاء.

والأمة التي لا يتعدد ضحاياها، ولا يكثر فيها المستشهدون دفاعاً عن العقيدة والشريعة والآداب والمثل التي أمرهم الله بالدفاع عنها والتي تنظم الحياة وتحفظ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الهيبة والكرامة والحق والحرية والعدالة أمة غير جديرة بالعزة، بل حرية بأن يتخطفها الناس من كل حدب، ويطمع بها القوي والضعيف والصالح والفاسد.

فالشهداء من الأمة إذن بمثابة القاعدة من البناء على جثثهم ينتهض بناء الأمة ويسمق حتى يطاول السحاب شموخاً وعزة وإباء.

والشهداء من الأمة بمثابة الروح من البدن يضوي كيان الأمة بدونهم ويذبل، ثم يصوح ويزول تماماً كما يكون من البدن ساعة تبارحه الروح إلى لقاء ربها.

بل إن كل قطرة من دماء الشهداء تهرق على أرض الوطن تشربها التربة، ولا تضيع فإذا كان الماء الذي يمس الأرض يهزها ويربيها، ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حباً جنياً، وثمراً شهياً، وأكلاً طيباً هنياً فإن دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقه، ويسقي أديم الأرض، ثم يسوخ في ذرات التراب حتى يبرز من جديد من خلال أحاسيس البشر وأفكارهم، وطاقاتهم الوجدانية غضباً عاصفاً يموج في الأثير، ثم ينصب على رؤوس الظلمة الغاشمين عزة وشمما وقوة تربو بها نفوس الأبناء والآباء والإخوة والأقرباء، وأبناء الوطن الواحد.

بل إن دم الشهيد هو وقود حياة الأمة وهو الطاقة الخفية التي تشق للأمة طريق المجد والخلود، وتظللها بسحائب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء.

ومهما يكن عطاء الله لهؤلاء الشهداء بعد ذلك ومهما يكن احتفاؤه بهم وتمجيده لذكرهم وإكرامه إياهم، فهم له أهل، لأنهم عملوا في مرضاته تعالى، وشروا أنفسهم في سبيله.

كذلك كثر الشهداء في عصري الإسلام الأول والثاني فعلا نجم الأمة وانتشر ظلها حتى عم العالم القديم تقريباً.

وكذلك فإن العالم الإسلامي اليوم في معاركه السافرة الضارية مع الاستعمار والصهيونية أحوج ما يكون لتعزيز نضاله وشحذ نشاط بنيه وإلهاب أحاسيسهم للثأر من الظالمين والمعتدين، والدفاع عن أراضيهم وأعراضهم، ومقدساتهم وكرامة الآباء والأجداد، وأولا وقبل كل شيء للذب عن المعتقد الثمين، عن الإسلام العظيم الذي ارتضاه الله للناس ديناً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أقول إنه أحوج ما يكون في ذلك إلى رسالة الدم الزكي القاني، وإزهاق الأرواح الطاهرة النبيلة، شهيدة، في سبيل الله والحق والعدل هذه المعاني الكريمة التي كفر بها كثير من الأمم وداسها ا(لإنسان الحديث بنعا).ه.

إن فلسطين ومقدساتها لن تعود للعرب والمسلمين بالكلام يطرح هنا وهناك، ولا بتفضل الناس الأباعد ومناصرتهم المشروطة أو غير المشروطة بل إن عودتها مرهونة بفضل جهاد أبنائها وجهاد إخوتهم المسلمين ونضالهم.

إن معركة فلسطين اليوم هي المحك لقدرة العرب والمسلمين في هذا العصر على حماية أنفسهم ومقدساتهم وعلى جدارتهم في العيش في عزة وكرامة وبمواكبة تدرج الأمم في مدارج الرقي والعز والشرف.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حديث عن لبنان عبر لقاء مع سماحة مفتيه الشيخ حسن خالد

العدد (١٦٢) جمادى الآخرة (١٣٩٨هـ) - مايو (١٩٧٨).

لبنان شغل العالم معه بأحداثه المتتابعة.. لبنان ميدان صراع منذ أمد بعيد.. لبنان تقع على أرضه أبشع جرائم ارتكبها إنسان الحضارة الزائفة.. وفي لبنان سالت دماء زكية.. وتداخلت الأحداث وتشابكت الأمور.. وامتد رداء الفتن الأسود ليغطي على لبنان الطبيعة.. الذي أبدعه الله جمالاً وإشراقاً.

لبنان بلد بالأحداث يغلي.. وكلما أوشكت نار الفتنة أن تخمد.. أمدها بالوقود تجار الحروب وسفاكو الدماء.. حتى كانت قمة المأساة في غزو بربري وحشي قامت به دولة الصهاينة غير الشرعية على أرض لبنان.. وسقط ألوف الشهداء... وتشرد ألوف الأبرياء... وعاثت إسرائيل في الأرض فساداً... والعرب والمسلمون - الرسميون - بقواتهم الرادعة في موقف المتفرج المستنكر للعدوان أحياناً... المهدد باتخاذه اللازم في الوقت المناسب.. والوقت المناسب- في نظرهم- لم يحن بعد!! ويعيش لبنان مأساته... جرحاً لا يندمل... ونزيفاً لا يتوقف... وهدماً لكل بنيان ... وإزالة لمظاهر الحياة...

- **وبعد، جاءت قوات الأمم المتحدة... لتحتل مواقع الفدائيين...**

ولتؤمن انسحاب المعتدين... ولتحمي دولة الإرهابيين...

فماذا أنت فاعل يا أخي في لبنان؟ وماذا أنت فاعل يا أخي في كل مكان عربي وإسلامي؟ وكيف يتحقق سلام مع أعداء السلام؟..

اللهم إنه لا حل إلا في قولك... وقولك الحق- : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (الأنفال: ٦٠).

وعزاؤنا في كل نقطة دم طاهرة أريقت في سبيل الله.. وعزاؤنا في كل شهيد هو في رحاب الله... قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (آل عمران: ١٦٩- ١٧١) وسط هذه المشاعر استقبلت الكويت وفداً لبنانياً كريماً... جاء قبيل الأحداث الأخيرة ليقوم بواجب التهنئة لسمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح بمناسبة توليه مقاليد الحكم في الكويت العزيز- كما قال سماحة مفتي لبنان الشيخ حسن خالد- وقال سماحته: لقد سعدنا بمقابلة سموه لهذه الغاية إلا أننا اغتنمناها فرصة طيبة لنتذاكر مع سموه ومع المسؤولين في دولة الكويت كل ما يعود على التضامن العربي، وعلى التعاون الإسلامي بالخير والبركة.

هذا... والوفد اللبناني برئاسة سماحة مفتي لبنان الشيخ حسن خالد.

وعضوية كل من السادة:

فضيلة الدكتور/ صبحي الصالح: مدير كلية الآداب في الجامعة اللبنانية ونائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى.

الأستاذ/ حسن القوتلي: المدير العام لشؤون الإفتاء وعضو المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى.

السفير الأستاذ/ محمود حافظ: عضو المجلس الاستشاري للإفتاء.

الأستاذ/ رفيق البراج: رئيس ديوان المحاسبة سابقاً وعضو المجلس الاستشاري للإفتاء.

وقام الوفد الضيف بزيارة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية... ودار الحديث بين الوفد اللبناني برئاسة سماحة مفتي لبنان الشيخ حسن خالد... والمسؤولين بالوزارة برئاسة الوزير السيد/ يوسف جاسم الحجي حول أوضاع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المسلمين في لبنان. . . وما يعانيه إخوة لنا هناك من صعاب. . . ووسائل التعاون بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. . . ولبنان المسلم. . . من أجل رفع المعاناة عن المسلمين هناك. ثم كان لنا هذا اللقاء مع سماحة مفتي لبنان. . . وكان البدء التعرف على طبيعة منصب مفتي الجمهورية اللبنانية. . .

● خطورة منصب الإفتاء في لبنان

قال سماحته: إن قولكم إن منصب مفتي الجمهورية اللبنانية له طبيعة عمل خاصة تتميز عن طبيعة العمل بالنسبة للإفتاء في أي بلد آخر إنما هو قول واقعي وصحيح، فرضه الوضع العام في لبنان، فهو وضع لا يعطي مفتي الجمهورية هذه الطبيعة الخاصة في العمل والمسؤولية. وإنما يعطيها أيضاً لرؤساء الطوائف في لبنان جميعاً.

وإنها في الحقيقة مسؤوليات كبرى أمام الله والناس نرجو في كل لحظة أن يوفقنا الله للقيام بها بكل أمانة، كما نرجو أن يجنبنا الزلل والخطأ، فإننا في كل لحظة معرضون لذلك، ولكنا إذا استعنا بالله- وهذا شأننا في كل ما نعمل- فإننا بإذن الله سوف نظل في الطريق نحو ما نطمح إليه من مرضاة الله في خدمة الناس.

أما هذه الصلاحيات أو المسؤوليات التي أنيطت بالإفتاء فهي كثيرة ومتشعبة، إلا أنها لم تكن في يوم من الأيام متروكة من غير نصوص قانونية تضبطها، ومواد تشريعية تنظمها، ولقد نصت قوانين البلاد صراحة على هذه الصلاحيات، وإذا حاولنا أن نحدد مصادر صلاحياتنا ومسئولياتنا القانونية اللبنانية فإنها تنحصر في مرسومين أو قانونين أساسيين.

أولهما: المرسوم الاشتراعي رقم ١٨- الخاص باستقلال المسلمين في تنظيم شؤونهم الدينية.

ثانيهما: مرسوم تنظيم المحاكم الشرعية. . .

ومن خلال هذين القانونين يمارس مفتي الجمهورية مسؤولياته وصلاحياته على الأصعدة التالية: أولاً: الإفتاء ومن خلاله تمثيل المسلمين أمام جميع المراجع الرسمية في الداخل والخارج باعتباره رئيساً للطائفة الإسلامية السنية في لبنان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويتمتع بالامتيازات والصلاحيات التي يتمتع بها رؤساء الطوائف في لبنان جميعاً، هذا من الناحية التمثيلية لمنصب الإفتاء. أما من الناحية الإجرائية فإن مفتي الجمهورية هو مرجع الاستفتاءات جميعاً التي ترد إلى دار الفتوى في شؤون الناس الحياتية على ضوء أحكام الشريعة الغراء.

وعلى ذلك فإن هناك جهازاً للإفتاء منتشراً في مختلف مناطق الجمهورية، مؤلفاً من مفتين في المناطق، ومن مدرسي فتوى يساعدون مفتي الجمهورية في تحمل أعباء هذه المسؤولية.

ثانياً: وبطبيعة الحال، ولما كانت الدولة رسمياً دولة غير إسلامية فإنه ليس فيها وزارة للأوقاف والشؤون الإسلامية، فكان من نتيجة ذلك أن وقعت مسؤولية وزارة الأوقاف التي تضطلع بها أي وزارة للأوقاف في أي بلد إسلامي على مفتي الجمهورية.

فأصبحت الدعوة الإسلامية وشؤون المساجد، والتوعية الإسلامية، والإعلام الإسلامي في جميع مدارس الحكومة اللبنانية، كل ذلك يقع على عاتق الإفتاء وحده، عليه أن يخطط ويبرمج العمل هذا كله، وينفق عليه الإنفاق الكامل، ومفتي الجمهورية هنا يعاونه في تنظيم شؤون الأوقاف مجلسان: مجلس تشريعي يشترك في عضويته جميع رؤساء الوزراء السابقين ورئيس الوزراء الحالي كأعضاء طبيعيين، وعلماء الشريعة الإسلامية، وأساتذة الجامعات، واختصاصيون، بعضهم ينتخب من قبل هيئة عامة، وبعضهم يعين من قبل مفتي الجمهورية، وهذا المجلس يعاون المفتي في إدارة أحوال المسلمين وفي إصدار القوانين الإسلامية التي تطبق في البلاد متى صدرت عن هذا المجلس. ومجلس آخر: هو المجلس الإداري للأوقاف، والذي تنحصر أعماله في الإدارة الوقفية.

ثالثاً: المحاكم الشرعية التي تهتم وتنظم الأحوال الشخصية لدى المسلمين بمقتضى النصوص الشرعية، ويعتبر المفتي رئيس مجلس القضاء الشرعي الأعلى للطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين السنية والشيعية.

رابعاً: الأمور أو المؤسسات الاجتماعية التي تعنى بالخدمات الاجتماعية

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لأبناء المسلمين ولدور الأيتام، حيث تنص المادة ٣ من المرسوم الاشتراعي رقم ١٨ على أن مفتي الجمهورية يعتبر راعياً لها في جميع مناطق الجمهورية.

خامساً: الأحوال المصيرية العامة للمسلمين ومطالبهم العامة التي تتعلق بمسؤوليات الدولة والحكم تجاه المسلمين بشكل عام. إنها مسؤوليات كبرى كما ترى متشعبة، ولكن نستعين بالله أولاً وآخرا ونحن نقوم بها راجين من الله سبحانه أن يوفقنا لما فيه الخير والرضوان.

* * *

ويمضي بنا الحديث مع سماحة مفتي لبنان الشيخ حسن خالد.

وهو متحدث لبق، وذو ثقافة واسعة، فيه صفاء المسلم، وإشراق العالم الجليل.. فيقول سماحته عن التعليم الإسلامي ودوره في لبنان:

إن للتعليم الإسلامي دوراً في لبنان من غير شك، ولقد أشرت سابقاً إلى أن التعليم الإسلامي في مدارس الحكومة كلها وفي مختلف مراحل التعليم، وعلى مستوى الجمهورية مطلوب من الإفتاء باعتباره مسؤولاً عن الأوقاف التي تدفع ميزانية التعليم الإسلامي، ومع أن الدولة خصصت في مدارسها الحكومية ساعة في الأسبوع لكل فصل، فإن ميزانية الأوقاف الإسلامية لا تغطي من هذا التعليم إلا منطقة بيروت، وصيدا، وطرابلس وبعض المناطق الأخرى، بالرغم من مساعدة الأزهر الشريف بأساتذة أكفاء يوفدون إلينا كل عام.. وإننا نرجو أن يهيئ الله لنا الظروف التي معها نستطيع أن نغطي ساعات تعليم الدين الإسلامي في كل مدارس الحكومة اللبنانية.. هذا على الصعيد الحكومي.

أما على الصعيد الخاص فإن لدينا مدرستين إسلاميتين كبيرتين..

أولاهما: أزهر لبنان.

وثانيتهما: كلية التربية والتعليم في طرابلس.

وهما المدرستان الدينيتان الوحيدتان المختصتان بتعليم الدين الإسلامي وتخريج علماء الشرع بمستوى المرحلة الثانوية، بحيث يلتحقون بعد ذلك بجامعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأزهر الشريف، أو جامعة المدينة المنورة، ليكملوا دراستهم الشرعية على المستوى الجامعي، وهناك مدارس أخرى كثيرة - والحمد لله - تعلم الدين الإسلامي إلى جانب العلوم المدنية الأخرى، وتتراوح ساعات تدريس الدين الإسلامي بالنسبة لكل فصل في هذه المدارس الخاصة بين ساعتين وخمس ساعات في الأسبوع، وتأتي في طليعة هذه المدارس التي تربي الطالب المسلم تربية إسلامية صحيحة مدارس الإيمان، ومدارس المقاصد، في بيروت، وصيدا، وطرابلس، والقرى. إلا أننا نطمع دائماً في أن نرى المزيد من هذه المدارس يقوى وينمو في هذا الطريق القويم .

● المسلمون بين الواقع والأمل

ثم يأخذنا الحديث مع سماحة المفتي إلى إلقاء الضوء على واقع المسلمين- اليوم- ومدى تلاؤمه مع الإسلام كقيم عليا وتعاليم سامية. . فيقول الشيخ حسن خالد:

لا شك أن المسلمين في لبنان متمسكون بقيمهم الإسلامية، وتعاليمهم الدينية، تمسكا قوياً، يقوم على الوعي والفهم والالتزام بشكل يدعونا إلى التفاؤل بأن المزيد من الجهد والمزيد من العمل في نشر الدعوة الإسلامية من شأنه أن يعزز الواقع الإسلامي بالشكل الذي نطمح إليه.

إذن سماحتك متفائل، وتأمل في غد أكثر إشراقاً، وترى أن الجهد المبذول متى ضوعف من أجل النهوض بمسلمي اليوم سيؤتي ثماره الطيبة، وجناه الحلو، ونحن مع سماحتك نطمح إلى غد عزيز ولكن الغد يبنى على واقع اليوم. . وواقع لبنان أحزاب وتنظيمات سياسية بلا حدود. . فما طبيعة العمل الإسلامي في هذه المرحلة؟

يقول سماحته:

لابد من الإشارة إلى أن لبنان في أجواء الحرية عامة، والحرية غير الملتزمة بشكل خاص أصبح ميداناً رحباً للتيارات السياسية والعقدية ذات الدوافع المحلية من ناحية، والخارجية من ناحية أخرى، تتصارع فيه، ولكنها تتفق في مناوأتها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للإسلام محاولة ضربه وضرب المسلمين معاً. إلا أن المسلمين وقد شعروا منذ القدم بهذه الخطورة، فقد برزت بين صفوفهم حركات إسلامية واعية، تكتلوا على أساسها، وبرزت جماعات وأحزاب وهيئات ومؤسسات اجتماعية وثقافية في الغالب، تعلن التزامها بالدين الإسلامي عقيدة ومنهجا وتطبيقاً، ولقد قويت هذه النزعة خلال الحرب، فظهرت تنظيمات عسكرية، وأحزاب ومجموعات رفعت شعارات إسلامية صراحة، مما يبدو معه أن هذه التنظيمات في عهد السلام والوفاق ستلتزم بالنضال السياسي، والتكتل الاجتماعي على أساس إسلامي وطني، يمد لبنان وشعبه بالخير والرفاه.

● **سماحة الإسلام**

ويمضي الحديث سالكاً مجراه في انسياب وسهولة ويسر.. مكتسباً من طبيعة محدثي السمحة العذبة الشيء الكثير.. فيقول عن الإسلام وسماحته وتعايشه مع الطوائف الدينية في لبنان:

أريد أن أصحح أنه ليس هناك على الإطلاق طائفة دينية أخرى تحقد أو تعادي الإسلام والمسلمين، إذا كان من عداء للإسلام والمسلمين في لبنان، فإنه عداء سياسي غالباً ما يظهر من السياسيين أنفسهم،إما تحت ستار الطائفية وإما تحت ستار الحزبية الملحدة، فالطائفية التي هي مذهب سياسي في الغالب يقوم على أساس إعطاء الامتيازات الطائفية على حساب المسلمين، والحزبية الملحدة التي تقوم على ضرب العقيدة الدينية عند كل المتدينين هي سبب الحقد والعدوان.

إن مظاهر التسامح الإسلامي في لبنان تتمثل في دعوة المسلمين ومطالبتهم بالمساواة، والعدالة في معاملة المواطنين جميعاً بلا تفريق تحت أي شعار.. إننا نعترف بكل الأديان السماوية.. ونعظم كل رسل الله وأنبيائه، شعارنا الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، أما الحقد الطائفي الذي هو سياسة بحد ذاته فيتلخص في الامتيازات الطائفية التي يحرص عليها البعض، والتي ليست من الدين في شيء.

* ولبنان بمآسيه وآلامه، بأحداثه ومشكلاته، بمعاناته وجراحاته، يشغل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عالمنا العربي والإسلامي، ويصيب الأمة في ضميرها. . ويدمي قلوب المؤمنين المخلصين. . ويقول البعض عن غياب الوجه الإسلامي عن ساحات الصراع في لبنان. . فيجذب طرف الحديث بطريقة بارعة محدثي الفاضل.

فيقول: صحيح أن الأحداث المؤسفة الأخيرة شغلت العالم العربي والإسلامي، بل والعالم كله، لأن العالم كله له دور في أحداث لبنان بشكل أو بآخر، إن الصراع العالمي بمتفرعاته لم يجد من ساحة له إلا هذه الرقعة الصغيرة من العالم التي هي لبنان، ولعل وضع الامتيازات الطائفية هو الذي ساعد على هذا الاستغلال لأرض لبنان وشعب لبنان، أما غياب الوجه الإسلامي عن ساحة الصراع هذه فأعتقد أنه حكم ليس في محله. لأن المسلمين كانوا قبل الحرب وخلالها وبعدها وما زالوا حتى هذه الساعة موجودين، يتشاورون، ويجتمعون في كثير من الأحيان، كما اجتمعوا وأجمعوا في دار الفتوى على إسقاط حكومة لم يرضوا عنها، وأحلوا محلها حكومة دولة الرئيس رشيد كرامي، والاجتماعات المتواصلة والمتكررة التي كان يعقدها زعماء البلاد المسلمون في «عرمون» بمنزلي.

حيث كانوا يطلبون باستمرار دعوتهم إلى هذا المنزل المتواضع ليجتمعوا فيه ويقرروا أمرهم، أضف إلى ذلك أن تنظيمات إسلامية- كما أشرت- ظهرت على الساحة، وأثبتت وجودها، وهذا كله يؤكد على الحضور الإسلامي، أما الغياب الذي يشير إليه البعض فأنا أعتقد أنه كان نتيجة للدعايات المغرضة التي يحاولون إلصاقها بالمسلمين في جولة إعلامية ذكية لكسب تأييد العالم العربي بشكل خاص.

● التقريب بين المذاهب الإسلامية

* وحول التقريب بين المذاهب الإسلامية. . والجهود المبذولة بهذا الصدد جرى بنا الحديث في واديه السهل الخصيب.

فيقول مفتي لبنان:

إن الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية لا تجد صداها الحبيب في هذه

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأيام فحسب، وإنما هي دعوة ترضي الله في كل زمان ومكان، لأنها من صلب الدعوة الإسلامية، وفي أساسها.

ولقد كانت لنا قبل الحرب اجتماعات دورية، نعقدها باستمرار على صعيد رؤساء الطوائف الإسلامية فنتشاور في كل ما يعود على التقريب بين المذاهب بالخير، والرضا من الله سبحانه وتعالى، ولقد باشرنا- قبل الحرب أيضاً- في جلسات عمل مع سماحة الإمام موسى الصدر لوضع أسس للتقريب والعمل الإسلامي المشترك، وتوحيد النشاط الديني بشكل عام، إلا أن الحرب جاءت واستنزفت منا هذه الرغبة إلى حين، غير أننا بمشيئة الله وعندما تتوفر لنا أسباب الاستقرار، وأسباب أخرى لا بد منها، سوف نعود إلى أكثر مما كنا عليه من العمل في هذا المجال، وإننا لبالغوه بإذن الله.

● الإسلام دائماً مع الوفاق الوطني

*** وكانت قد ترددت في لبنان مؤخراً أنباء عن صدور الوفاق الوطني- فانتقل بنا الحديث حول هذا الوفاق الوطني، ومدى ملاءمته للطموح الإسلامي في لبنان.**

فقال محدثي الفاضل الواسع الثقافة الواضح البيان:

إن الوفاق الوطني في لبنان يسير في طريقه المرسوم الذي يبدو أن المواطنين جميعاً راضون عنه، فلقد اجتمعت الحكومة بعد استطلاع رأي الزعماء السياسيين، والروحيين، ووضعت عناوين لهذا الوفاق على صعيد الحكم، والإدارة، والجيش، وتنوي الحكومة أن تدفع بهذه العناوين من خلال قرارات تتخذها إلى المجلس النيابي ليقرها، ثم بعد ذلك تأخذ دورها في التطبيق، ويبدو حتى الآن من هذه العناوين أنها مستمدة من الوثيقة الدستورية المعروفة، إن المصلحة الإسلامية دائماً في الوفاق الوطني، ولا مصلحة للمسلمين بالاختلاف الوطني، فنرجو من الله سبحانه أن يساعدنا على دعم كل ما يمكن أن يجمع عليه اللبنانيون، محافظة على لبنان وعروبته ووحدته.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

• الصحافة الإسلامية وسط صحافة لبنان

* ويعرج بنا الحديث إلى ميدان الصحافة في لبنان . . وهو ميدان صاحب شأن كل شيء في لبنان الآن . . وعن الصحافة بشكل عام والصحافة الإسلامية بشكل خاص.

قال سماحته : إن دور الصحافة في لبنان دورو خطير للغاية، ويكفي أن تعرف أن هناك تسعاً وتسعين مطبوعة في لبنان من صحيفة ومجلة، كلها تصدر في هذا البلد الصغير، لتعرف كم هي التيارات كثيرة ومتضاربة في لبنان، ولاشك أن لكل صحيفة تياراً واتجاهاً يعكس الأحداث اللبنانية من وجهة نظر مختلفة عن الأخرى، مما يزيد في البلية والفوضى، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أنه كانت هناك صحافة أساسية لها الدور في التوجيه الإعلامي خلال الحرب وبعدها .

أما الصحافة الإسلامية، فإننا في دار الفتوى نصدر مجلة شهرية هي «الفكر الإسلامي» وأعتقد أنها تصل إليكم، وهي تعبر بما تتضمنه من آراء عن الاتجاهات الإسلامية في كثير من القضايا المطروحة، ولقد قويت هذه المجلة بعد الحرب، ثم ظهرت صفحة إسلامية أسبوعية في جريدة يومية، ثم تلتها جريدة يومية أخرى بصفحة إسلامية أخرى، إلا أن هذا لا يفي بالحاجة بعد، وإننا نرجو أن ترتكز حركة الإعلام الإسلامي هذه على أسس من التنسيق والدعم الذي نأمل أن تتوفر له جميع الظروف المناسبة.

• إمكاناتنا لا تسمح بفتح مساجدنا كلها

* ولا يفوتنا الحديث عن المسجد ودوره الحضاري والتاريخي.. ومدى ما عاناه المسجد في لبنان . .

يقول سماحة مفتي لبنان: إن لدينا في لبنان حوالي ٤٠٠ مسجد، منتشرة في مختلف مناطق الجمهورية، وأحب أن أقول هنا بكل صراحة إن إمكاناتنا منذ عشرين سنة أو أكثر لا تسمح لنا بفتح هذه المساجد جميعها، إنه بالرغم من مساعدة الأزهر الشريف بالدعاة، وبالرغم من مساعدة رابطة العالم الإسلامي بالمال لفتح كثير من مساجد «عكار» في الشمال، فإن بعضا من هـذه المساجد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما زال مغلقاً، إلا أن لدينا خطة لفتح كل المساجد المتبقية مهما كلف الأمر من مال وجهد، لأننا نعتقد أن للمسجد رسالته في بناء حياة المسلم وشخصيته، كما أن لدينا خطة لجعل المسجد مكاناً للخدمات الاجتماعية في الوقت الذي هو فيه مكان للعبادة، إننا نشعر شعوراً عالياً بعظم هذه المسؤولية الملقاة على عاتقنا لأن تأثير التيارات الغريبة على شبابنا يكاد يتهددنا، ونحن لا نستطيع أن ندفع بهذا الشر إلا من خلال بناء الشخصية الإسلامية من خلال المسجد الذي هو مدرسة الإسلام الأولى، تربي المسلم التربية النفسية والاجتماعية، والروحية اللازمة، وتؤدي له الخدمات والتوجيهات التي يحتاج إليها في حياته الخاصة والعامة.

ولكن: مما يؤسف له كثيرا أن عدداً كبيراً من المساجد في لبنان قد أزيل تماماً وهدم خلال الحرب، كما تصدعت الكثرة الكاثرة من العقارات الوقفية التي كانت تمد هذه المساجد بالمادة اللازمة للدعوة والنشاط.

● لكل بلد مشكلاته.. والحل في كتاب الله وسنة رسوله

* هكذا عايشت معي- أخي القارئ - الوضع الإسلامي في لبنان، واطلعت عن كثب على أوجه الصراع في لبنان، ورأيت مدى المعاناة والمشكلات التي تعرقل الجهد الإسلامي في لبنان، وحول هذه المشكلات والبحث عن مخرج منها يقول سماحة مفتي لبنان الشيخ حسن خالد:

أي واحد منا لا يستطيع أن يحصر في هذه العجالة مشكلات المسلمين داخل لبنان وخارجه، إلا أنني لست من الأشخاص المولعين بوصف دواء واحد لكل الأمراض، إنني أعتقد أن لكل بلد مشكلاته الاجتماعية، والاقتصادية، والتربوية، والسياسية، وما إلى ذلك، فإذا استطعنا أن نأخذ كل بلد على حدة، وندرس مشكلات المسلمين فيه دراسة اجتماعية زمانية ومكانية تلحظ المتغيرات فإنه من الممكن أن نضع سلماً للأوليات في حَل هذه المشكلات، ثم نبدأ بحلها واحدة بعد أخرى على ضوء كتاب الله تعالى، وسنة رسوله الكريم.

● قدمنا الحضارة للعالم

وأخيراً.. أخذت من وقت محدثي زمناً طويلاً... وأراه في حاجة إلى وقت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يستريح فيه، فمدة تواجده بالكويت مشحونة ببرنامج خاص للاطلاع على نهضة الكويت، وزيارة معالم النشاط الإسلامي بها.

فرأيت أن نختم حوارنا مع سماحته بكلمة يوجهها إليك.

● أخي القارئ:

يقول إنه يسعدني أن أحيي أولاً مجلة «الوعي الإسلامي» التي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، لما تتحلى به من وعي إسلامي حقيقي، ومن حرص على رفع كلمة الله عالياً، وإني لأرجو من الله أن يوفقها ويوفق العاملين فيها إلى ما فيه الرضا والفلاح، وإنني عبر هذه المجلة الصادقة في دعوتها، لأرجو لقرائها مزيداً من الاطلاع، ومزيداً من التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وبسيرة رجالاتنا العظام الذين صنعوا تاريخنا، وبنوا حضارتنا على أسس متينة، قدمها لنا الإسلام، فجعلنا نقدم الحضارة للعالم كله.

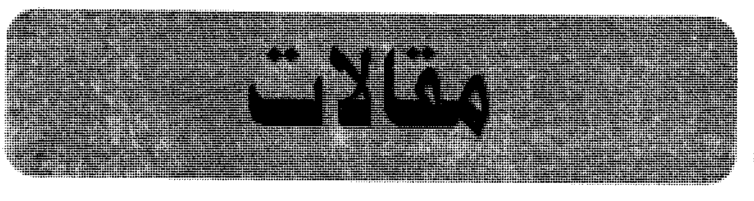
وهكذا نأتي على نهاية لقائنا الخير بسماحة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية، ونرجو لسماحته وللوفد المرافق طيب الإقامة. ..والتوفيق في عملهم المتواصل من أجل خدمة المسلمين في لبنان.

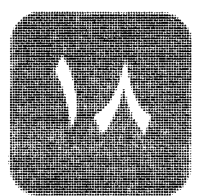
غير أنه يبقى لبنان النغمة الحزينة في عالمنا العربي والإسلامي طالما ظل أتون حرب، وميدان تطاحن وصراع. وإننا لندعو الله مخلصين أن يحمي لبنان من كيد الماكرين، وعدوان الظالمين. .. اللهم آمين.

* * *

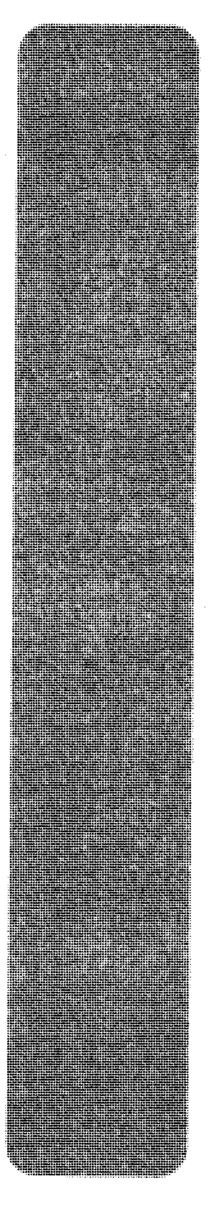
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





الشيخ د. صبحي الصالح



❑ **ترجمة الشيخ.**

❑ **المقالات:**

١- ملحمة الهجرة خطة وتصميم.

العدد (٣٧) ربيع الأول (١٣٨٨هـ) - مايو (١٩٦٨م).

٢- البلاغة النبوية.

العدد (٧٦) ربيع الآخر (١٣٩٠هـ) - مايو ١٩٧١م).

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

د. صبحي الصالح



● **مولده ونشأته:**

ولد الشيخ صبحي الصالح في الجمهورية اللبنانية في مدينة طرابلس سنة ١٩٢٦م من عائلة تركية الأصل، وتابع فيها دراسته الابتدائية، والمتوسطة والثانوية المدنية والشرعية في دار التربية والتعليم، ثم حصل على الشهادة العالية «الإجازة» من كلية أصول الدين في الأزهر عام ١٩٤٧م ثم العالمية عام ١٩٤٧م ثم سافر إلى فرنسا فنال شهادة دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون عام ١٩٥٤م.

قضى حوالي ثمانية وعشرين عاماً في التدريس الجامعي، في جامعة بغداد ١٩٥٤-١٩٥٦م، وفي جامعة دمشق (١٩٥٦-١٩٦٣م)، وفي جامعة بيروت العربية عمل أستاذاً للإسلاميات وفقه اللغة منذ تأسيسها وحتى وفاته، وفي الجامعة الأردنية١٩٧١-١٩٧٣م، وكان فيها رئيساً لقسم أصول الدين، وعيّن أستاذاً في الجامعة اللبنانية منذ العام ١٩٦٣، وانتخب رئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها فيها منذ عام ١٩٧٥م، ثم عيّن مديراً لكلية الآداب والعلوم الإنسانية عام ١٩٧٧م، ثم صار أستاذ كرسي الإسلاميات وفقه اللغة العربية فيها. وحاضر أستاذاً زائراً في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، والكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين في الجامعة التونسية، وسمي في جامعة ليون الثالثة بفرنسا مشرفاً على رسائل الدكتوراه في الدراسات الحضارية واللغوية والإسلامية، عين نائباً لرئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في لبنان، وأميناً عاماً لرابطة علماء المسلمين، وعضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة، وأكاديمية المملكة المغربية،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والمجمع العلمي العراقي، ولجنة الإشراف على الموسوعة العربية الكبرى، كما منح جائزة التفكير الاجتهادي في الإسلام.

وله رحمه الله العشرات من المؤلفات والبحوث والدراسات مشهورة منثورة، ومنها ما خصَّ الشيخ به مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية.

كان له رحمه الله شخصية قوية، وبديهة حاضرة، وحضورا محببا، وجاذبية عفوية، وقد كان له في التلفزيون الأردني منذ أكثر من ثلاثة عقود مساجلات علمية راقية جداً مع بعض العلماء.

● **وفاته:**

توفي الشيخ في بيروت ٧/ ١٠/ ١٩٨٦م بإطلاق الرصاص عليه، رحم الله فقيدنا، وأسكنه فسيح جناته، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ملحمة الهجرة
خطـــة وتصميـــم

العدد (٣٧) ربيع الأول (١٣٨٨هـ) - مايو (١٩٦٨).

إذا استشففنا حجاب التاريخ ألفينا فيه هجرة الرسول أبرز حادثة من حوادث الدهر، ولكي تكون كذلك- وهي حقاً كذلك- لا بد أن يكون لبطولة الرسول فيها أثر، ولا بد أن يكون لشجاعته ونضاله وجميل صبره وطول أناته فيها أثر، ولا بد بوجه عام من ربط عوامل نجاحها بشخصيته الكاملة وفكره الثاقب وعقله الراجح، فبهذا كله يسعنا أن نقول: إن تلك الهجرة كانت ملحمة خالدة، بل أخلد الملاحم، وإن بطلها هو النبي العظيم، لأنها قبل أن تختم بالنصر افتتحت بالاضطهاد والعذاب، وكانت بين الفاتحة والخاتمة سلسلة من صور بطولة النبي، ومواطن شجاعته، ومشاهد نضاله وجهاده.

ومن الناس من يقتنع في سذاجة عجيبة بأن ملحمة الهجرة لم تك إلا وحياً من عند الله خالصاً وأقل ما يعنيه هذا القول المدهش إلغاء كل عمل شخصي للنبي الكريم في إنجاح هجرته أو رسم خطته، كأنه عليه الصلاة والسلام لم يستشعر قط ضرورة القيام بها والتفكير فيها ثم تنفيذها على الوجه الأكمل. ومثل هذا القول كان يقتضي بداهة أن يقدم الله لنبيه الحبيب موعد هجرته إنقاذاً له من قومه الجفاة العتاة، ومن أذاهم واضطهادهم له وسخريتهم به، ولكن الله حين ترك نبيه البطل ثلاثة عشر عاماً في مكة يلقى صنوف العذاب ما ودعه وما قلاه، وإنما أراد أن يذيقه حلاوة النصر بعد مرارة الصبر والمصابرة والكفاح والنضال، حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته في خلقه، فلا يغتروا بانتسابهم إلى الإسلام من غير جهاد، أو يستسلموا إلى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتوكلون.

كان الجو في مكة قاتماً مكفهراً في كل ناحية، وكان كل شيء في مكة يدعو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى اليأس، ولكن النبي لم ييأس وما كان لنبي أن ييأس، فإن عليه تبليغ ما أنزل إليه من ربه وإن لم يفعل فما بلغ رسالته، والله يعصمه من الناس! رأى ﷺ من كفر قريش وكبرها وعنادها ما أكد له أنها لن تعرف طريق الإيمان، وعرض نفسه على القبائل فردته رداً غير جميل، ولاسيما في الطائف التي لقي فيها أشد العذاب، حتى لجأ إلى كرمة يتفيأ ظلها ويبتهل إلى ربه بهذا الدعاء الضارع المستغيث: «اللهم أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي» فلم يكن بد- بعد هذا الجو المكفهر المقيت- من أن يلتمس النبي الكريم للدعوة جواً تستطيع التنفس فيه، ولم يكن بد من أن يجد ﷺ الجو الآمن الجديد المبشر بالخير في غير مكة التي هي مسقط رأسه ومربى طفولته ومزدهر شبابه.

وفكر النبي الذي لا ينطق عن الهوى- أول ما فكر- بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، لأن بها النجاشي الملك النصراني الذي «لا يظلم عنده أحد» كما قال الرسول الكريم.

وحين أذن الله لنبيه بالهجرة أمره بتنفيذ الخطة التي ألهمه رسمها وتصميم مراحلها، فلم تكن هجرته فراراً من الأذى وهرباً من الاضطهاد، إذ لو أراد ذلك لهاجر إلى بلد بعيد كالحبشة مثلاً، بعد أن نصح أصحابه بالهجرة، إليها، ولكنه صلوات الله عليه كان المثل الأعلى للشدة في الحق، والثبات على المبدأ، فظل يصبر ويصابر حتى تسنح الفرصة ويأذن الله، فلم يتألم من عدوان سفيه، بل كان يجد فيما يحسبه الناس ألماً لذة سامية، وكان سعيداً بآلامه الفوادح، لا يبالي ما دام الله معه يهديه ويسمع سره ونجواه ويكلؤه في منقلبه ومثواه. ولذلك حاول وهو في مكة لما يفارقها أن يضع خطة حكيمة يتابع تنفيذها طورا بعد طور واثقاً من النجاح، مطمئناً إلى تأييد الله، صابراً الصبر الجميل!

إن النبي عليه الصلاة والسلام ليعلم أن موسم الحج هو الملتقى الطبيعي للوافدين إلى مكة من غير المكيين ومن غير القبائل التي عرض نفسه عليها ودعاها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى دين الله. ويشاء الله أن تكون بداية الفرج خروج نفر من الخزرجيين إلى مكة في موسم الحج بعد وقعة بعاث المشؤومة التي قتل فيها مئات من الأوس والخزرج، فلقي النبي هؤلاء الحجيج ودعاهم إلى الإسلام فشرح الله صدورهم لدينه الحنيف.

ومع استدارة العام وحلول موسم الحج أتى مكة اثنا عشر رجلاً من أهل المدينة، فالتقوا برسول الله ﷺ وبايعوه عند العقبة البيعة الأولى، وأرسل معهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.

ولما جاءه في العام القابل في موسم الحج سنة ٦٢٢م. خمسة وسبعون من أهل المدينة بينهم امرأتان، بايعهم عليه السلام سراً في جوف الليل على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، واتخذت هذه البيعة الكبرى عند العقبة صورة الحلف أو الميثاق، فقد قال الرسول الكريم للقوم يومذاك: «أنتم مني وأنا منكم، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم»، واختار منهم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وهو عليه السلام كفيل على قومه.

ولقد قال حينئذ البراء بن معرور سيد قومه، وهو من الذين أسلموا بعد العقبة الأولى، معلناً البيعة بلسان الجميع: «بايعنا يا رسول الله. فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر». واعترض أبو الهيثم بن التيهان يقول: «يا رسول الله، إن بيننا وبين يهود المدينة عهوداً نحن قاطعوها، فهل عسيت إن قطعنا هذه العهود ثم نصرك أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟» وأجاب النبي الصفي الوفي. «بل الدم الدم والهدم الهدم».

ورغم ما أحيطت به بيعة العقبة الكبرى من سرية بالغة، ورغم إتمامها في جوف الليل عند شعب العقبة في عزلة عن الناس، تسرب إلى قريش نبأ هذه المعاهدة الخطيرة، وأحسب قريشاً قد أحست قبيل هذه البيعة بنشاط النبي في الدعوة ودأبه المتواصل لتبليغ الرسالة. فأرسلت بعض عيونها وجواسيسها يتابعون حركاته، إذ ما كاد الحلف يتم وما كاد الأنصار يقسمون للنبي على تنفيذه نصاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وروحاً حتى سمعت قريش منادياً يناديها بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب: يا أهل المنازل بمنى، هل لكم في مذمم[1] والصباء الخارجين على دينهم معه قد اجتمعوا على حربكم؟ وربما كان هذا المنادي يريد في آن واحد تحذير قريش وتثبيط عزائم الأنصار. أما قريش فقد بلغ بها الحذر منتهاه حتى جاءت منازل الخزرجيين في شعب العقبة وأنشأ رجالها يعاتبون القوم قائلين: يا معشر الخزرج، نحن لا نريد حربكم، وما نكره أن نقاتل قوماً كما نكره أن نقاتلكم، فما بالكم تبايعون محمداً على حربنا وتخرجونه من بين أظهرنا؟

ولما أيقنت قريش أن هذا الحلف قد تم حقاً. وأن الأنصار سينفذونه فعلاً. خرجت تطلب من قدرت عليه منهم فلم تظفر إلا بسعد بن عبادة بأذاخر قريباً من مكة، فربطوا يديه إلى عنقه بجلد رحله، وجروه من شعره، وردوه إلى مكة وظلوا يعذبونه حتى أجاره حليفان له في الجاهلية جبير بن مطعم والحارث بن أمية.

وأما الأنصار فما ازدادوا إلا إيماناً وتسليماً حتى قال العباس بن عبادة للنبي: «والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا!» ولكن القائد الحكيم عليه السلام أجاب: «لم نؤمر بذلك، فارجعوا إلى رحالكم».

وبينما كانت قريش تفكر بالقضاء على حركة الأنصار في مهدها، وتفكر في حماية أصنامها وعبادها، وفي الإبقاء على سيادتها وزعامتها، أقدم النبي ﷺ ببراعة وحكمة على عمل سياسي عظيم، فأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة فرادى أو نفرا قليلاً، فسوف يجدون النصر والتأييد في يثرب أوسها وخزرجها بين قوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وخافت قريش من هجرة المؤمنين إلى المدينة، ففرقت بين المرء وزوجه ومنعت الزوجة القرشية من المسير إلى يثرب مع زوجها المؤمن. ونكلوا أشد التنكيل بكل من أصابوه يعتزم الهجرة والرحيل.

وظل النبي البطل الشجاع في مكة دؤوباً على الدعوة إلى الإسلام، وقال لصاحبه أبي بكر حين استأذنه بالهجرة: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً». وفي رواية أخرى «لم يؤذن لي» وكأنه كان ينتظر الفرصة السانحة التي يلهمه الله

(١) لم يقل المنادي «محمد» عكسها فقال: «مذمم» بغياً من نفسه إثارة للقوم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أنها ملائمة لتنفيذ خطته الحكيمة البارعة.

ومن يتتبع السيرة النبوية المطهرة بعمق ودقة يوقن بأن الدوافع النفسية التي كانت تحمل الرسول الكريم على اختيار المدينة مهاجراً له تكاد تقطع بأن عمله الشخصي في رسم خطة الهجرة لم يكن ضئيلاً: فقد كانت للرسول في المدينة علاقة قربى، ففيها أخوال جده عبد المطلب من بني النجار. وفيها قبر أبيه عبد الله بن عبد المطلب. وفي السادسة من عمره زار النبي ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب قبر أبيه، ومرضت أمه في الطريق فماتت ودفنت بالأبواء في منتصف الطريق بين مكة والمدينة. ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان أول الأمر يتجه في صلاته إلى ناحية المدينة جاعلاً قبلته المسجد الأقصى ببيت المقدس مقام النبيين، فهل يلغي الدارس هذه الدوافع كلها ولا يرى فيها شيئاً مذكوراً؟.

على أن وضع النبي ﷺ خطة الهجرة لا ينبغي أن يتعارض مع تأييد الله له فيها بالوحي، فإن كلا من الأمرين يتمم الآخر، وينسجم معه بدلاً من أن يناقضه: إذ المعروف عن الرسول الكريم في جميع مراحل حياته أنه قد امتاز بمضاء العزيمة، وعلو الهمة، والكفاح الدائب، والثبات على المبدأ، والثقة بالنجاح، وما كان يستمد هذه الخصال كلها إلا من اطمئنانه إلى الله حتى ذهب مذهب الأمثال قوله لعمه أبي طالب: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وحين أوى النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور، وقفا المشركون آثارهما، قال أبو بكر في جزع شديد: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فهمس النبي الشجاع في أذن صاحبه همسته الخالدة: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟ يا أبا بكر، لا تحزن إن الله معنا» ولذلك عد الله نجاح نبيه في هجرته نصراً ربانياً أيده به، فقال في سورة التوبة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ (التوبة: ٤٠) وصرح في

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

سورة الأنفال بأن الله هو الذي مكر بالقوم الذين مكروا برسوله، فقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنفال: ٣٠).

ليس من الخطأ إذا أن نقول: إن الله أيد بالوحي محمداً في الهجرة ونفخ فيه من روحه حتى نصره وأنجحه، فلا ريب أن هذا التأييد قد وقع، ولم يكن بد من أن يقع تكريما من الله لنبيه وتثبيتاً لفؤاده، ولكن الخطأ في قول من يقول: أن هذه الحادثة الكبرى كانت وحياً من الله خالصاً، كما أن الخطأ في قول من يزعم أن النبي انفرد برسم خطته، وأنه انتصر بمحض قدرته الشخصية وإرادته، فالحق أن أحداً من البشر مهما تبلغ مقدرته وحكمته وإرادته لا ينفرد بشيء، والنبي الكريم لم يكن بدعا من البشر، ولا بدعا من الرسل، ولكم قص الله على نبيه قصص الأنبياء السابقين: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

وعلى هذا الأساس، يمكن الجمع بين الأمرين: فقد قام النبي البطل الشجاع المقدام بالهجرة، تبعاً لخطة وضعها وأحكمها ثم نفذها، وقد استمد عناصر النجاح من تأييد الله له ونصره، وانتظر الإذن الرباني بالشروع فيها وإتمامها على ما يرضي اللّٰه. وهكذا تجلت في ملحمة الهجرة مشاهد البطولة النبوية التي ما عرفت الأيام ولن تعرف لها نظيراً.

وعلى هذا الأساس أيضاً يمكننا أن نعالج آثار النكسة التي أصابت العرب والمسلمين في الصميم، فعلينا اليوم أن نحصر طاقاتنا كلها في مواصلة النضال، متوكلين على الله رب العالمين، واثقين أن النصر من عنده وحده، وهو العزيز الحكيم.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البلاغة النبوية

العدد (٧٦) ربيع الآخر (١٣٩٠هـ) - مايو (١٩٧١م).

شغل الناس عن بحث البلاغة النبوية أمران، أحدهما يتعلق بالقرآن والآخر يتصل بالحديث.

أما القرآن فشغل الناس حديثهم عن إعجازه، حتى أخذ بعضهم بالصرفة، وزعموا أن الله صرف الناس عن الإتيان بمثل هذا القرآن .

وأما الحديث فحالت مكانته التشريعية دون إسهاب البحث في مكانته الأدبية. بل تجرأ نفر من العلماء على أن ينكروا الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو- كما سنرى في حلقة أخرى من هذا البحث، وتجرأ آخرون فأنكروا الاحتجاج بالحديث ألآحادي حتى في التشريع كما سنوضح ذلك بعد قليل.

ولئن عذرنا القوم على انصرافهم بإعجاز القرآن عن بلاغة الرسول، فأنى لهم العذر وقد صرفهم فقه الحديث عن أدب الحديث؟

إن البلاغة النبوية تدور حول محور الحديث، وكما اشتمل الحديث على مواد غنية صلحت لاستنباط التشريع احتوى مواد أخرى لا تقل عنها غنى تصلح أطراً لبيان الرسول أفصح من نطق بالضاد. بل المواد التي صلحت أصولاً للفقه من وجه صلحت بنفسها صوراً للفصاحة من وجه آخر.!

وبلاغه أهل البيان إما شعر وإما نثر، ولكن البلاغة النبوية برئت - لأسباب دينية- من الشعر، وخلصت للنثر، فكان نطاقها الأساسي الحديث المنثور. بيد أن أطر هذا الحديث تعددت تبعاً لتعدد مدلوله الاصطلاحي، فكان في كمه وكيفه مغنياً برائع نثره عن جمال الشعر وسحره.

ولابد أن ننبه هنا إلى ضرب من التشابه آنسناه بين مصطلحات المحدثين وما

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نود أن نقترحه من مصطلحات أدبية تعيننا على إماطة اللثام عن وجوه البلاغة النبوية. فالنثر البياني النبوي هو ما يسمى عند المحدثين «بالحديث» و«السنة» على مذهب من يقول بترادف هذين اللفظين[١] وهو على كل حال إما حديث شفوى، وإما خطبة مرتجلة وإما كتاب مدون. وحتى على الرأي القائل بانتفاء الترادف بين ذينك المصطلحين، ليس ضرورياً حصر نطاق دراستنا البلاغية فيما أطلق عليه لفظ «الحديث» بوجه خاص، ابتغاء التأكيد أنه وحده يشتمل على فنون قولية، مرتجلة أو مكتوبة، لأنا لو تناسينا موارد التسمية الاصطلاحية فيما عزي إلى النبي ﷺ من روايات لوجدناها جميعاً ترتد إلى «الأخبار»[٢] ونحن في بحثنا بلاغة الرسول ندور حول محور واحد: هو ما نقل من قول الرسول وأيدته أعماله.

وإنما ألححنا كرة أخرى على المادة القولية، لأنها تشتمل على الصياغة الأدبية اشتمالها على الفكرة التي أراد الرسول بيانها. لكنا- من غير أن نخوض في النزاع بين الشكل والمحتوى - لا يسعنا أن نحصر بحثنا- ولو بلاغياً- في المادة القولية، إذ نحتاج إلى المحتوى الفكري الذي حكى عن الرسول مستلهماً من قوله وفعله وسيرته المطهرة، وإن لم يثبت أنه نطق بالذات بما رووا من ألفاظه وتراكيبه.

والحق أن موضوع «الحديث» لا يغاير موضوع «السنة»، وبالرغم من أن كلا منهما أطلق في كثير من المواطن على غير ما أطلق عليه الآخر، وبالرغم من أن رد لفظيهما إلى أصولهما التاريخية يؤكد وجود بعض الفروق الدقيقة بينهما لغة واصطلاحاً[٣] نستنتج من الرأي السائد بين المحدثين، ولا سيما المتأخرين منهم، أن لا مانع من وضع أحدهما مكان الآخر، ففي كل منهما إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة إلى النبي الكريم ﷺ[٤].

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني، هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (ج١ ص ٦٤).

(٢) كليات أبي البقاء (ص١٥٢).

(٣) قارن بكتابنا علوم الحديث ومصطلحه (ص٩) الطبعة الخامسة (دار العلم للملايين- بيروت).

(٤) المرجع السابق (ص٣).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أنا- وإن لم نحصر نطاق دراستنا البلاغية فيما أطلق عليه لفظ «الحديث»- نؤثر أن نلتزم غالباً في جونا الأدبي هذا اللفظ الأشيع أدبياً، حتى نفيء إلى ظلاله الموحية، إذ لو استخدمنا لفظ «السنة» عوضاً عن لفظ «الحديث» لاصطبغ بحثنا- عن غير قصد منا- بلون فقهي أو شرعي، أبعد ما يكون عما تصدينا لإبرازه من أدب الرسول.

وإن ذلك ليملي علينا- فيما نستشهد به من نصوص وأمثلة- أن نعرض الأحكام الشرعية التي قد نضطر إلى شرحها عرضاً موجزاً لا نفصله إلا بالقدر الضروري لإلقاء الضوء على أصل الفكرة، باعتبار هذا الأصل أحد العنصرين المقومين لكل عمل أدبي، ولكل فن قولي، ولكي يصح هذا الاعتبار نحسب القارئ أكثر ارتياحاً إذا عبرنا له «ببلاغة الحديث» لا «بأدب السنة» وكذلك إذا عبرنا له «ببلاغة الحديث» لا «بلاغة السنة». ومع ذلك عنونا بحثنا «البلاغة النبوية» لا «أدب الحديث». وإن هذه التسمية لتشي بشيء آخر: وهو أن الأدب الخلقي الاجتماعي الذي حفل به الحديث حتى عنونت به بعض المصنفات- قد يظن أنه ما نرمي إلى تبيانه بوجه عام، مع أن مرادنا محصور في الجانب الفني تصويراً وتعبيراً لا الجانب الاجتماعي فضيلة وخلقاً.

وذلك لا يمنع أمرين: أحدهما أنا بعد هذا الاحتراز- قد نستعمل- إن شئنا- عبارة «الأدب النبوي» أو «أدب الحديث» ما دام السياق يعين أن الغرض بياني أو بلاغي محض. والآخر أنا بعد هذا الاحتراز أيضاً قد نبرز ما يطيب لنا إبرازه من شمائل الرسول ومكارمه، لا على أنها دراسة تفصيلية لفلسفته الخلقية بل على أنها أنماط من نظرته إلى جانب من جوانب الحياة، وتلك النظرة تشكل حينئذ جزءا لا يتجزأ من عنصر الفكرة في العمل البياني الرفيع.

نخلص من ذلك كله إلى أن قطب دراستنا هو الحديث المنثور الذي يشمل فنون الأدب النبوي مرتجلة ومكتوبة، كأنها انعكاسات لصوت الرسول على شريط مسجل، إذ ارتسمت فيها حركات روحه وخفقات قلبه، وتجلت عليها أصالة تفكيره، وألوان تصويره، ونغمات تعبيره.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكي نظل في نطاق هذا الحديث المنثور مفترضين أنه غالباً نتاج الرسول الأدبي فكرة وأسلوباً، ينبغي لنا- اصطلاحاً- أن نشترط في الحديث الذي ندرسه أن يكون مرفوعاً بوجه صريح. والمشهور في المرفوع أنه ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة من قول أو فعل أو تقرير، سواء أأضافه إليه صحابي أم تابعي أم من بعدهما، وسواء اتصل إسناده أم لا[١].

ومن الواضح أنا - بتعريف المرفوع على هذا النحو - إنما لاحظنا انتهاء متن الحديث إلى النبي الكريم بقطع النظر عن إسناده متصلاً أو غير متصل، محكوماً بصحته أو ضعفه: ذلك بأن القول والفعل والتقرير صالحة لأن تسمى «متن الحديث» من غير التفات إلى حال إسنادها حين ينظر إليها لذاتها[٢].

ومن الواضح أيضاً أنا- باشتراطنا المرفوع «الصريح»- احترزنا عن المرفوع حكما إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير، وهو الذي يقال له «ما في حكم المرفوع»[٣]، لأن أمثلته وتعريفاته ترد إلى «الموقوف» الذي ينتهي متنه إلى الصحابي لا إلى الرسول، ومثله إذا قبل في الأحكام الشرعية فلفرط حاجتنا إلى الاحتجاج بالسنة العملية التي حكيت سنداً عن الرسول وإن كانت متناً من ألفاظ الصحابي[٤].

وحصر الحديث المنثور في نطاق «الرفع الصريح» يظل «احتمالياً، أو «افتراضياً» لا يلحظ فيه- كما أوضحنا- إلا انتهاء متنه غالباً إلى النبي، وذلك لا يكفي للاستيقان من صحته سنداً، بل ولا متنا، وذلك لا يكفي أيضاً- من زاوية أخرى- لإدارة بحثنا التحليلي الأدبي حول فكرته وأسلوبه، وألفاظه وتراكيبه، فلنخط خطوة أخرى، ولنضف إلى شرط الرفع شرط الاتصال، ليكون كل واحد من رواة الحديث سمعه ممن فوقه حتى انتهى ذلك إلى آخره وحينئذ نسمي الحديث

(١) توضيح الأفكار (الصنعاني) (١/ ٢٥٤) وقارن بشرح النخبة «لابن حجر» (٢٦).
(٢) قارن بكتابنا «علوم الحديث» (٢١٧).
(٣) شرح النخبة (٢٧- ٢٨).
(٤) قارن بتوضيح الأفكار (١/ ٢٦٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مسنداً.

لكن المسند - رغم غلبة استعماله في المرفوع المتصل، على الأرجح - لا يجعل منه مجرد إسناده حديثاً «صحيحاً»: لأن المسند- ومثله المرفوع والمتصل- مصطلحات مشتركة بين الصحيح والحسن والضعيف فلابد- ليكون الحديث «المسند» الذي ندرسه مقبولاً- من أن يكون على الأقل «حسنا» ونفضل عليه ما يكون «صحيحاً»، ولو «آحادياً» أما ما اصطلح على تسميته «بالضعيف» فلا مكان له في دراستنا، لأن المفروض في مثله أنه مردود وأنه لم يرد إلا لغلبة الظن بأنه ليس من كلام النبيﷺ ، ونحن إنما نتناول بدراستنا الأدبية التحليلية ما رجحنا أنه تعبير النبي أو ما يمكن أن يكون نظيره صادراً عن النبي الكريم. وإلا فكيف نتقصى خصائص البلاغة النبوية من ألفاظ وتراكيب لم نكد نستيقن من صحة عزوها إلى أفصح من نطاق بالضاد!



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

19

مقالات

د. تقي الدين الهلالي

- ترجمة الشيخ.
- المقالات:

١- أهل الحديث (١)

العدد (٣٩) ربيع الأول (١٣٨٨هـ) - مايو (١٩٦٨م).

٢- أهل الحديث (٢)

العدد (٧٦) ربيع الآخر (١٣٩٠) ، مايو (١٩٧١م).

٣- أهل الحديث (٣)

العدد (٨٠) شعبان (١٣٩١هـ) - سبتمبر (١٩٧١م.)

٤- أهل الحديث (٤)

العدد (٨٣) ذو القعدة (١٣٩١هـ) ديسمبر (١٩٧١م).

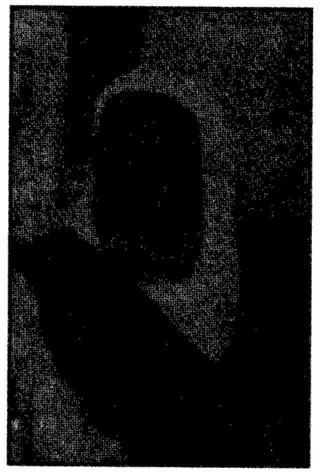
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

د. تقي الدين الهلالي

● **مولده ونشأته:**



ولد المحدث اللغوي والأديب الشاعر تقي الدين الهلالي سنة **١٣١١** هـ بقرية الفرخ من بوادي مدينة سجلماسة في المملكة المغربية، وقد ترعرع في أسرة علم وفقه، فقد كان والده وجده من فقهاء المغرب.

قرأ القرآن على والده وحفظه، ولازم الشيخ التندغي الشنقيطي وقرأ عليه علوم اللغة العربية والفقه المالكي إلى أن أصبح الشيخ ينيبه عنه في غيابه.

طلب رحمه الله علم الحديث فسافر إلى الهند لينال بغيته، فالتقى بالعديد من العلماء منهم العلامة المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي» الذي أجازه، ثم سافر إلى البصرة حيث التقى بالعلامة محمد الأمين الشنقيطي، وهو غير العلامة المفسر صاحب «أضواء البيان»، ثم سافر إلى مصر ليلتقي محمد رشيد رضا حيث أعطاه توصية للملك عبد العزيز الذي أكرم ضيافته، وعينه مراقبا للتدريس في المسجد النبوي وبقي بالمدينة سنتين ثم نقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة.

ثم سافر إلى برلين ليحصل منها على رسالة الدكتوراه.

عين مدرسا بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة **١٩٦٨**م، ثم أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منتدباً من المغرب، وبقي بها حتى سنة **١٩٧٤**م حيث ترك الجامعة وعاد إلى مدينة مكناس بالمغرب للتفرغ للدعوة، ومن مؤلفاته: «الزند الواري شرح البخاري، الإلهام والإنعام في تفسير الأنعام، الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق، أسماء الله الحسنى».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **وفاته:**

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ - ٢٢ يونيو ١٩٨٧م. بمنزله في مدينة الدار البيضاء ودفن بالسباتة. وقد شيع جنازته جمع غفير من الناس يتقدمهم علماء ومثقفون وسياسيون.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أهل الحديث (١)

العدد (٣٩) ربيع الأول (١٣٨٨هـ) - مايو (١٩٦٨م)

ندبني الأستاذ رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» إلى المشاركة في تحرير مقالات هذه المجلة المباركة، التي أسست لإيقاظ المسلمين، ونشر الوعي في نفوسهم ليزدادوا تبصرا، واستنارة في أمر دينهم ودنياهم، ويعيدوا للإسلام عزته ومجده، ففكرت في الموضوع الذي أطرق بابه، فبدا لي موضوع شريف يهم كل قارئ من المسلمين، وكل طالب علم من المحصلين، ألا وهو معرفة أهل الحديث، نضر الله وجوههم، فإنه موضوع مع شرفه وفضله قل من يشتغل به في هذا الزمان، وإذا علمنا أن حديث النبي ﷺ هو خير الكلام بعد كلام الله تعالى، ولا يمكن تدبر الكتاب العزيز ومعرفة معانيه إلا بالعلم بأحاديث نبيه الكريم، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

فالتفكر والتدبر للقرآن متوقفان على بيان الرسول ﷺ، والحديث هو الأصل الثاني من أصول الإسلام التي عليها تقوم الشريعة، وبها تستنبط الأحكام، روى مالك في الموطأ عن النبي ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة رسوله».

قال مؤلف تنقيح الرواة في تخريج أحاديث المشكاة: سنده هذا المرسل بحديث «أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ» من رواية معقل بن يسار عند الحاكم بإسناد حسن. وأيضا له شاهد عن ابن عباس يرفعه عند الحاكم والبيهقي «إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه. .» الحديث، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ا.هـ.

وفضائل علم الحديث كثيرة، والمراد هنا ذكر نبذة في فضل أهل الحديث،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قبل ذكر تراجم أهل الحديث من الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين فمن بعدهم .

قال أستاذي العالم الرباني عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ في مقدمة كتابه «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي» ص ٦ ما نصه: وقد ورد في فضيلة علم الحديث وأهله أحاديث كثيرة، وأنا أقتصر هنا على ذكر خمسة أحاديث.

الأول: روى الترمذي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة». وقال: هذا حديث حسن غريب. قال القاري في المرقاة شرح المشكاة: ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكره ميرك. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

قال ابن حبان عقب الحديث: في الخبر بيان صحيح على أن أولى الناس برسول الله ﷺ في القيامة يكون أصحاب الحديث، إذ ليس في هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه منهم، وقال غيره: لأنهم يصلون عليه قولاً وفعلاً.

وقال الخطيب في كتابه «شرف أصحاب الحديث»: قال لنا أبو نعيم: هذه منقبة شريفة تختص بها رواة الآثار ونقلتها، لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله ﷺ أكثر ما يعرف لهذه العصابة نسخا وذكرا.

وقال أبواليمن بن عساكر: ليهن أهل الحديث هذه البشرى، فقد أتم الله تعالى نعمه عليهم بهذه الفضيلة الكبرى، فإنهم أولى الناس بنبيهم وأقربهم- إن شاء الله تعالى- وسيلة يوم القيامة إلى رسول الله ﷺ، فإنهم يخلدون ذكره في طروسهم، ويجددون الصلاة والتسليم عليه في معظم الأوقات في مجالس مذاكرتهم ودروسهم، فهم - إن شاء الله تعالى - الفرقة الناجية، جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم.

الحديث الثاني: روى الترمذي عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضر الله امرءا سمع منا شيئا، فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»، وقال هذا حديث حسن صحيح.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الباب أحاديث أخرى، وقال القاري: خص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء، لأنه سعى في نضارة العلم، وتجديد السنة، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله، وهذا يدل على شرف الحديث وفضله ودرجة طلابه، حيث خصهم النبي ﷺ بدعاء لم يشرك فيه أحدا من الأمة، ولو لم يكن في طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنما، وجعل في الدارين حظا وقسما.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: قال علماء الحديث ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نضرة لقول النبي ﷺ «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها. . .» الحديث.

قال: وهذا دعاء منه - عليه السلام - لحملة علمه، ولابد بفضل الله تعالى من نيل بركته ا.هـ.

وإلى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفي بقوله:

أهل الحديث عصابة الحق ... فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة ... لألاؤها كتألق البرق
يا ليتني معهم فيدركني ... ما أدركوه بها من السبق

الحديث الثالث: روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي، قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يروون أحاديثي، ويعلمونها الناس».

قال القسطلاني في إرشاد الساري بعد ذكر هذا الحديث: ولا ريب أن أداء السنن إلى المسلمين نصيحة لهم من وظائف الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فمن قام بذلك كان خليفة لمن يبلغ عنه، وكما لا يليق بالأنبياء عليهم السلام أن يهملوا أعاديهم ولا ينصحوهم، كذلك لا يحسن لطالب الحديث وناقل السنن أن يمنحها صديقه، ويمنعها عدوه، فعلى العالم بالسنة أن يجعل أكبر همه نشر الحديث، فقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه، حيث قال: «بلغوا عني ولو آية. . .» الحديث، رواه البخاري.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال المظهري: أي بلغوا عني أحاديثي، ولو كانت قليلة، قال البيضاوي: قال ولو آية، ولم يقل ولو حديثا، لأن الأمر بتبليغ الحديث يفهم منه بطريق الأولوية، فإن الآيات مع انتشارها وكثرة حفظتها تكفل الله تعالى بحفظها وصونها عن الضياع والتحريف.

وقال مالك رحمه الله تعالى: بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عن تبليغهم العلم، كما تسأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال سفيان الثوري: لا أعلم علما أفضل من علم الحديث، لمن أراد به وجه الله تعالى، إن الناس يحتاجون إليه حتى في طعامهم وشرابهم، فهو أفضل من التطوع بالصلاة والصيام، لأنه فرض كفاية. ا.هـ.

الحديث الرابع: روى البيهقي في المدخل عن إبراهيم بن عبدالرحمن العذري قال: قال رسول الله ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» كذا في المشكاة.

قال القسطلاني بعد ذكره من حديث أسامة بن زيد: وهذا الحديث رواه من الصحابة، علي، وابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن سمرة، ومعاذ، وأبو هريرة، وأورده ابن عدي من طرق كثيرة، كلها ضعيفة، كما صرح به الدارقطني، وأبو نعيم، وابن عبدالبر، لكن يمكن أن يتقوى بتعدد طرقه، ويكون حسنا كما جزم به العلائي، وفيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية، وتعظيم لهذه الأمة المحمدية، وبيان لجلالة قدر المحدثين، وعلو مرتبتهم في العالمين، لأنهم يحمون مشارع الشريعة ومتون الروايات من تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه إليها.

وقال النووي في أول تهذيبه: هذا إخبار منه ﷺ بصيانة هذا العلم وحفظه، وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفاء من العدول يحملونه، وينفون عنه التحريف، فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهكذا وقع ولله الحمد، وهو من أعلام النبوة، ولا يضر كون بعض الفساق يعرف شيئا من علم الحديث، فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه، لا أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غيرهم لا يعرف منه شيئا.

على أنه قد يقال ما يعرفه الفساق من العلم ليس بعلم حقيقة، لعدم عملهم، كما أشار إليه سعد الدين التفتازاني في تقرير قول التخليص: وقد ينزل العالم بمنزلة الجاهل، وصرح به الشافعي: ولا علم إلا مع التقى، ولا عقل إلا مع الأدب، ونظمته فقلت من بحر الطويل:

ولا خير في علم إذا لم يكن تقى ... ولا خير في عقل إذا لم يكن أدب

ولعمري، إن هذا الشأن من أقوى أركان الدين، وأوثق عرى اليقين، لا يرغب في نشره إلا صادق تقي، ولا يزهد فيه إلا كل منافق شقي.

قال ابن القطان: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وقال الحاكم: لولا كثرة طائفة المحدثين على حفظ الأسانيد لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والمبتدعين من وضع الأحاديث وقلب الأسانيد. ا.هـ.

وأقتصر على هذا في ذكر أقوال أهل العلم في فضائل أهل الحديث نثرا، وأما النظم فمن أجمل ما قيل في ذلك ما أنشده القسطلاني في مقدمة شرحه لصحيح البخاري لأبي بكر حميد القرطبي الأندلسي رحمه الله:

نور الحديث مبين فادن واقتبس ... واحد الركاب له نحو الرضا الندس

واطلبه بالصين فهو العلم إن رفعت ... أعلامه برباها يا بن أندلس

فلا تضع في سوى تقييد شارده ... عمرا يفوتك بين اللحظ والنفس

وخل سمعك عن بلوى أخي جدل ... شغل اللبيب بها ضرب من الهوس

إلى أن قال

واقفُ النبي وأتباع النبي وكن ... من هديهم أبدا تدنو إلى قبس

والزم مجالسهم واحفظ مُجالسهم ... واندب مدارسهم بالأربع الدرس

واسلك طريقهم والزم فريقهم ... تكن رفيقهم في حضرة القدس

تلك السعادة إن تلمم بساحتها ... فحط رحلك قد عوفيت من تعس

وقد اقترح علي العالم السلفي محمد حسين الفقي الحجازي الجدي سنة ١٣٤١هـ حين حججت أول حجة تخميس هذه القصيدة، وكنت مشغول البال

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالاهتمام بالسفر إلى الهند في طلب علم الحديث، فلما وصلت إلى دلهي عاصمة الهند، واستقررت فيها، استجابت القريحة لطلب العالم المذكور فنظمت تخميسها ونشرته في دلهي مع قصائد أخرى سميتها «الهدايات» وقد نقله بتمامه أستاذنا الأحوذي، المتقدم ذكره، مصدرا له بقوله: وقال بعض الأعلام، أثبته هنا إلا بيتا واحداً، وهذا نص التخميس.

إن كنت تطلب علما جد ملتمس وحرت إذ غم عنك الرطب باليبس

فاسمع لنصح لبيب أي محترس

نور الحديث مبين فادن واقتبس واحد الركاب له نحو الرضا الندس

واقطع علائق من تحصيله منعت تنظر شموس الهدى في الأفق قد طلعت

وحجب غي ترى عن قلبك ارتفعت

فاطلبه بالصين فهو العلم إن رفعت أعلامه بربها يا بن أندلس

ولازم الدرس واغنم من فوائده لا تقنع الدهر من حلوى موائده

واشرب فديتك علا من موارده

ولا تضع في سوى تقييد شارده عمرا يفوتك بين اللحظ والنفس

دع الكلام فما فيه سوى الخطل وانبذ مجالسه تحفظ من العلل

فذاك شر ابتداع جاء بالخلل

وخل سمعك عن بلوى أخي جدل شغل اللبيب بها ضرب من الهوس

الله يعلم كم سيق من ضرر للناس من أجله في البدو والحضر

أقبح بها بدعة تدني إلى سقر!

إلى أن قلت:

ورد بقلبك عذبا من حياضهما تغسل بماء الهدى ما فيه من دنس

شد الرحال إليهم كي تجالسهم واحذر فديتك يوماً أن تعاكسهم

لا تحسدنهم ولكن كن منافسهم

والزم مُجالسهم واحفظ مجالسهم واندب مدارسهم بالأربع الدرس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واطلب مودتهم وكن صديقهم وكن مجالسهم تشرب رحيقهم

وقرهم كلهم واعرف حقوقهم

واسلك طريقهم واتبع فريقهم تكن رفيقهم في حضرة القدس

هي الشريعة فانظر في سماحتها كفيلة للنفوس باستراحتها

في حظرها حكمة وفي إباحتها

تلك السعادة أن تلمم بساحتها فحط رحلك قد عوفيت من تعس

* * * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أهل الحديث (٢)

العدد (٧٦) ربيع الآخر (١٣٩٠هـ) - مايو (١٩٧١م).

وسمت هذه السلسة التي نسأل الله إتمامها على أحسن وجه بأهل الحديث وجعلت الحلقة الأولى في ذكر نبذة وجيزة في فضل أهل الحديث على أن تليها تراجم أهل الحديث وذكر أخبارهم التي ينشرح لها صدر كل مؤمن وكل طالب علم منصف، فمن هو أول أهل الحديث وأحقهم بالتقدم؟

الجواب: هو أول المسلمين من هذه الأمة وسيد ولد آدم أجمعين محمد رسول الله ﷺ الذي فتح له الله فتحاً مبيناً، ونصره نصراً عزيزاً، وأرسله مبشراً ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وجعل النصر والعزة مقرونين برايته ورايات من اتبعه إلى الأبد، وجعل الذلة، والصغار، حليفين لمن خالف أمره ونبذ ما جاء به وراء ظهره. وإن كان كالرمل في العدد، قال تعالى في سورة المؤمن (غافر) رقم (٥١، ٥٢) ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ والظالمون المتعذرون يوم القيامة هم الذين عارضوا دعوته وسلكوا سبيلاً غير سبيلها وتولوا فريقاً غير فريقها قال تعالى في أول سورة النمل .﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ (النمل: ١-٥). ولما كان نسبه الشريف، وسيرته الكريمة، وغزواته المظفرة مشهورة ومعلومة عند القراء ومراجعتها سهلة في كل وقت أردت أن أذكر بدلها براهين صدق دعوته، وكمال رسالته، وإتمام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نعمة الله عليه وعلى من اتبعه إلى يوم القيامة، فإن كثيرا من الأغمار الجاهلين بهذه الدعوة ظنوا أن ما وعد الله لها من النصر والعلو خاص بزمان دون زمان، ومكان دون مكان، وقوم دون آخرين. وأول ما ابتدي به حديث ابن عباس الذي أخرجه البخاري في صحيحه بإسناد كالشمس ليس دونها غمام وهو مما شهد به أبو سفيان بن حرب مما شاهده قبل إسلامه من الآيات.

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

فإن هذا الحديث مبني على أدق قواعد الجدل وموزون بالقسطاس المستقيم، يجله الباحثون، ويجهله السفهاء الجاهلون قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدثنا أبواليمان الحكم بن نافع قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال: أبو سفيان فقلت: أنا أقربهم نسباً فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه. . فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم، قلت هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت يقول: اعبدوا الله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظنه أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم- من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. قال أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا، لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في هذا الحديث مباحث:

الأول:

هو حديث صحيح أخرجه البخاري في عشرة مواضع من صحيحه قاله الكرماني، وقاله الحافظ في الفتح، فرواية صالح وهو ابن كيسان أخرجها المؤلف في كتاب الجهاد بتمامها من طريق إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وفيها من الفوائد الزوائد ما أشرت إليه في أثناء الكلام على هذا الحديث من قبل، ولكنه انتهى حديثه عند قول أبي سفيان حتى أدخل الله علي الإسلام، زاد هنا «وأنا كاره»، ولم يذكر قصة ابن الناطور، وكذا أخرجه مسلم بدونها من حديث إبراهيم المذكور ورواية يونس أيضاً عن الزهري بهذا الإسناد أخرجها المؤلف في الجهاد مختصرة من طريق الليث وفي الاستئذان مختصرة أيضاً من طريق ابن المبارك، كلاهما عن يونس عن الزهري بسنده بعينه ولم يسقه بتمامه، وقد ساقه بتمامه الطبراني من طريق عبد الله بن صالح عن الليث وذكر فيه قصة ابن الناطور، ورواية معمر الزهري كذلك ساقها المؤلف بتمامها في التفسير اهـ. وقد تبين لك أيها القارئ الكريم أن إسناد هذا الحديث في غاية الصحة، اتفق على روايته البخاري ومسلم، ولما كنت في برلين سنة ١٩٤١م كنت أطالع كتاباً لأحد السويديين المتعصبين ألفه باللغة الجرمانية وذكر فيه هذا الحديث فكذب به واستبعده، وقال كلاماً قبيحاً لا أستطيع حكايته بتمامه، وسبب تكذيبه الحقيقي هو شدة بغضه للإسلام ونظره إليه بعين السخط التي تبدي المساوي.

أما السبب الذي أظهره فهو أن هرقل في الوقت الذي وصله كتاب النبي ﷺ كان على أشد ما يكون من القوة، وكان يستعد لغزو كسرى عظيم الفرس، فكيف يخاف هذا الرجل البدوي.. وهذا كلام من أعمى الله بصيرته، وطبع التعصب على قلبه، فليس في الحديث أن هرقل خاف أن يغزوه بعينه، ولكنه علم بما عنده من العلم بالكتب السماوية من ظهور خاتم النبيين، ولوفور عقله بعدما سمع صفات النبي ﷺ علم أنه حق أرسله الله ليظهره على الدين كله، وينسخ به الأديان

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المحرفة السابقة، ونتيجة ذلك الحتمية خروج الروم من بلاد العرب وكذلك وقع، ولما وصلت في القراءة إلى ذلك الكلام القبيح غضبت وألقيت الكتاب على الأرض، وكانت عندي كاتبة جرمانية فنظرت إلي نظرة استنكار وكأنها تقول هب أن المؤلف تعسف وعدل عن الحق فما ذنب الكتاب؟ فأخذت الكتاب وفتحته وقلت لها اقرئي، فلما فرغت من قراءة ذلك الكلام عذرتني فيما فعلت، إما مداراة وهو الظاهر أو اقتناعاً بما فعلته أنه صواب.

- **البحث الثاني في سرد البراهين العقلية التي استدل بها هرقل على صدق النبي ﷺ:**

البرهان الأول:

المدة التي ماد فيها النبي ﷺ أبا سفيان بن حرب هي صلح الحديبية وما بعده إلى أن نقضت قريش العهد فغزاهم النبي ﷺ وتم فتح مكة، واختيار هرقل لأقربهم نسباً لا يخلو من حكمة. فإن القريب سواء أكان صديقاً أم عدواً يعرف من أخبار قريبه ما لا يعرفه البعيد. وكذلك أمره أن يجعل أصحابه من ورائه وأن يكذبوه إن كذب، فإن هرقل كان يعلم أن العرب حتى في جاهليتها وخصوصاً أشرافها يستقبحون الكذب ولا يرضون به أن يؤثر عنهم، وقد صرح أبو سفيان لشدة عدواته للنبي ﷺ أنه لم يمنعه من الكذب إلا الخوف من أن يحدث أصحابه أهل مكة إذا رجعوا إليهم أنه كذب، وهذا البرهان هو سؤال هرقل عن نسب هذا الرجل الذي يدعي أنه نبي أهو شريف أم وضيع، فأخبره أبو سفيان أن نسبه شريف، وإنما سأل هرقل هذا السؤال علماً منه بأن الله أرحم بعباده من أن يبعث رسولاً ذا نسب وضيع في قوم. ويكلفهم اتباعه وطاعته لأن النفوس تنفر من ذلك كل النفور، ولذلك نرى الملوك دائماً من ذوي الأنساب الشريفة بخلاف الفقر فإنه لا يضر النسيب الحسيب كما قال الشاعر:

ولا ترى فِيَ غير الصرم منقصة وما سواه فإن الله يكفيني

قال الله تعالى في قصة طالوت من سورة البقرة رقم ٢٤٧ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ اهـ. ولم نر رسولاً أرسله الله من أهل بيت وضيع، محتقر في قومه وبهذا احتج المهاجرون على الأنصار حين قالوا، منا أمير ومنكم أمير فقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش، ولذلك كانت الإمامة في قريش بنص الحديث الصحيح، ولم يخف هذا على هرقل فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

البرهان الثاني:

قال هرقل في سؤاله لأبي سفيان بن حرب فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ فذكرت أن لا، قال هرقل في الأجوبة وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله اهـ.

قال كاتب هذا المقال كل من نظر بإمعان في تاريخ المقالات، والدعوات، والطرائق، والمذاهب يجد أكثرها قد اتبع فيه اللاحق السابق حذوك القذة بالقذة حتى في الأمم التي ينتشر فيها العلم فكيف بأمة أمية! فبذلك سأل هرقل أبا سفيان هل دعا أحد من العرب عموماً، ومن أهل مكة خصوصاً إلى دعوة مماثلة لدعوة هذا الرجل فلم يسع أبا سفيان إلا أن أجاب بالنفي فضم هرقل هذه الحجة إلى سابقتها وأخذت نفسه تميل إلى تصديق النبيﷺ استناداً إلى هذه الحجج المنطقية التي هي الغاية في الدقة والاستقصاء.

البرهان الثالث:

قال هرقل لأبي سفيان فهل كان من آبائه من ملك؟ قال أبوسفيان، لا، قال له هرقل: وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. اهـ.

ولا يخفى أن من أعظم الحوافز والدوافع للدعوات أن يقصد الرجل بها استرداد ملك أبيه أو إمارته أو رئاسته، أو مشيخته، والأمثلة في التاريخ كثيرة،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الزمان الحاضر أيضاً، وهذا من طبيعة البشر التي لا يكادون ينفكون عنها في كل زمان ومكان، حتى أهل الثروة إذا ورثوها عن آبائهم يرون أنفسهم، أهلاً لها، وإذا رأوا رجلاً غنياً حديث الثروة احتقروه وذموه واستكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا، حتى أن الأقرع، والأبرص، الواردين في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري حين جاء الملك ليختبر شكرهما وذكرهما بما كانا عليه من القرع، والبرص مع الفقر، قال كل واحد منهما كاذب إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فعاقبهما الله وردهما إلى ما كانا عليه من العاهة، والفقر وهذا يدل على دقة نظر، وعلم بأحوال البشر.

البرهان الرابع:

قوله فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال أبو سفيان بل ضعفاؤهم، قال هرقل وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل.

قال محمد تقي الدين كاتب هذا المقال: كل من درس الدعوات والمبادئ يرى أن الطبقة الفقيرة تكون مهضومة الحق، مظلومة، مستعبدة، موطوءة بالأقدام، فهم يتربصون الدوائر بظالميهم ومستعبديهم ليتخلصوا من نير ظلمهم، ويفكوا من أسرهم، فمتى رأوا دعوة إلى تأسيس حكم جديد بادروا إلى الاستجابة راجين أن يكون خلاصهم على يد صاحب تلك الدعوة، وبرهان هذا في كتاب الله ﷻ قال تعالى في سورة هود رقم ٢٧: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

وقال تعالى في سورة الأنعام رقم ٥٢ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية قال الإمام أحمد بسنده إلى ابن مسعود قال: «مر الملأ من قريش برسول الله ﷺ وعنده صهيب، وبلال وعمار، وخباب،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وغيرهم من ضعفاء المسلمين وفيه فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك، أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ونحن نصير تبعاً لهؤلاء؟! اطردهم، فلعلك إن طردتهم نتبعك. . فنزلت الآية». وهذا المعنى مذكور في مواضع من كتاب الله سبحانه. أ.هـ. ودعاة الشيوعية في هذا الزمان ينادونهم بلغاتهم العجمية بما معناه: «أيها المعدمون في جميع البلدان اتحدوا»، يعنون بذلك أن المعدمين أكثر عداداً من الموسرين، والموسرون يستغلون جهودهم ويعيشون على حسابهم عيشة ترف، وبذخ، مع أن هؤلاء المعدمين لو اتحدت كلمتهم وامتنعوا من العمل لساءت حال الموسرين وصار الأمر بيد المعدمين يتصرفون في الأموال التي هي ثمرة جهودهم ولكن شتان ما بين دعوة الرسل، ودعوة الشيوعيين، فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام يعدلون بين الناس ويأخذون للضعيف حقه من القوي، ولكنهم يتركون أمر الغنى والفقر بيد الله، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. فدعوتهم تسعد الأغنياء والفقراء ولا تحاول تغيير سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً. اهـ.

البرهان الخامس:

قال هرقل لأبي سفيان أيزيدون أم ينقصون؟ قال أبو سفيان: بل يزيدون، قال هرقل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. اهـ. أقول كل دعوة كتب لها النجاح. فإن أتباعها يزيدون ولا ينقصون، ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان، وذلك أن المستجيبين للدعوة تتحسن أحوالهم، وأخلاقهم فيراهم نظراؤهم من الأشقياء فيرغبون أن يصيروا مثلهم وبذلك تنتشر الدعوة وتضطرد الزيادة. اهـ.

البرهان السادس:

قال هرقل لأبي سفيان: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قال أبو سفيان: لا، قال هرقل: وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، أقول كل من دخل في دين، أو عقيدة، على علم، وبصيرة، واطلاع تام، يغتبط به ويزداد له حباً على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مر الأيام هذا إذا كان ذلك حقاً . . ففي كل يوم ينكشف للداخل فيه من فضائله ما يزداد به غبطة وابتهاجاً بخلاف العقائد الباطلة المظلمة إذا زخرفها المزخرفون فإن الداخل فيها تنكشف له كل يوم ظلمة جديدة ويبدو له عيب كان خافياً عليه فيسوء ظنه ويرتد عن ذلك الدين، أو العقيدة، أو المذهب، فالإسلام كمال قال الشاعر:

يـزيـدك وجـهـه حـسـنـاً إذا مـا زدتـه نـظـراً

البرهان السابع:

قال هرقل لأبي سفيان فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، قال أبوسفيان لا، قال هرقل: وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. اهـ.

أقول وهذه الحجة من أقوى الحجج العقلية التي لا يرتاب فيها عاقل، لأن الكذب رذيلة يتنزه عنها كل إنسان له شرف ومروءة وقد رأينا أن أبا سفيان بن حرب على كفره وطغيانه ورغبته في محاربة رسول الله ﷺ وبذله في ذلك كل مرتخص وغال لم يرض لنفسه أن يكذب على عدوه أمام هرقل ومن سما بنفسه وضن بشرفه، ومروءته، فامتنع من الكذب على الناس يستحيل أن يسمح لنفسه بالكذب على الله ولما رأى عبد الله بن سلام الحبر الإسرائيلي وجه رسول الله ﷺ قال: فما هو إلا أن رأيته فعلمت أن وجهه ليس بوجه كذاب.اهـ.

البرهان الثامن:

قال هرقل لأبي سفيان فهل يغدر؟ قال أبو سفيان لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال هرقل وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. اهـ.

استدل هرقل في جملة ما استدل به على صدق النبي ﷺ بتنزهه عن الغدر، فالملوك، والرؤساء، قد يغدرون إذا وجدوا فرصة في إهلاك عدوهم يخافون أن لا يجدوا مثلها.

أما الرسل عليهم الصلاة والسلام فإنهم منزهون عن الغدر لأن دعوتهم إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مكارم الأخلاق تتنافى مع الغدر ولا تجتمع معه البتة ولأن الله ضمن لهم النصر وجعل لهم العاقبة فلا حاجة بهم إلى الغدر لأنهم واثقون بوعد الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ (غافر: ٥١) وقول أبي سفيان: «فلم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة» يدلنا على شدة بغضه للنبي وحرصه أن ينتقصه ما استطاع إلى ذلك سبيلا فإن إقراره بهذه الفضائل حجة عليه وعلى كل مخالف. وقوله: «ونحن منه في مدة» أي في معاهدة على الهدنة لا ندري أيفي بما عاهدنا عليه في المستقبل كما فعل في الماضي أم يغدر.

البرهان التاسع:

قال هرقل لأبي سفيان فهل قاتلتموه، قال أبوسفيان نعم، قال فكيف كان قتالكم إياه، قال: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه. اهـ.

أقول وهذا شأن رسل الله مع أعدائهم إذا اقتتلوا معهم لأن حكمة الله اقتضت أن يدعو الرسول إلى الإيمان بالله وإقامة دين الله فإذا آمنت به جماعة من الناس قاتل بهم من كفر به ليثبت الأجر للمجاهدين ويعذب الله الكافرين بأيدي المؤمنين كما قال تعالى في سورة التوبة رقم ١٤، ١٥ ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ ولو أن الله أرسل على الكافرين صواعق فأحرقهم لكان ذلك إجباراً لمن آمن على الإيمان والله لا يجبر الناس على الإيمان لأن المجبر لا يستحق ثواباً وإنما يستحق الثواب من اختار طاعة الله واتباع رسله بعد أن تبين صدقهم، وعرف الحق فاتبعه والباطل فاجتنبه.

البرهان العاشر:

قال هرقل لأبي سفيان ماذا يأمركم، قال يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة، قال هرقل وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. اهـ .

عرف هرقل بعلمه وعقله زيادة على ما تقدم من البراهين أن الذي يأمر بهذه الأمور وهو متصف بتلك الصفات هو صادق فيما ادعاه من النبوة والرسالة.

والأمور المذكورة هنا ستة أمور:

أولها: عبادة الله وحده لا شريك له فلا يصلح دين ولا دنيا إلا بجعل العبادة خالصة لله وحده لا يعبد معه أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صالح، ولا طالح، وكتاب النبي ﷺ لهرقل يوضح هذه الأمور كل التوضيح فإنه قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى». فوصف نفسه بالعبودية لله التي هي أعلى منزلة عند رسل الله والرسالة التي كلفهم بها، وجعل في قبولها سعادة البشر، ووصف هرقل بعظيم الروم أي كبيرهم وسيدهم، ثم قال على من اتبع الهدى وهذا إنصاف وحزم، والسلام هو السلامة وهي لا تكون إلا لمن اتبع الهدى وهرقل يزعم أنه يتبع الهدى ولا يكون متبعاً للهدى حتى يؤمن بجميع رسل الله ومنهم خاتم النبيين محمد رسول الله ﷺ فإن آمن به وبمن قبله فله السلام وإلا فلا سلامة له، وقوله: «أسلم تسلم» من جوامع الكلم في غاية البلاغة وهو مبين للذي قبله ومؤكد له فلا يسلم من عذاب الله إلا من أسلم لله وآمن بما جاءت به رسله كلهم، ويؤتك الله أجرك مرتين أجر الإيمان بعيسى، وأجر الإيمان بمحمد فإن توليت أي أعرضت عن قبول دعوة الإسلام فإن عليك إثمك وإثم الأريسيين أي الفلاحين أتباعك ثم بين النبي ﷺ أصل دعوته وأساسها وهو توحيد الله تعالى: يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى تعالوا إلى كلمة أي أقبلوا إلى كلمة مستوية بيننا وبينكم ليس فيها تحيز لجانبنا ولا لجانبكم وهي كلمة «لا إله إلا الله» ومعناها أن نعبد الله مخلصين له الدين، ولا نشرك به شيئاً كيفما كان ذلك الشيء، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً آلهة، من دون الله كما فعلتم أنتم معشر النصارى فإنكم اتخذتم عيسى وأمه إلهين من دون الله، ثم اتخذتم غيرهما من رهبانكم آلهة من دون الله فإن تولوا أي أعرضوا فقولوا أيها المسلمون لهم اشهدوا بأنا مسلمون موحدون لا نعبد إلا الله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونؤمن بكل ما جاء به رسل الله من آدم إلى محمد لا نفرق بين أحد منهم، وهذا هو الدين القيم، والصراط المستقيم.

الأمر الثاني: ترك ما كان يعبده آباؤهم وهو يقتضي ترك الشرك جملة وتفصيلاً، فإن من عبد الله وعبد معه غيره ولو شيئاً قليلاً لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا، قال تعالى يخاطب سيد خلقه محمداً ﷺ في سورة الزمر رقم ٦٥ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ وإذا تأملنا هذا الخطاب وشدته علمنا أنه موجه إلينا لأن النبي ﷺ معصوم من الذنوب كلها والأدلة المحذرة من الشرك كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله.

الأمر الثالث: الصلاة وهي بعد التوحيد أعظم الفرائض وأنفعها، كتب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله يقول إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ومن ضيعها كان لما سواها أضيع» اهـ.

ومن المعلوم أن العامل مكلف بحفظ الأمن وإقامة العدل بين الناس وأخذ الزكاة والخراج وإقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنفيذ كل ما أمر الله به ورسوله من الشريعة الغراء وقد علمنا من كلام عمر أن صلاح الدين والدنيا يتوقفان على المحافظة على الصلاة ومتى اختلت المحافظة على الصلاة اختل كل شيء. والآيات والأحاديث التي تحث على المحافظة على الصلاة وتبين فضلها كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله، وأما الصدق فهو خلق شريف ما شاع في أمة إلا سادت وعزت وانتصرت على عدوها في الداخل والخارج وضده الكذب والفجور ما شاع في أمة إلا هبطت إلى الدرك الأسفل وذلت وتشتت أمرها، وهذا مشاهد بالعيان في كل زمان ومكان وأدلته في الكتاب، والسنة أكثر من أن تحصى.

الأمر الرابع: العفاف، وهو حفظ البطن، والفرج، واللسان، وسائر الجوارح، من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبه تنال سعادة المجتمع وتقع بين الناس الألفة والمحبة والتعاون وتلك هي أسباب السعادة:

تلك السعادة إن تلمم بساحتها ... فحط رحلك قد عوفيت من تعس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأمر الخامس: الصلة وهي البر، والإحسان إلى الأقارب، قال الله تعالى يخاطب سيد الخلق ﷺ في سورة الإسراء ٢٦ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقال تعالى في سورة النساء رقم ٣٦ ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ - الآية.

وأخرج البخاري في كتاب الأدب ومسلم في كتاب البر والصلة بالإسناد المتصل إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ (محمد: ٢٢- ٢٣) وفي رواية للبخاري قال الله تعالى: «من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته». اهـ.

وموعدنا المقال التالي بحول الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أهل الحديث (٣)

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

العدد (٨٠) شعبان (١٣٩١هـ) - سبتمبر (١٩٧١م).

قال الحافظ ابو عبد الله شمس الدين الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ» ما نصه: أبو بكر الصديق ﷺ، أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ، مؤنسه في الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق ووزيره الأحزم عبد الله ابن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي قد أفردت سيرته في مجلد وسط وكان أول من احتاط في قبول الأخبار، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئًا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لكِ شيئًا، ثم سأل الناس فقام المغيرة، فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس. فقال هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر ﷺ.

ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئًا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه.

فهذا المرسل بذلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجد في كتاب الله كيف سأل عنه في السنة، فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بنفسه آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما يقول الخوارج.

وحدث يونس عن الزهري أن أبا بكر حدث رجلا حديثًا فاستفهمه الرجل فقال أبو بكر : هو كما حدثتك، أي أرض تقلني إذا أنا قلت ما لم أعلم؟ وصح أن

https://t.me/megallat	oldbookz@gmail.com

الصديق خطبهم فقال: إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار.

وقال علي بن عاصم وهو من أوعية العلم لكنه سيئ الحفظ أن إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق يقول: إياكم والكذب فإن الكذب مجانب الإيمان» قلت صدق الصديق، فإن الكذب رأس النفاق وآية المنافق والمؤمن يطبع على المعاصي والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب، فما الظن بالكذب على الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه، وهو القائل: «إن كذبا علي ليس ككذب على غيري، من يكذب على نبي له بيت في النار» وقال: «من يقل علي ما لم أقل. . » الحديث. فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله فكيف حال من تهجم على رسول الله ﷺ وتعمد عليه الكذب وقوله ما لم يقل، وقد قال ﷺ: «من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»، فإنا لله وإنا إليه راجعون ما ذي إلا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب، فحق على المحدث أن يتورع في ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذاً إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين، والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان، وإلا تفعل.

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله تعالى ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣) فإن آنست يا هذا من نفسك فهما وصدقاً ودينا وورعاً وإلا فلا تتعن، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فقد نصحتك، فعلم الحديث صلف، فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت ألا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

نعم فرأس الصادقين في الأمة الصديق وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول.

توفي الصديق ﷺ لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة (٦٣)..

توضيحات وشروح لما تقدم

١- قوله مؤنس في الغار هذه فضيلة من فضائل الصديق خصه الله بها وذكرها في كتابه العزيز قال تعالى في سورة التوبة «آية ٤٠» ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾

قال الإمام ابن كثير في تفسيره يقول تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي عام الهجرة لمَّا هَمَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هارباً صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام حتى يرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر الصديق ﷺ يجزع أن يطلع عليهم أحد، فيخلص إلى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبيﷺ يسكنه ويثبته ويقول: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»اهـ.

فهذه المزية مع شهادة الله له بالصحبة من المناقب التي خصه الله بها!.

٢- قوله وكان أول من احتاط في قبول الأخبار من المعلوم أن أعداء الإسلام الأولين والآخرين حاربوا الإسلام وكادوا له، فبعضهم حاربه، بوضع الأحاديث، وبعضهم حاربه بردها وعدم قبولها، وكلا الطرفين مذموم، وخير الأمور الوسط، فأهل الحق يتثبتون في الرواية عن رسول الله ﷺ، ومتى صح لهم حديث عضوا عليه بالنواجذ وتلقوه بالقبول، واعتقدوه وعملوا به وإمامهم في ذلك الصديق الأكبر، فلما جاءته الجدة تلتمس نصيبها من الميراث أخبرها أن كتاب الله لم ينص على شيء من الحق لها في الميراث، ولم ينف عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النبي ﷺ أنه جعل لها حقاً، ولكن نفى علمه بذلك وهذا شأن الأئمة المحققين المتثبتين ثم سأل أصحاب رسول الله هل عندهم علم بأن النبي ﷺ جعل لها شيئاً فلما ثبت عنده الحديث برواية عدلين أعطاها حقها وهو السدس.

٣- قوله: ما ذي إلا بلية... الخ. إذا استمعنا إلى الخطباء في المساجد والوعاظ وما يذكرونه من الأحاديث وينسبونها إلى النبي ﷺ بدون عزو إلى مخرج ولا معرفة لصحيح أو ضعيف أو موضوع رأينا العجب العجاب، هذا مع أن كتب الحديث الصحيحة التي خدمها الأئمة بالشرح وبينوا صحيحها ومعانيها ميسورة، فلم يرد الخطباء والوعاظ بل والمدرسون في المعاهد الدينية أن يكلفوا أنفسهم دراسة تلك الكتب وأخذها من أهلها العارفين بها ونقل الأحاديث منها على نور وبصيرة، بل أقبلوا على دواوين الخطب التي تجمع كل غث وسقيم من فضائل الأيام والشهور، فتجد عندهم لكل شهر خطبة خاصة يجمعون فيها أحاديث واهية أو موضوعة في فضل ذلك الشهر أو يوم مخصوص منه، ولا يهمهم من شؤون الناس الذين يستمعون خطبهم إلا ذلك، وقد يذكرون أهل زمانه فلو عاش إلى هذا الزمان لرأى ما لم يخطر له ببال .. فإلى الله المشتكى.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم بعضاً ليسكت معور عن معور

٤- قوله: وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب... الخ.

ما أصدق هذا الكلام وأحسنه فإن طالب علم الحديث لا ينتفع به ويكون من أهله إلا إذا عقد العزم على اتباع الرسول ﷺ في كل ما صح عنه لا يمنعه من ذلك رأي كان من قبل يراه أو كان يراه أستاذه ولا مذهب ينتسب إليه بل ينشد دائماً قول القائل.

دعوا كل قول غير قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

بل يجعل نصب عينيه قول الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران: ٣١).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥- قوله: أين علم الحديث وأين أهله؟ كدت ألا أراهم. . . الخ. هكذا يقول الإمام الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ وكان عصره مشرقاً عامراً بحفاظ الحديث ونقاده، فقد ألف الحافظ ابن حجر العسقلاني «كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» وذكر فيه جما غفيرا من الحفاظ المحدثين وهو أحد أئمتهم فكيف بزماننا هذا وماذا نقول فيه أكثر من «لا حول ولا قوة إلا بالله».

فوائد من سيرة أبي بكر الصديق ﷺ:

الأولى: ولد أبو بكر الصديق ﷺ بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وفي الإصابة للحافظ ابن حجر أن عائشة رضي الله عنها قالت: تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي فكان النبي ﷺ أكبر، اهـ.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ ولد عام الفيل أي في العام الذي غزا فيه الحبش مكة بالفيلة فردهم الله على أعقابهم خاسرين (انظر تفسير سورة الفيل).

الثانية: صحب النبي ﷺ قبل البعثة، وكان أول من آمن به من الرجال على الصحيح واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى وفاته عليه الصلاة والسلام، وكانت الراية معه يوم تبوك وحج في الناس في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع، واستقر خليفة بعده، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله فمن يتنقصه يريد أن يستر الشمس بالغربال فهو:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وفي مثله ينشد أيضاً:

يا ناطح الجبل الراسي بهامته أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وما أحسن قول المتنبي:

وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتي لها بضريب

الثالثة: روى أبو بكر عن النبي ﷺ وروى عنه الجم الغفير من الصحابة والتابعين، منهم عمر وعثمان وعلي، وهم الخلفاء بعده وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عمر وحذيفة وزيد بن ثابت وخلق لا يتسع المقام لذكرهم.

الرابعة: روى سعيد بن منصور بسنده إلى عائشة قالت: اسم أبي بكر الذي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سماه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق.

الخامسة: كان أبو بكر ﷺ أبيض نحيفاً خفيف العارضين معروق الوجه ناتئ الجبهة يخضب بالحناء والكتم،- والخضاب بالحناء والكتم قريب من السواد وهو إلى السواد أقرب منه إلى الحمرة التي تنشأ عن الخضاب بالحناء - وقد صح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بالحناء والكتم هو الذي يسمى «بالوسمة» وقد قلت في ذلك شعراً:

إني لأخضب بالحناء والكتم — أقفو بذلك خير العرب والعجم
محمدًا وأناساً من صحابته — كانوا مصابيح تجلو داجي الظلم

السادسة: قال الحافظ في الإصابة وأخرج أبو يعلى بسنده إلى عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ وأصحابه بفناء البيت إذ جاء أبو بكر فقال النبي ﷺ «من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر».

السابعة: قال الحافظ وقال ابن إسحق كان أبو بكر مؤلفا لقومه محبباً سهلاً، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به. فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف اهـ.

قال الحافظ وأخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم وأخبرتني عائشة أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهما.

الثامنة: قال الحافظ وأخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه بسنده إلى هشام عن أبيه قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله أعتق بلالا وعامر بن فهيرة ونذيرة والنهدية وابنتها وجارية بني المؤمل وأم عبيس.

التاسعة: قال الحافظ وأخرج الدارقطني في الأفراد من طريق أبي إسحاق عن أبي يحيى قال: لا أحصي كم سمعت عليا يقول على المنبر أن الله ﷻ سمى أبا بكر على لسان نبيه ﷺ صديقاً، انتهى مستفاداً من الإصابة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فوائد أخرى من «الاستيعاب» للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر رحمه الله

الأولى: كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الله هذا قول أهل النسب الزبيري وغيره.

الثانية: قال فيه حسان بن ثابت يمدحه:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة — فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها — بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده — وأول الناس من قد صدق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد — طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا — خير البرية لم يعدل به رجلاً

وقال فيه أبو محجن الثقفي:

وسميت صديقاً وكل مهاجر — سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد — وكنت جليساً بالعريش المشهر
وبالغار إذ سميت بالغار صاحباً — وكنت رفيقاً للنبي المطهر

قوله: وكنت جليسا بالعريش المشهر، يعني أن أبا بكر كان يحرس النبي ﷺ في العريش الذي جعل له في غزوة بدر، فرافقه في العريش كما رافقه في الغار.

الثالثة: سمى الصديق صديقاً لمبادرته لتصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به.

الرابعة: قال أبو عمر قال ﷺ «ما نفعني مال، ما نفعني مال أبي بكر» معناه ما نفعني مال مثل ما نفعني مال أبي بكر لأن ما الأولى نافية والثانية مصدرية.

الخامسة: قال أبو عمر قال رسول الله ﷺ «دعوا لي صاحبي أي أبا بكر، فإنكم قلتم لي كذبت وقال صدقت» وقال رسول الله ﷺ في كلام البقرة والذئب آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر».

ومعنى ذلك أن النبي ﷺ أخبر أصحابه أن بقرة تكلمت وأن ذئباً تكلم ثم قال لهم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر، فشهد لهما بتصديقه في ما أخبر به من هذا الأمر الخارق للعادة، وهذه منقبة لهما، فويل لمن يعاديهما ويجحد فضلهما إنه لمن الخاسرين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السادسة: قال أبو عمر قال عمرو بن العاص يا رسول الله من أحب الناس إليك، قال عائشة. قلت من الرجال؟ قال: أبوها، وروى مالك عن سالم بن أبي النضر عن عبيد بن حنين عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر».

السابعة: قال أبو عمر روى سفيان بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ فقالت كان المشركون قعوداً في المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم فبينما هم كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ المسجد فقاموا إليه وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم فقالوا ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا، قال: بلى، قال فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون عليه فقال «ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» قال فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر يضربونه، قالت فرجع إلينا فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

الثامنة: قال أبو عمر وروينا من وجوه عن أبي أمامة الباهلي قال حدثنا عمرو ابن عبسة قال أتيت رسول الله ﷺ وهو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله من اتبعك على هذا الأمر قال (حر وعبد، أبو بكر وبلال) قال فأسلمت عند ذلك اهـ.

التاسعة: اجمع أصحاب رسول الله ﷺ على مبايعته بالخلافة، لما ظهر لهم من أمارات تدل دلالة قاطعة على أن النبي ﷺ ارتضاه للخلافة بما تقدم من كونه أحب الناس إليه وتقديمه للصلاة بالناس، وروى أبو عمر بسنده إلى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فسألته عن شيء فأمرها أن ترجع إليه فقالت يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ تعني الموت، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر، قال الشافعي في هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العاشرة: قال أبو عمر بسنده ذكره عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال كنت عند رسول الله ﷺ وهو عليل فدعاه بلال إلى الصلاة فقال لنا مروا من يصلي بالناس قال فخرجت فإذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائباً فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان مجهراً فقال رسول الله ﷺ فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس طول علته حتى قبض رسول الله ﷺ، وهذا أيضاً واضح في ذلك.

ومناقب أبي بكر رضي الله عنه أكثر من أن يتسع لها هذا المقال، والمقصود هنا أنه رضي الله عنه هو أول أهل الحديث بعد رسول الله ﷺ، نسأل الله أن يجعلنا منهم وينفعنا بمحبتهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أهل الحديث (٤)

عمر بن الخطاب

العدد (٨٣) ذو القعدة (١٣٩١هـ) - ديسمبر (١٩٧١م).

● **مولده ونسبه:**

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب «ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: «إنه ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين، وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة، ورواية ابن عبد البر أوضح وعليها يكون النبي ﷺ أسن من عمر بن الخطاب بثلاث عشرة سنة».

فأما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي أبو حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية. قاله الحافظ ابن عبد البر وابن حجر وقال ابن هشام: «وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة وعلى هذا تكون أمه أخت أبي جهل بن هشام بن المغيرة»...

وقال أبو عمر بن عبد البر: «وقالت طائفة في أم عمر: حنتمة بنت هشام بن المغيرة ومن قال ذلك فقد أخطأ. ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل بن هشام بن المغيرة وليس كذلك وإنما هي ابنة عمه. فإن هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوان. فهاشم والد حنتمة أم عمر وهشام والد الحارث وأبي جهل. وهاشم بن المغيرة هذا جد عمر لأمه كان يقال له ذو الرمحين».

● **صفته الخَلقية:**

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: «وأخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن أبي رجاء العطاردي قال: كان عمر طويلاً جسيماً أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السبلة في أطرافها صهوبة وفي عارضيه خفة».

وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند جيد إلى زر بن حبيش قال رأيت عمر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أعسر أصلع آدم قد فرع الناس كأنه على دابة قال فذكرت هذه القصة لبعض ولد عمر فقال سمعنا أشياخنا يذكرون أن عمر كان أبيض فلما كان عام الرمادة وهي سنة المجاعة ترك أكل اللحم والسمن وأدمن أكل الزيت حتى تغير لونه وكان قد احمر فشحب لونه.

وروى الدينوري في المجالسة عن الأصمعي عن شعبة عن سماك كان عمر أروح كأنه راكب والناس يمشون والأروح الذي يتدانى عقباه إذا مشى.

وأخرج سعد بسند فيه الواقدي كان عمر يأخذ أذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع جراميزه ويثب على فرسه فكأنما خلق على ظهره».

وقال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب «وكان آدم شديد الأدمة طوالاً كث اللحية أعسر أيسر يخضب بالحناء والكتم».

نكتفي بهذا القدر من صفة خلقه بفتح الخاء وفيها ألفاظ تحتاج إلى توضيح ليعم النفع القراء كلهم قويهم وضعيفهم.

الفجار: قال في اللسان: «قال الجوهري الفجار يوم من أيام العرب وهي أربعة أفجرة، كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وإنما سمت قريش هذه الحرب فجاراً لأنها كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجاراً.

والصهوبة: حمرة شعر الرأس واللحية.

والأعسر: هو الذي يشتغل بيده اليسرى والأعسر الأيسر هو الذي يشتغل بيديه جميعاً. وقد روي أن عمر كان كذلك.

والأدمة: الحمرة وهي حمرة ناشئة عن بياض لأنه جاء في وصف عمر أنه كان أبيض وقوله فرع الناس: أي كان أطول منهم، وقوله كأنه على دابة: أي إذا مشى مع القوم فكأنه راكب لطول قامته.

شحب لونه: شحب اللون ككرم، وشحب كمنع تغير لونه مع هزال أو عمل أو جوع أو سفر.

وهذا من مناقب عمر التي لا يتصف بها إلا خليفة نبي لأن المجاعة في العادة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا تصيب إلا عامة الناس، أما الرؤساء فلا يجوعون وعمر ﷺ فضل الجوع وترك الطيبات من الطعام عند قلته إيثاراً للعامة على نفسه. رحمه الله ورضي عنه فويل لمن يتنقصه من المبتدعين الضالين.

قوله سعد: لعل الصواب ابن سعد.

وجراميزه: ثيابه ويدل ذلك على أن عمر كان رياضياً، قوي الجسم لأن ركوب الخيل بالصفة المذكورة لا يتأتى إلا لقليل من مهرة الرياضيين.

وفي ذلك دليل على أن المسلم ينبغي له أن يكون قوي البدن مرتاضاً. قال الله تعالى في سورة البقرة في قصة طالوت حين قال بنو إسرائيل لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله فأخبرهم أن الله سبحانه بعث لهم طالوت ملكاً. فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال. فظنوا لجهلهم أن الملك خاص بالأغنياء فرد عليهم نبيهم بقوله: «إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم».

فالملك لا يكون أهلاً للملك بسبب ثروته وكثرة ماله، ولكن لقوة جسمه وعلمه وتقواه. فإن مال الدولة يكون بيده وهو الذي يقسمه طبقاً لما أمر الله به أن يقسم فما حاجته إلى المال. وهكذا قال العرب أهل مكة: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١) فرد الله عليهم بقوله ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢) فظنوا لجهلهم أن النبوة لما كانت الرئاسة ملازمة لها لا تكون إلا لمن كان غنياً كثير المال وقوة الجسم، والرياضة البدنية من السنة التي اتصف بها الأنبياء ولنبينا محمد ﷺ الحظ الأوفر من ذلك فقد ثبت في صحيح البخاري أنه سابق عائشة أم المؤمنين فسبقته فلما ثقل جسمها باللحم سابقها مرة أخرى فسبقها وقال لها: «هذه بتلك».

وقوله: **يخضب بالحناء والكتم**: ذكر الحافظ في الفتح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بهما وقد جاء مثل ذلك عن النبي. وقلت في ذلك شعراً.

إني لأخضب بالحناء والكتم ... أقفو بذلك خير العرب والعجم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

محمداً وأناساً من صحابته كانوا مصابيح تجلو داجي الظلم

* والكتم: يسمى بالعامية العراقية «الوسمة» وهو نبات شديد الخضرة وصفة الخضاب بها أن يخضب الرأس أو اللحية أو هما معاً بالحناء ويبقى ثلاث ساعات ثم يغسل الشعر غسلاً جيداً ويخضب بالكتم وبعد ساعة يغسل الشعر فيصير أسود.

● **صفته الخلقية**

قال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ: «أبو حفص العدوي الفاروق وزير رسول الله ﷺ ومن أيد الله به الإسلام وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملهم الذي جاء عن المصطفى ﷺ أنه قال: «لو كان بعدي نبي لكان عمر» الذي فر منه الشيطان وأعلي به الإيمان وأعلن الأذان.

قال نافع بن أبي نعيم عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه. وأين مثل أبي حفص فما دار الفلك على مثل شكل عمر هو الذي سن للمحدثين التثبت. انتهى.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ما نصه:

قال الزبير وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشراف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أن قريشاً كانت إذا وقعت بينهم حرب، أو بينهم وبين غيرهم بعثوا سفيراً وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر رضوا به ولقبوه منافرا أو مفاخراً.

● **إسلامه**

قال ابن إسحاق وكان إسلام عمر - فيما بلغني - أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما خوفاً من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن. فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، وكان مع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم فيمن أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً. أفلا ترجع إلى أهل بيتك، فتقيم أمرهم، قال: وأي أهل بيتي؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه. فعليك بهما، قال فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها «سورة طه» يقرئهما إياها. فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك.. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفاً، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها. قال لها لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها. فلما قال طمعت في إسلامه وأعطته الصحيفة وفيها «طه» فقرأها فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام، فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر» فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد آتيه فأسلم. فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف. فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه فقال رسول الله ﷺ ائذن له. فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم. فتفرق - أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم.

وذكر ابن هشام عن ابن إسحاق في سبب إسلام عمر قصة أخرى أختصرها فيما يلي:

قال عمر: كنت أحب الخمر وأشربها في الجاهلية. وكان لي رفقاء ينادمونني على شرب الخمر وكان لنا مجلس معلوم نجلس فيه كل ليلة نشرب الخمر فذهبت ليلة إلى المجلس فلم أجد منهم أحداً فقصدت حانة لخمار مكة لأشرب فلم أجده فقصدت الكعبة لأطوف بها سبعاً أو سبعين فرأيت رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين الركنين ركن الحجر الأسود والركن اليماني- مستقبلاً الشام جاعلاً البيت بينه وبين قبلته فأردت أن أستمع لقراءته دون أن يعلم بمكاني فجئت الكعبة من قبل الحجر فدخلت تحت كسوتها وأخذت أمشي بين جدارها وثوبها حتى قمت في قبلته مستقبلاً له وهو لا يراني ولا يعلم بوجودي.

فلما سمعت القرآن رق قلبي له حتى بكيت فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته انصرف إلى بيته فتبعته حتى أدركته في الطريق فلما سمع رسول الله ﷺ حسي عرفني فظن أني تبعته لأوذيه، فنهمني (أي زجرني) ثم قال: ما جاء بك يا ابن

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخطاب هذه الساعة؟ فقلت جئت لأومن بالله وبرسولهﷺ ومسح صدري ودعالي بالثبات.

وإذا أردنا أن نجمع بين القصتين نقول: إن القصة الأولى سابقة للثانية وأن عمر حين قرأ الصحيفة في بيت أخته مال قلبه إلى الإسلام ولكن أراد أن يسمع من النبي ﷺ القرآن فاحتال ذلك حتى سمعه منه فازداد يقيناً وأسلم في تلك الليلة ثم قصد بعد ذلك دار الأرقم التي عند الصفا وأعلن إسلامه.

ويؤيد ذلك ما روى ابن إسحاق في السيرة «عن أم عبد الله بن عامر ابن ربيعة بنت أبي حثمة. قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا.

قالت فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله. قالت فقلت نعم والله. لنخرجن في أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجاً. قالت: فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها. ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا. قالت فجاء عامر بحاجته تلك. فقلت له: يا أبا عبد الله: لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه قالت: نعم. قال فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب، قالت يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على أهل الإسلام».

ومن ذلك يظهر لنا أن إسلام عمر لم يكن فجأة فإنه من المستبعد في طباع البشر أن يكون الرجل على دين متعصباً له أشد التعصب ويرى ديناً جديداً فيحاربه أشد المحاربة ثم ينتقل من الدين الأول إلى الثاني فجأة بدون أن يتقدم انتقاله فترة تردد وتأمل. وهذا مشاهد معروف عند من خبر أحوال المنتقلين من دين إلى دين.

ومما يناسب ذلك أني كنت في برلين الغربية سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى فقصدت الجامع لصلاة الجمعة وهو في القسم الغربي، وكنت أعرفه وأصلي فيه حين كنت طالباً ومدرساً هناك من سنة تسع وثلاثين إلى سنة اثنتين وأربعين بالتاريخ المذكور فلما رآني الإمام دعاني لأصلي بهم الجمعة وبعد الفراغ من الصلاة قام وخطبهم هو باللغة الجرمانية ثم أخذنا نتجاذب أطراف الأحاديث فرأيت رجلاً حسن الإصغاء لكل حديث يدور حسن السمت تظهر عليه الرغبة في الازدياد من علوم الإسلام ويكثر الأسئلة فقلت له يا أخي تسمح لي أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسألك منذ كم سنة أسلمت؟ فقال لي لم أسلم بعد! فقلت ولماذا جئت إلى هنا وحضرت الصلاة؟ فقال حضرت الصلاة ولم أصل!! ولكن استمعت إلى الخطبة التي ألقيت باللغة الجرمانية فقلت هل زرت المسجد قبل هذه المرة؟ فقال لي منذ سنة لم تفتني ولا جمعة واحدة ومَسْكَنِي بعيد من المسجد، أركب ساعة في القطار لأصل إليه فقلت له: وإلى الآن ما تبين لك أن الإسلام حق؟ فقال لي: أريد أن أزداد يقيناً حتى يكون إسلامي مبنياً على أساس متين. فإن قلت: هذا الألماني بقي سنة يدرس الإسلام وعمر فيما ذكرت لم يبق إلا مدة قصيرة فهل كان الألماني أكثر تثبتاً منه؟ فالجواب أن بين الألماني وعمر فرقاً شاسعاً لأن الألماني لا يعرف لسان القرآن والرسول ﷺ ولا يستطيع أن يقرأ القرآن أو يسمعه فيفهمه وإنما يعتمد على ترجمة المترجمين ومن الفروق أن عمر يعرف رسول الله ﷺ من صباه ويعرف صدقه وأخلاقه ويعرف من آمن به قبله وهم أربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة وكيف ثبتوا على دينهم واستعذبوا العذاب فيه، وصبروا على مفارقة الوطن بل كان عمر يشاهد نور رسول الله ﷺ ولا يحجب إلا عن شقي.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر بسند ذكره من طريق ابن معين عن هلال بن يساف قال: «أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة قال أبو عمر فكان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام بدعوة النبي ﷺ».

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة بسند ذكره عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ: قال: «اللهم أعز الإسلام بأبي جهل ابن هشام أو بعمر بن الخطاب» فأصبح عمر فغدا إلى رسول الله ﷺ.

وأخرج أبو يعلى وذكر سنده إلى ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام وكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب».

وأحب هنا أفعل تفضيل من حب بضم الحاء مبنياً لما لم يسم فاعله وقد منعه ابن مالك ولكنه كثير من كلام العرب، وهو من جريان أفعل التفضيل على غير بابه فأحب هنا بمعنى محبوب لأن أحدهما وهو أبو جهل لا يشارك الآخر في محبة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الله حتى يفضل عليه فهو كقولهم الأشج والناقص أعدلا ملوك بني مروان- أي عادلا ملوك بني مروان إذ لا عادل فيهم غيرهما.

ثم ذكر الحافظ روايات متعددة لهذا الحديث عن جماعة من الصحابة تختلف ألفاظها ويتفق معناها.

● **بعض مناقبه**

١- منها ما تقدم أن النبيﷺ دعا أن يعز الله الإسلام ويشده برجل يحبه الله تعالى فكان ذلك الرجل فثبتت له محبة الله تعالى.

٢- ومنها ما رواه البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا؟ فقال هذا بلال ورأيت قصراً بفنائه جارية فقلت لمن هذا؟ قال لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك فقال: عمر بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار» انتهى.

والخشفة بفتح أوله وثانيه أي حركة وقع الأقدام، وفي رواية أبي هريرة أن النبي ﷺ رأى جانب قصر عمر امرأة تتوضأ والباقي مثل ما تقدم وفيها زيادة أن عمر حين سمع ذلك بكى وقال أعليك أغار يا رسول الله».

٣- ومنها ما أخرجه البخاري بسنده إلى حمزة عن أبيه أن رسول اللهﷺ قال: «بينا أنا نائم شربت يعني اللبن حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو في أظفاري ثم ناولت عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال: العلم».

فهذه شهادة من النبيﷺ لعمر بالعلم النافع الذي أخذه عنه عليه الصلاة والسلام.

٤- ومنها ما أخرجه البخاري في مناقبه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعًا خفيفا والله يغفر له ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً، فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن».

قال ابن جبير العبقري عتاق الزرابي، وقال يحيى: الزرابي: الطنافس لها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

همل رقيق مبثوثة كثيرة.

شرح بعض ما يعسر فهمه على بعض القراء من هذا الحديث.

على دلو بكرة: البكر بفتح الباء والكاف: خشبة مستديرة يعلق عليها الدلو لتسهيل نزعه من البئر- والقليب البئر. الذنوب الدلو الممتلئة ماء. الغرب: الدلو العظيمة تتخذ من جلد ثور يعني أن عمر لما أخذ الدلو عظمت في يده وكبرت وذلك إشارة إلى كثرة الفتوحات التي أجراها الله على يديه واتساع حوزة الإسلام، ولم يقع مثل ذلك في خلافة أبي بكر الصديق، ولكن له مناقب أخرى كثيرة لا يشاركه فيها عمر.

والعبقري: قال أبو عمر: وعبقري القوم سيدهم وقيمهم وكبيرهم.

حتى روي الناس وضربوا العطن. قال في اللسان العطن للإبل كالوطن للناس، يعني حتى رويت الإبل وبركت بمعاطفها، كناية عما تقدم من كثرة الفتوحات والأرزاق، وانتشار العدالة والأمن، ورغد العيش وصلاح الأحوال.

٥- وأخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال أستأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرن عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» قال عمر: «فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله» ثم قال عمر «يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله» فقلن: نعم أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجا قط إلا سلك فجا غير فجك».

قولهن «أنت أفظ وأغلظ» جرى أفعل التفضيل أيضاً على غير بابه، فإن النبي ﷺ ليس عنده شيء من الفظاظة ولا من الغلظة حتى يشارك عمر فيهما ويكون عمر أشد منه في ذلك، قال الله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ معناه برحمة الله وفضله لنت يا محمد لأصحابك فأحبوك ولو كنت فظاً غليظ القلب لتفرقوا عنك.

قال الجمل في حاشيته على الجلالين: الفظاظة الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلاً، والغلظة التكبر ثم تجوز فهي من عدم الشفقة وكثرة القسوة في القلب.

٦- ومنها أن الله أعز به المسلمين، فأخرج البخاري بسنده عن عبد الله يعني ابن مسعود قال عبد الله ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

٧- منها ثناء علي ﷺ على عمر، أخرج البخاري عن ابن أبي مليكة، أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قل أن يرفع، وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي فإذا علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال: «ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن، أن يجعلك مع صاحبيك وحسبت أني كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر».

٨- ومنها بشارة النبي ﷺ بالشهادة أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: «اثبت فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان».

٩- منقبة التحديث والتكليم. ومنها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يكن من أمتي أحد فإنه عمر»، زاد زكرياء بن زائدة عن سعد عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لقد كان في من كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح. والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات.

١٠- شهادة النبي ﷺ بقوة إيمان عمر، ومنها ما أخرجه البخاري بسنده في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صحيحه عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، قالا سمعنا أبا هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «بينما راع في غنمه عدا الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها فالتفت إليه الذئب فقال له: «من لها يوم السبع ليس لها راع غيري، فقال الناس سبحان الله فقال النبي ﷺ فإني أومن به وأبو بكر وعمر وما ثم أبو بكر وعمر» انتهى، يعني أن النبي ﷺ بالإيمان أخبر لهذا الأمر المغيب.

١١- كمال دين عمر

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره» قالوا فما أولته يا رسول الله قال: الدين.

١٢- بشارة النبي ﷺ لعمر بالجنة

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسى ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: افتح له «وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله. ثم استفتح رجل فقال لي: افتح له وبشره الجنة على بلوى تصيبه فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ثم قال: الله المستعان.

١٣- ومنها قوله «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» أخرجه الترمذي وأحمد وصححه الحاكم.

وهذا الحديث يدل على فضل عمر ﷺ وتوفيق الله له لإصابة الحق، وكذلك حديث التحديث والتكليم، وأحاديث أخرى في هذا الباب ولا يدل شيء من ذلك على أنه معصوم من الخطأ فلا عصمة إلا للأنبياء.

وأقتصر على هذا القدر من مناقب هذا الإمام ﷺ فإنها لا تحصى إلا بكلفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا يتسع لها المقام.

● **خلافته**

قال الحافظ أبوعمر بن عبدالبر في الاستيعاب:

وولى الخلافة بعد أبي بكر بويع له يوم مات أبو بكر ﷺ باستخلافه له سنة ثلاث عشرة فسار بأحسن سيرة، وأنزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس، وفتح الله الفتوح بالشام والعراق ومصر، ودون الدواوين في العطاء، ورتب الناس فيه على سوابقهم وكان لا يخاف في الله لومة لائم، وأرخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس اليوم، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين لقصة نذكرها هنا إن شاء الله تعالى، وهو أول من اتخذ الدرة وكان نقش خاتمه «كفى بالموت واعظا يا عمر».

ثم قال أبو عمر «وأما القصة التي ذكرت في تسمية عمر نفسه بأمير المؤمنين، فذكر الزبير قال: قال عمر: لما ولي كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله ﷺ فكيف يقال خليفة خليفة يطول هذا، قال فقال له المغيرة بن شعبة «أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين- قال: فذاك إذن».

● **استشهاد عمر وسبب قتله**

سبب قتله: المحافظة على إقامة العدل بين الناس.

قال ابن عبد البر عن الواقدي بسنده إلى الزبير بن العوام قال: غدوت مع عمر ﷺ إلى السوق وهو متكئ على يدي فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، ألا تكلم مولاي يضع عني من خراجي، قال: كم خراجك قال دينار، قال ما أرى أن أفعل إنك عامل محسن، وما هذا بكثير ثم قال له عمر: ألا تعمل لي رحى، قال: بلى، فلما ولّى قال أبو لؤلؤة لأعملن لك رحى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب، قال فوقع في نفسي قوله، قال فلما كان في النداء لصلاة الصبح خرج عمر إلى الناس يؤذنهم للصلاة قال ابن الزبير «راوي هذا الخبر عن أبيه» وأنا في مصلاي وقد اضطجع له عدو الله أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ست طعنات إحداها من تحت سرته هي قتلته- فصاح عمر أين عبد الرحمن بن عوف فقالوا: هو ذا يا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمير المؤمنين فقال تقدم فصل بالناس، فتقدم عبد الرحمن فصلى بالناس وقرأ في الركعتين قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، واحتملوا عمر فأدخلوه منزله فقال لابنه عبد الله: اخرج فانظر من قتلني، قال فخرج عبد الله بن عمر فقال من قتل أمير المؤمنين فقالوا أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فرجع فأخبر فقال: الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بلا إله إلا الله.

وقد روى أبو عمر وغيره في قصة استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أخباراً كثيرة بأسانيدها وهي لا تخرج عن معنى ما تقدم.

● **تثبته في رواية الحديث عن النبي ﷺ**

كان عمر ﷺ متثبتاً في رواية الحديث عن النبي ﷺ إذا سمع أحداً يروي حديثاً عن النبي ﷺ من أصحاب رسول الله يتردد في قبوله منه حتى يتيقن وهذا مشهور عنه، فمن ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي في التذكرة، وهو مروي في كتب الحديث أن أبا موسى الأشعري ﷺ سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن، فرجع فأرسل عمر في أثره فقال لم رجعت؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع قال: لتأتيني على ذلك ببينة أو لأفعلن بك، فجاءنا أبو موسى منتقعاً لونه ونحن جلوس، فقلنا ما شأنك فأخبرنا وقال: هل سمع أحد منكم فقلنا نعم كلنا سمعه فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره. أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبي موسى بقول صاحب آخر ففي هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد.

ولا يلزم من كلام الذهبي رحمه الله أن يكون الخبر الواحد ليس بحجة أو أنه لا يفيد العلم، وإن كان أكثر العلماء من المتأخرين يقولون إن الخبر الواحد يفيد الظن فقط، ولا يفيد العلم إلا خبر التواتر، قال المحققون إن خبر الواحد قد يحتف به من القرائن ما يجعله يفيد العلم، وقد عقد البخاري رحمه الله لذلك باباً في صحيحه وأورد حججاً كثيرة فليراجع.

ولا يفهم من تثبت عمر ﷺ أنه كان لا يقول بأن خبر الواحد حجة فإنه ﷺ هو نفسه حدث بأحاديث كثيرة انفرد بها وقبل خبر الواحد وجعله حجة حين كان يفتي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بأن من أجنب ولم يجد ماء ألا يتيمم بل يترك الصلاة حتى يجد الماء فجاءه عمار ابن ياسر وذكر أنه كان معه في سرية فأجنبا جميعاً فأما عمر فترك الصلاة، وأما عمار فتمعك كما تتمعك الدابة في الصعيد، فلما رجعا أخبرا النبي ﷺ فقال لعمار: «إنما يكفيك أن تفعل هكذا» وضرب بيده الأرض ضربة واحدة فمسح بها وجهه وظاهر كفيه صل الله عليه فعند ذلك قال عمر لعمار أبصر ما تقول يا عمار، فقال إن شئت لم أحدث به، فقال لا بل نحملك ما تحملت والقصة مشهورة في كتب الحديث.

● **بعض مروياته**

لا يتسع المقام لذكر كثير من مرويات هذا الإمام وهي سهلة التناول في كتب الحديث، ولا سيما كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣١٠) أحاديث ولكني أردت أن أنتخب بعض مروياته لأختم بها هذا المقال تبركاً ليكون ختامه مسكاً وسأذكره بترتيب المحقق أحمد شاكر رحمه الله - ٨٩- قال الإمام أحمد بسنده عن معمر بن أبي طلحة اليعمري إن عمر بن الخطاب قام على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله ﷺ وذكر أبا بكر ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيت كأن ديكا نقرني نقرتين، قال وذكر لي أنه ديك أحمر فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر فقالت: يقتلك رجل من العجم قال وإن الناس يأمرونني أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التي بعث بها رسول الله ﷺ وإن يعجل لي أمر فإن الشورى في هؤلاء الستة الذين مات نبي الله ﷺ وهو عنهم راض، فمن بايعه منهم فاسمعوا له وأطيعوا، وإني أعلم أناسا سيطعنون في هذا الأمر أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلام، أولئك أعداء الله الكفار والضلال وأيم الله ما أترك فيما عهد إلى ربي فاستخلفني شيئاً أهم إلي من الكلالة وأيم الله ما أغلظ إلي نبي الله ﷺ في شيء منذ صحبته أشد مما أغلظ لي في شأن الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال تكفيك آية الصف التي نزلت في آخر سورة النساء وإني إن أعش فسأقضي فيها بقضاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ وإني أشهد الله على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس ويبينوا لهم سنة نبيهم ﷺ ويرفعوا إلي ما عمي عليهم، ثم إنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين هذا الثوم والبصل، وأيم الله لقد كنت أرى نبي الله ﷺ يجد ريحهما من الرجل فيأمر به فيأخذه بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتى به البقيع، فمن أكلهما لا بد فليمتهما طبخاً، قال فخطب الناس يوم الجمعة وأصيب يوم الأربعاء» رواه مسلم أيضاً.

٩- قال الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها فلما قدمناها تفرقنا في أموالنا، قال فعدي علي تحت الليل وأنا نائم على فراش ففدعت يداي من مرفقي فلما أصبحت أستصرخ على صاحبي فأتياني فسألاني عمن صنع هذا بك، قلت لا أدري، قال فأصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً، قال أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم من عدوتهم على الأنصار قبله لا نشك أنهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم من كان له مال بخيبر فليلحقه به فإني مخرج اليهود فأخرجهم.

قال الإمام أحمد بسنده عن الحارث بن معاوية الكندي أنه ركب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث خلال: قال فقدم المدينة فسأله عمر ما أقدمك؟ قال لأسألك عن ثلاث خلال، قال وما هن؟ قال ربما كنت أنا والمرأة في بناء ضيق فتحضر الصلاة فإن صليت أنا وهي كانت بحذائي، وإن صلت خلفي خرجت من البناء؟ فقال عمر تستر بينك وبينها بثوب ثم تصلي بحذائك إن شئت، وعن الركعتين بعد العصر، فقال نهاني عنهما رسول الله ﷺ قال وعن القصص؟ فإنهم أرادوني على القصص؟ قال ما شئت كأنه كره أن يمنعه قال إنما أردت أن أنتهي إلى قولك قال: أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم في نفسك ثم تقص فترتفع حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **في هذا الحديث فوائد أذكر بعضها:**

الأولى: علو همة السلف وجدهم وصدقهم في طلب العلم فإن الحارث بن معاوية سافر إلى عمر ليسأله عن هذه المسائل الثلاث وكان في إمكانه أن يكتب إليه أو أن يكلف أحد المسافرين أن يسأله ويأتيه الجواب.

الثانية: فقه عمر ﷺ إذ أفتاه أن يجعل ثوباً يحول بينه وبين المرأة وتصلي إلى جانبه فكأنه فهم أن الحكمة في تأخر الزوجة إذا اقتدت بزوجها منع الملامسة وما أشبهها من الاستمتاع كالنظر فأباح صلاتها إلى جانبه للضرورة.

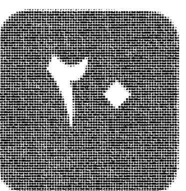
الثالثة: كان عمر ﷺ شديداً على من يصلي ركعتين بعد العصر حتى إنه تغيظ على علي بن أبي طالب حين صلاهما والذي نختاره وندين الله به أن النافلة بعد العصر لا تجوز حتى تغرب الشمس سواء أكان لها سبب أم لا.

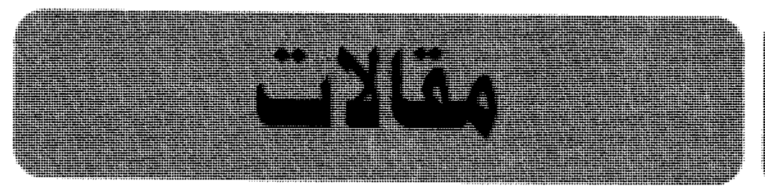
الرابعة: اللغة وما أعظمها من فائدة وأجدرها بالاعتبار وهي القصص ومعنى القصص في لغة ذلك الزمان الوعظ والتعليم فقد خاف عمر ﷺ على سائله مع فضله وتقواه وورعه إذا انتصب للوعظ والإرشاد أن يشعر بالتعاظم والكبر فيخسر خسراناً مبيناً فنهاه عن ذلك.

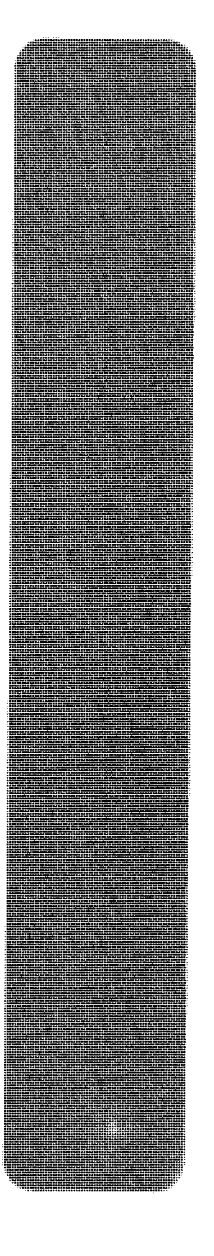
ومحل ذلك إذا كان هناك من العلماء من يقوم لهذا الواجب ولم يتعين عليه وإلا وجب عليه أن يستعين بالله تعالى على النفس الأمارة ويعظ ويعلم ويرشد ولا يترك الوعظ خوفاً من ذلك.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com







الشيخ حمد الجاسر

- ❏ ترجمة الشيخ.
- ❏ المقالات:

١- رحلة إلى طيبة (١).

العدد (٣٧) محرم (١٣٨٨هـ) _ مارس (١٩٦٨م).

٢- رحلة إلى طيبة (٢).

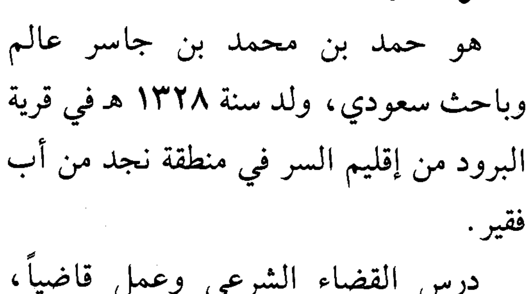
العدد (٣٨) صفر (١٣٨٨هـ) _ إبريل (١٩٦٨م).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

حمد الجاسر



● **مولده ونشأته**

هو حمد بن محمد بن جاسر عالم وباحث سعودي، ولد سنة ١٣٢٨ هـ في قرية البرود من إقليم السر في منطقة نجد من أب فقير.

درس القضاء الشرعي وعمل قاضياً، وهو عضو سابق في أكاديميات بغداد ودمشق والقاهرة.

عمل في قطاع التعليم، والقضاء، والصحافة والنشر، وأنشأ اليمامة، أول صحيفة في الرياض، في عام ١٩٥٢، وتبعتها جريدة الرياض في عام ١٩٧٦م وأخيرا العرب، وهي فصلية متخصصة في تاريخ وآداب شبه الجزيرة العربية.

أنشأ حمد الجاسر أول دار للطباعة في نجد في عام ١٩٥٥، وفي عام ١٩٦٦م أنشأ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

أسهم حمد الجاسر في ثقافة وطنه كعلّامة ومؤرخ وجغرافي، حيث كان أول مدير لكليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض اللتين كانتا النواة لإنشاء «جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية».

وخلّف العديد من الكتب التي تحمل اسمه والتي تغطي حقولا متنوعة من المعرفة: من المصورات الجغرافية والتاريخية إلى أدب الرحلات وكتب السيرة وطبعات نقدية للنصوص التراثية الهامة منها: «إطلالة على العالم الفسيح، معجم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قبائل المملكة العربية السعودية، مع الشعراء، نظرات في كتاب تاج العروس» وغيرها.

● **وفاته:**

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الخميس ١٦ رجب ١٤٢١ هـ (١٤ سبتمبر ٢٠٠٠م) بعد حياة حافلة بالعطاء، فرحمه الله رحمة واسعة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رحلة إلى طيبة (١)

العدد (٣٧) محرم (١٣٨٨هـ) - مارس (١٩٦٨م).

الغاية من الحديث عن هذه الرحلة تكاد تنحصر في جانب واحد، هو أن كثيرا من مواضع بلادنا لا يزال محتفظا باسمه القديم الذي نقرأه في كتب التاريخ والرحلات وفي شعر الشعراء المتقدمين.

وقد خطر لي- أثناء تعليقي على القسم المتعلق بتحديد الأمكنة من كتاب اللغوي المعروف مجد الدين الفيروزآبادي عن تاريخ المدينة النبوية المسمى «المغانم المطابة من معالم طابة» - خطر لي القيام بزيارة البلدة الطيبة، لعلي أستطيع أن أحدد بعض الأماكن القريبة منها مما ذكره الفيروزآبادي أو التابعة لها على ما جاء في كتابه تحديدا صحيحا.

وكنت ضعيف الأمل في الاهتداء إلى معرفة تحديد كثير من الأمكنة لتغير الأسماء وانقطاع تدوين تحديدها منذ أمد بعيد.

وقلت في نفسي: لتكن تجربة، أقوم بها متتبعا طريق هجرة المصطفى ﷺ إذ العلماء أَوْلَوا آثاره، عليه الصلاة والسلام، عناية فاقت كل عناية.

وكان أن رجعت إلى أقدم المؤرخين الذين حددوا معالم تلك الطريق، وأقدم من استطعت الحصول على تحديده، هو ابن هشام مختصر سيرة ابن إسحق، ثم ابن جرير من بعده، فنقلت أسماء المواضع التي ذكرها هذان العالمان من كتابيهما المعروفين.

ووجدت من كرم أخي الأستاذ أبي الخضر عبدالرحمن الشيباني ما يسر لي وهيأ كل وسيلة لتحقيق إربي، فكان أن قمت بتلك الرحلة القصيرة إلى المدينة، وإن لم تكن كاملة من كل ناحية، إلا أنها بعثت في نفسي آمالا طيبة، وكان لها من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الآثار الحسنة ما ملأت فؤادي تفاؤلا بأن كثيرا من معالم تاريخنا، وما يتعلق بتحديد المواضع الأثرية في تاريخنا لا يزال سهلا ميسورا.

للمدينة المنورة من مكة طرق كثيرة أشهرها ثلاثة:

١- الطريق الساحلية التي تسير بمحاذاة ساحل البحر الأحمر - بحر القلزم- حتى تحاذي بلدة «بدر» التي كانت في السابق إحدى المحطات الرئيسية لطرق القوافل في غربي الجزيرة إلى الشام والتي حدثت فيها الوقعة العظيمة التي انتصر فيها الإسلام أعظم انتصار في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومن بدر يتجه المرء إلى المدينة ذات اليمين، سائرا مع واديها الذي أعلاه «وادي الصفراء» حيث تجتمع أودية كثيرة تنحدر من السلسلة الجبلية جنوب المدينة- وسيأتي الحديث عنها- ثم يسلك المرء أحد تلك الأودية متجها صوب الشمال، حتى ينتهي منحدرا في واد آخر ويفضي به الطريق بعد ذلك إلى وادي العقيق مدخل المدينة المنورة.

٢- الطريق النجدية وهي طريق تتجه من مكة مشرقا حتى تقطع سلسلة جبال الحجاز ثم تسير منحرفة نحو الشمال بمحاذاة تلك السلسلة الجبلية مارة بأودية كثيرة ومخترقة قسما من بلاد هذيل، ثم بلاد بني سليم وطرفا من بلاد مزينة، ثم تأتي إلى المدينة من الناحية الشرقية، وهذه الطريق كانت مسلوكة إلى عهد قريب، وقد كان للعمل في معدن بني سليم - الذي تمر تلك الطريق بقربه في الأزمنة الأخيرة - كان للعمل في ذلك المعدن من الأثر ما أحيا هذه الطريق، وأصلح كثيرا من المواضع التي تحتاج إلى إصلاح وتقع محطات لها أو قريبة منها.

٣- الطريق الوسطى التي تعتبر الطريق الرئيسية إلى المدينة من مكة، وهذه تمر بكثير من الأودية وتعترضها عقبات، وأمكنة وعرة، وكانت قوافل الحجاج والزوار في العصور القديمة تسلك هذه الطريق، وقبل عشر سنوات أُصلح بعضها حتى صار طريقا للسيارات، ومن أشهر العقبات التي تقع في هذه الطريق، عقبة «هرشا» وقد عبدت قديما لسلوك القوافل ثم سهلت لمرور السيارات.

وتجتمع هذه الطريق مع طريق الساحل في محطة تعرف قديما باسم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«المنصرف» وحديثا باسم «المسيجيد» قرية كبيرة الآن.

وهناك طرق فرعية أخرى، إلا أن فيها كثيرا من الوعورة بحيث لا تجتازها الإبل إلا بمشقة كطريق «الغاير» التي تتجه إلى المدينة قبل محطة «المسيجيد» بما يقارب مرحلة بسير الإبل.

ولحسن الحظ فإن هذه الطريق على وعورتها ومرورها في أودية رملية وتلاع صخرية، فإنها لا تزال تُسْلَك حتى عهدنا الحاضر، لأن الزوار في شهر رجب يسلكونها لاختصارها ولكونها هي الطريق القديمة وأكثر من يسلكها راكبو «الحمير» الذين يسيرون في موكب معروف في شهر رجب من مكة، ويجوزون ثنية الغائر، مشاة أو ركبانا فوق دوابهم فيصلون إلى قمة السلسلة الجبلية الواقعة بقرب المدينة ثم ينزلون مع وادي «ريم» إلى وادي العقيق في المدينة.

ومما ينبغي الانتباه له، أن بعض المتقدمين قد يحددون جبلا أو موقعا بأنه على الطريق بين مكة أو في شمال الطريق أو يمينه، وإذا لم يكن لدى الباحث العام معرفة بتلك الطرق وتعددها، قد يقع في إشكال من هذه الناحية.

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم من أن جبل «عير» وهو جبل عظيم لا يزال معروفا ومشاهدا بقرب المدينة يقع على يمين طريق المتوجه من المدينة إلى مكة، وهذا الكلام حق بالنسبة لمن سلك طريق «ريم» ونزل من ثنية «الغائر» ولكن من أتى مع الطريق الوسطى مارا بالسيالة فملل فالفرش، يدعه عن يمينه إذا اتجه إلى المدينة، وعلى يساره إذا اتجه إلى مكة.

وملاحظة أخرى ينبغي إدراكها: هي أن الاسم قد يطلق على عدة مواضع، وكثير من المتقدمين لا يفرقون بين تلك المواضع، فيوردون تعاريفها وما قيل في تحديدها عند الكلام على إحداها فيقع الالتباس، ويقع التضارب عند المتقدمين عندما يحاولون تحديد موضع من المواضع، إذ يعتمد أحدهم على قول، ويعتمد الآخر على قول ثان يخالفه في ظاهر الأمر، وقد يكون في الواقع منطبقا على موضع آخر، بعيد عن الموضع المقصود، وأمثلة ذلك كثيرة فيما بين أيدينا من معجمات الأمكنة، وكتب التاريخ والرحلات، التي حاول مؤلفوها إيراد ما جاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن المتقدمين في تحديد بعض الأمكنة التي يتعرضون لذكرها.

ولقد سلك رسول الله ﷺ عندما هاجر إلى المدينة طريقا غير الطريق التي اعتاد الناس في ذلك العهد سلوكها، يقول السهيلي- في الروض- حاكيا عن دليلهما: فكنت آخذ بهم في إخفاء الطريق، وَفَقِه هذا أنهم كانوا خائفين، فلذلك كان يأخذ بهم إخفاء الطريق ومخارمه. أ. هـ.

وعندما خرج هو وصاحبه الصديق ﷺ أخذهما دليلهما فسلك بهما أسفل مكة، ثم مضى على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل «عسفان» ثم سلك بهما على أمج، ثم جاز بهما، تاركا الطريق على يمينه، وقد فعل ذلك خوفا من ترصد قريش للرسول ﷺ.

وإذا أردنا أن نبحث عن تحديد المواضع التي ذكرها ابن هشام وغيره فإنها تبدو بهذا الترتيب:

١- أسفل عسفان معروف، وهو أسفل الوادي عندما يصب في البحر بقرب «ذهبان» الذي يبعد عن جدة «٥٠» كيلا.

٢- أمج، وأمج هو أسفل وادي «ساية» الوادي الذي يقع في أسفله «خليص».

وقد حدد المتقدمون المسافة بين «عين خليص» وبين أمج، بميلين، أي أن العين بعد أمج للمتوجه إلى المدينة، وهذا الوادي يجتمع مع وادي «غران» فيكونان واديا واحدا يفيض في البحر فيما بين «ذهبان» «وثول».

٣- قديد: واد طويل، ويظهر أن طريق الرسول ﷺ كان على أسفل الوادي، لأن ابن هشام وغيره ذكر أن الدليل سلك بهما الخرار بعد قديد.

٤- والخرار على ما ذكر المتقدمون قريب من «الجحفة» وبعضهم يعده فيها، والجحفة لا تزال معروفة، فكأن الدليل جاز وادي «الستارة» وهو أسفل «قديد» ويصب في البحر فيما بين «القطيمة» و«ثول» ثم سار قريبا من الساحل حتى جاز «الخرار» ثم أخذ ثنية تدعى «ثنية المرة».

٥- وثنية المرة لم أجد من يعرفها، ولكن يوجد بجهة «كلية» فيما بينها وبين «رابغ» ثنية يسلكها المتوجه إلى «كلية» والمتقدمون يقولون: عن ثنية المرة: إنها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قريبة من ماء يدعى «الإحياء» وأنه في وادي «رابغ».

٦- ويسوق المتقدمون خبر الطريق فيذكرون أن الرسول ﷺ بعد «ثنية المرة» سلك «لقفا».

ولقف هذا واد لا يزال معروفا، وهو من روافد «وادي النخل» يقع بين وادي «الفرع» ووادي «مجاح» ويفيض في وادي النخل عند محطة «بئر رضوان» التي تبعد عن «بئر مبيريك» مسافة تقرب من «٣٠» كيلا من جهة مطلع الشمس.

ووادي النخل يصب في «القاحة» عند بئر «مبيريك» ووادي «القاحة» يصب في وادي «الأبواء» وقول ابن هشام: إن «لقفا» يقال له «لفت» واستشهاده بشعر معقل بن خويلد الهذلي على ذلك، يظهر أنه تصحيف، فابن إسحق أعرف منه بتلك المواضع لقدمه ولإقامته في المدينة، وقد سماه «لقفا».

ويظهر من سياق الخبر أن الرسول ﷺ ترك طريق ثنية «هرشا» يساره إذ هي الطريق المعروفة وأنه نزل من «مدلجة لقف».

٧- و«مدلجة لقف» تلعة كبيرة، تصب في وادي «لقف» تبعد عن «بئر رضوان» مسافة ١٠ أكيال إذا سندت في وادي «لقف» تفيض فيه من جهة الشمال.

٨- وفي الخبر: ثم استبطن بهما «مدلجة مجاح».

و«مدلجة مجاح» رافد من روافده لا يزال معروفا.

٩- أما مجاح فقد ورد بصيغ مختلفة «محاج» و«مجاج» و«مجاح» والأخيرة هي الصواب، وقد لاحظ هذا السهيلي حيث قال: وقد ألفيت شاهد الرواية ابن إسحق في لقف وفيه ذكر «مجاح» بالحاء المهملة بعد الجيم، وهو قول محمد بن عروة بن الزبير:

لعن الله بطن لقف، مسيلا ... و«مجاحا» وما أحب «مجاحا»!!

لقيت ناقتي به، وبـ«لقف» ... بلدا مجدبا، وأرضا شحاحا!

إن وادي «مجاح» لا يزال معروفا، وهو من فروع وادي النخل، يصب فيه قبل اجتماعه بوادي «القاحة»، بما يقرب من ٥ أكيال قبل «بئر مبيريك».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٠- وورد في الخبر «مدلجة مجاح».

وهي رافد من روافده، ولا يزال معروفا، ومدلجة «لقف» ومدلجة «مجاح» يتقاربان حتى يلتقيا.

١١- ثم سلك بهما «مرجح مجاح».

«مَرْجِح» رافد من روافد «مجاح» مقابل لمدلجة مجاح، يصب فيه، وقد ورد في كتاب البلدان لنصر بن عبدالرحمن الإسكندري مصحفا: «مُدَجِّج» بضم الميم، وفتح الدال وتشديد الجيم الأولى وكسرها، والصواب: بفتح الميم وسكون الراء، وجيم مكسورة، بعدها حاء مهملة.

١٢- وجاء في الخبر: ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين، قال ابن هشام: ويقال «العضوين»، وأقول: المعروف الآن عند أهل الجهة «العصوين» بالعين والصاد المهملتين، تثنية عصا، وهما تلعتان كبيرتان، كل واحدة منهما تسمى «العصا» تلتقيان، ثم تصبان في وادي «مجاح» بقرب اجتماعه بوادي النخل، وأرى أن الغضوين أو العضوين تصحيف.

١٣- ثم بطن «ذي كشر».

يعرف هذا الموضع الآن باسم «أم كِشْد» بكاف مكسورة، وشين معجمة ساكنة، ودال مهملة، لا كما جاء في «سيرة ابن هشام» وفي «معجم البلدان» «وأم كشد» هذه تلعة تصب في وادي يدعى «ثقيب» وهو واد يجتمع مع وادي «القاحة» بعد أن يتجه المرء من «بئر مبيريك» إلى جهة المدينة، بما يقرب من ٥١ كيلا.

فكأن طريق الرسول ﷺ ترك وادي «القاحة» يسارا في هذه الجهة، ثم التقى بهذا الوادي فيما بعد.

١٤- وفي الخبر: ثم أخذ بهما على «جداجد» وهو واد صغير من روافد وادي «ثقيب».

١٥- وورد في الخبر ذكر «الأجرد» و«ذي سلم».

والأجرد يسمى الآن «أجيرد» بالتصغير «وذو سلم» يسمى «أم السلمة».

بعد أن يقطع المسافر ما يقرب من ثمانية أكيال سائرا في وادي «ثقيب» يصل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى موضع يدعى «البستان» مسكون، ومنه طريق إلى «الفرع» حيث اتجاه أعلى «ثقيب» وعلى بعد أقل من كيل واحد تقع «أم كشد» وهي وادٍ «أجيرد» على الشمال منها و«أم السلمة» تلعة كبيرة تصب في «أجيرد» وكلها تصب في «ثقيب» ثم يسير الطريق المتجهة إلى «القاحة» تاركا «أجيرد» على يمينه، جازعا أعلاه، وبعد أن يتركه ينحدر في تلعة تصب في وادي «القاحة» حيث ترجع الطريق إليها مرة أخرى.

١٦- وورد في الخبر أسماء منها «تعهن» و«أعداء».

أما «تعهن» فإنها واد كبير يصب في «القاحة» عند المحطة المعروفة الآن باسم «أم البرك» وقديما باسم «السقيا» كما سيأتي الحديث عن مراحل الطريق العام.

والغريب أن أهل تلك الجهة ينطقون هذا الاسم «تعهن» بفتح التاء بإمالة نحو الكسر، وكسر العين بالهاء المشددة المكسورة بعدها نون.

١٧- وذكر ابن هشام في سياق خبر الهجرة بعد أعداء مدلجة تعهن قال: ثم العبابيد، قال ابن هشام: ويقال: العبابيب، ويقال: العثيانة، يريد العبابيب.

لم أجد أحدا يعرف شيئا عن هذا الموضع الذي ذكر له ابن هشام ثلاثة أسماء، مع أن من قابلتهم لم يكونوا من أهل الموضع الذي يقع بعد «تعهن» ذلك أنني مررت بتلك الناحية ليلا، فلم أصادف أحدا من أهلها.

ولعل أخي الأستاذ سليمان سليم مدير التعليم في تلك النواحي يكرم (وهو كريم) فيحقق للقراء هذا الموضع وغيره مما تقدم أو سيأتي ذكره، فالمار والذي من غير أهل البلاد يفوته الشيء الكثير.

١٨- قال ابن هشام: ثم أجاز بهما الفاجة، ويقال القاحة (فيما قال ابن هشام).

وقول ابن هشام هنا هو الصواب، فالقاحة بالقاف ثم الحاء المهملة المفتوحة بعدها هاء، واد عظيم يفيض فيه في أعلاه وادي «تعهن» والسالك مع هذا الطريق بعد «تعهن» يجوزه، بقرب ما يدعى الآن «أم البرك» جمع بركة وهي قرية كانت كبيرة، إلا أنها ضعفت الآن، وكانت تدعى قديما «السُّقيا» بالسين المهملة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المشددة المضمومة بعدها قاف ساكنة فياء مثناة تحتية مفتوحة معدودة، وهي سقيا بني غفار قبيلة معروفة قديما كانت من مساكنها في القديم، وأعالي «السقيا» تبتدئ من مكان يبعد عن «أم البرك» بما يقارب ٥٤ كيلا بعد أم البرك للمتوجه إلى المدينة، عند محل يدعى «الرصفة» وهو جبل منحوت قديما لسلوك المسافرين أرضه مرصوفة.

ويمتد وادي القاحة من هذا المكان متجها صوب الجنوب حتى يفيض في وادي «الأبواء» وتجتمع به أودية كثيرة من أشهرها وادي «ثقيب» ووادي «النخل» الذي يفيض فيه سيل واديي «مجاح» و«لقف» وأودية أخرى كثيرة تقدم ذكر بعضها.

١٩- وقال ابن هشام: ثم هبط بهما «العرج».

والعرج على ما ذكر المتقدمون يبعد عن أول وادي «القاحة» بما يقارب ثلاثة عشر ميلا ولعله هو أعلى ما يسمى الآن وادى «الجي» بجيم مكسورة بعدها ياء مشددة، وهو يبعد عن أعلى وادي «القاحة» بما يقارب الميل الواحد، هذا أعلاه، فكأن طريق الرسول ﷺ جزعه من أثنائه.

ووادي «الجي» ليس له ذكر عند المتقدمين فهم لا يذكرون إلا «موضع الجي» ويقولون إنه منازل فيه بئران، عذبتا الماء، وأنه في سفح جبل، وأن «ورقان» الجبل العظيم المعروف ينتهي عنده، ويحددون المسافة بينه وبين «عقبة العرج» بأقل من عشرة أميال، ويقولون بأن عقبة العرج بين جبلي «قدس» و«ورقان» وهذا الوصف ينطبق على أعلى وادي «الجي» فكأن اسم الجي غلب على وادي العرج لوقوع الجي في أعلاه.

أما «قدس» هذا فكان من أشهر الجبال القديمة وأعرفها، ويسمونه الآن «إدقس» بهمزة مكسورة بعدها دال ساكنة، فقاف فسين، تحريف للاسم القديم.

من أول وادي الجى تتجه سيول الطريق مغربة حيث تجتمع كل الأودية الواقعة دون المدينة عن يسار جبل ورقان وهي السلسلة الجبلية الممتدة من نهاية وادي الجي إلى نهاية وادي «الروحاء» مما يسيل من هذه السلسلة وغيرها فتكون أودية عظيمة تجتمع بهذا الوادي المسمى الآن بوادي الجي ثم يجتمع معها وادي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الروحا، ووادي «النازية» بتخفيف الياء ووادي «وحقان» وتفيض كلها بوادي الصفراء ثم تتجه صوب البحر غربا حتى تصب فيه جنوب «مستورة» موضع «ودان» القديم.

لقد ترك الرسول ﷺ كل هذه المواضع بيساره وعدل عن الطريق المعروف وسلك ثنية الغائر.

٢٠- وجاء في السير من رواية ابن هشام وغيره أن الرسول ﷺ بعد أن هبط العرج، خرج منه، فسلك ثنية العائر عن يمين ركوبه، ويقال «الغائر».

والعائر بالعين المهملة تصحيف صوابه الغائر بالغين المعجمة وهي ثنية لا تزال معروفة، ويسلكها الذين يذهبون للزيارة قديما مشاة أو على الدواب، وهي ثنية صعبة السلوك، وغير معبدة في الوقت الحاضر، ولا تسلكها الإبل إلا بجهد ومشقة.

وعندما رغبت المرور بها، لم أجد في تلك الناحية أحدا يرشدني إلى الطريق، وقيل لي: إن الإبل- في هذا العام لتوالي الجدب- هزيلة ومن الأيسر أن أنزل معها نزولا من جهة المدينة.

٢١- وقال ابن هشام بعد ذكر ثنية الغائر: «حتى هبط بهما بطن «رئم».

ورئم هذا وهو ينطق الآن بتسهيل الهمزة «ريم»، وهو واد من روافد وادي عقيق المدينة، لايزال معروفًا.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رحلة إلى طيبة (٢)

العدد (٣٨) صفر (١٣٨٨هـ) - إبريل (١٩٦٨م)

يحسن إيراد وصف موجز للطريق العام الذي سار، عليه الصلاة والسلام، بقربه ولم يسلكه.

ولقد عني المتقدمون بتحديد مواقع هذا الطريق عناية كبيرة، كما عني ملوك المسلمين المتقدمون بإصلاحه ووضع العلامات التي تحدد المسافات فيه، لأنه الطريق الذي يصل بين المدينتين الكريمتين من أقرب المسافات، ولكن هجران هذا الطريق منذ أن اختل الأمن في أثناء العهد العباسي جعل الناس ينصرفون عنه لوقوع أكثر منازله بين أودية وجبال تحتلها القبائل الذين كثيرا ما تقسو عليهم الحياة وتضطرهم إلى النهب والسلب أثناء عجز ولاة تلك النواحي عن تأمين ذلك الطريق.

وكان من أهم الأمور التي دعت إلى تحديد منازل هذا الطريق سلوك الرسول ﷺ وسيره فيه أثناء أسفاره من المدينة إلى مكة، والمتقدمون كانوا يُعنون بتتبع آثار الرسول ﷺ وخاصة مساجده.

وقد كان من أبرز من عني بتحديد منازله من العلماء المتقدمين عالم يدعى أبا عبدالله محمد بن أحمد الأسدي[1] ولا نعرف عن هذا العالم إلا ما أورده السمهودي مؤرخ المدينة عنه فهو يقول «إنه من المتقدمين» يؤخذ من كتابه أنه كان في المائة الثالثة»[2]. وقد ذكر أن له منسكا حدد فيه أمكنة المساجد النبوية، وأورد السمهودي ذلك التحديد مفرقا في كتابه.

---

(١) وفاء الوفاء ١/ ٨٦ الطبعة الأولى.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٦٤ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويظهر مما نقل السمهودي عنه أنه من جهة العراق لوصفه مواضع تقع في طريق البصرة إلى مكة في نجد[١] ومواضع أخرى تقع في طريق الكوفة كتحديده للطريق من فيد إلى المدينة[٢] وقد حدد مواقع في طريق المدينة إلى مكة، الطريق النجدية مثل «أفاعية»[٣] وحدد الطريق من ذات عرق وهو ميقات أهل المشرق[٤].

وقد نقل القاضي عياض في شرح مسلم عند الكلام على أهاب عن عالم يدعى الأسدي ووصفه بأنه من مشائخه، ولا نعلم هل هو هذا أم غيره. يحدد المتقدمون مراحل هذا الطريق على النحو الآتي:

- من المدينة إلى الشجرة ٦ أميال، ومعروف أن الشجرة في ذي الحليفة مكان الإحرام المعروف الآن بأبيار علي.

ويستمر الطريق القديم مع الطريق الذي تسكله السيارات الآن إلى المسيجيد، ومن أشهر المواضع القديمة فيه «الروحاء»، ولا تزال معروفة وكانت لها شهرة قديمة، ويروى عن الرسول ﷺ أنه قال، وهو في وادي الروحاء، مشيرا إلى الجبل العظيم الممتد عن يسار المتجه إلى مكة: «ما اسم هذا الجبل؟» فقالوا: «ورقان» فقال: اسمه «حمت» جبل من جبال الجنة، اللهم بارك لنا فيه وبارك لأهله فيه، أتدرون ما اسم هذا الوادي، يعني وادي الروحاء؟ هذا سجاسج، لقد صلى في هذا المسجد قبلي ٧٠ نبيا ولقد مر بها- يعني الروحاء- موسى بن عمران في ٧٠ ألفا من بني إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى ابن مريم حاجا أو معتمرًا. والحديث من رواية ابن زبالة ومعروف مقامه عند المحدثين.

ولقدم الروحاء نشأت فكرة وجود قبر مضر بن نزار فيها، كما أشار إلى ذلك البكري في «معجم ما استعجم».

---

(١) وفاء الوفاء ٢/٢٢٨.

(٢) نفس المصدر ٢/٢٦١ .

(٣) المصدر السابق ٢/٢٤٨ . .

(٤) نفس المصدر ٢/١٨٣ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويشاهد المرء غرب البئر والمسجد آثار بناء قديم ومقابر كثيرة هناك، وتبعد الروحاء هذه عن المدينة بما يقارب ٨٠ كيلا، وبعد الروحاء بأربعة أكيال يمر المسافر بطرق جبل عن يمينه يسمى عرق الظبية، بجواره مسجد متهدم وآثار قبور بطرف المسجد، وللمسجد هذا ذكر عند المتقدمين، حيث يعدونه هو ومسجد الروحاء من المساجد النبوية، والذي يعنينا من هذا هو الإشارة إلى قدم هذه المواضع.

ومن الروحاء إلى المسيجيد، القرية الكبيرة الآن ٨ أكيال، والمسيجيد اسم حديث، ويعرف قديما باسم المنصرف (بفتح الصاد) وفيه مسجد يعرف بمسجد الغزالة لا يزال معروفا، وهو قديم أيضا ذكره البخاري في صحيحه.

وسيل وادي الروحاء يفضي إلى المنصرف، ولهذا يسمى منصرف الروحاء، ويجتمع مع أودية النازية ورحقان ووادي الجي ثم تفيض هذه الأودية على الصفراء.

والطريق القديم ينصرف من المنصرف ذات اليسار، متجها صوب الجنوب، تاركا الطريق المعروف الآن بيمينه.

ومن الأمكنة القديمة التي كان يمر بها هذا الطريق الرويثة، وكانت من أشهر منازله، فيها آبار وحياض ويقع بقربها جبلان يدعى الشرقي منهما «الحسناء» ويدعى الغربي «الحمراء» ولا تزال آثار قرية الرويثة باقية بعد أن ينزل المرء في الوادي يشاهد تلك الآثار عن يمينه، ويحدد المتقدمون المسافة بينها وبين الروحاء بـ ١٥ ميلا على وجه التقريب.

ومن الرويثة إلى السقيا، وهذه درس اسمها، وتعرف الآن باسم أم البرك، وقد نقل السمهودي عن الأسدي أن في السقيا أكثر من ١٠ آبار، وأن عندها بركة وفيها عين غزيرة الماء تصب في بركة المنزل، وهي تجري إلى صدقات الحسن بن زيد، عليها نخل وشجر كثير، وكانت قد انقطعت ثم عادت في سنة ٣٤٢ هـ، ثم انقطعت في سنة ٣٥٢هـ، وعلى ميل منها تقع صدقات الحسن، فيها من الآبار المزروعة ٣٠ بئرا وفيها ما أحدث في أيام المتوكل ٥٠ بئرا، ماؤهن عذب وطول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رشائهن قامة وبسطة وأقل وأكثر، وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها «تعهن»، انتهى كلامه. وهذه السقيا تعرف قديما بسقيا بني غفار، تفريقا بينها وبين السقيا التي في وادي الجزل، وتقع السقيا هذه في أعلى وادي القاحة، حيث يلتقي بوادي تعهن.

وقبل السقيا هذه يمر المسافر بواد عظيم هو وادي الجي، وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذا الوادي ليس له ذكر عند المتقدمين، وهذا سهو منا فقد ذكروه.

جاء في رسالة عرام بن الأصبغ السلمي: «ورقان جبل أسود عظيم ينقاد من سيالة إلى المتعشي بين العرج والرويثة، ويقال للمتعشي الجي، وبسفح ورقان من عن يمين سيالة ثم الروحاء ثم الرويثة ثم الجي».

وقال ياقوت في المعجم: «جي بالكسر واد عند الرويثة بين مكة والمدينة ويقال له المتعشي، وهناك ينتهي طرف ورقان وهو في ناحية الجبل الذي سال بأهله وهم نيام فذهبوا والله أعلم!» وهذا القول لنصر الإسكندري.

إن الطريق من المسيجيد إلى أم البرك المعروفة قديما بالسقيا، يتجه إلى الشرق ثم إلى الجنوب، وعندما يقبل على أم البرك، ينعدم اتجاهه إلى الجنوب فيتجه شرقا يميل نحو الشمال، ولا يزال على هذا الاتجاه حتى يصل مدينة رابغ.

أما الطريق الحديث، فإنه من المسيجيد يتجه غربا ثم يأخذ في الاتجاه صوب الجنوب عندما يصل بلدة بدر ويستمر بمحاذاة البحر.

وأهم المواضع الأثرية الواقعة على الطريق القديم بعد السقيا عين تعهن، وقد ضعفت هذه العين منذ أمد طويل، ولم يبق الآن سوى آثارها، يدعها المرء عن يساره إذا اتجه من السقيا إلى الأبواء.

يسير المتجه في وادي القاحة، والسقيا في هذا الوادي، ويلتقي بوادي تعهن بعد السقيا بكيلين اثنين تقريبا، ثم يدع وادي القاحة بيمينه وينزل في واد يدعى ثقيب، بفتح الثاء وكسر القاف، له ذكر من الشعر القديم، وفيه آثار عمران لا يزال باقيا منها موضع يدعى البستان وهو بستان كاسمه.

وثقيب من روافد وادي القاحة، ومنه طريق إلى الفرع في اتجاه أعلى الوادي،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبعد ثقيب بما يقارب عشرة أكيال واد يدعى «نعا» في ملتقاه بوادي القاحة آثار بنيان وعمران قديم.

ثم يستمر السير في وادي القاحة، وعلى بعد عشرة أكيال من وادي نقا للمتجه نحو مكة، هناك يلتقي وادي النخل بوادي القاحة، وهذا الوادي من أشهر الأودية، وعند التقائه تتسع الأرض وتكثر آثار العمران القديمة حول المكان المعروف الآن باسم بئر مبيريك.

ويذكر المتقدمون أن بين السقيا وبين الأبواء، في الوسط بينهما عين تدعى عين القشيري وهي عين كثيرة الماء، ويقال للجبل الأيسر المشرف عليها قدس وأوله في العرج، وآخره وراء هذه العين، ويقال للجبل الذي يقابلها يمنة يقال له باقل، وللوادي الذي بين هذين الجبلين وادي الأبواء[1] .

إن هذا الوصف ينطبق على الموقع المعروف الآن باسم بير مبيريك والتي يقال بأنها منسوبة إلى أحد مشايخ قبيلة زبيد أهل رابغ في العصر الحاضر، وأنه حفر هذه البئر منذ عهد قريب في هذا الموضع فنسبت إليه، ولا يزال يعرف بوادي الأبواء.

وعلى بعد خمسة عشر كيلا توجد القرية المعروفة باسم الأبواء، وكانت إلى عهد قريب تعرف باسم الخريبة، وفي سفح الجبل الواقع بقرب مدرسة هذه القرية يوجد آثار قبر منسوب إلى آمنة أم النبي ﷺ، وبقربه مسجد قديم، والمتقدمون يذكرون من المساجد النبوية، مسجد الأبواء.

ومن الأبواء يأخذ الطريق ذات اليسار، متجها صوب الشرق، وبعد ٩١ كيلا يصل إلى ثنية هرشا، وهذه الثنية تجزع طرفا يمتد من الحرة حرة رهاط، يمتد معترضا الطريق إلى الغرب حتى يقرب من البحر فيما بين رابغ ومستورة، وفي هذا الطرف قسم يدعى باسم هرشا فيه ثنيتان، الغربية منهما أسهل من الشرقية لتعبيدها، وفي هذه الثنية ورد المثل:

خذ أنف هرشا أو قفاها فإنما ... كلا جانبي هرشا لهن طريق

(١) وفاء الوفاء في الكلام على مسجد الرمادة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد حرف هذا الاسم في بعض الكتب الحديثة إلى حرشا[١] وقد مهدت ثنية هرشا قبل عشر سنوات لمرور السيارات عندما كان هذا الطريق مسلوكا قبل إصلاح الطريق الحالي، طريق الخبت، وكان الطريق القديم الذي سلكه الرسول ﷺ إلى مكة ثم كان المسلمون قديما يسلكونه، كان يمر بهذه الثنية، ويحدد المتقدمون المسافة بينها وبين الأبواء بثمانية أميال، وقد سلكتها بالسيارة فبلغت من الثنية إلى مدرسة الأبواء ٩١ كيلا، وهذا يقارب تحديد المتقدمين.

وبقرب الأبواء تقع «ودان» وليست على الطريق، ولكنها في أسفل الأبواء، وادي الأبواء يفيض فيها، والذي يقصدها ينحرف إليها ذات اليمين قبل وصوله إلى الأبواء، وبعد صدوره منها يعود إلى ثنية هرشا، ولا يمر بالأبواء.

وتقع «ودان» بحسب ما حدده المتقدمون بقرب قرية مستورة، إذ وادي الأبواء يفيض في البحر عندما يحف مستورة من جهة الجنوب،

وودان هي بلدة الشاعر نصيب المشهور التي يقول فيها:

أقول لركب موجفين لقيتهم ... قفا ذات أوشال، ومولاك قارب
قفوا حدثوني عن سليمان إنني ... لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

يقصد الخليفة سليمان بن عبدالملك.

وممن عرف من شعراء هذه النواحي الشاعر خارجة بن فليح المللي، وكان يسكن وادي ملل، وهذا الوادي لا يزال معروفا ويقع بين الفريش الذي يبعد عن المدينة بـ ٩٤ كيلا، وبين وادي تربان الذي يصب في ملل ويبعد عن المدينة ٣٣ كيلا.

ومن «تربان» الشاعر عروة بن أذينة الكناني.

ومن هرشا يتجه الطريق إلى الجحفة، هذا الطريق القديم، وتقع الجحفة في الجنوب الغربي من بلدة رابغ، ولا تزال معروفة، وتبعد عنها بـ ٩١ كيلا، وكان المتقدمون يحرمون من رابغ قبل محاذاة ميقات الإحرام، لأن طريق رابغ يأخذ

---

(١) مسافات الطرق في المملكة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الساحل ويدع الجحفة بيساره، ووادي الجحفة يصب في البحر عند نقطة تبعد جنوبا عن رابغ بـ ٢٠ كيلا.

والجحفة كانت قديما مدينة أثرية في العهد الجاهلي، وفي صدر الإسلام، ولا تزال آثار المسجد النبوي قائمة، وقد بني بقربه مسجد حديث، ويشاهد المرء على ضفاف الوادي آثار العمران من آبار ومزارع وقبور وأساسات بالصخور.

ومن أغرب ما يشاهده المرء بقرب الجحفة، وعلى مسافة ١٠ أكيال تقريبا غرب المسجد، يشاهد آثار بناء وأطلال قصر، لا تزال قائمة، يدعى «قصر عليا» ويحوك أهل تلك الجهة حوله أخبارا تتعلق بأبي زيد الهلالي وبصلة عليا هذه به، والعرب في هذا العصر كثيرا ما ينسبون كل شيء قديم إلى قبيلة «بني هلال» كما كان المتقدمون ينسبون كل شيء قديم إلى قبيلة «عاد».

وهذا القصر مبني بحجارة الحرة السوداء وبالجص بناء محكما وهو شبه مربع، ولا تزال جدران الجهة الغربية والجهة الجنوبية قائمة سامقة الارتفاع.

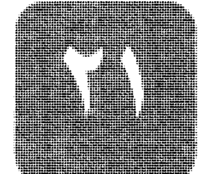
ويحيط به من داخله محاريب كثيرة باستطالة الجدارين القائمين، وهذه المحاريب ممتدة بامتداد الجدارين من الداخل، وليس فيها نوافذ.

ويظهر أن هذا معبد قديم، وهو يقع على الضفة الغربية من واد يدعى بالفايضة، يفيض في وادي الجحفة.

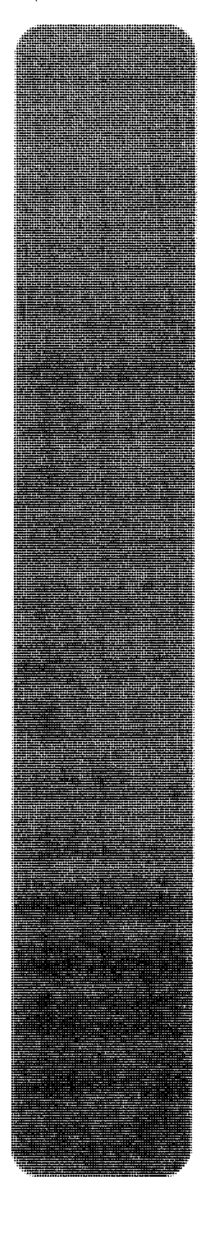
وعلى بعد ٢٠٠ خطوة تحت القصر في بطن الوادي، توجد بئر مطوية بالصخر وحولها آثار الزراعة، مما يدل على أنها كانت عامرة إلى عهد قريب، وفي فناء القصر توجد بعض الأشجار، مما يدل على أن الماء كان متصلا به.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات



محب الدين الخطيب

❑ ترجمة الشيخ.

❑ المقالات:

١- عثمان (١)

العدد (٣٨) صفر (١٣٨٨هـ) - إبريل (١٩٦٨م).

٢- عثمان (٢)

العدد (٣٩) ربيع الأول (١٣٨٨هـ) - مايو (١٩٦٨م).

٣- عثمان المفترى عليه (٣).

العدد (٤١) جمادى الأولى (١٣٨٨هـ) - يوليو (١٩٦٨م).

٤- عثمان (٤).

العدد (٤٣) رجب (١٣٨٨هـ) - سبتمبر (١٩٦٨م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

محب الدين الخطيب

● مولده ونشأته

ولد محب الدين الخطيب بدمشق عام ١٨٨٦م، وكان والده عالماً دينياً، ويدرس في أحد المساجد، كما كان يعمل أميناً لدار الكتب الظاهرية فنشأ في بيئة محافظة، وتعلم القراءة والكتابة، وحفظ كتاب الله، التحق بكليتي الحقوق والآداب معاً، وقد مد له يد العون في تحصيله العلمي، شيخه الكبير العلامة طاهر الجزائري.



سافر إلى اليمن فأنشأ فيها مدرسة وكان يتولى تدريس معظم العلوم فيها، ثم عاد إلى دمشق، ثم إلى مصر حيث عمل في جريدة المؤيد، كما عمل مترجماً ومحرراً بجريدة الأهرام المصرية فترة قصيرة، وحين أصدر مجلة الفتح جعلها منبراً للدفاع عن الإسلام والمسلمين.

أصدر رحمه الله مجلة الزهراء التي تعنى بالبحث العلمي والنقد الموضوعي للأفكار الوافدة والمقولات الباطلة.

انتقل محب الدين الخطيب في دنيا الكفاح الإسلامي ما بين دمشق، وبيروت، وتركيا والقاهرة، واليمن، ومكة المكرمة انتقال المكافح الذي يقف في مقدمة الصفوف، متعاوناً مع رجال الفكر والعلم أمثال: محمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، حسن البنا، وتقي الدين الهلالي، وغيرهم.

وقد أثرى الشيخ المكتبة الإسلامية بمؤلفات وتحقيقات وتعليقات قيمة مثل تحقيقاته وتعليقاته على كتاب «العواصم من القواصم»، وكتاب «مختصر التحفة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الإثنى عشرية» لولي الله الدهلوي، وكتاب «المنتقى» للحافظ الذهبي، وكتاب «الخطوط العريضة»، وكتاب «الرعيل الأول»، وكتاب «تقويمنا الشمسي».

● **وفاته:**

توفي عام ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م ودفن بمصر، رحم الله العلامة محب الدين الخطيب، وجزاه الله عن المسلمين والإسلام خير ما يجزي عباده الصالحين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذو النورين عثمان رضي الله عنه (١)

العدد (٣٨) صفر (١٣٨٨هـ) - إبريل (١٩٦٨م).

● نشأته

ولد عثمان بن عفان بمكة في السنة السادسة من عام الفيل، في أسرة كانت أقوى أسر قريش عصبية وجاها وثروة وعددًا ومكانة، وأبوه عفان هو ابن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي، وقصي باني مكة من حول الكعبة وحرمها، ومؤسس مجد قريش الذي قال فيه شاعرهم:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وعثمان يشترك في النسب القريب مع النبي ﷺ في عبد مناف بن قصي.

وأم عثمان هي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس بن عبدمناف ابن قصي، فهي تشترك في النسب مع النبي ﷺ في عبدمناف كذلك.

بل إن قرابة أمه من النبي ﷺ أقرب من ذلك بكثير لأنها هاشمية النسب من جهة أمها، فهي بنت البيضاء أم حكيم بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي، فأم ذي النورين بنت عمة رسول الله ﷺ، وحسبك هذا قرابة قريبة بين عثمان وبين المبعوث بأكمل رسالات الله صلوات الله وسلامه عليه.

ولأروى - أم عثمان - أخت هي سعدى بنت كريز، دخلت في الإسلام مبكرة، وكانت ترغب في أن يهدي الله ابن أختها عثمان للإسلام، وأن تسعد بأن تراه صهرًا للنبي ﷺ على بنته رقية، فتزداد أواصر القرابة وثوقا بين الفرعين الكريمين من بني عبد مناف: فرع هاشم - وفرع بني عبدشمس، وكان مما يحبب ذلك إليها أن رقية الهاشمية وعثمان العبشمي الصهر المرجو لها كانا من أجمل قريش جمالا، ومن أكملها كمالا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان عثمان مع جمال صورته كامل الأخلاق، مستجمعا لصفات الخير، فكان- مع الصدق الذي هو خلق جيله من أهل مكة- حييا حليما، كريما رحيما، لذلك كان محبوبا من قريش جميعا، من بداية نشأته الأولى، وكانت الأمهات يناغين أطفالهن في مهادهم، فيخاطبنهم بحنان:

أحـبـك والـرحـمـن حـب قـريـش عـثـمـان

ولما كان عثمان يسمع بما يدعو إليه رسول الإنسانية ﷺ من مكارم الأخلاق ومعاليها لا يجد شيئا من ذلك غريبا عليه، بل إن هذه الرسالة تدعو الناس جميعًا إلى مثل ما يشعر عثمان بأنه متحل به من الأخلاق التي جعلته محبوبا إلى قريش، حتى ضربت نساؤها الأمثال لمحبتهن فلذات أكبادهن بمحبة قريش لعثمان.

من هنا كان لعثمان في بدء ظهور الدعوة الإسلامية عواطف متجاوبة مع هذه الدعوة من أخلاقه التي فطره الله عليها، فكان ذلك مع قرابة النسب بينه وبين النبي ﷺ إلى عبدمناف بن قصي، وكون أمه أروى بنت عمة النبي ﷺ، كل ذلك كان من الأواصر والميول النفسية التي سهلت على أبي بكر الداعية الأول للرسالة المحمدية مهمته في اكتساب قلب عثمان، وجعله أحد القلوب القليلة الأولى المؤمنة بآخر رسالات السماء إلى الأرض.

هذه خلاصة نشأة عثمان، وهي نشأة فيها إعداد من الله ليكون عثمان حجرًا من الأحجار الأولى في بناء الإسلام.

- **إسلامه وإصهاره إلى النبي ﷺ**

كان عثمان- كسائر شباب أسرته- مشتغلا بالتجارة، وكان أبو بكر من أعيان تجار مكة، وكان مؤلفاً لقومه، يدعو إلى الإسلام من يثق به، وكانت له مع عثمان صلات تجارية تتخللها أحاديث عن أحداث البلد، وكان أهم أحداث البلد في ذلك الحين قيام محمد رسول الله ﷺ بالدعوة إلى رسالته العظمى للإنسانية كلها، وكانت تعقد بينهما مجالس في فناء الكعبة لهذا الغرض.

نقل الحافظ ابن حجر في «الإصابة» عن كتاب «شرف المصطفى» لأبي سعد النيسابوري، أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، الملقب بالديباج، روى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن أبيه عن جده، أن جده الأعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال: «كان لي مجلس من أبي بكر، فأتيته فأصبته في مجلسه، ولا أحد عنده، فجلست إليه فرآني متفكرًا، فسألني عن أمري- وكان رجلا رقيقًا- فأخبرته بما سمعته من خالتي، فقال لي: ويحك يا عثمان، والله إنك لرجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومك أليست حجارة صما لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع؟ قلت: بلى، والله إنها لكذلك، قال: والله لقد صدقتك خالتك، هذا محمد بن عبدالله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقلت: نعم، والله ما كان بأسرع من أن مر رسول الله ﷺ ومعه علي بن أبي طالب، يحمل ثوبا لرسول الله ﷺ، فلما رآه أبوبكر قام إليه فسارّه في أذنه، فجاء رسول الله ﷺ، فقعد، ثم أقبل علي فقال: يا عثمان، أجب الله إلى جنته، فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه، قال عثمان: فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية».

وذلك لأن خالته سعدى كانت من ورائه، ووراء رقية حريصة على إتمام هذا الزواج.

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة سعدى بنت كريز، بعد أن نقل هذا النص عن قول عثمان نفسه عن كتاب «شرف المصطفى» وكان يقال: «أحسن زوجين رآهما إنسان رقية وزوجها عثمان»، ويقول أبوالمقدام مولى عثمان: بعث النبي ﷺ مع رجل بهدية إلى عثمان، فاحتبس الرجل، أي تأخر في العودة، إلى النبي ﷺ فسأله النبي ﷺ، ما حبسك إلا كنت تنظر إلى عثمان ورقية.

وفي إسلام عثمان ومصاهرته النبي ﷺ تقول خالته سعدى:

هدى الله عثمان الصفي بقوله	فأرشده، والله يهدي إلى الحق
فتابع بالرأي السديد محمدًا	وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث إحدى بناته	فكان كبدر مازج الشمس في الأفق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي	فأنت أمين الله أرسلت في الخلق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويقول الحافظ أبو عمر بن عبدالبر في الاستيعاب: قيل إنه ولدت له رقية ابنا، فسماه عبدالله ومات، ثم ولد له عمرو فاكتفى به إلى أن مات، هذا ما عرفه التاريخ من خبر إصهار عثمان إلى رسول الله ﷺ.

● **هجرته إلى الحبشة**

بعد إسلام عثمان وإصهاره إلى النبي ﷺ اشتدت الحال على المسلمين في مكة، لأن النبي ﷺ، كان من قبل يلين في دعوة قريش إلى الإسلام، ثم اشتد في ذكر أوثانهم ومعبوداتهم، فتألبوا عليه، وائتمروا على المسلمين، وشرعوا في إيذائهم. قال ابن اسحاق، فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه، وأنه لا يقدر أن يمنعهم من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد. وكانت هجرة الحبشة عند دخول النبي ﷺ شعب عبدالمطلب، وفترة عيشه في حمى أبي طالب.

كتب أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان في زمن خلافته إلى عروة بن الزبير يسأله عن هجرة الحبشة، فكتب إليه عروة: «أما بعد، فإنه- يعني رسول الله ﷺ - لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم، وكادوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكروا ذلك عليه، واشتدوا عليه، وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه، إلا من حفظه الله منهم وهم قليل، فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله ﷺ من أهل الإسلام، فافتتن من افتتن، وعصم الله من شاء، فلما فُعِل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يُظلم أحد بأرضه، وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش، يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغًا (هنيئا) من الرزق، وأمنا، ومتجرًا حسنا، فأمرهم بها رسول الله ﷺ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال أبوجعفر الطبري: فاختلف في عدد من خرج إلى أرض الحبشة، وهاجر إليها هذه الهجرة الأولى، فقال بعضهم، كانوا في البداية أحد عشر رجلا وأربع نسوة، وهم: عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة الأموي، معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، والزبير بن العوام الأسدي، ومصعب بن عمير من بني عبدالدار سدنة الكعبة، وعبدالرحمن بن عوف الزهري، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية، وعثمان بن مظعون الجمحي، وعامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة، وأبوسبرة بن أبي رهم العامري، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وسهيل بن بيضاء من بني الحارث بن فهر، وعبدالله بن مسعود حليف بني زهرة. خرجوا من مكة حتى انتهوا إلى الشعيبة، منهم الراكب والماشي، ووفق الله للمسلمين من أهل هذه الهجرة الأولى- ساعة جاءوا الشعيبة- سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخرجهم في رجب في السنة الخامسة من حين نبئ رسول الله ﷺ ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر، حيث ركب المهاجرون، فلم يدركوا منهم أحدا، قالوا وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه.

قال الطبري: فكان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبدشمس بن عبدمناف عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ومعه امرأته رقية ابنة رسول الله ﷺ. وروى الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام عن أنس بن مالك قال: خرج عثمان برقية بنت رسول الله ﷺ إلى الحبشة فأبطأ خبرهم، فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد، قد رأيت ختنك ومعه امرأته، فقال: على أي حال رأيتهما؟ قالت: رأيته حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها، فقال رسول الله ﷺ صحبهما الله، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط.

- **بعض جوانب من أخلاقه وشخصيته وفضائله**

كانت الأخلاق الغالبة على ذي النورين عثمان السكينة والحلم والرحمة،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وطول العبادة والسخاء والكرم والعدل، وحب العافية في الدين والدنيا، للفرد وللجماعة.

روى عبدالله بن المبارك عن الزبير بن عبدالله أن جدته أخبرته- وكانت خادمًا لعثمان- قالت: كان عثمان لا يوقظ نائمًا من أهله إلا أن يجده يقظانا فيدعوه فيناوله وضوءه للصلاة.

وكان وضوءه وصلاته كأنهما وضوء النبي ﷺ وصلاته، وفي كتب السنة بيان كيف كان الناس يتعلمون وضوء النبي ﷺ من وضوء عثمان.

● **بئر رومة**

ومن أمثلة كرمه عقب هجرتهم إلى المدينة أن يهوديا كان يملك بئرًا يحتاج المسلمون إلى تناول الماء منها، فلا يمكنهم اليهودي من ماء هذه البئر- واسمها بئر رومة- إلا بالثمن الذي يجهدهم، فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين، يضرب بدلوه في دلائها، وله بها مشرب في الجنة؟ فأتى عثمان اليهودي فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها باثني عشر ألف درهم، فجعل عثمان نصف البئر للمسلمين، وقال لليهودي: إن شئت جعلت على نصيبي قرنين نستقي عليهما، وإن شئت فلي يوم ولك يوم. قال اليهودي: بل لك يوم ولي يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى اليهودي ذلك قال لعثمان: أفسدت علي ركيتي (بئرى)، فاشتر النصف الآخر، فاشتراه عثمان بثمانية آلاف درهم، وصارت البئر كلها مباحة للمسلمين في كل يوم يستقون منها مجانًا وبلا أي حرج.

ومن عجائب الأقدار في تقلبها، وعجائب الناس في مكافأتهم للمحسنين من رجالهم على إحسانهم، أن يحاصر دعاة الفتنة أمير المؤمنين عثمان فيمنعوه الشرب من ماء رومة، ومن كل ماء، فيشرف عثمان على دعاة الفتنة ويقول لهم: السلام عليكم، فما يرد عليه أحد، فقال لمن هناك من المسلمين الأولين: أنشدكم الله، هل تعلمون أني اشتريت بئر رومة من مالي وجعلت رشائي فيها كرشاء رجل من المسلمين؟ فقيل: نعم، فقال: فعلام أمنع من مائها وأفطر على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الماء المالح؟ لأنه كان صائمًا، وإذا أراد أن يفطر لا يجد إلا ماء بئر مالح في داره.

● **شراؤه الأرض لتوسعة المسجد**

ولما ازداد عدد المسلمين بعد الهجرة إلى المدينة، وضاق المسجد النبوي بالمصلين، قال رسول الله ﷺ من يزيد في مسجدنا؟ فاشترى عثمان - رضوان الله عليه - موضع خمس سوار من الأرض، فزاد في سعة المسجد ما يوسع على المسلمين.

فلما كانت الفتنة منعوه في آخر الأمر من الصلاة في المسجد، الذي زاد فيه من ماله، وهو في أقل التقدير له حق الصلاة فيه كما كان يصلي فيه على مقربة قريبة من رسول الله ﷺ، فيما بين الهجرة والوفاة النبوية، فخاطبهم معاتباً وسائلا: هل منع من الصلاة في هذ المسجد أي مسلم قبل أن يقع المنع عليه؟!

● **تجهيز جيش العسرة**

وفي غزوة تبوك، وكانت تسمى غزوة العسرة، لشدة من الحر وجدب في البلاد، وحين طابت الثمار والظلال فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها في الحر والجدب، فحض النبي ﷺ أهل الغنى على النفقة والتبرع بالركائب، لحملان المجاهدين في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا، وأنفق عثمان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم من نفقته، فقد بلغ ما جهزه عثمان بنفسه لجيش العسرة تسعمائة وخمسين بعيرًا وأتم الألف بخمسين فرسًا، ثم زاد ذلك حتى بلغ ألف بعير وسبعين فرسًا.

وليقارن المسلم ذلك بحال عثمان لما قتل، واحتيج إلى حمله للقبر الذي يوارى فيه، كيف حمل؟ وكيف واراه أهل الحق والخير بالخفاء والستر على ما لا يرضاه الله ورسوله وصالح المؤمنين.

● **في أيام خلافته**

وفي أيام خلافته فتحت الفتوح، وسارت رايات الإسلام عزيزة ظافرة في كل فج، حتى دخلت في الإسلام بلاد المسلمين التي في روسيا الآن مجتازة الدربند،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي كانوا يسمونها باب الأبواب، مما لم تبلغه دولة الأكاسرة في أقوى عصورها.

وكانت الأمة في عدل ورخاء ومحبة وتناصف. روى السدي عن السري بن يحيى عن ابن سيرين قال: كثر المال في زمن عثمان - ولم يكن المال في زمانهم إلا الفضة والذهب- حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف درهم، ونخلة بألف درهم.

وقال الحسن البصري سمعت عثمان يخطب وهو يقول: يأيها الناس، ما تنقمون علي، وما من يوم إلا وأنتم تنفقون فيه خيرًا؟

قال الحسن: وشهدت منادي عثمان ينادي: يأيها الناس اغدوا على عطيتكم، فيغدون، ويأخذونها وافية. يأيها الناس اغدوا على أرزاقكم، فيغدون، فيأخذونها وافية، حتى والله سمعته أذناي يقول: اغدوا على كسوتكم، فيأخذون الحلل، واغدوا على السمن والعسل. قال الحسن: أرزاق دارة، وخير كثير، وذات بين حسن. وما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنًا الا يوده، وينصره، ويألفه، فلو صبر الأنصار على الأثرة - أي كما أوصاهم النبي ﷺ - لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق، ولكنهم لم يصبروا، وسلوا السيف مع من سل، فصار عن الكفار مغمداً، وعلى المسلمين مسلولاً!

● **لماذا ولّى أقاربه**

روى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه، ولعله يشير إلى تولية عثمان أقاربه من بني أمية، وهم كانوا أهل كفاءة وبراعة في صناعة الحكم، حتى إن رسول الله ﷺ كان أول من ولى هذه الأسرة الأحكام، وبولايتهم كان الخير والرزق والسعة والعدل، وسائر ما وصف به الحسن البصري المجتمع الإسلامي أيام خلافة عثمان، فرجال عثمان كانوا بين فاتح ظاهر لا نظير له، وبين حاكم حليم عادل لا مثيل له.

وبعد وقعة الجمل لما ولّى علي عبدالله بن عباس على البصرة غضب الأشتر وقال: فلان على البصرة، وفلان على اليمن، وفلان على الحجاز، ففيم قتلنا الشيخ إذن؟ ويعني بالشيخ ذا النورين، يشكو من ولاية علي أقاربه، وغضب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وركب فرسه وتوجه إلى الكوفة، فترك علي أعماله، ولحق بالأشتر مسرعا لئلا يثير عليه فتنة كالتي أثارها على عثمان.

إن إدارة عثمان العادلة، وطريقته الرحيمة في الحكم، وتوسعه الباهر في الجهاد والفتوح، وإدخال الأمم في دين الله أفواجًا، قد جعل مدة خلافة عثمان لا يكاد يكون لها نظير في إذاعة الإسلام وإشاعته، وهذا هو اللائق بعثمان، وما كان يرجوه له ويدعو له به خاتم رسل الله ﷺ الذي كان يعلم بوحي من الله أن عثمان سيكون من أهل الشهادة والجنة.

روى الترمذي من طريق الحارث بن عبدالرحمن أحد كرام التابعين، عن طلحة ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي رفيق، ورفيقي في الجنة عثمان».

وفي كتاب فضائل الصحابة من صحيح الإمام مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال في عثمان: «ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة؟»

وقال النزال بن سبرة: قلنا لعلي حدثنا عن عثمان، قال: ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى «ذا النورين».

وقيل للمهلب بن أبي صفرة، لم قيل لعثمان «ذا النورين؟»، فقال: لأنه لم يعلم أن أحدا أرسل سترا على ابنتي نبي غيره.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: سألت ربي ألا يدخل النار أحدا صاهر إلي أو صاهرت إليه.

وفي صحيح البخاري عن نافع عن عبدالله بن عمر بن الخطاب قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم.

وقال عبدالله بن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة، بايعنا خيرنا ولم نأل.

ووصفه علي بن أبي طالب بعد انقضاء أجله فقال: كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين.

وقال علي في عثمان بعد انتهاء الفتنة: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإيمان، والله ما أعنت على قتله، ولا أمرت ولا رضيت. ويؤيد قول علي في ذلك فعله طول مدة الفتنة، فقد جعل ابنيه - الحسن والحسين - في حراسة عثمان، وأمرهما أن يطيعاه في الدفاع عنه، وأن يكونا عونا له في كل ما يطلب ويرغب مما يستطيعانه، ولما كان اليوم الأخير - يوم الشهادة لعثمان - كان الحسن بن علي أحد الجرحى في الدفاع عنه.

وروى موسى بن طلحة قال: أتينا عائشة رضي الله عنها نسألها عن عثمان، فقالت: اجلسوا أحدثكم عما جئتم له، إنا عتبنا على عثمان رضي الله عنه في ثلاث خصال- ولم تذكرهن- فعمدوا إليه، حتى إذا ماصوه كما يماص الثوب بالصابون، اقتحموا عليه الحرم الثلاث، حرمة البلد الحرام، وحرمة الشهر الحرام، وحرمة الخلافة، ولقد قتلوه وإنه لمن أوصلهم للرحم، وأتقاهم لربه رضي الله عنه في الخالدين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذو النورين عثمان رضي الله عنه (٢)

كيف تولى الخلافة؟

العدد (٣٩) ربيع الأول (١٣٨٨هـ) - مايو (١٩٦٨م)

في حديث عمرو بن ميمون من صحيح البخاري (رقم ٣٧٠٠) أنه لما طعن أمير المؤمنين عمر قال له الناس: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: فسمى عليا وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء- كهيئة التعزية له- فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، زاد المدائني، وما أظن أن يلي هذا الأمر إلا علي أو عثمان، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي علي فستختلف عليه الناس، ثم ذكر وصيته للخليفة من بعده، وآخرها: وصيته بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، ووصيته بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفوا إلا طاقتهم.

قال عمرو بن ميمون: فلما قبض (رضوان الله وسلامه عليه) خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فلما بلغ موكب الجنازة منزل عائشة سلم عبدالله بن عمر وقال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت عائشة: أدخلوه فأدخل، فوضع هناك مع صاحبيه (رسول الله ﷺ وأبي بكر رضوان الله عليه).

فلما فُرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبدالرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة: جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: جعلت أمري إلى عبدالرحمن بن عوف.

فقال عبدالرحمن بن عوف - يخاطب عثمان وعليا - أيكما تبرأ من هذا الأمر

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فنجعله إليه (أي نجعل إليه اختيار الخليفة) والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلي؟ (أي أنه يتبرأ من أن يكون هو الخليفة، ويقوم باختيار من يتولاها) والله علي ألا آلو عن أفضلكم، قال: (أي قال عثمان عن نفسه وعن طلحة، وقال علي عن نفسه وعن الزبير) نعم (أي وافقا وصاحباهما على أن يتولى الاختيار عبدالرحمن بن عوف بعد أن تنازل عن أي حق له في الولاية)، فأخذ عبدالرحمن بيد أحدهما (وهو علي) فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ ثم خلا بالآخر (وهو عثمان) فقال مثل ذلك، زاد المدائني أن سعد بن أبي وقاص أشار عليه بعثمان، وأن عبدالرحمن دار تلك الليالي كلها على الصحابة، ومن وافى المدينة من أشراف الناس، لا يخلو برجل إلا أمره بعثمان، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك ياعثمان، فبايعه، فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه.

هذه وثيقة تاريخية عن شاهد عيان وهو عمرو بن ميمون حفظها لنا أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه، عن أشياخه وهم من خيرة الرواة وأصدقهم، وليس في أخبار التاريخ خبر يضارع هذا الخبر في صحته وصدقه.

● خطبة عثمان بعد ولايته الخلافة

روى الطبري في تاريخه عن سيف عن بدر بن الخليل عثمان عن عمه قال: لما بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ وقال: «إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، صبحتم أو مسيتم».

«ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور». «اعتبروا بمن مضى، ولا تغفلوا، فإنه لا يُغفل عنكم».

«أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها، وعمروها، ومتعوا بها طويلاً؟ ألم تلفظهم؟».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلا، والذي هو خير، فقال ﷻ ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾ (الكهف: ٥٤-٦٤).

فلما انتهى الخليفة الثالث من خطبته، أقبل الناس يبايعونه البيعة العامة بعد بيعة أهل الشورى الذين اختارهم عمر الفاروق من صفوة الصحابة الذين توفي النبيﷺ وهو عنهم راضٍ.

- **وقفة بين يدي خطبة الخلافة**

كأني بالخليفة الراشد عثمان عندما تمت له البيعة في المسجد النبوي، وقام يخطو نحو منبر رسول الله ﷺ ليناجي الأمة فيما ينبغي لها وهي تستقبل عهداً جديداً، أنه كان يتمثل حال الإسلام وأهله في زمن حامل رسالته ﷺ وصاحبيه الكريمين، وأنهم كانوا في الجيل المثالي الذي لم تر الإنسانية نظيراً له في جميع الدهور قبله، ويخشى ألا يأتي نظير له في الدهور المنتظرة بعده، فنظر بنور الله نظرة ثاقبة إلى ما يتوقعه بعد الفتوح الواسعة التي بشر بها النبي ﷺ، وأنه صلوات الله عليه ما كان يخشى الفقر على أمته في المستقبل القريب، وإنما كان يخشى عليهم اتساع الدنيا بين أيديهم، وانشغالهم بها عما كان فيه الناس إلى يوم الناس هذا، من إيثار الآخرة على كل ما يخالف طريقها، فكان عثمان وهو يرقى درجات المنبر النبوي يعالج في ذهنه هذا المعنى العظيم، الذي أراد أن يلفت إليه أنظار إخوانه الذين ولاه الله أمرهم، وكان يرى أنه خير ما ينصح به لأمته ويناجيها به، فضرب لهم من كتاب الله مثل الدنيا والآخرة، وأن زينة الدنيا قصيرة زائلة كالنبات ينمو بماء السماء حقبة قصيرة، ثم يعود هشيما تذروه الرياح، وخير من هذه الزينة القصيرة الأمد الزائلة سريعاً أن نتعاون جميعا على إيثار الأعمال الصالحة الباقية، كالذي كنا عليه في العهد النبوي وامتداده في خلافتي الصديق والفاروق رضوان الله عليهما.

هذا ما نصح به الخليفة الجديد للأمة التي ولاه الله أمرها، وقد بقي عثمان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كما كان أسبق الناس إلى السخاء بماله في مرضاة الله للخاصة والعامة، وما تعارضت مصلحة الدنيا ومصلحة الآخرة في مدة خلافته إلا كان مؤثرا مصلحة الآخرة على مصلحة الدنيا إلى أن نال سعادة الشهادة، رحمة الله ورضوانه وسلامه عليه في الأولين والآخرين.

● موقف عثمان من عبيدالله بن عمر في حادث مقتل الهرمزان

روى الطبري في تاريخه (٥-٢٤) عن التابعي الجليل سعيد بن المسيب أن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قال عند وقوع شهادة أمير المؤمنين عمر: «مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس ومعه جفينة النصراني من أهل الحيرة والهرمزان، وهم يتناجون فلما فاجأتهم ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل عمر؟ وخرج في طلب القاتل رجل من بني تميم، فرجع إليهم التميمي، وقد كان ألظ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه، وجاء بالخنجر الذي وصف عبدالرحمن بن أبي بكر، فسمع بذلك عبيدالله بن عمر، فانتظر حتى مات أبوه، فاشتمل على السيف وأتى الهرمزان فقتله».

فلما تولى عثمان بعد البيعة له كان في أوائل ما اهتم به مقتل الهرمزان بسيف عبدالله بن عمر، وعند الطبري في ذلك روايتان: (إحداهما- في ٥-٣١-٤١) أن عثمان عرض على القماذبان بن الهرمزان أن يثأر لأبيه من قاتله وهو عبيد الله فأعلن أنه تركه لله وللمسلمين.

والرواية الثانية (في ٥-١٤) أن عثمان جلس في جانب المسجد، ودعا عبيد الله وكان محبوسا في دار سعد بن أبي وقاص- وهو الذي نزع السيف من يد عبيد الله - فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار، أشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق، فقال علي: أرى أن تقتله، وقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس، ويقتل ابنه اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث (أي مقتل الهرمزان) كان ولك على المسلمين سلطان، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليهم، وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● موقف عثمان من أبي ذر الغفاري وإقامته في الربذة

سنة الإسلام في اقتناء المال والتصرف فيه ما برحت قائمة- في حياة النبي ﷺ وخلافة خلفائه الراشدين، وفي مذاهب الأئمة المتبوعين - على أساس الإباحة لكل مسلم أن يقتني المال من حله، بلا تحديد مقدار له، ثم أن يضعه في مواضعه التي أباحها الإسلام لأهله، وأن يخرج زكاته بالنظام الشرعي الذي استقر منذ بدء الإسلام، وقد حث الإسلام كل مسلم على السخاء في الإنفاق في سبيل الله وفي مرضاة الله، وفي سعادة المجتمع.

ولاشك أن المال في نظام الإسلام وسيلة لسد حاجات الفرد والجماعة، فهو في حكم الأمانة لله، تحت يد من ساقه الله إليه، يتصرف فيه بالمعروف، ومن الخطأ اعتبار جمعه غاية مقصودة لذاتها، فإذا تصرف فيه المسلم باعتدال، متوخياً سد حاجاته الذاتية وحاجات ذوي قرباه، وأداء ما عليه من الحقوق الخاصة والعامة، ولم يمسك يده عن البذل في مرضاة الله، فإن الإسلام لا يمنعه من أن يكون في أمانته، وتحت تصرفه أي مقدار من المال، من غير تحديد.

هكذا عاش أغنياء الصحابة وفي طليعتهم أمير المؤمنين عثمان، وأخوه عبدالرحمن بن عوف، وقبلهما الصديق الأعظم أبو بكر، وسائر تجار الصحابة من أصحاب الألوف إلى أصحاب الملايين، وهكذا عاش الأغنياء بعدهم من أئمة الدين كالليث بن سعد وأضرابه، وعبدالله بن المبارك وأضرابه، وهم في ذلك من صالحي المؤمنين، حتى لقد جرت المناظرات، وقدمت فيها الأدلة والبراهين، في أي المسلمين أحب وأقرب إلى الله وأكثر مثوبة عنده، الغني الشاكر، أم الفقير الصابر.

على هذا مضى المسلمون في صدر الإسلام إلى أن كان زمن خلافة أمير المؤمنين عثمان فخالف هؤلاء جميعا صاحبُ رسول الله ﷺ أبوذر الغفاري فرأى أن المسلم لا يجوز له أن يبيت وعنده دينار واحد زائد عن قوت يومه، وكان يرى اقتناء المسلم لأكثر من حاجته اليومية يجعله من الذين قال الله فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٤٣).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن أبا ذر كان صادق اللهجة في كل ما يقوله بشهادة النبيﷺ له، ولكن مذهبه في اقتناء المال، ولو كان من حله، لا يوافق ما قام عليه نظام الإسلام في المال، ولو عمل المسلمون كلهم بمذهب أبي ذر لكان معنى ذلك إبطال فريضة الزكاة، ولتعطل كثير من مصالح الدولة والملة ولأقفلت أبواب المعونة العامة، والخير الشامل، وأن جميع صحابة رسول الله ﷺ ولاسيما عالمهم عبدالله بن عمر بن الخطاب كانوا يعلنون أن «ما أديت زكاته فليس بكنز».

● **أبوذر وابن سبأ**

نقل الطبري (٥-٦٦) وأكثر المصادر الإسلامية أن اليهودي ابن السوداء عبدالله بن سبأ ورد الشام فلقي أبا ذر فقال له: يا أبا ذر، ألا تعجب إلى معاوية يقول «المال مال الله، ألا إن كل شيء لله» كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين، فأتى أبوذر معاوية فقال: ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين «مال الله»؟ قال معاوية: يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره؟ قال أبو ذر: فلا تقله، قال معاوية: فإني لا أقول أنه ليس لله، ولكن سأقول «مال المسلمين»، وأتى ابن السوداء الصحابيَّ الجليل فقيه أهل الشام أبا الدرداء فقال له: ما قال لأبي ذر، فأجابه أبوالدرداء: من أنت؟ أظنك والله يهودياً، وأتى ابن سبأ الصحابي المجاهد عبادة بن الصامت فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر.

قال القاضي أبوبكر بن العربي: ووقع بين أبي ذر ومعاوية كلام، وكان أبوذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله في زمان عمر، فأعلم معاوية بذلك عثمان، وخشي من العامة أن تثور منهم فتنة، فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم، وإنما هي مخصوصة ببعضهم، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم المدينة، فلما قدم اجتمع إليه الناس، فقال أبوذر لعثمان: أريد الربذة، فقال له عثمان: افعل، فاعتزل، قال قاضي الأندلس أبوبكر بن العربي: ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته.

«والربذة» ضاحية من ضواحي المدينة تبعد عنها ثلاثة أميال، وتتوفر فيها راحة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السكن والعزلة، وأبوذر نفسه هو الذي اختار الإقامة فيها، كما روى المؤرخ الكبير ابن خلدون في بقية الجزء الثاني من تاريخه (ص ٩٣١) قال: إن أبا ذر استأذن عثمان في الخروج من المدينة، وقال «إن رسول الله ﷺ أمرني أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا» فأذن له عثمان ونزل الربذة وبنى فيها مسجداً، وأقطعه عثمان صرمة من الإبل، وأجرى عليه رزقا وكان يتعاهد المدينة بين حين وآخر، قال ياقوت في معجم البلدان، وكانت الربذة من أحسن منزل في طريق مكة.

والذي تحصل عندي من تتبع نصوص الشريعة في أمر المال، ومراقبتي لتطبيق هذه النصوص في سيرة السلف وعملهم بها، أن المسلم بعد أداء زكاة المال يكون في امتحان من الله كيف يحسن التصرف في ماله بما يرضي الله ويزيد المسلمين قوة وسعادة وعزاً، فإن كان تاجراً فمن طريق التجارة، أو مزارعاً فمن طريق الزراعة، أو صاحب مصنع فمن طريق الصناعة، والإسلام في دور قيامه استفاد من ثروة أغنياء الصحابة عونا ويسرا وقوة، وتجارة التاجر المسلم إذا أغنت المسلمين عن متاجر أعدائهم تعتبر قوة لهم، بقدر ما يصدق صاحبها في هذه النية، وكذلك مصنع الصانع المسلم، وزراعة الزارع المسلم، والنية في هذه الأمور أمرها عظيم، وميزانها العمل عندما تمس الحاجة إليه.

وبالجملة فإن للمسلم أن يكون غنيا بلا تحديد، بشرط أن يكون ذلك من حله، وأن يكتفي منه بالصرف على ما يكفيه بالمعروف، محاولا دائما أن يحرر نفسه من العبودية والانقياد للكماليات، فضلا عن توافه الحضارة وسفاسفها، وبعد أن يؤدي زكاة ما يملك يعتبر ما زاد عن حاجته كالأمانة لله تحت يده، فيتصرف فيها بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسراً وعزا وسعادة.

أما طريقة أبي ذر في أن لا يبيت المسلم وعنده مال، فليست من مصلحة المسلمين، وطريقة بعض أغنياء المسلمين الآن، في أن يعيشوا لأنفسهم ومتعهم غير مبالين بعزة الإسلام وقوة دولته وحاجة أهله، ليست من الإسلام، والإسلام لا يعرف الذين لا يعرفونه، ولي في ذلك مقالة في صدر جزء شوال سنة ١٣٧٤هـ من مجلة الأزهر، لعل فيها ما يزيد هذا الموضوع بسطة ووضوحاً.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عثمان المفترى عليه (٣)

العدد (٤١) جمادى الأولى (١٣٨٨هـ) - يوليو (١٩٦٨م).

١- رد اعتبار الحَكم بن أبي العاص

من المؤاخذات التي يذكرها المتحاملون على عثمان ﵁ زعمهم أن النبي ﷺ نفى الحكم بن أبي العاص من المدينة، وأن عثمان أعاده.

وقد تناول هذه المسألة بالتحقيق أعلام المسلمين، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العظيم «منهاج السنة» في الجزء الثالث ص ٦٩١، وقبله قاضي الأندلس الإمام أبوبكر بن العربي في «العواصم من القواصم» ص ٧٧، والإمام أبومحمد ابن حزم في كتاب «الإمامة والمفاضلة» المدرج في الجزء الرابع من كتابه «الفصل في الملل والنحل»، ومجتهد الزيدية السيد محمد بن إبراهيم الوزير اليمني في كتابه «الروض الباسم»، بل من هم أبعد الناس عن محاباة أمير المؤمنين عثمان ومنهم الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلي المتشيع في كتابه «سرح العيون».

وخلاصة ما دارت عليه أقوال هؤلاء الأعلام:

١- أن نفي إنسان من بلد إلى بلد يكون بتغريبه عن بلده إلى بلد آخر، والحكم بن أبي العاص كان وطنه مكة ولم ينف منها إلى غيرها، ولم نعرف أن الحكم هاجر إلى المدينة حتى يطرد منها.

٢- قول شيخ الإسلام ابن تيمية أن قصة طرد الحكم ليس لها إسناد نعرف به صحتها .

٣- قوله: إن كثيرا من أهل العلم طعن في نفي الحكم وقالوا هو ذهب باختياره، أي إنه اختار الإقامة في بلده.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤- إذا كان النبي ﷺ قد عزر رجلًا بالنفي، وهو ما لم يثبت في قصة الحكم، لم يلزم أن يبقى نفيا دائما، قال ابن تيمية: بل غاية النفي المقدر سنة، والتوبة مبسوطة، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام، وصارت الأرض كلها مباحة له، كما قال الإمام ابن حزم.

٥- قال القاضي ابن العربي: قال علماؤنا: قد كان اذن له فيه رسول الله ﷺ، وقال- أي عثمان- لأبي بكر وعمر فقالا له: إن كان معك شهيد رددناه، فلما ولي قضى بعلمه في رده.

وإذن النبي ﷺ وسلم لعثمان رواه أيضا الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلي المتشيع، قال ابن الوزير: والمعتزلة من الشيعة والزيدية يلزمهم قبول هذا الحديث لأن راوي الحديث عندهم من المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة.

٦- كان عثمان شفع في عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فقبل ﷺ شفاعته فيه وبايعه، فكيف لا يقبل شفاعته في الحكم؟ وقد رووا أن عثمان سأله أن يرده فأذن له في ذلك.

٧- أن قصة عبدالله بن سعد بن أبي سرح معروفة بالإسناد، وأما قصة الحكم فقد ذكرت مرسلة، وذكرها مؤرخون يكثر منهم الكذب فيما يروونه.

٢- إعطاء عثمان خمس الخمس لابن أبي سرح

ومن المؤاخذات التي يذكرها المتحاملون على عثمان إعطاؤه خمس الخمس لعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وقصة ذلك، على ما في تاريخ الطبري (٥١٩٤)، أن عثمان لما أمر ابن ابي سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له: «إن فتح الله عليك غدا إفريقية فلك ما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة فضلًا»، فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر، وأوغلوا في أرض إفريقية، وفتحوها سهلها وجبلها، وقسم عبدالله على الجند ما أفاء الله عليهم، وأخذ خمس الخمس، وأرسل بأربعة أخماس الخمس إلى عثمان مع ابن وثيمة النصري، فشكا وفد ممن كان معه إلى عثمان ما أخذه عبدالله بن سعد فقال لهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عثمان: أنا أمرت له بذلك، فإن سخطتم فهو رد، قالوا: إنا نسخطه، فأمر عثمان عبدالله بن سعد بأن يرده، فرده، ورجع عبدالله بن سعد إلى مصر، وقد فتح إفريقية.

وقد ثبت في السنة تنفيل أهل الغناء والبأس في الجهاد، كما فعل النبيﷺ في مكافأة سلمة بن الأكوع في إغارة عبدالرحمن الفزاري على سرح النبيﷺ، (انظر المنتقى في أحاديث الأحكام، للمجد ابن تيمية ٤١٣٤، وفي غزوات أخرى ٩١٣٤، ٠٢٣٤، ١٢٣٤). قال القاضي أبوبكر بن العربي: على أنه قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده وإن أعطاه لواحد جاز.

● **من هو ابن سعد؟**

وعبدالله بن سعد بن أبي سرح صحابي من بني عامر بن لؤي من قريش، كان أخا عثمان من الرضاعة استجار له عثمان يوم فتح مكة فأجاره النبيﷺ، وحسن إسلامه، وكان من عظماء المجاهدين الفاتحين، ولما أراد الله إدخال مصر في الأسرة الإسلامية كان ابن أبي سرح في طليعة الصحابة الذين أكرمهم الله بهذا الجهاد، فكان صاحب الميمنة في الحرب تحت لواء عمرو بن العاص، وكانت له مواقف محمودة في الفتوح، وبعد أن استتب الأمر لأصحاب رسول اللهﷺ في وادي النيل اختط ابن أبي سرح لنفسه خطة في بقعة الجهاد المباركة حول الفسطاط الذي قام عليه أول مسجد للإسلام في مصر.

وروى البرقي في تاريخه عن الليث بن سعد أنه قال: «كان ابن أبي سرح على الصعيد زمن عمر، ثم ضم إليه عثمان مصر كلها، وكان محمودًا في ولايته». وهذه الحقيقة التي يقررها الليث بن سعد إمام مصر عن إمارة ابن أبي سرح على مصر سنة ٥٢هـ كان مقدمة لقيام هذا الإداري العادل بقيادة الجيوش سنة ٧٢هـ لافتتاح إفريقية، وكان ذلك من أعظم الفتوح، بلغ منه سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وكان العبادلة على جلالتهم تحت قيادة ابن ابي سرح في هذا الجهاد، ثم واصل هذا القائد جهاده سنة ١٣هـ في غزاة الأساود، وفي سنة ٤٣هـ في ذات السواري،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلما وقعت الفتنة في المدينة كتب ابن أبي سرح إلى عثمان يستأذنه في القدوم إلى المدينة من طريق العريش والعقبة، واستخلف على مصر السائب بن هشام بن عمير، فتغلب على مصر محمد بن أبي حذيفة الذي منع ابن أبي سرح من دخول مصر، فمضى إلى فلسطين واختار الإقامة بين عسقلان والرملة واعتزل الناس إلى سنة ٧٥هـ، وفي صبح يوم من الأيام وهو بالرملة قال: اللهم اجعل آخر عملي الصبح، فتوضأ ثم صلى، فسلم عن يمينه، ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه يرحمه الله.

٣- الكتاب المزور على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه

تحدثنا من قبل عن قصة الكتاب الذي زعم من زعم أن أمير المؤمنين كتبه إلى عامله على مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح بأن يقتل محمدًا بن أبي بكر، وأن ينكل بمن معه من الثائرين على عثمان.

وذكرنا من أدلة تزوير هذا الكتاب، وأنه لم يصدر عن عثمان ولا عن كاتبه مروان، أن عثمان ومروان كانا يعلمان أن ابن أبي سرح لم يكن وقتئذ موجودًا في مصر، لأنه كتب من قبل إلى الخليفة يستأذنه في المجيء إلى المدينة وأنه فارق مصر، وتغلب عليها محمد بن أبي حذيفة رئيس البغاة وعميدهم في الفسطاط.

وذكرنا أن زعيمي ثوار العراق الأشتر النخعي وحكيم بن جبلة تخلفا في المدينة ولم يخرجا منها عند خروج جماعتهما من البغاة عائدين من المدينة إلى أوطانهم في المرة الأولى، مقتنعين بأجوبة أمير المؤمنين عثمان على الشبه التي وجهوها إليه، فكان من مصلحة مدبري الثورة أن يبتكروا وسيلة لإعادتهم إلى المدينة، ليجددوا الفتنة، وكان هذا الكتاب المزور هو الوسيلة المبتكرة لذلك، وذكرنا شواهد على تعدد الكتب المزورة بأيدي رؤساء البغاة.

فتزوير الكتب في مأساة البغي على أمير المؤمنين عثمان كان من أسلحة البغاة عليه، وهم حين قدومهم إلى المدينة في بداية الأمر، كانوا قد زعموا أنهم تلقوا من علي وطلحة والزبير رسائل يدعونهم فيها إلى الثورة على عثمان، بدعوى أنه غيَّر سنة الله، فالأشتر النخعي وحكيم بن جبلة وأمثالهم من منظمي الثورة والدعاة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إليها، هم الذين تكرر منهم تزوير الرسائل من قبل ومن بعد لتحقيق غرضهم السيئ المبيت.

وأعجب العجب في أمر الكتاب المزور على عثمان، وادعاء أنه كتبه إلى أميره على مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح الذي لم يكن حينئذ موجودًا في مصر، أعجب العجب في ذلك أن قوافل الثوار العراقيين التي كانت متباعدة في الشرق، عن قوافل الثوار المصريين في الغرب عادتا إلى المدينة معا في آن واحد، مع أن الكتاب المزور موجه إلى طائفة واحدة منهما وهي قافلة المصريين.

فمسرحية الكتاب المزور مثلت في الطريق الغربي الذي كان المصريون فيه وحدهم وكان الراكب المستأجر لحمل هذا الكتاب يتعرض لقافلة المصريين ثم يفارقها مبتعدًا عنها، ويكرر ذلك المرة بعد المرة ليثير شبهتهم فيه، وكان المفروض لو كان صادقا وغير ممثل لمسرحية تلقنها أن يختفي عن عيون أهل القافلة، ولا يشعرهم بوجوده، لكنه لما تراءى لهم المرة بعد المرة، قالوا له: مالك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم، فصدقوا ما أريد لهم أن يصدقوه ولم يعلموا أن الكتاب من تزوير الأشتر وحكيم بن جبلة، اللذين لم يسافرا مع جماعتهما إلى بلديهما، بل تخلفا في المدينة (الطبري ٥/ ١٢٠)، ولم يكن لهما أي عمل يتخلفان في المدينة لأجله، إلا مثل هذه الخطط والتدابير التي لا يفكران يومئذ في غيرها.

فلما عادت قوافل الفريقين- العراقيين والمصريين- إلى المدينة وصلتا إليها معا كأنما كانوا على ميعاد، ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين، استأجروا راكبا آخر خرج من المدينة قاصدًا قوافل العراقيين شرقا، ليخبرهم بأن المصريين اكتشفوا كتابًا بعث به عثمان إلى عبدالله بن سعد بن أبي سرح في مصر بقتل محمد بن أبي بكر (الطبري ٥/ ١٠٥).

فقال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وصولهم جميعًا في آن واحد: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتم مراحل، ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة، (يشير كرم الله وجهه إلى تخلف الأشتر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحكيم في المدينة، وأنهما هما اللذان دبرا هذه المسرحية).

فأجابه الثوار العراقيون بلسان رؤسائهم: فضعوه على ما شئتم.. لا حاجة لنا إلى هذا الرجل، ليعتزلنا.

وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة وأن الغرض الأول والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان، وسفك دمه الذي عصمه الله بشريعة رسول الله ﷺ.

٤- محاباة الأقارب وتوليتهم

ومن مؤاخذاتهم على عثمان أنه حابى أقاربه، وكان يوليهم الإدارة في البلاد، والقيادة للجيوش، وعثمان لم يول أقاربه محاباة لهم، بل لكفاءتهم في صناعة الحكم، وتفوقهم في قيادة الجيوش، ونجاحهم في انتصاراتهم التي لا يكاد يكون لها نظير.

وليس عثمان أول من ولى رجالات بني أمية الإدارة والقيادة، بل إن النبي ﷺ كان أسبق في إسناد الولايات إليهم، فقد استعمل عتاب بن أسيد الأموي على مكة كبرى مدن الوطن الإسلامي في الصدر الأول، وولى أبا سفيان بن حرب على نجران، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص، واستعمل غيرهم، وكذلك فعل أبوبكر في خلافته، ثم عمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة: والنقل عن النبي ﷺ في استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه، بل متواتر عن أهل العلم، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بني أمية بالنص الثابت عند كل عاقل في منتهى الظهور.

واذا كان عثمان قد ولى أقاربه لكفاءتهم وتفوقهم، فإن عليا ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه كعبدالله بن عباس، وعبيدالله بن عباس، وحكم بن عباس، وثمامة ابن عباس، وولى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره وتزوج أمه بعد وفاة الصديق الأعظم.

قال ابن تيمية: والذين ينكرون ما ينكرون من ذلك على عثمان في ولاية أقاربه من بني أمية فإن عليا كان في ذلك أبلغ من عثمان، وإذا ادعي لعلي العصمة مما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقطع عنه ألسنة الطاعنين، فإن ما يدعى لعثمان من الاجتهاد، والذي يقطع ألسنة الطاعنين، أقرب إلى المعقول والمنقول. (انظر منهاج السنة ٣/ ٣٧١ - ٤٧١).

٥- لين عثمان وبعض مظاهره

اللين والشدة من الصفات النسبية التي لا يمكن تحديدها في مختلف الأحوال، وقد يكون الحاكم ليّنا في نفسه، وفي معاملته لأفراد الناس، ولا يكون كذلك في حكمه وتصريفه لأمور الدولة.

وكان أبوبكر موصوفا باللين، لكنه كان يولي الشديد، ويستعين به ليعتدل بذلك أمره، ويخلط الشدة باللين، لأن مجرد اللين يفسد، ومجرد الشدة تفسد، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مناهج السنة ومختصره المنتقى للذهبي (ص ٣٦٢) قال: ولهذا كان أبو بكر يستعين باستشارة عمر، وباستنابة خالد، وهذا من كماله الذي صار به خليفة رسول الله ﷺ، ولهذا اشتد في قتال أهل الردة، وبرز بشدته في ذلك على شدة عمر.

وعمر كان شديدًا في نفسه، فكان من كماله استعانته بأهل اللين ليعتدل أمره، فكان يستعين بأبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة الثقفي، والنعمان بن مقرن، وسعيد بن عامر، وأمثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد الذين هم أعظم زهدًا وعبادة من مثل خالد بن الوليد.

وعثمان كان يقتدي في لينه بسلوك أبي بكر في لينه، فيستعين لكل أمر بأكفائه، ويحل المشكلات المالية بالتضحية لحلها من ماله الخاص، لذلك كان المجتمع في مدة خلافته الطويلة أسعد مجتمع نعرفه، كما وصفه الحسن البصري ومحمد بن سيرين فيما نقلناه عنهما من قبل.

وبلين عثمان الشخصي الممزوج بوجوه الشدة التي كان يستعين بها وبأهلها كانت جيوشه تضرب في أنحاء الأرض فاتحة ظافرة ناشرة كلمة الله في كل مكان.

وقد يذهب ذاهب إلى أن لين عثمان كان أعظم مظاهره موقفه من دعاة الفتنة لما أحاطوا به في المدينة لينزعوا عنه القميص الذي ألبسه الله إياه بإجماع الأمة خاصتها وعامتها، وما كان هذا من لينه، بل ليقينه أنه مقبل على لقاء الله شهيدًا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شهادة كان موعودًا بها من النبي ﷺ في أكثر من مرة.

لكن قد يكون من لينه أنه لم يقمع أسبابها الأولى، وهي تتكون خارج المدينة من دعاة الفتن متسلطًا عليهم إبليس اليهود عبدالله بن سبأ، ولعله تهاون في مطاردتهم وقمعهم، وهم لا يزالون في بداية التآمر والتدبير، لاعتقاده أن دعوتهم لن تستشري في حكم صالح، ذاق الناس فيه حلاوة العدل والإحسان، فهو يقول في نفسه: إني تجنبت فساد الشدة والاستعلاء على الناس، ومهدت لهم من أسباب السعادة ما استطعت، فما أظن أن اللين الذي عندي وهو من فطرة الله يبلغ بهم حد الفساد، بكفر النعمة والغفلة عما هم فيه من عز الفتوح، والاغتباط، بانتشار الإسلام، والتمتع بثمرات ذلك في الدنيا والدين.

ومما لاشك فيه أن من مظاهر اللين الذي فطر عليه عثمان إصغاؤه إلى شكاوى الشاكين من ولاته، ولو بغير حق، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب الزهد لعبدالله بن المبارك ان عثمان كان لين العريكة، كثير الإحسان والحلم، فكان إذا شكا له بعض الحجاج واليا لهم أن يستبدله فيرضيهم.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوليـد بن عقبـة

وولايته الكوفـة لأميـر المؤمنيـن عثـمان (٤)

العدد (٤٣) رجب (١٣٨٨هـ) - سبتمبر (١٩٦٨م).

قد يظن من لا يعرف صدر هذه الأمة وسر الله فيما كان فيه من أمجاد وتوفيق، أن أمير المؤمنين عثمان جاء بالوليد بن عقبة من عرض الطريق فولاه الكوفة محاباة له لأنه أخوه لأمه، أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأنس بأحوال ذلك العصر ومفاخره وفضائل أهله، فيعلمون أن الوليد بن عقبة قبل أن يكون أخاً لعثمان من أمه فإنه كان ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه.

وما كان عثمان أول من ولّى الوليد شيئاً من أمر الدولة في خلافته، بل إن دولة الإسلام الأولى في خلافة أبي بكر رضوان الله عليه هي التي تلقفت هذا الشاب القرشي الماضي العزيمة، الرضي الخلق، الصادق الإيمان، فاستعملت مواهبه في سبيل الله إلى أن توفي أبو بكر، وأول عمل له في خلافة الصديق أنه كان موضع السر في الرسائل الحربية التي دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد في وقعة المذار مع الفرس سنة ١٢ (الطبري ٤- ٧) ثم وجهه أبو بكر مدداً إلى قائده عياض بن غنم الفهري (الطبري ٤- ٢٢) وفي سنة ١٣ كان الوليد يلي لأبي بكر صدقات قضاعة ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص في الحرمة والثقة والكرامة، فكتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد، فسار ابن العاص بلواء الإسلام نحو فلسطين، وسار الوليد بن عقبة قائداً إلى شرق الأردن (الطبرى - ٢٩- ٣٠) ثم رأينا الوليد في سنة ١٥ أميراً على بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة (الطبري ٤- ١٥٥) يحمي ظهور المجاهدين في شمال الشام لئلاً يؤتوا من خلفهم، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ - مسلمهم وكافرهم وانتهز الوليد بن عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجهة التي لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية فكان- مع جهاده الحربي، وعمله الإداري- داعياً إلى الله يستعمل أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى إياد وتغلب على أن يكونوا مسلمين كسائر العرب، وهربت منه إياد متوغلة في الأنضول الذي كان تحت حكم الروم البيزنطيين فحمل الوليد خليفته عمر بن الخطاب على كتابة كتاب تهديد إلى قيصر القسطنطينية بأن يردهم إلى حدود الدولة الإسلامية، وحاولت تغلب أن تتمرد على الوليد في نشره الدعوة الإسلامية بين شبانها وأطفالها بالإيمان الإسلامي، وقال فيهم كلمته المشهورة.

إذا عصبت الرأس مني بمشوذ فغيك مني تغلب ابنة وائل

وبلغت هذه الكلمة عمر، فخاف أن يبطش قائده الشاب بنصارى تغلب، فيفلت من يده، زمامهم في الوقت الذي كانوا يحاربون فيه مع المسلمين حمية للعروبة، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطقتهم.

بهذا الماضي المجيد جاء الوليد بن عقبة في خلافة عثمان فتولى له الكوفة وكان من خير ولاتها عدلاً ورفقاً وإحساناً. وكانت جيوشه- مدة ولايته على الكوفة- تزحف إلى آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة.

أراد الوليد بن عقبة منذ ولي الكوفة لأمير المؤمنين عثمان- أن يكون الحاكم المثالي في العدل والنبل والسيرة الطيبة مع الناس، كما كان المحارب المثالي في جهاده وقيامه للإسلام بما يليق بالذائدين عن دعوته، الحاملين لرايته، الناشرين لرسالته، وقد لبث في إمارته على الكوفة خمس سنين وداره إلى اليوم الذي زايل فيه الكوفة- ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف ومن لا يعرف، فكان يغشاها كل من شاء متى شاء من ليل أو نهار. ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر من الناس.

فالستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وكان ينبغي أن يكون الناس كلهم محبين لأميرهم الطيب، لأنه أقام لغربائهم دور الضيافة، وأدخل على الناس خيراً حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد، ورد على كل مملوك من فضول الأموال في كل شهر ما يتسعون به من غير أن

ينقص مواليهم من أرزاقهم وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الأمير المثالي طول مدة حكمه.

إلا أن فريقاً من الأشرار وأهل الفساد أصاب بينهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد فوقفوا حياتهم على ترصد الأذى له. ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم أبا زينب ابن عوف الأزدي، وآخر يسمى أبا مورع، وثالث اسمه جندب أبو زهير، قبضت السلطات على أبنائهم في ليلة نقبوا بها على ابن الحيسمان داره وقتلوه، وكان نازلاً بجواره رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أهل السابقة في الإسلام وهو أبو شريح الخزاعي حامل راية رسول الله ﷺ على جيش خزاعة يوم فتح مكة، فجاء هو وابنه من المدينة إلى الكوفة ليسيرا مع أحد جيوش الوليد بن عقبة التي كان يواصل توجيهها نحو الشرق للفتوح ونشر دعوة الإسلام، فشهد هذا الصحابي المجاهد وابنه في تلك الليلة سطو هؤلاء الأشرار على منزل ابن الحيسمان وسفكهم لدمه، وأدى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين، فأنفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر في الرحبة، فكتب آباؤهم العهد على أنفسهم للشيطان بأن يكيدوا لهذا الأمير الطيب الرحيم، وبثوا عليه العيون والجواسيس ليترقبوا حركاته، وكان بيته مفتوحاً دائماً. وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من شعراء الشمال كان نصرانياً في أخواله من تغلب من أرض الجزيرة وأسلم على يد الوليد، فظن جواسيس الموتورين أن هذا الشاعر الذي كان نصرانياً لا بد أن يكون ممن يشرب الخمر، ولعل الوليد أن يكرمه بذلك، فنادوا أبا زينب وأبا المورع وأصحابهما، فاقتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد، فلما فوجئ بهم نحى شيئاً أدخله تحت السرير، فأدخل بعضهم يده فأخرجه بلا إذن من صاحب الدار، فلما أخرج ذلك الشيء من تحت السرير، إذا هو طبق عليه تفاريق عنب، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون من الخجل، وسمع الناس بالحكاية فأقبلوا يسبونهم ويلعنونهم، وقد ستر الوليد عليهم ذلك وطواه عن عثمان، وسكت عن ذلك وصبر، ثم تكررت مكايد جندب وأبي زينب وأبي المورع، وكانوا يغتنمون كل حادث ويسيئون تأويله ويفترون الكذب. وذهب الذين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كانوا عمالاً في الحكومة ونحاهم الوليد عن أعمالهم لسوء سيرتهم، فقصدوا المدينة وجعلوا يشكون الوليد لأمير المؤمنين عثمان ويطلبون منه عزله عن الكوفة، وفيما كان هؤلاء في المدينة دخل أبو زينب وأبو المورع دار الإمارة بالكوفة مع من يدخلها من غمار الناس، وبقيا فيها إلى أن تنحى الوليد ليستريح، فخرج بقية القوم، وثبت أبو زينب وأبو المورع إلى أن تمكنا من سرقة خاتم الوليد من داره وخرجا، فلما استيقظ الوليد لم يجد خاتمه سأل عنه زوجتيه - وكانتا في مخدع تريان منه زوار الوليد من وراء ستر، قالتا إن آخر من بقي في الدار رجلان، وذكرتا صفتهما وحليتهما للوليد، وأدرك أنهما أبو زينب وأبو المورع، وأدرك أنهما لم يسرقا الخاتم إلا لمكيدة بيتاها، فأرسل في طلبهما فلم يوجدا في الكوفة، وكانا قد سافرا توا إلى المدينة، وتقدما شاهدين على الوليد بشرب الخمر، فقال لهما عثمان: كيف رأيتما؟ قالا: كنا في غاشيته فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر، فقال عثمان: ما يقيء الخمر إلا شاربها، فجيء بالوليد من الكوفة، فحلف لعثمان وأخبره خبرهم، فقال عثمان: نقيم الحدود، ويبوء شاهد الزور بالنار.

هذه قصة اتهام الوليد بالخمر كما في حوادث سنة ٣٠ من تاريخ الطبري. وعناصر الخبر عند الطبري، أن الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد غلهم عليه، ولم يرد في الشهادة ذكر الصلاة من أصلها، فضلاً عن أن تكون ركعتين أو أربعاً وهناك زيادة للحضين بن المنذر بلفظ «شهدت عثمان بن عفان وأتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقيأ». فكلمة صلاة الصبح وأزيدكم من كلام حضين، وحضين لم يكن من الشهود، ولا كان في الكوفة في وقت الحادث المزعوم، وإنما كان عند عثمان بالمدينة لما أتي عثمان بالوليد، وحضين لم يسند هذه الكلمات إلى إنسان معروف. وخبر حضين هذا مروي هكذا عند مسلم، ومروي أيضاً عند أحمد في موضعين ليس فيهما ذكر للصلاة بلسان حضين ولا غيره، فلعل أحد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كلام الشهود، فاقتصر على ذكر الحد، وروي الخبر في مسند أحمد في موضع ثالث عن حضين بصيغة تعارض أصل الخبر في عدد الركعات. وفي الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن أنه من كلام حضين، وحضين ليس بشاهد، ولم يرو عن شاهد، فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه، وسائر الشهود مغرضون لا يقام بمثلهم حد الله على ظنين من السوقة والرعاع، فكيف بمجاهد كريم وضع الخليفة في يده أمانة قطر، وقيادة جيوش، فكان عند الظن به من حسن السيرة في الناس، وصدق الرعاية لأمانات الله، وكان موضع الثقة عند ثلاثة هم أكمل خلفاء الإسلام أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين.

بقيت ناحية من أمر الوليد لا يكون الكلام على حياته تاماً إلا باستيفائها، وهي ما تناقله المفسرون من أنه هو الذي نزلت فيه آية ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ (الحجرات: ٦).

ولقد كنت أعجب فيما مضى كيف تكون هذه الآية نزلت فيه ويسميه الله فاسقاً. ثم تبقى له في نفس خليفتي رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر المكانة التي سجلها له التاريخ، وأوردنا الأمثلة عليها آنفاً عند استعراضنا ماضيه في بضعة عشر عاماً قبل أن يوليه عثمان الكوفة، إن هذا التناقض بين ثقة أبي بكر وعمر بالوليد بن عقبة، وبين ما كان ينبغي أن يعامل به لو أن الله سماه فاسقاً - قد حملني على الشك في أن تكون آية الحجرات نزلت فيه لا استبعاداً لوقوع أمر من الوليد يعد به فاسقاً، ولكن استبعاداً لأن يكون الموصوم بالفسق في صريح القرآن محل الثقة من رجلين لا نعرف في أولياء الله ﷻ - بعد رسوله ﷺ - من هو أقرب إلى الله منهما.

وبعد أن ساورني هذا الشك، أعدت النظر في الأخبار التي وردت عن سبب نزول هذه الآية، فلما عكفت على دراستها، وجدتها موقوفة على مجاهد أو قتادة أو ابن أبي ليلى أو يزيد بن رومان، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الأخبار في مدة مائة سنة أو أكثر مرت بين أيامهم وزمن نزول الآية، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة، وإن الذين لهم هوى في تسويء سمعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مثل الوليد، ومن هم أعظم مقاماً من الوليد، قد ملأوا الدنيا أخباراً مريبة ليس لها قيمة علمية، وما دام رواة تلك الأخبار في سبب نزول هذه الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار عليهم، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التي لا نسب لها وترتيب الأحكام عليها. فالوليد بن عقبة بريء شرعاً من نسبة سبب نزول هذه الآية إليه. ولذلك تفصيل فني أوردته في التعليق على كتاب العواصم من القواصم ولا أطيل به هنا لأن المجال في موقفنا هذا يضيق عن استيفائه.

● **مصحف عثمان وجمعه**

روى الإمام البخاري في صحيحه (رقم ٤٩٨٧) حديث أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال: إن حذيفة بن اليمان أحد قادة جيوش عثمان- قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

وفي رواية عمارة بن غزية أن حذيفة قدم من غزوة، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس، قال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينية فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق. وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضا.

وأخرج ابن أبي داود- في كتاب المصاحف- من طريق يزيد بن معاوية النخعي قال: «إني لفي المسجد - أي مسجد الكوفة - زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة فسمع رجلاً يقول: قراءة عبد الله ابن مسعود، وسمع آخر يقول: قراءة أبي موسى الأشعري فغضب - أي حذيفة بن اليمان- ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: هكذا كان من قبلكم اختلفوا، والله لأركبن إلى أمير المؤمنين».

قال البخاري في تمام رواية أنس بن مالك: «فأرسل عثمان إلى حفصة أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أرسلي إلينا بالصحف - أي التي دونها زيد بن ثابت في زمن أبي بكر بإلحاح عمر رضي الله عنهم - فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن- وفي رواية شعيب- في عربية من عربية القرآن- فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

إن العناية التي بذلها عظيما الإسلام أبو بكر وعمر، وأتمها أخوهما ذو النورين عثمان في جمع القرآن وتثبيته وتوحيد رسمه، كان لهم بها أعظم المنة على المسلمين، وبها حقق الله وعده في قوله سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: ٩) وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة أمير المؤمنين علي، فأمضى عملهم، وأقر مصحف عثمان برسمه وتلاوته، في جميع أمصار ولايته، وبذلك انعقد إجماع المسلمين في الصدر الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم بل نقل بعض علماء الشيعة هذا الإجماع على لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. جاء في كتاب تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني (ص٤٦) من شيعة عصرنا أن علي بن موسى المعروف بابن طاوس (٥٨٩- ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل في كتابه سعد السعود عن الشهرستاني في مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «أيها الناس، الله، الله، إياكم والغلو في أمر عثمان وقولكم حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ جمعنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها، يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك، وهذا يجر إلى الكفر، فقلنا: ما الرأي؟ قال: أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم أن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً، فقلنا: نعم ما رأيت».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومما لا ريب فيه أن البغاة على عثمان كانوا في خلافة علي- رضي الله عنهما- يقرأونه في مصاحف عثمان التي أجمع عليها الصحابة وعلي فيهم.

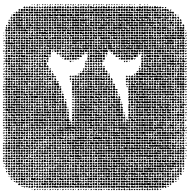
نعم، أراد عبد الله بن مسعود أن يحتفظ بمصحفه، ولكن لم يرد الله ونصر الله عثمان والحق ببقاء مصحف عثمان هو المصحف المتلو في أنحاء الأرض من زمنه إلى يوم الناس هذا، وإلى يوم القيامة، ولله الحمد على ذلك.

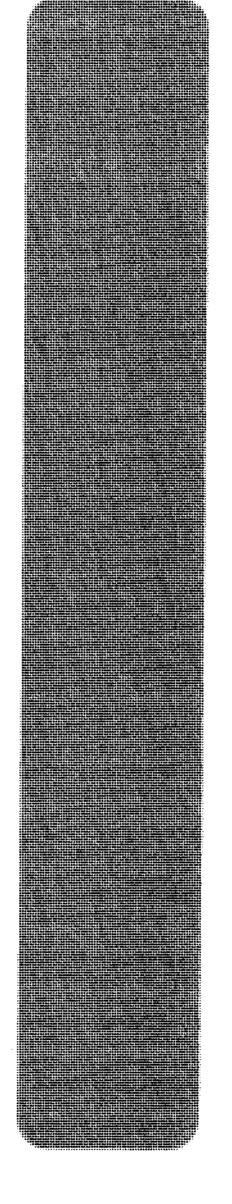
* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقالات





عبد الله مشاري الروضان
وزير الأوقاف الأسبق

- **ترجمة الشيخ.**
- **المقالات:**

١- رسول الله ﷺ قدوتنا.

العدد (٤٠) ربيع الثاني (١٣٨٨هـ) - يونيو (١٩٦٨م).

٢- في سبيل جيل مؤمن.

العدد (٤٩) محرم (١٣٨٩هـ) - مارس (١٩٦٩م).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

عبدالله مشاري الروضان

● **مولده ونشأته**



ولد عبدالله مشاري الروضان في عام ١٣٢٨هـ الموافق ١٩١٠م، في بيت كرم وإحسان، وقد تأثر بهذه البيئة الطيبة ونشأ متصفاً بصفاتها، وأسرة الروضان من الأسر الكويتية الموغلة في القدم سكناً وعملاً.

حرص والده على تعليمه الكتابة والرماية وعلى ألا يكون رزقه إلا حلالاً طيباً، حتى امتن الله عليه بحفظ كتاب الله تعالى، ثم درس عبدالله الروضان رَحِمَهُ اللَّهُ بالكُتّاب مبادئ الحساب والقراءة والكتابة، وتعلم لدى المدارس الأهلية، وأولها مدرسة الملا عبداللطيف العمر، وهي مدرسة معروفة بتدريس الدين والقرآن الكريم والقراءة والكتابة، ثم التحق بالمدرسة المباركية، وهي مدرسة نظامية التحق بها معظم أبناء الكويت في ذلك الوقت.

عمل على تنشئة أبنائه التنشئة الصالحة والتعليم الجيد فكان ابنه ناصر الروضان نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية الأسبق، وعبداللطيف الروضان الأمين العام لمجلس الوزراء.

● **أعماله وتجارته**

عمل رَحِمَهُ اللَّهُ في تجارة اللؤلؤ وأصبح من التجار البارزين والخبراء في اللؤلؤ آنذاك، وكانت له العديد من المساهمات في الصالح العام من خلال عمله، وشارك مع إخوانه في نهضة الكويت، وعمل رَحِمَهُ اللَّهُ على المساهمة في عمارة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بيوت الله تعالى.

عين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العام ١٩٥١م عضواً في المجلس البلدي بمرسوم أميري.

كما تم تعيينه عضواً بمجلس معارف الكويت عام ١٩٦١م.

فاز بعضوية مجلس الأمة في الانتخابات التي جرت بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٩٦٣م، وبعد فوزه أيام، عين وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل بتاريخ ٢٨/ ١/ ١٩٦٣م، واستمرت وزارته حتى ديسمبر ١٩٦٤م

وعين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، واستمرت هذه الوزارة من عام ١٩٦٥م، حتى عام ١٩٧١م، وكان له الدور الوافر بإنشاء الأمانة العامة للأوقاف، وهي الآن المشرفة على الوقف في جميع فئاته، وهي التي تديره وتدير ريعه فيما يخدم المسلمين في أمور دينهم.

واقترح رَحِمَهُ ٱللَّهُ على العلماء عمل موسوعة فقهية تكون مرجعاً للمسلمين في الكويت والدول الإسلامية الأخرى، وقد بذلوا بفضل الله تعالى منذ عام ١٩٧١م، جهداً في الإعداد لهذه الموسوعة، حتى رأت النور.

● **وفاته**

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم ١١ صفر عام ١٤٠٠هـ الموافق ٣٠ ديسمبر عام ١٩٧٩م، عن عمر يناهز ٦٩ عاماً، نسأل الله تعالى له الرحمة وحسن المآب، وأن يجعل أعماله في ميزان حسناته إن شاء الله.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

معالي وزير الأوقاف يقول:

رسول الله هو قدوتنا في الصبر والجهاد

العدد (٤٠) ربيع الثاني (١٣٨٨هـ) - يونيو (١٩٦٨م).

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بذكرى مولد الرسول ﷺ ونقل مراسم الحفل التليفزيون والإذاعة، وقد افتتح معالي السيد/ عبد الله المشاري الروضان وزير الأوقاف الحفل بهذه الكلمة المركزة الجامعة:

إن لكل أمة أياماً تعتز بها، وذكريات كريمة غالية في تاريخها لا تنساها، ولكنها تكون أشد ذكرا لها، حين تمر عليها مناسبتها، فتعيش معها بقلبها ووجدانها، وتأخذ منها العبرة والدرس ليومها وغدها.

وإننا اليوم والعالم الإسلامي كله معنا وذكرى ميلاد الرسول الأعظم تمر بنا لفي أشد الحاجة إلى أن نأخذ من ذكرى هذا اليوم يوم ميلاد الهدى والنور نقطة تحول في تاريخنا الحاضر. كما كان يوم الميلاد بدء ميلاد تحول جديد في تاريخ البشرية.

إن عظمة يوم المولد ترجع إلى ما كان للوليد اليتيم بعد ذلك من اختيار الله له، ليتم برسالته الرسالات ويختم بنبوته النبوات. ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويبني بهذه الرسالة أمة، ويؤسس على مبادئها حضارة ودولة.

إن محمدا ﷺ هو رسول الله ومصطفاه، وأحب الخلق إليه وأكرمهم عنده، وكان الله سبحانه قادراً على أن ينصره دون حرب ولا جهاد، ولكن الله أراد أن يجعل من حياة رسوله مثلاً وقدوة لعباده في كل ميدان من ميادين الحياة، وهو سبحانه يقول ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، ولقد

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قضى رسول الله ﷺ حياته بعد بعثته مجاهداً صابراً، مع المشركين تارة، ومع اليهود تارة، ومع الروم تارة أخرى وكانت عدته وعدة أصحابه في هذا الجهاد الإيمان والصبر والثبات وحسن التأهب والاستعداد.

خاض معارك كثيرة، وانتصر وانهزم، فلم يحمله الانتصار على الغرور، ولم تدفعه الهزيمة إلى اليأس، بل ظل قوي الإيمان بالله، شديد البأس على أعدائه، حتى جاء نصر الله والفتح، وأتم له الدين، وأكمل عليه نعمته. وإذا كانت الأمة الآن تعيش أقسى أيامها وتمتحن امتحاناً شديداً في إيمانها وثباتها، وتقف وجها لوجه أمام قوى الشر المتجمعة عليها، فلقد امتحن رسول الله من قبل امتحاناً شديداً، وتألبت عليه قوى الشر في الدنيا كلها، فلم يضعف له إيمان، ولم تهن فيه عزيمة، لا هو ولا أصحابه المؤمنون به الذين باعوا الدنيا كلها رخيصة في سبيل عقيدتهم وإيمانهم بربهم ورسولهم.

ولقد وقف أعداء الله اليهود من رسولنا موقف العدو الألد يتربصون به ويؤلبون قوى الشر عليه، يحسن إليهم فيسيئون إليه، ويهادنهم فيتآمرون عليه... ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحشر: ٢).

وإن التاريخ الآن ليعيد نفسه، ويقف أعداء الله من الإسلام وأتباعه نفس الموقف الذي وقفه أجدادهم من قبل وصدق الله العظيم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ﴾ (المائدة: ٨٢).

فلنجعل من إيماننا ويقظتنا واتحاد كلمتنا وصبرنا في جهاد عدونا سلاحنا وعدتنا للقضاء على أعدائنا.

وإننا لنحيي بكل قلوبنا هؤلاء الأبطال الفدائيين الذين باعوا أرواحهم رخيصة في سبيل دينهم وتطهير ديارهم من أعداء الله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (الأحزاب: ٢٣).

أولئك الذين فتحوا باب الجنة وميدان الخلود لرجال هذه الأمة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (آل عمران: ١٦٩).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي ختام كلمتي يسرني أن أرفع أسمى آيات التقدير والاحترام إلى مقام حضرة صاحب السمو أميرنا المعظم وولي عهده والشعب الكويتي الكريم، وأحيي إخواني المسلمين في كل مكان. وأسأل الله جلت قدرته أن يجمع كلمتنا ويوحد على الحق قلوبنا حتى تعود علينا هذه الذكرى الكريمة ونحن في فضل من الله بالعزة والانتصار.

والسلام عليكم

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

في سبيل جيل مؤمن

العدد (٤٩) محرم (١٣٨٩هـ) - مارس (١٩٦٩م).

إن العالم الإسلامي يتعرض منذ فترة طويلة لتيارات جارفة من الإلحاد والتحلل، تحاول أن تجتاح ما في نفوس المسلمين من تدين، وأن تقطع صلتهم بالله. وإنه ليتكشف للرؤية من خلال الدعوات الهدامة عدة حقائق مريرة أظنها لا تغيب عن بال المصلحين المؤمنين:

يوجد تخطيط منظم حاقد على الإسلام يسعى جهده إلى تسميم العقول والأفكار، وإفساد القلوب والضمائر، وإشاعة الفوضى والإباحية.

وتزحف على مجتمعاتنا موجات مادية عارمة باسم الحرية والتقدمية تعمل لإبعادنا عن مواريثنا الروحية، وتقاليدنا الإسلامية، وتقطع الصلة بين ديننا ودنيانا.

وتستغل أساليب التوجيه الحديثة وأجهزة الإعلام الموجهة استغلالاً خبيثاً ماكراً لإغراقنا في رذائل الحضارة الغربية، ومباذل الحرية الزائفة.

وفي غمرة هذه الأخطار المحدقة بمقوماتنا السماوية يجب أن تتجه العقول المؤمنة، وتتحرك الأقلام المخلصة للحفاظ على ديننا والإبقاء على رسالتنا، والنجاة من عدونا.. في بيان ناصع وإقناع منطقي يجلي حقائق الإسلام، ويقف في وجه هذا الغزو الثقافي الخبيث، ويدعو إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإن من أقوى الوسائل التي تحمي جيلنا من هذه التيارات الدخيلة الوافدة أن يتناول كتابنا المتخصصون المخلصون المشكلات التي جدت في حياتنا والشكوك والأوهام التي طرأت على شبابنا في مقالات ميسرة واضحة الأسلوب جذابة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العرض تشد القارئ إلى دينه وترده إلى خالقه.

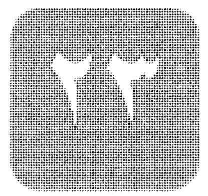
وإنه لمن دواعي سرورنا وتفاؤلنا أن تأخذ مجلة «الوعي الإسلامي» على عاتقها منذ صدورها الإسهام الجاد في هذا الميدان، وتقوم بدورها البناء في هذا المجال، فيتلاقى في ميدانها الرحب أصحاب القلوب المؤمنة: من الكتاب والقراء، ويلتف حولها كل متطلع إلى أن تعود للإسلام كلمته، وتخفق في دياره رايته.

وتلك رعاية الله للعاملين المخلصين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقالات



الشيخ مناع القطان

- ترجمة الشيخ.
- المقالات:

١- رفع الحرج في الشريعة (١).

العدد (٤٣) رجب (١٣٨٨هـ) - سبتمبر (١٩٦٨م).

٢- رفع الحرج في الشريعة (٢).

العدد (٤٩) محرم (١٣٨٩هـ) - مارس (١٩٦٩م).

٣- رفع الحرج في الشريعة (٣).

العدد (٥٤) جمادى الثانية (١٣٨٩هـ)- أغسطس (١٩٦٩م).

٤- الطريق إلى الله.

العدد (٥٦) شعبان (١٣٨٩هـ) - أكتوبر (١٩٦٩م).

٥- نشأة الفقه الإسلامي (١).

العدد (٦٨) شعبان (١٣٩٠هـ) - أكتوبر (١٩٧٠م).

٦- نشأة الفقه الإسلامي (٢).

العدد (٧٠) شوال (١٣٩٠هـ) - مارس (١٩٧٠م).

٧- دروس من الهجرة النبوية.

العدد (٩٨) صفر (١٣٩٣هـ) - ما س (١٩٧٩م).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

مناع القطان

● **مولده ونشأته**



ولد الشيخ مناع خليل القطان في شهر أكتوبر سنة **١٩٢٥م - ١٣٤٥هـ** في قرية شنشور، محافظة المنوفية بمصر من أسرة متوسطة الحال، وفي بيئة إسلامية مترابطة، حيث كان المجتمع الريفي يعتمد على الأرض الزراعية.

بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في الكتَّاب، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، ثم التحق بالمعهد الديني الأزهري بمدينة شبين الكوم ثم التحق بكلية أصول الدين في القاهرة.

تأثر الشيخ رحمه الله بمشايخه الذين أخذ العلم عنهم ومنهم: «الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ عبد المتعال سيف النصر، والشيخ علي شلبي، الشيخ محمد زيدان، والدكتور محمد البهي، والدكتور محمد يوسف موسى».

● **نشاطه العملي والدعوي**

انتخب رئيساً للطلبة بكلية أصول الدين، وشارك في التصدي للاستعمار الإنجليزي سنة ١٩٤٦م، شارك في التطوع للجهاد في فلسطين سنة ١٩٤٨م، وقد دخل السجن بعدها، وكان وثيق الصلة بالشيخ محمد الغزالي، والشيخ سيد سابق، والشيخ أحمد حسن الباقوري.

عين مدرساً في المملكة العربية السعودية للتدريس في مدارسها ومعاهدها إلى سنة ١٩٥٨م، حيث انتقل للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية، ثم مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ابن سعود الإسلامية، بالإضافة إلى عضويته في مجلس الجامعة، ورئاسة اللجنة العلمية لكلية البنات وكذلك لجنة السياسة التعليمية بالمملكة، وكان يشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات محمد بن سعود، وأم القرى، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والتي بلغ عددها ١١٥ رسالة.

● **مؤلفاته:**

له مؤلفات كثيرة في موضوعات شتَّى، وأهمها: «تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، تفسير آيات الأحكام، مباحث في علوم القرآن الكريم، نزول القرآن على سبعة أحرف، التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً، مباحث في علوم الحديث، وغيرها كثير».

● **وفاته**

توفي يوم الإثنين ٦ ربيع الآخر سنة ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩ يوليو ١٩٩٩م وصُلي عليه في مسجد الراجحي بمنطقة الربوة، ودفن في مقابر النسيم بالرياض، بعد مرض عضال، وكان عمره خمسة وسبعين عاماً. رحم الله الشيخ وغفر له وللمسلمين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رفع الحرج في الشريعة الإسلامية (١)

العدد (٤٣) رجب (١٣٨٨هـ) - سبتمبر (١٩٦٨م).

● تمهيد

في مستهل حديثي عن رفع الحرج في الشريعة الإسلامية أحب أن أشير إلى الطابع العام الذي تتميز به هذه الشريعة.

لقد تميز الإسلام بأنه دين الحنيفية السمحة الذي يلائم الفطرة، ويلبي أشواقها في جوانب الحياة الإنسانية المختلفة دون إفراط أو تفريط.

فللإنسان أشواقه الروحية المتصلة بتربية العواطف، وتهذيب الوجدان، وتنمية مشاعر الخير التي تنطوي عليها النفس البشرية، حتى يصفو مشربها، وتزكو سريرتها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۞﴾ (الشمس (٧ - ١٠) وسبيل هذه التزكية التي تورث صاحبها الفلاح أن تتجه النفس إلى بارئها، تدين بوحدانيته، وتخضع حياتها لشريعته. وتنقاد لأوامره ونواهيه في تذلل وانكسار، ولا تستطيع النفس أن تصل إلى هذا إلا إذا تحررت تحرراً كاملاً من سلطان أهوائها وشهواتها، وأعلنت عبوديتها لله وحده رب العالمين. وهذا هو لب الرسالات السماوية التي حملها رسل الله إلى البشرية عبر التاريخ، إعذاراً إليها، وبها بعث خاتم الأنبياء والمرسلين ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣).

وللإنسان مطالبه المادية التي تتصل بكيان حياته، وتنمية جسمه، والحفاظ على قواه المنتجة العاملة. حيث أجرى الله سنته في استقرار الأرواح بأجسادها، وربط معنى الحياة بالصلة الوثيقة القائمة بين هذه وتلك، وقوام الحياة المعيشية في

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

معترك العمل يهدف إلى تحقيق مطالب البدن في الغذاء والكساء، والمسكن والمركب، وسائر ما يستمتع به الإنسان مما أحل الله له .

والإسلام يفي بهذه المطالب من وجوهها المشروعة في الكسب الحلال، ويثير في النفس البشرية حوافز العمل الفطرية في غريزة حب التملك، ويتولى حراستها من الشطط، لتنطلق بطاقاتها على هدى من الله. تكد وتكدح ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ (الملك: ١٥). «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» ويمتد الأمل في هذا الكسب بما يخلفه الآباء للذرية من ميراث.

وهناك المطالب العقلية التي تتصل بالتفكير الإنساني، وإثارة العقل البشري للنظر في الكون وإدراك أسراره، والاستفادة منه. والسعي نحو تحقيق مستوى فكري لائق في حقل المعارف الإنسانية على اختلاف أنواعها .

ولطالما كان الرقي العقلي مظهراً للتقدم الحضاري، وسبيلاً إلى إرساء دعائم المدنية على نهج سديد في مراحل التطور البشري، وبناء الحضارات الإنسانية في القديم والحديث.

ولقد لفت الله أنظار عباده في القرآن الكريم إلى الطريق القويم في التفكير السليم، والنظر الصائب، بما يشحذ الذهن، ويبعث فيه حرية التفكير، ولذة التزود بالمعرفة، وجعل الحواس نوافذ يطل منها الإنسان على هذا العالم الفسيح، ليبصر حقائق الكون، ويعتبر بما فيه من دلائل قدرة الصانع ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ (البقرة: ١٦٤).

والشريعة الإسلامية بين شرائع الله كلها هي التي تحقق تلك النواحي الشاملة لجوانب الحياة البشرية. في الأشواق الروحية، والمطالب المادية، والرقي العقلي، في انسجام متكامل.

فالدعوة إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته وصفات كماله تعتمد على النظر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العقلي والتفكير المنطقي ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (النحل: ١٧).

والدعوة إلى العبادة للتهذيب النفسي والتربية الروحية تأتي مقرونة بالسعي في الأرض ابتغاء للرزق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ٩-١٠).

وطيبات الحياة التي أباحها الله تعالى لاستمتاع الإنسان تأتي كذلك مقرونة بالقربة إليه «وفي بضع أحدكم صدقة» «ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تضعها في في امرأتك».

والحد الفاصل في هذه الأمور كلها هو الاعتدال الذي تميزت به الأمة الوسط ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأعراف: ٣١-٣٢).

وبهذا تميز الإسلام بأنه دين الحنيفية السمحة، وقال رسول الله ﷺ «بعثت بالحنيفية السمحة».

والشريعة الإسلامية هي مجموعة التكاليف التي شرعها الله تعالى وبينها رسول الله ﷺ لأمته والمراد بالتكليف خطاب الشرع بأمر أو نهي.

ويشترط في المكلف أن يكون ممكناً، لأن حصوله مطلوب الشرع، وكل ما كان مطلوب الحصول يجب أن يكون متصور الوقوع، وهذا معنى كونه ممكنا، لأن المحال لا يتصور وقوعه. وما لا يتصور وقوعه لا يستدعى حصوله. إذ إن استدعاء الحصول لا يكون إلا لفائدة. وحصول الفائدة مما لا يتصور وقوعه لا يعقل، وإذا ثبت أن المحال لا يستدعى حصوله فلا يكلف به لعدم فائدة التكليف، وهذه المسألة هي المعروفة بمسألة تكليف ما لا يطاق.

وبهذا ثبت في الأصول أن شرط التكليف القدرة على المكلف به. كما يدل على هذا نصوص الشريعة التي سنأتي على طرف منها فيما بعد. فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعاً.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولم يخالف في هذا سوى قلة ممن لا يعتد بهم. واستدلوا على مذهبهم بأدلة تولى علماء الأصول ردها.

ويمكننا أن نوجز ما ذكره الغزالي في المستصفى من أدلتهم والرد عليها: استدلوا أولاً بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ والمحال لا يسأل دفعه.

وأجيب بأن المراد ما يشق ويثقل علينا، فإن من شق عليه التكليف بأعمال تكاد تفضي إلى هلاكه لشدتها يقال فيه حمل ما لا طاقة له به.

واستدلوا ثانياً بأن الله أخبر أن أبا جهل لا يصدق بالرسالة، وقد كلفه الإيمان، ومعناه أن يصدق محمداً فيما جاء به، ومما جاء به أنه لا يصدقه، فكأنه أمره أن يصدقه في ألا يصدقه، وهو محال.

وأجيب بأن أبا جهل أمر بالإيمان والتوحيد والرسالة، والأدلة على هذا كثيرة في شواهد الكون يدركها العقل وقد كان عاقلاً، فكان الإمكان حاصلاً، لكن الله تعالى علم أنه يترك ما يقدر عليه حسداً وعناداً، فالعلم يتبع المعلوم ولا يغيره، فيكون هذا من باب المستحيل لغيره لا لذاته.

واستدلوا ثالثاً بمثل قوله تعالى ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ وقوله ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ .

وأجيب بأن الأمر هنا للتعجيز لا للطلب، أو لإظهار القدرة كقوله تعالى ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ .

وقد بين الشاطبي بناء على هذا أن ما تعلق به الطلب ظاهراً من الإنسان على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما لم يكن داخلاً تحت كسبه قطعاً، وهذا قليل، كقوله تعالى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وحكمه أن الطلب مصروف على ما تعلق به، وهو هنا استمرار الإسلام إلى الموت.

والثاني: ما كان داخلاً تحت كسبه قطعاً، وذلك جمهور الأفعال المكلف بها التي هي داخلة تحت كسبه، والطلب المتعلق بها على حقيقته في صحة التكليف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بها، سواء علينا أكانت مطلوبة لنفسها أم لغيرها.

والثالث: ما قد يشتبه أمره كالحب والبغض وما في معناهما، فحق الناظر فيها أن ينظر في حقائقها فحيث ثبتت له من القسمين حكم عليه بحكمه.

ثم أشار إلى أن هذه الأوصاف الفطرية في الإنسان يتبعها أفعال اكتسابية فالطلب وارد على تلك الأفعال. كقوله ﷺ «تهادوا تحابوا» وذلك كالنهي عن النظر إلى المرأة الأجنبية المثير للشهوة الداعية إلى ما لا يحل، وعين الشهوة لم ينه عنه.

وكذلك النهي عن الغضب، فإن الغضب وإن كان أمراً فطرياً إلا أن النهي عنه باعتبار لاحقه، فإنه يثير شهوة الانتقام، كما يثير النظر شهوة الجنس، كقوله ﷺ لمن قال له أوصني: «لا تغضب» مكرراً ذلك.

● التكليف بما فيه مشقة

وإذا كان شرط التكليف أن يقع المكلف به تحت مقدور المكلف لاستحالة التكليف بما لا يطاق. فهذا يدل على أن التكاليف الشرعية تقع تحت مقدوره، ولكنه لا ينفي التكليف بما فيه نوع مشقة، والتكليف في مدلوله يدل على هذا، فإنه يقال: تكلف الإنسان الشيء إذا فعله مع مشقة تناله في تعاطيه، وصارت الكلفة في التعارف اسما للمشقة. قال الراغب: ولذلك صار التكلف على ضربين: الأول محمود، وهو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً عليه، ويصير كلفاً به. ومحباً له، وبهذا النظر يستعمل التكليف في تكلف العبادات. والثاني مذموم. وهو ما يتحراه الإنسان مراآة، وإياه عني بقوله تعالى ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (ص: ٨٦).

وإذا لم يكن هناك تلازم بين التكليف بالمشاق والتكليف بما لا يطاق، فقد ثبت في الشرائع الأولى التكليف بالمشاق، ولم يثبت فيها التكليف بما لا يطاق.

والمشقة في أصل اللغة من قولك: شق علي الشيء يشق شقاً ومشقة: إذا أتعبك، ومنه قوله تعالى ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ (النحل: ٧) والشق: هو الاسم من المشقة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● رفع الحرج

وقد دلت النصوص على أن الله رفع عن الأمة الإسلامية التكاليف الشاقة التي فرضت على الأمم السابقة ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ (البقرة: ٢٨٦) ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾ حيث بنيت الشريعة الإسلامية على اليسر وعدم الحرج، وشمل رفع الحرج شعب الحياة الإنسانية كلها، فإننا حين نستعرض النصوص الواردة في ذلك نجد أن الإسلام:

قد رفع الحرج عن حديث النفس وخواطر القلب.

ورفع الحرج في الدين عامة وفي العبادات خاصة.

ورفع الحرج في نواة المجتمع بحياة الأسرة.

ورفع الحرج بأسس الحياة الاجتماعية في التعامل بين الناس.

١- رفع الحرج عن حديث النفس وخواطر القلب:

للإنسان خواطره النفسية التي تجيش بصدره من حين لآخر، وهي ظاهرة يلمسها الإنسان بين جوانحه، ويحس نحوها بالبهجة والسرور أحياناً، وبالألم ووخز الضمير أخرى.

ولا شك أن هذه الخواطر النفسية ترتبط ببواعثها في الخير والشر، فهناك ما يبعث في النفس حوافز المعروف ويحركها نحوه، رغبة في الخير، واكتساباً للفضيلة، وطلبا للأجر، وهناك ما يبعث فيها دوافع المنكر، ويغريها بارتكابه ويزين لها ما فيه من شر بالصورة الحسنة الجميلة، وشهوة المتعة اللذيذة.

وإذا كانت الأسباب ترتبط بمسبباتها خيراً وشراً فإن النظر العقلي قد يقضي بالحساب على تلك البواعث النفسية التي تختلج في الصدور. وتعتمل فيها فترة من الزمن حتى تظهر آثارها في الوجود، ولئن خفيت هذه البواعث على الناس فإن رب الناس أعلم بها ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ (غافر: ١٩).

والتحكم في خواطر النفس يبدو أمراً بعيد النوال، وإن كان من الممكن أن يتحكم الإنسان في كثير من البواعث المؤدية إليها، فكان من فضل الله على هذه الأمة أن رفع الحرج عنها، فلم يؤاخذها على خواطر السوء التي تخطر بالنفس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإن كان يعلم السر وأخفى.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه لما نزل قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ (البقرة: ٢٨٤) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب وقالوا يا رسول الله: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابينمن قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما أقر بها القوم، وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ إلى آخر السورة.

وفي رواية لمسلم استجابة الله لدعائهم بزيادة ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد فعلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: قد فعلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾. قال: قد فعلت: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال قد فعلت.

وبين رسول الله ﷺ تجاوز الله عن أمته في حديث النفس ما لم يتحول هذا الحديث إلى كلام أو عمل: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل».

وزادت منة الله على الأمة في التفرقة بين خواطر الخير وخواطر الشر. فالمرحلة النفسية التي تترجم إلى العمل: هي الخاطرة، والتردد، والهم أو الإرادة. ثم العزم. وحين رفع الله عن أمتنا المؤاخذة على خواطر النفس في هواجس الشر جعل الرجوع عنها حسنة يؤجر عليها العبد، بينما يثيبه على هذه الخواطر إذا كانت خيرة وإن لم تخرج إلى حيز العمل، ولا يجزيه على السيئة إلا بمثلها، ويجزيه على

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحسنة أضعافاً مضاعفة «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة».

٢- رفع الحرج في الدين عامة والعبادات خاصة

تدور كلمة «الدين» حول معان يأخذ بعضها بحجز بعض، فإنه يقال: دانه ديناً إذا ملكه وحكمه وساسه وحاسبه وجازاه وفي الحديث «الكيس من دان نفسه» أي حكمها وضبطها، والديان: الحكم القاضي.

ويقال: دان له: أي أطاعه وخضع له، فالدين: هو الخضوع والطاعة والعبادة. وهذا معنى ملازم للأول ومطاوع لها، يقال: دانه فدان له، أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع، ويتعدى الفعل بالباء فيقال: دان به أي اتخذه دينا ومذهباً، بمعنى اعتقده وتخلق به، وهو معنى تابع للأول. لأن العقيدة التي يدان بها تفرض سلطانها على صاحبها لينقاد لها ويلتزم اتباعها.

وأيا كان معنى الكلمة فإنها تدور حول لزوم الانقياد، وإن كان الدين بالفتح يتضمن الإلزام المالي، ويعرف بعض العلماء الدين بأنه وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات.

وتدل كلمة «العبادة» على الخضوع والتذلل والاستكانة، فالعبودية هي إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ (يوسف: ٤٠).

وإذا كان من مستلزمات الدين والعبادة الخضوع والتذلل والانقياد والطاعة فإن هذه المعاني لا تحمل في مدلولاتها حقيقة القهر والإكراه، وإنما تعني حقيقة الاستجابة الفطرية المركوزة في طبيعة المخلوق نحو خالقه، باللجوء إليه، تضرعاً وتذللاً شعوراً بالحاجة، وتتضح حقيقة هذه الاستجابة في الانقياد لما جاء به رسل الله.

ونحن نطالع آيات القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ فنرى ما يرفع عن النفس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

توهمها مشقة الدين والقيام بما تعبدنا الله به.

يوجه الله سبحانه وتعالى نداءه للمؤمنين بالصلاة التي هي عماد الدين، بالنص على ركنيها الأساسيين في هيئتها وما يدلان عليه من تذلل وانكسار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ ثم يأمرهم بعد ذلك بما هو أشمل من الصلاة، بالعبادة التي تعني انقياد العبد لمعبوده في شؤون الحياة كلها على وجه القربة إليه. فإنَّ توجه القلب إلى الله بالعمل طلباً لمرضاته وفق شريعته يجعل السلوك الإنساني في شتى مظاهره عبادة ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾.

ثم يأتي الأمر بما هو خير في ذاته، وهذا يشمل ما كان صلة بين العبد وربه، وما كان صلة بينه وبين إخوانه ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ ويرتب الله على هذه الأسباب في الاستقامة وحسن السلوك رجاء الفلاح والظفر ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

وإذا أخذت الأمة الإسلامية نفسها بهذه الاستقامة فقد تهيأت للقيام بأعباء الدين والجهاد في سبيله إعلاء لكلمته وحماية لحوزته، وتلك هي الأمانة الكبيرة والتبعة الضخمة التي اختار الله لها هذه الأمة ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾.

وإذا كانت هذه التكاليف شاملة للدين كله، وختمت بذروة سنامه في الأمر بالجهاد الذي يوحي للنفس ببذل الجهد، فإن الله سبحانه وتعالى يقرن هذا بواسع رحمته. فإن الإسلام بتكاليفه وعباداته هو دين الفطرة الذي لا حرج فيه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ (الحج: ٧٧-٧٨) وأصل الحرج والحراج: مجتمع الشيء، وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج، وللإثم حرج.

ويبين رسول الله ﷺ سهولة هذا الدين. ويحذر من التعمق فيه ليأخذه المسلم برفق. فإن أحداً لا يبالغ في الأخذ به إلا انقطع به السبيل دونه، ولكنه القصد والاعتدال «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا».

ويتجاوز هذا التوجيه النبوي الأمر والإرشاد إلى السلوك العملي «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن آثماً».

(للحديث بقية)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رفع الحرج في الشريعة الإسلامية (٢)

الرخص- الأسرة- المعَاملة

العدد (٤٩) محرم (١٣٨٩هـ) - مارس (١٩٦٩م).

● **الرخص**

إن تكاليف الإسلام سهلة، ولكن الإنسان قد يعرض له في بعض الأحوال ما يجعل القيام بهذه التكاليف شاقاً عليه، وهنا تأتي مشروعية الرخص وهي أمر مقطوع به، ومما علم من دين الأمة ضرورة، كرخص القصر والفطر والجمع وتناول المحرمات في الاضطرار. وهذا يدل قطعاً على رفع الحرج والمشقة «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه».

لقد فرض الله الصيام على الأمم السابقة استعلاء للنفس على ضرورات الجسد كلها، وتربية للإرادة المؤمنة الحازمة التي تنفذ بمضاء وعزيمة لأداء رسالتها إيثاراً لما عند الله ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ (الأعلى: ١٧).

ولكن الصوم في الإسلام أيام معدودات. وليس فريضة العمر، ومع هذا فقد أعفي من أدائه المرضى حتى يصحوا، والمسافرون حتى يقيموا، تخفيفاً وتيسيراً ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وقد علق الله تعالى هذه الرخصة بمطلق السفر ومطلق المرض، وإن كان الفقهاء- خشية أن يفرط الناس في الأخذ بهذه الرخصة لأدنى سبب - قد اشترطوا لذلك شروطاً وشددوا فيها، إلا أن الناس لا ينقادون إلى تقوى الله كراهية، والإسلام يربي الضمير الإنساني على الوعي الديني في العبادة حتى تكون خالصة لله، لا أن يفلت من أدائها تحت ستار الرخصة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال ابن تيمية: «ويجوز الفطر للمسافر باتفاق الأمة، سواء كان قادراً على الصيام، أو عاجزاً، وسواء شق عليه الصوم، أو لم يشق، بحيث لو كان مسافراً في الظل والماء، ومعه من يخدمه جاز له الفطر والقصر، ومن قال إن الفطر لا يجوز إلا لمن عجز عن الصيام فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وكذلك من أنكر على المفطر فإنه يستتاب من ذلك، ومن قال: إن المفطر عليه إثم فإنه يستتاب من ذلك، فإن هذه الأحوال خلاف كتاب الله، وخلاف سنة رسوله ﷺ، وخلاف إجماع الأمة.

وهكذا السنة للمسافر أن يصلي الرباعية ركعتين، والقصر أفضل له من التربيع عند الأئمة الأربعة، كمذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد والشافعي في أصح قوليه.

ولم تتنازع الأمة في جواز الفطر للمسافر، بل تنازعوا في جواز الصيام للمسافر، فذهب طائفة من السلف والخلف إلى أن الصائم في السفر كالمفطر في الحضر، وأنه إذا صام لم يجزه، بل عليه أن يقضي، ويروى هذا عن عبد الرحمن ابن عوف وأبي هريرة، وغيرهما من السلف، وهو مذهب أهل الظاهر، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس من البر الصوم في السفر».

ثم قال في مقدار السفر: وقال طائفة من السلف والخلف بل يقصر ويفطر في أقل من يومين، وهذا قول قوي- فإنه ثبت أن النبي ﷺ كان يصلي بعرفة ومزدلفة ومنى يقصر الصلاة، وخلفه أهل مكة وغيرهم يصلون بصلاته، ولم يأمر أحداً منهم بإتمام الصلاة.

وسئل عمن يكون مسافراً في رمضان ولم يصبه جوع ولا عطش ولا تعب، فما الأفضل له؟ الصيام أم الإفطار؟ فأجاب، أما المسافر فيفطر باتفاق المسلمين، وإن لم يكن عليه مشقة، والفطر له أفضل، وإن صام جاز عند أكثر العلماء ومنهم من يقول لا يجزئه.

ونحن نورد هنا حديث جابر رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ «كراع الغميم» فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة».

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فمنا الصائم ومنا المفطر، فنزلنا منزلا في يوم حار، أكثرنا ظلا صاحب الكساء، ومنا من اتقى الشمس بيده، فسقط الصوام، وقام المفطرون، فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب، فقال النبي ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر».

في قصر الصلاة

وتأتي هذه الرخصة في قصر الصلاة بالسفر كما أشار ابن تيمية في كلامه الذي نقلناه آنفاً وقال تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (النساء: ١٠١) ويذكر بعض العلماء أن هذه الرخصة لا تقتصر على عدد الركعات، بل تشمل صفة الصلاة ذاتها، فالصلاة وما فيها من قيام وركوع وسجود قد تعوق المقاتل أو الضارب في الأرض، وهو في حاجة كذلك إلى صلته الدائمة بالله، فيراد بالقصر هنا كذلك القصر في صفة الصلاة ذاتها، كالقيام بلا حركة ولا ركوع ولا سجود ولا قعود للتشهد.

والقصر في السفر هو سنة النبي ﷺ وسنة خلفائه الراشدين، ولم يصل رسول الله في السفر أربعاً قط. ولذا ذهب بعض العلماء إلى أن القصر واجب.

والمحققون على أن مسافة القصر ليس لها قدر محدود، وكان ﷺ يصلي في حجة الوداع بمنى وعرفة ركعتين، وخلفه أهل مكة وغيرهم ولم ينقل عنه أنه قال لهم هناك أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر. ولكن نقل أنه قال ذلك في غزوة الفتح لما صلى بهم داخل مكة، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

«فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر» ولم يحد النبي ﷺ مسافة القصر بحد، لا زماني ولا مكاني، ولذا قال ابن تيمية: «إن المسافر يقصر الصلاة في كل سفر، ومن قصر السفر على طويل، وقصير، وخص بعض الأحكام بهذا وبعضها بهذا، وجعلها متعلقة بالسفر الطويل فليس معه حجة يجب الرجوع إليها».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والجمع بين الصلاتين

ويتبع رخصة القصر الجمع، وهو تخفيف على الأمة سواء كان السفر لحرب أو لغير حرب.

ونفى الجناح في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ (النساء: ١٠١) لبيان الحكم وإزالة الشبهة. ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: : ١٥٨) فإن نفي الجناح لأجل الشبهة التي عرضت لهم من الطواف بينهما في الجاهلية.

وذكر الخوف في الآية لأن القصر يتناول قصر العدد وقصر الأركان على نحو ما ذكرنا من قبل، فالخوف يبيح قصر الأركان والسفر يبيح قصر العدد، فإذا اجتمعا أبيح القصر بالوجهين.

وقد راعى كثير من العلماء روح الإسلام في رخصة الجمع، وما روي من أن النبي ﷺ جمع في غير سفر، فقالوا بجواز الجمع للمرض والحرج والشغل والمطر والوحل والريح الشديدة الباردة.

ومن باب اليسر في هذا كذلك ما ثبت من أن النبي ﷺ كان يصلي على راحلته في السفر قبل أي وجه توجهت به، ويوتر عليها، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة.

وفي التيمم

ندع رخصة القصر والجمع في السفر فنجد رخصة التيمم لفاقد الماء حقيقة أو حكماً.

إن الطهارة شرط من شروط صحة الصلاة، والأصل فيها أن تكون بالماء. ولكن الإنسان قد يفقد الماء ويتعذر حصوله عليه، وقد يكون مريضاً يتأذى باستعماله، فيكفيه في مثل هذا أن يقصد صعيداً طيباً، فيضرب بكفيه، ثم ينفضهما، ثم يمسح بهما وجهه وكفيه.

وتدل آية التيمم على أن الله لا يريد أن يعنت الناس ويحملهم على الحرج والمشقة بالتكاليف، إنما يريد أن يطهرهم ويتم عليهم نعمته ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ (المائدة: ٦)

فالطهارة الروحية هي المقصد الأسمى في العبادة وإن تبعتها الطهارة الحسية، وجانب التطهر الروحي أقوى من جانب التطهر البدني، وإن هدف الإسلام هو طهارة الظاهر والباطن. فحين يتعذر استخدام الماء يستعاض عنه بالتيمم الذي لا يحقق طهارة الجسد بنظافته، وإنما يحقق الجانب الأقوى في القصد إلى تطهير الروح ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾(المائدة: ٦).

وبهذا المعنى تنكشف الغشاوة عن أعين أولئك الذين يرون في الاهتمام بنظافة الجسد كفاية لهم. أو يرون مشروعية التيمم متنافية مع القصد إلى النظافة. فإن القصد الأول إنما هو لتطهير الروح لا لتطهير البدن.

والتيمم من خصائص هذه الأمة، ففي الصحيحين: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل».

والفقهاء يذكرون رخصة التيمم عند العجز عن استعمال الماء لعدمه، أو لضرر في استعماله، من حرج أو برد شديد أو مرض يخشى زيادته، أو تطاوله واجب، ولهذه الأحوال كلها أدلتها المبسوطة في كتب الفقه.

٣- رفع الحرج في نواة المجتمع بحياة الأسرة

إن الأسرة هي نواة المجتمع، وفي مهدها تتربى الطفولة التي هي ذخيرة المستقبل، والرصيد الإنساني الممتد على طول الزمن، وفي جو الأسرة الذي يعبق بصلات الود والمرحمة تنمو المواهب الفطرية الأولى في حياة الطفولة.

والأسرة في الإسلام تولد في المجتمع لتبقى وتدوم حفاظاً على النوع الإنساني، واستمراراً لجهده الحضاري في الحياة.

والعلاقات القائمة بين الزوجين في الإسلام تتساوى فيها الحقوق والواجبات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بما يقطع دابر المنازعة والخصومة وهي العدل الإلهي الذي لا إجحاف فيه لواحد من الزوجين. قال تعالى ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ (الطلاق: ٧) وقال عليه الصلاة والسلام «ولهن عليكم نفقتهن وكسوتهن بالمعروف» وقال لهند «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

وما دامت الأسرة وجدت لتبقى. حتى لو فسدت الحياة بين الزوجين وانفصمت عراها، فإن نظام الأسرة في الإسلام نظم تلك العلاقة التي بقيت بعد انفصام الزوجين بالطلاق، وهي علاقة النسل الذي ساهم كلاهما فيه.

فعلى الوالدة- وإن كانت مطلقة- أن ترضع طفلها حولين كاملين. وهي الفترة الطبيعية لنمو الطفل نمواً سليماً من الوجهة الصحية والوجهة النفسية، يتغذى من لبن أمه، ويستدفئ بعاطفتها، وعلى والد الطفل في مقابل هذا أن يرزقها ويكسوها بالمعروف. فكل منهما يقوم بواجبه بقدر طاقته ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

وليس انفصام الحياة الزوجية حداً فاصلاً لعلاقاتها، بل تظل هناك التزامات في النفقة والسكنى أو السكنى وحدها على التفصيل الفقهي لدى العلماء، وهذه الالتزامات في حدود المقدرة لدى الزوج ومستوى حياته، لا أقل ولا أكثر بلا مضارة أو تضييق، وخص ذوات الحمل بالنفقة، وإن طالت المدة إلى أن يضعن حملهن، ومن حقهن بعد ذلك إذا قمن بالرضاع أخذ الأجر لتستعين الأم به على حياتها، وعلى إدرار اللبن لصغيرها. وما الطفل سوى الثمرة المشتركة بين الأب والأم، وهو أمانة لديهما، يتشاوران في أمره بالمعروف، حتى لا تجني عليه نكبة فشلهما وهو الصغير البريء.

وتقدر هذه النفقة باليسر والعدل، لا يتعنت الرجل، ولا تتعنت المرأة، فمن وسع الله عليه رزقه فلينفق عن سعة، ومن ضيق عليه في الرزق فلا حرج عليه، فالله هو المعطي، ولن يكلف الله أحداً أن يعطي إلا في حدود ما أعطاه، وهو وحده القابض الباسط، ومنه يكون الفرج بعد الضيق، واليسر بعد العسر ﴿أَسْكِنُوهُنَّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ (الطلاق: ٦-٧).

٤- رفع الحرج بأسس الحياة الاجتماعية في التعامل بين الناس

الإسلام هو شريعة الله المتكاملة في العقيدة والعبادة والمعاملة، ومن عقيدته التي تقوم على توحيد الله وحده تنبثق شرائعه كلها، فهي القاعدة التي يرتبط على أساسها الفرد بالله على بصيرة، وترتبط بها الجماعة بالمعيار الثابت الذي ترجع إليه في كافة الروابط، في رابطة الأسرة بأجيالها المتلاحقة، وفي رابطة العلاقات الاجتماعية والتعامل على اختلاف أنواعه، وتأتي هذه الشرائع في تناسق محكم في الوصايا المتتابعة بسورة الأنعام مبتدئة بالقاعدة الأولى في وحدانية الله وعدم الإشراك به، وتتلوها القيم الإسلامية الكبرى، إلى أن تأتي المعاوضات المالية بين الناس.

والمعاوضات المالية أساسها التجارة والبيع والشراء، وضابط ذلك الكيل والميزان، وقاعدة الإسلام في هذا تحري العدل والإنصاف. وذلك يوهم النفس بمشقة القيام به، فإن التبادل التجاري هو محور النشاط اليومي في حياة الفرد وحياة الأمة، وقلما تمر ساعة دون أن يتم هذا التبادل بين طرفين، ولكن الله تعالى يرفع الحرج في ذلك ما توفر القصد الحسن في أن تكون المعاوضات بالقسط ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(الأنعام: ١٥٢).

وبهذا يكون الإسلام قد رفع الحرج عن شعب الحياة الإنسانية كلها.

ورفع الحرج عن حديث النفس وخواطر القلب.

ورفع الحرج في الدين عامة وفي العبادات خاصة.

ورفع الحرج في نواة المجتمع بحياة الأسرة.

ورفع الحرج بأسس الحياة الاجتماعية في التعامل بين الناس.

هذا وإن النصوص الواردة في رفع الحرج قد جاءت بصيغة العموم مع تأكيد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مدلولها، فالحرج جاء نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تعم، وأكد هذا بمن الزائدة التي تفيد التنصيص على العموم ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ (الحج: ٧٨). ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة: ٦) وكذلك نفس المكلف جاءت نكرة في سياق النفي ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

وقد أراد الله بذلك حكمة نتكلم عنها في عدد قادم إن شاء الله.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رفع الحرج في الشريعة الإسلامية (٣)

العدد (٥٤) جمادى الثانية (١٣٨٩هـ) - أغسطس (١٩٦٩م).

• وجه رفع الحرج

قد أرجع الشاطبي رفع الحرج عن المكلف إلى وجهين:

أحدهما: الخوف من الانقطاع عن الطريق، وبغض العبادة وكراهة التكليف.

والثاني: خوف التقصير عن مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع.

أما الوجه الأول: فإن الإسلام هو شريعة الله السمحة التي يسرها لعباده وزينها لقلوبهم وحببها إليهم، ليقبلوا عليها بصدق وإخلاص. والنفس بطبيعتها تميل إلى السهولة واليسر والاستجابة إلى الحنفية استجابة فطرية ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ (الحجرات: ٧)

ولو تركت النفس لهواها وجاء الحق تبعاً لما تختار لأدى ذلك إلى العنت والحرج ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ (المؤمنون: ٧١).

ولهذا نهى النبي ﷺ عن التشديد في العبادة والتعمق في الدين، وقال: «هلك المتنطعون»، «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا وكأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وأمر نبي الأمة أن يأتي الناس من صالح العمل ما يطيقون، فإن الله لا ينقطع عن ثوب عباده حتى ينقطعوا عن عبادته، وليس في مقدورهم أن يصلوا في عبادتهم إلى الغاية «عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا».

ولا شك أن ترك الرخص يؤدي إلى الانقطاع عن الاستباق إلى الخير، كما يؤدي إلى السآمة والملل. والنفير من العبادة، وكراهية العمل، وترك الدوام عليه، ودخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا هذا حبل لزينب فإذا أفترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ «حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا أفتر فليرقد».

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها فقال: «ما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ، ثم قال: أيها الناس، إن منكم منفرين فمن أَمَّ بالناس فليتجوز فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة».

ونهى رسول الله ﷺ عن الوصال، فلما أبوا أن ينتهوا واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: «لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا» وبين في حديث آخر سماحة الدين وما يورثه التعمق فيه من كراهية للعبادة، وضرب مثلاً لانقطاع المتعمق دون غايته «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» وفي حديث قيام رمضان قال لهم: أما بعد: فإنه لم يخف علي شأنكم، ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها.

أما الوجه الثاني: الذي يرجع إليه رفع الحرج عن المكلف، وهو خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع؛ فإن الإسلام هو دين الحياة، وللحياة متطلباتها المشروعة في الكسب والاستمتاع بما أحل الله، ولكل مطلب من مطالب الحياة المشروعة حقه على العبد وإعطاء بعضها من العناية ما يفضي إلى التقصير في جانب الآخر لا يتفق مع روح القصد والاعتدال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الإسلام. يقول الشاطبي «إن المكلف مطلوب بأعمال ووظائف شرعية لابد له منها. ولا محيص له عنها، يقوم فيها بحق ربه تعالى. فإذا أوغل في عمل شاق فربما قطعه عن غيره، ولاسيما حقوق الغير التي تتعلق به، فيكون عبادته أو عمله الداخل فيه قاطعاً عما كلفه الله به. فيقصر فيه، فيكون بذلك ملوماً غير معذور. إذ المراد منه القيام بجمعها على وجه لا يخل بواحدة منها ولا بحال من أحواله فيها».

ونحن حين نطالع نصوص الشريعة الإسلامية نجد هذا واضحاً جلياً في كثير من المواضيع.

ففي حديث معاذ مثلاً نرى أن الشاكي رجل أقبل ببعيرين يستقي عليهما، وقد دخل الليل بعد أن أعناه طول العمل بالنهار اقتياتا لنفسه وعياله وأصبح في حاجة إلى أن يريح جسمه، فإذا بمعاذ يطيل عليه في الصلاة مما ألجأ الرجل إلى الانطلاق والتقدم بشكواه إلى رسول الله، عن جابر قال: أقبل رجل بناضحين، وقد جنح الليل فوافق معاذا يصلي، فترك ناضحيه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبلغه أن معاذا نال منه، فأتى النبي ﷺ «فشكى إليه معاذاً، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ، أفتان أنت؟، أو أفاتن ثلاث مرات فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى. فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة».

وآخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. فقال له: نم فنام، ثم ذهب ليقوم فقال له: نم فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن.. فصليا جميعاً، فقال له سلمان. إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان».

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نحو هذا. فإن رسول الله ﷺ قال

له: صم وأفطر ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يراعي الفطرة البشرية في معاملة أصحابه ويتلطف في سلوكه معهم بما يحقق الرغبات المشروعة في هذه الفطرة.

ولو كان هذا في صلاته وروي عنه أنه قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه».

وعند اختلاف الحظوظ فالإسلام يجمع بينها أو يرجح بعضها على بعض فإن الإفراط في بعض العبادات قد يعجز المكلف عن القيام بما هو أهم منها. والحظوظ متفاوتة، والشريعة الإسلامية تنظر إليها بعين العدل. ليأخذ المسلم منها ما لا يخل بواجب ويترك منها ما لا يؤدي تركه إلى محظور وإذا تزاحمت الأعمال وقع الترجيح بينها، فإذا تعين الراجح ارتكب وترك ما عداه، حكي عن عياض عن ابن وهب أنه آلى ألا يصوم يوم عرفة بالموقف أبداً، لأنه كان في الموقف يوماً صائماً وكان شديد الحر، فاشتد عليه قال: فكان الناس ينتظرون الرحمة وأنا أنتظر الإفطار، وفي الحديث «إنكم قد استقبلتم عدوكم والفطر أقوى لكم».

● ما جاء في الشرع مما يكون سبباً في المشقة

قد يكون فيما تضمنته الشريعة من مأمورات ومنهيات ما يكون سبباً لأمر شاق على المكلف، ولكن الشارع لا يقصد بهذا إدخال المشقة عليه، وإنما يكون قصده جلب مصلحة أو درء مفسدة. وذلك هو ما يقتضيه النظر العقلي والمنطق السليم. يصاب المرء بمرض يؤرقه ويقض مضجعه في جسمه أو في طرف من أطرافه فإذا رأى الطبيب أن سلامة صحته في دواء مر. أو أجراء جراحة. أو قطع عضو لم ير عاقل بأسا في شرب الدواء أو تعاطي الجراحة أو قطع العضو، مع ما في ذلك من إيلام تحقيقاً لمصلحة ناجحة في حفظ النفس، والإيلام ليس مقصوداً في العلاج، وإنما المقصود طلب الاستشفاء والأمل في العافية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالعقوبات المشروعة في الإسلام لارتكاب الجرائم كالقصاص والحدود تبدو فيها القسوة والمشقة ولكنها تزجر الفاعل وتكفه عن المعاودة. وتكون عظة لغيره أن يقع في مثل ما وقع فيه، وليست الصحة النفسية في حياة الفرد والصحة الجماعية في حياة الأمة بأقل شأناً من صحة البدن.

وفي شريعة الإسلام تهذيب للنفس وتربية لها على المثل العليا، بمخالفة هواها حتى يكون المكلف عبداً خالصاً لله، يدين له بالطاعة، ويتحرر من أهوائه وشهوات نفسه وليس مخالفة الهوى من المشاق المعتبرة في التكليف وإن كانت شاقة فيما جرت عليه العادة. إلا أنها تصل العبد بربه، والقصد الأول فيها هو تحقيق معنى العبودية لله ابتغاء مرضاته، وطلباً لثوابه ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الجاثية: ٢٣)، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَاتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ (محمد: ١٤).

وفي الجهاد في سبيل الله مشقة وإن لم تكن خارجة عن المعتاد ولكنه يحقق غاية سامية في إعلاء كلمة الله، وإحقاق الحق والذود عن حياض الدين وحماية حوزة الفضيلة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦) فالقتال في سبيل الله فريضة في تحمل معنى المشقة، ولكنها واجبة الأداء لما فيها من خير كثير للفرد المسلم وللجماعة المسلمة وللبشرية كلها ولا ينكر الإسلام - وهو دين الفطرة- على النفس البشرية إحساسها الفطري بكراهية القتال، ولكنه يقرر من جانب آخر أن القتال وإن كان مر المذاق فإن وراءه حكمة تسيغ مرارته، وتهون مشقته، فلعل وراء المكروه خيراً، ووراء المحبوب شراً والله وحده هو الذي يعلم عواقب الأمور وغاياتها البعيدة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦) فقد تكره النفس الإنسانية القاصرة الضعيفة أمراً ويكون فيه الخير كل الخير، وقد تحب أمراً وتتهالك عليه وفيه الشر كل الشر، ولذا كان الثبات على محنة العقيدة التي تزلزل القلوب بأهوالها ضريبة الإيمان الصادق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وباب النصر المحقق في حياة الأنبياء والمرسلين ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ (البقرة: ٢١٤)

ومن هذا القبيل - وإن لم يدخل في التكليف - ما يلحق الإنسان من مصائب بلاء ومحنة «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه».

وبعد:

فتلك هي الملامح الواضحة في الشريعة الإسلامية ببعض جوانبها حتى يرتفع الوهم الخاطئ في مشقة تكاليفها وثقل العبء في القيام بها.

إنها شريعة الفطرة التي تراعي جوانب الحياة الإنسانية وتلبي مطالبها العادلة وتستعلي بها على سفاسف الأمور.

إنها شريعة أخلاقية لا تكبل الناس بقيود تكاليفها ولكنها تخلصهم من أغلال عبودية الهوى والشهوة استعلاء للإرادة الإنسانية كي تختار مواضع هذه الشهوات في حدودها النظيفة التي وفرها الإسلام. وفي دائرة الطيبات التي أحلها الله.

وإذا استقامت النفس البشرية مع فطرتها ووجدت في شريعة ربها ما يلبي حاجاتها فإنها تبذل طاقاتها في يسر وسهولة، وتشق طريقها إلى المجد راضية مطمئنة واثقة بالغاية وإن طال بها الطريق.

والبشرية اليوم تعاني ما تعانيه من اعتساف المناهج الجاهلية وأصحابها وهي ترى في أفق التاريخ منهجاً إنسانياً واقعياً فريداً هو منهج الإسلام الذي خلصها بتجربته في الصدر الأول من شقوة الحياة. وقادها إلى بواعث الخير الفطرية وغايتها السامقة في يسر وسهولة، ولا سبيل لخلاصها اليوم من شقوتها إلا به وبيدنا نحن المسلمين هذا المنهج برصيده التشريعي وتراثه التاريخي، والوعي الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها يتطلع إلى محاولة تطبيق هذا المنهج من جديد حتى تعود البشرية إلى الحق والعدل والسلام. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء، والله من وراء القصد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطريق إلى الله

العدد (٥٦) شعبان (١٣٨٩هـ) - أكتوبر (١٩٦٩م).

يطيب لكثير من الناس أن يشعروا بالطاقة الفكرية التي يستمتعون بها.

وأن يستخدموا هذه الطاقة في إدراك الحقائق، لا سيما والبحث العقلي قد أصبح من سمات العلم الحديث ما استند إلى المشاهدة والاستقراء، وما علم هؤلاء أن هذا النهج هو وليد الفطرة، وأنه السبيل الذي أرشد به الخالق عباده إلى الاهتداء إليه والإيمان بوحدانيته.

● الحكم العقلي

يقسم العلماء الحكم إلى ثلاثة أقسام: عقلي وشرعي وعادي، والذي يعنينا من ذلك هو الحكم العقلي، وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بناء على تفكير دون توقف على شرع ولا تجربة أو تكرار.

وهذا الحكم منه الواجب والمستحيل والجائز.

فالواجب: هو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء لذاته، وذلك كثبوت العلم والقدرة والمحبة والرضا ونحوها من الكمالات لله، فإنها صفات ثابتة له تعالى لا تقبل الانتفاء.

والمستحيل: هو المنفي الذي لا يقبل الثبوت كشريك الباري، والجمع بين النقيضين ورفعهما، والجمع بين الضدين، فإنه يستحيل عقلاً أن يكون الشيء موجوداً ومعدوماً، أو أنه ينتفي عنه الوجود والعدم، كما يستحيل أن يكون أبيض وأسود في وقت واحد.

والجائز: ويقال له الممكن هو ما يقبل الوجود والعدم، كالمخلوقات التي نشاهدها، فإنها كانت معدومة فقبلت الوجود، ثم بعد وجودها تقبل العدم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومعنى كون الوجوب والاستحالة والجواز حكماً عقلياً أنها لازمة لما حكم له بها لا تقبل التخلف عنه ولا الانفكاك وإن جاءت بها نصوص الشرع، وليس المراد أنه لا علاقة للشرع بها، فإن نصوص الشرع قد جاءت بأصول الدين، وكشفت للعقل عما خفي عليه وقصر عن إدراكه من تفاصيل عقائد التوحيد وسلكت به طريق الحق، وهدته إلى سواء السبيل، ولولا ما جاء فيها من البيان لارتكس العقل في حمأة الضلالة، وقام للناس العذر، وسقط عنهم التكليف، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥) وقال ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ (النسا: ١٦٥).

- **إمكان العالم وحاجته إلى موجد**

كل ما شاهدناه في ماضينا من الكائنات وما نشاهد في حاضرنا ممكن. وضرورة أنا نراه يتحول من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم. ولو كان واجباً لما سبق وجوده عدم ولا لحقه فناء، ولو كان مستحيلاً لما قبل الوجود، وقد شاهدناه موجوداً، فثبت أنه ممكن.

وإذا كان العالم ممكنا وجب أن يستند في نشأته على من يكسبه الوجود، ويرجع في تصرفاته وتقلباته إلى من يتولاه ويحفظ عليه وجوده في كل أطواره، وهذا مما شهدت به الفطرة، وجبلت عليه النفوس، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم: ٣٠) وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

كما دل على ذلك العقل، فإن نسبة الممكن إلى طرفيه: الوجود والعدم: على السواء، فلو وجد بدون سبب خارج عن ذاته وحقيقته لزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر بلا مرجح. وهو باطل، ولو أوجد نفسه لزم مع ذلك أن يكون متقدماً على نفسه باعتباره خالقاً لها، متأخراً عنها باعتباره مخلوقاً لها. وتقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها محال بالضرورة، لما فيه من التناقض الواضح، فثبت أن

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الممكن لا بد له من موجد غير ذاته وحقيقته، يوجده ويدبر شؤونه في كل أحواله، وهذا هو الله سبحانه وتعالى.

وقد أرشدنا الله إلى ذلك في كثير من آيات القرآن، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الطور: ٣٥) فأنكر سبحانه أن يكونوا خلقوا بلا خالق، وأن يكونوا خلقوا أنفسهم، وبذلك تتفق الفطرة والعقل والسمع على حاجة العالم إلى صانع، واستناده إلى موجد.

إثبات وجوب الوجود لله تعالى

وإذا ثبت أن الله هو الذي أوجد العالم، فإن وجوده يختلف عن وجود الممكن، لأن لفظ الوجود بمعناه المطلق يشترك فيه الممكن والواجب، أي الحادث والقديم الأزلي، فالله يوصف بأنه موجود، والحادث من المخلوقات يقال له أيضاً موجود، إلا أن الممكن له وجود يخصه، فإنه حادث سبق وجوده عدم، ويلحقه الفناء، وهو في حاجة دائمة ابتداء ودواماً إلى من يكسبه الوجود ويحفظه عليه كما سبق.

ولله وجود يخصه، فهو سبحانه واجب الوجود لم يسبق وجوده عدم، ولا يلحقه فناء، ووجوده من ذاته لم يكسبه من غيره، إذ هو الغني عن كل ما سواه.

وبذلك جاء السمع وشهد العقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣)

وأما العقل، فلأنه لو كان مستحيلاً لم يصح أن يستند إليه الممكن في حدوثه بداهة، لأن المستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ولو كان ممكنا لافتقر في حدوثه إلى من يرجح وجوده على عدمه لما تقدم، فإن استمرت الحاجة فاستند كل في وجوده إلى نظير له من الممكنات، لزم إما الدور وإما التسلسل في المؤثرات، وكلاهما محال، وإذا انتفى عليه الإمكان والاستحالة ثبت له الوجوب، ضرورة أن أقسام الحكم العقلي ثلاثة، وقد انتفى اثنان، فتعين الثالث، وهو الوجوب، فالله واجب الوجود.

ولا يزعم أحد بعد ذلك أن وجود العالم كان وليد الصدفة بالاتفاق، أو أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أطواره نشأت عن تفاعل بين عناصر المادة. فتفرقت إلى وحدات بعد اجتماع، أو اجتمعت وائتلفت بعد تفرق واختلاف، وصار لتلك الوحدات أو المركبات من الخواص ما لم يكن قبل هذا التفاعل، وبذلك تجددت الظواهر، وحدث ما يشاهد من تغير وآثار، مع جريانها على سنة لا تتبدل، وناموس لا يختلف ولا يتغير.

فإن انتحل أحد هذا الزعم قيل له: من الذي أودع تلك المادة طبيعتها؟ وأكسبها خواصها؟ فإنها إن كانت لها من ذاتها ومقتضى حقيقتها لم تقبل التغيير والزوال لأن ما بالذات لا يتخلف ولا يزول، وقد رأيناها تتبدل وتزول. فلا بد لها من واهب يهبها ذلك، وفاعل مختار عليم حكيم يدبرها، ويضعها في محالها، وليس ذلك المادة وحدها، ولا خواصها أو طبيعتها القائمة بها، فإنها ليس لها من سعة العلم وكمال الحكمة وشمول المشيئة، وعظيم القدرة ما ينتظم معه الكون على ما نشاهد من أحكام يبهر العقول دقة وجمالاً، ومن إبداع يأخذ بمجامع القلوب.

فلم يبق إلا أن يكون الله تعالى هو الذي خلق هذه الكائنات في إحكامها الدقيق ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ (الملك: ١-٥).

وحدانية الخالق

وقد قامت الدلائل العقلية والسمعية على وحدانية الخالق في ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، وفي ألوهيته.

فهو خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير، وقد أقرت بهذا فطرة الناس، ولم يعرف عن طائفة بعينها أنها قالت بوجود خالقين متكافئين في الصفات والأفعال، وإنما حكي عنهم نسبة بعض الأمور إلى ما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زعموهم آلهة لها شيء من النفع والضر، فقربوا إليها القرابين، وبيَّن الله سبحانه وتعالى بطلان ذلك، وأنكر على من زعمه، فقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (المؤمنون: ٩١-٩٢) فبين سبحانه أنه لو كان معه إله يشركه في استحقاق العبادة لكان له خلق وملك وقهر وتدبير، إذ لا يستحق العبادة إلا من كان كذلك حتى يرجى خيره ويخشى بأسه، ولو كان له خلق وتدبير وملك وتقدير لعلا على شريكه وقهره إن قوي على ذلك ليكون له الأمر وحده، ولذهب بخلقه، وتفرد بملكه دون شريكه، حتى يكون لديه من القوة والجبروت ما يفرض به سلطانه على الجميع، فإن من صفات الرب كمال العلو والكبرياء والقهر والجبروت.

وقد استخلص العلماء من ذلك دليلاً سموه دليل التمانع، فقالوا: لو أمكن أن يكون للعالم ربان يخلقان ويدبران أمره لأمكن أن يختلفا بأن يريد أحدهما وجود شيء ويريد الآخر عدمه، أو يريد أحدهما حركة شيء ويريد الآخر سكونه، وعند ذلك إما أن يحصل مراد كل منهما وهو محال لما يلزمه من اجتماع الضدين، وإما ألا يحصل مراد كل منهما وهو محال لما يلزمه من رفع النقيضين وعجز كل منهما، وإما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر، فيكون الذي نفذ مراده هو الرب دون الآخر لعجزه، والعاجز لا يصلح أن يكون رباً.

وهذا الخالق الواحد هو الإله الحق الذي يفرد بالعبادة، قولاً وقصداً وفعلاً، فلا ينذر إلا له، ولا نقرب القرابين إلا إليه، ولا يدعى في السراء والضراء سواه، وبهذا أرسل، وجاءت الكتب، ورفع علم الجهاد لتوحيد الله.

وإذا ثبت فيما سبق توحيد الله تعالى في ربوبيته خلقاً وتدبيراً، فإن هذا هو الطريق الفطري لتوحيده في ألوهيته عبادة وقصداً، وبهذا احتج الله على المشركين ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (المؤمنون: ٨٤ -٨٩).

ومنهج القرآن في ذلك مخاطبة الفطرة البشرية لإلزامها بالحجة العقلية التي تدل دلالة صريحة على توحيد الله ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (النمل: ٦٤).

وبهذا التوحيد يستقيم أمر الحياة الإنسانية على الجادة، وتهتدي في شؤونها إلى سواء السبيل.

لقد ازدهرت الحركة العلمية في ديار الغرب بالعصر الحديث، وأينعت وأثمرت، واستطاعت أن تصل إلى بحوث عجيبة في جوف الأرض، وفي أجواء الفضاء، ووصلت الفنون والمبتكرات إلى ما حقق للإنسان الرفاهية والمتعة، ولا تزال هذه الحركة العلمية في تطور دائم، تأتي كل يوم بجديد، وتلد كل عجيب.

ولكن هذا العالم الحضاري المتقدم قد أظل الدنيا بوجوم رهيب، وسحابة كئيبة، حيث أقفرت النفس البشرية من كنزها الأصيل، ورصيدها الهائل، من القيم الإنسانية والمثل العليا، وما عمرته يد الإنسان باسم المدنية يوشك أن تخربه يد الإنسان باسم العلم.

والإيمان بالله وما يستتبعه هو سبيل النجاة من تلك المهالك. وهو الذي يحقق للإنسانية سعادتها، فإلى هذا الإيمان نوجه دعوتنا، وعلى طريقه تسير القافلة التي تقود الإنسانية إلى الخير والبر والرشاد.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نشأة الفقه الإسلامي (١) وأصول مذاهبه

العدد (٦٨) شعبان (١٣٩٠هـ) - أكتوبر (١٩٧٠م).

الحديث عن الفقه الإسلامي حديث عذب شائق، تتعدد جوانبه، وتشرق ملامحه في كل مبحث في مباحثه، ولطالما استشرفت النفوس المؤمنة في أنحاء العالم الإسلامي إلى مراجعة رصيدها الضخم، وذخيرتها الهائلة في التشريع الإسلامي، وفقه أئمته، حتى تبصر سبيل مجدها، وتدرك طريق سعادتها، وتعمل جادة على استئناف الحياة الإسلامية الفاضلة في كل ميدان من ميادين الحياة.

والفقه الإسلامي هو المعين الذي يمد الإنسانية بالمنهج السديد في كل شأن من شؤونها، حتى يستقيم أمرها على الجادة، وتشق طريقها على هدى من ربها، فحري بأبناء الإسلام أن يعو هذه الحقيقة، وبيدهم هذا الخير المتوارث الذي سعدت به البشرية قرونا عديدة، وهي اليوم - وقد كابدت ألوان الشقاء من جراء انحرافاتها عن الإسلام - أشد ما تكون تعطشاً إلى سبيل الخلاص، في فقه الإسلام ومبادئ الشريعة.

● معنى الفقه

والفقه في اللغة بمعنى الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤) وقوله: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ (هود: ٩١) وفي الاصطلاح: العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية.

والفقه بمعناه العام واكب الحياة الإسلامية منذ بزغ فجر الإسلام، حيث كان الوحي يتنزل على رسول الله ﷺ، ويتلقاه عنه صحابته ولهم من سلامة الذوق العربي ما يمكنهم من فهم القرآن الكريم، والعمل بمقتضاه، ولم يكن لديهم حاجة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى الاجتهاد في استنباط حكم إلا حيث لا يجدون نصاً من كتاب أو سنة، وقد أقر رسول الله معاذاً على ذلك حين بعثه إلى اليمن فقال له: «كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال فإن لم يكن في كتاب الله، قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله، قال: أجتهد رأيي، لا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ».

وقد نقل أهل العلم هذا الحديث، واحتجوا به على جواز اجتهاد الصحابة في حياة رسول الله ﷺ فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة، ووردت حوادث تدل على أنهم كانوا يجتهدون في زمن النبي ﷺ في كثير من الأحكام ولم يعنفهم.

١- قال لهم رسول الله يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة» فاجتهد بعضهم وصلاها في الطريق حين أدركتهم الصلاة، وقال: لم يرد منا التأخير، وإنما أراد سرعة النهوض، وتعجيل المسير - فنظروا إلى المعنى - واجتهد آخرون وأخروها إلى بني قريظة، فصلوها ليلاً، - ونظروا إلى اللفظ - قال ابن القيم تعليقاً على هذا: وهؤلاء سلف أهل الظاهر، وأولئك سلف أصحاب المعاني والقياس.

٢- ولما كان علي رضي الله عنه باليمن أتاه ثلاثة نفر يختصمون في غلام، فقال كل منهم هو ابني، فأقرع علي بينهم، فجعل الولد للذي خرجت له القرعة، وجعل عليه للرجلين ثلثي الدية، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء علي رضي الله عنه.

٣- ومسألة الزبية مشهورة عن علي كذلك، روي أن قوماً من أهل اليمن حفروا زبية للأسد، فاجتمع الناس على رأسها، فهوى فيها واحد، فجذب ثانياً، فجذب الثاني ثالثاً، ثم جذب الثالث رابعاً، فقتلهم الأسد، فرفع ذلك إلى علي رضي الله عنه فقال: للأول ربع الدية لأنه هلك فوقه ثلاثة، وللثاني ثلث الدية لأنه هلك فوقه اثنان، وللثالث نصف الدية لأنه هلك فوقه واحد، وللرابع كمال الدية، وقال فإني أجعل الدية على من حضر رأس البئر، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال: هو كما قال.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤- واجتهد سعد بن معاذ في بني قريظة، وحكم فيهم باجتهاده، أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فصوبه النبي ﷺ وقال: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات».

٥- وخرج رجلان من الصحابة في سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، فتيمما صعيداً طيباً ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ، فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد، أصبت السنة وأجزأتك صلاتك، وقال للذي توضأ وأعاد، لك الأجر مرتين، أي أنه صوبهما في اجتهادهما.

٦- وعن عمار قال: «أجنبت فلم أصب الماء، فتمعكت الصعيد، وصليت فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «إنما يكفيك هذا» وضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه، إلى غير ذلك من الحوادث.

فهذه ونظائرها نماذج لفقه الصحابة في عهد رسول الله ﷺ ، عند غيبتهم عنه، حيث لا يجدون نصاً من كتاب أو سنة. وقد وجدوا في ذلك مندوحة، لأن يجتهدوا على ضوء ما عرفوه من شريعة ربهم، وهدي نبيهم.

الفتوحات الإسلامية ومقتضياتها

أخذ الفتح الإسلامي يبسط نفوذه في عهد الخلفاء الراشدين على الأقطار المجاورة للجزيرة العربية، ودخل تحت لواء الإسلام من أصحاب الحضارات القديمة ناس من الفرس والروم، لهم من العقائد والتقاليد والأنظمة ما يتنافى كله أو جله مع العقيدة الإسلامية وشريعتها الغراء، وطبيعة هذا الفتح تستوجب ثقل المسؤولية وعظيم التبعة على المسلمين الفاتحين، وتستدعي من الخلفاء أن يواجهوا هذا بتنظيم الجيوش وإمدادها، وتولية الولاة على البلاد المفتوحة، وإدارة شئونها.

أهم القضايا التي اتفق عليها الصحابة

١- كانت القضية الأولى التي واجهها الصحابة إثر وفاة الرسول ﷺ قضية الخلافة، حيث اختلفوا فيمن يخلف النبي ﷺ في سياستهم وتدبير شؤونهم، أما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأنصار فظنوا أن الأمر ينبغي أن يكون فيهم، لأنهم آووا النبي ﷺ والذين هاجروا، وخاضوا المعارك في سبيل الله، فاجتمعوا بالفعل، وأزمعوا أن يبايعوا رجلاً منهم بالخلافة. ورشحوا سعد بن عبادة زعيم الخزرج، ولكن الأمر انتهى إلى زعماء المهاجرين، فأسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح إلى الأنصار، ودار بينهم شيء من الجدال، وخطب فيهم أبو بكر، وقال لهم: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وأقنعهم بالأمر حتى سمحت نفوسهم، ثم أسرع عمر إلى بيعة أبي بكر فتبعه الأنصار، وبايع بعد ذلك سائر المسلمين.

٢- وكانت القضية الثانية التي واجهها الصحابة هي امتناع جماعة من العرب عن أداء الزكاة، فعزم أبو بكر أمره على قتالهم، ولم يكن من رأي عمر بادئ الأمر قتال هؤلاء لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فظل أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره للقتال، واتفق الصحابة عليه.

٣- ومن القضايا التي اتفقوا عليها كذلك جمع القرآن، فقد توفي رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن قد جمع في مصحف واحد، وليس هناك في كتاب أو سنة ما يدل على جمعه، ولكن عمر رأى ضرورة ذلك بعد موقعة اليمامة، وظل يراجع أبا بكر حتى اقتنع بذلك، وصار هذا إجماعا من الصحابة.

٤- وشاور عمر في تدوين الدواوين، وكان قد اتبع رأي أبي بكر في التسوية بين الناس في الأعطية، فلما جاء فتح العراق رأى التفضيل فيما بينهم بقدر بلاء الرجل وجهاده، واستشار في ذلك، وانتهى الأمر إلى قول عمر: «ما من أحد إلا له في هذا المال، وما أنا فيه إلا كأحدكم، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله ﷺ، والرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته».

أهم القضايا التي اختلفوا فيها

١- تدخل الأرض في البلاد المفتوحة عنوة في عموم الغنيمة التي قال الله تعالى فيها: ﴿۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (الأنفال: ٤١) ومقتضى هذا أن تقسم الأرض

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المغنومة قسم الغنائم، فيكون أربعة أخماسها للغزاة، والخمس للمصالح العامة المذكورة في الآية، ولما فتحت الفتوحات في زمن عمر سأله الصحابة قسمة الأرض التي فتحت عنوة بين الغانمين، ولكن عمر رأى أن مستقبل المسلمين في هذه البلاد وما تحتاجه من نفقات في إدارتها وتنظيم شؤونها وتحقيق مصالح الناس فيها يستدعي التفكير في إبقاء هذه الأرض دون أن تقسم، حتى يبقى لمن يجيء بعد الغانمين شيء، وذلك بوقفها على مصالح المسلمين، لهذا رأى عمر ترك الأرض لأهلها، على أن يوضع عليهم ما يحتملون من خراج تكون منه أعطيات المسلمين، وما يحتاجون إليه من نفقات للجند والقضاة والعمال وسد حاجة المعوزين من اليتامى والمساكين، ووافق عمر على رأيه جماعة من الصحابة، منهم عثمان وعلي ومعاذ بن جبل، وطلحة، وخالفه آخرون، منهم: عبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر، ورأوا أن تقسم الأرض، ويقسم أربعة أخماسها على الغزاة، والخمس لمن ذكروا في كتاب الله تمسكاً بآية الغنيمة.

وقد حاول بعض الفقهاء تبرير فعل عمر كما رواه أبو يوسف في الخراج، وذلك لقول الله تعالى ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ (الحشر: ٨) إلى قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ (الحشر: ١٠) ونقل عن عمر أنه قال في هذه الآية: فكيف أقسم لكم وأدع من يأتي بغير قسم، فأجمع على تركه، وجمع بين خراجه وإقراره في أيدي أهله، ووضع الخراج على أيديهم والجزية على رؤوسهم.

٢- حد الخمر: كان الأمر قبل خلافة عمر في عقوبة شارب الخمر على الضرب بالأيدي والنعال وأطراف الثياب دون حد مقدر، حيث لم يفرض الرسولﷺ في الخمر حداً، ولم يسن سنة، فلما جاء عمر استشار الناس بعد أن كثر شرب الخمر، فقال عبد الرحمن بن عوف أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر.

٣- الطلاق الثلاث: وأمضى عمر بن الخطاب الطلاق الثلاث على خلاف ما كان الأمر قبله «فعن طاوس عن ابن عباس أنه قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخطاب، إن الناس قد استعجلوا أمراً كان لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم».

٤- صلاة التراويح: ومما ينسب إلى عمر جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان، وقد جاء قيام رمضان عن النبي ﷺ، وصلى رسول الله ﷺ بصحابته جماعة، ثم ترك ذلك مخافة أن تجب عليهم، وقد صلاها الناس فرادى في زمن الرسول ﷺ وأبي بكر وصدراً من خلافة عمر، فخرج عمر ليلة فرأى الناس أوزاعاً يصلون في المسجد فقال: لو جمعتهم على إمام؟ فأمر أبي بن كعب فصلى بهم، ثم خرج ليلة أخرى فرآهم مجتمعين على أبي بن كعب فصلى بهم، كما ينسب إليه زيادة النفل في رمضان أو غيره على إحدى عشرة ركعة إلى عشرين ركعة أو أكثر، وهذا أمر لم يتم الاتفاق عليه.

٥- المعهود في حقوق العبد، التنصيف، واختلفوا في الطلاق عند اختلاف الزوجين في الحرية والرق، فأفتى عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت بأن الحرة تكون زوجة للعبد تحرم الحرمة المؤبدة بطلقتين، واعتبروا الطلاق بالزوج لأنه الموقع للطلاق، وهو الذي بيده عصمة النكاح، وخالفهما علي، فقال لا تحرم إلا بثلاث طلقات، أما الأمة تكون زوجة للحر فتحرم بطلقتين، فاعتبر الطلاق بالزوجة لأنها هي التي وقع عليها الطلاق.

٦- قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ (الطلاق: ٤) وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ (البقرة: ٢٣٤) فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: ذكر الله في المطلقات أن عدة الحوامل أن يضعن حملهن وذكر في المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا، فعلى الحامل المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا وأن تضع حملها حتى تأتي بالعدتين معًا، إذ لم يكن وضع الحمل انقضاء للعدة هنا إلا في الطلاق. . ويقول غيرهم: إذا وضعت ذا بطنها فقد حلت، ونقل عن ابن مسعود أنه قال: من شاء باهلته، أن سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة النساء الطولى، يعني البقرة،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومآله تخصيص آية البقرة بآية الطلاق.

٧- سهم المؤلفة قلوبهم: عن ابن سيرين عن عبيدة قال: جاء عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا: يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضاً سبخة، ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تعطيناها؟ فأقطعها إياهما، وكتب لهما عليها كتاباً، وأشهد وليس في القوم عمر، فانطلقا إلى عمر ليشهد لهما، فلما سمع عمر ما في الكتاب، تناوله من أيديهما، ثم تفل فيه فمحاه، فتذمرا وقالا مقالة سيئة، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما، والإسلام يومئذ قليل، وإن الله قد أغنى الإسلام، اذهبا فاجهدا جهدكما، لا يرعى الله عليكما إن رعيتما.

فقد خالف عمر في ذلك أبا بكر رضي الله عنهما، ثم أمضى أبو بكر ما فعله عمر، مما يدل على أنه سوغ له اجتهاده، مع أن سهم المؤلفة قلوبهم مذكور بنص القرآن في مصارف الزكاة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٦٠).

٨- واختلفوا في الجد: فقال زيد بن ثابت- وهو المروي عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود - يرث مع الإخوة - وقال أبو بكر، وروي عن عائشة وابن الزبير وعبد الله بن عقبة، أنهم جعلوه أبا وأسقطوا الأخوة معه.

● تفرق العلماء في الأمصار

بدأت الفتوحات الإسلامية تتسع في عهد عمر بن الخطاب، وظلت موجة المد الإسلامي في المشرق والمغرب تشق طريقها من بعده، وكان لابد للعرب المسلمين الفاتحين أن يؤهلوا أنفسهم لحكم البلاد التي فتحوها بالعلم والمعرفة، ولا بد للذين دخلوا في الإسلام من غير العرب أن يتعلموا العربية لدينهم ولدنياهم فاستتبع الفتح الإسلامي حركة علمية في البلاد المفتوحة.

وكان عمر يميل إلى استبقاء كبار فقهاء الصحابة بالمدينة للاستعانة بهم في الفتيا عند عرض المشكلات، والحيلولة بينهم وبين الاشتغال بالحياة الدنيا ومظاهر الحكم، ولكنه مع ذلك أرسل بعض الصحابة معلمين في الأمصار بعد أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اتسعت الفتوحات، وكتب عمر إلى أهل الكوفة: «إني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وآثرتكم به على نفسي، فخذوا عنه» فقدم الكوفة ونزلها، وابتنى بها داراً إلى جانب المسجد.

وبعد عهد عمر كثر انتشار الصحابة في البلاد المفتوحة، وقد أنشأ هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرقوا في الأمصار حركة علمية في كل مصر نزلوا فيه، ولدى كل واحد منهم من العلم ما قد لا يكون مع الآخر، وكونوا مدارس منهجية في تعليمهم، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم، فتخرج عليهم التابعون، وتأثرت البلاد التي نزلوا فيها بشخصياتهم، ونهجوا في العلم مناهجهم، ومن الطبيعي أن تزدهر هذه الحركات العلمية في المدن خاصة، لأنها أكثر ناساً وأوفر عمراناً، وقد تميز في هذه الحركة منهجان:

أحدهما: منهج أهل الرأي أو مدرسة الكوفة بالعراق. والثاني: منهج أهل الحديث أو مدرسة المدينة بالحجاز.

١- مذهب أهل الرأي في العراق

ربما كان عمر بن الخطاب أكثر الصحابة فقها للنصوص واجتهاداً في فهمه، وإقداماً على إبداء الرأي فيه، والمشكلات التي اعترضت الصحابة، واجتهدوا فيها تعطى لعمر بن الخطاب ﷺ هذه الميزة في أكثر من موضع، وإن كان قد حرص على استشارة الصحابة، والتريث في الأمور، فعن الشعبي قال: «كانت القضية ترفع إلى عمر ﷺ فربما تأمل في ذلك شهراً ويستشير أصحابه، واليوم يفصل في المجلس مائة قضية» وسار عبد الله بن مسعود ﷺ على طريقة عمر، وتأثر به في آرائه، وروي عنه أنه قال: «إني لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم» وجاء في إعلام الموقعين أن عبد الله لا يقنت ولو قنت عمر لقنت عبد الله» وهذا يدل على أن ابن مسعود نهج منهج عمر في التفكير والاستنباط والرأي حيث لا نص. وروي عن إبراهيم النخعي أنه كان لا يعدل بقول عمر، وابن مسعود إذا اجتمعا، فإذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب لأنه كان ألطف.

وقد عرفت من قبل أن عمر بن الخطاب ﷺ أرسل عبد الله بن مسعود إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أهل الكوفة ليعلمهم، وكانت حركته العلمية في العراق كبيرة واسعة، ونهج تلاميذه نهجه من بعده فاعتبرت مدرسة ابن مسعود بالعراق نواة لمدرسة الرأي حتى نسب إليها بعض التابعين فقيل «ربيعة الرأي».

ويرجع انتشار مدرسة الرأي في العراق إلى الأمور الآتية:

١- تأثرهم بالصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ الذي كان من منحى عمر بن الخطاب وأستاذ الكوفة كما عرفنا.

٢- كان الحديث في العراق قليلاً إذا قيس إلى ما لدى أهل الحجاز، موطن الرسول ﷺ وكبار الصحابة.

٣- والعراق متاخم للفرس، واتصل بالحضارة الفارسية اتصالاً وثيقاً، وذلك من شأنه أن يحدث كثيراً من المسائل الجزئية والمشكلات المتعددة التي تحتاج إلى إعمال الرأي.

٤- وكان العراق موطن الشيعة والخوارج، وعلى أرضه دارت الفتنة، ثم شاع الوضع في الحديث تأييداً للمذاهب السياسية، وهذا جعل علماءه في مدرسته يقلون من رواية الحديث ويتحفظون فيها، تحرزاً من الوقوع في الأحاديث الموضوعة، فكانت الأحاديث التي يعول عليها لديهم قليلة، وهذا يدعوهم عند النظر في المسائل إلى القول بالرأي حيث لا نص.

● **مميزات مدرسة أهل الرأي**

١- كثرة تفريعهم الفروع لكثرة ما يعرض لهم من الحوادث نظرا لتحضرهم، وقد ساقهم هذا إلى فرض المسائل قبل أن تقع، فأكثروا من: أرأيت لو كان كذا؟ فيسألون المسألة ويبدون فيها حكماً ثم يفرعونها بقولهم «أرأيت لو كان كذا؟» ويقلبونها على سائر وجوهها الممكنة وغير الممكنة أحياناً، حتى سماهم أهل الحديث «الأرأيتيون»، وقال سعيد بن المسيب لربيعة الرأي وقد اعترض عليه في مسألةٍ: «أعراقي أنت؟» وقدم على مالك بن أنس، أسد بن الفرات، قال أسد: وكان أصحاب مالك يهابونه في السؤال فكنت أسأله عن المسألة، فإذا أجاب يقولون قل له: فإن كان كذا، فأقول له، فضاق علي يوماً فقال: هذه سليسلة بنت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سليسلة، إن أردت هذا فعليك بالعراق.

٢- قلة روايتهم للحديث واشتراطهم فيه شروطاً لا يسلم معها إلا القليل.

● مذهب أهل الحديث في الحجاز

كان للمدينة منزلة خاصة باعتبارها دار الهجرة التي نزل فيها التشريع وشهدت ما كان من رسول الله ﷺ قولاً أو فعلاً، وعاش فيها الخلفاء الراشدون، فأصبحت مهد السنة، ومنبع الحديث، وملتقى الصحابة، وهذا يجعل أهلها أثبت الناس بالفقه وأشدهم تمسكاً بالرواية، ووقوفاً عند الآثار.

ومدرسة المدينة فوق هذا تستقي منهجها من شيوخها الأوائل الذين في مقدمتهم زيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعاً، وقد عرف ابن عمر بحرصه الشديد على تتبع آثار الرسول ﷺ والاعتزاز به، وتأثر بهذا المنهج تلاميذه الذين حملوا لواء العلم بهذه المدرسة، وفي مقدمتهم سعيد بن المسيب الذي أكب على جمع الآثار وفتاوى الصحابة، وحفظ كثيراً منها، وقيل فيه أنه أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وأفقههم في رأيه، وعن ميمون بن مهران قال: «أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت إلى سعيد فسألته»، ومن هذه المدرسة الشعبي الذي يقول: «ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله فخذوه، وما كان من رأيهم فاطرحوه في الحسن».

ومذهب مدرسة أهل الحديث أنهم إذا سئلوا عن شيء فإن عرفوا فيه آية أو حديثاً أفتوا وإلا توقفوا، روي عن رجل سأل سالم بن عبد الله بن عمر عن شيء فقال: لم أسمع في هذا شيئاً، فقال له الرجل: فأخبرني أصلحك الله برأيك قال: لا، ثم أعاد عليه فقال: إني أرضى برأيك فقال سالم: إنى لعلي إن أخبرتك برأيي ثم تذهب فأرى بعد ذلك رأيا غيره فلا أجدك.

وترجع أسباب وقوف أهل الحجاز عند النصوص إلى الأمور الآتية:

١- تأثر مدرستهم بالمنهج الذي التزمه علماؤهم كما ذكرنا في حرصهم على الأحاديث والآثار وتجنبهم الأخذ بالرأي وإعمال القياس إلا إذا كانت هناك ضرورة ملجئة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢- ما لديهم من ثروة كبيرة لدى الصحابة الذين استوطن أكثرهم الحجاز عامة والمدينة خاصة من أحاديث وآثار.

٣- بساطة الحياة لدى أهل الحجاز وقلة مشكلاتهم.. حيث كانوا على الفطرة الأولى بمنأى عما تحدثه المدنية الفارسية أو اليونانية من تفريع للمسائل.

٤- بعدهم عن مواطن الفتنة وبواعث النزاع بالنسبة لما كان عليه الأمر في العراق.

ومن مميزات هذه المدرسة:

١- كراهيتهم لكثرة السؤال وفرض المسائل وتشعب القضايا.

٢- الاعتداد بالحديث والوقوف عند الآثار.

وكان بين أهل الرأي وأهل الحديث منافسة شديدة، وعاب كل فريق منهم طريقة الآخر، وإن كان من بين الحجازيين من يميل إلى الرأي كربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك. أخرج مالك في الموطأ عن ربيعة قال: سألت سعيد ابن المسيب: كم في إصبع المرأة؟ قال عشرة من الإبل، قلت ففي إصبعين؟ قال: عشرون، قلت: ففي ثلاثة، قال: ثلاثون، قلت: ففي أربع؟ قال: عشرون. قلت: حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها؟! فقال له سعيد: أعراقي أنت؟ فقال ربيعة: بل عالم مستثبت أو جاهل متعلم، فقال سعيد: هي السنة. يشير بهذا إلى ما أخرجه النسائي عن النبي ﷺ قال: «عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى تبلغ الثلث من ديتها» ومع ورود النص لا مجال للعقل، ولذلك عاب سعيد على ربيعة ما يعيبه على العراقيين يومئذ من تحكيم العقل في النصوص.

● **الفقهاء السبعة:**

وقد اشتهر من مدرسة أهل الحجاز الفقهاء السبعة:

قال ابن القيم في إعلام الموقعين: وكان المفتون بالمدينة من التابعين: ابن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هاشم، وسليمان بن يسار، وعبيد الله بن عبد الله بن عقبة ابن مسعود وهؤلاء هم الفقهاء، وقد نظمهم القائل فقال:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر … روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل: هم عبيد الله عروة قاسم … سعيد أبو بكر سليمان خارجة

وعن هؤلاء السبعة انتشر فقه أهل المدينة وعلى يدهم تخرج من جاء بعدهم من الفقهاء، وتعتبر مدرسة الفقهاء السبعة المدرسة الفقهية الأولى في هذا العصر، حتى سمي باسمهم، فقيل عصر الفقهاء السبعة، وكان عملهم الفقهي أساساً لمنهج الفقه الإسلامي في البحث والنظر.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نشأة الفقه الإسلامي وأصول مَذاهبه (٢)

تطور الفقه- المدارس الفقهية- أسباب الاختلاف
المذاهب الفقهية المشهورة

العدد (٧٠) شوال (١٣٩٠هـ) - مارس (١٩٧٠م).

• تطور الفقه ومنهج أتباع التابعين

تطور الفقه الإسلامي أمر ضروري تتطلبه حياة الأمة التي تتجدد من زمن لآخر بمتطلباتها وحوادثها تلك الحوادث التي لا يمكن حصرها على مدى العصور، ولن يتأتى أن يكون لكل حادثة منها نص في كتاب الله أو سنة رسوله، ولهذا تدعو الحاجة إلى الاستنباط والاجتهاد لمعرفة حكم ما جد من حوادث، وفي هذا يقول الشهرستاني «وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد، ونعلم قطعاً أنه لم يرد في كل حادثة نص ولا يتصور ذلك أيضاً، والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى.. علم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد».

وقد حذا أتباع التابعين حذو أسلافهم من الصحابة والتابعين في فقه ما جد من حوادث معتمدين في ذلك على ما نقل إليهم من أقوال هؤلاء السلف بعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لأنهم أقرب إلى عهد النبوة وأصدق فهماً للقرآن وما استنبطوه من أحكام ينبغي أن يكون موضع اهتمام إلا إذا اختلفوا فيما بينهم، وكان حديث رسول الله ﷺ يخالف قولهم مخالفة ظاهرة.

وهذا النهج الذي نهجه أتباع التابعين هو طريق السداد الذي تقتضيه الأمانة العلمية مصداقاً لقوله ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله».

وكان اختلاف آراء الصحابة والتابعين في المسألة الواحدة حافزاً لأتباع التابعين على البحث في مرجع هذا الاختلاف وتمحيص الرأي فيه، وأدى هذا إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إفساح المجال للاختيار وإن تأثر علماء كل بلد بشيوخهم السالفين.

● **المدارس الفقهية للأمصار**

كان من آثار استقرار عدد كثير من الصحابة في الأمصار الإسلامية أن نشأ في كل مصر منها مدرسة تولاها بادئ الأمر الصحابة بأنفسهم، ثم خلفهم أتباعهم الذين ورثوا عنهم فقههم ورووا فتاواهم وانتقل الأمر إلى أتباع التابعين على هذا النمط.

١- فقهاء المدينة السبعة المشهورون انتقل الفقه من بعدهم إلى نافع مولى عبد الله بن عمر، وأبي بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، ويحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، وأبي الزناد عبد الله بن يزيد بن هرمز، وربيعة ابن أبي عبد الرحمن مولى بني تيم من قريش وهو المعروف بربيعة الرأي، ثم انتقل الفقه بعد ذلك إلى عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن إسحاق بن مالك بن أنس، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، والإمام مالك بن أنس.

٢- وفي مكة انتقل فقه التابعين فيها من تلاميذ ابن عباس: عطاء بن أبي رباح، وطاوس بن كيسان، ومجاهد بن جبر، وعمرو بن دينار، وعكرمة، إلى أبي الزبير المكي، وعبد الله بن طاوس، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وسفيان بن عيينة، ثم إلى مسلم بن خالد بن سعيد الزنجي- ولقب بذلك لحمرته - وسعيد بن سالم القداح ثم إلى محمد بن إدريس الشافعي.

٣- وفي الكوفة انتقل الفقه من كبار التابعين علقمة بن قيس النخعي، والأسود ابن يزيد النخعي وشريح بن الحارث الكندي القاضي وأبي ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني إلى إبراهيم النخعي، وعامر الشعبي، وسعيد بن جبير، ثم إلى حماد بن أبي سليمان، وسليمان الأعمش، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وشريك القاضي النخعي وسفيان بن سعيد الثوري، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت.

٤- وفي البصرة انتقل الفقه من الحسن البصري ومحمد بن سيرين وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري وجابر بن زيد أبي الشعثاء- إلى أيوب بن كيسان، والقاسم بن ربيعة، وإياس بن معاوية القاضي ثم إلى عبيد الله بن الحسن العنبري،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد.

٥- وفي الشام انتقل الفقه من أبي إدريس الخولاني وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي، وسليمان بن حبيب- إلى عبد الرحمن بن جبير، ومكحول وعمر بن عبد العزيز، ورجاء بن حيوة وعبد الملك بن مروان- الذي كان يعد من الفقهاء قبل أن يلي الخلافة - ثم إلى سعيد بن عبد العزيز والعباس بن يزيد وأبي إسحاق الفزاري صاحب ابن المبارك ويحيى بن حمزة القاضي، وأبي عمرو عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي.

٦- وقدم إلى بغداد بعد أن بناها المنصور عدد كثير من الأئمة والمحدثين، وكان من فقهائها أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي صاحب الشافعي، ثم كان أمام أهل السنة أحمد بن حنبل.

٧- وفي مصر انتقل الفقه إلى يزيد بن حبيب، وبكير بن عبد الله بن الأشج، وعمرو بن الحارث، ثم انتقل فقه هؤلاء إلى عالم مصر أبي الحارث الليث بن سعد الذي كان معاصراً للإمام مالك، ثم إلى عبد الله بن وهب، وأشهب، وابن القاسم من أصحاب مالك، والمزني، وابن عبد الحكم والبويطي من أصحاب الشافعي.

٨- كما نشأ في المدن الأخرى المفتوحة كثير من الفقهاء، فكان بالقيروان سحنون بن سعيد وسعيد بن محمد الحداد.

وكان بالأندلس يحيى بن يحيى، وعبد الملك بن حبيب، ومنذر بن سعيد، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر.

وكان باليمن وهب بن منبه الصنعاني، ويحيى بن أبي كثير، ومطرف بن مازن قاضي صنعاء، وعبد الرزاق بن همام، وسماك بن الفضل.

وهؤلاء الفقهاء الذين عرفوا في الأمصار الإسلامية المختلفة كانوا جميعاً يتصدون للفتيا، دون أن يقلد أحدهم الآخر، وإن أخذ فقهاء كل مصر عن شيوخهم السابقين، يقول ابن حزم «ثم أتى بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبي حنيفة، وسفيان، وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة، ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان التبي وسوار بالبصرة، والأوزاعي بالشام، والليث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بمصر، فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم، واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم، وهو موجود عند غيرهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها»، وقد ذكر الخضري هذا المعنى فقال: «ولم يكن عرف بين الناس الانتساب إلى فقيه معين يعمل بما ذهب إليه من رواية أو رأي وإنما كان هؤلاء المفتون في الأمصار المختلفة معروفين بالفقه ورواية الحديث، فكان المستفتي يذهب إلى من شاء منهم فيسأله عما نزل به فيفتيه، وربما ذهب. مرة أخرى إلى مفت آخر، وكان القضاة في الأمصار يقضون بين الناس بما يفهمونه من كتاب الله أو سنة رسوله أو رأي إن ظهر لهم، وربما استفتوا من ببلدهم من الفقهاء المعروفين، وربما أرسلوا إلى الخليفة يسألونه، كما حصل كثير في عهد عمر بن عبد العزيز».

أسباب الاختلاف بين الأئمة في صدر هذه الأمة.

أولاً: الظاهرة البشرية: فمما لا شك فيه أن الناس بشر، وأن هؤلاء الأئمة يعرض لهم الخطأ والنسيان، وليست هناك عصمة فيما طريقه البلاغ إلا لرسول الله ﷺ، وقد نجد الرجل يحفظ الحديث ثم ينساه، ولا يحضره ذكره عند الفتوى، فيفتي بخلافه، بل ربما عرض هذا في آيات القرآن الكريم، وآية ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب على المنبر وأمر ألا يزاد في مهور النساء فذكرته امرأة بقول الله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ (النساء: ٢٠) فترك قوله وقال: كل أحد أفقه منك يا عمر.. امرأة أصابت وأمير المؤمنين أخطأ.

وأمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر، فذكره علي رضي الله عنه بقول الله تعالى ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥) مع قوله تعالى ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة: ٢٣٣) فرجع عن الأمر برجمها.

ثانياً: أن الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة في الأخذ عن رسول الله ﷺ وعند كل واحد منهم من العلم ما ليس عند الآخر، وفيهم المقل وفيهم المكثر، وقد تفرق هؤلاء وأولئك في الأمصار بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية، فإذا

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عرضت قضية في مصر منها نظر الصحابة الحاضرون فيها، فإن وجدوا أثراً عن النبي ﷺ حكموا به، وإلا كان الاجتهاد، وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي ﷺ لدى صحابي آخر في بلد آخر، ولهذا أمثلة كثيرة.

١- فقد كان حكم التيمم عند عمار وغيره ولم يعلمه عمر وابن مسعود فقالا: لا يتيمم الجنب.

٢- وكان حكم الاستئذان عند أبي موسى، وعند أبي سعيد ولم يعلمه عمر.

٣- وكان حكم تحريم المتعة والحمر الأهلية عند علي وغيره، ولم يعلمه ابن عباس.

٤- وكان حكم الإذن للحائض في أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن عباس وأم سليم، ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت.

٥- وكان حكم أخذ الجزية من المجوس عند عبد الرحمن بن عوف، ولم يعلمه عمر وجمهور الصحابة.

٦- وكان حكم إجلاء أهل الذمة من بلاد العرب عند ابن عباس وعمر، فنسيه عمر سنين، ثم ذُكِّر فَذَكَرَ فأجلاهم.

ثالثاً: أن بعض النصوص قد يبدو في ظاهرها التعارض، فيجتهد فيها أحد هؤلاء الفقهاء وهو مأجور أصاب أم أخطأ، فيميل إلى ترجيح أحد النصين على الآخر، بينما يميل غيره إلى ترجيح هذا الآخر لمرجح لديه.

كما روي عن عثمان في الجمع بين الأختين قال: حرمتهما آية، وأحلتهما آية، وكما مال عمر إلى تحريم نساء أهل الكتاب لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢١) وقال: لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة إن عيسى ربها، وغلب ذلك على الإباحة المنصوصة في الآية الأخرى ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ (المائدة: ٥).

● المذاهب الفقهية المشهورة وأصولها

تحدثنا آنفاً عن المدارس الفقهية، وذكرنا أئمة الفقه في كل مصر، ولكن بعض هؤلاء الأئمة قد وجد أتباعاً يعملون على ذيوعه وانتشاره، فكان مذهبهم أوفر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حظاً، وتتابع الأخذ به والتفريع عنه حتى صار مذهباً مشهوراً، بينما لم يجد الآخرون مثل هذا الحظ فأصبح فقههم منثوراً في بطون الكتب، ولم يتيسر لهم من الأتباع من ينشر مذهبهم، فالأئمة الأربعة المعروفون لم يكونوا جميعًا أحق بالخلود من آخرين كالأوزاعي إمام أهل الشام، وسفيان الثوري الذي قال فيه ابن عيينة: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من الثوري، والليث بن سعد إمام أهل مصر، وصديق الإمام مالك الذي قال فيه الشافعي هو أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، وغير هؤلاء كثير، وسوف نقتصر هنا على بيان أصول المذاهب المشهورة إجمالاً بما يعطينا فكرة عن كل مذهب منها.

١- أبو حنيفة

تركزت مدرسة أهل الكوفة أو أهل الرأي في أبي حنيفة، ويمكن إجمال أصول مذهبه فيما يأتي:

١- التشدد في قبول الحديث

كان أبو حنيفة يتحرى عن رجال الحديث، ويتثبت من صحة رواياتهم فقد لا يقبل الخبر عن رسول الله ﷺ إلا إذا رواه جماعة عن جماعة، أو اتفق فقهاء الأمصار على العمل به فأصبح مشهوراً، وبهذا تضيق دائرة العمل بالحديث، وقد نقل الشافعي في الأم عن أبي يوسف ما يوضح خطته وخطة أبي حنيفة شيخه في ذلك، قال أبو يوسف: فعليك من الحديث مما تعرفه العامة، وإياك والشاذ منه، فإنه حدثنا ابن أبي كريمة عن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ دعا اليهود فحدثوه حتى كذبوا على عيسى، فصعد النبي ﷺ المنبر فخطب الناس فقال «إن الحديث سيفشو علي فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو مني وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس مني» وكان عمر فيما بلغنا لا يقبل الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بشاهدين، وكان علي ابن أبي طالب لا يقبل الحديث عن رسول الله والرواية تزداد كثرة ويخرج منها ما لا يعرف ولا يعرفه أهل الفقه، ولا يوافق الكتاب ولا السنة، فإياك وشاذ الحديث، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث، وما يعرفه الفقهاء، فقس الأشياء على ذلك فما خالف القرآن فليس عن رسول الله ﷺ، وإن جاءت به

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرواية فاجعل القرآن والسنة المعروفة لك إماماً وقائداً، واتبع ذلك وقس عليه ما يرد عليك مما لم يوضح لك في القرآن والسنة.

٢- التوسع في القياس

وحيث ضاقت دائرة الأخذ بالحديث كان التوسع في الأخذ بالقياس، وهكذا كان أبو حنيفة يعمل رأيه في المسألة، ويجتهد في استنباط حكمها دون أن يتقيد بقول سابق للصحابة أو التابعين ما لم يتبين له صحة نقل عن رسول الله ﷺ، فقد روي عنه أنه قال: «إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات، فإذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب فلي أن أجتهد كما اجتهدوا».

٣- الاستحسان

يعتبر الاستحسان من أصول الأدلة في مذهب أبي حنيفة وإن بالغ في الأخذ به بعض العلماء الأحناف فقالوا: إن المجتهد له أن يستحسن بعقله إلا أن المتأخرين منهم على أن الاستحسان عبارة عن دليل يقابل القياس الجلي الذي تسبق إليه الأفهام.

٤- الحيل الشرعية

ينسب كثير من الباحثين إلى فقه أبي حنيفة الحيل الشرعية، وأنها كانت باباً واسعاً من أبواب الفقه في مذهبه، وقد تكلم ابن القيم عن الحيل في كتابه «إعلام الموقعين» وشنع على من توسع فيها وقال «إن المتأخرين أحدثوا حيلاً لم يصح القول بها عن أحد من الأئمة، ونسبوها إلى الأئمة وهم مخطئون في نسبتها إليهم». وأكثر ما ينسب إلى أبي حنيفة من ذلك أفتى به في مسائل تتعلق بالأيمان عامة وبالطلاق خاصة، وليس فيها تحايل على إبطال حق، ولكنها استنباط فقهي للخروج من مأزق كأن يحلف رجل ليقربن امرأته نهاراً في رمضان فيفتيه أبو حنيفة أن يسافر بها فيقربها نهاراً في رمضان، ويحلف آخر وقد رأى امرأته على السلم فيقول: أنت طالق ثلاثاً إن صعدت، وطالق ثلاثاً إن نزلت، فيفتيه أبو حنيفة أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تقف المرأة على السلم ولا تصعد ولا تنزل، ويحتال جماعة يحملون السلم بالمرأة فيضعونها على الأرض وهكذا.

٢- مالك:

كما تركزت مدرسة أهل الرأي في أبي حنيفة تركزت مدرسة أهل الحديث في مالك رضي الله عنه ومن أصول مذهبه:

١- الاهتمام بالحديث

اهتم مالك بالحديث ولم ينهج نهج أبي حنيفة في تضييق دائرته، واشتراط شهرته مع تحري صحة السند، وكان يقول: لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ ممن سواهم.. لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله ﷺ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به.

وقد جمع مالك في كتابه «الموطأ» ما صح من الأحاديث والأخبار لديه، واعتبره أساساً لمذهبه.

٢- عمل أهل المدينة

ذهب مالك إلى أن المدينة هي دار الهجرة، وبها نزل القرآن، وأقام رسول الله ﷺ، وأقام صحابته، وأهل المدينة أعرف الناس بالتنزيل، وبما كان من بيان رسول الله ﷺ للوحي، وهذه ميزات ليست لغيرهم، وعلى هذا فالحق لا يخرج عما يذهبون إليه، فيكون عملهم حجة يقدم على القياس، وعلى خبر الواحد، وفي كتاب الإمام مالك إلى الليث بن سعد «إن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن».

٣- قول الصحابي

ويرى مالك في مذهبه أنه إذا لم يرد حديث صحيح في المسألة عن النبي ﷺ، فإن قول الصحابي إذا لم يعلم له مخالف يكون حجة، وقد ضمن موطأه العديد من أقوال الصحابة والتابعين، فالصحابة أعلم بالتأويل وأعرف بالمقاصد لأنهم حضروا التنزيل وسمعوا كلام رسول الله، فقولهم أولى بالأخذ يخصص به العام،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويترك لأجله القياس.

٤- المصالح المرسلة

والعمل بالمصالح المرسلة أساس من الأسس التي اعتمد عليها مالك في مذهبه، وهي جلب منفعة أو دفع مضرة لم يشهد لها الشرع بإبطال ولا باعتبار معين، لأن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق ضرورية كانت أو حاجية أو تحسينية، والضرورية: هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا في الضروريات الخمسة الثابتة في الملل جميعاً وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

والحاجة: هي التي تؤدي إلى رفع الضيق والحرج والمشقة.

والتحسينية: هي المتعلقة بمكارم الأخلاق، وكون هذه المعاني مقصودة عرف بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة مما يدل على مقاصد الشرع، ولذا ذهب مالك إلى أن هذه المصلحة تكون حجة.

٣- الشافعي

١- المنحى الوسط

كانت رياسة الفقه قد انتهت في العراق إلى أبي حنيفة، وفي المدينة إلى مالك ابن أنس، وقد لازم الشافعي مالكاً، وأخذ عنه كما أخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، فاجتمع إليه علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث، وانتحى مذهباً وسطاً أصل أصوله، وقعد قواعده.

خالف أبا حنيفة في تقديم القياس على خبر الآحاد، ودافع دفاعاً شديداً عن العمل بخبر الواحد، مادام راويه ثقة ضابطاً، ومادام الحديث متصلاً برسول الله ﷺ، ولم يشترط شهرته كما اشترط أهل العراق كما أنكر على أهل الرأي العمل بالاستحسان، وخالف مالكاً في حجية عمل أهل المدينة، والقول بالمصالح المرسلة.

٢- أساس مذهبه

دون الشافعي أساس مذهبه في رسالته الأصولية فهو يحتج بظاهر القرآن، ثم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالسنة، ثم بالآثار الصحيحة، ثم يعمل بالإجماع عند عدم العلم بالخلاف، فإن لم يكن هناك دليل مما سبق عمد إلى القياس فعمل به، مشترطاً أن يكون له أصل معين يقول في رسالته «إن جهة العلم الكتاب والسنة والإجماع والآثار، ثم القياس عليها ولا يقيس إلا من جمع الآلة التي له القياس بها وهي العلم بأحكام كتاب الله عز وجل، فرضه وأدبه، وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه، ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن، وأقاويل السلف، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل وحتى يفرق بين المشبه، ولا يعجل بالقول به دون التثبت، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة، ويزداد تثبتا فيما اعتقد من الصواب، وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك».

٤- أحمد بن حنبل

أصول مذهبه

فقه السنة:

أخص ما يتميز به مذهب أحمد أنه يقوم على فقه السنة، ولذا فإنه يعد من كبار المحدثين، وقد ذكر ابن القيم أن فتاوى أحمد بن **حنبل** مبنية على خمسة أصول نجملها بما يأتي:

١- أحدها النصوص

فإذا وجد النص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا من خالفه كائناً من كان، ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً.

وثانيها: فتاوى الصحابة، أي ما أفتى به الصحابة إذا وجد لبعضهم فتوى لا يخالفه فيها أحد منهم، ولم يقل الإمام أحمد أن ذلك إجماع، بل كان يقول تورعاً لا أعلم شيئاً يدفعه أو نحو ذلك.

وثالثها: الاختيار من فتاوى الصحابة إذا اختلفوا فإنه يتخير من أقوالهم أقربها

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلى الكتاب والسنة.

ورابعها: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ولا قوله صاحب فإن العمل به عنده أولى من القياس.

وخامسها: القياس للضرورة فإذا لم يكن عنده في المسألة نص ولا قول للصحابة أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو حديث ضعيف عدل إلى القياس فاستعمله للضرورة.

الظاهرية

كانت العراق قاعدة أصحاب الرأي، ولكننا نرى في مطلع القرن الثالث الهجري رجلاً يولد بالكوفة (٢٠٠- ٢٧٠هـ) وينشأ ببغداد، ويأخذ العلم عن إسحاق بن راهويه، وأبي ثور، ويدرس مذهب الإمام الشافعي، ويتعصب له، ويصنف في مناقبه، وتنتهي إليه رياسة العلم ببغداد، ثم يستقل بمذهب جديد على النقيض من مذهب أصحاب الرأي، فينكر القياس، ويرى أن عموم النصوص من الكتاب والسنة تكفي لبيان الأحكام، لأن القول بالقياس تشريع عقلي، والدين إلهي ولو كان الدين بالعقل لجرت أحكام على خلاف ما أتى به الكتاب والسنة، ولهذا وجب أن نتقيد بظاهرهما إلا إذا قرن النص بعلة الحكم، وقد قال الله ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ (الشورى: ١٠) لم يقل إلى الرأي والقياس.

ذلك الرجل هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني، المعروف بالظاهري.

وقد اتبع مذهب الظاهرية كثير من الناس في فارس والأندلس، ومن أشهر رجاله أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد المفلس، وأبو محمد علي بن أحمد ابن سعيد بن حزم الأندلسي، ومن أمثلة ذلك في فقههم.

١- أن الإسلام حرم الربا وقال ﷺ «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء».

وقد ذهب عامة الفقهاء إلى أن الحرمة لا تقتصر على هذه الأنواع الستة بل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تتعداها إلى غيرها قياساً ما وجدت العلة واختلفوا في علة المطعومات

١- فقال جماعة إن علة تحريم الربا في المطعومات الكيل والوزن وعلى هذا يجري الربا في كل مكيل أو موزون بيع بجنسه مطعوماً كان أو غير مطعوم.

٢- وقالت طائفة: العلة كونه مطعوماً فيحرم الربا في كل مطعوم قوتاً كان أو فاكهة أو دواء.

٣- وذهب قوم إلى أن العلة كونه طعاماً مكيلاً أو موزونا.

٤- وقال آخرون العلة الاقتيات والادخار أي كون الطعام مقتاتاً مدخراً.

أما الظاهرية الذين لا يأخذون بالقياس فلم يوافقوا على هذا، وقصروا الربا على الأصناف الستة المذكورة في الحديث، وقالوا إن الشارع خص من المكيلات والمطعومات والأقوات أشياء أربعة.. فلو كان الحكم ثابتاً في كل المكيلات أو في كل المطعومات لقال مثلاً:

لا تبيعوا المطعوم بالمطعوم متفاضلا بالنص على علة التحريم، فإن هذا الكلام يكون أكثر اختصاراً وفائدة، فلما لم يقل ذلك، بل عد الأربعة علمنا أن حكم الحرمة مقصور عليها.

٢- وذهب الأئمة الأربعة إلى أن حد الأمة إذا زنت خمسون جلدة بكراً كانت أو ثيباً، أما الثيب فلقوله تعالى ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ (النساء: ٢٥) والمراد بالعذاب الجلد لأن الرجم لا يتجزأ، وأما البكر فلما في الصحيحين من أن رسول الله ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن فقال «إذا زنت فاجلدوها ثم إن زنت فاجلدوها ثم إن زنت فبيعوها ولو بضفير».

وقال داود: على الأمة نصف الحد إذا زنت وكانت محصنة لظاهر الآية وتجلد مائة إذا كانت بكراً لظاهر العموم في قوله تعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢) وقد خرج من هذا العموم الأمة المحصنة بقوله تعالى ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ فتبقى التي لم تحصن في العموم.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه فكرة مجملة عن نشأة الفقه الإسلامي وأصول مذاهبه تصور لنا ذلك الجهد الذي بذله علماء هذه الأمة وأئمتها، وكيف حرص هؤلاء المجتهدون على النظر في شريعة الله؟ وأجهدوا قرائحهم في معرفة أحكام ما جد من حوادث، وقد خلفوا لنا تراثا فقهياً خالداً يتضمن من الشروح والتفسيرات ما يكشف عن ثروة شريعتنا وعظمة مبادئها ونمو قواعدها، فهي شريعة حية لا ينضب معينها، ولا يغيض ماؤها.

واليوم - وقد تكالبت على أمة الإسلام قوى الشر في الشرق والغرب، ونفثت سموم أفكارها وسحرت أعين الناس ببريق خداعها، وتخلت أقطار إسلامية عزيزة عن تحكيم شريعة ربها، وانسلخت عن تاريخ مجدها وولت وجهها شطر الغرب تارة، والشرق أخرى- اليوم وقد وصلت أمتنا إلى هذا الدرك تتطلع النفوس المؤمنة الواعية في أنحاء العالم الإسلامي إلى يقظة جديدة تنفض عن كاهل أمتنا ركام هزيمتها، وتعيد إليها ثقتها في عظمة شريعتها وتشق طرق الكفاح في سبيل هذه الغاية مجاهدة صابرة محتسبة حتى تحطم طواغيت الضلال والفساد ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ (النساء: ٦٠).

والإنسانية المعذبة التي تكتوي بنار الصراع الدولي في عصر يسمونه عصر المدنية تنتظر ساعة الخلاص مما أصابها من بلاء.

وعلى يد الجيل المسلم المجاهد في كل بلد ترتقب الدنيا هذه الساعة لتقر عينها ويهدأ بالها فالإسلام كان -ولا يزال- سفينة نوح في كل طوفان.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دروس من الهجرة

أسماء والهجرة

العدد (٩٨) صفر (١٣٩٣هـ) - مارس (١٩٧٣م).

لم يكن حدث الهجرة حدثاً تاريخياً كتلك الأحداث التي تجري وفق سنن الله الاجتماعية في حياة الأمم، ولكنه كان حدثاً معجزاً فريداً، أعطى للحياة الإنسانية مفاهيم جديدة لوقائع التاريخ تبرز القيم الإسلامية وآثارها الحية التي يعجز البشر عن صنعها. فلا يلبث الناظر فيها طويلاً حتى يردها إلى القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن آيات الإعجاز في هذا الحديث التاريخي الأشم، وإنما نتناول جانباً مشرقاً منه في حياة امرأة من فضليات النساء المسلمات.

لقد عاشت المرأة في عصور الجاهلية مهينة ذليلة، تزدريها الأعين وتمقتها النفوس، وتوقع بها من ضروب العنف والجبروت ما لا تتحمله الجبال الرواسي، واعتبرتها الحضارات القديمة مخلوقاً شريراً لا يصدر عنه إلا الخطيئة، وحرمتها كافة الحقوق التي يتمتع بها الإنسان، ووأدتها جاهلية العرب صغيرة. وعضلتها وورثتها كبيرة ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (النحل: ٥٨ -٥٩).

وعن ابن عباس قال: «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء: ١٩). (رواه البخاري).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلما جاء الإسلام رفع عنها هذا الغبن، ونفض عن كاهلها تلك الأوزار، ورد إليها كرامتها وإنسانيتها.

وفي ثنايا حادث الهجرة يبدو دور المرأة المسلمة في مواقف أسماء بنت أبي بكر الصديق مما لا يدع مجالاً للشك في مكانة المرأة بالإسلام.

الكتمان والسرية

لقد بايع علية القوم في المدينة رسول الله ﷺ على الإسلام والنصرة والإيواء، وكانت الهجرة، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بمكة أن يلحقوا بإخوانهم الأنصار، وقال: «إن الله ﷻ قد جعل لكم إخواناً ودارا تأمنوا بها»، فخرجوا أرسالاً، وأقام ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة، ولم يتخلف معه بمكة أحد إلا من حبس أو فتن إلا علي بن أبي طالب وأبوبكر بن أبي قحافة الصديق وأهله.

وكان وقع هجرة الصحابة على نفوس المشركين أليماً، حيث أدركوا أن المسلمين قد أصابوا منهم منعة.

وحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم بالمدينة. وأيقنوا أنه قد أجمع لحربهم، فائتمروا في دار الندوة، وتشاوروا فيما بينهم، وانتهى أمرهم إلى أن يضربه نفر من شبابهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، وبذلك يتفرق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ (الأنفال: ٣٠).

استولى على قريش الذعر، وغشيتها كآبة الأسى، ودبرت أمرها هذا وهي تخشى كل الخشية أن يفلت رسول الله ﷺ من يدها ويلحق بالمهاجرين والأنصار، ثم يكر عليهم من منطلق حصين.

وأذن الله لرسوله بالهجرة، وفي مثل هذه الحال مِنْ تآمر المشركين وتربصهم يكون الكتمان أكبر عون على نجاح الخطة. حتى يحبط التدبير السيئ، ويحيق المكر بأهله، ويسقط في أيدي ذويه.

ولطالما كانت السرية من مقتضيات الحكمة في الانتصار للحق، وبلوغ غايته،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتفويت الفرصة على خصومه والقرآن الكريم يحكي على لسان نوح عليه السلام قوله ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾ (نوح: ٩) قد بدأت الدعوة إلى الإسلام سراً، وتربى في كنف سريتها رجال آمنوا بالله وبرسوله، وتجردوا لعقيدة الإسلام، وتعاهدوا على نصرتها، فكانوا القاعدة الصلبة للكيان الإسلامي الشامخ الذي بلغ قمة المجد والعزة، وماذا يجدي الصخب الداوي مع الخصوم الألداء الذين أعمى الباطل بصائرهم وأثارت العصبية أحقادهم، واستخفهم الشيطان فأطاعوه؟

ولن يستطيع رسول الله ﷺ أن يكتم أمر هجرته في نفسه دون أن يعلم به أحد سواه، فإنه في حاجة إلى من يستعين بهم من خاصته في هذا الخطب الجلل تدبيراً وإعداداً وصحبة، وقد استأخر أبا بكر في الهجرة، كما تأخر على ابن أبي طالب، ترى من يكون هؤلاء الذين يخصهم بسره؟ وهل يكون للمرأة دورها في ذلك؟

إن الإسلام كما يصنع الرجال المؤمنين الصادقين فإنه يصنع النساء المؤمنات الصادقات، والذكر والأنثى في تبعات الإيمان سواء عملاً وولاية:

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ (النحل: ٩٧).

﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ (الأحزاب: ٣٥).

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ (التوبة: ٧١).

ولم تعرف الدنيا عقيدة من العقائد أو نظاماً من الأنظمة أكرم المرأة وصان خصائصها الفطرية بمثل ما عرف في الإسلام.

وهنا يبدو تكريم المرأة المسلمة في ائتمانها على أكبر حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية بحياة نبي الإسلام ﷺ، حيث كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق موضع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثقة وأمانة، فعلمت بهجرة رسول الله، وكتمت الخبر، وأسرته في نفسها.

وقال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: (كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث، قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «اخرج عني من عندك»، فقال: «يا رسول الله، إنما هما ابنتاي»[١].

وإذا قيل: إن عائشة كانت زوجاً لرسول الله ﷺ فهي أمينة على أسرار زوجها فإن هذا لا يقال بالنسبة إلى أسماء، إنما يقال عنها: إنها كانت مؤمنة فائتمنها رسول الله ﷺ على سره.

«قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج، إلا علي ابن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر»[٢].

● **البلاء والصبر**

من خصائص المرأة رقة العاطفة، ولين الجانب، وسرعة الانفعال، وهذه الخصائص تتنافى مع البلاء والصبر، فالمرأة بطبيعتها ليست صلبة العود، ولا تقوى على تحمل الأذى، ولا تصبر على النوازل، وتلك الحقائق النفسية لا يمارى فيها، وواقع الحياة أكبر شاهد عليها، فلا تكاد المرأة تسمع كلمة نابية تخدش كرامتها حتى يتجهم وجهها، وينحدر دمعها، ويرتفع صوتها بالعويل والصراخ.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، الجزء الثاني ص ١٢٨، ١٢٩- ط الحلبي وكان أبو بكر قد أنكح عائشة من رسول الله ﷺ قبل ذلك.

(٢) المصدر السابق ص (١٢٩) ج٢.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن العقيدة تصوغ الإنسان المؤمن بها صياغة جديدة، يحتسب فيها كل ما يصيبه ابتغاء مرضاة الله. ويتجرد من أحاسيسه الشخصية ليكون إحساسه إحساس عقيدته.

لأنها خالطت شغاف قلبه، وامتزجت بروحه ومشاعره، فغني فيها عن نفسه، يستعذب الموت في سبيلها، ويرى التضحية من أجلها أسمى أمانيه.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (الأحزاب: ٢٢- ٢٣).

وهكذا كان شأن العقيدة في نفس أسماء بنت الصديق.

لقد باءت مؤامرة المشركين بالفشل وخرج رسول الله ﷺ من بيته بعد أن نام علي بن أبي طالب على فراشه وتسجى ببرده، وألقى حفنة من التراب على رؤوس الفتية المتربصين فأعشاهم الله فلم يبصروا رسول الله حين خرج.

واصطحب أبا بكر معه مهاجراً، ولم يتجه صوب المدينة بل جنح متوجهاً إلى غار ثور، وحين أصبحت قريش وعلمت بنجاة رسول الله ﷺ جن جنونها، وطار صوابها، وكبر ذلك على نفوس كبارها، فماذا يفعلون؟

إن بصيص الأمل في الاهتداء إلى وجهة رسول الله ﷺ لملاحقته يبدأ من بيت أبي بكر فهو البيت الذي تأخرت هجرته، وأبو بكر هو الذي صحب رسول الله، وهذا يعني أن سر كل شيء لدى هذا البيت.

عندئذ توجه أبو جهل بن هشام على رأس نفر من قريش إلى بيت أبي بكر، فسألوا أسماء عن أبيها. عسى أن يجدوا في جوابها بريق الأمل فما زادهم جوابها إلا حيرة، فنفس أبو جهل عن غيظه بلطمة سددها إلى خدها فطار منها قرطها، فقابلت ذلك بالصبر والاحتساب.

قال ابن إسحاق: فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: «لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي»(١).

إن لطمة بكف أبي جهل ليست كسائر اللطمات، فقد عرف أبو جهل بصلابة البنية، وقوة الشكيمة، فإذا انحدر كفه على أحد كان كانحدار الصخر من جبل شاهق، وعلى من ينحدر كفه؟ أينحدر على رجل فظ غليظ مثله؟ أم على وغد خسيس لا كرامة له؟ لا، إنما ينحدر على فتاة قرشية من أعرق أسر قريش نسباً، وأعلاها كعباً، إنه ينحدر على أسماء بنت أبي بكر الصديق، فتلقته صابرة محتسبة، وأجابت بهذا الجواب الذي لا يشفي علة جبار غاشم، ولا يطفئ ظمأ هائم يتميز غيظاً، قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ وتمخض حلم أبي جهل فيما كان يأمله لدى أهل بيت أبي بكر عن سراب بقيعة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٣٩﴾ (النور: ٣٩).

- **العمل والجهاد**

وللمرأة في ميدان الدعوة عمل وجهاد بما يلائم خصائصها ويناسب فطرتها، إنها تسهم بالقدر الضروري في حقل وظائفها الأساسية، وجهاد الدعوة يشمل كل جهد يبذل في سبيلها، ومن ذلك إعداد الطعام، وتمريض الجرحى، ومراقبة الأعداء.

ولم يكن دور أسماء بنت أبي بكر الصديق في الهجرة قاصراً على ما ذكرناه آنفاً من كتمانها الخير، وصبرها على لطمة أبي جهل، بل تجاوز هذا إلى الإسهام العملي مشاركة في هذا الحادث العظيم، الذي كان نقطة تحول في تاريخ البشرية.

لقد أقام رسول الله ﷺ في غار ثور ثلاثاً، ومعه أبو بكر، وما كانت قريش لتغمض لها عين حتى تأتي برسول الله حياً أو ميتاً.. وكانت هناك حاجة إلى أمور لا بد منها أخذا بأسباب النجاة ووسائل نجاح الهجرة:

---

(١) ابن هشام- (ج٢ ص١٣١- ١٣٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أولها: تسمع أخبار قريش لمعرفة ما يدبره القوم من مكائد، وما ينصبونه من شراك، وما يحيكونه من مؤامرة.

وثانيها: تعفية أثر من ينقل هذه الأخبار إلى رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار.

وثالثها: الطعام الذي يسد الرمق ويقوم به الصلب.

أما الأمر الأول، فقد تكفل به عبد الله بن أبي بكر، حيث كان يلتقط ما يدور على ألسنة قريش نهاراً، وينقله إلى رسول الله وصاحبه مساء.

وأما الأمر الثاني، فقام به مولى أبي بكر عامر بن فهيرة الذي كان يرعى الغنم ويريحها على رسول الله ﷺ وأبي بكر في الغار، فإذا قفل عبد الله من عندهما راجعاً اقتفى أثره بالغنم تعفية عليه، فمهمة عبد الله وعامر هي مهمة الجاسوسية المشروعة لحماية الإسلام ونبيه.

أما الأمر الثالث: وهو إعداد الطعام- فقد تكفلت به أسماء بنت أبي بكر.

قال ابن إسحاق: «فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبي قحافة، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثور- جبل بأسفل مكة- فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره؛ ثم يريحها عليهما، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما»(١) والتزود بالطعام في السفر الطويل ضرورة ملحة، فكيف إذا كان هذا السفر في الصحراء القاحلة الجرداء لعدة مراحل تقطعها الراحلة يوما تلو يوم؟ إن الزاد حينئذ يكون قوام الحياة.

وأسماء بنت أبي بكر لم يفتها أن تزود رسول الله وأباها بطعام السفر الذي يرد عنهما غائلة الجوع، وهي في هذا تجود بأعز ما تحرص عليه المرأة، فالمرأة تهتم بزينتها، وزينتها في ثيابها، ونطاقها هو حلية هذه الثياب. وكان آنذاك تقليداً

(١) ابن هشام (ج٢ ص ١٣٠).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

متوارثاً أصيلاً.

وقد نسيت أسماء حين أعدت طعام السفر أن تهيئ ما تعلقه به في الراحلة، فلم يسعها إلا أن تحل نطاقها وتجعله عصاماً تعلق به وعاء طعام السفر فسميت بذات النطاقين.

قال ابن إسحاق: «وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فتحل نطاقها، فتجعله عصاماً، ثم علقتها به، فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر ذات النطاق لذلك».

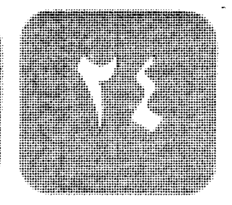
قال ابن هشام: «وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول: ذات النطاقين، وتفسيره: أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر»[1].

هذه هي أسماء بنت أبي بكر في مقتبل عمرها، وهذه هي مواقفها في حادثة الهجرة، فما أروعها من سيرة عطرة لفضليات النساء والمسلمات! وقد كان موقفها في آخر حياتها من الحجاج الثقفي أشد روعة!!

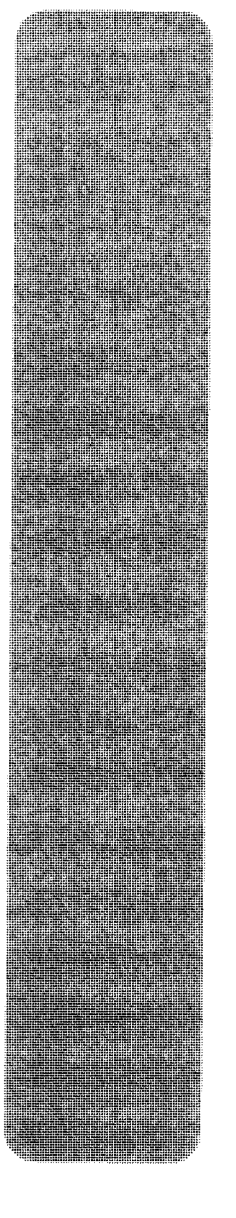


(١) ابن هشام- (ج٢ ص ١٣١).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات



الشيخ عبد الفتاح أبو غدة

- **ترجمة الشيخ.**
- **المقالات:**

١- قبسات من تاريخ القضاء في الإسلام (١).

العدد(٥٤)جمادى الثانية(١٣٨٩هـ) - أغسطس (١٩٦٩م).

٢- قبسات من تاريخ القضاء في الإسلام (٢).

العدد (٥٨) شوال (١٣٨٩هـ) - ديسمبر (١٩٦٩م).

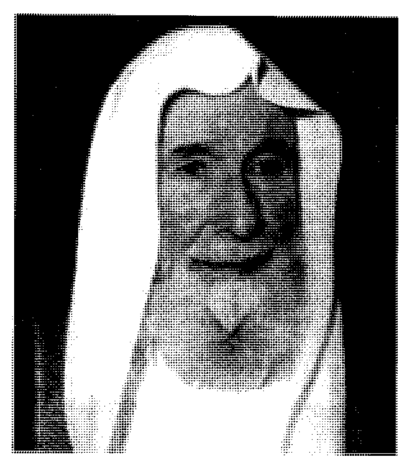
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

عبد الفتاح أبو غدَّه

● **مولده ونشأته:**



هو عبد الفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبوغدة الخالدي المخزومي الحلبي، ولد في مدينة حلب بسورية سنة ١٣٣٦ هـ/ ١٩١٧ م في بيت ستر ودين فقد كان والده محمد رجلاً مشهوراً بين معارفه بالتقوى.

تخرَّج رحمه الله من كلية الشريعة بالجامع الأزهر الشريف في عام ١٣٦٨ هـ، ١٩٤٨م، ثم تخصص في أصول التدريس في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر أيضاً وتخرج منه في عام ١٣٧٠ هـ، ١٩٥٠م وبعد ذلك عاد إلى موطنه حلب.

درَّس مادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب وغيرها لمدة أحد عشر عاماً كما شارك في تأليف الكتب المدرسية المقررة لهذه المادة، ثم انتدب للتدريس في كلية الشريعة في جامعة دمشق، ودرس فيها لمدة ثلاث سنوات «أصول الفقه»، و«الفقه الحنفي» و«الفقه المقارن بين المذاهب». وقام بعد ذلك بإدارة موسوعة «الفقه الإسلامي» في كلية الشريعة بدمشق.

ثم تعاقد مع جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، ومع المعهد العالي للقضاء، وأستاذاً لطلبة الدراسات العليا، ثم أستاذاً زائراً لجامعة أم درمان في السودان ولمعاهد الهند وجامعاتها، ثم عاد للعمل مع جامعة الملك سعود في الرياض.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● **مؤلفاته**

له أكثر من سبعين مؤلفاً وأغلبها في علم الحديث، منها: «رسالة المسترشدين، حقق الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، حقق سنن النسائي» وغيرها.

● **وفاته:**

في عام١٩٩٥م عاد إلى بلده بعد غيبة سبعة عشر عاما، وبعد عام عاد إلى الرياض وتوفي فيها يوم الأحد ٩ شوال ١٤١٧ هـ الموافق ١٦ فبراير ١٩٩٧م.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قبسات من تاريخ القضاء في الإسلام (١)

العدد (٥٤) جمادى الثانية (١٣٨٩هـ) - أغسطس (١٩٦٩م).

إن الحديث عن القضاء في الإسلام واسع الأطراف، متشعب الجوانب، غزير المادة لا تتسع له صفحات بل مجلدات، ولذا أراني مضطرا إلى أن أشير إلى قبسات من تاريخ ذلك القضاء الذي كان بحق غرة في جبين الإنسانية، وتاجا في تاريخ القضاء فيها.

ولنعرف فضل الإسلام في قضائه السامي الرفيع، يجمل بنا أن نذكر نبذة وجيزة عن القضاء عند العرب وعند غير العرب قبل الإسلام، لنتبين فضل قضاء الإسلام على قضاء الناس سواء من قبل ومن بعد.

ونظرا لضيق المقام واتساع الموضوع فلنكتف بهذا النموذج اليسير فإنه دال على ما سواه من جوانب القضاء عند غير العرب قبل الإسلام.

إن أول ما يلفت نظر الباحث في تاريخ القضاء عند غير العرب قبل الإسلام ما يجده لديهم من مؤاخذة الحيوان بجنايته إذا جنى هو، أو جنى صاحبه، ومن معاملتهم له في المسؤولية كمعاملة الإنسان العاقل المفكر وهذا أغرب ما تضمنه تاريخ القضاء في العصور القديمة والوسطى، حتى القرن التاسع عشر الميلادي أي من نحو سبعين سنة، فقد كان الحيوان يحاكم في هذه العصور كما يحاكم الإنسان، ويحكم عليه بالسجن والتشريد والموت، كما يحكم على الإنسان الجاني تماما.

ففي شرائع اليهود في الإصحاح الحادي والعشرين من كتاب الخروج: إذا نطح ثور رجلا أو امرأة وأفضى ذلك إلى موت النطيح، وجب رجم الثور، وحرم أكل لحمه، ولا تبعة على مالكه إذا لم يكن الثور معتاد النطح، فإذا كان من عادته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النطح، وأنذر الناس صاحبه فلم يعبأ بإنذارهم، وأهمل رقابته حتى تسبب في هلاك رجل أو امرأة، كان جزاء الثور الرجم، وجزاء صاحبه الإعدام.

وهناك حالة ثانية يعاقب فيها الحيوان في شرائع اليهود، وهي ما إذا واقع رجل أو امرأة بهيمة، وجب قتل الحيوان والرجل أو المرأة معا.

وفي شرائع قدماء اليونان، كانت عندهم محكمة خاصة لمحاكمة الحيوانات والجمادات المتسببة في هلاك إنسان، وكان يطلق على هذه المحكمة اسم «البريتانيون» وهو اسم المكان الذي كانت تعقد المحكمة جلساتها فيه، ومما ذكره أفلاطون في كتابه «القوانين» إذا قتل حيوان إنسانا كان لأسرة القتيل الحق في إقامة دعوى على الحيوان أمام القضاء، ويختار أولياء الدم القضاة من المزارعين وفي حالة ثبوت الجريمة على الحيوان يجب قتله قصاصا، وإلقاء جثته خارج البلاد، ويستثنى من ذلك القتل الناشئ عن مبارزة بين الإنسان والحيوان في مسرح الألعاب العمومية، فإن هذا لا يترتب عليه شيء[١].

ولم تكن مسؤولية الحيوان عندهم قاصرة على حالات القتل، بل هو مسؤول كذلك في الجنايات التي دون القتل، فإذا عض كلب إنسانا وجب على صاحب الكلب أن يسلم كلبه إلى المجني عليه مكموما ومشدودا في الوثاق، فيثأر الإنسان المعضوض لنفسه من الكلب الذي عضه، كما يشاء بالقتل أو التعذيب أو غيرهما وكذلك كان الحيوان عند اليونان يعاقب على جنايته سيده أو أسرته في بعض الحالات فمن حكم عليه بالإعدام لجريمة ارتكبها ضد الدين أو الدولة، كان هو وأسرته وحيواناته وممتلكاته محكوما عليها بالحرق أو التدمير أو المصادرة.

ولا بأس أن أزيد عن قضاء اليونان هذه الكلمة الصغيرة، وهي أنهم كانوا إذا سقط جماد كحجر أو خشبة أو شجرة، على إنسان فقتله، اختار أقرب الناس إلى القتيل قاضيا من جيرانه ليحكم على ذلك الجماد من الحجر أو الشجرة أو الخشبة أن ينبذ خارج حدود البلاد.

---

(١) بدهي أن هذه المبارزة الحيوانية شيء تمجه النفوس السليمة والفطر الزكية، وقد حرمها الإسلام الحنيف.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما حال القضاء بالنسبة للحيوان عند قدماء الرومان فقد تضمنت شرائعهم مادة تقضي بعقوبة الإعدام على الثور وصاحبه إذا نقل الثور أثناء الحرث الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاور له، كما تضمنت شرائعهم عقوبة الكلب الذي يعض إنسانا بوجوب التخلي عنه للمعضوض، يتصرف فيه كما يشاء، وكذلك القضاء عندهم إذا رعى الحيوان عشبا غير مملوك لصاحبه، فإنه يجب تسليمه لصاحب العشب المرعي، يفعل فيه ما يشاء.

وكذلك كان حال القضاء بالنسبة لعقوبة الحيوان عند قدماء الجرمان كما كان عند الرومان واليونان.

أما عند قدماء الفرس فالأمر فيه أعجب وأطرف، ذلك أن الكلب المصاب بالكَلَب إذا عض خروفا فقتله، أو إنسانا فجرحه تقطع أذنه اليمنى فإن تكرر ذلك منه قطعت أذنه اليسرى، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى، وفي الرابعة تقطع رجله اليسرى، وفي الخامسة يستأصل ذنبه[1].

أما حال الحيوان عند العرب قبل الإسلام إذا جنى الحيوان جناية بأن دخل أرضا حراما محمية لصاحبها، أو رعى عشب أرض ليس بين مالكه وصاحبها قرابة أو موالاة، فإنهم كانوا أرحم بالحيوان من اليونان والرومان والفرس واليهود، فإنهم كانوا لا يقتلون الحيوان، ولكن يشنون بسببه حربا تقتلهم قتلا، وتأكلهم أكلا!

هذه إلمامة سريعة في حكم واحد من تاريخ القضاء عند أولئك الناس قبل بزوغ الإسلام وإشراقه على البشرية التائهة الضالة، ندرك منها أن عقلية القضاء فيها خرافية سوداء، لا تستند إلى عقل سليم ولا شرع سماوي قويم، وإنما هي أوهام توارثوها واحتكموا إليها فحكمتهم، وخضعوا لها فركبتهم.

● شرف القضاء ومنزلته في الإسلام

ويحسن بنا بعد هذا العرض الوجيز لحال القضاء قبل الإسلام أن نعود إلى الحديث عن القضاء في تاريخ الإسلام، وهذا يقتضينا أن نبحث عن نظرة الإسلام

(١) من كتاب «من روائع حضارتنا» للدكتور السباعي رحمه الله تعالى.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلى القضاء ومنزلته لديه.

إن حاجة الإنسانية إلى القضاء بمنزلة حاجتها إلى الشمس والهواء، فلو رفع القضاء من حياتها لهبطت إلى دركة البهائم والعجماوات، وأكل قويها ضعيفها، وكبيرها صغيرها كما تفعل الحيوانات والأسماك، فالقضاء - كما قال الخليفة المأمون - هو ميزان الله الذي تعتدل به الناس[1].

فبه تصان الحياة والكرامة والحرية لكل فرد، وبه تحفظ الدماء والأعراض وبه يتحقق للمجتمع التآخي بين أفراده، ولهذا كان للقضاء في الإسلام منزلة رفيعة سامية، فهو فريضة من أقوى الفرائض وعبادة من أشرف العبادات لمن ابتغى به وجه الله تعالى، لأنه إظهار للعدل، وإزالة للباطل وبالعدل قامت الأرض والسموات.

وقد وصف الله نفسه إذ قال سبحانه ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ (البقرة: ١١٣)، وقال أيضا﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ﴾ (يونس: ٩٣)، وأمر به نبيه ﷺ فقال: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ (المائدة: ٤٨)، وجعل أنبياءه قضاة بين خلقه فقال ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، وبه أثبت سبحانه اسم الخلافة لداود عليه السلام حين قال له ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ (ص: ٢٦).

ولا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء، ولأجل منيف قدره، وسمو منزلته، اشترط الإسلام فيمن يتولاه من شروط الصحة والكمال، ما لم يشترطه فيمن يتولى غيره من الولايات، ولولا قيام القضاء بالعدل بين الناس لاختل النظام والمعاش، وسادت الفوضى والفساد قال الله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ (المؤمنون: ٧١)، قال أيضا ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ

(١) في كتابه الى واليه على مصر عبدالله بن طاهر بن الحسين، وتمام كلامه «واعلم ان القضاء هو ميزان الله الذي تعتدل به الناس، وبإقامة العدل تصلح الرعية، وينتصف المظلوم، وتأخذ الناس حقوقهم».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كَثِيراً﴾ (الحج: ٤٠).

وقد نبه سيدنا رسول الله ﷺ إلى عظيم أجر القضاء، وعلو منزلته في الأعمال الصالحات، وأنه موضع المنافسة منها، فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق - أي إنفاقه في الطاعات والخيرات - ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

قال الإمام الفقيه ابن قدامة الحنبلي في كتابه «المغني **٣٧٣**» والقضاء من فروض الكفايات لأن أمر الناس لا يستقيم بدونه، فكان واجبا عليهم كالجهاد والإمامة، قال أحمد: لابد للناس من حاكم، أتذهب الحقوق؟ وفيه فضل عظيم لمن قوي على القيام به وأداء الحق فيه، ولذلك جعل الله فيه أجرا مع الخطأ، وأسقط عنه حكم الخطأ، ولأن فيه أمرا بالمعروف ونصرة للمظلوم وأداء الحق إلى مستحقه وردا للظالم عن ظلمه وإصلاحا بين الناس وتخليصا لبعضهم من بعض، وذلك من أبواب القرب، ولذلك تولاه النبي ﷺ والأنبياء قبله فكانوا يحكمون لأممهم وبعث عليا إلى اليمن قاضيا، وبعث أيضا معاذا قاضيا.

وقد روي عن ابن مسعود أنه قال: لأن أجلس قاضيا بين اثنين، أحب إلي من عبادة سبعين سنة. وعن عقبة بن عامر قال: «جاء خصمان يختصمان إلى رسول الله ﷺ فقال: اقض بينهما، قلت: أنت أولى بذلك، قال: وإن كان، قلت: علام أقضي؟ قال: اقض فإن أصبت فلك عشرة، وإن أخطأت فلك أجر واحد» رواه سعيد بن منصور في سننه». انتهى.

فالقضاة الأمناء يحرزون هذا الأجر الجزيل من الله، لأنهم حراس الشريعة وحماتها، وأعوان الحق وأنصاره، لا يعرفون فيه كبيرا ولا صغيرا، ولا مأمورا ولا أميرا، يقيمونه على الملوك قبل السوقة، ويحققون به رضوان الله قبل رضاء العباد، وفيهم جاء قول القائل:

إن الملوك ليحكمون على الورى ... وعلى الملوك لتحكم العلماء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● حكم الدخول في القضاء أو الإعراض عنه

ولسائل أن يقول: إذا كانت هذه منزلة القضاء في الإسلام، وهذا عالي قدره المنيف، فكيف نوفق بين هذا وبين ما ورد في التحذير من الدخول في القضاء، وبين ما اشتهر عن كثير من سلف الأمة أنهم هربوا من ولاية القضاء كل الهرب، حتى آثر الإمام أبو حنيفة السجن على أن يلي القضاء، ومات وهو سجين في بعض الأقوال، فكيف نوفق بين هذا وبين ما ذكرت؟

والجواب عن هذا أدعه للقاضي العلامة ابن فرحون المالكي رحمه الله تعالى، إذ يقول في كتابه العظيم «تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام»: «اعلم أن أكثر المؤلفين من أصحابنا - المالكية - وغيرهم بالغوا في الترهيب والتحذير من الدخول في ولاية القضاء، وشددوا في كراهة السعي فيها، ورغبوا في الإعراض عنها والتنفير والهرب منها، حتى تقرر في أذهان كثير من الفقهاء والصلحاء أن من ولي القضاء فقد سهل عليه دينه، وألقى بيده إلى التهلكة، ورغب عما هو الأفضل، وساء اعتقادهم.

وهذا غلط فاحش يجب الرجوع عنه والتوبة منه، والواجب تعظيم هذا المنصب الشريف، ومعرفة مكانه من الدين، فبه بعثت الرسل، وبالقيام به قامت السموات والأرض، وجعله النبي ﷺ من النعم التي يباح الحسد عليها.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام «القضاة ثلاثة، قاض في الجنة وقاضيان في النار، قاض عمل بالحق في قضائه فهو في الجنة، وقاض علم الحق فجار متعمدا فذلك في النار، وقاض قضى بغير علم واستحيا أن يقول لا أعلم فهو في النار».

فصح أن ذلك الوعيد إنما هو في القاضي الجائر، أو القاضي الجاهل، الذي لم يؤذن له شرعا في الدخول في القضاء، وفي هذا القاضي الجائر أو الجاهل قال بعض الظرفاء:

ولما توليت البرايا ... وفاض الجور من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وإنا ... لنرجو الذبح بالسكين أيضا

وأما من اجتهد في تحصيل الحق على علم فأخطأ فيه، فقد قال عليه الصلاة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والسلام «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»: بمثل ذلك نطق الكتاب العزيز في قوله تعالى﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: ٧٨- ٧٩)، فأثنى الله على داود باجتهاده وأثنى على سليمان بإصابته وجه الحق»: انتهى بزيادة يسيرة.

وقال الإمام علاء الدين الكاساني الحنفي في كتابه الجليل: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٧: ٤ وهو يتحدث عن حكم الدخول في القضاء أو الإعراض عنه: «اختلفوا في أن القبول أفضل أم الترك، احتج القائلون بأفضلية الترك بما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من جعل على القضاء فقد ذبح بغير سكين». وهذا جار مجرى الزجر عن تقلد القضاء.

واحتج المفضلون الدخول في القضاء بصنيع الأنبياء والمرسلين، وصنيع الخلفاء الراشدين، ولأن القضاء بالحق إذا أريد به وجه الله تعالى يكون عبادة خالصة، بل هو من أفضل العبادات، والحديث المذكور محمول على القاضي الجاهل، أو العالم الفاسق، أو الطالب للقضاء الذي لا يأمن على نفسه». فأفاد هذا أن الأفضل قبوله والدخول فيه.

أما ما اشتهر عن الإمام أبي حنيفة وأمثاله المشهود لهم بالكفاءة من تأبيهم ولاية القضاء فهو عندي على أحد الحالين:

١- فمنهم من خاف على نفسه أن يضعف في النهوض بهذه الولاية العظيمة، فتأبى عنها وهرب منها، وكان بهذا التأبي منه مسوغا أن يلي هذه الولاية الرفيعة الخطيرة بعض الضعفاء عنها، فينجر ضعفهم عليها وعلى المجتمع معها، فكان ذلك المتأبي الكفء في اجتهاده بترك ولاية القضاء ذا أجر واحد، ولم يحرز بذلك أجرين.

٢- ومنهم من كان عرض هذه الولاية العظيمة عليه غير خال من شوائب معها مستورة وراءها كما وقع للإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى -، فإنه من أعلم أهل عصره بسمو منزلة القضاء وأهميته في نظر الشرع الحنيف، وقد قرر ذلك في مذهبه

أوضح تقرير، فالذي يبدو أن عرض القضاء عليه لم يكن خالصاً من الملابسات السياسية، التي كانت تختفي وراء ذلك العرض الإلزامي القاسي. وما أحسن ما قاله العلامة الشيخ محمد الخضري في كتابه «تاريخ التشريع» ص٢٣٠ إذ تعرض لهذه الواقعة من حياة أبي حنيفة فوجهها توجيهاً حسناً، فقال رحمه الله تعالى: «أدرك أبو حنيفة تحول الأمر من بني أمية إلى بني العباس، وكانت الكوفة مركز الحركة الكبرى في هذا الانتقال، وبها تمت بيعة أبي العباس السفاح، ولم نسمع لأبي حنيفة في تلك الحركة ذكراً إلا أنه يقال: أن يزيد بن هبيرة والي العراق من قبل مروان بن محمد عرض على أبي حنيفة ولاية القضاء فأبى أبو حنيفة، فضربه من أجل ذلك.

وإنا إذا سهل علينا أن نفهم إباء شخص أن يتولى القضاء، فلا نكاد نفهم أن يضرب على ذلك، إذ إن الضرب بالسوط - وهو نهاية الاحتقار - لا يفعله عاقل ليحمل إنساناً على تولي أشرف المناصب بعد الإمارة وهو القضاء إذا لم يكن ثم إلا الإباء، فإنا لا نظن أنه يحدث في قلب الأمير من الضغن ما يحمله على إجراء تلك العقوبة، ولاسيما أن الفقهاء كانوا متوافرين بالكوفة، فلا يعز على ابن هبيرة أن يختار من بينهم من يؤدي هذه المهمة.

إني أظن - الكلام لا يزال للعلامة الخضري - إني أظن أن مثل هذا العرض، كان الغرض منه محنة المعروض عليه، حتى يعرف مقدار ولائه للدولة، فإن العلماء - على ما يظهر - كانوا يمتنعون أن يتولوا عملاً لدولة لا يحبونها لئلا يكون ذلك تأييداً لها، وقد حصل أن قام بالكوفة في هذا العهد ثائران: أولهما: زيد بن علي بن الحسين الذي خرج سنة ١٢١ في خلافة هشام بن عبد الملك وإمارة يوسف بن عمر الثقفي على العراق، فقتل.

والثائر الثاني: هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، في عهد اضطراب الحبل سنة ١٢٧، وقد كانت من أبي حنيفة كلمة تدل على امتداح زيد بن علي كما نقل ذلك عنه من كتبوا سيرته، ويمكن أن يكون قد عاد ذلك منه في أيام عبد الله بن معاوية، فأراد الأمير ابن هبيرة أن يختبر ولاءه لبني أمية، فعرض عليه القضاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فامتنع فضربه، لأنه شعر بانحرافه عن بني أمية، لا لأنه أبى أن يتولى القضاء».
انتهى كلام العلامة الخضري.

وقيل إن الذي دعا أبا حنيفة إلى القضاء وضربهُ عند امتناعه هو أبو جعفر المنصور، وكان في نفسه شيء من جهة أبي حنيفة، فإنه وشي به إلى المنصور أنه حسَّن فعل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي، الخارج على المنصور بالبصرة، قاله الأستاذ محمود عرنوس في «تاريخ القضاء في الإسلام ص ٣٧».



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قبسَات من تاريخ القضاء في الإسلام (٢)

العدد (٥٨) شوال (١٣٨٩هـ) - ديسمبر (١٩٦٩م).

• خصائص القضاء في الإسلام ومزاياه

إن القضاء في الإسلام يقوم على أسس قويمة متينة، ويتميز بخصائص فريدة بارزة، ونجمل عماد تلك الخصائص والمزايا فيما يلي:

١ - الإيمان بالله تعالى

الذي يجعل من القاضي رقيباً على نفسه، في حكمه على القريب والبعيد، والعدو والصديق، فينتفي من حكمه الجور والتحيُّز والمُداهنة، ويسلم له العدل والمساواة والنصفة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (المائدة: ٨)، وهكذا يتضح لنا كيف أن الإيمان بالله، واستشعار المسؤولية بين يديه ينبعث عنه العدل والإنصاف، وهذا الأساس - الإيمان بالله - يفتقده كل قانون وضعي، مهما تحرى به العدل والأحكام، ومن خلال هذه الخاصة أيضاً يتبين لنا متانة القضاء في الإسلام، وأنه مقام منيع محصن من تدخّل ذوي النفوذ والجاه والقوة فيه، لأنه ينبعث من عقيدة الإيمان لا من تولية السلطان.

٢ - الله سبحانه هو الحاكم وحده

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام: ٥٧). وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ (الرعد: ٤١). وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب: ٣٦). فلا حاكمية إلا لله وحده، والرسول ﷺ مُبيِّن لحكم الله،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حاكم بقول الله وشرعه، كذلك الحكام بعد رسول الله ﷺ إنما هم فيما يقضون به نواب عن الله، ومنفِذون لأحكامه لا غير، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ (ص: ٢٦).

٣- الشريعة التي يحتكم إليها هذا القضاء شريعة عادلة كاملة محكمة، كيف لا وهي شريعة خالق الخلق وأحكم الحاكمين، وقد أكملها للناس وأنزلها خاتمة الشرائع السماوية وأتم بها نعمته وفضله على جميع العباد، وجمع لهم فيها خير الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ (المائدة: ٤٩)، وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ (المائدة: ٣)، وقد كفلت هذه الشريعة بكمالها وتمامها للناس كل حاجاتهم، وأغنتهم عن كل تشريع آخر، فأي حكم بخلافها هو خروج عن العدل، ووقوع في الحيف الذي لا تسلم منه الأحكام والقوانين التي يسنها البشر لأنفسهم، فيشملها الضعف والهوى والقصور الإنساني، وطبيعي أن يتأتى عن ذلك الظلم والاضطراب والفساد.

أين شرع الناس من شرع الذي خلق الدنيا وسوَّى العالمين؟

٤- العدل

لقد تميز قضاء الإسلام فيما تميز به عن غيره بإقامته العدل بين الناس، دون تفريق بين أبيض وأسود، وملك وسوقة، وصغير وكبير، وغني وفقير، وشريف وحقير، فالناس في نظر الإسلام سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو عمل صالح، كلكم لآدم وآدم من تراب.

وقد فرض الإسلام العدل في الحكم مع العدو والصديق، والبعيد والقريب، وآيات القرآن الكريم الناطقة بذلك كثيرة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ﴾ (النساء: ١٣٥).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥- المساواة

ونريد بها إلغاء ما تعارف عليه الناس من التمييز بين الشريف والوضيع في الحكم، بسبب الشرف والضعة، دون نظر إلى حق المحق وباطل المبطل منهما.

فالإسلام أقام التسوية بين أصناف الناس جميعا أمام الحق والقضاء، مهما تباينت منازلهم وألوانهم وأجناسهم وبلدانهم وألسنتهم وأديانهم.

وعلى هذا الأساس قام القضاء في الإسلام، وبه تميز، فكان غرة في جبين القضاء الإنساني أبد الدهر.

٦- الشمول لأنواع الحقوق وشؤون الحياة

القضاء في الإسلام قائم على شريعة الإسلام بطبيعة الحال، ونحن نعلم أن شريعة الإسلام كاملة، ومن كمالها تناولها شؤون الحياة كافة، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨)، وقال أيضا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

والقضاء الإسلامي يتناول - فيما يتناوله - شؤون الأموال والأعراض والدماء وسائر الحقوق، وهو يشمل نظام البيوت، ونظام الحكم، والتعامل بالأموال، والعقود مهما تنوعت، وشؤون الحرب والسلم، والتحكيم وغيرها، فكل ما يتنازع الناس فيه من شؤون الدنيا داخل في قضاء الإسلام.

٧- وحدة القضاء

ومما تقدم يتبين لنا مزية هامة لها أثرها الخطير في النفوس والأفكار، وهي: وحدة القضاء الإسلامي، فالإنسان في ظل قضاء الإسلام ليس هو أمام قضاء متعدد النزعات، مختلف الجهات، متباين المصادر، تتضارب مصالح الناس عنده، وتذهب حقوقهم بسبب اختلاف قواعده وحلوله للمشكلات والوقائع والخلافات، بل ليس أمام ذلك الإنسان إلا قضاء واحد شامل متكامل متجانس بفروعه المتعددة واختصاصاته المتنوعة.

٨- اقتصاره على مصالح الدنيا دون تدخله في الأمور العبادية، والمسائل الاجتهادية الخلافية، والوقائع الأخروية، فإن الشمول الذي تميز به إنما هو من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأمور المتنازع فيها من مصالح الدنيا، أما ما عداها من الأمور التي ذكرناها فإنها لا تدخل في نطاق القضاء وحكم الحاكم أصلا، كما لا تدخل فيه خوالج النفوس ونيات الناس ما لم تتمثل في أعمال.

قال الإمام القرافي في كتابه «الإحكام في تمييز الفتاوى والأحكام وتصرفات القاضي والامام» ص٣٢: والحكم إنما يكون فيما يقع فيه التنازع لمصالح الدنيا، أما مسائل الاجتهادات في العبادات ونحوها فلا يدخلها حكم أصلا.

فليس لحاكم أن يحكم بأن هذه الصلاة صحيحة أو باطلة، ولا أن هذا الماء دون القلتين فيكون نجسا، فيحرم بعد ذلك استعماله، بل ما يقال في ذلك إنما هو فتيا، إن كانت مذهب السامع عمل بها، وإلا فله تركها والعمل بمذهبه، ولا يلزم شيء من أحكام العبادات ونحوها من لا يعتقده، بل يتبع مذهبه في نفسه، ولا يلزمه قول ذلك القائل بحكم الحاكم به.

٩- اعتماده على الوازع الإيماني القلبي

ولئن كان من حكمة القضاء في الإسلام ومزاياه أن يتولى الفصل في القضايا المتعلقة بمعاملات الناس ومصالحهم الدنيوية، ودون قضايا العبادات والأخرويات كما ذكرنا، فإن من مزاياه أيضا اعتماده على الوازع الإيماني القلبي في نفوس المتخاصمين حتى لو ضلل القضاء، فإنه يبقى الحرام حراما ولو حكم القاضي بحله اعتمادا منه على البينة الواضحة.

وهذا الوازع الإيماني المتولد عن عقيدة الإسلام، يعتلج في قلب الخصم حتى يجعله يتورع عن أكل أموال الناس بالباطل، ولو سانده القضاء في الظاهر، عن أم سلمة رضي الله عنها قلت: قال سيدنا رسول الله ﷺ لرجلين من الأنصار، اختصما إليه في مواريث بينهما قد درست معالمها، ليس عندهما بينة إلا دعواهما، قال لهما: «إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر، ولم ينزل علي فيه شيء، وإني أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضي له فإني أقضي بينكم على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ظلما بقوله فلا يأخذه، فإنما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أقطع له قطعة من النار، يطوق بها من سبع أرضين يأتي بها سطاما في عنقه يوم القيامة، فليأخذها أو ليدعها». فبكى الرجلان جميعا لما سمعا ذلك، وقال كل واحد منهما: يا رسول الله حقي هذا الذي أطلب لأخي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما هذا فاذهبا واقتسما، ثم توخيا الحق، فاجتهدا في قسم الأرض شطرين، ثم استهما، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه» رواه احمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، وجمع بين رواياتهم.

١٠- استقلاله ونزاهته

القضاء في الإسلام سلطة عليا ذات كيان رفيع، مستقلة في ذاتها، بمعنى أنه لا سلطان عليها لأمير أو خطير في أن يتدخل في أحكامها، ذلك أن القاضي نائب عن الله ﷻ، وهو مسؤول بين يديه، فهو - وإن قامت الحكومة بتوليته منصب القضاء - هو بواقع الأمر نائب عن الله، لا يحكم إلا بما أنزل الله، وأرشد إليه رسوله ﷺ ولا يكون أحد من رجال الدولة حتى أكبر كبير فيها في منجاة من أن يقضي عليه إذا اقتضى العدل ذلك، شأنه كشأن عامة الرعية أمام القضاء.

قال الإمام الكاساني الفقيه الحنفي في كتابه العظيم «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» ٧: ٦١ «إن القاضي لا يعمل بولاية الخليفة وفي حقه، بل بولاية المسلمين وفي حقوقهم، وإنما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم» فلذا إذا مات الخليفة أو خلع لا تنعزل قضاته، وقد صح أن نصرانيا ادعى على هارون الرشيد دعوى، فسمعها القاضي أبو يوسف، مع أنه مولى من قبل الرشيد، فالقاضي يقبل الدعوى على السلطان أو له لإحقاق الحق.

وسنرى فيما بعد كيف قضى شريح على أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، وكان خصمه يهوديا، كما قضى أبو يوسف على الخليفة هارون الرشيد، وكان خصمه نصرانيا، وكما قضى محمد بن عمران الطلحي قاضي أبي جعفر المنصور عليه في خصومته مع الحمالين الجمالين.. إنه الإسلام.

ومن أدل الوقائع التي تعبر عن هذا المعنى العظيم، الذي تميز به قضاء الإسلام: ما وقع للسلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى، فقد جاء إليه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رجل من أصحابه وأهل الدالة عليه، يستعديه على رجل غشه، فقال له صلاح الدين: ما عسى أن أصنع لك؟ وللمسلمين قاض يحكم بينهم، والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة، وأوامره ونواهيه ممتثلة، وإنما أنا عبد الشرع وشحنته فالحق يقضي لك أو عليك(١).

ومعنى عبارة السلطان أنه ليس إلا منفذا لحكم الشرع وتابعا له، كالشحنة وهو صاحب الشرطة، أي رئيسها وأن القضاة مستقلون بالحكم، لا سلطان لأحد عليهم.

فهذه الواقعة، والوقائع التي أشرنا إليها، وغيرها كثير، كلها تمثل لنا استقلال القضاء ونزاهته في هذا الدين الحنيف، وذلك هو الطابع العام لقضاء الإسلام.

١١- عمومه وعالميته

مما هو معلوم أن رسول الله ﷺ أرسل للناس كافة، وأن هذه الشريعة مخاطب بها كل بني آدم، وأن كل إنسان منهم مدعو للدخول فيها والانضواء تحت ظلها، وقد قرر الإسلام الحنيف أن الناس جميعا على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وديارهم.. نوع واحد، ومن أصل واحد: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾، (الحجرات: ١٣) «كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى أو عمل صالح».

ولدى استقراء أحكام هذه الشريعة الإسلامية الغراء - التي هي مرجع القضاء- نجدها لا تفرق بين مشرقي ومغربي، وصيني وعربي، وأبيض وزنجي، وهذا كله يدلنا على عالمية هذا القضاء الإسلامي، وعلى عمومه للبشر قاطبة، فهو القضاء الوحيد الذي يمكن أن يحتكم إليه كل فرد من ألوان البشر، لاطمئنانه أنه أمام قاض عالمي النظرة والتصور، أمام قضاء سنّ أحكامه الباري سبحانه وتعالى لعباده كافة، وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء: ١)، والقائل سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ

(١) ذكره الشيخ رشيد رضا في «الوحي المحمدي» من طبعته الثالثة ص ٢٤٢.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ (النساء: ٥٨)، ولنقايس بين هذا في الإسلام، وبين ما عليه الكثير من الأمم التي تدعي الحضارة والرقي اليوم، مثل أميركا وجنوب إفريقيا، وما يقوم بهما من المآسي المرة من جراء التفرقة بين لون ولون، وعنصر وعنصر، مما تتجدد أنباؤه على أسماع العالم كل يوم.

١٢- كماله وخلوده

لقد تبدى لنا من كل ما سبق أن هذا القضاء متكامل الوجود، مستجمع لشرائط إحقاق الحق مستوف - على الوجه الأمثل - لكل ما يتعلق بالحاكم والمحكوم وشريعة التحاكم وأصول التقاضي وسائر ما يتصل بالقضاء.

وجدير بمثل هذا القضاء الكامل أن يكون بلسما للناس في كل عصر وجيل، يصلح بينهم، ويقوِّم أودهم، ويرد شاردهم إلى جادة الحق والصراط المستقيم، فهو خالد خلود شريعة الإسلام، باق ما بقيت السماوات والأرض.

هذا ما رأيت تعداده من الخصائص والمزايا للقضاء الإسلامي، وهناك أمام الباحث الدارس أمور يمكن أن تضاف إليها أيضا، فتكون من مزاياه مثل كونه مجانيا، لا يتوقف على رسوم وأجور تقدم من أحد الخصمين، ليقبل النظر في الدعوى، وواضح أن هذه المزية تمكن الفقير وغيره من الوصول إلى إنصافه وإقامة العدل بينه وبين ظالمه، وحري بالقضاء العادل ألا يكون بينه وبين الضعفاء من أصحاب الحقوق معوق ولا حجاب.

ومما يذكر أيضا في هذا المجال ثراء الفقه الإسلامي الذي هو المرجع العام للقضاء، ذلك الفقه الذي لا نظير له عند أمة من الأمم، كيف لا وقد نما واتسع على مر العصور خلال أربعة عشر قرنا، وامتد على آفاق واسعة من الكرة الأرضية، وقد بذلت فيه قرائح العقول وكرائم الجهود من شتى الأجناس والشعوب وواجه بالحلول الواقعية الحاسمة مشكلات بني الإنسان على اختلافها وتنوعها وتجددها، ومن تلك المزايا أن لهذا الفقه المتجدد قواعد وأصولا منهجية، تسعف القاضي وتسدده في التطبيق والاستنباط.

تلك هي أهم خصائص قضاء الإسلام ومزاياه، فلا عجب أن نشهد في تاريخه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النماذج الرائعة الكثيرة تتجدد وتتكرر على مر العصور، وخاصة إذا قابلنا بينه وبين قضاء الأمم الأخرى في القديم والحديث، وذلك الفضل كله ناتج عن الأصل الأول لهذا القضاء، وهو صدوره عن الشريعة المنزلة من عند الله تعالى، على نبيه وأكمل خلقه سيدنا محمدﷺ المبعوث رحمة للعالمين بهذا الإسلام الحنيف.

والآن نسير مع هذا القضاء العظيم لنشهد في لمحات نشأته وأطواره.

القضاء في عهد رسول الله ﷺ

● **تمهيد**

في هذا العهد النبوي الكريم نشهد مولد القضاء الإسلامي، ورفع قواعده وإقامة أركانه: من شرع حكيم يحكم به، وتصور سليم للكون والإنسان والحياة يدعم هذا القضاء، وتحديد للمسؤولية، وجعلها فردية وإقامة لرقابة الله في قلوب الناس حاكمين ومحكومين، مدعين أو مدعى عليهم، إلى غير ذلك مما يحقق العدل والنصفة والإخاء بين العباد.

● **مبعث الرسول ﷺ**

لما بعث رسول الله ﷺ في مكة، قام يدعو الناس إلى دين الله تعالى والإيمان به سبحانه، وتوحيده بالعبادة والطاعة، ونبذ الشرك والأصنام، وتنزيه العقل عن لوثات الوثنية والضلالات، ثم أذن له بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فهاجر إليها، وكثر الداخلون في دين الله، وانتشرت دعوة الإسلام، وتزايد نموها وقبولها.

● **رسول الله ﷺ قاضيا**

وكما كان رسول الله ﷺ مأمورا بالدعوة إلى الله وتبليغ الأحكام كان مأمورا أيضا بالحكم والفصل بين الناس فيما يقع بينهم من اختلاف وتنازع، وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى ذلك، منها قوله تعالى﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ (المائدة: ٤٨)، وقوله سبحانه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: ٦٥).

فقام رسول الله ﷺ بأمر ربه، يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويبين لهم ما يحل وما يحرم، ويفصل في خصوماتهم إلى جانب قيامه بتبليغ الشرائع والأحكام، فكان ﷺ الإمام والقاضي والمفتي والرسول المبلغ عن الله تعالى، ورفع إليه كثير من الأمور المتنازع فيها، فقضى فيها بما أنزل الله إليه في كتابه، وبما هداه إليه من الحكمة، وبما وهبه من رأي ونظر سديد حكيم، كما أفتى فيما استفتي فيه.

والحكمة في تولي النبي ﷺ القضاء بنفسه ظاهرة، وهي أن العدل أساس العمران، ولا ارتقاء ولا رجاء لتأليف أمة وتعاضدها وتكوين وحدتها إلا بالعدل والأمن على الحقوق، لهذا كان عليه الصلاة والسلام يتولى القضاء بنفسه تأليفا لهم، وتدريبا على إقامة العدل، وتنبيها لهم أن يكونوا قوامين بالقسط، وأن يلي قضاءهم من يكون أفضلهم وأنزههم وأعلمهم.

• نهج رسول الله ﷺ في القضاء

ونجمل فيما يلي أهم ما عمل به رسول الله ﷺ، أو اقره من طرق الإثبات في القضاء، وهي: الإقرار، البينة، اليمين، القسامة، القيافة، القرينة، القرعة، ونحوها، وكان يقول: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر».

وكان يترافع إليه المتخاصمان فيسمع كلام كل منهما، ثم يقضي على نحو ما يسمع، اعتمادا على ظاهر البينة، ودلائل الإثبات أو النفي، فكان يحكم بالظاهر وكان قضاؤه ﷺ فيما لم ينزل عليه فيه شيء اجتهادا منه، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ (النساء: ١٠٥)، كما يشهد له من السنة المطهرة حديث أم سلمة رضي الله عنها الذي تقدم بتمامه، وفيه قوله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر، وإني أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له، فمن قضيت له من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حق أخيه شيئا ظلما بقوله فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار».

• أقضية النبي ﷺ

وخلال السنوات العشر الكريمة التي عاشها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، صدرت عنه أقضية غير قليلة في الوقائع التي ترافع الناس فيها إليه، وقد أفردت تلك الأقضية النبوية بالتأليف من كثير من العلماء جزاهم الله خيرا، ونكتفي بذكر نموذج واحد منها لضيق المقام.

• نموذج من أقضية الرسول ﷺ :

روى مسلم في صحيحه في كتاب الحدود ١١ : ١٨٧ عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها: أن قريشا أهمهم شأن المخزومية، التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: «من يكلم بها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله، فأتي بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

فلما كان العشي - وقت اجتماع الناس بعد العصر - قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها».

قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله ﷺ.

وإن ما تضمنه هذا الحديث الشريف من القضاء النبوي الكريم، ومن بيان المبدأ الإسلامي العادل السامي العظيم، وهو المساواة بين الناس ضعيفهم وقويهم، وشريفهم ومشروفهم لتعجز البشرية أن تأتي في قضائها بمثله في غير ظل الإسلام، وليس هو حادثة فريدة في بابها بل إن له أمثالا وأمثالا في أقضية الرسول الكريم وأقضية أصحابه وأقضيه قضاة العدل من علماء الإسلام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

• أشهر القضاة في عهد الرسول ﷺ

وقد استقضى رسول الله في حياته الشريفة طائفة من أصحابه سادة هذه الأمة وعلمائها، فقاموا بالقضاء في حضرته، وقاموا به بعيدين عنه حيث وجههم إليه من بلدان الإسلام الجديد.

ومن الذين قضوا بحضرته، عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر الجهني، وحذيفة بن اليمان، وعمر بن الخطاب، ومعقل بن يسار رضي الله عنهم، ويضيق المقام عن ذكر أخبارهم الدالة على ذلك.

وقد كان هذا الاستقضاء من رسول الله ﷺ لهم في حضرته الشريفة بمنزلة التمرين العملي على النهوض بأداء القضاء على وجهه، وليشهدهم عليه الصلاة والسلام وهم يفصلون في الخصومات بين الناس - بعد أن شهدوه ﷺ يفصل فيها مرات ومرات - فيسددهم إن أخطأوا، ويقرهم إذا أصابوا، فكان ذلك تمرينا واختبارا لهم في آن واحد.

ومن الذين قضوا بعيدين عن حضرته الشريفة عليه الصلاة والسلام: علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، وعتاب بن أسيد، وعمرو بن حزم الأنصاري وأبوموسى الأشعري رضي الله عنه، ولا يتسع المجال لذكر نماذج من أقضيتهم.

ويجب علينا ونحن نتحدث عن تاريخ القضاء في العهد النبوي، أن نناضح بالحق عن هذا الصحابي الجليل قاضي النبي ﷺ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، واسمه عبدالله بن قيس، ونعرف به بعض الشيء، فقد أشاع بعض الضعفة من أهل التاريخ والأدب والأخبار، ما يصوره كأنه من المغفلين البله، حتى أضاع الخلافة والحق من أهله، وجر على المسلمين ببلاهته - في زعمهم وحاشاه - الويلات والمآسي.

فنقول وبالله التوفيق:

إن رجلا اختاره رسول الله ﷺ سيد البشر والأنبياء والرسل، ليكون قاضيا وأميرا على قطر واسع عريض وهو اليمن، لا يمكن أن يكون كما زعمه أولئك الضعفة الغالطون، فإن هذا الذي زعموه ينقضه من أساسه - ولا أساس له - تولية

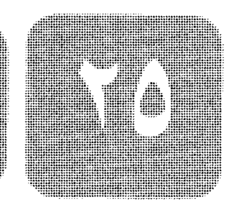
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رسول الله ﷺ لأبي موسى على ذلك القطر السعيد بالإسلام الجديد، ورسول الله سيد الرجال وأعرفهم بأفضل الرجال فطانة وزكانة وحزما وعلما، وهو ﷺ محفوظ أن يضع الولاية والأمانة في غير موضعها، أو يكلها إلى غير أهلها، وهو الذي يقول كما روى البخاري في صحيحه: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



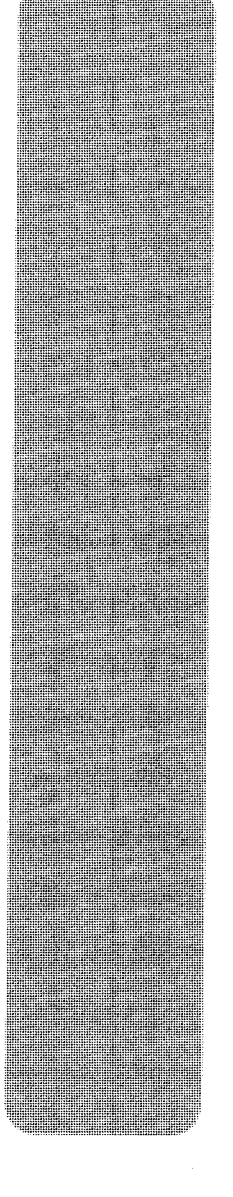
مقالات

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

- **ترجمة الشيخ.**
- **المقالات:**

الأحاديث الضعيفة والقوية.

العدد (٧١) ذو القعدة (١٣٩٠هـ) - ديمسبر (١٩٧٠م).

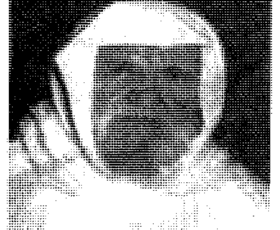


https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

محمد ناصر الدين الألباني



● **مولده ونشأته**

ولد الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني عام **١٣٣٣** هـ الموافق **١٩١٤** م في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا - حينئذ - عن أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، فكان والده مرجعاً للناس يعلمهم ويرشدهم، ثم هاجر بصحبة والده إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها.

أتم العلامة الألباني دراسته الابتدائية في مدرسة الإسعاف الخيري في دمشق بتفوق، ثم وضع له والده منهجاً علمياً مركزاً قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والنحو والصرف، وفقه المذهب الحنفي، وقد ختم الألباني على يد والده حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني مراقي الفلاح في الفقه الحنفي وبعض كتب اللغة والبلاغة، هذا في الوقت الذي حرص فيه على حضور دروس وندوات العلامه بهجة البيطار.

أخذ عن أبيه مهنة إصلاح الساعات فأجادها حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، وأخذ يتكسب رزقه منها، وقد وفرت له هذه المهنه وقتاً جيداً للمطالعة والدراسة.

أخذ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بالتوجه نحو علم الحديث وعلومه، فتعلمه في نحو العشرين من عمره متأثراً بأبحاث مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ و كان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقي رَحِمَهُ اللهُ مع التعليق عليه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأصبح معروفاً بذلك في الأوساط العلمية بدمشق، حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة حيث يدخلها وقت ما شاء، وقد بدأ الشيخ في التأليف وهو في العقد الثاني من عمره، وكان أول مؤلفاته الفقهية: كتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» وفي الحديث أيضاً كتاب «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير».

التقى الشيخ بعلماء دمشق وجرت بينه وبينهم مناقشات حول مسائل التوحيد والاتباع والتعصب المذهبي والبدع، فلقي الشيخ لذلك المعارضة الشديدة من بعضهم.

كان للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديد من الدروس العلمية التي كان يعقدها مرتين كل أسبوع، وكان يزور المحافظات السورية المختلفة، بالإضافة إلى بعض المناطق في المملكة الأردنية قبل استقراره فيها مؤخراً، مما أدى إلى سجنه غير مرة حقق خلالها مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري واجتمع مع شخصيات كبيرة في المعتقل.

● **أعماله وإنجازاته:**

لقد كان للشيخ جهود علمية وخدمات عديدة منها:

١. اختارته كلية الشريعة في جامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي.

٢. اختير عضواً في لجنة الحديث، التي شكلت في عهد الوحدة بين مصر وسوريا.

٣. اختير عضواً للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٩٥هـ إلى ١٣٩٨هـ. حيث كان مدرساً فيها، وأوصى بمكتبته لطلابها.

٤. انتُدِب من الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ للدعوة في مصر والمغرب وبريطانيا إلى التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الحق.

للشيخ مؤلفات عظيمة وتحقيقات قيمة، ربت على المئة، منها: «إرواء الغليل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في تخريج أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وصفة صلاة النبي» وغيرها.

كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، تقديراً لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي تخريجاً وتحقيقاً ودراسة.

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيت تحت أديم السماء عالما بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني... هو مجدد هذا العصر في ظني والله أعلم».

- **وفاته**

توفي العلامة الألباني في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ، الموافق الثاني من أكتوبر ١٩٩٩م، وشيعه الآلاف ودفن بعد صلاة العشاء، رحمه الله وغفر له وللمسلمين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأحاديث الضعيفة والقوية

العدد (٧١) ذو القعدة (١٣٩٠هـ) - ديسمبر (١٩٧٠م).

ومن المشاهد حقاً أن مثل هذا التعاون قائم إلى حد كبير بين المتخصصين، وإذا كان الأمر كذلك، فمن الواجب حينئذ أن يستعين كل متخصص بعلم ما، بعلوم غيره من ذوي التخصصات الأخرى حينما يكون هناك ارتباط وثيق بين علمه وعلومهم، وذلك ليكون على ثقة فيما يذهب إليه من فهم أو يصدره من حكم.

لا يخفى على أهل العلم أن من الواجب اليوم على كل من يريد أن يستقل في الفهم عن الله ورسوله، أن يكون على علم بقسم كبير من العلوم التي تساعده على ذلك، مثل أصول التفسير، والفقه، ومصطلح الحديث وما يتفرع منه من المعرفة بما صح من الحديث عن رسول الله ﷺ وما لم يصح، وأن يكون على جانب كبير من الثقافة والمعرفة باللغة العربية وآدابها.

بيد أن الواقع يشهد أن من النادر جداً، أن يكون الفرد متمكناً في كل علم من هذه العلوم وغيرها، متقناً إياها، كما لو كان متخصصاً في علم واحد منها، ولذلك فإن من البديهي أن نرى أهل العلم والعقل يتخصصون في علم واحد أو اثنين، مع المشاركة طبعاً في العلوم الأخرى الضرورية منها، فكان فيهم المفسر والمحدث، والفقيه والمؤرخ، واللغوي والأديب وغيرهم، مما هو معروف في العلوم الشرعية، فالمفسر مثلاً يستعين بالمحدث واللغوي، وهذا يستعين بالمفسر والمحدث، وهذا يستعين باللغوي والفقيه، وهذا يستعين بأولئك وغيرهم وهكذا، فكل قد أخذ حظه من الأجر والفضل باستعانة غيره به، والاستفادة من علمه وتخصصه.

غير أن أهل العلم بالحديث والتخصص منهم بالجرح والتعديل والمعرفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بصحيح الحديث وسقيمه، من القدامى منهم والمحدثين، كانوا أقل العلماء حظاً في الاستعانة بهم والاستفادة من علمهم، لاسيما في القرون المتأخرة كهذا الذي نحن فيه وما قبله من القرون الثلاثة بصورة خاصة، فقد انصرف العلماء فضلاً عن غيرهم عن العناية بهذا العلم وتدريسه دراسة تليق بجلاله وعظمته، حتى في المدارس الشرعية، بل إن بعض المدارس التي كانت مخصصة لتدريس الحديث فيها فيما قبل ذلك من القرون صارت اليوم خراباً يبابا، وبعضها تدرس فيها العلوم الشرعية، وأما الحديث فدراسته رمزية! ليس في أساتذتها متخصص في علم الحديث كدار الحديث بدمشق وغيرها!.

ومن المعلوم أن علم الحديث النبوي هو أوسع العلوم الشرعية قاطبة وأغزرها فائدة، وأكثرها اتصالاً وارتباطاً بالعلوم الأخرى، فما من مفسر أو فقيه أو مؤرخ أو لغوي إلا وهو بحاجة إليه، وإلى الاستعانة بالمتخصص فيه، والاعتماد عليه. ومع ذلك فالواقع أن القليل من المتخصصين في العلوم الأخرى من استفاد من علمهم وتحقيقهم، فكان من آثار ذلك انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها بين المسلمين الخاصة منهم والعامة لا أستثني منهم خطيباً ولا مدرساً، ولا واعظاً ولا مرشداً، ولا كاتباً ولا محاضراً، إلا من شاء الله، وقليل ما هم. ذلك لأن ثقافتهم مستقاة من كتب - هي على اختلاف بحوثها ومواضيعها- جلها مشحونة بمثل تلك الأحاديث، لم يلتزم من ألفها هذا النهج العلمي من الاستعانة بأهل التخصص والمعرفة بها.

فكم من عارف بعلم الكلام - ولا أقول التوحيد - أودع في كتابه من الأحاديث هي عند أهل العلم موضوعة مكذوبة على رسول الله ﷺ لا تستحق أن تذكر في كتب الوعاظ والتصوف والرقائق، بله كتب العقائد والتوحيد والحقائق مثل حديث : «إن الله لما خلق العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له أدبر، فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أشرف منك، فبك آخذ، وبك أعطي»[1].

(١) انظر المقاصد الحسنة (رقم ٢٣٣) و(كاشف الخفا) (رقم ٧٢٣).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكم من ماهر في علم أصول الفقه أقام أصلاً، أو قعد قاعدة على أساس حديث منكر أو موضوع عند المحققين كحديث معاذ: «بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي...» الحديث[1] و«اختلاف أمتي رحمة»[2].

بل وكم من محدث مكثر حافظ، يحتج بأحاديث في الأحكام وغيرها من أبواب الشريعة هي - عند ذوي التخصص منهم بالجرح والتعديل والمعرفة بصحيح الحديث وسقيمه - إما ضعيفه أو موضوعة، كالأحاديث التي يصححها الحاكم وغيره من المتساهلين.

وكم من مفسر بارع تأول آية، أو ذكر سبب نزولها أو ساق قصة متعلقة بها، أو لمناسبة ما، اعتماداً على حديث لم يتثبت من صحته، هو عند أهله العارفين به ضعيف وموضوع، مثل حديث قصة الملكين هاروت وماروت، وارتكابهما عدة فواحش![3]، وحديث قصة الغرانيق وأن الشيطان تكلم على لسان النبي ﷺ بآية مدح بها آلهة المشركين: «تلك الغرانيق العلى. وإن شفاعتهن لترتجى»! ولنا في بيان ضعفه وبطلانه رسالة بعنوان: «نصب المجانيق، لنسف قصة الغرانيق» وهي معروفة[4].

وكم من فقيه جامع أوجب على الناس ما ليس بواجب. أو أسقط عنهم ما هو واجب، أو حرم عليهم، ما ليس بحرام، وأحل لهم ما ليس بحلال أو أبطل عليهم عبادة صحيحة، أو صحح لهم عبادة باطلة، أو سفك دماً محرماً، وحرم دماً مهدوراً، أو شرع لهم عبادة ليست مشروعة. كل ذلك لم يكن منهم عن هوى أو غرض حاشاهم، وإنما كان اعتمادا منهم على أحاديث توهموها ثابتة وليست

(١) تكلمت عليه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» ولما ينشر بعد ومحله منها قبيل المائة التاسعة.

(٢) انظر في السلسلة المذكورة برقم (٥٧).

(٣) قد بينت بطلانها وأنها من الإسرائيليات في السلسلة المتقدمة، فمن شاء الاطلاع فليرجع إليها رقم ١٧٠.

(٤) قام بطبعها المكتب الإسلامي بدمشق لصاحبه الأخ زهير شاويش.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كذلك، ولو أنهم رجعوا إلى أهل التخصص والمعرفة بالحديث لعلموا أنها ضعيفة أو موضوعة، لا يجوز تشريع شيء ما بها، ولو في حدود الندب والاستحباب، فكيف في التحريم والتحليل، والإبطال والإيجاب؟! والأمثلة على ما ذكرت كثيرة جداً تبلغ المئات بل الألوف.

وأما الصوفية وأمثالهم ممن ألف في علوم الدين، والأخلاق، والآداب والمواعظ، فحدث عن أحاديثهم، وما وقع فيها من الأباطيل ولا حرج وحسبك أن تطلع على كتاب «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ زين الدين العراقي، إنك إن فعلت ذلك فسترى ما هو أعجب وأعجب!!.

ولما كنا على أبواب حركة علمية واسعة النطاق، في شتى أنواع العلوم ومنها الفقه والتشريع الإسلامي، كان طبيعياً جداً أن يكتب كثير من العلماء والكتاب في مواضيع معينة من أبواب الفقه، وخصوصاً ما كان منها متعلقاً بالحقوق والقانون والاجتماع والاقتصاد.. وتلقى محاضرات كثيرة في مثل هذه المواضيع، وبعضهم شرع في تأليف كتب خاصة في الفقه الإسلامي أو فقه السنة جامعاً لجميع أو أكثر الأبواب الفقهية التي يحتاجها المسلم مبتدئين بـ«كتاب الطهارة»، ثم «الصلاة»، ثم «الزكاة» وهكذا إلى آخر الكتب التي جرى الفقهاء قديماً على نسقها.

ولكني رأيت أكثر هؤلاء العلماء والكتاب والمحاضرين، قد سرت إليهم عدوى من قبلهم من الفقهاء من ترك الاستعانة بأهل التخصص والمعرفة بالحديث، فلا تكاد تجد حديثاً واحداً في كل ما يكتبون من البحوث الخطيرة مخرجاً مصححاً أو مضعفاً على طريقة أهل الحديث، اللهم إلا قليلا منهم، وخيرهم صنعاً من يقول: «رواه فلان» ثم يسكت، ولا يبين درجته من الصحة أو الضعف، وهو قد يكون موضوعاً مكذوباً عند أهل الحديث! وقد أقام عليه من أشرنا إليهم علالي وقصوراً.

وإليك بعض الأمثلة:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١- قال بعض الأفاضل ممن ألف في فقه السنة:

«يحرم على الجنب أن يمكث في المسجد لحديث عائشة قالت: «جاء رسول الله ﷺ، ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال: وجهوا هذه البيوت عن المسجد.. فإني لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب». رواه أبو داود. وعن أم سلمة قالت: «دخل رسول الله ﷺ صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته: إن المسجد لا يحل لحائض ولا لجنب» رواه ابن ماجه والطبراني.

أقول: فقد حرم المكث في المسجد بناء على هذا الحديث، وأنا أعلم أنه ليس هو أول من فعل ذلك بل هو مقلد لبعض من سبق من الفقهاء، وما أوقعه في ذلك إلا عدم رجوعه إلى أهل التخصص في الحديث. ولو صنع لوجد قول البيهقي: «ليس بقوي». وقول عبد الحق الإشبيلي: «لا يثبت» وقول الخطابي: «ضعفه جماعة». ذكر هذا الإمام النووي في المجموع (شرح المهذب) (٢/ ١٦٠).

ثم إنه لو رجع إلى مصدر الحديث مباشرة ألا وهو أبو داود وابن ماجه، وكان من أهل العلم بتراجم الرواة وأحوالهم، لوجد أن مدار الحديث على جسرة بنت دجاجة، وقد قال البخاري فيها: «عندها عجائب»! وَلَمَا وقع في هذا الإيهام الفاحش وهو أن للحديث طريقين: أحدهما عن عائشة، والآخر عن أم سلمة، وحقيقة الأمر أن الطريق واحدة مدارها على جسرة هذه كما أشرت إليه آنفاً، غاية ما في الأمر، أن بعض الرواة اختلفوا في إسناده عن جسرة. فقال أحدهم: عنها عن عائشة. وقال آخر: عنها عن أم سلمة. فيتوهم من لم يرجع في الحديث إلى الأصول والأمهات أن للحديث طريقين، زد على ذلك أن هذا الاختلاف يعتبر عند أهل الحديث اضطراباً يزيد الحديث ضعفاً على ضعف، فكيف يجوز لعالم أن يحرم بمثله شيئاً؟!

وليس غرضي الآن تحقيق القول والإفاضة في بيان ضعف الحديث وما قيل فيه.

٢- وقال آخر من الأفاضل المشهورين والعلماء البارزين في رسالة له في «الحقوق العامة لأهل الذمة»:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«دم الذمي كدم المسلم، فإن قتل مسلم أحداً من أهل الذمة اقتص منه له، كما لو قتل مسلما»[(١)].

ثم استدل على ذلك بحديث ابن عمر عند الدارقطني أن رسول الله ﷺ قتل مسلماً بمعاهد وقال: أنا أكرم «وفي رواية: أحق» من وفى بذمته[(٢)].

مع أن هذا الحديث عند أهل المعرفة به ضعيف دون أي اختلاف بينهم، فقد ضعفه الطحاوي والدارقطني والبيهقي ونقل عن الإمام صالح بن محمد الحافظ أنه قال: «هو مرسل منكر».

ولو أن الفاضل المشار إليه استخرج الحديث بنفسه من «سنن الدارقطني» لوجود كلام الدارقطني عقبه صريحاً في تضعيفه إياه، وذلك قوله (ص٣٤٥): «لم يسنده غير إبراهيم بن أبي يحيى، وهو متروك الحديث، والصواب عن ربيعة عن ابن البيلماني مرسل عن النبي ﷺ، وابن البيلماني ضعيف لا تقوم به حجة إذا وصل الحديث، فكيف بما يرسله؟!».

وقد فصلت القول على هذا الحديث وذكرت طرقه وعللها ونصوص أهل العلم في تضعيفه في الجزء الخامس من «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» رقم (٤٦٠).

٣- وقال ثالث في «بحث الدور الفقهي الأول: عصر النبوة»، وقد ذكر طائفة من الأحاديث كأمثلة لجملة من الأصول والقواعد الكلية التي تركها ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، منها حديث: «الشفعة كحل العقال» ثم قال الفاضل المشار إليه: «فهذا الحديث مثلاً يصلح أساساً لفكرة مرور الزمن، وتحديد المدد للمطالبة ببعض الحقوق، ولاستعمال بعض الخيارات كخيار الرؤية والعيب، و...»[(٣)].

فلو أن المذكور رجع إلى بعض المتخصصين في الحديث والعارفين بصحيحه

---

(١) انظر «فقه السنة» للسيد سابق (ص ١١٧- ١١٨) الطبعة الأولى.

(٢) انظر كتاب «نظرية الإسلام وهديه» ص ٣٤١ للأستاذ المودودي.

(٣) انظر كتاب «المدخل الفقهي العام إلى الحقوق المدنية في البلاد السورية» (١/ ٦٧ و٦٨) الأستاذ الفاضل مصطفى الزرقا.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وضعيفه، لما جزم بنسبته إلى النبي ﷺ ولما اتخذه مثلاً للفكرة التي ذكرها، فقد قال أبو زرعة: «حديث منكر» وقال ابن حبان: «لا أصل له».

وأورده البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٠٨) في جملة أحاديث ساقها بأسانيدها في: «باب رواية ألفاظ منكرة يذكرها بعض الفقهاء في مسائل الشفعة»!.

٤- حديث «أن النبي ﷺ قال في أهل الذمة: لهم مالنا وعليهم ما علينا».

لقد اعتدنا أن نسمع هذا الحديث من كثير من خطبائنا ومرشدينا ومحاضرينا، وهم يتكلمون عن حقوق أهل الذمة في الإسلام، جازمين بنسبته إلى النبي عليه الصلاة والسلام، حتى أصبح ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير من الدعاة المعروفين بالإصلاح والتجديد، فضلاً عن غيرهم من المسلمين الصالحين، فهذا أحد دعاتهم يصرح بمعنى ذلك في بيان أذاعه على الناس بمناسبة الجدل الذي قام حول محاولة بعض إخواننا الإسلاميين لإدخال دين الدولة الإسلام، في دستور سنة ١٩٥٠ فقال: «المواطنون متساوون في الحقوق، لا يحال بين مواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة» يشير بهذا الكلام إلى هذا الحديث، والحديث المتقدم برقم (٢).

والواقع أن هذا الحديث لا أصل له عن النبي ﷺ بهذا السياق الذي اعتادوا ذكره، وإنما أورده هكذا بعض الفقهاء الذين لا علم عندهم بالسنن، فقلده من أشرنا إليهم، ثم أذاعوا الحديث على الناس ونشروه بينهم كتابةً ووعظا، دون أن يحاولوا الرجوع به إلى ذوي التخصص في الحديث ليكونوا على بينة من أمره، ولا ينسبوا إلى النبي ﷺ ما ليس من حديثه، بل هو معارض له أشد المعارضة، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال هذه الجملة: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» في الذين يسلمون من المشركين، ورد ذلك عنه ﷺ من حديث بريدة بن الحصيب وسلمان الفارسي وغيرهما.

٥- حديث «إذا صعد الخطيب المنبر، فلا صلاة ولا كلام».

وهو حديث متداول على ألسنة بعض الفقهاء ومسطور في غير ما كتاب فقهي، واشتهر على ألسنة الناس حتى توجت به بعض المنابر في بلادنا الشامية، ولا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أصل له عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ، بل إن معناه مخالفة لبعض الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما» أخرجه الإمام مسلم وغيره.

وقد بينت حال هذا الحديث، وما قاله أهل العلم فيه في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) (رقم ٨٧) فليراجعه من شاء التحقيق.

ومن الأمثلة المتقدمة - وهي غيض من فيض - يتبين لكل عاقل أن الأحاديث الضعيفة مع الجهل بها هي من أكبر العوامل- إن لم أقل: هي أكبرها إطلاقاً- على حمل بعض المسلمين على الانحراف عن دينهم، انحرافاً أعتقد أنه أخطر ما أصيب به المسلمون من الانحرافات الكثيرة، ذلك لأنهم في اتباعهم إياها، وتمسكهم بها، يظنون أنهم إنما يتبعون كلام من أوجب الله عليهم اتباعه، والتسليم لكلامه، ووصفه بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٣-٤)، وصدق الله، وأخطأ أولئك حين استسلموا لكل ما ينسب إليه ﷺ، من الأحاديث، ولم يتحروا ما صح منها مما لم يصح، مع علمهم ويقينهم بأنه ليس كل ما يعزى إليه ﷺ من الحديث صحيح ثابت عنه، فكان المفروض أن يكون هذا وحده كافياً ليحملهم على البحث والتنقيب وتطلب الحديث الصحيح، فكيف ورسول الله ﷺ قد أخبرهم فيما صح عنه أن بعض الناس سيكذبون عليه، في مثل قوله ﷺ: «إن كذبا علي، ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه مسلم من حديث المغيرة رضي الله عنه، ثم حذرهم ﷺ من الاغترار بهؤلاء الكذابين والاعتماد على حديثهم فقال ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم». رواه مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن من حرصه ﷺ على حديثه، وسلامته من أن يلوث بأحاديث الكذابين عليه أنه اعتبر الذين يروجون الأحاديث دون أن يتثبتوا من صحة نسبتها إليه ﷺ في حكم الكاذبين عليه، فقال ﷺ: «من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحد الكاذبين».

وقال ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» رواهما مسلم. وروي عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال لابن وهب: «اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع».

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: «لا يكون الرجل إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع».

ولذلك اتفق العلماء على أنه لا يجوز الاحتجاج بالحديث الضعيف في الأحكام[1] فضلاً عن العقائد، ذلك لأن الحديث الضعيف لا يفيد إلا الظن المرجوح والأخذ به مذموم بنص الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (النجم: ٢٨) وقال ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث» متفق عليه. وفي حديث آخر: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[2].

وإذا كان الأمر كذلك، فكان الواجب على الفقهاء الذين هم المرجع لعامة الناس في التعرف على أحكام الشريعة مفصلاً أن يكونوا أبعد الناس عن مخالفة هذه النصوص، ومناقضة ذلك الاتفاق الذي انعقد بأمثالهم من العلماء الذين قالوا به ذلك ما يقتضيه حسن الظن بهم وجلالة قدرهم.

ولكن الواقع يشهد - والأسف يملأ قلبي - أن جمهورهم على اختلاف مذاهبهم، قد امتلأت كتبهم بمئات الأحاديث الضعيفة والموضوعة، التي رتبوا عليها أحكاماً شرعية كثيرة على اختلاف أنواعها وخطورتها، مما سبق تفصيل القول في بعضها والتمثيل لها بأحاديث هم مصدرها والمستدلون بها، تبعهم على ذلك بعض المعاصرين!.

وهذا أمر يشهد به كل من له معرفة بعلم الحديث، وله اطلاع لا بأس به على

---

(١) انظر «المجموع شرح المهذب» للإمام النووي (١/ ٥٩) و«الأجوبة الفاضلة» لأبي الحسنات للكنوي ص(٥٦).

(٢) انظر مقدمة (صفة الصلاة ص ٧ الطبعة الثالثة).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكتب الفقهية المبسوطة في المذاهب الأربعة، ومن أجل ذلك وضع جماعة من أئمة الحديث على بعض الأمهات منها كتب التجريحات المعروفة[١]. وألف ابن الجوزي الحنبلي كتابه «التحقيق في مسائل التعليق» وذكر في مقدمته الحامل له على تأليفه فقال: «كان السبب في إثارة العزم لتصنيف هذا الكتاب أن جماعة من إخواني ومشايخي في الفقه، كانوا يسألوني في زمن الصبا جمع أحاديث التعليق، وبيان ما صح منها، وما طعن فيه، وكنت أتوانى عن هذا لسببين:

أحدهما: اشتغالي بالطلب.

والثاني: ظني أن ما في التعاليق من ذلك يكفي، فلما نظرت في التعاليق رأيت بضاعة أكثر الفقهاء في الحديث مزجاة، يعول أكثرهم على أحاديث لا تصح، ويعرض عن الصحاح ويقلد بعضهم بعضا فيما ينقل. ثم قد انقسم المتأخرون ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قوم غلب عليهم الكسل، ورأوا أن في البحث تعباً، وكلفة، فتعجلوا الراحة، واقتنعوا بما سطره غيرهم.

والقسم الثاني: قوم لم يهتدوا إلى أمكنة الأحاديث، وعلموا أن لا بد من سؤال من يعلم هذا، فاستنكفوا عن ذلك!.

والقسم الثالث: قوم مقصودهم التوسع في الكلام طلباً للتقدم والرياسة، واشتغالهم بالجدل والقياس، ولا التفات لهم إلى الحديث لا إلى تصحيحه، ولا إلى الطعن فيه.

وليس هذا شأن من استظهر لدينه، وطلب الوثيقة في أمره.

ولقد رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن ألفاظ قد أخرجت في الصحاح: «لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذه الألفاظ»! ويرد الحديث الصحيح، ويقول: «هذا لا يعرف»! وإنما هو لا يعرفه، ثم رأيته قد استدل بحديث زعم أن البخاري أخرجه: وليس كذلك ثم نقله عن مصنف آخر كما قال

---

(١) انظر مقدمة «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص٤-٥) و«الرسالة المستطرفة» للكتاني (ص١٤١-١٤٢).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تقليداً له، ثم استدل في مسألة فقال: «دليلنا ما روى بعضهم أن النبي ﷺ قال كذا»! ورأيت مشايخنا يقولون في تصانيفهم: «دليلنا ما روى أبو بكر الخلال بإسناده عن رسول الله ﷺ »، و«دليلنا ما روى أبو بكر عبد العزيز بإسناده».

و«دليلنا ما روى ابن بطة بإسناده»، وجمهور تلك الأحاديث في «الصحاح»، وفي «المسند» وفي «السنن» غير أن السبب في اقتناعهم بهذا، التكاسل عن البحث. والعجب ممن ليس له شغل سوى مسائل الخلاف، ثم قد اقتصر منها في المناظرة على خمسين مسألة، وجمهور هذه الخمسين لا يستدل فيها بحديث! فما قدر الباقي حتى يتكاسل عن المبالغة في معرفته؟!.

وألوم عندي ممن قدمته من الفقهاء، جماعة من كبار المحدثين عرفوا صحيح النقل وسقيمه، وصنفوا في ذلك، فإذا جاء حديث ضعيف يخالف مذهبهم بينوا وجه الطعن فيه، وإن كان موافقاً لمذهبهم سكتوا عن الطعن فيه.

وهذا ينبئ عن قلة دين، وغلبة هوى «ثم روى بسنده عن الدارقطني وهذا بسنده عن وكيع أنه قال: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[(١)].

قلت: ومن المؤسف أن الوصف الذي ذكره ابن الجوزي ينطبق تماماً على رجلين كبيرين، أحدهما شافعي المذهب وهو الإمام البيهقي، والآخر حنفيه وهو علاء الدين ابن التركماني، وذلك ظاهر في كتاب الأول منهما «السنن الكبرى»، وفي كتاب الآخر «الجوهر النقي في الرد على البيهقي»، بل إن ابن الجوزي نفسه لم ينج من هذا البلاء.

وأعتقد أن السبب في ذلك، إنما هو التعصب لمذهب معين، فذلك هو الذي يحمل البعض على السكوت عن الحديث الضعيف إذا كان له، ويسارع إلى الكشف عن علته إذا كان عليه، بل إن بعضهم، قد يصحح الضعيف، ويضعف

---

(١) رواه الدارقطني في سننه ص١٠، وفيه إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن سالم السلولي أبو سالم عن أبيه عن وكيع، ولم أر من ترجمه هو وأبوه. وقع في «التحقيق» «السكوني» بدل «السلولي»، ولم يورده السمعاني فيهما.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصحيح حمية لمذهبه، فلو لم يكن للتعصب من شؤم إلا هذا لكفى. . فالحمد لله الذي عافانا من العصبية المذهبية، ورزقنا التمسك بالسنة المحمدية فقط دون غيرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» (ج٤ ص١٠):

«قاعدة: المنقولات فيها كثير من الصدق، وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا، إلى علم الحديث، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب، ونحو غير العرب، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة، وما ليس من اللغة، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك، فلكل علم رجال يعرفون به، والعلماء بالحديث أجل قدراً من هؤلاء، وأعظمهم صدقاً، وأعلاهم منزلة، وأكثر دينا، وهم من أعظم الناس صدقاً وأمانة وعلما وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل، مثل مالك وشعبة وسفيان ويحيى بن سعيد والشافعي وأحمد. . .و. . . البخاري ومسلم وأبي داود. . . وابن عدي وأبي حاتم البستي والدارقطني وأمثال هؤلاء خلق كثير لا يحصى عددهم من أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل، وإن كان بعضهم أعلم بذلك من بعض، وبعضهم أعدل من بعض في وزن كلامه كما أن الناس في سائر العلوم كذلك. «قال: وهذا علم عظيم من أعظم علوم الإسلام (ص ١١): «والإسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة» ثم قال (ص١٢):

«فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلى أئمة النقل وعلمائه، ومن يشركهم في علمهم، وأن يستدل على الصحة والضعف بدليل مفصل عن الرواية فلا بد من هذا وهذا، وإلا فمجرد قول القائل: (رواه فلان) «لا يحتج به لا أهل السنة؟ ولا الشيعة، وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف» ثم قال في فصل آخر (٤/ ١١٥):

«وقد يكون الرجل صادقاً كثير الحديث، كثير الرواية فيه، لكن ليس من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أهل العناية بصحيحه وسقيمه، فهذا يستفاد منه نقله، فإنه صادق ضابط، وأما المعرفة بصحيحه وسقيمه، فهذا علم آخر، وقد يكون مع ذلك فقيها مجتهداً، وقد يكون صالحاً من خيار المسلمين، وليس له كثير معرفة، لكن هؤلاء وإن تفاضلوا في العلم، فلا يروج عليهم من الكذب ما يروج على من لم يكن له علم، فكل من كان بالرسول أعرف، كان تمييزه بين الصدق والكذب أتم. فقد يروج على أهل التفسير والفقه والزهد والنظر أحاديث كثيرة، إما يصدقون بها، وإما يجوزون صدقها، وتكون معلومة الكذب عند علماء الحديث، وقد يصدق بعض هؤلاء بما يكون كذباً عند أهل المعرفة مثل ما يروي طائفة من الفقهاء، حديث: «لا تفعلي يا حميراء فإنه يورث البرص» وحديث «زكاة الأرض يبسها»، وحديث... وحديث... إلى أمثال ذلك من الأحاديث التي يصدق بعضها طائفة من الفقهاء، ويبنون عليها الحلال والحرام، وأهل العلم بالحديث متفقون على أنها كذب على رسول الله ﷺ موضوعة، وكذلك أهل العلم من الفقهاء يعلمون ذلك».

وقال العلامة محمد بن عبد الهادي بعد أن نقل قول ابن تيمية: (فقد يروج..):

«وهذه الأحاديث التي ذكرها، منها ما لا يعرف له إسناد ولا أصل كحديث: «زكاة الأرض يبسها» ومنها ما هو موضوع، وما هو ضعيف الإسناد كحديث «لا تفعلي يا حميراء» رواه الدارقطني وابن عدي وغيرهما وهو موضوع، وحديث «نهى عن بيع وشرط» رواه البيهقي بإسناد ضعيف... ثم قال ابن عبد الهادي: «ويشبه ما ذكره شيخنا من هذه الأحاديث ما يذكره بعض الفقهاء والأصوليين، أو المحدثين محتجاً به أو غير محتج به، مما ليس له إسناد، أو إسناد، ولا يحتج بمثله النقاد من أهل العلم كحديث «النهي عن بيع الكالئ بالكالئ» وحديث.. وحديث..». ثم ختم ذلك بقوله:

«واعلم أن غالب هذه الأحاديث مروية بالأسانيد، ومنها ما لا يعرف له إسناد أصلاً، وهي على أقسام: فمنها ما هو موضوع على رسول الله ﷺ بيقين، ومنها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما يشك في وضعه، ومنها ما إسناده ضعيف، ومنها ما قد يحسنه بعض الأئمة، والله الموفق للصواب»[١].

وقال العلامة ابن الحسنات اللكنوي في «الأجوبة الفاضلة» (ص٢٩-٣٠) بعد أن ذكر أصنافاً من الوضاعين، منهم من وضعوا أحاديث في الأحكام، وتقولوا بالحلال والحرام:

«ومن هنا نصوا على أنه لا عبرة للأحاديث المنقولة في الكتب المبسوطة ما لم يظهر سندها، أو يعلم اعتماد أرباب الحديث عليها، وإن كان مصنفها فقيها جليلاً، يعتمد عليه في نقل الأحكام، وحكم الحلال والحرام، ألا ترى إلى صاحب «الهداية» من أجلة الحنفية، والرافعي شارح الوجيز من أجلة الشافعية - مع كونهما ممن يشار إليه بالأنامل، ويعتمد عليه الأماجد والأماثل- قد ذكرا في تصانيفهما ما لا يوجد له أثر عند خبير بالحديث يستفسر، كما لا يخفى على من طالع «تخريج أحاديث الهداية» للزيلعي، و«تخريج أحاديث شرح الرافعي» لابن حجر العسقلاني. وإذا كان حال هؤلاء الأجلة هذا، فما بالك بغيرهم من الفقهاء الذين يتساهلون في إيراد الأخبار، ولا يتعمقون في سند الآثار؟

ولذا قال علي القاري في «رسالة الموضوعات»: حديث «من قضى صلاة من الفرائض في آخر حجته في رمضان كان ذلك جابراً لكل صلاة فاتته في عمره إلى سبعين سنة» باطل قطعاً، ولا عبرة بنقل صاحب «النهاية»، وغيره من بقية شراح «الهداية» فإنهم ليسوا من المحدثين، ولا أسندوا الحديث إلى أحد من المخرجين. انتهى.

وقال السيوطي في «مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود» تحت حديث «نهى رسول الله ﷺ أن يتمشط أحدنا كل يوم» فإن قلت: نقل أنه ﷺ «كان يسرح لحيته كل يوم مرتين» قلت: لم أقف على هذا بإسناد، ولم أر من ذكره إلا الغزالي في

---

(١) نقلته من مجموع بخط محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زريق، فيه عدة كتب منها فصل قال: رأيته بخط الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الهادي رحمه الله تعالى في أثناء كلام له وهو محفوظ في المكتبة الظاهرية برقم (٤٠٥ حديث).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«الإحياء» ولا يخفى ما فيه من الأحاديث التي لا أصل لها انتهى.

وقال اللكنوي في كتابه الآخر «النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير» (ص١٢٢- ١٢٣) بعد أن ذكر مراتب كتب الفقه الحنفي، وما يعتمد عليه منها وما لا يعتمد:

«كل ما ذكرنا من ترتيب المصنفات، إنما هو بحسب المسائل الفقهية وأما بحسب ما فيه من الأحاديث النبوية فلا، فكم من كتاب معتمد، اعتمد عليه أجلة الفقهاء مملوء من الأحاديث الموضوعة، ولا سيما الفتاوى، فقد وضح لنا بتوسيع النظر، أن أصحابها وإن كانوا من الكاملين، لكنهم في نقل الأخبار من المتساهلين».

ثم قال اللكنوي في الكتاب الأول (ص ٣٥): «فإن قلت: فما بالهم أوردوا في تصانيفهم الأحاديث الموضوعة مع جلالتهم ونباهتهم؟ ولم لم ينقدوا الأسانيد مع سعة علمهم؟ قلت: لم يوردوا ما أوردوا مع العلم بكونه موضوعاً، بل ظنوه مروياً، وأحالوا نقد الأسانيد على نقاد الحديث، لكونهم أغنوهم عن الكشف الحثيث، إذ ليس من وظيفتهم البحث عن كيفية رواية الأخبار، إنما هو من وظيفة حملة الآثار، فلكل مقام مقال، ولكل فن رجال».

قلت: وفي جوابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ نظر كبير وتسامح ظاهر، فإن كون نقد الأحاديث ليس من وظيفة الفقهاء، فذلك لا يسوغ لهم مطلقاً أن يوردوها محتجين بها، ومؤيدين بها مئات الفروع المذهبية، وهذا معناه أحد شيئين:

إما أنهم يرون صحتها، فلذلك احتجوا بها، وهذا بعيد لأن شهادة الأئمة المتخصصين ترد ذلك.

وإما أنهم لا يعلمون صحتها ومع ذلك استدلوا بها، وهذا هو الذي نعتقده، وهم على هذا متساهلون كما صرح اللكنوي فيما تقدم، فلعل الله عَزَّ وَجَلَّ يغفر ذلك لهم لخدمتهم للشرع بعلم الفقه، وإن كان تساهلهم هذا له آثاره السيئة من نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين طلاب الفقه، حتى صار من الصعب إقناعهم بضعفها وصرفهم عنها إلى الأحاديث الصحيحة لثقتهم العمياء بمن أوردها من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفقهاء، وتوهمهم أنهم كانوا على معرفة تامة بالأحاديث صحيحها وسقيمها وأنهم لم يوردوا إلا ما صح منها!، ويصرح بعض غلاتهم بقولهم: «كل فقيه محدث، وليس كل محدث فقيها» وجهلوا أو تجاهلوا قول الرجل الحكيم: «ولكل فن رجال»[1].

ونحن بعد هذا، لا نريد من فقهائنا اليوم، أن يصير كل واحد منهم محدثاً، إلى جانب كونه فقيهاً، يستطيع حين يتطلب الأمر أن يستخرج الحديث من مصادره وأصوله القريبة منها والبعيدة، وأن يحكم عليه بالصحة أو الضعف، ليس ذلك تقليداً منه لغيره، بل بدراسته بنفسه لإسناده، وبمعرفته لرواته، وتتبعه لعلله، كلا.. لا نريد منهم هذا، فإنه شيء صعب حقاً، ولم لا؟ وأكثرهم لم يدرسوا من علم الحديث إلا ما يعرف اليوم بـ«مصطلح الحديث» دراسة سطحية نظرية لم يقترن منها تطبيق عملي، على نحو دراستهم سائر العلوم الأخرى مثل «الفيزياء» و«الكمياء» وغيرها من العلوم التي إذا لم ينضم إليها دراسة تطبيقية، فسرعان ما ستتبخر من أذهانهم بعد انتهائهم من الدراسة وحصولهم على الشهادة!

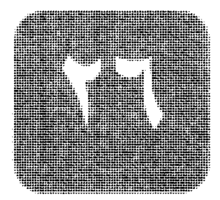
وإنما نريد من فقهائنا اليوم شيئاً وهو سهل على من سهل الله له: أن يعتبروا بصنيع من قبلهم، فلا يحتجوا بالأحاديث الضعيفة لإثبات أي حكم شرعي وأن يتعرفوا عليها بالرجوع إلى أهل التخصص والمعرفة بها من المحدثين، وهؤلاء لهم كتب كثيرة معروفة في تخريج بعض الكتب الفقهية، ولهم كتب أخرى متنوعة تساعد الفقهاء على تمييز الحديث الصحيح من الضعيف وبذلك يصح اعتبارهم ويكون فقههم نافعاً صالحاً مشكوراً.

* * *

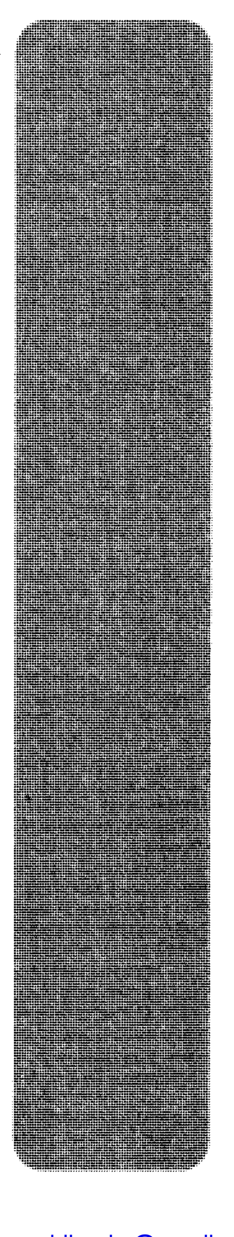
(١) للشيخ الفاضل عبدالوهاب عبد اللطيف المدرس بكلية الشريعة في الأزهر مقدمة على «المقاصد الحسنة» وأخرى على «تنزيه الشريعة» كاد أن يحيط فيها بالكتب المؤلفة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والمشتهرة على الألسنة، مع التنبيه على المطبوع منها، فليرجع إليهما.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات



الشيخ محمد سليمان الأشقر

❑ **ترجمة الشيخ.**

❑ **المقالات:**

١- منزلة العبادة.

العدد (٧١) ذو القعدة (١٣٩٠هـ) - ديسمبر (١٩٧٠م).

٢- رحلة الفهرسة عبر تاريخنا.

العدد (٧٥) ربيع الأول (١٣٩١هـ) - إبريل (١٩٧١م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

الشيخ محمد سليمان الأشقر

● مولده ونشأته:

هو محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد (وهو الأشقر) بن سليمان، من أهالي قرية برقة من قرى نابلس بفلسطين، ولد في ١٦ من أيلول سنة ١٩٣٠ م، ونشأ في كنف والده الأمي الذي حرص على تعليمه وحمله على مكارم الأخلاق.



التحق بالمدرسة الابتدائية في قريته، وتخرج منها عام ١٩٤٤م ثم التحق بالدراسة الثانوية بنابلس، ثم ذهب بعدها إلى المملكة العربية السعودية فعمل في التدريس، ثم في التجارة بالرياض وفي سنة ١٣٧١ أسند إليه أمانة مكتبة دار الإفتاء في معهد الرياض الديني الثانوي.

ثم التحق بالكلية الشرعية في الرياض إلى أن تخرج منها سنة ١٣٧٦هـ في الفوج الأول من خريجيها.

وقد أخذ فيها العلم عن مشايخ أجلاء منهم: «الشيخ محمد أمين الشنقيطي، الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد العزيز بن رشيد، الشيخ عبدالرحمن الإفريقي، الشيخ عبد اللطيف سرحان».

درَّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبقي فيها سنتين، وسافر بعدها إلى الكويت، وأسندت إليه أمانة مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مدى اثني عشر عاماً، حصل في أثناء ذلك عل درجتي الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الأزهر.

وعمل باحثاً في الموسوعة الفقهية، وشارك في لجنة الفتوى الشرعية كعضو من أعضائها.

● **مؤلفاته**

له العديد من المؤلفات منها: «الواضح في أصول الفقه للمبتدئين، زبدة التفسير من فتح القدير، نفحة العبير من زبدة التفسير، الفتيا ومناهج الإفتاء، كيف تدخل في الإسلام، معجم علوم اللغة العربية، المجلّى في الفقه الحنبلي، أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة، تحقيق كتاب نيل المآرب شرح دليل الطالب».

وغيرها كثير.

● **وفاته**

توفي يوم الأحد ٢٨ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ - ١٥-١١-٢٠٠٩م رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منزلة العبادة في المسجد الحَرام والمسجد النبوي

العدد (٧١) ذو القعدة (١٣٩٠هـ) - ديسمبر (١٩٧٠م).

تتبين منزلة المسجد الحرام بين المساجد المبنية لله، لمن يعلم:

(١) أنه أول مسجد في الأرض بني لعبادة الله.

(٢) وأنه قبلة الصلاة والدعاء والدفن للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مع اقتران ذلك بأن الإسلام ناسخ لما قبله من الشرائع.

(٣) وأنه مخصوص بمزيد من العناية الإلهية ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ (الحج: ٢٥).

(٤) وأن الحج إليه ركن من أركان الإسلام.

(٥) وأن الصلاة فيه مأجورة بمائة ألف صلاة فيما سواه.

(٦) وأن من دخله كان آمناً رعاية لحرمة الله وتعظيماً لجنابه.

(٧) وأن الوحش والطير يأمن فيه مما يؤذيه، بأمر الله الشرعي فيسرح ويمرح في جواره آمناً. وكذلك النبات.

(٨) وأن إشراع السلاح فيه للقتال ممنوع ولو على الكافر إلا دفاعاً عن النفس.

(٩) أنه يحرم السماح للكافر بدخوله لأن الكافر نجس، والبيت مطهر.

(١٠) وأن حرمه يستوي فيه العاكف والبادي من المسلمين. أي المقيم والغريب يستويان في حقوق الإقامة فيه.

(١١) وأنه لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد أو مكان من الأمكنة بقصد زيارته والعبادة فيه، ما عدا هذا المسجد والمسجد النبوي والمسجد الأقصى.

(١٢) وأن تأسيسه كان على يد إبراهيم خليل الله وإسماعيل الذبيح وفيه مقام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إبراهيم والحجر الأسود.

(١٣) وأن فيه عبادة لا تصلح في مكان آخر وهي الطواف والسعي. **وبعض هذه الميزات ناشئ من بعض.**

١- أما الميزة الأولى، فقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ (آل عمران: ٩٦). وقال أبو ذر للنبي ﷺ: أي مسجد في الأرض وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» رواه البخاري ومسلم (ابن كثير، التفسير، سورة آل عمران/ ٩٦) وأوضح ما قيل في تفسير ذلك أن إبراهيم بنى البيت الحرام، ويعقوب بنى المسجد الأقصى، ويعقوب حفيد إبراهيم فالمدة بينهما قريبة.

٢- وأما القبلة فيقول الله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤).

٤- وأما الحج فبقول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧) مع قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان» (رواه البخاري ومسلم).

٥- وأما مضاعفة الصلاة فيه فتأتي في أواخر هذا البحث.

٦، ٧، ٨- وأما الأمن فيه للبشر والحيوان والنبات فلقول الله تعالى ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: ٩٧) وقوله ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ (البقرة: ١٩١). وقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٦٧). مع قول النبي ﷺ: «مكة حرمها الله تعالى ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة «وفي لفظة» «ولا يصاد صيدها».

٩- ومنع المشركين من دخوله لقول الله ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ (التوبة: ٢٨).

١٠- وأما استواء المواطن والغريب في حقوق الإقامة فيه، فلقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ (الحج: ٢٥).

١١- وأما جواز شد الرحال إليه وإلى المسجدين النبوي والأقصى للعبادة دون المساجد الأخرى فلقول النبي ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (رواه البخاري ومسلم).

١٢، ١٣- وأما تأسيسه على يدي إبراهيم خليل الله وإسماعيل الذبيح بأمر الله، والطواف فيه والسعي فلقول الله ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥) ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (البقرة: ١٢٧).

هذا وإنما ذكرت من الأدلة أصرحها ولم أقصد الحصر.

● **تحديد معنى «المسجد الحرام»:**

باستقراء مواضع ورود هذا اللفظ في الكتاب والسنة نجده :

(١) أحياناً يعني به «الكعبة» فقط دون ما حولها.

(٢) وأحياناً يعني به «الكعبة وما حولها مما هو مهيأ ومعد للصلاة فيه» فقط دون ما حول ذلك من أرض مكة وحرمها.

(٣) وأحياناً يعني به «مكة كلها وما حولها من حرمها».

(٤) وأحياناً أخرى يدور اللفظ بين هذه المعاني الثلاثة.

مثال الأول: قول الله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤)، مع قول ابن عباس عن الكعبة «البيت كله قبلة».

٢- ومما عني به مسجد الصلاة المحيط بالكعبة قوله تعالى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (التوبة: ١٩) وقوله تعالى ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ (البقرة: ١٩١) فليس المقصود به كل الحرم المكي. وإلا لقال: «ولا تقاتلوهم في المسجد الحرام».

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٣- ومما عني به «الحرم المكي كله» قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (الإسراء: ١). على رواية من روى أن النبي ﷺ كان ليلة الإسراء يبيت في بيت ابنة عمه أم هانئ بنت أبي طالب. وهو طبعاً خارج مكان الصلاة.

وغالب ما ورد من ذكر «المسجد الحرام» دائر بين هذه المعاني الثلاثة دون تحديد ومثال ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (الحج: ٢٥) وكل مكة وعمرانها ومساكنها إنما أنشئت وتوسعت وتتوسع لأجل الكعبة والصلاة فيها وخدمتها وخدمة ضيوفها. وهي حريم «البيت الحرام» أي فناؤه الملحق به الآخذ حكمه كما أن لكل بيت «حريما». ولذلك لولا «الكعبة» لم تكن «مكة» فما أحراها إذن بهذه التسمية «المسجد الحرام».

● **انطباق أحكام المسجد الحرام على المعاني الثلاثة:**

(١) هناك أحكام تتعلق بالمسجد الحرام من ناحية كونه مسجداً، فهي تنطبق على المكان المعد للصلاة حول الكعبة ولا تنطبق على باقي أجزاء مكة وما حولها. وذلك كتحريم البيع والشراء في المسجد. وتحريم قضاء الحاجة في المسجد. وتحريم إنشاد الضالة في المسجد. ووجود المصلين المقتدين بإمام صلاة الجماعة في المسجد. ونحو ذلك.

(٢) وهناك أحكام تتعلق بالمسجد الحرام من ناحية كونه محرماً بأمر الله، وأن تعظيمه يبتغى به وجه الله، فهذه تنطبق على مكة وما حولها. وذلك كأمن الداخل في الحرم وأمن حيوانه ونباته، وتحريم أخذ اللقطة فيه. ومضاعفة العقوبة لمن ألحد فيه واتخذه مكاناً للمعصية، أو صد الناس عن القدوم إليه وأعاقهم عن ذلك. وحرمان المشركين من دخول المسجد الحرام واستواء الغريب والمواطن في حقوق الإقامة فيه.

(٣) وهنالك أحكام تدور بين الناحيتين السابقتين وذلك كما ورد في الحديث «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» رواه البخاري/ ك. ٢ب ١ ومسلم. وفي لفظ في غير الصحيحين «وصلاة في المسجد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحرام خير من مائة صلاة في هذا» فهل الصلاة في بيوت مكة وسائر بقاع الحرم مأجورة بمائة ألف صلاة في المواضع الأخرى؟

فقيل[١] إن ذلك الفضل في الصلاة هو لكل مكة وحرمها. وممن قال بذلك عطاء بن أبي رباح رواه عنه الطيالسي كما ذكره في فتح الباري. وقدمه ابن حجر في الفتح وصححه النووي (فتح الباري ك. ٢ ب ١).

وقيل إن ذلك الفضل خاص بالموضع الذي يصلى فيه دون البيوت وغيرها من أجزاء الحرم. وقد قرره المحب الطبري، واحتج له بقول النبي ﷺ «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه» فجعل الفضل لنفس المسجد لا لكل المدينة، فينبغي أن يكون الأمر بمكة كذلك.

والذي جنح إليه ابن حجر مذهب حسن، وخلاصته:

١- أن صلاة الفرض بالمسجد في مكة أفضل من صلاة الفرض في بيوتها وفي غير حرمها.

٢- وأن صلاة النافلة في بيوت مكة أفضل من صلاتها في المسجد الحرام.

٣- وأن صلاة النافلة في بيوت مكة أفضل من النافلة في البيوت في غير مكة.

وكان ذلك جمعاً منه بين الحديث المشار إليه «صلاة في مسجدي هذا... الخ» والحديث الآخر «خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة».

● حكم الزيادات في المسجد النبوي

أما الزيادات في المسجد النبوي فهل تعتبر من المسجد النبوي في حكم المضاعفة فيه.

---

(١) هذا بخلاف لفظ «الكعبة» «والبيت الحرام» فهما لفظان خاصان بالبنية التي يطاف حولها. وبخلاف لفظ «الحرم» فإن المقصود به مكة كلها وما حولها إلى «الأميال» المعروفة.

ومما يجدر التنبه له أن بعض الناس إذا كان بمكة يقول دخلت «الحرم» يعني به دخوله «المسجد». وهذا استعمال غير سديد. كما أن بعض الناس يطلق لفظ «الحرم» على مساجد أخرى فيقول «حرم الأقصى»، أو «الحرم الزينبي» أو غير ذلك، وهذا أيضاً خطأ، فإن إبراهيم حرم مكة، ومحمداً ﷺ حرم المدينة، فهما الحرمان الوحيدان في الإسلام يحرم صيدهما ونباتهما.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نقل ابن حجر عن النووي أنه قال: ينبغي أن يحرص المصلي على الصلاة في الموضع الذي كان في زمانه ﷺ دون ما زيد فيه بعده، لأن التضعيف إنما ورد في مسجده، وقد أكده بقوله «هذا». هذا قول النووي. ونقل مثله عن أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي. والذي يظهر لي غير هذا - والله أعلم - لما يلي:

إن ميزة المسجد النبوي إنما جاءت، والله أعلم، من كونه أسس على التقوى على يدي نبي كريم كما أن مسجد مكة أسس على يدي إبراهيم وإسماعيل كما ذكر الله عنهما أنهما بوآ لهما مكان البيت، وأمرهما برفع بنيانه، وتطهيره من الشرك، ليعبد الله فيه. فلما كانت الإضافات في مسجد مكة تابعة في الحكم للمسجد الأصلي لأنها تؤدي نفس الغرض، فكذلك ينبغي أن يكون الأمر بالمدينة.

وأما قول النبي ﷺ «صلاة في مسجدي هذا» وتأكيده بقوله «هذا» فيظهر والله أعلم أن كلمة «هذا» لم يقصد بها نفي مضاعفة الأجر في الإضافات الحادثة، ولكن لئلا يظن أن المقصود كل مسجد بناه النبي ﷺ كمسجد قباء ومسجد الفتح وغير ذلك. فأما الإضافات فهي من المسجد قطعاً، بدليل أنه لو صلى رجل فيها ثم أقسم بالله أنه صلى في المسجد النبوي لكان قسمه صادقاً. وبهذا يتضح ما في قول النووي من التناقض لتفرقته بين المسجدين النبوي والحرام في أمر واحد، شمله حديث واحد.

ومهما قيل في الإضافات في المسجد النبوي فلا ينبغي أن يغفل عن أن الإضافة التي في جهة القبلة- أعني أمام المحراب النبوي إلى جدار القبلة الآن، إنما زادها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والصحابة متوافرون، واتفقوا على ذلك، وكان قيام عمر رضي الله عنه في الصلوات الخمس إماماً بالصحابة، في تلك الزيادة. وكانت الصفوف الأول التي هي أفضل الصفوف تقوم في تلك الزيادة. فهل يظن بهم أنهم كانوا يعتقدون أن الصلاة في غير موضعهم أفضل؟

هذا، وإذا علم أن النبي ﷺ أشار في حياته بالزيادة في المسجد علمنا أن تلك الزيادة التي في القبلة لها حكم المسجد من كل وجه. وذلك ما رواه الإمام أحمد أن عمر قال: لولا أن سمعت النبي ﷺ يقول «ينبغي أن نزيد في مسجدنا». ما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زدت. ورواه غير الإمام أحمد أيضاً.

إذن فالقول بأن الزيادة في المسجد لها حكم المسجد الأصلي تصح نسبته إلى الصحابة، الذين صلوا في المقدمة. ولم ينقل أن أحدا منهم أنكر ذلك فيما نعلم، وذلك ينبغي أن يكون إجماعاً. ولذلك قال ابن فرحون: لم يخالف في هذه المسألة غير النووي. ونقل المحب الطبري أن النووي رجع عن هذا القول. (انظر: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١/ ٣٥٧ وما بعدها).

ومن هذا يتبين خطأ قوم يتركون الصلاة في الصفوف الأولى في المسجد النبوي ويتأخرون إلى الصفوف المتأخرة، وكثيرا ما تنطقع الصفوف فيما بين ذلك، مع قول النبي ﷺ: «من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله» (الحاكم والنسائي عن ابن عمر، الجامع الصغير) وكأن هؤلاء يستنكرون ما فعله عمر رضي الله عنه وصحابة رسول الله معه، الذين هم أعلام الدين ونجوم الهداية. وقد قال الله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ (النساء: ١١٥).

وما هي الحجة التي بأيدي هؤلاء الذين يتركون الصفوف المتقدمة رغبة عنها؟ ليس لهم دليل منير ولا حجة قائمة. وهم لا شك قد حملهم حبهم للنبي ﷺ ومسجده على ذلك، ولكنهم فعلوه على غير هدى، وبغير دليل. فهي محبة غير مستبصرة. وأكمل العمل ما كان على طريق واضحة، وأصدق المحبة ما حمل المحب على أن يتبع طريق المحبوب. وقد قال الله تعالى ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران: ٣١) والله أعلم.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رحلة الفهرسة الهجائية والمعَاجم عبر تاريخنا

العدد (٧٥) ربيع الأول (١٣٩١هـ) - إبريل (١٩٧١م).

جانب مشرق من جوانب تاريخنا الإسلامي وحضارتنا العتيدة يبرز عند الكشف عما صنعه الأجداد في مجال التعجيم والفهرسة. لقد استخدمت الفهارس والمعاجم على نطاق واسع في شتى أنواع المعرفة. واستغلت كوسائل فعالة في تسهيل الوصول إلى المعلومات المطلوبة. استغلالاً أدى إلى نشر الثقافة وتنميتها.

أولًا: المعاجم الهجائية

● **المعاجم**

أما المعاجم فنستطيع أن نفخر بأنه كان لدينا في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) معجم هجائي على درجة عالية من الجودة، هو معجم «العين»، في متن اللغة للخليل بن أحمد (١٧٥هـ).

وأما في القرن الثالث الهجري فلدينا معجم في أسماء رجال الحديث للإمام محمد إسماعيل البخاري مرتب ترتيباً جيداً، ولا يزال مستعملاً واسمه «التاريخ الكبير».

أما في القرن الرابع الهجري وما بعده فقد وجدت معاجم هجائية لمتن اللغة والأعلام وغيرها لا تزال تؤدي دورها كمراجع في موضوعها سهلة الاستعمال بالإضافة إلى احتوائها على معلومات ذات قيمة فائقة. كما أنها غطت نواحي مختلفة من المعرفة فمنها في اللغة وفي التراجم بصفة عامة، أو في أعلام فن معين كالأطباء، والفلاسفة، والنحويين، واللغويين، والمحدثين، والسياسيين، أو في موضوعات معينة كالصيدلة والأدوية أو الحيوان أو البلدان أو غير ذلك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وسوف نستعرض الجهود المبذولة في ذلك بشيء من التفصيل.

إن المعاجم إما أن تكون مختصة في حدود موضوع معين كمتن اللغة أو التراجم، أو البلدان، مثلاً، وإما أن تكون عامة شاملة لكل نواحي المعرفة.

دوائر المعارف العامة

أما المعاجم العامة فلها اسم خاص هو «دوائر المعارف العامة»، أو «الموضوعات العامة» ولا أعرف في الحضارة الإسلامية قبل العصر الحاضر كتاباً يصح أن يوصف بأنه «دائرة معارف عامة» ومرتباً على الحروف ما عدا كتابين أولهما هو المسمى بـ«كشاف اصطلاحات الفنون» لمؤلفه محمد بن علي التهانوي الهندي، ذكر في مقدمته أنه فرغ من تسويده سنة ١١٥٨هـ استعرض فيه المصطلحات في جميع العلوم التي كانت في عصره وذكر معنى كل مصطلح وشيئاً قليلاً من المعلومات عنه. إلا أن جل غايته كانت منصرفة إلى تعريف المصطلح وقد نشر كتابه بعنوان «كشاف اصطلاحات العلوم الإسلامية».

والثاني «الكليات» تأليف أبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (١٠٩٥هـ) وقد جمع فيه معلومات كثيرة متنوعة تحت عناوين، ثم رتب المعلومات بحسب الترتيب الهجائي لتلك العناوين إلا أن ترتيبه جاء قاصراً ومعلوماته مبتسرة.

أما في العصر الحاضر فقد جرت محاولات لتأليف دوائر معارف عامة منها ما عمله محمد فريد وجدي وسماه «دائرة معارف القرن الرابع عشر- العشرين» في عشرة مجلدات.

ومنها دائرة معارف البستاني، باشر إعدادها المعلم بطرس البستاني وأصدر منها ستة مجلدات من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢م ثم تابع أبناؤه نشرها إلى أن صدر الجزء الحادي عشر منها منتهياً بلفظ «عثمانية» ويعاد الآن نشرها بإدارة فؤاد أفرام البستاني بصورة متقنة وممتازة وصدر منها المجلد السابع منتهياً بلفظ «أخيليا» من حرف الهمزة.

المعاجم المتخصصة

أما المعاجم المتخصصة فهي التي تختص بنوع معين من المعرفة كالتراجم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مثلاً. ثم إن بعضها قد يكون أكثر تخصصاً من الآخر فبينما تجد معاجم للتراجم بصفة عامة إذ بنا نجد معاجم لتراجم اللغويين، أو لتراجم النحويين من اللغويين، أو لتراجم البصريين من النحويين من اللغويين. فتتفاوت درجات التخصص بحسب هدف واضع المعجم.

ولا يمكننا أن نحصر عدد المعاجم المختصة المؤلفة بالعربية، ولكن نذكر أمثلة مما اطلعنا عليه منها على سبيل الإيجاز مع محاولة حصر اتجاهاتها العامة ضمن البنود التالية:

(١) معاجم أسماء الكتب والمؤلفات والفنون منها

١- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لمؤلفه الحاج خليفة مصطفى ابن عبد الله كاتب جلبي، المتوفى ١٠٦٧هـ استعرض فيه أسماء الفنون في الحضارة الإسلامية وأسماء الكتب المؤلفة في ذلك بتسلسل هجائي واحد شامل للفنون والكتب جميعاً. وهو كتاب واف في موضوعه وترتيبه جيد. وذيل عليه إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (-١٣٣٩هـ) بمجلد ضخم وقد تم طبعهما سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م في ثلاثة مجلدات.

٢- المعاجم الإسلامية العامة

لم يؤلف في هذا الموضوع قديماً فيما أعلم، وقد قام لفيف من المستشرقين في هذا القرن بتأليف «دائرة المعارف الإسلامية» شاملة لموجزات عن المعلومات التي كانت متوفرة لهم عن كل نواحي الحضارة الإسلامية. ونشرت باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية. وصدر من ترجمتها العربية بمصر إلى حرف «الطاء» بتعليقات من المختصين بالشؤون الإسلامية كشفت عن مدى جهل بعض كتابها أو تجنبهم لذكر الحقائق قصداً مع أنه لا يسعنا إلا الاعتراف بعظمة العمل في ذاته.

والآن يعاد إصدار الطبعات الأوروبية بمزيد من التوسع.

وصدر بمصر من «القاموس الإسلامي»، للأستاذ أحمد عطية، مجلدان. وهو مختصر يقتصر على التعريف بمصطلحات الفكر الإسلامي ومعالم الحضارة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلامية وتراجم المشهورين، انتهى فيهما إلى حرف الراء.

٣- معاجم القرآن وعلومه

لم تؤلف معاجم لفظية أو معنوية للقرآن فيما أعلم قبل العصر الحديث أما في هذا العصر فقد صدر «تفصيل آيات القرآن» للمستشرق جول لا بوم وقد ترجمه إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو جمع حسن غير أنه قاصر في التفاصيل. ولسنا بحاجة إلى أن نشير إلى بعض الأعمال الجامعة في هذا الميدان التي أخرجت مرتبة على الأبواب لأن بحثنا منصب على المعاجم «المرتبة على حروف المعجم».

فعلى هذا يكون هذا الميدان بكراً. ولعل الله يوفق إحدى المؤسسات أو الأفراد للقيام بعمل «معجم قرآني» شامل لكل المعلومات القرآنية.

٤- معاجم الحديث النبوي

لقد كان نشاط المحدثين في دراسة الحديث وتدوينه وترتيبه نشاطاً قوياً وواسعاً فبالإضافة إلى منجزاتهم في ترتيب الأعلام سلكوا في ترتيب الأحاديث سبلاً كثيرة إذ رتبوا الأحاديث على أنواع مختلفة من الترتيب، فمنهم من رتبها على أبواب الفقه، ومنهم من رتبها على أسماء الرواة ورتب أسماء الرواة حسب الأفضلية أو حسب حروف الهجاء، ومنهم من رتبها على أوائل حروفها، أو على مواضيعها، وجعل المواضيع بترتيب معجمي.

والذي يعنينا من ذلك هو الأنواع الثلاثة الأخيرة:

أ) فمما رتبت فيه الأحاديث بترتيب «ألفبائي» باعتبار أسماء الرواة «المعجم الكبير» للطبراني سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ).

ب) ومما رتبت فيه الأحاديث بحسب أوائل حروفها «جمع الجوامع» للسيوطي قصد فيه جمع الأحاديث النبوية القولية بأسرها على حروف المعجم. وله أيضاً «الجامع الصغير» وهو مطبوع متداول ويحسن أن لا تخلو منه مكتبة أي دارس للإسلام.

ج) ومما رتبت فيه الأحاديث بحسب أحرف الهجاء لموضوعاتها. كتاب «كنز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العمال في سنن الأقوال والأفعال» للشيخ علاء الدين علي المتقي (٨٨٨- ٩٧٥هـ) ثم عاد فاختصر كتابه مع المحافظة على ترتيبه وسماه «منقب كنز العمال».

وهو أكثر تفصيلاً وأحسن ترتيباً من سابقه «جامع الأصول من أحاديث الرسول» لابن الأثير الجزري. إلا أن الميدان لا يزال مفتوحاً ولا يزال الحديث النبوي بحاجة إلى معجم تفصيلي. فإلى المهتمين بتيسير السنة النبوية للمؤمنين والدارسين أسوق هذه الرغبة راجياً أن يوفق منهم من ينهض لأداء هذه المهمة.

٥- المعاجم الفقهية

لا أعرف أن معجماً للفقه الإسلامي برز إلى عالم الوجود قبل صدور «معجم فقه ابن حزم الظاهري» الذي أصدرته سنة ١٣٨٥هـ لجنة موسوعة الفقه الإسلامي بجامعة دمشق. فكان بداية حسنة يرجى أن تتلوها خطوات أكثر تقدماً في هذا الميدان الفسيح.

وقد صدرت أيضاً بمصر مؤخراً ستة أجزاء من «موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الإسلامي» من حرف الألف، مرتبة للموضوعات الفقهية على حروف الهجاء. وترتيبها حسن إلا أنه يظهر أنه سيكون فيها تكرار كثير يضخم محتوياتها نظراً لتكرار الموضوع الواحد في مواضع مختلفة بحسب أوجهه المختلفة (انظر موضوعي ابن، وأب، لترى كيف تكررت بعض الأحكام كعصمة الابن بإسلام أبيه ج٢ ص ١٤٩، ٢٣١، وكذلك وجوب إنفاق الأب على أبنائه) ويظهر أنه ينبغي للقائمين عليها إعادة النظر في منهج الترتيب فيها. ولديهم إمكانية استخدام نظام الإحالات.

وتقوم لجنة «الموسوعة الفقهية» بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت بالتحضير لإصدار موسوعة فقهية وقد أصدرت «موضوعين» في طبعة تمهيدية يراد بها تلقي ملاحظات القراء المختصين وتوجيهاتهم للخروج بموسوعة مستكملة من حيث الشكل والمضمون. وليت القائمين على الموسوعتين يوفقون لتنسيق العمل بينهما بطريقة تؤدي إلى تيسير الفقه الإسلامي تيسيراً كاملاً باستخدام الأساليب العلمية المتطورة في هذا المجال.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد قامت لجنة موسوعة الفقه الإسلامي بتهيئة معجم للفقه الحنبلي كان لي مشاركة في مراجعة مادته وترتيبه ويرجى أن يصدر قريباً إن شاء الله.

٦- معاجم الأدب واللغة

أما المعاجم الأدبية المتخصصة فلا أعرف منها شيئاً يستحق الذكر وأما معاجم اللغة فإنها من مفاخرنا. والبحث فيها له مكان آخر.

٧- المعاجم العلمية

في تراثنا من معاجم العلوم بأنواعها الشيء الكثير، فمنها:

أ) في علم الحيوان كتاب «حياة الحيوان» لكمال الدين الدميري محمد بن موسى (-٨٠٨هـ) يذكر فيه كل حيوان باسمه الخاص ثم يبحث في الاسم بحثاً لغوياً ثم يذكر أوصاف الحيوان وطباعه وخواصه وهو مطبوع متداول.

ب) في الأغذية والأدوية والعقاقير ونحوها ألف ابن البيطار عبد الله بن أحمد الأندلسي كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» بأمر الملك الصالح نجم الدين أيوب استوعب فيه ذكر الأدوية والأغذية المفردة التي كانت مستعملة لزمانه. وذكر أقوال الأطباء فيها ورتبه على لحروف المعجم مراعياً الحرفين الأول والثاني فقط.

٨- معاجم البلدان والأمكنة والبقاع

ألف في هذا النوع أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (-٥٨٧هـ) كتابه «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» ومعجمه مرتب على حروف الهجاء على طريقة المغاربة، وراعى في الترتيب الحرف الأول والثاني فقط، ولذلك أعاد ناشره «مصطفى السقا» ترتيبه. وليته تركه على وضعه الأول ليكون نموذجاً لذلك النوع من الترتيب. والذي أفضله لكل كتاب من الكتب القديمة التي تنشر أن لا يخل ناشره بترتيبه الذي وضعه عليه مؤلفه وأن يكتفي بالفهرسة المتقنة ما لم يقصد أن يضع الكتاب وضعاً جديداً بتهذيبه أو ضم معلومات أخرى إليه.

وألف في هذا النوع أيضاً ياقوت الحموي الرومي كتابه «معجم البلدان» وهو كتاب قيم في بابه. لم يؤلف بعده ما يوازيه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩- معاجم الأعلام

لقد كان نشاط العلماء المسلمين في مجال معاجم الأعلام نشاطاً واسعًا ومنوعاً، فمن معاجم الأعلام طائفة معينة كالصحابة، أو المحدثين أو الأطباء أو الأدباء أو الشعراء أو اللغويين، أو النحاة، أو المؤلفين، أو النساء إلى معاجم لأعلام مدينة معينة كأعلام بغداد، أو دمشق، إلى معاجم لأعلام قرن معين، أو عهد معين، إلى معاجم عامة شاملة لكل نوع، وكثير من ذلك مشهور ونكتفي بذكر معجم عام للأعلام هو «الوافي بالوفيات» لخليل بن أيبك الصفدي (-٧٦٤هـ) ويشتمل على (١٤٠٠٠) ترجمة. وآخر حديث هو كتاب «الأعلام» لخير الدين الزركلي وهو من خير ما ألف في موضوعه.

إن حاجتنا إلى متابعة خطى أسلافنا في هذا المجال حاجة حقيقية وعلينا أن نهيئ لكل صنف من أصناف العلوم معجماً ينبع من القديم ويستمد من الحديث ويواكب التطور الفني والعلمي.

وإن من المؤسف أن تعتمد جامعاتنا الإسلامية في معلوماتها الإسلامية على دائرة معارف «إسلامية» وضعها غير المسلمين ممن لم يفقه الإسلام حق فقهه. وإن لذلك تأثيره الذي تبين في النتاج الفكري لناشئتنا الإسلامية، فليت إحدى وزارات الشؤون الدينية التربوية أو الجامعات الإسلامية في أقطارنا الكثيرة تتولى وضع دائرة معارف إسلامية لتكون روحها إسلامية.

وإننا بحاجة إلى دائرة معارف متخصصة في كل فن، في اللغة، وفي الأدب، وفي التاريخ، وفي الطب والكيمياء والطبيعة والحيوان والنبات والجيولوجيا. وإن دوائر المعارف المتخصصة هذه تخدم دائرة معارف عامة، بلادنا بأشد الحاجة إليها لتسهيل الطريق على المشتغلين بصناعة المعرفة للوصول إلى المعلومات عن «كل شيء».

ثانياً: الفهارس الهجائية

أما في مجال الفهرسة الهجائية فإننا نجد في تراثنا نماذج قليلة من ذلك. ولعل السبب في قلتها أن الشأن في الفهرسة أن تعزى المسألة المعينة إلى صفحة ذات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رقم معين من الكتاب. ولا يكون لهذا فائدة ذات قيمة للجمهور ما لم تكن نسخ الكتاب موحدة في أرقام صفحاتها. ولذلك كانت نهضة صناعة الفهرسة لاحقة لنهوض الطباعة إذ إن الطباعة تخرج مجموعة كبيرة من نسخ الكتاب موحدة الصفحات بخلاف الكتابة اليدوية.

ولكن مع ذلك فقد ذكر الشيخ أحمد محمد شاكر (مفتاح كنوز السنة - المقدمة) أنه يمكن اعتبار كتب أطراف الحديث فهارس. وأطراف الحروف ثم الحديث كتب تجمع أحاديث كل صحابي وحده وترتب أسماء الصحابة على الحروف ثم تبين موضع كل حديث بـ (عزوه) إلى أبواب كل كتاب من كتب الحديث. وفي المكتبة الإسلامية عدد لا بأس به من كتب هذا الفن. وقد طبع منها مؤخراً كتاب «الأطراف» للمزي يوسف بن عبد الرحمن (- ٧٤٢هـ).

كما أن هناك فهارس «مصنفة» أي على الأبواب، نجدها لعلمائنا في كثير من كتبهم.

أما بعد انتشار الطباعة في البلاد الإسلامية فقد زودت كثير من الكتب والمجلات بفهارس إلا أن هذا الفن عندنا لا يزال قاصراً عن بلوغ المستوى الكافي ليكون مفاتيح لكنوز الثقافة الإسلامية.

وأشير هنا إلى فهارس ذات قيمة للباحثين لا أقصد بذكرها الحصر ولكن أقصد ذكرها كنماذج.

١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله وهو أفضل ما ألف من فهارس القرآن اللفظية.

وما زلنا بحاجة إلى فهرس هجائي مستوف «لموضوعات» القرآن.

وإني لأنظر أيضاً إلى الوقت الذي يلحق فيه بكل نسخة من نسخ الكتاب الكريم فهرس موضوعي هجائي موجز يعين القارئين لكتاب الله.

٢- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: وهو فهرس هجائي لفظي من مستوى رفيع ذو قيمة لا تحد لكل من له صلة بالحديث النبوي. وهو ذو قيمة للمعتنين بتاريخ دلالة الألفاظ. وقد فهرست فيه الكتب التسعة الرئيسية من كتب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السنة، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين بإشراف المستشرق «فنسنك» بجامعة ليدن. وقد تم إصداره حديثاً في سبعة مجلدات ضخمة.

وقد وضع المستشرق فنسنك نفسه فهرساً «موضوعياً» مختصراً لكتب الحديث ترجمه محمد فؤاد عبد الباقي بعنوان «مفتاح كنوز السنة» وهو مطبوع متداول.

٣- في مجال فهرسة كتب الفقه الإسلامي صدر حديثا فهرس هجائي لحاشية ابن عابدين لأحمد مهدي الخضر.

وصدر حديثاً أيضاً فهرس لكتاب المغني في فقه الحنابلة قمت بتحضيره وأعانني الله على إكماله ونشرته دار البحوث العلمية بالكويت.

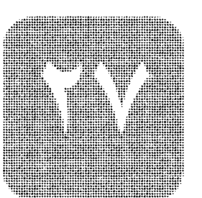
٤- فهرس كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني صنعه أحد المستشرقين وترجمه محمد مسعود وطبعه الحاج محمد الساسي بمصر سنة **١٣٢٣**هـ.

٥- في مجال فهرسة المجلات والصحافة دأبت بعض المجلات العربية على إلحاق فهارس هجائية موضوعية بآخر مجلداتها السنوية كما صنعت ذلك مجلة «المنار» ومجلة «الأزهر» غير أني لا أعلم مجلة عربية أصدرت فهرساً هجائياً يغطي أكثر من سنة واحدة، في حين أنه مما ييسر على الباحثين أن تصدر المجلة فهرساً لها كل خمس سنوات أو عشر سنوات وأيسر منه أن تصدر المجلة فهرساً لعدد أكبر من السنوات. بل إن بالإمكان إصدار فهرس عام موحد لمجموعة من المجلات التي تشترك في اتجاه معين.

وهنا أثني عنان القلم وكلي رجاء إلى الله سبحانه أن يأخذ بأيدي العاملين لنفع الأمة الإسلامية وسائر البشرية فيما يوسع ميدان المعرفة وينير آفاقها إنه العليم الحكيم.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

❑ ترجمة الشيخ.

❑ المقالات:

١- الإسلام أولا.

العدد (٧٢) ذو الحجة (١٣٩٠هـ) - يناير (١٩٧١م).

٢- ما أحلى الغدا.

العدد (٧٥) ربيع الأول (١٣٩١هـ)- إبريل (١٩٧١م).

٣- الإسلام في العصر الحديث.

العدد (٧٨) جمادى الآخرة (١٣٩١هـ) - يوليو(١٩٧١م).

٤- ابن عمك عزه عزك.

العدد (٨٠) شعبان (١٣٩١هـ) - سبتمبر (١٩٧١م).

٥- اليمينيون واليساريون في القرآن.

العدد (٨٣) ذو القعدة (١٣٩١هـ) - ديسمبر (١٩٧١م).

٦- انتقال الحضارات.

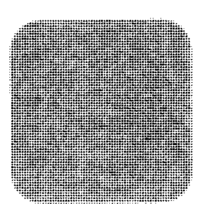
العدد (٣٥٠) شوال (١٤١٥هـ) - مارس (١٩٩٥م).

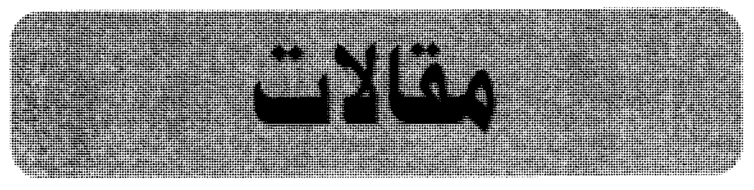
٧- أيها التاريخ .

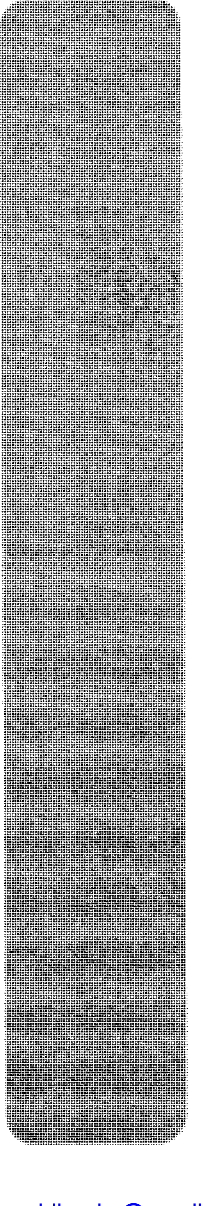
العدد (٤٠١) محرم (١٤٢٠هـ) - إبريل (١٩٩٩م).

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com







٨- الحق والواجب في الشريعة.

العدد (٤٣٨) صفر (١٤٢٣هـ) - مايو (٢٠٠٢م).

٩- اختلاف الفقهاء في أحكام الشريعة.

العدد (٤٨١) رمضان (١٤٢٦هـ) - نوفمبر (٢٠٠٥م).



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي

هو الشيخ محمد بن عبد المنعم بن خفاجي بن سليمان بن حسن بن مصطفى ابن أحمد الخفاجي.

ولد في المنصورة في ٢٢ يوليو عام ١٩١٥ م - رمضان ١٩٣٣هـ.

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر عام ١٩٤٦ برسالته عن الشاعر العباسي عبد الله بن المعتز.

● حياته العملية

عُين رئيساً لقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية عام ١٩٧٣م، ثم عُين عميداً لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع أسيوط عام ١٩٧٤م.

ثم تولى رئاسة رابطة الأدب الحديث منذ مايو ١٩٨٣م، ونال وسام العلوم والفنون والآداب في ذات العام، ثم عين عضواً في المجلس الأعلى للأزهر، وخبيراً في مجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٨٤م.

● مؤلفاته الأدبية كثيرة منها

١- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، (بالاشتراك)، صدرت طبعته الأولى في بيروت.

٢- قصص من الحياة، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٠م.

٣- دراسات في الأدب الإسلامي من عصر النبوة إلى العصر الحديث، عدة أجزاء (مخطوط).

٥- الحياة الأدبية في ظلال الإسلام.

يمثل الخفاجي نهاية للجيل الموسوعيّ حيث ألف ما يزيد على خمسمائة كتاب في فنون مختلفة فقد كتب في الأدب والنقد. . وأنشد الشعر، وكتب في

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية بل وحتى في علم الحديث من خلال تحقيقه لصحيح البخاري.. وفي التفسير القرآني حيث فسر القرآن الكريم في أربعة عشر جزءا.

● **وفاته**

توفي رَحِمَهُ اللهُ في عام ٢٠٠٦م غفر الله له وأسكنه فسيح جناته

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلام أولاً

العدد (٧٢) ذو الحجة (١٣٩٠هـ) - يناير (١٩٧١م).

نزل الإسلام شريعة عامة خالدة، تجدد الحياة، وتصحح العقيدة، وتعيد الأمن والسلام للإنسانية، وتؤثل للحضارة مجداً باذخاً، وللتطور البشري منزلة سامقة.

وذاع الإسلام في كل مكان، وانتشر في كل صقع، واعتنقته الملايين المحرومة المضطهدة المعذبة في الأرض، وآمنت به الشعوب من كل قارات الدنيا المعروفة آنذاك، وانتصر في مواجهته الكبرى للإمبراطوريتين العالميتين الكبيرتين: الإمبراطورية الفارسية، والإمبراطورية الرومانية الشرقية، وكان انتصاره حينئذ كاملاً، وعملاً رائعاً، لم يشهد التاريخ البشري له مثيلاً.. وخرج هرقل الإمبراطور الروماني العظيم من الشام باكياً حزيناً بعد هزيمة جيوشه الكثيفة في معركتها الكبيرة مع جيوش المسلمين حول دمشق في العام الرابع عشر من الهجرة (٦٣٦م)، وهو يودع أرض سورية ويقول: سلام عليك يا سورية، سلاماً لا لقاء بعده، وزالت سيادة بيزنطة على الشام إلى الأبد.

وامتد الإسلام فبلغ حدود الصين شرقاً، وشواطئ المحيط الأطلسي غرباً، وجنوب أوروبا شمالاً، وأواسط أفريقيا جنوباً في زمن يسير.. مما يعد معجزة في تاريخ الأمم والانتصارات.

وفتح العرب أسبانيا عام ٩٢هـ (٧١١م)، وبسط خلفاء بني أمية نفوذهم وسلطانهم عليها.. وتوغلوا فيها شمالاً حتى غزا فرنسا الحر بن عبد الرحمن عام ٩٩هـ (٧١٧م)، واستولى بعد ذلك السمح بن مالك بسنوات ثلاث على مدن كثيرة منها، وقام عبد الرحمن الغافقي عام ١١٤هـ - ٧٣٢م بهجوم كبير عليها،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ووصل بجيشه الكبير إلى «بواتييه» بالقرب من باريس، فقابله شارل مارتل بجيش كبير، وحالفه الحظ فتمكن من هزيمة الغافقي وجيشه في يوم الجمعة الثاني من أكتوبر ٧٣٢م- السابع من شعبان عام ١١٤هـ، وقتل الغافقي، وانسحب المسلمون، وفي هذه الهزيمة يقول أديب ومفكر فرنسي كبير هو مسيو كلود فارير:

«في سنة ٧٣٢م حدثت فاجعة كانت من أشأم الأحداث التي نكبت بها الإنسانية في القرون الوسطى، وكان من آثارها أن غمرت العالم الغربي طبقة عميقة من التوحش، لم تبدأ بالتبدد إلا على عهد النهضة هذه هي الفاجعة التي أريد أن أمقت ذكراها، وأعني بها ذلك الانتصار البغيض الذي ظفر به أولئك المحاربون من الإفرينج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين الذين كان يقودهم الغافقي. ففي ذلك اليوم المشؤوم تراجعت المدنية ثمانية قرون إلى الوراء، ويكفي المرء أن يطوف بفكره في الأندلس ومدنها وحدائقها وحضارتها الخالدة ليعرف ماذا عسى أن تكون قد بلغته فرنسا منذ ذلك العهد السحيق لو أنقذها الإسلام العمراني الفلسفي المتسامح السلمي.

وامتد الإسلام إلى سواحل إيطاليا حتى وصل إلى قرب روما، وخفقت رايته على مراكش والجزائر وتونس وطرابلس وبرقة ومصر، وشمل الشام والجزيرة العربية، والعراق وفارس، وخراسان وداغستان وأفغانستان.

وأغار الأمويون في الشام على القسطنطينية عدة مرات، وشنوا الغارات السنوية على الأناضول، وعلى جزر البحر الأبيض المتوسط، صقلية، وسردانية، ومالطة، وفتحوها، وفتحوا كذلك قبرص، وكريت، ورودس، ودخلت بلاد ما وراء القوقاز في حكمهم، فدانت كلها لهم بالطاعة في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـ) (٧١٥- ٧١٧م) ودخلت كذلك بلاد النوبة في حكم المسلمين، وأجزاء كثيرة من سواحل أفريقيا الشرقية.

وفي عام ٨٧هـ- ٧٠٦م غزا قتيبة بن مسلم بلاد ما وراء النهر، ففتحت بخارى، وسمرقند، والصفد وغيرها، وتعمق في بلاد الهند حتى وصل إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كاشغر، وهي أدنى مدن الصين، وأرسل عام ٩٦هـ - ٧١٥م رسالة إلى إمبراطور الصين يدعوه فيها إلى الإسلام، وبذلك امتد الإسلام وانتشر في أجزاء كثيرة من الصين، وفتح محمد بن القاسم السند للأمويين عام ٩٣هـ- ٧١٣م فأصبحت ولاية إسلامية.

وسار الإسلام مع التجار المسلمين إلى سومطره، وجاوه، والملايو، وسيلان والفلبين، ومدغشقر، وأنحاء كثيرة من قلب أفريقيا في مدى يسير.

ولك أن تتصور عظمة الدولة الإسلامية التي كانت لا تغيب عنها الشمس، حينما كان الرشيد يجلس في قصر الخلافة ببغداد، ويتطلع إلى غمامة بين السحاب، فيقول لها: أمطري أين شئت فسوف يأتيني خراجك.

وانتشرت في العالم الإسلامي الثقافات الرفيعة، وقامت في المدن الإسلامية الكبرى الجامعات والمدارس والمكتبات، واستظلت هذه المدن بظلال وارفة من حضارة الإسلام، وحسبنا ما بلغته من حضارة ومجد: قرطبة، وطليطلة، وأشبيلية، وغرناطة، وفاس، والقيروان، وتونس وطرابلس، والفسطاط ودمشق، ومكة المكرمة والمدينة، والبصرة والكوفة وبغداد، والري وجرجان، وغيرها من العواصم الإسلامية الكبرى في إبان ذلك العهد البعيد.

وبينما كان العلماء المسلمون في قرطبة يترددون على خزائن كتبها السبع عشرة، ويعودون إلى بيوتهم فيتنعمون بالاستحمام في حمامات بلغت الغاية في النظافة والأناقة، كان الأساتذة في إكسفورد يستنكرون الاستحمام، ويحسبونه من ملذات العيش الشهوانية التي يجب الترفع عنها. وحينما كان فلاسفة المسلمين مكبين على تأليف أرسطو في دار الحكمة في بغداد، يقرأونها ويترجمونها أيام الرشيد، كان شارلمان ورجال بطانته يحاولون جاهدين إتقان كتابة أسمائهم، وتصوروا أن في جوف الساعة الدقاقة التي أهداها إليه الرشيد شيطاناً يتحرك.

وبينما كانت أوروبا لا تعرف الطب ولا الأطباء كان في بغداد في عهد المقتدر بالله العباسي عام (٣١٩هـ- ٩٣١م) ٨٦٠ طبيباً، وكان يفرض على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصيادلة والأطباء فيها منذ زمن المأمون والمعتصم اجتياز امتحان خاص، وقد أجرى لهم سنان بن ثابت بن قرة امتحاناً بأمر الخليفة العباسي.

أي مجد هذا المجد الذي بلغه المسلمون الأولون في زمن يسير؟ وأية حضارة تلك الحضارة الوارفة التي عاشوا في ظلالها بعد ظهور الإسلام بقليل؟!

ذلك كله وغيره، مما لا نستطيع أن نذكره في هذه الصفحات إنما ناله المسلمون بالإسلام أولاً، بالإسلام وحده، بالإسلام العظيم، فهو الذي أثل لهم الملك، ومنحهم السيادة، وفجر لهم كنوز الأرض، ووهبهم السلطان على أمم كثيرة، كانت لها السيادة في العالم كله قبل الإسلام، وفي بدء ظهور الإسلام.

لقد تذكرت حينئذ كلمة رسول الله ﷺ لقومه في مكة بعد نزول الوحي عليه بسنوات معدودات:

«ما جئت بما جئتكم به، أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم. ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً نذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم.. فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم».

وذكرت كيف بدأ الإسلام، وأنا أقرأ حديث عفيف بن قيس الكندي قال:

«كنت في الجاهلية عطاراً، فقدمت مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فبينما أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة، وقد تحلقت الشمس في السماء، أقبل شاب كأن في وجهه القمر، حتى رمى ببصره إلى السماء، فنظر إلى الشمس ساعة، ثم أقبل حتى دنا من الكعبة، فصف قدميه يصلي، فخرج على أثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية، فقام عن يمينه، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها فقامت خلفهما، فأهوى الشاب راكعاً فركعا معه، ثم أهوى إلى الأرض ساجداً فسجدا معه، فقلت للعباس: يا أبا الفضل، أمر عظيم، فقال: أمر- والله عظيم- أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله. أتدري: من هذا الفتى؟ قلت: لا، قال: هذا ابن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أخي، هذا علي بن أبي طالب، أتدري: من المرأة؟ قلت لا، قال: هذه ابنة خويلد، هذه خديجة زوج محمد هذا. وإن محمداً يذكر أن إلهه - إله السماء والأرض أمره بهذا الدين، فهو عليه، كما ترى، ويزعم أنه نبي، وقد صدقه على قوله علي ابن عمه، هذا الفتى، وزوجه خديجة هذه المرأة.

نعم صدقه علي، ثم صدقته خديجة.

ثم صدقه العرب، ثم صدقته المشارق والمغارب، واهتزت الدنيا كلها إيماناً به وتصديقاً له، ولرسالة الإسلام التي نزلت عليه.

ولقد بكيت وأنا أتابع امتداد الفكر الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب، وما شرعه للناس من شرائع الإسلام العظيمة في العدل والحرية والمساواة وفي مراقبة الخليفة عمر لله في شعبه وأمته، وهو يقول في آخر سنة من خلافته:

«إن عشت لأسيرن حولاً، فأقيم في الشام ومصر والبحرين والكوفة والبصرة وغيرها، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع عني، أما هم فلا يصلون إلي، وأما عمالهم فلا يرفعونها إلي».

رعاك الله يا عمر، لقد كانت رعيتك عندك آثر عليك من أهلك وولدك، وأحب إليك من مالك ونفسك، وكنت بها براً رحيماً، تقيم العدالة بين الناس، الضعيف عندك قوي إذا كان الحق معه، والقوي عندك ضعيف إذا خذله الحق، فارتكب جوراً على أحد من الضعفاء المساكين من عامة الشعب.

-٢-

● امتد الإسلام وامتد

ومع ما تألب عليه من قوى الوثنية والعدوان فقد ظل يمتد ويمتد، لأنه شريعة الله ودينه ورسالته إلى نبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه.

وقف في وجه الإسلام الإمبراطورية الرومانية الشرقية بجيوشها وأساطيلها وقوتها وحضارتها ومن حولها أوروبا كلها، فلم تستطع أن تطفئ نوره.

وجندت أوروبا لحربه حملاتها الصليبية المشهورة، فما استطاعت أن توقف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بها سيره وامتداده.

ودمر التتار حضارة الإسلام وعواصمه وجامعاته ومدارسه ومع ذلك ذهب التتار وبقي الإسلام.

وصب الاستعمار الأوروبي جام غضبه على الإسلام والمسلمين في العصر الحديث، ومع ذلك انحسر مد الاستعمار وبقي الإسلام يدوي صوته في كل مكان.

ومع ما دمر الاستعمار وعصره من تراث الإسلام وحضارته وكنوزه، وما بدد من ثقافاته وخيرات بلاده وما نهب من ثروات المسلمين، وما نشر بينهم من كل ألوان الكفر والفساد والإلحاد والعداء للإسلام والحرب لمبادئه، ونقل الكثير من الأمم الإسلامية من حياتهم الإسلامية الوارفة إلى الحياة الغربية بكل مظاهرها وألوان العيش والحضارة والفكر فيها.. مع ذلك كله فقد بقي الإسلام.

ويجند الأوروبيون أنفسهم لحرب الإسلام في كل مكان عن طريق النفوذ والسيادة والتجارة والثقافة والحضارة الأوروبية، ويتعاونون مع دعاة المادية وحماتها لخلع مبادئ الإسلام من النفوس، ولغزوهم غزوا فكرياً إلحادياً سافراً، بل يتعاونون مع الشيطان ومع غير الشيطان من أجل القضاء على الإسلام في بلاده، ومع ذلك يفشلون وينتصر الإسلام.

-٣-

إن حاضر العالم الإسلامي اليوم ليتمثل في حرب العالم الغربي للإسلام حرباً سافرة في بلاده وفي خارج بلاده: البعثات التبشيرية في كل مكان، المساعدات تنهال على كل من يقف في وجه الإسلام، المذاهب اللادينية في غزوها المستمر للشرق العربي وللعالم الإسلامي، دعاة العنصرية يحاربون الإسلام ويطردون المسلمين من بلادهم أو يقتلونهم ويشردونهم باسم القومية.. إسرائيل تقام في قلب العالم الإسلامي وتشن ثلاث حروب ضروس على قوة صاعدة فيه، وتعمل من قريب ومن بعيد على الدس لكل حركة إسلامية يمكن أن تقف في وجهها في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يوم من الأيام.

ومع ذلك كله فلسوف يبقى الإسلام ولسوف ينتصر الإسلام.

إن علاج جميع مشكلات العالم الإسلامي والعربي المعاصرة، لا يمكن حلها إلا بالإسلام أولاً وأخيراً، وبازدياد الوعي الإسلامي في جميع ربوعه وأرجائه، وبالإقبال على التراث الإسلامي في كل جوانب الفكر والثقافة والمعرفة والعلم إقبال المتفهم المستزيد المستضيء بما فيه من طاقات خلاقة، وحياة متجددة وروح حضارية أصيلة.

ولقد كان طاغور شاعر الهند الكبير يرى أنه لحل الأزمة الهندية يجب أن يدرس الهندوس الكتب العربية لفهم الروح الإسلامية بطموحها وتساميها فهما حسناً.. فلماذا لا ينادي المسلمون بما نادى به طاغور البوذي من نصف قرن؟!

مشكلات العالمين الإسلامي والعربي لا يمكن أن تحل إلا عن طريق الالتقاء الإسلامي بالإسلام وأفكاره ومثله وقيمه ومبادئه وحضارته.

بل إن مشكلات العالم كله لا يمكن أن تحل في يوم من الأيام إلا بالإسلام الذي سوف تهرع البشرية إلى الإيمان به والدخول فيه في يوم من الأيام، قصر أمد الوصول إليه أم طال.

وما ذلك على الله بعزيز، ولسوف تردد الدنيا والحياة والبشرية قاطبة ما نردده اليوم في وجه الأحداث الزاحفة علينا من الشرق والغرب: الإسلام أولاً.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومَا أحلى الغدا

العدد (٧٥) ربيع الأول (١٣٩١هـ) - إبريل (١٩٧١م).

فـي حـاضِـري أَبْـنِـي الْـغَـدَا ... وَتَخِـذْتُـهُ لِي مَـوْعِـدًا
وَذَكَـرتُ أيـامِـي وأَحْـ ... ـلَامِـي الَّـتِي ذَهَـبَتْ سُـدَى
ونـفـضـتُ آلامـي تُـؤَرِّ ... قـنِي، وَضِـقْـتُ بِهَـا يـدَا
ومـلـلْـتُـها، ومـلـلـتُ كُـلَّ ... حَـدِيـثَـهـا لِي وَالـصـدَى
وغـدِي ولـيـس الْأَمْـسُ كَـا ... ن - كَـمَـا أَرَى- لِي مَـوْلِـدَا
وَاهًـا لِأَمِـسِ مُـشَـرَّدًا ... وَاهًـا لِأُمْـسِ مُـبَـدَّدَا
مَـا أمـس مِـنْ عُـمْـر الـزَّمَـا ... ن، وَلم يَـدَعْ عِـنْـدِي يَـدَا
لِـمَ لَـمْ أعِـشْ فِـي عَـصْـر أَجْـ ... ـدَادِي الْـقُـدَامَـى سَرْمَـدَا؟
لِـمَ لَـمْ أعِـشْ فِـي دَارِ آ ... بَـائِي، لِأُمْـطِـرَهَـا نَـدَى؟
جـئْـتُ الـزَّمَـانَ مـوَلِّـيـا ... هَـرِمًـا، وَقَـدْ بَـلَـغَ الْمَـدَى
جـئْـتُ الْـحَـيَـاةَ وَوَجْـهُـهَـا ... أَمْـسى كَـئِـيبًـا أَرْبَـدَا
وكَـأمْـسِ يَـوْمِـي عِـشْـتُـهُ ... عِـشْـتُ الـزمَـانَ الْأَنْـكَـدَا
فَـالـيَـوْمُ كَـالْأَمْـسِ الْـغَـرِيـ ... ـبِ، وَعِـشْـتُ فِـيه مُـفَـرَّدَا
أنَـا عِـشْـتُ الْاثْـنَـيْـنِ الْـحْزِيـ ... ـنَ، الـسـاهـم، المُـتَـمَـرِّدَا
لَـوْلَا الْـغـدُ الـمَـرْمـوقُ سـر ... تُ كَـمَـنْ يَـسيرُ إلى الـرَّدَى
لَـوْلَاهُ عِـشْـتُ عَـلَـى الْأَسَـى ... أسِـفَ الْـفُـؤَادِ مـسَـهَّـدَا
جُـمـعَ الـزمـانُ، فَـكَـانَ، كَـا ... نَ غَـدَا، ومَـا أَحْـلَى غَـدَا
لِـلـدِّيـن، لِـلْإِسْـلَام، سَـوْ ... فَ يجِـيءُ، يَـقْـبـل، لِـلْـهُـدَى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لِلْمَجْدِ، لِلْحِلْمِ الْكَبِيرِ وَمَا أجلَ وَأَحْمَدَا
لِلنَّصْرِ، لِلآمَالِ أَحْـ ـيَا فِيه، أَحْيَا مُسْعدَا
لِحَيَاتِنَا الْمُثْلَى يجيءُ غَدٌ، وَيَخْطر سُؤْدَدَا
وَتكَادُ تَنْدَى أَرْضُنَا مِنْه، وَتُنْبِتْ عَسْجَدَا
وَتكَادُ تُورِقُ مِنْهُ أز هَارُ الرَّبِيعِ زَبَرْجَدَا
أعْلَامنَا تَخِذَتْ بِهِ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَقْعَدَا
يَعنو له وَجه الْجَلا لِ، وَهَامُ دَهْري، سُجَّدَا
وَنصُوغُ فِيه لِدِينِنَا عِقْدَ الْفَخَارِ، مُنَضَّدَا
وَيعُودُ فيه الْمَجْدُ، بالـ ـهمم الْكبَار مُخَلدَا
كَرُمَ الْغدُ الْمَأْمُول نَحْـ ـيَاهُ ومَا أَحْلَى الْغَدَا
الْمُسلمُون بِهِ يَطُو لون السُّهَا، والْفَرْقَدَا
وَبِهِ يَنَالُونَ الْفَخَا رَ، طَريفه، وَالْمتلدَا
فِيه وَفِي أَبْرادِه نسمُو ونكرَمُ محْتِدَا
نَخْتَالُ فِيه وَفِي ضُحَا ه عَلَى الخطُوبِ، عَلَى الْعِدَا
لَا نَحْذَرُ الْموتَ الرهِيـ ـبَ، ولَا نَخَافُ بِهِ الرَّدَى
وَنَمُدُّ فِيهِ، نَمُدُّ أَيـ ـدِينَا، تُصَافِحُ «أَحْمَدَا»
وَتقُولُ: عَادَ لَنَا الزما ن، ومَا أَعَزَّ وأَمْجَدَا

* * *

سَيَجيءُ، للْبَعْثِ الْعَظِيـ ـمِ غَدٌ، ويوقِظُ رُقَّدَا
يَمْشِي سَعِيدًا بيْنَنا وَيَطِيبُ فِينَا مَوْرِدَا
ويَروح، يغدو فِي رَوا بِينَا جَلِيلًا، سَيِّدَا
ويَجيءُ لِلْأَمَلِ النَّبيـ ـلِ، وللرجَاء مُؤَكِّدَا
ويَجيءُ للزَّحْفِ الكَبِيـ ـر، وللبنَاء مُوَطِّدَا
ويَجيء للْعِزِّ التَّلِيـ ـدِ، وللسلامِ مُؤَيِّدَا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لِـفَـضَـائِـل الإسـلام، لـلـ ـخُـلـق الـزَّكِـيِّ مُـمَـجِّـدَا
وَثَـنِـيَّـة الـعـصـر الـذي نحـيَـاه يَـصْرَعُـهـا الـرَّدَى
ولـكـل بـهـتَـان وَمَـسْـ ـواةٍ يَجْـيءُ مُـشَرِدَا
يَـبْنِـي لـهُ الـقُـرآن مَـجـ ـدًا بـالـقـدِيم مُـشَيَّدَا
ولَـهُ، لـه، عَـزَمَـاتُـنَـا تَـسْبِني وتَـرْفَـعُ أَعْـمُـدَا
هَـذَا سَـنَـاه وذَاكَ مـشـ ـرقـه يَجِـيء مُجَـدِّدَا
هَـذِي رُؤاه وذَاكَ مَـو كِـبُـه يَـسِيرُ، لَـقَـدْ بَـدَا
كَـرُم الْـغـد الـمـنْـشُـود نـحـ ـيَـاه ومَـا أَحْـلَى الـغَـدَا
ونَـمُـدُّ فِـيـه، نَـمـدُّ أيـ ـدِيـنَـا، تُـصَـافِـح «أَحْمَـدَا»
إن قـيـل: مـن لـمـآثـر الـ إسـلام؟ قَـال: «محـمـدَا»



الإسلام في العصر الحديث

العدد (٧٦) جمادى الآخرة (١٣٩١هـ) - يوليو (١٩٧١م).

حركة الإسلام في العصر الحديث حتى اليوم، من الضروري أن يتنبه لها كل مسلم غيور على دينه وأمته، ليعرف خطاه وخطى بني قومه، وإلى أية غاية أداه إليها مسيرة التاريخ الإسلامي حتى اليوم، وإلى أي هدف يسير، أو يجب أن يسير اليوم، ليصل إلى نقطة ارتكاز جديدة، وإلى منطلق قومي إسلامي جديد.

ولا نستطيع فهم مسيرة التاريخ الحديث للإسلام إلا إذا صورنا في إيجاز حركة الإسلام قبل العصر الحديث لتكون مقدمة لحديثنا اليوم.

غيَّرَ الإسلام، بعد انبعاثه بقليل وفي حوالي ست سنوات لا غير في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، مجرى التاريخ العالمي، بل غير وجه العالم تغييراً لم يحدث مثله من قبل ولا من بعد، وحطم انبعاث الإسلام على هذه الصورة المذهلة كل الأقيسة التاريخية، إذ لم يسبقه في هذا سابق، ولم يلحقه لاحق، كما يؤكد المؤرخ الإنجليزي المشهور «توينبي» وورثت الأمة العربية المسلمة الإمبراطورية الساسانية، كما ورثت ملك الإمبراطورية الرومانية الشرقية في الشام ومصر والمغرب وجزر البحر الأبيض المتوسط.

وامتدت بعد ذلك الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً إلى أماكن كثيرة حتى أصبحت امبراطورية الإسلام تمتد من الصين حتى شواطئ المحيط الأطلسي، وتشمل كثيراً من سهول آسيا الصغرى وجزر البحر الأبيض المتوسط وأسبانيا وأماكن كثيرة متعددة في جنوب أوروبا.

وكان من الطبيعي أن تقف أوروبا المسيحية بقواتها العسكرية ممثلة في الإمبراطورية البيزنطية في وجه الإسلام، لتعوق هي وأحلافها في أوروبا امتداده

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إليها وإلى غيرها من معاقل العالم المسيحي.

وظلت الإمبراطورية البيزنطية تقاوم الإسلام، على امتداد الأيام، بكل ما تستطيع من جهد عسكري وسياسي معاً.. نحو ثمانية قرون من الزمان.

وظهرت القوميات الإسلامية في العالم الإسلامي في القرن الثالث والرابع والخامس الهجري، لتضعف من قوته ووحدته وتعاونه في صد هجوم البيزنطيين على معاقل الإسلام.

وفي نهاية القرن الخامس الهجري انتقلت أوروبا الصليبية إلى الهجوم على الإسلام في وطنه وبلاده، وأشعلت نيران الحروب الصليبية الحاقدة المتعطشة إلى الدماء والتي استمرت نحو قرن ونصف من الزمان وشجعت أوروبا كذلك فرسان أسبانيا. على مقاومة المسلمين فيها والعمل على طردهم منها نهائياً.

وخلال موجات الحروب الصليبية التي أنهكت العالم الإسلامي إنهاكاً شديداً، والتي لم تضعف من عزيمته في مقاومة الغزو الصليبي، والعدوان المدمر الزاحف من أوروبا زحف الخطر المغولي على العالم الإسلامي ودمره تدميراً شديدا واستولى على بغداد عاصمة الخلافة العباسية وزحف إلى الشام وهدد مصر تهديداً كبيراً.

ويظن أن المغول كانوا في زحفهم هذا يقفون وحدهم، ولكن هذا خطأ كبير، فلقد كانت المسيحية أو على الأصلح الصليبية، هي المحرض الأول للتتار على هذا الزحف، وهي التي رسمت لهم الخطط، وأمدتهم بالتقارير الوافية عن حالة الخلافة العباسية في بغداد، وحالة العالم الإسلامي عامة، وحسبنا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن هيبتون ملك أرمينية المسيحي كان العامل الرئيسي في إقناع ما نجو خان (٦٤٦- ٦٦٥هـ - ١٢٤٨- ١٢٥٧م) بإرسال تلك الحملة التي دمرت بغداد بقيادة هولاكو (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)[١]، وأن هولاكو التتري زوج ابنه من ابنة الإمبراطور البيزنطي[٢].

(١) الدعوة إلى الإسلام (٢٥٢)، أرنولدوتوماس، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين.

(٢) المرجع نفسه ٢٦٠ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولما قامت الإمبراطورية المغولية الكبرى، داعب المسيحية الغربية، أمل مهاجمة الإسلام في مؤخرته، وذلك بتحويل حكام هذه الدولة الجديدة الكبرى إلى القالب الغربي من الديانة المسيحية، وفي سبيل إدراك هذه الغاية قطع رسل البابا من المبشرين الرحلة الطويلة إلى «قرة قوروم» عاصمة الإمبراطورية المغولية آنذاك، وتلاهم ماركو بولو بعد ذلك بقليل وهو في طريقه إلى بلاط قوبلاي خان إمبراطور الصين، لكن خاب أمل المسيحية الغربية في ذلك كله[١]، ومع أن الغزو المغولي قد دمر العالم الإسلامي ومراكز حضارته تدميراً كاملاً، إلا أن هزيمة المغول أمام الجيش المصري في عين جالوت، التي أشبهت هزيمة الصليبيين أمام صلاح الدين الأيوبي في حطين، كانت عاملاً كبيراً في عودة الطمأنينة إلى العالم الإسلامي من جديد، وأصبحت مصر بعد معركة عين جالوت (الجمعة الخامس والعشرون من رمضان عام ٦٥٩هـ- ١٢٦٠م) قلعة العالم الإسلامي العسكرية وحصنه السياسي والاقتصادي، ومنارته الثقافية والدينية[٢]، وكانت قدرة العالم الإسلامي على أن يسحق في القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي قوة العدوان الصليبي، وشوكة الغزو التتري، ثم قدرته خلال القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي على أن يجتاح أخيراً الإمبراطورية الرومانية الشرقية ويزيلها من الوجود، عاملاً كبيراً في طأطأة أوروبا رأسها للتيار الإسلامي العظيم، حتى أصبحت تعتقد في قرارة نفسها «استعصاء المسلمين على الهزيمة»[٣].

وأرادت أوروبا القيام بضغط عسكري ضخم على المسلمين في الأندلس لرد الثقة في النفوس، فاحتلت غرناطة وأزالت آخر معقل إسلامي في الأندلس، بأيدي فرسان أسبانيا وحلفائهم وذلك عام ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م.

---

(١) حضارة الإسلام في دراسة توينبي للتاريخ (٤٧) فؤاد شبل.
(٢) المرجع نفسه ٨٩ .
(٣) المرجع نفسه ٦٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولم تستطع أوروبا مقاومة القوة الإسلامية ممثلة في مصر آنذاك، فأخذ البرتغاليون طريقهم إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح، وأخذوا السيادة البحرية - من أيدي العرب- على المحيط الهندي في القرن السادس عشر الميلادي، وأخذت روسيا تجتاح مناطق الشمال الآسيوية وتطوق العالم الإسلامي الممتد إلى أطراف الصين، وذلك خلال القرن السابع عشر، ثم كان ارتداد العثمانيين عن فينا خلال عام ١٦٨٢م نقطة تحول كبير في المعارك بين أوروبا والعالم الإسلامي في جبهة وسط أوروبا على امتداد جبهة الدانوب، كما هزم العثمانيون أمام روسيا هزيمة كبيرة ساحقة أيضاً عام ١٧٧٤م، ثم كانت هزيمة المماليك أمام الجيش الفرنسي في الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، وأنزلت أداة الحرب الأوروبية الحديثة عدة هزائم بالعالم الإسلامي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

وكما استولى الهولنديون خلال القرن السابع عشر على جاوة وبقية جزر الهند الشرقية، استولى البريطانيون على البنغال خلال أعوام ١٧٥٧- ١٧٦٤م، واستولت في القرن التاسع عشر فرنسا على الجزائر ثم تونس ثم المغرب، واستولت إنجلترا على مصر، وبدأ ضغط الاستعمار الأوروبي للشرق العربي الإسلامي يتفاقم ويزداد خطره على مقومات المسلمين الروحية والحضارية والسياسية.

وفي ظلال الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي قامت المدارس التبشيرية في كل مكان من أنحاء الوطن الإسلامي، وحدثت حركة طغيان شديد للحضارة الغربية التي اشتدت موجتها العاصفة الزاحفة على بلاد الإسلام، والتي أخذت تطبع حياة المسلمين بطابع غربي محض في كل جانب من جوانب حياتهم: السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

وزاد مد الاستعمار الغربي بعد ذلك فاحتلت إيطاليا ليبيا، وصحب ذلك زيادة نفوذ التبشير المسيحي، وكلب الغزو الحضاري الأوروبي للعالم الإسلامي، وقضت أوروبا على الخلافة العثمانية التي كانت تمثل الفكرة الإسلامية قومياً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وسياسياً وعقائدياً تمثيلاً كبيراً.

ثم ظهر الخطر الصهيوني، وتفاقم خطره بقيام إسرائيل عام ١٩٤٨ في فلسطين، وعلى رقعة من أهم بلاد الإسلام وأكثرها عروبة، وقامت إسرائيل خلال عشرين عاماً بثلاث حروب على العالم العربي، هي حرب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧م.

كل ذلك يعد تنفيذا لمخططات أوروبا المسيحية في مقاومتها للإسلام، وفي معركتها مع المسلمين.

وتعتبر أوروبا أن الخطر الأكبر عليها هو الإسلام نفسه، وأن كل عمل ضد الإسلام في بلاده هو خط أمان جديد لأوروبا في الحاضر والمستقبل.

وعداوة أوروبا للإسلام، ومقاومتها له، ووضعها الخطط لحصاره، وتبديد قوته، لا تنتهي عند حد، وكل حدث كبير أو صغير في بلاد الإسلام إنما هو إثر تخطيط غربي موضوع لمقاومة الإسلام والقضاء عليه.. ويشارك أوروبا في هذا الشعور أمريكا وغيرها من بلدان العالم المسيحي.

وللقضاء على الإسلام في عرف أوروبا أساليب كثيرة، تبدأ من المدرسة ومنهجها التربوي، والثقافة وحركتها في ثلب الإسلام والمسلمين والعرب والعروبة، وتشويه تاريخهم وأعلامهم وثقافاتهم وحضارتهم، وتسير في امتداد التبشير من داخل العالم الإسلامي وخارجه، على أيدي المبشرين الظاهرين، والمبشرين المختفين من المستشرقين، وممن ينتمون كلهم أو جلهم إلى الأديرة المسيحية، وممن تخرجوا من صوامع الرهبنة في الغرب وامتلأت نفوسهم بالبغضاء للإسلام وتراثه وثقافاته ولغته وعقائده.

وقد ساعدت البيئات الصليبية المسيحية على قيام دعوات إسلامية متطرفة في العالم الإسلامي من مثل البهائية والقاديانية وغيرهما.

كما ساعدت أمريكا بنفوذها ومالها الشيوعية على التغلغل في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية مما ذكره بوضوح أيدن في مذكراته. كل ذلك في محاولة قوية لتحطيم العقيدة الإسلامية، وتحطيم الكيان الإسلامي القوي في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نفوس المسلمين.

وقد أسهمت أوروبا في الدعوة إلى العلمانية ونشر فكرتها بين أبناء المسلمين، وبخاصة المثقفين منهم في معاهد الغرب وجامعاته، لعزل الإسلام، عن المجتمع وجعله دين رهبنة فحسب، كما حدث للدين المسيحي نفسه، وهذا منطق يأباه الإسلام وطبيعته إباء شديداً، لأنه دين يجمع بين العقيدة والحياة، وبين الفكر والعمل، وبين الآخرة والدنيا، وبين المادة والروح، ويربط بين الفكرة والواقع برباط وثيق.

ولا أدري لماذا تقوم معاهد الدراسات الإسلامية في الغرب وفي كندا وأمريكا، وهي ملحقة بالجامعات الغربية والكندية والأمريكية، على فكرة واحدة، هي أن تكون مراكز استماع على العالم الإسلامي وحركاته، وعلى تشويه حقائق الإسلام وتاريخه، ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية تنتدب هذه المعاهد من أنحا العالم الإسلامي لفيفا من الأساتذة المتتلمذين على الثقافة الغربية، والمتشبعين بها، والذين لا يرون الإسلام إلا بمنظارها وحده، حيث يجلسون مع أساتذة صهيونيين متخصصين في محاربة الإسلام وشعوبه، وفي تشويه كل فكرة إسلامية، وفي دراسة كل حركة نابتة أو قائمة في الشعوب الإسلامية، وكل حركة يمكن أن تؤدي إلى خطر جديد على الغرب وأمنه وسلامه في المستقبل[١].

إن إيمان المسلمين المعاصرين، أو كثير منهم، بالحضارة الغربية، إيماناً مطلقاً، واعتناقنا للأفكار الهدامة الشيوعية والصليبية والتبشيرية اعتناقاً كاملاً، وطبع ثقافاتنا وكل حركات التعليم في بلادنا بطابع غربي محض، وانتشار الأفكار السخيفة الوافدة إلينا من الغرب، والتي تروجها الصليبية الغربية في صفوفنا، من أمثال أن الدين الإسلامي دين رجعي، وأن تشريعاته وحدوده ونظمه قديمة بالية لا تتفق وروح العصر الحاضر.

---

(١) من مثل ذلك قيام ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال بدراسة مجلة الأزهر والفكرة الإسلامية التي تنطوي عليها في كتابه «الإسلام في التاريخ الحديث».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كل ذلك، وغيره، إنما هو من مظاهر العمل الخفي، الذي جهد الغرب الصليبي وأذنابه في العمل من أجله قروناً وأجيالاً، في بلاد الإسلام وبين شباب المسلمين.

ومن العجيب أن نتلقى من الغرب كل الأحكام التي يصدرها علينا - بدافع من العصبية والحقد والعداوة الموروثة - بالقبول والتسليم، وأن نحاول في تفريط ظاهر، الانسلاخ من مقوماتنا الأصيلة، لنحقق أمل الغرب وأمانيه بأيدينا نحن، ولنؤكد له ولاءنا الروحي والفكري والثقافي ولنظهر أمام الناس بمظهر المتطفلين على موائده، والمتلمذين على أفكاره، ما جل منها وما هان، وما صلح وما فسد.

وما رأيت رجلاً مصمماً على قتل إنسان، ثم يصبح هذا الإنسان عوناً له في تنفيذ جريمته باختياره، إلا نحن المسلمين.

أذلك لغباء وَعَتَهٍ وغفلة؟

أو لجنون وفقدان تمييز؟

أو لجهل بحقائق الصراع العالمي والتاريخي بين الإسلام والغرب؟

لا أدري.

ولكن الذي أقرره، ويقرره كل دارس لتاريخ الإسلام: القديم، والحديث، والمعاصر، هو أن عداوة أوروبا وأحلافها للإسلام لا تقف عند حد، وأن تخطيطهم للقضاء عليه وتحطيم شعوبه لا ينتهي عند غاية، وأن جميع الأحداث السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين وما سبقه من قرون، إنما هي أثر لمخططات الغرب في حرب الإسلام والقضاء عليه.

ومن البديهي أن الخطر الإسرائيلي الصهيوني، وتهديده المستمر للعالم العربي الإسلامي، إنما هو أثر لمخطط صليبي قصد به الإسلام ذاته، ولا يعوزنا في ذلك الدليل.

فبلفور هو صاحب الوعد المشؤوم.

وأمريكا وروسيا وإنجلترا وفرنسا هي أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل.

والغاية من كل ذلك هي تحطيم العالم العربي، وإشعال الحروب والفتن الدائمة في ربوعه، ومنعه من أية حركة إسلامية أو حربية في الحاضر والمستقبل،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإبقاؤه دائماً عاجزاً عن أي تهديد لأوروبا.

وليس أمامنا مجال لليأس.

بل يجب علينا الوعي والتدبر والرفض الكامل لكل مخططات الصليبيين والإلحاديين التي يريدونها ويريدون أن ننفذها نحن بأيدينا.

يجب علينا أن نتمسك بإصرار بالإسلام.

أن نستمد منه القوة والمنعة والرجاء في إنقاذ جديد شامل من هذه المحنة وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ابن عمك
عزّه عزّك ، وشرفه شرفك، وملكه ملكك

العدد (٨٠) شعبان (١٣٩١هـ) - سبتمبر (١٩٧١م).

-١-

«أي صفوان. . فداك أبي وأمي
هو أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس.
ابن عمك عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك.».

قالها عمير بن وهب ابن خلف القرشي الجمحي المكي لابن عمه صفوان بن أمية بن خلف، في تأثر شديد، وضراعة ظاهرة، واستعطاف كبير.

ويرد عليه صفوان في غضب واستكبار، وعزم وتصميم: دعني وطريقي، لن أعود أبداً.

وكان صفوان قد هم بركوب السفينة من جدة، لتقله إلى اليمن، يعيش فيها، بعيداً عن مكة، وعما آل إليه أمر مكة يومئذ.

وكان ذلك في مطلع شوال من العام الثامن من الهجرة، بعد فتح مكة بقليل.

ويعود عمير ليقول من جديد: «أي صفوان. . أي ابن عم.
لن أدعك وطريقك أبداً.
انزل من السفينة، وعد معي إلى مكة، وطنك، ووطن آبائك وأجدادك، وأنت أنت ابن مكة، وشريف العشيرة وسيد القوم، وفيها صاحبتك وأولادك وأموالك».

وكان صفوان سيد بني جمح، بعد أبيه أمية بن خلف، كما كان من كبراء قريش في حياة أبيه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان أَمْرُ الأزلام في الجاهلية موكولا إلى صفوان، ونشأ في جاه أبيه ومجده وشرفه وماله، وعمل في التجارة، وربح وأثرى، وجمع الذهب، حتى صار له قنطار من الذهب، كما كان لأبيه قنطار من الذهب، وبذلك جمع السؤدد من أطرافه، ونال المجد بكلتا يديه.

وتزوج صفوان في حياة أبيه من أكرم بيوت العرب، تزوج برزة بنت أبي مسعود الثقفي، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة.

وكان أبوه «أمية» من أشراف قريش وسادتها وإليه الرأي في الكثير من الأمور والمشكلات.

وجاء الإسلام، ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى الإيمان به، وصدت قريش عند ذلك صدوداً عجيباً، وقاومت رسول الله والمؤمنين به مقاومة ليس لها مثيل في التاريخ: وكان عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو جهل بن هشام. والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، وسواهم يمثلون جبهة المعارضة للإسلام ولرسول الله ﷺ حتى ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب وهو عبد الله ابن أبي أمية المخزومي، وحتى ابن عمه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وكان أخاً للرسول من الرضاعة، أرضعتهما معا حليمة، حتى هذان مع قرابتهما لرسول الله كانا من أشد الناس عداوة لرسول الله، ولما جاء به من الحق والدين والشريعة، فقال له ابن عمته عبد الله بن أبي أمية: والله لا أومن بك أبداً، حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك.. وكذلك كان الأخنس الثقفي، وأبي بن خلف الجمحي، والعاص بن وائل السهمي، وغيرهم.. وكان أمية بن خلف هو الذي تولى تعذيب المسلمين من مثل بلال. وأمية ومعه الوليد بن المغيرة، وبعض أشراف قريش هم الذين قالوا لرسول الله: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد. وقد حضر أمية بدراً هو وابنه صفوان، فقتل أمية وقتل معه أبو جهل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأشراف قريش وسادتها وورث صفوان بعد أبيه أمية مجده وحسبه وشرفه، وصار إليه ما كان لأبيه من قبله.

واستمر صفوان في حربه للإسلام ولرسول الله، كما كان يصنع، وكما كان يصنع أبوه قبله.

-٢-

وبعد بدر أخذ صفوان بن أمية يكيد لرسول الله كل الكيد، ويتآمر عليه بكل ما في وسعه وطاقته من حيلة، وهو الشقي الموتور، قتل أبوه وأخوه ي بدر، وقتل أشراف قومه وسادتهم.

وجلس صفوان في الحجر في يوم من الأيام وحوله ابن عمه عمير بن وهب الجمحي، وكان شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله وأصحابه، ويلقون منه عناء شديداً وهم بمكة، وكان ابنه وهب قد أسر في بدر.

وأخذ عمير يذكر مصاب قريش في بدر، ويذرف الدموع على قتلاهم، فقال له صفوان: والله ما في العيش بعدهم من خير، فرد عليه عمير. صدقت والله، أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضياع والهوان بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، وأشمت بالمسلمين فيه، فإن لي قبلهم علة، ابني وهب أسير في أيديهم.

فقام صفوان واقفاً، فرحاً جذلان لما سمع، وما أكرم ما سمع على نفسه، وقال يغتنم الفرصة حتى لا تفلت من يديه: يا أبا وهب، يا أخي، دينك علي أنا، أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، أواسيهم ما داموا على ظهر الأرض. فقال أبو وهب عمير: اكتم عني شأني وشأنك هذا، لا تحدث به أحداً حتى لا يعرف أحد ما أنتويه ورد صفوان في حماس شديد: أفعل ذلك.

وذهب عمير إلى منزله، فأخذ سيفه، فشحذه وسممه، وركب راحلته، وخرج من مكة يريد المدينة، والناس يسألونه إلى أين تريد يا أبا وهب؟ فيقول: أريد المدينة لفداء ابني الأسير.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقدم عمير المدينة فبينما عمر في جماعة من المسلمين يذكرون ما أكرمهم الله به، إذ نظر فرأى عميراً قد أناخ راحلته على باب مسجد رسول الله، متوشحاً بالسيف، فقال لمن حوله: هذا الشيطان عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا، وكان عيناً علينا لقريش في بدر، ثم دخل عمر على رسول الله وهو يقول: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه.

قال: فأدخله علي، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه، فلببه بها، وقال لرجال من الأنصار: ادخلوا فاجلسوا عند رسول الله، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ودخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه الرسول وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: أرسله يا عمر، أدن يا عمير.

فدنا عمير من رسول الله، وجلس فقال له رسول الله: فما جاء بك يا عمير؟ قال عمير: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه.

قال: فما بال السيف في عنقك؟ قال عمير: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال الرسول: اصدقني ما الذي جئت له؟

قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: بل قعدت أنت وصفوان في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ما تريد، وصعق عمير لما يسمع، ليس من أحد يعرف الأمر غير صفوان، وقد أوصى صفوان بكتمانه عن كل الناس، إن هذا إلا الوحي نزل على محمد من السماء، واهتزت أعماق عمير ومشاعره اهتزازاً شديداً، وقال أشهد أنك رسول الله.. قد كنا يا محمد نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، وشهد عمير شهادة التوحيد، والحق، فقال رسول الله: فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فصنع المسلمون كل ما أمرهم به رسول الله ﷺ، وقال عمير يا رسول الله إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي حتى أقدم مكة، فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم، وأذن له رسول الله.

كل ذلك وصفوان بن أمية في مكة يصبح ويمسي وهو يقول لمن يلقاه من قومه: أبشروا بحادثة تأتيكم قريباً في أيام تنسيكم وقعة بدر ويخرج صفوان إلى خارج مكة كل يوم، يسأل الركبان عن عمير بن وهب وفي أحد الأيام لقيه قادمٌ من المدينة، فسأله عن عمير، فأخبره أنه أسلم، فرجع صفوان مهموماً مغموماً، وهو يحلف لا يكلم عميراً أبداً ولا يؤدي له منفعة أبداً.

وقدم عمير إلى مكة، فأقام يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً، حتى أسلم على يديه أناس كثيرون، وعمير زوج عمة النبي ﷺ، وهي أروى بنت عبد المطلب.

-٣-

وجاءت معركة أحد، وقتل فيها عم صفوان، وهو أبي بن خلف، قتله رسول الله ﷺ، فازداد حنق صفوان على رسول الله وحربه وعداوته لله ولرسوله. وكان صفوان في قلب المعركة، وقال رسول الله ﷺ في أثناء المعركة.

اللهم العن أبا سفيان

اللهم العن الحارث بن هشام.

اللهم العن صفوان بن أمية.

- ٤ -

وفتح رسول الله ﷺ مكة في رمضان من العام الثامن للهجرة، وأذل الله الشرك والمشركين، ونكس راية الوثنية والبهتان، وهدم الرسول ﷺ الأصنام،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وترددت في جنبات البيت الحرام شهادة التوحيد ولكن الفتح لم يمض دون مقاومة من قريش، لقد أسلم أبو سفيان قبل دخول رسول الله مكة بيوم، بعد أن رأى بعينيه ما رأى، وشاهد جيش محمد الذي لا قبل لقريش ومشركي مكة به، ولا يستطيع أن يقاومه إنسان، وأسلم كذلك سهيل بن عمرو خطيب قريش وأحد أشرافهم وسادتهم يوم الفتح.

ولكن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وجموعاً معهم، قاوموا جيش خالد بن الوليد، وهو يدخل مكة من أسفلها، فقتل من المشركين اثنا عشر رجلاً ومن المسلمين رجلان.

وبدأ السلام والأمان يعودان إلى بلد الله الحرام، وتردد النداء عالياً:

ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

ومن دخل المسجد فهو آمن.

وخطب رسول الله الناس، فأعلن العفو العام حتى عن رؤوس الشرك والضلالة، وقال لهم: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً.. أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

وأرسل رسول الله إلى صفوان بن أمية، والحارث بن هشام، وأبي سفيان: فقال عمر: لئن أمكنني الله منهم لأعرفنهم، قال رسول الله: مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: «لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم».

وأسلمت زوجة صفوان، وهي فاختة بنت الوليد بن المغيرة، وذلك يوم الفتح، وهرب صفوان إلى حيث لا يعرف مكانه إنسان إلا ابن عمه عمير بن وهب.

وجاء عمير إلى رسول الله يقول له: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليركب البحر إلى اليمن فراراً وذعراً، فهلا أمنته؟!

وفي رواية أخرى أنه قال لرسول الله: أسألك أماناً لصفوان، قد هرب، وأخشى أن يهلك، وإنك قد أمنت الأحمر والأسود، فأمنه يا رسول الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقال ﷺ: «هو آمن» وفي رواية: «أدرك ابن عمك فهو آمن».

قال عمير. يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله عمامته التي دخل فيها مكة كما يروي ابن هشام: ويروي الذهبي في «سير أعلام النبلاء» أن رسول الله بعث إليه ابن عمه عمير بن وهب بردائه أماناً لصفوان ودعاه إلى الإسلام وأن يقدم عليه مكة.

وخرج عمير يريد جدة حيث صفوان قد هرب إليها ينتظر فيها سفينة يركبها ليذهب إلى اليمن، ويعيش هناك بعد أن هزمه الله، وهزم الشرك والمشركين وفتح مكة على الإسلام والمسلمين.

وأدرك عمير صفوان وهو يريد أن يركب السفينة ودار بينهما هذا الحوار الغريب: يقول عمير لصفوان:

يا صفوان.

فداك أبي وأمي.

الله، الله، في نفسك أن تهلكها.

فهذا أمان من رسول الله قد جئتك به ويرد عليه صفوان:

ويحك، أغرب عني، فلا تكلمني قال عمير:

أي صفوان.

فداك أبي وأمي.

أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك.. ويقول صفوان: دعني وطريقي لن أعود أبداً. ويقول عمير:

عد معي إلى مكة، وطنك، ووطن آبائك وأجدادك، وأنت أنت، ابن مكة وشريف العشيرة، وسيد القوم، ويقول صفوان: إني أخافه على نفسي. ويرد عمير: هو أحلم من ذاك وأكرم، وينتهي الموقف بنزول صفوان من السفينة، ثم عودته مع عمير ابن عمه إلى بلده مكة.

فلما قدم صفوان على النبي ﷺ ناداه على رؤوس الناس: يا محمد إن هذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جاءني بردائك يزعم أنك أمنتني، ودعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أقمت ودخلت في دينك، وإلا خرجت في مدة شهرين لا أتجاوزهما.

فيرد عليه رسول الله ﷺ في وقار وجلال وأناة وحلم:

صدق، انزل أبا وهب. فيقول صفوان:

لا والله حتى تبين لي .. فيقول رسول الله: لك أربعة أشهر.

-٥-

وبعد قليل يخرج رسول الله ﷺ إلى حنين في شوال من العام الثامن للهجرة. وقبل خروجه يذكر له بعض أصحابه أن لدى صفوان أدرعاً وسلاحاً كثيراً، فيبعث إليه، ويقول له، وصفوان يومئذ على شركه:

يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً فقال صفوان: أغصبا يا محمد؟

قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك. قال صفوان: ليس بهذا بأس. فأعطى رسول الله مائة درع بما يكفيها من السلاح.

وخرج صفوان وهو على شركه مع رسول الله إلى حنين وانتصر الإسلام في حنين انتصاراً مؤزراً، وعاد رسول الله صلوات الله عليه بالغنائم والأموال، ومعه صفوان، فجعل صفوان ينظر إلى شعب ملأى نعماً وشاء، وأدام النظر، ورسول الله يرمقه، فقال له الرسول:

أبا وهب، يعجبك هذا؟

قال: نعم.

قال صلوات الله عليه: هو لك.

فقال صفوان: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وكان ذلك في آخر ذي القعدة من ثمان.

ويروى عن صفوان: أتيت النبي ﷺ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي، واستقرض رسول الله من صفوان في مكة خمسين ألفاً، فأقرضه إياها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعاش صفوان في الإسلام يشهد انتصاراته ويحضر أيامه، ويلقى حروبه فكان في اليرموك أميراً على كتيبة من كتائب جيش المسلمين.

وكان في غير اليرموك كذلك مجاهداً بطلاً، وعاش حتى توفاه الله إلى رحمته عام ٤١هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اليمينيون واليسَاريون في القرآن الكريم

العدد (٨٣) ذو القعدة (١٣٩١هـ) - ديسمبر (١٩٧١هـ)

-١-

اليمين واليسار في اللغة أمرهما ذائع معروف، وقد أصبحت الكلمتان تطلقان على المعتدل والمتطرف، وعلى السهل والصعب، وعلى المعقول وغير المعقول من العقائد والمذاهب والآراء.

والفضل في استعمال هاتين الكلمتين بهذه المعاني، وفي ذيوعهما يرجع للقرآن الكريم وحده، فهو الذي كان له السبق الأول في ذلك كله، وعن القرآن الكريم أخذ القدماء والمحدثون يستعملونهما ويرددونهما كثيرا في أحاديثهم ومحاور كلامهم.

وليس هناك اليوم كلمات ذائعة مشهورة، تتردد على الألسنة كهاتين الكلمتين.

وفضل القرآن الكريم، على اللغة، وعلى التجديد والتطور اللغوي، في القديم والحديث، لا يحتاج إلى بيان، فألفاظه وأساليبه هي التي أمدت أدبنا بكثير من كنوز اللغة وطرائفها وأماثيلها، وصقله للألفاظ، وتهذيبه للأساليب وتخليده لصور البيان الرائعة والأساليب البديعة، والبلاغة النادرة، مما لا يحتاج إلى بيان، ولسنا في حاجة للدلالة عليه إلى برهان.

-٢-

ولأول مرة في اللغة العربية يرد استعمال اليمين واليسار بالمعاني السابقة في كتاب الله الحكيم، فليست هناك نصوص أدبية أقدم من القرآن الكريم، يتردد فيها ذكر هاتين الكلمتين للدلالة على المعتدل والمتطرف من العقائد والمذاهب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والأفكار، أو على الجزاء الإلهي العادل في الآخرة لأهل اليمين وأهل اليسار.

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم يستعمل اليمين في كل قصد واضح وجليل ونبيل وإنساني من العقائد، وليس هناك لفظ أخف استعمالاً، ولا أدق معنى، ولا أبلغ دلالة من هاته الكلمة فيما استعملت فيه من مقاصد واليمين ترمز إلى اليمين، والحظ الطيب، والتفاؤل الكريم، والطريق اللاحب وإلى سلوك السبيل السوي، وإلى مرضاة الله وثوابه لسالكيها.

وقد استعمل الشمال في الدلالة على عكس ذلك كله، وفي لفظة الشمال رمز إلى تنكب الفطرة، وإلى البعد عن المحجة الواضحة، وإلى ما في سلوك مثل ذلك من غاية أليمة، وفي الشمال ما في الشؤم من تطير، وهي توحي بأن طريق الشمال من وسوسة الشيطان، كما أن طريق اليمين من هداية الله، ولذلك استعمل القرآن الكريم كلمة الشمال لتدل على أعمق معاني كلمة اليسار، والتي نستعملها نحن اليوم مخطئين متنكبين عن الاستعمال الدقيق، كما تنكبنا طريقنا في فهم معنى اليمين واليسار، فعكسنا معنى الكلمتين في استعمالاتنا عكسا بينا، حتى أصبحنا ندل بكلمة اليمين على الجمود والتأخر والرجعية، وبكلمة اليسار على التحرر ونبذ القديم والدين والعقيدة، نظن أن ذلك هو سبيل التقدم والنهوض وحاشا لله أن يكون اطراح العقيدة ونبذ الدين تقدم أو نهوض أو تحرر.

ومن ثم كان استعمال القرآن الكريم لكلمة «الشمال»، وإيثاره لها على كلمة «اليسار»، أعمق فهما، وأدق مسلكاً، وأدل على المقصود منها.

-٣-

وفي القرآن الكريم من سورة الحاقة يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ (الحاقة: ١٩-٣٧).

والصورتان هنا متقابلتان، وعلى غاية ما تكون البلاغة والروعة والبيان والسحر والإعجاز، وفيهما من تطويع الأسلوب وموسيقاه وجماله ما لا نجد له نظيرا ولا شبيها من كلام أبلغ البلغاء أو أعظم الشعراء.

والبلاغة القرآنية هنا تسير في طريقها الجليل النبيل، من خدمة الإنسانية، وهداية البشرية إلى الحق وإلى الله وإلى مثل الحياة وقيمها الرفيعة، واللفظ هنا بقدر المعنى، والأسلوب والبيان يسيران مع العقل والمنطق والحكمة.. ولا يمكن لواصف أن يصف شتى عناصر البلاغة والنظم في هذا النص القرآني العظيم، لأن القرآن استعصت بلاغته على فهم البلغاء، وعلى فلسفة النقاد، فلم يعودوا يعرفون من أمر هذه البلاغة شيئاً إلا أنها من كلام الخالق العظيم والإله القادر الحكيم.

-٤-

وفي سورة الواقعة يذكر الله ﷻ أهل الميمنة، وأهل المشأمة، وطبقة ثالثة هي طبقة السابقين المقربين، ويبدأ بذكر الطبقتين الأوليين لوضوحهما وكثرتهما، وأنهما الغالبية العظمى من بني البشر، ويؤخر الكلام على الطبقة الثالثة، لقلتها وندرتها ودقة أمرها.

والسورة كلها في الحديث عن هذه الطبقات الثلاث، من بدئها لختامها.. ولننظر في آياتها الكريمة، نقف عندها، نتأمل جلالها وروعتها، وسحرها وحكمتها، لنتفهم دلالتها في حياة الإنسانية كلها، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

يبدأ الله ﷻ سورة الواقعة بذكر وقوع الواقعة، أي قيام القيامة وأثرها العظيم على الإنسان والكون...﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نعم إنها حق وصدق.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾

ثم يذكر الله ﷻ أقسام البشر يومئذ، بحسب أعمالهم ومنازلهم من الله ﷻ.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾.

ثم يذكر نصيب السابقين في الآخرة من رضاء الله ونعيمه، وحظهم فيها من الخير والجزاء الجميل.. وبدأ بهذا القسم الثالث تنويها وتعظيما وتشريفا وتبجيلا لمقامهم عند الله.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ [1] وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ [2] عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦﴾.

وهكذا تمضي هذه السورة الرفيعة، جليلة كريمة، ساحرة باهرة، تتحدث عن السابقين ومنزلتهم في الآخرة عند الله ﷻ.. وليس غرضنا هنا أن نفسر السورة، ولكننا نقصد إلى بيان مضمونها وحده، وصلة هذا المضمون بماضي وحاضر ومستقبل الإنسانية، ومن ثم فلم نعرض لتفسير الآيات، ولا لتوضيح الصور، ولا لبيان بلاغة الأساليب، فهي ماثلة أمام كل ذي ذوق، واضحة عند كل ذي طبع وموهبة من البيان.

ثم يذكر الله ﷻ أهل اليمين، وما أعده الله لهم في الآخرة من نعيم..

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ

---

(١) أي هم عدد ضئيل من الأمم السابقة.

(٢) وعدد قليل من أتباع رسالة محمد آخر الرسالات.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ [(١)] وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [(٢)] (الواقعة: ٢٧ - ٤٠).

وتنتقل السورة الكريمة المكية، وهي سورة الواقعة، إلى ذكر أصحاب الشمال، وما أعد لهم في الآخرة، من وبال، وما يلقونه فيها من نكال..

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ [(٣)] ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾.

وتستمر السورة في خطاب هؤلاء الشماليين، وبيان جزائهم في الآخرة، وفي الحجاج معهم رغبة إقناعهم بالبعث وصدق الأمر فيه وإمكان حدوثه عند العقل، لأن قدرة الله لا يستعصي عليها شيء. ولا يعجزها أمر في الأرض ولا في السماء.

ثم تتحدث السورة إلى الرسول الكريم عن القرآن العظيم، وأنه تنزيل من رب العالمين.. وتعود إلى جدال هؤلاء المشركين المكذبين الضالين وإلى مصيرهم عند الموت. (٥٠- ٨٧ من السورة).

وتلخص السورة ما تتلقى الملائكة به عند الموت كلا من هؤلاء الطبقات الثلاث:

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ [(٤)] ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [(٥)].

---

(١) أي هم عدد قليل من الديانات السابقة.

(٢) وعدد قليل من اتباع رسالة الإسلام آخر الرسالات.

(٣) أي أو يبعث كذلك معنا آباؤنا الأولون؟ ممن مضت عليهم آلاف السنين وهم في أجداثهم راقدون.

(٤) وهم أهل المشأمة.

(٥) الخطاب هنا لرسول الله ﷺ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهكذا مضت هذه السورة سورة الواقعة، في ذكر اليمينيين واليساريين، وفي ذكر طبقة رفيعة من خيار الإنسانية وأصفيائها، وهي طبقة السابقين المقربين.

على ما رأينا من الجلال والحكمة والروعة والبلاغة والبيان والسحر، سارت إلى هدفها المقصود من تبصير الإنسانية وهدايتها وإضاءة الطريق أمامها، ورسم النهايات المحتومة للبشر واضحة أمام عقلها ومخيلتها وعينيها، ليهتدي من اهتدى عن بينة، وليضل من ضل عن بينة.

- ٥ -

وجملة ذلك كله أن الله ﷻ تحدث في كتابه الحكيم عن اليمينيين واليساريين، ووصف كلا بأوصافه، وأبان ما ينال كل منهما من جزاء في الآخرة عند الله.

فإذا كان الأمر عند المسلمين المعاصرين قد انقلب إلى النقيض، فصار اليمينيون عندهم كأنهم المنبوذون أصحاب الشمال، وصار اليساريون عندهم هم المختارون وكأنهم أصحاب اليمين، فإن ذلك من وسوسة الشيطان، ومن انقلاب الميزان، ومن فساد المنطق بتأثير سموم الصهيونية، التي تنفث في عقول ضعفاء الدين شرورها، لتضلهم عن الطريق، وتبعدهم عن الهدف، وتقصيهم عن رضاء الله، وعن سبيل العزة والقوة والكرامة، ولتنقلهم من حالة الذاتية والشخصية الواضحة إلى حالة أخرى من التبعية الذليلة والتقليد الأعمى لكل ضال وضار من المذاهب والعقائد والآراء. وفي ذلك للمسلمين المعاصرين الهوان والذل والشقاء الأبدي المقيم.

اللهم اجعلنا من أهل اليمين، وأبعدنا عن ضلالات أهل الشمال، وأنزل علينا من رحمتك، ما يهدينا إلى سواء السبيل.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

انتقال الحضارات

العدد (٣٥٠) شوال (١٤١٥هـ) - مارس (١٩٩٥م).

الحضارات العالمية القديمة، كالحضارة الفارسية والإغريقية والرومانية والمصرية والصينية وسواها من مختلف الحضارات العالمية البائدة، قد مثلت دورها على مسرح الحياة في فترة من فترات عصور التاريخ، ثم انتهت كأن لم تكن الأمس.

وورثتها الحضارة الإسلامية التي ازدهرت في بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة والقيروان وأصفهان وجرجان وبخارى وسمرقند وغيرها من عواصم العالم الإسلامي الممتد من الصين شرقاً إلى بحر الظلمات غرباً (أو المحيط الأطلسي)، ومن أوروبا شمالاً إلى أواسط قارة أفريقية جنوباً، وكانت هذه العواصم الإسلامية تسبح في نور العلم والمعرفة والتقدم والمدنية، وفي ظلال الأمن والرخاء والرفاهية والسلام.

● **حضارة متميزة**

حضارة شريفة نجمت من أصول شريفة، وقام عليها دولة جمعت كل أصول التقدم في السياسة والفكر والاجتماع والاقتصاد وكل جوانب الحياة الرفيعة، وشهد لها العلماء والمفكرون والمشرعون في كل عصر وكل جيل، حضارة أعزت الدنيا، ودوت بذكرها الآفاق، وعاش فيها الناس أحراراً مكرمين، ينعمون بشتى ألوان السعادة والثراء والرخاء والتقدم. وكانت أوروبا تنظر إليها، وتذهل لهذا التفوق الحضاري الفريد، ويصيح شاعر كبير مثل «بترارك» الشاعر الإيطالي في العصور الوسطى في مدينة روما قائلاً: «يالله، لقد تفوقنا على كل الأمم إلا العرب الذين أذلونا بحضارتهم، فيا للخزي ويا للألم».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجاء دور أوروبا الجاهلة الظامئة المجردة من كل شيء، فنهلت من حضارة العرب وعلومهم وثقافتهم حتى استطاعت أن تقوم على أقدامها، ثم استطاعت أن تملك زمام المبادرة، وتأخذ العنان بيدين من العرب، وأن تنشئ لها حضارة جديدة تخالف الحضارات الأخرى، ولا تتفوق على حضارة الإسلام في الروحانيات، بل في الماديات وحدها.

تقول «هونكة» المستشرقة الألمانية في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: «كل موجة علم أو معرفة قدمت لأوروبا كان مصدرها البلدان الإسلامية» «شمس العرب ٤١».

ورثت الحضارة الإسلامية كل الحضارات السابقة وزادت عليها بعداً رسالياً لم تعرفه الحضارات الوثنية كالفارسية واليونانية.

ويقول غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» «حضارة أوروبا مدينة للعرب بحضارتهم، فالعرب هم الذين فتحوا لها ما كانت تجهله من المعارف الفلسفية والعلمية والأدبية، فكانوا دائنين للغرب وأئمة له في ستة قرون. وعن طريقهم اهتدى الغرب إلى تراث الإغريق، وكشف ماضيه فأخذوا يبحثون عنه».

إن الأصول العلمية والفكرية لحضارة الإسلام وللفكر الإسلامي قد أخذها الغرب وصاغ منها حضارته التي هي صدى كبير للحضارة الإسلامية فقد سرقت أوروبا على غفلة منا، كنوزنا ومواريثنا الثقافية والحضارية، مثلما سرقت كذلك إمبراطورية المسلمين الممتدة في كل مكان، وأقامت على كل هذه الأسس حضارتها الماثلة اليوم.

● **غروب الحضارة الغربية**

ولكن حضارة الغرب اليوم قد نال منها الهرم، ودبت فيها الشيخوخة، وأخذت تقترب من حافة الفناء، يقول «بول فاليري» شاعر فرنسا الكبير: «فرنسا وإنجلترا وروسيا، وألمانيا، ويا لها من أسماء كانت جميلة كما كانت أسماء نينوى وبابل وعيلام جِدّ جميلة، ولحاق هذه الأسماء الراهنة بأسماء الأمس الغابر لم يعد شيئاً مستعصياً على الإدراك».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقول «فولتي» من كبار رجال الفكر الأوروبي: «ماذا أصاب تلك البدائع الراهنة التي حققتها يد الإنسان».

أين هي حصون نينوى وجدران بابل؟ ومن يدري؟ لعل مسافراً في المستقبل يجد نفسه عند شواطئ السين والتايمز يجلس باكياً على بقايا الفتات الذي تحولت إليه معالم الحضارة حول هذه الأنهار».

ويعجب: «دنيس دورجمون» من العدد الذي يتضاعف بصورة مستمرة من الأوروبيين الذاهبين إلى انهيار الحضارة الغربية، ومن المتنبئين الذين يفضلون الحديث عن كشوفها.

ويقول إقبال شاعر الإسلام: «مثلت حضارة الغرب دورها، وقد شاخت وهرمت أينعت كالفاكهة وحان قطافها، ولسوف تتمخض الإنسانية عن عالم جديد، وهذا العالم لا يحسن تصميمه إلا من بنى للبشرية البيت الحرام، وَوَرّثَ محمداً وإبراهيم قيادة العالم».

ورأي إقبال يكاد يكون تفسيراً للآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ (يونس: ٢٤).

فالمعنى على هذا هو فناء حضارة عجيبة من حضارات الحياة الدنيا، كانت قد بلغت غاية نمائها وازدهارها، بأمر الله وقدرته، وفي لحظة من ليل أو نهار زالت وانتهت.

وما يقوله إقبال يقوله مفكرو العالم وفلاسفته في كل لحظة. ونحن نعلم أن ميزان القوة في العالم متغير أبداً، وعلى امتداد التاريخ.

ولكني أقول كما قال بعض المفكرين: إنه لن تجد الإنسانية يوم تتهاوى حضارة الغرب عقيدة تؤمن بها، وتؤمّن بها مصيرها، إلا الإسلام.

فالإسلام وحده والإيمان به، سوف يكونان ضرورة بشرية، لأن ذلك هو مسيرة الحياة والتاريخ، وحتمية انتصار الحضارة، وهو العلاج الوحيد لكل مشكلات العالم، وهو النتيجة الأخيرة لقدرة الإنسان على مواجهة:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التحديات التي يتحداه بها عصره وقدره

ويومئذ سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق الإسلامي عوداً على بدء: من المنطقة التي قامت فيها الحضارة الإسلامية، وستثبت يومئذ هذه المنطقة وجودها، وستقلب موازين القوى، لأن قوة الإسلام وحضارته قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية. وقد أدرك مفكر إنجليزي ذلك حيث كتب يقول: «لا يساورني شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب، بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه» (باول شمتز في كتابه الإسلام قوة الغد العالمية). كما يقول: «إن قوة القرآن في جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن».

إن سفينة العالم التي قد أصابها الخور اليوم سوف تجد في الإسلام المرفأ الأمين الذي يتقدم بالفعل سفينة الحضارة العالمية، وهذا ما كان يقوله مستشرق مثل عبد الكريم جرمانوس، وما يقوله اليوم «روجيه جارودي» الذي نادى بحتمية الرجوع إلى الإسلام لإنقاذ الإنسانية من المصير المهلك. إن حضارة الإسلام هي ولا ريب حضارة المستقبل.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شعــر

أيُّها التاريخ!!

العدد (٤٠١) محرم (١٤٢٠هـ) - إبريل (١٩٩٩م).

-١-

هـجـرةٌ مـثَّـلـتْ جـهـادَ نـبـيٍّ — وأمـين عـلى الهـدى مـهـدي
هـجـرةٌ فـيـهـا عـبـقـريـة إلـهـا — مِ، ووحـيٌ لمـرسـل نـبـوي
وبـهـا كـل عـزة وجـلال — لـلـرسـول المـكـرَّم اليعـربيِّ
صار للمسلمين فيها وللإسـ — لام فـخـرٌ عـلى الـزمـان الـقـصيِّ
ولـهـا في الـتـاريـخ أشـرف ذكـر — ولهـا فـيه كـلُّ مجـد عـليِّ

- ٢ -

هـجـرةٌ كـانـت لـلـرسـالـة فـتـحـاً — ولـديـن الـلـه الـعـظـيـم الـسـني
أحـمـد والـصـديـق وحـدهـمـا في — مـوكـب فـذٍّ خـالـد عُـلْـوِيٍّ
وقـريـشٌ مـن خـلـفـهـم، أمـة تـ — ـتـبـع آثـار مـوكـب عـبـقـريٍّ
مـوكـب سـار، سـار فـيـه نـبـيٌّ — مرسل، أكـرِمْ بـالـرسـولِ الـنـبيِّ
بـالـبـشـيـر الـنـذيـر طـه وأعـظـم — بخـطـى ذيـاك الأمـين الـوفي

-٣-

هـجـرةٌ مـزّقـت قـنـاع الـديـاجـي — وأعـزَّت نـفـس الـفـقـير الـشـقـيّ
إنها النور هجرة المصطفى كلُّ — جـلال مـن مجـدهـا الـقـدسيِّ
إنها الصفحة المضيئة في التا — ريـخ تهـدي إلى الهـدى كـل حـيِّ
«غـار ثـور» شـهـدت أعـظـم مجـد — وشـهـدت الـتـاريـخ جـدَّ غـنيٍّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالعلا والفخار لابن لؤيٍّ والمنى والجلال لابن قصيٍّ

قد أضاء الزمانَ حقٌّ وعدل بهما جاءت شرعةُ الهاشميِّ

فبها تنعم الشعوب وتحيا أمة الإسلام العظيم الأبيِّ

قد أتى النورُ من حراء جليلاً ونبيلاً في صبح يوم زكيِّ

في ضحى مشرق وضيءٍ سريٍّ قد أتى بالدين الوضيء السري

وأتى العالمين عصرٌ جديدٌ فيه بالدين عزَّ كلُّ شقي

إنه الوحي، إنه الحق والقر آن يُوحى لأحمد العربيِّ

المنى فيه والسنا والهدى، والـ خير منه وكلُّ عبق رضيِّ

ولجبريل في حراء دويٌّ ظل يصغي الورى لهذا الدويِّ

أيها التاريخ اروِ عن أحمد النو رِ وجبريل والنداءِ العليِّ

إنه الإسلام العظيم، فلا فخـ ـر ولا عزةٌ لغير التقيِّ

كان من قبله الإخاء خيالاً ليس أعرابي أخا الأعجمي

قبله كانت المساواةُ وهما ذاك بكريٌّ ليس بالتغلبيِّ

قبلها كانت الشعوب حيارى خيرها للدخيل والأجنبيِّ

إنه الدين إنها هجرةُ الها دي الرسول المشفَّع المهديِّ

لا ورب الجلال إني عييٌّ وبياني يا قوم جدُّ عييِّ

لا تلمني أنا الذي لمتُ شعري ولقد كان قبلُ جدَّ ثريِّ



الحق والواجب في الشريعة الإسلامية

العدد (٤٣٨) صفر (١٤٢٣هـ) - مايو (٢٠٠٢م).

- ١ -

الواجب والحق متلازمان في كل تشريع سماوي أو وضعي، فالواجبات تقابلها الحقوق، والحقوق تقابلها الواجبات.

العامل عمله التزام واجب، فإذا عمل صار له حق، وهو الأجر أو المكافأة، والطالب دراسته واجبة، فإذا أدى واجبه صار من حقه أن ينال النجاح.

والتاجر من الواجب عليه الأمانة في المعاملة، فإذا أدى ما عليه صار من حقه أن يأخذ الثمن والإنسان أداؤه ما عليه من التزام ألزمه به الله جل جلاله كان ممن أدى الواجب، وكان حقاً له أن ينال الجزاء الأوفى من مولاه ﷻ.

والإسلام يفرض على المسلم الإيمان الكامل بالله وبكتبه ورسالاته وبرسله وباليوم الآخر. كما يفرض عليه أن يلتزم بشريعة التوحيد المطلق، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وباحترام حق الإنسان في المال والعرض والنفس والدين والعدل والمساواة والإخاء والحرية، ويلتزم بكل ما أمر به الخالق الأعظم من عبادات وطاعات ويترك كل ما نهاه عنه من معاص وذنوب وآثام.. فإذا التزم الإنسان بذلك نال رضا الله ومثوبته ورحمته.

شريعة السماء وقوانين الأرض كلها تلزم الإنسان بالواجب، وتجعل له الحق في الجزاء الأوفى.

فالواجب أولاً، والحق ثانياً، والإنسان لا يطالب مسؤولاً بحق من حقوقه إلا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذا أدى ما عليه من واجبات، ومن ثمَّ نجد جميع الشرائع والتشريعات تطالب الإنسان بما يجب عليه من واجبات وتعده بأن ينال حقوقه كاملة غير منقوصة، القيام بالواجب هو الأساس لأخذ الحقوق.

والقرآن الكريم حين يتحدث يربط بين الحق والواجب، ويجعل الواجب هو الأساس للفوز بالحقوق.

يقول الله ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت: ٣٠). ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (الحديد: ٢٨).

وحين يرفع الإنسان يديه بالدعاء إلى الله ﷻ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (البقرة: ١٨٦)، يجب عليه لينال إجابة الدعاء أن يكون مطيعاً لله مؤمناً به حق الإيمان مستجيباً لأوامره، تاركاً لنواهيه، ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (الحج: ٤٠-٤١).

- ٢ -

الله ﷻ يلزم المسلم بالواجب أولاً، ويؤيده بنصره ونعمته وتمكينه وبسعادة الدارين عندئذ وبعدما يؤدي ما عليه لمولاه من واجبات.

والحديث الشريف الجامع قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في مال الزوج ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، والإمام راع ومسؤول عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رعيته، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[١].

وفي حديث رسول الله ﷺ عن أنس رضي الله عنه: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه[٢]، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» رواه مسلم، وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» رواه مسلم.

- ٣ -

والواجبات على الإنسان في الإسلام كثيرة، فعليه واجبات نحو نفسه ونحو أسرته، ونحو مجتمعه الصغير، ونحو مجتمعه الكبير، ونحو وطنه، ونحو الإنسانية كلها، وقبل كل شيء عليه واجبات نحو ربه ودينه، وتلك كلها واجبات مفصَّلة في الشريعة الإسلامية ويطول بنا الحديث لو ألممنا بأطرافها.

والإسلام لم يدع صغيرة ولا كبيرة من هذه الواجبات إلا وفصَّلها، وجعلها ملزمة للمسلم يحاسبه عليها ربه ودينه وضميره النقي الطاهر، ويحاسبه عليها ملائكة الله وجنده، ويحاسبه عليها مجتمعه وقوانين المجتمع المستمدة من شريعة الإسلام، وقد أمر الله ﷻ الإنسان المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وحين تولى أبو بكر خلافة المسلمين كان أول خطبة له قوله: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

---

(١) رواية مسلم: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته».

(٢) أي لا يلقيه في الهلكة أو يحميه من عدوه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والعبادات في الإسلام طاعة واجبة على المسلم نحو ربه ودينه، وفي أولها التوحيد الخالص، والإيمان المطلق، والعقيدة الثابتة القوية، والاعتقاد بأن كل الأمور بيد الخالق الأعظم، والمهيمن القادر، وأنه مع المسلم في سلمه وحربه، ويسره وعسره، ويقظته ونومه، وأنه لا يحرم أحداً من فضله، وأنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، فطاعة الله واجبة وعبادته حتم لازم. . ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦)، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ (طه: ١٤).

الأساس الأول في الإسلام أن يسلم المرء وجهه لله ﷻ، وأن يخلص له في عبادته، وأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، كما جاء في الحديث الشريف، ويقول الله ﷻ في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ (البينة: ٥).

ويقول ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢-٣).

-٤-

وحقوق الإنسان حقوق شخصية أو اجتماعية أو سياسية أو أدبية أو فكرية.

والإسلام أقر حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة، وألزم بها الناس جميعاً، وفي مقدمها حق الحياة، وحق الحرية وحق الملكية وحق التعليم، وحق التصويت الانتخابي لتكوين المجالس العامة والخاصة، وحق تكوين الأسرة، وحق العمل، وحق التعبير عن الرأي في حدود الدين وغيرها.

والإسلام يقر حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة أقرها منذ ألف وأربعمائة عام أو يزيد قبل أن تقرها الثورة الفرنسية، وقبل أن تقرها هيئة الأمم المتحدة، لأزمنة متطاولة، وسند الحق في الإسلام هو الله ﷻ، وهو القرآن الكريم، وهو دين الله المنزل وشريعته السماوية، وهو قوانين السماء، قبل قوانين الأرض.

و«روسو» يجعل سند الحق هو العقد الاجتماعي وهو كلام لا يؤدي إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غاية، والدين هو السند الأعظم لكل حق للإنسان، أما الذين ينادون بالعقل ويقولون إن العقل هو السند الأكبر للحق فهم يدورون في حلقة مفرغة، فمن الذي يلزم الإنسان بحكم العقل، لقد احترم الإسلام الإنسان، وسمى سورة من سور القرآن الكريم بسورة الإنسان، وهي سورة مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون آية، وفاتحتها: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ .

جلَّت قدرة الله، وعظمت آلأوه على الإنسان، وكرمت في ظل رسالاته قيمة هذا الإنسان، خليفة الله في الأرض، وسليل آدم أبي البشر الذي استخلفه الله ﷻ في الأرض.

والله ﷻ أعلم بأمر خلقه، وأعظم حام لحقوق هذا الإنسان الذي خلقه، حقه في الحياة والحرية وحقه في الإخاء والمساواة، وحقه في إدارة شؤونه الخاصة كما يهديه عقله القويم، الملتزم بتعاليم السماء، وصدق القائلون: «لا حرية من دون التزام، ولاحق من دون واجب، ولا حياة من دون دين».



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية

(العدد ٤٨١) رمضان (١٤٢٦هـ) - نوفمبر (٢٠٠٥م).

(١)

الفقهاء يختلفون أحياناً كثيرة في الحكم الشرعي لأن لكل فقيه مصادره ولكل فقيه اجتهاداته وما أكثر ما اختلف الفقهاء في الأحكام الشرعية وهو اختلاف ينم عن سعة أفق، وغزارة مادة وتعدد مصادر ومحاولة جادة للوصول إلى هدف الشارع الحكيم ونحن أمام كتاب قيم للإمام الشيخ محمد عبد الحميد الأسمندي (المتوفى في العام ٥٥٢هـ- ١١٥٧م) وهو صادر عن مكتبة دار التراث في القاهرة في ٥٣٤ صفحة بتحقيق وتعليق العلامة الأستاذ الدكتور المرحوم محمد زكي عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ على عمله الجليل النافع، وعنوان الكتاب «طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمة الأسلاف».

أما المؤلف فهو الإمام الأسمندي (٤٨٨- ٥٥٢هـ) الحنفي. وقد ولد بسمرقند وتوفي ببخارى عن أربعة وستين عاماً ويعرف بالعلاء وكان عالم علماء الشرق، وله كتاب آخر عنوانه «أصول الفقه». وهو منسوب إلى قرية من قرى سمرقند اسمها أسمند. وهو من فحول الفقهاء أتباع أبي حنيفة وكان إماماً بارعاً من فرسان الكلام وقدم بغداد وجالس فقهاءها وناظر علماءها وكان بارعاً في العلوم كلها أصولها وفروعها مفرط الذكاء قليل النظير.

وأما المحقق فقد كان علماً من أعلام القانون والفقه وأصوله، وقد شغل مناصب قضائية عديدة كنائب رئيس محكمة النقض سابقاً وأستاذ للشريعة الإسلامية والقانون المدني في كليات الشريعة والقانون بالأزهر والجامعات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العربية، وتوفي في ٢٥/ ١/ ١٩٩٨ ومن مؤلفاته:

١- نظرية تحمل التبعة في الفقه الإسلامي- القاهرة ١٩٥٠.

٢- الحكم الشرعي والقاعدة القانونية- الكويت - ١٩٨٢.

٣- التصرفات والوقائع الشرعية- الكويت ١٩٨٢.

٤- الربا وأكل المال بالباطل- الكويت ١٩٨٢.

٥- تقنين الفقه الإسلامي - قطر ١٩٨٢.

٦- أحكام العقود الناقلة للملك - قطر ١٩٨٢م.

٧- أحكام المعاملات المالية في الفقه الحنفي- قطر ١٩٨٦.

٨- تحفة الفقهاء للسمرقندي (٥٣٩هـ) طبع دمشق ١٩٥٩م.

٩- ميزان الأصول في نتائج العقول - قطر ١٩٨٤م.

وغيرها العديد من البحوث والدراسات الجادة.

(٢)

والكتاب (طريقة الخلاف) محقق عن مخطوطة في مكتبة قولة بدار الكتب المصرية نسخت عام ٦٧٢هـ ومؤلفه يعرض العديد من المسائل في الفقه التي كانت محل خلاف بين الفقهاء في مختلف أبواب الفقه الإسلامي، وفي كل مسألة يعرض المسألة كما هو رأي الأحناف ثم يذكر رأي الشافعية فيها، وقد يعرض للخلاف بين الحنفية أنفسهم معللاً ومرجحاً مع بيان أدلة كل رأي وما يوجه إليه من اعتراض، والمحقق يجتهد في تحقيق النص مشيراً إلى المصادر ومخرجاً للأحاديث ومترجماً للأعلام.

ولقد بذل غاية الجهد في إخراج الكتاب إخراجاً علمياً رفيعاً في صبر وأناة، وصدر الكتاب بكلمة للمرحوم الشيخ علي الخفيف أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة كتبها مقدمةً لكتاب «تحفة الفقهاء» بتحقيق الدكتور الأستاذ محمد زكي عبد البر، والمقدمات التي مهد بها المحقق للكتاب مهمة ومفيدة وتقع في نحو ستين صفحة والكتاب في مجمله مقارنة بين فقه أبي حنيفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفقه الشافعي وقد تكون المقارنة بين أبي حنيفة وصاحبيه كما ذكرناه رحمهم الله جميعاً وأجزل لهم حسن الجزاء والثواب.

واختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية اجتهاد منهم في الحكم الشرعي وفي تفسير الدليل الشرعي من الكتاب والسنة ومراعاة المصالح ورفع الضرر، وعمل بالاستحسان عند من يجيزه.. وكل ذلك حرص على إيضاح الحكم الشرعي وتحليل له وتدليل عليه.

(٣)

ونعرض هنا بعض صور من الكتاب لتدل على منهج المؤلف فيه وطريقة المحقق في تحقيقه:

١- الزكاة واجبة في الحلي عند أبي حنيفة ولا تجب فيها عند الشافعي - يقول المحقق هنا: إن عدم وجوب الزكاة فيها عند الشافعي إذا كانت حلياً يحل لبسها كحلي النساء وخواتيم الفضة للرجال ونحوها فلا زكاة فيها في أحد القولين، وقال الشيرازي في «المهذب» فيه قولان أحدهما لا تجب فيه الزكاة والثاني تجب. واستخار الله فيه الشافعي واختاره، وفي «رؤوس المسائل للزمخشري» الزكاة تجب في الحلي عندنا (أي عند الحنفية) سواء كانت للرجال أم للنساء وعند الشافعي لا تجب إذا كانت للنساء، والمؤلف الأسمندي يعلل لوجوب الزكاة في الحلي بإفاضة، ويذكر أن وجوب الزكاة فيها معارض بقوله ﷺ: «لا زكاة في الحلي»، وبقول ابن عمر: «زكاة الحلي إعارتها». وعن الحديث يقول المؤلف: إنه غير ثابت ولئن ثبت فيحمل على اللآلئ والجواهر، والمحقق لا يترك كلمة بدون تعليق وفائدة وإشارة إلى المصادر (راجع ١٢- ١٤ من الكتاب).

٢- النية في الصوم عند الأحناف إذا صام رمضان بمطلق النية أو بنية النفل أجزأه. وعند الشافعية لا يجزئه لأن صوم الفرض والواجب لا يصح بدون نية الفرض والواجب، وأما التطوع فيصح بمطلق النية، والمؤلف يعرض لأدلة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأحناف في هذه المسألة ويقول: حكم الأحناف فيها معارض بقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»، والمحقق يجلي الموضوع في تعليقه مشيراً إلى المصادر المختلفة.

٣- الأب لا يملك إجبار البكر البالغة على الزواج ويملك إجبار الصغيرة سواء كانت بكراً أم ثيباً، وغير الأب والجد مثل الأخ والعم يملك تزويج الصغير والصغيرة ولهما الخيار إذا بلغا فيرفعان الأمر إلى القاضي حتى يفسخ القاضي عقد الزواج، وعند أبي يوسف يقع العقد لازماً. والمؤلف يفيض في شرح المسألة إفاضة بالغة، ويتابعه المحقق في الشرح والتدليل وذكر المصادر. ويستوفي المؤلف في هذا الموضوع كل الآراء والأدلة باستيعاب.

٤- قضاء القاضي في العقود بشهادة الزور ينفذ ظاهراً وباطناً عند الأحناف وعند غيرهم ينفذ ظاهراً لا باطناً والوجه فيه عند الحنفية أن القاضي قضى بأمر الشرع فينفذ قضاؤه ظاهراً وباطناً قياساً على الشهود الصادقين. ويقول المؤلف: لا نسلم بأن القاضي قضى بأمر الشرع فإن ذلك إذا كانت الشهادة صدقاً، أما إذا كانت الشهادة صدقاً عند القاضي وهي كذب في نفسها فهو غير مأمور بالقضاء، بل منهي عنه، لما فيه من تحليل الحرام وتحريم الحلال وإلحاق الضرر بالمسلمين..

وقد يقول معترض، إن صدق الشهود أمر باطن لا يمكن للقاضي الوقوف عليه فلو علقنا الأمر بالقضاء به لا يمكنه، فيؤدي إلى تعطيل المصالح، والجواب عن ذلك بأمرين: الأول: إنه إنما يؤدي إلى تعطيل القضاء إن لم يكن القاضي بنى قضاءه على العلم وإنه يمكنه أن يقول إذا كان الشهود صادقين قضيت بكذا.

والثاني إن لم يمكنه العلم بصدق الشهود يمكنه تحصيل الظن به.. الخ.

(٤)

والكتاب رائع حقاً، والحجاج حول الأحكام مفيد كل الفائدة. وهذا لون طريف من ألوان الحجاج الفقهي حول الأحكام الشرعية، ويدل على عقل فقهي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

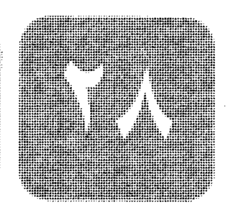
واسع الأفق عميق المادة غزير العلم.

وبعد: فإني لا أملك إلا أن أشيد بالكتاب وبمؤلفه إشادتي بالمحقق الجليل رحمه الله الذي أثرى الكتاب بما أضاف إليه من تعليقات ذات مادة غزيرة وعلم واسع وعقل قانوني بعيد الغور.. رحمه الله.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الشيخ د. محمد حسين الذهبي

❑ ترجمة الشيخ.

❑ المقالات:

١- الاتجاهات المنحرفة في التفسير للصوفية.

العدد (٧٦) ربيع الآخر (١٣٩٠هـ) - مايو (١٩٧١م).

٢- القرآن والعلم (١).

العدد (٨٨) ربيع الآخر (١٣٩٢م) - مايو (١٩٧٢م).

٣- القرآن والعلم (٢).

العدد (٨٩) جمادى الأولى (١٣٩٢هـ) - يونيو (١٩٧٢م)

٤- القرآن والعلم (٣).

العدد (٩٠) جمادى الآخرة (١٣٩٢هـ) - نوفمبر (١٩٧٢م)

٥- إعجاز القرآن الكريم.

العدد (٩٤) شوال (١٣٩٢هـ) - نوفمبر (١٩٧٢م).

٦- التعريف بالقرآن.

العدد (١٠١) جمادى الأولى (١٣٩٣هـ) - يونيو (١٩٧٣م)

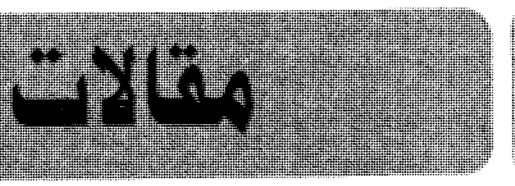
٧- جوانب الهداية والإرشاد في القرآن الكريم.

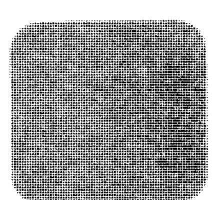
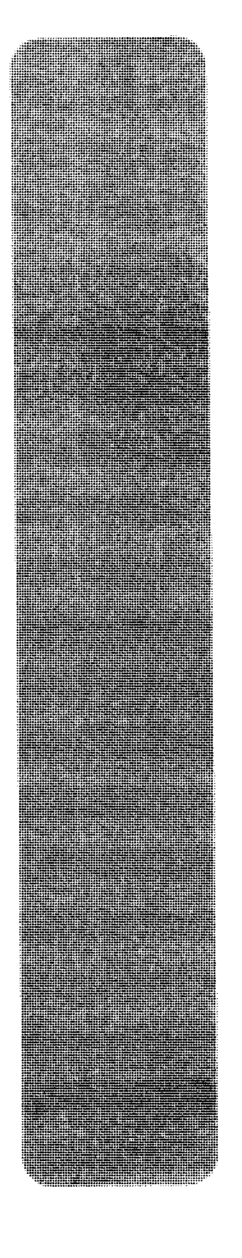
العدد(١٠٢)جمادى الآخرة (١٣٩٣هـ) - يونيو (١٩٧٣م).

٨- منهج القرآن في بيان الأحكام.

العدد (١٠٤) شعبان (١٣٩٣هـ) - أغسطس (١٩٧٣م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



٩- الجانب الأخلاقي في القرآن الكريم.

العدد (١٠٥) رمضان (١٣٩٣هـ) - سبتمبر (١٩٧٣م).

١٠ - مشكلة الدعوة والدعاة (١).

العدد (١٥٨) صفر (١٣٩٨هـ) - يناير (١٩٧٨م).

١١- مشكلة الدعوة والدعاة (٢).

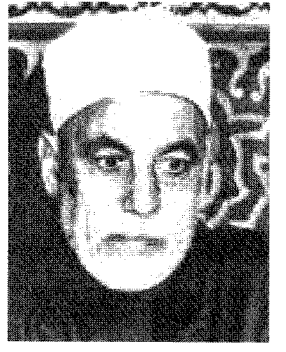
العدد (١٥٩) ربيع الأول (١٣٩٨هـ) - فبراير (١٩٧٨م).

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ الدكتور

محمد حسين الذهبي



● مولده ونشأته

ولد الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي في قرية مطوبس في محافظة كفر الشيخ عام ١٩١٥م. والتحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر وتخرج منها عام ١٩٣٩م.

حصل الذهبي على الماجستير ثم الدرجة العالمية (الدكتوراه)، بدرجة أستاذ في علوم القرآن عام ١٩٤٦ من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر وذلك عن رسالته «التفسير والمفسرون» التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسة في علم التفسير.

عمل الدكتور الذهبي أستاذاً في كلية الشريعة جامعة الأزهر وأُعير عام ١٩٦٨ إلى جامعة الكويت. بعد عودته عام ١٩٧١م عين أستاذاً في كلية أصول الدين ثم عميداً لها ثم أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية في الخامس عشر من أبريل عام ١٩٧٥م.

أصبح وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر وذلك حتى نوفمبر عام ١٩٧٦م.

● من أهم مؤلفاته

«التفسير والمفسرون، الوحي والقرآن الكريم، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، تفسير ابن عربي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، عناية المسلمين بالسنة، مدخل لعلوم الحديث والإسلام والديانات».

● وفاته

اغتيل الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي عام ١٩٧٧ من قبل جماعة التكفير والهجرة بعد اختطافهم له.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاتجاه المنحرف في التفسير للصوفية

العدد: (٧٦) ربيع الآخر (١٣٩٠هـ) - مايو (١٩٧١م)

وجد التصوف - بمعنى الزهد والتقشف والمبالغة في العبادة - منذ الصدر الأول للإسلام، ولم يعرف لفظ التصوف، ولم تطلق كلمة الصوفية على هؤلاء الزهاد إلا في منتصف القرن الثاني الهجري، وفي هذا القرن تولدت بعض الأبحاث الصوفية وظهرت تعاليم القوم ونظرياتهم التي تواضعوا عليها، وأخذت هذه الأبحاث والتعاليم تنمو وتتزايد كلما تقادم العهد عليها، وبمقدار ما يستفيده القوم ممن يتصلون بهم من الفلاسفة وغيرهم.

ولقد كان لبعض المتصوفة صلات قوية بالفلاسفة، واهتمام ظاهر بالنظريات الفلسفية، حتى وجدنا من بينهم رجالا أشبه بالفلاسفة منهم بالصوفية، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بنظريات فلسفية لا تتفق ومبادئ الشريعة، ومن هنا كان للمتصوفة في تصوفهم اتجاهان: اتجاه نظري يقوم على البحث والدراسة، واتجاه عملي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله.

وكان للمتصوفة - كغيرهم من طوائف المسلمين- دراسات في القرآن الكريم، وكان لهم في تفسيره مؤلفات حوتها المكتبة الإسلامية، بعضها قديم وبعضها حديث، وكانت دراسات المتصوفة للقرآن وشروحهم له عليها طابع التصوف، فظهر فيها بوضوح أثر التصوف النظري الذي ينبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك.

كما ظهر بوضوح- أيضا- أثر التصوف العملي الذي يرتكز على رياضة روحية، يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تتكشف له فيها من سجوف العبارات إشارات قدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب معارف سبحانية،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يشرح بها كتاب الله ﷻ .

وإذا ما ذهبنا نستعرض ما للقوم من تفسير صوفي نظري، وما لهم من تفسير إشاري فيضي، وجدنا في هذا وذاك اتجاها منحرفا عن النهج القويم لتفسير القرآن الحكيم، فالتفسير الصوفي النظري تفسير يخرج بالقرآن في الغالب عن هدفه الذي يرمي إليه . . يقصد القرآن هدفا معينا بنصوصه وآياته، ويقصد الصوفي هدفا معينا بأبحاثه ونظرياته، وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد، فيأبى الصوفي إلا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصده هو ويرمي إليه، وغرضه بهذا كله أن يروج لتصوفه على حساب القرآن، وأن يقيم نظرياته وآراءه على أساس من كتاب الله وبهذا الصنيع يكون الصوفي قد خدم فلسفته ونظرياته الصوفية، ولم يقدم للقرآن شيئا إلا هذا التأويل الذي كله شر على الدين وإلحاد في آيات الله.

رأينا ابن عربي يميل ببعض الآيات إلى ما يذهب إليه من القول بوحدة الوجود، ورأينا غيره كأبي يزيد البسطامي والحلاج ومن على شاكلتهما يسلك هذا المسلك نفسه أو قريبا منه، ووحدة الوجود عندهم معناها : أنه ليس هناك إلا وجود واحد، كل العالم مظاهر ومجال له، فالله سبحانه هو الموجود بحق وكل ما عداه ظواهر وأوهام، ولا توصف بالوجود إلا بضرب من التوسع والمجاز.

هذا المذهب خول لمثل الحلاج أن يقول: أنا الله، ولمثل ابن عربي أن يقول: إن عجل بني إسرائيل أحد المظاهر التي اتخذها الله وحل فيها، والذي جره فيما بعد إلى القول بوحدة الأديان، وأنه لا فرق بين سماوي وغير سماوي، إذ الكل يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع المعبودات.

ولقد وجدنا لابن عربي في الفتوحات المكية، وفي فصوص الحكم، وفي كتاب التفسير المنسوب له أقوالا في التفسير بناها على نظرياته في وحدة الوجود، فمن ذلك أنه فسر قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣)، فقال ما نصه: «فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الأمر، ونحن نحمله على الحكم كشفا وهو الصحيح، فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء إلا لتقربهم إلى الله زلفى، فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بصورة من استنابهم، وما ثم صورة إلا الألوهية فنسبوها إليهم، ولهذا يقضي الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غيرة منه على المقام أن يهتضم، وإن أخطأوا في النسبة فما أخطأوا في المقام..» من الفتوحات جـ٣ ص ١١٧ .

ولما فسر قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ ...(البقرة: ١٦٣)، قال ما نصه: «...إن الله تعالى خاطب في هذه الآية المسلمين.. والذين عبدوا غير الله قربة إلى الله فما عبدوا إلا الله، فلما قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فـأكدوا ذكر العلة، فقال الله لنا: إن إلهكم والإله الذي يطلب المشرك القربة إليه بعبادة هذا الذي أشرك به واحد، كأنكم ما اختلفتم في أحديته...» في الفتوحات جـ ٤ص ١٦٠ وما بعدها.

ولما فسر قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ (المزمل: ٨-٩) قال ما نصه: «واذكر اسم ربك الذي هو أنت، أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينسك الله، واجتهد لتحصيل كمالها، بعد معرفة حقيقتها ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي الذي ظهر عليك نوره فطلع من أفق وجودك بإيجادك، والمغرب: الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب بك» من تفسير ابن عربي جـ٢ ص٣٥٢.

ومن التفسير الذي تأثر فيه ابن عربي بنظريات الفلاسفة، ولكنه لا يبلغ في انحرافه مبلغ ما سبق، تفسيره لقوله تعالى في سورة مريم، في شأن إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ (مريم: ٥٧) وذلك حيث يقول: «وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك، وهو فلك الشمس، وفيه مقام روحانية إدريس، وتحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك، وهو الخامس عشر...» ثم ذكر الأفلاك التي تحت فلك الشمس والتي فوقه، ثم قال: «وأما علو المكانة فهو لنا أعني المحمديين كما قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥)، من الفصوص جـ١ص ٢٦ .

ومن ذلك أيضا تفسيره لقوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ (الرحمن: ١٩-٢٠)، حيث يقول: مرج البحرين، بحر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الهيولي الجسمانية الذي هو الملح الأجاج، وبحر الروح الذي هو العذب الفرات «يلتقيان» في الوجود الإنساني «بينهما برزخ» هو النفس الحيوانية التي ليست في صفاء الروح المجردة ولطافتها، ولا في كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها «لا يبغيان» لا يتجاوز أحدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته، فلا الروح يجرد البدن ويخرج به ويجعله في جنسه، ولا البدن يجسد الروح ويجعله ماديا.

سبحان خالق الخلق القادر على ما يشاء. من تفسير ابن عربي جـ٢ ص ٢٨٠.

وليس من شك في أن التفسير الذي أقامه ابن عربي على نظرية وحدة الوجود لا يقبل بحال من الأحوال، لأنه هدم الدين من أساسه كما أن التفسير الذي أقامه على نظريات الفلسفة في الطبيعة وما وراء الطبيعة لا يقبل على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذي جاء القرآن من أجله.

هذه كلمة الحق أقولها في الاتجاه النظري للتفسير الصوفي.

أما الاتجاه الإشاري أو الفيضي، فللقوم فيه جولات وشطحات، وإذا ما بحثنا عن مستند لهذا الاتجاه في التفسير، وجدنا مستندهم الأول والأهم ما ينسب إلى رسول اللهﷺ من أن القرآن له ظهر وبطن.

وعلماء الرسوم- في زعم القوم- يفهمون الظاهر فقط، أما الباطن فلا يدركه إلا من صفت نفسه، وتعلق بالله قلبه، حتى أصبح يدرك بعين اليقين ما لا يدركه أهل الرسوم بعلم اليقين.

ولا نريد أن نناقش القوم في صحة ما ينسب إلى رسول الله ﷺ من أن القرآن له ظهر وبطن، ولكن نناقشهم في معنى الظهر والبطن، فهل الظهر ما يظهر من معنى النص القرآني بادي الرأي، والبطن ألغاز وأحاجي ومعميات لا يفهمها إلا هم؟ لا فالقرآن فوق هذا، لأن الله يقول في شأنه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ (القمر: ١٧)، ويقول: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، ويقول: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾... (البقرة: ٩٩).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والذي أدين الله عليه أن ظاهر القرآن- وهو المنزل بلسان عربي مبين- هو المفهوم العربي المجرد، وباطنه هو مراد الله تعالى، وغرضه الذي يقصد إليه من وراء الألفاظ والتراكيب، وعلى ذلك نقول: إن كل ما كان من المعاني العربية التي لا ينبني فهم القرآن إلا عليها داخل تحت الظاهر، وإذن لا يشترط في ظاهر القرآن الكريم زيادة على الجريان على اللسان العربي، وكل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي ليس من تفسير القرآن في شيء لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعى غير ذلك فهو مبطل في دعواه، أما المعنى الباطن، فلا يكفي فيه الجريان على اللسان العربي وحده بل لابد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآني.. ولهذا اشترط العلماء لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين:

أولهما أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب بحيث يجري على المقاصد العربية.

وثانيهما أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

أما الشرط الأول، فظاهر من قاعدة كون القرآن عربيا، فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب، لم يوصف بكونه عربيا بإطلاق، ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن وليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه، وما كان كذلك، فلا يصح أن ينسب إليه أصلا، إذ ليست نسبته إليه على أنه مدلوله أولى من نسبة ضده إليه، ولا مرجح يدل على أحدهما، فإثبات أحدهما تحكم وتقول على القرآن ظاهر، وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم .

وأما الشرط الثاني، فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر، أو كان وله معارض، صار من جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن، والدعوة المجردة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء. الموافقات للشاطبي جـ ٣ ص ٣٩٤ .

إذا عرفنا هذا كله، ثم ذهبنا نستعرض على ضوئه أقوال القوم في معاني القرآن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الباطنة، وجدنا كثيرا منها من قبيل الباطن الصحيح، ووجدنا كثيرا منها أيضا من قبيل الباطن الفاسد المرفوض.

فمن الأفهام الباطنية المنقولة عنهم في التفسير، ويمكن أن تكون من قبيل الباطن الصحيح المقبول ما قاله سهل التستري في تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢)، قال رَحِمَهُ اللَّهُ «فلا تجعلوا لله أندادا» أي أضدادا، فأكبر الأضداد النفس الأمارة بالسوء، المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله» (من تفسير القرآن العظيم للتستري ص ١٤).

فهذا القول من سهل يشير إلى أن النفس الأمارة بالسوء داخلة تحت عموم الأنداد، حتى لو فصل لكان المعنى فلا تجعلوا لله أندادا، لا صنما، ولا شيطانا، ولا النفس، ولا كذا، ولا كذا... وهذا مشكل من حيث الظاهر، لأن سياق الآية وما يحف بها من قرائن، يدل على أن الأنداد مراد بها كل ما يعبد من دون الله، سواء أكان صنما أم غير صنم، أما الأنفس فلم تكن معبودة لهم، ولم يعرف أنهم اتخذوها أربابا من دون الله، ومع هذا فيمكن أن يكون لهذا التفسير وجه صحيح، وبيان ذلك أن الناظر في القرآن الكريم قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار، فيجريه فيما لم تنزل فيه الآية، لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه، وسهل التستري-رحمه الله- حين قال في الآية ما قال لم يرد أنه تفسير للآية، بل أتى بما هو ند في الاعتبار الشرعي، وذلك لأن حقيقة الند أنه المضاد لنده، الجاري على مناقضته، والنفس الأمارة هذا شأنها، لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها، لاهية أو صادة عن مراعاة حقوق خالقها، وهذا هو الذي يعني به الند بالنسبة لنده، لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه، وعلى هذا فلا غبار على قول سهل في الآية، بل وهناك ما يشهد له من الجهتين، جهة حمل الأنداد على الأنفس الأمارة اعتبارا، وجهة كون الخطاب- وإن كان موجها للمشركين- فيه لأهل الإسلام نظر واعتبار.

أما ما يشهد له من الجهة الأولى فقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)، وظاهر أنهم لم يعبدوهم من دون الله،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكنهم ائتمروا بأوامرهم، وانتهوا عما نهوهم عنه كيف كان، فما حرموا عليهم حرموه، وما أباحوا لهم حللوه، وفاتهم أن المحلل والمحرم هو الله، فقال الله سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهذا بعينه هو شأن المتبع لهوى نفسه.

وأما ما يشهد له من الجهة الثانية فهو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض من توسع في الدنيا من أهل الإيمان: أين تذهب بكم هذه الآية؟ ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ (الأحقاف: ٢٠) وكان هو يعتبر نفسه بها، مع أن الآية نزلت في حق الكفار لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾، فعمر رضي الله عنه له في الآية نظر واعتبار، فأخذ من معناها معنى أجرى الآية فيه وإن لم تنزل فيه، حذرا منه وخوفا أن يكون التوسع في المباحات سببا في الحرمان من نعيم الآخرة ومتاعها، فإذا صح لعمر رضي الله عنه أن ينزل الآية على المتوسعين في المباحات من المؤمنين ولم تنزل فيهم، صح لسهل أيضا أن ينزل الآية على النفس الامارة وإن لم تنزل فيها. كذلك مثل هذا التفسير الذي قاله سهل التستري- وهو كثير في تفاسير الصوفية- لا نعدم له وجها نحمله عليه حتى يكون تفسيرا صحيحا مقبولا، ولكن هناك أقوال لبعض الصوفية في التفسير الإشارى يقف أمامها العقل حائرا وعاجزا عن تلمس محمل لها تحمل عليه حتى تبدو صحيحة وتصبح مقبولة.

فمن ذلك -وهو كثير- ما ذكره أبو عبدالرحمن السلمي في تفسيره ﴿الٓمٓ ①﴾ فاتحة البقرة، قال: «﴿الٓمٓ﴾: قيل إن الألف ألف الوحدانية، واللام لام اللطف، والميم ميم الملك، معناه من وجدني على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض تلطفت له، فأخرجته من رق العبودية إلى الملأ الأعلى، وهو الاتصال بمالك الملك، دون الاشتغال بشيء من الملك، وقيل: ﴿الٓمٓ﴾: معنى الألف أي أفرد سرك، واللام ليت جوارحك لعبادتي، والميم: أقم معي بمحو رسومك وصفاتك أزينك بصفات الأنس بي والمشاهدة إياي والقرب مني..» من حقائق التفسير للسلمي ص ٩.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولاشك أن مثل هذا التفسير الذي ذكره أبوعبدالرحمن السلمي، تفسير مشكل، وأعظم منه إشكالا ما زعمه بعض القوم من أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور ترمز إلى أسرار غيبية مكنية، بل ويدعون أحيانا أن هذه الحروف هي أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة، وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله تعالى في خطابه العرب الأمية التي لا تعرف شيئا عن ذلك، وهذه كلها دعاوى يدعونها على القرآن، ولا أحسب أنهم استندوا فيها إلى دليل مقنع، وكل ما أقوله فيها أنها دعاوى محالة على الكشف والاطلاع على ما وراء حجب الغيب، ودعوى الكشف والاطلاع لا تصلح أن تكون دليلا شرعيا بحال من الأحوال.

وأعجب العجب أن رجالا دخلوا في التصوف وهم من غير أهله، وتظاهروا بالورع والطاعة، وتحلوا بالزهد الكاذب والورع المصطنع، وكان لهؤلاء- على فرط جهلهم- محاولات في التفسير لا يقبلها عقل ولا يقرها شرع، ولا يمكن بأية حال أن يتحملها النص القرآني الكريم.

فمن ذلك الهراء ما نقله السيوطي في الإتقان ج٢ ص١٨٤عن بعض جهلة المتصوفة أنه فسر قوله تعالى في سورة البقرة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، فقال: معناه «من ذل» من الذل «ذي» إشارة إلى النفس، «يشف» من الشفاء «ع» من الوعي.

ومن ذلك أيضا ما نقل عن بعضهم أنه فسر قوله تعالى في الآية (٦٩) من سورة العنكبوت ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فجعل «لمع» فعلا ماضيا بمعنى أضاء، و«المحسنين» مفعوله. (مبادئ التفسير للخضري).

ولا شك أن هذا التفسير وأمثاله إلحاد في آيات الله، وقائلوه محرفون للكلم عن مواضعه، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن والعلم (١)

العدد (٨٨) ربيع الآخر (١٣٩٢هـ) - مايو (١٩٧٢م).

فضل العلم قضية لا تحتاج إلى برهان يؤيدها، وأقدار العلماء ومكانتهم العالية حقيقة لا ينكرها إلا من أنكر عقله وسفه نفسه!!!.

والقرآن الكريم - في كثير من آياته - يشيد بفضل العلم، ويرفع من أقدار العلماء، وهو إذ يفعل ذلك لا يقصد إثبات حقيقة تحتاج إلى إثبات، ولكنه يهدف إلى أن ينبه القلوب الغافلة والعقول اللاهية إلى قدسية العلم وسمو العلماء، لعلها تتحرر من جهلها، فتنخرط في موكب العلم، وتمضي في ركاب العلماء لا تلوي على جهالة.

ولقد تكون أبلغ قارعة تقرع قلوب الغافلين وعقول اللاهين، تلك الآيات البينات التي تقرر: أن العلم صفة من صفات الكمال التي يتصف بها الله سبحانه، ويجب أن نقدسه عن الاتصاف بضدها:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ (الرعد: ٩).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣٨).

﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ (طه: ٩٨).

ولقد يكون أبلغ شاهد بعد هذه الآيات على فضل العلم، ومكانة العلماء، تلك الآيات القرآنية التي وردت في حق الأنبياء عليهم السلام.

تثبت لهم صفة العلم، وتقرر- في صراحة ووضوح- أنها من نعم الله التي أنعم بها عليهم:

يقول سبحانه في أول ما نزل من القرآن على نبيه محمد ﷺ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق: ١-٥).

ويقول ممتنا عليه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

ويقول مخاطباً عيسى عليه السلام وممتنا عليه ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ (المائدة: ١١٠).

ويقول في شأن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ﴾ (النمل: ١٥).

ويقول عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ (يوسف: ٢٢).

ويقول في شأن لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: ٧٤).

ويقول عن آدم عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١).

ثم نجد القرآن الكريم- بعد ذلك - ينكر على من يسوي بين العلماء وغير العلماء فيقول في أسلوب تهكمي ساخر: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ (الزمر: ٩).

ثم هو بعد يقرر هذه الحقيقة: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ (المجادلة: ١١)، ولعل الله جمع بين الإيمان والعلم هنا، وجعلهما السبب في علو المكانة والمنزلة عنده، لأن الإيمان لا يقوم ولا يقوى إلا على أساس العلم بالله، والعلم بكل ما جاء منه، وصدر عنه:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

نعم، في كل شيء له آية تدل على وجوده، ووحدانيته، وقدرته، وربوبيته.. وكل صفات الكمال له، ولكنها آيات لا يعقلها إلا العالمون. أما الجاهلون: ففي غفلة وإعراض عن هذا كله، كما يقول سبحانه وتعالى عنهم:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (يوسف: ١٠٥).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● القرآن يدعو إلى العلم والمعرفة

ولأن الله - سبحانه- يعلم أن من الناس ناساً قلوبهم غافلة عما في الكون من حقائق، وعقولهم لاهية عما تنطوي عليه هذه الحقائق من علوم ومعارف، وأنهم بتعطيلهم لقلوبهم وعقولهم عن النظر في ملكوت السماوات والأرض، واستنباط ما أودع الله فيها من علوم وأسرار، قد أهدروا إنسانيتهم وانحطوا بها إلى مستوى الحيوان الأعجم الذي لا عقل له ولا إدراك.. ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

لأن الله يعلم أن من الناس ناساً هذا شأنهم، ساق في محكم كتابه آيات تهيب بأصحاب هذه القلوب اللاهية: أن يفتحوا قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه من آيات، ليستخلصوا من أسرارها وعلومها التي تأخذ بيدهم إلى ما فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة، فقال لهم في صرامة الآمر واستنكار اللائم:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (يونس: ١٠١).

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (الأنعام: ٩٩).

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر: ٢٧-٢٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

انظر إلى هذه الآيات ونحوها مما ورد في القرآن الكريم، فسوف ترى أنها تدعو بإصرار وإلحاح إلى إعمال العقل والفكر في آيات الله التي بثها في الآفاق والأنفس، لنأخذ منها الدليل على وجود الله وقدرته، ثم لنستخلص منها- بعد ذلك- ما تحويه وتشير إليه من علوم ومعارف، تنفع البشرية وتسعدها في حياتها الدنيا التي لا تقوم إلا على العلم والمعرفة.

وتأمل قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ تجد أنه يقرر- في صراحة ووضوح - أن للعلم دخلاً كبيراً في معرفة عظمة الخالق عن طريق ما يهدي إليه من المعرفة بعظمة المخلوق الذي أودع الله فيه من الأسرار ما يجعل العالم الباحث المنقب يؤمن- عن مشاهدة ويقين- بأن الله هو الخلاق ذو القوة المتين، فيتصاغر علمه أمام علم الله، وتتضاءل معرفته أمام معرفة الله، ويتبدد كبرياؤه وغروره أمام عظمة رب الكون.. رب العالمين!!.

ومن هنا كانت قلوب الجاهلين مغلقة لا تنفتح على حق، ولا تتقبل حقيقة: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (الروم: ٥٩).

وكانت قلوب العالمين مفتوحة على الحق، تهتدي إليه، وتؤمن به على طمأنينة ويقين: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (العنكبوت: ٤٣).

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ (آل عمران: ٧).

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ١٨).

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ (الحج: ٥٤).

والقرآن الكريم - حين يدعونا إلى العلم والمعرفة التي أودعها الله في الإنسان، يقول عز من قائل:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء: ٣٦) وتأمل قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ بعد قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾ تجد أن الله سبحانه- ينبه إلى

أن أدوات المعرفة ووسائلها عند الإنسان هي: سمعه، وبصره، وفؤاده، فمن تلقف الوقائع، وتقبل الأخبار، وانتهى إلى النتائج بدون أن يتحراها ويتأكد صدقها وصحتها بكل وسائل المعرفة التي أودع الله فيه فقد عطل ما ميزه الله به عن غيره من الحيوان، وسوف يسأله الله يوم القيامة عما ضيع من نعمة الله التي فضله بها، وأوجب عليه شكرها بقوله:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (النحل: ٧٨).

وتأمل بعد ذلك- قوله سبحانه في شأن من ضلوا طريق الحق وأعرضوا عن سواء السبيل:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (النجم: ٢٨)

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾ (النجم: ٢٣).

تأمل هاتين الآيتين تجد أن الله ما نعى على هؤلاء الضالين ضلالهم إلا لأنهم ساروا وراء ظنونهم وأهوائهم.. والظن سراب. والهوى مهلكة!!

والقرآن الكريم يكره لنا -كل الكراهية- أن نكون مقلدين لا مبتكرين متعقلين:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (البقرة: ١٧٠).

ولا يرضى القرآن للباحث عن الحقيقة - أيا كانت - أن يبحث عنها في جو من الفوضى التي تحول دون رؤيتها، وتعوق عن الوصول إليها. وإنما يرضى لنا ويطلب منا: أن نوفر للبحث العلمي الموصل للمعرفة بها جوا هادئاً يبعث على التأمل والتدبر في روية وحكمة، يقول سبحانه مخاطباً نبيه ليوجه المكابرين المعاندين من أمته:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ﴾ (سبأ: ٤٦).

يقول العلامة الزمخشري في تفسيره لهذه الآية:

«والمعنى: إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم، وهي: أن تقوموا لوجه الله خالصاً، متفرقين. اثنين اثنين، وواحداً واحداً، ثم تتفكروا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في أمر محمد ﷺ وما جاء به، أما الاثنان: فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين، لا يميل بهما اتباع هوى، ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه. وكذلك الفرد: يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء وجاري أحوالهم. والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى: أن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمي البصائر، ويمنع من الرؤية، ويخلط القول، ومع ذلك يقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب، ولا يسمع إلا نصرة المذهب»[1].

ويقرر القرآن الكريم- في وضوح تام- أن الهداة والدعاة والقادة من أصحاب الرسالات الدينية، أو المذاهب السياسية، أو غيرها، لابد أن يكونوا على جانب كبير من العلم والمعرفة، حتى تتأكد زعامتهم وتلزم طاعتهم، ولا يرضى القرآن لإنسان يحترم إنسانيته أن ينقاد لمن لا علم عنده، ولا أن يكون منه بمنزلة التابع من المتبوع، فإن من حرم العلم حرم الخير كله، ومن لم يتحل بالمعرفة لا يصح أن يكون قدوة، يقول الله سبحانه – على لسان إبراهيم عليه السلام مخاطباً أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣﴾ (مريم: ٤٣).

ويقول مخاطباً موسى وهرون عليهما السلام: ﴿فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٩)، ويقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨﴾ (الجاثية: ١٨).

والقرآن الكريم لا يرى للعلم حدا يقف الإنسان عنده، وإنما يرى العلم بحراً لا ساحل له، ويطلب منا أن نتزود منه ونزداد يوماً بعد يوم دون أن نقف عند غاية، ولهذا يقول الله - سبحانه- لرسوله محمد ﷺ وهو الأسوة والقدوة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ (طه: ١١٤).

ولا يرى القرآن غضاضة في أن يتلقى الفاضل عمن دونه في الفضل ما لديه من

(١) تفسير الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٥٦٥ - ٥٦٦- ط: الحلبي سنة ١٩٤٨م.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

علم يجهله ولو كان ذلك لا يتم إلا إذا كان منه بمنزلة التابع من المتبوع. يحل حيثما حل، ويرتحل حيثما ارتحل، وفي ذلك يقص علينا القرآن الكريم قصة موسى مع الخضر عليهما السلام:

﴿فَٱرْتَدَّا﴾ (يعني موسى وفتاه) ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ إلى آخر القصة[1] (الكهف: ٦٤- ٨٢) وتأمل قوله سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

تجد أن القرآن الكريم لا يرضى بالتسرع في طلب العلم، ولا بعدم التريث في تحمله وتلقيه، لأن ذلك قد يفوت الكثير على طالب العلم والمعرفة، ومن أجل هذا يقول سبحانه لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه: ١١٤).

ويقول له أيضاً: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ (القيامة: ١٦- ١٩).



---

(١) انظر ما كتبه المفسرون على هذه الآيات، وانظر صحيح البخاري وشروحه في كتاب العلم.
قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ ما نصه:
«في هذه الآية دليل على أن المتعلم متبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله، فالخضر إن كان ولياً فموسى أفضل منه لأنه نبي، والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبياً فموسى فضله بالرسالة» جـ ١١ ص ١٧ ط: دار الكتب المصرية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن والعلم (٢)

آراء الغلاة والمتطرفين

(العدد ٨٩) جمادى الأولى (١٣٩٢هـ) - يونيو (١٩٧٢م).

● آراء الغلات والمتطرفين

تتبع العلامة المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري آيات القرآن الكريم فلاحظ: أن الآيات التي تتعلق بالعلوم الكونية سبعمائة وخمسون آية صريحة، وأن الآيات التي تتعلق بالفقه الإسلامي لا تزيد عن مائة وخمسين آية صريحة.. وانطلق من خلال هذه النتيجة يبدي الأسف والعجب لكثرة ما ألفه علماء المسلمين في الفقه، وقلة ما ألفوه في علوم الكائنات، وكان الأولى بهم أن يبرعوا أكثر وأكثر في علوم الكائنات التي أعطاها الله حظاً أوفر من كتابه[1] ولسنا ننكر على الشيخ طنطاوي - إذا تغاضينا عن منحاه في التفسير العلمي للقرآن - ما أبداه من أسف وعجب، فمبلغ علمنا وتعليلنا لزيادة الآيات المتعلقة بالعلوم الكونية على الآيات المتعلقة بالعلوم الفقهية، تجعله على حق فيما ذهب إليه، ذلك لأن العلوم الكونية لها تعلق قوي بالعقيدة الإسلامية، فالنظر فيها طريق إلى معرفة الله، وكلما ازداد الإنسان علماً بأسرار الكون ازداد علماً بخالقه ومكونه، هذا علاوة على ما يترتب على العلم بالكون وأسراره من تقدم، ورقي، وازدهار مادي، لا يقل في نظر الدين عن الجانب الديني أو الروحي، أما العلوم الفقهية أو علوم التشريع. فهي- على أهميتها- تأتي في المرتبة الثانية بعد العقيدة، فالعقيدة أساس تقوم عليه الشريعة، ولا يمكن أن يكون لها كيان بدونه.

والحقيقة التي لا يماري فيها أحد: أن القرآن الكريم حوى من علوم الدين

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري ص ٢٥ ص ٥٣ - ط: الحلبي سنة ١٣٤٠- ١٣٥٠هـ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والدنيا ما فيه خير البشرية وسعادتها في الدنيا والآخرة.

ولكن هذه الحقيقة تنازعها فريقان من المسلمين على مدى تاريخ القرآن الطويل: فريق غالى وبالغ، فقال: إن القرآن حوى كل علوم الدنيا والدين، ما كان منها وما يكون إلى يوم القيامة.

وفريق اعتدل والتزم أمراً وسطاً فقال: إن القرآن حوى الكثير من علوم الدنيا والدين، بعضها صريح، وبعضها بتلميح، ونبه إلى أن الكون مليء بعلوم كثيرة حث على استنباطها من خلال كتاب الكون المفتوح أمام أبصارنا وبصائرنا، لتفتح لنا الطريق إلى الله، ثم إلى حياة زاهرة، آمنة، مستقرة.

ولقد كان من أبرز العلماء القدامى الذين تبنوا القول الأول وجهروا به وروجوا له في الأوساط العلمية حجة الإسلام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، فقد نقل في كتابه «إحياء علوم الدين»[١] عن بعض العلماء: «أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظهر، وبطن، وحد، ومطلع».

ثم يروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن». ثم يقول بعد ذلك كله: «وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله ﷻ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها»... ثم يزيد على ذلك فيقول: «بل كل ما أشكل فهمه على النظر، واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، في القرآن إليه رموز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بدركها».

ثم يمضي الغزالي- في كتابه «جواهر القرآن» الذي ألفه فيما يبدو بعد كتابه الإحياء- فيقرر هذا الرأي الذي قرره في الإحياء، ويزيده بياناً وتفصيلاً، وذلك حيث يعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن، يذكر علم الطب، والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان، وتشريح أعضائه، وعلم السحر وعلم الطلسمات.. وغير ذلك ثم يقول: «ووراء ما عددته علوم أخرى

(١) جـ ٣ ص ١٣٥- ط لجنة نشر الثقافة الإسلامية.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يعلم تراجمها، ولا يخلو العالم عمن يعرفها، ولا حاجة إلى ذكرها، بل أقول: ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يتمارى فيها: أن في الإمكان والقوة أصنافاً من العلوم بعد لم تخرج من الوجود، وإن كان في قوة الآدمي الوصول إليها، وعلوم كانت قد خرجت من الوجود واندرست الآن.. وعلوم أخرى ليس في قوة البشر إدراكها والإحاطة بها، ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعددها - ليست أوائلها خارجة من القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا: أنه بحر لا ساحل له، وأن البحر لو كان مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد:

فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال - مثلاً - الشفاء والمرض كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ (الشعراء: ٨٠)، وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه.

ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان، وقد قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾(الرحمن: ٥) وقال: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥) وقال: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾(القيامة: ٨-٩) وقال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ وقال: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ (يس: ٣٨) ولا يعرف حقيقة سير الشمس بحسبان، وخسوفها، وولوج الليل في النهار، وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض، وهو علم برأسه.

ولا يعرف كمال معنى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ (الانفطار: ٦- ٨) إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددها، وأنواعها، وحكمتها، ومنافعها، وقد أشار في القرآن - في مواضع - إليها، وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكذلك لا يعرف معنى قوله: ﴿سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر: ٢٩) ما لم يعلم التسوية، والنفخ، والروح، ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق، وربما لا يفهمونها إن سمعوها من العالم بها، ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال، ولا تمكن الإشارة إلا إلى مجامعها.. فتفكر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين»[١].

ثم يأتي جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، ويقرر في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» وفي كتابه «الإكليل في استنباط التنزيل» ما قرره الغزالي: من أن القرآن قد حوى كل علوم الأولين والآخرين، ويسوق من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)، وقوله ﷺ في شأن القرآن - كما في سنن الترمذي - «فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم»، وقول ابن مسعود رضي الله عنه - كما أخرجه ابن أبي حاتم- «أنزل في القرآن كل علم، وبين لنا فيه كل شيء، لكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن»[٢].

ثم يذكر السيوطي عن أبي الفضل المرسي: أنه قال في تفسيره «جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله ﷺ - خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى - ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، حتى قال: «لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه».

ثم تكلم عن العلوم التي تفرعت عن القرآن، فذكر: علم القراءات، وعلم النحو، وعلم التفسير، وعلم الأصول، وعلم الفقه، وعلم القصص والتاريخ،

---

(١) جواهر القرآن ص ٣٢ - ٣٤ ط: كروستان العلمية سنة ١٢٢٩ .

(٢) الإكليل ص٢، والإتقان جـ ٢ ص ١٢٦.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعلم تأويل الرأي، وعلم الفرائض، وعلم البلاغة... ثم قال: «هذه الفنون أخذتها الملة الإسلامية منه (يعني القرآن) وقد احتوى على علوم أخر من علوم الأوائل، مثل الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر والمقابلة، والنجامة، وغير ذلك من العلوم».

«أما الطب: فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة، وقد جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧).

«وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله، وحدوث الشفاء بعد اعتلاله في قوله تعالى: ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾(النحل: ٦٩).، ثم زاد على طب الأجسام بطب القلوب: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس: ٥٧).

«وأما الهيئة: ففي تضاعيف سورة من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات».

«وأما الهندسة. ففي قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ (المرسلات: ٣٠ -٣١) فإن فيه قاعدة هندسية وهي: أن الشكل المثلث لا ظل له».

«وأما الجدل: فقد حوت آياته من البراهين، والمقدمات، والنتائج، والقول بالموجب، والمعارضة، وغير ذلك شيئاً كثيراً، ومناظرة إبراهيم نمرود، ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم».

«وأما الجبر والمقابلة: فقد قيل: إن أوائل السور فيها ذكر مدد، وأعوام، وأيام التواريخ لأمم سالفة، وأن فيها بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة أيام الدنيا، وما مضى، وما بقى، مضروب بعضها في بعض».

«وأما النجامة: ففي قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ فقد فسره بذلك ابن عباس».

«وفيه أصول الصنائع، وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها، كالخياطة، في قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ (الأعراف: ٢٢) والحدادة: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(الكهف: ٨٦) والبناء: في آيات، والنجارة: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (هود: ٣٧) والغزل: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ (النحل: ٩٢) - والنسيج: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ (العنكبوت: ٤١). والفلاحة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (الواقعة: ٦٣) الآيات. والصيد. في آيات. والغوص. ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ (ص: ٣٧) ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً﴾ (النحل: ١٤).

والصياغة: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ (الأعراف: ١٤٨) والزجاجة: ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ (النمل: ٤٤) ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ (النور: ٣٥). والفخارة: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ (القصص: ٣٨) والملاحة: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ (الكهف: ٧٩) الآية والكتابة ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ (العلق: ٤) وفي آيات أخر والخبز: ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا﴾ (يوسف: ٣٦) والطبخ: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (هود: ٦٩) والقصارة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ (المدثر: ٤) ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ (ال عمران: ٥٢) وهم القصارون والجزارة ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ (المائدة: ٣) والبيع والشراء: في آيات. والصبغ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٣٨) ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ (فاطر: ٢٧) والحجارة: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ (الشعراء: ١٤٩) والكيالة والوزن: في آيات كثيرة. والرمي: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ (الأنفال: ١٧)، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).

«وفيه من أسماء الآلات، وضروب المأكولات، والمشروبات، والمنكوحات، وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ . قال السيوطي- انتهى كلام المرسي ملخصاً مع زيادات»[1] . . وأخيراً عقب السيوطي على هذا بقوله: «وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء: أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى و و. . إلى غير ذلك مما يحتاج إلى مجلدات».

(١) الإكليل ص ٢- ٥، والاتقان جـ ٢ ص ١٢٦- ١٢٨ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم يأتي من المُحْدَثِين من يقول بما قال به الغزالي والسيوطي، وأبو الفضل المرسي، مع مزيد من المبالغة والتكلف وعلى رأس هؤلاء المحدثين المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري، فقد حمل كتاب الله كل علوم الدنيا والدين في كتابه «الجواهر في تفسير القرآن الكريم».

ولو أننا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم في هذا العصر الحديث وفي وقتنا الحاضر بالذات لوجدنا لأصحاب هذا المنزع العلمي في فهم القرآن الكريم وتفسيره بحوثاً كلها تعسف وتكلف، ولوجدنا لهم في ذلك مؤلفات كثيرة تحمل بعض النصوص القرآنية ما لا تحتمل من نظريات علمية مستحدثة!!

ونستعرض بعض هذه الكتب فنرى فيها عجباً:

في كتاب «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» للمرحوم الشيخ طنطاوي جوهري، عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ الآيات ٦٧ وما بعدها إلى آخر القصة نراه يقول ما نصه:

«وأما علم تحضير الأرواح، فإن من هذه الآيات استخراجه. إن هذه الآيات تتلى، والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم الأرواح بأمريكا أولاً، ثم بأوروبا ثانياً» ثم يذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم، وكيفية انتشاره، ومدى فائدته، ثم يقول:

«ولما كانت السورة التي نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزير بعد موته، وكذلك حماره ومسألة الطير، وإبراهيم الخليل، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الطاعون فماتوا ثم أحياهم. وعلم الله أننا نعجز عن ذلك، فجعل قبل ذكر تلك الثلاثة في السورة ما يرمز إلى استحضار الأرواح في مسألة البقرة، كأنه يقول: إذا قرأتم ما جاء عن بني إسرائيل في إحياء الموت في هذه السورة عند أواخرها فلا تيأسوا من ذلك فإني قد بدأت بذكر استحضار الأرواح فاستحضروها بطرقها المعروفة، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»(١).

وفي كتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» للمرحوم السيد عبد الرحمن

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكواكبي، نراه يقول في ص ٢٣- ٢٥ ما نصه:

«إن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا، والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به في القرآن من ثلاثة عشر قرناً، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهور معجزة القرآن، شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه».

ثم يذكر بعض المكتشفات العلمية التي يقول إن القرآن سبق إليها فيقول:

«وكشفوا أن التغيير في التركيب الكيميائي، بل والمعنوي ناشئ عن تخالف نسبة المقادير، والقرآن يقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨).

«وكشفوا طريقة إمساك الظل، أي التصوير الشمسي، والقرآن يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ (الفرقان: ٤٥).

وفي كتاب «الإسلام والطب الحديث» للمرحوم الدكتور عبد العزيز إسماعيل، نراه يعرض لقوله تعالى في الآية[1] من سورة البقرة ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢) تحت عنوان «الحياة تحت ضوء القرآن» فيقول في ص ١٣- ١٥ ما نصه:

«هذه الآية الكريمة معناها- والله أعلم- أن اللحوم والأسماك والألبان... إلخ. أفضل في التغذية من البقول والقمح والذرة».

ثم يعقد مقارنة بين الأغذية الحيوانية والأغذية النباتية، ويخرج بنتيجة تقرر هذه الأفضلية ثم يقول: «إن هذه النتيجة التي لخصها القرآن الشريف، ولم تظهر حقيقة ثابتة إلا منذ سنوات قليلة».

وها نحن – أخيرا نقرأ لبعض الكاتبين، ونسمع من بعض المحاضرين نماذج من هذا التفسير العلمي للقرآن الكريم، وفي كثير منها تكلف ظاهر!!.

يقول بعضهم: إن الصعود إلى القمر والنزول على سطحه- وهو أحدث ما

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ص ٧١- ٧٢.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصل إليه العلم في عصرنا قد ورد في آيات من القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٖ ۝٣٣﴾ (الرحمن: ٣٣) يعني سلطان العلم.

وقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ۝٢٩﴾ (الشورى: ٢٩) وها هو ذا سائل يسأل المرحوم الأستاذ العقاد فيقول:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٢٥﴾ (الأحقاف: ٢٤ -٢٥). أليس من الممكن أن تعتبر هذه الآية «يريد الآيتين؟» إشارة مبكرة من القرآن الكريم إلى القذيفة الذرية ودليلاً قاطعاً على سبق القرآن العلمي الذي أمكن إثباته في مواضع كثيرة؟.

.. هذه بعض الأقوال والآراء لجماعة من الغلاة المتطرفين!!

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن والعلم (٣)

آراء المعتدلين

العدد (٩٠) جمادى الآخرة (١٣٩٢هـ) - يوليو (١٩٧٢م).

أما الفريق المعتدل الذي لم يشأ أن يحمل القرآن كل علوم الأولين والآخرين، ولا أن يخضعه للنظريات العلمية، فأبرز علمائه الأقدمين: الفقيه الأصولي أبو إسحق الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠هـ، فقد حمل لواء المعارضة، وتوجه باللوم إلى من حملوا القرآن كل علوم الدنيا والدين، وبين أنهم قد تجاوزوا الحد في دعواهم على القرآن فقال:

«ما تقرر من أمية الشريعة، وأنها جارية على مذاهب أهلها- وهم العرب- ينبني عليه قواعد: منها أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم: كالهندسة وغيرها من الرياضيات، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح»[١].

ثم يصحح الشاطبي رأيه هذا، ويحتج له بما عرف عن السلف من نظرهم في القرآن، فيقول: «إن السلف الصالح- من الصحابة والتابعين ومن يليهم- كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في هذا المدعى سوى ما تقدم[٢]، وما ثبت من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل

---

(١) الموافقات للشاطبي جـ٢ ص ٧٩ ط: التجارية. ويقصد الشاطبي بقوله «ما تقدم» ما قرره من أن الشريعة أمية وأهلها كذلك. وتنزيلها كان على مقتضى حال المنزل عليهم، وحالهم الاعتناء ببعض علوم ذكرها لا بكل العلوم.

(٢) يرى أن العرب لم يتكلموا إلا في العلوم التي كانت لهم بها معرفة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يُقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا»(١).

ويمضي الشاطبي فينقض أدلة الغلاة التي استندوا إليها من نحو قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ بحملها على ما يتعلق بحال التكليف والتعبد. ثم ينهي الشاطبي كلامه بقوله:

«فليس من الجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، وتقول على الله ورسوله فيه»(٢).

وفي العصر الحديث تجد من بين علمائنا الأفاضل من يتصدى للغلاة الذين حملوا القرآن كل علوم الأولين والآخرين، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغي، فقد قال في تقريظه لكتاب «الإسلام والطب الحديث» الذي تحدثنا عنه من قبل:

«لست أريد من هذا (يعني ثناءه على الكتاب ومؤلفه)، أن أقول: إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلاً بالأسلوب التعليمي المعروف، وإنما أريد أن أقول: إنه أتى بأصول، وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة، ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه»(٣).

وهكذا نجد لكل من فكرتي الغلو والاعتدال في قضية القرآن وما حوى من العلوم مؤيدين ومعارضين من بين علمائنا القدامى والمحدثين.

---

(١) الموافقات جـ ٢ ص٧٩/ ٨٠.

(٢) الموافقات جـ ٢ ص ٨٠-٨٢.

(٣) الإسلام والطب الحديث ص (د). وانظر ما كتبه المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار جـ١ ص ٧، وما كتبه المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت في العدد ٤٠٧، ٤٠٨ من السنة التاسعة لمجلة الرسالة (أبريل سنة ١٩٤١م)، وما كتبه المرحوم الشيخ أمين الخولي في كتابه «التفسير. معالم حياته، منهجه اليوم» عند الكلام عن التفسير العلمي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والذي نرتضيه في هذا الشأن هو ما يلي:

١- إن القرآن حوى كثيراً من علوم الدنيا والدين تصريحاً أو تلميحاً.

٢- إن اهتمام القرآن بعلوم الدنيا لا يقل عن اهتمامه بعلوم الدين، لأن علوم الدنيا تؤيد الدين، وتحميه، وتفتح الطريق أمامه، وإلا فما السر في امتنان الله سبحانه على داود عليه السلام وقومه بقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الأنبياء: ٨٠).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (سبأ: ١١) وعلى أي أساس غير علوم الدنيا يمكن أن نستجيب لأمر الله سبحانه ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).

٣- إن العلم لا يقف عند غاية، وإن الكون مليء بأسرار لا تحصى، ومهما كشف الإنسان من حجب عن أسرار هذا الكون فلن يستوعب كل مكنونه من علوم ومعارف، ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة في نحو قوله ﷻ: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (يس: ٣٦).

وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

ولن يحيط بكل شيء علماً إلا الله خالق الكون مبدعه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (الملك: ١٤).

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩).

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨١).

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠).

٤- إن الله سبحانه- لا يرضى للإنسان الذي استخلفه في الأرض واستعمره فيها أن يقنع بالقليل من العلم، أو ينام عن استجلاء ما احتواه الكون من كنوز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم والمعرفة، بالنظر والتأمل ما وسعه ذلك ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (يونس: ١٠١) وبالرجوع إلى العلماء المختصين فيما وقفت قدرته دونه ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(الأنبياء: ٧).

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الظواهر الكونية، ثم تختم هذه الآيات.

بنحو قوله تعالى:

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: ٩٨).

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد: ٣).

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: ٦٧).

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

ولسنا نفهم من هذه العبارات وأمثالها إلا أن الله يهيب بأولي الألباب والعقول أن يفتحوا أبصارهم وبصائرهم على آياته التي بثها في الأنفس والآفاق ليتكشف لهم بعض ما حواه الكون من علوم وأسرار، تشهد أولاً على قدرة الله وعلو سلطانه، ثم لتكون لهم هذه الثروة العلمية- فيما بعد- مصدر قوة وعزة ومنعة في حياة سلاحها العلم والمعرفة.

٥- لا شك أن القرآن الكريم «يتحدث إلى عقول الناس جميعاً من لدن نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو يساير حياتهم في كل ما يمرون به من مراحل الزمن، وهذا كله بحكم كونه كتاب الشريعة العامة الشاملة، وقانون الدين الذي جعله الله خاتم الأديان السماوية لأهل الأرض»(١).

ولاشك أن في القرآن الكريم نصوصاً يفهمها العربي وقت نزول القرآن على نحو ما وصل إليه العلم في زمانه، ولا يكاد يخرج فهمه عن حدود دلالة النص، ويفهمها العربي في العصر الحديث على ضوء ما وصل إليه العلم في زمانه فهما آخر لا يخرج هو أيضاً عن دلالة النص، ومثال ذلك:

قوله تعالى في الآية ٣٠ من سورة الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) التفسير والمفسرون جـ ٣ ص ١٥٨.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ فقد فسرها ابن عباس- رضي الله عنهما- على ضوء ما وصل إليه العلم في زمانه تفسيراً تحتمله الآية فقال: «كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلاً، فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات»[1].

وفسرها بعض علماء العصر الحديث على ضوء ما انتهى إليه العلم في زمانه فقال:

«قرر الكتاب الكريم أن الأرض كانت جزءاً من السماوات وانفصلت عنها. وهذا الذي قرره الكتاب الكريم هو الذي دل عليه العلم، وقد قال العلماء: إن حادثاً كونياً جذب قطعة من الشمس وفصلها عنها، وأن هذه القطعة بعد أن مرت عليها أطوار تكسرت وصارت قطعاً، كل قطعة منها سارت سياراً من السيارات، وهذه السيارات طافت حول الشمس، وبقيت في قبضة جذبتها، والأرض واحدة من هذه السيارات، فهي بنت الشمس، والشمس هي المركز لكل هذه السيارات»[2].

ولا نكاد نجد تعارضاً بين الفهمين، والآية- على فرض صحة الرأي الثاني- تتسع لهما، وذلك من وجوه الإعجاز القرآني.

غير أن الذين فتنوا بنظرية أن القرآن حوى كل ما كان وما يكون من العلوم بالغوا فحملوا بعض النصوص القرآنية حملاً فيه تعسف ظاهر وتكلف غير مقبول على بعض العلوم ومصطلحاتها التي جدت ولم يكن للعرب عهد بها من قبل، بل وعلى بعض النظريات العلمية التي لم تستقر بعد، ومن لم تستخفهم هذه النزوة العلمية قرروا: أن هذا تأول للقرآن على غير تأويله يقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقريظه لكتاب «الإسلام والطب الحديث»:

«يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها بها، ولا العلوم إلى الآية ولكن إن

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٧٧ ط: الحلبي.

(٢) تفسير سورة لقمان للأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ص ١٢ مطبعة الأزهر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها»[١].

ويقول في أحد دروسه التي كان يلقيها في تفسير القرآن الكريم:

«وجد الخلاف بين المسلمين في العقائد والأحكام الفقهية، ووجد عندهم مرض آخر، وهو. الغرور بالفلسفة، وتأويل القرآن ليرجع إليها، وتأويله وفقاً لبعض النظريات العلمية التي لم يقر قرارها. وذلك خطر عظيم على الكتاب، فإن للفلاسفة أوهاماً لا تزيد عن هذيان المصاب بالحمى.

والنظريات التي لم تستقر بعد لا يصح أن يرد إليها كتاب الله»[٢].

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله تعالى: «كل ما يجب على المسلم أن يؤمن به: أن كتابه الإلهي يأمر بالبحث والتفكير، ولا ينهاه عنه، ولا يصده عن النظر والتأمل في مباحث الوجود وأسرار الطبيعة، وخفايا المجهول كيفما كان، ولكنه لا يأمره بالتماس التوفيق بين نصوصه وبين نظريات العلوم كلما ظهرت منها نظرية بعد نظرية يحسبها العلماء ثابتة مقررة وهي عرضة بعد قليل للنقص والتبديل»[٣].

ويقول في موضع آخر:

«فمن الحق أن نعلم أن كتابنا يأمرنا بالبحث، والنظر، والتعلم، والإحاطة بكل معلوم يصدر عن العقول، ولكن ليس من الحق أن نزعم: أن كل ما تستنبطه العقول مطابق للكتاب، مندرج في ألفاظه ومعانيه، فإن كثيراً من آراء العلماء التي يستنبطونها أول الأمر لا يعدو أن يحسب من النظريات التي يصح منها ما يصح، ويبطل منها ما يبطل، ولا تستغني على الدوام عن التعديل وإعادة النظر من حين إلى حين»[٤].

---

(١) الإسلام والطب الحديث ص ٣ ولبعض قدامى المفسرين أقوال قريبة من هذا فلتراجع في كتب التفسير.

(٢) الدروس الدينية للشيخ محمد مصطفى المراغي لسنة ١٣٥٦ هـ ص ..٤٢. مطبعة الأزهر..

(٣) الفلسفة القرآنية للعقاد ص ٢٠٦- ط: دار الكتاب العربي- بيروت..

(٤) التفكير فريضة إسلامية، للعقاد ص ٧٨ ط: دار الكتاب العربي- بيروت.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويبدو لنا أن هؤلاء الغلاة الذين حملوا القرآن الكريم ما لا يحتمل من علوم ونظريات، حتى جعلوه مصدراً لجوامع الطب، وضوابط الفلك، ونظريات الهندسة، وقوانين الكيمياء، ومعادلات الرياضة. . . الخ، حسبوا أن ذلك يخدم القرآن ويبرز جانباً هاماً من جوانب إعجازه، وهذا وهم منهم، فإن مثل هذا التكلف لا يبرز الإعجاز، وإنما يذهب بالإعجاز!!

وليعلم هؤلاء الغلاة أن القرآن الكريم غني عن أن يعتز بمثل هذا التكلف الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة، ورياضة النفس، والرجوع بها إلى الله. !!

وليعلموا - أيضاً - أن من الخير لهم ولكتابهم ألا يسلكوا هذا المسلك في فهم القرآن وتفسيره، رغبة منهم في إظهار إعجازه، وصلاحيته للتمشي مع التطور العلمي في مراحله الزمنية المتتابعة، وحسبهم وحسب القرآن إعجازا ألا يكون فيه نص يصادم حقيقة علمية ثابتة، وأنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جد ويجد من نظريات وقوانين تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل صحيح. .

* * *

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إعجاز القرآن الكريم

العدد (٩٤) شوال (١٣٩٢هـ) - نوفمبر (١٩٧٢م).

● معنى الإعجاز

تطلق كلمة الإعجاز في اللغة، ويراد بها إثبات العجز وإظهاره.

وإعجاز القرآن الكريم معناه: إثبات عجز العرب وغيرهم عن الإتيان بمثله، فيظهر بذلك صدق النبي عليه الصلاة والسلام في دعواه الرسالة، وأن القرآن ليس من كلامه، ولا هو في مقدور أحد، وإنما هو كلام الله ﷻ.

● القرآن معجزة النبي الكبرى

والقرآن معجزة النبي الكبرى وهو يتميز عن سائر معجزات الأنبياء بأمور:

١) أنه يحتوي على أصول الدعوة المحمدية، وما يكتنفها من هداية وإرشاد، وذلك أبلغ في الأدلة على النبوة، لأن ما احتواه من ذلك لا يمكن أن يكتسب بالتعلم، وإنما هو بوحي من الله، ومن هنا كان القرآن كافياً، ومغنياً عن كل ما طلبه المتعنتون من معجزات تحدياً له عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت: ٥١)

٢) أن القرآن معجزة العقل: لأنه يخاطب العقل دائماً ولا يجمد عند الحس كمعجزات الأنبياء السابقين، ولقد نوه رسول الله ﷺ بذلك في حديث له فقال: «ما من نبي من الأنبياء إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً».

٣) أن القرآن الكريم معجزة خالدة باقية على مدى الدهر، ضرورة أنه معجزة الدين الخالد، فهو شاهد أبداً بصدق محمد عليه الصلاة والسلام، أما معجزات الأنبياء السابقين فقد كانت تنتهي بانتهاء وقت وقوعها ثم لا يبقى لها أثر بعد ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلا في نفس من شهدها.

القرآن بين تكذيب العرب له وتحديهم به

ولقد أيد الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ بمعجزة القرآن من أول يوم بعثه رسولاً للعالمين، ولكن قومه كذبوه وزعموا أن ما يتلوه عليهم من القرآن ليس من عند الله، وقالوا عنه:

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: ٥) فأوحى الله إلى نبيه بقوله: ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الفرقان: ٦) وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (العنكبوت: ٤٨).

وقالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ (النحل: ١٠٣) فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (النحل: ١٠٣)

وقالوا: ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ (الطور: ٣٠) فرد عليهم بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ (يس: ٦٩).

قالوا عنه هذا وأكثر، ورد الله عليهم بما ذكرنا وأكثر مما يبطل زعمهم، ولكنهم تمادوا في غيهم واستمروا في تكذيبهم وعنادهم فلم يكن بعد ذلك إلا أن يلقمهم حجراً يسد أفواههم حتى لا ينبسوا بفرية، ويدمغ عنادهم حتى لا يقوى على أن يتصدى للحق أو يعترض طريقه.

لم يبق إلا أن يتحداهم الله ويتحدى الإنس والجن جميعاً أن يأتوا بمثل القرآن ما دام القرآن في زعمهم من صنع البشر - محمد أو غيره - وليس من عند الله ﷻ.

ولقد جرى ذلك التحدي على تدرج ملحوظ:

تحداهم أولاً أن يأتوا بمثل القرآن فقال:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾(الإسراء: ٨٨). فما كان منهم إلا العجز التام.

ثم تنزل معهم في التحدي، فقال آمراً لنبيه ﷺ وقد رموه بالافتراء على الله في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نسبة القرآن إليه: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣) فعجزوا كل العجز عن ذلك أيضاً.

ثم نزل إلى أدنى من ذلك فقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(يونس: ٣٨). وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾(البقرة: ٢٣ - ٢٤) فما استطاعوا معارضة ذلك القدر القليل.

ثم نزل إلى أدنى درجات التحدي فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (الطور: ٣٤) فعجزوا عن أن يأتوا بحديث مماثل له.. أي حديث كان، طال أم قصر، ولزمهم العجز عن معارضته هم ومن وراءهم إلى يوم القيامة.

ولم يكن عجزهم هذا ناشئاً عن كون القرآن غريباً عليهم في لغته، بل كان من جنس كلامهم وبلغتهم التي يتكلمون بها، ولم يكن عدم معارضتهم له ناتجاً عن عدم اهتمامهم بالمعارضة أو عدم اكتراثهم بالتحدي، فقد أثار القرآن اهتمامهم بالمعارضة، وبعث فيهم الرغبة الملحة في قبول التحدي، والعمل على حطمه، والخروج من المأزق الذي وضعهم فيه، بما كان منه من تسفيه أحلامهم بنحو قوله عنهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الفرقان: ٤٤) وتحقير آلهتهم بنحو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(الحج: ٧٣) ومع ذلك الاستفزاز فقد وقفوا عاجزين أمام هذا التحدي، ولم نجد لهم معارضة يمكن أن تجاري أو تداني القرآن في أسلوبه ونظمه، أو في أي جانب من جوانب إعجازه التي سنذكرها، وما ترويه لنا بعض كتب الأدب أو غيرها من محاولات لمعارضة القرآن لم تخرج - في الواقع- عن كونها محاولات سخيفة، وليس فيها من براعة النظم، ولا من دقة المعنى شيء مطلقاً، وإنما هي هذيان كهذيان المحموم، عار من كل شيء إلا من ركاكة النظم وفساد المعنى.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

• جوانب الإعجاز في القرآن الكريم

وجوانب الإعجاز في القرآن الكريم متعددة وهي:

١) فصاحة كلماته.

٢) براعة نظمه وجزالة أسلوبه.

٣) بلاغته في الدلالة على معانيه.

وهذه الثلاثة يمكن أن نجمعها تحت عنوان واحد هو «الإعجاز البياني».

ولا شك أن القرآن الكريم قد تميز عن كل ما عداه من كلام إلهي وغير إلهي بأسلوب فريد، بلغ الغاية في جزالته وبلاغته، ولو جئنا بأبلغ عبارة نطق بها العرب ووضعناها بجانب عبارة في موضوعها جاء بها القرآن الكريم، لوجدنا بين العبارتين فرقاً بلاغياً كبيراً، فأبلغ عباراتهم في القصاص «القتل أنفى للقتل» وعبارة القرآن الكريم في هذا الباب ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة: ١٧٩) وقد تناول علماء البلاغة كلتا العبارتين بالتحليل البلاغي وبينوا- بما لا يقبل الشك- أن عبارة القرآن فوق العبارة المأثورة عن العرب بمراتب كثيرة.

وبلغاء العرب- بسليقتهم- يدركون هذا التفوق البياني للقرآن الكريم حتى إن أحدهم - وهو الوليد بن المغيرة - يسمع القرآن من محمد ﷺ، فيبهره أسلوبه وبلاغته، ويعجب به أيما إعجاب ويشيع ذلك عنه، فيأتي إليه أبو جهل ويطلب منه أن يقول في القرآن قولاً يبلغ قومه أنه منكر له، فيجيب الوليد بقولته المشهورة: «وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم أحد أعلم بالشعر: لا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته».

ولا نطيل بالكلام عن بلاغة القرآن فذلك موضوع واسع تولاه بالبحث والبيان كثير من العلماء، ولهم في ذلك مؤلفات كثيرة ومشهورة.

٤) اشتماله على حوادث وقعت في الأزمان الغابرة ولم يكن للنبي ﷺ علم بها:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا عن معلم، ولا عن كتاب، ولا عن أي طريق أخرى غير القرآن، كقصة موسى وغيره من الأنبياء وفي هذا يقول الله سبحانه مخاطباً نبيه محمداً ﷺ بعدما قص عليه من خبر موسى وقومه ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (القصص: ٤٤-٤٦).

٥) اشتماله على أمور غيبية وحوادث مستقبلة أخبر بها وتحقق وقوعها فيما بعد كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ (الروم: ١-٥).

٦) اشتماله على التشريعات الروحية والأدبية والاجتماعية والسياسية والمالية التي كان - ولا زال - لها أكبر الأثر في إصلاح المجتمع الإنساني واستقراره، لبلوغها مرتبة الكمال التشريعي، ولخلوها من كل الثغرات التي تشتمل عليها القوانين الوضعية، وقد ذكرنا عند الكلام عن جوانب الهداية القرآنية كثيراً من التشريعات التي جاء بها القرآن، والتي نظمت علاقة الإنسان بربه وبأخيه الإنسان.

٧) اشتماله على كثير من العلوم والمعارف التي كشف عنها العلم فيما بعد، ولا زال يكشف عنها إلى اليوم، وسوف يظل يكشف عنها على مدى الدهر وإلى الأبد.

ولا نريد أن نستقصي كل ما حواه القرآن تصريحاً أو تلميحاً من علوم كونية، وإنما نكتفي بثلاثة أمثلة نذكرها كشواهد على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

المثال الأول:

قوله تعالى في الآية (٣٠) من سورة الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا﴾ فقد فسرها عبد الله بن عباس على ضوء ما وصل إليه العلم في زمانه تفسيرا تحتمله الآية فقال:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«كانت السماء رتقاء لا تمطر، والأرض رتقاء لا تنبت، ففتق هذه بالنبات، وتلك بالمطر».

وفسرها علماء العصر الحديث على ضوء ما توصلوا إليه من العلم فقالوا: «قرر الكتاب الكريم أن الأرض كانت جزءاً من الشمس، وأن حادثاً كونياً جذب قطعة من الشمس وفصلها عنها، وأن هذه القطعة- بعد أن مرت عليها أطوار- تكسرت وصارت قطعاً، كل قطعة منها صارت سيارا من السيارات، وهذه السيارات طافت حول الشمس وبقيت في قبضة جذبتها، والأرض واحدة من هذه السيارات فهي بنت الشمس، والشمس هي المركز لكل هذه السيارات»[1].

ولا نكاد نجد تعارضاً بين الفهمين، والآية تحتملهما وتتسع لهما وذلك- بلا شك- وجه من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم.

المثال الثاني:

قوله تعالى في الآية (٥) من سورة يونس ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ وقوله في الآية (٦١) من سورة الفرقان ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ أليس في هاتين الآيتين دلالة صريحة على ما توصل إليه العلم الحديث من أن الشمس كوكب مضيء وأنها كالسراج نوره من ذاته وأن القمر كوكب معتم نوره مستمد من غيره؟ وهل يستطيع محمد عليه الصلاة والسلام وهو النبي الأمي، -والعلم بالأكوان والأفلاك ما زال في مدرج الطفولة- أن يقرر هذه الحقيقة من تلقاء نفسه؟ كلا إنه من علم الله العليم الخبير. أودعه في القرآن فكان من وجوه إعجازه.

المثال الثالث:

قوله تعالى في الآيتين (٣) و(٤) من سورة القيامة ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ يقرأ العربي هذه الآية في عصر نزول القرآن فيفهم منها أنها تدل على أن الله قادر على أن يعيد الإنسان عند البعث بشراً سوياً بكل أعضاء جسمه وعلى صورتها الأولى حتى ما دق خلقه من هذه الأعضاء وهو البنان.

---

(١) انظر التفسير والمفسرون جـ٣ ص ٢٧٠.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونقرأها اليوم على ضوء العلم فنراها تنطوي على ما توصل إليه العلماء من أن «بصمات» أنامل اليد لا تتشابه عند بني الإنسان فكل فرد له بصمات يتميز بها عن غيره وممكن أن تكشف عن شخصيته، وإعادة هذه البصمات المختلفة المتمايزة عند الحياة الثانية على ما كانت عليه لكل فرد عند الحياة الأولى شيء لا يعظم على الله سبحانه، ولا شك أن انطواء الآية على هذه الحقيقة العلمية التي لم يكشف عنها العلم إلا حديثًا ضرب من ضروب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

٨) سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض ولا شك أن هذا جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم فالكتاب حافل بالقضايا العقلية والتشريعات الفقهية والحقائق العلمية والتاريخ والقصص، والأمثال، والأخبار عن وقائع ماضية وحاضرة ومستقبلة، وهو في ذلك كله صادق لا يرقى إليه كذب، مصيب لا يعتريه خطأ، واضح لا يشوبه لبس، متناسق لا يعترض نسقه تناقض أو تعارض، مؤتلف غير مختلف.

ولا يكاد يتم ذلك بحال من الأحوال لكتاب جمع الكثير من ألوان المعرفة وضروب الهداية والإرشاد، وضم الكثير من القصص والأخبار ووزعها وكررها في مواضع شتى على نحو من الإيجاز تارة ومن الإطناب أخرى، مع تفاوت وتغاير وتفنن في التعبير يجعل القارئ مشدوداً دائماً إلى قراءته وسماعه دون سآمة أو ملل أو إحساس بنبوة ولا يكاد يتم ذلك بحال من الأحوال إلا للقرآن الكريم: لأنه كلام الله الذي لا يضل ولا ينسى، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

هذه هي جوانب الإعجاز للقرآن الكريم، أو هي أهم جوانبه.

ولقد نرى بعض العلماء يذهبون إلى أن إعجاز القرآن لا يرجع إلى أي من هذه الوجوه المذكورة وإنما يرجع إلى الصرفة، ومعنى ذلك- على حد قولهم- أن القرآن الكريم كان في متناول العرب أن يأتوا بمثله ولكن الله صرفهم عن معارضته فصاروا بذلك عاجزين عنها، وهذا قول باطل، لأنه يلزم عليه:

١) أن يكون القرآن في مستوى كلام البشر، وهذا مخالف للواقع، وأرباب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البلاغة من المشركين أنفسهم قد اعترفوا بأنه في أعلى درجات البلاغة التي لا يتطاول إليها أحد منهم، وفي وصف الوليد بن المغيرة للقرآن - وقد ذكرناه آنفاً- ما يشهد بذلك والفضل ما شهدت به الأعداء.

٢- أن يكون المعجز في الحقيقة هو الله وليس القرآن، مع أن آيات التحدي تكاد تكون صريحة في أن الإعجاز راجع إلى القرآن ذاته، وعلى ذلك انعقد الإجماع.

٣) أن الإنس والجن- بصرفهم عن المعارضة بحيث أصبحوا عاجزين عنها- صاروا بمنزلة الموتى، وحينئذ لا يكون للتحدي معنى ولا فائدة.

ولقد نرى - أيضاً- بعض العلماء يقصرون إعجاز القرآن على جانب واحد من جوانب الإعجاز المذكورة، وهذا- إذا أخذ على ظاهره- خطأ بين إذ إن كل ما ذكرناه من جوانب الإعجاز متحقق في القرآن الكريم.

والظن بهؤلاء الذين قصروا إعجاز القرآن على جانب من الجوانب التي ذكرناها: أنهم لم يقصدوا بذلك أن القرآن ليس فيه من جوانب الإعجاز إلا هذا الجانب فقط، وإنما قصدهم: أن هذا الجانب الذي اقتصروا عليه يحقق الإعجاز للقرآن الكريم، وهذا لا يمنع من وجود جوانب أخرى تحقق نفس الشيء وبانضمام بعضها إلى بعض يكون الإعجاز أتم وأقوى.

بقيت حقيقة يجب أن نعلمها، وهي:

إن إعجاز القرآن من ناحية فصاحة كلماته، وبراعة نظمه، وجزالة أسلوبه، وبلاغته في الدلالة على معانيه أمر متحقق في كل سورة بل وفي كل آية تفيد فائدة تامة، أما ما وراء ذلك من جوانب الإعجاز كاشتماله على أمور غيبية مستقبلة وقعت بعد كما أخبر عنها، واشتماله على التشريعات الحكيمة، وانطوائه على حقائق علمية لا يزال العلم الحديث يكشف عنها، فهذا لا يتحقق في كل آية ولا في كل سورة وإنما يتحقق في القرآن جملة، ومن هنا حقق العلماء أن التحدي بأقصر سورة منه أو ما يعادلها أو بأي حديث مثله مهما قصر كان للعرب أولاً، لأنهم أرباب اللسان، وفرسان البيان، فإن عجزوا هم عن معارضته فغيرهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أعجز، والتحدي بهذا القدر من القرآن راجع إلى فصاحة كلماته وبراعة نظمه، وجزالة أسلوبه وبلاغته، وهو ما عبرنا عنه بالجانب البياني، وهذا كله متحقق- كما قلنا- في القدر المتحدى به أيا كان.

أما غير ذلك من جوانب الإعجاز التي تتحقق في القرآن ككل ولا تتحقق في كل أبعاضه، فذلك يدركه كل إنسان عربياً كان أم غير عربي، وهم جميعاً متحدون بالقرآن جملة ومن كل هذه الجوانب بقوله سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ (الإسراء: ٨٨).

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التعريف بالقرآن الكريم

العدد (١٠١) جمادى الأولى (١٣٩٣هـ) - يونيو (١٩٧٣م).

المشهور بين علماء اللغة: أن لفظ القرآن- في الأصل- مصدر مشتق من قرأ. يقال: قرأ قراءة وقرآنا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾(القيامة: ١٧ -١٨)[١]- أي قراءته.

ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً شخصياً[٢] على الكتاب المنزل على محمد ﷺ.

وعلماء الشريعة يعرفون القرآن، بأنه كلام الله المنزل على محمد ﷺ بلفظه ومعناه، والمنقول إلينا بالتواتر.

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيوداً أخرى مثل: المعجز، أو المتحدى بأقصر سورة منه، أو المتعبد بتلاوته، أو المكتوب بين دفتي المصحف، أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

والواقع أن التعريف الذي ذكرناه آنفاً تعريف جامع مانع، لا يحتاج إلى زيادة قيد آخر، وكل من زاد عليه قيداً أو قيوداً مما ذكرناه، لا يقصد بذلك إلا زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن التي يتميز بها عما عداه.

ومعلوم أن للقرآن الكريم خصائص كثيرة يتميز بها عن كل ما عداه من كلام إلهي أو غير إلهي ككونه معجزاً أو متعبداً بتلاوته.

---

(١) وهناك آراء أخرى في أصل الكلمة واشتقاقها. راجع الإتقان للسيوطي، ومناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.

(٢) يرى بعض العلماء أنه علم جنس يصدق على القرآن كله وعلى أبعاضه. وكونه علماً شخصياً هو الراجح.. انظر مناهل العرفان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومعلوم - أيضاً - أن للقرآن صفات يشاركه فيها غيره من كلام الله أو كلام البشر ولكنها صفات لازمة لا تنفك عنه لأنها من عناصر قرآنيته، ولو أنها انفكت عنه لخرج عن كونه قرآنا، وذلك كوصف كونه عربياً الذي يشاركه فيه الحديث النبوي والحديث القدسي، وكوصف كونه متواتراً الذي يشاركه فيه بعض الأحاديث النبوية.

ونرى لزاماً علينا أن نذكر بعض هذه الخصائص والصفات بشيء من التفصيل والإيضاح حتى لا يقع لبس أو خلط بين ما هو قرآن وما خرج أو هو خارج من الأصل عن كونه قرآناً:

١- فمن خصائص القرآن كونه معجزاً، وإعجاز القرآن خصوصية خصه الله بها من بين كتبه المنزلة على سائر الأنبياء عليهم السلام، وميزة تميز بها عن كل كلام آخر منسوب لله سبحانه أو لأي إنسان وبأي لسان.

٢- ومن خصائص القرآن الكريم كونه متعبداً بتلاوته، فقراءة ما تيسر منه ركن من أركان الصلاة لا تتم بدونه وأيما صلاة وقعت خالية من القراءة مع القدرة عليها فهي باطلة، وقراءة القرآن خارج الصلاة عبادة أيضاً، ولم نعرف مثل هذه الخصوصية ثابتة لشيء آخر من الكتب السماوية أو غيرها.

وعلى هذا فالحديث القدسي ليس قرآنا على الصحيح بالرغم من كونه منزلاً من عند الله تعالى على محمد ﷺ بلفظه ومعناه، وذلك لأنه فقد عنصرين من عناصر القرآنية وهما: الإعجاز والتعبد بتلاوته، كما فقد عنصرا آخر يأتي بعد، وهو التواتر.

ولو ادعى مدع ثبوت بعض الأحاديث القدسية بالتواتر- وما أظن ذلك- فإنها لا تكون قرآنا أيضاً لفقدها العنصرين السابقين معاً، مع أن فقد واحد منهما كاف في تخلف وصف القرآنية عنها.

٣- ومن صفات القرآن التي لا تنفك عنه، كونه عربياً، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ناطقة بأنه نزل من عند الله كذلك:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ (إبراهيم: ٤).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: ٧).
﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾(فصلت: ٣).
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥) وعلى هذا فأي خروج بالقرآن الكريم عن لفظه العربي المنزل من عند الله يزيل عنه حقيقة القرآنية.

وإذن فتفسير القرآن الكريم، وترجمته إلى غير العربية- مهما روعي فيهما المحافظة على معانيه ومراميه- لا يعدان قرآنا، ولا يكون لأي منهما ما للقرآن من حرمة وقداسة[1]، ولا ما فيه من خاصية التعبد به وروعة الإعجاز، لأنه خرج بذلك عن كونه كلام الله إلى كونه كلام البشر، والبشر يخطئ ويصيب ومحال أن تقوم عبارة إنسان- عربية كانت أم غير عربية- مقام عبارة الله تعالى في جودة معانيها، ودقة مراميها، وخصائص أسلوبها، وبراعة نظمها، وسر فصاحتها، وروعة بيانها.

وهنا نستطرد إلى مسألتين لهما تعلق بهذا الموضوع:

المسألة الأولى: هل معنى أن القرآن عربي أنه لا يحتوي على شيء من لغات غير عربية؟ والجواب عن هذا: أن القرآن الكريم ليس فيه- قطعا- جملة مركبة بلسان غير عربي. إنما يوجد فيه- باتفاق - أسماء غير عربية هي أعلام على أشخاص بأعيانهم، كإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وإسرائيل، وموسى، وعيسى.. ووجودها في القرآن لا يخرج به عن كونه عربياً، لأن الأسماء التي وضعت أعلاماً لأشخاص تبقى كما هي ولا يتصرف فيها عند نقلها إلى لغات غير لغاتها الأصلية، وإلا لكان معنى ذلك: إزالة الاسم عن مسماه وإطلاق اسم آخر عليه لا يعرف به ولا يعنيه.

وفي القرآن الكريم أسماء ليست أعلاماً لأشخاص مثل: استبرق، وقسطاس،

(١) ولحرمة القرآن وقداسته لا يجوز لغير المتوضئ مس المصحف كما لا يجوز للجنب ولا للحائض مس المصحف ولا قراءة القرآن أما تفسير القرآن وترجمته فجائز مسهما وقراءتهما للمحدث حدثاً أصغر أو أكبر، لزوال حقيقة القرآنية عنهما.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وسجيل، ومشكاة. . . وغيرها.

وقد اختلف العلماء في أصل هذه الأسماء:

فمنهم من قال: إن هذه الكلمات مما اتفقت فيه اللغات، فهي موجودة في اللغة العربية، وموجودة في غيرها ولا يخرج بالقرآن عن كونه عربياً أن تكون بعض كلماته موجودة في لغة أخرى، لأن اتفاق بعض اللغات في استعمال لفظ ما للدلالة على معنى معين لا يخرجه عن كونه أصيلاً في كل منها، وإنما يخرجه فقط عن نطاق الاختصاص والانتساب إلى لغة بعينها.

ومن العلماء من قال: إن هذه الألفاظ أعجمية الأصل ولا زالت أعجمية، ووجودها في القرآن لا يخرجه عن كونه عربيا، لأنها قليلة جداً، واقتباسها وإدماجها في هذه الكثرة الساحقة من الكلمات العربية التي احتواها القرآن مما يجعلها تميع وتتلاشى حتى لا تكاد تحس منها نبوة العجمة.

وذهب فريق ثالث من العلماء إلى أن هذه الألفاظ أعجمية الأصل، ولكنها- تبعاً لنظرية تداخل اللغات في فقه اللغة - استعملت من قديم وقبل نزول القرآن الكريم في اللسان العربي، ولانت بها ألسنة العرب حتى أصبحت عربية بالاستعمال، ولا يخرج القرآن عن كونه عربياً باحتوائه على بعض هذه الألفاظ المعربة، وهذا الرأي الأخير هو أشهر الأقوال الثلاثة وأرجحها.

المسألة الثانية: نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، أنه يرى جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة، وزعم زاعم- بناء على ذلك- أن أبا حنيفة يرى أن القرآن اسم للمعنى فقط، وهذا يناقض ما قلناه من أن القرآن اسم للفظ والمعنى معاً.

وتوضيح المسألة: أن ما نقل عن أبي حنيفة - مخالفاً به سائر الفقهاء حتى أصحابه - من جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة محمول على أن الصلاة مناجاة لله تعالى، وما يقوله المصلي من معاني القرآن باللسان الأعجمي في صلاته لا يقوله على أنه قرآن، وإنما يقوله على أنه مناجاة منه لله ﷻ، والمناجاة بأي لسان جائزة باتفاق.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن بعض الفقهاء من أتباع أبي حنيفة ﷺ يرى - والحق معه - أن هذا التوجيه لما نقل عن أبي حنيفة من جواز القراءة بالفارسية في الصلاة غير مستقيم ولا مقبول ويقرر أن أبا حنيفة رجع عن قوله هذا إلى القول بعدم الجواز[١].

٤- ومن صفات القرآن التي لا تنفك عنه كونه متواترا: أي رواه جمع كثير عن جمع كثير يحيل العقل اتفاقهم على الكذب من لدن سماعه من رسول الله ﷺ إلى أن وصل إلينا، وروايته على هذا النحو تفيد اليقين بقرآنيته.

وعلى هذا فما روى جماعة لا يحيل العقل اتفاقهم على الكذب- على أنه من القرآن لا يعتبر قرآناً، لأن رواية الأحاديث تفيد الظن ولا تفيد اليقين والقرآن لا يثبت بالظن أبداً.

وإذن، فما يروى بطريق الآحاد عن ابن مسعود أو ابن عباس أو غيرهما من الصحابة من بعض ألفاظ على أنها من القرآن: كقراءة أبيّ وابن مسعود في كفارة اليمين... «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات»[٢] بزيادة لفظ متتابعات.

وقراءة ابن مسعود في آية الإيلاء: «فإن فاءوا فيهن فإن الله غفور رحيم»[٣]. بزيادة لفظ «فيهن».

وقراءة ابن عباس آية الحج «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج»[٤] بزيادة جملة (في مواسم الحج).

وقراءة سعد بن أبي وقاص في آية الكلالة: «وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس»[٥] بزيادة جملة «من أم».

.. ما يروى من ذلك ليس قرآنا لفقده عنصر التواتر الذي لا بد منه في تحقق القرآنية وثبوتها، وتسمية بعض المتأخرين من العلماء له قرآنا تساهل منهم لا أراه مقبولاً ولا سائغاً في مثل هذا المقام الذي يتحتم فيه الدقة وعدم التسامح في

(١) انظر الإسلام عقيدة وشريعة (ص ٤٨٣- ٤٨٤).
(٢) أصل الآية في سورة المائدة رقم (٨٩).
(٣) أصل الآية في سورة البقرة رقم (٢٢٦).
(٤) أصل الآية في سورة البقرة رقم (١٩٨).
(٥) أصل الآية في سورة النساء رقم (١٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التعبير. والظن بالعلماء الذين تسامحوا فعبروا عن هذه الكلمات بالقرآنية، أنهم لا يقصدون أنها قراءات مروية عمن تنسب إليه من الصحابة، وإنما قصدهم، أنها تفسيرات لهم.

أو لعل بعض الصحابة كانوا يفسرون القرآن ويرون جواز إثبات التفسير بجانب القرآن على هامش مصاحفهم التي كانوا يكتبونها لأنفسهم فظنها بعض الناس- لتطاول الزمن عليها- من أوجه القراءات التي صحت عن رسول الله ﷺ رواها عنه هؤلاء الأصحاب.

ومهما يكن من شيء يقال في توجيه تسميتها قرآنا، فهي ليست من القرآن في شيء، ومن يحتج بها من الفقهاء لا يحتج بها على أنها قرآن وإنما يحتج بها على أنها من قبيل أخبار الآحاد التي تروى عن رسول الله ﷺ، وأخبار الآحاد مما يجب العمل به وتقوم به الحجة إلا في باب العقيدة.

٥- ومن صفات القرآن اللازمة له: كونه منزلاً على محمد ﷺ، ومعنى هذا: أن ما أنزل على غيره من الأنبياء لا يكون قرآنا حتى ولو حكاه القرآن، على معنى أن ما جاء في التوراة- مثلاً- من قصص أو أحكام ثم جاء القرآن بعد يحكيها، لا تكون قرآنا حين نزلت على موسى، ولا حين دونت في ألواح التوراة، أما ما حكاه القرآن من ذلك بعد فهو قرآن من عند الله تعالى، نزل به جبريل على قلب النبي محمد ﷺ. ولا يخرجه عن القرآنية أن يكون مضمونه موجوداً في التوراة من قبل.

ونزيد ذلك إيضاحاً فنقول: إن القصة لها مضمون تناولته التوراة، وتناوله القرآن، والذي حكى القصة في الموضعين هو الله سبحانه.. حكاها في التوراة بأسلوب خاص، وأنزلها على موسى عليه السلام بلسان قومه فكانت من التوراة، وحكاها في القرآن بأسلوب خاص وأنزلها على محمد ﷺ بلسان قومه، فكانت من القرآن.

والآيات القرآنية التي تضمنت أحكاماً كانت شرعاً لغيرنا وكانت مدونة بلغتهم في كتبهم المنزلة كقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ[1] أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ

(١) أي فرضنا على اليهود في التوراة هذا الحكم وهو القصاص.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥) لا تخرج بذلك عن كونها قرآناً، لأن الآيات التي من هذا القبيل نزلت على قلب النبي محمد ﷺ بلسان عربي، ولا يقدح في قرآنيتها كونها حكاية لما في التوراة أو غيرها من الكتب.

أما الأحكام التي تضمنتها هذه الآيات فالقول الفصل فيها ما يلي:

١- إن اقترنت بما يفيد نسخها بالنسبة لنا فلا تكون شرعاً لنا.

٢- وإن اقترنت بما يفيد بقاء العمل بها في حقنا فهي شرع لنا، ولا نكون في هذا متبعين لشريعة غيرنا، بل نكون متبعين لشريعتنا التي جاء بها نبينا عليه الصلاة والسلام.

٣- أما إن تجردت عن القرينة الدالة على شرعيتها أو عدم شرعيتها في حقنا، فهذه محل خلاف بين الفقهاء: ففريق يقول: هي شرع لنا.

وفريق آخر يقول: ليست شرعاً لنا.

ولكل من الفريقين دليله الذي يستند إليه في توجيه مذهب وتصويبه.. وفي كتب أصول الفقه ما يغني طالب المزيد من المعرفة.

● الغرض من إنزال القرآن الكريم

والغرض من إنزال القرآن الكريم أمران:

الأمر الأول: أن يكون معجزة لنبينا محمد ﷺ، تشهد بصدق دعوته وحقيقة رسالته.

الأمر الثاني: أن يكون دستوراً للأمة الإسلامية تستمد منه الهداية والرشاد، وتستلهم منه الصواب والسداد، وتقتبس من نور تشريعه ما يأخذ بيدها إلى عز الدنيا وسعادة الآخرة. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩).

وصدق الرسول الكريم حين يصف القرآن فيقول:

«فيه نبأ ما قبلكم. وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[١].

صدق الله ورسوله: فلا عز إلا والقرآن سبيل إليه، ولا خير إلا وفي آياته دليل عليه. ولقد عرف سلفنا الصالح هذا كله فتمسكوا بالقرآن فعزوا وسادوا، ثم خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى، ويقولون: سيغفر لنا، رضوا بأن يكونوا من الخوالف فطبع على قلوبهم، وأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ (طه: ١٢٤ ١٢٦).

(١) رواه الترمذي في كتاب السنن (ج٢-ص١٤٩- ط: الأميرية).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جوانب الهداية والإرشاد في القرآن الكريم

العدد (١٠٢) جمادى الآخرة (١٣٩٣هـ) - يونيو (١٩٧٣م).

للقرآن الكريم في هدايته وإرشاده جوانب أربعة:
١) جانب العقيدة ٢) جانب الشريعة ٣) جانب الأخلاق
٤) جانب الدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض.

● الجانب العقدي في القرآن الكريم

أما جانب العقيدة: فقد وجهنا القرآن الكريم إلى العقيدة الحقَّة في الله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وما فيه من حساب وجزاء.

دعانا إلى معرفة الله- تعالى- وما له من صفات الكمال والجلال، وأنه واحد لا شريك له في ملكه، ولا شبيه له في ذاته ولا في صفاته، وأنه الخالق المستحق للعبادة دون غيره.

فقال في بيان ما لله من صفات الكمال والجلال:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (سورة الإخلاص).

وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ (الملك: ١-٢).

وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ (الحشر: ٢٢-٢٤).

وقال في بيان أن الله واحد لا شريك له في ملكه ولا شبيه له في ذاته ولا في صفاته:

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ (طه: ١٤).

وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ (الأنعام: ١٠٢).

وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وقال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ (المؤمنون: ٩١).

وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

وقال في بيان أنه المستحق للعبادة دون غيره:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ (الحج: ٧٣-٧٤).

وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ (الأعراف: ١٩١-١٩٥).

وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾(الأحقاف: ٤-٦).

وقال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ النحل: ١٧)

ووجهنا القرآن الكريم إلى الإيمان بالملائكة والرسل وما أنزل الله من كتاب فقال:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (البقرة: ١٣٦).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ (النساء: ١٣٦).

ويقرر القرآن الكريم عقيدة البعث والحساب والجزاء.

فيقول مقرراً عقيدة البعث:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ (التغابن: ٧).

ويقول: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ (الواقعة: ٤٩ -٥٠).

ويرد على المستبعدين للبعث لبني الإنسان بعد ما تمزقت أوصالهم، ورمت عظامهم، وتلاشت ذراتهم حتى إنهم ليقولون مستنكرين للبعث بعد هذا التمزق والتلاشي:

﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (الواقعة: ٤٧ -٤٨).

﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (سبأ: ٧).

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾(ق: ٣).

﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (السجدة: ١٠).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويرد القرآن الكريم على هؤلاء المنكرين للبعث والمستبعدين له بآيات كلها براهين قاطعة وحجج دامغة فيقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ (ق: ١٥).

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ (القيامة: ٣-٤).

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾(يس: ٧٨ -٧٩).

ثم هو يقرر بعد ذلك أن البعث لا بد أن يستتبع حسابا، وأن الحساب لا بد أن يستتبع ثوابا أو عقابا، وإلا لكان الله عابثاً بخلقه غير عادل في ملكه، فيقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون: ١١٥ - ١١٦).

ويقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾(ص: ٢٧).

ويقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (القلم: ٣٥ -٣٦).

ويقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾(غافر: ٥٨).

ويقول: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الجاثية: ٢١).

● الجانب التشريعي في القرآن الكريم

وأما جانب الشريعة: فقد سن لنا القرآن الكريم كثيراً من التشريعات والنظم التي نحتاج إليها في عباداتنا، ومعاملاتنا، وصلاتنا في مجتمعنا الإسلامي، وعلاقاتنا بغيرنا من الدول في السلم والحرب.

ففي العبادات شرع الصلاة والزكاة والصوم والحج... وغير ذلك من الطاعات والقرب التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه ومولاه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي المعاملات بين الحلال والحرام فأحل البيع وحرم الربا، وحرم أكل أموال الناس بالباطل فقال:

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ (آل عمران: ١٣٠).

وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ (البقرة: ١٨٨).

وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(الأنعام: ١٥٢).

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾(النساء: ١٠).

ووضع لنا القرآن الكريم أسس الاستيثاق فيما يجري بيننا من معاملات مالية فقال في الدين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

وقال في البيع: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

وقال في الاستيثاق بالرهن: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ﴾ (البقرة: ٢٨٣)

وقال في الوصية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٦)

ولا لأوصياء اليتامى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٦).

ووضع القرآن أحكام الزواج والطلاق، وما يتعلق بهذا وذلك من مهر ونفقة وعدة وحضانة ورضاع.

وأرسى القرآن قواعد الأمن والطمأنينة في المجتمع الإسلامي بما شرعه من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحدود والعقوبات على بعض الجرائم التي لا تخلو منها المجتمعات البشرية.

فقرر عقوبة القصاص في القتل العمد بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ﴾ (البقرة: ١٧٨).

وقرر عقوبة القتل الخطأ بقوله:

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ (النساء: ٩٢).

ووضع عقوبة لقطاع الطرق بقوله:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (المائدة: ٣٣).

ووضع عقوبة للسارق بقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ (المائدة: ٣٨).

وشرع من العقوبات ما يصون حرمة الأعراض ويزجر عن استباحتها وانتهاكها فقال في عقوبة الزاني غير المحصن من الرجال والنساء:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ (النور: ٢).

وقال في عقوبة قذف العفيفات بالزنى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ (النور: ٤).

وفي محيط المجتمع الإسلامي يعمل القرآن الكريم على تقوية ما بين المسلمين من وحدة وترابط وإزالة ما عساه يقع بينهم من عوامل التفكك والتصدع فيشرع لهم من الأحكام ما يجتث جذور التنازع والتناحر فيما بينهم، فيقول في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جمع الكلمة ووحدة الصف:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران: ١٠٣).

ويقول في القضاء على الفتن والشقاق الذي يمزق هذه الوحدة: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الحجرات: ٩-١٠).

وفي علاج المشاكل الأسرية يشرع القرآن الكريم كثيراً من الأحكام التي تزيل أسباب الخلاف وتجعل الحياة الأسرية تمشي في طريقها الصحيح الذي يجنبها العثرات والمكدرات، وأبرز مثال نسوقه من هذه التشريعات الحكيمة قوله تعالى:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ (النساء: ٣٤-٣٥)

وفي علاقة المسلمين بغيرهم من الدول يضع القرآن الكريم قواعد المعاملة في السلم والحرب:

ففي السلم: يدعو إلى مسالمة من يسالمنا بقوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الأنفال: ٦١).

وقوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٠).

وفي الحرب: يدعو إلى محاربة من يحاربنا بقوله:

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ (البقرة: ١٩٠).

ودعانا إلى الإعداد للحرب ما دامت متوقعة بقوله:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

وحضّنا على الثبات عند لقاء الأعداء بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (الأنفال: ٤٥).

وحرضنا على البلاء في القتال بقوله: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (ألانفال: ١٢).

وقوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ (محمد: ٤).

وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ (الأنفال: ٥٧).

ونهانا عن التولي يوم الزحف بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ (الأنفال: ١٥-١٦).

ونهانا عن الخور والوهن في طلب الأعداء بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾(النساء: ١٠٤).

والقرآن يعطي الكافر المستأمن حق الأمان غير مروع على نفسه أو ماله فيقول:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ (التوبة: ٦)

ويقرر القرآن مصير أسرى الحرب بقوله:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد: ٤).

ويضع القرآن أسس المعاهدات ويحتم وجوب الوفاء بها والوقوف عند بنودها ما دام العدو محافظا على ذلك من جانبه ولم يجد من الظروف ما يقتضي نقضها فيقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ (النحل: ٩١)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤﴾(التوبة: ٤).

ويقول: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ (الأنفال: ٥٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منهج القرآن الكريم في بيان الأحكام

العدد (١٠٤) شعبان (١٣٩٣هـ) - أغسطس (١٩٧٣م).

للقرآن الكريم في بيان الأحكام منهج فريد اقتضته ضرورة كونه عالمياً خالداً. ويتلخص هذا المنهج في النقاط التالية:

١- أن بعض أحكامه جاءت بصيغة قاطعة في الأدلة على الحكم، فلم يكن محل اجتهاد ولا خلاف بين الفقهاء، وهذا - عادة - يكون في أصول الأحكام كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة القتل والزنى، وهذه الأحكام يجب اعتقادها، ويلزم العمل بها، ومن جحدها كان بجحودها خارجاً عن الإسلام.

٢- أن بعضاً آخر من أحكامه جاء بصيغة غير قاطعة في الدلالة على الحكم، لاحتمالها أكثر من وجه فكانت محلاً لاجتهاد المجتهدين، ونتج عن ذلك اختلافهم في الرأي، وذلك يكون- عادة- في فروع الأحكام كمقدار ما يجب مسحه من الرأس في الوضوء وعدد الرضعات التي يتحقق بها كون المرضع إما من الرضاع. وهذه الأحكام الاجتهادية التي قال بها الفقهاء لا يجب اعتقاد واحد منها بعينه، كما لا يجب العمل به إلا على المجتهد الذي توصل إليه باجتهاده، أما المقلد فله أن يختار من بين آراء المجتهدين ما شاء.

٣- أن القرآن لم يتناول كل الأحكام التي يحتاجها الإنسان في حياته جملة وتفصيلاً، لأنه ليس من المعقول ولا من الحكمة أن ينص القرآن على أحكام كل ما يعرض للناس من أقضية في ماضيهم وحاضرهم، ومستقبل حياتهم الممتدة إلى يوم القيامة.

أما أنه ليس من المعقول: فذلك أمر بدهي، إذ لا يتصور عقل أن يتسع كتاب لهذا كله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأما أنه ليس من الحكمة: فذلك لأن الحكمة تقضي أن تكون الشريعة التي جعلها الله خاتمة الشرائع وجعلها للناس كافة، شريعة يكون فيها جانب المرونة محققاً حتى تتسع لأنماط من الحكم مختلفة، يقتضيها اختلاف طبائع المكلفين وما يحيط بهم من ملابسات وظروف على مدى تاريخ الإسلام الطويل.

وحسب القرآن الكريم أن يقرر الأصول العامة ويتناول بعض الجزئيات الهامة ويقرن كل هذا بعلة التشريع وما يهدف إليه من مصلحة، ثم يترك للمجتهدين بعد ذلك أن يستنبطوا من الأحكام ما يلائمهم بشرط ألا يخرج عن نطاق ما قرره من الأصول العامة، وما نبه إليه من علة التشريع التي هي مناط الحكم.

٤- أن القرآن لم يلتزم وحدة الموضوع في بيان أحكامه لأنه ليس كتاب قانون يبوب لكل موضوع باباً ثم يسرد كل مسائله، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد: يسوق الآيات تلو الآيات في جانب من جوانب الموعظة، ويتوخى المناسبة الملائمة فيسوق في ثنايا موعظته حكماً شرعياً ويضفي عليه جواً من الترغيب أو الترهيب يوحي بوجوب الأخذ به، ويحذر من مخالفته.

وفي جانب آخر من جوانب الموعظة يلقي بحكم آخر يضفي عليه من جو الترغيب أو الترهيب ما يحتم الأخذ به ويحذر من مخالفته.

وهكذا يلقي القرآن بأحكامه كلها في أجواء مختلفة من الوعظ والهداية والإرشاد، وفي كل مرة يحس السامع بأنه يسمع شيئاً جديداً، فيقبل عليه بشوق ولهفة دون أن يحس بسآمة أو ملل.

ثم إن القرآن الكريم نزل مفرقاً وأحكامه نزلت مفرقة على حسب الحوادث وأسئلة السائلين وحاجات الناس، ومن الأحكام ما هو منسوخ بأحكام أخرى، فلو جمعت كل الأحكام ناسخها ومنسوخها في مكان واحد وتحت عنوان واحد، لظهر القرآن بمظهر المتناقض في بعض أحكامه.

أما أن توضع آية متضمنة حكماً في موضع ما ولمناسبة ما، ثم توضع آية أخرى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ناسخة لها في موضع آخر ولمناسبة أخرى ويعرف بطريق ما أن هذه ناسخة وتلك منسوخة، فذلك يوحي بتدرج التشريع، ويعطي القارئ المتأمل فكرة واضحة عن مراحله من غير أن يستشعر تناقضاً بين أحكامه.

بقي سؤال يثار حول التشريع القرآني وهو:

هل كل ما في القرآن من تشريع يعد جديداً غير مسبوق؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول: إن القرآن الكريم نزل للناس جميعاً ونزوله - كما قلنا - كان لغرض الإعجاز أولاً ثم ليكون مصدر هداية وإرشاد بما احتواه من تشريع وتوجيهات مختلفة وبدهي أن أي تشريع يراد له أن يكون صالحاً لتنظيم حياة أمة وعلاج مشاكلها في حاضرها ومستقبل أمرها، لا بد أن تتوفر فيه عناصر أربعة:

١- أن يكون ملائماً للفطرة البشرية ملائمة تامة حتى لا يصادمها ولا يعاندها في أمر جبلت عليه، ومن هنا حرم نكاح الأمهات والبنات في كل الشرائع المعتبرة تحريماً باتاً، ولو عرف أن تشريعاً أباح ذلك لعد شذوذاً وخروجاً عن الإنسانية إلى الحيوانية.

٢- أن يكون ملائماً للقدرة الإنسانية غير خارج عن طاقتها، وإلا كان تعنتاً وتعجيزاً ينافي مفهوم التكليف الذي يهدف إلى الامتثال والطاعة ومن هنا شرع التيسير في كثير من الأحكام عند تحقق المشقة أو مظنتها كإباحة الفطر في السفر والصلاة قاعداً لمن عجز عن أدائها من قيام.

٣- أن يكون ملائماً للسنن الاجتماعية فلا ينافرها ولا يعطلها وإلا كان ذلك خروجاً عما تقتضيه طبيعة الجماعات في ترابطها وتعاونها وتكاملها، ومن هنا شرعت قوانين الولاء لولي الأمر، وقوامة الزوج على زوجته، وولاية الوالد على ولده القاصر.

٤- أن يكون مراعياً للعرف وما اصطلح عليه الناس في معاملاتهم، ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة، لفساده في ذاته، أو فساد ما يترتب عليه، ومن هنا حرم التبني، وحرم الجمع بين الأختين في الزواج، وكلاهما كان متعارفاً بين العرب قبل الإسلام فجاء الإسلام وحرم الأول لفساده في ذاته، لأن الدعي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا يكون ابنا، وحرم الثاني، لفساد ما يترتب عليه من قطيعة الرحم التي تنشأ- عادة- بين الأختين إن كانتا تحت زوج واحد.

والقرآن الكريم راعى كل العناصر المتقدمة في تشريعه، ونظر إليها جميعاً بعين الاعتبار فيما تضمنه من أحكام كلية كانت أم جزئية، وعلى هذا الأساس جاء تشريع القرآن الكريم على نمط يتمشى مع عمومه وعالميته.. نمط يأخذ من كل دين وعرف ما يلائم طبيعة الإنسانية ويدخل في نطاق قدرته، ويساير تطوره الاجتماعي، وما لا يلائم طبيعته، ولا يدخل في نطاق قدرته، ولا يساير تطوره الاجتماعي يبطله ولا يقره، ثم هو بعد ذلك يشرع ما يراه متمشياً مع هذا كله.

وليس من شك في أن القرآن الكريم جاء وهناك تشريعات قائمة، بعضها منبثق عن شرائع سماوية، وبعضها الآخر منبثق عن أعراف خاصة لجماعات مختلفة.

وليس من شك- أيضاً- في أن القرآن الكريم وقف من كل هذه التشريعات موقف الناقد البصير: يقر منها ما يراه صالحاً، ويعدل منها ما يحتاج إلى تعديل، ويبطل منها ما يراه غير صالح، ويشرع أحكاماً أخرى لم تكن معروفة من قبل، وهو في كل هذا مشرع مستقل بنفسه، وليس عالة على غيره من التشريعات أو الأعراف والعادات، لأنه حين أقر ما أقر منها لم يقره على أنه مقلد لا رأي له، وإنما أقره لأنه جرى ويجري على مقتضى الطبيعة الإنسانية والسنن الاجتماعية، وما كان لمشرع أبداً أن يحيد عما تقتضيه طبيعة الإنسانية وسنن الاجتماع وإلا كان أحمق لا يعرف الحكمة ولا يدرك المصلحة.

وخلاصة المقال:

١- إن ما في القرآن من تشريع ليس كله جديداً مبتكراً.

٢- وأن موقف التشريع القرآني من الشرائع السابقة كان على النحو التالي:

أ) أنه أقر بعض الأحكام وأبقاها معمولاً بها في الشريعة الإسلامية لملاءمتها وصلاحيتها، كالقصاص، والديات في القتل وغيره من الجنايات على النفس.

ب) أنه هذب وعدل بعضاً آخر منها، كالظهار الذي كان معروفاً عند العرب، يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، فتصبح في عرفهم محرمة عليه أبداً،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فجاء القرآن وهم على ذلك، فعدل حكم الظهار: فمن ظاهر من زوجته لا يعتبره القرآن مطلقاً ولا محرماً لها على التأبيد، بل اعتبره عابثاً بالحياة الزوجية، وجزاؤه على ذلك: أنه لا يحل له قربانها والاستمتاع بها حتى يكفر عن خطيئته بعتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، وفي ذلك يقول الله تعالى معاتباً ومعاقباً:

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ (المجادلة: ٢-٤).

جـ) أنه ألغى بعضاً ثالثاً منها: كالتبني الذي كان معروفاً في الجاهلية وصدر الإسلام.

كان الرجل يتبنى ولد غيره وهو يعرف ذلك، فينسبه إلى نفسه، وتجري عليه أحكام الابن الصلبي من التوارث بينهما، وعدم جواز نكاح أحدهما زوجة الآخر إذا طلقها أو مات عنها، فجاء القرآن فأبطل التبني وما كان يترتب عليه.

فقال في بيان انتساب الأدعياء المتبنين:

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ﴾ (الأحزاب: ٤-٥).

وقال في إبطال التوارث بالتبني: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ (الأحزاب: ٦).

وقال في إباحة زواج المتبني بزوجة من تبناه بعد فراقه لها:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: ٣٧).. يريد زينب بنت جحش، وكان قد تزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد تبنى زيداً حتى كان يدعى زيد بن محمد، فأمره الله بزواجها من بعده، فكان ذلك هدماً لعرف جرى عليه العرب في الجاهلية.

د) وقد يقر القرآن بعض ما كان شائعاً من أحكام لنوع المصلحة فيه، ولكنه يحيط هذا الحكم الذي أقره بكثير من الضمانات حتى لا ينحرف به أحد عن حكمة التشريع.

ثم هو لا يكتفي بهذه الضمانات، فينشئ من التشريعات ما يكاد يلغي هذا الحكم أو يوحي بعدم الرغبة فيه، وذلك كالرق فقد كان شائعاً بين العرب فجاء القرآن وأقر الاسترقاق في الحرب، لا على أنه إهدار لآدمية المسترق وحطم لمعاني الإنسانية فيه، وإنما أعطاه كل حقوقه كإنسان، واعتبر الاسترقاق إدخالاً له في مدرسة الإسلام، لعل قلبه يتفتح على ما فيه من الحق والهدى فينضوي تحت لوائه، وفتح له مع ذلك أبواباً كثيرة يخرج منها إلى الحرية التامة.

فمن ذلك: أنه جعل تحرير الرقاب المسترقة من أفضل القرب وأحبها إلى الله.

ومن تخلى عن أنانيته وطوعت له نفسه عتق عبده عن سماحة نفس تخطى العقبة وسلك طريقه إلى الجنة[١].

ومن كان مسترقاً يسعى للحصول على حريته، فله في مال الزكاة نصيب يأخذه ليشتري له حريته من سيده إن كان قد شح عليه بها.

ومن حلف يميناً ثم حنث فيها فكفارته إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة[٢].

ومن قتل مؤمنا خطأ فكفارته تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله[٣].

---

(١) انظر الآيات ١١، ١٢، ١٣، من سورة البلد.

(٢) انظر الآية ٨٩ من سورة المائدة.

(٣) انظر الآية ٩٢ من سورة النساء.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن ظاهر من زوجته ثم أراد أن يعود لها فكفارته عتق رقبة[١].

ومن أفطر متعمداً في نهار رمضان فكفارته عتق رقبة أيضاً[٢].

ومن لطم مخدومه أو ضربه فكفارته أن يعتقه[٣].

ومن يتأمل الآيات القرآنية التي وردت في الكفارات يخرج بحقيقتين هامتين:

الحقيقة الأولى: أن العتق هو الأصل في الكفارة، وأنه لا تخيير بين العتق وغيره من المكفرات إلا في كفارة اليمين.

الحقيقة الثانية: أن العتق لا يعدل عنه إلى البديل وهو الصوم إلا إذا لم يجد المكفر رقبة يعتقها.

ومعنى هذا: أن الإسلام يتشوف إلى الحرية ويراها أحب إلى الله وأرضى من الصوم وغيره من العبادات والقرب.

ثم إن الإسلام يملك الرقيق نفسه ويعطيه حريته لأدنى مناسبة، فإذا ما لاح للمسترق شعاع أمل في الحرية من خلال نافذة ضيقة، فتح الله له الباب على مصراعيه لينطلق منه إلى الحرية الكاملة، كالأمة يستولدها سيدها فلا يحل له أن يخرجها عن ملكه ببيع أو هبة أو نحوهما، فإذا مات فهي حرة.

والعبد يكون بين شريكين فيعتق أحدهما نصيبه فيعتق العبد كله، ويضمن المعتق الأول نصيب شريكه إن كان له مال، فإن لم يكن له مال قوم نصيب من لم يعتق، وسعى العبد في تحصيله له من غير عنت ولا مشقة.

وهكذا يقر الإسلام أمراً كان شائعاً بين الناس، ولكنه يحيطه بكل الضمانات التي تجعله لا يخرج عن نطاق الحكمة والمصلحة... ثم هو بعد يلغيه بضروب من الجزاءات والعبادات والقرب إلى الله.

---

(١) انظر الآية ٣ من سورة المجادلة.

(٢) على خلاف بين الفقهاء في ذلك.

(٣) هذا نص حديث رواه الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما وفي معناه عدة أحاديث مروية في الصحيح.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجانب الأخلاقي في القرآن الكريم

العدد (١٠٥) رمضان (١٣٩٣هـ) - سبتمبر (١٩٧٣م).

لقد وجهنا القرآن الكريم إلى نواح أخلاقية متعددة، ودعانا إلى الأخذ بها حتى نسعد في حياتنا الدنيا وفي الآخرة، وحذرنا بأساليب شتى من الخروج عنها حتى لا نضلّ ولا نشقى، ونبهنا إلى الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة. . نبهنا إلى رسول الله ﷺ وما هو عليه من حسن الخلق وكريم الخصال حتى نقتدي به فقال مثنياً عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (ن: ٤).

وبين سر التفاف المسلمين من حوله واجتماع قلوبهم على محبته فقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وإذا نحن تتبعنا القرآن الكريم وتقصينا ما فيه من توجيهات أخلاقية لخرجنا بعديد من الآيات التي تحوي جماع الفضائل كلها، والتي لو تمسك بها المسلم لكان في القمة، من سمو الروح، وصفاء النفس، وحسن السريرة، وطيب المعشر، والتي لو سادت في مجتمع لكان مجتمعنا مجتمعاً مثالياً فاضلاً، يقوم على الخير والحب والمودة والرحمة والطهر والنقاء.

ولا نريد أن نستعرض كل ما في القرآن الكريم من الآيات الأخلاقية الموجهة فذلك أمر يطول. . . ولكن نكتفي ببعضها:

ففي الدعوة إلى الإحسان في معاملة الأقربين وغيرهم يقول:

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ (النساء: ٣٦).

ويقول: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ (القصص: ٧٧).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفي مقابلة السيئة بالحسنة يقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (فصلت: ٣٤).

وفي العفو عن المسيء يقول: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠).

ويقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ (يعني اليهود) ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

ويقول: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (البقرة: ١٣٣- ١٣٤).

وفي الحث على الصدق يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ (المجادلة: ٩).

ويقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ (النساء: ١١٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨).

ويمدح المؤمنين الأمناء ويسجل لهم الفوز والفلاح بقوله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ ... إلى أن يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون: ١-١١).

ويحذر من الخيانة فيقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأنفال: ٢٧).

ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٧).

وفي الحث على العدل يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (النحل: ٩٠).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويحذر من أن تكون القرابة أو العداوة سببا لعدم العدل في القول أو الحكم فيقول:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ (النساء: ١٣٥).

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (المائدة: ٨).

ويدعو إلى التواضع وعدم الكبر والتعالي على الغير فيقول:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ (الفرقان: ٦٣-٧٥).

ويقول: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ (الإسراء: ٣٧).

ويقول: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ (لقمان: ١٨-١٩).

وينهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (الحجرات: ١١).

وينهى عن الظن السوء، والتجسس والغيبة فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (الحجرات: ١٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويحذر من إشاعة الفاحشة في المؤمنين فيقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ (النور: ١٩).

ويرشدنا إلى حرمة البيوت وآدابها فيقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (النور: ٢٧- ٢٩).

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ (النور: ٥٨-٥٩).

ويدعو الرجال إلى غض أبصارهم وحفظ فروجهم عما حرم الله فيقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (النور: ٣٠).

ويدعو النساء إلى غض أبصارهن وحفظ فروجهن وعدم إبداء زينتهن للأجانب حتى لا يكن مثار فتنة فيقول: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (النور: ٣١).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾﴾ (الأحزاب: ٥٩).

ويقول: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ (الأحزاب: ٣٢- ٣٣).. وغير أمهات المؤمنين بذلك أولى.

ويقول في أدب الضيف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

● جانب الدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض

وأما جانب الدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض: فقد وجهنا القرآن الكريم إلى ما بثه الله في الكون من آثار قدرته ودلائل ألوهيته فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (البقرة: ١٦٤).

وقال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ (الروم: ٢٢).

وقال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات: ٢٠- ٢١).

وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية: ١٧- ٢٠).

وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ (الفرقان: ٦١- ٦٢).

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ (الفرقان: ٤٥- ٥٠).

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ (النور: ٤٣- ٤٥).

وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ (الشورى: ٣٢-٣٣).

وقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يس: ٣٧- ٤٠).

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (يوسف: ١٠٥).

وأخيراً يشير القرآن الكريم إلى آيات أخرى لا يزال يكشف عنها العلم، كانت وستكون الحجة البالغة لله على الناس فيقول:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

● هدف القرآن من توجيهنا إلى آثار قدرة الله

والقرآن إذ يوجهنا إلى هذه الآثار ويلفت أنظارنا إليها، لا يريد منا أن ننظر إليها نظرة عابرة قاصرة. وإنما يريد منا النظرة الفاحصة المتأملة، وهو يهدف من وراء ذلك إلى أمرين هامين:

أولهما: أن نأخذ منها الدليل على وجود الله وقدرته. وعلى أنه الإله الحق الذي يستحق العبادة دون غيره.

وثانيهما: أن ننقب عما حواه الكون من خيرات وكنوز وأن نكشف أسراره وكوامنه حتى ننتفع بكل ما فيه من خيرات مادية ونستفيد بكل ما نهتدي إليه من معارف وعلوم بعد الدراسة لظواهره ومشاهده دراسة البارع المدقق والعالم المحقق.

ولقد أدرك العلماء من غير المسلمين ما في الكون من مصادر الثروة وموارد القوة وينابيع المعرفة، وأخذوا جادين في استنباط كنوز الأرض واستغلال خيراتها. وبحثوا محققين عن خواص بعض ظواهر الكون وعوالمه، فإذا بهم بعد الجهد والعرق يصلون إلى ما كانوا يرجون. ويحققون لأممهم غنى لا يطاول، ومجداً لا يسامى، وقوة لا تقهر.

وغفل المسلمون عن آيات الله البينات، وأغمضوا عيونهم وعقولهم عن التأمل والتدبر فيما تحويه من ذخائر وتوحي به من معارف، فكان حالهم ما نرى: تخلف عن ركب الحضارة، وتسول في موكب العلم.

● القرآن يخاطب العقل والوجدان والعاطفة

والقرآن الكريم حين يدعو إلى العقيدة الحقة في الله وفي كل ما جاء عنه، وحين يدعو إلى التزام تشريع معين في عباداتنا أو معاملاتنا أو نظمنا الاجتماعية، وحين يدعو إلى الخلق الكريم والأدب الحميد واتخاذ ذلك منهجاً لنا في سلوكنا الشخصي وسلوكنا مع الله ومع الناس.. حين يدعو القرآن إلى هذا كله، لا يدعو إليه دعوة جافة خشنة ليس فيها إلا مجرد الأمر الصارم أو النهي العنيف وإنما يدعو إليه دعوة الحكمة العاقلة فيورده بأسلوب الأمر أو النهي مقروناً بوسائل الإقناع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بصدقه وصلاحيته وحسن عاقبته.

● **ووسائل الإقناع متعددة**

فتارة يكون الإقناع عن طريق العقل، وتارة يكون عن طريق الوجدان، وتارة ثالثة عن طريق العاطفة.

ولقد سلك القرآن الكريم في دعوته هذه الطرق الثلاث:

خاطب العقل: لأن من الناس من لا يؤمن إلا بالدليل العقلي ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ (المؤمنون: ٩١).

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وكلتا الآيتين دليل منطقي واضح يدركه من له إلمام بأساليب المناطقة في استدلالهم، ويدركه كل من له عقل يعي ولو لم يكن على علم بأسلوب المناطقة.

ثم هناك آيات الله في السماوات والأرض وفي أنفسنا، وكلها براهين عقلية تشهد بوجود الله وربوبيته، والقرآن الكريم- في أكثر من آية- يلفت أنظارنا إلى هذه الدلائل والبراهين حتى تقوم الحجة لله على الناس.

وخاطب القرآن الوجدان: لأن من الناس من لا يحفزه إلى الانقياد والطاعة إلا ما يحرك وجدانه، ويثير فيه جانب الرغبة أو الرهبة، فإذا ما أمر بمعروف وقرن الأمر بالترغيب، رغبت نفسه في الامتثال أملاً في الثواب، وإذا ما نهي عن منكر وقرن النهي بالترهيب، كفت نفسه عنه رهبة من الوقوع تحت طائلة العقاب.

وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم آيات تحرك في الوجدان نوازع الخير بما تضمنته من وعيد بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة، وآيات أخرى تنيم في الوجدان نوازع الشر بما تضمنته من وعيد بشقاء الدنيا وعذاب الآخرة.

فمن الآيات التي تحرك في الوجدان نوازع الخير وتبعث على امتثال الأوامر الإلهية:

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (النور: ٥٥).

وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (النحل: ٩٧).

وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣).

ومن الآيات التي تنيم في الوجدان نوازع الشر وتبعث في النفس الخوف من الوقوع فيما نهى الله عنه:

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل: ١١٢).

وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ (السجدة: ٢٠-٢١).

وخاطب القرآن العاطفة: لأن من الناس من لا يستجيب لدعوة الخير إلا إذا خوطب بما يهز عاطفته ويوقظ في نفسه كوامن الحب والشفقة والرحمة.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى عمل البر والخير، وأخرى تنهى عن ارتكاب بعض ما لا يليق بالإنسان، وهذه وتلك تأتي مقرونة بما ينبه العواطف الإنسانية ويثيرها حتى تكون المحرك الدافع لفعل الخيرات والمبرات، والمثبط المعوق عن ارتكاب الحماقات والموبقات.

فمن الآيات المقترنة بما يحرك العواطف الدافعة إلى فعل الخيرات والمبرات قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠) ومن الآيات المقترنة بما يحرك العواطف المعوقة عن ارتكاب الحماقات والموبقات.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ (النساء: ٢٠-٢١).

وقوله: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ (النساء: ٩).

وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ٩).

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩).

يريد أن المؤمن وأخاه كنفس واحدة، فمن عاب أخاه فكأنما عاب نفسه، ومن قتل أخاه فكأنما قتل نفسه.

وهكذا يخاطب القرآن الكريم العقل والوجدان والعاطفة حتى يصل إلى القلوب بتعاليمه ومفاهيمه من كل هذه النوافذ، وتلك رحمة من الله بعباده الذين شرحوا صدورهم للقرآن ولم يوصدوا دونه هذه المنافذ ويضعوا عليها أقفالاً من المكابرة والعناد.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من بحوث مؤتمر الدعوَة

مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها (١)

العدد (١٥٨) صفر (١٣٩٨هـ)- يناير (١٩٧٨م).

الدعوة إلى الله وإلى دينه الحق، هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم هي واجب العلماء من أتباعهم، ومسؤولية المؤمنين جميعاً من أممهم.

يقول الحق تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ (يوسف: ١٠٨).

وهكذا حددت الآية السبيل لرسول الله ﷺ ولكل من اتبعه، وجعلت غايتها، الدعوة إلى الله على بصيرة ومعرفة، وأصبحت الذعوة بنص هذه الآية، فريضة مستمرة، ينهض بها العلماء، ويضطلع بأعبائها المسلمون في تكافل وتعاون، يجعل من عملهم المشترك استمراراً لجهاد رسول الله ﷺ لإعلاء كلمة الله.

الدعوة إلى الله واجب عام، مسؤولية الوفاء به في أعناق المسلمين جميعاً، وهي مسؤولية يجب للوفاء بها توفير أمرين لا بد منهما:

وأول الأمرين: ما يلزم للدعوة ومتطلباتها الشاملة، من مال ينفق منه على ما تقتضيه مجالاتها المتعددة- من إعداد للدعاة، وتهيئة للوسائل الضرورية، من كل ما هو لازم لتوصيل دعوة الحق إلى الناس، داخل بلاد المسلمين وخارجها على السواء، فالدعوة إلى الإسلام، لا يجوز الوقوف بها عند حدود عالمنا الإسلامي، بل يجب أن تصل هذه الدعوة وتبلغ كل ما طلعت عليه الشمس، وكل ما دخل عليه الليل.

إن كتاب الله تعالى أنزل ليكون نذيراً للناس كافة، وما بدأه رسول الله ﷺ على طريق هذا الإنذار العام، من دعوة لملوك الأرض وشعوبها الذي أتيح له أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يدعوهم. . ما بدأه رسول الله ﷺ علينا أن نكمله، فنصل بالدعوة إلى كل مكان نستطيع الوصول بها إليه، تحقيقاً لقول الحق تبارك وتعالى لنبيه وعلى لسانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨). وهو معنى التعميم في آية البلاغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة: ٦٧)، بحذف المفعول، فمعناه - والله أعلم- بلغ كل من يمكن تبليغه.

وإذا كان مجال الدعوة بهذه السعة، وبخاصة في عصرنا الذي يسرت وسائل الاتصال فيه الوصول إلى كل شبر في أرض الله. . تبين لنا حجم الذي لابد منه للوفاء بمطالب دعوة جادة، تخرج الأمة من دائرة التقصير والتفريط في جنب الله في عالم ضاقت فيه المسافات، وألغيت الحواجز بين الدول والشعوب.

وثاني الأمرين: ما يلزم للدعوة من جهاز متكامل ينهض بها في داخل بلاد المسلمين وخارجها. جهاز تتوافر فيه المقومات والخصائص التي تناسب طبيعة الإسلام من ناحية، وتلائم طابع العصر من ناحية أخرى .

إن الله ﷻ يقول:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم: ٤).

لا بد للدعوة من لسان مشترك بين الداعي والمدعو، واللسان المشترك أوسع دلالة من مجرد معرفة بلغة مشتركة، بل لابد من معرفة بما تحويه هذه اللغة من ثقافة المدعو وخصائص بيئته، وما يشكل موقفه من أفكار ومعتقدات، وما يحكم تفكيره من عادات وتقاليد، لا بد للداعية من إلمام بها حتى يستطيع إحكام خطته في غزو الحصن من حيث يتمكن من فتحه بإذن الله.

ولابد في خطاب البشر خطاباً ناجحاً من مراعاة طبيعة البشر العامة فيهم أولاً، ومراعاة الخصائص الجنسية والعرقية ثانياً، ثم مراعاة الفروق الفردية في النهاية.

إن عقلية الإنسان هي نتاج تشكله عوامل كثيرة تختلف من شعب لآخر، ومن بيئة لأخرى ومن فرد لفرد.

هذه الفروق الجنسية والفردية على مستوى الشعوب والأفراد أصبحت أساساً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقرراً وحقيقة مسلمة لدى علماء النفس والاجتماع وخبراء التربية، وقد اعتمدت عليها نظم التعليم في كل الدنيا، وآن لنا أن نستفيد منها في مجال الدعوة الذي رأينا كيف أسسه القرآن الكريم على أساس الفهم المشترك العميق بين الداعي والمدعو ليتم الاتصال الذي يحقق الغاية كاملة.

لابد للدعوة من توافر هذين الأمرين:

- التمويل الكافي.
- والجهاز المقتدر.

ويبقى بعد توافر هذين العاملين شرط إذا لم يتوافر هذا الآخر ضاعت الآمال المعلقة بالدعوة، وتبخرت الأهداف المنوط بها تحقيقها.

وهذا الشرط يتمثل في توفير مناخ صالح تنطلق فيه الدعوة إلى الله خالصة من كل قيد، متجردة من كل غاية، إلا غاية وحيدة هي هداية الخلق إلى صراط الله المستقيم، ومعناه:

أن ترفع عن أجهزة الدعوة في كل بلاد المسلمين أثقال أجهزة السلطة التي تمنعها حرية الكلمة، وتوجهها في كثير من الأحيان للتحول من دعوة إلى الله، إلى بوق من أبواق الدعاية، أو وسيلة من وسائل الإعلام، أو تجمد حركتها بحيث تصبح مجرد وظيفة اجتماعية تتيح لصاحبها مورداً للرزق يصبح الحصول عليه هو الغاية الأخيرة.

تمويل الدعوة، جهازها، مناخها- هذه الثلاثة هي الميادين التي يجب البحث فيها عن مشكلاتها، والتي يمكن معالجة هذه المشكلات في نطاقها أيضاً.

ولنتناول بإيجاز مشكلات كل ميدان من الثلاثة مقترحين ما نراه من علاج ملائم.

أولاً:

تمويل الدعوة - وقد آثرنا البدء به لأنه يمثل عنق الزجاجة، ويعتبر الصخرة التي تؤسس للبناء أو تصطدم بها وتتحطم عليها الجهود.

نحن في عصر تحول فيه صراع الأمم والشعوب من صراع عسكري إلى صراع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اقتصادي في جوهره، يتخفى وراء صراع فكري عقدي أو مذهبي، وأصبح من المصطلحات الشائعة في عالم اليوم ما يتردد عن «الغزو الفكري» الذي اشتدت ضراوته، واصطنعت له الأساليب والمناهج التي خدمها العلم في جانبيها، النظري والعملي، على السواء.

هذا الغزو الفكري المتبادل بين الشرق والغرب، وبين مختلف النظم والمذاهب المعاصرة بعضها وبعض، يركز ويكثف جهوده على بلاد العالم الإسلامي بخاصة، وعلى بلاد العالم النامي بوجه عام، فهي- من جهة- مطمح نظره، يرى فيها طلبته التي تحقق مطامعه الاقتصادية، ومن جهة ثانية، يراها متخلفة، وتخلفها يجعلها أكثر طواعية وتقبلاً لما يقدمه إليها من فكر، يراد منه أن يكون رباطاً وثيقاً يشد إليه عقول أبنائها على نحو يجعل منهم تابعين مخلصين، ينفذون له مخططاته في بلادهم دون أن يضطر إلى الكشف عن وجهه القبيح، كما يوفر عليهم الكثير من الجهود والمال لو أنهم اصطنعوا للسيطرة طريقاً آخر.

هذا الغزو الفكري ترصد له ميزانيات ضخمة، وتقام له مؤسسات وأجهزة تخطط له، وترسم له المناهج والأساليب، وتعد له من الوسائل والأدوات ما يجعله قادراً على تحقيق غاياته.

إن المراكز الثقافية وما إليها، والإذاعات الموجهة، مسموعة ومرئية، «والسينما» ودور النشر، وفروع الجامعات الأجنبية، والمكتبات العامة الأجنبية التي لها إمكانات تجعلها مقصد طلاب البحث العلمي في جامعات كثيرة في بلادنا الإسلامية والعربية وبلاد العالم النامي- فضلاً عن الصحافة التي تتخذ منبراً يصل صوته إلى كل مكان- هذه كلها من أدوات «الغزو الفكري» المباشرة، ولعل غير المباشر من هذه الأدوات أشد خطورة وأخفى آثاراً.

لعل هذا يصور لنا حجم التمويل والمال المرصود لهذا النشاط الزاحف الشرس المصر الدءوب.

هذا النشاط الضخم بإمكاناته الهائلة يلقي بنتائجه في طريق «الدعوة إلى الإسلام» داخل بلاده وخارجها على السواء، نتائج هي عقبات وحواجز وسدود

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعترض طريقها من ناحية، وهي معاول تخلخل وتهدم من ناحية أخرى.

فإذا رجعنا إلى «الدعوة الإسلامية» وقارنا ما هو مخصص لتمويلها في ميزانيات الدول الإسلامية بما تملكه أجهزة «الغزو الفكري» وما يرصد لها في ميزانيات الدول التي تمارسه، بدا لنا العجز الكبير في إمكانات «الدعوة» على المستويين الداخلي والخارجي من حيث القدرة المادية اللازمة، والتي بدون توافرها تصبح هذه الدعوة بين موجات الغزو الفكري المضاد قزماً بين عمالقة شداد!!

إن قصور التمويل عن الوفاء بمتطلبات «الدعوة» وأجهزتها، وفاء يمكنها من أن تصمد في معركة الصراع، وتطور من أسلحتها ووسائلها، وتكيف نفسها بالأساليب الملائمة في حرب المواجهة الفكرية والمذهبية، جعلها كالحمائم بين النسور.

وإذا كان «الغزو الفكري» ينطلق من مرتكز سياسي في الأساس، فهناك حركة أخرى تنطلق من مرتكز مختلف، ونعني بها حركة التبشير الجديد، والتي تلبس في عصرنا ثياباً وأزياء تمعن في التخفي وتعمية ما وراءها، وتجد من مصادر التمويل الرسمية- من ميزانيات الدول، والمساهمات الشعبية - من تبرعات الأفراد، والمؤسسات، والجمعيات، ما يجعلها وافرة القدرة، بالغة النشاط، تصل بنشاطها إلى كل ركن معلوم أو مجهول في عالمنا.

إنه لولا المناعة الذاتية التي يتمتع بها الإسلام كدين، ولولا جوانب ضعف موضوعية في تلك الدعوات المضادة، لا تفلح كل وسائل التمويه في سترها... لكانت نتائج عدم التكافؤ الخطير بين ممكنات الدعوة الإسلامية وإمكانات أعدائها أضعاف أضعاف ما هو واقع فعلاً، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾ (الأنفال: ٣٦).

إن مقارنة بين «الفاتيكان» وحده، بإمكاناته وطاقاته، وسلطاته على الشعوب والحكومات المسيحية في العالم الغربي.. وبين «أجهزة الدعوة» مجتمعة في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عالمنا الإسلامي تكشف لنا وتجسد ما تعانيه الأخيرة، وتهيب بنا جميعاً أن نبحث عن مخرج لانتشالها من مأزقها.

وهنا نقترح: أن تخصص نسبة مئوية من ميزانية كل دولة إسلامية لتمويل الدعوة في الداخل والخارج، نسبة مئوية يتحقق بها العدل والتضامن في تحمل أعباء هذا الواجب الخطير، وتفي بمتطلبات المهمة الخطيرة التي تنتظر المسلمين اليوم، وفاء بحق دينهم، وبحق الإنسانية التي ضلت طريقها، ولا سبيل لهدايتها إلا عن طريق تعريفها بالدين الذي جاء لهداية البشر جميعاً.

إن (١٪) واحد في المائة، بل نصفاً من مائة من ميزانيات كل الدول الإسلامية الغنية والفقيرة، يحقق حصيلة ضخمة، تمول منها حركة الدعوة الإسلامية داخل بلاد المسلمين وخارجها تمويلاً جماعياً، يتحدد نصيب كل منها بحسب ما تحتاجه لا بحسب ما أسهمت به.

إن بلداً إسلامياً كبيراً هو «أندونيسيا» التي تعتبر أكبر دولة مسلمة في عصرنا عدداً، يتعرض الآن لحركة تبشير ضخمة وشرسة، استطاعت أن تقتطع من أبنائه المسلمين نسبة مئوية عالية، حددها بعض المشغولين فيهم بهذه المشكلة بنحو ٤٠٪ من جملة السكان، وهو رقم مهما كان فيه من مبالغة، فإن ما يتبقى بعد حذف كل ما فيه من مبالغة أو تهويل، يكفي لأن يوقظنا من غفلتنا، ويقتضينا أن نسارع بتنفيذ هذا الاقتراح على الفور، وتعبئة جيش من الدعاة القادرين لمواجهة هذه المأساة المروعة.

وما يتعرض له المسلمون في الفلبين، ألا يدخل في نطاق ما تطالبنا به الآية الكريمة تجاه المستضعفين من المسلمين حيثما كانوا: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ (الأنفال: ٧٢).

إن الواجب نصرهم، كيفما كانت تبعاته أو أهواله، فكيف بنا إذا لم نقدم لهم حتى مجرد الدعم الروحي والمعنوي؟.

تمويل الدعوة تمويلاً يمكنها من الانطلاق دون معوقات، هو أول ما يجب التركيز عليه واتخاذ قرار بشأنه حتى لا يتحول الحديث والحوار إلى مجرد أفكار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونظريات لا تجد لها طريقاً لأن توضع موضع التطبيق.

● **ثانياً: جهاز الدعوة**

وبناء هذا الجهاز بوجهيه البشري والمادي، رهن بما يتوافر للدعوة من مال تسهم فيه الحكومات بنسبة مئوية كما اقترحنا، ويضم إليه ما يمكن تقديمه من قبل الأفراد والمؤسسات والجمعيات الإسلامية في كل بلاد المسلمين، ومن خلال دعوة جادة ومؤثرة، تدعو للإسهام والتبرع لهذا العمل الجليل.

وجهاز الدعوة على دعامتين:

- دعامة بشرية هي الأساس، وهي القوة الضاربة في الميدان، ودعامة مادية تتمثل في مؤسسات الدعوة ومقارها، وأدوات توصيلها ونشرها، وكل ما يعتبر وسيلة معينة على تحقيق الاتصال الناجح المؤثر بين الدعاة والمدعويين.

ومشكلة جهاز الدعوة الإسلامية اليوم بوجهيه البشري والمادي، تتمثل في عجزه عن الوفاء بمتطلبات الدعوة تحت ظروف العصر عجزاً مزدوجاً يشمل الكم والكيف معاً.. فمن حيث الكم:

نجد قصوراً واضحاً في إعداد الدعاة، والمشتغلين في مجال الدعوة على وجه العموم، فالمساجد - مثلاً - لا تجد من الأئمة والخطباء من يقومون بهذه الوظائف، بأعداد تكفي لتغطية حاجتها جميعاً، والواقع - حتى في أحسن المجتمعات الإسلامية ظروفاً من هذه الناحية - ينطق بهذا النقص.

ومثل ذلك يقال عن عدد الوعاظ، فالمؤهلون منهم قلة محدودة جداً، ويجانبهم أعداد هائلة ممن يمارسون الوعظ هواية أو من خلال جمعيات تعد لهم مستويات من الدراسة تتيح لهم حدا أدنى من المعرفة الدينية الضرورية، التي قد تكفي لمواجهة حاجات البيئات المحدودة الفكرة والثقافة، ولكنها لا تفي بحاجة الإنسان الذي نال قسطاً كبيراً من ثقافة العصر، وتعرض لمؤثراته الفكرية والحضارية.

إن ساحة الدعوة الإسلامية داخل البلاد الإسلامية نفسها خالية - إلا نسبة محدودة منها - من دعاة حقيقيين، قادرين على حمل أمانتها والوفاء بتبعاتها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فإذا ألقينا ببصرنا على ساحة الدعوة خارج بلاد المسلمين، وحيث يوجد ملايين البشر ما زالوا على فطرتهم، أو شابتهم وثنية انتقلت إليهم بالعدوى، وحيث يوجد ملايين من أصحاب الديانات الأخرى يعانون القلق، ويبحثون عن معتقد تطمئن إليه نفوسهم، التي يرهقها الآن أن تتقبل عقائد ومذاهب، يصعب على عقل أضاءه العلم، وصقلته الحضارة، أن يتقبلها.

هؤلاء حيارى يتلمسون الضوء في ظلمات بعضها فوق بعض، ولو أن دعوة الإسلام بلغتهم في خطاب يفهمونه، وأسلوب حكيم يفتح لها الطريق الصحيح إلى عقولهم وضمائرهم، لكان لهم من الإسلام موقف آخر، ولغدوا جنوداً مخلصين يستطيعون ويملكون من وسائل نشر الإسلام بين أقوامهم، ما لا نملكه نحن في بلاد المسلمين.

إن الإسلام ليس ملكاً لنا، وإنما هو أمانة الله في أعناقنا، ومن الوفاء بالأمانة أن تؤدي إلى من هو أقدر على القيام بها، والحفاظ عليها، وهو مغزى قول رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ليبلغ الشاهد الغائب» (رواه البخاري) وقوله: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» (رواه الترمذي وحسنه).

لقد انتشر الإسلام في إفريقيا وآسيا على أيدي التجار المسلمين أكثر مما انتشر على أيدي الدعاة الرسميين، ذلك أن «الاحتساب» غير «الاحتراف» وليس من قبيل المصادفة أن يكون هذا القول الكريم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ (الشورى: ٢٣). شعاراً مشتركاً بين رسل الله أجمعين.

نحن بحاجة إلى تأمل المغزى العميق وراء هذا الشعار لنصل إلى معادلة صحيحة نحل بها مشكلة الدعوة العويصة في عالمنا وهي: كيف نوفق بين كون الدعوة غاية يجب التجرد لها والتضحية في سبيلها، وبين كونها مصدراً ضرورياً لرزق من تناط بهم وظائفها في عالم أصبح توزيع العمل والتخصص في المعرفة سمة من سماته؟

كم من «الدعاة» اليوم يبشرون بالإسلام على سطح هذا الكوكب الذي نعيش فيه؟. لو تصورنا أن كل مليون من البشر يكفيهم داعية واحد- وهو فرض أقرب إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخيال- لكان العدد المطلوب من «الدعاة» بضعة آلاف داعية، فهل نستطيع أن نحصي على مستوى العالم غير الإسلامي كله أكثر من بضع عشرات؟ تلك حقيقة يجب أن نذكرها ونذكر بها.

هذه المشكلة: الدعوة وجهازها من حيث عدد «الدعاة» وهم العنصر الأساسي فيها. فإذا انتقلنا إلى مشكلة الدعوة من حيث نوعية «الدعاة»، صدمنا الواقع صدمة قاسية - إن مستوى «الداعية» في أحسن حالاته اليوم لا يفي على الإطلاق بحاجة من يدعوهم.

إن إنسان العصر يريد أن يجد في «الدين» حلولاً لكل مشكلات الحياة التي تعترضه، سواء في سلوكه الشخصي، أو في علاقاته الأسرية، أو في معاملاته الاقتصادية ويريد أن يجد للدين كلمة تضيء له طريقه في قضايا الحكم، ومسائل السياسة، ومشكلات الاقتصاد.

والشباب - بخاصة - في حاجة إلى أن يقدم لهم من خلال الدين نظرة متكاملة للحياة، تستطيع إشباع حاجتهم للمعرفة، وتتيح لهم ما يبحثون عنه من سكينة النفس. واطمئنان الضمير.

هذه المطالب المعقدة المتشابكة يقدم «الدين» حلولاً جذرية عميقة لها، ولكن السؤال هو- ما مدى إدراك «الداعية» لهذه المشكلات؟ ثم ما مدى قدرته على استنباط حلولها، والإجابات الصحيحة عنها من المصدر الأصيل للدين ممثلاً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ يعتمد عليهما أساساً ويستعين بعد ذلك بما يراه ملائماً من الأدوات؟

هل يملك «داعية» العصر القدرة على الاقتراب المباشر من هذا المصدر، وأخذ الأحكام والحلول لقضايا الحياة المعاصرة ومشكلاتها من خلال نصوصه مباشرة؟

هنا يبرز لنا قصور الإعداد ونقصه، حتى على مستوى حمله الشهادات العلمية التي تجيزهم بأهلية العمل في مجال الدعوة، وتقرر صلاحيتهم لها.

هذا القصور إذا أردنا تحديد أسبابه، وجب أن نتجه على الفور إلى الجهات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي تتولى إعداد هؤلاء الدعاة، ونتفحص مناهج إعدادهم ووسائل تكوينهم.

وأول ما يلاحظ على هذه المناهج والأساليب:

١- أنها بدلاً من وصل الطالب وصلاً مباشراً بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أحلت بديلاً منهما، يتمثل في كتب ومذكرات، مهما كانت قيمتها، فلن تصلح بديلاً في يد داعية لابد أن يكون على بصيرة في دين الله، يستمدها من مصادره الموثقة، وليس من آراء البشر، واجتهاداتهم، وشروحهم، وتفسيراتهم، مهما بدت قيمتها في نظر من يضعون المناهج.

٢- وهذا يقودنا إلى أصل الداء في الدراسات الدينية المعاصرة ويتمثل في قصور الأدوات التي لابد من توافرها للتمكن في هذه الدراسات، وفي مقدمة هذه الأدوات إجادة «العربية»، وفقه لغة القرآن الكريم والسنة الشريفة.

إن مجتهدي الفقهاء، لم يتمكنوا من الاجتهاد الفقهي، إلا بعد امتلاك ناصية اللغة امتلاكاً تاماً، وعلم «أصول الفقه»- في جملته وتفصيله- هو علم لغوي في أساسه.

وهل استطاع أو يستطيع مفسر جاد أن يجلس إلى كتاب الله- وهو آية بيانية معجزة- وأداته اللغوية لم تكتمل، وذوقه اللغوي لم يصل إلى القمة؟.

إن فهم مراد الله من كتابه مرهون بالقدرة على النفاذ إليه من خلال أسلوب عربي، شاء الله له أن يكون معجزة بلاغية في صياغته.

وقصارى أمر من يحاول التفسير دون استكمال عدته اللغوية أساساً، أن يكون راوياً لأقوال الآخرين، أو جامعاً منظماً لها، أما أن يكون مفسراً منظماً لها، فهذا ما لا سبيل له إليه.

وقل مثل ذلك بالنسبة لمن يفسر أحاديث رسول الله ﷺ.

إن كل خلاف في آراء المفسرين، مرده إلى أساس لغوي بالدرجة الأولى، وكل ترجيح بين رأيين فمستنده أساس لغوي كذلك، فكيف يسوغ الترخص في هذا التكوين اللغوي للدعاة، وهو أداة الأدوات في يد كل باحث، ومفكر، ودارس، ومعلم يبلغ عن الله ما جاء على لسان رسوله ﷺ ؟!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن إعداد الدعاة- مهما تضخمت المناهج وتشعبت- يظل عاجزاً عن ربطهم ربطاً وثيقاً بمصدر الدين الأساسي، طالما بقيت هذه الثغرة.. أعني هبوط المستوى اللغوي في هذا الإعداد.

٣- إذا كانت ثقافة العصر تفرض نفسها على عقول الناس، وتخلق فيها من المشكلات ما لم يكن في عقول السابقين، فالضرورة قاضية بأن يلم الداعية بتيارات هذه الثقافة، ووزنها، وتمييز ما هو حق فيها، وما هو باطل، ثم يسلح بأسلحة ملائمة للهجوم وللدفاع في معارك الفكر التي لا بد له أن يخوضها، إذا كان يريد أو يراد له - حقاً- أن يؤدي رسالته على وجهها.

أصالة الثقافة بربطها بالمصدر الأول للإسلام، ومعاصرتها بالتفتح على ثقافات العصر، وميادين المعرفة اليوم، كلاهما ضروري لداعية العصر، وإلا كان سطحياً غير عميق الجذور إذا فقد شرط الأصالة، أو منغلقاً، ضيق الأفق، إذا فقد شرط المعاصرة.

لقد حفل تاريخ الدعوة الإسلامية وتطورها بنماذج فريدة من «الدعاة» المدافعين عن الإسلام، تمكنوا من قديمهم، وتسلحوا بأسلحة عصورهم فلم يتهيبوا ميدان النزال، بل اقتحموا، وصالوا وجالوا، وغلبوا ورفعوا راية الحق عالية، يقذفون الباطل من تحتها، بقذائف لم تكن لتخطئ مقاتله.

إن هذا التاريخ ليذكر بالفخر والاعتزاز أمثال أبي حنيفة، ومالك والشافعي وابن حنبل رضوان الله عليهم.

ويذكر أمثال الحسن البصري، وابن سيرين، وأبي الحسن الأشعري.

ويذكر الباقلاني، والغزالي، وابن رشد، ومن إليهم ممن كانوا حصوناً ومعاقل، تقف لترد عن الإسلام هجمات الطاعنين، والمفترين.

ويذكر ابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي.. وابن كثير.

ويذكر في عصرنا الحديث محمد بن عبد الوهاب، والأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، والكواكبي، ممن كانوا شهباً راصدة، تنقض على كل من يحاول النيل من الإسلام، بالطعن والتشكيك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن العودة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، واستمداد مناهج إعداد الدعاة منهما مباشرة، وتمكين الأساس اللغوي للدعاة، هو نقطة بدء لابد من التفكير فيها تفكيراً عميقاً، ومخلصاً، وواثقاً من أن ذلك هو الطريق لنهضة الدعوة والدعاة، والذي لا طريق سواه، ثم يكون بعد ذلك الانفتاح على ثقافات العصر.

٤- كل ما مضى، يتصل بالتكوين العلمي، أو المعرفي والثقافي للدعاة ويحدد جوانب النقص فيه.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من بحوث مؤتمر الدعوة

مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها (٢)

العدد (١٥٩) ربيع الأول (١٣٨٩هـ) - فبراير (١٩٧٨م).

تناولنا في كلمة سابقة، كل ما يتصل بالتكوين العلمي، أو المعرفي، والثقافي للدعاة وتحديد جوانب النقص فيه.

وبقي جانب هو أخطر الجوانب كلها في نظرنا، لأن نقصه يذهب بكل النتائج التي نرجيها من وراء تصحيح المسار في التكوين العلمي النظري لمن يوكل إليهم أمر الدعوة ومهامها.

إن فلسفة إعداد الدعاة، تبدو لنا ناقصة نقصاً خطيراً، ذلك أنها تُعنى بالجانب التعليمي التلقيني، أو بالجانب النظري من الإعداد، بينما هي تهمل إهمالاً شبه كامل، الجانب التربوي الذي هو الوجه المكمل للوجه النظري.

إن العلم وحده لا يكفي لتكوين داعية، والمعرفة وحدها لا تصنع داعية كذلك، لقد قال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» (رواه ابن عدي عن عمر).

إن العلم إذا لم يستند إلى خُلُق يحميه من نزوات النفس، وطغيان الشهوات ويصونه عن الدنايا وسفاسف الأمور، يصبح كارثة حين يوجه لغايات آثمة، أو يستغل في مآرب خبيثة.

إن تنمية الإحساس بأن «الداعية» «صاحب رسالة»: رسالة هي امتداد لوظيفة النبوة. . ، ومسؤوليتها- لذلك- مسؤولية ضخمة، والتبعة فيها على قدر سموها وجلالها.

تنمية الإحساس بهذه المعاني شرط أوليّ، يجب أن تحرص على التمكين له فلسفة إعداد «الدعاة» ولا تغفل عنه في خطوة من خطوات هذا الإعداد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يجب أن يختار «الدعاة» اختياراً مدققاً، بحيث تتوافر فيهم مقومات، إذا تخلفت كانت البداية خاطئة وغير موصلة إلى الغاية المرجوة.

إن المستوى العقلي الجيد، والذكاء بدرجة واضحة ضروري هنا، ومن المقرر: أن الفطانة من صفات الأنبياء عليهم السلام. فلنتعلم جيداً من قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

والمستوى الخلقي الممتاز ضرورة فوق كل الضرورات، فالدعوة أمانة لا رقيب على صاحبها سوى ربه وضميره، ومن المقرر كذلك: أن الأمانة من صفات الأنبياء صلوات الله عليهم.

والالتزام الديني بالإسلام، فكرا وسلوكاً، في كل صغيرة وكبيرة، مما يجب تمكينه تمكيناً متأصلاً في أنفس الدعاة. ومن الخطورة أن نقدم للناس دعاة يقولون ما لا يفعلون، أو يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، أو ينهون عن المنكر ولا يتناهون هم عن فعله.

إن الداعية قدوة، وشرط القدوة تطابق القول والعمل بعد استقامتهما على نهج صحيح.

تربية الداعية دينياً، وتدريبه على تطبيق الإسلام في حياته عملياً وتزكية نفسه بما يجعلها متأبية على الدنايا، وأخذه أخذا بما يحصنه ضد فتنة المال، وإغراءات الحياة ثم الترقي به ليعيش في مستوى «التجرد» لرسالته، مطمئنا ومستعداً للتضحية في سبيلها بكل ما يستطيع.. هذه التربية ضرورية، ولازمة، وبدونها لا يكون هناك معنى للحديث عن دعوة ودعاة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢) هذا ما ينبغي أن يكون شعار الدعاة.

هذا الجانب التربوي من الإعداد، غائب تماماً الآن في بيئات إعداد الدعاة.

وكيف تنتظر «داعية حقيقياً ألف أن تمر عليه مواقيت الصلاة وهو في قاعات الدرس مثلاً مع أساتذته العلماء دون أن يكون من حوله ما يوحي بأن هناك التزاماً بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣) ويكفينا هذا المثال.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه التربية العملية للدعاة على قيم الإسلام ومثله، وعلى شرائعه وشعائره، وعلى مفاهيمه وعقيدته، لا يغني فيها التلقين ولا المعرفة النظرية، بل لابد لاستكمال هذا الجانب الخطير من تغير جذري يمس فلسفة الإعداد. ويعدل من المناهج والأساليب، ولن يتم ذلك إلا بأن يتم الإعداد والدراسة والتربية، من خلال حياة متكاملة، يتخلق كل العاملين في إطارها بخلق القرآن، ويلتزمون التزاماً كاملاً، بتطبيق الإسلام شعائر وآداباً وقيماً وضوابط للسلوك، بحيث يترجم ما يدرسه الطالب نظرياً إلى حياة وممارسة.

هل تصلح معاهد إعداد الدعاة الحالية لهذا اللون من التربية؟

بالقطع هي لا تفي بهذا، ولم تصمم مبانيها ولا مناهجها ولا فلسفاتها على هذا الأساس.

وهنا نقترح:

إنشاء كلية: «الدعوة الإسلامية» بتمويل إسلامي عام، ويختار لها الدارسون اختياراً دقيقاً، من كل أنحاء العالم الإسلامي، من خلال نظام محكم للقبول لا يمر منه إلا من تتوافر فيه مقومات خاصة، تؤهله لأن يكون «داعية» بمفهوم الداعية الصحيح.

هذه الكلية يجب أن تختلف كلية عن المألوف في النظم الجامعية أو المدرسية العادية. فالدراسة والتربية فيها متكاملتان، وتبدآن من سن باكرة «١٢ سنة مثلاً».

والمراحل فيها مترابطة تسلم كل منها إلى ما يليها. والحياة فيها تصمم بحيث تتيح لأصحابها معايشة الإسلام، معايشة حية تحوله إلى نسيج نفسي وعقلي، داخل الدارسين، وإلى ظواهر صادقة في سلوكهم.

ونظم التقويم فيها، يجب أن تشمل الجانبين: العلمي والتربوي، أو المعرفي والسلوكي.

وهيئة التدريس وجهاز التربية فيها، يجب أن يكون كله من رجال لهم- إلى جانب علمهم وخبرتهم- اهتمام بالدعوة إلى الله، بدرجة تجعل منهم مجاهدين محتسبين، وليس مجرد موظفين يتقاضون أجوراً يتنافسون عليها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما المناهج: فيجب أن يتوافر فيها ما يغطي جوانب النقص التي فصلناها هنا وفي مقدمتها:

١- ثغرة الضعف في التكوين اللغوي.

٢- ثغرة الانفصام عن المصدر الأصلي للإسلام ممثلاً في الكتاب والسنة.

٣- ثغرة الانغلاق وعدم الاقتحام لثقافات العصر وتحديد مواقفنا منها.

وليس ثمة ما يمنع أن يكون في خطة الدراسة مجال واسع لتدريب عملي على البحث العلمي من ناحية، وعلى ممارسة فنون الدعوة العملية: من خطابة ومحاضرة، ودرس، وحوار، ومناظرة، وإذاعة... الخ.

٤- إن تركيز جهود الإعداد في «كلية إسلامية» كبرى يمكن تطويرها لتصبح جامعة للدعوة خير بكثير من تفتت الجهود في وحدات صغيرة الإمكانات، عاجزة عن تطبيق مثل هذه الفلسفة.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى ضرورة العناية بتدريس اللغات الأساسية المنتشرة في بلاد العالم الإسلامي، غير الناطقة بالعربية، وبلغات العالم المعاصر الحية والواسعة الانتشار.

٥) بقي جانب مهم لا ينال - في واقعنا - ما يستحق من عناية في مناهج إعداد الدعاة ونعني به الجانب الفني العملي للدعوة في مجال الممارسة والتطبيق.

إن «الدعوة» حين يمارسها الداعية خطابة، ووعظاً، وفتيا، ودرساً، ومحاضرة، وحديثاً إذاعياً، وحواراً، ومناظرة، وهجوماً، ودفاعاً.. هي في كل ذلك ذات وجه فني يتمثل في أساليبها وطرقها!

وإذا كان الفن في ذاته استعداداً بالدرجة الأولى، فإن ذلك لا يغني عن دراسة الأصول العامة التي تكشف عن حقائقه، وتصقل مواهبه، وتعين على الإبداع والتطوير الناجح خلال الممارسة.

وإذا كانت مناهج الدراسة تزود الداعية بالمضمون الفكري الذي يستمد منه، وإذا كانت التربية المتكاملة التي اقترحناها، تكون شخصيته تكويناً متوازناً يؤهله لرسالته، فإن استكمال هذا الجانب الفني المتصل بالأساليب والأدوات لابد منه!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخطابة - مثلاً - فن، أساسه استعداد فطري لاشك، لكن فهم الخطيب لطبيعة موقف الخطابة، وتكيفه بظروف الحاضرين، وأنها لون من السياسة النفسية للجماهير، وتصلح لتناول موضوعات دون غيرها، وتحتاج لاصطناع أسلوب غير ما يحتاج إليه في محاضرة مثلاً، إلى ما يكون للأداء الصوتي من تأثير، بتلوين نبرات الصوت، ودرجته، والوقفات والسكتات التي تتخللها، والسرعة والبطء، وطول الجمل وقصرها، وكونها مرسلة أو مسجوعة أو متوازنة.. وكيف يكون تفجير طاقات الناس واستنفارهم، أو استهواؤهم، وتهيئة قابليتهم لما يلقى إليهم، كل أولئك مما يفيد «الداعية» معرفته، ويزيد من بصيرته بفنه الذي يمارسه!.

إن القرآن الكريم، حافل بالمناهج، والأساليب، والطرائق التي يمكن الاستنباط منها والاستهداء بها، في كل موقف نوعي يقفه الداعية أو يتعرض له: خطابة، وحوارًا، وقصصاً، وموعظة، وتقريراً في تنوع يقدم لكل مقام ما يلائمه، ولكل موضوع ما يناسبه.

وفي سنة النبي ﷺ ومواقفه العملية ذخيرة ثمينة وثرية لو تناولها باحث بالدرس والاستقراء، واستنبط منها الأصول النفسية والاجتماعية والدينية التي تفسر نفاذ النبي ﷺ إلى قلوب الناس وعقولهم.. في سنة النبي هذه ما لو تناوله باحث حصيف لقدم لنا ما يمكن أن نسميه: علم نفس الدعوة، على غرار ما يعرف من علم النفس التعليمي أو التربوي! وبعمق أكثر فيما يتصل بطبيعة النفس، إذ كان منهج النبوة في دعوة الناس منهجاً ربانياً ألهمه إياه ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى!

وفي وصايا النبي ﷺ لمبعوثيه الذين أرسلهم معلمين هنا وهناك من أمثال معاذ ابن جبل، وفي إجاباته عن أسئلة محددة من أشخاص ذوي سمات خاصة مجال واسع لتأمل رشيد، يعود على صاحبه بما يفتح بصيرته على رؤيا ومدارك لم يكن يراها من قبل.

إن العصر الذي نعيشه ابتكر من وسائل الاتصال والتوصيل، ما لم تعرفه الدنيا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا سمعت به قبل قرن واحد. وكلها مما يتوسل به لتوصيل الكلمة نافذة مؤثرة بأقصى ما تحتمل من هذا التأثير.

و«الدعوة الإسلامية» - وأداتها الكلمة - لا بد لها من تفكير جاد في دراسة وسائلها التقليدية لتطورها من جهة، ولتكملها بما استحدثه العصر من وسائل تلائمها وتجعلها أكثر قدرة على النفاذ إلى القلوب والعقول.

إن نقاء أجهزة الدعوة الإسلامية في عالمنا مقيدة بهذه الحدود والوسائل الضيقة التي دفعت إلى مضايقها دفعاً خلال فترات متخلفة من تاريخ المسلمين، يجعلها متخلفة عن الوفاء بحاجة العصر. والمسلمون طوروا كل أساليب حياتهم تقريباً، واستحدثوا كل جديد رأوه نافعاً في مجالات الحياة، ومن واجبهم أن يعطوا «الدعوة» إلى الله جانباً من هذه العناية.

ثالثاً: مناخ الدعوة

وهو الميدان الثالث الذي تنبثق منه مشكلات كثيرة تتصل بالدعوة والدعاة بل لعله أخطر الميادين كلها على الدعوة سلباً وإيجاباً.

إن مناخ «الدعوة» حينما يكون ملائماً، يتيح لها من الحرية والانطلاق ما هو شرط ضروري لازدهارها وإيجابيتها، وحين يكون هذا المناخ غير موات بما يسوده من كبت وتقييد، تفقد الدعوة أول شرط لحياتها، وتصبح مختنقة محبوسة الأنفاس.

حينما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ (الجن: ١٨) فقد قرر حق الدعوة في حرية مطلقة لا قيود عليها، وأوجب على الدعاة ألا يذعنوا لأي نوع من أنواع الضغط أو التوجيه، الذي ينال من تجردهم للغاية التي جندوا أنفسهم لها.

وإذا كان من واجب حكام المسلمين أن يوفروا للدعوة هذه الحرية الكاملة، فمن واجب الدعاة كذلك ألا يسيئوا استخدام هذه الحرية بما يسيء إلى أممهم ودولهم، دون غاية من دين أو دنيا تبرر هذه الإساءة.

وإذا كان لابد هنا من ضابط لهذه الحرية، فهذا الضابط يتمثل في أمرين:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١- تجريد الغاية كلية لله، فلا هوى ولا غرض، ولا مرض ولا عرض من أعراض الدنيا.

٢- سمو الأسلوب، واستقامة المنهاج، بالالتزام بما أرسته الآية المباركة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ (النحل: ١٢٥).

إن حرية الدعوة، يقابلها الالتزام بهذا الأدب الإلهي، الذي سنه الله تعالى لإمام الدعاة صلوات الله وسلامه عليه.

حرية الدعوة والتزامها على هذا النحو هي الصيغة الوحيدة، التي يمكن على أساسها حل المشكلة الأساسية، التي تعاني منها الدعوة الإسلامية في كثير من البلدان، وهي مشكلة كونها تابعة للحكومات والسلطات.

والمشكلة هنا ذات أبعاد يجب تأملها ليمكن تصورها على نحو صحيح.

ماذا تعني تبعية أجهزة الدعوة في بلد ما للحكومة المسؤولة فيه؟

تعني أولاً: أن ينسحب منطق الوظيفة على هذا الجهاز.. فالعاملون فيه موظفون تحدد عليهم واجبات، وتقرر لهم حقوق، ويخضعون لنظم من التوجيه والرقابة، تشبه إلى حد كبير ما يسود مجالات الحياة الأخرى، كما يتعرضون لنظم العقاب والثواب أسوة بغيرهم من موظفي الدولة هنا أو هناك...

هذا الإطار الوظيفي، إن صلح لأي مجال آخر في الحياة، فهو في مجال الدعوة غير صالح على الإطلاق، فالدعوة إنما تقوم أساسًا على الالتزام أمام الله، وليس على الإلزام من جانب السلطات كائنة ما كانت.

ونظام الرقابة في هذا المجال لا يمكن أن يأتي من خارج الإنسان، وإنما يجب أن يتولد من داخله خلال عملية الإعداد والتربية والتكوين.

إن ضمير الداعية يجب أن يكون الفيصل في مسألة الرقابة وما يتصل بها، وحاجة الدعاة إلى رقابة خارجية معناه: فشل إعدادهم وتربيتهم من ناحية، وعدم صلاحيتهم لمهمتهم من ناحية أخرى، وخير للدعوة - ألف مرة- أن ينحى عن مجالها كل من يحتاج لرقابة خارجية من بقائه في ساحتها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتعني ثانياً: إحساس جهاز الدعوة التابع بأن مصيره وقدره مرتبط بطاعته لأولي الأمر، وأن مخالفته إياهم- ولو كان فيها إرضاء لله- يعرض حياته وحياة من يعولهم لخطر يتصل بمصدر رزقهم.

هـذا الإحساس يهدهد من شجاعـة الدعـاة في الجهر بكلمـة الحق، وينمي -بالتدريج - روح الهوينى ويبرر الخمول والكسل، حتى ينتهي الأمر إلى أداء شكلي هزيل..

وتعني ثالثاً: أن يدخل «الدعاة» في معركة المطالبة بتحسين الأوضاع، فهم جزء من جهاز الدولة يتأثر بما حوله، ودخول الدعاة في هذا الجو مشغلة من جهة تصرفهم عن وجهتهم، وتبدد الكثير من طاقتهم، ومن جهة أخرى ينال من صورتهم- كمثل وقدوة- في أنظار الناس، وعلى هذه الصورة، يتوقف الكثير من استجابة الناس لهم، ورفضهم إياهم.

وتعني رابعاً: أن على جهاز الدعوة أن يختار أحد طريقين:

إما أن يساير ما يجري في مجتمعه ما دامت السلطة القائمة تقره، وإما أن يقول كلمة الحق معلنا أن السلطات خالفت حكم الله في هذا الذي أقرته، هذا الصراع النفسي داخل نفس الداعية موجود ومستمر طالما ظل هناك انفصال بين مواقف الحكام في التشريع والتطبيق وتنظيم الحياة، وبين توجيه الإسلام.

والحق أن هذه المشكلة من أعقد مشكلات الدعوة.

فتبعية الدعوة للحكومات تضمن لها وللقائمين عليها مورداً يصعب تدبيره عن طريق آخر ومعناه: أن قطع هذه التبعية يقتلها قتلاً!

واستمرار هذه التبعية، يعرض الدعوة في كثير من الأحيان، لضغوط تشل فاعليتها وتفرغها من مضمونها! والحل في نظرنا يمكن تحقيقه على النحو التالي:

١- توفير ضمانات كافية تؤمن «الدعاة» تأمينا كاملاً فيما يتصل بأرزاقهم، بمعنى أنهم لا يصادرون في أرزاقهم، مهما كانت المآخذ، أو حتى التهم التي توجه إليهم!

٢- أن تتولى محاسبة من يرى أنه ارتكب ما يوجب المحاسبة، هيئة علمية،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحاكمه على أساس واضح من مقررات الإسلام، التي لا يجوز للداعية أن يذعن لغيرها، ولا يجوز لغيره أن يحاكمه إلا على أساسها.

٣- التفكير في نظام يكفل تمويل الدعوة، على مستوى العالم الإسلامي - كما اقترحنا في صدر البحث- وبحيث لا يكون هناك سلطان مباشر للحكومات على الدعاة.

هذه هي المجالات الثلاثة الكبرى، التي تتركز فيها مشكلات الدعوة والدعاة. وبقيت أمور تمثل عقبات وتحديات تعترض طريقها وسوف نشير إلى أهمها فيما يلي:

أولاً: عقبات داخل مجال الدعوة نفسها

(١) ومن ذلك تعدد أجهزة الدعوة، كياناً، وتوجيهاً، وإشرافاً، وهو أمر له خطره المتمثل في تضارب الاتجاهات، وما يترتب على ذلك من شقاق، وبلبلة تهز ثقة الناس، وتجعلهم يتساءلون: ترى من المحق من كل هذه الطوائف؟ ولماذا يكون بعضها أولى بالحق من الآخرين.

(٢) ومن ذلك ترك ساحة الدعوة فوضى، يتجول فيها هواة، ومشعوذون، ودجالون، ومرتزقة كاذبون، ولعل ما يجري تحت اسم الطرق الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي أسوأ ما يعترض طريق الدعوة الحقة!

(٣) ومن ذلك مناهضة أجهزة الإعلام والثقافة العامة، بوعي وبدونه، لأجهزة الدعوة، مناهضة تملك من الوسائل والطاقات، ما يكاد يذهب بأثر الأخيرة ذهاباً كلياً، ومن أخطر ما يجري في هذا القطاع التعريض بالدعوة ورجالها، والنيل من مكانتهم، ومحاولة التأثير على صورتهم عند الجماهير بما يضعف استجابتهم لهم.

(٤) ومن ذلك ميل كثير من العاملين في مجال الدعوة، إلى الهروب من الميدان، والاتجاه إلى مجالات أخرى، يرونها أكثر سخاء في العطاء الدنيوي، وهذا أكبر دليل على أن فكرة «الرسالة» والإحساس بها، لم تنشأ في نفوسهم، ولم يعن بتنميتها فيهم خلال مراحل الإعداد!..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثانياً: تحديات من خارج المجال:

وفي مقدمة هذه التحديات، ما يتستر ويتخفى تحت شعار العلم، متخذا منه قناعاً من جهة، ومعبراً يعبر منه إلى عقول الشباب المعاصر من جهة أخرى!

من هذه التحديات:

(١) تلك النزعات والمذاهب والفلسفات المادية، التي تفد من الشرق ومن الغرب على السواء، والتي تلتقي على غاية واحدة، هي قلع جذور الدين والتدين من العقول والقلوب، وأصحاب هذه الاتجاهات يحاولون إضفاء صفة العلم عليها، لما للعلم اليوم من سلطان على العقلية المعاصرة، وخاصة في بلاد العالم الصناعي، حيث قدم العلم إنجازات جعلت تلك المجتمعات تقيم منه إلها تعبده، وتتعبد في محرابه.

إن فتنة العلم في عصرنا هي أخطر ما يجب مواجهته، وكشف ما ينطوي عليه من مغالطات وتجن على الحقيقة، وافتعال الادعاء بأن الدين عدو للعلم.

(٢) ومن فروع هذه الشجرة الآثمة، ذلك الاتجاه «العلماني» الذي يدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وهو اتجاه قد يكون له ما يبرره في بلاد نبذت الدين كلية، أو فشلت في محاولة التوفيق بين نظرة العلم، ونظرة الدين الذي تدين به للحياة، لكن هذا إذا ساغ في أي مجتمع يستظل بأي دين، فإنه في مجتمع يستظل بالإسلام لا يزيد عن تقليد جاهل، أو محاولة مغرضة، تريد حرمان المجتمع الإسلامي من أعظم مقوماته، ومن أعمق دوافعه، ومن أقوى حصونه في الصمود والدفاع عن نفسه، في مواجهة أعدائه.

في مجتمع الإسلام، لا مكان لهذه المشكلة، بالمرة، فالدين الحق، والعلم الصحيح، أخوان، وفي تعاونهما معاً، ازدهار الحياة وتقدمها، والداعون للعلمانية في مجتمعات الإسلام هم - بحق- الرجعيون الذين ينطلقون من منطلقات جاهلة أو حاقدة.

(٣) ومن فروع هذه الشجرة الآثمة أيضاً، ما نراه من انفصام بين الجامعات والمراكز التي تتولى شؤون البحث العلمي، في بلاد إسلامية متعددة، وبين روح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلام ونظرته للعلم والعلماء، وهي ثمرة مرة جاءت نتاجاً غير صالح لما كان من فصل متعمد بين التعليم الديني، والتعليم المدني، أرسى الاستعمار قواعده، ورسخ أصوله، وأخذت ثغرة هائلة في بنية المجتمع الإسلامي المعاصر، يجسدها هذا الانفصام، بين مراكز التوجيه والقيادة الفكرية فيه، وبين الإسلام على درجات متفاوتة.

(٤) ومن التحديات التي تواجه الأديان بوجه عام، ما يبدو من ميل عام كذلك إلى التحلل من الدين، والتخفف من تبعات التدين، وهي ظاهرة عامة في كل المجتمعات تعكس روح العصر، ومن الغريب أنها بدأت تنحسر في المجتمعات المتقدمة وظهرت فيها نزعات تطالب بالعودة إلى الدين، هذا بينما في المجتمعات النامية، ما زالت تأخذ صورة المد، ولا تنحسر بعد.

(٥) وهناك تحد خطير، لأنه يمثل خميرة الشيطان في مجتمعات المسلمين، لقد تمكن الملاحدة من الماركسيين وغيرهم في كثير من بلاد العالم الإسلامي، من أن يكون لهم وجود منظم ومعترف به، في شكل أحزاب، أو تجمعات تمارس نشاطها علانية أو تحت الأرض.

هذه التجمعات الإلحادية، تركز نشاطها على الشباب، وتستثمر الظروف الصعبة، التي تعانيها بعض تلك المجتمعات، لحساب مبادئها الهدامة، وأغراضها المشبوهة وقد مكنها ما أضفى عليها من شرعية في بعض تلك البلدان من أن تستعلن، وتفصح عن مبادئها، وتدعو إليها جهاراً نهارا.

وبعد فلعلنا نكون - بهذا البحث الموجز - قد ألقينا ضوءاً كافياً على ما يعترض الدعوة الإسلامية من مشكلات، وما يعترض «الدعاة» من عقبات، حرصنا على أن نضعها في أطرها العامة، ليسهل التعرف عليها، والنفاذ إلى جذورها وأسبابها، بما يهيئ السبل الصحيحة لعلاجها والخلاص منها.

إننا لو استطعنا تحقيق وتطبيق معطيات هذه الآيات الكريمة، في محيط الدعوة الإسلامية ومجالاتها، لكان لها من هذا التطبيق، ما يخلصها من مشكلاتها، ويمنحها قوة دافعة تسرع بها نحو غايتها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لنرفع قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ (الأنعام: ١٢٤) دليلاً هادياً في اختيار الدعاة.

ولنرفع قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ (الجن: ١٨) شعاراً لتجرد الدعوة والدعاة.

ولنرفع قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢) عهداً بالتضحية والفداء.

ولنرفع قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الشورى: ٢٣) تذكرة بالاحتساب.

ولنتخذ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ﴾ (يوسف: ١٠٨) معياراً لما يجب أن يكون عليه الداعية تفقهاً في دين الله، ومعرفة بالطريق إليه.

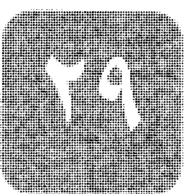
ثم لنتخذ من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾(النحل: ١٢٥) منهاجاً ودستوراً وأدباً يتخلق به الدعاة.

وأخيراً لنتخذ من قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ (الأنعام: ١٩) مناراً نطل منه على آفاق الدعوة التي يجب أن نبلغ بها إليها.

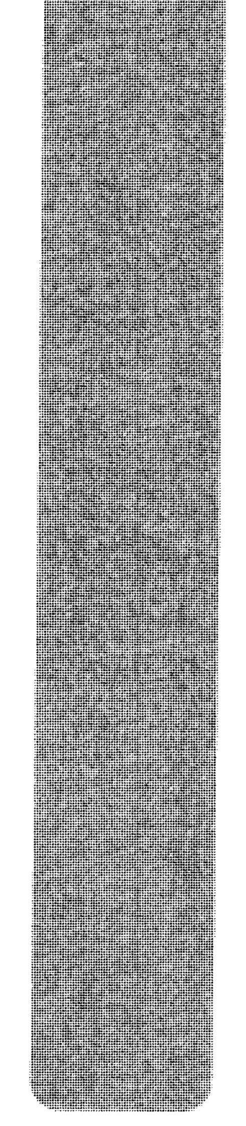
والله من وراء القصد موفق ومعين، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات



الشيخ د. بدر المتولي عبدالباسط

❏ ترجمة الشيخ

❏ المقالات:

١- إلى الأبناء والأحفاد.

العدد (٧٧) جمادى الأولى (١٣٩١هـ) - يونيو (١٩٧١م).

٢- لماذا الهجرة دون سواها.

العدد (٩٧) محرم (١٣٩٣م) - فبراير (١٩٧٣م).

٣- معادلة صعبة.

العدد (١٢٨) شعبان (١٣٩٥هـ) - أغسطس (١٩٧٥م).

٤- خصومة مفتعلة.

العدد (١٣٢) ذو الحجة (١٣٩٥هـ) - ديسمبر (١٩٧٥م).

٥- التشريع بين التعقل والتعبد (١).

العدد (١٣٤) صفر (١٣٩٦هـ) - فبراير (١٩٧٦م).

٦- التشريع بين التعقل والتعبد (٢).

العدد (١٣٧) جمادى الأولى (١٣٩٦هـ) - مايو (١٩٧٦م).

٧- طفل الأنابيب.

العدد (٢٣٨) شوال (١٤٠٤هـ) - يوليو (١٩٨٤م).

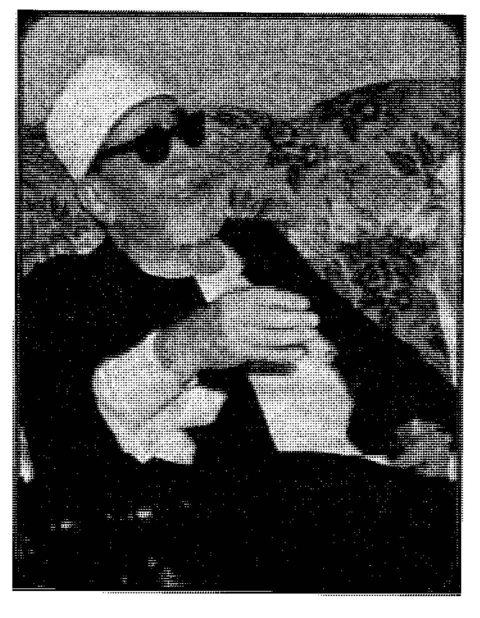
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

الدكتور بدر المتولي عبدالباسط

● مولده ونشأته:



هو فضيلة الشيخ الدكتور بدر المتولي عبدالباسط.

ولد بجمهورية مصر العربية، وأتم فيها دراسته الأولية ثم حصل على الشهادة الجامعية وأخذ العلم عن مجموعة من العلماء منهم:

شيخ الجامع الأزهر الإمام محمود شلتوت وفضيلة الشيخ مأمون الشناوي، والشيخ محمد متولي الشعراوي.

ثم أكمل تعليمه الجامعي فحصل على الدكتوراه في الفقه الحنفي عام ١٩٣٥م.

عُين عام ١٩٣١م مدرساً بالمعاهد الأزهرية حتى عام ١٩٤٨م، وعمل أستاذاً في كلية الحقوق والشريعة في بغداد، ثم وكيلاً لكلية الشريعة جامعة الأزهر عام ١٩٦٦م.

للشيخ رَحِمَهُ اللهُ العديد من الأعمال العلمية والمؤلفات والكتب منها: «رسالة في الوقف، رسالة الفقه المقارن والقياس، تيسير أصول الفقه، فقه العبادات»، وغيرها.

درّس الشيخ في العديد من الجامعات منها: جامعة الأزهر بمصر، وجامعة بغداد، وجامعة الكويت.

كما تولى الإمامة والخطابة والتدريس في الحلقات العلمية في الأزهر،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والعراق، والكويت.

تقلد الشيخ العديد من الوظائف الدينية منها:

- عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر (١٩٦٧)
- عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
- الأمين العام للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف الكويتية وامتدت عضويته فيها ١٦ عاما (١٩٧٥- ١٩٩١)،
- المستشار الشرعي لبيت التمويل الكويتي.
- العضوية في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، والرئاسة العامة لهيئة الفتوى.

وقد نال الشيخ مكافأة الملك فؤاد الأول في شهادة العالمية ونال وسام الفنون والأدب من الدرجة الأولى في الذكرى الألفية للأزهر، ونال وسام وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.

وللشيخ نشاط علمي بارز في مجال التدريس والمحاضرات والخطابة والإفتاء والكتابة والتأليف، وشارك في الكثير من اللجان الشرعية التخصصية والمؤتمرات العلمية.

● **وفاته**

توفي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في سنة: (١٤٢٤هـ)، الموافق: (٢٠٠٣م) رحمه الله رحمة واسعة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

توجيهات للشباب

إلى الأبناء والأحفاد

العدد (٧٧) جمادى الأولى (١٣٩١هـ) - يونيو (١٩٧١م).

يوجه فضيلة الشيخ بدر المتولي عبد الباسط أستاذ الشريعة بجامعة الكويت هذا النداء فيقول:

أنتم الرجاء والأمل، وأنتم الغد والمستقبل، والرجاء والأمل إن بقيا رجاء وأملاً كانا خيالاً، والغد والمستقبل إن لم تعدوا له عدته، ولم تأخذوا له أهبته كان- والعياذ بالله- وبالا، فاجعلوا من الأمل حقيقة، وأعدوا أنفسكم لغد مشرق وتسلحوا بالقوة، القوة في كل شيء، القوة في العقيدة والقوة في الأخلاق والقوة بالعلم، والقوة في البدن، فإن قوة العقيدة تذلل لكم كل صعب، وتيسر لكم كل عسير، وتعطيكم طاقة من الاحتمال تصنع العجائب، وخذوا عقيدتكم من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تستجلبوا عقائد من الشرق أو الغرب فإنه لم يأت عن هؤلاء أو أولئك - من العقائد - إلا كل ما يبلبل الأفكار، ويحطم النفوس، وقارنوا بين الشاب المؤمن حينما تنزل به شدة، وبين أخيه المتشكك المتردد لتعلموا أي الفريقين أحسن حالاً وأثبت - عند الشدائد - جناناً.

وأما قوة الأخلاق فهي عماد الأمم وعزة الشعوب.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ودينكم - والحمد لله - جاء بجماع الفضائل ومحاسن الأخلاق، فليس - هناك - خلق كريم إلا دعا إليه ولا خصلة ذميمة إلا نهى عنها وحاربها.

وأما قوة العلم فهي - في عصرنا هذا - ميدان التسابق بين الأمم، فخذوا من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم أنصعه، ولا يكن حظكم من العلم التحصيل فحسب بل التطبيق لمصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وإن الخطر كل الخطر تلك الأمية الضاربة أطنابها في الوطن العربي والإسلامي، وإنه لمن المؤسف - حقاً - أن تلك الشعوب التي بدأت تسلك سبيل العلم لا تعنى بالثقافة الدنية قدر عنايتها بأي علم أو فن، وأن حظ علوم الدين - في كثير من مدارسنا ومعاهدنا - أقل من حظ كثير من العلوم والفنون الترفيهية ولا بد أن يتمشى تيار الثقافة الإسلامية - في الوطن الإسلامي كله- مع تيار العلوم الكونية لتكون علوم الدنيا عدة للقوة، وعلوم الشريعة سياجاً من الانحراف.

ولا تأخذوا دينكم عن مضلل أو مخرف، ولكن خذوه من الخبير الثقة غير المتهم في علمه وخلقه.

وأما قوة البدن فالسبيل إليها الابتعاد عن أسباب الأمراض بما في ذلك تعاطي ما يضر الأجسام، ويورث العلل، ولتستمتعوا في أوقات فراغكم- بالرياضة البدنية النافعة التي تكسبكم نشاطاً وقوة. والرياضة وسيلة لا غاية، فليكن حظها من العناية حظ الوسائل لا الغايات، وهي للأبدان كالملح، فلا تجعلوا الملح طعاماً والطعام ملحاً.

هذه كلمة أب جرب الحياة وجربته الحياة يقدمها لأبنائه ليوفر عليهم مؤونة التجربة، وليأخذوا من الحياة حيث انتهينا لتكون الحياة - دائماً - في تقدم وتطور، ولكنه تقدم وتطور إلى الخير لا إلى التخبط والتقليد الأعمى.

والله أسأل أن يكون غدكم خيراً من أمسكم وما يستقبلكم خيراً مما فاتكم.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لماذا الهجرة دون سواها

العدد (٩٧) محرم (١٣٩٣هـ) - فبراير (١٩٧٣م).

عندما استقر رأي عمر ﷺ على إنجاز تاريخ للأمة لابد أنه- وأهل الشورى- استعرضوا الأحداث الجسام في تاريخ الإسلام ونبي الإسلام ليتخذوا من أعظمها قدراً وأبعدها أثراً مبدأ للتاريخ الإسلامي.

وها نحن معهم نستعرض هذه الأحداث الجسام لنعرف المغزى الصحيح لاختيار الهجرة دون سواها: ميلاد الرسول الأكرم، بدء الوحي، عام الحزن، الهجرة، غزوة بدر الكبرى غزوة الفتح، حجة الوداع، وفاة الرسول ﷺ.

هذه أحداث جسام كل منها يصلح أن يكون مبدأ لتاريخ الأمة ولكن المغزى الذي توحي به الهجرة أعظم وأجل من المغزى الذي يوحي به أي حدث من هذه الأحداث. ولنستعرضها حدثاً حدثاً.

● مولد الرسول الأكرم

لا شك أنه حدث له خطره، فكل ما جاء بعده أثر منه ولو أن عمر اختار مولد الرسول ﷺ ما كان مخطئاً، وله في اختيار المسيحيين مولد المسيح عليه السلام، مبدأ للتاريخ المسيحي سابقة يعتمد عليها فإنه لا بأس أن نأخذ عن غيرنا في المسائل التنظيمية ما يوافق المصلحة ولا يعارض الشريعة نصاً أو روحاً، ولكن مولد الرسول الأكرم حدث إلهي لا يد للبشر فيه ولا يوحي بهدف يرمى إليه، نعم هو ذكرى تثير فينا الشجون لكن هل نستطيع أن نكرر هذا الحدث الفريد، لا إنه حدث لا يتكرر في أية صورة من الصور.

● بدء الوحي

هو كذلك حدث إلهي كان بدءاً لكل الأحداث بعده، وهو في الحقيقة بدء

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تاريخ الإسلام كدين لأمة محمد ﷺ [١] ولكنه كالميلاد حدث لا يتكرر، وليس في مقدور البشر أن يأتوا بمثله فالنبوة ليست مكتسبة ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(الأنعام: ١٢٤) والنبوات ختمت بمحمد ﷺ، فجعل مبدأ الوحي مبدأ للتاريخ ليس إلا تسجيلا لحدث له خطره، ولكنه لا يثير فينا عزيمة على تحقيق غرض.

● **عام الحزن**

أما عام الحزن وهو العام الذي ماتت فيه السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين، كما مات فيه أبو طالب عم النبي ﷺ وحاضنه وكافله فهو - وإن أرخ به في وقت ما - فإنه أبعد الأحداث عن أن يتخذ كمبدأ للتاريخ الإسلامي الذي يحارب الاستسلام للأحزان أو إثارتها بعد خمودها، ومثل هذا يقال عن وفاة الرسول ﷺ، فإنه لا تذكر حتى تثير الشجون والأحزان فكل مصيبة بعد مصيبتنا في رسول الله هينة، ولكنها سنة الله في خلقه ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾(الزمر: ٣٠).

ولو أرخ بهذا الحدث لكان لنا في كل عام مناحة، والرسول نفسه نهى عن العزاء بعد ثلاث، كما نهى عن الجلوس لتلقي العزاء واعتبر ذلك من النياحة المنهي عنها.

● **غزوة بدر والفتح**

أما غزوة بدر وغزوة الفتح فمع أنهما من الأحداث الجسام التي توحي بالشجاعة والتضحية والإقدام فإنهما ثمرة من ثمرات الهجرة كما سأوضح فيما بعد.

● **حجة الوداع**

أما حجة الوداع وفيها أكمل الله دينه وأتم نعمته وهي خليقة أن تكون حدثا

---

(١) أما الإسلام كدين سماوي فقد كان دين الأنبياء جميعهم فنوح عليه السلام أخبر الله عنه أنه قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (يونس: ٧٢)، وإبراهيم أبو الأنبياء حدث عنه أنه ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ (آل عمران: ٦٧)، وقد ورد مثل ذلك عن غيرهما من المرسلين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تؤرخ به الأحداث بعده، ولكنه مع هذا ربما أثار الأحزان لأن الله تعالى نعى فيها محمداً ﷺ إلى نفسه حينما نزل عليه قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وقد فهم ذلك الصديق الأكبر أبو بكر ﷺ فبكى واستعبر فقد جرت سنة الله تعالى أنه إذا تم شيء بدأ نقصه، ومهمة الرسول تمت يومئذ، فكان هذا إيذاناً برحيله عن هذه الدنيا.

● **الهجرة دون سواها**

هذا الحدث دون سواه فيه من المعاني ما ليس في غيره فالهجرة دون سواها كانت مبدأ لدولة الإسلام، نعم كان هناك إسلام قبل الهجرة ولكن بلا دولة، والهجرة دون سواها كانت فاصلاً بين عهدين- عهد الصبر الذي لا يستطاع معه دفع الأذى والبغي والعدوان، وعهد الصبر الذي يستطاع معه الانتصار ورد العدوان.

والهجرة دون سواها توحي بإيثار الغربة مع العزة على الإقامة مع الضيم مهما كان الوطن حبيباً إلى النفس حبيباً إلى الله، فليس هناك بلد أكرم على الله من مكة، ولكن الرسول الأكرم آثر الهجرة منها وهي ما هي! لتكون درساً لنا أن نضرب في الأرض طلباً للعزة والكرامة، والهجرة دون سواها هي الباب الذي ما زال مفتوحاً ولن يزال كذلك إلى يوم القيامة ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٠﴾ (النساء: ١٠٠) فترك المألوف من الأهل والوطن والرحلة إلى المجهول في سبيل الخير والعزة - وهو سبيل الله - هجرة يستحق معها ما وعده الله للمهاجرين بهذه الآية.

وإذا كان لا هجرة بعد الفتح كما وردت في بعض الأحاديث، فالمراد استحقاق صفة المهاجرين الأولين مع الرسول الأمين وما يترتب على ذلك من أحكام كالعودة إلى مكة بقصد الإقامة فيها وتساويهم في الرتبة مع مسلمة الفتح وإن هاجروا بعد الإسلام ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد: ١٠).

* * *

وبعد فالهجرة درس في التضحية والإيثار والمحبة والصبر الجميل العزيز، ثم هي ثمرة الأحداث التي سبقتها وأصل للأحداث التي تلتها فلا غرو أن اختارها الفاروق مبدأ للتاريخ الإسلامي دون سواها، فلنجعل من الهجرة درساً وعبرة ولا يكن حظنا إقامة حفل أو إلقاء خطبة فقد سئم المسلمون من كثرة الكلام وثرثرة الخطباء، وهم الآن أحوج إلى القدوة الصالحة أكثر من حاجتهم إلى مقال منمق أو خطبة مرنمة.

والله المسؤول أن يهب لنا قلوباً واعيه، وعزائم قوية، وصدقاً في القول وإخلاصاً في العمل بمنه وكرمه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

معادلة صعبة

العدد (١٢٨) شعبان (١٣٩٥هـ) - أغسطس (١٩٧٥م).

كم في الحياة من معادلات يظنها الناس صعبة الحل ولو عرفوا قانون حلها لتغير رأيهم ولكن الكثيرين يعزفون عن معرفة هذا القانون، بل منهم من يعرف القانون ويأبى أن يطبقه إما بحكم ما ألف من قوانين وإما خوفاً على رزق أو جاه.

وهذه المعادلات كثيرة في حياتنا في الحساب والجبر وفي تشريعاتنا وفي حياتنا الاجتماعية.

والمعادلة التي أعنيها- هي- المقارنة بين تشريع الله- تعالى- المنزه عن الأهواء والأغراض وبين التشريعات الوضعية المستجلبة من هنا ومن هناك، هي معادلة واضحة الفساد، فشتان بين تشريع العليم الخبير الذي لا يحابي أحداً ولا يخشى أحداً وبين تشريع- مهما أحسنا الظن في واضعه- فهو لا يسلم من هوى أو خوف أو رغبة أو رهبة.

ووجه الصعوبة في هذه المعادلة أن دعاة الأخذ بالتشريع الإلهي ودعاة الاعتماد على التشريع الوضعي على طرفي نقيض، كل منهما يتهم الآخر بأشنع التهم.

فدعاة الأخذ بالتشريع الإلهي يتهمون الآخرين بالمروق والإلحاد وبأنهم أتباع الأجانب من الشرق أو الغرب في أفكارهم.

ودعاة الاعتماد على التشريع الوضعي يتهمون الآخرين بالجمود وبأنهم يريدون أن يبسطوا سلطانهم ونفوذهم على الأمة باسم الدين وأن يقيموا من أنفسهم أوصياء على الشعوب، وأن يمنعوا مسيرتها نحو الرقي والمدنية، إلى غير ذلك من التهم التي تكال من هؤلاء وأولئك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن أعجب العجب أن الجميع يتفقون على مبدأ واحد، هو أن الأصل في التشريع أيا كان مصدره أن يراعى فيه جلب المصلحة ودفع المفسدة، ولو أنصف القائمون بالأمر في تطبيق هذه القاعدة ما كان هناك معادلة صعبة أو شبه صعبة، فإن الأمر أهون مما يظنوه.

ومما ييسر على المجتمع التمييز بين المنافع الحقة والمنافع المتوهمة وبين المفاسد الراجحة والمفاسد المرجوحة أن تراعى هذه المبادئ.

أولاً: أنه قد جرت سنة الله - تعالى- أن يختلط الخير بالشر في هذه الدنيا . . فالخير المحض والشر المحض إن لم يكونا مستحيلين في هذه الحياة فلا أقل من أن يكونا نادرين ندرة تصل إلى الاستحالة وإن طبيعة الإنسان أنه إن أحب أمراً لا يرى إلا جانب الحسن فيه، وإن كرهه لا يرى إلا جانب الشر فيه.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

والإنسان في كل عصر وفي كل مجتمع هو الإنسان والتقدم الحضاري المادي لم يستطع أن يحد من طبيعة الإنسان أو يهذب من غريزته، فهاهي أمم بلغت من هذه الحضارة الذروة قد أباحت الشذوذ الجنسي والإجهاض لغير حاجة إليه في إنقاذ حياة الأم وأباحت نظام الحليلة بينما حرمت تعدد الزوجات إلى غير ذلك مما يصعب عده من المفارقات العجيبة مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الاعتماد على مقاييسنا خطأ أي خطأ فإن العقل البشري قادر على أن يلتمس المسوغات لكل ما يتفق مع أهوائنا.

إذا عرف هذا فإن السلامة أن يكون ميزان المقارنة بين المنفعة والمفسدة هو ما شرعه الله تعالى المنزه عن الأهواء والأغراض فهناك منافع اعتبرها الشارع الحكيم وأجرى عليها أحكامه وألغى ما قد تضمنه من مفاسده المرجوحة كتشريع الزكاة والحج والصوم والزواج بشروطه والقصاص والحدود.

وهناك منافع ألغاها الشارع ولم يقم وزناً لما قد تضمنه من منافع كتحريم الخمر والميسر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكتحريم الربا: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (الروم: ٣٩).

وهناك مصالح سكت عنها الشارع فلم يعتبرها ولم يلغها وذلك كتنظيم الدواوين ووضع قواعد للمرور، ووضع معايير لمن يتولى وظيفة أو عملاً عاماً أو خاصاً.

فأما النوع الأول من المصالح فلنا أن نعتمد عليه بل يجب علينا أن نراعيه في تشريعاتنا.

وأما النوع الثاني فلا يجوز أن نقيم عليه نظاماً ولا أن يكون له حظ من تشريعاتنا اللهم إلا أن نؤكد خطره، ومهما لاح لنا من بريق منافعه فلا يخدعنا هذا البريق فإن ضرره أكثر من نفعه والله أعلم بمصالح عباده من أنفسهم.

وأما النوع الثالث فهو في مجال الاختيار على أن يكون الاختيار من أهل الاختصاص في كل شأن من شؤون الحياة، وأن نحمي هؤلاء من عوامل الرغبة والرهبة قدر الاستطاعة، فإذا ظهر خطأ في التطبيق بادرنا إلى الإصلاح من غير تردد فإن مثل هذه التشريعات ليست تنزيلاً من التنزيل.

ثانياً: أن يعلم الجميع أن الإسلام لا يعرف فكرة رجل الدين الذي يملك حق التشريع فيقول هذا حلال وهذا حرام: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (النحل: ١١٦).

بل الإسلام يعرف مبدأ الاختصاص في كل شيء: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

وشتان بين رجل الدين وعالم الدين.

فرجل الدين- عند من يقول به- يملك سلطة التشريع فإن قال هذا حلال كان حلالاً وإن قال حرام كان حراماً، ورجال الدين- في نظر هؤلاء- أرباب أو شبه أرباب ولا يملك أحد التعقيب على آرائهم.

أما عالم الدين- في نظر الإسلام- فهو متخصص في معرفة الحلال من الحرام

من أدلة الشرع.

ولكل مسلم أن يناقشه الحساب مهما كان مركزه على شريطة أن يكون الحساب بين هؤلاء وأولئك معتمداً على أدلة الشرع لا تحكيماً للأهواء.

ثالثاً: أن يتسع صدرنا للخلافات المبنية على أدلة شرعية معتبرة فاختلاف أنظار العلماء في الأدلة الشرعية الظنية رحمة بهذه الأمة.

هذه حلول للمعادلة الصعبة بين علماء الشريعة ورجال القانون، والتي صورها البعض أو شاءوا أن يصوروها بالصعوبة بل بالاستحالة حتى رأينا البعض يصور المجتمع الذي يعيش في ظل تشريع إسلامي صحيح مجتمع متأخر يقطع الأيدي ويرجم الزناة الخاطئين ويجعل من الجلد وسيلة واحدة للتأديب.

كلا يا قوم: عودوا إلى تشريع ربكم فهو أولى بالاتباع من تشريعات مستوردة من الشرق أو الغرب.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خصومة مفتعلة

العدد (١٣٢) ذو الحجة (١٣٩٥هـ) - ديسمبر (١٩٧٥م).

في مطلع هذا القرن أثير في وطننا العربي والإسلامي خصام بين الرجل والمرأة يشتد حينا ويهدأ حينا وهذا الخصام، إن صح أن يثار في غير الوطن الإسلامي فلا ينبغي أن يثار في ظل التشريع الإسلامي، فليس هناك تشريع حفظ للمرأة حقوقها، وراعى في كل أصوله وفروعه كرامتها مثل الإسلام. فالمرأة- أولاً- هي الأم، وهل هناك تكريم للأم أعظم من تكريم القرآن لها: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (لقمان: ١٤).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (الأحقاف: ١٥)، وهذا نبي الإسلام يجعل الجنة تحت أقدام الأمهات ويوصي من سأله عمن هو أحق ببره؟ بأن الأم هي الأحق بالبر ويكرر ذلك ثلاثاً ثم يجعل الأب في المرتبة الرابعة: فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك» (رواه الشيخان).

والمرأة - ثانياً- هي الأخت. وهي أقرب الأرحام إلى الرجل بعد والديه، والرحم قد اشتق الله لها اسماً من أسمائه فهو الرحمن وهي الرحم فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله.

ثم إنها - ثالثاً- الزوجة، والزوجية أقدس عقد عرفه الإسلام، وشدد فيه، ووضع له قيوداً وشروطاً لم يضعها في أي عقد مهما كان خطره، وجعل الله سبحانه ما بين الزوجين من ألفة وسكينة آيات على قدرته وبديع حكمته، ولم يعتبر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك آية واحدة بل آيات متعددات. استمع إلى قول الله- تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الروم: ٢١).

واستمع إلى تصوير الله تعالى لما بين الزوجين من صلة وثيقة:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

ورسول الإسلام ما زال يوصي بالمرأة في كل الأحايين في حجة الوداع، بل وهو ﷺ في النزع الأخير.

والمرأة - أخيراً- هي البنت التي جاء الإسلام فأنقذها من الوأد وقبح تلك العادة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (النحل: ٥٨- ٥٩)، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ (التكوير: ٨- ٩).

هذه هي المرأة وتلك هي منزلتها من الرجل- في نظر الإسلام- في كل طور من أطوار حياتها، فكيف نتصور خصومة بين الرجل والمرأة.

اللهم إلا في نظر أولئك الذين يفتعلون الخصومات بين الأفراد والجماعات بل بين من لا نتصور الخصومة بينهما. ليفرقوا الأمة أحزاباً ويصوروا الأب والأخ والزوج ظالمين وطغاة مستبدين، ويبلبلوا الأفكار ويشيعوا التمرد في الأسرة التي هي اللبنة الأولى في بناء الأمة.

وإذا كان بعض الأفراد لا يرعون حق المرأة فليس ذلك قصوراً في التشريع الإسلامي الذي نعيش في ظله، وإنما هو تقصير في التربية الإسلامية التي أهملنا العناية بها منذ أمد ليس بالقصير.

نسمع أحياناً أصواتاً تردد أفكاراً أملاها الحقد على الإسلام وعجزت أن تسمعها للمسلمين فجندوا أسماء إسلامية لتكون أبواقاً لآرائهم، وخرجوا على الناس يلبسون مسوح الرحماء على المرأة، ويصورونها أنها في بلاد الإسلام أمة مسترقة وذليلة مستعبدة لا حول لها ولا قوة، ولا حقوق لها. لا في نفسها ولا في مالها ويتباكون بكاء التماسيح، لا هم لهم إلا أن يجعلوا من المرأة المسلمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مخلوقة ساخطة على والديها وعلى زوجها بل على ربها الذي شرع لها ما يصون كرامتها، ويحفظ عرضها ويرفع قدرها ومكانتها، فإنها وعاء الولد وشرف الأسرة وشريكة الرجل في حياته يتقاسمان الحقوق والواجبات: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ (البقرة: ٢٢٨). وليست الدرجة التي للرجال على النساء درجة الاستبداد والغطرسة، بل هي درجة القوامة والمسؤولية، إذ لا بد في كل مجتمع كبير أو صغير من مسؤولية أخيراً يرجع إليه وإلا عمت الفوضى في كل التصرفات.

ولمناسبة عام المرأة أثار بعض الحاقدين على الإسلام قضايا الإرث وتعدد الزوجات والطلاق ظنا منهم أن ذلك مما يضعف روح التدين عند المرأة المسلمة، ومتى ضعف الدين في قلب المرأة سهل إضعافه في نفس الرجل، أليست هي الأم والأخت والزوجة والبنت؟! وقد نجح هؤلاء الدعاة فاجتذبوا إلى صفهم بعض ربات الصالونات اللواتي لاحظ لهن في الحياة إلا الظهور في المجتمعات والندوات، وهؤلاء - والحمد لله- لا زلن في مجتمعنا قليلات نادرات إذ لا زال أكثر النسا في المجتمع الإسلامي قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله كما وصفهن الله تعالى بعد أن بين أن الرجال قوامون على النساء بقوله جل شأنه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ (النساء: ٣٤).

هذا: وسأعرض لبيان حكمة الله تعالى في تشريع الإرث وتعدد الزوجات وتشريع الطلاق- بصفة مجملة- حتى تطمئن النفوس إلى أن الخير كل الخير فيما شرع الله وأن الشر كل الشر فيما يدعو إليه أدعياء الحفاظ على حقوق المرأة.

الإرث: إذا كان الإسلام قد جعل للمرأة في أكثر صور الميراث نصف ما للرجال فإنه بجانب هذا أوجب على الرجل واجبات أعفى منها المرأة، فنفقتها- كزوجة- على الزوج مهما كانت موسرة ومهما كان معسراً ونفقة الأولاد على الأب وليس على الوالدة شيء إلا أن تتفضل وتتبرع.

وإن أوجبت الظروف عليها الإسهام في النفقة فتكون دينا على الرجل،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فالإسلام لم يجعل للرجل حق تقييد المرأة في تصرفاتها المالية كما هو الشأن في قوانين بعض الدول التي تعد في نظر هؤلاء الدعاة متقدمة ومتمدينة، ولا تنسوا أن المرأة- قبل الإسلام- لم يكن لها حق في الميراث، بل كانت تورث كالمتاع، فجاء الإسلام فأنصفها: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ (النساء: ٧). فليتأمل المنصف إلى تعقيب الحكم التشريعي: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

ولعل في هذا البيان المجمل غنية لمن أراد أن يعرف حكمة الله في تشريع الميراث.

أما تعدد الزوجات: - وقد كثر فيه الجدل وأثيرت حوله الشبهات - فإنا نقول لهؤلاء المشككين ولهؤلاء المتشككات: إن الله لم يفرض التعدد فرضا، ولم يطلقه إطلاقاً بل أباحه مقيداً بقيود، فإن الله الحكيم يعلم من عباده ما قد يجهلونه من أنفسهم وواقع الحياة يشهد لما نقول. فهذه الأمم التي حرمت تعدد الزوجات أباحت نظام الخليلات. فهل الأكرم للمرأة أن تكون نسبتها إلى الرجل كنسبة امرأة أخرى مساوية لها في الحقوق ولأبنائها من الحقوق ما لأبناء الأخرى..؟ أم ترضى أن تكون علاقتها به علاقة جسدية بحتة؟

ثم إن الشرائع السابقة كما تنطق كتب أصحابها التي بين أيدينا لم تضع قيوداً ولا حدوداً للتعدد كما في سفر الملوك من العهد القديم ولاسيما ما ذكر عن داود وسليمان عليهما السلام.

هناك دواع وملابسات تحمل على التعدد منها الإعفاف وطلب الولد ودوافع أخرى، ليس منها مجرد الإشباع والجري وراء الملذات.

أما الطلاق فقد جعله الإسلام أقبح الحلال، ولكن شرعه الله حينما تصبح الحياة الزوجية ضرباً من البلاء والشقاء بدلاً من أن تكون مودة ورحمة. ونظرة إلى البلاد التي كانت تحرم الطلاق ثم أباحته تجعلنا نحمد الله على أن جنبنا هذه المزالق.

وإذا كان بعض الناس يسيئون استعمال حقوقهم فليس ذلك نقصاً في التشريع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإنما هو تقصير في التأديب والتهذيب.

إن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في التشريع إلا بقدر ما يحفظ للمرأة كرامتها، ويجنبها أطماع الطامعين فلا يرضى لها أن تتبذل ولا تستغل كدعاية للسلع، ولا يرضى لها أن تكون أمينة سر لرجل أجنبي (سكرتيرة) ولا أن تكون عارضة أزياء إلى غير ذلك مما يجعلها سلعة تستغل للإثراء، ولكن يرضى أن تتعلم من العلوم ما ينفعها وينفع أسرتها وأمتها فلتكن معلمة لبنات جنسها وطبيبة، ولتتول من الأعمال ما يتفق مع طبيعتها على أن لا تنسى أنها الأم والأخت والزوجة والبنت، وأنها العرض والشرف ولا تلقي بالاً لهؤلاء المتباكين على حقوقها، فإنهم لا يهدفون إلا إلى إبعادها عن دينها وعن المنهج الذي رسمه الله لها: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ (النساء: ٢٦- ٢٨).

وبعد فليس هناك خصومة بين الرجل والمرأة في ظل الإسلام وإنما هي خصومات مفتعلة يراد أن يشغل بها الناس عما يجب أن يشغلوا به أنفسهم من بناء الأسرة الإسلامية على أسس متينة من التوجيه الإلهي.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

* * * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التشريع بين التعقل والتعبد (١)

العدد (١٣٤) صفر (١٣٩٦هـ) - فبراير (١٩٧٦م).

الشريعة الإسلامية جاءت بثلاثة تشريعات أساسية:

أولاها تتصل بالعقائد.

وثانيها تتصل بالأخلاق.

وثالثها تتعلق بأعمال الجوارح.

العقيدة الإسلامية وهي شريعة الله التي أرسل بها المرسلين وأنزل بها الكتب ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (النساء: ١٦٣) ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ (الشورى: ١٣) ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يرى في كثير منها تقرير عالمية الشريعة الإسلامية في أصولها. وأن الدين عند الله الإسلام، سواء كان ذلك قبل محمد ﷺ أم بعده، فالمرسلون قبله ﷺ يقررون أنهم مسلمون فنوح عليه السلام يقرر أنه من المسلمين فيقول لقومه ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾(يونس: ٧٢)، وإبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء يدعو ربه هو وابنه إسماعيل- عليهما السلام- وهما يبنيان الكعبة ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة: ١٢٨).

وأخبر الله عنه في أنه حنيف «مائل عن الشرك» مسلم ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (آل عمران: ٦٧)، وكذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

موسى عليه السلام يقول لقومه ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤) وعيسى ابن مريم عليهما السلام حينما أحس من قومه الكفر قال ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٥٢).

ومن هنا يتضح بما لا مجال فيه للشك عالمية الإسلام قديما وحديثاً إذ لا يعني الإسلام إلا أن يسلم المرء قلبه لله فلا عبودية لغيره ولا ربانية لسواه ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ (لقمان: ٢٢).

والقدر المشترك بين الشرائع السماوية هو وحدة العقيدة فيما يتصل منها بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فإذا كان قد وجد خلاف بين الشرائع التي تنتسب إلى السماء فذلك من تحريف القائمين على تلك الشرائع فحرفوا الكلام عن مواضعه واحتكروا سلطة الحديث عن الله وتفسير كتبه، وحرموا على الشعوب النظر فيما أنزل الله من كتاب وما شرع من شرائع، واعتبروا ذلك جريمة تستحق العقوبة في الدنيا والآخرة، وويل للدين إذا احتكره قوم وتاجروا به، وجعلوه وسيلة للتسلط والاستعلاء، ولذلك حارب الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ فكرة الاحتكار العلمي بكل ضروبه وأشكاله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ (البقرة: ١٥٩- ١٦٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾﴾ (البقرة: ١٧٤- ١٧٦).

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ (آل عمران: ١٨٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالإسلام لا يعرف فكرة رجل الدين الذي يحتكر علوم الدين ويملك التحليل والتحريم ولكنه يعرف فكرة عالم الدين الذي يرجع إليه لمعرفة حكم الله فيما اشتبه على الناس من أمور دينهم، والحجة في قوله بما يستبدل به من دليل معتبر شرعاً، ولا يملك أن يلزم الناس برأيه إلا بحجة قاطعة من كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع معتبر مسلم.

والعقيدة تدور حول أمور الإيمان بالله ورسله وكتبه والإيمان بالغيب، ويدخل فيه الإيمان بالملائكة والجن وما بعد الموت واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار وميزان وحساب إلى غير ذلك مما سنعرض له - إن شاء الله تعالى- بشيء من التفصيل.

- **العقل والإيمان بالله تعالى**

لست أعلم - ولا أظن أن أحدا يعلم - أن دعوة قامت على منطق العقل السليم كدعوة القرآن الكريم إلى وجوب النظر العقلي في آفاق الكون للاستدلال على وجود الله - تعالى - واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص ولست أعلم- ولا أظن أن أحداً يعلم- أن كتاباً سفه التقليد في العقيدة كما سفه القرآن الكريم تقليد الآباء والأجداد، ولو ذهبت أعدد الآي التي تشهد لما قلت لطال البحث وطال، وقد كتبت في ذلك رسائل، ولا زال المجال واسعاً للكاتبين والباحثين، ولكني سأعرض لنماذج فيها غنية لمن أراد أن يستغني، وإقناع لمن أراد الاقتناع. وإليكم بعض الآيات: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (البقرة: ١٦٣- ١٦٤).

فأنت ترى أن القرآن الكريم لفت الأنظار إلى ما في السماوات والأرض من دلائل على وحدانية الله - تعالى- وألوهيته وعلى رحمته الواسعة الشاملة ورحمته الظاهرة والباطنة، وعقب ذلك بأن هذه الآيات لا ينتفع بها إلا هؤلاء الذين يمعنون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النظر ولا يعطلون عقولهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (البقرة: ١٧٠).

أليس في هذه الآية- وغيرها في القرآن كثير- ما يدل على رفض فكرة التقليد الأعمى والانقياد لأفكار الغير حتى ولو كانوا آباء أو أجداداً.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ (آل عمران: ١٩٠).

وأنها غير صالحة للألوهية التي يجب أن لا يعتريها تغيير ولا تبديل ومن يقرأ قصة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- مع أبيه وقومه وكيف ألزمهم بمنطق العقل السليم بفساد عقيدتهم في عبادة الكواكب في سورة الأنعام من الآية ٧٤ إلى الآية ٨٣، ولولا الإطالة لعرضتها وفسرتها، وهذه الآيات تصور لنا طريقة من الإلزام العقلي الغريب في نوعه، فقد جارى إبراهيم- عليه السلام- قومه- ظاهراً- في اعتقادهم وبين لهم بالمنطق السليم فساد عقيدتهم في عبادة الكواكب لما يعتريها من تغير لا يليق بمقام الربوبية، وحاشا أن يعبد نبي غير الله قبل البعثة أو بعدها بله إبراهيم فقد كان - كما وصفه الله - حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، فقد نفى الله عنه صفة الإشراك.

ثم استمعوا معي إلى من ذرأهم الله لجهنم. أليسوا الذين عطلوا نعمة الله العظمى وهي النظر في ملكوت السماوات والأرض: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (الأعراف: ١٧٩).

فالقلوب المراد بها العقول، ولكنهم عطلوها فلم يشغلوا أنفسهم بالنظر والمقارنة والانتقال من المقدمات إلى النتائج. بل اكتفوا بتقليد الآباء والنزول على حكم البيئة. ولم يكلفوا أنفسهم أدنى مشقة لمعرفة الحق من الباطل. وعيونهم لم يبصروا بها نظرة المتبصر. ولم يتفقهوا بما يسمعون فيقارنوا بين ما يجب وما لا يجب ثم وصفهم بأنهم كالأنعام من الإبل والبقر والغنم، بل هم أضل فإن الأنعام- وليس لها عقل تفكر به- قد تنتفع بما تبصر فتتحاشى ما يضرها، وقد تنتفع بما تسمع وتفرق بين بعض الأصوات فتستجيب لصوت صاحبها، وتفر من صوت أعدائها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وها هو القرآن الكريم يصرح بأبلغ عبارة أن الذين لا ينتفعون بنعمة العقل هم المترددون في حمأة ورجس الشرك والضلال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ (يونس: ١٠٠-١٠١).

ثم إن دعوة القرآن إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض للاستدلال به على الله أمر لا يماري فيه إلا من أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة.

والكون كتاب الله المنظور الذي يستدل به عليه:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وإن مماراة المتدين في هذا الأمر صرف للعقول عن واجبها الأول. وتشتيت للأفكار. وبلبلة للخواطر، فإن وضوح الآيات الدالة على الله جعلت كثيراً من المفكرين يقررون: أنه لا عذر لأحد بالجهل لخالقه. والفطرة الإنسانية منساقة إلى التسليم بوجود إله لهذا الكون. وإن آيات الكون تشهد أن هذا الإله يجب أن يكون منزها عن أية شائبة من شوائب النقص من حلول وتحول واحتياج. بل إنه يجير ولا يجار عليه، وإنه قائم على كل نفس بما كسبت، وإنه الأول فلا بداية لوجوده وإنه الآخر فلا نهاية لوجوده، والوصف الجامع لكل صفاته أن له الأسماء الحسنى وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فأساس العقيدة الإسلامية الأولى- وهي الإيمان بالله- مبنية على العقل في جملتها وتفصيلها، ونحن المسلمين لا نخشى أن نحتكم إلى العقل في صلب عقيدتنا، ولا نقول: آمن ثم فكر، بل نقول فكر ثم آمن، ولكن يجب أن يكون تفكيرنا متمشياً مع قوانين العقول السليمة التي لا تحكم أولاً ثم تبحث عن المسوغات ثانياً.

هذا ومتى انتهى بك التفكير إلى الله بهداية الله لك على لسان رسله حتى لا تتشعب عليك الطرق آمنت به عن قناعة واطمئنان سهل عليك الإيمان بما وراء ذلك.

ولعل لنا- بحول الله وتوفيقه- عودة إلى هذا الموضوع.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التشريع بين التعقل والتعبد (٢)

العدد (١٣٧) جمادى الأولى (١٣٩٦هـ) - مايو (١٩٧٦م).

في مقال سابق بينا أن الفطرة الإنسانية السليمة والعقل البشري غير الخاضع للأهواء وغير المستعبد للتقليد، يسهل عليه- لكثرة الآيات الكونية- أن يدرك أن لهذا العالم خالقاً، وهذا القدر من الإدراك كان ينبغي ألا يكون محل شك أو تشكيك، لولا حب المغالطة التي تستحوذ على كثير من الناس، فلوضوح هذه الآيات والأدلة قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه «ليس لأحد عذر بالجهل لخالقه».

نعم: إن بعض العقول في رحلة التفكير في الخالق قد يجانبها الصواب فتقف أمام بعض المظاهر الكونية التي تشدها بعظمتها فتعتقد أنها الإله، فقد عبد المصريون النيل لأنه مصدر الخصب والحياة لواديهم، وعبد البابليون الكواكب لأنها مصدر الإشعاع، والإشعاع مصدر الحياة، وعبد الأغريق البحر، رامزين إليه بصنم من أصنامهم.

ولما تعددت مظاهر العظمة في الكون جعلوا لكل ظاهرة من مظاهره إلها يقدمون إليه القرابين، فهناك إله الجمال، وإله الخصب، وإله الخير، وإله الشر، وإله الحرب، وإله الحكمة، إلى آخر ما تورطت فيه الأمم من وثنية وتعدد آلهة، واختلفت الأمم في تصور آلهتها، فالإغريق تصوروا آلهتهم فجرة غدارين أقوياء، جبناء ضعفاء حيناً مرتشين حينا، عطاشى إلى الدم حينا، والمصريون - مثلاً - تصوروا آلهتهم حكماء - حينا- عادلين، قادرين حينا عاجزين حينا، والمجوس تصوروا إله الخير نوراً وإله الشر ظلمة وقدموا القرابين من كل نوع إلى النار التي هي مبعث النور.

هذه صورة البشرية التي توصلت - بالنظرة الأولى- إلى اعتقاد أن لهذا العالم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خالقاً، ولكنها تعثرت في معرفة هذا الخالق، وحتى لا يكون للناس على الله حجة أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ليبينوا لهم فساد تلك العقائد التي وقفت عند بعض المظاهر الكونية فضلت عن سواء السبيل.

وسأعرض لنماذج من الحوار القرآني الذي يبين فساد وقوف العقل البشري - في قضية الإلوهية - عند المظاهر المحسوسة، ويطالب الإنسان أن ينتقل من المحسوس إلى المعقول.

استمعوا إلى قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (البقرة: ٢٥٨).

هذه الآية تعطينا صورة لحوار بين التعصب والغرور من جانب، وبين العقل من جانب آخر، وفيها إلزام عقلي، إذ أن أبسط ما يجب أن يتصف به الإله أن يكون قادراً لا يضعف أمام التحدي. مهما كان مصدر التحدي.

وهذا الذي كفر ادعى أنه يحيي ويميت بالعفو عن بعض المحكوم عليهم بالإعدام، أو إعدام من يشاء، وصور له وهمه وغروره أن هذا يجعله مستحقاً للألوهية، فألزمه إبراهيم عليه السلام بأن قال له متحدياً - ربي الذي يحيي ويميت هو الذي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. وهنا استبان عجزه فبهت ولم يحر جواباً.

ولهذه المناسبة يقول قوم: كان هذا الإنسان يستطيع أن يقول لإبراهيم فأت بها أنت فيكون ذلك إلزاماً لإبراهيم عليه السلام أيضاً. والجواب عن ذلك في منتهى البساطة والوضوح، ذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يدع أنه إله حتى يوجه إليه هذا التحدي.

ورب مشكك يقول: كان في إمكانه أن يقول لإبراهيم عليه السلام ادع ربك أن يأتي بها من المغرب إلى المشرق، وهذا- أيضاً- قول مرفوض لأن الإله يجب أن يفعل ما يريد هو، لا ما يريده غيره حسبما تقتضيه حكمته، وربما لو فعل هذا الكافر ذلك ودعا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إبراهيم ربه أن يفعل ذلك لفعل، فكم من خارقة للعادة أظهرها الله على أيدي أنبيائه تأييداً لهم، وثم صورة أخرى من صور الإلزام العقلي لبيان فساد عبادة جرم من الأجرام السماوية، وهذه الصورة تتمثل فيما قصه الله تعالى علينا من حوار إبراهيم لقومه في شأن عبادة الكواكب ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأنعام: ٧٥- ٧٩). وليست هذه الآيات تدرجاً بعقيدة إبراهيم من الوثنية إلى التوحيد حاشا، فإن الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- معصومون قبل النبوة وبعدها من ارتكاب كبائر الذنوب بله الشرك بالله، فما بالك بإبراهيم أبي الأنبياء، والذي حدث الله عنه بأنه كان حنيفاً، والحنيف هو المجانب للشرك المائل عن الباطل إلى الحق وسياق الآيات ولحاقها يبين هذا بوضوح والآيات تصور إلزام المخالف بفساد رأيه- بعد مجاراته ظاهراً- ثم إظهار جانب الخطأ في التفكير القاصر.

وقد يركن كثير من الناس إلى ما وجدوا عليه آباءهم، فتحرر الإنسان من إلف العادة عسير، وهذا ما كان يحتج به الكافرون على أنبيائهم، هؤلاء آل فرعون قالوا لموسى عليه السلام بعد أن جاءهم بالمعجزات الباهرة: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ (يونس: ٧٨) وهؤلاء عاد قوم هود عليه السلام قالوا له فيما قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ﴾ (الأعراف: ٧٠).

وقد بين الله - سبحانه وتعالى - أن الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد هو حجة الأمم الضالة قديماً وحديثاً استمع إلى قوله جل شأنه ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الزخرف: ٢٣).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لهذا وذاك ولحب التعالي والسيطرة عند الإنسان، وحتى لا يكون للناس على الله حجة لم يتركهم لعقولهم، فإنها- كثيراً- ما تكون محكومة بالأهواء فأرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين حتى يقيموا الحجة على فساد الوقوف عند المحسوس دون التعمق فيما وراءه وحتى يبين لهم أن اتباع الآباء فيما ترفضه العقول السليمة لا يليق بالعقلاء ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (البقرة: ١٧٠).

فحاجة البشرية إلى الرسل كحاجة المسافر في صحراء إلى دليل، مهما كان سليم الحواس حاد الذكاء.

هذا: وليس كل من ادعى الرسالة عن الله مصدقاً فيما يبلغه عن ربه، بل يجب أن يكون معه من الله برهان بين يشهد بصدقه، وهذا ما يعرف - عند العلماء- بالمعجزة، وهي أمر خارق للعادة والناموس الطبيعي الذي عرفه الناس، ولا سيما المرسل إليهم، فإن العقل يدرك بداهة أن تغيير الناموس الكوني لا يملكه بشر، وإنما يملكه من خلق هذا الناموس، فإدراك صدق الرسول المؤيد بالمعجزة خاضع للعقل، فإن المعجزة ينطق لسان حالها أن هذا العبد صادق في كل ما يبلغه عن الله، فهي تشبه كتاب اعتماد السفراء لدى الدول التي يمثلون فيها دولتهم، وقد جرت سنة الله- تعالى- أن تكون المعجزة- صورها- من جنس ما امتاز به القوم المرسل إليهم.

ولست بصدد تعداد معجزات الأنبياء وبيان أن كل معجزة من معجزاتهم كانت مناسبة لعصرهم، والذي يهمنا في هذا المقام أن نبين أن تصديق الرسل المؤيدين بالمعجزات حكم يفرضه العقل السليم المتحرر من تبعة التقليد وعبوديته، ومن الغرور وجهالته، وإذا أقام الله الحجة على عباده بإرسال الرسل فلن تكون لهم حجة عليه لأنه أكرمهم بالعقل، وهداهم بالرسالات.

نعم. إن هؤلاء الرسل قد يأتون بما لا تدركه العقول كالحديث عن الغيبيات. وما يعرف عند بعض الفلاسفة بما وراء الطبيعة. وقد يأتون بشرائع تقف العقول أمامها عاجزة عن إدراك حكمتها. فإذا تفلسف إنسان وقال: لا أؤمن بهذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الغيبيات. ولا أمتثل تلك الأحكام التي لم أدرك حكمتها بعد أن أشهد على نفسه أنه مؤمن بالله الحكيم العليم، وأنه مصدق لرسوله المؤيد بالمعجزة. فإنه يكون مناقضاً لنفسه كاذباً في إشهاده. ملغياً حكم عقله الأول.

وليعلم الناس جميعاً أن الرسل أجمعين لم يأتوا بما ترفضه العقول السليمة. وتأباه الفطر القويمة.

ولكنهم قد يأتون بما لا تدركه العقول. لأنهم إنما يحدثون عن الله الحكيم العليم الذي يعلم سر الكون، وعواقب الأمور كلها. المنزه عن الأهواء والأغراض.

والعقل- كما قيل- كالدابة، توصلك إلى قصر السلطان. ولكن: لا تدخل بك عليه.

ومثل من يرفض الإيمان بالغيب، ويتشكك فيما شرعه الله من أحكام لا تعرف حكمتها- الآن- كمريض ذهب إلى طبيب يثق بعلمه وأمانته. فوصف له الطبيب قدراً محدداً من الدواء. بعضه قبل الأكل، وبعضه في أثناء الأكل، وبعضه بعد الأكل، وبعضه قليل، وبعضه كثير. فقال هذا المريض لطبيبه: لا أتعاطى دواءك حتى تقنعني- عقليا- لماذا كان هذا الدواء قبل الأكل وهذا بعده وهذا أثناءه، ولماذا كان هذا قليلاً، وهذا كثيراً.

أليس هذا المريض مناقضاً لنفسه حينما اختار هذا الطبيب ووثق به.

مع أن الطبيب قد يخطئ لأنه غير معصوم، أما الرسول الذي اقتنع - عقلياً- بصدقه، فإنه معصوم. والله الذي اقتنع- عقلياً- بعلمه وحكمته، لا يغفل عنه شيء، ولا يأمر بشر ولا ينهى عن خير، وكل ما نهى عنه الشارع - إن بدا للناس أن فيه خيراً - فشره أعظم، وكل ما أمر به العباد- وإن بدا فيه بعض الضر- فإن خيره أعم وأشمل. ولعل في هذا التصوير ما يجعل بعض النفوس القلقة أمام بعض التشريعات تطمئن وترضى عن تشريع ربها. ولنا عودة إلى تفصيل ما أجملنا. والله ولي التوفيق.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طفل الأنابيب

العدد (٢٣٨) شوال (١٤٠٤هـ) - يوليو (١٩٨٤م).

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الرسول الأمين جاء بالحق والصراط المستقيم وعلى آله وصحبه ومن تمسك بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

● **أما بعد**

فقد أثيرت في هذه الأيام مسألة أطفال الأنابيب بعد أن أصبحت حقيقة واقعة بعد أن كانت من قبل يظن أنها مسألة افتراضية وقد اختلفت آراء علمائنا المعاصرين في بعض الصور واتفقت في بعضها فاستعنت بالله على بيان هذه الواقعة من جميع نواحيها، من ناحية الحكم الشرعي التكليفي من حيث الحل والحرمة وكذلك من حيث الأحكام أي الآثار المترتبة على هذا العمل من ناحية ثبوت النسب وما يتصل به من ميراث وغيره كحل الزواج أو حرمته وما إلى ذلك من الأحكام المترتبة على هذا التصرف.

وباستطلاع آراء أهل الذكر في هذه المسألة (وهم الأطباء) تبين أن هذه المسألة تقع على الصور الآتية:

الصورة الأولى: امرأة سليمة المبايض ولكن هناك خلل ما في قناة فالوب يمنع وصول البيضة (البويضة) من المبيض إلى الرحم فتؤخذ البييضة وتلقح بماء زوجها وتحفظ فترة ما في أنبوب خاص ثم ترد هذه البييضة الملقحة إلى رحم هذه المرأة.

وهذه لا مانع منها شرعاً على أن لا يتجاوز إطلاع الطبيب المعالج على أكثر مما تقتضيه الضرورة. . والطفل الذي يولد من هذه العملية ينسب قطعاً إلى الزوج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإلى أمه صاحبة البييضة وهي كذلك الحاضنة.

وعلى أني أتحفظ في هذه المسألة أيضاً وأرى وجوب الاحتياط الشديد جداً في حفظ هذه البييضة من أن تختلط بغيرها من البييضات الملقحة فكلنا يعلم ما يجري في معامل التحليل (دم وبول إلى آخره) من أخطاء شنيعة مهما بلغت شناعتها فإنها لا تبلغ شناعة اختلاط البييضات الملقحة بعضها ببعض فإن الخطأ في اختلاط عينات الدم أو البول لا تتجاوز صاحب العينة التي وقع فيها الخطأ بينما أدنى خطأ في اختلاط بييضة ملقحة بأخرى تمتد آثاره إلى أجيال وأجيال.

فإذا فتح هذا الباب فلابد أن يكون هناك رقابة شديدة جداً على من يقوم بهذه العمليات وإلا فالأولى سد هذا الباب أخذا بمبدأ سد الذريعة على أنه يجب أن يكون مع الطبيب المباشر زوج أو محرم أو مع التسامح الشديد أن لا يختلي الطبيب بالمرأة بما يسمح للشيطان أن يدخل بينهما، هذا ما أدين الله عليه.

الصورة الثانية: رجل تزوج أكثر من امرأة وكانت إحداهن عقيماً مع سلامة مبيضها فتؤخذ بييضتها وتلقح بماء زوجها وترد البييضة الملقحة إلى رحم إحدى ضراتها السليمة الرحم فيتربى في رحمها حتى يولد.

ولا بد من بيان حكم هذه المسألة من ناحية الحل والحرمة ومن ناحية الآثار المترتبة على هذه العملية.

وأرى البدء ببيان الآثار المترتبة على هذه العملية أولاً ليتضح الحكم التكليفي ثانياً.

مما لا شك فيه أن هذا الطفل ينسب إلى زوج صاحبة البييضة وضرتها التي حملت هذه البيضة الملقحة وهذا أمر واضح لقيام الفراش وهو الزوجية. أما إلى من ينسب هذا الطفل من ناحية الأم، ألصاحبة البيضة أم التي حملته؟

إن الذي أدين الله عليه أن هذا الطفل ابن أو بنت التي حملته لا صاحبة البييضة لقوله تعالى: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢) وهذا نص قطعي الثبوت والدلالة ولا سيما أنه جاء على صيغة الحصر، فليست صاحبة البييضة إلا كالدجاجة تبيض بيضتها ولكن لا ينسب فرخها إليها بل إلى الدجاجة التي حضنته.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالفرخ المتخلق من هذه البيضة لا يعرف إلا أمه التي حضنته، ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ فهل صاحبة البييضة حملته وهنا على وهن؟ وكذلك يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ فهل صاحبة البييضة كذلك؟!

هذا من ناحية النص ومن ناحية المعنى أن البييضة الملقحة إنما نمت وتغذت بدم التي حملتها وتحملت الأم الحمل وآلام المخاض.. فهل يعقل أن ينسب الولد لغيرها؟

بقي الكلام على علاقة صاحبة البييضة كالأم المرضعة وذلك لأن الحنفية اعتبروا علة التحريم في الرضاع هي الجزئية أو شبهتها فأقل ما يقال إن هذا الطفل فيه جزئية من صاحبة البييضة توجب حرمة الرضاعة.

على أني لا أستريح إلى هذا التخريج وأرى أن عملها هدر لا تترتب عليه أحكام.

ألا ترى أن امرأة ما لو غذت طفلاً رضيعاً بدمها بالطرق المعروفة الآن هل يثبت بين صاحبة الدم وبين هذا الطفل حرمة الرضاع؟ والذي يبدو لي من قوله تعالى ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ أن الإرضاع فيه معنى الجزئية.

والذي أقطع به أن هذه المرأة لا تتجاوز أن تكون زوجة أب هذا الطفل أما ما وراء ذلك من تعلق حرمة الرضاع بها بأصولها وفروعها وحواشيها فأمر موهوم أكثر مما هو مظنون.

وإن القول الذي يهب إليه بعض الباحثين في هذه المسألة بأن الأم هي صاحبة البييضة قول مردود للأدلة النقلية والعقلية السابقة ولما يترتب عليه من آثار خطيرة من أن امرأة تبيض وأخريات يحملن ويتألمن ويعانين آلام الحمل والمخاض ثم لا يتمتعن حتى ولا بصفة الأمومة.. ويمكن لمثل هذه المرأة أن يكون لها في كل شهر جنين أو أجنة ومن هنا يتبين أن الآثار المترتبة على هذا التصرف خطيرة وهذا يرجح القول بحظر هذه العملية لما يترتب عليها من مشاكل أو على أقل تقدير الاشتباه بعلاقة هذا الطفل بصاحبة البييضة. والله أعلم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصورة الثالثة: أن تلقح ببيضة امرأة ما بماء غير ماء زوجها ثم ترد إلى رحمها.

فهذه الصورة محرمة قطعاً لما فيها من اختلاط الأنساب... ولكن هل يقام حد الزنا في هذه الصورة؟ الجواب.. لا، ولكن يعزر كل من اشترك في هذه العملية تعزيراً شديداً.

ثم إلى من ينسب هذا الولد؟ والجواب أن هذه المرأة إن لم تكن زوجة فالولد ينسب إليها كولد الزنا ولا ينسب إلى صاحب الماء لأن ماءه هدر أما إذا كانت زوجة فقد حسم رسول الله ﷺ هذه القضية بقوله «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فينسب الولد إلى الزوج فإن كان الزوج يقطع بأنه ليس منه فالمخلص له أن ينفي النسب ويلاعن هذه الزوجة ويفسخ النكاح بينهما ويقطع نسب الولد من الزوج ويلحق بأمه فقط.

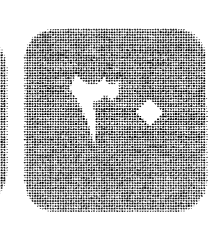
وإن علم أنه ليس منه ورضي به ثبت نسبه منه ولكن يكون آثماً وعلى بنات هذا الرجل وأخواته أن يحتجبن من هذا الولد إن كان ذكراً وإن كانت أنثى فللاحتياط لا يتزوج أبناء هذا الرجل منها والأصل في ذلك أن رسول الله بالرغم من أنه ألحق ابن وليدة زمعة بزمعة إلا أنه قال لزوجته أم المؤمنين سودة رضي الله عنها احتجبي عنه يا سودة بالرغم من أنه ألحقه بزمعة أبيها.

ولعلي أكون قد بينت ما في هذه المسألة من صور وإشكالات فإن كنت قد وفقت في ذلك فذلك من الله وإلا فمني ومن الشيطان.. والله أعلم.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الشيخ د. عبد الله كنون

- ❏ **ترجمة الشيخ.**
- ❏ **المقالات:**

١- آية الإسراء والمعراج.

العدد (٧٩) رجب (١٣٩١هـ) - أغسطس (١٩٧١م).

٢- مدرسة الاحسان.

العدد (٨١) رمضان (١٣٩١هـ) - أكتوبر (١٩٧١م).

٣- المعراج رحلة إلى السماء.

العدد (٩١) رجب (١٣٩٢م) - أغسطس (١٩٧٢م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

د. عبد الله كنون



● مولده ونشأته:

ولد الشيخ عبد الله كنون بفاس سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م رحل إلى طنجة مع عائلته بسبب الحرب، فحفظ القرآن على يد أبيه عبدالصمد كنون وعلى يد الشيخ أحمد بن محمد الوسيني وحفظ الأحاديث النبوية فأصبح عالماً بالشريعة وباللغة العربية في وقت قصير، ونال درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة مدريد المركزية.

كان الأستاذ عبد الله كنون من ألمع جيل الرواد الذين بنوا النهضة وناضلوا من أجل الاستقلال بالفكر والعلم والقلم، تميز منذ وقت مبكر من حياته، بالنبوغ والتفتح والقدرة على مسايرة الركب الحضاري والثقافي الذي قدر أن تبدأ انطلاقته من المشرق العربي.

عُين وزيراً للعدل، ووكيلاً لمجلس الدستور، وأميناً عاماً لرابطة علماء المغرب، ومديراً للمعهد الإسلامي بطنجة ومنشئ أول مدرسة حرة بها، وعين رئيسا للمجلس العلمي الإقليمي بطنجة.

● مؤلفاته وانتاجه الفكري

خلَّف كنون أثراً واضحاً في الدراسات الأدبية، وفي كتابة التراجم، وفي تحقيق المخطوطات، وفي إصدار الصحف والمجلات وإدارتها والإشراف عليها وتزويدها بالمادة المتنوعة الغنية، وفي العمل الأكاديمي والمجمعي، ومن أهم مؤلفاته:

«النبوغ المغربي، مدخل في تاريخ المغرب، معارك، الجيش المجلب على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المدهش المغرب، أربع خزائن لأربعة علماء من القرن الثالث عشر، التعاشيب، أدب الفقهاء».

● **وفاته**

توفي رحمه الله تعالى في التاسع من يوليو عام **١٩٨٩**م.

❊ ❊ ❊

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

آية الإسراء والمعراج

العدد: (٧٩) رجب (١٣٩١هـ) - أغسطس (١٩٧١م).

إن الإسراء والمعراج من معجزات سيدنا محمد العظمى وخصائصه الكبرى، وهما ثابتتان ثبوتا قطعيا لا مجال للشك فيه، بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، وهذا مما اتفقت عليه الأمة ولم يخالج صدور المؤمنين ريب في حقيقته.

وقد كانا معا في عام واحد، وشهر واحد، وليلة واحدة، هي على المختار ليلة السابع والعشرين من رجب عام اثني عشر من البعثة النبوية وهو ﷺ ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر.

واختلف السلف والعلماء، هل كان ذلك بروحه وجسده على ثلاث مقالات، فمعظمهم على أنه بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وكثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين.

وذهبت طائفة إلى أنه بالروح فقط، وأنه رؤيا منام، مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء وحي وحق، مستدلين بقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء: ٦٠)، ولكن استدلالهم بهذه الآية على ما ذهبوا إليه لا يصح، لأن الآية لم يثبت نزولها في الإسراء، بل قيل إن المراد بها رؤيا النبي ﷺ المبشرة بفتح مكة.

ولما كانت الرؤيا في الآية غير نص في الإسراء، أصبحت الآية غير صالحة أن تكون لهم دليلا، فلا تقوم لهم بها حجة على ما ذهبوا إليه، ولو كان الإسراء رؤيا

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منام، ما دهش المشركون وملكهم العجب لما سمعوا النبي ﷺ يخبر بذلك، وما سارعوا إلى تكذيبه، وما ارتد ضعفاء الإيمان عند سماع ذلك ورجعوا بعد إيمانهم كفارا.

على أن الرؤيا المنامية لا تستبعد من أي إنسان كائنا من كان، فإذا حدث الناس شخص بأنه رأى في منامه أنه انتقل إلى البلاد الشاسعة والأقطار البعيدة، أو صعد إلى السماء ودخل الجنة، ورأى من العجائب ما لا يخطر ببال، لا يجد من بين سامعيه إنكارا ولا جحودا ولا تسفيها له، ولا تكذيبا، إذ كل ذلك ممكن ومقبول عقلا من غير استبعاد ولا استحالة، فإنكار المنكرين لقول النبي ﷺ لما أخبرهم بما عاين دليل صريح وبرهان واضح على أن الإسراء كان بجسمه وروحه الطاهرين.

وقالت جماعة أخرى كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح، واحتجوا بقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ (الأسراء: ١)، فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجيب منه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي ﷺ به، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه.

وقال هؤلاء: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فيكون أبلغ في المدح، وكأن هذا جمع بين القولين، ولكن الاعتماد على القول الأول كما علمنا، والآية لم تشر أصلا إلى زائد على الإسراء إلى المسجد الأقصى لا بجسد ولا بغيره، فكيف يكون ذكر الإسراء إلى السماء دليلا على وقوعه بالروح فقط، وهو إنما استفيد من آية أخرى في سورة النجم، ومن الأحاديث لا غير.

وفوق هذا فإن الرؤيا تكون بمعنى الرؤية في اليقظة، ولا تختص بالنوم كما في قول الشاعر يصف صائدا:

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلابله

وقد أصبحت الآن أكثر ما تستعمل في عبارات الأدباء والنقاد بالألف لا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالتاء، وهم يريدون بها الرؤيا البصرية.

إن الاختلاف في هذا الأمر بين علماء المسلمين، هو في نظرنا دليل على تحكيمهم العقل، حتى في أخص أمور الدين، وإلا فإننا اليوم لا نكاد نشك في أن الإسراء والمعراج معا كانا بذاته الشريفة، وفي حالة اليقظة، وقد رأينا من قدرة الإنسان وتدرعه بما أوتي من علم قليل أنه استطاع أن يخرق الأجواء، ويصل إلى القمر، أفتعجز قدرة الله غير المحدودة وعلمه المحيط أن يعرج بنبيه إلى السماء، ويسري به إلى بيت المقدس في بعض ليلة؟

لقد حكى لنا القرآن من قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس، وقول عفريت من الجن له: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقامك، وقول الذي عنده علم: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، حكى لنا القرآن ما فيه مقنع وبلاغ، لأن تكون قضية الإسراء والمعراج، قبل صعود الإنسان إلى القمر بعشرات القرون، قضية لا غرابة فيها بالنسبة إلى قدرة العزيز الحكيم، ولكن النزعة العقلية عند علماء المسلمين، التي كان القرآن نفسه أعظم مذك لها في نفوسهم، جعلتهم يطرقون جميع الاحتمالات فيها مع إيمانهم الراسخ بالمعجزة وصدق المبلغ عن الله عز وجل، حتى الذين قالوا إنها رؤيا منام محض، قد حكموا بأن رؤيا الأنبياء وحي وحق، وذلك هو الخيط الرفيع الذي يفرق بين رؤياه صلى الله عليه وسلم ورؤيا غيره من الناس.

وإذا كنا قد ألمعنا إلى الصعود للقمر، على سبيل المثال والتقريب، فلا بد أن ننبه على الفرق العظيم بين المعراج وهذا الصعود، فالأمر هنا لم يخرج عن المدار الفضائي لمجموعتنا الشمسية التي نعيش على ظهر كوكب من كواكبها، أما المعراج فكان إلى السماء الحقيقية، السماء التي ورد ذكرها في كتب الأنبياء جميعا لا السماء اللغوية التي هي ما علا الإنسان، بل السماء التي هي مقر الملائكة والأرواح، وعالم الملكوت المحفوظ من كل إنس وجان، إلا من أكرمه الله بدخوله، فأين الثرى من الثريا؟

ولهذا قال تعالى منبها ذوي العقول لما في هذه الآية العجيبة من الدلالة على عظيم قدرته وبليغ حكمته ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء: ١)، وسبحان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

علم للتسبيح، والحكمة في التعبير به هنا كما قال ابن الجوزي: أن العرب تسبح عند الأمر العجيب، فكأنه تعالى يعجب خلقه مما أسدى إلى نبيه بالإسراء به من الأيادي والنعم، وأسرى مأخوذ من السرى، وهو سير الليل خاصة، وبعبده، المراد به النبي محمد ﷺ، فهو المتحقق بكمال العبودية لله ﷻ، وبذلك يكون وصف تشريف كما قال القائل:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

و«ليلا» ظرف وهو للتوكيد، إذ الإسراء لا يكون إلا بالليل، وفائدته رفع توهم المجاز، لأنه قد يطلق على سير النهار، مع الإشارة بتنوينه إلى أن ذلك وقع في بعض الليل لا في جميعه، وإنما كان الإسراء ليلا لأنه وقت الخلوة والاختصاص والتقريب على ما قيل، ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (الإسراء: ١)، وهو مسجد مكة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ (الإسراء: ١)، وهو بيت المقدس، ووصف بالأقصى لبعده عن المسجد الحرام، وذلك محط العجب ومناط الإعجاز﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء: ١)، صفة أخرى للمسجد الأقصى، وبركته بما خصه الله به من كونه مقر الأنبياء ومتعبدهم ومهبط الوحي والملائكة، وإنما قال حوله لتكون بركته أعم وأشمل، فإنه إذا بارك فيما حوله من البقاع لأجله، فهو مبارك بطريق الأولى.

والمسجد الأقصى بمدينة القدس من أرض فلسطين، هو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، وهو أولى القبلتين، ومسرى النبي ﷺ ومكان عروجه، والصلاة فيه بألف صلاة، كما في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبوداود وابن ماجة، وفيه: «ائتوه وصلوا فيه، فإن صلاة فيه بألف صلاة»، وفي رواية لأحمد عن بعض نسائه ﷺ أنها قالت يا رسول الله: «فإن لم تستطع إحدانا أن تأتيه، قال: فلتبعث إليه زيتا يسرج فيه، فإن من بعث إليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه».

ومهما يكن من درجة هذه الرواية وصحة اعتبارها فإن المسلمين اليوم قد أضاعوا القدس بتهاونهم وتخاذلهم، وقد مرت على سقوطه في أيدي الصهاينة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سنوات أربع، وهي في نظر الغُيَّر من أهل الإسلام بمثابة أربعين سنة، وبضياع القدس بطلت زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه على سبعمائة مليون مسلم، فأقل ما يجب على المسلمين لاسترداده أن يبذلوا المال للفدائيين والفئة المؤمنة القائمة بالجهاد لرفع السيطرة الصهيونية عنه، فلو بعث كل من كان يزور القدس من المسلمين وخصوصا الحجاج، بما كان يصرفه في سبيل زيارته من مال إلى من ذكرنا لحصل له ثواب الزيارة والصلاة على حسب ما جاء في هذا الحديث، ولأسهم في إنقاذه بحسب وسعه، وما أصدق ما قال المشركون لسلمان: لقد علمكم نبيكم كل شيء، فياحسرتا على المسلمين! كيف فرطوا في دينهم وتعاليمه التي بها نجاتهم، وتمسكوا بالأوهام والأضاليل، ثم قال تعالى ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)، أي لنظهره على عجائب قدرتنا، وبدائع حكمتنا، أو يكون المعنى لنرفعه إلى السماء حتى يرى ما يرى من آياتنا الباهرة، فتكون في الآية إشارة إلى عروجه ﷺ وخصوصا إذا جعل معاد الضمير في قوله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)، عليه ﷺ، كما قيل به والمعنى أنه هو السميع لكلامنا البصير لآياتنا.

ومن هنا ينصرف بنا القول إلى المعراج، وقد ألمت به سورة النجم في الآيات الكريمة القائلة: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ (النجم: ١-٩).

ونأتي بالحديث المفسر لها، ولقضية الإسراء معا، ففيه غنى، وهو ما أخرجه مسلم من طريق ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه وقال فيه القاضي عياض: جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء، ولم يأت أحد بأصوب من هذا، قال أنس: قال رسول الله ﷺ: أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته في الحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جبريل اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل له: من أنت؟ قال جبريل، قيل من معك؟ قال محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك. قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة، عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام واذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، وذكر مثله، فإذا أنا بإدريس عليه السلام، فرحب بي ودعا لي بخير، قال تعالى ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فذكر مثله، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم، مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال.. قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلى ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك، قلت: خمسين صلاة، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال فرجعت إلى ربي، فقلت يارب خفف عن أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمسا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنها خمس صلوات في كل يوم وليلة، فكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

فهذا الحديث قد جمع قصتي الإسراء والمعراج معا، واستوفاهما أحسن استيفاء، واستوعبهما بيانا، وإن كان قد خلا من بعض الزيادات التي ثبتت في غيره مما هو أقصر منه، ولا تخلو من فائدة.

ومنها شق صدره الشريف قبل الإسراء، وقد ثبت في الصحيح، فلا عبرة بمن أنكره، قائلا إن ذلك كان في صباه ﷺ فذاك كان لإخراج حظ الشيطان منه، وهذا للتهيؤ لدخول الملأ الأعلى، ومنها صلاته بالأنبياء في بيت المقدس، قبل أو بعد العروج على اختلاف الروايات في ذلك، مثلوا له، وصلى بهم ركعتين، ولعلهم الأنبياء الذين لم يلقهم في السماء، وإن كان لفظ الحديث يدل على العموم، وقد تكرر ذكر هذه الكرامة في شعر المديح كقول العلامة اليوسي:

وتقدمت للصلاة فصلوا كلهم مقتد وأنت الإمام

ومنها أنه لما أتاه الملك بالخمر واللبن، اختار اللبن وقال له: اخترت الفطرة، زاد: ولو شربت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم إلا القليل، وكفى بهذا ذما للخمر وردعا لشاربيها.

ومنها أنه لما لقي إبراهيم في السماء السابعة، قال له: مرحبا بالابن الصالح، وقال له: مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة، قال: وما غراس الجنة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ومنها في وصف سدرة المنتهى: إنها في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها.

ومنها أنه قال: ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، أي صوت حركتها، جارية بما تكتب من القضاء والقدر.

وقوله فيه: وقد بعث إليه؟ أي للعروج إلى السماء، وأما بعثته أي رسالته إلى أهل الارض فإنها لا تخفى على أهل السماء.

والحكمة في تردده للتخفيف من عدد الصلاة بين موسى والحق سبحانه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتعالى، تقدير ذلك الفضل العظيم والعطاء الجسيم الذي أتحفه به ﷻ، وهو كون الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بواحدة فقط، بصورة عملية محسوسة، ليكون ذلك أدعى لتقديره، والاعتراف بواسع كرمه تعالى، وجزيل ثوابه لعباده المؤمنين.

ثم إنه ﷺ رجع من ليلته، فلما أصبح غدا إلى نادي قريش، فحدثهم بأمره، فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا، وارتد أناس ممن كان آمن به من ضعاف النفوس، وسعى بعضهم إلى أبي بكر فقال له: أرأيت إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس ورجع في ليلته! فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: وكيف؟ قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك، على خبر السماء في غدوة وروحة، فسمي من ذلك اليوم الصديق.

وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ (الإسراء: ١)، وفي سورة النجم ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ (النجم: ١٨)، هو مما يصدق بما تقدم من معجزة الإسراء نفسها، ومعجزة المعراج، وما رآه فيهما من الآيات والعجائب، وناهيك بمقام القرب والدنو، وما غشي سدرة المنتهى مما عبر عنه بقوله: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد يستطيع أن ينعتها من حسنها.. وما كان بعد ذلك من الوحي كفاحا دونما زيغ من البصر ولا طغيان، كما قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ (النجم: ١٧).

وإلى ذلك فقد وردت في بعض روايات الحديث أشياء ومشاهد أخرى، مما رآه في ليلته تلك، ومجرد وصفها يدل على صدقها، إذ إنها من عالم الغيب الذي سكتت عنه جميع الكتب والصحف، وخرست ألسنة الحكماء والفلاسفة.

ومن ذلك أنه أتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال يا جبريل، ما هذا؟ قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه.

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت، قال يا جبريل: من هؤلاء؟ قال: الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة.

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإبل والنعم، ويأكلون الضريع والزقوم، ورضف جهنم، قال ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقة أموالهم.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج طيب، ولحم آخر نيء خبيث، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث، ويدعون النضيج الطيب، قال ما هؤلاء؟ قال: الزناة.

ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء الا خرقته، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل أقوام يقعدون على الطريق فيقطعونه، ثم تلا: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (الأعراف: ٦٨).

إلى آخر ما في هذا الحديث، وهو مما رواه البيهقي عن أبي هريرة. ونقدم ما فيه من وعد وجزاء حسن، هدية إلى إخواننا المجاهدين من أهل فلسطين، وما فيه من وعيد ومثال سيء إلى عملاء العدو وحلفاء الصهاينة، الذين يعملون على تصفية الثورة الفلسطينية بالقول أو الفعل، فإن الصد في الآية الكريمة حسي ومعنوي.

وبعض هذه الأحاديث، وإن لم يرتق إلى درجة الصحة، فإنه عامل في الترغيب والترهيب، كما تقرر عند العلماء، وقد كانت أحاديث المعراج نبعا ثرا، استقى منه حتى الأدب الأجنبي، ومن أعظم الأمثلة على ذلك ما تضمنته قصة الكوميديا الإلهية لشاعر إيطاليا دانتي الليجيري من أوصاف ومناظر تكاد تنطق بأنها مقتبسة من المصادر الإسلامية، والأحاديث النبوية، بالخصوص، الواردة في هذه المعجزة، فما أعظم الإسلام، وأوسع رسالته التي لم يبق أحد لم ينل من خيرها، حتى من يكفرون بها!.

ونسأله تعالى أن ينفحنا بروح من عنده، تعمر من هممنا ما خرب، وتجدد من مآثرنا ما دثر، وتحيي من قلوبنا ما مات، وتبعث من عزائمنا ما خمد، حتى تنتبه لعمل ما فيه صلاحنا وفلاحنا، معاشا ومعادا، دينا ودنيا، والله ولي التوفيق.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مدرسة الإحسان

العدد (٨١) رمضان (١٣٩١هـ) - أكتوبر (١٩٧١م).

قيل إن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق شهر رمضان أيام رمض الحر، فسمي بذلك.

وسواء صح هذا أم لم يصح، فمعنى المادة التي اشتق منها ذلك الاسم يصححه، فإن الإسلام قد جعل لهذا الشهر رمض حر معنوي لا يفارقه مدى السنين، ولو جاء في أشد الأوقات بردا وقرًّا، وذلك هو الصيام الذي افترضه الله على المؤمنين وجعلهم يرتمضون فيه بحر الجوع ليذوقوا مما يذوقه الفقراء والمساكين في كل شهر، لا في شهر رمضان فقط فيواسوهم ويحسنوا إليهم في شهر رمضان وفي كل شهر آخر، لأن الإحساس بالجوع غير وصفه، والشعور بالخصاصة غير الخبر عنها.

وقد يكتب الكتاب ويعظ الواعظون في الحض على المواساة والإحسان إلى الفقراء والمساكين، ولكنهم لن يبلغوا من النفس البشرية ما يبلغ منها صيام يوم واحد، وتجويعها على النحو الذي أمر به الشارع في شهر رمضان للرياضة والتربية، لا للتطبيب والاستجمام.

والصيام وإن كانت له فوائد صحية لا تنكر، ويصح أن يكون الشارع قصدها فيما قصد إليه من فرض هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، ولكن مسألة الإحسان هي منه في الطليعة، وربما كانت هي المرادة منه بالقصد وبالذات، ألا ترى إلى ما روي في الصحيح من أنه ﷺ كان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيذاكره بالقرآن، فالرسول ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكيف لا يكون الرسول ﷺ أجود الناس وهو الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق؟ وكيف لا يكون أفضل أكوانه بالنسبة إلى الجود في رمضان، وقد اجتمعت فيه ثلاثة دواع كل واحد منها كاف لمضاعفة أثر ذلك الخلق الكريم، وهي الصيام، ولقاء جبريل، ومذاكرة القرآن؟

فالصيام عامل طبيعي لإثارة عاطفة الإحسان بسبب ما يشعر به الصائم من الحرمان الذي يعيش فيه الفقراء دائمًا، ويستوي فيه الرسول ﷺ وغيره، إلا أن أثره فيه ﷺ أعظم من غيره، ولقاء جبريل هو صلة مباشرة بالملأ الأعلى يصفو معها جوهر النفس وتسمو معنوياتها إلى أبعد حد ممكن لبشر. ومذاكرة القرآن، وهو معدن الأسرار والأنوار، لا تأتي إلا بأعظم النتائج في باب التخلق لعموم الناس، فأحرى بالرسول الكريم ﷺ.

وعلى كل حال فالغاية من الجميع هي الجود، وذلك ما يجعل من رمضان مدرسة إحسان، يتخرج فيها ملايين المحسنين كل عام، من الصائمين الذين يكونون على قدم الرسول ﷺ في الاتصاف بالجود أيام السنة كلها وفي أيام رمضان أكثر.

ومما يدل على أن فرض الصيام حكمته معالجة آلام الحرمان بالفعل، لتربية عاطفة الإحسان في الإنسان، ما روي في الصحيح أنه ﷺ قال «بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له».

فهذا الحديث يرشد إلى أن الحرمان يولد العطف، والعطف يبعث على الإحسان، فما شعر بما يجده المحروم من ألم نفسي وبدني إلا من حرم مثله من لذاته ومشتهياته، وإذ ذاك ترق عاطفته ويسخو بما لم يكن يسخو به من قبل هذا التمرين.

ولو لم يوخذ هذا الرجل بتجربة العطش الشديد الذي حمله على النزول في البئر، لما رق قلبه لذلك الكلب ولو رآه مندلع اللسان من العطش، فكذلك يكون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي عانى الصيام شهرًا في كل عام، إذا رأى جائعا أو عطشان أو محرومًا من ضرورية من ضروريات العيش على العموم، ولعل هذا هو ما يفسر قوة عاطفة الإحسان الفردي عند المسلمين برغم تخلفهم في ميادين الإحسان العام لضعف تربيتهم الاجتماعية والسياسية.

على أن هذا المعنى الذي ذكرنا أنه المقصود الأهم من الصيام وهو تنمية عاطفة الإحسان، وقد وقع التصريح به في حديث سلمان ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال «يأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، فيه ليله خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعًا، وهو شهر الصبر وشهر المواساة، من فطّر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار» (رواه ابن خزيمة في صحيحه).

ولا معنى لكونه شهر المواساة إلا هذا بدليل ما بعده من الحض على تفطير الصائم الذي لا يجد ما يفطر عليه، وناهيك أن كتاب الله العزيز لما عذر العاجز مطلقا عن الصيام لم يجعل له مندوحة من إطعام المساكين.

وتختم هذه الدروس التي تدوم شهراً كاملاً بامتحان جعله الشارع علامة النجاح في هذه المدرسة الإحسانية العظيمة، وهو زكاة الفطر التي ورد في الصحيح أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث، وروي أنه ﷺ قال «صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر».

فختمت دروس الإحسان بامتحان عملي في الإحسان، مما لا يبقى معه شك في أن رمضان ما هو إلا مدرسة للإحسان.

إن الصيام مواساة وإحسان ... قضى بذلك قرآن وبرهان

نِعمَ الصيام مع المعروف تبذله ... وليس فيه مع الحرمان حرمان

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعراج
رحلة إلى السماء

العدد (٩١) رجب (١٣٩٢هـ) - أغسطس (١٩٦٧م).

كان الكلام في المعراج، مع المؤمنين طبعاً، يقتضينا البحث في أدلته، وإمكانيته، وصفته، والآيات الكبرى التي شاهدها النبي ﷺ في عروجه، والمغزى العظيم الذي ينكشف عنه هذا الحدث العجيب، من حيث ثبوت المعجزة، وصدق الرسالة، وأثر القدرة الباهرة التي لا يمتنع عليها شيء.

والآن بعد ريادة الفضاء، والرحلة إلى القمر، أصبحنا في كلامنا على المعراج، بحاجة إلى رفع الالتباس عند بعض المؤمنين الذين ظنوا أن الصعود إلى القمر، صعود إلى السماء، ومن ثم فإن منهم من وقع في شبهة عقائدية، ومنهم من أحالوا وقوعه، وجزموا بأن كل ما يقال عن الرحلات الفضائية، إنما هو دعاية كاذبة وزعم باطل.

وقد كنت أدليت بحديث إلى وكالة المغرب العربي للأنباء، بمناسبة نزول مركبة أبوللو ١١ فوق سطح القمر سنة ١٩٦٩ حول نظر الإسلام في هذه القضية جاء فيه: ليس في الإسلام ما يعارض صعود الإنسان إلى القمر، وليس في وصول الإنسان الى القمر ما يناقض أي تعليم من تعاليم الإسلام.

ذلك أن القمر ما هو إلا كوكب من كواكب مجموعتنا الشمسية السابحة في الفضاء، والوصول إليه كالوصول إلى أميركا ذلك الجزء من كوكبنا الأرضي الذي بقي مجهولا للإنسان آلافا من السنين.

والالتباس الذي يقع في أذهان بعض الناس إنما يجيء من الاشتراك في لفظ السماء بين مدلولها اللغوي ومدلولها الغيبي أي الديني، فالسماء في اللغة هي كل ما علاك، ومنها الكواكب السيارة مثل الشمس والقمر، وفي الدين هي عالم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الملكوت المحفوظ المحروس مقر الملائكة والعرش، والذي لا يصل إليه ولا يدخله إلا من أكرمه الله بذلك، وهو الذي عرج إليه نبينا محمد ﷺ وعاد منه، ليلة السابع والعشرين من رجب السنة الثانية عشرة بعد النبوة، فأين هذا من السماء اللغوية التي معناها المكان العالي لا غير؟

ومع هذا فإن صعود الإنسان إلى القمر، مأثرة علمية جليلة، وهي مما يستدل به على صحة وقوع المعراج، وهكذا نرى العلم دائما يسير في ركاب الدين.

ومن المعلوم أن السموات في النصوص الدينية سبع، مثل الأرضين، وهي من خلق الله وصنعه، ويجب الإيمان بها كما نؤمن بعالم الغيب وإن لم نره، ولا يصح تنزيلها على هذه الكواكب المشاهدة من عالمنا الأرضي المعروف، فالكون غير محصور في هذا العالم، والعلم لم يحط بهذه الكواكب، فكيف بالكون كله؟ وفي عالم المجرة وحده ما حير عقول العلماء، علماء هذا العصر، والمختصين منهم بالدراسات الفلكية قبل غيرهم.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ١٢) أنه قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها، ولعله أشفق عليهم من أجل أن عقولهم لم تكن لتتصور عظمة هذا الكون وسعته، بالنسبة إلى ما كان عندهم إذ ذاك من علم قليل بهذه الشؤون.

وإذا كان هذا العصر على ما بلغ إليه من رقي في العلوم الكونية ما يزال يتعثر في الاتصال بأحد الكواكب السابحة في الفضاء، فضائنا الأرضي المعدود والمحدود بغاية الدقة، فما بالنا بآلاف، بل ملايين النجوم والكواكب، بل المجموعات الشمسية والأفلاك التي لا يحصي عددها إلا خالقها؟ فما بالنا بالسموات السبع والأرضين السبع التي لا نعلمها إلا غيبا، ولا نعرفها إلا وحيا؟

ولئن قال بعض علمائنا إن المراد بالسموات السبع طرائق السيارات ومداراتها، وقالوا في الأرضين السبع إنها السبعة الأقاليم، فإن مما ينقض هذا القول أنه ثبت علميا وجود سيارات أخرى، غير السيارات السبع المعروفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كأورانوس ونبتون، وأن الأقاليم السبعة لا يصح أن يقال في كل واحد منها أنه أرض إلا على ضرب بعيد من المجاز.

على أن النصوص المتواترة تفيد أن خلق السموات هو من قبيل البناء والتشييد ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ (الذريات: ٤٧)، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ (النبأ: ١٢)، حتى إن العلماء يتطرقون إلى إمكانية الخرق والالتئام، عند الكلام على المعراج، فأين هذا من اعتبار طرائق السيارات ومداراتها هي السموات، بل جعلها هي هذه الكواكب، مع أن الكواكب إنما هي زينة للسماء الأولى ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ (الصافات: ٦).

وعلى كل حال فإن المعراج كان رحلة إلى السماء، السماء الحقيقية بالمعنى الشرعي، أي باعتبار الحقيقة الشرعية، لا السماء اللغوية التي هي كل ما علاك، وهي رحلة فريدة في تاريخ الإنسانية لم تقع لبشر حي من غير خلاف، إلا لنبينا محمد ﷺ، ولن تقع لأحد بعده على الإطلاق.

والريادة القمرية إنما هي استكشاف فضائي، وفي عالمنا الأرضي، لا يعدو أن يكون مثل استكشاف أميركا واستراليا على ظهر البسيطة، بعدما بقيتا مجهولتين لنا آلاف السنين كما قلنا في الاستجواب المشار إليه من قبل.

ومن الغرور أن يعتقد أحد رواد الفضاء، وهو الرائد السوفياتي الأول يوري جاجارين، أنه صعد إلى السماء وأنه لم ير الله هناك، فإن مجرد الزمان الذي يقضيه الرواد في الرحلة إلى القمر، وقياسه بالزمان الذي قضاه الرسول ﷺ في معراجه، مما يبين الفرق العظيم بين الرحلتين، وهذا بقطع النظر عن نهايتي الرحلة: القمر والسماء، السماء التي قدر القرآن بعدها من الأرض بخمسين ألف سنة ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ (المعارج: ٤)، فهذه المسافة التي تكاد لا تتصور، قد قطعها الرسول الكريم في سويعات من ليلة، مع ما صحبها من الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

فتبارك الله ما أعظم قدرته، وأجل حكمته!

وأختم هذه الكلمة بقصيدة رجزية كنت قلتها لما قال جاجارين كلمته النكراء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

آنفة الذكر:

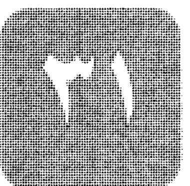
وقال رائد الفضا من جهله ... ما إن رأيت الله في السماء
أي سماء رادها وهل درى ... أن السما ليست من الفضاء
وهل درى بأنه سبحانه ... ما إن يرى بهيكل الفناء
قال لموسى الطهر لن تراني ... فكيف بالحصاد والبناء
وهل درى أن السماء لم تكن ... قط مكان الله ذي السناء
فالله فوق عرشه قد استوى ... وأين عرشه من الأجواء
وقد نهى نبينا محمد ... فيما روى عنه ذوو الأنباء
عن المفاضلة بين من رقى ... إلى السما ومن هوى في الماء[١]
فإن ربنا تعالى معنا ... بعلمه المحيط بالأشياء
في كل ما أينٍ نكون فيه ... وكل ماء آنٍ من الآناء
يا زلة ما إن لها إقالة ... وهل لداء الهذر من دواء؟
فقسما لو أن «لايكا» نطقت ... لما أتت بهذه العوراء[٢]

* * *

(١) إشارة إلى الحديث: لا تفضلوني على يونس بن متى.

(٢) العوراء: الكلمة الشنيعة، ولايكا هي الكلبة التي كانت أول مخلوق أرضي حي نزل على القمر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الشيخ أبي الحسن الندوي

- ترجمة الشيخ
- المقالات:

١- القرآن بين الإيمان والتطبيق.

العدد (٨٤) ذو الحجة (١٣٩١هـ)- كانون الثاني (١٩٧٢م).

٢ - محطم الأقفال.

العدد (٨٧) ربيع الأول (١٣٩٢هـ) - إبريل (١٩٧٢م).

٣- كيف يستعيد المسلمون مجدهم القديم.

العدد (٩٣) رمضان (١٣٩٢هـ) - أكتوبر (١٩٧٢م).

٤- دور الإسلام في العصر الحديث.

العدد (١٠٥) رمضان (١٣٩٩هـ) - سبتمبر (١٩٧٨م).

٥- الدعوة إلى الله وبعض سماتها.

العدد (١٦٩) محرم (١٣٩٦هـ) - ديسمبر (١٩٧٨م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ
أبو الحسن الندوي



● **مولده ونشأته**

هو عليٌّ أبو الحسنِ بنُ عبد الحي بن فخر الدين الحسني المعروف بأبي الحسن الندوي.

ولد بقرية تكية، مديرية رائي بريلي، الهند عام ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م.

أبوه علامة الهند ومؤرِّخُها السيد عبدالحي بن فخر الدين الحسني صاحب المصنَّفات المشهورة.

بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ تعلُّمَه للقرآن الكريم في البيتِ تُعاوِنُه أمُّه، ثم بدأ في تعلُّم اللغتَينِ الأرديةَ والفارسيةَ، وتعلُّم العربية على الشيخ خليل بن محمد الأنصاري اليماني وتخرَّج عليه، ثم تعلم وأتقن اللغة الإنجليزية.

تَعيَّن مُدَرِّساً في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٣٤م، وقام بتأسيس مركزا للتعليمات الإسلامية عام ١٩٤٣م، ونظَّم فيها حلقاتِ درسٍ للقرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّةِ، اختير عضواً في المجلس الانتظامي أو الإداري لندوة العلماء عام ١٩٤٨م، وعُيِّن وكيلا لندوة العلماء للشؤون التعليمية.

دُعِي أستاذاً زائِراً في جامعة دمشق عام ١٩٥٦م

ألقى محاضرات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفي غيرها.

● **أهم مؤلفاته**

«سيد أحمد شهيد، القراءة الراشدة، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، وضع منهاج لطلبة الليسانس في التعليم الديني أسماه إسلاميات، رجال الفكر والدعوة، - فيما بعد- إلى كتابه الكبير رجال الفكر والدعوة في الإسلام» وغيرها،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وشارك في تحرير العديد من المجلات كالضياء، والندوة.

تم اختياره كعضو ورئيس في العديد من الجامعات والهيئات العالمية كجامعة أكسفورد وجامعة كشمير ومنح درجة الدكتوراه الفخرية منها، ومنح جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٩٩٨م.

● **وفاته**

يوم الجمعة ٢٣ رمضان ١٤٢٠ هـ الموافق ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م، ودفن بالهند.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن بين الإيمان والتطبيق

العدد (٨٤) ذي الحجة (١٣٩١هـ) - يناير (١٩٧٢م)

إن الله ﷻ لما أنزل كتابه على آخر أنبيائه ﷺ أنزله معلنا بأنه أكمل دينه، ولن يبعث بعد ذلك نبيا جديدا ولن ينزل كتابا جديدا من عنده، وهذا الإعلان نفسه يتضمن حقيقة ناصعة هي أن القرآن هداية ثابتة خالدة لكافة النوع البشري في جميع الأزمنة والأمكنة، إذ لو ثبت أن هدايته غير كافية أو أصبحت مفتقرة إلى الإكمال والتنمية في عصر من العصور أو في قطر من الأقطار أو في وضع من أوضاع المجتمع الإنساني لكان يعني ذلك عدم صحة ما أعلنه الله، ومعاذ الله سبحانه وتعالى عن أن يكون في كلامه شائبة من الخطأ، ولأجل ذلك يجب علينا، كمسلمين، أن نقرر في كل شأن من شؤون حياتنا، كنقطة الانطلاق، أن هذا الكتاب هو المصدر الحقيقي للهداية نستمد منه كل ما نحتاج إليه من التوجيه.

والسؤال عن «نقطة الانطلاق» هذا هو الموضوع الوحيد الذي له أهمية بالغة اليوم بالنسبة لجميع أهل العلم والرأي من المسلمين في أنحاء العالم، وإن كانت مهمتنا الرئيسية تتركز على أن ندعو الدنيا إلى هداية الله، إلا أنه من سوء حظنا أن السيطرة الشاملة للحضارة المادية في العصر الحاضر أثارت فينا معشر المسلمين تساؤلا: هل حقا نعتبر القرآن مصدرا حقيقيا للهداية في جميع شؤوننا للحياة؟

وإذا اعتبرناه كذلك، فهل نعتبر جادين مخلصين؟ وإننا مادمنا لا نجيب على هذا السؤال في حد أنفسنا لا نستطيع أن نحقق مهمتنا العالمية التي كلفنا بها كأمة أخرجت للناس.

إن هناك عناصر في الطبقات التي بيدها أزمة التوجيه والقيادة لا تعتبر القرآن مصدرا للهداية في الحقيقة، أو تشك فيه على الأقل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهؤلاء يفتقرون إلى دلائل تقنعهم على أن الإنسان كائن لا مندوحة له من هداية الله تعالى، وأن القرآن كتاب منزل منه سبحانه، وهو كتاب شامل مأمون يحتوي على توجيه خالد أبدي.

وهناك أناس آخرون سولت لهم أنفسهم الفكرة القائلة بفصل الدين عن الدنيا، وكل فرد منهم يجعل هداية الله مقصورة في إطار تصوره المحدود للدين. ولن تزول شبهات هؤلاء القوم مادامت لا تواجه ضربة قاضية على فكرة فصل الدين عن الدنيا، ومادام لا يثبت بدلائل ناصعة قوية كون الإنسان في حاجة إلى هداية الله، في جميع شؤون حياته، وكون القرآن كتابا يهدي إلى سواء السبيل في جميع شؤون الحياة من أصغرها إلى أكبرها.

وهناك نوع ثالث من الناس يقرون بشمول هداية القرآن وكماله وخلوده إلا أنه لما ينشأ السؤال حول استمداد الهداية منه، رأينا بعضهم يلتفت إلى مصادر غير القرآن يستورد منها الأفكار والمبادئ، ثم يكرس جهوده في جعل القرآن يؤيدها ويصادق عليها، ورأينا بعضهم يحاول أن يستخرج من القرآن التعاليم التي تصل إليها عقليته هو من خلال ألفاظ القرآن، لا بقطع صلة القرآن بسنة الرسول ﷺ فحسب، بل بصرف النظر عما حققه علماء هذه الأمة وفقهاؤها ومفسروها من أعمال جسيمة في شرح معاني القرآن واستنباط الأصول والفروع من تعاليمه، وهذه الاتجاهات في باب الارتشاف من النبع الإلهي لا تجد أي رجل عنده حظ من العقل أن يراها صورة صحيحة سليمة من الاستنارة بنور الهدى الإلهي، كما لا يمكن أن ينشأ على أساسها نظام موحد من الفكر والعمل للأمة الإسلامية، لأنه من المستبعد أن يقبل ضمير الأمة هذا النوع من التفسير في جانب، وفي الجانب الآخر لا يمكن أن يجمع هذا النمط من المفسرين على تفسيراتهم، ولن يتولد من ازدهار هذه الاتجاهات إلا المزيد من الخلافات في الأمة المسلمة وإثارة شبهات وعقد جديدة في أذهان المسلمين نحو دينهم وكتابهم، وبدل أن يلعبوا دورهم العظيم في دعوة الناس إلى هداية الله يصبحون هم أنفسهم ضحية الحيرة والتخبط في حقيقة هداية الله نفسها، وليس من العلاج لما يعاني هؤلاء القوم في باب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن، أن يوجه إليهم الطعن أو التقريع أو التأنيب، بل إنهم- في الحقيقة- يحتاجون إلى من يرشدهم إلى الطريق القويم للاستفادة من هداية القرآن بوسائل وبراهين معقولة، ويكشف لهم خطأ الطريق الذي يسلكونه في هذا الشأن.

والذين قد ضنت بهم رحمة الله من أن يقعوا في هذه الزلات ينشأ السؤال في شأنهم أيضا، وهو: إلى أي مدى هم جادون في اعتبار القرآن مصدرا حقيقيا للهداية؟ ولا يقتصر معنى «الجدية» في هذا الصدد أن نكون مخلصين في إيماننا بالقرآن ككتاب للهداية فقط، أو أن نكتفي بإعلان هذا الإيمان والبوح به، بل الذي يقتضيه كوننا جادين كل الجدية في هذا الباب أن نرجع إلى هذا المصدر في كل ما يتعلق بحياتنا الفردية والجماعية في واقع الأمر، وأن نفرغ فعلا أخلاقنا وسلوكنا في الحياة، وقوانيننا وحضارتنا، ونظمنا للتعليم والتربية، ونظمنا للاقتصاد والسياسة في قوالب الهداية التي يأخذ بنا القرآن إليها. والذي أشعر به وأشاهده: أنه ينعدم هذا المستوى من الجدية في طبقات تتولى أمر هذه الأمة مع كونهم على اعتقاد صحيح بالقرآن، أو لا تصل هذه الجدية المستوى المطلوب إن لم ينعدم فيهم كليا، وعلينا أن نستنفد جهدنا، قبل كل شيء في خلق الجدية هذه فيهم، لأنه مادامت لا تولد فلا تعدو جميع بحوثنا العملية، في تطبيق تعاليم القرآن في مسائل الحياة، حبرا على الورق حيث لا تجدي بشيء في دنيا الواقع. وأن الدنيا لن تقتنع أبدا بحقيقة الإسلام من خلال البحوث التجريدية الفارغة بل لابد من إقناعها بذلك من أن يتمثل الإسلام في حياتنا القومية الواقعية، وبدون ذلك مهما بذلنا جهودنا في تبليغ الإسلام لا تجد الدنيا أمام أعينها إلا علامة الاستفهام التي تنم عن تساؤل: هل إن هذه الأمة التي لا يتجاوز دينها حدود المساجد، والتي تتبع مبادئ الأجانب وأفكارهم، وتنتهج نهجهم في الحضارة والتشريع والتصورات للحياة هل إن هذه الأمة تؤمن بحقيقة الإسلام في واقع الأمر؟

هذه بضعة أمور أريد أن ألفت إليها الأنظار آملا أن تنال من عناية المفكرين المسلمين ما تستحق من الاهتمام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

محطم الأقفال

العدد (٨٧) ربيع الأول (١٣٩٢هـ) - إبريل (١٩٧٢م)

وقف الأستاذ الكبير أبوالحسن الندوي وقفة تأمل عند غار حراء بمكة المكرمة، وتحدث إلى نفسه بهذه الكلمات المضيئة:

كانت الحياة كلها أقفالا معقدة، وأبوابا مقفلة، كان العقل مقفلا أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة، كان الضمير مقفلا أعيا فتحه الوعاظ والمرشدين، كانت القلوب مقفلة أعيا فتحها الحوادث والأيام، كانت المواهب مقفلة أعيا فتحها التعليم والتربية والمجتمع والبيئة، كانت المدرسة مقفلة أعيا فتحها العلماء والمعلمين، كانت المحكمة مقفلة أعيا فتحها المتظلمين والمتحاكمين، كانت الأسرة مقفلة أعيا فتحها المصلحين والمفكرين، كان قصر الإمارة مقفلا أعيا فتحه الشعب المظلوم والفلاح المجهود والعامل المنهوك، وكانت كنوز الأغنياء والأمراء مقفلة أعيا فتحها جوع الفقراء وعري النساء وعويل الرضعاء. لقد حاول المصلحون الكبار والمتشرعون العظام فتح قفل من هذه الأقفال ففشلوا وأخفقوا، فإن القفل لا يفتح بغير مفتاحه، وقد ضيعوا المفتاح من قرون كثيرة، وجربوا مفاتيحه من صناعتهم ومعادنهم فإذا هي لا توافق الأقفال، وإذا هي لا تغني عنهم شيئا، وحاول بعضهم كسر هذه الأقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم.

ففي هذا المكان المتواضع المنقطع عن العالم المتمدن على جبل ليس بمخصب ولا بشامخ، تم ما لم يتم في عواصم العالم الكبير ومدارسه الفخمة ومكتباته الضخمة. هنا مَنّ الله على العالم برسالة محمد ﷺ وفي رسالته عاد هذا المفتاح المفقود إلى الإنسانية، ذلك المفتاح هو الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر ففتح به هذه الأقفال المعقدة قفلا قفلا، وفتح به هذه الأبواب المقفلة بابًا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بابًا، وضع هذا المفتاح النبوي على العقل الملتوي فتفتح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات الله في الآفاق والأنفس، ويتوصل مع العالم إلى فاطره، ومن الكثرة إلى الوحدة، ويعرف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والأوهام.

وكان قبل ذلك محاميا مأجورا يدافع عن كل قضية حقا وباطلا.

وضع هذا المفتاح على الضمير الإنساني النائم فانتبه، وعلى الشعور الميت فانتعش وعاش، وتحولت النفس الأمارة بالسوء مطمئنة لا تسيغ الباطل ولا تتحمل الإثم، حتى يعترف الجاني أمام الرسول بجريمته، ويلح على العقاب الأليم الشديد، وترجع المرأة المذنبة إلى البادية، حيث لا رقابة عليها، ثم تحضر المدينة وتعرّض نفسها للعقوبة التي هي أشد من القتل، ويحمل الجندي الفقير تاج كسرى، ويخفيه في لباسه، ليستر صلاحه وأمانته عن أعين الناس ويدفعه إلى الأمير، لأنه مال الله الذي لا تجوز الخيانة فيه.

كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا ترق ولا تلين، فأصبحت خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع بالآيات وترق للمظلوم وتحنو على الضعيف.

وضع هذا المفتاح على القوى المخنوقة والمواهب الضائعة، فأشعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل، واتجهت الاتجاه الصحيح فكان راعي الإبل راعي الأمم، وخليفة يحكم العالم.

وأصبح فارس قبيلة وبلد قاهر الدول وفاتح الشعوب العريقة في القوة والمجد.

وضع المفتاح على المدرسة المقفلة، وقد هجرها المعلمون، وزهد فيها المتعلمون، وسقطت قيمة العلم فذكر من شرف العلم وفضل العالم والمتعلم والمربي والمعلم وقرن الدين بالعلم، حتى كانت له دولة وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة، وأصبح كل مسلم متعلما لنفسه معلما لغيره، ووجد أكبر دافع إلى طلب العلم وهو الدين. وضعه على المحكمة المقفلة فأصبح كل عالم قاضيا عادلا، وكل حاكم مسلم حكما مقسطا، وأصبح المسلمون قوامين لله شهداء بالقسط ووجد الإيمان بالله وبيوم الدين فكثر العدل وقل الجدل وفقدت شهادة الزور والحكم بالجور.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وضعه على الأسرة المقفلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده والأخ وإخوته والرجل وزوجته، وتعدى من الأسرة إلى المجتمع فظهر بين السيد وخادمه والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير، كل يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه، وأصبحوا مطففين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، فغرس في الأسرة الإيمان وحذرها من عقاب الله، وقرأ عليها قول الله﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: ١)، وقسم المسؤولية على الأسرة والمجتمع كله فقال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (صحيح البخاري). وهكذا أوجد أسرة عادلة متحابة مستقيمة، ومجتمعا عادلا، وأوجد في أعضائه شعورا عميقا بالأمانة وخوفا شديدا من الآخرة، حتى تورع الأمراء وولاة الأمور وتقشفوا وأصبح سيد القوم خادمهم، ووالي الأمة كولي اليتيم، فزهّدهم في الدنيا ورغبّهم في الآخرة، وأضاف الأموال لله، وقرأ عليهم ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧)، ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (النور: ٣٣).

وحذرهم من اكتناز وادخار الأموال وعدم الإنفاق في سبيل الله، فقرأ عليهم ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ التوبة: ٣٤-٣٥)، أبرز رسول الله ﷺ برسالته ودعوته الفرد الصالح، المؤمن بالله، الخائف من عقاب الله، الخاشع، الأمين، المؤثر للآخرة على الدنيا، المستهين بالمادة المتغلب عليها بإيمانه وقوته الروحية، يؤمن بأن الدنيا خلقت له وأنه خلق للآخرة، فإذا كان هذا الفرد تاجرا فهو التاجر الصدوق الأمين، وإذا كان فقيرا فهو الرجل الشريف الكادح، وإذا كان عاملا فهو العامل المجتهد الناصح، وإذا كان غنيا فهو الغني السخي المواسي، وإذا كان قاضيا فهو القاضي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العادل الفهم، وإذا كان واليا فهو الوالي المخلص الأمين، وإذا كان سيدا رئيسا فهو الرئيس المتواضع الرحيم، وإذا كان خادما أو أجيرا فهو الرجل القوي الأمين، وإذا كان أمينا للأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم. وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الإسلامي وتأسست الحكومة الإسلامية، ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال إلا صورة مكبرة لأخلاق الأفراد ونفسيتهم، فكان المجتمع صالحا أمينا مؤثرا للآخرة على الدنيا، متغلبا على المادة غير محكوم لها، انتقل إليه صدق التاجر وأمانته، وتعفف الفقير وكدحه، واجتهاد العامل ونصحه، وسخاوة الغني ومواساته، وعدل القاضي وحكمته، وإخلاص الوالي وأمانته، وتواضع الرئيس ورحمته، وقوة الخادم وحراسة المخازن، وكانت هذه الحكومة حكومة راشدة، مؤثرة للمبادئ على المنافع، والهداية على الجباية. وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومة وجدت حياة عامة كلها إيمان وعمل صالح وصدق وإخلاص وجد واجتهاد وعدل في الأخذ والعطاء وإنصاف النفس مع الغير.

وقد ذهلت في حديثي لنفسي وتمثلت إلي الجماعات الإسلامية الأولى بجملها وتفاصيلها، كأني أشاهدها وأتنفس في جوها، وانقطعت الصلة بيني وبين العالم المعاصر.

وحانت مني التفاتة إلى هذا العصر الذي نعيش فيه، فقلت إني لأرى أقفالا جديدة على أبواب الحياة الإنسانية، وقد قطعت الحياة مراحل طويلة، وخطت خطوات واسعة، وتعقدت الحياة والتوت، وتطورت المسائل وتنوعت، وتساءلت: هل يمكن فتح هذه الأقفال الجديدة بذلك المفتاح الضيق؟ وأبيت أن أحكم بشيء.. هل أختبر هذه الأقفال وأضع عليها المفتاح؟ ولمست هذه الأقفال بالبنان فإذا هي الأقفال القديمة بتلوين جديد، وإذا المشاكل نفس مشاكل العصر القديم، وإذا المشكلة الكبرى وأساس الأزمة هو الفرد الذي لا يزال لبنة المجتمع وأساس الحكومة، ووجدت أن هذا الفرد قد أصبح لا يؤمن إلا بالمادة والقوة، ولا يعنى إلا بذاته وشهواته، وأنه يبالغ في تقدير هذه الحياة، ويسرف في عبادة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذات وإرضاء الشهوات وقد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الأنبياء وعقيدة الآخرة، فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدنية، فإذا كان تاجرا فهو التاجر المحتكر النهم الذي يحجب السلع أيام رخصها ويبرزها عند غلائها ويسبب المجاعات والأزمات، وإذا كان فقيرا فهو الفقير الثائر الذي يريد أن يتغلب على جهود الآخرين بغير تعب، وإذا كان عاملا فهو العامل المطفف الذي يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه، وإذا كان غنيا فهو الغني الشحيح القاسي الذي لا رحمة فيه ولا عطف، وإذا كان واليا فهو الوالي الغاش الناهب للأموال، وإذا كان سيدا فهو الرجل المستبد المستأثر الذي لا ينظر إلا إلى فائدته وراحته، وإذا كان خادما فهو الضعيف الخائن، وإذا كان خازنا فهو السارق المختلس للأموال، وإذا كان أكبر من ذلك فهو المادي المستأثر الذي لا يخدم إلا نفسه وحزبه، ولا يعرف غيره، وإذا كان زعيما أو قائدا فهو الوطني أو الجندي الذي يقدس وطنه ويعبد عنصره ويدوس كرامة البلاد الأخرى، والشعوب الأخرى وإذا كان مشرِّعا فهو الذي يسن القوانين الجائرة والضرائب الفادحة، وإذا كان مخترعا اخترع المدمرات والناسفات، وإذا كان مكتشفا اكتشف الغازات المبيدة للشعوب والمخربة للبلاد والقنبلة الذرية التي تهلك الحرث والنسل، وإذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ لم ير بأسا بإلقاء هذه القنابل على الأمم والبلاد.

وبهؤلاء الأفراد تكوّن المجتمع وتأسست الحكومة فكان مجتمعا ماديا اجتمع فيه احتكار التاجر وثورة الفقير وتطفيف العامل وشح الغني وغش الوالي واستبداد السيد وخيانة الخادم وسرقة الخازن ونفعية الوزراء ووطنية الزعماء وإجحاف المشرع وإسراف المخترع وقسوة المنفذ. وبهذه النفسيات المادية تولدت أزمات طريفة ومشاكل معقدة تشكو منها الإنسانية بثها وحزنها كالسوق السوداء وفشو الرشوة والغلاء الفاحش واختفاء الأشياء والتضخم النقدي، وأصبح المفكرون والمشرعون لا يجدون حلا لهذه المشاكل وأصبحوا إذا خرجوا من أزمة واجهوا أزمة أخرى، بل إن حلولهم القاصرة ومعالجتهم المؤقتة هي التي تسبب أزمات جديدة، وتنقلوا من حكومة شخصية إلى ديموقراطية إلى دكتاتورية ثم إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ديموقراطية، ومن نظام رأسمالي إلى نظام اشتراكي إلى شيوعي، وإذا الوضع لا يتغير لأن الفرد الذي هو الأساس لا يتغير، ويجهلون أو يتجاهلون في كل ذلك أن الفرد هو الفاسد المعوج ولو عرفوا أن الفرد هو الأساس وأنه فاسد معوج لما استطاعوا إصلاحه وتقويمه، لأنهم على كثرة مؤسساتهم العلمية ودور التعليم والتربية والنشر لا يملكون ما يصلحون به الفرد ويقومون اعوجاجه ويحولون اتجاهه من الشر إلى الخير ومن الهدم إلى البناء، لأنهم أفلسوا في الروح وتخلوا عن الإيمان وفقدوا كل ما يغذي القلب ويغرس الإيمان ويعيد الصلة بين العبد وربه وبين هذه الحياة والحياة الأخرى وبين المادة والروح وبين العلم والأخلاق، وفي الأخير أدى بهم إفلاسهم الروحي وماديتهم العمياء واستكبارهم إلى استعمال آخر ما عندهم من آلات التدمير التي تبيد شعبا بأسره وتخرب قطرا بطوله حتى استهدفت الحضارة والحياة البشرية إذا تبادلت الدول المتحاربة استعمال هذه الآلات للنهاية الأليمة.

* * *

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كيف يستعيد المسلمون مجدهم القديم؟

العدد (٩٣) رمضان (١٣٩٢هـ) - اكتوبر (١٩٧٢م).

إن الإيمان بالله وحده هو الذي يجمع عشرات الألوف من المسلمين، على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم وألوانهم؛ لأداء فريضة الحج، وزيارة المصطفى ﷺ كل عام، وهو الذي وحد بينهم، وجعلهم إخوة في الإيمان إرضاءً لله، وجمعهم في المسجد الحرام.

إن المسلمين الأول كانوا يؤمنون بالله إيمانًا قويًّا، ويثقون بالله ثقة لا نهاية لها، ولا يخافون إلا الله، ولا يخشون في الحق لومة لائم، وكانوا يضحون بأنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل الله، وابتغاء مرضاته، ولذلك كان النصر حليفهم، وقد نصرهم الله على أعدائهم، وفتحوا العالم، ونشروا الإسلام في مدة قصيرة لا تذكر.

لقد كان المسلمون في علمهم وأخلاقهم وإنسانيتهم ووحدتهم، وتضامنهم وتعاونهم، وإيمانهم بالقدرة الإلهية، والعظمة الربانية-خير أمة أخرجت للناس.

كان المسلمون في العصور الأولى متحدين اتحادًا قويًّا، يفكرون في إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها، ويحبون لهم ما يحبون لأنفسهم، ويستهينون بالموت، ويطلبون الاستشهاد، ويقولون: احرص على الموت توهب لك الحياة. ويعملون بقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، فانتصروا، وهابهم العالم كله، وقادوا العالم في العدالة والحرية، والإخاء والمساواة، والحضارة والمدنية.

ولكن أين المسلمون اليوم؟ وأين الأمة الإسلامية العظيمة؟ وأين الأخوة المحمدية؟ وأين الوحدة الإسلامية؟ وأين الرابطة القوية التي كانت تربط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المسلمين بعضهم ببعض في عصور العظمة الإسلامية؟

إن المسلمين اليوم مع الأسف الشديد في عزلة وتخاذل، وتنازع واختلاف، وعداء أحيانا، لأنهم الآن محبون لأنفسهم، ولا يفكرون إلا في أنفسهم، ولا يعيشون إلا لأنفسهم، ولا يحيون إلا لأنفسهم، ولا يفكرون في غيرهم من المسلمين، ولا يعبدون إلا المال والمركز والجاه والسلطان، وأصحاب المال والمركز والجاه والسلطان.

فهل نعجب إذا صاروا ضعفاء بعد أن كانوا أقوياء، وأذلاء بعد أن كانوا أعزاء، ومتأخرين بعد أن كانوا يقودون العالم فيما مضى من الزمان؟.

ولن يستعيد المسلمون مجدهم القديم، وعصرهم الذهبي إلا إذا آمنوا بالله إيمانًا صادقًا، واتحدت كلمتهم، وتعاونت قلوبهم وأرواحهم، وقضوا على الفساد الخلقي، وأعطوا السائلين والمحرومين حقوقهم، وأحب كل مسلم أخاه كما يحب نفسه، وكوَّنوا وحدة إسلامية قوية شاملة للعالم الإسلامي كله، بعيدة عن الاستعمار كل البعد، ونبذوا الأهواء والأغراض، والمنافع الخاصة التي يجرون وراءها، ويفكرون فيها.

إذا استطعنا أن نصل إلى تحقيق الروح الإسلامي الحق، وآمنا بالعظمة الإلهية، ونظمنا حياتنا الإسلامية، وكونا وحدتنا القوية، أمكننا أن نستعيد مجدنا التليد، وقوتنا السالفة. ولن تستطيع أي أمة أن تقف أمام الأمة الإسلامية المتحدة، المؤمنة بالله وعظمته وحده لا شريك له. لن تستطيع أي قوة في العالم أن تستهين بالمسلمين، أو تتحكم فيهم، أو تسيطر عليهم إذا اتحدوا وفكروا في الموت أكثر من تفكيرهم في الحياة كأجدادهم السابقين.

لكي يستعيد المسلمون مجدهم في صدر الإسلام يجب أن ينشروا التعليم في بلادهم، حتى لا يبقى فيها أمي واحد، ويعملوا على رفع مستوى معيشة الفقراء بإعطائهم حقوقهم التي فرضها الله لهم، حتى لا يكون هناك سائل أو محروم بين المسلمين، ويتخلصوا من الفقر، ويعنوا بالتربية الدينية الخلقية المثالية، حتى تقضي على الأثرة، وحب النفس، والفساد الخلقي، ويهتموا بالناحية الصحية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حتى يجد كل مريض وسائل العلاج ميسرة أمامه، ويعنوا بالتربية الجسمية عنايتهم بالتربية العقلية والروحية والوجدانية والعملية.

وبهذا كله نقضي على الجهل والفقر والمرض وفساد الخلق، وهي المشكلات الاجتماعية التي خلفها الاستعمار وراءه قبل أن يرحل من البلاد الإسلامية التي احتلها عشرات السنين، وامتص خيراتها، وخلف لها الجهل والفقر والمرض والفساد.

إن الإسلام قد منح الإنسان حقوقًا، مثل الحرية الشخصية، وحرية العقيدة، وحق المساواة، وحق التعليم، وحق الحياة، وحق الأخوة. وكما منحه كثيرًا من الحقوق فرض علية كثيرًا من الواجبات الدينية التي تتعلق بالدين، والواجبات الإنسانية التي تتصل بالحياة، وأمر بالعدل والإحسان وبر ذوي القربى، والصدق والأمانة والوفاء، ونهى عن الظلم والغدر وحرمان الفقير، والعقوق والكذب والخيانة والسرقة والقتل والزنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ (النحل: ٩٠).

ومن العيوب المنتشرة بيننا أننا نفكر فيما لنا من حقوق، ونسعى لأخذ هذه الحقوق، ولكننا لا نؤدي ما علينا من واجبات، فنحن نأخذ ولا نعطي، ولا نشعر بالواجب، ولا نفكر في أدائه، ولا نحاسب أنفسنا على ما قمنا به من عمل، ويجب أن نرضي الله في السر والعلانية. وقد خاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٠٥﴾ (التوبة: ١٠٥). يجب أن نعمل الخير ونفكر في الخير دائما، ونقوم بما علينا من واجبات لله ثم للوطن وللأسرة والجيران، والإنسانية.

فلكي يستعيد المسلمون مجدهم الماضي، وعظمتهم السالفة، يجب أن يتمسكوا بروح الإسلام، ومبادئه المثالية، وأخلاقه الكريمة، ويعودوا إلى إيمانهم القوي بالله، ويكونوا يدا واحدة ووحدة قوية متماسكة متعاونة، ضد المستعمرين والمحتلين، ويتركوا المظاهر الكاذبة، ويدافعوا عن بلادهم، متحدين بقلوبهم وأعمالهم، ويبتعدوا عن الخلاف والنزاع والشقاق، والرياء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والتملق والنفاق، والجري وراء الحكم والجاه والسلطان. عندئذ سينتصرون على الأعداء المغتصبين، ولن يستطيع الاستعمار أن يقف في سبيلهم مهما تكن عدده وأسلحته، وسيكون النصر حليفهم، كما كان حليفًا لأجدادهم من المؤمنين السابقين الأولين.

الاستعمار هو السبب في إضعاف المسلمين

إن الاستعمار قد مزق البلاد الإسلامية، حتى يسهل عليه احتلالها، ويتخذها مناطق نفوذ له، وأسواقًا تجارية لمصنوعاته، ويتحكم في أهلها بما نال من سيطرة وامتيازات، ويسلب ما فيها من خيرات، بجشع وشراهة، وينهب ما فيها من الآثار.

ولهذا كان الاستعمار السبب الأول في إضعاف المسلمين، والتفرقة بينهم، بعد أن كانوا أمة واحدة تتمتع بالحرية، وتسود العالم.

والحمد لله قد تخلص المسلمون في معظم البلاد الإسلامية من القراصنة، وعصابة اللصوص المستعمرين، ومظالمهم واعتداءاتهم، وطغيانهم، وصاروا أحرارا في بلادهم، مستقلين في حياتهم، يعملون لإعادة مجدهم السالف، وقوتهم السابقة، ليكونوا خير أمة، كما كان آباؤهم وأجدادهم في صدر الإسلام.

الشيخ محمد عبده والإسلام

قال المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده: «ابتدأ هذا الدين بالدعوة كغيره من الأديان، ولقي من أعدائه أنفسهم أشد ما يلقى حق من باطل، أوذي الداعي ﷺ بضروب الإيذاء، وأقيم في وجهه ما كان يصعب تذليله من عقبات، لولا عناية الله، وعذب المستجيبون له، وحرموا الرزق، وطردوا من الدار، وسفكت منهم دماء غزيرة، غير أن تلك الدماء كانت عيون العزائم تنفجر من صخور الصبر، يثبت الله بمشهدها المستيقنين، ويقذف بها الرعب في نفس المرتابين، فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب، وهي ذوب ما فسد من طباعهم، فتجري في مناحرهم جري الدم الفاسد من المفصود على أيدي الأطباء الحاذقين ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ (الأنفال: ٧٣).

تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الإسلام، ليحصدوا نبتته، ويخنقوا دعوته، فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضعيف للأقوياء، والفقير للأغنياء، ولا ناصر له إلا أنه الحق بين الأباطيل، والرشد في ظلمات الأضاليل حتى ظفر بالعزة، وتعزز بالمنعة.

ضم الإسلام سكان القفار العربية إلى وحدة لم يعرفها تاريخهم، ولم يعهد لها نظير في ماضيهم، وكان النبي ﷺ قد أبلغ رسالته بأمر ربه إلى من جاور البلاد العربية من ملوك الفرس والرومان، فهزأوا وامتنعوا، وناصبوه وقومه الشر، وأخافوا السابلة، وضيقوا على ا لمتاجر، فغزاهم بنفسه، وبعث إليهم البعوث في حياته، وجرى على سنته الأئمة من صحابته، طلبًا للأمن وإبلاغًا للدعوة، فاندفعوا في ضعفهم وفقرهم يحملون الحق على أيديهم، وانهالوا به على تلك الأمم في قوتها ومنعتها، وكثرة عددها، واستكمال أهبتها وعددها، فظفروا منها بما هو معلوم، وكانوا متى وضعت الحرب أوزارها، واستقر السلطان للفاتح عطفوا على المغلوبين بالرفق واللين، وأباحوا لهم البقاء على أديانهم، وإقامة شعائرهم آمنين مطمئنين، ونشروا حمايتهم عليهم يمنعونهم بما يمنعون منه أهلهم وأموالهم، وفرضوا عليهم كفاء ذلك جزءا قليلا من مكاسبهم على شرائط معينة.

ولم يعهد في تاريخ فتوح الإسلام أن كان له دعاة معروفون لهم وظيفة ممتازة، يأخذون على أنفسهم العمل على نشره، ويقفون مسعاهم على بث عقائده بين غير المسلمين، بل كان المسلمون يكتفون بمخالطة من عداهم، ومحاسنتهم في المعاملة، وشهد العالم بأسره أن الإسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا وإحسانًا عندما كان يعدها الأوروبيون ضعة وضعفا.

رفع الإسلام ما ثقل من الإتاوات، ورد الأموال المسلوبة إلى أربابها وانتزع الحقوق من مغتصبيها ووضع المساواة في الحق عند التقاضي بين المسلم وغير المسلم. بلغ أمر المسلمين فيما بعد ألا يقبل إسلام من دخل فيه إلا بين يدي قاض شرعي بإقرار من المسلم الجديد أنه أسلم بلا إكراه ولا رغبة في دنيا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ووصل الأمر في عهد بعض الخلفاء الأمويين أن كره عمالهم دخول الناس في دين الإسلام لما رأوا أنه ينقص من مبالغ الجزية، وكان في حال أولئك العمال صد عن سبيل الدين لا محالة، ولذلك أمر عمر بن عبدالعزيز بتعزير مثل أولئك العمال، وأجاب عامله بمصر حينما شكا إليه ذلك «إن محمدًا ﷺ بعث هاديًا، ولم يبعث جابيًا».

ونحن نقول: هذا ما كان من أمر المسلمين في معاملتهم لمن أظلوهم بسيوفهم، لم يفعلوا شيئا سوى أنهم حملوا إلى أولئك الأقوام كتاب الله وشريعته، وألقوا بذلك بين أيديهم، وتركوا الخيار لهم في القبول وعدمه، ولم يقوموا بينهم بدعوة، ولم يستعملوا لإكراههم عليه شيئًا من القوة، وما كان من الجزية لم يكن مما يثقل أداؤه على من ضربت عليه، فما الذي أقبل بأهل الأديان المختلفة على الإسلام، وأقنعهم أنه الحق دون ما كان لديهم حتى دخلوا فيه أفواجا، وبذلوا في خدمته ما لم يبذله العرب أنفسهم؟

لقد دخل أهل الأديان المختلفة في دين الله أفواجًا لأنهم أحسوا أنه دين الطبيعة والفطرة، دين العقل والمنطق، دين الرأي الحر، والتفكير السليم، دين الرحمة والشفقة، دين الإنسانية والنبل، دين الفضيلة والكمال، دين قضى على الرذائل الخلقية، والنقائص البشرية، دين الحرية «والديموقراطية»، دين الدنيا والآخرة، دين يدرك معنى الحياة، ويعنى بالجسم كما يعنى بالروح، دين يدعو إلي الإخلاص في السر والعلانية، وصفاء النية والسريرة، دين ألغى الامتيازات بين الطبقات، ورفع العبيد إلى منزلة الأشراف، وسوى بين الأغنياء والفقراء، ونادى باحترام الشرف والعرض وحقوق الجار، دين يسهل على كل إنسان فهم أحكامه وأسراره، ومعرفة الحكمة في كل تشريع من تشريعاته، دين العدالة المطلقة، وقف بجانب المظلوم ليأخذ له حقه من الظالم، مهما يكن مركز ذلك الظالم وسلطته، دين أخذ للفقراء حقوقهم من الأثرياء.

دين أجاز لامرأة مصرية فقيرة غير مسلمة أن ترفض بيع بيتها الصغير بأي ثمن لحاكم مصر وهو عمرو بن العاص، مع أنه لم يفكر في شرائه لنفسه، بل أراد أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يشتريه ليوسع به ناحية من المسجد، فرفضت بيعه مع أن ابن العاص عرض عليها أضعاف ثمنه، وشكته إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأمر ابن العاص برد البيت إلى صاحبته، ولامه على ما فعل، دين سمح ليهودي بالوقوف ضد علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أمام القاضي المسلم، فكان حكمه بينهما مثلا عاليا للعدالة والنزاهة والمساواة.

لهذه المثل السامية دخل الناس في دين الله أفواجًا، وصاروا من أكبر أنصاره، وأنار الله قلوبهم، فاعتنقوا الإسلام برغبة قوية، وعقيدة روحية، ووازع نفسي، لا سيف من ورائهم يخيفهم، ولا مبشر أمامهم يكرههم على اعتناقه.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دور الإسلام في العصر الحديث

العدد (١٠٥) رمضان (١٣٩٣هـ) - سبتمبر (١٩٧٣م).

بلغ العصر الحديث ذروة العلوم الطبيعية، والكيماوية، والكهربائية، والبيولوجية، فهو عصر الذرة والصاروخ وغزو الكواكب، إلا أن الذرة يقابلها الحضيض، فالعصر ينحط إلى الحضيض في الفوضى الفكرية والخلقية. تتجلى الفوضى الفكرية في المادية، والروحية، والاشتراكية، والرأسمالية، والرجعية، والتقدمية، واليمين، واليسار، والأثرة والإيثار، والحرية، والعبودية، والفرد والأمة، والنسبية، والإطلاق، والناس في ذلك بين إفراط وتفريط، وكل يدعي أنه صاحب الحق، وكل حزب بما لديهم فرحون.

وتتجلى الفوضى الخلقية في المظالم الفردية والجماعية والأنانية المزرية التي تتضاءل أمامها غرائز الوحوش، والإباحية المطلقة التي فتحت أبواب الزنا، والربا، والخمر، والميسر، والسرقة، فنتج عن المظالم الفردية فساد ذات البين، واكتظاظ المحاكم بملايين الدعاوى حتى مل الناس القوانين والقضاء، ونتج عن المظالم الجماعية حروب أحرقت الأخضر واليابس، فمن الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية إلى حرب كوريا، إلى حرب فيتنام، إلى حرب فلسطين، إلى ثورات متوالية في جميع أنحاء المعمورة، وهذه نذر حرب عالمية ثالثة حتى لكأن الأرض قدر يغلي على النار، أو بركان دائم الانفجار يأبى الهدوء والاستقرار، ونجم عن الأنانية عدوان أمة على أمة، واستعباد شعب لشعب، واستغلال القوي للضعيف حتى لكأن البشر أصبحوا وحوشا كاسرة لا هم لها إلا السطو والافتراس، ونتج عن الإباحية ترجل المرأة، وتخنث الرجل، وضياع العفاف، وهدم الأسرة، وأمراض الزهري، وأمراض الكحول والانتحار،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واللصوصية المنظمة، والدجل الهادف، والكفر بجميع المثل.

وإنك لتجد هذه الصورة القبيحة التي تشكل فاجعة القرن العشرين تلف الأكثرية الساحقة من البشر ولم يبق إلا القليل القليل ممن يؤمن بالعدل والإيثار، والعفاف، والأمانة، والصدق، والوفاء حتى لكأن هذه المثل ألفاظ تحتاج إلى ترجمة لكي تستسيغها عقول أبناء الجيل وضمائرهم.

هذه حال العصر اليوم فما هو الدواء؟

إننا حين نقدم الإسلام علاجا لهذا السقم الفكري والخلقي لسنا بمغالين ولا متعصبين، وإنما هي الحقيقة المشفوعة بالحجة والبرهان.

امتاز الإسلام على سائر المبادئ والأديان بدعائم راسخة جعلته الدواء الناجع، والبلسم الشافي، والنظام الصالح لكل زمان ومكان.

مجال الإسلام في العقيدة والفكر

١ - الإيمان بالله

إن تعلق المخلوق بعقيدة راسخة معناه الاستقرار الفكري، ومنع الاضطراب والتقلب والتردد، حتى إن حياة بعض الأفراد غير المؤمنين تنقضي، ولما يصلوا إلى اطمئنان أو استقرار، ولم يقدموا خيرا لأنفسهم أو لأمتهم إلا نزاعا أو نقمة، أو ما تمليه عليهم الريبة والضياع، هذا هو الفرق بين حال المؤمن وبين حال الملحد، فكيف إن كان مؤمنا بإله واحد منزه عن الشبيه والشريك، ليس كمثله شيء، محيط بكل شيء، قادر على كل شيء، يحاسب على الصغيرة والكبيرة، ولا بد من لقائه والوقوف بين يديه.

وقد خلت عقيدة الإسلام من أوهام وخيالات الشعوذة وسيطرة رجال الدين، وأقامت في داخل النفس وازعا لا يفارقها، فهو توحيد نقي يؤيده العقل، ويستسلم له المنطق فلا يصطدم بتعقيد التعدد، وتناقضات الآلهة، وما ينشأ عن ذلك من اضطراب فكري وفساد خلقي، ولا يتسع مجال المقال للاستطراد في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إشباع هذه الفقرة أكثر من ذلك، قال تعالى ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الملك: ٢٢) وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿يَٰصَىٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ (يوسف: ٣٩) وقال عز من قائل ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنبياء: ٢٢).

٢- بين المادية والروحية

ما من دين ولا مبدأ استطاع أن يجمع بين الروح والمادة كما جمع بينهما الإسلام، والمادة والروح كلاهما حقيقة واقعة، ولذلك وجدنا المبادئ المتعلقة بالمادة وحدها اتصفت بالقسوة، والبلادة، والظلم، وجفاف الحياة من البهجة، وخلوها من الرحمة والتعاون والتسامح حتى يمسي الإنسان فيها آلة صماء لا حس لها ولا شعور، ولا راحة لها ولا هناء ولا امتياز، ولا كيان يتحرك بغير إرادته، ويسكن بغير اختياره. ويا له من قتل بشع لذاتية الإنسان التي امتاز بها على الحيوان فهو مسخ تدريجي، وموت لا شعوري، وكيف لا يكون موتًا وقد خلا من الروح، وهل الموت إلا نزع الروح؟

كما نجد المبادئ التي تعلقت بالروح وحدها على غير هدى، وأهملت شأن المادة كل الإهمال عزفت بأتباعها عن الحياة بما فيها من العلوم والصناعة، والزراعة والعمران، وما يتصل بذلك من الاكتشافات والاختراعات التي تتفجر فيها الطاقات الفكرية الكامنة، وقدرة الإنسان العجيبة التي تخرج على العالم كل يوم بأصناف الفنون وأنواع الصنائع، وتبارك الذي دفع الإنسان إلى ذلك دفعًا حينما أنزل عليه قوله تعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق: ١-٥).

إذن تجد أن هذه النزعة الروحية المتطرفة هي فرار من الحياة، فلا الأولى أصابت، ولا الأخرى أجابت، ولكن الإسلام وحده هو الذي أصاب الهدف، وأجاب مطالب البشر، فجمع بين المادة والروح، وألح على كل منها بنصوص

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صريحة، وخطوط عملية، وحدود واضحة، يتجلى ذلك في الصلاة، جسم يتحرك وروح خاشعة، وفي الصيام، ترويض للبدن وتزكية للأخلاق، وفي الحج سعي وهرولة، ودعاء وتلبية، وفي الزكاة نظام اقتصادي، وعمل أخلاقي، وفي قوله تعالى﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ (البقرة:٢٤٧) وفي قوله تعالى﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦) وفي قوله تعالى ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧) وفي قوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ (التوبة: ١٠٥) وفي قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (الملك: ١٥).

٣- سبيل الاعتدال

يتجلى اعتدال الإسلام بتوسطه بين الإفراط والتفريط، ويبدو ذلك واضحًا بتوسطه بين الاشتراكية العلمية والرأسمالية، وبين الرجعية والتقدمية، وبين الفرد والأمة.

أ- بين الاشتراكية والرأسمالية

قد يطول البحث إذا أردنا التفصيل فيه، فلا بد من الإجمال. فمعايب الاشتراكية العلمية تظهر في نزع الملكية، والقضاء على عنصر المبادرة الشخصية، الأمر الذي يصادم أعمق غريزة بشرية، وهي حب البقاء المرتبطة كل الارتباط بحب التملك، فالإنسان الذي لا يملك لا يعمل، والذي لا يعمل لا ينتج ولا يحسن الإنتاج، مما أدى إلى تراجع في بعض البلاد الشيوعية بإباحة الملكيات الصغيرة ورسم علاوات لمن يزيد في الإنتاج، وهذا التراجع وحده طعنة في صميم هذا النظام ينذر بالقضاء عليه في المستقبل إن لم يفرض على الإنسان بالحديد والنار، فالإنسان ليس مجرد آلة يعمل ولا يملك أو يندفع لتحسين الإنتاج باضطراب، ولو كان الإنتاج لغيره وهو فوق ذلك محروم الحرية مكبوت الأنفاس، إن مثل هذا الاندفاع ضرب من المستحيل، ولذلك وجدنا أن كل نظام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يصادم فطرة الإنسان وغريزته صائر حتمًا إلى زوال طال الزمن أو قصر.

وأما معايب الرأسمالية فتتمثل في تضخم المال، وما ينشأ عنه من فروق طبقية مخيفة، وباستغلال الغني للفقير، وما ينشأ عنه من الربا الفاحش والظلم الفادح والاحتكار والتلاعب بالأسواق لحساب طبقة خاصة على حساب سواد الناس، والربح غير المشروع كالربح الفاحش، والقمار، والغش، تلك المعايب التي أحدثت ردود فعل عنيفة كانت من جملتها النظم الاشتراكية، ولا بد لكل رد فعل ألا يتصف بالاتزان، لذلك اشتملت الاشتراكية على عيوب أخرى هي نقائض عيوب الرأسمالية، وفي كلتا الوجهتين غلو وتطرف، كما بين الإفراط والتفريط.

ولكن الإسلام- على ضوء هذا المخطط المجمل- هو الذي خلا من عيوب الوجهتين، والتزم طريق الاعتدال، فلم يحرم الملكية فيصادم فطرة البشر، ويقضي على طاقاتهم وفعالياتهم، وتسابقهم الشريف، وتنافسهم المضطرد، ذلك العنصر الأساسي في المبادرة الشخصية التي هي أساس كثرة وتحسين الإنتاج وهذا أساس لا بد منه لصلاحية كل نظام اقتصادي، ولكنه لم يدع الباب مفتوحًا على مصراعيه شأن الرأسمالية حتى احتاط دون تضخم المال، وما يجر إليه من سيئات فعالج الأمر بشرطين على رأس المال، وشرطين على الربح، إجمالا دون تفصيل.

أما الشرط الأول المضروب على رأس المال فهو الزكاة التي تبلغ في النقد ٢,٥٪ بحيث يتحول أصل أي ثروة كانت، مهما عظمت، إلى الأمة خلال أربعين سنة، ومعنى هذا أن الفرد يهب أصل ماله كله للمجتمع خلال دورة زمنية لا تمتد أكثر من أربعين سنة فتأمل، ومثل هذا لا يوجد في الرأسمالية.

أما الشرط الثاني المضروب على رأس المال فهو الإرث، وهو كفيل بتفتيت الثروات وتحويلها من فرد واحد إلى عدة أفراد حسب عدد الورثة، ومثل هذا غير متوفر في النظام الرأسمالي في أكثر البلاد.

وأما الشرط الأول المضروب على الربح فهو تحريم الربا الذي يكدس ثروات طائلة بأيدي الأشخاص بغير جهد ولا نصب إلا استغلال الفقراء والضعفاء، ولو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحصينا عدد الأثرياء في البلاد الرأسمالية لوجدنا أكثرهم مرابين، أساس ثرواتهم الفاحشة مبني على الربا.

وأما الشرط الثاني المضروب على الربح فهو تحريم القمار و كل ما يشبهه من الأرباح الفاحشة غير المشروعة التي كثيرًا ما تؤدي إلى الثراء الفاحش والتضخم المالي بيد طبقة على حساب طبقة أخرى بغير حق.

واحتاط الإسلام أيضًا وراء هذه الشروط الأربعة بقواعد عامة خلت منها النظم الرأسمالية، وهي تحريم الاحتكار، وتواطؤ التجار والاستغلال والربح الفاحش، والغش، والتلاعب بالأسعار، إلى آخر ما هنالك من سيئات النظام الرأسمالي، الذي لم يكن له أساس من العقيدة يرجع إليه في تهذيب اقتصاده، وفرض نظام على هدى ومنطق سليم.

إذن يجد المنصف أن الإسلام جاء العالم بخير الحلول الاقتصادية عدلا واتزانًا وإنتاجًا وخلوًا من الأحقاد، وبعدًا عن ردود الفعل المتوالية المتمثلة في الإفراط والتفريط.

ب- بين الرجعية والتقدمية

تلك النغمة التي قسمت العالم فريقين، واستغلتها السياسة أبشع استغلال حتى كاد يضيع مفهومها ومدلولها، فكل أمة مالت إلى اليسار فتجلى ذلك لديها بالإلحاد، والإباحية، والعنف، والقسوة والتحلل من القيود والريبة فهي تقدمية، وكل أمة مالت إلى الجمود والثبات على بعض المفاهيم، والاصطباغ بصبغة الدين والتغني بنوع من الأخلاق، والارتباط بالقديم فهي رجعية، ولكن السياسة كما قلنا مسخت حتى هذا التمييز على ما فيه من باطل في دوامتها السريعة، واستغلالها المغرض، فإن إنجلترا مثلا رجعية بالنسبة لروسيا، وإن روسيا مثلا رجعية بالنسبة للصين، وهكذا يجري التسابق الرخيص دون معايير منطقية، حتى أمسى سبابًا وشتائم قبل أن يكون تقويمًا حقيقيًا مبنيًا على معايير صحيحة ومنطق سليم.

والحق في هذه المسألة أن كل إنسان عاقل يجب أن ينشد التقدم، والذي لا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يتقدم يتأخر حتمًا، ولكنه يجب أن يتقدم إلى القمة لا إلى الهاوية، إذن فثمة تقدم محمود، وهو الصعود المتمثل في رقي العلوم والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من اكتشافات واختراعات لا تقف عند حد، حتى أوصلت الإنسان إلى القمر، فمهما تقدم الإنسان في هذا المضمار فهو تقدم محمود وسير غير محدود﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦)، وثمة تقدم مذموم وهو الانحدار المتمثل في القضاء على المثل العليا، والفضائل المجمع عليها، والانغماس في الرذائل المجمع على قبحها وإيذائها، كالكذب، والخيانة، والمكر، والغش، ونقض العهد والسرقة، تلك السيئات التي وجدت لها مرتعًا خصبًا في أوساط أدعياء التقدمية العصرية، لأنهم كفروا بنقائضها من المثل العليا خشية أن يوصموا بالرجعية.

وكما أن للتقدم نوعين، محمودًا ومذمومًا، كذلك الأمر في الرجعية، فثمة رجوع محمود يتمثل في الرجوع إلى الحق مهما كان قديمًا، ورجوع مذموم يتمثل بالرجوع إلى القديم ولو كان خطأ أو نقصًا.

أما الأول فإنه الرجوع إلى الصدق، والوفاء، والأمانة، والعدل مهما تقادم الزمن، والرجوع إلى ما ثبت من الحقائق الرياضية، والهندسية، والجغرافية، وما شاكلها مهما تقادم عليها الزمن، ذلك أن ثمة أمورًا لا يمسها التطور إلى أن تقوم الساعة، ومن الغباوة المخجلة تركها والجنوح إلى نقائضها بداعي التقدمية والخلاص من الرجعية، والظاهر أن التعبير بالرجعية كان قديمًا يتعرض له أصحاب الدعوات في كل عصر، حتى وجدنا بعض مناوئي الإسلام يرمون الدعوة الإسلامية بالرجعية إبان ظهورها وتقدمها، فيقولون، كما حكى القرآن عنهم، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون: ٨٣)، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (الشعراء: ١٣٧) ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ (الفرقان: ٥) ولم يحل هذا التعبير بالرجعية دون تقدم الإسلام وظهوره.

وأما الرجوع المذموم فهو التمسك بكل قديم مهما كان، ولو تبين خطؤه، أو ظهر خير منه، وأجدى على الفرد والمجتمع، كمن يصر على وسائل الزراعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والصناعة والعمران التي كانت تستعمل قديمًا، ويحول دون العلوم العصرية التي قطعت شوطًا عظيمًا في التقدم، فهل لمثل هذا مبرر من عقل أو شرح؟

لا يمكن أن يوصف مثل هذا بغير الغباوة والجريمة، ولمثل هذا يقال بحق: إن دولاب الزمن لا يرجع إلى الوراء.

وعلى ضوء هذا التقسيم الواضح المنطقي في التقدمية والرجعية نجد أن الإسلام كان وسطًا بين النظرتين الجائرتين بعيدًا عن أكاذيب السياسة، محفوظًا من التسابق غير الشريف، لا يوزع الألفاظ جزافًا، ولا يتغنى بالألحان الفارغة، فهو ينشد التقدم المحمود، ويحض عليه، ويرجع إلى الحق مهما كان قديمًا، ويصر عليه، وبذلك تضمن أسباب البقاء والخلود، واشتمل على عناصر الحياة الباقية للفرد والمجتمع، وإن شئت فاقرأ قوله تعالى ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ (النمل: ٦١) ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (البقرة: ١٦٤) ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ (يس: ٣٨) ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ (الزمر: ٥) والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك من أمور الزراعة، والصناعة، والفلك وما إليها تكاد لا تحصر، ولا يتسع المجال للتفصيل في ذلك أكثر.

ج- بين الفرد والأمة

غالت بعض النظم في قيمة الفرد حتى جعلته إلها يعبد من دون الله، فنشأ من ذلك الحكم الدكتاتوري والفاشي والنازي، وكانت الأمة فريسة لطغيان الفرد، فكم ديست كرامات، وانتهكت حرمات، وكبتت حريات بسبب ذلك الحكم الفردي الجائر الذي هدر حقوق الأمة وسلبها كرامتها وحريتها، وادعت بعض النظم أن الحكم للأمة، ولا قيمة للفرد، فهو مسمار في عجلة الجماعة، فلا رأي له ولا قدسية، ولا حرية، ولا كرامة، فاقتيد الناس كالبهائم، وحشروا حشر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السوائم، وسجنت جحافل فوق جحافل، كتل بشرية تزجر كما تزجر الآلات الصماء، وتسخر كما يسخر الأرقاء، ويتمنون لو استطاعوا الصراخ.. الصراخ فقط للتعبير عن الألم فلا يستطيعون.

أما الإسلام، وهنا تتجلى العظمة والإعجاز البالغ، فهو الذي ألف بين حقوق الفرد والجماعة دون أن يهدر كيان الفرد، أو يعتدي على الجماعة، الخليفة يحكم وله على الناس الطاعة، ولكن إن اعتدى وظلم فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإن زل وأخطأ قامت إليه امرأة تصحح له فيقول «أصابت امرأة وأخطأ عمر» وإن أراد أن يستبد فالأمة له بالمرصاد، وإن أراد أن يستأثر برأيه، ويضرب بآراء الناس عرض الحائط خوطب بالآيات الكريمة ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨)، وإن أراد أن يستهين بفرد واحد باعتداء أو حرمان حق أو هدر دم زجرته الآية الكريمة التي تشير إلى قدسية النفس الإنسانية وحمايتها ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، للفرد حقوقه وحدوده، وللأمة حقوقها وحدودها، والجميع يعملون يدًا واحدة في وحدة متماسكة كالجسد الواحد﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ (الصف: ٤) وكما أخبر- عليه الصلاة والسلام- «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

مجال الإسلام في الأخلاق

لا أحد يستطيع أن ينكر الواقع البشري المنحط من الناحية الأخلاقية.

فالظلم والإباحية والأنانية وكل رزية من هذه الرزايا لعبت دورها الكبير في المجتمعات الحاضرة، وانحط فيها الخط البياني إلى الحضيض.

تعال معي إلى دور القضاء، ومكاتب المحامين، وسجلات الجرائم في كل

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العالم لترى إلى أي حد بلغت المظالم الفردية، وأي رقم بلغت الجريمة، فالفرد اعتاد الظلم، ودرج عليه، والقضاء فاسد ليست فيه عقوبة رادعة في الأغلب، والمحامون كثير منهم تجار مادة على حساب ضمائرهم، أضرموا نيران الجرائم لكي تمتلئ جيوبهم، والحكام كثير منهم زور عن الحق، ولو ظهر جليًّا لأعينهم، كل أطراف القضية متواطئون على الجريمة، وكل أسوار الحمى منتقضة حتى ضجت الأرض من ظلم أهلها، فأين يجد العدل مأمنه ويحظى الحق بحماه؟

هنا يبرز دور الإسلام العظيم في تهذيب الفرد، وإقامة وازعه الداخلي الذي يرافقه حتى الممات، مبنيًّا على مراقبة الله، وخشية الوقوف بين يديه، واليقين بزوال الدنيا، وبقاء الآخرة، وفي صلاحية مادة القضاء التي تضع الأمور في نصابها ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة: ١٧٩)، وفي تقويم الضمائر حتى تحكم بالعدل، وتقول الحق، ولو كان على النفس أو الوالدين والأقربين ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨)، فالمحامي، والحاكم، والشاهد إنما هم موازين حق يحاسبون على الذرة والقطمير ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (الزلزلة: ٧-٨)، ذلك أن الحاكم يتمثل قول الرسول- عليه الصلاة والسلام - «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن»، وقوله- عليه الصلاة والسلام- «قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار»، والشاهد يتمثل قوله تعالى ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ (البقرة: ٢٨٣)، ووعيد رسول الله ﷺ حينما جعل شهادة الزور من أكبر الكبائر، وأصبح المحامي يخشى إن دافع عن ظلم وباطل أن يكون رزقه سحتا «وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به» فما أحوج العصر لنور الإسلام.

ثم تعال معي نحص حصاد الإباحية إن كان يمكن الإحصاء.

كم فتكت الإباحية في كيان البشرية بالزنا والربا والخمر والميسر بداعي الحرية الزائف وسرابها الخادع، تعال معي إلى عيادات الأطباء وسجلات المستشفيات في شرق الأرض وغربها لترى ما يذهل العقول من أرقام ضحايا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزنا، والربا، والخمر، والميسر، إن أنواع الأمراض الزهرية من الإفرنجي والسيلان والقرحة اللينة، وأنواع التسمم الغولي من تشمع الكبد، وقرحة المعدة وتصلب الشرايين، وعدد ضحايا الانتحار من جراء الربا، والقمار انتشرت في جميع أنحاء المعمورة، وتزايدت أرقامها باضطراب حتى عجز الطب عن المعالجة، وسرى المرض من الآباء إلى الأبناء، ومن الأجداد إلى الأحفاد، ويكفي أن تعلم أن أكثر أسباب السكتة القلبية (الجلطة) والسكتة الدماغية عائد إلى الخمر والإفرنجي حتى تعلم ما تجره هاتان الغائلتان على العالم من شرور، وهنا تذكر دور الإسلام العظيم الذي ينادي بأعلى صوته﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ، (المائدة: ٩٠)، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (الإسراء: ٣٢).

وشرع العقوبة الرادعة حتى لا يبقى الحكم نظريًّا لا فائدة منه فقال ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ (النور: ٢).

ثم شرع عقوبة التعزير لشارب الخمر، كما ثبت في السنة الصحيحة، بل ورد وجوب قتله إن أصر على المعصية جهارًا ولم يرتدع.

والأثرة (وهي الأنانية) ذلك الداء الوبيل الذي أصبح يتحكم بتصرفات الأفراد والجماعات حتى كاد يكون أس جميع المفاسد، وطابع جميع الأعمال، بل تأصل في النفوس، وطغى عليها حتى نسيت عاره، وانسجمت معه، فاحتكمت إليه، فأصبح مقياسًا للاندفاع في العمل، أو الإحجام عنه، فالعمل بمقدار ما يؤمّن لك مصلحتك الخاصة يكون عملاً صالحًا يجب الإقدام عليه، وبمقدار ما ينافي مصلحتك الخاصة يجب الإحجام عنه ولو كان فيه نفع غيرك أو نفع الأمة قاطبة، يا سبحان الله! كيف انقلبت المفاهيم ومسخت الأخلاق؟

ولك أن تتصور بعد ذلك هول الانحدار الذي تتردى فيه الإنسانية إلى هوة سحيقة عرفت أولها، ولا يمكن أن تعرف آخرها، لأن قعر جهنم لا يعرف له مدى إلا في علم الله تعالى، هنا تبدو عظمة الإسلام أيضا الذي يأبى إلا أن يبني

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأخلاق على أساس متين، وإلا أن يحل المشكلات حلولا جذرية ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (التوبة: ١٠٩).

فإذا كانت حضارة العصر تبنى أخلاق بنيها على الإنسانية الممقوتة فإن أخلاق الإسلام مبنية على الإيثار والغيرة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩) وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وبهذا الدستور الخالد تحسم أكثر الجرائم التي إن بحثنا عن أسبابها العميقة وجدناها ترجع إلى أنانية ممقوتة تخفي تحتها أقبح صور الحقد على الناس، ولا يتسع المجال لضرب كثير من الأمثلة العملية التي تفضح سوآت الأنانية، وتفصح عن مجال الغيرة، فذلك يستقل وحده بموضوع، وإنما كان البحث على مستوى الأصول لا الفروع.

بهذا العرض السريع المجمل يتبين ما للإسلام من دور عظيم في إصلاح حياة الأفراد والجماعات، لا سيما العصر الذي نعيش فيه، فإنه بقدر ما تكون الأرض عطشى تحتاج إلى الماء، وبقدر ما تحتبس الأنفاس تحتاج إلى الهواء، وإن نظرة فاحصة مجردة تتمتع بالنزاهة كافية للاقتناع بصلاحية هذا الدستور الإلهي العظيم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وإن غدًا لناظره قريب، وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدعوة إلى الله

بعض سماتها المطلوبة في هذا العصر

العدد (١٦٩) محرم (١٣٩٩هـ) - ديسمبر (١٩٧٨م).

سأتناول في هذه الكلمة، بعض السمات البارزة التي يجب أن تتسم بها الدعوة والدعاة في هذا العصر، حتى يستطيعوا أن يقوموا بدور الدعوة في أتم وجه، ويبلغوا رسالة الرسل عليهم السلام، ويؤثروا التأثير المطلوب.

أما الدعوة الإسلامية، فيجب أن تكون هذه الدعوة، جامعة بين تحريك الإيمان في نفوس المخاطبين والمجتمع الإسلامي، وإثارة الشعور الديني، وبين إكمال الوعي وتنميته وتربيته، فإن المتتبع لأحوال العالم الإسلامي اليوم، وواقع الأقطار الإسلامية وحكوماتها وشعوبها، يعرف أن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالإسلام، وحبها له، هو الحاجز السميك، والسد المنيع، لكثير من القيادات التي خضعت للحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها، وفلسفاتها ونظمها، وآمنت بها إيماناً كإيمان المتدينين بالديانات، والمؤمنين بالشرائع السماوية، وفقدت الثقة بصلاحية الإسلام لمسايرة العصر الحديث وتطوراته وأحداثه، وكرسالة خالدة عالمية، فإسلام هذه الشعوب والمجتمعات، وكونها لا تفهم إلا لغة الإيمان والقرآن، ولا تندفع إلا لما يجيء عن طريقهما، ولما يمس قلبها ويخاطب ضميرها، يعوق كثير من هذه القيادات عن نبذ الإسلام نبذاً كلياً وإعلان الحرب عليه.

وقد لجأ بعض هذه القيادات في ساعات عصيبة، إلى إثارة هذا الإيمان والحماس الديني، واستخدامهما لكسب المعركة أو الانتصار على العدو حين رأت أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وإلى إيمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة، فرفعت هتاف التكبير «الجهاد» و«الشهادة» في سبيل الله، ومحاربة العدو الكافر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المهاجم كما فعلت الجزائر في حربها مع الفرنسيين وباكستان في حرب ١٩٦٥م، وجربت فائدة هذا الإيمان وقوة هذه العاطفة.

فأصبح إيمان هذه الشعوب وتمسكها بالإسلام وتحمسها له، هو السور القوي العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد، وكثير من القيادات والحكومات الإسلامية في حظيرة الإسلام، فإذا تهدم هذا السور- لا سمح الله بذلك- أو تسوره دعاة الكفر واللادينية، أو تيار الردة الفكرية والحضارية، فالخطر كل الخطر على الإسلام في هذه البلاد، ولا يمنع هؤلاء القادة المحاربين للإسلام، والمضمرين له العداء والحقد شيء من أن يخلعوا العذار ويطرحوا الحشمة والتكلف، ويجردوا هذه الأقطار والشعوب العريقة في الإسلام من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، فإن الشيء الوحيد الذي يخافون معرته، ويحسبون له حساباً، هو ثورة هذه الشعوب على هذه القيادات بدافع الإيمان والحماس الإسلامي، فيفقدهم ذلك ما يتمتعون به من كراسي الحكم ومركز القيادة، فإذا زال الحاجز لم يقف في وجههم شيء!

إذن فيجب على دعاة الإسلام والعاملين في مجال الدعوة الإسلامية، الاحتفاظ بهذه البقية الباقية من الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير، والمحافظة على الجمرة الإيمانية من أن لا تنطفئ.

ولا يصح الاقتصار على تحريك الإيمان، وإثارة العاطفة الدينية في نفوس الشعوب والجماهير، بل يجب أن تضم إليه تنمية الوعي الصحيح وتربيته، والفهم للحقائق والقضايا، والتمييز بين الصديق والعدو، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر، فقد رأينا أن الشعوب التي يضعف فيها هذا الوعي أو تحرمه، يتسلط عليها- رغم تمسكها بالإسلام وحبها له- قائد منافق، أو زعيم ماكر أو عدو جبار، فيصفق له الشعب بكل حرارة ويسير في ركابه، فيسوقها بالعصا سوق الراعي لقطعان من الغنم، لا تعقل ولا تملك من أمرها شيئاً، ولا يمنعها تمسكها بالإسلام وحبها له، من أن تكون فريسة سهلة، أو لقمة سائغة للقيادات اللادينية، أو المؤامرات ضد الإسلام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد كان ما يمتاز به المجتمع الإسلامي الأول، الصحابة رضي الله عنهم بفضل التربية النبوية الدقيقة الشاملة وبالجمع بين الدين المتين الذي لا مغمز فيه، والإيمان القوي الذي لا يعتريه وهن، وبين الوعي الناضج الكامل، فكانوا لا يخدعون ولا ينخدعون، ولا يسيغون شيئاً ينافي الإسلام وينافي العقل، والذي يضرهم ويجني عليهم، أو يوقعهم في خطر أو تهلكة، أنهم قد بلغوا من الرشد، واستكملوا الحصافة والنضج، فلا يؤخذون على غرة، ولا يقعون في شرك ينصبه العدو الماكر، يخطئون ولكن لا يصرون، ولا تتكرر منهم غلطات وتورطات، وقد جاء في حديث صحيح «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» رواه البخاري، بخلاف الشعوب الفاقدة الوعي فهي تلدغ مرة بعد مرة، وذلك لأن رسول الله ﷺ أخذ صحابته الكرام بتربية وتعاليم آمنوا بها عن الوقوع في الشباك، وامتنعوا بها عن قبول ما لا يتفق مع تعاليم الإسلام، وآدابه والفطر السليمة والعقول المستقيمة، فكان مجتمعاً نموذجياً مثالياً في كل شيء.

وأعرض - على سبيل المثال - مثالين من هذا العقل الحصيف والوعي الكامل الأول:

أن النبي ﷺ قال مرة «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» وهو مثل جاهلي قديم، وعرف من أعراف العرب الأولين، تمسك به العرب في جاهليتهم كما قال العلامة الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث في كتابه الجليل فتح الباري، فكان المتوقع المعقول أن يتلقاه الصحابة - وقد نشأوا في الجاهلية وعاشوا في الجزيرة - إما بالقبول، وإما بالسكوت. وقد صدر هذا الكلام من النبي المعصوم الذي زكى الله قوله فقال في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٣-٤) وقد عرف حبهم لنبيهم ﷺ وفداؤه له بالنفس، والنفيس، وكان حباً لا نظير له في تاريخ الديانات والرسالات، وفي تاريخ الحب والطاعة العالمي، وكان تفسيراً للحديث المشهور «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» (متفق عليه) وجاء في بعض الروايات «من نفسه» ولكن كل ذلك لم يمنعهم عن التساؤل أو الاستيضاح، فإن ظاهر الكلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان ينفي ما فهموه من تعاليم الإسلام، وما شاهدوه من تربية الرسول وأخلاقه، وما آمنوا به من مبدأ الإنصاف والمساواة وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨)، قيل يا رسول الله، كيف أنصره ظالماً؟

هنالك فسره رسول الله ﷺ تفسيراً يتفق مع تعاليمه السابقة الدائمة فقال «تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره» والحديث رواه أحمد والبخاري والترمذي. هنالك اقتنع الصحابة رضي الله عنهم، وشفيت صدورهم، فازدادوا إيماناً على إيمان، وهو مثال بليغ رائع من أمثلة الوعي الإيماني العقلي الذي كان شعاراً لصحابة الرسول ﷺ والصدر الأول.

والمثال الثاني:

أن رسول الله ﷺ أرسل سرية، وأمر الصحابة بطاعة الأمير، وقد كان في هذه السرية ما لم يرض الأمير، وقد كان في هذه السرية ما لم يرض الأمير، وشك في انقيادهم له، فأمر بالحطب، فجمع، وأمر بالنار فأشعلت، ثم قال: خوضوها، فامتنع الصحابة رضي الله عنهم عن طاعته في ذلك لأنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (حديث رواه أحمد والحاكم وإسناده صحيح) وقالوا: إنما فررنا من النار، ولما رجع إلى المدينة شكا على رسول الله ﷺ فصوب فعلهم، وقال: «لو دخلوا فيها، لم يزالوا فيها، وقال: لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف (ذكرت القصة بطولها في سنن أبي داود، كتاب الجهاد).

وكانت نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية في إيمانها، الغنية في مظاهرها الإيمانية، ومراكزها الدينية، وثروتها العلمية أنها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية، اللغوية والثقافية، ولعبة القيادات المداهنة والمؤامرات الأجنبية، وذهبت ضحية سذاجتها وضعفها في الوعي الديني، والعقل الإيماني، كما وقع في باكستان الشرقية في (١٩٧٠م)، فقد قامت فيها مجزرة إنسانية هائلة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما ذلك إلا بسحر دعوات العصبية اللغوية والعصبية الوطنية على هذا الشعب المسلم المؤمن الذي كان له تاريخ مجيد في البطولات الإسلامية وخدمة الإسلام والعلم ونهض فيه علماء كبار ودعاة إلى الله، وغصت بلادها بالمساجد والمدارس وكانت عاصفة هوجاء، هبت ثم ركدت، ونار حامية التهبت ثم انطفأت، ولكنها زلزلت أركان الإسلام في هذه المنطقة، وأضعفت الكيان الإسلامي، وكانت حجة لأعداء الإسلام الذين يقولون إن الإسلام لا يستطيع أن يقاوم العصبيات القومية ولا يقتلع جذورها من نفوس أتباعه.

وواجب ثالث مقدس من واجبات العاملين في مجال الدعوة الإسلامية، هو صيانة الحقائق الدينية، والمفاهيم الإسلامية من التحريف، وإخضاعها للتصورات العصرية الغربية، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية، التي نشأت في أجواء خاصة، وبيئات مختلفة، ولها خلفيات وعوامل وتاريخ، وهي خاضعة دائماً للتطور والتغيير، فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الإسلامية غيرتنا على المقدسات وعلى الأعراض والكرامات، بل أكثر منها وأشد، لأنها حصون الإسلام المنيعة، وحماه وشعائره، وإخضاعها للتصورات الحديثة أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية، إساءة إليها لا إحسان، وإضعاف لها لا تقوية، وتعريض للخطر لا حصانة، ونزول بها إلى المستوى الهابط لا رفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس، فإذا قلنا الحج مؤتمر إسلامي عالمي، لم ننصف للحج، ولم ننصف لمن نخاطبه، ونريد أن نفهمه حقيقة الحج وروحه ولما شرع له ولم ننصح لكليهما، وإن روح الحج وسر تشريعه، غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء، ولو كان الحج مؤتمراً إسلامياً عالمياً لكان له شأن ونظام غير هذا النظام، وجو غير هذا الجو، ولكان النداء له مقصوراً على طبقات مثقفة واعية فقط وعلى قادة الرأي وزعماء المسلمين.

كذلك حقيقة العبادة وحقيقة الصلاة، وحقيقة الزكاة والصوم، فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات والتجني عليها، وإخضاعها للفلسفات الجديدة، وتفسيرها بالشيء الذي لا ثقة به ولا قرار له، وقد استخدمت هذه «الإستراتيجية

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الدعائية» الباطنية في القرن الخامس الهجري فما بعده ففسروا المصطلحات الدينية بما شاءوا وشاءت أهواؤهم ومصالحهم وتفننوا فيه، وأتوا بالعجب العجاب، وحققوا به غرضهم من إزالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التي هي أسوار الشريعة الإسلامية وحصونها، وشعائرها، ونشر الفوضى في المجتمع الإسلامي، والجماهير المسلمة، وإذا فقدت هذه الكلمات التي توارثت فهمها الأجيال المسلمة وتواتر في المسلمين، وأصبح فيها مساغ لكل داع إلى نحلة جديدة، ورأي شاذ، وقول طريف، فقد أصبحت قلعة الإسلام مفتوحة لكل مهاجم ولكل منافق، وزالت الثقة بالقرآن والحديث واللغة العربية، وجاز لكل قائل أن يقول ما شاء ويدعو إلى ما شاء، وهذه فتنة لا تساويها فتنة وخطر لا يكافئه خطر.

إن مفاهيم هذه الكلمات معينة - على اتساعها وبلاغتها وعمقها وكثرة معانيها- وإن الأمة توارثت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت أشكال الصلاة والصوم والحج ونظمها الظاهرة، وتناقلتها وحافظة عليها من غير أقل انقطاع أو أقصر فترة، وإنه معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: ٩) و﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) وهو معنى الحديث المشهور الذي صح معناه «لا تجتمع أمتي على الضلالة» وقد أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية أن سنة واحدة من السنن الكثيرة لم ترتفع من هذه الأمة بشكل كلي، وإنها لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق.

والكلمات هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعاني والحقائق من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر، ومن إنسان إلى إنسان، فإذا وقع الشك في مدلول هذه الكلمات ومصداقها، أو صار التلاعب بها هيناً اضطربت دعائم الدين وتزلزلت أركانه، وهذا يعم التاريخ والشعر والأدب، لذلك كانت الفوضى اللغوية Linguistic Anarchy ومن أمثلة هذا التلاعب بالمصطلحات الدينية، أن أستاذاً في إحدى جامعات الهند الكبرى، وهو يدرس اللغة العربية وآدابها، ألقى محاضرة في دورة مؤتمر الدراسات الإسلامية الأخيرة قال فيها أن المراد بكلمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«الصلاة» حيثما وردت في القرآن مطلقة «الحكومة المحلية» أو «الإقليمية» والمراد «بالصلاة الوسطى» الحكومة المركزية أو «الخلافة العامة» وكان المقال باللغة العربية، وقد رددت عليه في حينه وقلت في تعليقي عليه أنه تلاعب بالقرآن وبالعقل وتمهيد لفوضى لغوية فكرية، وفتح الباب للإلحاد على مصراعيه.

وليست قضية الأسماء والمصطلحات من البساطة بالمكان الذي يتصوره كثير من الناس، فإنها تؤثر في النفس تأثيراً خاصاً وتثير معاني وأحاسيس ذات الصلة بالماضي، وذات الصلة بالعقائد والأعراف أحياناً ولذلك كره رسول الله ﷺ أن يقال «العتمة» مكان العشاء «ويوم العروبة» بدل الجمعة، واستبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول أو بالمدينة، وله أمثلة أخرى في الشريعة الإسلامية.

وكذلك أحذر المسلمين مما لوحظ من بعض الكتاب من الضغط على أن هذه الأركان الدينية، وفرائض الإسلام، كالصلاة والزكاة والصيام، والحج، وسائل لا غايات، إنما شرعت لإقامة الحكم الإسلامي وتنظيم المجتمع المسلم، وتقويته، وأحذر من كل ما يحط من شأن روح العبادة والصلة بين العبد وربه وامتثال الأمر، ومن التوسع في بيان فوائدها الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية أحياناً توسعاً يخيل للمخاطب أو القارئ أنها أساليب تربوية أو عسكرية أو تنظيمية، قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوم ونظام، أو صحة بدنية وفوائد طبية، فإن أول إضرار هذا الأسلوب من التفكير أو التفسير، أنه يفقد هذه العبادات قيمتها وقوتها وهو امتثال أمر الله وطلب رضاه بذلك، والإيمان والاحتساب والقرب عند الله تعالى وهي خسارة عظيمة لا تعوض بآية فائدة، وفراغ لا يملأ بأي شيء في الدنيا.

والضرر الثاني أنه لو توصل أحد المشرعين أو الحكماء المربين إلى أساليب أخرى قد تكون أنفع، أو يخيل أنها أنفع، لتحقيق هذه الأغراض الاجتماعية أو التنظيمية أو الطبية لاستغنى كثير من الذين آمنوا بهذه الفوائد عن الأركان والعبادات الشرعية، وتمسكوا بهذه الأساليب أو التجارب الجديدة، وبذلك يكون الدين دائماً معرضاً للخطر ولعبة للعابثين والمحرفين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهذا لا ينافي الغوص في أعماق هذه الأركان والأحكام والحقائق الدينية، والكشف عن أسرارها وفوائدها الاجتماعية، وقد أفاض علماء الإسلام قديماً وحديثاً في بيان مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد أفاض علماء الإسلام قديماً وحديثاً في بيان مقاصد الشريعة الإسلامية، وأسرار العبادات والفرائض والأحكام الشرعية، وألفوا كتباً مستقلة وكتبوا بحوثاً جليلة، كالغزالي والخطابي، وعز الدين بن عبد السلام وابن القيم الجوزية، وأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، ولكن كل ذلك من غير تحريف لحقيقة هذه العبادات والأحكام، والغاية الأولى التي شرعت لها، وهي امتثال الأمر الإلهي، والتقرب إليه بذلك، والإيمان والاحتساب فيها ومن غير إخضاع لها للفلسفات العجمية أو الأجنبية في عصرهم، ومن غير خضوع بسحرها وبريقها.

وأحذركم ثانية أيها الشباب من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية والشرك الجلي من عبادة غير الله والسجود له وتقديم النذور والقرابين وإشراكه في صفات الله من قدرة وعلم، وتصرف، وإماتة وإحياء، وإسعاد وأشقاء، وأحذركم من الاكتفاء بالتركيز على شناعة الخضوع للحكومات والنظم الإنسانية والتشريعات البشرية، وتحويل حق التشريع للإنسان، وإن ذلك هو وحده عبادة الطاغوت والشرك، وإن الوثنية الأولى وعبادة غير الله، قد فقدت أهميتها، وإنما كانت لها الأهمية في العصر القديم، العصر البدائي، وإنه لا يقبل عليها الآن إلا الرجل الجاهل، الذي لا ثقافة له، ففضلاً عن أن هذه الوثنية والشرك الجلي، لا يزال له شيوع وانتشار ودولة وصولة يجربه كل إنسان في كل زمان ومكان، فإنها الغاية الأولى التي بعث لها الأنبياء وأنزلت لها الكتب السماوية، وقامت لها سوق الجنة والنار. وكانت دعوة جميع الأنبياء تنطلق من هذه النقطة، وكانت جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية، والقرآن مملوء بذلك بحيث لا يقبل تأويلاً ويكفي أن تقرأ على سبيل المثال، سورة «الأعراف» وسورة «هود» وسورة «الشعراء» والحديث عن كل نبي ودعوته.

أما ما يتصل بصفات العاملين في مجال الدعوة الإسلامية وجنود الدعوة إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الله فإنني أركز في هذا الحديث الموجز على نقطة واحدة، وهو أنه يجب أن يكون الدعاة يمتازون عن الدهماء والجماهير، ودعاة النظم الجديدة والفلسفات السياسية والاقتصادية بقوة إيمانهم وحرارة قلوبهم، وزهدهم في زخارف الدنيا، وفضول العيش ونهامة للمادة، ومرض التكاثر، فإنهم لا يستطيعون أن يؤثروا فيمن يخاطبونهم، ويحملوهم على إيثار الدين على الدنيا والآجلة على العاجلة، وتلبية نداء الضمير والإيمان على نداء المعدة والنفس والشهوات، وإشعال مجامر قلوبهم التي انطفأت أو كادت تنطفئ، إلا إذا شعر الناس فيهم بشيء لا يجدونه في قلوبهم وحياتهم فإن الناس ما زالوا ولا يزالون مفطورين على الإجلال لشيء لا يجدونه عندهم، فالضعيف مفطور على احترام القوي، والفقير مفطور على احترام الغني، والأمي مفطور على احترام العالم، حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم، أما إذا رأى الناس علماء ودعاة لا يقلون عنهم في حب المادة والجري وراءها والتنافس في الوظائف والمناصب والإكثار من الثراء والتوسع في المطاعم والمشارب، وخفض العيش ولين الحياة، فإنهم لا يرون لهم فضلاً عليهم، وحقاً في الدعوة إلى الله وإيثار الآخرة على الدنيا، والتمرد على الشهوات، والتماسك أمام المغريات، وقد قيل: «إن فاقد الشيء لا يعطيه» وكذلك القلب الخاوي لا يملأ قلباً آخر بالإيمان والحنان، وإن الموت لا ينشئ الحياة. وإن البرودة لا تعطي الحرارة وإن الرماد الذي لا تكمن فيه جمرة لا يلهب القلوب الخامدة، ولا يحيي النفوس الميتة، والكشاف لا ينير الطريق إذا كانت قد نفدت شحنته، فلا بد أن تشحن القلوب لشحنة جديدة، وإذا كانت «بطارية» من غير شحنة كانت أقل عناء وقيمة من عصا يحملها الإنسان، فقيمة «البطارية» الشحنة وقيمة الشحنة النور، فإذا لم تكن شحنة أو كانت شحنة ولا نور فالعصا خير منه.

ثم إني أتساءل:

أليس هذا العصر هو العصر الذي انتشر فيه العلم وكثرت فيه وسائل الإعلام والتربية، وازدهرت فيه الخطابة والكتابة، وبلغت حد الشعر والسحر، وعمت الجامعات في كل مكان، وتدفق السيل من المطبوعات والمنشورات من المطابع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ودور النشر، ونبغ فيها علماء وباحثون ووعاظ ومرشدون. فلماذا فقد العلماء والموجهون التأثير في النفوس والقلوب في صد تيار المادية والاستغلال والجشع والنهامة للمال؟ هذه البلاد العربية بما فيها البلاد المقدسة- أصبحت مصداقاً لما أخبر به الرسول ﷺ في إحدى خطبه قبل وفاته «ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم».

وأخوف ما نخاف أن تكتسح هذه البلاد الموجة العارية من التكاثر في الأموال، واستغلال حاجة الناس وضعفهم والانتهازية، وهي الموجة التي لا تعرف الرحمة والهوادة، ومكارم الأخلاق التي عرف بها العرب في العصر الجاهلي، وربما يعود ذلك خطراً كبيراً على الحج ومركزه، ويمكن أن يشكل محنة للوافدين إليهن فيضطر الدعاة في صد هذه الموجة إلى مكافحة خلقية، وحملة دعوية تربوية تنظم لإصلاح الحال، وإيقاظ الضمير، وإثارة الغيرة الإسلامية والشعور النبيل، وتنطلق من المنابر والصحف والإذاعة ووسائل الإعلام، وتجند لها الطاقات والألسن والأقلام.

وسمة الدعوات الحية المخلصة التي تقتبس النور من مشكاة النبوة، وتسير على نهجها، أنها تجس نبض المجتمع جساً صحيحاً أميناً، وتهتدي إلى الداء الحقيقي ومواضع الضعف في جسم هذا المجتمع، وتضع أصبعها عليها، وتضرب على الوتر الحساس، من غير محاباة أو مداهنة، ولا تكترث بألم هذا المجتمع أو ملامه، كما فعل شعيب في دعوته، فوجه دعوته- بعد الدعوة إلى التوحيد- إلى إيفاء الكيل، والوزن بالقسطاس المستقيم، وشنع على التطفيف، إذ كان ذلك عيب المجتمع الذي بعث فيهن وسمته البارزة، وكذلك فعل غيره من الأنبياء.

وهذه كانت سنة الدعاة إلى الله من المخلصين الربانيين في تاريخ الإسلام، فكانوا ينتقدون المجتمع في الصميم، ويصيبون المحز، ولذلك كان وقع كلامهم في النفوس عظيماً وعميقاً، وما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم، أو يمر بهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مراً سريعاً، أو يسلي نفسه بأنهم إنما يعنون غيره من المجتمعات التي سبقت، أو المجتمعات التي لم تخلق بعد، وهذا كان شأن الحسن البصري في مواعظة إذ كان دائماً يشير إلى النفاق الذي كان داء المجتمع الإسلامي، وهو في أوج مجده ورخائه، ويذم حب الدنيا وطول الأمل، وهذا كان شأن الشيخ عبد القادر الكيلاني، فيدعو إلى التوحيد الخالص وقطع الرجاء، والخوف من غير الله وأنه لا يضر ولا ينفع سواه.

لأن الناس كانوا قد ربطوا مصيرهم بالخلفاء والأمراء وأصحاب الحول والطول والأمر والنهي في العاصمة، وهذا كان شأن ابن الجوزي في مواعظه الساحرة، ومجالسه المزحومة، فإنه كان يشنع على الحياة اللاهية الماجنة التي كان يحياها كثير من الناس في بغداد، وعلى الذنوب والمعاصي التي كانت تقترف جهاراً، والمنكرات التي شاعت، فكان مئات وآلاف من الناس يتوبون ويقلعون عن الذنوب، وكان نشيج يعلو وقلوب ترق، وعيون تدمع، وموجة من الإنابة والرقة تكتسح الجموح الحاشدة لأنه كان يمس القلوب ويصور الواقع، ولا يكتفي بالكلام العام والوعظ التقليدي. ولك أن تقرأ تفاصيل مجالس ابن الجوزي وتأثيرها في كتاب «صيد الخاطر» و«رحلة ابن جبير».

وهنا أنقل إليكم قطعة من كتابنا «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» والمؤلف يتحدث عن الإمام أحمد بن حنبل وزهده.

«وقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحداً ممن قلب التيار وغير مجرى التاريخ، ونفخ روحاً جديدة في المجتمع الإسلامي أو فتح عهداً جديداً في تاريخ الإسلام، وخلف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين، وظل قروناً يؤثر في الأفكار والآراء، ويسيطر على العلم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد، وتغلب على الشهوات، وسيطرة على المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك، أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، وبصرعى الشهوات، وأسرى المعدة. ولذلك ترى كثيراً من العبقريين والنوابغ في الأمم، كانوا زهاداً في الحياة، متمردين على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشهوات، وبعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء في زمانهم، ولأن الزهد يثير في النفس كوامن القوة، يشعل المواهب، ويلهب الروح، وبالعكس إن الدعة والرخاوة تبلد الحس وتنيم النفس وتميت القلب .

وهناك تعليلات أخرى يوافق عليها علم النفس وعلم الأخلاق، ولا أطيل بذكرها، وأقتصر على هذه الملاحظة التاريخية، والح على أن منصب التجديد والبعث الجديد يتطلب لا محالة زهداً وترفعاً عن المطامع وسفساف الأمور ويأبى الاندفاع إلى التيارات، ويتنافى مع الحياة الوادعة الرخية والعيشة الباذخة الثرية، إنما هو خلافة للرسول الأعظمﷺ ، وقد قيل له : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ (طه : ١٣١) .

وأمر بأن يقول لأزواجه ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (الأحزاب : ٢٨) وهذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم، ومن يرشح نفسه ويمنيها بهذا المنصب الخطير، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

ومن أبرز سمات الدعوة التي يقوم بها الأنبياء وخلفاؤهم، أنها تقوم على الإيمان بالآخرة، والتحذير من عقابها، والترغيب في نعمائها وثوابها ويكون مناط العمل فيها الإيمان والاحتساب والأجر والثواب، لا على الإغراء بالفوائد الدنيوية والجاه والمنصب والمال والملك، فإنه أساس ضعيف منهار، ولا يتفق مع طبيعة دعوات الأنبياء، والمساومة فيه سهلة، وقد يملك أعداؤهم وخصومهم والقادة السياسيون مثله أو أكثر منه، ومن ضع بلبان هذه المطامع لم يمكن فطامه عنها، ولا يصح الاعتماد عليه، وإنما يبنون دعوتهم على رضى الله وثوابه، وما أعده الله لعباده المؤمنين، وما وعدهم به على لسان أنبيائه، من نعيم لا يزول ولا يحول، والصحف السماوية- غير صحف العهد القديم التوراة- مملوءة بالحديث عن الآخرة والاهتمام بها والبناء عليها وقد جعل لإسلام الإيمان بها عقيدة أساسية وشرطاً لصحة الإيمان والنجاة، وقد جاء في القرآن صريحاً : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (القصص : ٨٣).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

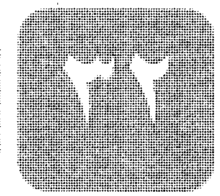
وهنا أستعير لنفسي من نفسي ما قلته في إحدى محاضراتي تحت عنوان «النبوة والأنبياء في ضوء القرآن» وأختم به هذا الحديث مؤملا في أن تكون هذه السمات التي تحدثت عنها شعار الدعوة التي يقوم بها الدعاة المتخرجون في كل مكان، أو القائمون بأعباء الدعوة في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، قلت وأنا أتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية وبين الدعوات الإصلاحية.

«ولم تكن دعوة الأنبياء إلى الإيمان بالآخرة، أو الإشادة بها كضرورة خلقية أو كحاجة إصلاحية لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة فضلاً عن المجتمع الإسلامي. وهذا وإن كان يستحق التقدير والإعجاب، ولكنه يختلف عن منهج الأنبياء وسيرتهم ومنهج خلفائهم اختلافاً واضحاً. والفرق بينهما أن الأول منهج الأنبياء إيمان ووجدان، وشعور وعاطفة وعقيدة تملك على الإنسان مشاعره، وتفكيره وتصرفاته، والثاني اعتراف وتقدير وقانون مرسوم وإن الأولين يتكلمون عن الآخرة باندفاع والتذاذ ويدعون إليها بحماسة وقوة وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية والحاجة الاجتماعية وبدافع من الإصلاح والتنظيم الخلقي، وشتان ما بين الوجدان والعاطفة وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الشيخ أبي الأعلى المودودي

- ترجمة الشيخ.
- المقالات:

١- نكاح نساء أهل الكتاب.

العدد (٨٦) صفر (١٣٩٢هـ) - مارس (١٩٧٢م).

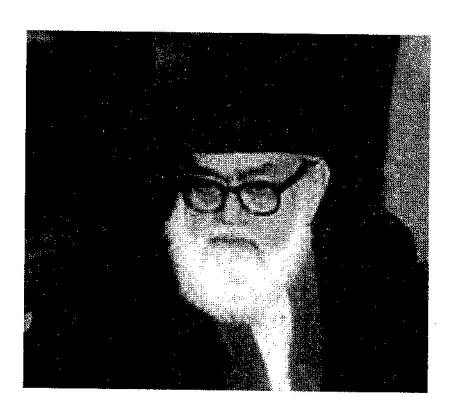


https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ
أبو الأعلى المودودي

● **مولده ونشأته**



وُلِدَ أبو الأعلى المودودي سنة (١٢٦٦هـ، ١٨٥٠م) في أسرة تمتد جذورها إلى شبه الجزيرة العربية، وقد هاجرت أسرته إلى الهند في أواخر القرن التاسع الهجري.

أوقف الشيخ حياته على الدعوة إلى الإسلام، وجعل رسالته في الحياة إعلاءَ كلمة الحق، والتمكين للإسلام في قلوب أتباعه قبل ربوعه وأوطانه، فالتفَّ الكثير حوله.

تعلم الشيخ في طفولته على يد أبيه الذي حرص على تنشئته تنشئة دينية شاملة حيث كان يصحبه إلى مجالس أصدقائه من العلماء؛ فتفتحت ملكاته وظهر نبوغه وذكاؤه منذ حداثة سنه، ثم اجتاز امتحان مولوي، أي ما يعادل الليسانس.

عمل الشيخ مديرًا محرراً للعديد من الجرائد والمجلات، وسعى المودودي إلى تعلم اللغة الإنجليزية حتى أتقنها.

أسس المودودي الجماعة الإسلامية في لاهور، وتم انتخابه أميرًا لها في (٣ من شعبان ١٣٦٠ هـ - ٢٦ من أغسطس ١٩٤١م). ثم انتقلت الجماعة إلى دار السلام وكان المودودي طوال هذه الفترة لا يكف عن الكتابة والتأليف، فأصدر عدة إصدارات بلغت الـ (٧٠) منها:

«الجهاد في الإسلام، والإسلام والجاهلية، ودين الحق، نظرية الإسلام السياسية، وغيرها».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اعتُقِلَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مرات وحُكِمَ عليه بالإعدام ثم أطلق سراحه، واستقال الشيخ من إمارة الجماعة الإسلامية عام ١٩٧٢م.

● **وفاته**

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، تاركاً العديد من الأفكار والتعليمات والمؤلفات الجليلة لتظل نبعًا صافيًا من منابع الإسلام الصافي والعقيدة الخالصة.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حول نكاح نساء أهل الكتاب

العدد (٨٦) صفر (١٣٩٢هـ) - مارس (١٩٧٢م)

لقد طلب منا أحد إخواننا المخلصين، بإلحاح شديد، أن ننشر كلمة مفصلة عن زواج المسلمين بنساء أهل الكتاب، مستندين في ذلك إلى أحكام الكتاب والسنة، لأن فتنة «الإفرنجيات» كما يقول هذا الأخ الكريم، في تفاقم وانتشار هذه الأيام. وقد اتخذ المسلمون من الإذن الشرعي في هذا الباب حيلة للاستمتاع بهن، واستيرادهن بكثرة لا يوجد لها مثيل في تاريخهم الماضي.

ومما لا مجال فيه للريب أن هذه فتنة كبيرة في واقع الأمر، ظهر من تأثيرها الكثير في الهند ومصر وسوريا والكويت وغيرها من بلاد المسلمين.

إن «السيدات الغربيات» ولجن في حياة المسلمين الاجتماعية، ثم عملن ما في وسعهن لاستئصال الحضارة الإسلامية، وأخطر من ذلك ما ظهر من النتائج السياسية مما لا يستطيع مسلم- إن كان في قلبه حب للإسلام والمسلمين- أن يسكت عليه.

وعلى هذا، إن كان المخلصون من أفراد المسلمين اليوم يشعرون بحاجة إلى أن يقوموا في وجه هذه الفتنة، ويضعوا لها حدا معلوما، فلا شك أن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على حبهم للإسلام، ونصحهم للمسلمين.

ولكن كيف يكون عندنا التغيير والتعديل في قضية شرعية ثابتة؟

إن الذي قد أنزل القرآن حكيم عليم على الإطلاق، لا ينظر إلى كل المصالح والضرورات والحاجات إلا بغاية من التوازن والتناسب، فلا بد لإدراك أحكامه وتطبيقها على الظروف الراهنة تطبيقا سليما من أن نوسع دائرة نظرنا بقدر الإمكان، ثم نستعرض المصالح كلها- ما جل منها وما دق- استعراضا تفصيليا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شاملا، حتى لا ننزل كل واحدة منها إلا بدرجة من الرعاية والأهمية قد أنزلها بها الشارع نفسه.

فالآية التي تبيح للمسلمين أن يتزوجوا بنساء أهل الكتابين من اليهود والنصارى هي ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ (المائدة: ٥)

● اختلاف السلف حول تفسير هذه الآية

لا شك أن السلف - رحمهم الله - قد اختلفوا كثيرا حول تفسير هذه الآية، إلا أن جمهور العلماء في كل زمان إنما حملوا حكمها على ظاهر ألفاظها وعموم إطلاقها، إذ لا بد من أن يكون أكثر حكمة في تشريعه وتقنينه لأنه مِن الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا، ولو كانت هناك حاجة إلى استثناء أو تخصيص في حكمه ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: ٥)، لقيده به بنفسه، إذ مما لا يجتمع مع حكمته في التشريع ألا يستعمل في بيان الأحكام القانونية ولا مثل اللغة الرصينة المتقنة التي يستعملها واضعو القوانين في الدنيا، فكيف يجوز أن نعتقد إذن أن كل مقصوده بهذا الحكم أن يحل للمسلمين التزوج بنساء طائفة خاصة من أهل الكتاب، وقد اختار لبيان هذا الحكم ألفاظا عامة شاملة لأهل الكتاب كلهم لا إشارة فيها قطعا إلى استثناء أو تخصيص، لأجل هذا فإن جمهور الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين من السلف قد حملوا هذه الآية على الإذن العام في التزوج بنساء أهل الكتاب بدون قيد ولا شرط، بل قد تزوجهن جماعة منهم ولم يروا بذلك بأسا لعموم هذا الإذن، فقد تزوج عثمان بن عفان بنائلة بنت الفرافصة الكلبية وهي نصرانية، وتزوج طلحة بن عبيدالله يهودية من أهل الشام، وتزوج حذيفة بن اليمان وكعب بن مالك والمغيرة بن شعبة بنساء من أهل الكتاب أو خطبوهن للزواج.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رأي عبدالله بن عمر

ولكن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- من الصحابة وحده هو الذي كان لا يرى التزوج بنساء أهل الكتاب مطلقا، وكان يقول: إن الله حرم على المؤمنين النساء المشركات في قوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢١)، وكان يقول «لا أعلم شركا أشد من أن تقول - أي المرأة - إن ربها عيسى أو عبد من عبيدالله»، ولذا فإنه يحرم التزوج بنساء كل من يوجد الكفر والشرك في اعتقادهم من أهل الكتاب، وقد فسر كلمة «والمحصنات» بالمسلمات، فمعنى الآية بموجب رأيه: إن لكم أيها المسلمون أن تتزوجوا أيضا باللاتي يدخلن في الإسلام من نساء أهل الكتاب.

رأي غير صحيح

ولكن لا يصح من هذا الباب رأي ابن عمر-رضي الله عنهما- وذلك لأسباب نذكرها بالاختصار فيما يلي: إن الله سبحانه وتعالى بنفسه قد بين في كتابه من معتقدات أهل الكتاب ما هو مبني على صريح الشرك كقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ١٧)، وكقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ (المائدة: ٧٣)، وكقول اليهود «عزير ابن الله» وقول النصارى ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠)، بل قد نسب إليهم كلمتي الشرك والكفر، ولكنه على ذلك لم يذكرهم في أي موضع من كتابه بكلمة «المشركين» كاصطلاح لهم، وإنما ذكرهم في كتابه كله بكلمة «أهل الكتاب»، أو بكلمات أخرى لها نفس هذا المعنى. اقرأ القرآن من أوله إلى آخره تجد فيه ثلاث طوائف مستقلة بعضها عن بعض: طائفة المشركين والكفار، أي الذين ليس عندهم كتاب سماوي على وجه محرف أو غير محرف. وطائفة أهل الكتاب، أي الذين يؤمنون بنبي من الأنبياء وبكتاب من الكتب السماوية، على كل ما هم فيه من الضلالات الاعتقادية أو العملية. وطائفة أهل الإيمان، وهم المؤمنون برسالة محمد ﷺ بصرف النظر عما إن كانوا ولدوا في الإسلام أو دخلوا فيه من طائفة أهل الكتاب، أو طائفة المشركين والكفار.

والقرآن في ذكره هذه الطوائف الثلاثة يميز بعضها عن بعض بما لا مجال فيه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للاشتباه والاختلاط مطلقا، فلا يقول: «أهل الكتاب» ويريد بهم المشركين، أو يقول: «المشركين أو الكفار» ويريد بهم اليهود والنصارى، أو يقول «الذين أوتوا الكتاب» ويريد بهم المسلمين، فلما قال تعالى في موضع من كتابه﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢١)، ثم قال في موضع آخر ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ﴾، إلى أن قال ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: ٥)، فلا بد من القول بأنه ليس المراد بالمشركات في الآية الأولى نساء أهل الكتاب، وإنما المراد بهن نساء الوثنيين وغيرهم من الأمم غير الكتابية.

ونحن إذا لم نفسر كلمة ﴿ٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ و﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ بهذا المعنى فإن ذلك يستلزم تعارضا صريحا بين آيتين في القرآن، لا يمكن رفعه بمجرد أن يقال إن المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أولئك اللاتي كن قد دخلن في الإسلام من نساء اليهود والنصارى، أو أن المراد بهن نساء الفرق الكتابية المتنزهة عن الشرك والكفر، وذلك:

١- لأن الله ﷻ قد قال ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ قبل أن يقول ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وليس المراد «بالمؤمنات» اللاتي قد ولدن في الإسلام فحسب، بل المراد بهن كذلك اللاتي قد دخلن في الإسلام تاركات أديانهن السابقة، فلما كان قد أحل الزواج بالمؤمنات عموما وفيهن من كن يهوديات أو نصرانيات قبل الإسلام، فأية حاجة اقتضت إذن ذكر المسلمات من الذين أوتوا الكتاب بالذات بعدهن؟ إذ لو كان الأمر هكذا لما كان لهذه الجملة أي معنى أبدا.

٢- وقد قيل قبل هذه الآية كذلك ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾، فهل المراد بهم هنا أيضا أولئك المسلمون الذين قد دخلوا في الإسلام من اليهودية أو النصرانية؟ فإن قيل: لا، فعلى أي أساس جاز أن يفسر ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ في جزء من آية بمعنى غير المعنى الذي يفسر به في جزء آخر من الآية نفسها؟

٣- أية فرقة من فرق أهل الكتاب هي بريئة من الشرك أو الكفر؟ ومتى وجدنا فيهم الاعتقاد السليم عن الله؟ ومن أين كان لهم أن يهتدوا إليه؟ لقد كانوا حرفوا أصل تعاليم موسى وعيسى عليهما السلام، فأنى كان لهم أن يجدوا سبيلا إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صحة الاعتقاد حتى تكون فرقة منهم على الصراط المستقيم؟ إذن لا يصح القول أبدا بأن المراد «بالذين أوتوا الكتاب» في قوله تعالى ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فرقة من اليهود أو النصارى سليمة في اعتقادها.

أما الآيات التي قد يخيل إلى الإنسان عند قراءتها أنه كان في أهل الكتاب فرق سليمة في اعتقادها، فإنها تشير في حقيقة الأمر إلى أناس من أهل الكتاب كانوا قد آمنوا بالقرآن واتبعوا النبي ﷺ، أو كادوا بناء على طهارة قلوبهم وسلامة فطرتهم.

٤- وإذا فرضنا أن اليهود والنصارى فيهم طائفة مثل هذه، فإن الله تعالى ما قيد ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ بشيء يجوز الاستدلال به على أن هذا الحكم خاص بتلك الطائفة وحدها، وليس بشامل لسائر أهل الكتاب، فما لنا إذن نشغل أنفسنا بفحص معتقدات أهل الكتاب، ونقضي بقياسنا أنه يجوز للمسلمين أن يتزوجوا بنساء الفرقة أو الفرق «الفلانية» من أهل الكتاب، ولا يجوز لهم أن يتزوجوا بنساء سائر فرقهم؟

دليل آخر غير سليم

والذين قد أيدوا ابن عمر- رضي الله عنهما- في رأيه يستدلون كذلك بقوله تعالى ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: ١٠)، مع أن هذه الآية إنما نزلت خاصة في أولئك الرجال والنساء الذين قد هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام، والذين بقيت زوجاتهم أو أزواجهن على الكفر في دار الحرب. والمقصود من الآية بيان أن نكاح الجاهلية ينفصم مع مجرد دخولهم في دار الإسلام، ويكون من حق الرجل المهاجر أن ينكح غير زوجته السابقة، ومن حق المرأة المهاجرة أن تنكح غير زوجها السابق، هذا المعنى يتحقق باعتبار شأن نزولها، أما إذا اقتصر أحد على نفس ألفاظها، فنقول: إن الله ﷻ أنزل في موضع حكما عاما بقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾، وبين في موضع آخر أن جماعة من الكفار وهم من أهل الكتاب، مستثنون من هذه الحرمة العامة وذلك بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وإنكم إذا كنتم لا تقولون بأن هذا الحكم الثاني قد خصص الحكم العام الأول، فلا بد أن تقولوا بأن هناك تناقضا

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

في أقوال الله ﷻ، يحل شيئا في موضع، ويحرمه في موضع آخر والعياذ بالله.

رأي ابن عباس

والصحابي الثاني الذي حاول أن يضع حدا لإباحة الزواج بنساء أهل الكتاب هو عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- إذ يقول: إن هذا الحكم خاص بالذميات دون الحربيات، فلا يجوز الزواج إلا بنساء اليهود والنصارى الذين هم من رعايا دار الإسلام، مهما كانت عقائدهم فاسدة. وأما أهل الحرب منهم- أي الساكنون خارج حدود دار الإسلام- فلا يجوز الزواج بنسائهم، ودليله على ذلك أن الله قد أمر المسلمين بقتال هذه الطائفة من أهل الكتاب، وذلك حين قال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (التوبة: ٢٩)، وأيضا قد حرم على أهل الايمان أن يُوَادُّوا مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، هذا من جانب. ومن جانب آخر فالعلاقة الزوجية لا تقوم إلا على المودة والرحمة: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١). فعلى هذا كانت علاقة الزواج توجب المودة والمحبة، وإذا كانت مودة الحربيين من المشركين وأهل الكتاب محرمة على المسلمين، وكان قتالهم واجبا عليهم، فإنه ينبغي أن يكون زواج الحربيات، سواء أكن من المشركين أم من أهل الكتاب، محظورا.

هذا ما يحتج به سيدنا عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما- إلا أن جمهور الصحابة والتابعين والأئمة الفقهاء لم يوافقوه على رأيه، كما لم يوافقوا سيدنا عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- على رأيه، وهم وإن كانوا كلهم يكرهون الزواج بامرأة من أهل الكتاب، إذا كانت من دار الحرب أو دار الكفر، ولكن ما قال بحرمته أحد منهم، لأن إباحته المذكورة في قوله تعالى ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ عامة شاملة لأهل الكتاب جميعا، سواء أكانوا من أهل الحرب أم من غيرهم، والله تعالى ما قيدها بشيء.

هذا بالنسبة للجواز القانوني والمقصود مما قلنا إن هذا الجواز القانوني يجب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن يبقى على عمومه وشموله الموجودين في آية القرآن، أما عدم تناسب الزواج وكراهيته على اعتبار المصالح القومية أو الظروف الشخصية، فهذا أمر آخر، لا يجوِّز لنا أن نحرم الحلال، غير أنه من حقنا، ولا ريب، أن نتجنب فعلا حلالا إذا كان لا يناسبنا في وضع خاص، إذ ليس معنى الحل والإباحة الأمر واللزوم

رأي جمهور الصحابة والأئمة واختلافهم

والذين لا يوافقون عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس- رضي الله عنهم جميعا- على رأيهما، ويقولون بأن حكم الآية شامل لأهل الكتاب كلهم، يدور الخلاف بينهم في معظمه حول تفسير كلمتين وهما: المحصنات﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾

فالمحصنات عند جماعة منهم «العفائف»، وعند جماعة أخرى «الحرائر» دون الإماء، فلا يجوز الزواج عند الجماعة الأولى إلا بالعفائف من نساء أهل الكتاب دون الفاحشات والمومسات منهن، ولا يجوز الزواج عند الجماعة الأخرى بالإماء من نساء أهل الكتاب ولو كن عفائف، ويجوز بالحرائر منهن ولو كن فاحشات.

رأي الشافعي

أما أهل الكتاب فيقول الإمام الشافعي رحمه الله: إنهم اليهود والنصارى من بني إسرائيل، وأما الأمم الأخرى التي قد انتحلت اليهودية أو النصرانية، فلا تطلق عليها كلمة «أهل الكتاب»، لأنه ما أرسل موسى ولا عيسى عليهما السلام إلا إلى بني إسرائيل، وما كانت دعوتهما لغيرهم من أمم الأرض.

رأي الأحناف والجمهور

ويقول الأحناف وجمهور الفقهاء: إن كل أمة إذا كانت مؤمنة بنبي من الأنبياء وبكتاب من الكتب الإلهية تعد من أهل الكتاب، وليس كونها من اليهود أو النصارى شرطا في ذلك، فلو كانت في الدنيا طائفة مؤمنة بصحف إبراهيم وحدها، أو الزبور وحده لكانت طائفة كتابية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رأي جماعة آخرين

وقد ذهبت جماعة قليلة من السلف إلى أن كل أمة عندها كتاب يجوز الظن بأنه سماوي هي من أهل الكتاب كالمجوس مثلا، وهذه الفكرة قد وسّعها في هذا الزمان جماعة من المجتهدين الجدد، حتى قالوا إن الهنادك والبوذيين أيضا من أهل الكتاب، فيجوز الزواج بنسائهم لأنه لا بد أن يكون قد جاءهم نبي من الأنبياء، ولابد أن يكونوا قد أوتوا كتابا من الكتب السماوية.

● الرأي الصحيح

وأصح رأي في كل هذه الاختلافات عندنا الرأي القائل بأن المراد من أهل الكتاب اليهود والنصارى، سواء أكانوا من بني إسرائيل أم من غيرهم، فإن كلمة «أهل الكتاب» ما وردت بالقرآن إلا لهاتين الطائفتين، وقد صرح في موضع آخر بأنهما هما أهل الكتاب، وذلك حيث يقول عز من قائل: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ (الأنعام: ١٥٥- ١٥٦). أما الأمم الأخرى التي أنزلت إليها الكتب، فهي لما قد أضاعت كتبها ولم يبق شيء من معتقداتها وأعمالها يتفق مع تعاليم الأنبياء فلا يجوز أن تطلق على إحداها كلمة أهل الكتاب، ولذا فإن الرسول ﷺ ما جعل المجوس من أهل الكتاب على اعتقادهم بزرداشت، فلما أخذ الجزية من مجوس هجر قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»، ولم يقل إنهم من أهل الكتاب.

ولما كتب إليهم يدعوهم إلى الإسلام قال بكل صراحة «فإن أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ومن أبى فعليه الجزية غير أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم». فلا مجال للشبهة بعد ذلك بأنه يجوز أن تعد أمة غير اليهود والنصارى من أهل الكتاب، فتؤكل ذبائحها وتنكح نساؤها.

● الرد على مخالفي هذا الرأي

أما رأي الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أي اشتراطه بالإسرائيلية، فلا يصح كذلك، لأنه وإن كان الخطاب في دعوة موسى وعيسى عليهما السلام لبني إسرائيل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحدهم إلا أن الله ورسوله قد عدا من أهل الكتاب حتى الأمم غير الإسرائيلية التي انتحلت النصرانية، ويدل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما كتب إلى قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام ضَمّن في رسالته هذه الآية ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ (آل عمران: ٦٤) مع، أنه لم يكن الروم من بني إسرائيل.

أما الذين فسروا المحصنة بالعفيفة أو الحرة وجعلوا العفة أو الحرية شرطا لتزوج الكتابية، فلا يصح رأيهم أيضا عندنا، إذ لا شك أن الإحصان يشمل مفهومه كلا من العفة والشرف، وما المحصنة إلا عفيفة وشريفة معا، ولكن ليس من مقصود الشارع بقوله ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أن يجعل العفة أو الشرف شرطا لجواز الزواج بنساء أهل الكتاب، وإنما مقصوده به إظهار الأفضلية والأولية، ويقصد في حقيقة الأمر بيان أنه وإن كان لكم أيها المسلمون أن تتزوجوا أية امرأة من المؤمنات أو من أهل الكتاب، ولكن الأولى والأفضل أن تكون تلك المرأة محصنة، أي عفيفة وشريفة.

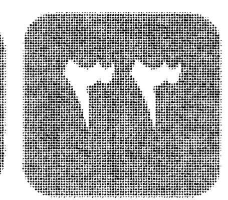
وقد قيدت كثير من أحكام القرآن بأمور ليست بشروط لثبوت الحكم، وإنما هي كقيود زائدة لإظهار أفضل ناحية في فعل من الأفعال المباحة، أو لإظهار أرذل ناحية في فعل من الأفعال المحرمة، حتى يبذل أهل الإيمان اهتمامهم لاختيار الأفضل واجتناب الأرذل، وهذا عين ما رآه سيدنا عمر بن الخطاب -]- في هذا الباب حين تزوج حذيفة بن اليمان بيهودية، فكتب إليه عمر «أن خل سبيلها»، فكتب إليه حذيفة: «أحرام هي؟» فكتب إليه: «لا، ولكنني أخاف أن تواقعوا المومسات منهن».

فأصح رأي عندنا أن نجعل السماح الشرعي بتزوج نساء أهل الكتاب عاما، من الحربيات كن أو من الذميات، ومن العفائف كن أو من غير العفائف، ومن الإماء كن أو من الحرائر.

* * *

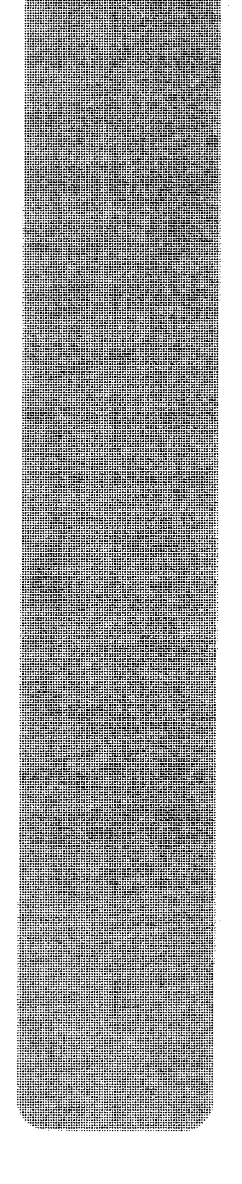
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الشيخ عبد الله عبد الرحمن السند



❏ **ترجمة الشيخ.**

❏ **المقالات:**

١- العلم والتعلم.

العدد (٨٦) صفر (١٣٩٢هـ) - مارس (١٩٧٢م).

٢- اعرفوا أعداءكم.

العدد (١٠٢) جمادى الآخرة (١٣٩٣هـ) - يونيو (١٩٧٣م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

عبد الله عبد الرحمن السند

● **مولده ونشأته**

هو الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن علي ابن سليمان بن محمد بن أحمد بن راشد بن سند العنزي.

ولد في الزبير من عائلةٍ علمٍ، وذلك عام ١٣١٨هـ.

تلقى مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب، ثم رافقَ أخاه في تلقي العلم على العديد من العلماء أمثال: الشيخ محمد بن عوجان، والشيخ عبدالله بن حمود، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وغيرهم.

ولما حفظ أطرافا من الفقه وفنونا من العربية قام بالاهتمام بدراسة التفسير.

عمل الشيخ مدرساً بمدرسة «النجاة» أيامَ الشيخ الشنقيطي، فدرَّسَ الفِقه والقرآن كما أسندت إليه إمامة أحد المساجد، سافر إلى الكويت فالتقى بعلمائها، وفتحت له المجلات الدينية في الكويت والعراق رحابها لنشر المقالات، وكان له نشاط واهتمام بعلم الحديث.

وحرص المترجَم له على تنشئة أبنائه تنشئة إسلامية فوفق إلى ذلك، وبارك الله له في الذرية.

● **مؤلفاته:**

للشيخ العديد من المؤلفات منها: «الأحكام المفيدة، الخطب المنبرية، منسك الحج والعمرة، مجالس رمضان، المرأة المسلمة والحجاب، من مائدة النبوَّة» وغيرها.

● **وفاته**

توفي الشيخ عبد الله السند في الكويت، وذلك في ١١ ذي القعدة من عام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٣٩٧هـ، فحزن الناس لفقدهم شيخاً جليلاً نذر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، لا سيَّما وقد كان محبوباً من الخاص والعام وذلك لطلاقة وجهه ودماثة خلقه وحسن تأدبه.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم والتعلم

العدد (٨٦) صفر (١٣٩٢هـ) مارس (١٩٧٢م).

يتساوى الناس عند ولادتهم في خروجهم من بطون أمهاتهم عرايا لا يستر أجسامهم شيء، كذلك يستوون عندما يفدون على هذه الحياة في تجردهم من العلم وخلوهم من المعرفة، لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعلمون شيئا، ولكن الله الرازق الكريم الذي كساهم من عري، وأطعمهم من جوع، هو العليم الحكيم الذي تفضل على خلقه فأمدهم بالاستعداد والقوى التي تمكنهم من التعلم، وزودهم بالأدوات والرسائل التي تساعدهم على العلم والمعرفة، وأنزل لهم الكتب وتعهدهم بالوحي، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأرسل لهم الرسل هادين ومرشدين ومعلمين، قال الله سبحانه وتعالى﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ (الجمعة: ٢)، والوسائل التي زود الله بها الإنسان هي السمع والبصر والعقل، هذه هي المنافذ المفتوحة التي يطل منها على هذا الكون الفسيح ليعرف أسراره، وهي الأدوات التي يكتسب بواسطتها العلم والمعرفة، لا نعرف دينا كرم العلم ودعا إليه وأشاد بالعلماء ورفع من قدرهم، مثلما فعل الإسلام وكتابه الكريم، فالقرآن يلفت أنظارنا، ويوجه عقولنا إلى أن نسلك كل طريق للعلم، لأنه الأساس في بناء العز والمجد وحياة الأمم.

العلم وحده هو الذي يميز به الإنسان بين الكفر والإيمان، بين التوحيد والإلحاد، بين الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح، والضار والنافع.

العلم ضروري لسعادة الإنسان وهناءته ضرورة الهواء لحياته، والضياء لعينيه،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم ضروري لعزة الأمة وسيادتها، وعلى قدر نصيبها من العلم يكون نهوضها الحضاري، ورقيها الصناعي، وازدهارها التجاري، واتساعها العمراني.

العلم هو الذي يرقى بالحياة ويجعلها وارفة الظلال، قال الله ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١) أول خطوة للتعلم هي معرفة القراءة والكتابة، ولذلك رفع الإسلام من شأن الكتابة وأعلى قدرها، وهذه أول آيات نزلت من كتاب الله تعالى، قال الله جل شأنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق: ١-٥)، وهذه سورة «ن» يقسم العلي الأعلى فيها بالقلم وما يسطرون، وهذا محمد رسول الله ﷺ يعلم أصحابه ويدفعهم إلى أن يتقنوا الخط، ويحذقوا الكتابة، ويهيئ لهم سبيلها بكل ما يستطيع، ففي مكة المكرمة اتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم مدرسة للمسلمين، ومركزا ثقافيا يلتقي فيه بأصحابه، ويعلمهم مبادئ الإسلام، ويأمرهم بكتابة ما نزل عليه من القرآن، وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة يقيم مسجده مكانا للعبادة، ودارا للقضاء، وساحة للجنود ومركزا للتعليم، تدرس فيه أسس الإسلام وأحكامه وأهدافه، وفي غزوة بدر أسر المسلمون ستين مشركا فطلب رسول الله ﷺ أن يفتدوا أنفسهم بتعليم أصحابه القراءة والكتابة، وجعل فداء الأسير تعليم عشرة من أصحابه.

وكان له ﷺ كتاب يكتبون الوحي، منهم الأربعة الخلفاء ومعاوية، وخالد بن الوليد، وزيد بن ثابت وغيرهم، وعلى يد هذه الصفوة المختارة من صحابته عليه الصلاة والسلام تتلمذ المسلمون الذين جاءوا من بعدهم، فدرسوا كل علم، واقتنوا كل فن، وانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها يعلمون ويؤلفون ويبتكرون، وكانوا رسل الحضارة وأساتذة الدنيا.

إن العلم خير من المال، خير من كل الثروات، خير من كل ما في الأرض، وطالب العلم إذا حسنت نيته، وظهرت استقامته مجاهد في سبيل الله تعالى.

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ أمر زيد بن ثابت بتعلم اللغة السريانية، قال زيد: فتعلمت له كتابة يهودية بالسريانية، وقال. «إني والله ما آمن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يهود على كتابي» قال زيد: فوالله ما مر بي نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكتبت له إليهم وقرأت له كتبهم إليه.

إن التعلم والتعليم روح الإسلام، وسر بنائه، وسياج وجوده ومناط عزته وكرامته، وإن أسلافنا الأماجد سبقوا في مضمار العلوم والمعارف بدافع من دينهم، وحافز من كتابهم، فمن الكتابة على الرق وهو جلد رقيق، والكتابة في اللخاف وهي حجارة بيض رقاق، والكتابة في سعف النخل وهي الجريد الذي لا خوص عليه، ومن المسجد والكتاب ملأوا الدنيا علما وفنا واختراعا، وبرهن طالب العلم المسلم على حماسة منقطعة النظير في طلب العلم، فذلل العقبات التي قامت في طريقه، وتغلب على الصعوبات التي اعترضته، ولم يكن الطريق إلى طلب العلم في هذه العصور ممهدا، ولا كانت الحياة ميسرة، ولكن الطالب المؤمن لا يكترث بالشوك، ولا يبالي بالمخاطر، هذا أبوالدرداء رضي الله عنه يقول «لو أعيتنى آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفسرها لي إلا رجل ببرك الغماد - أقصى مكان في اليمن - لرحلت اليه»، وهذا الامام الشافعي رحمه الله يتحدث عن حياته في طلب العلم فيقول: كنت يتيما في حجر أمي، ولم يكن لي مال، وكان المعلم يرضى من أمي أن أخلفه اذا قام فلما جمعت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث، وكنت أكتب في العظم فإذا كثر طرحته في الجرة.

بهذه الروح الجادة، وبهذه الرغبة القوية، طلب أسلافنا العلم، وأقبلوا عليه لا طلبا للمال ولا رغبة في الجاه، ولكن إرضاء لله واعلاء لدينه.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اعرفوا أعداءكم

العدد (١٠٢) جمادى الآخرة (١٣٩٣هـ) - يوليو (١٩٧٣م)

قال اللّه عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ (الصف: ٨)، يريدون ليطفئوا نور الله، هذه إرادة أعداء الله في كل عصر وهذا دورهم في كل زمان وهذا مدار تفكيرهم وتدبيرهم في زمن الرسول ﷺ وبعد زمن الرسول وفي أيامنا هذه كل همهم أن يطفئوا نور الله لأنهم لا يطيقون أن يروا هذا النور يشع في كل أفق، ولا يطيقون أن يسمعوا لا إله إلا الله تدوي في كل أذن، ولا يطيقون للإسلام ظلا يمتد، ولا لأهله قوة تحميهم، ولا لكتابه سلطانا عليهم ولا لدولتهم علما مرفوعا، وصوتا مسموعا، وكلمة نافذة، لا يطيقون أن يروا ذلك لأنهم أعداء الله وأعداء الحق وأعداء الإسلام وأعداء الإنسانية، ولأنهم كما يقول الله تبارك وتعالى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: ١١٨)، ولأنهم يعلمون أن قوتنا تنبع من ديننا وهو أبغض شيء إليهم، فهم يحاولون أن يشككونا فيه، وأن يبغضوه إلينا، وأن يوهنوا ما بيننا وبينه من العروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم، ويعلمون أن كتابنا فيه سر سعادتنا وعزنا إذا اهتدينا بنوره فلا نضل، وإذا اعتصمنا بحبله فلا نذل، وإذا تزودنا منه كفانا وأغنانا وهدانا إلى الصراط المستقيم فهم يحاولون أن يزهدونا فيه، وأن يعزلونا عنه لأنه في قلوبنا نور وفي صدورهم لظى.

ويعلمون أن أرضنا خير بقاع الأرض وأجمل بلاد الدنيا، وأشرف مكان في الأرض، فيها الكعبة التي تتجه إليها القلوب، وفيها المسجد الأقصى الذي تشد إليه الرحال، إنها الأرض التي كلم الله فيها موسى، وأيد فيها عيسى، وأسرى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إليها بمحمد صلاة الله وسلامه على جميع رسله وأنبيائه، ولكن من الأسف والحزن أن المسجد الأقصى قد اغتصبه أعداء الإسلام والإنسانية اليهود بمساعدة الصليبيين والملحدين، إن أعداءنا يريدون أن يمزقوا التاريخ المكتوب، يريدون أن يدنسوا الأرض الطاهرة، يريدون أن يجعلوا من أرضنا دولة يسكنها القتلة السفاحون بجوار الأنبياء الذين قتلوهم بغير حق.

نعم يريدون ذلك وأكثر من ذلك، يريدونك أنت إلا تقوم لك قائمة، يريدون لك حياة أشبه بالموت، يريدون أن تعيش محروما من نعمتك، مطرودا من أرضك، منبوذا حتى من نفسك، يريدون أن تعيش بلا دين، ولا وطن، ولا أهل، ولا مال، ولا أمل، ولا تاريخ، ولا حضارة، يريدون أن يحرموك من نعمة الإيمان بالله تعالى ونعمة الإسلام التي هي أجل النعم، تستند على العقيدة والدين، لا على التراب والطين.

إن من ضيق النظر وسذاجة التفكير أن نعتقد أن دولة العصابات وحدها هي التي هاجمتنا، فهي أهون من ذلك بكثير، فليست إلا ذنب العقرب الذي أودعوا فيه السم، وليست إلا القناع البشع الذي واجهنا به الشيطان، وليست إلا الدخان الأسود الذي دفعته نار الحقد علينا، وليست إلا الزبد القذر الذي دفعه تيار العداوة والبغضاء على سواحلنا.

وسيأتي إن شاء الله اليوم الذي يختاره الله لنبتر فيه الذنب ويسقط فيه القناع ويتبدد فيه الدخان ويذهب فيه الزبد.

إن العدو الأكبر هو الذي أمد دولة العصيان بالمال وأعانها بالرجال، وأعد لها الخطط، وجعل منها ترسانة مملوءة بأحدث الأسلحة.. العدو الأكبر هو الذي أعطاهم الغطاء الجوي وقنابل النابالم وصواريخ الجو وأسرارنا العسكرية.

العدو الأكبر هو الذي خدعنا بالحيلة وأمدهم بالمخابرات.. العدو الأكبر هو الذي وقف إلى جانبهم بكل قواه بالعتاد الحربي وأجهزة الإعلام، يجب أن تعرف أعداءك الذين أخرجوك من ديارك وظاهروا على إخراجك.. أعداؤك هم أعداء الله الذين حذرنا الله منهم ونهانا عنهم، أعداؤكم هم أعداء الإسلام وتجار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحروب وسماسرة الشر وزارعو هذه الفتنة في بلادنا، أعداؤكم هم أعداء الحق وقراصنة العالم الذين سرقوا أوطانكم لتسكن فيها الخنازير واغتصبوا دياركم لتسرح فيها القردة وأخذوا أموالكم ليزيدوا غنى ونزيد فقرا، ليزيدوا عتوا ونزيد ذلا، ليزيدوا رخاء وقوة ونزحف على الركب من الهزال.

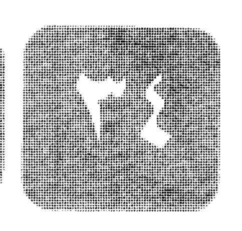
فما ترون بعد ذلك يا مسلمون يا عرب.. المسجد الأقصى اغتصبوه وإخوانكم في الأرض المحتلة يحكمهم الشياطين، يذيقونهم سوء العذاب، ومآذن مساجدنا يطل منها البوم من شذاذ الأفاق الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وماذا بعد العزة إلا الهوان؟.

هل ستسلمون بذلك يا أتباع محمد؟ هل ستصبرون على ذلك يا أحفاد خالد؟ هل ستقفون عند هذا الحد يا خلفاء الله ويا حفظة كتاب الله ويا حملة لا إله إلا الله أم ماذا تنتظرون؟ لقد جرت سنة الله تعالى في الكون من قبل رسول الله ومن بعده أن يمنح النصر لمن يتخذ أسبابه من الاستعداد والإعداد ويعمل له حسابه من جميع الوجوه والاحتمالات ولا يترك فرصة لعدوه يعض بعدها بنان الندم.

ومهما كانت أسباب الهزيمة فقد انكشفت لنا حقائق كانت غائبة عنا وأمور كانت لا تخطر لنا ببال ومنافقون مردوا على النفاق لا نعلمهم وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠).

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

الشيخ د. محمد أبو زهرة

❑ ترجمة الشيخ.

❑ المقالات:

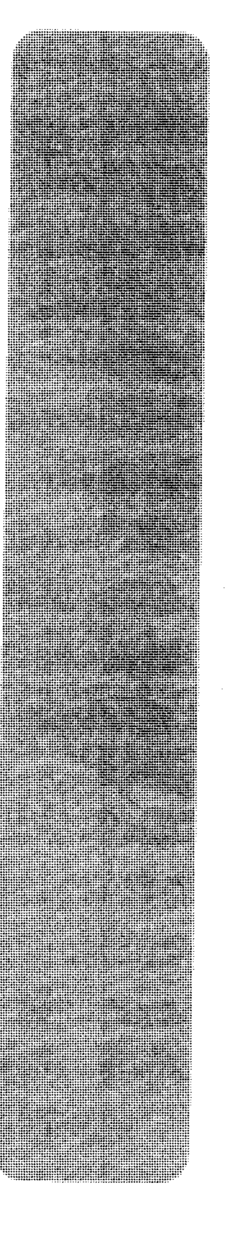
١- زكاة الأسهم.

العدد (٦٤) ربيع الثاني (١٣٩٠هـ) - يونيو (١٩٧٠م).

٢- الطلاق .

العدد (٨٧) ربيع الأول (١٣٩٢هـ) - إبريل (١٩٧٢م).





https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ

د. محمد أبو زهرة

● **مولده ونشأته**

هو محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبى زهرة، ولد في المحلة الكبرى عام ١٣١٥هـ - ١٨٩٨م.



درس القرآن في إحدى كتاتيب حفظ القرآن. ثم انتقل إلى المسجد الأحمدي بطنطا لاستكمال تعليمه وبعد ثلاث سنوات في المسجد الأحمدي انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٦م حيث درس فيها ثمان سنوات ثم تخرج سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤م وحصل على عالمية القضاء الشرعى ثم اتجه إلى دار العلوم ليتمكن من معادلتها سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م

تدرج في الوظائف من مدرس للعربية في المدارس الثانوية إلى التدريس فن الخطابة في كلية أصول الدين ثم كلية الحقوق. بعدها بدأ بتدريس الشريعة الإسلامية وتدرج في كلية الحقوق من رئاسة قسم الشريعة الإسلامية ثم منصب الوكالة حتى أحيل للتقاعد سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

اختير عضوا في مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م بعد صدور قانون الازهر.

له آثار علمية عديدة تربو على ٣٠ كتاباً، منها:

«تاريخ المذاهب الإسلامية، العقوبه في الفقه الإسلامي، الجريمة في الفقه الإسلامي، علم أصول الفقه، محاضرات في النصرانية، زهرة التفاسير، مقارنة الأديان».

● **وفاته**

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م. رحمه الله رحمة واسعة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفتاوى

زكاة الأسهم

العدد (٦٤) ربيع الثاني (١٣٩٠هـ) - يونيو (١٩٧٠م).

● السؤال:

بعض الناس يشتري أسهماً (مدخرات) وينتفع بعائدها، وبعضهم يشتري أسهماً للتجارة، فكيف يزكي كل منهما الأسهم التي يمتلكها؟

وقد تفضل بالإجابة على هذا فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة:

إن أسهم الشركات لم تكن في الماضي معروفة بالصورة التي عليها في الحاضر، وإن كان معناها له أصل فقهي.

ولذلك ما نبديه من رأي ليس مأخوذاً من آراء الفقهاء بالنص، ولكنه مستنبط من تطبيق القواعد الفقهية، أو ما يسمى في عرف علماء الأصول بتحقيق المناط.

لقد قرر الفقهاء أن الزكاة تجب في المال النامي، ويقولون سببها مال نام بالقوة، وبتطبيق هذه القاعدة على الشركات نجد أن الزكاة واجبة فيها لأنها أموال نامية بالفعل.. ولكن كيف تجب الزكاة: أتجب بنسبة من رأس المال، إذا حال عليه الحول، أم تجب بنسبة من الغلات التي تخرج كل عام؟

نجد أن النبي ﷺ، أخذ الزكاة من الأموال المنقولة بربع العشر من رأس المال، فعشرون مثقالاً يجب فيها ربع العشر وهو نصف دينار.

والأموال الثابتة وهي الأرض الزراعية والأشجار، تجب الزكاة في غلاتها، وهي الزروع والثمار، يجب العشر إن سقيت بغير آلة، ونصف العشر إن سقيت بآلة، ولما كانت الشركات أشبه بالمال الثابت.. رأينا أن تكون الزكاة في غلاتها بعشر الصافي بعد كل النفقات، فمن يقتني أسهماً، ليأخذ غلاتها عليه عشر ما يؤول إليه بعد الضرائب المستحقة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإذا كان يتجر فيها بالبيع والشراء، فإن الأسهم ذاتها تكون سلعة تباع وتشترى، وتجري فيها زكاة عروض التجارة، فتكون زكاتها بربع العشر في قيمتها بعد حولان الحول، وهذا هو حكم الحال الثانية.

هذا ما انتهى إليه رأيي، فإن كان حقاً فمن توفيق الله، وإن كان خطأ فالله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطـلاق

العدد (٨٧) ربيع الأول (١٣٩٢هـ) - إبريل (١٩٧٢م).

١ - ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ (آل عمران: ٨).

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ (إبراهيم: ٣٨).

ربنا اجعلنا من الذين قلت فيهم: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ (الحج: ٢٤)

ربنا اجعلنا من الذين يستمعون إلى كتابك الخالد من غير تحريف للقول عن مواضعه، واجعلنا من الذين يدعون إليك سبحانك، وممن ينطبق عليه قولك الحكيم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت: ٣٣- ٣٥).

أما بعد، فقد قرأت في العدد الخامس بعد الثمانين من مجلة «الوعي الإسلامي» التي أعرف أنها لا تنشر إلا ما يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه، قرأت في هذا العدد مقالا مسهبا لأستاذنا علي الخفيف، قد كتب بعبارات إنسانية واضحة، تنتهي إلى ضرورة أن يكون الطلاق بعد التحاكم أمام القاضي، وأن من يطلق من غير تحكيم للقضاء يعاقب بالسجن والغرامة، وقد ساق المبررات لذلك في نظره.

وكنت أود مع إخواني أن يبدي هذه المقدمات التي ساقها أمام لجنة الأحوال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشخصية التي قدمت مشروعها سنة ١٩٦٢، وكان من أبرز أعضائها، لكي يجنبها الخطأ الذي وقعت فيه وهو منع أن تقع عقوبة على المطلق، ولقد قررت ذلك بالإجماع، ولم يعترض الأستاذ على منع عرض أمر الطلاق على القضاء إلا أن يكون بطلب المرأة مما نص عليه القانون، فهو قد وافق مع الموافقين ولم يخالف.

وكنت أود أن يقدم ذلك البيان البليغ لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ليهدي المجتمعين إلى ما يراه الحق المبين، ولكنه لم يقدم، ووافق على ما رآه أعضاء المؤتمر بالإجماع، وهو منع وجود عقوبة على المطلق وعدم الحاجة إلى أن يكون تحكيم في مجلس القضاء.

ولا ندري لماذا لم يقدم ذلك البيان البليغ في الحالين، ولماذا وافق مع المجتمعين، لما كان معهم، ولما انفرد عنهم رأى ما رأى، والرجوع إلى الحق في زعمه خير من التمادي في الباطل، وسبحان مقلب القلوب.

٢- **وإذا كان أستاذنا لم يقدم ذلك البحث المزين بأحسن الألفاظ في وقت الحاجة إليه**، ووافق على ما اجتمع عليه إخوانه، فكان معهم فإنا لا نسأل لماذا غير ما أجمع عليه مع إخوانه، ولكن ندرس البحث في ذاته من غير نظر إلى ما أحاط به ولا إلى وقت تقديمه، وإن كان مؤخرا عن وجوب تقديم، ولا نلتفت إلى ما سبق، فسبحان الذي لا يتغير ولا يتبدل، ولا يجرى عليه البداء بأن يبدو له ما لم يكن في اعتباره. ونلاحظ ابتداء على بحثه أنه أحيانا يقتطع الآيات عما سبقها، وأحيانا يقتطعها عما وليها، فمثلا يقول: قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

والإشارة في تلك إلى حدود الله السابقة، فلم لا يذكرها؟ أليوهم أنها ما يراه هو حدا من حدود الله؟.

ولنتم له الآيات بذكر ما قطعه مما قبلها، حتى صرنا لا نفهم لفظ الإشارة في ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٢٩)، يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ (البقرة: ٢٢٨- ٢٢٩).

انظر، قد قطع لفظ الإشارة عن المشار إليه، فلم تكن الحدود أن تكون ثمة رقابة من القضاء، ولكن كانت الحدود لمدة الطلاق، وحق المطلق في الرجعة وجوازها عند إرادة الإصلاح والفدية في التفريق إن خيف ألا يقيما حدود الله، هذه هي الحدود وليس منها وضع الطلاق تحت رقابة القضاء.

وقد ذكر بعض هذه الآيات في مقام آخر ليوهم فيه شيخنا مساواة الرجل بالمرأة إلا في حق القوامة عليها، وهي: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ والآية لو تأملها شيخنا لوجد أنها لا تتعرض لمساواة المرأة بالرجل، بل هي تدل على تساوي حقوقها مع الواجبات عليها، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ أي لهن من الحقوق مثل الذي عليهن من واجبات بدليل التعدية في الأول باللام، التي تفيد الملك، والثاني بعلى التي تفيد الإلزام، ولا نحسب أن ذلك كان يخفى على شيخنا صاحب ذلك البحث البليغ لو تأمله، ولكنه نظر إليه نظرة عابرة، وظنه يفيد مساواة الرجل بالمرأة، وأن ذلك مبدأ خلقي وشرعي فلا واجب إلا وفي مقابله حق، فإذا كانت المرأة عليها تربية ولدها فإنه يقابله حق الحضانة.

والحقوق الشرعية، كما يعلم الشيخ، هي للتمكن من أداء الواجبات الشرعية، والشيخ، حفظه الله تعالى، يقتطع الآية عما يليها، ومن ذلك أنه يستشهد في الإصلاح، وقد نقل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ (النساء: ١٢٨) وأكتفي بهذا القدر، وما بعده يوضح المعنى أكثر، ولكنه يريد الوقوف عند ذلك، وفيما بعده بيان أن شح النفوس محضر، وأن العدل النفسي غير ممكن، وأنه إذا حضر شح النفس بدل السماحة، والظلم بدل العدل فالتفرق واجب، ولنقرأ الآية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كاملة، لا كما اقتطعها شيخنا، حفظه الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾﴾ (النساء: ١٢٨- ١٣٠)، ترك الشيخ حفظه الله تعالى ذلك الجزء الأخير من الآية، ولا أدري لماذا أهمله ولم يذكره، لعله لا يريد أن يغضب أحدًا بذكره، ولعله لا يريد أن يذكر أن في القرآن استحسانا للطلاق ولو في بعض الأحوال.

٣- **ولقد استشهد الشيخ، حفظه الله، بأن عمر** رضي الله عنه لما رأى الناس يكثرون من الطلاق بلفظ الثلاث أو يكررونه في العدة جعله ثلاثًا، فقال: روى ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الناس تتابعوا في الطلاق، وتعجلوا، فتجاوزوا حدود الله تعالى فيه، وطلق بعضهم مرتين وثلاثا في عدة واحدة أو بلفظ واحد، وكثر ذلك منهم، ظنا منهم فيما أن الطلاق تصرف وُكِّل لهم أن يستعملوه كما أرادوا، فيكون طلاقا معتبرا في وقوعه، وفي عدده، فلما رأى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عده خروجا عن حدود الله، وعصيانا لما شرع الله، فاستشار الصحابة، وقال إن الناس قد استعجلوا في أمر لهم كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم، فلما وافقوا أمضاه عليهم.

ولنا تعليق على هذا الخبر عن عمر رضي الله عنه من وجوه:

أولها: أن الذي استكثره عمر رضي الله عنه أنهم طلقوا أكثر من مرة في العدة، ولم يذكر أنهم طلقوا ثلاثا بلفظ الثلاث (راجع كتاب الطلاق للمرحوم الشيخ شاكر، وإعلام الموقعين).

ثانيا: أنه زاد في الخبر انه استشار الصحابة ووافقوه، وظاهره أن الموافقة كانت بالقول، والخبر، كما جاء في صحيح مسلم، ليس فيه استشارة ولا موافقة صريحة وإنما الأمر كما جاء في فتح القدير أنهم سكتوا، ولم يعترضوا فعد ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إجماعا، لأن السكوت في موضع الحاجة إلى البيان بيان، وفي الإجماع السكوتي كلام، وأنكره الشافعي وفيه كلام طويل (راجع الإحكام في أصول الأحكام للآمدي).

ثالثا: أن عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه لم يقل مع كثرة الطلاق أن يكون بتحكيم بين يدي القاضي، فيكون طلب الشيخ أن يكون بتحكيم القاضي بدعة، وهو تقليد للنصارى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعا: أنه ادعى أن عمر فعل ما فعل للمصلحة.

وإذا كان الثلاث مصلحة في نظر الشيخ فهو يأتي على أصل دعواه بالنقض، لأنه إذا كان الطلاق لا مصلحة فيه عند التهور، فإن توكيده يجعل الثلاث تمضي إيغالا في البعد عن المصلحة، فكيف يسمي ذلك مصلحة، ولكنه سماه مصلحة لغاية في نفسه، والله عليم بذات الصدور.

خامسا: أن عمر ﷺ لم يجد نصا قاطعا في منع قوله، ولو كان هناك نص قاطع في رد قوله ما وافق عليه أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا الفقهاء أصحاب المذاهب.

٤- **وإن الشيخ ينتهي من بحثه الذي سماه علاجا لحال الطلاق الذي ادعى الإسراف فيه إلى أن الطلاق يكون بعد التحكيم أمام القاضي**، وأحسب أن ذلك داء لا علاج، وهو اتباع للكنيسة لا للقرآن، وللأهواء والشهوات، وليس محاربة للأهواء والشهوات.

يقول الشيخ: «يكون العلاج بوضع تشريع يوجب على الزوجين إذا ما أريد الطلاق الرجوع إلى القاضي، ليقوم بينهما بما أمر الله في كتابه من محاولة الصلح بينهما، وإزالة أسباب الخلاف بالحكمة والموعظة الحسنة، حرصا على بقاء الأسرة، ومحافظة على ما ترتبط به المودة... وإذا أقدم الزوج على التطليق قبل أن يتمكن القاضي من الصلح عوقب لمخالفته ولي الأمر فيما أصدره من قانون ملزم وليس في عقاب من خالف ولي الأمر مخالفة لشرع الله، فإن أمره واجب الطاعة...».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذا ما قاله فضيلة الأستاذ، وهو متناقض مع ما سبق من قوله من أن الطلاق بيد الزوج، وأن الله تعالى أعطاه ذلك الحق، إذ هو يوجب في قانونه المحترم، أن يذهب الزوجان، ومقتضى كلامه إذا ذهب الزوج وحده لا يلتفت إليه، قد يقول إذا ذهب الزوج وحده دعيت الأخرى، ويحاول القاضي الصلح بينهما. وبقي أمر آخر لم يذكره، إن عجز القاضي عن الصلح، وإعادة المودة، ورأى الزوج أن يطلق، أيمنع من الطلاق ويجبر على الصلح إجبارا؟

وإذا امتنعت هي عن الصلح، وطلق الزوج، أيعاقب أيضا؟ إن قوله هذا تفكير غريب، وإذا كان قانونًا مقترحًا، فهو أغرب.

وإذا كان لدى الزوج أسباب مبررة للطلاق كريبة ارتيابها، أو خروج عن جادة الزوجية الصالحة، أو كانت النفرة المستحكمة التي لا يستطيع القضاء أن يجعل منها الصفاء محل الخصام وطلق الرجل في هذه الحال، أيعاقب، والله يقول: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ (النساء: ١٣٠).

الله يقول ذلك، وقانون الشيخ يقول: بل تبقى الزوجة على دخن، ويكون الكفر في الإسلام، ثم ألا يفصل القاضي إذا تقدم الزوج بأسباب يراها مبررة للطلاق، وألا يكون ذلك عدلا، لئن قال الشيخ ذلك فإنه يكون متناقضا مع نفسه لأنه يمنع أن يكون الطلاق بحكم من القاضي فيقول قبل ذلك لأنه منع التعزير على الطلاق بقوله: بل قد يرى بحق أنها (أي الطلاق) معصية تستوجب تعزير من يقدم عليها، غير أن ذلك قد يكون من الناحية العملية مؤديا إلى ضرر، من المصلحة تجنبه، وهو إشاعة أسرار الأسر، وخفايا البيوت وما قد يتصل بذلك من اختلاق الأسباب وافتراء الكذب، وإشاعة الفحشاء، والعيوب، وغير ذلك مما ينبني عليه طلب الطلاق، وذلك ما يدعو إلى تفاقم النزاع واشتداد البغضاء.. وهكذا نرى أن الشيخ يهدم بيد ما يبنيه باليد الأخرى.

إنه يوجب رفع الأمر إلى القاضي، والقاضي يفصل في الخصومات، ولكن، أيريد مشروعه أن يقتصر على محاولة الإصلاح فقط، ولا ينظر ما لدى الرجل من أسباب للطلاق؟ وقد جاء الأمر إليه، وإلا لا يكون قاضيا جالسا في مجلس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القضاء، وإن نظر ألا يكون في ذلك ما حاول الشيخ أن يتوقاه، أم أنه يجعل مهمته فقط محاولة الصلح؟ وهل يستطيع أن يمنع الزوج مما يراه مبررا للطلاق، وألا يكون أولى من القاضي حينئذ محكمون، أو الموثق الشرعي، اللهم إن هذا لفكر لا جدوى فيه، إلا أن يكون استدراجًا للشيخ ومن معه إلى ألا يكون الطلاق إلا بحكم القاضي كالنصارى.

وكان غريبا أن يقول شيخنا إن العقوبة بالغرامة أو الحبس ليست لأجل الطلاق، إنما هي لمخالفة ولي الأمر.

وقد وجدنا ذلك الكلام يجري على ألسنة كل من لف لفه من أعضاء لجنة وزارة الشؤون الاجتماعية، وإنا نسأله هو ومن معه: لم وضع ولي الأمر هذه العقوبة؟ أليست على الطلاق من غير عرض الأمر على القضاء؟ وحينئذ يكون وضع العقوبة على الطلاق ابتداء، وإن العقوبة على الطلاق تكون مصادمة للنصوص القرآنية، وما أقر الصحابة أنه حلال عند الحاجة النفسية إليه، وتقدير الحاجة نفسي للمطلق لا ينظر أمام القاضي، وخفايا النفوس لا يمكن القضاء أن يتعرفها.

الله تعالى يقول: ﴿تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ﴾ (البقرة: ٢٣٦)، ويقول تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ (الطلاق: ١)، يقول الله تعالى ذلك، ويقول ولي الأمر باقتراح الشيخ من طلق من غير محاولة صلح عندي أغرمه أو أسجنه، ألا يكون ذلك معصية، ولو كانت باقتراح الشيخ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟

إن من الإنصاف أن نقول: إن الشيخ قال في بعض الصحف السيارة: إنه يجوز لولي الأمر أن يقيد المباحات، وأنه يبني على هذا القول أنه يجوز له أن يقيد الطلاق بأن يكون بعد محاولة الصلح أمام القضاء، ونقول الحق في هذا القول: إن المباحات قسمان، مباحات بالنص، كالطلاق وتعدد الزوجات وغير ذلك من المباحات التي جاءت بها النصوص المحللة، وهذه لا يصح منعها، ولا تقييدها، وإن من يحاول منعها ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ .. (النحل: ١١٦) وينطبق عليها قول الله تعالى ناهيا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (المائدة: ٨٧)، وقد عاتب الله تعالى نبيه عندما حرم زوجاته على نفسه، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ (التحريم: ١).

هذا هو القسم الأول، ومن حرمه، إنما يحرم ما أحل الله، فلا يجوز لشيخ ولا ولي أمر أن يحرمه.

والقسم الثاني ما كان مباحا بأصل الإباحة، وبمقتضى أن الله تعالى خلق لنا كل شيء كالمرور في الطرقات فإن ولي الأمر ينظمه بقيود يقيدها، بحيث لا يصل الأمر إلى درجة التحريم، فليس لأحد أن يحل أو يحرم.

٥- هل كثر الطلاق المفرق للأسرة؟

أكثر الشيخ حفظه الله من ذكر أن الناس يتسرعون في الطلاق، فيطلقون تحت تـأثير غضب جامح، أو فكرة عارضة من غير تدبر ولا تفكير ولا مراجعة للنفس، وأن علاج ذلك يكون بأن يكون بين القاضي مصالحا، أو حاكما، والأولى ستجر إلى الثانية لا محالة.

وذلك تقليد مسيحي، فهل الشرع الإسلامي لم يعالج ذلك، وهل المشروعات التي وافق على بعضها الشيخ موافقة تامة لم تعالج ذلك.

إن الشرع الإسلامي بنصوص القرآن وسنة النبي ﷺ عالج ذلك فجعل الطلاق كله يكون رجعيا، وأزواجهن أحق بردهن في العدة، كما قال الله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، فإن كانت الطلقة الرجعية جاءت تحت تأثير حال عارضة، فهي إنذار، والفرصة قائمة وإن عرض ما جعله يطلق مرة أخرى فهي أيضا رجعية، وهي نذير شديد الإنذار إذ يستمع فيه إلى قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

فإن لم تجد النذر كانت عقوبة الله تعالى لا عقوبة ولي الأمر التي لا يملكها ويريد الشيخ أن يملكها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ (البقرة: ٢٣٠)،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهي تجربة نفسية عنيفة لخطأ نفس متكرر، فعيوب النفس تعالج بالنفس لا بالقضاء، والقضاء لا يعالج النفوس.

والقرآن أشار إلى أن الطلاق لا يكون في الحيض، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ (الطلاق: ١)، أي مستقبلات عدتهن وهن الحيض.

والفقهاء قرروا أن الطلاق إذا كان في الحيض، أو طهر دخل بها فيه يكون بدعيا، فالقرآن والسنة، والفقهاء بهديهما عالجوا خطأ النفس بالنفس، لا بالقضاء، لأنه يؤرث العداوات على أني سائل قضاة الأحوال الشخصية - وقد شغل فضيلة الشيخ ذلك المنصب أمدا - هل كانوا يعملون على الصلح في قضايا النفقات والحضانة وغيرها مما يعرض أمام المحاكم الشرعية ونص القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١، ولائحة المحاكم الشرعية، قبل أن يدخلها التعديل بهذا القانون كان يدعو إلى الصلح قبل أن يسير في القضية، إبقاء على المودة بين الزوجين، حتى لا تمزقها الخصومات، فهل حاول القضاء ذلك؟ وهل دون في محاضره هذا؟ فلماذا تحمل الآن القضاء ذلك الأمر؟ وهو لم يفعل ذلك من قبل إذ طلب، لأنه حسب نفسه للفصل لا للصلح.

وأنا سائل الشيخ عن أنواع الطلاق الآتية، أتكون العقوبة مقررة فيها؟

أ - وقوع الفرقة بالإيلاء بمقتضى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ (البقرة: ٢٢٦-٢٢٧)، ماذا تقول؟ أيعاقب الحالف الذي تربص أربعة أشهر ولم يأت امرأته فيها ووقع الطلاق نتيجة لذلك؟ فإن كان يعاقب، فإنه يعاقب على حكم الله بالطلاق، إذ لم يطلق، وفوق ذلك فالعقاب مصادمة لحكم الله تعالى، وإجبار على أمر لا يستطيعه، وهو الدخول.

وإن كنتم لا تعاقبون فقد هدمتم ما بنيتم، إذ يلجأ الناس عند المباغضة إلى الإيلاء.

ب - إذا فوض الرجل إلى المرأة أمر طلاقها، فطلقت نفسها، أيعاقب الزوج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أم تعاقب الزوجة أم يعاقبان، هو على تفويضه، وهي على إيقاع الطلاق؟ ولا أحسب أن السيدة الدكتورة وزيرة الشؤون الاجتماعية تعاقب الزوجة لأنها لا تلقي تبعته على امرأة، بل تلقيها على الرجل.

جـ- إذا افتدت المرأة نفسها من عشرة لا تطيقها، ودفعت مالا أو أبرأت عملا بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٢٩) إذا كان ذلك كذلك، وكان الطلاق بالخلع أتكون عقوبة؟ وعلى أيهما أعلى الزوج أم على الزوجة؟ لأنها التي حملته على ذلك حملا، أم عليهما؟ ولا أحسب أن السيدة وزيرة الشؤون الاجتماعية ترضى بتحميل المرأة تبعة.

إني أحسب أن الذين وضعوا المشروع الذي يدافع عنه الشيخ أو يحاول تبريره لم يفكروا في الأمر من كل نواحيه، ولو تدبروا فيه من كل وجوهه لرجونا أن يعدلوا، ولاهتدوا إلى سواء السبيل.

إن الأمر لا يقف عند تحكيم القاضي، بل سيكون منع الطلاق إلا بإذن القاضي، وإنهم يستدرجون الشيوخ إلى ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إنهم يريدون أن تكون الأسرة الإسلامية محكومة بحكم الكنيسة لا بحكم الإسلام، تقليدا وليس حماية للمرأة، بل المرأة في حماية الله، وهو الرؤوف الرحيم.

ولكن لماذا يتهجمون بهذه البدع التي لم يكن لها نظير في الإسلام، ويتحملون تبعة ذلك الابتداع في شرعنا، بل في ديننا؟

قالوا: إن الطلاق المفرق للأسرة قد كثر، وإن تشتيت الأولاد قد عم، وإن الطلاق هو الذي يسبب ذلك، وإن المصلحة تقتضي وضع قيود مانعة من الاندفاع فيه، ذلك قولهم بأفواههم والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

ولنناقش هذا الذي ادعوه:

إن وقائع الطلاق في مصر أقل من وقائع الطلاق في أمريكا، فقد بلغت نسبة وقائع الطلاق في أمريكا، وهو بيد القاضي نحو ٤٨ في المائة من وقائع الزواج، وقريب من ذلك في البلاد التي أباحت توثيق الزواج غير الكنسي، إنه يكفي عندهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن تقول المرأة إنه لم يقبلها في الصباح كعادته في ابتداء الزواج حتى يطلق القاضي، هذا ما ترويه الصحف.

ونسبة وقائع الطلاق في مصر إلى الزواج، كما يدل على ذلك إحصاء ١٩٦٠ هي ٢٣ في المائة.

ونريد أن نقول إن الإحصائية تذكر عدد الطلاق بالنسبة للزواج، سواء أكان قبل الدخول أم بعده، وسواء كان الطلاق رجعيا أم كان بائنا، وسواء أكان بتراضي الزوجين أم بمجرد إرادة الرجل، إن الإحصائية لا تتعرض لذلك، إنما تحصي الوقائع إحصاء، ويجيء فلاسفة العصر المحاربون للشرع والموالون لغيره بتفكيرهم، فيقولون كل طلاق يخرب أسرة، ويفرق بين الأبوين، وهو قول من لم يمحص الحقائق، ولم يدرس الإحصاء.

ونحن، شهد الله، لا نتعصب لفكرة لم نفحص أدلتها، ولا نحارب فكرة من غير بينة من البرهان القاطع في بطلانها، ولكنا نفحص ما يعرض فحصا يليق بمن يدرس أمرا اجتماعيا خطيرا في مبناه ومغزاه.

٦- الإحصاء يدل على أن الطلاق لا يخرب أسرًا.

لقد قمنا بإحصاء سهله لنا بعض أبنائنا من موظفي المحكمة الشرعية بمصر القديمة سنة ١٩٥٦، ولقد دلنا الإحصاء على أن نسبة الطلاق بالنسبة للزواج تزيد على ٣٦ في المائة، وهي تزيد على النسبة العامة في مصر، إذا إنها حول ٢٣ في المائة في عمومها.

وذلك لأسباب اجتماعية اقتصادية، خاصة بمصر القديمة، لأنها مرسى السفن التي تجيء من الوجه القبلي، وفي بولاق، لأنها مرسى السفن التي تجيء من الوجه البحري، والملاحون والحملة في السفن يتزوجون، وعند الرحيل يطلقون.

ومهما يكن السبب، فقد درسنا حال الطلاق الكبير في نسبته في مصر القديمة سنة ١٩٥٦ أيخرب الأسر أم لا يمسها بسوء؟

لقد وجدنا عدد الزواج يصل بالإحصاء إلى ١٦٨٦ (ستة وثمانين وستمائة وألف) عدا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ووقائع الطلاق عددها ٦٠٥ (خمس وستمائة).

ولاشك أن الطلاق الذي يخرب الأسرة، ويفرق بين الأولاد يجب أن يكون بعد الدخول وألا تكون رجعة بين الزوجين، كما شرع الله تعالى، وألا تستأنف الحياة الزوجية بعقد بين اثنين وقع الطلاق بينهما ولم يتراجعا في العدة، وألا يكون بالتراضي بين الزوجين.

ولنحكم الإحصاء في ذلك، بأن نتعرف عدد الطلاق قبل الدخول ونسقطه من وقائع الطلاق، لأنه طلاق في موضعه، إذ هو منع لحياة زوجية غير صالحة للبقاء، فهو وقاية من حياة زوجية فاسدة.

ولنتعرف عدد الرجعات، فإنه عند الرجعة لا تنفصم العلاقة الزوجية، ولا تفرق في الأسرة، ولا يحتار الأولاد بين أبوين منفصلين.

وكذلك الأمر بالنسبة لتجديد الزواج بين زوج ومطلقته، فإن الأسرة إذا كانت قد تقطعت ابتداء، فقد وصلت انتهاء، ولا تخريب ولا تشتيت في هذا الحال.

ويجب أن نسقط من العدد الطلاق برضا الزوجين، لأن الزواج بتراضيهما، فالطلاق بتراضيهما، وفي أكثر أحواله يكون بطلب المرأة إذا كرهت زوجها، كما كان في أمر النبي بالنسبة للمرأة التي قالت للرسول ﷺ : إني لا أشكو من زوجي خلقا ولا دينا، إني أكره الكفر في الإسلام، إني لا أطيقه بغضا، فأمره النبي أن يطلقها على أن ترد إليه حديقته التي كانت مهرها.

ولأن التراضي بين الزوجين يكون إذا خافا ألا يقيما حدود الله، فكان الافتداء، ولذلك ننزل من عدد الطلاق، الطلاق قبل الدخول، وعدده في سنة ١٩٥٦ بمحكمة مصر القديمة «٣٩»، وعدد الرجعات كان «٣٨» وعدد الزواج بعد الطلاق وانتهاء العدة «١٥٠» وعدد الطلاق بالإبراء أي برضا الزوجة وتقديمها مالا في سبيله «٤٠٤».

وبجمع هذه الأحوال يكون مجموعها (٣٩ + ٣٨+ ١٥٠+ ٤٠٤=٦٣١).

وإذا كان عدد الطلاق ٦٠٥، فإنه يزيد الذي يسقط عن أصل العدد بست وعشرين واقعة، وهي تكون من عدد الطلاق في السنة التي قبلها، ولم تدخل في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حساب سنة ١٩٥٦م.

وإن نتيجة هذا الإحصاء أنه بعد إسقاط الأعداد التي لا يمكن أن تكون تخريب أسرة، إذ يكون الطلاق الذي يخرب أو يظلم المرأة لا وجود له، وإن وجد فبنسبة لا تذكر في حساب يترتب عليه محاربة نظام مستمد من الإسلام، ولا مصلحة في هذه المحاربة، بل هي عبث في عبث، لا خير وراءه.

وإنه يجب أن يعرف أنه كان إحصاء قام به المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، قام به الأستاذ الدكتور عويس أثبت فيه أن الأولاد الذين لا يتربون في ظل أبويهم أكثر مما هم عندنا، ولكن حكوماتهم تقوم بالرعاية والتتبع.

لقد ثبت من إحصاء الدكتور عويس أن أسباب تخريب الأسرة في إنجلترا متعددة منها:

أ- الفراق الجسدي، وهو أكثر من عدد الطلاق عندنا.

ب- اتخاذ الخلائل، وهو أكثر من تعدد الزوجات.

جـ- الهجر الشديد، وهو عندنا يعالج، وإن كان أقل عددا.

د- إدمان الخمر، وهو عندنا لم يبلغ من الفحش درجة تقارب ما عندهم.

هـ- القمار المخرب، وهو عندنا محرم أولا، ولا يقارب ما عندهم، ولذلك كان الأولاد الذين لا يتربون في رعاية أبويهم مجتمعين أكثر مما عندنا، ولكن هناك رعاية للأحداث ليست عندنا كما قلنا، فالعيب في حكوماتنا لا في شعبنا، ولا في شرعنا وديننا.

٧- ومن الغريب أن تكون هذه الحملة الباطلة في الوقت الذي تحاول فيه الحكومات الكاثوليكية أن تتحلل من منع الطلاق، وقد صدر في إيطاليا موطن البطريق الأكبر للكاثوليك قانون يبيح الطلاق.

ولكن لا غرابة فإن عندنا نوعين من الناس يحاربون المبادئ الإسلامية في الأسرة:

أولهما نوع لا حريجة للدين في قلوبهم ولا يجدون حرجا في أنفسهم في تقليد الكنيسة فيما تقضي به، ولذلك يدعون إلى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

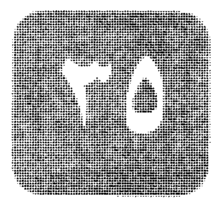
ويدعون باطلا من القول وزورا وبهتانا أن الطلاق يخرب الأسر، وليس شيء من ذلك إلا قليلا وما عند الأوروبيين أشد وبالا وأقبح مآلا.

ثانيهما طائفة من الناس يظنون أنفسهم أنصارا للمرأة وهم أعداؤها، يظنون أن جعل الطلاق بيد الزوج إهدار للمرأة.

ألا فليعلم هؤلاء أن الطلاق إذا شحت النفوس بالمودة يكون خيرا للمرأة، لأنه إذا لم يكن كان الاعتداء المتكرر عليها، وربما أدى إلى موتها، وأي سعادة مع رجل يبغضها وليعلموا أن كل تضييق في الأسرة يقلل الإقبال على الزواج فتعنس المرأة وتفسد أعصابها، أو تضع نفسها في موضع الافتراش المحرم، وأي مهانة للمرأة أكثر من هذا. فاتقوا الله بهؤلاء الذين رضوا بأن يكونوا إمعات طائعة لهولاء وأولئك، وليعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إنهما الوقاية من كل شر، اللهم اهدنا فيمن هديت، وبارك لنا فيما أعطيت، ويسر لنا من أمرنا عسرا، واهدنا إلى الرشاد.

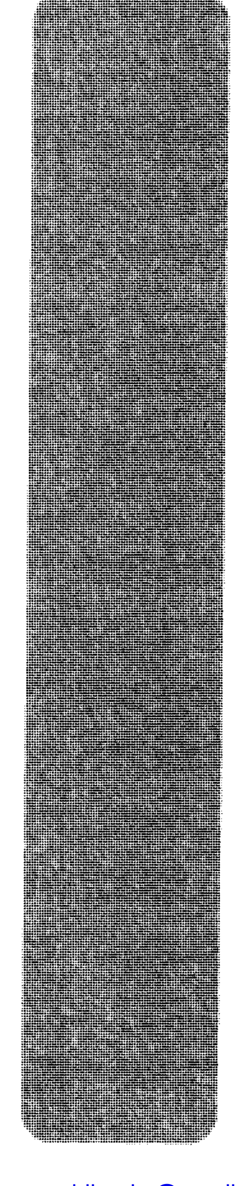
* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات

د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)



- ترجمة الدكتورة.
- المقالات:

١- رد وتعقيب: القرآن الكريم وحرية الإرادة

٢-عيدنا وعيدهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة

د. عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

● **مولدها ونشأتها**

وُلِدَت الكاتبة والباحثة والمفكرة والأستاذة الجامعية عائشة محمد عبد الرحمن، المكناة بـ«بنت الشاطئ» بتاريخ ٦/١١/١٩١٣م، في مدينة دمياط بشمال دلتا مصر، ببيت علم وأدب، فوالدها أحد علماء الأزهر، وقد تربت على يديه تربية إسلامية، فنهلت من جلسات الفقه والأدب.

● **تعليمها**

التحقت رحمها الله بالكتَّاب فحفظت القرآن الكريم، ثم التحقت بمدرسة اللوزي الأميرية للبنات، ثم حصلت على شهادة الكفاءة للمعلمات بترتيب الأولى، ثم حصلت على الشهادة الثانوية عام ١٩٣١م. ثم تخرجت من كلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس، ثم نالت شهادة الماجستير بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤١، وتزوجت خلال فترة دراستها الجامعية من الأستاذ الجامعي أمين الخولي، وأنجبت منه ثلاثة أبناء، ثم حصلت على شهادة الدكتوراه في النصوص بتقدير ممتاز عام ١٩٥٠م، حيث ناقش رسالتها الأديب طه حسين.

● **حياتها العملية**

عملت رحمها الله في عدة وظائف وتبوأت عدة مناصب مهمة، فعملت أستاذة للتفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب، وأستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس، كما عملت أستاذة زائرة لعدة جامعات كجامعة أم درمان، والخرطوم، والجزائر، وبيروت، وغيرها.

ودرَّست ما يقارب العشرين عاماً بكلية الشريعة في جامعة القرويين بالمغرب في وظيفة أستاذة للتفسير والدراسات العليا، وشغلت عضوية المجلس الأعلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للشؤون الإسلامية بمصر، والمجالس القومية المتخصصة، والمجلس الأعلى للثقافة، كما كانت أيضاً أحد أعضاء هيئة الترشيح لجوائز الدولة التقديرية بمصر.

● **إنتاجها الأدبي**

أنتجت رحمها الله إنتاجا أدبياً غزيراً ومتنوعاً مثل:

«التفسير البياني للقرآن الكريم، الإعجاز البياني للقرآن، وتراجم سيدات آل البيت النبوي، الإسرائيليات في الغزو الفكري، رسالة الغفران للمعري، والخنساء الشاعرة العربية الأولى، ومقدمة في المنهج، وقيم جديدة للأدب العربي، المرأة المسلمة، ورابعة العدوية، والقرآن وقضية الحرية».

كما كانت تكتب للصحف والمجلات وخصت مجلة «الوعي الإسلامي» بالعديد منها، وقد تبنت الدكتورة عائشة عدة قضايا في حياتها، آخذة على عاتقها الدفاع عن الإسلام بقلمها فوقفت ضد التفسير العصري للقرآن الكريم ذوداً عن التراث.

حصلت رحمها الله على كثير من الجوائز منها جائزة الدولة التقديرية للأدب في مصر، كما حصلت أيضا على جائزة الحكومة المصرية في الدراسات الاجتماعية، ووسام الكفاءة الفكرية من المملكة المغربية، وجائزة الأدب من الكويت عام ١٩٨٨م، وجائزة الملك فيصل للأدب العربي مناصفة مع الدكتورة وداد القاضي عام ١٩٩٤م.

● **وفاتها**

توفيت رحمها الله في ١/ ١٢/ ١٩٩٨م بعد إصابتها بأزمة قلبية حادة، وقد تركت خلفها ثروة هائلة من الكتب والمؤلفات الأدبية التي تعبر عن جهاد هذه المرأة المسلمة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرآن الكريم وحرية الإرادة

«رد وتعقيب»

قرأت بعناية بالغة وتقدير صادق، ما كتبه الأستاذ الجليل «الدكتور مصطفى الزرقا» في مجلة الوعي الإسلامي الغراء، تعليقاً على المحاضرة التي ألقيتها في الكويت بدعوة من جمعية الإصلاح الاجتماعي من «القرآن الكريم وحرية الإرادة».

ولقد اغتبطت حقاً، لما بدا من اهتمام الأستاذ الجليل بحاضرتي، وهو الذي نعرف له أصالته في فقه الإسلام، وجهوده السخية في خدمة الفكر الإسلامي.

ولولا يقيني من حسن تقبله لردي عليه عن رحابة صدر وسعة أفق، لتحرجت من مناقشته خشية أن يظن بي الغرور. لكني تعلمت من أدب الإسلام أن مثل هذه المناقشة إن رفعت قدري فليست بحيث تمس قدر الأستاذ الفقيه أو تجور على مكانته فينا. وقد جادلت امرأة مسلمة مثلي رسول الله عليه الصلاة والسلام واشتكت إلى الله فسمع الله قولها ونزلت فيها آيات «المجادلة» وجادلته أخرى حين هاجرت إليه بدينها وأراد ﷺ أن يرجعها إلى قومها بمقتضى شرط من صلح الحديبية، فنزلت فيها آيتي الممتحنة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠)

وكذلك جادلت امرأة مسلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على مسمع المسلمين بالمسجد فأصغى رضي الله عنه إليها ورجع إلى المنبر فقال كلمته المشهور التي بقيت ملء سمع الزمان، شاهدة على احترام الخليفة الصالح الفقيه لما كفل الإسلام للإنسان من حرية الفكر والرأي وحق الجدل والمناقشة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«أصابت امرأة وأخطأ عمر»

* * *

وأحتاج هنا إلى أن أمهر للمناقشة بتلخيص موجز لفكرتي في المحاضرة ومنهجي في تناول مشكلة الجبر والاختيار التي حيرت علماء الإسلام قرونا ذات عدد.

الفكرة تقوم على أساس ما هدى إليه البيان القرآني من التفرقة بين مفهوم إرادة الخالق ومفهوم إرادة البشر.

إرادتنا كسبية مصحوبة بعزم وتصميم عن نية ورغبة.

وليست كذلك إرادة الخالق الذي لا يجوز عليه أي فعل أو صفة كسبية، على ما هو مقرر في علم التوحيد وإنما إرادته تعالى أمر نافذ وقضاء مبرم، سبحانه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

ومن هذا الفهم المدرك للفرق بين فعل الإرادة مسنداً إلى الخالق، وفعلها مسنداً إلى المخلوقين كان منطلقي في تدبير الآيات التي حكمت الإرادة الإلهية في مصائر الأمم والأفراد، فنراها لم تعفهم من مسئولية ما صاروا أو يصيرون إليه بمشاهد من صريح سياقها:

من هذه الآيات، آية هود (١٠٧) قوله تعالى فيها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ جاء حكما نافذاً على أمة وثنية ضلت وعتت عن أمر ربها فأخذها الله بظلمها:

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ (هود: ١٠١- ١٠٧).

وآية يس (٢٣) قد أبطلت شفاعة آلهة تتخذ من دون الله أرباباً وهيهات أن تنقذ من حكم الرحمن على من ضل باتخاذها ضلالا مبينا: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

وآية الرعد (١١) التي جعلت إرادة الله بقوم سوءا حكما نافذا لا مرد له:

وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال الإرادة الإلهية فيها مسبوقة بقوله تعالى في صدر الآية نفسها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

ومثلها آية الأنفال (٥٢-٥٣) فيمن أصروا على الكفر فحق عليها العقاب:

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وعلى هذا النحو تابعت تخريج آيات الإرادة في القرآن الكريم، فبدا لي- والله أعلم- أن الله تعالى يحكم علينا بما نريد لأنفسنا تقريراً حاسماً للتبعة، وإلزاماً بمسئولية إرادتنا الكسبية الحرة في عملنا ومسعانا، فالجبرية في حتمية المصير لما أرادنا، تتم بها إرادة الله حكا عادلاً وقضاء نافذا. وبغير هذه الحرية في إرادة البشر فتنتفي حكمة إرسال الرسل وتتعطل أهلية الإنسان للتكليف.

وقد وقف الأستاذ الدكتور الزرقا، عند تخريجي لآيتي هود ويس، فقال إن هذه الآيات بقيت محل تساؤل لدى قارئ محاضرتي إذا من الواضح أن مناط الجبرية في آية هود، إنما هو في تسليط الإرادة الإلهية على الإغواء وتعلقها به، فلو كان متعلقها غير الإغواء من عذاب أو سوء عاقبة، لصح التأويل «بأنها حكم الله على الناس بما أرادوا لأنفسهم».

وكذلك آية يسن السياق فيها هو موازنة بين قدرة قادر وإرادته المطلق، وعجز العاجزين.. فيبقى في ظاهر الآية ممسك للجبرية في أن ما يقع للناس من خير وشر ونفع وضر، إنما هو بإرادة الله تعالى التي لا محيص لهم منها.

ولا وجه يما أرى لمثل هذه الوقفة، فلم أقل أن الإرادة الإلهية حين تأتي حكما نافذاً وقضاء مبرماً وفق ما أردنا لأنفسنا، تقتصر على العذاب وسوء العاقبة- أو على الثواب وحسن العقبي- وإنما يصدق حكم الإرادة الإلهية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النافذة، على كل ما أراد الإنسان لنفسه من هدي أو ضلال ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ (الليل: ٥-١٠) والله سبحانه قد هيأ للإنسان وسائل البصر والتمييز والهداية ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ (الإنسان: ٢-٣).

ولا أريد أتردد في قبول ما رآه الأستاذ الجيل من أن تلك الآيات جاءت في مقام التعبير عن قدرة الله تعالى المطلقة في ذاتها، وليست تعبيراً عن واقع، ولذا جاءت في صورة الشرط.

فهو تعالى قادر على العدل والظلم ولكنه لا يغوي ولا يظلم ولا يرضى لعباده الكفر ولا يسوقهم إليه، وكذلك كما تقول إن فلاناً يستطيع أن يفعل كذا وكذا من خير أو شر، ولو أراد أن يقتل فلانا لفعل. ولا يفهم أحد من ذلك أنه فعل أو يفعل ما يستطيعه.

وأضيف إلى هذا الملحظ ما يقرره القرآن الكريم من ثبات السنن الكونية، مع قدرته تعالى على نقضها. فقوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يس: ٤٠) لا يناقض الآيات المثبت قدرته تعالى على نقض سنن الكون، وقد جاء بها البيان القرآني معلقة على شرط المشيئة الإلهية بحرف «لو» أو «إن».

وكذلك تقرير لحرية الإرادة الكسبية، لا ينفي بحال ما قدرته تعالى على إغواء خلقه لو شاء وإضلالهم إن أراد لكنه سبحانه «لا يريد ظلما بالعباد».

* * *

وعرض الأستاذ الجليل بعد ذلك لآيات: (الأنعام ١٠٨) ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(الأنعام: ١١١) ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الرعد: ٢٧) ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

ورآها مشكلة على ما عرضت من تخريج «وقد أسند فيها أصل السلوك الصالح أو الخاطئ من هداية أو ضلال، إلى فعل الله تعالى ومشيئته».

ولا أراها مشكلة: فآيتا الأنعام في سياق من أصروا على الضلال عمداً وصحت إرادتهم على الشرك والعمى وانعقد عزمهم على العناد.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ (الأنعام: ١٠٤) إلى قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ (الأنعام: ١٠٧ -١٠٨).

والآية كما نرى تقرر حرية العقيدة، وهي متلوة مباشرة بآية عنادهم وإصرارهم على الضلال ولو نزل الله إليهم الملائكة وكلمهم الموتى.

وآية الرعد ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

واضح من سياقها أنها تربط الضلال بعباد الكفار ومماراتهم الفاحشة، كما تتعلق هداية الله فيها بمن أناب.

وبعدها في السياق نفسه، تقرر مسئولية الكسب، ويتعلق إضلال الله بمن حق عليهم العذاب. بمكرهم وصدهم عن سبيل الله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ (الرعد: ٣٢ - ٣٣).

ولا بأس مع ذلك بما ذهب إليه الأستاذ الجليل من «أن تزيين الأعمال يمكنه فهمه بمعنى تحويطها بما يجذب إليها ويغري بها من متع وملذات ومنافع عاجلة وانفلات من القيود الملجمة في مقابل وضع الله في الإنسان من قوة العقل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والتمييز والتبصير في العواقب وأن مشيئة الله تتعلق بعدم الحيلولة بين مخلوقاته وبين اتباع طريق الهدى أو الضلال وتتحقق مشيئته بألا يريد الله تعالى استعمال قدرته في صرفهم وإن كان قادراً على ذلك.. فهذا القدر من التخلية بين المكلف والمنطلقات التي أمامه في الخير أو الشر يدخل في حدود المشيئة متى كان صاحب هذه المشيئة قادراً على الحيلولة.

أضيف أن تزيين الله للناس أعمالهم وحب الشهوات ومغريات الدنيا، هو أيضاً من قبل الابتلاء الذي يجلو إرادة الإنسان ويؤكد حريتها في الاختيار، تقريراً لتبعة الكسب والسعي وإلزاماً بما يتعلق بهما من هداية أو ضلال.

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النجم: ٣٩ - ٤١).

وللسيد الأستاذ الجليل تحية التقدير الصادق والشكر الجميل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من تاريخنا الديني

عيدنا وعيدهم

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ (البقرة: ١٥٨).

أعني بالعيد هنا: عيد الأمومة.. ذلك الذي استوردناه من الغربيين، ونقلنا عنهم يومه المختار للاحتفال به وبعض طقوس هذا الاحتفال به.

ثم أضفنا إليه من عندنا:

ضجة إعلانية في الصحف والمجلات، حيث تنتهز المتاجر هذه الفرصة، فتتفنن في الإعلان عن هدايا للأمهات ترويجاً للبضاعة.

وتهلل الصحف لهذه المناسبة، لأنها تتيح لها الكسب المادي بالثمن الذي تقبضه من المعلنين.. وهو ثمن غال تضيفه المتاجر إلى سعر البضاعة، ثم تزيد عليه مبالغ أخرى، نظير ما تتكلفه في تنسيق الهدايا في واجهات المتاجر، وتغليفها تغليفاً أنيقاً، وربطها بشريط من الحرير الزاهي البراق..

وإلى جانب هذه الضجة الإعلانية، ضجة أخرى عن أخبار احتفال بالعيد يقام هنا أو هناك، تدق له الطبول والأجراس، وتؤخذ صور منه للنشر، نرى فيها السيدة فلانة أو السيد علان، أثناء التفضل بتقديم أكياس من الحلوى إلى نزلاء الملاجئ ممن فقدوا أمهاتهم، أو للأمهات المسكينات في الأحياء الشعبية المنبوذة..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا يخلو الأمر من نشر صورة «تلفزيونية» للسيد الكريم وهو يتنازل فيصافح غلاماً مسكيناً، أو للسيدة صاحبة المقام العالي وهي تتواضع فتربت على كتف أم فقيرة، أمام عدسات التصوير «التلفزيونية»!..

على هذا النحو نحتفل بعيد الأمومة:

صور..

وإعلان..

وانتهاز للفرصة..

وترويج للتجارة..

أو هكذا مسخنا عيد الأمومة عندنا، في احتفالنا به على هذا النحو في اليوم الحادي والعشرين من مارس كل عام نقلا حرفياً من الغرب، وليتنا مع ذلك ندرك مغزى اختيار الغرب لهذا اليوم في مستهل الربيع حيث يتفتح الكون، وتدب الحياة في الكائنات إيذاناً ببعث جديد من الأكفان الثلجية التي تكفنها في الشتاء..

ومن ثم يذكرون في هذا البعث الأمومة، واهبة الحياة وصانعة البشر!

أجل نقلنا العيد من الغرب بيومه وطقوسه..

دون أن ندري أن لنا عيدنا الأصيل، يأتي كل عام في موعده الذي لا يتخلف ونحتفل فيه بالأمومة على مدار السنين، منذ ما لا يحصى من دهور وأحقاب.

الزمان: قديم موغل في أعماق الماضي السحيق.

والمكان: «مكة» عندما كانت قفرا يبابا في الوادي الأجرد، لا يعمرها أنس، وإنما تلم بها بين حين وآخر جماعات من الرعاة، يحطون رحالهم عند أطلال البيت العتيق، التماساً للراحة والبركة، ثم لا يلبثون أن يشدوا الرحال ويضربوا في تيه الصحراء بحثاً عن مساقط الغيث ومنازل المطر...

في تلك البقعة المهجورة، وفي ذلك الزمن الغابر وراء التاريخ، جاء «إبراهيم» عليه السلام يسعى من الشمال ومن ورائه «هاجر» تحمل في حضنها وليدها «إسماعيل»..

وفيم كان المسعى؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان «إبراهيم» قد بلغ الشيخوخة، وامرأته السيدة «سارة» عاقر لا تلد، وبدا لها يوماً أن تهبه جاريتها المصرية «هاجر» لعلها تعطيه الولد الذي يشتاق إليه، أو لعلها هي أيضاً تعقم فلا تلد، فيسكن «إبراهيم» إلى راحة اليأس ويكف عن التعلق بالسراب.

وحملت «هاجر» فما كادت السيدة تراها أمامها في حملها، حتى خيل إليها أنها مزهوة بهذا العطاء وأحست سيدتها بلواذع الغيرة، لكنها كتمت قهرها، وأقامت تنتظر وهي تعلل النفس بأن التجربة لم تتم بعد، ومن يدري.. لعل الجنين يسقط بإجهاض!

لكن «هاجر» وضعت وليدها إسماعيل، فكأنما أصابت سيدتها العاقر بسهم قاتل، أفقدها تماسكها فحدثت «إبراهيم» عن هذه الأمة التي تتعمد جرح كبرياء الأنوثة في سيدتها، بما تبدي من زهو بالغلام. قال إبراهيم:

- هي أمتك تصنعين بها ما شئت! وشاءت السيدة أن تطرد هاجر وولدها، وآلت على زوجها «ألا يضمها وهذه الجارية سقف واحد».

وخرج إبراهيم من أرض كنعان، ضارباً في طريق الجنوب إلى البلد العتيق ومن ورائه الأم «هاجر» مهزولة في أعقاب نفاسها، منصرفة عن التفكير فيما كان ويكون بهذا الصغير الرضيع الذي يسكن إلى حضنها فينسيها كل الدنيا.

وعند أطلال البيت العتيق حط إبراهيم رحله، ثم تهيأ للعودة من حيث جاء، تاركاً «هاجر» وولدها، مع جراب فيه تمر، وسقاء فيه ماء.

وأدارت هاجر عينيها في هذا التيه القفر فسألت مرتاعة:

- أتتركنا هنا بهذا القفر الموحش؟

قال:

- بلى

فأمسكت هاجر عن الكلام برهة، ثم سألت سيدها إبراهيم:

- آلله أمرك بهذا؟

أجاب:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- بلى.

قالت:

- إذن فالله لن يضيعنا!

ولم تزد.

وسار إبراهيم منصرفاً، حتى إذا بلغ ثنية الوادي رفع رأسه إلى السماء وقال في ضراعة وابتهال:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ۝٣٧﴾ (إبراهيم: ٣٧).

ومضى.

وظلت «هاجر» تتبعه عيناها حتى غيبه منعطف الوادي، فأقبلت على وليدها تستمد منه الأنس في وحشتها والقوة على احتمال محنتها!

حتى نفد الزاد الضئيل الذي تركه لها سيدها «إبراهيم» ونفد الماء.

وجف ثديها فلم يعد يبض بقطرة.

إذ ذاك بدا لها أن تبحث هنا وهناك عن شيء يمسك الحياة على طفلها، فراحت تضرب فيما حول الأطلال.. دون أن تهتدي إلى شيء..

وسعت إلى جبل «الصفا» فعرجت إلى قمته لتشرف من عل على الوادي، لعلها تلمح من بعيد أثراً لحياة، ولا أثر..

وهبطت من «الصفا» وسعت مهرولة إلى المروة فصعدت وحدقت فيما حولها لعل أحداً غيرها يضرب في التيه.. ولا أحد.

وأعادت الكرة..

ظلت تسعى مهرولة بين الصفا والمروة مرتين وثلاثاً وسبعاً، حتى وهنت قواها وهدها اليأس، فارتمت إلى جانب طفلها، لكنها لم تقو على احتمال رؤيته وهو يلهث ظمأ، والحياة تتسرب من كيانه اللطيف.

«وغطت وجهها بلفاعها، وقالت لا أنظر موت الولد».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم استسلمت لما يقضي به الله.

وتفتحت السماء لمشهد «الأم» بما تكابد من هموم أمومتها.

وتجلت رحمة الله في طائر حط قريباً من هاجر وراح يحفر في الأرض المجدبة بمنقاره، فتفجر «نبع» زمزم وهرولت الأم إلى النبع، فارتوت وسقت وليدها وردت الروح إلى الطفل وأمه.

وبعثت الحياة في الوادي الأجرد، وقد استجاب الله لدعاء «إبراهيم»!..

أقبل قوم من الرعاة من جرهم، يضربون في التيه قريباً من موضع هاجر وإسماعيل، فما لمحو الطير محوماً على المكان حتى أيقنوا أنه لا يحوم إلا على ماء.

ونزلوا حيث نزلت الأم «هاجر» واستقروا حول نبع زمزم، فعمر بهم المكان الموحش، وشب «إسماعيل» فأصهر إلى «جرهم» من العرب العاربة الأصيلة، وبدأ تاريخ جديد لمكة والعرب منذ تلقى إسماعيل وأبوه إبراهيم العهد الإلهي بإعداد البيت العتيق لعبادة الله:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة: ١٢٥ -١٢٨).

من ذلك العهد السحيق، دخلت «هاجر» تاريخنا الديني، فكان مسعاها (مهرولة بين الصفا والمروة) شعيرة من شعائر حج العرب في الجاهلية والإسلام.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ (البقرة: ١٥٨).

و«هاجر» لم تدخل هذا التاريخ بشيء ما سوى هموم أمومتها، فما كانت سوى أمة منبوذة غريبة عن الأهل والوطن.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتمضي الدهور والأحقاب، والأم «هاجر» ملء الحياة، فكلما دار عام القمر دورته وأهل عيدنا الأكبر، سعى الألوف من الحجيج بين الصفا والمروة مهرولين سبعة أشواط، كما سعت «هاجر» من قبل التاريخ!.

وهاجر هي أم العرب العدنانية، من بني ولدها إسماعيل، ومنهم بعث محمد ابن عبد الله الهاشمي القرشي العدناني «المصطفى خاتماً للأنبياء».

ونحن المسلمين لا يكمل لنا ديننا حتى نحج بيت الله، وهناك يتكرر المشهد الحي لذكرى الأم الخالدة.

في مكان بعينه بين الصفا والمروة.

وبالحركة نفسها: هرولة بينهما سبعة أشواط.

وفي موعده الذي لا يتخلف، من عام القمر.. على مدار السنين من قديم بعيد وإلى الأبد!.

ذلك هو عيد الأمومة عندنا.

شعيرة من شعائر الله.

فكيف جاز لنا أن نغفل عنه ونستبدل به هذا العيد الطارئ المجلوب، قد مسخت فيه حقيقة عيدنا فصار إلى ضجة إعلان وبريق صور وسوقاً للبضاعة.

وإنه لفي تاريخنا: دين وشعيرة مقدسة!.

ألا هل بلغت.

اللهم فاشهد.

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الأعلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس المقالات

للمجلد الثاني

مرتبة حسب الآتي: اسم صاحب المقالات ثم ترجمته، ثم عناوين مقالاته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





2 0 1 1

تم الصف والإخراج بشركة غراس للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ - الكويت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إصدارات مجلة الوعي الإسلامي

- القدس في القلب والذاكرة.
- حقوق الإنسان في الإسلام.
- المجموعة القصصية الأولى للأطفال.
- الحوار مع الآخر... المنطلقات والضوابط.
- النقد الذاتي... رؤية نقدية إسلامية لواقع الصحوة الإسلامية الراهن ورؤيتها للحاضر والمستقبل.
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.
- الحج... ولادة جديدة.
- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد.
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد.
- المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.
- التجديد في التفسير، نظرة في المفهوم والضوابط.
- مقالات الشيخ محمد الغزالي.
- مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز.
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام.
- موسوعة الأعمال الكاملة... للإمام الخضر حسين.
- علماء وأعلام كتبوا في مجلة الوعي الإسلامية الكويتية.
- براعم الإيمان... نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية.
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره.
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي

«مقالات حصرية نشرت في المجلة ما بين ١٣٨٥ - ١٤٠٠هـ للشيخ محمد الغزالي المتوفى عام ١٤١٧هـ»



الإصدار الثاني عشر
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مقالات الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

في مجلة الوعي الإسلامي

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

- دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

جميع الحقوق محفوظة

الإصدار الثاني عشر

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

العنوان

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة

الرمز البريدي 13097 الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦- ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:

www.alwaei.com

إشراف

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com





وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

مقالات الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في مجلة الوعي الإسلامي

«مقالات حصرية نشرت في المجلة ما بين ١٣٨٥ - ١٤٠٠هـ
للشيخ محمد الغزالي المتوفى عام ١٤١٧هـ»



الإصدار الثاني عشر
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تصدير

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، ووهب له العقل ليعقل عن ربه ما شرعه وأبان، وأنزل القرآن تبصرة للعقول والأذهان، أحمده حمداً يملأ الميزان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ كل يوم هو في شأن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الناس كافة بالدليل والبرهان، اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى، قد أعزّ العلم والعلماء، وشرّفهم في الأرض والسماء، وهم في الناس كالنجوم، يهتدون بها في البر والبحر، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم قدوة الأتقياء، بل هم صفوة الأولياء، فإن العالم قائم في الأمة مقام الأنبياء، وهو سراج الأمة وضياؤها بلا مراء، يبين لهم الأحكام، ويميز لهم الحلال من الحرام، ويخرجهم بفتواه من الآثام، ويوضح لهم شرائع الإسلام، فيا له من شرف ما أعلاه، ومن عِزٍّ ومنصبٍ ما أسماه، وما أخطره على مَن لم يتحرَّ في فتواه، ولم يراقب في علْمه وعمَله مولاه، فالعلماء سُرُج الأرض، وكلّ عالم مصباح زمانه، يستضيء به أهل زمانه وعصره، وصدق من قال:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ... متى يمت عالم منها يمت طرفُ

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حلَّ بها ... وإن نأى عاد في أكنافها التلف

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾؛ أي: موت علمائها وفقهائها، فإن بهم صلاح الدين، وقمع المعتدين، ومعرفة رب العالمين.

ومن علماء هذا العصر والزمان، الداعية الكبير في سبيل الرحمن، العالم الجليل والشيخ النبيل، الشيخ محمد الغزالي رحمه الله (ت ١٤١٦ هـ) الذي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كانت له اليد الناصعة في تاريخ الأمة، لما له من الجهاد العلميّ الطويل؛ وقد أكرم الله تعالى هذا العالم الجليل فميّزه في كتاباته العلمية والدعوية والأدبية، كما أنه مميز في خطابته ومحاضراته ودروسه، وذلك من فضل الله تعالى الذي يخصّ به من يشاء.

ولقد مضى ما يقارب أربعة عشر عاماً على وفاة ذلكم الداعية المحنّك المُلهم، وهو العالم الفذ الذي عاش حياته متألما مهتماً بأمر أمة الإسلام شرقاً وغرباً، ومما أعانه في مسيرته الإصلاحية عمقه في المعالجة، وإبداعه في التوجيه، فهو أديب مبرّز، وبليغ مفوّهٌ، وفهامة نبيهٌ، وهو غواصٌ في المعاني، لأنه يحترم عقله وعقول من يقرأ له، ومن أجل ذلك كانت كتبه ومقالاته حاضرة دائماً في أوساط المثقفين وطلبة العلم، وكما قيل: «بحسبك أن قوماً موتى تحيا القلوب بذكرهم».

إنه عاش حياة البصير بحقيقة ما ينبغي أن يقال ويكتب، فلذلك كان فارساً من فرسان الكلمة، ورائداً من روّادها، وإنك لتلمحه من بعيد وهو يتأوه من حال من تنكب السبيل السوية التي ينبغي أن تطرق إلى سبل غاية في الإزعاج، غارقة في الفوضى؛ إنه يقول: (من كنوز السنة؛ ص:١٤٧) «الإسلام يريد رجلاً جياش العاطفة بالعطاء، صادق الحس بآلام الغير، ينطلق كالسهم في تفريجها دون توقف، ولو كان يتعامل مع غير أبناء دينه، إن النبع السيال لا يحبس بره عن محتاج».

وإن الجدية التي صبغت حياة الشيخ الجليل، وخلعت على كتاباته لوناً من العمق، لا يخلو من روائع البيان والأدب، هي التي جعلته غير مهتم بمحسنات الألفاظ ووسائل بديعها؛ لأنه كان منشغلاً باللب عن القشور؛ لذلك كان من أهم ما يدندن حوله هذا الرجل الرمز أن يتشبث المسلمون إلى آخر رمق من حياتهم بالإسلام جملة وتفصيلاً، وألا يفرطوا أبداً في شعبة من شعبه، حتى يحولوا دون الذئاب المتنمرة يمنة ويسرة المتهامسة -حقداً وحسداً فيما بينها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لقد كان يتأمل بحرارة أن يحيا المسلمون يومهم وغدهم وسائر حياتهم معيشة كدحٍ وكفاحٍ ودفاع عن تعاليم الإسلام أمام مؤامرات لا ينقصها الذكاء والخُبث ولاً المهارة، وذلك مستلزم - ولا بد - فراق الأوهام والأحلام والسذاجة التي تبلغ حد الغفلة.

إن الشيخ الغزالي- كما وصفه العارفون به-: «يحمل روح الرافعي وتألقه، وسهولة المنفلوطي وتدفقه، وتأمل العقاد وتعمقه».

وإذا كان الرجل بهذا الميزان وتلك المنزلة؛ فإنه لشرف لنا في مجلة «الوعي الإسلامي» أن نراجع أرشيفنا، ونستخرج منه ما كان الشيخ خصنا به من سنوات عديدة، من مقالات دفعنا إلى إخراجها الحرص على نشر تراث الشيخ ونفع الأمة به، وهي مقالات متنوعة متفرقة، تشد القارئ إليها.

وبهذا الإصدار الجديد الثاني عشر تؤكد مجلة «الوعي الإسلامي» على اهتمامها البالغ بتراث علماء الأمة وصفوة مفكريها، فهي لا تتوانى في إخراج النافع المفيد مرة بعد مرة؛ مما تجمع لديها من كنوز نابعة من قلوب امتلأت بالعلم والشفقة على حال هذه الأمة، وهي إذ تقدم هذا الإصدار لقرائها، ترجو الله تعالى أن يجعل فيه النفع للجميع، وأن يجعله خالصاً لوجه الله الكريم مُوجباً لرضوانه العظيم.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ الغزالي

مولده: ولد الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا في الخامس من ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـجرية، الموافق الثاني والعشرين من سبتمبر ١٩١٧ ميلادية، في قرية "نكلا العنب" التابعة لمحافظة البحيرة بمصر، وسمّاه والده "محمد الغزالي" تيمنًا بالعالم الكبير أبو حامد الغزالي المتوفى في جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ .

نشأته: نشأ الشيخ في أسرة كريمة محافظة، وله خمسة إخوة، فأتم حفظ القرآن الكريم بكتّاب القرية في العاشرة، يقول الشيخ الغزالي عن نفسه وقتئذ: "كنت أتدرب على إجادة الحفظ بالتلاوة في غدوي ورواحي، وأختم القرآن في تتابع صلواتي، وقبل نومي، وفي وحدتي، وأذكر أنني ختمته أثناء اعتقالي، فقد كان القرآن مؤنسا في تلك الوحدة الموحشة".

والتحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، وظل به حتى حصل منه على شهادة الكفاءة، ثم الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م، والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وبدأت كتاباته في المجلات المتنوعة أثناء دراسته بالسنة الثالثة في الكلية، بعد تعرّفه بكثير من الدعاة والعلماء، وبعد أن تخرج في سنة ١٣٦٠هـ = ١٩٤١م، تخصص في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية سنة ١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م، وعمره ستة وعشرون عاماً، وبدأت بعد ذلك رحلته في الدعوة من خلال مساجد القاهرة، وقد تلقى الشيخ العلم عن الشيخ عبدالعظيم الزرقاني، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد أبوزهرة والدكتور محمد يوسف موسى وغيرهم من علماء الأزهر الشريف.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفاتــه:

لقي الشيخ ربه وهو في الميدان الذي قضى فيه عمره كله، حيث كان في مؤتمر للدعوة الإسلامية بالرياض، واحتدّ النقاش في مسألة متعلّقة بالعقيدة، فانبرى الشيخ موضّحًا ومعلّمًا فأصيب بأزمة قلبية تُوفي على أثرها -رحمه الله- في التاسع عشر من شوال ١٤١٧ هـ = التاسع من مارس ١٩٩٦م، ودُفِن بالبقيع في المدينة المنورة.

من مؤلفات الشيخ الغزالي:

١- الاستعمار.. أحقاد وأطماع
٢- الإسراء والمعراج
٣- الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين
٤- الإسلام في وجه الزحف الأحمر
٥- الإسلام والأوضاع الاقتصادية
٦- الإسلام والاستبداد السياسي
٧- الإسلام والطاقات المعطلة
٨- الإسلام والمناهج الاشتراكية
٩- الإسلام وقانون الأحوال الشخصية
١٠- التعصب بين المسيحية والإسلام
١١- الجانب العاطفي من الإسلام
١٢- الحق المر
١٣- الحياة الأولى (ديوان شعر)
١٤- حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي
١٥- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر
١٦- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٠- علل وأدوية

٤١- فقه السيرة

٤٢- فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء

٤٣- في موكب الدعوة

٤٤- قذائف الحق

٤٥- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة

٤٦- كفاح دين

٤٧- كنوز من السنة

٤٨- كيف نتعامل مع القرآن

٤٩- كيف نفهم الإسلام

٥٠- ليس من الإسلام

٥١- مائة سؤال عن الإسلام

٥٢- محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع

٥٣- مستقبل الإسلام خارج أرضه

٥٤- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية

٥٥- مع الله.. دراسات في الدعوة والدعاة

٥٦- معركة المصحف في العالم الإسلامي

٥٧- من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث

٥٨- من هنا نعلم

٥٩- نحو تفسير موضوعي

٦٠- نظرات في القرآن الكريم

٦١- هذا ديننا

٦٢- هموم داعية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(١)

حول انتشار الإسلام

كيف يُعَلِّل المبشرون والمستشرقون سر انتصار الإسلام

العدد (٢) صفر (١٣٨٥هـ) يونيو (١٩٦٥م)

الإسلام شهادة بأن الله حق، وشهود لآثار ألوهيته في صحائف الكون، وصوغ للحياة النفسية والاجتماعية وفق ما أوحى الله لرسله، وإعداد أجيال البشر الحاضرة والمستقبلة للسير على هذا الصراط، ما نبض في أبدانهم عرق، وخالج أفئدتهم شعور.

والإسلام من قبل ذلك علاقة عامة بين الكائنات كلها وبين بارئها الأكبر جل جلاله، فالعلم من عرشه إلى فرشه فقير أبدا إلى ربه، قائم به، خاضع له، عان لأمره، وتلك حقيقة علمية لا يماري فيها إلا أحمق.

ومن ثم فإن التمرد على الله شذوذ مستغرب، والازورار عن دينه خطأ مبين، ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾(آل عمران: ٨٣).

إن الإسلام لله هو الصلة الطبيعية الفذة بين المخلوق والخالق.

وإذا كان البشر في هذا العصر يتواضعون على حقائق هندسية وكيماوية وفلكية مقررة، ففي صدر هذه الحقائق يجب أن يعرف أن الله واحد، وأن السيرة التي يرتضيها من عباده دلالة على انقيادهم له، وتحقيقا لما يحبه لهم من خير، هي سيرة محمد بن عبدالله، فهو الإنسان الكامل الذي التقت في شخصه المثل الرفيعة للإنسانية كلها.

إن الشهادة بأن الله واحد بيان لحق الخالق على المخلوق.

والشهادة بأن محمدًا رسول الله بيان للطريق التي يسير فيها المخلوق كي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يرضي الخالق، وهاتان الشهادتان هما الدعامة الأولى للإسلام.

وقد فهم المسلمون من نصوص دينهم، أن صاحب الرسالة الخاتمة جاء متممًا لما مهد إخوانه الرسل والأنبياء السابقون.

وأن هؤلاء كانوا دعاة للإسلام بمعناه الشامل العميق.

وأن مرّ الزمان وتفريط الأتباع طمسا معالم الرسالات السابقة، وأتاحا للغلو والابتداع والتحريف أن تعدو على طبيعة الدين ووجهته.

فلم يكن بد من رسالة عامة ثابتة تعيد الحق إلى نصابه، وترد الكلم إلى مواضعه، وتجلو كل ما غشى وجه الفطرة من خرافة وهوى، وتضمن ألا يتكرر في المستقبل ما حدث في الماضي من زيغ وشذوذ.

فكان هذا القرآن الذي غلب الزمن، وبقي محفوظًا من كل ريبة. وكان رسوله الذي نشر الحق إلى أبعد مدى يبلغه جهد بشر، والذي صدع أركان الباطل، فمادت بعد لأي ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ **(النحل: ٦٣، ٦٤)**.

منهج الصحابة في نشر الدعوة

وانطلق صحابة محمد وأتباعه في أقطار الأرض يحملون البلاغ السماوي الأخير. وانطلق الصوام القوام الخاشعون المخبتون إلى كل فج عميق، يعرضون الإسلام على الناس، باللغة العالمية التي يفهمها أهل الأرض كلهم جميعًا، لغة الخلق الزكيّ، والسلوك العالي، نعم، إن الجيل الذي حمل الإسلام، وعبر به الأبعاد الشاسعة أرى الناس من نفسه نماذج رائقة، فدخل الناس في دين الله عن إعجاب ورغبة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما كادوا يتعمقون في هذا الدين، ويتعرفون دخائله، حتى صاروا حراسا على دعوته العامة مثل العرب الذين جاءوا به، أو أشد!.

وقد وقع قتال في أثناء سعي العرب لتحرير الشعوب السجينة، وفك الأغلال عنها، وهل كان يمكن قمع الاستعمار القديم، أو الحديث إلا بالسلاح؟

إن أنبل قتال وقع على ظهر الأرض، هو ما خاضه أتباع محمد لرد الرومان إلى أوروبا من حيث جاءوا، ولكسر شوكة المجوسية في فارس.

وإلا فكيف يتصور امرؤ راشد أن أربعة آلاف عربي مثلا يصلحون قوة غازية لفتح مصر وتوطيد الإسلام فيها جيلًا بعد جيل؟

إنه لولا انبهار الأمم بالدين الجديد، وتجاوبها معه، وإحساسها بأنه هدية الأقدار إليها، ما دانت لأهله، ولا دخلت فيه.

ماذا عسى يصنع أربعة آلاف رجل في قطر كمصر، أمام عشرات الألوف من جند الرومان ومشايعيهم؟

وهب أنهم جن في الوغى، وأن خصومهم هباء، ما الذي جعل جماهير الشعب تسالم الوافدين، ثم تنشرح صدرا بعقائدهم، ثم تهب هي لنصرتها بعدما اعتنقتها؟

إنها طبيعة الحق عندما يحسن عرضه، وتنزاح العوائق أمام الرغبة فيه.

وما مصر إلا مثل لشقيقاتها التي كانت عانية في أسر الرومان، ثم شاعت أنوار الصدق في هذا الدين، فهوت إليه قلوبها، ثم حملت لواءه إلى يوم الناس هذا عن اعتزاز وحب.

لا إكراه في الدين

وعمر الباطل يطول بين الناس بمقدار ما تطول غيبة الحق عنهم، ولعل لهم عذرا في البقاء عليه ما داموا لا يعرفون غيره.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقد كان الناس على نحلهم الأولى قبل الإسلام بين راض بها عن قصور، أو راض بها عن اقتناع، فلما ظهر الدين الجديد وتيسرت المقارنة والمقابلة، بدأ التحول العظيم، يشمل سواد الشعوب هنا وهناك، فما مضى قرن على البعثة حتى كان الإسلام ملء السمع والبصر، وكانت أجهزة الدولة الإسلامية ترقب هذا التحول من بعيد وهي دهشة، بل إن بعض الولاة استبقى ضريبة الجزية على من يدخل في الإسلام! كأن وظيفة الحاكم تعويق الناس عن الإيمان لا إغراؤهم باعتناقه.

وما نذكر هذه القصة إلا لنشير إلى كذب من يزعمون أن شائبة إكراه وقعت في انتشار الإسلام.

إن الدولة لم تستخدم قط أداة قسر على ترك دين واعتناق آخر كما وقع ويقع في أقطار أخرى لخدمة أديان أخرى.

وما حاجة الإسلام إلى الإكراه، ومبادئه تنساب إلى القلوب من تلقاء نفسها، لأنها الفطرة، وتعاليمه تنساق إلى العقول كما تنساق البديهيات التي يلقاها الفكر السليم، ولا يستطيع أمامها مراء؟

إن البيئة الحرة أخصب مكان لازدهار الإسلام، ولولا شقوة الناس ما نصبوا العوائق أمام رسالته ولتركوها تبين عن طبيعتها في هدوء.

مستشرق يزيف الحقائق

ومنذ أيام وقع في يدي كتاب من هذه الكتب التي يؤلفها المبشرون والمستشرقون ويملأونها بالطعون في الإسلام، والضغن على نبيه، ولما كنت قد أَلِفْت تهجم القوم، فإني لم أفزع لما ورد في الكتاب من تهم أعرف ويعرف غيري قيمتها.

لكن الكتاب الذي قرأته تضمن عبارات في التعليق على انتشار الإسلام أرى من المصلحة إثباتها، لأنها ترد نجاح الإسلام، وارتفاع شأنه إلى خلل طارئ على القوى المعارضة لا إلى صلاحيته الذاتية، وأصوله النفسية والفكرية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال المؤلف المذكور: إذا أمعنا النظر فيما كتبه مؤرخو الكنيسة منذ القرن الثالث للميلاد ألفينا حال الأمة النصرانية لذلك العهد بعيدة جدا عما وصفها به بعض المصنفين من تقوى وصلاح.

وذلك أنها فضلًا عن كونها لم تكن مؤيدة بالعقيدة الفعالة والغيرة والتقوى، ولم تكن راسخة على أساس التعليم الصحيح، وعلى الاتحاد وثبات الإيمان، كان رعاتها مشتغلين بالمطامع الشخصية يتخذون العويص من مسائل الدين ذريعة للمشاجرات والمماحكات، وقد انقسموا فيها إلى فرق وبدع لا تعد، ونفوا من صدورهم ما ندب إليه الانجيل من الموادعة والمحبة والمؤاساة، وعدلوا إلى المناوآت والضغائن وسائر المفاسد، حتى إنهم بينما كانوا يتماحكون في أوهامهم في الدين أضاعوا جوهر الدين نفسه، وكادت مشاجراتهم فيه تستأصله.

ومعظم ما ننكره الآن على بعض فرق النصرانية من باطل العقائد، إنما نشأ وتأصل في تلك الأعصر المظلمة، فعاد بالنفع على الإسلام، وأعان على انتشاره.

ونخص من تلك العقائد بالذكر عبادة القديسين والصور، فإنها قد بلغت وقتئذ مبلغًا يفوق كل ما نراه اليوم عند بعض فرق النصارى.(١)

أما الكنيسة الشرقية فإنها أصبحت بعد انفضاض المجمع النيقاوي مرتبكة بمناقشات لا تكاد تنقضي، وانتقض حبلها بمماحكات الأريوسيين والنساطرة واليعاقبة وغيرهم من أهل البدع.

الصراع على منصب الأسقفية

أما الكنيسة الغربية فقد كان فيها من تهالك داماسوس وأورسكينوس في المشاجرة على منصب الأسقفية- أي أسقفية روما- وما أفضى إلى احتدام

(١) لا تزال التماثيل تملأ الكنائس في الشرق والغرب إلى يومنا هذا، وهي تماثيل ترمق برهبة وحب، وتقبل أقدامها التماسا للبركة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نار الفتنة وسفك الدماء بين حزبيهما، حتى إن الوالي لما رأى أنه لا قبل له بقمع هذا الشر انصرف عن المدينة وترك المتنازعين وشأنهما، وكان الفوز بعد ذلك لداماسوس.

قيل استمر القتل في الناس في هذه النازلة حتى بلغ عدد القتلى في كنيسة سيكينيوس وحدها مائة وسبعة وثلاثين في يوم واحد.

ولم يكن من العجيب أن يشتد حرصهما على تبوء ذلك المنصب المهم، لأن من يتبوأه يصبح ذا دنيا عريضة، وينال من صلات السيدات الرومانيات ثروة وافرة، فيخرج في المواكب والأبهة بالمركبات والمحفات، مسرفا في ترف العيش أكثر من إسراف الملوك، خلافا لما كان عليه أساقفة المدن الصغيرة من الاقتصاد والزهد ولو بعض الشيء.

ثم قال «فلما فشا في أولياء الأمور وأرباب الدين هذا الفساد في العقائد والأخلاق والسيرة نشأ عنه بالطبع فساد سيرة العامة من الناس فأصبحوا، على اختلاف طبقاتهم، وليس لأحدهم هم سوى جمع الأموال من الوجوه المحللة والمحرمة ثم إتلافها في سرف العيش وانتهاك حرمات الله»[1].

هذا ما كان عليه حال النصرانية في غير بلاد العرب.

في بلاد العرب

«أما حالها في بلاد هذه الأمة التي هي موضوع بحثنا- يقصد بلاد العرب- فلم تكن خيرًا من ذلك، فقد اشتهرت هذه البلاد منذ القديم بكثرة البدع، ولعل ذلك ناشئ عن حرية القبائل واستقلالها».

«فكان في نصارى العرب قوم يعتقدون أن النفس تموت في الجسد ثم

---

(١) هذه حال جماهير الناس في أوروبا اليوم، أن المذاهب المادية تسيطر على أخلاقهم وأحوالهم، وفنون الإباحة تجعلهم عبيد شهواتهم، والسر في ذلك عدم وجود الإيمان الصحيح الذي يملأ فراغهم النفسي والفكري، وهذا المؤلف وأمثاله يطعنون مع ذلك في الإسلام بدل أن يخلوا له الطريق ليحل المشكلة.

يا باري القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس باريها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تنشر معه في اليوم الآخر، وقيل إن اريجانوس هو الذي دس فيهم هذا المذهب».

«وكم وكم من بدعة انتشرت في جزيرة العرب ولا نقول نشأت فيها».

فمن ذلك بدعة كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم ويعبدونها كأنما هي الله[1].

وفضلًا عن ذلك فقد اختلط بالعرب أيضًا في جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة لجأوا إليها هربا من اضطهاد القياصرة، فأدخل محمد كثيرا من عقائدهم في دينه كما سنرى[2].

أما اليهود الذين كانوا في سائر البلاد أذلاء لا يعتد بهم، فقد قويت شوكتهم في بلاد العرب، حيث لجأ كثير منهم إليها على أثر خراب بيت المقدس، وهودوا كثيرا من ملوك العرب وقبائلهم.

ولذا كان «محمد» في بادئ أمره يداريهم حتى إنه أخذ عنهم كثيرًا من مقالاتهم ورسومهم وعاداتهم تألفا لهم لعلهم يشايعونه، لكنهم جريا على سننهم المألوفة في العناد لم ينقادوا له بل ناصبوه العداوة، وكانوا من أشد خصومه، يحاربونه ويكايدونه دائمًا، ولم يتأت له قهرهم إلا بعد المشقة والعناء وتعريض نفسه لمهالك أودت بهم آخر الأمر[3].

---

(١) هذه البدعة التي يرى المؤلف أنها انتشرت بين العرب قديمًا، ليست في الحق من مخترعات القدماء وحدهم، بل إن العصر الحاضر شهد مجمعًا مسكونيًّا في روما جعل مريم فوق البشر!.

(٢) هذا هراء يشيع بين جمهرة المبشرين والمستشرقين والبراهين متكاثرة متضافرة على تفاهته.

(٣) الإسلام يحسن إلى أهل الكتاب جميعًا ما دامت مسالكهم معتدلة، فإذا أبوا إلا إهانته أو إساءته فلا بد من أن يدفع عن نفسه ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وما ذكرناه من شدة بغضهم له ولّد في قلبه آخر الأمر بغضًا شديدًا لهم فصار يعاملهم في باقي عمره بأقبح مما كان يعامل به النصارى ويكثر الطعن فيهم في قرآنه.

وقد تابعه المسلمون على ذلك إلى يومنا هذا فهم يفرقون بين اليهود والنصارى، ويعدون اليهود أحقر أمة على وجه الأرض وأذلها.

المسلمون بين الفرس والروم

وقد قال بعض من اشتهر بسداد الرأي في السياسة: إنه لا يتسنى لأحد أن يسود قوما وينشئ دولة ما لم تساعده الفرص، فإذا علمت هذا جزمت بأن اختلال أحوال النصرانية كان من الفرص التي أعانت محمدًا من الجهة الواحدة على نيل مآربه- كما أن وهن قوى الروم والفرس أطمعه من الجهة الأخرى في الظفر بمراده فيما يقدم عليه من هاتين المملكتين اللتين كانتا قبل ذلك من القوة على ما هو معلوم، ولو كانتا باقيتين على بأسهما لكانتا، ولا شك، حطمتا الإسلام وهو في مهده، وهم ينسبون فوزهم ذلك إلى دينهم الجديد، والعون الإلهي الذي وصل إليهم بسببه.

مسكين هذا المؤلف! إنه يحاول حجب الشمس بكفه، كيف يتصور عاقل أن العرب من غير الإسلام كانوا يستطيعون هزم الروم والفرس مهما ضربت الحرب بينهما واشتد الخلاف؟ لنفرض أن بين الروس والأمريكان نزاعًا، فهل معنى ذلك أن تستطيع المكسيك مثلًا الاستيلاء على الدولتين الكبيرتين؟ إن الإسلام خلق العرب خلقًا جديدًا، وبه وحده وقعت معجزة الفتح.

مشكلات التثليث

إن الرجل ينسب انتشار الإسلام على حساب الرومان خاصة إلى ما ساد بينهم من اختلاف مذهبي وشهوات بدنية ونفسية، ويرى أن هذا الاختلاف لفظي لا حقيقي، وأن تلك الشهوات موقوتة لا دائمة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونحن نصدقه في نصف ما قاله، ونخالفه في النصف الآخر، أو نصدقه فيما قاله ونخالفه في العلل التي ذكرها.

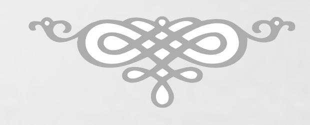
إن التثليث مولد ذاتي للخلاف على تراخي العصور.

ومشكلاته حقيقية لا شكلية.. وذلك بخلاف التوحيد المطلق الذي قرره الإسلام، ثم إن الإنسانية بعد نموها الفكري الظاهر، الذي لم يعهد مثله في تاريخها الأول تحتاج في إقناعها العقلي وتربيتها النفسية، وتنظيمها الاجتماعي والسياسي إلى دين يكافئ هذا الامتداد في مواهبها وخصائصها.. دين يشبع تعاونها الروحي، وتألقها الذهني.

إنها بحاجة إلى الدين الذي تعاون النبيون جميعًا على إبلاغ أصوله وتوطيد أركانه، ثم جاء صاحب الرسالة الخاتمة، فأعطاه صورته النهائية الحقيقية المشبعة.

وإذا لم تعترف أوروبا بهذا الدين، فستبقى آخر الدهر فريسة المذاهب المادية شرقية كانت أم غربية. وستبقى صريعة الشهوات التي تغتال الطهر في الأنفس، والعدل بين الأمم...

ولله الأمر من قبل ومن بعد.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٢)

الإيمان ميلاد جديد لحياة الإنسان

العدد (٦) جمادى الآخرة (١٣٨٥هـ) أكتوبر (١٩٦٥م)

الإيمان شيء فوق ما يتصور كثير من الناس.

إنه ليس رأيًا في شخص من الأشخاص، أو حكما في قضية من القضايا، أو اعتناقًا نظريًّا لفلسفة من الفلسفات، أو اصطباغًا نفسيًّا بلون من ألوان الفن.

إنه تعامل جاد خطير بين طرفين أحدهما الحي القيوم، وعلاقة تشد المرء من أخفى أغواره وأبرز أحواله إلى من نشَّأه من عدم، ورباه من ضياع.

وكما يلتحق العاطل بوظيفة جديدة تستغرق أوقاته، وتصون حاضره ومستقبله يلتحق الإنسان بركب الإيمان فيصبح ويمسي وهو مشغول بواجبات وضعه الجديد، ووسائل قيامه به ونجاحه فيه.

الرسالات فجر الإنسانية

وقد بيّن الكتاب العزيز أن الناس قبل دعوة الله أشباه موتى، وأن انقيادهم للمرسلين مشرق فجر جديد في أنفسهم وأفكارهم وأخلاقهم ومسالكهم.. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ...﴾ **(الأنفال: ٢٤)**.

إن الحياة الحقيقية ليست صورة اللحم والدم، ولا اكتناز العضلات وقوة الحركات.. كلا، فتلك حياة يشترك فيها البشر والسباع والدواب والزواحف، بل لعل حظوظ الأنعام منها أوفر.

الحياة الحقيقية هي هذه الصلة التي تنشأ مع الله بعد معرفته.. هي هذا الانتظام الجديد مع أوامر الله ونواهيه بعد أن أعلن اللسان هذه البداية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بقوله ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ ...﴾ **(آل عمران: ١٩٣)**.

أجل، مع هذا الإقرار السمح لا يبطئ المؤمن في الانتقال إلى عالمه الجديد، حيث يسلم وجهه لله وحده، ويتحرك فوق ظهر هذه الأرض وفق ما يطلب منه مولاه.

فهو محكوم في امتداده وانكماشه وحبه وبغضه وسلمه وحربه بحدود الحلال والحرام والثواب والعقاب وطلب الزلفى من ربه، والوجل من طرده..

هذا الإيمان ينشئ حياة جديدة كل الجدة..

إننا نعد الزنجي التائه في مجاهل إفريقية إنسانا متأخرًا جدًّا بالنسبة إلى زميله عالم الذرة في أرقى البيئات.

ففكرة أحدهما عن الكون والحياة تغاير كل المغايرة فكرة الآخر، ولا شك أن مسافة التخلف بين هذا وذاك بعيدة، إن هذا البعد يساوي كذلك مسافة التخلف بين امرئ يعرف الله وآخر يجهله.

الغافل حيوان ضائع

إن ذلك المرء الغافل عن ربه- مهما ارتقى وضعه المادي- حيوان ضائع.. ربما كان حيوانًا ذكيًّا في بعض الأمور، بيد أن جهله بالله هوى به إلى أسفل سافلين، فهو ليس متأخرًا فقط، إنه ميت ولو حلق في أجواز الفضاء.

إن الجهل بالله ظلمة كالحة السواد شديدة الوحشة، ولذلك يقول الله ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ **(الأنعام: ١٢٢)**.

والفارق بين المؤمن والكافر يتضح من هذا الوصف الذي قررته الآية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فللمؤمن نوره الذي يمشي به بين الناس..

ترى ما هذا النور النابع من حياة الإيمان؟

إنه نور الضمير المشع في حناياه، يعرف به الخير من الشر، ويميز المعروف من المنكر..

وهل يرجح الإيمان ويستحق التكريم إلا بهذه الميزة؟

المقطوعون عن الله لا تلفتهم إلا الحياة الدنيا ومآربهم منها، وما يتورعون عن قتل ولا ختل، ولا إفك ولا غش.

أما الموصولون بالله فهم طلاب كمال وعدل، وعفاف وتقوى.

وما تنتشر البركة في الأرض والطمأنينة في المجتمع إلا في ظلال هذا الإيمان، الذي يشق طريقه في ضمان السماء.

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ...﴾ **(فاطر: ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢)**.

الإيمان بالله حياة

أجل، إن الإيمان حياة، وقد شبه النبي ﷺ عمل الإيمان في الأنفس بعمل المطر في الأرض «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير... الخ».

وهل سمي الوحي روحًا إلا لأنه يحيي القلوب الميتة، ويبصّر الضمائر الضريرة؟

إن فيصل التفرقة بين الإيمان الصحيح والإيمان المزيف أن الأول يولد به المرء ولادة جديدة ويحيا به حياة رشيدة، أما الآخر فلا يصنع شيئًا.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأول يتحول قوة دافعة إلى فعل الخير ونصرة الحق، كما يتحول الوقود في الآلة إلى حركة دوارة، أما الآخر فصفر.

الأول يعيد تشكيل الكيان الإنساني على نحو يجعل المرء تابعًا لله في هذه الدنيا، فهو باسمه يصول وباسمه ينطلق. أما الآخر، فالإنسان تابع هواه فحسب.

مطاردة الإيمان المزيف

وإذا كانت الدول تكافح تزييف النقد المتداول بين الناس ضبطًا لقيم الأشياء، وحربًا على البطالين والسراق، فما أحرانا بمطاردة الإيمان المزيف حتى تبقى لليقين الصحيح قيمته وآثاره ومنافعه المادية والأدبية.

ولو عقلنا لعرفنا أن الحفاظ على صحة الإيمان أهم من الحفاظ على سلامة الذهب والفضة وما يمثلهما من أوراق.. ولنسرد من كتاب الله الكريم بعض الدلائل التي تشرح ما نقول.

في الحياة التي ينشئها الإيمان لا مكان للشك وللريبة مهما أظلم الجو واربد الأفق، بل يجب على أهل الإيمان أن يتماسكوا ويصبروا ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ...﴾ (**الحجرات: ١٥**).

ومواقف الإيمان ليست محصورة ولا محددة في مسلك واحد، فما تملي به أعباء الحق يجب الانقياد إليه مهما تغايرت الظروف.

فبعض الناس قد يكلف بالانتقال هنا أو هناك، والبعض الآخر قد يكلف بالثبات في مكانه والبذل من ماله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (**الأنفال: ٧٤**).

ويستحيل في ظل حياة يقيمها الإيمان أن يسير الخطأ دون نكير يلاحقه

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أو يبقى العوج دون نصيح يطارده وإن طال المدى وفدحت التكاليف.

فشيمة المؤمنين- كي يتجنبوا الخسار- التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

وقد يفزع بعض الناس من بطش الجبابرة فيستكينون، أو تغريهم طراوة العيش فيستلينون، بيد أن الإيمان الصحيح ينشد رضا واحدا ويقلق من غضب واحد.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ...﴾ (**الأنفال: ٢**).

وهناك من يشغله توطيد مكانته الخاصة عن أي أمر آخر، فهو يريد أن يستبي القلوب بكل ما أوتي من مواهب.

الرياء مهلكة الإيمان

وفي عصرنا هذا شاعت عبادة الفرد للجماهير وعبادة الجماهير للفرد.

أما أن يبصر الإنسان وجه الله فيما يعمل ويترك، ويتحرى ذاته فيما ينفق ويمسك فلا مكان لذلك في نفسه.

وهذا هو الرياء الذي يحبط الأعمال، ويكشف عن خراب القلوب من معنى الخير.

قال الجنيد: لو أن عبدًا أتى بافتقار آدم، وزهد عيسى، وجهد أيوب، وطاعة يحيى، واستقامة إدريس، وود الخليل، وخلق الحبيب، وكان في قلبه ذرة لغير الله، فليس لله فيه حاجة.

والحق أن لصوق الرياء بقلب واستبداده به مهلكة للإيمان وممحقة للمثوبة.

إن الغيث ينزل بالأرض الخصبة، فيكشف عن صلاحيتها للنماء والخير،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وينزل بالصخر فيكشف عن جفاف طبيعته وقسوتها وإقفارها.

وكذلك ضرب الله المثل للمرائي ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ **(البقرة: ٢٦٤)**.

إن الحياة التي ينشئها الإيمان تتسم بالإخلاص العميق والتجرد التام لله رب العالمين.. ولنتجاوز هذه النماذج المتناثرة في وصف الحياة التي ينشئها الإيمان لنقول إن الإيمان عمل حاكم في تحويل الغرائز والعواطف الإنسانية من وجهة إلى وجهة.. الإنسان العاري من أي صبغة دينية أو مذهبية يجوع ويشبع، ويفرح ويحزن، ويغضب ويحلم، ويتكبر ويتواضع، ويحنو ويقسو، وييأس ويرجو... إلى آخر ما يعتري الطبيعة البشرية البحتة من عوارض لا تخلو عنها أبدًا.

والإيمان المعزول عن هذه العوارض لا يثيرها، ولا يسكنها إيمان مغشوش.

وقد تحدث علماء التربية قديمًا عن ضرورة خوف الإنسان من الله ورجائه فيه وإنابته إليه واعتماده عليه... إلى غير ذلك من أحوال نفسية فاضلة.

وهذا حسن، لكنه تصوير جزئي للحقيقة المنشودة، أو تصوير جانبي للحياة التي ينصب الإيمان سرادقها الرحب.

والتصور في ذلك جاء نتيجة أفهام الناس، وما أحسبه مرادًا لهؤلاء العلماء الكبار.

إننا جميعًا متفقون على أن الإيمان صبر وشكر، وخوف ورجاء.

تمام الإيمان

بيد أن البعض فهم أن هذه المشاعر يدخل بها الإيمان على النفس مع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بقاء هذه النفس على طبيعتها العامة تخاف الله حينا وتخاف غيره حينا، وترجو الله حينا وترجو غيره حينا... وهكذا.

وليس ذلك هو المراد ولا هما تمام الإيمان وخلوصه من الشوائب.

فالمؤمن في تعامله مع الله وتوحيده له وإدراكه لأسمائه الحسنى وصفاته المحيطة يبني سلوكه في الحياة على التفرغ الكامل لمولاه والارتباط المطلق به وحده والتجاهل لما عداه.

وليس التوحيد أن نكفر بأصنام الحجارة، ثم نجعل من المال صنمًا أو الجاه صنمًا أو المرأة صنمًا أو الحاكم صنمًا، ثم نتوجه ببعض مشاعرنا أو كلها إلى هذه الأصنام الجديدة.. فإذا أغلب النشاط الظاهر والباطن لها وإذا أقله لله الصمد!

إننا بالملاحظة العابرة نحس أن كثيرًا من الناس يبخسون الخالق من أحر عواطفهم، على حين يتجهون بهذه العواطف المشبوبة إلى غيره، فأي إيمان هذا؟

وهذا هو السر في أن البعض يزعم أنه يرجو الله مثلًا، فإذا فتشت في سلوكه لم تجد لذلك الرجاء أثرًا.

ما بال دينك ترضى أن تدنسه

وأن ثوبك مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس

لقد انهارت حضارات دينية كثيرة لأن العنوان الذي عرفت به يغاير الحقيقة التي تحيا بها.

ويوم يفلت زمام النفس الإنسانية من قيادة الإيمان الصاحي، ويقع في يد الهوى الطائش فهيهات أن يغني عنوان أو تجوز خدعة!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن المعصية تولد قوية غالبًا، لأن وراءها انفعالات عنيفة، فهل يراد أن يولد الإيمان ضعيفًا لأنه واهي الصلة بالمشاعر الجياشة في النفس الإنسانية؟

إذا لم يكن الإيمان حياة عميقة الجذور في أغوار الإنسان فهو إيمان معلول يحتاج إلى الطبيب كي يصح ويستقيم.

فالتوكل على الله مثلًا يجب أن يكون في نفس المؤمن أرسخ من الاعتماد على السلطة في نفس الجائر المستعلي.

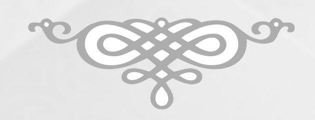
وإيثار الآخرة يجب أن يكون أقوى في نفس المؤمن من اشتهاء العجلين للدنيا.

وعلى ضوء هذا تفهم قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ...﴾ **(البقرة: ١٦٥)**.

أما أن ترى الملحد أيقظ عقلًا من المؤمن، وأرهف حسًّا، وأعلى همة، فهذا هو الإيمان الكذوب.

إن المواهب الأدبية تفتق بالإيمان كما تفتق الأكمام عن أزهارها.

وإن الإيمان ليخلق من الموت حياة حافلة بالقوة والنماء جديرة بالبقاء والاحترام.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٣)

بيعة ثم بيعة

العدد (١٣) محرم (١٣٨٥هـ) إبريل (١٩٦٦م)

في سبيل تحقيق السمو النفسي والاجتماعي لا يفرق الإسلام بين جهاد المرء لبلوغه الكمال في خاصة نفسه، وجهاده لتوطيد الحق في أرجاء المجتمع الكبير.

فإن الدعوة إلى الخير لا تسوغ من عليل القلب مضطرب السلوك، كما أن سليم القلب شريف السيرة لا يسكت على بيئة مضطربة الضمير مهتزة الخلق.

والحضارة الحديثة تفرق بين السلوك الشخصي، والسلوك العام، وربما قبلت من الرجل أن يكون له جانبان، أحدهما رديء في حياته الخاصة، والآخر حسن في حياته العامة.

وهذا الانشطار في النفس الإنسانية غير مقبول ولا معقول من الناحية الدينية.

وقد كان الإسلام بعد عشر سنين على ظهوره في مكة يعاني آلام الغربة الروحية والحصار الاقتصادي والاستضعاف الشائن، وكان المسلمون جديرين بقبول النصرة من أي يد تمتد بها.

وجاء من يثرب وفد أنعش الآمال في فرج يبدد هذا الضيق، وضياء يكشف تلك الغمة، ولكن الرسول الكريم استقبل هذا الوفد، ليعلمه قبل كل شيء أصول العقيدة السليمة، ويمسكه بمعاقد العمل الصالح.

إن الأنبياء لا يكافحون بمرتزقة يحملون السيف في أيديهم، وإنما يحاربون برجال يستبطنون الإيمان والشرف في قلوبهم وسلوكهم.

وهذا ما تنضح به الكلمات والوصايا والخطب التي وعاها التاريخ في بيعتي العقبة الصغرى والكبرى.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في البيعة الأولى جاء الرجال الذين شرح الله صدورهم بالإسلام.

ولقد لقيهم النبي بالعقبة، وعقد معهم بيعة على الإيمان بالله وحده، والاستمساك بفضائل الأعمال والبعد عن مناكرها.

عن عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف.

قال: فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئًا، فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر»[١]. هذا ما كان محمد ﷺ يدعو إليه وكانت الجاهلية تنكره عليه.

أيكره هذه العهود إلا مجرم يحب للناس الريبة، ويود للأرض الفساد؟

أتم وفد الأنصار البيعة، ثم قفل عائدًا إلى يثرب، فرأى النبي أن يبعث معهم أحد الثقاة من رجاله ليتعهد نماء الإسلام في المدينة ويقرأ على أهلها القرآن ويفقههم في الدين، ووقع اختياره على مصعب بن عمير ليكون هذا المعلم الأمين.

ونجح مصعب أيما نجاح في نشر الإسلام، وجمع الناس عليه، واستطاع أن يتخطى الصعاب التي توجد- دائمًا- في طريق كل نازح غريب، يحاول أن ينقل الناس من موروثات ألفوها إلى نظام جديد يشمل الحاضر والمستقبل ويعم الإيمان والعمل، والخلق والسلوك.

ولا تحسبن مصعبًا كأولئك المرتزقة من المبشرين الذين دسهم الاستعمار الغربي بين يدي زحفه على الشرق. فترى الواحد منهم يقبع تحت سرير مريض ليقول له: هذه القارورة تقدمها لك العذراء وهذا الرغيف يهديك إياه المسيح.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم ٢٢٧٥٤.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وربما فتح مدرسة ظاهرها الثقافة المجردة أو ملجأ ظاهره البر الخالص، ثم لوى زمام الناشئة من حيث لا يدرون، ومال بهم حيث لا يريدون.

هذا ضرب من التلصص الروحي، يتوارى تحت اسم الدعوة إلى الدين.

والذين يمثلون هذه المساخر يجدون الجرأة على عملهم من الدول التي تبعث بهم، فإذا رأيت إصرارهم ومغامراتهم فلا تنس القوى التي تساند ظهورهم في البر والبحر والجو.

أما مصعب فكان من ورائه نبي مضطهد، ورسالة معتبرة ضد القانون السائد، وما كان يملك من وسائل الإغراء ما يطمع طلاب الدنيا ونهازي الفرص، كل ما لديه ثروة من الكياسة والفطنة قبسها من محمد ﷺ، وإخلاص لله جعله يضحي بمال أسرته وجاهها في سبيل عقيدته.. ثم هذا القرآن الذي يتأنق في تلاوته، ويتخير من روائعه ما يغزو به الألباب، فإذا بالأفئدة ترق له، وتتفتح للدين الجديد.

وعاد مصعب إلى رسول الله بمكة قبيل الموسم الحافل يخبره بما لقي الإسلام من قبول حسن في يثرب، ويبشره بأن جموعًا غفيرة دخلت فيه عن اقتناع مس شغافهم وبصر أنار أفكارهم وسوف يرى من وفودهم بهذا الموسم ما تقر به العين.

بيعة العقبة الكبرى

إن الرجال الذين اعتنقوا الإسلام عرفوا -دون شك- تاريخه القريب والصعاب الهائلة التي لقيها، وحز في نفوسهم أن يستضعف إخوانهم في مكة وأن يخرج نبيهم وهو يدعو إلى الله، فلا يجد إلا آثمًا أو كفورًا.

ولذلك تساءلوا- وهم خارجون من المدينة قاصدين البيت العتيق- حتى متى نترك رسول الله يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟

لقد بلغ الإيمان أوجه في هذه القلوب الفتية. وآن لها أن تنفس عن

حماسها وأن تفك هذا الحصار الخانق المضروب حول الدعوة والداعية.

قال جابر بن عبدالله: فرحل إليه منا سبعون رجلًا حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال ﷺ تبايعونني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقوموا في الله، لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني- إذا قدمت عليكم- مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة.

فقمنا إليه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة- وهو أصغر السبعين بعدي- فقال: رويدا يا أهل يثرب فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف.

فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه.. فبيّنوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله.

فقالوا: يا سعد، أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها فقمنا إليه رجلاً رجلًا فبايعناه.

وعن كعب بن مالك: نمنا تلك الليلة- ليلة العقبة- مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا، ومعنا امرأتان من نسائنا، نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو بن عدي.

موقف للعباس

فلما اجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ جاءنا العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويستوثق له، فلما جلس كان أول متكلم، قال: يا معشر الخزرج إن محمدًا منا حيث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزة من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك.. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم من الآن فدعوه، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده.

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك وربك ما أحببت، فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

قال كعب: فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: نعم، فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع أزرنا، فبايعنا رسول الله، فنحن- والله- أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر.

فاعترض هذا القول - والبراء يكلم رسول الله ﷺ- أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال- يعني اليهود- حبالا وإنا قاطعوها.

فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله، أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

وأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا يكونون على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم النقباء، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فقال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي.

تلكم بيعة العقبة، وما أبرم فيها من مواثيق، وما دار فيها من محاورات.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن روح اليقين والفداء والاستبسال سادت هذا الجمع وتمشت في كل كلمة قيلت، وبدا أن العواطف الفائرة ليست وحدها التي توجه الحديث أو تملي العهود، كلا، فإن حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم، والمغارم المتوقعة نظر إليها قبل المغانم الموهومة.

مغانم؟ أين موضع المغانم في هذه البيعة؟ لقد قام الأمر كله على التجرد المحض والبذل الخالص.

هؤلاء السبعون، مثل لانتشار الإسلام عن طريق الفكر الحر والاقتناع الخاص.

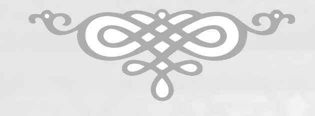
فقد جاءوا من يثرب مؤمنين أشد الإيمان، وملبين داعي التضحية، مع أن معرفتهم بالنبي كانت لمحة عابرة، غبرت عليها الأيام، وكان الظن بها أن تزول.

بيد أنها لم تزل، بل ربت على مر الأيام، وما زادتها الأحداث إلا صلابة وتألقًا.. والمعروف أن بيعة العقبة أنقذت الإسلام من جبروت الوثنية في مكة، ومهدت للهجرة التي بدأ بها تاريخه الطويل.

إلا أن هذه البيعة- إلى جانب ذلك- كانت نداء الإنقاذ الذي نجا به الإسلام من المآزق المتضايقة.

ففي غزوة حنين، عندما فر الطلقاء والضعفاء للجولة الأولى، أمر رسول الله ﷺ عمه العباس، وكان جهير الصوت فنادى يمنة ويسرة: يا أصحاب العقبة، فثاب الرجال المؤمنون إلى صاحب الرسالة ينعطفون نحوه، وقد هاجت في مشاعرهم أقدس الذكريات فكانت الجولة الأخرى وجاء بعدها النصر.

ألا ما أجل عهود الشرف في تاريخ الدعوات!



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٤)

صدق المعرفة ووحدة الوجود

العدد (١٨) جمادى الثانية (١٣٨٦هـ) سبتمبر (١٩٦٦م)

درجات المؤمنين في معرفة الله متفاوتة إلى حد بعيد.

ولا تقبل هذه المعرفة- ابتداء- إلا إذا كانت صحيحة، مطابقة للواقع.

فإذا شاب هذه المعرفة جهل فاضح كالشرك أو التجسيد ردت في وجه صاحبها ولم تغن عنه شيئًا.

والمعرفة الصحيحة مراتب، فالذي يعرف ربه معرفة واضحة غير الذي يعرفه معرفة غائمة.

ووضوح الرؤية للغاية المنشودة شيء آخر غير الاندفاع بإحساس غامض ونظر مختلط.

والمعرفة العميقة غير المعرفة السطحية، الأولى تبقى على اختلاف الظروف والأخرى قد تهتز مع الاختبارات العارضة.

والمعرفة الآلفة المستمرة غير المعرفة العابرة المارة.

فقد تعرف إنسانًا معرفة جيدة، وتنشغل عنه بأمور كثيرة أو قليلة، وقد تعرف آخر معرفة صحبة واستقرار.

والذي يعرف ربه كلما شعر بحاجة إليه، فإذا انتهت حاجته شغلته نفسه، غير الذي أنشأ علاقة مع ربه يتعهدها بالتحبب والتردد على ساحته، فهو موالٍ له معتز بصلته.

والمعرفة الموقنة الناشطة التي تجعل المؤمن يسارع في الخيرات، وينهض بالتكاليف غير المعرفة الكسول الوانية التي يصحبها التفريط في الواجب أو استثقال أدائه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والمعرفة العاصمة من الدنايا الكابحة للجماح غير المعرفة المنهزمة أمام النزوات.

والمعرفة المورثة للتوكل على الله في مواطن القلق والفزع غير المعرفة التي تجعل المرء ضارعًا للخلق ذليلًا أمام أصحاب الحول والطول.

إن الإيمان يزيد وينقص، وآثاره في النفس والحياة تمتد وتنكمش.

والزيادة والنقصان ليسا في أصول المفهوم العقلي، وإنما في كمه وكيفه، فالصوت من الفم العادي يتضاعف ألف مرة عندما يمر بمذياع ضخم البوق بعيد الصدى.

والإيمان في بعض النفوس قد يتحول إلى حياة تصبغ الشعور والفكر وتهيمن على الحركات والسكنات، وتجعل صاحبها في نهار دائم من الأنس بالله وإلف عظمته.

ومن ثم لا يتفاضل المسلمون في أصل عقيدة التوحيد، وإنما يتفاضلون فيما يبلغه التوحيد في نفوسهم من أبعاد وآماد.

ومن الجور أن نسوي بين العميق والضحل، والمتين والضعيف.

وأقدار المؤمنين عند الله وحظوظهم من مثوبته تتبع درجات إيمانهم على ما شرحنا.

واكتمال الإيمان يوصل إليه بعد جهاد طويل، ورياضة متصلة.

ومن الخير أن نعترف بمدخل العناية العليا في هذا المضمار، فإن الفالحين يغرسون جميعًا لكن حصيلة الثمر في كف القدر.

وما من جهد يذهب هدرًا، حاشا لله، فهو القائل ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ **(العنكبوت: ٦٩)**.

والمشكلة ليست في أن الله جل جلاله يثيب من قصده، فهو مثيب مجيب،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنما الذي يجب أن يعرف بحسم أن العبد في هذا الميدان محتاج إلى سعة الفضل لا إلى ضمان العدل، وأن ما يأخذه إن كان أجرًا على عمل فلن يعدو المرء مكانه، أما إن كان تطولًا من ذي الجلال والإكرام فـ ﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (**آل عمران: ٧٣، ٧٤**).

ولذلك لا يسبق إلا فقير متجرد من الدعوى، متعرض للمنحة، متطلع إلى عطاء المنعم الواسع تبارك اسمه.

وإذا أحب الله إنسانًا رطب بذكره لسانه وأنعش به جنانه ويسّر له ما يرده إليه إن بعد، وما يقيمه على الصراط إن شرد.

والدرب الموصل إلى الله قد تكفل الإسلام بوصف مراحله ومعالمه، فليس هناك شيء وراء كتاب الله وسنة رسوله.

إلا أن عواطف الإيمان قد تهيجها عواطف مشابهة وإن اختلف سببها، وهذه طبيعة البشر، إذا غمرهم شعور ما، فإن هذا الشعور قد يجيش في جوانحهم بعد سكون لأبعد المثيرات.

وتأمل كيف يبكي متمم بن نويرة أخاه مالكا:

وقال أتبكي كل قبر رأيته

لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا

فدعني فهذا كله قبر مالك

وجيشان العواطف المؤمنة عند جمهور العارفين هو الذي جعلهم ينقلون إلى ميدان الحق معاني قيلت ابتداء في مواقف تافهة وصغيرة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن هنا ناجوا الله بقول الشاعر:

إن بـيـتـا أنـت سـاكـنـه

غـيـر مـحـتـاج إلـى الـسـرج

وجـهـك الـمـأمـول حجتنا

يـوم يـأتـي الـنـاس بـالـحـجـج

وهي أبيات من قصيدة في الغزل.

وكذلك ناجوا الله بقول الشاعر:

فليتك تحلو والحياة مريرة

وليتك تصفو والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر

وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين

وكل الذي فوق التراب تراب

وهي أبيات قيلت في مدح سيف الدولة.

والحق أنه كثير على بشر أن يخاطب بهذه المعاني، فالله جل شأنه أولى من يناجى بها.

ولا نريد أن نقف عند تلك الخطرات، بل يهمنا أن نصف حقيقة العبودية التي تتضح بهذه المعاني، أو تتجاوب معها، وحسبنا في ذلك الكتاب والسنة.

إن القرآن الكريم ينقل الإيمان من ميدان التصورات النظرية المعزولة إلى ميدان الشعور الحي المأنوس الواقع.

ففي مجالسنا، حيث نسمر، أو نجد يجب أن نعد بين الحضور رب العالمين ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ (**المجادلة: ٧**).

وهذا الإحساس بالحضور الإلهي له نتائجه من رغبة ورهبة، والله جل شأنه يريد أن نشعر بهذه الهيمنة الشاملة، وأن نحسب حسابها فيما نفعل ونترك ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ...﴾ (**يونس: ٦١**).

وفي الخريف الماضي كنت جالسًا وحدي في حديقة تحت إحدى الشجرات، فسقطت علي ورقة جافة، فتلفت في مكاني أنظر هنا وهناك وعلى لساني قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ...﴾ (**الأنعام: ٥٩**).

قلت لنفسي إن الله يعلم بسقوط هذه الورقة الآن... وقلبتها بين أصابعي أتأمل في ظهرها وبطنها، وأتفرس في شبكة العروق اليابسة المنتشرة بين الوسط والأطراف.

ومددت بصري فإذا أوراق كثيرة ساقطة، ووجدت أني إن استطعت عد هذه الأوراق الكبيرة فمن المستحيل أن أعد الأوراق الصغيرة تحت الشجيرات الأخرى.

قلت ذلك وأنا بين بضع شجيرات في بقعة لا تذكر من أرض الله، فكيف بما تنفضه رياح الخريف في القارات الخمس؟

ثم قلت وعلم ذلك إن أعيى العادين في عصر واحد لكثرته الهائلة، فكيف بإحصاء ما تساقط على مر القرون من بدء الحياة إلى منتهاها؟

وأخذتني حيرة وروعة وأنا أتابع سلسلة هذه الصور، ثم وأنا أمسك مرة ثانية بالورقة الجافة وأتساءل: كيف نسجت مادتها وكيف تمت صباغتها.

إن الخضرة في وجهها هذا غير الخضرة في وجهها الآخر، ثم إن أطراف الورقة مزخرفة بمنحنيات متناسقة كثيرة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وستعود هذه الورقة طينًا وتنبثق من ظلمات الأرض مرة أخرى ورقة ناضرة يانعة.. وهي في كل آن من هذه المراحل فقيرة الفقر كله إلى الخالق المصور الذي يتولى إيجادها.

إيجادها وحدها؟ كلا بل الألوف المؤلفة، والألوف المؤلفة في كل بستان وحقل، كان أو يكون.

وعدت أقرأ الآية كلها من جديد ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا ...﴾ **(الأنعام: ٥٩)**.

والقرآن الكريم مشحون بالمشاهد التي تعلم الناس «مقام الإحسان» والتي تدرجهم في مراتب العبودية على مقدار طاقاتهم العقلية والنفسية.

والفقيه في سيرة صاحب الرسالة صلوات الله عليه وسلامه يدرك أنه بلغ في عبوديته لله مدى من الاستغراق والإشراق تنقطع دونه همم الخلائق كافة.

وسنلمح إلى ذلك في مقال تال.

والأساس العقلي للشعور بوجود الله يقوم على ما تقرر في علم التوحيد من أن أقسام المعلوم ثلاثة «واجب» و«مستحيل» و«ممكن».

فالواجب يستحق الوجود في ذاته ولا يتصور عدمه.

والمستحيل يستحق العدم من ذاته ولا يتصور وجوده، والممكن ما لا يستحق من ذاته عدما ولا وجودا، وإنما وجوده إن وجد، من واجب الوجود وحده.

والعالم كله، ما نعرف منه وما لا نعرف، ما نبصر وما لا نبصر، من هذا القسم الأخير.

حياته عارية من غيره، تستوي في ذلك الجراثيم التي تسكن ألوفها المؤلفة رأس إبرة، والكواكب التي تتهادى في دارات الفضاء بين شروق وغروب، إنها جميعًا تستعير وجودها وحراكها ونظامها من الله ﴿ ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ **(طه: ٥٠)**.

والشعور بهذه الحقيقة العلمية تجاوب مع الواقع الذي لا ريب فيه، ولعل ذلك ما أوحى بهذه الأبيات التي جرى بها قلم مؤلف لا أذكر اسمه:

الله قل، وذر الوجود وما حوى
إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته
عدم على التفصيل والإجمال
من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده في الحق محض خيال

ونحن نزكي هذا الإحساس لكنا نلفت النظر إلى شطط يعتريه ويفسده، فمن حق الله ألا نغفل عن وجوده، ومن حقه أيضًا ألا نجحد أو نجهل ما أوجد.

بل إننا لن نعرف الله المعرفة الصحيحة إلا إذا درسنا العالم الذي خلقه وأودع في تضاعيف هذا الخلق دلائل عظمته، ومعاني أسمائه الحسنى.

والإيمان الذي دعا إليه القرآن الكريم هو ثمرة الدراسة الواعية للكون الكبير وما انبث في جوانبه من أحياء.

إنك تستطيع أن ترى الله في كل شيء، أي تستطيع أن ترى قدرته وإبداعه ومجده، وتستطيع أن تلمح أنه القيم على كل شيء، في أغوار الأرض وأبعاد السماء.

عندما أعلن الإحصاء الأخير لسكان الأرض ساورني خاطر محدود:

هناك أكثر من ثلاثة آلاف مليون إنسان يعيشون على ظهر هذه الكرة، قلت لنفسي: إن الله من وراء ثلاثة آلاف مليون عقل يجري فيها تيار الفكر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بطيئًا أو قويًا، ترى فيم يفكر كل واحد من هؤلاء؟

ومن وراء ثلاثة آلاف مليون قلب تجيش بالرضا أو القلق، بالفرح أو الحزن، بالرجاء أو اليأس، ترى ما يشغل كل قلب من هذه القلوب؟

من وراء ثلاثة آلاف مليون جسد تغلي الحياة في أعضائها ويجري الدم في عروقها وتنقبض وتنبسط بالزفير والشهيق رئاتها.

ما أكثر هؤلاء! ومع ذلك فالله من ورائهم محيط ولأمورهم مدبر وفوقهم قاهر وعليهم قيوم.

هم وحدهم؟ كلا، هم والأصول التي انحدروا منها والفروع التي تنشأ عنهم إلى ما شاء الله جل جلاله.

هم وحدهم؟ كلا، وعوالم الأحياء الأخرى التي تزحم البر والبحر، وتنتشر في ملكوت نجهل منه أكثر مما نعرف ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (**الأنعام: ١٣**).

ما أوضح شيء في عالمنا هذا؟ الشمس في حجمها الضخم، وما يضطرم في كيانها من نار ونور؟

إن الحريق المستعرة في جوفها وسطحها ترمي باللهب على مسافات هائلة هي بعض مظاهر الجبروت الإلهي في التكوين.

فهل بعد ذلك يضعف الإحساس بالخالق ويقوى الإحساس بالمخلوق؟

وحدة الوجود خرافة

إن الشعور بالوجود الإلهي يجب أن يكون حيًّا غامرًا لدى أولي الألباب.

لكن الكون شيء غير صاحبه، والعالم شيء غير الله، ومعرفتنا بالله فيما أوجد لا تعني أن الوجود هو الموجود.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن السخف أن يرتكس الفكر الإنساني في هذه الحمأة.

إن الآلة شيء غير من اخترعها، والقصر شيء غير من بناه.

وقد خلقنا الله وكلفنا، ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات، وأنزل بذلك كتبًا وبعث رسلًا.. فكيف نجرؤ على وصفه بالهزل والتزوير في ذلك كله؟

ولقد أحصى العلماء العناصر التي يتكون منها العالم، وقرروا ما لكل عنصر من خصائص لا تزيد ولا تنقص، فكيف توصف هذه العناصر بعد ذلك بأوصاف الألوهية؟

إن القول بوحدة الوجود هو- عند التأمل- نفي للألوهية وإثبات للكائنات وحدها.

فالماء مثلًا مادة معروفة، وقد شرح الكيمائيون أسلوب وجودها من عنصريها الأساسين.

وهي من قبل ومن بعد لن تكون إلا الماء.

فالزعم بأنها إله أو جزء إله تخرص علمي سيسقط من تلقاء نفسه، وتبقى بعد ذلك العناصر وحدها دون أي وصف إلهي.

ومن ثم قلنا: إن وحدة الوجود عنوان آخر للإلحاد في وجود الله، وتعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط وما دام لا يوجد شيء وراء هذا العالم، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه.

وفلسفة وحدة الوجود، أو خرافة وحدة الوجود، تفكير هندي قديم، والقوم يتصورون أن هذا العالم أزلي أبدي، وأن الأرواح تخرج من أجسادها لتعود في أجساد أخرى- وقد تكون أجساد حيوانات- وأن قصة الحياة تدور في هذا النطاق المحصور، وتبدأ من حيث تنتهي، وهكذا دواليك إلى ما شاء الله، والله- في أوهامهم- هو هذه العمليات المتكررة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والغريب أن هذه الوحدة الموهومة قد تسللت إلى بعض الديانات السماوية وبين يدي قصيدة لشاعر عربي تصور هذه الأسطورة المنكورة تصويرًا تامًا، قال.

عل الوجود هو الله الذي اتجهت
هذي النفوس إليه بالعبادات
له العوالم أعضاء مرددة
فيها الحياة على بعد المسافات
وما الأثير وما الأجرام سابحة
فيه، سوى الدم، يغلي بالكريات
ما كان قط عن الأشياء منفردًا
بل هن فيه لصون الذات بالذات

❖ ❖ ❖

تعاشق الكل، من أعلى الشموس إلى
أدنى الرمال إلى أخفى الذريرات
لو قال كن، كان للتكميل مفتقرًا
وكان في حاجة الماضي إلى الآتي
سر التحول والتكرار مطردًا
هذي البدايات من تلك النهايات
رباه أشرق لروح منك منبثق
أما أنا فيك من بعض الخليات؟
حاولت ترويض عقلي فاندفعت به
في مدحض زيق بالعبقريات
فخذ بكفي، ولا تغضبك فلسفتي
وعدها لي من بعض الحماقات

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهذا الذي قاله الشاعر حماقة لا ريب فيها، ومن حق رب العالمين أن تغضبه تلك الفلسفة السمجة، وأن يسخط على كل من يعتنقها ويروجها.

ومن العجائب أن بعض المتصوفة من المسلمين قد انزلق إلى هذه الهاوية وينسب إلى الحلاج قوله:

سبحان من أظهر ناسوته

سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا

في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه

كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد دفع الحلاج دمه ثمن هذا الحمق.

ولا أدري كيف يقول مسلم، بل كيف يقول عاقل بوحدة الوجود، إن كان حقًا يؤمن بالله ويصدق المرسلين؟

لو كانت الأرض لؤلؤا ومرجانا ما صح أن تكون ذاتا لله، فكيف وهي إلى جانب ذلك حصى وبعر، ولو كانت زهرًا فهناك الشوك، ولو كانت وفاء وأمانة فهناك الغدر والخيانة.

إن الصاروخ المنطلق في مداره شيء غير الإنسان الذي أطلقه، كذلك العالم شيء غير الرب الذي أبدعه وسيره ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ **(الزمر: ٦٢، ٦٣)**.

وأظننا أوضحنا بعد البون بين الإحاطة الإلهية التي يحسها المؤمنون ووحدة الخالق والمخلوق التي يتوهمها الخراصون.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم إن العارفين بالله المشاهدين لقيوميته قد يستغرقون في حالات من التأمل العميق تطول أو تقصر، والاستغراق العقلي أو النفسي في أمة ما ليس بدعا في شؤون الناس.

وقد يفجأني أحيانًا أمر من الأمور فأحشد له كل ما في كياني من انتباه إلى أن أفرغ منه.

وللعلماء نوادر في ذهولهم العلمي وغلبة بحوثهم على تصوراتهم.

وليس مستغربًا أن يجتذب الحب الإلهي بعض أولي الألباب فيشغلهم عن ذاتهم، وينتقل بهم من مآرب الأرض إلى أشواق السماء.

إلا أن هذه الأصول عوارض لا تصبغ الحياة الإنسانية طولًا وعرضًا.. وهذه بداهة لا تنال إلا أصحاب السناء الفكري والنفسي.

أي أنها شارات اكتمال ثقافي وعاطفي، فلا يمكن أن يحسها أهل البلادة والقصور، إن التألق طبيعة الشخصية المتقدة لا الشخصية المعتمة.

ويبقى أن نتساءل: ما مدى هذا الاستغراق؟ والجواب أن لحظات الانتباه الذهني موقوتة بطبيعتها، فما يزعمه البعض أنه مجذوب طول عمره إلى الحضرة الإلهية دعوى غير مسلمة.

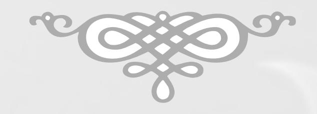
نعم هناك ألوف المؤمنين المتفانين في مرضاة الله الراغبين إليه البانين حياتهم وفق مراده، ولكن ذاك شأن غير ما نحن بصدده.

والمثال العلمي الأكمل للمعرفة التامة والإقبال العظيم على الله يؤخذ من سيرة رسول الله ﷺ، فإن انتباهه المشدود إلى الله تبارك وتعالى ما أوهى حسه بالحياة ولا علائقه بالخلائق..

ومن هنا فسيرة المجاذيب من المتصوفين الذاهبين عن الوجود المادي، نعدها نحن حالات مرضية لا أمارات صحة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فإذا انضم إلى هذا الذهول ما يقال من فناء عن النفس أو فناء في الله، وما يضيفه الخيال المعتل في مثل هذه الحالات من صور حلول أو اتحاد، كل ذلك لا يمكن وصفه إلا بأنه اختلال في القوى المعنوية، أو ضرب من الخيال. إن المتفاني في عشق امرأة لا يحوله الهيام إلى ضلع منها أو جهاز في بدنها.. والإيمان صراط مستقيم لا يتحمل ذرة من هذا الاعوجاج.



https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

(٥)

من مزاعم الروحية الحديثة

(١)

العدد (٢٠) شعبان (١٣٨٦هـ) نوفمبر (١٩٦٦م)

عند بعض المتدينين طيبة تبلغ حد السذاجة، وإيمانهم بالغيب- إذا تجاوز حدود الكتاب والسنة - قد يكون ثغرة تنفذ منها الأساطير، وتضار بها حقيقة الدين.

وقصة تحضير الأرواح التي شاعت في عصرنا هذا قد اكتنفتها أوهام شتى، وسرت في ركابها أفكار ينكرها الإسلام.

ولكن لما كان الموضوع نفسه مثيرًا، ولما كان مضادًّا بطبيعته للمادية التي فرضت نفسها على العلم والسلوك، فإن كثيرًا من الناس هش له بدوافع حسنة، وظن أنه يستطيع نصرة الإيمان عن طريقه، ونحن نريد معالجة هذه النزعة من أساسها على ضوء ما نحفظ من كتاب ربنا وسنة نبينا.

ولعل إحقاق الحق في هذه القضية يضع الحدود لجدل كثير، ويغلق الأبواب أمام ترهات لا آخر لها.

ونتساءل أولًا: هل الأرواح في العالم الآخر- أعني فترة البرزخ- تستأنف نشاطها العام على نحو ما كانت تسير في الحياة الدنيا، وأن وسائلها في عالمها الجديد أوسع دائرة وأعظم اقتدارا؟

إن بقاء الأرواح بعد الممات عقيدة لا ريب فيها، وهي عقيدة جميلة مشرقة، حبذا لو ذكرنا الناس بها حينا بعد حين، فإن صورة الموت ترسمها الأذهان في إطار قابض عفن.

وأكثر الناس- في هذا العصر- يظن الموت مرادفا للبلى والفناء، ونهاية العهد بالإحساس والحياة والضياء.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهذه الأفكار من نضح المادية التي تسود عالمنا الأرضي، أو هي من بقايا الجاهلية الأولى في فهم الوجود وقصة الخليقة.

والدين ضد هذه الأوهام، ونصوصه جازمة بأن الآخرة حق، وأن الموت نقلة من عالم إلى عالم، ومن وجود مستيقن إلى وجود مستيقن.

لكن هل الأرواح بعد هذه النقلة تستأنف سلوكها الأول- كما يقول معتنقو الروحية الحديثة- وأن بعضها يشتغل بالوعظ والإرشاد، وبعضها يشتغل بالطب وعلاج المرضى، وبعضها يشتغل بالنصح الفردي وحل المشكلات العارضة، وبعضها يتسكع دون عمل، وبعضها يمد يده بالأذى للأحياء، وبعضها يدور مذهولًا لا يدري أنه مات... هكذا يكتب الروحانيون في رسائلهم، بل إن بعض الأرواح عندما استحضر طلب سيجارا يدخنه... الخ، هل هذه سمات العالم الروحي ووظائفه؟

وهل صحيح أن ضروب الخدمة الاجتماعية تتاح لكثير من الأرواح لعلها ترقى وتنال رضوان الله وغفرانه، أو لعلها تكفّر عما فاتها في الماضي الأول أيام الحياة الدنيا؟

هنا نختلف مع دعاة هذه النحلة أشد الاختلاف وتفترق بنا الطرق فيذهبون حيث شاءوا، ونثبت نحن على ما بيّن الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

الإسلام قاطع في أن ميدان العمل الإنساني هو هذه الحياة الدنيا. وأن المرء- في فترة الأجل الموقوت له- يبتلى بفنون التكاليف، ويتعرض لامتحانات شتى، وأن نجاحه وسقوطه يتقرران جميعا عند انتهاء عمره على هذه الأرض، وهو بالموت مباشرة يبدأ مثوبته أو عقوبته.

قضي الأمر، وطويت أوراق الامتحان، ومن سجلاتها وحدها يكتب من أهل اليمين، أو من أهل الشمال، ليس هناك مجال آخر لتكليف ولا تعرض آخر لامتحان، ولا استئناف لحكم أو طلب لفرصة جديدة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نعم، فوق هذا الثرى وحده يكلف الإنسان أن يؤمن بإله لا يراه، لكن يرى آثاره ويعرف أدلته.

ويكلف بإيثار الخير وإن ضحى بشهوته العاجلة، ونزل عن رغباته الحاضرة، ويكلف بالإعداد لليوم الآخر، والبذر للحياة المستقبلة موقنا بعالم الغيب، وإن كان مغمورًا بعالم الشهادة.

فوق هذا الثرى وحده وخلال العمر المقدور له يصنع الإنسان مصيره المرتقب، ويستحيل أن تتاح له فرصة أخرى لمتاب إن كان خاطئًا، أو لارتقاء إن كان قاصرًا، فإن الموت فاصل قائم بين حياتي العمل والجزاء، أو حياتي البذر والحصاد.

واسمع إلى إجابة الله للمجرمين وهم يلقون جزاءهم العدل:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (**فاطر: ٣٧**).

وهذه الإجابة الإلهية تكرار لما قد يسأله المجرمون عند ساعة الاحتضار، عندما تذهب السكرة وتجيء الفكرة، عندما يتلهفون على ماض ضاع سدى فيقول أحدهم:

﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (**المؤمنون: ٩٩، ١٠٠**)، نعم إلى يوم البعث لا مكان لعمل، لا استئناف لنشاط، لا فرصة لتوبة، لا مجال لترقيع ما فسد.

إن مجال العمل المطلوب والتوبة المنشودة في هذه الدنيا وحدها، والمرء في عافية من بدنه، وفسحة من أجله وإقبال من أمله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فإذا دنت ساعة الرحيل عن هذه الدنيا أخذ الكرام الكاتبون يطوون دفاترهم دون اكتراث لتوبة الغرغرة أو يقظة الضمير الصاحي بعد فوات الأوان.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ **(النساء: ١٧)**.

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ...﴾ **(النساء: ١٨)**.

والواقع أن قبول الإيمان من كافر في هذه اللحظات أو قبول التوبة من مفرط، أشبه ما يكون بقبول الغش في الامتحان وحسبان الطالب الذي يتلقف عونا من هنا وهنا- ليستطيع كتابة شيء في ورقته- مساويا للطالب الذي عكف على الدراسة، وسهر الليالي في انتظار هذه الساعة، وشتان بين الرجلين، ومن ثم كان الجواب الأعلى لما قال فرعون ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ **(يونس: ٩٠، ٩١)**

وهذا المعنى الساري في آيات القرآن طولا وعرضا ترى مثله في أحاديث النبي ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم نافع، أو ولد صالح يدعو له» (صحيح مسلم - رقم ١٦٣١).

وتلك بداهة آثاره في الدنيا تخلفه بعد حياته ويجري عليه أجرها ما شاء الله.

ومن فضل الله على كثير من خلقه أن جعل لهم رصيدا مفتوحا من المثوبة النامية الباقية ما بقي عملهم متجدد النفع مطرد الفائدة.

فإن العمل الصالح قد يكون محدود الدائرة لا يتجاوز خيره خطًّا معينًا، على حين يؤلف البعض كتابًا يسير هداه مع الأجيال، أو يصنع دواء يستشفى به المرضى في القارات كلها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لكن بدء هذا العمل النافع الواسع كان في حياة صاحبه، وأثناء الاختبار المقرر على ظهر هذه الأرض، أما بعد الممات فلا تكليف بعمل، ولا مجال لابتلاء، ولا ملحق لنجاح أو رسوب.

قال علي بن أبي طالب: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الدار المقبلة ولا تكونوا من أبناء الدار المدبرة، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل.

وخطب النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فقفوا عند نهايتكم، إن المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ امرؤ من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار». (المزي - رقم : ٤).

وتوكيدًا لهذا المعنى، وانتهازًا لفرصة العمل في الدنيا قبل مغادرة الدنيا وفي أثناء العمر المتاح قبل انقضاء العمر ومفارقة الحياة يقول الرسول الكريم:

«أيها الناس، كأن الموت في الدنيا على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذين نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة.. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، ورحم أهل الذل، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن زكت نفسه وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم يعدها إلى البدعة».[1]

(١) حديث موضوع، قاله ابن عساكر.

ولا تخالط مسلمًا ذرة من الشك في صدق الجزاء المكتوب للصالحين والطالحين، وأن مطالعة هذا الجزاء تبدأ مع مفارقة الروح الجسد، ورحيل الإنسان عن هذه الدار.

فإما هبت نسائم النعيم على أهل التقوى واستقبلتهم بشريات الفوز والنصر.. وإما تطاير شرر الغضب على أهل الإلحاد والعصيان، ورأوا عواقب زيفهم عارًا ونارًا.. وذلك معنى الحديث: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» (الترمذي - رقم ٢٤٦٠).

الأرواح بعد الموت يستغرقها الجزاء المقدور لها على ما قدمت في حياتها الأولى.

وتصوُّرُ أنها تستأنف العمل بعد الموت في ميدان ما، بيننا نحن الأحياء تصور معتل منكور، لا صلة له بالدين، ولا يعتمد على أثارة منه.

فكيف بعد تعاليم الإسلام الواضحة- على ما أسلفنا- يجيء قوم فيزعمون أن الأرواح تعمل بعد الموت، وأنها تشتغل بالطب والتعليم حينا، والتسول والاعتداء حينا، وأنها تشارك الناس أحوالهم، وتقف حيث هي في انتظار من يشير إليها لتحضر في قفة أو دلو، أو ما شاكل ذلك.

ثم إن الجزاء الذي صوره القرآن في عشرات السور لا تلمح له أثرًا، بل تكاد تظنه صفرًا، فيما يصور به الروحيون مذهبهم العجيب، فلا جرم أن نرى الذهاب إليه انصرافًا عن الإسلام نفسه، وريبة في كتابه وسنته.

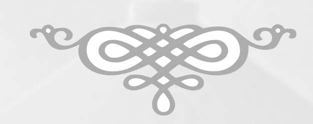
إنني أعلم- كغيري من المسلمين- أن الأرواح المجرمة تحبس في سجنها الموحش القاسي، وتلقى من العنت ما يشغلها عن السياحة والتسكع في شتى القارات، تنتظر من يحضرها لتسأل فتجيب، وأعلم أن الأرواح الطيبة مرحة في بحبوحة النعيم الإلهي، وأنها قد تعرف ما يلقى الأهل والأقربون، وأنها ترقب مجيئهم من دار الغرور إلى دار الحبور، وأنها لا تتكلف تسبيحًا وتحميدًا، فقد أصبح ذلك طبيعة لها كالتنفس لأهل الأرض، نعم نحن نعرف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من كتاب ربنا وسنة نبينا أطرافًا من ذلك الأمر المغيب، وليس وراء ذلك العرفان إلا الظن الذي لا يغني من الحق شيئًا.

ومع هذه المعرفة المستيقنة فإن المشتغلين بتحضير الأرواح لا بأس عليهم أن يستحضروا روح كارل ماركس ليقول لهم إنه في نعيم مقيم، وكم من كافر حضروا روحه لتعلن سرورها بعالمها الجديد.

ولقد رأيت أن أسترسل وراء هذه الكائنات التي قالوا إنها أرواح تشتغل بهداية البشر، فتتبعت مواعظها، وقرأت ما أملت من كتب وألفت من خطب، فماذا وجدت؟ وجدت من خلال العبارات المحمومة المتلقاة عن طريق الوسطاء أن الروحية دين جديد، له تعاليم جديدة، وسرعان ما وازنت بين هذا الدين وتعاليمه والإسلام الحنيف وما جاء به، فأدركت أن التعاليم الجديدة مجموعة خرافات نبتت من الأرض، ولم تنزل من السماء، وأن من أوحى بها ليسوا أرواحًا هادية وإنما هم مردة الجن.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

(٦)

من مزاعم الروحية الحديثة

(٢)

العدد (٢٤) ذو الحجة (١٣٨٦هـ) مارس (١٩٦٧م)

تتضافر الجماعات المشتغلة بتحضير الأرواح على الترويج لديانة جديدة تحل محل الديانات القديمة، وتنسخ تعاليم الأنبياء الأولين، وترسم للعالم طريقًا أخرى تصلح لطوره المعاصر، وتلتقي فيها شتى الأجناس والنحل.

ولا يحتاج المرء إلى عميق ذكاء ليرى أن الروحية الحديثة بما وفدت به من تعاليم تقوم على وحدة الوجود، فالله والعالم شيء واحد.

وعلى تناسخ الأرواح وخلود الحياة المأنوسة لنا الآن، فلا فناء للدنيا، وليس هناك يوم للبعث والحساب العام.

وعلى أن الشرائع القديمة قد استنفدت أغراضها، والروحية الحديثة هي التي ستهدي العالمين بوحيها العصري المتقدم.

ويبلغ هذا الخبل الروحي مداه عندما يكذب رسالة محمد، ويؤكد الإشاعات حول عيسى وصلبه، بل هنا ينكشف القناع عن الأهداف التي تعمل لها الروحية الحديثة، والنيات الاستعمارية التي تختبئ خلفها.. ومن الذي يختلق هذه الترهات ويروج لها، عالم الأرواح الذي اتصل بالبشر فجأة لينير لهم الطريق.. ونريد أن نقف القراء وجها لوجه أمام النصوص التي تشرح هذه الروحية الحديثة، منقولة عن الصحائف التي ينشرها أتباعها، ويتحمسون لها أشد الحماس..

في كتاب للجمعية الإسلامية الروحية اسمه «التوحيد والتعديد»، يقول الروح الرائد لهذه الجمعية «إني صوت منبعث من السماء ينادي أهل الأرض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن آمنوا بالله.. إني أحمل رسالة هداية من السماء أعد خطواتها بدقة عباد مخلصون لله تجمعوا في ملكوته الأعلى.. إن دوري هو دور رسول يبلغ الرسالة، ولقد جاهدت لأكون أمينًا في إيصال ما حملته» ص ٤٥، ص٤٨.

ثم يقول مسيلمة الجديد، نبي الروحية الحديثة: تذكروا دائمًا أنكم في الله، وأن الله فيكم. واسم هذا الروح الرائد للجمعية الإسلامية الروحية «سلفربرش»، ويقول «سلفربرش» هذا، في كتاب الحكمة الذي تلقاه عنه أتباعه: «نحن جميعًا جزء من الروح الأعظم، وأنتم في مجموعكم مع بقايا الحياة الأخرى تكونون الروح الأعظم، ولا وجود لله خارج هذه المجموعة، ولو أن هذا القول لا يمكنني البرهنة عليه إلا أنه يحسن قبول كلمتي في هذا الصدد» ص٥٢.

وهناك روح آخر اسمه «هوايت هوك» يهيب بالناس قائلًا: «يجب أن نتحد في هذه الحركة، في هذا الدين الجديد! وأن تسودنا المحبة وأن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم.. رسالتي- أي دعوة «هوايت هوك» زميل «سلفربرش»- أن أواسي المحروم، وأساعد الإنسان على تحققه في نفسه من الله سبحانه، الإنسان إله مكسو بعناصر الأرض! وهو لن يدرك ما في مقدوره حتى يحس بجزئه الملائكي الإلهي... (العدد ١٢٧ من مجلة عالم الروح) وفي كتاب التوحيد والتعديد الذي أوحى به «سلفربرش» يقول: إن اليوم الذي تنتشر فيه التعاليم الروحية في عالمكم سيكون فجرًا ليوم سعيد.. إذ ستزول الفوارق بين الشعوب وتهدم الحواجز بين الأجناس، وتذوب الفوارق بين الطبقات، وتتلاقى الأديان حول حقيقة واحدة كما نبعت من حقيقة واحدة» ص ٥٧.

وهذا المعنى تؤكده مجلة «عالم الروح» في العدد ١٢٦ إذ تقول «إن هذه المنظمة ستكون لكل البشرية، وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الروحي طريقة جديدة للحياة، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته، وسوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد، وبين العقائد والأديان».

وفي كتاب التوحيد والتعديد- تعاليم «سلفريرش»- يقول «إذا كان التعصب للأديان في وهم إقامة المناسك معطلا عن التلاقي في صعيد واحد، وهو معطل فعلا ! فإن الأديان ليست في المناسك، فلتترك البشرية هذا جانبًا، ولنتلاق في مقابلة هذا الأمر الجديد من الاتصال الروحي» ص ١٨٣.

وهذا الكلام المنطوي على استهجان المناسك الدينية واعتبارها مثار اختلاف البشر هو ما يقوله الروح الآخر «هوايت هوك» إذ يصرح بأن «الروحية تحتضن الجميع ولا تستثني أحدًا، يقول الناس في زمانكم إن الطقوس والفرائض عديمة النفع، ولكن طقوسي وفرائضي تنحصر في تدريب الناس على تركيز القوة الروحية».

وظاهر من هذا التوافق أن مروجي الروحية يعملون لغاية مشتركة، وأن العبادات المقررة لا وزن لها عندهم.. وتبدو قيمة النصوص الدينية فيما جاء بكتاب التوحيد والتعديد، إذ يقول الكاتب دون حياء «إن القصص الديني عن آدم ونشأته وزوجه وولده ليس تاريخًا من وجهة النظر العلمي، كما يتوهم بعض المتعصبين للأديان...» إذن ما هو يا مسيلمة الجديد؟

يقول «إنه تكييف تقريبي للعقل البشري عن النشأة بدءًا من الفرد ذكرًا كان أم أنثى، وعن تكرار هذه النشأة في عوالمها، سواء على هذه الأرض، ومنها كانت النشأة ابتداءً ومظهرًا، أو بالارتداد من عالم الروح بعثًا.. فآدم الحقيقة عليها وآدم الخليقة منها أمران تصويريان للعقول لا يدرك لهما أول ولا يعلم لهما كنه ولا ينقطع لهما فعل أو وجود» ص١٠١.

وهذا كلام ساقط مفترى من أوله إلى آخره وهو ترديد لفكرة تناسخ الأرواح، وخلود الدنيا وإنكار الجزاء، وهو إلغاء لرسالات السماء كلها، وطعن خبيث في قواعدها ومناهجها وأخبارها ووصاياها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والغريب أن هذا الهدم الديني العام الوافد من أوروبا يتلقاه ناس منا على أنه فجر روحي جديد، ويقول عنه مستشار قانوني يرأس جمعية إسلامية روحية: «إذا كان الاتصال الروحي في هذا العصر يأتينا ممن أسميناه الغرب فإن الله اليوم يأتي بالشمس من المغرب كما جاء بها قديمًا من المشرق».

وهذا كلام هزل، فإن هذه الروحية المزعومة حرب على الله والمرسلين، ولا نشك في أن الحاقدين على الإسلام الكارهين لأمته، المعوقين ليقظته، هم الذين يدبرون مؤامرتها وينسجون حبالتها.

وللاستعمار الثقافي أساليب ماكرة خفية لتدويخ الفكر الإسلامي، وبث الفوضى في جنباته، والدعوة إلى الروحية الحديثة بعض هذا الهجوم على حقائق الإسلام وتعاليم نبيه، واسمع إلى ما يقول الدجال «سلفربرش»- وهو الروح المرشد لبعض الجمعيات عندنا- في كتابه «الحكمة العالية» «مازال المسيح في عالمنا هو أعظم من نعرف، ولم يحدث قبل يومه أو بعده أن ينزل الإلهام الإلهي إلى الأرض بالقدر الذي نزل عليه».

ثم يستتبع هذا الدجال تكذيبه لنبوة محمد فيقول: «كان عيسى آخر الأنبياء والمعلمين، ذاك الذي ولد من أبوين يهوديين» ص ٥٣.

ثم يزعم أنه صلب لأنه بشَّر بتعاليم تخالف كنيسة عهده ص ٤٦.

ومن غرائب الروحية الحديثة أنها توافق أخس المذاهب المادية في مهاجمة الأديان السماوية والطعن عليها، خصوصًا الإسلام، فيقول «سلفربرش»: لا توجد جنة ذهبية ولا جهنم نارية، إنما هذا هو تصور هؤلاء المحدودي النظر.. لا تقيدوا أنفسكم بكتاب واحد ولا معلم واحد ولا مرشد واحد، فولاؤنا لا لكتاب ولا لدين ولا لعقيدة، ولكن للروح الأعظم وحده.

ولكي يزين للناس التحلل من عقيدة الإيمان بالله يقول:

حيثما ينتقل الإنسان للعالم الآخر فلا عبرة بما كان يظنه أو يعتقده، وإنما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العبرة بما أداه من خدمات للعالم، فحينما يهوي الجسم المادي إلى الأرض، فكل عقائد الجنس البشري التي قاتل وجاهد من أجلها طويلًا وتفرق شيعًا وأحزابًا تبدو جوفاء وعبثًا لا معنى له ولا هدف، لأن هذه العقائد لم تساعد على تزكية الروح ذرة واحدة. ص ٢٨، ١٢٤، ١٤٩ - كتاب «الحكمة العالية». وينكر «سلفربرش» فكرة بدء الخليقة، كما ينكر أيضًا فكرة نهاية الخليقة فيقول: لا أستطيع القول إنه يومًا ما لم يكن هناك ضوء، ثم وجد في اليوم التالي، إن عالمكم ما زال يحتفظ بفكرة أن الخليقة بدأت على مثال ما ورد في قصة جنة عدن، هذا ليس صحيحًا.

لقد كان هناك دوامًا تطور في عمل مستمر، ليس حقًّا أن الكون كان معدومًا ثم بدأ فجأة، الكون كان دائمًا موجودًا، نحن نعرف أن الكون لا بداية له ولا نهاية (ص ١١٠ - كتاب الحكمة العالية).

وهكذا يتضح لنا أن كل ما يقول دعاة هذه النحلة الخبيثة من أن دعوتهم تؤيد العقيدة الدينية وتدعمها إنما هو ضرب من الخداع والدجل.

ويعلنها «سلفربرش» هكذا بصراحة وجلاء فيقول: لا يهم إذا كان الرجل مسيحيًّا أو كافرًا، المهم هو ما يفعله في حياته.

أعطني الرجل الذي لا يعتنق أي دين، الذي لا يركع لذكر اسم الله، ولكنه أمين، ويحاول أن يخدم، ويمد يده للضعيف، ويساعد الكلب الأعرج، الرجل المملوء شفقة للمنكوبين، والذي يعاون من هم في ضائقة بحرارة، ذلكم أكثر تدينا ممن ينتسب إلى أي دين. (ص ١٠١ - كتاب الحكمة العالية) وهكذا يروج الإلحاد تحت ستار التنويه بمكارم الأخلاق.

كأن الدين عد الفضائل نافلة، أو كأنه لم يتوعد بأشد النكال طوائف الكذبة والخونة، ومانعي الخير، وكارهي الناس.. ولكن الروحية الحديثة تحتال للقضاء على الدين كله، وخصوصًا الإسلام، بوضع مبادئها في إطار براق من حب الإنسانية والعطف عليها، ومن المتاجرة ببعض الكلمات المطاطة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في هذا المجال المفتعل، مع أن الإنسانية حين تكذب الوحي، وتتنكر للمرسلين، وتهمل أوامر الله ونواهيه تنسلخ من فطرتها، وتهوي إلى أسفل سافلين.

وما قيمة العالم كله يوم يجهل ربه، ويهمل هداه؟

ونتساءل: أرواح مَنْ مِنَ الموتى هي التي تبنت إبلاغ هذه الرسالة الخسيسة لأهل الأرض؟ أرواح الصالحين من المؤمنين؟ كلا، فهؤلاء عرفوا الله عن طريق موسى وعيسى ومحمد، فيستحيل أن يخرجوا على كتبهم، ويتنكبوا طريقهم، ولو أتيحت لهم - جدلًا - فرصة العودة إلى الأرض، والعودة إليها بعد الموت مستحيلة، لما دعوا الناس في هذا الزمان إلا إلى اتباع محمد، والأخذ من قرآنه وحسب.

أهي أرواح الفجرة من العصاة؟ كلا، فهؤلاء بعدما غادروا الحياة ملكتهم حسرة قاتلة على زيفهم أيام الدنيا، ثم هم في أيدي حراس غلاظ شداد، قد أمسكوا بخناقهم توطئة لحساب شاق.. فكيف يتصور أنهم عادوا إلى الحياة الدنيا عن طريق الاتصال الروحي يستأنفون التزوير والتضليل؟

إننا لا نشك في أن مبادئ هذه الروحية الحديثة هي من عبث مردة الجن، الذين استغفلوا نفرًا من أبناء آدم، واصطادوهم إلى هذه المجالس، مجالس الأشباح والأوهام، أو مجالس تحضير الأرواح، كما يقال، ليملوا عليهم هذا المنكر من القول.

وما أكثر عبث الجن بالإنس! وأوسع طرقه! ولذلك يندد القرآن الكريم بأطراف هذه الفتنة فيقول: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (**الأنعام: ١٢٨**).

ولا غرو فإن الشيطان يستحلي إغواء أبناء آدم، كما يستحلي أبناء آدم أكل السحت وارتكاب الزنا.. وعقبى هذه المتع كلها جهنم.

وفي عصرنا هذا أخذت سخرية الشياطين من البشر هذه الطريقة التي لم تؤلف من بدء الخليقة، فطلع علينا من يزعم أن أرواح الموتى اتصلت به لكتابة ونشر دين جديد للناس، واستمعنا إلى أبواق الظلام، فإذا هي تجدد الوثنيات القديمة، وتحارب هدايات الله، وتصد عن قرآنه العظيم، الكتاب الذي استوعب الوحي كله، والأثر الفريد الباقي الذي يقدم لعباده الحق الخالص النقي.

ولئن كنا نستنكر التعلق بما يسمى مجالس تحضير الأرواح على الأجانب الجهلة بالإسلام، إننا لنستغرب من بعض المسلمين عدم مبالاتهم بالموضوع ونتائجه، فربما سمح أحدهم لنفسه- طمعًا في استكشاف غيب أو إبراء مريض- أن يحضر هذه المجالس، وربما وضع الجن له طمعًا في كلمة تصدق أو حاجة تقضى فيلقي لها زمامه كله، فإذا هو بعد حين ناكب عن الصراط المستقيم.

وللجن قدرة أبعد مدى من قدرة البشر، إنهم يغزون الفضاء بطاقاتهم العادية من زمان قديم، ولكنهم لا يعلمون الغيب.

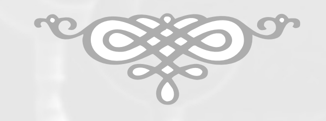
وما يكون غيبًا أحيانًا بالنسبة لنا قد يكون عيانًا بالنسبة لهم، والحدأة لا تعلم الغيب إذا كانت ترى من الجو ما لا نراه نحن تحت أقدامنا.

فإذا استطاع شيطان أن يعرف بعض ما نجهل، عن الأشخاص أو الأشياء- وهي معرفة محدودة، وقد تكون مغلوطة- فليس هذا علمًا بالغيب.. وبالتالي فإن ما يثرثر به في مجالس التحضير لا يدل على شيء ذي بال، ولا يسوغ أبدًا أن يكون ذريعة لترك ما نعلم من شرائع الإسلام.. لكن هذه المجالس للأسف ولدت لنا في هذا العصر مسيلمة آخر، وسجاحًا أخرى، والجنون فنون..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إننا نحن المسلمين نؤمن بالمادة وبما وراء المادة، نؤمن بالحياة الحاضرة وبالحياة المقبلة، ولإيماننا مصادر وثيقة من كتاب معصوم وسنة مضبوطة، ولا يليق بنا أن نأذن للأوهام بأن تتسرب إلى هذا الإيمان.. ثم إن الأحكام الشرعية عندنا تفرق تفريقًا حاسمًا بين اليقين العلمي، والظن العلمي، والرأي العلمي.. وهي تستبعد ابتداء الرؤى والإلهامات من مصادر المعرفة الشرعية العامة.. والعيب المأخوذ على بعض المتدينين، والذي قد يصيب الدين نفسه إصابة جسيمة، أنهم يخلطون في سلوكهم وفهمهم بين الرأي واليقين، أو بين الأحلام والحقائق.

ونحن ننصح المسلمين أن يحذروا على أنفسهم من هذا الخلط. والله ولي التوفيق.



(٧)

التصوّف الذي نريده

العدد (٢٨) ربيع الثاني (١٣٨٧هـ) يوليو (١٩٦٧م)

مع قيام الإسلام على العقل، وترحابه بالفكر الجيد والبحث الأصيل، وحضه على الارتباط المادي والمعنوي بالكون عملًا وتأملًا، مع ذلك كله فهو دين يعقد أوثق العلاقات بالقلب اليقظان والمشاعر الجياشة، ويجعل الإيمان عاطفة دافقة بالحب والبر إلى جانب أنه نظر يتسم بالسداد والصواب..

والإسلام المكتمل ليس «نظرية» علمية، أو اقتصادية، وليس فكرة مجردة عن الله مهما كانت هذه الفكرة صحيحة من حيث التصور والاستدلال.

إنه قلب انفتحت أقفاله، وانفسحت أرجاؤه، وأشرق معنى الحب في جوانبه، فهو متعلق بربه، متتبع لآثاره في كونه، عاشق للخير، مبغض للشر، يمتد مع كل شيء حسن، وينكمش مع كل شيء قبيح.

وقد خاطب الله المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ...﴾ (**الحجرات: ٧، ٨**) ومن المتعذر الفصل بين الاستنارة الفكرية والهداية النفسية... نعم يوجد ناس لهم عقول ذكية وسير هابطة، ولا نشك في أن هؤلاء مرضى، والأدواء التي أصيبوا بها متفاوتة الشناعة والسوء، والمفروض أن من يعرف خصائص النار يتحاشى ملامستها، غير أننا نلحظ أن بعض الناس قد يعرف شيئًا ما معرفة حسنة، ثم يجيء تصرفه وكأنه جاهل كل الجهل، وهذا التناقض ضرب من الجنون الذي يرى في كل مكان، ولا يودع أصحابه مستشفيات المجانين!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الأمراض التي تعتري الشخصية الإنسانية كثيرة جدًا، وهذا الجنون الجزئي هو ما أشار إليه القرآن الكريم في تقريعه للأشرار من العلماء: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (**البقرة: ٤٤**).. نعم فالمفروض أن صحة التفكير تستتبع صحة التصرف!

لكن هذه البديهية عندما تنتقل إلى عالم التطبيق يعترضها من العوائق، ما يعترض التيار الكهربائي عندما ينقطع السلك الحامل له، أو عندما توجد مواد عازلة تمنعه من الانطلاق إلى مداه.

والدين الحق شفاء من هذه العلل جمعاء، فهو عقل مستقيم وضمير حي.

أما الثروة الطائلة من النظريات والفقر المدقع في المشاعر النبيلة والاتجاهات الكريمة فليس تدينًا مقبولًا.

والسؤال الذي نريد الإجابة عليه: كيف نحقق هذا التدين؟

وكيف نربي في القلوب الإحساس بجلال الله والخشوع لعظمته؟

كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق؟

كيف نحول معرفة الله إلى مذاق حلو يطبع النفوس على الرقة، ويصفي السرائر من كدرها؟

كيف نجعل المرء مشتاقًا إلى ربه، فهو ببواعث من أشواقه يطيعه ويسارع إلى مرضاته؟

وكيف نجعله هيابا لذاته؟ فهو بدوافع القلق ينفر من معصيته، ويفزع من مساخطه.

كيف يشهد المرء ربه في مجالي السموات والأرض، ويشهد أسماءه الحسنى فيما يقع من حركة وسكون على امتداد الزمان والمكان؟

إنه لا يتم إيمان، ولا يثمر دين إلا إذا أحسنا الإجابة على هذا السؤال.

ونحن نعرف أن العلوم الشرعية تعاونت على شرح رسالة الإسلام وتوقيف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الناس على حدوده وحقائقه، فأي العلوم أكثرت بهذه الأسئلة وطال نفسه في الحديث عنها؟

إنني لست متصوفًا، وما أحب أن أنتسب إلى فرقة من فرق المسلمين.. بيد أن الإنصاف يدفعني إلى القول بأن هذا الجانب المهم من الثقافة الإسلامية اللازمة لم يلق العناية المستحقة لدى جمهرة الفقهاء والمتكلمين، وأن المتصوفة- برغم شطحاتهم وغلطاتهم- هم الذين أفاضوا في هذا الحديث.

إن فقهاءنا الذين كتبوا المجلدات في غسل الأطراف ما كان يعيبهم أن يتناولوا هذا الجانب وأن يضبطوه بأدلتهم الفقهية، وإن المتكلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة في الشؤون الإلهية المغيبة ما كان يعيبهم أن يحببوا الناس في الله ويرفعوهم إلى حضرته بأسلوب علمي محكم.

لقد كان ذلك والله أجدى على الإسلام وأهله، من بحوثهم العقيمة في الذات والصفات!

إن العناوين لا تهمني، وإنما يهمني الموضوع، يهمني أن أرسم الطريق لبناء النفوس على التقوى، وإيناسها في هذه الدنيا بذكر الله، وإلهامها كيف تستعد للقياه ببصيرة مجلوة، ورغبة عميقة، وثغر باسم.

ولنسأل أنفسنا أولًا، ما هي مصادر ثقافتنا الخاصة؟

تعتمد الثقافة الذاتية، أو الثقافة التقليدية للمسلمين على كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ، على هذين الأصلين تقوم علوم الدين، وإليهما كذلك تستند علوم الحياة وفنونها.

وفي عصرنا الأول استطاعت شُعب الثقافة المختلفة أن تقيم حضارة متوازنة الجوانب متكاملة الغايات.

وعندما ننظر إلى عالمنا المعاصر نجد أن شجرة العلوم والفنون تتفرع في أرجائه المختلفة، وتظلل أنحاءه البعيدة في اتساق يستحق التنويه.

هناك العلوم الآلية والرياضة، وهناك الفلسفات والآداب، هناك علوم التربية والأخلاق، وهناك أبحاث القانون وشرائعه الخاصة والعامة، ولكل ميدان أسلوبه في صوغ حقائقه وتقرير أدلته.

ومع الإنصاف وبعد النظر لا يزعم رجل في هذه الميادين أنه أحق بغيره من الحياة، وأنه يغني كل الغناء عندما يزول سواه.

نعم، للقوانين مثلًا مكانها الوطيد في المجتمع، ولكن هل معنى ذلك أن الدنيا تستغني عن الوعظ والتربية؟

وفي ميدان القانون قد يشتجر عالمان على صياغة عبارة، وقد يختلفان في بقاء أو حذف حرف من حروف الجر.. وذلك بديهي في ميدان تضبط فيه الحقوق، وتحرس الدماء، ويفصل في الخصومات.

فهل معنى ذلك أن المجالات القائمة على المعنويات المحضة وملاحظة النفس الإنسانية تفقد قيمتها؟

كلا! إن عالمنا الحاضر تجاور فيه الباحثون عن أسرار الفضاء إلى الباحثين عن المعادن في أغوار الأرض، وتجاور فيه قول الشعر إلى تفتيت الذرة.. والحياة تسع الجهاد الأدبي والعلمي لتلك الفئات كلها! ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ (**البقرة: ١٤٨**).

والدراسات العلمية عندنا يجب أن تنسق ذات بينها حتى تستأنف كفاحها النبيل لخدمة الإسلام وإبلاغ رسالته، ولا معنى لخصومة بين فرع وفرع وميدان وميدان.

غير أننا لحظنا آسفين أن الفقهاء والمفتين قديمًا اشتبكوا في منازعات حادة مع المتصوفة والعباد، وأن كلا الفريقين تجهم للآخر، ولم يستفد مما عنده.

وكانت نهاية القطيعة بين الفريقين أن وجدنا فقها لا روح فيه، وفقهاء لهم سمت الدين وليس لهم قلبه الحاني الطيب، وأن وجدنا تصوفًا لا دراية له،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومتعبدين تحفل سيرتهم بالخرافات والبدع.. وفي العصر الأخير كادت علوم الدين تنقطع علائقها بالكتاب والسنة إلا بقايا من النظر الكليل والتطبيق القليل، والأمر يتطلب عودًا سريعًا إلى هذه الأصول واستمدادًا مباشرًا منها.

قد تقول: إن هذا التصوير غير دقيق، وإنك واهم حين تتهم علماء الكلام والفقه بأنهم قصروا في ميدان التربية وغرس التقوى والأنس بالله في نفوس الناس وأن هذا الفراغ المتروك هو الذي ملأه المتصوفة.. وأرى أن الموضوع يحتاج إلى مزيد إيضاح:

إن علماءنا الأوائل كانوا يجمعون بين سعة العلم وصدق الصلة بالله، والأجيال التي استمعت إليهم كانت تفيد منهم الأمرين معًا.. نضارة القلب المتجه إلى الله، وإشراق الفقه الذي يضيء الطريق إليه..فهم علماء ومربون في وقت واحد..

وإني لأرمق بإجلال وحب رجلًا مثل البخاري.. بدأ كتابه الصحيح بحديث «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...»

وختمه بحديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

كان وجه الله هدفه أول سطر خطه، وكان وجه الله أمله، وحمده وتنزيهه شغله آخر سطر خطه، وبين البداية والنهاية أودع الرجل علمه الغزير وحفظه الكثير..

والبخاري معروف بأنه من علماء السنة، بيد أني أظلم الرجل وأشباهه من الأئمة حين أجعلهم علماء متخصصين في فرع واحد من علوم الشريعة على النحو الذي اصطلح عليه الأخلاف.

فالبخاري- في نظري- عالم بالإسلام كله، من تفسير وحديث وفقه وعقيدة وسيرة... إلخ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والميزة التي غلبت عليه وشهر بها لا تدل إلا على تفوق فقط في هذه الوجهة من الدراسة أو على عناية بها فرضتها الظروف المحيطة.

ومثل ذلك يقال في الخلفاء الأربعة، والأئمة الأربعة، ونظرائهم.

فعمر حاكم وواعظ ومرب وفقيه وليس رجلًا سياسيًا فحسب..

وأبوحنيفة فقيه وسياسي وداعية إلى الله، وليس رجل دراسة فقهية فقط.. والاستقاء المباشر لهؤلاء من الكتاب والسنة جعلهم يتركون فيمن حولهم جملة المعارف والانطباعات التي يتكون منها المجتمع الإسلامي الناضج الوعي، الراشد السلوك.

إن اتصال أرواحهم بالوحي الإلهي، واستضاءة ضمائرهم بصاحب الرسالة، جعلهم على اختلاف وظائفهم العلمية والعملية رهبانًا بالليل وفرسانًا بالنهار، جِنًّا في القدرة على الحياة، ملائكة في قيادها باسم الله.

وهذا الضرب من الناس أسمى من أن يصاغ أو يقاس بالمصطلحات العلمية الحديثة.

وجهد علوم الدين بعد أن تفرعت أنهارًا شتى من الينابيع الأولى كجهد علوم الطب التي تستهدف -مع كثرتها- صيانة البدن الإنساني.. إن هذه العلوم المشتقة من الكتاب والسنة تلتقي جميعًا عند تكوين الإيمان ومطالبه.

ولا بد أن يكون من بين هذه العلوم، علم يقوم على رفع الإنسان إلى مقام الإحسان، علم يعالج العلل العقلية والنفسية التي تحجب المرء عن ربه، وتلصقه بالتراب، أو التي تهتم بأشكال العبادات ولا ترتبط بمعناها وحكمتها.

ما يكون اسم هذا العلم؟ لا يهمني ذلك، لنسمه التصوف، أو لنتخير له ما نستحب من عناوين.. فالأمر سواء. إن شر ما يصيب المتدينين هو تحول الطاعات إلى عادات تؤدى في غيبة العقل وغفلة الشعور.

والمراسم الدينية- والحالة هذه- معطوبة الثمار، وربما بقيت وبقي إلى جوارها طبع لم يهذب، وخلق لم يقوم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما الذي يوقظ القلب الغافي، ويعيد إليه حرارة الحياة ونشاطها؟

إن تعهد الناشئة والكبار بما يوجه عواطفهم وآمالهم إلى الله جل جلاله، شيء خطير، ولا بد من إقامته على أسس فنية محترمة.

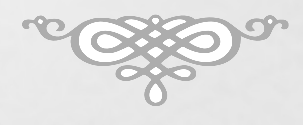
وفي عصرنا هذا لا بد من الاستعانة بمقررات علم النفس، والاستعانة بما في الآداب الإنسانية الصادقة من تجارب وصور، ولا أحسب أحدًا يماري في حاجة الناس إلى هذا اللون من المعرفة والتربية.

والنزاع الذي نشب قديمًا بين خصوم التصوف وأصدقائه لا يتصل بما نحن فيه، إنه كان نزاعًا على قيمة بعض التصرفات والأقوال التي يجب أن تخضع للمقررات الإسلامية.

وإني أعترف بأني حسنت صلتي بالله كثيرًا على أثر كلمات قرأتها للغزالي وابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم وابن عطاء الله السكندري مع ما بين أولئك جميعًا من تفاوت المشرب واختلاف النظرة..

وقد نستطيع التعرض لما تفاوتت فيه أحكامهم، لكن ما أؤكده هنا هو أن المعنى الذي شرحناه آنفًا قدر مشترك لدى الجميع، وأننا في هذه الأيام بحاجة إلى تجديده وتجليته..

إنه معنى يشع من الكتاب والسنة أولًا وآخرًا ويجعل عالم الإيمان براقًا بالحب، مزدانًا بمعية الله في الغدو والآصال..



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٨)

أشرف وظائف المرأة

العدد (٣١) رجب (١٣٨٧هـ) أكتوبر (١٩٦٧م)

التلطف مع الإناث والرفق بهن آية اكتمال الرجولة ونماء فضائلها، وهو أدب يبذل للنساء عامة سواء كن قريبات أم غريبات، كبيرات أم صغيرات، ومع استقامة الفطرة الإنسانية قلما يتخلف هذا المسلك العالمي.

وليس مرده- فيما نرى- الرقة لضعف المرأة وإسداء الجميل لها، بل مرده إحساس الرجال بأنهم أهل الثقة وموضع الفضل، وأنهم عند حسن الظن إذا طلب الضعيف الحمى أو طلب القلق الأمان!

والغربيون يترجمون هذا الإحساس بتقديم المرأة على الرجل في الخطاب، وتقديمها عليه في الدخول والخروج والجلوس وغير ذلك، وهو ضرب من المعاملة ظاهره الإيثار، وإن كان باطنه مثقلًا بالأوزار.

ونريد أن نتأمل في أساليبنا- نحن العرب والمسلمين- مع المرأة، وأن نقابل بين ما انتهى إليه الإسلام في هذا الشأن وبين ما وصل إليه مفكرو الغرب، ونقدة الحضارة الحديثة، ومن الخير أن ننفي أولًا زعمًا شاع بين الناس أن العرب في جاهليتهم كانوا يهينون الأنثى، ويغضون من مكانتها، نعم هناك سفهاء صنعوا ذلك وعرفوا به، بيد أن الأمم لا تؤاخذ جملة بما يقترفه رعاعها، كيف والشعراء العرب ما كانوا يفتتحون قصيدهم إلا بالغزل؟ مستعرضين شمائلهم أمام من أحببن، أو متغنين بمآثر نسائهم خلقًا وخلقًا، واسمع لعمرو بن معدي كرب يقول:

لما رأيت نساءنا	**يفحصن بالمعزاء شدا**
وبدت لميس كأنها	**بدر السماء إذا تبدى**
وبدت محاسنها التي	**تخفى وكان الأمر جدا**
نازلت كبشهم ولم	**أر من نزال الكبش بدا**

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعمرو الذي يرغب أن يبدو في أشرف أحواله أمام حبيبته بدأ قصيدته تلك بقوله:

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بردا

إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

ويقول عمرو بن كلثوم، يصف نساء قومه وموقفهن عند احتدام المعارك:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا

ظعائن من بني جشم بن بكر خلطن بميسم حسبا ودينا

يقتن جيادنا ويقلن: لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا

وليس يزري الأمة العربية إن كان بها من وأد البنات، ففي عصرنا هذا، وفي أزهى عواصم الغرب يظهر بين الحين والحين سفاحون مولعون بقتل النساء خاصة، بعد ختلهن بالألفاظ المعسولة، وبعد قضاء ما يبغونه من وطر، وهذه المآسي الفردية لا تتحمل سعة الدلالة، ولا يعدو عارها مرتكبيها.. واحترام العرب لنسائهم جاء ثمرة نضج الذكور، وعرفان الأنثى لوظيفتها الصحيحة، فالمرأة إما زوج حانية أو أم مربية، أو في طريقها إلى هذا المصير النبيل.

ووظيفة «ربة البيت» من أشرف الوظائف في الوجود، وما يحسنها إلا من استكمل لها أزكى الأخلاق وأنقى الأفكار.. أليست هي حضانة الأجيال الجديدة وشق الطريق أمامها حتى تنبت نباتًا حسنًا؟ إن تصور المرأة في البيت إنسانًا قاعدًا لا شغل له جهل شنيع بمعنى الأسرة، وتصور ربة البيت إنسانًا يجيد الطهي والخدمة فقط ضرب من السلوك الحيواني عرفته الأمم إبان انهيار حضارتها وسقوط مستواها العام.

ولقد كانت المرأة في صدر الإسلام- كما سنرى- ربة بيت من طراز رفيع، وما منعها ذلك من أن تكون في قمة الثقافة والاستقامة الاجتماعية، والنهوض بأمتها والانتصار لدينها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جاء الإسلام العظيم، ومست رحمته حياة المرأة، فرد عنها طغيان القساة من الرجال وحرر إنسانيتها روحًا وجسدًا حين أتاح لها أن تتزود من العلم ما تشاء، وحصن حقوقها المالية حتى لا تذهب بها أثرة الأقرباء أو الغرباء، وربطها برسالة الأمة الكبيرة ودعوتها العامة، فهي في السلم أو الحرب عنصر فعال، وظهير قوي، وفي نطاق تعاليم الإسلام لا يقل وعي المرأة عن الرجل بقضايا الدين والدنيا، وما كان نساء الصحابة والتابعين جاهلات بكفاح الإسلام في أرجاء الجزيرة ضد الوثنية، أو جاهلات بكفاحه بعد ضد الفرس والروم.

ولكن توزيع الأعباء أعطى كلا الجنسين نصيبه من العناء دون تعسف، والإسلام يعرف المرأة قبل كل شيء ربة بيت وزوجة بطل وأم شهيد.. ويرفض تجنيد النساء للترفيه كما فعلت أوروبا في حربها الأخيرة، وكما تفعل في سلمها.. والملامح النبيلة للمرأة المسلمة تراها في الخنساء، التي جاهدت في حرب فارس، وحضرت موقعة القادسية الهائلة.. اشتركت بأبنائها الأربعة، وقبل أن ينزلوا ساحة الوغى، جمعتهم وزودتهم بنار من الإيمان، ونور من اليقين في كلماتها الخالدة المأثورة.

إن رائدات النهضة النسائية في بلادنا أقصر باعًا وأنزل رتبة من أن يفقهن هذا المثل.

فإحداهن تكره أن تكون أمًا لأربعة ولو فرضت عليها الأقدار أمومة أربعة ما أحسنت حضانتهم وتربيتهم وتوصيتهم حتى يبلغوا هذه الذروة.

إنها تريد أن تكون «رجلة» تتولى عملًا في المجتمع من هذه الأعمال التي تليق بالجنس الخشن، ولو أدركت ما ترجو ما نفعت نفسها ولا أمتها بشيء طائل.

وعندما يقال لها: تستطيعين صناعة المستقبل كما تبغين عندما تحسنين تبعل الرجل، وتنشئة الذرية الوافدة، يتورم أنفها ضيقًا وغيظًا. وربما قال قائل: هي في ذلك على حق، ويجب تذويب الفوارق المفتعلة بين الذكورة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والأنوثة، وترك المرأة تلج كل ميدان وتلي كل عمل، ويجب التغاضي عن ضعفها الموقوت، لأنه أثر القيود التي شلت حيويتها من قديم، وعندما تستوي مع الرجل على الركب وتتكافأ أمامها الفرص فلن تكون الأنوثة عائقًا عن منصب ما.

ونحن لن نرجع إلى الفقهاء الأقدمين نستلهمهم الإجابة على هذه الشبهة، وإنما نقتطف نبذًا من كلام العالم الفيلسوف «الكسيس كاريل»، فيها من الحقائق المقررة وما يدحض هذه الأوهام، قال: «للغدد الجنسية وظائف أخرى غير الدفع لإتيان عمل من شأنه حفظ الجنس، فهي تزيد أيضًا من قوة النشاط الفسيولوجي والعقلي والروحي.. فليس هناك خصي أصبح فيلسوفًا عظيمًا. أو عالمًا خطير الشأن أو حتى مجرمًا عاتيًا، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية.. إنها تولد الخلايا الذكرية والأنثوية وهي في الوقت نفسه تفرز في الدم مواد معينة تطبع الخصائص الذكرية أو الأنثوية المميزة على أنسجتنا وأخلاطنا وشعورنا، وتعطي جميع وظائفنا صفاتها من الشدة، فالخصية تولد الجرأة والقوة والوحشية، وهي الصفات التي تميز الثور القاتل عن الثور الذي يجر المحراث في الحقل.. ويؤثر المبيض في جسم المرأة بطريقة مماثلة، ولكن عمله يستمر فقط إبان جزء من حياتها، فحينما تبلغ المرأة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشيء، وحياة المبايض القصيرة تجعل المرأة المتقدمة في السن أكثر ضعفًا من الرجل الذي تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جدًا.

إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية، ومن وجود الرحم والحمل، أو من طريقة التعليم، إذ إنها طبيعيًا أكثر أهمية من ذلك.. إنها تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محدودة يفرزها المبيض، ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليمًا واحدًا، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة.. والحقيقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن المرأة تختلف اختلافًا كبيرًا عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها.. الأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي، فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبي، فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها، ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي، فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعًا لطبيعتهن من غير أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب عليهن أن يتخلين عن وظائفهن المحدودة.

وهذا الكلام القائم على دراسة طبية ونفسية للجنسين معا هو الشرح الدقيق لقول رسول الله ﷺ «ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال».

إن انسلاخ أحد الجنسين عن فطرته ليلحق بجنس ليس منه حرب على الطبيعة، والتواء بالأمور عن مجراها الصحيح، ولن يفيد العالم من ذلك إلا الخلل والفساد..

ومع رفضنا للنزعات المادية الواقعة في هذا الخطأ فنحن أحيانًا نلتمس عذرًا لأصحابها!

إن هناك صورة قائمة لأحوال المرأة في بعض المجتمعات تجعل الفزع منها يغري بالفرار إلى أي وجهة.

صورة امرأة تلهث وراء رجل يمتطي دابته، أو صورة امرأة تأكل ما بقي من فضلات الغذاء بعد شبع غيرها، أو صورة فتاة مقهورة الإرادة تتزوج ممن تكره أو محزونة فاقدة الميراث، لأن أهلها بطريقة ما حرموها إرثها، أو صورة بلهاء صفر العقل لا تعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئًا.

أو أنه لا وزن لحياتها ولا لجهدها ولا لرأيها، لأن البيئة التي أنبتتها جعلتها كذلك شخصًا كَلًّا على مولاه أينما يوجه لا يأت بخير!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه الصور التي التبست بأوضاع المرأة في بعض المجتمعات وحسبها المغفلون دينا وما هي بدين، بل هي رذائل ومحرمات يسخطها رب العالمين.. هذه الصور هي التي أطاشت الألباب القاصرة، ودفعتها إلى الأخذ من الحضارة الحديثة دون تبصر.

ونحن نغار على مكانة المرأة المسلمة، ونريد أن تسلم من لوثات عبيد الغرب، كما تسلم من لوثات الجامدين المقلدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

كان يجب أن نهدي الثناء المدنية الحديثة لو أنها- حين اعترفت بإنسانية المرأة- دعمت جانبها الضعيف وحفظت حقوقها المهدرة وردت عنها عدوان من ضنوا عليها بالعلم والمال، والإسهام بحظ واضح في رعاية المصالح الخاصة والعامة.

لكن المدنية الحديثة- وشارتها الأولى عبادة الحياة- أدخلت المرأة في المجتمع بطريقة مريبة!

فبدلًا من أن تحصن أنوثتها ضد العبث تعمدت إطلاق الجانب الحيواني في البشر، وجعلت من أنوثة المرأة فتنة تبعثر الإثم في كل مكان! فالملابس لا بد أن تكون قصيرة تكشف ما فوق الركبة، ضيقة تبرز الصدر والأرداف، مثيرة تغري بتفصلها وتقسيمها على النظر الحرام والفكر الحرام.. والتقاليد التي أقرتها هذه المدنية الحديثة أن المرأة تظهر في الأحفال الساهرة شبه عارية، وأنها ينبغي أن تطعم وترقص مع شخص آخر غير زوجها! وأقطار الغرب في أوروبا وأمريكا ترى أن المتعة الجسدية في كل صورها حق طبيعي للفتى والفتاة.. وفرص التلاقي لإرواء الغريزة الجنسية، سواء بالزنا أو بما دونه، متاحة لمن يشاء.

وإذا كانت البيئة المؤمنة تفرض القيود على الملابس، وتباعد بين أنفاس الذكور والإناث إلى أن يلتقي الرجل بالمرأة في بيت الزوجية، فإن المدنية

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحديثة تعمل بدأب غريب على إثارة الشهية الجنسية بالليل والنهار، في البر والبحر.. وتستفز الغرائز الساكنة لتدفعها دفعًا إلى الاستمتاع الميسور، محظورًا كان أم غير محظور..

إنها مدنية تنشد اللذة وتطوع لها كل شيء، والمسحورون بها يحق فيهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ **(الإنسان: ٢٧)**.

ولما كانت الطبيعة البشرية قد تسكن إذا نالت ما تشتهي أو قد تهدأ إذا ألفت ما ترغب فإن زبانية النشاط الجنسي يكدون قرائحهم لخلق أزياء وأوضاع جديدة تلهب الذئاب الجائعة لتنطلق في كل فج وهي تصيح: هل من مزيد؟

ومن الحق أن نقول: إن الأديان السابقة كانت أعجز من أن تقف السيل الطام.

فقد كان الإنسان بذكائه العقلي أكبر منها وأمنع من تصديق نقائضها، كما أن ميوله كانت أشرس من أن تنقاد لتعاليمها الباهتة.. أما الإسلام فكان غافيًا في بلاده محتبس الضوء بين حكام الجور، وعلماء السوء، وعباد الغفلة! ومن ثم انطلقت المدنية الحديثة في طريقها لا تلوي على شيء، تطلب اللذة على ظهر الأرض من كل سبيل، وترى المرأة أولى هذه اللذاذات التي ينبغي أن تشبع فتتملاها كل عين.. وتلمسها كل يد.. والمدنية الحديثة الآن تفرض نفسها على القارات الخمس، ويكافح بعض المسلمين في جو مربد لينقذوا أقطارهم من هذا الشرود الجنسي الطافح، ولكنهم- إلى يوم الناس هذا - يحاربون في معركة انسحاب!

إننا نرفع صوتنا عاليًا بأن من حق المرأة أن تتعلم، ولا يستطيع أحد أبدًا أن يحرمها هذا الحق.. لكن من قال: إن التبرج والاختلاط ضرورات لا بد منها في الجو العلمي؟ وإذا كان الإسلام يأذن باختلاط ما في بعض المواطن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهو اختلاط مصحوب بالحشمة والحياء وغض البصر وتقوى الله.. وهو يرفض بتة كل اختلاط يسمح بأن يخلو رجل بامرأة.. وبالتالي فهو يستنكر أحفال العري والمجون التي عرفتها وأشاعتها المدنية الحديثة.. وللمرأة أن تعمل في وظائف مناسبة، وفي ظروف خاصة، لكن على أساس أن عملها الجليل العتيد أن تكون ربة بيت وسيدة أسرة وأن يكون جو العمل غير ما تألف المدنية الحديثة.. فلا يليق حشر المرأة عارية الأذرع والسيقان في صفوف الرجال!

ولا يليق توظيفها لتعرض أوراقًا على مدير يختلي بها إذا شاء.. ونحن نعرف أن المرأة في أوروبا وأمريكا اشتغلت بالمصانع والحقول والشركات والجامعات لكن حصاد اللقاء البعيد عن معرفة الله واتباع شرائعه كان مرًّا.

إن المرأة قد تعمل إذا احتاجت لعمل أو احتاج إليها المجتمع.. ما يصدها عن ذلك أحد..

أما الزعم بأنها والرجل سواء في القدرات المادية والمعنوية فذلك ما ننكره، كيف وهي تلد وترضع؟ وحملها لولدها وحضانتها له يأخذان منها جهدًا مضنيًا.

ثم هي- من غير الحمل ونتائجه- تراح من العبادات المفروضة في دورات شهرية منتظمة، فكيف تكلف بالأعمال العادية وينتظر منها أن تساوي الرجل في الإنتاج؟

ولندع ذلك كله.

إن المشكلة ليست في عمل المرأة أيا كان نوعه! المشكلة في جو ذلك العمل! ولون المجتمع العام الذي يتم فيه، وهنا تبرز طبيعة الإسلام دون غضاضة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فالإسلام دين يكلف الرجال والنساء بصلوات خمس كل يوم، وعندما تؤدى هذه الصلوات في جماعة- ولابد في كل أمة مسلمة من قيام هذه الجماعات من الفجر إلى العشاء- فإن الرجال يملأون الصفوف الأولى والنساء يملأن الصفوف المؤخرة.

وعلى النساء أن يخفين زينتهن وأن يرتدين ملابس سابغة، وعلى كلا الجنسين أن يغض طرفه إذا رأى الآخر! فإذا حدث أن نظر شخص إلى غيره نظرة مريبة وجب على من لاحظ ذلك أن ينهاه عن الإثم وأن يذكره بالله.. ومعنى هذا كله أن الاختلاط بمدلوله الواسع في المدنية الحديثة يأباه الإسلام إباء تاما ويرفضه رفضًا حاسمًا.

إن الجو الذي تعمل فيه المرأة هناك، في أوروبا وأمريكا، جو التكشف، وإبداء المحاسن، واختيار الأصدقاء، وحرية التلاقي والاختلاء، وحرية الجسد كما يقولون، أو جو نبذ الدين ظهريًا واجتياح حدوده دون نكير.. هذا الجو يستحيل أن يقبله الإسلام أو يرضى بدفع المرأة إليه.

إن الأسرة ذابت في أقطار أوروبا وأمريكا تحت اللهب الجنسي المشتعل في هذا الجو، وبقاياها التي لا يزال بها رمق لا تدل على خير، ولا تطمئن على غد طهور.

والمسلمون في فترة عصيبة من تاريخهم.. لقد داس الاستعمار بلادهم وسخر من تقاليدهم وترك طابعه الخاص على أغلب شؤونهم، وهناك كثيرون ينقمون على وضع المرأة القديم في البلاد الإسلامية، ويرون أن الاستظلال بلواء المدنية الحديثة أجدى وأفضل.. ونحن نرفض الأمرين معًا.. حبس المرأة في سجن الجهل والقصور وذوبان الشخصية وضياع المكانة، وإطلاق المرأة فتنة عاتية تنشر الإثم وتبيح المحارم.. لقد رأينا المرأة في صدر الإسلام، لا تقل عن الرجل علمًا، ولا جهدًا في خدمة دينها وأمتها وبيتها وولدها.. رأيناها في القادسية واليرموك في أشرف المواقف

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأجدرها بالتكريم.. ولم نرها أبدًا مجندة للترفيه عن الرجال، ولا رأيناها حسرت عن صدرها وركبتيها باسم العمل في المكاتب أو المصانع.

ويبقى أن نتساءل: لمن نكل وظيفة «ربة بيت» إذا استخرجنا المرأة من البيت لغير ضرورة ملجئة؟ إن هذه الوظيفة، من أرقى الأعمال- لو عقلنا- لأنها إنشاء الحياة وصيانتها وتعهدها حتى تؤدي رسالتها كاملة.

ونتساءل مرة أخرى: هل يقبل حكم الله في تحريم الزنا، وما يؤدي إليه، وما يغري به، أن نجعل الزنا- كما تقول عشيقة سارتر- أمرًا عاديًا لا يستقبح ولا يستهجن؟

إن القصة هنا ليست فتوى فرعية في مشكلة محدودة، إنما هي قصة الدين من ألفه إلى يائه.. قصة الإيمان بالله وتصديق المرسلين أجمعين!



(٩)

تصحيحات شرعية

واحة روحية

العدد (٣٣) رمضان (١٣٨٧هـ) ديسمبر (١٩٦٧م)

في هذا العصر اختفت تقريبًا المذاهب الداعية إلى الانطواء على النفس والعزلة عن المجتمع، وربما بقيت في ميدان الرهبانية، أو في مجال النزعات الخاصة بعض آثار الاستيحاش من الخلق، والابتئاس بالخلطة، لكن هذه البقايا لا تؤثر في قيمة الاتجاه الإنساني العام إلى التعاون والاختلاط، وبناء السلوك البشري على الإيلاف والاستئناس.

ونحن راضون عن هذا الاتجاه الجماعي الودود، فإن الانكماش عن الحياة العامة ليس شارة صلاح، ولا طريق إصلاح، بل قد يكون دليل ضعف وانهزام، أو نشدانا للراحة مع ترك الدنيا تموج بما تموج به.

ورسل الله لم يتركوا الجماعات البشرية تسير حبلها على غاربها، ويقبعوا في صوامع قصية يتأملون ويتألمون، كلا.. لقد عاركوا الشر وعالجوا أسبابه، وتحملوا بجلادة ما تركه هذا العراك في أنفسهم وأهليهم من أحزان وكروب.

ولم يكن هناك بد من هذا المسلك، فإن الأفراد يعيشون غالبًا وفق التقاليد والعادات الشائعة في الأمة، ويبنون مكانتهم ووجاهتهم على الانسجام معها.

وهذه التقاليد والعادات كثيرًا ما تغلب فطرة الله في الأنفس، وتعمي عن رؤية آياته في الآفاق، فتنشأ الأجيال المقبلة بعيدة عن الصلاح والاستقامة، بحكم منابتها التي خرجت منها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن ثم فلا طريق لنصرة الحق، وغلبة الخير إلا بالجهاد المضني لجعل عادة حسنة تغلب عادة رديئة، وتقليدًا صالحًا يغلب تقليدًا فاسدًا، وتيارًا نقيًا يغلب تيارًا ملوثًا.. وتلك هي الغاية من جهاد الدعوة.

ولعل الثواب الأعظم المرصد لخطوات المجاهدين يرجع إلى عظم آثارهم في الحياة، وامتداد النفع بكفاحهم المادي والأدبي.

ومن ثم فإن العباد العاكفين على طاعة الله في قمة جبل، أو جوف غابة، يطالعون من بعد غبار المعركة بين الحق والباطل، أو ييأسون من نتائجها، ويستريحون من متاعبها.. هؤلاء في الحقيقة ناس واهنو العزم والإيمان، هابطو المكانة في الدنيا والآخرة.

بل ربما لقي بعضهم الله بإثم الفار من الزحف، أو القاعد وراء المجاهدين.. إن الإسلام يمد أبناءه بفيض من اليقين يتجاوز أشخاصهم إلى ما حولها، فهم يتركون طابعهم كله أو بعضه على بيئتهم.

وإذا استعصت مواطن الشر على هذا الإيحاء الكريم، فهي أعجز من أن تبسط ظلمتها على القلوب المشرقة، وهي أعجز من أن تكرهها على الفرار والتواري عن الأعين.

وسيبقى أهل التقى في جنح الليل السائد منارات قائمة تومض بالحق فتهدي وتنجي.

ومع هذه المعاني التي شرحناها، نقرر أن المرء تمر به فترات يحتاج فيها إلى أن يخلو بنفسه، وينأى عن الناس بجانبه، ويراجع في صمت العزلة ما له وما عليه، ما أحسن وما أساء، وما يفعل وما يترك.

إن ضجيج المجتمعات أحيانًا يفقد الإنسان وعيه أو يكاد.

وأظن أنه قد ثبت علميًا أن مستوى الذكاء في زحام الجماهير يهبط، وأن التجمعات المنطلقة يحكمها رأي عام يشبه متوسط المحصول.

ومتوسط المحصول يتلاشى فيه الإنتاج العالي في جوار الإنتاج الرديء، إذ تذهب زيادة هذا في نقص ذاك.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن ثم وجدنا كثيرًا من الناس ينشدون أن يخلوا بأنفسهم، ليستعيدوا في خلوتهم حدة بصيرتهم، وتألق أذهانهم.

وما يستغني أولو النهى عن هذه الساعات الغالية، لا ليستجموا فيها، بل لتثوب إليهم مواهبهم، وترجع لهم خصائصهم ثم يواجهوا الدنيا بحقيقتهم الكاملة.

وفي الجاهلية الأولى رغب النبي ﷺ في العزلة، فكان يهجر أم القرى إلى غار منفرد في جبل أشم، ينقطع دونه لغو الناس وإثمهم.

وكان النبي الكريم يحاول في سكينة الغار أن يقترب من الحقيقة التي ضل عنها عالم غريق في الشرك والعصيان.

وقد طلع عليه فجر الوحي في أيام تحنثه، واستراحة فؤاده الشريف إلى حياة التأمل العميق، فلما حمل أعباء الرسالة، وشرع يخلص العالم من قيود الخرافة وآصار البغي، كان يستعين على جهاد الجماهير الشكسة النافرة بالساعات التي يخلو فيها إلى ربه، ويبصر فيها نفسه، وما يعمل وما يلقى.

وقد استحب لأصحابه - رضوان الله عليهم- أن ينسحبوا بين الحين والحين من مشاغل العيش، ومشكلات الأهل والولد، وأن يفروا إلى الله في بيته، ويعكفوا على ذكره وعبادته.. والاعتكاف في المسجد اطراح موقوت لشؤون الدنيا، وإقبال مضاعف على شؤون الآخرة، وإنابة جادة إلى الله، يشترك فيها الشعور واللسان، والظاهر والباطن.

وإذا كانت أيام رمضان قد اجتذبت الرسول ﷺ إلى غار حراء، راغبًا راهبًا ذاكرًا قانتًا، فإن هذه الأيام نفسها قد علّقت قلبه- بعد الوحي- بالمسجد، يأوي إليه، ويتحنث فيه هو وصحبه الأبرار.

وقد شهد المسجد النبوي بالمدينة المنورة ليالي وضيئة، لأولئك العابدين المنقطعين إلى الله، الآملين فيه، المعتزين به.

فلنطالع هذه الصورة الطريفة من مرويات البخاري ومسلم، قال أبوسعيد

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخدري: اعتكف رسول الله ﷺ في العشر من رمضان واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال له: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط، فاعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: الذي تطلب أمامك.

ثم قام النبي ﷺ خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان فقال: من كان اعتكف معي فليرجع، فإني رأيت ليلة القدر، إني أنسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وتر، وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء.

قال أبوسعيد: وكان سقف المسجد جريدًا من النخل، وما نرى في السماء شيئًا، فجاءت قزعة فمطرنا، فصلى بنا النبي ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهته، تصديق رؤياه[1].

أي ليلة سمحة مباركة كانت هذه الليلة التي اتصل فيها الذكر والتسبيح، وصاحب الرسالة ورجاله الأقربون عكوف على الطاعة والتلاوة يركعون ويسجدون، حتى جاءت سحابة تصب على أكناف المسجد ما شاء الله من رحمته، والمتهجدون دائبون على نسكهم، لا يلفتهم عن صلاتهم المطر النازل، فإذا سجد النبي ﷺ رفع وجهه الشريف وبه آثار من الماء والطين؟

لقد كانت هذه ليلة القدر، وهي كما قال الله ﴿ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ **(القدر: ٣)**.

رب عمر طال بالرفعة لا بالسنوات..

وقطيرات زمان ملأت كأس حياة..

وقد مضت السنة باستحباب اعتكاف المؤمنين في العشر الأواخر من رمضان، وكان النبي ﷺ إذا دخل الثلث الأخير شد مئزره، وأحيا ليله وأيقظ أهله.

وربما قال قائل: إن الاعتكاف على هذا النحو ليس عزلة، إنه عبادة

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٨٠).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

جماعية، يؤديها المؤمن مع غيره، وذاك شيء غير العزلة التي حدثتنا عنها آنفًا!

ونجيب بأن الاعتكاف عبادة قوامها العزلة، فإن الإنسان عندما ينوي الاعتكاف يتفرغ لطاعة الله، والإقبال عليه، ويدع زوجته وشغله ولهوه.

وقد جعل الإسلام هذه العزلة في إطار المسجد، فلم يسمح بانقطاع في غار أو غابة، وذلك حتى لا تهي صلة المسلم بالجماعة.

والمسجد بقعة توحي بالعبادة والتبتل، وعلى العاكف أن يلم شمل نفسه، ويديم ذكر ربه، ولا يأذن لقطاع الطريق أو لصوص الأوقات أن يغلبوه على أمره.

إن المساجد قطع من هذه الأرض مساوية لها في المعدن، ولكنها ارتفعت قدرًا عند الله وعند الناس برفعة الغاية التي بنيت من أجلها، والعباد الذين يصطفون فوقها ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ **(النور: ٣٦، ٣٧)**.

ورأيي أن الاعتكاف ليست له مدة معينة، وأن الصوم حسن فيه إذا طال أمده.

وفترات الاعتكاف القصيرة فرصة متاحة لكل مسلم يريد بين الفينة والفينة أن ينعطف إلى ربه، لكن الفترات القصار تشبه التمارين الرياضية المحدودة من سباحة وجري، لها بلا ريب أثرها في الصحة العامة، غير أنها لا تدل على بطولة وتفوق.

والاعتكاف الذي يستغرق أيامًا لا يطيقه إلا قوم لهم مع الله معاملة، ولهم به إلف، وهل يتفاوت أهل الإيمان والعبادة إلا في ذلك المضمار؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن ما يسأم منه البعض قد يستلذه آخرون.

تدبر هذا الحديث عن ربيعة بن كعب -رضي الله عنه- قال: كنت أخدم النبي ﷺ نهاري فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله فبت عنده، فلا أزال أسمعه يقول «سبحان الله، سبحان الله، سبحان ربي» حتى أمل، أو تغلبني عيني، فأنام، فقال يومًا: يا ربيعة سلني فأعطيك، فقلت أنظرني حتى أنظر.. وتذكرت أن الدنيا فانية فقلت: يا رسول الله، أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار ويدخلني الجنة، وفي رواية أسألك مرافقتك في الجنة.. فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: من أمرك بهذا؟ قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه فأحببت أن تدعو الله لي، قال: إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود»[1].

لقد كان رسول الله لا يفتر من ذكر حتى يمل كعب أو ينام، فلما طلب من رسول الله أن يصحبه في الجنة طلب منه أن يرشح نفسه لهذه المنزلة بإدامة الصلاة.

والإنسان الذي يكثر السجود يقبل على الله بنفس محب، ورغبة مشتاق، والاعتكاف على مثله يسير، طال أو قصر.

والاعتكاف اليسير أو الطويل ليس جلوس بطالة في المسجد كما يتوهم البعض! فإنك إذا قلت: شاطئ البحر متعة عنيت أن ذلك لمصطاف يستعين بالراحة على العمل، وبالاستجمام على استئناف الكفاح.

والمرء في مكابدته للمعايش، ومخالطته للخلائق قد يتيه في أودية الحياة، وينسى ما بعدها، فإذا انتزع نفسه ليذهب إلى المسجد مصليًا، فهو يذهب ليستعيد صوابه. فإذا بكر في الذهاب قليلًا، وقصد أن يفتح أقطار قلبه لإيحاء المسجد فهذا اعتكاف مشكور، وفي الحديث: «فإذا صلى لم تزل

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٦).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة».

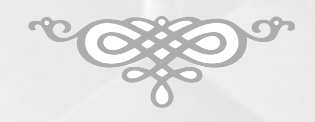
إننا في عصر ينشد الإنسان فيه المتاع المادي من ألف وجه، ويظن ما ناله منه حظًا جسيمًا، فلنلو زمامه إلى لون آخر من الكمال الإنساني الأسمى..

إن غدوة إلى ناد للقاء الزملاء متعة.. لا بأس!

ومن المتع التي لها مذاق آخر غدوة إلى المسجد لمناجاة الله، واللبث في حضرته.

فإذا استمكنت هذه العادة في القلب رفعت صاحبها إلى السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله.. فمن هؤلاء السبعة «رجل قلبه معلق بالمساجد»..

إن الاعتكاف سنة مهجورة، أو لعله سنة غير مفهومة، خصوصًا هذه الأيام التي دارت فيها الأهواء بالرؤوس كما تدور الخمر بشاربها.. وهو في حقيقته واحات روحية مزهرة على درب الحياة الطويل.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٠)

الهجرة

منطق اليقين

العدد (٣٧) محرم (١٣٨٨ هـ) مارس (١٩٦٨م)

نحن في عالم يسوده المنطق المادي، ويعد المحسوسات وما يتصل بها هي الوجود الذي لا وجود وراءه!

وجمهرة البشر أخذت تستكين لهذا التفكير، وتبني عليه سلوكها في الحياة، وفرحها أو حزنها لما يصيبها من نعماء وبأساء!

نعم، إنها تحت تأثير الدين تؤمن بما وراء المادة، وتأوي إلى هذا الإيمان في الساعات العصيبة.

بيد أن لغوب الناس على ظهر الأرض، وكدحهم لتحصيل ما يريدون إنما يثور غباره وراء ضرورات العيش ومرفهاته - أما الدار الآخرة وما يمهد لها فأمر قلما يخطر على البال، وإذا خطر فقلما يقترن بالشعور الجياش والفكر المستغرق والعزم الحديد!

وحقيقة الدين تنافي هذا المسلك الخامل، فإن الإيمان بالغيب قسيم للإيمان بالحاضر، ولا يصح تدين ما إلا إذا كان المرء مشدود الأواصر إلى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع في هذه الدنيا..

والغيب الذي أقصده هنا أوسع دائرة من عالم الملائكة مثلًا، أو مشاهد الجزاء الأخروي، أو المرويات التي أنبأنا الوحي بها، ولا نستطيع الوصول إليها بمداركنا.. الغيب الذي أقصده هنا ما يتصل بالسلوك الإنساني المأنوس لنا، أي ما ننبعث عنه في كفاحنا القريب لبلوغ ما نحب وإقصاء ما نكره!

إن النصر على الأعداء غيب.. خصوصًا إذا وهنت الوسيلة، وقل العون، وفدحت العوائق.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن الإيمان بهذا النصر المأمول ينبع من الإيمان بالله وحده جل شأنه، ومن ثم فالمجاهد الموقن يمضي في طريق الكفاح المر، وهو واثق من النتيجة الأخيرة!!

إن غيره يستبعدها، أو يرتاب فيها.. أما هو فمعتقد أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وإن طال المدى.

فإذا قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (**الروم: ٤٧**) فإن الجماعة المؤمنة لا تهولها وعثاء الطريق، وضراوة الخصوم، وكآبة الحاضر.

إن إيمانها بالمستقبل يعزيها عن متاعب اليوم، ويشعرها بأنها غيمة عارضة توشك أن تنقشع ﴿ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (**الرعد: ١٧**) والرزق- مثل النصر- غيب مرتقب. وعندما ينفق المؤمن ما عنده على أمل أن الله باعث خلفا له وعوضا عنه، فهو يسير على منطق اليقين المحض.

ومن هنا قال رسول الله ﷺ لبلال- لما ادخر له صبرا من طعام: «أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالًا»[1].

ولماذا يخشى الإقلال وقد وعد الله أن يخلف على من أنفق؟ ووعده منجز لا ريب فيه.

إن هذا الإيمان بما عند الله هو الذي يرجح عند المؤمن جانب العطاء عندما توسوس له نفسه بالإمساك والمنع، خصوصًا مع التأميل في الحياة، والرغبة في سعة الثراء، والقلق من أحداث الزمان!

(١) رواه البزار برقم (٢٧٣) وغيره، وهو ضعيف كما ذكر ذلك العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولذلك جاء في الحديث «أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تحب الغنى وتخشى الفقر»، والإيمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول الكريم: «أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك».

كان المسلمون قبل الهجرة يملكون أنصبة وافرة من الإيمان بالمستقبل، يعتقدون أن دينهم لن يغلب- وإن ضعف اليوم حملته- ويؤدون فرائض الجهاد والبذل وهم راضون عن ربهم، راجون ما عنده.

والمجاهدون في سبيل الله بشر تجيش في أنفسهم المشاعر التي تجيش في نفوس غيرهم، من تقدير للحياة، والرأي العام، وكفالة الأولاد، وتأمين العيش لأنفسهم وأهليهم! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق، وأشواق الدنيا، ثم آثروا وعد الله على وحي العاجلة.

وتأمل هذا الحديث الذي يصور الصراع النفسي لدى أنصار الحق، وكيف يخرجون من غباره أوفياء لله، أحقاء بكرامته، عن سبرة بن الفاكه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك؟ فعصاه، فأسلم، فغفر له! وقعد له بطريق الهجرة فقال له: تهاجر، وتذر دارك وأرضك وسماءك؟ فعصاه فهاجر، فقعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد وهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك فمات، كان حقًا على الله أن يدخله الجنة. وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة. وإن وقصته دابة كان حقًا على الله أن يدخله الجنة»[1].

هذه طبيعة الاستمساك بالحق والتفاني في نصرته.

والواقع أن إيمان هؤلاء بالغيب مثل إيمان غيرهم بالمحسوس، إن الرجل

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (١٥٩٥٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي يقطع تذكرة للسفر من القاهرة إلى الاسكندرية لا يخامره شك في أن الاسكندرية موجودة وأن القطار المنطلق ذاهب به إليها!

والمجاهد المسلم يؤمن بأن الموت نداء الحق ينقله يقينًا إلى جنة عرضها السموات والأرض، إيماننا اليوم بأن السفر من عاصمة إلى عاصمة أو من قارة إلى أخرى يصل بنا إلى ما نريد!

وعندما يرتفع الإيمان بالغيب إلى هذه القمة الراسخة، فإن أصحابه ينتصرون بمبادئهم حتمًا وناشروها في الحياة نشرا لا يدركه طي، ومكتسحون ما يضعه المبطلون أمامهم من عوائق.

والمستقبل الذي تنتصر فيه الرسالة وينتصف فيه أصحابها يتكون من جزأين أحدهما قريب والآخر بعيد.

أما القريب ففي هذه الدنيا وعلى أرض الميدان الذي تدور فيها المعارك.. أما البعيد فعند الله حيث تتكشف خبيئات النفوس وينال المحقون والمبطلون جزاءهم العدل، وفي المرحلتين كلتيهما يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (**القمر: ٤٤، ٤٥، ٤٦**).. وجاء في سورة أخرى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (**غافر: ٥١، ٥٢**).

والمسلمون الأوائل لم تنقصهم الثقة في مستقبل الدعوة التي آمنوا بها وكل ما عناهم، أن ينهضوا بحقوق الدين الذي اعتنقوه، وأن يثبتوا على صراطه المستقيم مهما تكاثرت المحن وترادفت الفتن.

من أجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الأمر أن يهاجروا، وخاضوا غمرات الحروب لما كلفهم الحق أن يبذلوا النفس والمال.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولو شققت عن ضمائر القوم لوجدت الهجرة عندهم أشبه بانتقال الموظف اليوم إلى بلد اتصل فيه رزقه أو نال فيه ترقية!

غاية ما هنالك من فرق أن هذا مسلك بدت فيه بواعثه المادية التي تواضع الناس على الاحتفال بها..أما المهاجرون الأوائل فهم ينتقلون من بلد إلى بلد، إقامة لدين مضطهد، ويعاملون رب العالمين وحده حين يحلون وحين يرتحلون، ويستيقنون من رضوانه، تعبوا أم استراحوا.

إن هجرات الأحياء على ظهر الأرض كثيرة، بل إن الطيور في الأجواء، والأسماك في المحيطات تقطع مسافات كبيرة وراء غاياتها المادية المحدودة، لكن الهجرة التي علت بها أقدار، وخلد بها أقوام، تلك التي قامت ودامت ببواعث الإيمان المحض، والغضب لله والارتباط بتعاليمه، والعيش بها أو الموت دونها.

ومع أن الوحي الأعلى لقن المؤمنين أن رسالتهم ستستقر، ورايتهم ستعلو، وأن الكفر سيذوب، وينخذل حزبه، إلا أنه تملق أفئدتهم بالمستقبل البعيد، أعني الدار الآخرة وما حوت من ثواب وعقاب ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (**الزخرف: ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤**).

ولهذه الآيات معنى ينبغي أن نقف عنده طويلًا، فإن المؤمن المجاهد قد يترك هذه الحياة دون أن يعرف نتائج الصراع المحتوم بين الهدى والضلال، وهذا جائز، بل كثير الوقوع، لأن انتصار الحق ربما اقتضى هذا المؤمن نفسه أن يقدم حياته، فيكون استشهاده، واستشهاد غيره من المؤمنين الجسر الذي تعبر عليه المبادئ وتشق طريقها إلى مستقبل وطيد.

لكن هل ذهاب عدد قل أو كثر من أهل الإيمان يفيد الضالين شيئا؟ كلا، إن الانتقام الإلهي لاحق بهم يقينا.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولذلك يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ (**الزخرف:** ٤١، ٤٢).

والخطة المثلى أن يؤدي الإنسان واجبه المجرد دون استعجال المصير في هذه الدنيا، وألا يتعلق بالفوز الشخصي له، أو الاندحار الشخصي لخصومه.

فمن يدري؟ ربما رشد هؤلاء الخصوم يومًا، وتحولوا إلى الإيمان الذي جحدوه من قبل!

وفي أعقاب أحد، ومع مرارة الهزيمة التي أصابت المسلمين، يبين الله لنبيه هذه الحقيقة فيقول ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ۝ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ...﴾ (**آل عمران:** ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨).

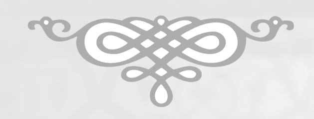
في إطار هذا اليقين العميق، لبى المسلمون النداء إلى الهجرة عندما طولبوا بالهجرة، واستجابوا لله ورسوله غير ضائقين ولا جازعين.

إن الحياة بالنسبة إلى المؤمن خط طويل يمتد مع الزمن لا يقطعه الموت، ولا يعروه الفناء.

والمؤمنون حين يغرسون في هذه الدنيا فهم يرقبون ثمار غرسهم في المستقبل القريب، أو المستقبل البعيد، بين أهليهم هنا أو عند الله هناك.

ولن يخامرهم قنوط لأن ما ارتقبوا تأخر ميعاده.

ولن يسأموا تكاليف الجهاد ولو كلفتهم أن يحرموا وطنهم الغالي، وأن يرغموا على ترك معايشهم به وذكرياتهم فيه.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(١١)

حقيقة وشريعة!

العدد (٤٠) ربيع الثاني (١٣٨٨هـ) يونيو (١٩٦٨م)

جلست يومًا أختم الصلاة وأردد الألفاظ المائة المأثورة، متدبرًا ما تدل عليه من تسبيح وتحميد وتكبير، بيد أن الشيطان سرق فكري دون أن أدري، فإذا أنا أسرح في إحدى القضايا، أستعرض أحداثها وأتتبع مراحلها وأتوجس من نتائجها! وغصت في أعماق القضية العارضة حتى ارتطمت بقاعها ولساني يحصي آخر الكلمات المائة التي تعقب الصلوات المكتوبة، لتكون ذكرًا بعد ذكر، وتحية بعد تحية!

وشعرت بتناقض بين حالي ومقالي، وسألني ضميري: أكنت حقا تذكر ربك، وتسبحه وتحمده وتكبره؟

ولم يكن للكذب مجال، لقد كان فؤادي في واد آخر، وإن كان لساني يردد ما تعوده من كلمات..

لقد كنت حاضرًا كغائب، أو غائبًا كحاضر، وما أستطيع الزعم بأني فيما هممت كنت من الذاكرين!

إن البون بعيد بين الكلمات التي ننطق بها، وبين معناها المصاحب لها، المخبوء تحت حروفها..

لو كانت إدارة الألفاظ على الشفتين تثبت معانيها للفور كما تدير أزرار الكهرباء فتسطع المصابيح للفور، لَكُنا في حال غير الحال، ووضع غير الوضع! ولكن المسافة شاسعة بين الكلمات ودلالتها الملاصقة.

وكم فينا من ببغاوات تجري على أفواههم كلمات جليلة، فإذا ذهبت تلتمس حقائقها في نفوس القائلين، وجدت الفراغ أو وجدت النقيض.

والمؤسف أن أغلب معاملتنا لله يسيل من هذه العين الحمئة!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن أسوأ ما يعتري الفرائض المكتوبة والعبادات الرتيبة أن يؤديها المكلفون وهم في شبه غيبوبة، لا تلاحق عقولهم معانيها، ولا تحصل نفوسهم حكمتها.

ويقول علماء النفس: إن درجات الحس تتفاوت عند مباشرة المرء لشتى الأعمال، فقد يقع الإحساس في بؤرة الشعور وذلك في حالات الانتباه الكامل، وقد يهبط الوعي إلى حاشية الشعور عند ملاحظة أمور مألوفة.

وهناك منطقة شبه الشعور التي تصحب القيام بأعمال معتادة، وأظن بعض الدواب تشارك البشر في هذ الحالة، فهي إذا دربت على أشغال معينة أدتها بدقة- دون وعي طبعًا.

والتكاليف الدينية يوم تؤدى على أنها عادات مجردة، ليس معها الصحو العقلي المطلوب تصبح إلى الأدواء أقرب منها إلى الأدوية.

بل إن الكفار الصاحين الأيقاظ إذا التقوا في ميادين الحياة بعابدين من هذا النوع المخدر الغافي سرعان ما يسبقونهم سبقًا بعيدًا ويغلبونهم غلبًا أكيدًا.

إن الله شرع الدين موضوعًا وشكلًا، معنى ولفظًا، يقظة نفسية، وحركة بدنية، فمن أخذ الظاهر من هذا كله وترك الباطن فهو يعبث بالدين، ويتخذه لعبًا ولهوًا..

ويحسن أن نفرق هنا بين عدة أحوال، فإن المؤمن الجاد الصادق عندما يشرع في نسك، يقبل على الله معقود العزم حسن القصد..

وربما اختلس الشيطان شيئًا أو أشياء من عبادته، فهو يحزن لذلك ويتعلم الحرص والحذر، ومراتب المؤمنين في مدافعة هذه الغارات لا حصر لها..

وخيرهم من تنجح مجاهداته في صيانة عمله جوهرًا ومظهرًا، وأعجزهم من استغفله الشيطان فشتت لبه في متاهات ليس لها آخر كلما تقرب إلى الله بعمل..

ولا بد من استبعاد النيات الملتاثة في هذا المجال..

إنني أحيانًا أسمع الأغنية الدينية تصف مناسك الحج أو تعرض حياة الرسول، فيمتلئ قلبي بالرقة والضراعة.. ثم أستحضر سيرة المغني والملحن والعازفين فأحس فجوة رهيبة بين جلال ما يقال وفساد من يقول..

إن الفرق الماهرة في أداء هذه الألحان الدينية هي هي التي تستفز الشهوات الساكنة، وتزين مزالق الشر لألوف من الخلق وتجدد نشاط الأشرار كي يسترسلوا في غوايتهم.. ولذلك عندما أسمع مناجاة الله على لسان مغن أو مغنية أسأل النفس: أهذا ذكر الله حقا أم هي صنعة الكلام والتطريب وحسب؟

ولم التمثيل بالغناء الديني؟

هل تتبعت مجالس القرآن التي تحف بنفر من القراء المشهورين ورأيت ما يسود هذه المجالس من صخب وخفة؟

إن الصياح الطائش الذي يفتعله بعض السامعين يستخف للأسف هؤلاء القراء فتراهم ينسون الكتاب ومنزله، وما ينبغي له من إجلال وتوقير، ويحولون الآي إلى نغم معجب للجهال يزيدهم ولها على وله! ثم ينفض الحفل الماجن دون أن ينشرح بذكر الله صدر أو تدمع لخشيته عين، أو تنعقد على طاعته إرادة، ويئوب القارئ والسامعون إلى بيوتهم وهم يخوضون في غضب الله خوضًا!

إن ما يطلب من الناس ليس شيئًا صعب التصور أو عسر المنال، مطلوب من الإنسان العاقل أن يعي ما يقول، وأن يعنيه، وأن يفقه ما يسمع ويستوعبه، فهل هذا تكليف بما يبهظ الهمم؟ مطلوب من المصلي إذا وقف بين يدي الله أن يعرف من يناجي، فإذا قال: الله أكبر، كان شعوره أنه في حضرة الكبير المتعال عاصما له من الالتفات إلى غيره، ومحرمًا عليه الاشتغال بأمر دونه، وهذا سر تسمية افتتاح الصلاة بتكبيرة الإحرام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مطلوب من التالي للوحي أن يفك اغلاق قلبه فإذا نودي سمع، وإذا بصر رأى، وإذا استثير نشط، وقد جاء في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ (**الفرقان: ٧٣**).

العلاقة بالله- على الحقيقة لا على التجوز- تطلب البعد عن آفتين، التوهم أو الخيال، والتميل أو التصنع.. الآفة الأولى تجعل المرء يرسل القول على عواهنه، وقد تخدعه نفسه فيخال الأمنية البعيدة حقيقة ماثلة. أو يخال الأمل السامي غاية سهلة.

وقوانين الإيمان لا تدع المؤمنين طويلًا بإزاء هذه الأوهام، بل ترميهم بالأحداث تلو الأحداث حتى ينكشف معدن النفس، فإما ثبت الإنسان عندما يقول وتحمل تبعاته كاملة، وإما انهزم وبدا عواره، وفي ذلك يقول جل شأنه: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ (**آل عمران: ١٤٢، ١٤٣**).

والأمل في الاستشهاد قبل مواجهة العدو شيء عظيم، وأعظم منه وأدل على صدقه ألا يتبخر الحماس عند اللقاء، ويتغلب حب الحياة وإيثار السلامة.

إن الله تبارك اسمه يبغض أصحاب المزاعم العريضة، فإذا دقت ساعة الجد وجدت الثرثارين خرسًا ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (**الصف: ٢، ٣**).

أما الآفة الأخرى التي تبعد ذويها عن جوهر الدين فهي أخذ العبادات من مراسمها البادية، وبذل الجهد في إتقان الظاهر وحده.

ولو عقلنا لأدركنا أن القليل مع صحو الضمائر أفضل من كثير لا روح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيه، تأمل في حديث إبراهيم الخليل عن ربه، إنه حديث ليس فيه كشف لمجهول، ولا تصوير لمعنى مبتدع، إنه يتناول أقرب المحسوسات إلينا: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ (**الشعراء: ٧٨، ٧٩، ٨٠**).

إن الرجل العامي يجد هذا الكلام قريبًا من حسه، ولكن حقائق هذا الكلام هي التي فاتت العباقرة فزاغوا.

ليس الأمر تزويق عبارات بليغة، ولا شرح فلسفات عويصة، الأمر لا يتطلب أكثر من أن يقرأ المسلم فاتحة الكتاب، فيعني كل كلمة ينطق بها، ويكون قلبه مرآة نقية لما احتوت من حمد الله، وثناء عليه، وتعاهد معه، وتطلع إلى هداه ونعمته.

هذه هي الحقيقة التي تحدث عنها التصوف ورجال التربية.

لا دلالة لهذه الكلمة غير ما قلنا، أن يلتزم المسلم بشريعته مبنى ومعنى، أن ينفعل بتعاليمها لبا وقلبا وجسدا، أن يرقى إلى مستواها فكرًا وعاطفة وسلوكًا..

لا تعريف للحقيقة غير ما أوضحنا في الكلمات الآنفة، أن يتطابق الفؤاد مع اللسان عند ذكر الله، وأن تتعانق الروح والجسد عند الانقياد لأمره.

ولبعض الصوفية كلام متهافت يوهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر!

يقول ابن عجيبة في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري: «الأعمال عند أهل الفن- يعني فن التصوف- على ثلاثة أقسام، عمل الشريعة، وعمل الطريقة، وعمل الحقيقة، أو تقول عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الإحسان أو تقول عمل أهل البداية وعمل أهل الوسط وعمل أهل النهاية، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده أو تقول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر والحقيقة لإصلاح السرائر... الخ».

وهذا كلام مضطرب مدخول يقوم على التلاعب بالألفاظ والعبث بالمفاهيم، فإن الشريعة إصلاح للظاهر والباطن معًا، وهي عبادة ونية وإحسان، ولا ينفك أحد هذه العناصر عن الآخر.

ويوغل ابن عجيبة- غفر الله له- في خطئه، فيصور لقرائه أن الكتاب والسنة أقسام، بعضها يشير إلى الشريعة، والآخر يشير إلى الحقيقة فيقول: «أشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (**النحل: ٣٢**) مع قوله ﷺ «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» والجواب- كما يزعم ابن عجيبة- أن الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة، أو بين تشريع وتحقيق، فقد يشرعان في موضع ويحققان في آخر، وقد يشرع القرآن في موضع وتحقق السنة هذا الأمر في موضع آخر، فقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (**النحل: ٣٢**) تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة وقوله ﷺ «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»، تشريع لأهل القدوة وهم أهل الحقيقة... الخ».

وهذا كلام باطل، لا ينطوي إلا على الفراغ والدعوى.. وليس في دين الله أهل شريعة وأهل حقيقة، ولا انقسم الوحي الإلهي إلى فريق لهؤلاء وفريق لأولئك.

أما الإشكال الذي أورده فإليك تفسيره.

اتفق أئمة المسلمين على أن العمل لا بد منه لدخول الجنة، وأنه سبب شرعي مطلوب لا يستثنى منه بشر، ولا يدخل بدونه أحد، وقد تظاهرت الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة جميعًا.. قال تعالى: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ **(الأنعام: ١٢٧)** وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ **(النحل: ٣٢)** وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ...﴾ **(الزخرف: ٧٢، ٧٣)** وقال في المستقيمين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ **(الأحقاف: ١٤)**... الخ.

ولكن المطلوب من العابدين لله أن يتواضعوا له وأن يكبروا حقه وأن يخافوا لقاءه مهما قدموا من صالحات، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ **(المؤمنون: ٦٠، ٦١)**.

ويؤتون ما آتوا، ليس معناها فعل المعاصي والحذر من عقباها! بل معناها فعل الطاعات والحذر من عدم قبولها، لأنها دون ما يجب لله أو دون ما يحسن المرء.

وبهذا المعنى جاء الحديث الشريف فهو نهي عن الاغترار بالعمل وليس نفيًا لقيمة العمل، إنه نهي عن الاطمئنان إلى العمل والاستكبار به والجراءة على الله بعد إتمامه وليس نهيًا عن التزود بالصالحات والاستكثار منها.

وغريب أن يفهم عوام المسلمين من الحديث الشريف أن العمل لا لزوم له، فلم نزل القرآن؟

ولماذا جاهد نبيه ربع قرن لإبلاغه وإقامة الأمة عليه؟

الحديث نفي لأن يكون العمل ثمنًا حقيقيًا للجنة، وليس نفيًا لأن يكون سببًا حقيقيًا لدخولها.

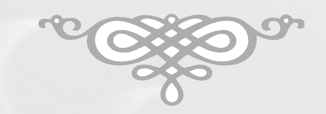
نعم، فإن الخلود الدائم في نعيم مقيم ليس الثمن المكافئ لعبادة الله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سنين عددًا، ذاك لو خلت العبادة من شوائب الرفض، فكيف وأكثرنا لو فحص عمله رد في وجهه؟ ثم كيف لو حوسب الإنسان على النعم المغدقة عليه في الدنيا، وقيل له: عملك نظير بعض هذه النعم؟

الحديث ليس مناقضًا للآيات، ولا للأحاديث الأخرى، وإنما هو كما قلنا كسر للغرور البشري وتذكير برحمة الله وتجاوزه وصفحه.

وعلى ضوء هذا التفسير نعرف أن ما ذكره ابن عجيبة وغيره عما يسمى حقيقة وشريعة لا أصل له في الإسلام، فدين الله واحد لجميع خلقه.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٢)

مشاعر نفسية وراء بعض الخلافات

العدد (٤٣) رجب (١٣٨٨هـ) سبتمبر (١٩٦٨م)

المؤمنون أفرادًا وجماعات يتحرون صراط الله في مسالكهم كلها، ويجتهدون أن تقع أعمالهم وفق مراد الشارع الحكيم سواء في العبادات المنقولة أو المعاملات المعقولة.

وغير المؤمنين يخطون طريقهم في الحياة بجهدهم الفكري، وتجاربهم الخاصة، وصلتهم بالوحي الأعلى مقطوعة أو واهية.

وفي الوقت الذي تحكم فيه النصوص السماوية والقواعد الدينية حياة المؤمنين بالله، نجد غير المؤمنين ينشطون بفكرهم المجرد للتصرف في هذه الحياة، ووضع ما يرون من دساتير وقوانين يظنون أنها تكفل مصالحهم وتضمن سعادتهم.

وقد اتسعت علوم السياسة والاجتماع والأخلاق والاقتصاد وغيرها من العلوم الإنسانية البحتة وانفردت بقيادة الإنسان على ظهر الأرض إلى جانب مجموعة من الفلسفات النظرية التي اشتغل بها العقل البشري من قديم.

أما المؤمنون بالله، ونحن في هذا الفصل نعني المسلمين خاصة، فهم يعتمدون على شمول التعاليم السماوية لشؤون حياتهم ويستغنون بها عما وراءها من مذاهب ونظرات. معتقدين أن في هدايات الله الغنى الكامل، وأن الله جل شأنه قد ضبط معاشهم ومعادهم بكلامه وسنة نبيه، فلا مكان لشيء آخر بعد.. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ...﴾(**الشورى**: ١٧) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ...﴾ (**الحديد**: ٢٥).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والحق أن الوحي الإلهي في الرسالة الخاتمة قد كفى وشفى، فحدد حيث ينبغي التحديد، وفصل حيث يستحب التفصيل، وأجمل وعمم حين يقتضي الأمر إرسال التعليمات مجملة عامة.. وحث العقل على أداء وظيفته في الفقه والاكتشاف والتبصر والاعتبار.. وحذره أن يجانب الحق بالحدس والتخمين، وأن يبدد قواه في اقتحام الغيوب المعجزة.

كما علمه الأدب مع الله ورسوله، فلا مكان لاقتراحاته حيث يتكلم الوحي، ولا لابتداعاته حيث مضت السنة!

والمعاني التي قررناها آنفًا ليست موضع خلاف بين المسلمين، ولكن الخلاف أخذ لونًا آخر يقترب اقترابًا شديدًا من هذا الموضوع، فقد تساءل أسلافنا غفر الله لهم عن مكانة العقل بالنسبة إلى الحظر والإباحة والفعل والترك والاستهجان والاستحسان، وكانت إجابة كثير منهم أن العقل في هذا الميدان صفر، وأن الشرع وحده هو كل شيء.

وفي هذه الإجابة غموض وجور!

فإن العقل يستطيع بنوره الذاتي أن يعرف الشر في أشياء كثيرة وأن يلحظ الخير في أشياء كثيرة وقد لفت القرآن الإنسان إلى أنه بفطرته قادر على التفرقة بين شناعة الجهل وكرامة العلم ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (**الزمر: ٩**)، وإلى أنه بفطرته يستقبح الظلم ويأبى الحكم به ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (**الجاثية: ٢١**).. صحيح أن العقل الإنساني بحاجة إلى عون من الله، ومدد من الوحي.. بيد أن هذه الحاجة لا تعني بخس قيمته، ولا التهوين من قدرته المحدودة في مجال التحسين والتقبيح، لكن جمهور السلف رأى- سدًا لباب الاستغناء بالعقل- أن يجعل الشارع صاحب الكلمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأولى والأخيرة في هذا المجال، ويقرر هذا العلامة الزنجاني في كتابه: «تخريج الفروع على الأصول» فيقول: ذهب الشافعي -رضي الله عنه- وجماهير أهل السنة إلى أن الطهارة والنجاسة وسائر المعاني الشرعية كالرق والملك والعتق والحرية، وسائر الأحكام الشرعية ككون المحل طاهرًا أو نجسًا، وكون الشخص حرًا أو مملوكًا، ليست من صفات الأعيان المنسوبة إليها، بل أثبتها الله تحكمًا وتعبدًا، غير معللة! لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولا تصل آراؤنا الكليلة، وعقولنا الضعيفة، وأفكارنا القاصرة إلى الوقوف على حقائقها، وما يتعلق بها من مصالح العباد، فذلك حاصل ضمنًا وتبعًا، لا أصلًا ومقصودًا، إذ ليست المصلحة واجبة الحصول في حكمه.

واحتج على ذلك بأن الله تعالى إذا جاز أن يعاقب الكافر على كفره، والفاسق على فسقه ولا مصلحة لأحد فيه، جاز أن يشرع الشرائع، وأن تعلق بها مفسدة، ولا يتعلق بها مصلحة لأحد!

ولذلك الله تعالى كلف الإنسان ما ليس في وسعه فقال تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ (**هود: ١٣**) ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ (**يونس: ٣٨**) وقال للملائكة: ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (**البقرة: ٣١**) وكل ذلك تكليف للإنسان ما ليس في وسعه، وذلك ضرر لا مصلحة فيه[1].

وسر هذه القاعدة أن الله تعالى مالك الملك وخالق الخلق، يتصرف في عباده كيف يشاء، ولا كذلك الواحد منا، فإنه إذا أضر بغيره كان متصرفًا في ملك الغير بالضرر، وذلك ظلم وعدوان.. وذهب المنتمون إلى أبي حنيفة -رضي الله عنه- من علماء الأصول إلى أن الأحكام الشرعية صفات للمحال، والأعيان المنسوبة إليها أثبتها الله تعالى وشرعها معللة بمصالح العباد لا غير، كما

---

(١) سترى خطأ ذلك القول فضلا عما فيه من مغالطة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن الحسن والقبح والوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة من صفات الأفعال التي يضاف إليها، غير أنهم قسموا أحكام الأفعال إلى ما يعرف بمجرد العقل، وإلى ما يعرف بأدلة الشرع على ما سيأتي:

أما أحكام الأعيان فقد اتفقوا على أنها كلها تعرف بأدلة شرعية، ولا تعرف بمجرد العقل، وأنها كلها تثبت بإثبات الله تعالى.

واحتجوا في ذلك بقياس الشاهد على الغائب، بناء على قاعدة التحسين والتقبيح، وزعموا أن شرع الحكم لا لمصلحة عبث وسفه، والعبث قبيح عقلًا، وهو كإقدام الرجل اللبيب على كيل الماء من بحر إلى بحر، فإنه يقبح منه ذلك ويستحق الذم عليه.

وإذا تمهدت هذه القاعدة فنقول: الشافعي، رضي الله عنه، حيث رأى أن التعبد في الأحكام هو الأصل غلب احتمال التعبد، وبنى مسائله في الفروع عليه.

وأبوحنيفة -رضي الله عنه- حيث رأى أن التعليل هو الأصل بني مسائله في الفروع عليه، فتفرع عن الأصلين المذكورين مسائل.. الخ.

ولست هنا بصدد ترجيح مذهب الأحناف، وتضعيف رأي الجمهور، فالأمر عندي أعمق من ذلك..

إن المسلمين كافة يعلمون أن الله هو القاهر فوق عباده، وأنه ليس لبشر ما أن يقف أمامه إلا عاني الوجه مكسور الشوكة.

وأن إرادته نافذة في أرجاء الملكوت لا يعترضها إنس ولا جن ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (**الأعراف: ٥٤**).

لكن الله- وله المجد الذي لا يبلى- خلق السموات والأرض بالحق لا بالباطل، وسير الكائنات في البر والبحر والجو بالحكمة لا بالفوضى، ودبر الأمور من الأزل إلى الأبد وفق نظام دقيق، لا خبط عشواء ولا تقدير

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مجازف ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ (**القمر: ٥٣**)، فكيف يتصور في شرائعه أن تتجنب المصلحة أو تنطوي على مفسدة؟

إنه حقًا لا يسأل عما يفعل، ولكن لماذا نتصور أن من ذاته فوق المسؤولية يجوز أن يصدر عنه ما لا ينبغي؟ بحجة أنه مالك الملك؟

الأولى من ذلك والأدنى إلى الصواب أن تعرف حدود الدائرة التي يستطيع فيها العقل البشري الإدراك الصحيح والحكم السديد.

إن الإنسان الفرد يتفاوت حكمه في مرحلتين من عمره على شيء واحد، وربما استقبح وهو شيخ ما كان يستحسنه وهو شاب.

وربما نسج القصور غشاوة كثيفة أو خفيفة على أبصارنا فظننا نفعًا لنا ما هو ضار بنا ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (**البقرة: ٢١٦**).

فإذا توهمنا عوجا ما في مظاهر الخلق، أو جورا ما في أحوال الناس، فلنتهم أفكارنا نحن ولنعترف بقلة علمنا بدل أن نقول «لا يسأل عما يفعل».

وأعتى علماء المادة يعترف بأن ما نجهل أضعاف أضعاف ما نعلم، وأن حصيلة الذكاء البشري طوال القرون تشبه عودا من الثقاب أوقد على الرؤية في نطاق أبعاد معينة.. وربما أصيبت العين بعاهة عارضة تمنعها من النظر البعيد أو القريب، بيد أن ذلك لا يعني أن طبيعة العين العجز عن الرؤية.

وكذلك لا نسلم لأحد القول بأن العقل عاجز بطبيعته عن إدراك الحسن والقبح في الأشخاص والأشياء، ولا نسلم أبدا بأن الكذب والصدق، والعدل والجور معان متساوية القيمة أصلًا حتى تنزل الوحي الأعلى فحسن هذه وقبح تلك.

والذي نراه أن جمهور المسلمين وفي مقدمتهم الإمام الشافعي -رضي الله عنه-

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقصدون بكلامهم في التحسين والتقبيح رفض تحكيم الفلسفة العقلية في سير الإنسان ومصيره، وحاضره ومستقبله، وشؤون حياته كلها ما دق منها وما جل.

وهذا مذهب خطير بلا ريب، بل هو تجاهل لرسالات الله كلها، واستعلاء على ما جاء بها، وقبول ما يعجب ورد ما لا يعجب.

ومن فجر الخليقة حاول الإنسان أن يعتمد على نفسه في الفعل والترك والقبول والرفض، وفي عصرنا هذا أعطى الإنسان نفسه حرية مطلقة في التشريع الخاص والعام، وتصرف في شتى التقاليد بالمحو والإثبات.. وجعل حقه في التحسين والتقبيح فوق ما قرع آذانه ليلًا ونهارًا من آيات الله والحكمة.

وما يختلف مسلم ومسلم في أن ذلك المسلك مردود جملة وتفصيلًا.

وإذا كانت هناك الآن مقررات في علوم الاجتماع والاقتصاد، أو في ميادين السياسة والقانون تختلف مع نصوص الدين وقواعده العامة فهي في نظر فقهاء المسلمين قاطبة منكورة مبعدة.

فإن أوامر الله ونواهيه هي المصدر الأعلى، أو قل هي المصدر الأوحد لما يحظر أو يباح، وقد عاد الزنجاني في كتابه القيم «تخريج الفروع على الأصول» إلى هذا الموضوع مرة أخرى فقال: ذهب جماهير العلماء إلى أن التحسين والتقبيح راجعان إلى الأمر والنهي، فلا يقبح شيء لعينه، ولا يحسن شيء لعينه، بل المعنى بكونه قبيحًا محرماً أنه متعلق النهي، والمعنى بكونه حسنًا واجبًا أنه متعلق الأمر. واحتجوا في ذلك بأن إيجاب العقل شيئًا من ذلك لا يخلو إما أن يكون ضروريًا، أو نظريًا.

والأول محال، فإن الضروريات لا تنازع فيها، كيف ونحن جم غفير وعدد كثير لا نجد أنفسنا مضطرين إلى معرفة حسن هذه الأفعال ولا قبح نقائضها.. والثاني أيضًا محال لإفضائه إلى التسلسل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وذهب المنتمون إلى أبي حنيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من علماء الأصول إلى أن الأفعال تقسم إلى ثلاثة أقسام، فمنها ما يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه بديهة، كحسن الصدق الذي لا ضرر فيه وقبح الكذب الذي لا نفع فيه.

ومعنى استقلال العقل بدرك ذلك عندهم أنه لا يتوقف على إخبار مخبر.

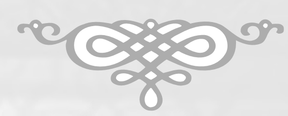
ومنها ما يدرك حسنه وقبحه بنظر العقل كحسن الصدق المشتمل، على الضرر وقبح الكذب المشتمل على النفع.

ومنها ما لا يستقل العقل بدرك حسنه وقبحه أصلًا، دون تنبيه الشرع عليه كحسن الصلاة والصوم والحج والزكاة، وقبح تناول الخمر والخنزير ولحوم الحمر الأهلية، وزعموا أن أمر الشرع في هذا القسم ونهيه، كاشف عن وجه حسن هذه الأفعال وقبحها، لعلمه بأن امتثال أمره فيها يدعو إلى المستحسنات العقلية، وكذلك الترك في نقيضها من المناهي، واحتجوا على كون العقل مدركًا لمعرفة الحسن والقبح بأن البراهمة يقبحون ويحسنون مع إنكارهم الشرائع وجحدهم النبوات.

وقد رفض الزنجاني مذهب الأحناف الذي صوره في إيجاز، وآثر عليه غيره.

والذي نعود إلى توكيده أن الله جل شأنه هو الحاكم المقسط، وأنه لا يشرع إلا ما فيه صلاح أمرنا في العاجل والآجل، وأنه منحنا عقولًا تستطيع أن تبصر وجه الحكمة في أغلب ما شرع، وأن ما يفوتها عرفانه فلقصورها عن الإحاطة بكل شيء.

وتلك معان لا يختلف الفقهاء فيها، وما ورد يشعر بخلاف فأساسه الحرج النفسي من مذاهب جائرة عن الطريق الحق، أو بتعبير فقهائنا الأقدمين أساسه «سد الذريعة».



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٣)

تفتيت الحقيقة

بداية التحول عنها !

العدد (٥٤) جمادى الثانية (١٣٨٩ هـ) أغسطس (١٩٦٩م)

أصاب جهاز «التلفزيون» عندي عطل مبهم فلم تظهر الصورة المرتقبة، ونظرت إلى الجهاز الجاثم في مكانه لا يؤدي عمله نظرة استغراب! وتحسسته بيدي فخيل إلي أنه لا ينقص شيئًا من آلاته الجلية والخفية..

وأخيرًا جاء العامل المتخصص في إصلاحه، واستبدل بجزء تالف منه جزءًا صالحًا، واستأنف الجهاز عمله، وشرع يحقق الفائدة المرجوة منه!

وقلت في نفسي: إن الجهاز كله توقف عن أداء رسالته حتى تعاونت أجزاؤه الصغار والكبار على تحقيق وظائفها المنوطة بها! ولا عجب فقد تتوقف الدبابة عن السير والقتال لقطعة تنقصها في مقدمتها أو مؤخرتها..

وقد يتعطل مصنع عن الإنتاج تكلف إنشاؤه الألوف المؤلفة من الجنيهات، لأنه يفتقر إلى تكملة لا تساوي مائة جنيه..

وهكذا شؤون الحياة المادية والأدبية، قد يصيبها عطب فادح، لأن شطرها أو أغلبها موجود وبقيتها الأخرى مفقودة عن خطأ أو تعمد.

ومن ثم قد ترى أمامك أشياء صالحة، ولكنها قليلة الجدوى، لأنها مبتورة، وما تتم قيمتها وتبرز ثمرتها إلا إذا دارت الحياة فيها وفيما يكملها، وعندئذ ينطلق التيار في دائرته المغلقة فيسطع النور.

إن تعاليم الإسلام كذلك لا تصلح الحياة وتقيم المجتمعات إلا على النحو الذي شرحنا.. وعناصر الوحي تشبه عقاقير الأدوية لا يتم الشفاء بها إلا إذا أخذناها كما جاءت، أما إذا طرحنا عقارًا، وتناولنا آخر فلن يذهب لنا سقام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد وجدت أن كثيرًا من علل المسلمين الفكرية والنفسية، بل عللهم الاقتصادية والسياسية ترجع إلى أنهم يجدون مع بعض النصوص، ويهزلون مع بعضها الآخر، فلا يحصدون من هذا التناقض إلا ضياع النصوص كلها.

ولا يفيدون من النصوص التي عملوا بها- فيما يزعمون- شيئًا طائلًا! لأن وجودها المنقوص في المجتمع كوجود جهاز «التلفزيون» الذي سقت لك خبر عطله.

تأمل معي هذا الحكم الشرعي في فرع من فروع الفقه الإسلامي..

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ...﴾ (**البقرة: ٢٣١**)، إلى هنا يمكن تقرير الحكم العملي في شأن يتصل بكيان الأسرة، وربما لا يشتغل العلماء أنفسهم عند تقرير الحكم بأبعد من ذلك عند إيراد النص.. أفهذا ما فعل القرآن الكريم؟ لا، لقد أعقب ذلك بخمس جمل تتضمن فنونا من النصح والتأديب والتربية يضيع المجتمع إن أضاعها، فقال جل شأنه:

١- ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾

٢ - ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾.

٣ - ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾.

٤ - ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

٥ - ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وعندما توجد في بلادنا أحكام الطلاق ولا توجد معها بقية المعاني التي صاحبتها في هذه الآية فسوف يُلعب بكتاب الله، ولن تزيد الأمة إلا خبالًا!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خذ مثلًا آخر، لقد نهى الإسلام عن السرقة، وأمر بقطع يد السارق، بيد أن هذا الحد من حدود الإسلام يكون خيرًا وبركة مع إحياء أوامر الله كلها، وإقامة شعب الإيمان الكثيرة، التي تسد يقينًا كل ثغرة، وتمنع أي غبن، وتطارد آفات البطالة والجوع عند البعض، وآفات النهب والحيف والسرف عند البعض الآخر، أما مع رفع كل رقابة عن طرق الاكتساب، وإتاحة الثراء من شتى الوجوه الحرام، وإيقاع الضعاف في عقابيل البأساء والضراء، فالأمر يحتاج إلى تبصر في التطبيق.

ومعاذ الله أن نتريث في إقامة حد من حدود الله، ولكنا نقول مقالة الحسن، وقد رأى الشرطة تقبض على لص فقال: أسارق السر يسعى به إلى سارق العلانية!

وما كذلك دين الله.. وسمعت متحدثًا في الدين يذكر أنه لا حدود للمهر، ويستشهد بقصة المرأة التي اعترضت عمر بن الخطاب لما أراد تقييد المهور، والقصة صحيحة، ولكن المتحدث قليل الفقه في الإسلام، ضعيف الشعور بمآسي المسلمين اليوم..

إن الجمهرة من الشباب ألفت أن تقضي صدر عمرها، ولا أقول شطره، في التسول الجنسي والانحراف الشائن، وكل تعسير للحلال سيتبعه حتما تيسير الحرام، فكيف يلقى فقيه ربه بإقرار هذه الحال، أو إقرار ما يؤدي إليها يقينا؟

إن قصة عمر مع المرأة المعترضة تفهم في جو كان الرجل يستطيع فيه الزواج مثنى وثلاث ورباع.. وكان الحرام يقع فلتات نادرة أو استثناء من قاعدة عامة.. أما اليوم فإن العرف السائد بين جماهير المسلمين في الزواج والمهور والهدايا لا صلة له بتقوى الله، ولا إشاعة الاستعفاف، ولا إقرار الطهر النفسي والاجتماعي.

إنه عرف يقوم في جملته على رذائل الرياء، والكبرياء، ورغبة أسر كثيرة في الانتفاخ والتعاظم..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الإسلام كل لا يتجزأ، والشبكة التي تنسج تعاليمه الدقيقة تفقد جدواها عندما تخرق من جانب واحد، فكيف إذا تعددت فيها الخروق، وتفاحش الإهمال والتلف؟

والواقع أن هجر بعض الأحكام الإسلامية، والإقبال على بعضها الآخر، هدم لمبدأ السمع والطاعة المأخوذ على جماعة المؤمنين.

فإن تقسيم الوحي الإلهي على هذا النحو لا يعدو أن يكون تحكيمًا للهوى الشخصي فيما ورد، فما أعجبنا قبلناه وما لم نسغه رفضناه.

وهذا قريب من مسلك المشركين أنفسهم مع رسول الله، فإنهم لم يردوا كل ما جاء به، بل وافقوه على البعض، وحاربوه على البعض الآخر، ولذلك أمره الله بالثبات على الكل، وقال له ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ (**هود: ١٢**).

واتباع الهوى في استبقاء حكم واطراح آخر معناه أن ما استبقي ليس لأنه أمر به! فقد أمر بغيره كذلك، فلماذا ترك؟ معناه أن ما استبقي ظفر بالحياة لأنه أرضى رغباتنا فقط، ولو صادمها لطوحنا به هو الآخر، وقد نبه القرآن الكريم إلى أن فساد بني إسرائيل نشأ مع هذا العوج، فقد أخذت عليهم المواثيق بأمور سواء، ففعلوا بعضها وتناسوا بعضها، لأنهم يتصرفون وفق شهواتهم، ولا يرتبطون بأمر الله ونهيه، فكان التعقيب الإلهي على هذا السلوك ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (**البقرة: ٨٥**).

والأمة الإسلامية اليوم موزعة على عشرات الدول، وأمر الإسلام في كل دولة منها يستحق الدراسة، ويؤسفني أن أقول: إني لم أره مكتمل الشكل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والموضوع في قطر من أقطار الأرض.

هناك مجتمعات لا تعترف بالحدود والقصاص، ومجتمعات لا تعترف بدساتير الحريات والحقوق، ومجتمعات لا تعترف بالحلال والحرام، وأخرى تترك الصلاة والصيام، وأخرى وأخرى...

وأعداء الإسلام كلما رأوا جزءًا منه أصابه الشلل، سارعوا بالتدخل الماكر، ليزيدوا الطين بلة، أو ليزيدوا المريض علة..

ونحن نصرخ بأولئك المسلمين المفرطين أن يرجعوا إلى دينهم كله، لا يدعون منه شيئًا، ولا يفرطون في جانب، ولا يأذنون لعدو سافر ولا لصديق جاهل أن يصرفهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم، فذاك وحده طريق النصفة والانتصار.

إن شعب الإيمان التي تبلغ السبعين موزعة توزيعا دقيقًا على الدائرة الرحبة التي تمد إليها وظيفة الإيمان وتنتشر فيها أشعته.

ولما كان الإسلام علاقة تشمل النفس والمجتمع والدولة، وتتناول المعاش والمعاد في إطار من معرفة الله ورقابته، فإن تعاليمه تشبه شبكة الأعصاب المبسوطة في الكيان الإنساني كله، لا تخلو منها جلدة بين الرأس والقدم!

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (**النحل: ٨٩**).

ومن الخطأ تصنيف تعاليم الإسلام على أساس فني وتصور أن بعضها يقوى وينمو في حين أن بعضها الآخر يذبل ويذوي.

إن ذلك قد يجوز في عالم الدراسات النظرية، حيث ينجح الطالب في مادة ويرسب في أخرى، لأنه استوعب الأولى وأهمل الثانية.

أما في المجتمع الكبير فإن اعتلال بعض الإسلام ينقل العلة إلى البعض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الآخر على عجل أو على مهل ما لم نسارع بالاستشفاء والتصون وإنفاذ أوامر الله في كل مجال.

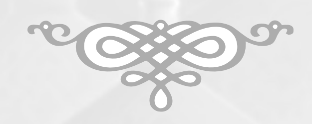
فضعف العقيدة مثلًا ليس يترك أثره الرديء في صلة المسلم بربه بل يتعدى ذلك إلى موقف الفرد من الجماعة وموقف الدولة من العالم أجمع.

وترك الصلاة ليس معصية خاصة فقط، بل هو ذريعة إلى انهيار الأخلاق وانتشار الآثام.

وإهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس برودا في عاطفة التدين فقط، ولكنه آية على موت الضمير الاجتماعي وتلاشي رسالة الأمة.

والاستعمار الحديث في حملته على الإسلام لا يقوم بهجوم شامل على كل شيء، إنه أذكى من ذلك وأدهى.. إنه يصر على إماتة بعض التعاليم أو سرقتها من الوعي العام، عالما أن ما بقي سيتبع ما أخذ.

ترى هل سنخدع عن ديننا أم ندافع عن كل ذرة منه.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٤)

يهودية وصهيونية

(١)

لا تبعدوا اليهودية والإسلام عن المعركة

التنادي بالإسلام هو صيحة النجاة

العدد (٥٦) شعبان (١٣٨٩هـ) شهر أكتوبر (١٩٦٩م)

إن وسائل الإعلام في الأمة العربية حريصة أشد الحرص على أن تفرق بين اليهودية والصهيونية، وعلى أن تجعل القارئ أو المستمع العربي يقصي الدين إقصاء عن الصراع الدائر اليوم على اغتصاب فلسطين وما حولها..

ولا يخفى خطر هذا المسلك، وبعده عن التاريخ والواقع، وتخذيله لوسائل الدفاع التي ينبغي توفيرها في وجه هجوم ديني حاقد!

إن الصهيونية ليست وليدة بحث اليهود عن وطن لهم بعدما أحسوا وحشة الغربة في أرض الله الواسعة، كلا، فقد وسعتهم بلدان شتى، وعاشوا فيها جزءًا من أبنائها الأصلاء، ووصلوا إلى درجة فاحشة من الثراء، ومناصب كبيرة في الحكم، ولكنهم رجحوا نداء دينهم على علاقاتهم بأوطانهم، وآثروا التجاوب مع توراتهم وتلمودهم على الذوبان في الوطنية الأمريكية أو الألمانية أو الروسية أو المصرية أو العراقية.

سيرتهم في مختلف القارات واحدة، ونزوعهم إلى خدمة عنصرهم وحسب، ديدنهم في كل مكان وزمان..

لقد عاش اليهود ملوكًا بيننا نحن المصريين في أواسط هذا القرن، فلم تركوا مصر إلى إسرائيل؟ فرارًا من اضطهاد؟ إنه نداء الدين وحده.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهم الآن يحيون ملوكا في أمريكا وفي أوروبا الغربية، ولكنهم عرضوا مصالح الأوطان التي وسعتهم للبوار.

في سبيل ماذا؟ في سبيل إسرائيل، في سبيل دولة دينية تجمعهم في سبيل الملك الذي تهفو إليه ضمائرهم، ويتلون آياته في صحف العهد القديم على أنه وعد الله الذي لا يتخلف لهم ولذراريهم من بعدهم..

إن الصهيونية ليست نزعة سياسية تولدت عن الاضطهاد النازي في ألمانيا..

فإن اليهود قبل هذا الاضطهاد بسنين أو بقرون كانوا يحلمون بامتلاك فلسطين وطرد أهلها منها أو إبادتهم فيها..

ونحن لا نقر في العالم أجمع أي تفرقة جنسية، ولكن مسلك اليهود في ألمانيا كان هو السبب الأول في إهاجة الألمان عليهم وإيقاع المذابح الشائنة بهم.

لقد ظهر أن ولاء اليهود لأوطانهم الرسمية مزيف، وأن ولاءهم الأول هو لجنسهم وتاريخهم وأمانيهم الحرام في حقوق الآخرين.

وربما تعرض اليهود في أمريكا بعد سنين معدودة لمثل ما تعرض له أسلافهم في ألمانيا النازية عندما يصحو الأمريكيون فيجدون أن مصالحهم في العالم العربي والإسلامي قد تلاشت لأن يهود أمريكا قد باعوا هذه المصالح في سبيل قضاياهم الخاصة..

والمهم ونحن نواجه معركة الحاضر والمستقبل أن نحذر من الببغاوات التي تردد بغباء كلمات لا تفهمها وتريد بجهلها الغالب إبعاد اليهودية والإسلام عن المعركة، مع أن المعركة لا تعني إلا القضاء على الإسلام لحساب القوى المعادية له..

إننا لقينا العنت من أولئك الشامخين بجهلهم، سواء كانوا في الصحف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أو الإذاعات، أو المسارح، وظاهر أنهم ثمار الاستعمار الثقافي لبلادنا، ذلك الاستعمار الناقم على الإسلام وحده، الحريص على تربية أجيال تكره شرائعه وفضائله، وترفض مناسكه وشعائره، وتنسى ماضيه وحاضره.

تلك هي الأجيال التي وقفت في ميدان السياسة تصف الغزو اليهودي لفلسطين بأنه حركة عنصرية، أو عدوان محلي، أو تعاون بين الامبريالية والصهيونية، أو تآمر رأسمالي على حركات التحرر الحديث، أو غير ذلك من الترهات التي أتقنها الجهل المستكبر الفاشي هنا وهناك..

ولو أن واحدًا من هؤلاء ذهب إلى أقرب مكتبة، ودفع قروشًا قليلةً أو كثيرة، واشترى العهد القديم وحده، أو الكتاب المقدس كله، ثم كلف خاطره القراءة فيه لوجد التخطيط الديني لإسرائيل الكبرى واضحًا في صحائفه، ولوجد الكفن يلف رفات العرب منسوجًا من كلماته، ولوجد حرب الإبادة التي تعرض لها قومه ناضحة بين سطوره.

إن مؤامرة الاستعمار في القرون الأخيرة خلع العرب من دينهم في الوقت الذي يتحمس فيه كل ذي دين لدينه..

إن صحف العهد القديم لم تكتف بحداء بني إسرائيل كي يجيئوا من كل مكان إلى فلسطين، بل صورت لهم البقاع التي ينزلون بها، والحدود التي تفصل كل سبط عن أخيه!

ووزعت عليهم دمشق وحماة وبيروت وعشرات من البلاد الواقعة قرب البحر المتوسط..

اقرأ هذه السطور من سفر حزقيال:

لذلك هكذا قال السيد الرب: الآن أود سبي يعقوب وأرحم كل بيت إسرائيل، وأغار على اسمي القدوس، فيحملون ضربهم وكل خيانتهم التي خانوني إياها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عند إرجاعي إياهم من الشعوب، وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم، وتقديسي فيهم أمام عيون أمم كثيرة. يعلمون أني أنا الرب إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم ثم جمعهم إلى أرضهم، ولا أترك بعد هناك أحدا منهم، ولا أحجب وجهي عنهم بعد، ولأني سكبت روحي[١] على بيت إسرائيل يقول السيد الرب..

الإصحاح الأربعون

في السنة الخامسة والعشرين من سبينا، في رأس السنة، في العاشر من الشهر، في السنة الرابعة عشرة بعدما ضربت المدينة..

في نفس ذلك اليوم كانت على يد الرب وأتى بي إلى هناك..

في رؤى الله أتى بي إلى أرض إسرائيل ووضعني على جبل عال جدًا عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب ولما أتى بي إلى هناك إذا برجل منظره كمنظر النحاس، وبيده خيط كتان وقصبة القياس وهو واقف بالباب.

فقال لي الرجل: يا ابن آدم: انظر بعينيك واسمع بأذنيك واجعل قلبك إلى كل ما أريكه، لأنه لأجل إرادتك أتى بك إلى هنا.

أخبر بيت إسرائيل بكل ما ترى.

وإذا بسور خارج البيت محيط به وبيد الرجل قصبة القياس ست أذرع طولًا بالذراع وشبر..

فقاس عرض البناء قصبة واحدة وسمكه قصبة واحدة، ثم جاء إلى

(١) عاش حزقيال، مؤلف هذه الإصحاحات، أيام المحنة الأولى لبني إسرائيل بعد أن فسدوا فسلط الله عليهم بختنصر، وجنوده فاجتاحوا البلاد ودمروا الهيكل، وساقوا أمامهم عشرات الألوف من اليهود أسرى، وقد عزى الرجل قومه بهذه الكلمات، وملأ روعهم أنهم متخلصون من الأسر البالي وعائدون إلى بلادهم، وقد عادوا فعلًا لكنهم سرعان ما زاغوا وطردوا من فلسطين، وقد عادوا ثالثة يحملون آثامهم الأولى ومشاعرهم القديمة، وسوف يتم طردهم إن شاء الله ولو بعد حين.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الباب الذي وجهه نحو الشرق وصعد في درجة، وقاس عتبة الباب قصبة واحدة عرضا والعتبة... الخ الخ الخ.

الإصحاح الأربعون والحادي والأربعون والثاني والأربعون حيث ينتهي وصف قياس بيت الهيكل.

الإصحاح الثالث والأربعون

«ثم ذهب بي إلى الباب، الباب المتجه نحو الشرق وإذا بمجد إله إسرائيل جاء في طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة والأرض أضاءت من مجده».

«وقال لي يا ابن آدم هذا مكان كرسيي، ومكان باطن قدمي، حيث أسكن في وسط بني إسرائيل إلى الأبد ولا ينجس بعد بيت إسرائيل اسمي القدوس، لا هم ولا ملوكهم».

الإصحاح الخامس والأربعون

وإذا قسمتم الأرض ملكا تقدمون تقدمة للرب قدسا من الأرض طوله خمسة وعشرون ألفا طولا والعرض عشرة آلاف.

الإصحاح السابع والأربعون

هكذا قال السيد الرب، هذا هو التخم الذي به تمتلكون الأرض بحسب أسباط إسرائيل الاثني عشر، يوسف قسمان، وتمتلكونها أحدكم كصاحبه على الهيئة التي رفعت يدي لأعطي آباءكم إياها وهذه الأرض تقع لكم نصيبًا.

وهذا تخم الأرض:

نحو الشمال من البحر الكبير طريق حثلون إلى المجيء إلى صدد:

حماة وبيروتة وسترائيم التي بين تخم دمشق وتخم حماة وحصر الوسطى التي على تخم حوران.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويكون التخم من البحر حصر عينان تخم دمشق والشمال شمالًا، وتخم حماة وهذا جانب الشمال، وجانب الشرق بين حوران ودمشق وجلعاد وأرمن اسراشيل الأردن من التخم إلى البحر الشرقي نفيسون، وهذا جانب المشرق وجانب الجنوب يمينا من ثامار إلى مياه مريبوث قادش النهر إلى البحر الكبير. وهذا جانب اليمن جنوبًا.

وجانب الغرب البحر الكبير من التخم إلى مقابل مدخل حماة، وهذا جانب الغرب فتقتسمون هذه الأرض لكم لأسباط إسرائيل».

هكذا وضع أنبياء بني إسرائيل الأقدمون خطة تمزيق العرب، وتقسيم تراثهم على أسباط إسرائيل.

وقد نقلت هذه السطور من العهد القديم، وإن كنت لم أفهم أغلب الأسماء[1] التي تحدد تخوم الأرض أو توضح اتجاهات الزحف اليهودي كما أوصى به كاتبو ذلك العهد..

ويظهر أن الهود لخصوا المراد في الجملة المشهورة «أرض إسرائيل من الفرات إلى النيل» وهم أدرى بما في كتبهم المقدسة، وأدرى بما يعنيه حزقيال متلقي هذه الخريطة عن الوحي الإلهي كما يدينون..

وأريد أن أقول باسم الإسلام المستوحش المكتئب كلمة حاسمة..

كلمة سوف تبدو غريبة على الآذان التي طمسها الهوان والإذلال أمدًا طويلًا، والتي مرنت على سماع الزور والباطل وحده.

إن الدين قد انتقل انتقالة واسعة عن المفهوم البدائي الضيق الذي ألفه الإسرائيليون، مفهوم الهيكل، ومملكة الرب، والشعب المختار، وحكم العالم باسم رب الجنود عن طريق حكماء صهيون أو بيت إسرائيل..

---

(١) حبذا لو عني المؤرخون العرب بوضع فهرس مقارن شامل لهذه الأعلام القديمة، حتى يلقوا ضوءا على هذه المسميات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن هذه الكلمات المصورة لمعنى الدين أليق بالعهد البدائي الذي كانت قبائل إسرائيل فيه تغدو وتروح بقيادة رعاة محليين يؤدون واجبهم حينا، أو يقتلون قبل هذا الأداء المفروض.

لقد أصبح للدين مفهوم أرحب، ليس فيه هيكل مقدس، ولا شعب مختار ولا أدب محتكر.

حقيقة هذ الدين أن الله رب العالمين أجمعين على سواء.

وأن التقدم عنده ليس بالنسب ولا بالادعاء بل بالخلق الزكي والتقوى المهيمنة، لا كهانة هناك ولا تهاويل ولا هياكل..

شيئان فقط هما أساس العلاقة بين الله الأحد، وبين كل إنسان يمشي على قدميه في القارات الخمس: الإيمان والعمل الصالح.

إن محاولة بني إسرائيل مسخ مفهوم الدين على النحو الذي جمدوا عليه من عشرات القرون جريمة فاحشة لا يمكن قبولها..

لقد جاء عيسى ابن مريم ليكسر القيود الصلبة التي أراد بنو إسرائيل حبس الدين داخلها.

وكان مجيئه تمهيدًا للرسالة الخاتمة التي مزجت الدين بكل أشواق الإنسانية الرفيعة في الإيمان المهدى والأخوة العامة، حيث لا مكان للتسامي إلا بالقلب السليم والفكر السليم..

نعم بعث الله محمدًا مسويًا بين أجناس البشر في الولاء للحي القيوم مسقطًا كل سلطان مفتعل في ميدان الروح أو في ميدان المال..

فإذا أراد بنو إسرائيل أن يلحقوا بقافلة الإنسانية الحرة المتآخية فلا بد أن يؤمنوا بعيسى ومحمد وإذا كانوا حراصا على استعادة مجدهم القديم فطريق الخلاص مفتوحة أمامهم، ولكي يعرفوها جيدًا قال الله ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ ...﴾(**البقرة: ٤٠، ٤١**).

إن بني إسرائيل يحلمون أن يحكموا العالم من هيكلهم وهم مصرون على تصديق ما لديهم وحده وتكذيب كل ما جاء به عيسى ومحمد.. وما لديهم مزيج من وحي الله وهوى الأنفس.

ولو افترضنا جدلًا أنه حق لا ريب فيه، فإن الوقوف عنده وحده، ونبذ ما أوحى الله بعده مسلك لا تصلح به الدنيا ولا يسعد به عباد الله..

ومن هنا اشترط الإسلام أن يكون الإيمان بكتب الله كلها، ورفض ما سوى ذلك من إيمان مبتور فقال جل شأنه ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ (**المائدة: ٦٨**).

وعلى لسان موسى- كبير أنبياء بني إسرائيل- ذكر ربنا جل جلاله أن أبواب رحمته مفتحة لعباده، وأن الصلحاء الأتقياء يستطيعون دخولها متى شاءوا، فعندما دعا موسى ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ...﴾(**الأعراف: ١٥٦**) كان الجواب الإلهي له ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ (**الأعراف: ١٥٦ ، ١٥٧**).

إن قيادة العالم باسم الله ليست مهمة سهلة يستطيعها اليهود بمهارتهم المالية وألاعيبهم الشيطانية، وتسخيرهم للشعوب المفرطة وانتهازهم للفرص

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المتاحة.. وقد نبأ القرآن الكريم أن التاريخ اليهودي سيتفاوت بين مد وجزر، ومعصية وطاعة وهزيمة ونصر.

قال لهم بعد هدم الهيكل الأثير ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ...﴾ (**الإسراء**: ٧) وقال لهم أيضًا ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ...﴾(الإسراء: ٧).

أي إن عدتم للفساد عدنا للانتقام.

وقد عاد اليهود إلى فلسطين- لأسباب شتى- فكيف عادوا؟ وما هي مثلهم العليا، وما مواقفهم من وصايا الله للنبي الخاتم والنبي الذي سبقه وبشر به؟

لقد عادوا متشبثين بما لديهم وحده مكذبين لكل ما جد بعد..

وكسبوا نصرًا بعد نصر على من؟ على أوزاع من العرب جهلوا رسالتهم، ونسوا تاريخهم، وعاشوا في دنيا الناس أذنابًا، وعن كتاب الله وهدى نبيه غرباء..

إن مجموعة الشعوب الإسلامية تشعر بجزع مر لا للحروب التي جرت بين العرب واليهود، ولكن للطريقة التي جرت بها هذه الحروب، ولظاهر الانحلال والفسق عن أمر الله التي ملأت جوها..

كان العرب أزهد الناس في كتابهم، وكان اليهود ألصق الناس بتوراتهم.. كان اللص متحمسًا في الهجوم، وكان رب البيت باردًا في الدفاع..

وبلغ من نجاح الغزو الثقافي لبلادنا أن الحرب تعلن علينا لفرض دين، واجتياح أمة، ومع ذلك تتبارى وسائل الإعلام في تضليل الفكر العربي، وتصف هذه الحرب بأي شيء إلا أنها تتصل بالدين..

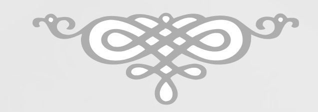
ولم ذلك؟ حتى لا يستيقظ الوعي الإسلامي العارم، وتتجاوب الأصداء بضرورة العودة العامة الجادة إلى الإسلام لوقف هذا الفناء القادم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لكن آمالنا أن غرائز الأمم تصحو لملاقاة الخطر الداهم، وأن التنادي بالإسلام سوف يكون اليوم صيحة النجاة.

وسوف يكون غدًا صيحة النصر..

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (**النمل: ٩٣**).



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٥)

يهودية وصهيونية

(٢)

واضعو الأسفار كانوا جزارين في ثياب متدينين

بنو إسرائيل عادوا إلى فلسطين ليفنوا لا ليحيوا

ستكون مقتلة عظيمة بين المسلمين واليهود فيقتل المسلمون اليهود

العدد (٥٩) ذو القعدة (١٣٨٩هـ) يناير (١٩٧٠م)

سمعته يقول: اليهودية شيء والصهيونية شيء آخر! اليهودية دين سماوي كالنصرانية والإسلام، أما الصهيونية فنزعة سياسية متطرفة استغلها الاستعمار الغربي لبلوغ مآربه.. اليهودية دين قديم له مصادره المقدسة، أما الصهيونية فحركة حديثة ولدت في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد، وغذتها ونمتها ظروف عنصرية ودولية طارئة.

قلت له: تعني أن اليهودية لا أطماع لها في فلسطين، وأنها لم تبيت عدوانا على العرب الآمنين، وأن التوراة والتلمود وسائر الأسفار المقدسة بريئة مما تفعله الآن دولة إسرائيل، وأن الحرب المعلنة علينا من خمسين سنة ليست دينية!

قال: نعم هذا بدقة ما أريد أن أذكره!

قلت: أو لو قرأت عليك من نصوص الكتب المقدسة ما يدحض هذه الأوهام؟

قال: كيف؟ يستحيل أن تتضمن هذه الكتب استباحة أرضنا وجنسنا، والاستهانة بحقوقنا المؤكدة!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قلت: بل سأقرأ عليك من الكتب المقدسة المتداولة بين أيدي القوم ما يزيح هذه الغشاوة عن الأعين، وما يشرح أن فلسطين كانت ملكًا لبني إسرائيل خاصة بهم، وأنهم أجلوا عنها عقابًا إلهيًا للآثام التي ارتكبوها، وأن الإله الذي عاقبهم، تجاوز- بعد- عن سيئاتهم، وقرر إعادتهم إلى أرضهم الأولى كي تفيض عليهم سمنًا وعسلًا وخمرًا، وأن هذا الإله ندم على ما فعل بشعبه المختار، ورد إليه مجده ووطنه، كي تتوطد سلطته وسيادته على أنقاض غيره من الأمم! هكذا تقول صحائف التوراة والتلمود وإصحاحات العهد القديم التي يتعبد اليهود في المشرق والمغرب بتلاوتها، والتي يستوحون منها سياستهم في القديم والحديث على سواء!

وعلى ضوء هذه السطور المقدسة (!) بل على نارها المحرقة أكلت حقوق العرب، وتواصى الأوروبيون والأمريكيون باجتياحها. ثم جاء اليهود في الوقت المناسب ليتسلموا أرض الميعاد التي حدثتهم كتبهم عنها، وباشروا حرب الإبادة التي لا بد منها ليسود جنسهم وتقوم مملكتهم!

وقد كانوا في إقبالهم من شتى القارات إلى فلسطين معبئين بشعور ديني عارم تعمل من ورائه هذه النصوص، كما أنهم في بنائهم دولة إسرائيل ومقاتلتهم العرب أصحاب الأرض كانوا مفعمين بهذه العاطفة الدينية المرتكزة على كلمات التوراة والتلمود وإصحاحات العهد القديم!

قال الرجل: أين هي تلك النصوص التي تشير إليها؟ قلت: أنصت وسأضع بين يديها ما يشرح رأينا نحن المسلمين فيها.. فإننا معشر المسلمين نؤمن بموسى وتوراته.. أما ما دوّنه جامعو العهد القديم ونسبوه إلى الله فأمر آخر يتجاور فيه الحق والباطل والجد والهزل!

ربما كان قريبًا من الصدق أن الله شتت بني إسرائيل لما اقترفوه من ذنوب، وفي القرآن الكريم شرح دقيق لذلك..

ومن ثم فنحن نقبل إجمالًا ما ورد في صحف العهد القديم من أسباب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النكال ببني إسرائيل، والحكم بتمزيقهم في أرجاء الأرض، ولنقرأ معهم هذه الكلمات الواردة في كتبهم:

«لأجل ذلك قال السيد الرب: من أجل أنكم ضجحتم أكثر من الأمم التي حواليكم، ولم تسلكوا فرائضي، ولم تعملوا حسب أحكامي، ولا عملتم حسب أحكام الأمم التي حواليكم لذلك- هكذا قال السيد الرب- ها اني أيضًا عليك[1] وسأجري في وسطك أحكامًا أمام عيون الأمم، وأفعل بك ما لم أفعل، وما لن أفعل مثله بسبب كل أرجاسك! لأجل ذلك تأكل الآباء الأبناء في وسطك، والأبناء يأكلون آباءهم، وأجري فيك أحكاما وأذري بقيتك كلها في كل ريح»

(٧- ١٠- الإصحاح الخامس- حزقيال)

من أجل أنك صفقت بيديك، وخبطت برجليك، وفرحت بكل إهانتك للموت على أرض إسرائيل فلذلك هأنذا أمد يدي عليك، وأسلمك غنيمة للأمم، وأستأصلك في الشعوب وأبيدك في الأراضي، أخربك فتعلم أني أنا الرب[2].

(٦ - ٧ الإصحاح الخامس والعشرون- حزقيال)

ويكون في ذلك اليوم، يقول الرب: أني أقطع خيلك في وسطك، وأبيد مركباتك، وأقطع مدن أرضك، وأهدم كل حصونك، وأقطع السحر في يدك، ولا يكون لك عائفون وأقطع تماثيلك المنحوتة، وأنصابك في وسطك، فلا تسجد لعمل يديك فيما بعد.

(١٠- ١٣- الإصحاح الخامس - ميخا)

---

(١) الخطاب لأورشليم أو بيت المقدس.

(٢) الخطاب هنا للشعب الإسرائيلي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«إلى الجلاء إلى السبي يذهبون والرئيس الذي في وسطهم يحمل[1] على الكتف في العتمة ويخرج، ينقبون في الحائط ليخرجوا منه، يغطي وجهه لئلا ينظر الأرض بعينيه، وأبسط شبكتي عليه فيؤخذ في شركي وآتي به إلى بابل إلى أرض الكلدانيين ولكن لا يراها وهناك يموت.

وأذري في كل ريح جميع الذين حوله لنصره، وكل جيوشه.

وأستل السيف وراءه، فيعلمون أني أنا الرب حين أبددهم بين الأمم وأذريهم في الأراضي وأبقي منهم رجالا معدودين في السيف وفي الجوع وفي الولاء لكي يحدثوا بكل رجاساتهم بين الأمم التي يأتون إليها فيعلمون أني أنا الرب

(١١- ١٦- الإصحاح الثاني عشر- حزقيال)

ونحن نجزم بأن الله لعن بني اسرائيل لعصيانهم وعدوانهم، ونستفيد هذه الحقيقة من كتابنا الوثيق قبل استفادتها من أي شيء آخر..

فهل تغير من خلائق اليهود ما استحقوا من أجله اللعنة؟ لقد مرت آلاف السنين على هذا الشعب المطارد، قاتل الأنبياء، المتمرد على وحي السماء!

وبعث الله عيسى إليهم فكذبوه وحاولوا قتله، وبعث إليهم محمدًا من بعده فكذبوه وحاولوا قتله، وتتابعت الأعصار وهم حيث حلوا في أرض الله نماذج للأثرة والقسوة وأكل الربا وإشاعة الخنا..

بيد أن كاتب العهد القديم وعد اليهود بأنهم سيعودون إلى فلسطين التي نفوا منها!

وتوارث القوم هذا الأمل، وأحسوا كأن هذا القطر إرث لا بد أن يؤول إليهم، وأن غيرهم طارئ عليه يجب أن يزول.

---

(١) يعني أن ملكهم سيكون كالسوقة في المهانة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلى هذا الأساس عومل العرب، وعولج وجودهم التاريخي والديني!
ولنقرأ هذه الكلمات من العهد القديم: برائحة سروركم أرضى عنكم، حين أخرجكم من بين الشعوب، وأجمعكم من الأراضي التي تفرقتم فيها، وأتقدس فيكم أمام عيون الأمم! فتعلمون أني أنا الرب، حيث آتي بكم إلى أرض إسرائيل! إلى الأرض التي رفعت يدي لأعطي آباءكم إياها.

(٤١-٤٢ من الإصحاح العشرين- حزقيال).

أي نشوة دينية عارمة تغمر اليهود وهم قادمون من كل فج صوب أرض فلسطين؟

وهذا النص الديني يسوقهم!

وقبل أن أستطرد في إيراد النصوص الدينية التي تحدث اليهود عن أرض الميعاد، وعن قيام دولة جديدة لهم لا بد من أن أقف لأشرح وأشرح!

إن بني إسرائيل لم يحدثوا توبة يستحقون بها الرحمة العليا، فهم تائهون عن الحق في مجال الاعتقاد والعمل، وهم وراء أزمات الإيمان والأخلاق التي تزلزل الكيان البشري، وتهدده بالدمار الفاشل.

وعودتهم الجزئية إلى فلسطين ترجع أولًا إلى طبيعة الجبهة المناوئة لهم، أو إلى أحوال الأمة التي ورثت الدعوة من بعدهم. إن العرب تخلوا عن قيادة الدعوة العالمية للإسلام، بل تجردوا من جملة فضائله وعزائمه، بل تسلمت السلطة في بعض أقطارهم حكومات ترفض الإسلام دولة وتكرهه نظامًا!.

في هذا الليل المعتكر من الفتن المتلاحقة قد يأذن الله لليهود بعودة لا قرار لها، لأن اليهود لا يحملون بذور رسالة إنسانية صالحة، ولأن حملة الرسالة الإسلامية الباقية سوف يستفيقون من غفلتهم أو يتغلبون على هزائمهم، ويستأنفون مقاتلة اليهود حتى يجهزوا عليهم.

أليس من تعاجيب الليالي أن تتخلى الأمة العربية عن الإسلام.. عن الحق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي رفع الله به قدرها، وتزعم وسائل الإعلام بها أن قضية فلسطين ليست إسلامية! وذلك في الوقت الذي يتشبث العبريون فيه بتوراتهم ويعدون فيه فلسطين قسمة إلهية لهم؟

وهل يبحث عاقل عن سر هزائم العرب بعد هذا التفاوت الهائل في الروح المحرك لكلا الفريقين؟

فلنقرأ عن أرض الميعاد لا كما يتحدث كتاب الصهيونية، بل كما يتحدث العهد القديم نفسه، لنقرأ هذا النص الطويل:

«لذلك فقل لبيت إسرائيل- هكذا قال السيد الرب- ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل بل لأجل اسمي القدوس الذي بخستموه في الأمم حيث جئتم. فأقدس اسمي العظيم المبخس في الأمم، والذي بخستموه في وسطهم، فتعلم الأمم أني أنا الرب.

يقول السيد الرب: حين أتقدس فيكم قدام أعينهم، وآخذكم من بين الأمم، وأجمعكم في جميع الأراضي، وآتي بكم إلى أرضكم، وأرش عليكم ماء طاهرًا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم.

وأعطيكم قلبا جديدا، وأجعل روحا جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي، وتعملون بها وتسكنون الأرض التي أعطيت آباءكم إياها وتكونون لي شعبًا وأنا أكون لكم إلها، وأخلصكم من كل نجاساتكم.

وأدعو الحنطة وأكثرها ولا أضع عليكم جوعًا، وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل لكيلا تنالوا بعد عار الجوع بين الأمم فتذكرون طرقكم الرديئة، وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا من أجلكم أنا صانع- يقول السيد الرب- فليكن معلومًا لكم. فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت إسرائيل- هكذا قال السيد الرب-.

في يوم تطهيري إياكم من كل آثامكم أسكنكم في المدن، فتبنى الخرب وتفلح الأرض الخربة عوضًا عن كونها خربة أمام عيني كل عابر، فيقولون هذه الأرض الخربة صارت كجنة عدن، والمدن الخربة والمقفرة والمنهدمة محصنة معمورة! فتعلم الأمم الذين تركوا حولكم أني أنا الرب، بنيت المنهدمة وغرست المقفرة.

أنا الرب تكلمت وسأفعل، هكذا قال السيد الرب.

بعد هذه أطلب من بيت إسرائيل لأفعل لهم، أكثرهم كغنم أناس، كغنم مقدس كغنم أورشليم في مواسمها، فتكون المدن الخربة ملآنة غنم أناس فيعلمون أني أنا الرب.

(٢٢ - ٣٨ - الاصحاح السادس والثلاثون- حزقيال)

وهذا النص أيضًا:

«هو ذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الأرض، غير أني لا أبيد بيت يعقوب تماما يقول الرب، لأنه هأنذا آمر فأغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يغربل في الغربال وحبة لا تقع إلى الأرض، بالسيف يموت كل خاطئي شعبي القائلين: لا يقترب الشر ولا يأتي بيننا».

في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة، وأحصن شقوقها، وأقيم ردمها، وأبنيها كأيام الدهر لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم الذين دعي اسمي عليهم، يقول الرب الصانع هذا..

ها أيام تأتي يقول الرب يدرك الحارث الحاصد، ودائس العنب باذر الزرع، وتقطر الجبال عصيرًا، تسيل جميع التلال وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدنا خربة، ويسكنون ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جنات ويأكلون أثمارها وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم.

قال الرب إلهك.

(٨ - ١٥ الإصحاح التاسع- عاموس)

ونختم بهذا النص:

«هكذا قال رب الجنود، فأنذا أخلص شعبي من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس وآتي بهم فيسكنون في وسط أورشليم ويكونون لي شعبا وأنا أكون لهم إلها بالحق والبر»

(٧ - ٨ الإصحاح التاسع- عاموس)

(٧ - ٨ الإصحاح الثاني- زكريا)

هذه نصوص لم يكتبها موسى ديان في هذا القرن، ولم يكتبها هرتزل في القرن الماضي، ولم تتمخض عنها مؤتمرات الصهيونية المنعقدة في سويسرا أو في فرنسا.. إنها- عند ذويها- آيات وحي يتلى، ومعالم دين يتبع.

وليس اليهود وحدهم الذين يؤمنون بهذه الوعود السماوية لبني اسرائيل، بل كثير من النصارى الذين يجعلون إصحاحات العهد القديم أجزاء من الكتاب المقدس، خصوصًا الكنائس الإنجيلية (البروتستانت) الذين يمثلون أكثر شعوب إنجلترا والولايات المتحدة!

ولكن عصابة من الكتاب العرب أخذت على عاتقها تغطية هذه الحقائق الدينية، والزعم بأن إسرائيل تمثل الصهيونية ولا تمثل اليهودية، وأن الدين لا علاقة له بهذه الحرب الناشبة لإبادة العرب وتهويد فلسطين!

أهو الجهل الأعمى؟ ربما، ومن البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه لا لمن يبصره!

أهو الإقصاء المتعمد لدور الإسلام في المعركة؟ ذلكم أغلب الظن، بل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هو جملة اليقين. وعمل أولئك الكتاب هو تسميم الفكر العربي حتى يدخل العرب معركتهم الحاسمة بلا روح، أي بلا إيمان ديني واضح دافع.

ونعود إلى كلمات العهد القديم التي دونا بعضها هنا..

إن موسى عليه السلام لا صلة له بهذه الوعود وتوراته لم تتضمن إشارة ولا عبارة عن عودة اليهود إلى فلسطين.

ثم إن احتلال أي بقعة من الأرض لا يعطي المحتل الحق الأبدي في امتلاكها..

وبنو إسرائيل دخلوا فلسطين محتلين، ومكثوا بها أقل مدة مكثها جنس آخر، عمر هذه الأرض، فوجودهم التاريخي بها لا يمنحهم أي حق للبقاء فيها أو العودة إليها..

نعم، نحن نؤمن أن أسرة يعقوب حملت راية الدعوة إلى الله، وتنقلت بها بين وادي النيل، وربوع فلسطين..

لكن أولاد يعقوب نكسوا هذه الراية فيما بعد، وتنكبت كثرتهم سبيل الحق، وجارت على الوحي ورسله، فعزلهم الله إلى الأبد عن هذا المنصب، وآثر به أمة أخرى كانت فيها الرسالة الخاتمة.

ثم صب غضبه على بني يعقوب الخونة وذراهم في الأمم كما سجل ذلك كاتبو إصحاحات العهد فيما نقلناه هنا.

لكن حاخامات اليهود مزجوا في حياة المجتمع اليهودي بين أمرين متناقضين:

أولهما الحرص على مخاصمة الرسالات السماوية الصادقة ومجافاة أهدافها الإنسانية الرفيعة، والآخر التشبث بالانتساب إلى أسرة الدعوة الإلهية، والزعم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، ويتبع ذلك بداهة أملهم في عودة مجدهم القديم ومملكتهم الأولى..

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والحاخامات الذين كتبوا العهد من عند أنفسهم فضحت آمالهم على ما دونوا، فكانت هذه البشائر التي تسلى بها اليهود دهرًا، ثم حولوها في هذا العصر إلى أمر واقع..

ونحن لا نستغرب الانتصار المبدئي الذي أحرزه اليهود، ولكنا نقول: إنه لم يتم لخير فيهم بل لشر في غيرهم..

إن رجالهم ونساءهم وشيبهم وشبابهم جاءوا رافعين عقائدهم بنداء التوراة، ملتفين حول إيمان زائف على حين كان العرب المثقفون يستحون من الانتساب للقرآن، وينسحبون من مواطن التدين الحقيقي، فترادفت النكبات والنكسات، وكان ما ندى له جبين الحر!

وضاعف من هزائم العرب أن الحقد الصليبي الذي لم تخب جذوته يومًا كان يشد أزر المعتدي، ويعينه إذا ضعف، ويسدد رميته إذا طاشت..

ولو أن اليهود وحدهم كانوا في المعركة لكانت فلول العرب على ما بها من تمزق مادي ومعنوي قديرة على كسر إخوان القردة، إلا أن العرب ووجهوا بالعبء مضاعفًا، لقدر شاءه الله فكان ما كان.

وما دمنا في سياق البشارات الدينية، والوعود الإلهية، فإن لدينا في كتاب الله وسنة رسوله ما يكمل آمال اليهود في أرض الميعاد..

إنهم سيعودون فعلًا، ولكن ليفنوا لا ليحيوا، ولتنتهي رسالتهم في هذه الدنيا لا لتتجدد، لقد قال لنا رسول الله ﷺ: «ستكون مقتلة عظيمة بين المسلمين واليهود، فيقتل المسلمون اليهود، حتى إذا اختفى يهودي خلف حجر نادى الحجر يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتله وقد جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبدالله هذا يهودي ورائي فاقتله»[1].

(١) أصله في البخاري برقم (٢٩٥٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أجل.. إن اليهود سيتجمعون بعد شتات، ولكن ليتحقق فيهم قول الله عز وجل ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (**الأعراف: ١٦٧**).

على أن ما بيته القدر لبني إسرائيل من بلاء ماحق لن يوقعه بهم العرب- من حيث هم عرب- ولكن يوقعه بهم العرب بعدما يعودون إلى الإسلام ظاهرًا وباطنًا، ويعرفون به حكومات وشعوبًا، ويكون النداء المعهود المتداول يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتله.

إن حرب الإبادة قد وضعت خطتها لإفناء الجنس العربي، وإحلال بني إسرائيل مكانه، والحقيقة أن الإسلام ليس فقط الهداية العليا لعباد الله، ولكنه طوق النجاة العاصم من الغرق بالنسبة إلى هؤلاء العرب، والخيط الباقي ليظلوا على قيد الحياة إن أرادوا الحياة.

فهم- رضوا أم سخطوا- يواجهون حربا دينية تشنها مشاعر مخلوطة بشغاف القلوب، وليس كما يحكي لهم الكذبة يواجهون حربا استعمارية عادية..

وأريد- بوصفي إنسانًا مسلمًا- أن أذكر رأيي في الحروب الدينية. إنها صورة بشعة أن يقتل امرؤ آخر ليجعل من دمه طريقة إلى الجنة.. إنها صورة بشعة أن أقول لآخر: اعتقد ما أقول، وإلا افترستك وأنا أشعر بلذة الولوغ في دمك..

إن الإسلام عدو مبين لهذا النوع من الحروب، بل إن رسالة محمد كانت القاضية على كل قتال من هذا اللون القاسي..

فهل كذلك فكر واضعو العهد القديم؟ يستطيع أي قارئ أن يطالع في الأسفار[1] المقدسة أوامر الله باستئصال الأعداء، رجالًا ونساء وأطفالًا،

---

(١) نقلنا نصوص حرب الإبادة من إصحاحات العهد القديم في مكان آخر من كتابنا التعصب والتسامح.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واستئصال ما يملكون من حيوان ونبات، ونشر الخراب فوق كل شبر من أرض لأعداء إسرائيل..

وعندما كنت أقرأ أخبار القرى العربية التي اختفت من الوجود، والبيوت التي دمرت بعدما فر أصحابها مروعين، كنت أعلم أن بني اسرائيل إنما نفذوا أحكام التوراة- فيما يزعمون.

إن واضعي هذه الأسفار كانوا جزارين في ثياب متدينين، وكان ضحاياهم في هذا العصر الأشأم من العرب المسلمين.

وقد قام اليهود بمذبحة «دير ياسين»[(١)] استجابة دينية حرفية للتعاليم التي يتدارسونها ويتوارثونها.

وهي تعاليم- فيما نرى نحن المسلمين- مبتوتة الصلة بأنبياء الله، وإن زعمها هؤلاء وحيا من السماء.

واليهود فجرة مهرة، وقد عقدوا مع المستعمرين معاهدة للنفع المتبادل، وللتنفيس عن الحقد المشترك، ولست أدري بالضبط أي الفريقين كان أقدر على تسخير الآخر والإفادة منه، وإن كان المسلمون بيقين هم الفريق المغبون الفادح الخسار.

---

(١) قرية دير ياسين، قرية فلسطينية صغيرة قرب مدينة القدس. تعرضت في ٩ أبريل عام ١٩٤٨ أي قبل قيام إسرائيل بحوالي شهر لهجوم غادر من جانب المنظمات الإرهابية الصهيونية، تحول إلى مجزرة بشرية قاسية.. ذبح خلالها بالأسلحة الحديثة وبالسلاح الأبيض ٢٥٤ من الرجال والنساء والأطفال العرب.. وبلغ الهوس والجنون بالمهاجمين إلى حد التمثيل البشع بجثث الضحايا من الأطفال والنساء وتمزيقها إربًا في دروب القرية وشوارعها، أما بقية السكان الذين نجوا من المجزرة.. فقد ساقهم المهاجمون إلى شوارع القدس وملابسهم ملطخة بالدماء فيما يشبه موكبا بدائيًا للنصر، وعرف فيما بعد أن المجزرة كانت من تدبير عصابتين صهيونيتين هما:

أولًا: عصابة آرجون زفاري ليومي (المنظمة العسكرية الوطنية) وهي تنظيم إرهابي صهيوني كان يرأسه مناحيم بيجين الوزير الحالي بالوزارة الإسرائيلية.

ثانيًا: عصابة لوحمي حيروت يسرائيل (المحاربون لحرية إسرائيل) وهي العصابة التي تحولت بعد قيام إسرائيل إلى حزب حيروت أحد الأحزاب الحاكمة الآن في إسرائيل.

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

إن سخط الله على بني إسرائيل لم تنقض أسبابه، ولعلها لن تنقضي أبدًا ما داموا على طبائع الملعونين من أسلافهم، قسوة فؤاد، وشره نفس، وأكل سحت، وفساد معتقد وبغيًا في الأرض، واستطالة على الخالق!

وإذا كان الله قد ضرب بهم بعض الشعوب التي فرطت في جنبه فليس ذلك دليل رضا، ولا تقريبا بعد إبعاد، فإن الهيكل الأول هدمه الوثنيون، وقد تسلط على بني إسرائيل قديمًا من هم شر منهم..

ومسلمو اليوم يتعرضون لبلاء طويل بغير شك، ومن يدري؟ قد يكون ذلك باعثًا لهم على صلح مع الله وعودة إلى الإسلام الذي هجروه..

وعندئذ تكون هذه المحنة منحة وتكون الضارة النافعة..

ومهما ساءت الأمور فإن حلم إسرائيل بحكم العالم من أورشليم لن يتحقق، فإن الحجب بدأت تتمزق عن آثار اليهود الرهيبة في أرجاء الأرض.. خصوصًا وسط العالم المسيحي.. إن سلطة المسيحية على الضمير والسلوك في أوروبا وأمريكا اسمية للأسف.

وقد تمكن بنو إسرائيل بوسائلهم الجلية والخفية من نشر الفتن الجنسية والعنصرية والفلسفات المادية والإلحادية في جنبات القارتين الكبيرتين..

فهل هذه رسالة السماء التي حملها أنبياء بني إسرائيل قديما ويريد ذراريهم بها أن يكونوا شعب الله المختار؟

في محاضرة للدكتور أحمد خليفة وزير الأوقاف الأسبق سمعت منه أن اليهود يسيطرون على الولايات المتحدة سيطرة كاملة، وعلى أوروبا الغربية سيطرة شبه كاملة، وأن الميادين التي أحكموا قبضتهم عليها هي المصارف المالية، والجامعات الكبرى، ووسائل الإعلام!

ومن يضع قبضته على هذه الثلاث ضمن أن يصوغ الفكر كما شاء، وأن ينشر ما يرضيه ويحجب ما يرفضه، وأن يبسط يديه حيث تجدي النفقة، ويمسك متى أراد، وقال: ومن يتابع تاريخ الفكر البشري ويتعرف دور اليهود

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيه يتبين أنهم يصطنعون الفلسفات التي تحطم كل المقدسات، وتحطم احترام الإنسان لنفسه، وتحرمه من الإيمان وسكينة النفس.

وقال: واليهودية العالمية تعلم أن الشباب هو مستقبل الأمم وعتادها وذخرها.. إذن لا بد أن يفسد الشباب وتختل أمامه الموازين وتضطرب القيم.. ومن هنا سيطروا على أسواق الخمر والقمار والمخدرات كما أن باعهم طويل في عالم الخلاعة والتهتك والذي يزور السجون والإصلاحيات في الولايات المتحدة يجد نزلاءها من الملونين ومن المسيحيين، ولا يجد بها يهوديًا!

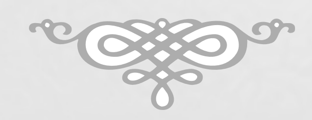
إنهم يقودون حملة التخريب والإفساد مع الاحتفاظ بكيانهم وتماسكهم..

قال المحاضر: إنك في أمريكا تقرأ ما يريد اليهود لك أن تقرأه، وتفتح الراديو لتسمع ما يريد اليهود أن يذاع، وتفتح التلفزيون لترى ما يرى اليهود أن ترى ويذهب الأبناء إلى الجامعة لتعبأ عقولهم بما يريد اليهود أن يتعلموه.

وفي كل أسبوع تقبض المرتبات من خزائن اليهود، هذا هو الاخطبوط الذي يسيطر على الغرب، هذه هي الطفيليات التي تمتص دماء العالم.

نقول: وهذه هي وظيفة شعب الله المختار، يبلغ بها رسالة السماء إلى الأرض، ويعلم البشر الصلاة والزكاة والتقوى والأدب، ويذكرهم بيوم الحساب وما وراءه من خلود طويل!

إن اليهودي ذكي كالشيطان، وله أن يزعم ما يشاء إلا أنه صاحب دين يهدي إلي البر والرشد، ويستحق من أجله ميراث الأقطار والأجناس.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٦)

فوضى الحلال والحرام
في غياب التشريع الحق

العدد (٥٨) شوال (١٣٨٩هـ) ديسمبر (١٩٦٩م)

الأمة الإسلامية اليوم تمثل جماهير كثيفة من الشعوب المتخلفة..

والفروق بين الشعوب المتخلفة والشعوب المتقدمة كثيرة ومنوعة، ويمكن ردها إجمالًا إلى خلل حقيقي في المواهب الإنسانية الرفيعة، خلل عاق هذه المواهب عن أداء وظائفها باقتدار وإجادة!

وليس بصعب على من يرقب الأمم المتأخرة أن يلحظ كسلها العقلي في ميدان المعرفة، وكسلها العقلي في ميدان الإنتاج، وضعف الأخلاق التي تحكم أقوالها وأحوالها، وكثرة التقاليد التي تمثل طبائع الرياء والأثرة والملق والضياع الفردي والاجتماعي.

إن هناك انهيارًا حقيقيًا في البناء الإنساني للشعوب المتخلفة، والإصلاح الجاد يستهدف إعادة هذا البناء، ودعمه خلقيًا، واقتصاديًا، وسياسيًا..

ونحن- المشتغلين بالدعوة الإسلامية- نعالج هذا العمل الشاق، ونزيح العقبات التاريخية والطارئة التي تعترض طريقنا وما أكثرها..

وهناك ناس يعملون لهذا الهدف، هدف بناء أمة جديدة، ولكنهم- بمؤثرات شتى- لا يرتبطون بالإسلام ولا يستشيرونه في حل مشكلة أو شفاء علة.

وظاهر أن هؤلاء الناس هم الذين نشأوا في ظل الاستعمار الأوروبي، وآذاهم أن تكون بلادهم محقورة الشأن، زرية الظاهر والباطن، فأرادوا أن تلتحق بالركب المتقدم عن طريق التشبه به والاقتباس منه.

ولما كان علم هؤلاء بالإسلام قليلًا، فإنهم لم يحاولوا الإفادة منه أو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الارتباط به، بل مضوا في طريق التقليد للشعوب المنتصرة في ظاهر أمرها وباطنه، وعذرهم- أمام أنفسهم على الأقل- أنهم يبغون النهوض بأمتهم.

ولست الآن بصدد نقد هؤلاء، بل سأتناول باللوم والإنكار مواقف بعض المتدينين القاصرين الذين يسيئون إلى الإسلام من حيث ينشدون خدمته.

إن تبذل النساء في هذا العصر بلغ حد السفه وهبط إلى درك سحيق من الحيوانية المنكورة..

وصيحات الوعاظ لوقف هذا التيار تذهب بددًا..

لماذا؟ لأن تناولهم لقضايا المرأة مشوب بالغموض أو الجهالة، متسم بالسلبية والعجز، محكوم بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان..

وأغلبهم لو أمكنته الفرص لرد المرأة إلي البيت، وغلق عليها الأبواب، وحرمها مختلف الحقوق المادية والأدبية، وجعلها القدم العرجاء للإنسانية السائرة أو الجناح المكسورة للأمم الصاعدة..

والمسلمون في العصر الماضي خالفوا الإسلام مخالفة مستغربة في الطريقة التي تحيا بها المرأة..

فهم حرموها حق العبادة.. بتعبير العصرالحديث، وحظروا عليها دخول المسجد، ويوجد في أنحاء مصر نحو سبعة عشر ألف مسجد لا ترحب بدخول المرأة، ولم يبن في أحدها باب مخصص للنساء، كما فعل ذلك رسول الله ﷺ حين بنى مسجده بالمدينة المنورة.

وقد بذلنا بعض الجهود لتغيير هذه الحال، ولم ننجح إلا في حدود تافهة! مع أن صفوف النساء في بيوت الله كانت أحد معالم المجتمع الإسلامي الأول.

وهم حرموها حق التعليم- بتعبير العصر الحديث- فلم تفتتح المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والعالية للمرأة إلا بعد محاولات ومجادلات

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مضنية، ولم تدخل الأزهر إلا بعد تطوره الحديث. مع أن النبي ﷺ جعل طلب العلم فريضة على الرجال والنساء، ومع أنه أمر بإخراج النساء وهن حوائض ليشهدن الخير ويعرفن دعوة الإسلام.

وهم رفضوا أن يكون لها دور في إحقاق الحق وإبطال الباطل، وصيانة الأمة بنشر المعروف، وسحق المنكر مع أن الله قال في كتابه ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ **(التوبة: ٧١)**.

إن الفكرة التي سيطرت على أدمغة نفر من المتدينين هي عزل المرأة عن الدين والدنيا معا، واجتياح كيانها الشخصي والمعنوي..

ولا تزال هذه الفكرة أملا يحركهم ويحملهم على ترويج أحاديث موضوعة أو واهية، وتكذيب أحاديث صحيحة أو حسنة، وعلى تفسير القرآن الكريم بآراء لم يعرفها أئمته، ولا قام عليها مجتمع الأصحاب والتابعين!

بل أستطيع القول: إن الجاهلية التي دفعت إليها المرأة الإسلامية بهذا الفكر القاصر جعلتها دون المرأة في الجاهلية الأولى..

فإن المرأة العربية ظهرت في بيعة العقبة الكبرى، كما ظهرت مبايعة بعد فتح مكة، وقارب عدد النساء المبايعات ستمائة امرأة!

وجهلة المتدينين تستكثر على المرأة المسلمة هذه المكانة الكبيرة، وقد نتج عن هذا التفكير في قضية المرأة، وعن التفكير المماثل له في قضايا أخرى كثيرة أن ظلم الإسلام ظلمًا شديدًا وأن أساء به الظن من لم يحط به خبرًا، ومن لم يحسن له فقهًا.

وعندي أن إفلات النهضة النسائية من قيود الإسلام الحقيقية يرجع إلى هذا العجز والغباء.

وقد لاحظت أن بعض المصلحين الذين اشتغلوا بتحرير المرأة قد جرأهم هذا الموقف على ارتكاب حماقات سيئة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهم لما قاوموا بنجاح أخطاء بعض المتدينين اندفعوا في طريقهم مغالين فخطأوا الدين نفسه، حيث لا مجال لتخطئة ولا مكان لتصويب..

وإنه لمن الحزن أن يسيء الدعاة عرض دينهم في ميدان ما فترفع الثقة بهم في كل ميدان، ثم ينفتح الباب على مصراعيه ليتناول من شاء أحكام الإسلام بالمحو والإثبات، يقبل منها ما يعجبه، ويرد منها ما ينبو عنه مزاجه اللطيف.

أكتب ذلك وبين يدي كتاب مطالعة للمدارس الثانوية ألف على عهد وزارة المعارف، وراجعه الدكتور طه حسين بك وآخرون.

في الفصل الثالث من هذا الكتاب حديث عن قاسم أمين، وردت فيه هذه العبارات وصفًا له ولمذهبه في الحياة العامة يوم كان يلي منصب القضاء «... ولم يتقيد في قضائه بآراء الفقهاء أو أحكام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها، بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه، وهذا مما جعله ميالًا للرأفة في قضائه نافرًا أشد النفور من حكم الإعدام! فقد كان يرى «أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التي ربما تنفع لإصلاح المذنب وأن معاقبة الشر بالشر إضافة شر إلى شر» وأن «التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد في إصلاح فاعله» وأن «الخطيئة هي الشيء المعتاد الذي لا محل لاستغرابه والحال الطبيعية اللازمة لغريزة الإنسان».

«فإذا كانت الجماعة لم توفق بعد إلى إدراك هذه الأفكار، وكانت قوانينها التي وكل إلي تطبيقها- هكذا يتحدث قاسم أمين القاضي عن نفسه- ما تزال تجري على سنة القصاص والانتقام، وما تزال دموية متوحشة فلا أقل من أن يتحاشى الإعدام وهو أشد ما فيها وحشية، وهو العقوبة الوحيدة التي لا سبيل لعلاجها إذا ظهر خطأ القاضي، أو ثابت الجماعة إلى رشدها ورأت تعديل أساس عقوبتها بجعل العقوبة للإصلاح لا للقصاص، أو أخذت بمذهب العفو والتسامح».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والقارئ الذي يطالع هذه الجمل العمياء يحس أن صاحبها يصطدم بالوحي الإلهي اصطدامًا مباشرًا، وينكر شريعة القصاص، ويصفها بالوحشية! ويكذب أن في القصاص حياة، ويوغل مع الخيال فيظن العفو العام في كل حال وعن كل شخص قاعدة الإصلاح الاجتماعي الصحيح!

والكلام كله لغو قبيح، بل مجون يعزل صاحبه لا عن منصب القضاء وحسب، بل عن الفتيا في مشكلات الناس، ودعك من أن قائل هذا الكلام مجرد تجردًا تامًا من كل احترام لنصوص الكتاب والسنة..

ومع ذلك فإن طلاب المدارس الثانوية أيام وزارة المعارف- يقرأون عقب هذا الكلام الغث تلك العبارات: كانت روح قاسم روح أديب، وكانت الروح العصبية الحساسة الثائرة التي لا تعرف الطمأنينة ولا تستريح إلى السكون، وكانت الروح المشوقة التي لا تعرف الانزواء في كن، بل تظل متمحضة للبحث والتنقيب حتى تنسى نفسها، وتستبدل بكنها ما في الكون من نشاط وجمال.. وفي ظننا أن الدعوة إلى تحرير المرأة من رق الجهل ورق الحجاب لم تكن كل برنامج قاسم أمين الاجتماعي، وإنما كانت حلقة منه هي أعسر حلقاته وأعقدها.

ونحن نقول إن قاسما وغيره ممن نهج في الحياة منهجه كانوا أشخاصًا ينقصهم قدر كبير من العلم الديني والمدني، وأنهم استغلوا القصور الشائن الذي غلب على المتحدثين باسم الإسلام فهجموا على الأمور هجومًا شاملًا كان شره أكثر من خيره..

وربما استطاعوا أن يكتسحوا رجال الدين- إن صحت التسمية- في مجال النشاط النسائي لما علمت من حقيقة الموضوع. ولكن التطويح بشرائع القصاص ومن ورائها بقية الحدود غباء ضارب الجذور، وانسلاخ عن الإسلام لا يجدي فيه دفاع، ولا يساق فيه عذر..

إذا قال الله ﴿ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ (**البقرة: ١٧٩**) فجاء غر يقول: في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القصاص هلاك، فليس هذا جهلًا فقط، ولكنه ارتداد عن الإسلام وكفر بواح عندنا من الله فيه برهان.

وقد بلغني أن موظفة في الإذاعة في أحد البرامج وصفت قطع السارق بأنه وحشية، ولم يفاجئني هذا الارتداد الصريح، فإن التمهيد الثقافي له بدأ من عهود الاحتلال الأجنبي لشتى البقاع الإسلامية..

وما نقلناه هنا من أن آراء قاسم التي وضعت بين يدي طلاب الصفوف الثانوية يشهد لذلك.

ونريد أن يعلم القاصي والداني أن كل طعن في نصوص الإسلام القاطعة مردود على صاحبه، وأنه ضرب من الارتداد يخدم الاستعمار الحاقد على بلادنا وتاريخنا..

ولا فرق عندنا بين ارتداد جزئي وارتداد كلي، فإن أبا بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حارب جاحدي الزكاة مع من عاد إلى الوثنية بعد وفاة رسول الله ﷺ.

مع أن مانعي الزكاة زعموا أنهم مؤمنون بالله وإقام الصلاة.

بيد أن هذا الزعم لم يخدع الخليفة الأول ولا جمهرة الصحابة، فقاتلوا الفريقين جميعًا وعدوا هؤلاء وأولئك كفارًا لا شك في كفرهم..

والحقيقة التي لمسناها أن الناقمين على شرائع الحدود والقصاص قوم لا يقين لديهم ولا صلاة لهم، وأن علاقتهم بالقرآن مقطوعة، وأنهم ما يستبقون نسبتهم إلى الإسلام إلا لظروف عارضة، أو ليكيدوا له وهم داخل دائرته..

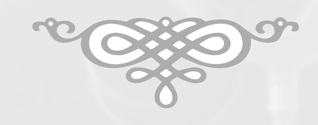
وكلمة أخيرة للمتصلين بالعلوم الدينية: إنه لا يشرفهم أن يتبعوا حديثًا واهيًا ويدعوا الأحاديث الصحيحة، كما لا يشرفهم أن يعرفوا رأيًا فقهيًا ويجهلوا رأيًا آخر! إنهم يضرون الإسلام ضررًا بالغًا حين تكون صورته في أذهانهم ناقصة أو شائهة، ثم حين يزعمون مع هذا النقصان والتشويه أنهم علماء الدين وحراسه..

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إن القرن الأول- من بين القرون الأربعة عشر التي تمثل تاريخنا- هو أقرب الصور إلى حقيقة ديننا.. فكيف يحكم الإسلامَ «متنٌ» من متون الفقه ألف أيام الاضمحلال العقلي لأمتنا؟ أو كيف يحكم الإسلام تصرف تركي في مجال السياسة أو المجتمع؟

لقد كان الاستبحار العلمي سمة ساطعة لأمتنا في أعصارها الأولى، فلا يجوز أن يقطعنا عن هذا الماضي الزاهي جهل عارض، أو فكر غامض.

ويوم يعود المسلمون إلى دينهم الحق، فإن التخلف المزري اللاصق بهم اليوم ستنجلي غمته وتنكشف ظلمته وسيأخذون طريقهم مرة أخرى إلى الصدارة والتقدم..



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٧)

ضوء على بعض المشكلات

العدد (٦١) محرم (١٣٩٠هـ) مارس (١٩٧٠م)

قرأت مقالا عن «الانفجار السكاني وإمكانات التحكم فيه» نشرته صحيفة الأهرام يوم الجمعة ١٩٧٠/١/٢، ولا أكون مغاليا إذا وصفت هذا المقال بأنه صائب الفكرة، عميق النظرة، مملوء بالحقائق الجديرة بالاحترام.

ولقد لَفَتُّ عددا من الدعاة المسلمين، وعلماء الدين إلى هذا المقال، لأنه يصور في نظري عودة إلى أفكار سبق أن كتبتها ووقفت عندها، ورأى جمهور المسلمين أنها التعبير الحق عن أحكام دينهم ونهج حياتهم، وإن كان البعض قد مارى فيها مراء يعلم الله بواعثه!

والكاتب بعد مقدمات جيدة حول مشكلة النسل يقول: «إن تفسير الزيادة السكانية بغير التخلف الاقتصادي، أو رد هذه الزيادة إلى عوامل أخرى مثل غلبة الغريزة الجنسية، أو وجود الأديان المحبذة للتناسل، أو عدم المبالاة بالرقي، يدخل تحت باب التضليل العلمي! وقد استخلص هذه النتيجة الصادقة من جملة ملاحظات علمية واجتماعية جديرة بالتأييد الحار.

ويعجبني أنه استهجن صيحات التشاؤم المفتعلة التي تخصص في إرسالها بين الحين والحين نفر من مقلدي الأساليب المجوجة في الإحصاء الجزئي والحكم العام، وهي أساليب تخدم سياسة معينة ولا تخدم حقيقة مجردة.

يقول الكاتب: «في أواخر الستينيات تدفق سيل جارف من البيانات والبلاغات التي يتبرع بها نفر من نجوم الرأي الأمريكيين يزعمون فيها أن العالم قد بلغ في مسيرته نحو الكارثة نقطة «اللاعودة» بسبب الزيادة التي نشأت من أن أقطار العالم الثالث- الذي يضم عشرات من الدول النامية أو بتعبير آخر عشرات من الدول المتخلفة- لم تكبح شهواتها الجنسية، ولم

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تستجب لدعوة المندوب الأمريكي إلى «تخطيط الأسرة» أو تحديد النسل الذي رأى سيادته أنه الطريق الوحيد لحسم المشكلة السكانية».

بل لم يستح نفر من قادة الرأي في أرقى الدول أن ينادوا جهرة بضرورة استخدام القسر في الحد من هذا التفوق العددي للمراتب السفلى من البشر! بالقدر الذي يمنع دفع المراتب الأعلى إلى الخلف.

هذا، ولما كانت نسبة الأولاد تكاد تكون ثابتة من عشرات السنين، فإن الزيادة المحذورة نشأت للأسف من قلة الوفيات بسبب ارتفاع المستوى الصحي في أرجاء العالم!

والحل أنه عند أرباب الثقافة الغربية الرفيعة عدم مقاومة العلل بين شعوب لا تجد الأكل، وترك الأمراض تفتك بهذه الأجيال الوافدة، فإن إقحام طوفان من الأطفال الجياع على اقتصاد مضطرب أمر يهدد بكارثة!

لكن كيف يوصف هذا التصرف؟ إنه تصرف إنساني عادي! لأنه يساعد الطبيعة على انتخاب الأصلح وإبقاء الأقوى! بل إن هذا التصرف يتفق مع أرقى ثمرات الفكر الانساني، ألم يقل أفلاطون في جمهوريته الفاضلة: إنه يجب قتل كل طفل يزيد عن العدد الضروري؟ ونحن قد وصلنا بالفعل إلى ما يزيد عن هذا العدد الضروري!

ويستتبع الفكر الغربي أحكامه على الأمور فيقول الدكتور هوايت ستيفنز- أحد خبراء علم الاجتماع - إن يوم القيامة سيوافق ٢٠٢٦/١١/١٣، لأن المجاعة العالمية في هذا اليوم ستقضي على الجميع، هكذا يقول الدكتور الألمعي بعد حساب وفق قواعد علم الاجتماع، لا قواعد علم التنجيم!

وبناء على ذلك الهوس الإحصائي يدعو الأمريكيون المتشائمون إلى التعقيم الإجباري، وإلى فرض نظام صارم لتحديد النسل، وإلى دعوة الأمم المتحدة إلى إجراء ما، كي ينخفض عدد الأولاد بين العرب والزنوج والهنود وأشباههم، وهم سواد العالم الثالث.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويلاحظ الأستاذ كمال السيد- كاتب المقال- أمورا ذات بال، منها أن الولايات المتحدة مثلا تنفق سبعين ألف مليون دولار على معدات القتال، وأن شركاتها الكبرى تعامل شعوب العالم الثالث بنهم مستغرب لا مكان معه للرحمة بهؤلاء الجياع المساكين.

يقول: «وهناك صيغة شائعة في أمريكا الجنوبية فحواها أن خمسة من سكانها يموتون جوعا كل دقيقة، في حين أن الشركات المستغلة العاملة بها تكسب خمسة آلاف دولار كل دقيقة، اي ألف دولار من كل ميت»!

ومع شعورنا باتجاه الكاتب إلا أننا نعرف أن المساعدات الاستعمارية مغشوشة النية، سيئة الهدف، فقد توزع على الأطفال مقادير من الألبان والجبن، ولكنها تفرض على بيئتهم قيود الفقر الأبدي إلى هذا النوع من المساعدات.

هذه البرامج توزع المواد الاستهلاكية وحسب، على الأمم المتخلفة، وتمتنع امتناعا غريبا عن تصنيع البيئة، وإعانتها على أن تخدم نفسها بنفسها، وتستغل مواردها الوطنية بقدراتها الخاصة!

كأن شعوب هذا العالم الثالث- كما تسمى- ينبغي أن تظل مشلولة المواهب مكشوفة العجز، لا تستطيع ارتفاق ما لديها من خيرات.

وعليها- بعد- أن تسمع الحكم بأن القيامة بعد كذا من السنين!

ويتلقى هذا الكلام بعض قصار العقل فيطيرون به هنا وهناك ينذروننا بالويل والثبور وعظائم الأمور، فإذا حاولنا التفاهم معهم قالوا: إنكم رجعيون تائهون عن مقررات علم الاجتماع، وأخطار يوم القيامة الذي سيجيء حتما مع زيادة السكان!

ولنتناول الآن صميم المشكلة: هل حق أن بلاد العالم الثالث لا تكفي حاجات أهلها، وبالتالي لا تتسع لمزيد من الأفواه التي تطلب القوت، والأجساد التي تطلب الكسوة؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تلك هي الأكذوبة الكبرى التي يضخم الاستعمار صداها ويزعج الدنيا بطنينها!

إن أقطار العالم الثالث مشحونة بخيرات تكفي أضعاف سكانه، بيد أن هذه الخيرات تتطلب العقول البصيرة والأيدي القديرة.

ولو رزقت هذه الأقطار المتخلفة نهضة إنسانية نزيهة، تستهدف إيقاظ الملكات الغافية، والحواس المخدرة، وتطارد الخمول والوهن، وتجند القدرات والخبرات، وتمنع التظالم والترف، وتضرب سياجا منيعا حول مصالح الشعوب، يرد عنها غوائل الاستعمار بجميع أنواعه، لكانت هذه الشعوب تحيا في رغد من العيش تحسدها أقطار الغرب عليه!

ليست المشكلة اقتصادية كما يزعم الخبثاء من المستعمرين، ومقلدوهم من الصياحين الذين يهرفون بما لا يعرفون.

الفقر فقر أخلاق ومواهب، لا فقر أرزاق وإمكانات!

لماذا يكون المولود القادم أكالا لا شغالا، مستهلكا لا منتجا، عبئا على الحياة لا عونا على الحياة؟

لماذا تهون الإنسانية في هذه الأجيال الوافدة فيكون وجودها مبعث قلق لا مثار استبشار؟

إن الجهود المادية والمعنوية التي يبذلها المتشائمون لقتل هذه الأنفس أو للحيلولة دون وجودها لو بذلت في تصحيح الأخطاء الاجتماعية، وتقويم الانحرافات العقلية لكانت أقرب إلى الرشد وأدنى إلى الغاية!

ولكن الاستعمال الأناني الشره يريد التهام كل شيء لنفسه وحده، بل الأنكى من ذلك أنه يعترض طريق كل نهضة تصحح الأوضاع، لماذا؟ كي تبقى الأمور كما هي، ويبقى منطقه السقيم في علاج الأمور!

على أن تخلف العالم الثالث ليس علة أزلية ولا أبدية، فقد كان الأوروبيون

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والأمريكيون أسوأ حالا منذ قرون تعد على الأصابع، وكانت الخرافة تفتك بعقولهم فتك الأدران والعلل بأبدانهم، فإذا صعدوا في سلم الترقي، وهبط غيرهم بعد رفعه أو بدأ لأول مرة يخطو على درب المدنية، فلا معنى للاختيال عليه والتشفي منه! ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ **(النساء: ٩٤)**.

والأمر لا يستدعي أكثر من تغيير الظروف المؤثرة في أحوال المجتمعات، فهناك مكان ينبت العز- كما يقول المتنبي- وهناك مكان ينبت الذل، وهناك آخر يوقظ العقل أو ينيمه!

والمعتوهون الذين يصرخون جزعين: قفوا نسل الأرنب حتى لا تقوم الساعة أو حتى ترقى الأمة لا يعلمون أن العالم الثالث لن يرقى ولو تسعة أعشار عدده ما بقيت ظروفه النفسية والفكرية جامدة على أوضاعها الحالية.

ونعود مع كاتب الأهرام لنبصر الواقع حيث يقول: «إن موارد العالم، خصوصا موارد البلاد المتخلفة ما زالت تفوق كثيرا زيادة أعداد السكان، فالفائض الاقتصادي المحتمل يمكن تحويله إلى ضروب من النشاط المنتج بدلا من أن يذهب إلى جيوب المرابين والوسطاء وملاك الأرض، أو يتبدد في وجوه السرف المختلفة، وهذا الفائض هو ما يعرفه الاقتصاديون بأنه الفرق بين الإنتاج في ظروفه الطبيعية، وبين ما يعد استهلاكه ضروريا للجماعة المنتجة، ويقدر هذا الفرق بنحو ٢٠٪ من الإنتاج القومي، وهو يبلغ عند استثماره زيادة سنوية في الدخل تبلغ ٨٪ وهذه الزيادة تكفي بل تفيض عن متطلبات الزيادة السكانية...»!

الفقر الواقع أو المتوقع لا يعود إذن إلى علل طبيعية، بل إلى سوء تصرف واضطراب إدارة!

أو كما يقول الاقتصادي الامريكي المشهور بول باران: «إننا يجب أن ندق

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ناقوس الخطر لا لأن القوانين الأبدية في الطبيعة قد جعلت من المستحيل إطعام سكان الأرض، بل لأن النظام الاقتصادي الاستعماري يحكم على جموع كثيفة من الناس، لم يسمع بضخامتها من قبل، أن تعيش في كنف الفاقة والتدهور والموت قبل الأوان!

ثم أنهى الكاتب كلمته مؤكدا أنه لا حل لمشكلات التخلف، ومن بينها ضغط السكان على الموارد إلا بتنمية بلدان العالم الثالث لثرواتها، ومضاعفة اعتمادها على نفسها.. ثم على القدر الميسور من المعونات الأجنبية المنزهة..».

لقد قررت هذه الأحكام تقريبا في كتابي «من هنا نعلم» المطبوع من ربع قرن، ولذلك فقد انشرح صدري عندما قرأت هذه الأيام ما يزيد الحق وضوحا وما يبدد ضبابا كثيرا نشره في أفق الحياة العامة أقوام قصار الباع طوال الألسنة.

وإني- إذ أؤكد المعاني الآنفة- أوجه كلمة إلى نفر من المتحدثين باسم الإسلام أساءوا إلى حقائقه مرارا وهزموه في مواطن كثيرة.

إن الإسلام ليس هو بالدين المحلي لأهل قطر من الأقطار..

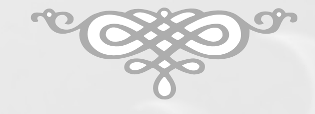
إنه دين القارات الخمس! وداره الرحبة الخصبة تمزج بين أجناس أمته في أخوة جامعة لا تعرف الحدود الضيقة المفتعلة التي صنعها الاستعماري! فكيف يعالجون مشكلة السكان وهم لا يدركون هذا الأساس المبين؟ ثم إن هذا الدين يتعرض لحرب إبادة في هذه الأيام من تحالف الصهيونية والاستعمار، فكيف تصدر الأوامر من رؤساء الأديان الأخرى بتكثير الأتباع، ومباركة النسل، ويفتون هم بالتعقيم والتقليل؟ إنني لا أدري علة هذا الزيغ؟ أهي قلة العلم أو ليونة الضمير؟

وتحذير آخر إلى هؤلاء: إن أحدهم يقع على الكلمة تخدم غرضه منسوبة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلى عمرو[1] بن العاص أو غيره من الرجال فيطير بها غير آبه بقيمة سندها ولا مكترث بأنها ملتقطة من كتب تجمع الجد والهزل والخطأ والصواب.. ولو فرضنا جدلا صحة نسبتها إلى عمرو، فما كلام عمرو بالنسبة إلى كلام الله ورسوله؟ وإلى طبائع الأشياء وفق منطق الفطرة وحالة الدين وأوضاع المسلمين؟

أرجو بعد كلمة الأهرام التي لخصتها في مقالي أن تنتهي هذه المأساة.



(١) ينسبون إلى عمرو أنه أوصى بتقليل الأولاد ويبنون على ذلك أشياء كثيرة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(١٨)

محنة الضمير الديني هناك

العدد (٦٢) صفر (١٣٩٠هـ) أبريل (١٩٧٠م)

هذه سياحة سريعة داخل أقطار الفكر الديني الغربي، ستفاجئنا فيها أحكام ينقصها السداد، ومؤامرات يحبكها الغدر، وضغائن لا تزال عميقة على طول العهد وامتداد الزمان!

ومن حقنا نحن المسلمين- وقد لفحتنا حرب بقاء أو فناء- أن ندرس الجبهة التي مسنا عدوانها، وأن نزن ببصر جديد طبيعة العواطف الدينية التي تكمن أو تبرز خلف أحداث لا تبدو لها نهاية قريبة!

ولنبدأ بمقال نشرته جريدة كاثوليكية تطوعت بإسداء نصائحها الغالية لإسرائيل، وليست هذه النصائح الغالية أن يعترف اليهود بحق العرب، وأن يعودوا من حيث جاءوا تاركين البلاد لأصحابها.. لا!

إن الضمير الديني عند الصحيفة المتدينة جعلها تسدي نصحا من لون آخر، لقد قالت لليهود: إننا احتللنا فلسطين قبلكم، وبقينا فيها سنين عددا، ثم استطاع المسلمون إخراجنا وتهديم المملكة التي أقمناها ببيت المقدس.. وذلك لأغلاط ارتكبناها، وها نحن أولاء نشرح لكم تلك الأغلاط القديمة حتى لا تقعوا فيها مثلنا!

استفيدوا من التجربة الفاشلة كي تبقى لكم فلسطين أبدا، ويشرد سكانها الأصلاء فلا يخامرهم أمل في عودة!

وشرعت الصحيفة التقية تشرح لماذا انهزم الصليبيون الأقدمون، وتوصي حكام إسرائيل بأمور ذات بال، وتحرضهم في نذالة نادرة أن يوسعوا الرقعة التي احتلوها، وأن يستقدموا أفواجا أكثر من يهود العالم، وأن يحسنوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خطتهم في ضرب العرب، ومحو قراهم، وإبادة خضرائهم، وبذلك يستقر ملك إسرائيل، وينحدر الإسلام والمسلمون..

وهاك أيها القارئ عبارات المقال الذي نشرته مجلة «تابلت» الإنجليزية الكاثوليكية للكاتب «ف. س. أندرسون».

يقول الكاتب المذكور: «إن نظرة واحدة إلى خارطة حدود إسرائيل الحالية تعيد إلى الذاكرة للفور أوجه الشبه القوية بين تلك الحدود وحدود مملكة الصليبيين التي قامت عقب احتلال القدس سنة ١٠٩٩م

ونظرا إلى الأعمال العدائية بين إسرائيل وجيرانها نرى من المفيد أن نقارن بين الحالة العسكرية الراهنة وبين مثيلتها أيام الصليبيين القدامى علنا نرى ما إذا كان سيقيض لإسرائيل حظ أوفر مما كان للصليبيين أم سيلقون مصيرهم؟ إن مملكة الصليبيين لم يكتب لها البقاء إلا أمدا قصيرا، فقد مكثت ثمانية وثمانين عاما فقط، ثم استرد المسلمون القدس!

ومع أن المسيحيين نجحوا في الاحتفاظ بقطاع صغير شرقي البحر المتوسط مدة مائة عام أخرى إلا أنهم فشلوا في الدفاع عن عكا أخيرا وأخذوا يغادرون هذه البلاد تحت جنح الظلام عائدين إلى أوروبا.

إن سقوط تلك المملكة كان يعود إلى بضع نقائص ظاهرة فإذا أريد لإسرائيل أن تعيش مدة أطول، فما عليها إلا أن تحتاط ضد هذه النقائص.

لقد دخل الصليبيون فلسطين في ظروف ملائمة جدا لهم، تميزت بوقوع الفرقة بين المسلمين، وعجزهم عن إقامة جبهة مقاومة موحدة! وهكذا استطاع المهاجمون أن يهزموا المسلمين بسهولة، دويلة بعد دويلة، وأن يمكنوا لأنفسهم في الأقطار التي فتحوها.

غير أنه لم يمض وقت طويل حتى ظهر زعيم عسكري مسلم استطاع أن يوحد المسلمين أمام خصومهم بسرعة، ثم حشد قواهم في معركة حطين،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأصاب الصليبيين بهزيمة ساحقة، تقرر على أثرها مصير القدس، بل انحسر بعدها المد الصليبي جملة، ودخل صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس، التي عجز أعداؤه عن استبقائها أو استعادتها فتركوها يائسين.

يقول الكاتب الكاثوليكي «كان الصليبيون يستطيعون البقاء مدة أطول في تلك البلاد لو لم يعانوا نقصا شديدا متواصلا في الرجال، ولو أنهم وسعوا حدود مملكتهم وفق ما تمليه الضرورات العسكرية الماسة، لماذا لم يحتلوا دمشق؟ لقد كان احتلال دمشق مفتاح مشكلتهم وضمان بقائهم!

وسيظل عدم تقديرهم لهذه الحقيقة لغزا لنا! نعم إنهم بذلوا جهودا واهية لاحتلال تلك المدينة، بيد أن محاولاتهم كانت من الضعف بحيث كتب عليها الفشل.. وبدلا من أن يتابعوا جهودهم لاحتلال دمشق اتجهوا جنوبا واحتلوا العقبة وشرعوا يوجهون حملاتهم إلى مصر، مع أن الإشراف على النيل هدف عسير التحقيق!

وعندما أصبحت للمسلمين اليد العليا في ذلك العهد استطاعوا إجلاء الصليبيين عن العقبة وعن سائر حصونهم في الجنوب، إلا أن الكارثة الكبرى جاءت من الشرق، فإن معركة حطين وقعت بالقرب من بحيرة طبرية عند الزاوية الشمالية الشرقية لمملكة الصليبيين.

ولما كانت دمشق والأرض الممتدة بين الأردن والصحراء السورية ملكا للمسلمين فقد استطاعوا أن يتحركوا بحرية على ثلاث جبهات حول المملكة الصليبية التي أضحت شبه محصورة..

وذلك ما أعجزها عن المقاومة!»

يقول الكاتب الحزين لما أصاب أسلافه: «ولو أن الصليبيين اندفعوا قدما وقطعوا الممر الذي يؤدي إلى الشرق من دمشق لاستطاعوا منع مرور الجيوش والقوات بين سورية ومصر، ولكانت حدودهم الشرقية المستندة إلى الصحراء أكثر أمانا، ولأمكنهم الانتفاع من أساطيلهم البحرية» ثم يستأنف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكاتب الحاقد كلامه فيقول: «لقد أقيمت إسرائيل في وقت كان العرب في الدول المجاورة عاجزين عن القيام بعمل موحد، ثم بقدر كبير من الجهد والشجاعة استطاع اليهود أن يبلغوا حدودهم الحالية، لكن هذه الحدود تطابق حدود المملكة القديمة للصليبيين وقد عرفنا مآلها فما العمل؟»

يقول الكاتب محرضا اليهود على مزيد من العدوان: «مرة أخرى، ما لم تتحرك إسرائيل في الاندفاع نحو دمشق فستبقى للعرب تلك الحرية الخطرة في تنقيل قواهم حول ثلاث جهات من إسرائيل، وفي ذلك ما فيه».

ويستطرد: «قد يكون من العسير سياسيا أن تتحرك إسرائيل لغزو سورية واحتلال دمشق، لكن الاتجاهات السياسية السورية قد تساعد على تسويغ ذلك، وإن مثل هذه النزهة الحربية (!) ستنطوي على فائدة دائمة لإسرائيل أعظم من الفائدة التي تجنيها من التغلغل في صحراء سيناء».

ويختم الكاتب نصائحه لأصدقائه اليهود فيقول: «إن اسرإئيل لن تنقصها القوى البشرية، فلديها جيش كبير، بالإضافة إلى هجرة منظمة من جميع أنحاء العالم تمدها بكل ما تفتقر إليه من طاقات، ويجب أن تظل قادرة على وضع جيش قوي في الميدان يكون دائما على أهبة الاستعداد».

لو أن كاتب هذا الكلام يهودي قح ما استغرب المرء حرفا منه! إن وجه العجب في هذا التوجيه المشحون بالود لإسرائيل، والبغض للعرب والمسلمين، أن الكاتب رجل مسيحي ينشر رأيه في مجلة كاثوليكية.

وهو يفكر ويقارن ويقترح، كأن القضاء على العروبة والإسلام جزء من عقله الباطن والظاهر، ثم هو لا يشعر بذرة من حياء في إعلان سخائمه! إن مشاعر البغضاء المضطرمة في جوفه تغريه بالاسترسال والمجازفة دون أي تهيب.

ويحزننا أن هذا الكلام ليس إبداء لوجهة نظر خاصة، فإن الكاثوليك في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أرجاء الأرض انتهزوا فترة الضعف التي يمر بها الإسلام كيما يحولوها إلى هزيمة طاحنة وفناء أخير.

والروح الذي أملى بكتابة هذا المقال هو نفس الروح الذي كمن في مقررات المجمع المسكوني الذي عقده بابا رومة وصالح فيه اليهود، وأمر الكنائس بعده ألا تلعنهم في صلواتها.

وهو الروح الذي جعل البابا بولس يزور القدس، ويدخل الأرض المحتلة ويتعامل مع سلطات إسرائيل، وهو تصرف لم يفعله أحد الباباوات من مئات السنين! وللقارئ المسلم أن يسأل: أذلك موقف الكاثوليك وحدهم، أم أن أصابع الاستعمار الغربي قد أفسدت التفكير الديني لدى كثير من المفكرين الغربيين؟ قرأت كتابا وجيزا للمؤلف المنصف الدكتور وليم سليمان وردت به هذه الحقائق، نذكرها مع تعليق سريع لا بد من إيراده.. قال: «في ديسمبر سنة ١٩٦١ عقد مجلس الكنائس العالمي مؤتمره الثالث في نيودلهي، وأصدر قرارا حدد فيه موقفه من اليهود جاء فيه: لا بد من تهيئة التعليم الديني المسيحي وتقريبه للأذهان على وجه يبرئ اليهود من تبعات الأحداث التاريخية التي أدت إلى صلب المسيح إذ إن هذه التبعات تقع على عاتق الإنسانية كلها(!) وقد صرح الراعي البروتستانتي الأمريكي ل. ج. بنيت الأستاذ بمعهد اللاهوت بنيويورك قائلا: إن الكنائس مسؤولة بوجه خاص عن العداء للسامية، فقد ظلت تعاليم المسيحية موجهة عدة قرون ضد اليهود، وهو عداء يعد من مخلفات الأحقاد الدينية القديمة».

نقول نحن: وما ذنب المسلمين في هذا؟ وهل عرب فلسطين يدفعون ثمن هذا الخطأ الكنسي من وطنهم وكرامتهم وحاضرهم ومستقبلهم؟

ذلك ما يريده مجلس الكنائس العالمي الموقر! فإن هذا المجلس عقد مؤتمرا في بيروت وزار أعضاؤه مخيمات اللاجئين ثم قرر أنه ليس هناك حل دائم لمشكلة الفلسطينيين إلى أن يبت في القضية الخاصة بالخلاف بين العرب وإسرائيل.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال المؤتمر الطيب القلب: إن ذلك سيشمل خطة عامة لتعويض اللاجئين سواء عادوا إلى وطنهم أم لم يعودوا وإن هناك صدقات سوف يأخذها أصحاب الأرض والمطرودون!

وفي سنة ١٩٦٤ عقد مجلس الكنائس العالمي فصله الدراسي الثالث عشر بجنيف وافتتح الجلسة عميد الكلية اللاهوتية بجامعتها فقال لا فض فوه «حين تثور مشكلة اليهود فإن الكنيسة لا تستطيع أن تتجاهل ثقل مسؤوليتها العظيمة عن آلامهم، وضياعهم طول تاريخهم، ولذلك فإن أول ما يصدر عنها نحوهم هو طلب المغفرة!

يجب على الكنيسة أن تطلب المغفرة من اليهود! بهذه العبارة الضارعة الذليلة يفتتح مجلس الكنائس العالمي الجلسة التي يحدد فيها موقفه من دولة إسرائيل.. ونتساءل نحن مرة أخرى: إذا أجرم غيرنا وجب علينا نحن القصاص؟

﴿ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ﴾ (**الأعراف: ٤٤، ٤٥**) لقد فكرت في هذا الأمر مليا! إن حقنا ليس غامضا حتى يلتمس عذر لمستبيحه! هل المال اليهودي من وراء هذه الذمم الخربة مهما كانت مناصبها الدينية؟ ربما.. أم أن الضغائن العمياء على الإسلام وأمته سيرت الخطب والمقالات في هذا المجال الفوضوي المكابر الوقح؟ ربما.

لكن الدكتور وليم سليمان في كتابه «الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية»

يذكر لنا كلاما آخر يستحق الدرس والتأمل.

إنه ينقل عن مؤرخ الإرساليات ستيفن نيل هذه العبارات من تقرير له: «لقد تيقن الرجل الغربي أن سجله الاستعماري حافل بالعار، وأصبح أقل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثقة مما كان في وحدانية الإنجيل المسيحي ونهائيته، وفي حقه- أي حق الرجل الغربي- أن يفرض على ورثة الأديان العظيمة الأخرى شيئا قد يثبت في النهاية أنه ليس أكثر من خرافة[١] غربية A. WESTRN MYTH .

وبدأ في أوساط رجال اللاهوت هجوم صريح على الألوهية بكل مظاهرها في المسيحية! وانتشر تيار فكري يجعل نقطة بدايته «موت الإله»(!) وينادي بمسيحية لا دين فيها! وينادي بهذه الأفكار بنهوفر ويلثمان والأسقف الإنجليزي جون روبنسون[٢] ويخيل للمراقب من بعيد أن القوم يثورون على الإله لأنه تخلى عنهم وساعد أعداءهم».

ويستطرد الدكتور وليم سليمان فيقول عن الغربيين: «الدين في نظرهم لم تعد له قيمة في ذاته، إنه شيء يمكن الاستفادة منه لتحقيق الأهداف الدنيوية التي ينشدها الغرب في شتى أنحاء العالم...»

وخلاصة هذا الكلام أن المسيحية انتحرت في أوروبا! فأي تدين هذا الذي ينخلع ابتداء عن الإيمان بالحي القيوم؟ ويعتبر التعامل معه منتهيا لأنه تلاشى ومات؟

إن ذلك هو التفسير الحقيقي لانضواء رجال الكهنوت تحت راية الاستعمار وركضهم الخسيس في خدمة قضاياه.

وعندما تتسابق شتى الكنائس الغربية لإرضاء إسرائيل وتملق اليهود فهل يدل ذلك إلا على شيء واحد.. أن رجال الدين باعوا ضمائرهم للشيطان؟

---

(١) تاريخ الارساليات ص ٤٥٠ - ٤٦٥

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب روبنسون «Houest to God» الذي طبع منه في مارس سنة ١٩٦٣ أربع طبعات وفي إبريل سنة ١٩٦٣ طبعتان وفي كل من مايو ويوليو وسبتمبر من نفس العام طبعة، وكانت الطبعة العاشرة في سبتمبر سنة ١٩٦٤ وقارب عدد النسخ المطبوعة منه مليون نسخة وعلقت عليه مجلة تايم في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٤ ونيوزويك في إبريل سنة ١٩٦٩ ومجلات أمريكية أخرى كثيرة.

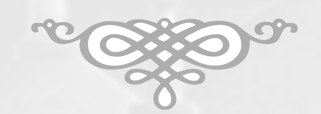
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن العرب يتعرضون لإبادة عامة، والمتفجرات تنسف منازلهم، وقد محيت قرى بأكملها من الوجود، والدفاع عن النفس يوصف بأنه إجرام وتمرد! ووسط هذه الحريق المستعرة، يبارك ساسة إسرائيل، ويقول رجال الدين والدنيا: خلقت إسرائيل لتبقى! فأين منطق الإيمان بالله واليوم الآخر في تلك المداهنة وهذا الاستخدام.

ظاهر أن القوم قد تحولوا إلى سماسرة وعملاء للاستعمار العالمي.. واعتقادي أن هذه المحنة الرهيبة ستوقظ الإسلام النائم، وإن كان غيري يرى أن المادية المتربصة هي الكاسبة من خيانة الغرب لدينه ومثله.

ولا شك أن المستقبل محفوف بأخطار شداد، بيد أننا لن نفقد توازننا ولا ثقتنا في أصالتنا الدينية ولا آمالنا في جنب الله.

واعتقادي كذلك أن الاستعمار سيفشل في محاولاته الدائبة لجر الكنائس الشرقية إلى جانبه، وإشراكها في مآسيه، وإذا كان قد ضلل البعض فإن الجمهرة الغالبة ستبقى على وفائها لتعاليمها ومواطنيها وتاريخها الصبور.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(١٩)

حوار...!

العدد (٦٥) جمادى الأولى (١٣٩٠هـ) يونيو (١٩٧٠م)

دار بيني وبين أحد الملاحدة جدال طويل، ملكت فيه نفسي وأطلت صبري حتى ألقف آخر ما في جعبته من إفك، وأدمغ بالحجة الساطعة كل ما يورد من شبهات.

قال: إذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله؟ قلت له: كأنك بهذا السؤال، أو بهذا الاعتراض تؤكد أنه لا بد لكل شيء من خالق! قال: لا تلفني في متاهات، أجب عن سؤالي! قلت له: لا لف ولا دوران إنك ترى أن العالم ليس له خالق، أي إن وجوده من ذاته دون حاجة إلى موجد، فلماذا تقبل القول بأن هذا العالم موجود من ذاته أزلا، وتستغرب من أهل الدين أن يقولوا: إن الله الذي خلق العالم ليس لوجوده أول؟ إنها قضية واحدة، فلم تصدق نفسك حين تقررها، وتكذب غيرك حين يقررها؟ وإذا كنت ترى أن إلها ليس له خالق خرافة، فعالم ليس له خالق خرافة كذلك، وفق المنطق الذي تسير عليه!

قال: إننا نعيش في هذا العالم ونحس وجوده فلا نستطيع أن ننكره!

قلت له: ومن طالبك بإنكار وجود العالم؟ إننا نركب عربة أو باخرة أو طائرة تنطلق بنا في طريق رهيب، فتساؤلنا ليس في وجود العربة، وإنما هو: هل تسير وحدها أم يسيرها قائد بصير؟

ومن ثم فإنني أعود إلى سؤالك الأول لأقول لك: إنه مردود عليك، فأنا وأنت معترفون بوجود قائم، لا مجال لإنكاره، تزعم أنت أنه لا أول له بالنسبة إلى المادة، وأرى أنا أنه لا أول له بالنسبة إلى خالقها فإذا أردت أن تسخر من وجود لا أول له فاسخر من نفسك قبل أن تسخر من المتدينين!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال: تعني أن الافتراض العقلي واحد بالنسبة إلى الفريقين؟

قلت: إنني أسترسل معك لأكشف الفراغ والادعاء اللذين يعتمد عليهما الإلحاد وحسب، أما الافتراض العقلي فليس سواء بين المؤمنين والكافرين.. إنني- أنا وانت- ننظر إلى قصر قائم، فأرى- بعد نظرة خبيرة- أن مهندسا أقامه، وترى أنت أن خشبة وحديدة وحجرة وطلاءة قد انتظمت في مواضعها وتهيأت لساكنيها من تلقاء نفسها!

الفارق بين نظرتينا إلى الأمور أنني وجدت قمرا صناعيا يدور في الفضاء، فقلت أنت انطلق وحده دونما إشراف أو توجيه، وقلت أنا: بل أطلقه عقل مشرف مدبر!

إن الافتراض العقلي ليس سواء، إنه بالنسبة إليّ الحق الذي لا محيص عنه، وبالنسبة إليك الباطل الذي لا شك فيه، وإن كان كفار عصرنا مهرة في شتمنا نحن المؤمنين ورمينا بكل نقيصة، في الوقت الذي يصفون أنفسهم بالذكاء والتقدم والعبقرية.. إننا نعيش فوق أرض مفروشة، وتحت سماء مبنية، ونملك عقلا نستطيع به البحث والحكم، وبهذا العقل نرفض التقليد الغبي كما نرفض الدعاوى الفارغة.

واذا كان الناس يهزأون بالرجعيين عبيد الماضي ويتندرون بتحجرهم الفكري، فلا عليهم أن يهزأوا كذلك بمن يميتون العقل باسم العقل، ويدوسون منطق العلم باسم العلم، وهم للأسف جمهرة الملاحدة!

لكنا نحن المسلمين نبني إيماننا بالله على اليقظة العقلية والحركة الذهنية، ونستقرئ آيات الوجود الأعلى من جولان الفكر الإنساني في نواحي الكون كله.

في صفحة واحدة من سورة واحدة من سور القرن الكريم وجدت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تنويها بوظيفة العقل اتخذ ثلاث صور متتابعة في سلم الصعود.

هذه السورة هي سورة الزمر، وأول صورة تطالعك هي إعلاء شأن العلم، والغض من أقدار الجاهلين ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب**﴾ (**الزمر**: ٩).

ثم تجيء الصورة الثانية لتبين أن المسلم ليس عبد فكرة ثابتة، أو عادة حاكمة بل هو إنسان يزن ما يعرض عليه ويتخير الأوثق والأزكى ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (**الزمر**: ١٧، ١٨).

ثم يطرد ذكر أولي الألباب للمرة الثالثة في ذات السياق على أنهم أهل النظر في ملكوت الله، الذين يدرسون قصة الحياة في مجاليها المختلفة لينتقلوا من المخلوق إلى الخالق ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (**الزمر**:٢١).

وظاهر من الصور الثلاث في تلك الصفحة من الوحي الخاتم أن الايمان مبتوت الصلة بالتقليد الأعمى أو النظر القاصر أو الفكر البليد.

إنه يلحظ إبداع الخالق في الزروع والزهور والثمار، وكيف ينفلق الحمأ المسنون عن ألوان زاهية أو شاحبة توزعت على أوراق وأكمام حافلة بالروح والريحان، ثم كيف يحصد ذلك كله ليكون أكسية وأغذية للناس والحيوان، ثم كيف يعود الحطام والقمام مرة أخرى زرعا جديد الجمال والمذاق تهتز به الحقول والحدائق! من صنع ذلك كله؟

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال صاحبي- وكأنه سكران يهذي-: الأرض صنعت ذلك!

قلت: الأرض أمرت السحاب أن يهمي، والشمس أن تشع، وورق الشجر أن يختزن الكربون ويطرد الأوكسجين، والحبوب أن تمتلئ بالدهن والسكر والعطر والنشا؟

قال: أقصد الطبيعة كلها في الأرض والسماء!

قلت: إن طبق الأرز في غدائك أو عشائك تعاونت الأرض والسماء وما بينهما على صنع كل حبة فيه، فما دور كل عنصر في هذا الخلق؟ ومن المسؤول عن جعل التفاح حلوا والفلفل حريفا، أهو تراب الأرض أم ماء السماء؟

قال: لا أعرف ولا قيمة لهذه المعرفة!

قلت: ألا تعرف أن ذلك يحتاج إلى عقل مدبر، ومشيئة تصنف؟ فأين ترى العقل الذي أنشأ، والإرادة التي نوعت، في أكوام السباخ أو في حزم الأشعة؟

قال: إن العالم وجد وتطور على سنة النشوء والارتقاء، ولا نعرف الأصل ولا التفاصيل!

قلت له: أشرح لكم ما تقولون! تقولون: إنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان مجموعة من العناصر العمياء تضطرب في أجواز الفضاء، ثم مع طول المدة وكثرة التلاقي سنحت فرصة فريدة لن تتكرر أبد الدهر، فنشأت الخلية الحية في شكلها البدائي ثم شرعت تتكاثر وتنمو حتى بلغت ما نرى!

هذا هو الجهل الذي أسميتموه علما، ولم تستحوا من مكابرة الدنيا به!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أعمال حسابية معقدة تقولون: إنها حلت تلقائيا، وكائنات دقيقة وجليلة تزعمون أنها ظفرت بالحياة في فرصة سنحت ولن تعود! وذلك كله فرارا من الإيمان بالله الكبير!

قال وهو ساخط: أفلو كان هناك إله كما تقول كانت الدنيا تحفل بهذه المآسي والآلام، ونرى ثراء يمرح فيه الأغبياء وضيقا يحتبس فيه الأذكياء، وأطفالا لا يمرضون ويموتون، ومشوهين يحيون منغصين... إلخ.

قلت: لقد صدق فيكم ظني، إن إلحادكم يرجع إلى مشكلات نفسية واجتماعية أكثر مما يعود إلى قضايا عقلية مهمة! ويوجد منذ عهد بعيد من يؤمنون ويكفرون وفق ما يصيبهم من عسر ويسر ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ (**الحج**: ١١).

قال: لسنا أنانيين كما تصف، نغضب لأنفسنا أو نرضى لأنفسنا، إننا نستعرض أحوال البشر كافة ثم نصدر حكمنا الذي ترفضه.

قلت: آفاتكم أنكم لا تعرفون طبيعة هذه الحياة الدنيا ووظيفة البشر فيها، إنها معبر مؤقت إلى مستقر دائم، ولكي يجوز الإنسان هذا المعبر إلى إحدى خاتمتيه لا بد أن يبتلى بما يصقل معدنه ويهذب طباعه، وهذا الابتلاء فنون شتى، وعندما ينجح المؤمنون في التغلب على العقبات التي ملأت طريقهم، وتبقى صلتهم بالله واضحة مهما ترادفت البأساء والضراء فإنهم يعودون إلى الله بعد تلك الرحلة الشاقة ليقول لهم ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ (**الزخرف**: ٦٨).

قال: وما ضرورة هذا الابتلاء؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قلت: إن المرء يسهر الليالي في تحصيل العلم، ويتصبب جبينه عرقا ليحصل على الراحة، وما يسند منصب كبير إلا لمن تمرس بالتجارب وتعرض للمتاعب، فإن كان ذلك هو القانون السائد في الحياة القصيرة التي تحياها على ظهر الأرض فأي غرابة أن يكون ذلك هو المهاد الصحيح للخلود المرتقب؟

قال مستهزئا: أهذه فلسفتكم في تسويغ المآسي التي تخالط حياة الخلق، وتصبير الجماهير عليها؟

قلت: سأعلمك بتفصيل أوضح حقيقة ما تشكو من شرور، إن هذه الآلام قسمان: قسم من قدر الله في هذه الدنيا، لا تقوم الحياة إلا به، ولا تتضح رسالة الإنسان إلا على حره، فالأمر كما يقول الأستاذ العقاد «تكافل بين أجزاء الوجود، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر، ولا معنى للكرم بغير الحاجة، ولا معنى للصبر بغير الشدة، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها، وقد يطرد هذا القول في لذاتنا المحسوسة كما يطرد في فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية، إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع، ولا نستمتع بالري ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح...»

وهذا التفسير لطبيعة الحياة العامة ينضم إليه أن الله جل شأنه يختبر كل امرئ بما يناسب جبلته ويوائم نفسه وبيئته، وما أبعد الفروق بين إنسان وإنسان، وقد يصرخ إنسان مما لا يكترث به آخر، ولله في خلقه شؤون، والمهم أن أحداث الحياة الخاصة والعامة محكومة بإطار شامل من العدالة الإلهية التي لا ريب فيها إلا أن هذه العدالة كما يقول

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأستاذ العقاد «لا تحيط بها النظرة الواحدة إلى حالة واحدة، ولا مناص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل في تصريف الإرادة الإلهية، إن البقعة السوداء في الصورة الجميلة وصمة قبيحة إذا حجبنا الصورة ونظرنا إلى تلك البقعة بمعزل عنها، ولكن هذه البقعة السوداء قد تكون في الصورة كلها لونا من ألوانها التي لا غنى عنها أو التي تضيف مزيدا إلى جمال الصورة، ولا يتحقق لها جمال بغيرها، ونحن في حياتنا القريبة قد نبكي لحادث يصيبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته».

تلك هي النظرة الصحيحة إلى المتاعب غير الإرادية التي يتعرض لها الخلق.

أما القسم الثاني من الشرور التي تشكو منها يا صاحبي فمحوره خطؤك أنت وأشباهك من المنحرفين.

قال مستنكرا: أنا وأشباهي لا علاقة لنا بما يسود العالم من فوضى! فكيف تتهمنا؟

قلت: بل أنتم مسؤولون، فإن الله وضع للعالم نظاما جيدا يكفل له سعادته، ويجعل قويه عونا لضعيفه وغنيه برا بفقيره، وحذر من اتباع الأهواء واقتراف المظالم واعتداء الحدود، ووعد على ذلك خير الدنيا والآخرة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ **(النحل: ٩٧)**.

فإذا جاء الناس فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وتعاونوا على العدوان بدل أن يتعاونوا على التقوى فكيف يشكون ربهم إذا حصدوا المر من آثامهم؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

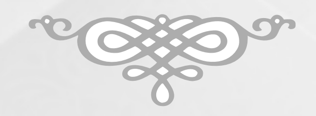
إن أغلب ما أحدق بالعالم من شرور يرجع إلى شروده عن الصراط المستقيم، وفي هذا يقول الله جل شأنه ﴿ وَمَا أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ **(الشورى: ٣٠)**.

إن الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- جرد جيشا لقتال مانعي الزكاة، وبهذا المسلك الراشد أقر الحقوق وكبح الأثرة ونفذ الإسلام، فإذا تولى غيره فلم يتأس به في صنيعه كان الواجب على النقاد أن يلوموه لا أن يلوموا الأقدار التي ملأت الحياة بالبؤس!

قال: ماذا تعني؟

قلت: أعني أن شرائع الله كافية لإراحة الجماهير، ولكنكم بدل أن تلوموا من عطلها تجرأتم على الله واتهمتم دينه وفعله!

إنكم معشر الماديين مرضى، تحتاج ضمائركم وأفكاركم إلى علاج بعد علاج.. وعدت إلى نفسي بعد هذا الحوار الجاد أسألها: إن الأمراض توشك أن تتحول إلى وباء، فهل لدينا من يأسو الجراح ويشفي السقام، أو أن الأزمة في الدعاة المسلمين ستظل خانقة؟



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٢٠)

التربية الدينية أولًا

العدد (٦٧) رجب (١٣٩٠هـ) سبتمبر (١٩٧٠م)

في صدر تاريخنا، وعلى امتداده مع الزمن، كان العالم الإسلامي يعرف بحبه للجهاد، وارتضائه لأشق التضحيات كي يحق الحق ويبطل الباطل.

كان هذا العالم الرحب عارم القوى الأدبية والمادية حتى يئس المعتدون من طول الاشتباك معه فقد كبح جماحهم، وقلم أظافرهم، ورد فلولهم مذعورة من حيث جاءت، أو ألحق بهم من المغارم والآلام ما يظل بينهم عبرة متوارثة وتأديبا مرهوبا.

ويرجع ذلك إلى أمور عدة، أولها أن الحقائق الدينية عندنا لا تنفك أبدا عن أسباب صيانتها ودواعي حمايتها، فهي مغلفة بغطاء صلب يكسر أنياب الوحوش إذا حاولت قضمها وذلك هو السر في بقاء عقائدنا سليمة برغم المحاولات المتكررة لاستباحتها، تلك المحاولات التي نجحت في اجتياح عقائد أخرى أو الانحراف بها عن أصلها.

ثم إن الإسلام جعل حراسة الحق أرفع العبادات أجرا، أجل فلولا يقظة أولئك الحراس وتفانيهم ما بقي للإيمان منار، ولا سرى له شعاع «قيل يا رسول الله: ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه! فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه! ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله»[١].

وإذا كان فقدان الحياة أمرا مقلقا لبعض الناس، فإن ترك الدنيا بالنسبة

---

(١) صحيح مسلم برقم ١٨٧٨.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلى المجاهدين بداية تكريم إلهي مرموق الجلال شهي المنال، حتى إن النبي ﷺ حلف يرجو هذا المصير «والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»[١] فأي إغراء بالاستماتة في إعلاء كلمة الله ونصرة الدين أعظم من هذا الإغراء؟

لقد كانت صيحة الجهاد المقدس قديما تجتذب الشباب والشيب، وتستهوي الجماهير من كل لون، فإذا سيل لا آخر له من أولي الفداء والنجدة يصب في الميدان المشتعل، فما تضع الحرب أوزارها إلا بعد أن تكوي أعداء الله، وتلقنهم درسا لا ينسى.

هل أصبحت هذه الخصائص الإسلامية ذكريات مضت، أم أنها محفورة في عقلنا الباطن تحتاج إلى من يزيل عنها الغبار وحسب؟

إن الاستعمار الذي زحف على العالم الإسلامي خلال كبوته الأخيرة بذل جهودا هائلة لشغل المسلمين عن هذه المعاني، أو لقتل هذه الخصائص النفسية في حياتهم العامة، وذلك ليضمن فرض ظلماته ومظالمه دون أية مقاومة!

وقد توسل إلى ذلك بتكثير الشهوات أمام العيون الجائعة، وتوهين العقائد والفضائل التي تعصم عن الدنايا، وإبعاد الإسلام شكلا وموضوعا عن كل مجال جاد، وتضخيم كل نزعة محلية أو شخصية تمزق الأخوة الجامعة، وتوهي الرباط العام بين أشتات المسلمين.. وقد أصاب خلال القرن الأخير نجاحا ملحوظا في سبيل غايته تلك.

ومن ثم لم تنجح محاولات تجميع المسلمين لصد العدو الذي جثم على أرضهم، واستباح مقدساتهم. وما قيمة هذا التجميع إذا كان الذين ندعوهم قد تحللوا من الإيمان وفرائضه، والقرآن وأحكامه؟ إن تجميع الأصفار لا

(١) الحديث من رواية البخاري.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ينتج عددا له قيمة! وإن الجهد الأول المعقول يكمن في رد المسلمين إلى دينهم، وتصحيح معالمه ومطالبه في شؤونهم، ما ظهر منها وما بطن.

عندئذ يدعون فيستجيبون، ويكافحون فينتصرون، ويحتشدون في معارك الشرف، فيبتسم لهم النصر القريب، وتتفتح لهم جنات الرضوان.

إن الرجل ذا العقيدة عندما يقاتل لا يقف دونه شيء، أعجبتني هذه القصة الرمزية الوجيزة، أسوقها هنا لما تنضح به من دلالة رائعة.

حكوا أنه فيما مضى كانوا يعبدون شجرة من دون الله، فخرج رجل مؤمن من صومعته وأخذ معه فأسا ليقطع بها تلك الشجرة، غيرة لله وحمية لدينه! فتمثل له إبليس في صورة رجل وقال له: إلى أين أنت ذاهب؟ قال: أقطع تلك الشجرة التي تعبد من دون الله، فقال له: اتركها وأنا أعطيك درهمين كل يوم، تجدهما تحت وسادتك إذا استيقظت كل صباح!

فطمع الرجل في المال، وانثنى عن غرضه، فلما أصبح لم يجد تحت وسادته شيئا، وظل كذلك ثلاثة أيام، فخرج مغضبا ومعه الفأس ليقطع الشجرة.. فاستقبله إبليس قائلا: إلى أين أنت ذاهب؟ قال أقطع الشجرة! قال: ارجع فلو دنوت منها قطعت عنقك.

لقد خرجت في المرة الأولى غاضبا لله فما كان أحد يقدر على منعك!

أما هذه المرة فقد أتيت غاضبا للدنيا التي فاتتك، فما لك مهابة، ولا تستطيع بلوغ إربك فارجع عاجزا مخذولا.

إن الغزو الثقافي للعالم الإسلامي استمات في محو الإيمان الخالص وبواعثه المجردة، استمات في تعليق الأجيال الجديدة بعرض الدنيا ولذة الحياة، استمات في إرخاص المثل الرفيعة وترجيح المنافع العاجلة.

ويوم تكثر النماذج المعلولة من عبيد الحياة ومدمني الشهوات فإن العدوان يشق طريقه كالسكين في الزبد، لا يلقى عائقا ولا عنتا.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وهذا هو السبب في جؤارنا الدائم بضرورة بناء المجتمع على الدين وفضائله، فإن ذلك ليس استجابة للحق فقط، بل هو السياج الذي يحمينا في الدنيا كما ينقذنا في الآخرة.

إن ترك صلاة ما قد يكون إضاعة فريضة مهمة، وإشباع نزوة خاصة قد يكون ارتكاب جريمة مخلة، لكن هذا وذاك يمثلان في الأمة المنحرفة انهيار المقاومة المؤمنة والتمهيد لمرور العدوان الباغي دون رغبة في جهاد أو أمل في استشهاد، ولعل ذلك سر قوله تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ (**مريم: ٥٩**).

إن كلمة الجهاد المقدس إذا قيلت- قديما- كان لها صدى نفسي واجتماعي بعيد المدى، لأن التربية الدينية السائدة رفضت التثاقل إلى الأرض والتخاذل عن الواجب، وعدت ذلك طريق العار والنار وخزي الدنيا والآخرة.

وهذه التربية المغالية بدين الله، المؤثرة لرضاه أبدا هي التي تفتقر إليها أمتنا الإسلامية الكبرى في شرق العالم وغربه.

وكل مؤتمر إسلامي لا يسبقه هذا التمهيد الحتم فلن يكون إلا طبلا أجوف!

والتربية الدينية التي ننشدها ليست ازورارا عن مباهج الحياة التي تهفو إليها نفوس البشر، ولكنها تربية تستهدف إدارة الحياة على محور من الشرف والاستقامة، وجعل الإنسان مستعدا في كل وقت لتطليق متعه إذا اعترضت طريق الواجب.

كنت أقرأ مقالا مترجما في أدب النفس فاستغربت للتلاقي الجميل بين معانيه وبين مواريثنا الإسلامية المعروفة التي يجهلها، للأسف، كثير من الناس.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تأمل معي هذه العبارة، يقول جوته الشاعر الألماني: من كان غنيا في دخيلة نفسه فقلما يفتقر إلى شيء من خارجها!

أليس ذلك ترجمة أمينة لقول رسول الله ﷺ:

«ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»!

عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ترى كثرة المال هو الغنى؟ قلت نعم يا رسول الله! قال: فترى قلة المال هو الفقر؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: "إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب"[1].

واسمع هذه العبارة من المقال المذكور: النفس هي موطن العلل المضنية، وهي الجديرة بالعناية والتعهد، فإذا طلبت منها أن تسوس بدنك سياسة صالحة فاحرص على أن تعطيها من القوت ما تقوى به وتصح، هذا القوت شيء آخر غير الأخبار المثيرة والملاهي المغرية والأحاديث التافهة والملذات البراقة الفارغة، ثم انظر إليها كيف تقوى بعد وتشتد، إن التافه الخسيس مفسدة للنفس! واعلم أن كل فكرة تفسح لها مكانا في عقلك، وكل عاطفة تتسلل إلى فؤادك، تترك فيك أثرها، وتسلك بك أحد طريقين إما أن تعجزك عن مزاولة الحياة وإما أن تزيدك اقتدارا وأملا.. أليس هذا الكلام المترجم شرحا دقيقا لقول البوصيري.

وإذا حلت الهداية نفسا   نشطت للعبادة الأعضاء!

وتمهيدا حسنا لقول ابن الرومي:

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج   طريقان شتى.. مستقيم وأعوج

واقرأ هذه الكلمة أيضا من المقال المترجم[2]: رب رجل وقع من الحياة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم (٧٩٢٩) وصححه.

(٢) مختصرة عن مجلة «ذي فورم».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في مثل الأرض الموحلة فكادت تبتلعه، ولكنه ظل يجاهد للنجاة مستيئسا، وبينما هو كذلك انهارت قواه، وشق عليه الجهاد، وأسرعوا به إلى الطبيب.. إن الطبيب لم يجد بجسده علة ظاهرة، كل ما يحتاج إليه الرجل من أول أمره، ناصح يعلمه كيف ينازل الحياة وجها لوجه لا تثنيه عقبة ولا رهبة!

إن هذا الكلام ذكرني بما روي عن جعفر الصادق: من طلب ما لم يخلق تعب ولم يرزق! قيل وما ذاك؟ قال: الراحة في الدنيا.

وأنشدوا:

يطلب الراحة في دار الفنا   خاب من يطلب شيئا لا يكون!

إن التربية التي ننشدها نحن المسلمين ليست بدعا من التفكير الإنساني الراشد، إنها صياغة الأجيال في قوالب تجعلها صالحة لخدمة الحق، وأداء ضرائبه، واحتقار الدنيا يوم يكون الاستمساك بها مضيعة للإيمان، ومغاضبة للرحمن.

والاستعمار يوم وضع يده على العالم الإسلامي من مائة سنة صب الأجيال الناشئة في قوالب أخرى، نمت بعدها وهي تبحث عن الشهوات، وتخلد إلى الأرض، فلما ختلها عن دينها بهذه التربية الدنيئة استمكن من دنياها، فأمست جسدا ونفسا لا تملك أمرها، ولا تحكم يومها ولا غدها.

بل إنها في تقليدها للعالم الأقوى تقع في تفاوت مثير عندما تنقل المباذل، ومظاهر التفسخ في الحضارة الأوروبية.. تنقلها بسرعة الصوت، أما عندما تنقل علما نافعا، وخيرا يسيرا، فإن ذلك يتم بسرعة السلحفاة، وكثير من الشعوب الإسلامية تبيع ثرواتها المعدنية والزراعية بأكوام من المواد المستهلكة، وأدوات الزينة والترف مع فقرها المدقع إلى ما يدفع عنها جشع العدو ونياته السود في اغتيالها وإبادتها!

وظاهر أن هذا السلوك استجابة طبيعية لأسلوب التربية الذي أخذت به

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من الصفر، وأثر محتوم لاتخاذ القرآن مهجورا، ونبذ تعاليمه وقيمه، وهل ينتج ذلك إلا طفولة تفرح باللعب المصنوعة، والطرف الجديدة، والملابس المزركشة، والمظاهر الفارغة؟ ولا بأس بعد توفير هذا كله من استصحاب بعض الآثار الدينية السهلة! ولتكن هذه الآثار الاحتفال بذكرى قديمة أو زيارة قبر شهير!

ثم يسمى هذا السلوك التافه تدينا!

لقد جرب المسلمون الانسلاخ عن دينهم، واطراح آدابه، وترك جهاده فماذا جر عليهم ذلك؟ حصد خضراءهم في الأندلس، فصفرت منهم بلاد طالما ازدانت بهم وعنت لهم، وما زال يرن في أذني قول الشاعر:

قلت يوما لدار قوم تفانوا — أين سكانك العزاز علينا؟

فأجابت هنا أقاموا قليلا — ثم ساروا ولست أعلم أينا!

أسمعت هذا النغم الحزين يروي في اقتضاب عقبي اللهو واللعب، عقبى إضاعة الصلاة واتباع الشهوات؟ إن عرب الأندلس لم يتحولوا عن دارهم طائعين، ولكنهم أخرجوا مطرودين، أفلا يرعوي الأحفاد مما أصاب الأجداد؟

لقد قرأت أنباء مؤتمرات عربية وإسلامية كثيرة اجتمعت لعلاج فلسطين فكنت أترك الصحف جانبا ثم أهمس إلى نفسي: هناك خطوة تسبق هذا كله، خطوة لا غنى عنها أبدا:

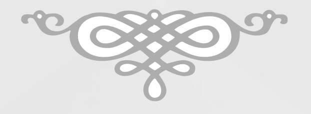
هي أن يدخل المسلمون في الإسلام.

إنني ألمح في كل ناحية استهانة بالفرائض، وتطلعا إلى الشهوات، وزهادة في المخاطرة والتعب، وإيثارا للسطوح عن الأعماق، والأشكال عن الحقائق، وهذه الخلال تهدم البناء القائم، فكيف تعيد مجدا تهدم، أو ترد عدوا توغل؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما أحرانا أن نعقل التحذير النبوي الكريم: «إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى»[1].

فإذا أصغينا إلى هذا النذير ابتعدنا عن منحدر ليست وراءه إلا هاوية لا قرار لها، ثوى فيها - من قبلنا- المفرطون والجاحدون.



(١) رواه أحمد برقم (١٩٧٧٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٢١)

المحبوسون في سجن المادة

العدد (٧٢) ذو الحجة (١٣٩١هـ) يناير (١٩٧١م)

في غضون القرن التاسع عشر للميلاد كانت نزعات الإلحاد تغلب على العقل الغربي، وبدا كأن العلم الطبيعي يتجه بالناس وجهة مادية تتنكر للدين وتضيق بتعاليمه، ولما كان الغربيون سادة الدنيا يومئذ فقد صبغوا الفكر العالمي تقريبا بهذه الصبغة الداكنة.

وقد تسأل: ماذا كان موقف المتدينين بإزاء هذا الكفر الزاحف؟

والإجابة أن المسلمين كانوا في حالة ذهول أنستهم رسالتهم المحلية والعالمية على سواء، فهم لا يريدون من دينهم شيئا طائلا ينفعون به أنفسهم بله أن ينفعوا به غيرهم!

وأما بنو إسرائيل فقد شرعوا عقب تقرر الحقوق السياسية في الأقطار الحديثة يجمعون شملهم، ليعيدوا ملك «يهوه» على الأرض، ويستعدوا لحكم العالم كله من أورشليم وما كان عليهم أن تكتسح ظلمات الشك كل ضمير!

وأما النصارى فلو تفرغوا لمواجهة هذا الخطر لكانوا كالذي يرد الطوفان بالراحتين، فكيف وهم مشغولون بالقضاء على الإسلام المريض؟

لذلك نجح الإلحاد في فرض أفكاره وأحكامه على أغلب ميادين النشاط الإنساني، وربما سمح للأديان أن تبقى ميولا فردية، واتجاهات أدبية، وحسبها ذلك.. على أن القرن العشرين للميلاد أخذ يتجه- خصوصا في أواسطه ونهايته- وجهة مغايرة، وظهر في كتابات كثير من العلماء الطبيعيين نزوع واضح إلى الإيمان بالغيب والتسليم بوجود إله حكيم قدير، عالم خبير!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وتدين العلم كسب إنساني جليل!

والصورة التي تكونت لدى العلماء الطبيعيين عن الله قد تكون أدنى إلى الحقيقة مما يهرف به كثير من رجال الأديان!

ولو كان للإسلام رجال يحسنون عرضه كما نزل في أصوله الأولى لكان الإسلام دين الحاضر والمستقبل على سواء، ولكن الفكر الإسلامي وقع في محنة رهيبة!

ولست أزعم أن كل العلماء الكونيين نزاعون إلى التدين، فهناك من ضل الطريق! ولكن تيار الإيمان لو مضى في طريقه بين هؤلاء دون عوائق سياسية، ودون إرهاب خارجي، لتغير الوضع، فإن جمهرتهم سوف تدخل في دائرة الدين بلا ريب!

والمشكلة التي نواجهها نحن في بلادنا الإسلامية هي تأخر مثقفينا في مضمار التقليد!

فعدد كبير منهم لا يزال يعيش في العقلية المادية للقرن التاسع عشر.

وعدد آخر قد يعدو هذا النطاق، ليرنو ببصره إلى المسجونين كرها داخل بعض المذاهب المادية الحاكمة، وهم قوم كفروا عن إرهاب لا عن اختيار ففيم يقلدون؟

الغريب أن نفرا من علماء الإسلام يزعمون أن الدين- كسائر القضايا الأدبية- لا صلة له بالعقل! أي أن التفكير الإلحادي للقرن التاسع عشر ما زال هو الذي يسيطر عليهم، فأي بلاء هذا؟

ونحن نناشد أحرار العقول أن يراجعوا أنواع المعرفة التي تعرض عليهم، فإن للاستعمار الثقافي دخلا في تلويثها وغشها.

إن أعظم شيء في رسالة الإسلام احترامه للعقل البشري، وحفاوتها بالعلم الطبيعي، وبناؤها اليقين على النظر الصائب في ملكوت الأرض والسماء.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولا يوجد كتاب سماوي حث العقل على النظر، وقاد العلم في مضمار البحث كهذا القرآن الكريم.

إننا بمنطق القرآن نرفض الظنون ونخضع لليقين، نرفض الأوهام ونستكين للحقيقة وحدها..

إن التدين الذي تعلمناه من كتابنا ليس تحميل العقل ما لا يطيق، ولا الهيمان في عالم الأخيلة.. إنه تدين ذكي عملي.

ثم هو يضم إلى هذا الفكر الناضج قلبا سليما، لا مكان فيه لنية خبيثة أو غرض صغير، على أساس أن الإنسان لا يسيره العلم النظري قدر ما تسيره مقاصده وآماله..

وما أكثر أن يكون الذكاء سلاحا يستعمل في الخير والشر على سواء، فإذا صدق الإيمان صلح القلب واستقام المنهج ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (**التغابن: ١١**). ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

وفي معرفة الكون وخالقه، والنفس وهداها يقول ابن عطاء الله السكندري هذه الكلمة الحاسمة:

«لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (**النجم: ٤٢**)، وانظر إلى قوله ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل في هذا الأمر إن كنت ذا فهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ ﴾ (**الذاريات: ٤٠، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١**).

هذه آيات خمس، الثلاث الأولى منها وصفت الأكوان علوها، وسفلها، وما أنبتت فيها من حياة وأحياء.

والاثنتان الأخريان انتقلتا من الأكوان إلى المكون فتحدثتا عن وجوده ثم توحيده.

ولفت الناس هنا إلى الله جاء بصيغة عجيبة ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ...﴾ وهذا الفرار إنما يكون مما يحذر ويعاب.

والحق أن الانحصار في الكون والاحتباس بين مظاهره فواحش عقلية ونفسية لا يرضاها أريب لنفسه، بل ينفر منها أولو الألباب.

إن من له أدنى مسكة يعرف- من العالمين- رب العالمين، ويعرف- من الاكوان- صاحب هذه الأكوان!

إن هذا الملكوت الضخم الفخم من ودائع ذراته إلى روائع مجراته شاهد غير مكذوب على أن له خالقا أكبر وأجل.

إنها لجهالة أن يغمط هذا الإله العظيم حقه، وإنها لنذالة أن يوجد بشر ينكره ويسفه عليه.

ولكن: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ (**النحل: ٤**).

والعاقل ينظر في الكون فيتعلم منه تسبيح الله وتحميده، ويستنتج من قوانين الحياة وأحوال الأحياء ما يستحقه المولى الأعلى من أسماء حسنى، وصفات عظمى.

والناس صنفان، صنف يعرف المادة وحدها ويجهل ما وراءها، ولا نتحدث الآن مع هؤلاء.. فقد ذكرنا نبأهم فيما مضى.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وصنف مؤمن بالله مصدق بلقائه، ولكنه هائم في بيداء الحياة، ذاهل وراء مطالب العيش، مستغرق المشاعر بين شتى المظاهر، فهو لا يكاد يتصل بسر الوجود، أو يتمحض لرب العالمين.

ومع هذا الصنف المؤمن نقف لنرسل الحديث.

هناك قوم لا تخلص لله معاملاتهم، بل هي مشوبة بحظوظ النفس ورغبات العاجلة، وهؤلاء لن يتجاوزوا أماكنهم ما بقيت نياتهم مدخولة، حتى إذا شرعت أفئدتهم تصفو بدأوا المسير إلى الأمام.

وهناك قوم يعاملون الله وهم مشغولون بأجره عن وجهه أو بمطالبهم منه عن الذي ينبغي له منهم، وهؤلاء ينتقلون عن أنفسهم من طريق ليعودوا إليها عن طريق أخرى.

إنهم مقيدون بسلاسل متينة مع أنانيتهم فهم يسيرون ولكن حولها، لو حسنت معرفتهم بالله ما حجبتهم عنه رغبات مادية ولا معنوية، بل لطغى عليهم الشعور به، وبما يجب له، وتخطوا كل شيء دونه، فلم يهدأوا إلا في ساحته، ولم يطمئنوا إلا لما يرضيه هو جل شأنه، على حد قول أبي فراس:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خـــراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تــراب

وابن عطاء الله يرى أن العامة يترددون بين مآربهم، كحركة بندول الساعة، لا تتجاوز موضعها على طول السعي، أو هم على حد تعبيره كحمار الرحى ينتقل من كون إلى كون، والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه.

والواجب على المؤمن أن يقصد وجه الله قصدا، وأن يتفصى تفصيا عن ألوف الأربطة التي تشده إلى الدنيا، وتخلد به إلى الأرض!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن خدع الحياة أن المرء قد يعمل لنفسه وهو يحسب أنه يعمل لله، ولو وضعت بواعثه الكامنة تحت مجهر مكبر لاستبان أن كثيرا من دواعي غضبه وسروره وتعبه وراحته، يصلها بوجه الله خيط واه، على حين تصلها بحظوظ النفس حبال شداد.

وهنا الخطر المخوف، إن الهجرة إذا كانت لله فقد مضت وقبلت، وإلا فالأمر كما قال الرسول ﷺ: «من هاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

والشعور بوجود الله ليس أمرا يتكلف له الإنسان شيئا، إنه شعور بالواقع!

قد يكون لك حبيب مسافر مثلا فأنت إذا اشتقت إليه تتخيل صورته وتحاول الأنس بالوهم عن الحقيقة.

ولكن الشعور بالله ليس تقريبا لبعيد ولا تجسيدا لوهم، إنه شعور بالواقع الذي يعد تجاهله باطلا، كشعورك مثلا- وأنت في البيت- بأنك في البيت، أو شعورك- وأنت في القطار- بأنك في القطار.

إنه الواقع الذي لا معدى عن الاعتراف به، وبناء كل تصرف على أساسه.

إن الألوهية لا تفارق العباد لحظة من ليل أو نهار، ومن ثم فإن الغفلة عن الله غفلة عن الحق المبين.

وإذا كان الأعمى يعجز عن رؤية الأشياء فإن الأشياء لم تزل في مكانها لأن عينا كليلة لم تتبينها.

واذا كان الناس مذهولين عن الحق المصاحب لهم المحيط بهم، فذلك عمى تعود عليهم وحدهم معرته.

وقد كثر القرآن الكريم من إشعار الناس بهذه المعاني، وصاح بهم وهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يفرون عنها، إلى أين؟ ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ **(التكوير: ٢٦)** أين المذهب ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ **(البروج: ٢٠)**.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ **(الحديد: ٣، ٤)**

هو بصير بما نعمل، وهو معنا حيثما كنا! ألا تعين هذه الحقائق على صدق المعرفة وحدة الشعور بوجوده وإشرافه؟

ثم ألا يدل ذلك على أن ذكرك لله ليس استحضارا لغائب؟ إنما هو حضورك أنت من غيبة، وإفاقتك أنت من غفلة!

ولا بد هنا من توكيد التفرقة بين وجود الله ووجود العالم، فإن بعض الناس يستغلون المعاني التي شرحناها للبس الحق بالباطل.

إن وجود الله مغاير لوجود سائر المخلوقات، وهذا العالم منفصل عن ذاته جل شأنه انفصالا تاما.

وقد تسمع بعض الفلاسفة أو بعض المتصوفين يقول: إنه يرى الله في كل شيء.

وهذا التعبير صحيح إن كان يعني أنه يرى آثاره وشواهده.

أما إن كان يعني وحدة الخالق والمخلوق، أو وحدة الوجود كما يهرف الكذبة، فالتعبير باطل من ألفه إلى يائه، والقول بهذا كفر بالله والمرسلين.

ووصف الإحاطة الإلهية في هذا المجال وسيلة لا غاية، وسيلة لتصحيح النية والجهد والهدف، وإهابة بالإنسان أن يدير نشاطه البدني والعقلي على مرضاة الله وحده.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وليت الناس يسعون في هذا الطريق بنصف قواهم! لو أن امرءا حاول استرضاء الله بنصف الجهد الذي يبذله في كسب المال، أو التمكين في الأرض لقطع مرحلة رحبة في طريق الارتقاء الروحي والخلقي، ولو أن امرءا كره الشيطان ووساوسه بنصف الشعور الذي يكره به الآلام، والخصوم لنال من طهر الملائكة حظا.

إن الله قد يقبل نصف الجهد في سبيله، ولكنه لا يقبل نصف النية.

إما أن يخلص القلب له، وإما أن يرفضه كله.

وقد أسلفنا القول إن الانسان قد تحتل قلبه مقاصد شتى هي التي تبعثه على الحركة والسكون، وعلى الرضا والسخط، وإن هذه المقاصد تنبعث عن إنانيته لا عن إيمانه بربه، وابتغائه ما عنده.

والعلماء المربون يطاردون هذه المقاصد المتسللة إلى القلب، ويمنعونها أن تثوي فيه، ولا يتوانون في مطارداتها حتى تخفى ويطهر القلب منها.

ذلك أن الإسلام دقيق جدا في تقويم العمل بالنية الباعثة عليه والغاية المصاحبة له، فمن لم يكن الله وجهته في هجرته فلا عمل له ولا خير فيه.

في الحياة الآن ألوف من المدرسين والأطباء والمهندسين والضباط والعمال والتجار والموظفين... الخ يزحمون ظهر الأرض بحركة واسعة المدى، فأما ما كان للتكاثر والتظاهر فسوف يلصق بالتراب، وربما بقي لصاحبه طول حياته، وربما افتقده قبل أن يموت، وأما ما كان لله فهو مبارك الثمر ممتد الأثر، إن البقاء لما قصد به رب السماء ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأٓخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ **(الشورى: ٢٠)**.



ونعود إلى الصنف المسجون بين عناصر المادة لا يعرف غيرها، إنه ينتقل

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من عنصر إلى عنصر، وينسب مادة إلى مادة، ويجحد ما بعد ذلك.

وقد ناقشنا هؤلاء، ودحضنا ما ساقوا من شبه، ونريد هنا كشف الستر عن بعض دعاوى القوم.

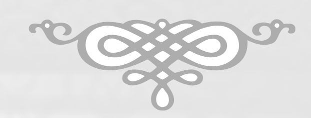
إن وصف الإيمان بأنه حركة رجعية، والإلحاد بأنه حركة تقدمية وصف كاذب، فالكفر قديم قدم الغرائز الخسيسة، والأفكار السفيهة، وتاريخ الحياة يتجاور فيه الخير والشر، والصلاح والفساد، فمن قال: إن الإيمان طبيعة أيام مضت وانتهى دورها، وإن الكفر يجب أن يفسح له الطريق فهو دجال.

كذلك وصف الإيمان بأنه حركة فكر محدود، والإلحاد بأنه حركة عقل ذكي أو وصف الإيمان بأنه منطق الدراسة النظرية، والإلحاد بأنه منطق الدراسة العملية والبحوث الكونية.. هذا كلام خرافي لا حرمة له، فإن جمهرة كبرى من قادة العلم الكوني والدراسات الحيوية يؤمنون بالله، ويرفضون الزعم بأن الكون خلق من غير شيء.

والواقع أن الإلحاد يعتمد على الظنون والشائعات، لا على اليقين والبراهين، وأنه لم يثبت في معمل أو مختبر بأن الله غير موجود، وكل ما هنالك أن الماديين نسبوا لغير الله من النظام والإبداع ما لا تصح نسبته إلا لله.

ووراء هذا النسب المنتحل ساروا، وأيديهم خالية من أي يقين، هم كما وصف القرآن الكريم ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (**يونس: ٣٦**).

أما الدلائل التي تغرس الإيمان في القلوب، عن طريق التفكير السليم في هذا الكون الكبير فهي قائمة ناهضة.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٢٢)

دينٌ زاحف مَهمَا كانتْ العَوائق

العدد (٧٣) محرم (١٣٩١هـ) فبراير (١٩٧١م)

- أحاديث الفتن لا تغري باليأس والقعود عن الجهاد
- غربة الإسلام ليست موقفا سَلبيا إنها جهاد قائم دائم
- سيبلغ الإسلام مواقع النور والظل في أرض الله

كلما قرأت أبواب الفتن في كتب السنة شعرت بانزعاج وتشاؤم، وأحسست أن الذين أشرفوا على جمع هذه الأحاديث قد أساءوا- من حيث لا يدرون ومن حيث لا يقصدون- إلى حاضر الإسلام ومستقبله! لقد صوروا الدين وكأنه يقاتل في معركة انسحاب، يخسر فيها على امتداد الزمن أكثر مما يربح!

ودونوا الأحاديث مقطوعة عن ملابساتها القريبة فظهرت وكأنها تغري المسلمين بالاستسلام للشر، والقعود عن الجهاد، واليأس من ترجيح كفة الخير، لأن الظلام المقبل قدر لا مهرب منه..

وماذا يفعل المسلم المسكين وهو يقرأ حديث أنس بن مالك الذي رواه البخاري عن الزبير بن عدي قال: شكونا إلى أنس بن مالك ما نلقى من الحجاج، فقال: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ»!

وظاهر الحديث «أن أمر المسلمين في إدبار، وأن بناء الأمة كلها إلى انهيار على اختلاف الليل والنهار»!

وهذا الظاهر باطل لا يقبل، وهو يخالف نصوصا أخرى ثابتة سوف نذكرها، كما يخالف الأحداث التي وقعت في العصر الأموي نفسه!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقد جاء الوليد بن عبدالملك فمد رقعة الإسلام شرقا حتى احتوت أقطارا من الصين، وامتدت رقعة الإسلام غربا حتى شملت اسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا..

ثم تولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز فنسخ المظالم السابقة، وأشاع الرخاء حتى عز على الأغنياء أن يجدوا الفقراء الذين يأخذون صدقاتهم!

ولقد أتى بعد أنس بن مالك عصر الفقهاء والمحدثين الذين أحيوا الثقافة الإسلامية وخدموا الإسلام أروع وأجل خدمة، فكيف يقال: إن الرسالة الإسلامية الخاتمة كانت تنحدر من سيئ إلى أسوأ؟ هذا هراء!

الواقع أن أنسا -رضي الله عنه- كان يقصد بحديثه منع الخروج المسلح على الدولة بالطريقة التي شاعت في عهده ومن بعده، فمزقت شمل الأمة وألحقت بأهل الحق خسائر جسيمة، ولم تنل المبطلين بأذى يذكر!

وأنس بن مالك أشرف دينا من أن يمالئ الحجاج أو يقبل مظالمه، ولكنه أرحم بالأمة من أن يزج بأتقيائها وشجعانها في مغامرات فردية تأتي عليهم، ويبقى الحجاج بعدها راسخا مكينا!

وتصبيره للناس حتى يلقوا ربهم، أي حتى ينتهوا هم، لا أن الظلم سوف يبقى إلى قيام الساعة، وأن الاستكانة للظلمة سنة ماضية إلى الأبد!

ان هذا الظاهر باطل يقينا، والقضية المحدودة التي أفتى فيها أنس لا يجوز أن تتحول إلى مبدأ قانوني يحكم الأجيال كلها..

لقد سلخ الإسلام من تاريخه المديد أربعة عشر قرنا، وسيبقى الاسلام على ظهر الأرض ما صلحت هذه الأرض للحياة والبقاء، وما قضت حكمة الله أن يختبر سكانها بالخير والشر..

ويوم ينتهي الإسلام من هذه الدنيا، فلن تكون هناك دنيا، لأن الشمس ستنطفئ، والنجوم ستنكدر، والحصاد الأخير سيطوي العالم أجمع!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فليخسأ الجبناء دعاة الهزيمة وليعلموا أن الله أبر بدينه وعباده مما يظنون..

لقد ذكر لي بعضهم حديث «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء» وكأنه يفهم منه أن الإسلام سينكمش ويضعف، وأن على من يسمع هذا الحديث أن يهادن الإثم، ويداهن الجائرين، ويستكين للأفول الذي لا محيص عنه!

وإيراد الحديث وفهمه على هذا النحو مرض شائع قديم..

ولو سرت جرثومة هذا المرض إلى صلاح الدين الأيوبي ما فكر في استنقاذ بيت المقدس من الصليبيين القدامى!

ولو سرت جرثومة هذا المرض إلى زعماء الفكر الإسلامي في عصرنا الحاضر ابتداء من جمال الدين الأفغاني إلى الشهداء والأحياء من حملة اللواء السامق، ما فكروا أن يخطوا حرفا أو يكتبوا سطرا!

وقلت في نفسي: أيكون الإسلام غريبا وأتباعه الذين ينتسبون إليه يبلغون وفق الإحصاءات الأخيرة ثمانمائة مليون نفس؟ ياللخذلان والعار!

الواقع أن هذا الحديث وأشباهه يشير إلى الأزمات التي سوف يواجهها الحق في مسيرته الطويلة، فإن الباطل لن تلين بسهولة قناته، بل ربما وصل في جرأته على الإيمان أن يقتحم حدوده، ويهدد حقيقته، ويحاول الإجهاز عليه!

وعندئذ تتجلي الظلماء عن رجال صدقوا ما عاهدو الله عليه، يقاومون الضلال بجلد، ولا يستوحشون من جو الفتنة الذي يعيشون فيه، ولا يتخاذلون للغربة الروحية، والفكرية التي يعانونها، ولا يزالون يؤدون ما عليهم لله حتى تنقشع الغمة، ويخرج الإسلام من محنته مكتمل الصفحة، بل لعله يستأنف زحفه الطهور، فيضم إلى أرضه أرضا وإلى رجاله رجالا..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وذلك ما وقع خلال أعصار مضت، وذلك ما سيقع خلال أعصار تجيء، وهذا ما ينطق به حديث الغربة الآنف، فقد جاء في بعض رواياته «طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي»، فليست الغربة موقفا سلبيا عاجزا، إنها جهاد قائم دائم حتى تتغير الظروف الرديئة ويلقى الدين حظوظا أفضل.

وليس الغرباء هم التافهون من مسلمي زماننا، بل هم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة وتوكلوا على الله في مدافعتها حتى تلاشت!

والفتن التي لا شك في وقوعها، والتي طال تحذير الإسلام منها، فتن التهارش على الحكم والتقاتل على الإمارة، ومحاولة الاستيلاء على السلطة بأي ثمن، وما استتبعه ذلك من إهدار للحقوق والحدود، وعدوان على الأموال والأعراض.. وهذا المرض كان من لوازم الطبيعة الجاهلية التي عاشت على العصبية العمياء.

والعرب في جاهليتهم ألفوا هذا الخصام والتعادي، فهم كما قال دريد بن الصمة:

يغار علينا واترين فيشتفى ... بنا أن أصبنا أو نغير على وتر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي إلا ونحن على شطر

وقد غلبت طبيعة الإسلام في العصر الأول طبيعة العرب، واستفاضت نصائح النبي ﷺ لقمع هذه الغرائز الشرسة..

وتدبر قوله للأنصار: «إنكم ستجدون أثرة بعدي» قالوا: ما تأمرنا؟ قال: «أدوا الذي عليكم وسلوا الله الذي لكم» وهذا القول أحكم وأشرف ما يعالج به نبي أدواء قوم.

ماذا يصنع الرجل الكفء إذا جحدت كفايته، وتقدم غيره بوسائل مفتعلة؟ أيقاتل وليكن ما يكون؟ لا، ليؤد واجبه الذي عليه، وليسأل الله- لا الناس- الحق الذي له، وليرض بما يقسمه الله له في الدنيا ويدخره له في الأخرى!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فإذا شاعت بين الناس تلك الخيانات فليحرص المؤمن على الترفع والتنزه، وليرفض المشاركة في معارك المال والجاه والمطامع والوجاهات، وليستمسك بعروة الإيمان متجاوزا تلك الصغائر التي يهلك فيها أصحابها، وذاك معنى قول رسول الله ﷺ: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به» والحديث يوصي بنفض اليد من هذه الفتن، ويذكر أن صاحب الجهد القليل فيها خير من الناشط المتحمس، ثم ينصح المؤمن أن يبحث عن حصن يعوذ به من شرورها!

هل يعني ذلك العزلة وترك الأمة دون ناصح أمين، ورائد مخلص؟ كلا.. إن العزلة قد تصلح للبعض، وقتا ما، ولكنها لا تصلح للأمة كلها بداهة وإلا كان ذلك حكما عليها بالفناء!

غير أن بعض العلماء للأسف تأول هذه الأحاديث ونظائرها مما ورد في أبواب الفتن على أنها دعوة للانسحاب من المجتمع وترك بناء الإسلام ينهار على أساس أن الدنيا إلى شر وأن الدين إلى غربة وأن المؤمنين إلى استضعاف.. وأن النجاة أولى!

وذلك كله إفك، فإن الإسلام لما يكتمل بعد كيانه السياسي، ولما يبلغ سيله- بعد- مداه الطبيعي، وقافلة الإسلام التي تحركت من أربعة عشر قرنا، وتعثرت حينا وهرولت حينا آخر، لا تزال على الدرب العتيد ماضية إلى وجهتها المكتوبة لها من الأزل، تلك الوجهة التي قال القرآن في تحديدها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ **(التوبة: ٣٣)** والتي ذكرها النبي ﷺ في أحاديث صحيحة أولى بالنشر والترويج من أحاديث الفتن التي أولع الضعفاء بروايتها وسوء شرحها..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها»..

وروى الإمام أحمد في مسنده عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار! ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، يعز عزيزا ويذل ذليلا، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر».

وكلمة ما بلغ الليل والنهار في هذا الحديث الرائع كلمة جامعة من خصائص البلاغة المحمدية، ولا أرى نظيرا لها في الدلالة على السعة والانتشار!

وما رواه أحمد عن تميم الداري يؤيده ما رواه عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام يعز عزيزا ويذل ذليلا، أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، وأما الذين يذلهم الله فيدينون لها».

وكذلك ما رواه عن قبيصة بن مسعود: صلى هذا الحي من محارب- اسم قبيلة- الصبح، فلما صلوا قال شاب منهم: سمعت رسول ﷺ يقول: «إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها، وإن عمالها- أمراءها- في النار إلا من اتقى وأدى الأمانة».

ويقول صاحب المنار في نهاية تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ...﴾ **(الأنعام: ٦٥)** اعلم أن الاستدلال بما ورد من الأخبار والآثار في تفسير هذه الآية لا يدل هو ولا غيره من أحاديث الفتن على أن الأمة الإسلامية قد قضي عليها بدوام ما هي عليه الآن من الضعف والجهل كما يزعم الجاهلون بسنن الله، اليائسون من روح الله، بل توجد نصوص أخرى تدل على أن لجوادها نهضة من هذه الكبوة، وأن لسهمها قرطة بعد هذه النبوة، كالآية الناطقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باستخلافهم في الأرض- سورة النور- فإن عمومها لم يتم بعد، وكحديث «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق» (رواه أحمد)، والشطر الأول منه لم يتحقق بعد، ويؤيده ويوضح معناه ما صح عند مسلم من أن مساحة المدينة المنورة سوف تبلغ الموضع الذي يقال له أهاب، أي أن مساحتها ستكون عدة أميال، فكونوا يا قوم من المبشرين لا من المنفرين.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ (**ص**: ٨٨)

وخطأ كثير من الشراح جاء من فهمهم أن ترك الشر هو غاية الدين وأن اعتزال الفتن هو آية الإيمان.

وهذا عجز سببه ضعف الهمة وسقوط الإرادة، وإني لأذكر فيه قول المتنبي:

إنا لفي زمن ترك القبيح به   من أكثر الناس إحسان وإجمال

أجل، فإن ترك الصغائر غير بلوغ الأمجاد، وتجنب التوافه والرذائل غير إدراك العظائم وتسنم القمم، والتلميذ الذي لا يسقط شيء والذي يحرز الجوائز شيء آخر!

والرسول الكريم عندما يأمرنا باعتزال الفتن لا ينهي واجبنا عند ذلك الحد..

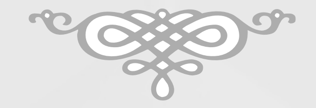
سوف يبقى بعد الاعتزال، الواجب بناء الأمة على الحق، ومد شعاعاته طولا وعرضا حتى تنسخ كل ظلمة.

ولا نماري في أن تصدعات خطيرة أصابت الكيان الإسلامي قديما وحديثا.. بيد أن الضعاف وحدهم هم الذين انزووا بعيدا يبكون، ويتشاءمون، وينتظرون قيام الساعة!

أما الراسخون في العلم فقد أقبلوا على رتق الفتوق، وجمع الشتات،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإعادة البناء الشامخ، حتى يدركهم الموت أو القتل وهم مشتغلون بمرضاة الله، حتى يبلغ الإسلام مواقع النور والظل من أرض الله، أو كما قال الرسول العظيم: «مابلغ الليل والنهار».



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٢٣)

لا علاقة بين العلم والإلحاد

العدد (٧٦) ربيع الآخر (١٣٩١هـ) مايو (١٩٧١م)

في أرجاء الأمة الإسلامية ناس أشباه متعلمين يعلنون إلحادهم دون حياء، ويزعمون أنهم ثوار على الرجعية، عشاق للمعرفة، ضائقون بالأفكار القديمة، معتنقون للأفكار الحديثة!

وكثيرا ما لقيت في طريقي صورا من هؤلاء الناس، فأتفرس في مسالكهم، وأتأمل في أقوالهم وأحوالهم، ثم أذكر كلمة العقاد رحمه الله: «هناك مقلدون في كراهية التقليد!»

إن هذا النفر المعوج من الشباب ضحل الثقافة، قصير الباع في ميادين العلم، ولكنه يريد الظهور في ثياب العلماء فيثرثر بكلمات ضخمة يحسبها تنظمه في سلكهم وهيهات! إنهم لم يكفروا بعد دراسات عميقة في علوم الكون والحياة، فإن أنصبتهم من هذه العلوم فوق الصفر بقليل، ولكنهم كفروا لعلل نفسية أو اجتماعية او اقتصادية نمت في نفوسهم وأصابتهم بهذا الدوار أو هذا السعار، فقالوا ما قالوا دون وعي حق!

أما حديث العلم وتقدمه، والكون وكشوفه، فهو تعلة خادعة ينكرها العلم والعلماء.

وأول ما نلحظه على أولئك الناس نقلهم لكلمات أوحت بها بيئات أخرى، وترديدها في بلادنا دون أي حساب لاختلاف الزمان والمكان والباعث والنتيجة!

لقد كان الفيلسوف الألماني نتشه ملحدا، وكان كفره بالله شديدا، ومما يؤثر عنه قوله في الهجوم على الدين «عندما نستمع في صباح الأحد إلى

دقات الأجراس القديمة نتساءل: أهذا ممكن؟ إن هذا كله من أجل يهودي صلب منذ ألفي عام كان يقول إنه ابن الله! وهو زعم يفتقر إلى برهان».

لا جدال أن العقيدة المسيحية- هكذا يقول نتشه - هي بالنسبة إلى عصرنا أثر قديم نابع من الماضي السحيق، وربما كان إيماننا بها في الوقت الذي نحرص فيه على الإتيان ببراهين دقيقة لكل رأي نعتنقه، شيئا غير مفهوم، فلنتصور إلها أنجب أطفالا من زوجة فانية، وخطايا ترجع إلى الله ثم يحاسب هو نفسه عليها خوفا من عالم آخر يكون الموت هو المدخل إليه! لكم يبدو كل ذلك مخيفا، وكأنه شبح قد بعث من الماضي السحيق! أيصدق أحد أن شيئا من ذلك لا يزال يصدق؟

وهذا الطراز من الإلحاد هو الذي يحمل جرثومته بعض الناس، يحسبون أنهم يفتتوننا به نحن المسلمين عن ديننا ويصرفوننا عن رسالتنا.

وهو طراز يختلط فيه التقليد الأعمى بالنقص المركب، أو حب الظهور بالحقد على المجتمع.. أما الزعم بأن العلم المادي ضد الدين، وأن بحوثه المؤكدة وكشوفه الرائعة تنتهي بإنكار الألوهية فهذا هو الكذب الصراح!

بل إن أساطين العلم والفلسفة تشابهت مقالاتهم في إثبات الوجود الأعلى، وتكاد في وصفها لله تنتهي إلى ما انتهى إليه القرآن الكريم من توحيد وتمجيد.

نحن لا ننكر أن خصاما شديدا قد وقع بين العلم والدين في أوروبا حيث كان القول بكروية الأرض كفرا، والقول بدورانها حول الشمس إلحادا!

ولا ريب أن تلك الجفوة المفتعلة بين حقيقة الدين وطبيعة العلم تركت آثارا سيئة هنا وهناك، بيد أن الاعتماد على هذا في التجهم للايمان الحق لا يسوغ، فان تجريد الدين من الشوائب التي لحقت به، والتزام العلم للنهج السوي في البحث عن الحقيقة قد انتهى بصلح شريف يذكرنا بقوله جل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شأنه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (**فصلت: ٥٣**).

كانت المادية بدعة القرن الماضي، وكان الزعم السائد أنه لا وجود الا للمادة وأن ما وراء المادة عدم محض، وان المادة لا تفنى ولا تستحدث، وأن الدين بعد هذا كله أمسى لا مكان له،!

ثم مضت الحقائق العلمية تكشف عن وجهها فاذا مقررات الماضي تنسف من أصولها، يقول الدكتور أبوالوفا التفتازاني: كان العلم يتصور الأمور تصورا ماديا بحتا إلى أن جاء العلم الشهير البرت انشتين فغير ببحوثه الطبيعية النظر إلى المادة تغييرا حاسما، وقد صور الفيلسوف الانكليزي «رسل» ذلك قائلا: درسنا العالم الطبيعي فوجدنا المادة عند العلم الحديث قد فقدت صلابتها وعنصريتها، اذا حللها العلماء إلى مجموعات ذرية كل مجموعة منها تنحل إلى ذرات، وكل ذرة تعود بدورها فتنحل إلى كهارب موجبة وأخرى سالبة، ثم مضى العلماء في التحليل، فإذا هذه الكهارب نفسها تتحول إلى اشعاعات! وختم «رسل» كلامه بهذه العبارة «ليس في علم الطبيعة ما يبرهن على أن الخصائص الذاتية للعالم الطبيعي تختلف عن خصائص العالم العقلي».

ونحن نقول: انتساب ذلك الكون الضخم إلى أصول من الأشعة شيء مثير حقا! ترى ما الذي كثف النور، وجمد حركته ووزعه على ألوف الأشكال التي نراها؟

انك لن تعدم سفيها يقول لك: تم ذلك من تلقاء نفسه!

وهذا القائل مستعد أن يقول لك أيضا: إن الصحف في عواصم العالم تصدر عن دورها مليئة بالأخبار والتعليقات والصور، متسلقة الحروف والأرقام تلقائيا من غير ما إشراف ولا إعداد ولا تبويب ولا ترتيب!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لعمري إن ذلك أدنى إلى التصور من خلق الموت والحياة في هذا العالم الفخم الضخم تلقائيا كما يأفك الأفاكون!

لكن أي عاقل يحترم نفسه ويقدر علمه يأبى هذا المنزلق، يقول الدكتور التفتازاني:

ولعل هذا ما جعل العلامة انشتين يؤثر الايمان بالله ويرفض الشبهات التي تختلق ضده، وقد دار حوار بينه وبين صحفي أمريكي يدعى «فيرك» في هذا الموضوع قال فيه الرجل العالم بحسم: انني لست ملحدا! ولا أدري: هل يصح القول بأني من أنصار وحدة الوجود؟[1] ان المسألة أوسع نطاقا من أن تحيط بها عقولنا المحدودة..!

وعاد الصحفي إلى سؤاله بطريقة أخرى - يريد بها هز الايمان الذي لاذ به هذا العالم - فقال: ان الرجل الذي يكتشف ان الزمان والمكان منحنيات، ويحبس الطاقة في معادلة واحدة، جدير به الا يهوله الوقوف في وجه غير المحدود!

فيرد «أنشتين»: اسمح لي ان أضرب لك مثلا، ان العقل البشري مهما بلغ من عظم التدريب وسمو التفكير عاجز عن الاحاطة بالكون - فكيف بخالقه - نحن أشبه ما نكون بطفل دخل مكتبة كبيرة ارتفعت كتبها إلى السقف، فغطت جدرانها، ثم هي مؤلفة بشتى اللغات.

إن هذا الطفل يعلم أن شخصا ما كتب هذه الكتب، ولكنه لا يعرف بالضبط من هو، ولا كيف كانت كتابته لها، ثم هو لا يفهم اللغات التي كتبت بها!

---

(١) ليس هذا العالم ممن يعتنقون مذهب الوحدة على النحو الذي يعرفه الهنود، أو النحو الذي تسرب من الهندوكية إلى بعض الديانات الأخرى، ولكنه يريد أن يقول: إنه يرى الله في كل شيء، يلمح صفاته العظمى في مجالي الكون كلها ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وعذر الرجل أنه لا يعرف الاسلام فيعبر التعبير المأثور.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد يلاحظ الطفل أن هناك طريقة معينة في ترتيب الكتب، ونظاما غامضا يشمل صفوفها وأوضاعها، نظاما يحس أثره ولا يدري كنهه.

إن ذلك القصور هو موقف العقل الانساني مهما بلغ من العظمة والتثقيف!

وعاد الصحفي الأمريكي يسأل: أليس في وسع أحد حتى أصحاب العقول العظيمة أن يحل هذا اللغز؟

فأجاب انشتين مرة أخرى يعلل لماذا هو مؤمن، ولماذا يعجز عن معرفة كنه الله فقال: نرى كونا بديع الترتيب خاضعا لنواميس معينة، ونحن نفهم تلك النواميس فهما يشوبه الإبهام، فنؤمن بالله، ولكن عقولنا المحدودة لا تدرك القوة الخفية التي تهيمن على مجاميع النجوم...».

لو كانت المواد التي يتكون منها هذا العالم الضخم تتراكم بعضها فوق بعض دون تبصر أو حكمة لدلت كثرتها وحدها على غنى واسع وثراء عريض..! فإن الأبعاد الآلية لهذا الكون مذهلة!

لكن الأمر أبعد ما يكون عن الجزاف والفوضى.

والبناء العقلي المتغلغل في الكون من الذرة إلى المجرة يجعلنا نكوِّن عن هذا العالم الدقيق صورة أخرى.

ولن نأتي بهذه الصورة من عندنا أنفسنا، بل من أقوال الفلكي الإنجليزي «سير جيمس جنز» الذي ينطق بهذه العبارة المثيرة «لقد بدأ الكون يلوح أكثر شبها بفكر عظيم منه بآلة عظيمة...».

ان الروعة لا تكمن في ضخامة الآلة التي نراها، بل في الطريقة التي تدور بها وتؤدي وظيفتها.

ان الروعة لا تكمن في ضخامة الآلة التي نراها، بل في الطريقة التي حبكت الموازنة والضبط والتقدير. ومن ثم يتجه الإعجاب إلى العقل الواضع، الحاسب قبل أن يتجه إلى أثره المحدود.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولننظر إلى عقلنا الإنساني بين ما ننظر إليه من صنوف المخلوقات، ماذا نرى؟ إنه كائن ذكي قدير يبدو ويخفى في أدمغة الألوف المؤلفة من سكان الأرض الأحياء والراحلين، الذين وجدوا والذين سيوجدون، من أين تولد هذا العقل؟ من الماء والطين كأعشاب الحدائق.. هذا فرض مضحك ولا ريب، إنه نفحة من الخالق الأعلى وحده.

يقول «سير جيمس جنز».. يجب أن ننكر المقدمات التي يفترضها بعض النقاد من غير علم، فالكون لا يبيح لنا أن نصوره تصويرا ماديا، وسبب ذلك في رأيي أنه قد أصبح من المدركات الفكرية العميقة، أننا واجدون في الكون دلائل على قوة مدبرة أو مسيطرة يوجد بينها وبين عقولنا الفردية شيء مشترك، ليس هو العاطفة أو الأخلاق، أو تقدير الجمال، ولكنه الرغبة في التفكير بطريقة، خير ما نصفها به انها رياضية (!) لأننا لا نجد الآن أصلح من هذا التعبير».

والعلامة الانجليزي معذور في وصف الإبداع الإلهي بهذا الأسلوب.

لقد راعه، وهو فلكي راسخ، أن يجد في نظام الشروق والغروب والدوران والانطلاق دقة تسجد علوم الرياضة في محرابها، فقال: «إن التفكير المشرف عليها تفكير علمي رياضي! بل إنه اعتبر العقل الانساني أثرا للعقل الكلي الذي توجد فيه، على شكل فكر تلك الذرات التي نشأت منها عقولنا، ثم انتهى أخيرا إلى شكل فكر تلك الذرات التي نشأت منها عقولنا، ثم انتهى أخيرا إلى أن الآراء متفقة، إلى حد كبير في ميدان العلم الطبيعي إلى أن نهر المعرفة يتجه نحو حقيقة غير آلية» أي غير مادية، أي إلى الله الكبير المتعال، على هذا النحو يفكر علماء الكون الكبار، ويحكم أئمة العلم الحديث ورواده الأكابر ولذلك شعرت بسخرية أي سخرية عندما قرأت لصحافي كبير في بلادنا هذه الكلمة الغبية السمجة. «إن التقدم العلمي يوشك أن يجعل أخطر الوثائق العقائدية نوعا من البرديات القديمة التي حال لونها،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبليت صفحاتها، وعدت عليها عوامل الزمن بالتعرية والتآكل، وأصبح من الضروري للابقاء على أثرها أن يخصص لها مكان في متاحف التاريخ».

قلت ما أوسع الفرق بين منطق العلماء ومنطق الجهلاء في تناول القضايا وارسال الأحكام. هل يمحى الإيمان كله بهذه السهولة؟

ولقد شعرت كذلك بسخرية، أي سخرية عندما رأيت كتابا بعنوان «العالم ليس عقلا» ألفه شخص ولد في نجد، وقضى أغلب عمره على قهوات القاهرة وبيروت، وتلقى أكثر علمه من الأوراق الشاحبة التي يسطرها بعض المعلولين والمعقدين!

هذا المسخ الذي لم يعمل يوما في مرصد ولا مختبر للكيمياء أو الفيزياء، ينكر الألوهية، ويسفه النتائج التي وصل إليها أمثال انشتين من قادة المعارف الكونية، طبعا لأنهم رجعيون وهو تقدمي، ولأنهم قاصرون وهو نابغة..!

ولست أتهم كل ملحد بأنه صورة للملحدين الصغار، فإن هناك بعض العلماء والفلاسفة - وإن كانوا قلة - تنكروا للإيمان وقواعده وغاياته، بيد أن المتتبع لأقوال هؤلاء يجزم بأن انتسابها إلى العلم تزوير جريء، فهم يخمنون ويفترضون ثم يبنون قصورا على رمال!

وقد قرأت لبعضهم كلاما عن بداية الخليقة يثير الضحك، فهم يزعمون أن العناصر في الأزل السحيق تفاعلت اعتباطا، وسنحت فرصة لن تتكرر بعد أبدا (!) فتكونت جرثومة الحياة! ثم أخذت تنمو وتتنوع على النحو الذي نرى..وهذا كلام لا يصدر عن عقل محترم، ولا يصفه بأنه علم الا مخبول! وصدق الله العظيم ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ (**الكهف: ٥١**).

أذكر أني - وأنا أناقش بعض الأدلة- سألت نفسي هذا السؤال: هل أنا كائن قديم أم مخلوق جديد؟ فكان الجواب القاطع: لقد ولدت سنة كذا،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فأنا حادث بلا ريب! ولكن شبهة ثارت تقول: انك تخلقت من مادة الذين هلكوا قبلك، وعندما تموت فستكون أجساد أخرى منك ومن غيرك! فقلت إذا أسلمت بهذا في الأجساد فلن أسلم به في روحي أنا.. إن هذه «الأنا» المعنوية هي حقيقتي الكبرى، وأنا مستيقن بأني كائن جديد مستقل، وجدت بعد عدم محض، فمن أبرزني من لا شيء؟

انني لست معتوها حتى أشك في بداية وجودي وشعوري، فمن رب هذه المنحة الخطيرة؟ فتلوت قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا[1] ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ **(الإنسان: ١، ٢)**.

وعدت إلى قصة الجسد الذي أحمله في حياتي وأنضوه بعد مماتي، هل هو قديم المادة حقا؟ فسألت العلم: كيف يوجد؟ وهل يمكن أن يتمثل بشرا سويا هكذا عشواء؟ فقال العلم: إن الوليد يتخلق أول أمره من التقاء الحيوان المنوي بالبويضة! فما الحيوان المنوي؟ كائن دقيق توجد في الدفقة الواحدة منه قرابة مائة مليون حيوان، كل واحد من هذه الآلوف المؤلفة يمثل الخصائص المعنوية والمادية للإنسان من الطول أو القصر، والسواد أو البياض، والذكاء أو الغباء. والحدة أو الهدوء... إلخ، ويبدأ التكون الانساني بوصول واحد - لا غير - من هذه الألوف الكثيفة إلى البويضة وتفنى البقية، قلت: فلأقف عند نقطة الابتداء هذه لأسأل: من الذي صنع هذه الحيوانات السابحة في سائلها، الحاملة لخصائص السلالة الآدمية من أجيال خلت؟ قالوا غدة في الجسم! قلت: غدة أوتيت الذكاء والوعي والاقتدار على خلق مائة مليون كائن من طراز واحد! مجموعة دراهم من اللحم تتصرف من تلقاء نفسها في صنع الذكاء أو الغباء، والحلم أو الغضب؟ ما يصدق ذلك إلا

---

(١) الاستفهام تقريري كما يقول العلماء، يعني قد أتى على كل امرئ وقت كان فيه عدما محضا، وهو الوقت السابق لميلادنا، فما كنا شيئا قط قبله، فمن استحيانا من ذلك الفناء؟

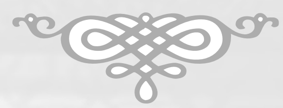
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مغيب العقل! وتلوت قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ (الواقعة: ٥٨-٥٩) إننا أمام أدوات القدرة العليا، وهي تبرز مشيئة الخالق الجليل، وكأنها تقول لنا: إن الله للعالم ليس فيه شائبة غرابة! أليس يخلق في كل لحظة تمر ألوفا من الناس، وألوفا من الدواب وصنوفا من النبات، إن إبداع الخليقة ليس فلتة وقعت وانتهت، وأمست في ذمة التاريخ بحيث يستطيع المكابرون أن يجادلوا فيها.. لا.. إن الإيجاد من الصفر يقع أمام أعيننا كل يوم في عالم الأحياء، فلم هذا المراء؟

إن بديع السموات والأرض لا يزال يخلق في كل وقت وفي كل شبر صنوفا من الأحياء الدقيقة والجليلة، لا حصر لها، فكيف ينكر ما كان من خلق أول أو ما سوف يكون من بعث وجزاء؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (**العنكبوت: ١٩، ٢٠**).

ولنفرض، جدلا، أن بعض الناس يرى أن الفلك الدوار يجري في الفضاء، دون ضابط ولا رابط، وأن الوليد الخارج من ظلمات الرحم لامع العين، مورد الخد، مفتر الثغر، قد صنعه على هذا التقويم الحسن شيء ما في بطن الأم! لنفرض أن بعض الناس ركب رأسه وقال هذا الكلام.. فما الذي يجعل هذا الزعم السخيف يوصف بأنه علم وتقدمية على حين يوصف منطق الايمان بأنه جمود ورجعية؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!

لقد آن الأوان لتهتك الأستار عن أدعياء التقدم الذين يمثلون في الواقع ارتكاسا إنسانيا إلى جاهلية عديمة الشرف والخير، مبتوتة الصلة بالعقل وذكائه والعلم وكشوفه.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٢٤)

التضحية

العدد (٧٧) جمادى الأولى (١٣٩١هـ) يونيو (١٩٧١م)

قالوا: إن فترة الشباب أخصب مراحل العمر، وأجدرها بحسن الافادة وعظم الإجادة!

فهي القوة الظاهرة بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة.

وقد قرر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ **(الروم: ٥٤)**.

ومن ثم كان على المرء أن يقدم حسابا عاما عن حياته كلها، وحسابا خاصا عن طور الشباب وحده، فهو طور له خطره وأثره «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه،...».

والحق أن أمجاد المتفوقين، وأشواط الصاعدين إنما تستمد حركتها وبركتها من جهودهم أيام الشباب، واستغلالهم عرامه وإقدامه في السبق والانطلاق على أن الشباب وإن اكتنفته من طرفيه المتباعدين الطفولة والشيخوخة، إلا أنه يصعب وضع حدود زمنية لعهده السعيد! فهناك رجال تظل وقدة الشباب حارة في دمهم وإن أنافوا على الستين، لا تنطفئ لهم بشاشة، ولا يكبو لهم أمل، ولا تفتر لهم همة.!

وهناك شباب يحبون حبوا على أوائل الطريق لا ترى في عيونهم بريقا، ولا في خطاهم عزما، شاخت أفئدتهم في مقتبل العمر، وعاشوا في ربيع الحياة لا زهر ولا ثمر!

ومن الأخطاء تصور الشباب قدرة جسد، وفتاء غريزة! إن الشباب توثب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

روح، واستنارة فكر، وطفرة أمل، وصلابة عزيمة.

نعم إن فترة الشباب في حياة الإنسان هي أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة، والعواطف الفائرة لكنها ليست عهد العافية المكتملة في البدن الناضج فقط، بل إنها- كذلك عهد النزعات النفسية الجياشة، يمدها الخيال الخصب، والرجاء البعيد.

والأمم تستغل في شبانها هذه القوى المذخورة، وتجندها في ميادين الحرب والسلم، لتذلل بها الصعب، وتقرب البعيد.

ونجاح النهضات الكبيرة يرجع إلى مقدار ما بذل فيها من جهود الشباب وهممهم، وإلى مقدار ما ارتبط بها من آمالهم وأعمالهم.

وقد راقبنا الثورات التي اشتعلت في أرجاء الشرق ضد الغزاة المغيرين على بلاد الإسلام، فوجدنا جماهير الشباب هم الذين صلوا حرها، وحملوا عبئها، واندفعوا بحماستهم الملتهبة، وإقدامهم الرائع، يخطون مصارع الأعداء، ويرسمون لأمتهم صور التضحية والفداء!

ولا يزال الشباب من طلاب وعمال وقود المحركات الحرة، وطليعة الثائرين على الفساد والاستبداد، وقبلة المربين والمرشدين والزعماء الذين ينشدون مستقبلا أزكى لهذه الحياة.

ونحن إذ نقرر هذه الحقائق ننوه بما تنطوي عليه من دلائل الإيثار والتفاني ونرجو أن يكون حظ أمتنا من هذه الثروة الحية كفاء ما رميت به من أحداث جسام، ومافقدت من أمجاد عظام.

فلا ينتهي هذا العصر حتى نكون قد غسلنا بلادنا من أدران الاحتلال الأجنبي الذي أخزانا في ديننا ودنيانا!

بيد أن هناك رجالا تأخرت بهم السن وذهبت عنهم سورة الشباب، وتكاثرت الصلات التي تربطهم بالدنيا، ومع ذلك فإن جذوة اليقين المتقد في

قلوبهم تمسك بالشباب المولي عن جلودهم وعظامهم، وتبقيه، بل تضاعفه في قلوب تنبض بالحق وتدفعه في العروق مع الدم، فإذا أنت ترى منها بأس الحديد، وجرأة الأسود، وترى رجالا تستهويهم المغامرة، ويطيرون إلى التضحية في سبيل الله أخف من الشباب الغض..

قد يقبل الشباب على المخاطرة وسبل البذل أمامه ميسرة، فهو إن سجن لم يجزع على أسرة يعولها! وإن قتل لم تبكه امرأة أيم! ولا ولد يتيم! وخفة حمله من هذه الناحية تجعله سريع الاستجابة لنداء الواجب، أو تزيح العوائق من أمامه إذا ثارت في دمه نوازع النجدة.. أما البطولة الفارعة فهي أن يكون المرء رب أسرة كبيرة يضرب في مناكب الأرض لرعايتها، ويسير في الحياة وهو موقر بأثقالها، غير أنه - وهو الزوج المحب والأب الرحيم، والراعي المسؤول- مؤمن قبل ذلك كله بالله ورسوله، مخلص للدين الذي اعتنقه، مقدر للحقوق التي ارتبطت به.

فإذا أحس للإسلام طلبا سارع إليه ولباه بروحه، وماله، ولم تشغله أعباء الحياة التي يكدح فيها عن مطالب المثل العالية التي آمن بها.

والإنسان عندما يقرأ استشهاد عبدالله بن حرام، يرى في قصته جلالا تتحني له الجباه.. إعزازا للأبوة الرقيقة التي جادت بنفسها، واستودعت الله أسرة من غلام واحد وست بنات!

روى أبوداود والنسائي عن جابر بن عبدالله قال: «خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين يقاتلهم، وقال لي أبي: يا جابر عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلام يصير أمرنا، فإنى والله لولا أني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي، قال: فبينا أنا في الناظرين! جاءت عمتي بأبي وخالي، عادلتهما على ناضح! فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا، إذ لحق رجل ينادي: ألا إن النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوهم في مصارعهم، فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا...»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وروى البخاري عن جابر أيضا: «لما حضر أحد- يعني القتال عند الجبل وفوقه- دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله! وإن عليّ ديناً، فاقضه واستوص بأخواتك خيرا، فأصبحنا.. وكان أول قتيل».

هذا الصاحب الجليل خرج مع رسول الله ليصد هجوم المشركين على المدينة تاركا وراءه هذه الأسرة الكبيرة وقوامها كما رأيت بنات يحتجن إلى الكافل الحاني، ولم يكن أبوهن ذا بسطة في المال ينفق منه عن سعة، ويترك لعقبه من بعده ما يغني ويصون، بل كان الرجل مهموما بشؤون الرزق، ينصب فيه ويستدين، وغلام فرد إلى جوار ست بنات يكون غالبا قرة عين الوالد وموضع حبه العميق، لكن عبدالله يقسم أنه يود لو قدم ابنه ليستشهد في سبيل الله وأنه إنما يعجل بنفسه حتى يبقى الابن للبنات يخدمهن، فإن ابنه لو قتل قبله، فلن تطول بالأب الحياة.

إنه لا بد مقتول في أقرب معركة.

إن أصحاب المبادئ سراع إلى تلبية مبادئهم! عندما يقرع باب، الكريم ينهض ويقول:

فقمت ولم أجثم مكاني ولم تقم مع النفس علات البخيل الفواضح

وعندما يطلب الشجاع إلى ساحة الوغى يذهل عن الحياة وأواصره بها، وينطلق وهو يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (**طه: ٨٤**).

وقد خرج أبو جابر إلى أحد ليلقى مصيره مع أبر شهداء الاسلام.. وروى الشيخان عن جابر قال: أصيب أبي يوم أحد فجعلت أكشف عن وجهه وأبكي! وجعلوا ينهونني، والنبي ﷺ لا ينهاني، وجعلت فاطمة بنت عمرو -رضي الله عنه- تبكيه! فقال ﷺ: تبكينه أو لا تبكينه، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وروى الترمذي عن جابر قال: لقيني رسول الله مرة وأنا مهتم، فقال: ما لي أراك منكسرا؟ فقلت: استشهد أبي يوم أحد، وترك عيالا ودينا، فقال: ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قلت بلى، قال ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وإنه أحيا أباك فكلمه كفاحا، فقال: يا عبدي، تمن علي أعطك! قال: يارب تحييني فأقتل ثانية! فقال سبحانه وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون: فنزلت: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا...﴾ **(آل عمران: ١٦٩)**.

والمرء يحار، أيعجب من كرامة الشهيد على الله؟ أم حلاوة الفناء في الله التي ذاقها أولئك الشهداء؟

إن أبا جابر لم يستشعر وحشة لفراق أولاده، ولم تستشرف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده، بل تطلع للعودة إلى الدنيا كيما يذهل مرة أخرى عن أحب شيء فيها، ويتمشى بخطى ثابتة إلى ساحة القتال!

ولقد كفل الله أولاد الشهيد، وقضى عنه دينه في حديث يطول.

ولندع حديث الصدر الأول ونستأنف حديث الأشياخ المجاهدين في عصرنا هذا، إننا واجدون رجالا من طراز رائع، صنعهم الإسلام القوي فأحكم صناعتهم، وقذف بهم على جند الباطل فجددوا سير السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.. من أولئك النفر الغر عمر المختار.. البطل الذي بلغ التسعين من عمره وهو يجوب الصحراء مطاردا «الطليان» الذين أغاروا على طرابلس، وعملوا على تنصيرها بالحديد والنار، وفيه يقول شوقي:

بطل البداوة لم يكن يغزو على ... «تنك» ولم يك يركب الأجواء

لكن أخو خيل حمى صهواتها ... وأدار من أعرافها الهيجاء

وقد وقع الشيخ المهيب في أسر الأعداء، فألفوا محكمة قضت بقتله

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شنقا! والمستعمرون قوم لا ينتظر منهم شرف المعاملة لا مع صديق ولا مع خصم، وقد ندد شوقي بهذا الحكم الشائن فقال:

خفيت على القاضي وفات نصيبها ... من رفق جند قادة نبلاء

تسعون لو ركبت مناكب شاهق ... لترجلت هضباته اعياء

ويقول:

شيخ تمالك سنه، لم ينفجر- ... كالطفل- من خوف العقاب بكاء

الأسد تزأر في الحديد ولن ترى ... في السجن ضرغاما بكى استخذاء

ثم يخاطب الشعب طالبا منه تجنيد الشباب وإعفاء الشيوخ فيقول:

فأرح شيوخك من تكاليف الوغى ... واحمل على شبانك الأعباء

على أن منطق اليقين لا يكترث بفوارق السن، فإن العقيدة المتفجرة في القلوب الكبيرة ترد الكهول الوانين فتيانا نشيطين، أما إذا تخلخل الإيمان فإن الشاب الجلد يمسي حلس منفعة تافهة مهينة!

والدعوات العظيمة لا تضار بشيء مثل ما تضار بهذا الصنف من المتلونين المتطلعين، الصنف الذي يحاذر أن يمسه سوء ويسارع إلى إحراز الغنائم، ويشارك بجسمه أصحاب الرسالات، أما قلبه فهو بعيد بعيد.. الصنف الذي صور القرآن موقفه النابي المريب في هذه الآيات:

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (**النساء: ٧٢، ٧٣**).

والمرء لا يصلح أن يكون رجل دعوة وصاحب رسالة إذا بنى حياته في حساب الأرباح والخسائر على هذا النحو المنكر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ربما كان الرجل خالي البال لا يتبع أهلا ولا مالا، فهو يهز كتفيه لما تفد به الليالي من أحداث، أفإذا بلي بأثقال الفضائل ألقى بها في عرض الطريق، وأضحى لا يهدأ أو لا يهيج إلا لمنافعه الخاصة؟

كذلك فعل المنافقون قديما! فعندما ندبوا للجهاد قعدوا واعتذروا ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ...﴾ (**الفتح: ١١، ١٢**)

إنهم توهموا الخروج مغامرة مخوفة العاقبة، أو مقامرة بعيدة الربح، فنكصوا وأفئدتهم صفر من معاني اليقين والتضحية التي تجعل الشهيد يقبل على الموت، ويود لو يرد إلى الحياة ليموت مرة أخرى.

ولو كان الخروج لنفع يسير لكان لهم مع القافلة سواد كثيف!

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ...﴾ (**الفتح: ١٥**).

وقد حذر الله المؤمنين أن تسيطر على أفكارهم هذه المآرب، أو تتدخل في نياتهم هذه المنافع:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (**المنافقون: ٩**).

فلتكن لنا من حياة المجاهدين عظة، ومن مماتهم عبرة، ومن مسلكهم مع أهليهم وأموالهم أسوة حسنة.



https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

(٢٥)

حدود التشريع في الإسلام ومكانة الاجتهاد فيه

العدد (٨٠) شعبان (١٣٩١هـ) سبتمبر (١٩٧١م)

ما هي حدود التشريع في الإسلام؟ وما هي مكانة الاجتهاد فيه؟ إذا أردنا معرفة ذلك، فلا بد أن نكون، قبل كل شيء، على ذكر بين من أمرين:

أولهما: أن الحاكمية في الإسلام مختصة بالله وحده، لا يشاركه ولا ينازعه فيها غيره، ذلك بأن التوحيد، كما فسره القرآن يستلزم أن يكون الله وحده هو المعبود بالمعنى الديني المعروف، ليس ذلك فحسب، بل يستلزم أن يكون الله وحده هو الحاكم المطاع، والآمر والناهي، والشارع بالمعنى السياسي والقانوني أيضا، وهذه الحاكمية القانونية قد أبدأ القرآن وأعاد في بيانها بمثل القوة والجزم الذي يبين به عقيدة الألوهية الدينية، وأكد كل التأكيد أن كلا من هاتين المنزلتين من المقتضيات اللازمة لألوهية الله تعالى لا يجوز فصلها عن الأخرى بحال من الأحوال، وقرر بما لا مجال فيه للارتياب والشك أن إنكارها إنكار لألوهية الله، ثم إن القرآن لم يترك أي منزع لشبهة أن يراد بالقانون الإلهي قانون الطبيعة والفطرة، وجعل من واجب الإنسان، إذ يدعوه إلى التوحيد، أن يعترف في حياته الخلقية والاجتماعية بذلك القانون الذي أنزله الله على أنبيائه ورسله، بل إن الإيمان بهذا القانون، وبتجرد الإنسان عن استقلال نفسه وحرية ذاته إزاءه هو الذي يسميه القرآن بالإسلام ويأبى- بأوضح ما يكون من البيان- أن يكون للإنسان حق في أن يقضي برأيه شأنا من شؤون حياته إذا كان قد قضاه الله ورسوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾(**الأحزاب: ٣٦**).

وثانيهما، وهو لا يقل في أهميته في الإسلام عن توحيد الإله- هو أن

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محمدا ﷺ آخر رسل الله وخاتم أنبيائه، وهذا ما تخرج به عقيدة توحيد الإله من حيز الفكرة المجردة فتبرز بشكل نظام عملي ويقوم على أساسها بناء نظام الإسلام الشامل للحياة الإنسانية، ذلك بأنه قد اجتمعت بموجب عقيدة الإسلام تعاليم جميع الأنبياء السابقين مع زيادة تعاليم مهمة أخرى في تعليم محمد ﷺ، فهو وحده المصدر الموثوق به لهدى الله وتشريعه، ولن يأتي من الله بعده هدى أو تشريع يحتاج الإنسان أن يرجع إليه، وتعليم محمد ﷺ هو القانون الأعلى الذي يمثل للناس مرضاة الحاكم الأعلى، وقد وصل إلينا على صورتين:

القرآن: وهو كلام الله لفظا ومعنى ويشتمل على أحكامه وأوامره ونواهيه،

والسنة: أو الأسوة الحسنة لمحمد ﷺ «وهي التي تبين غاية القرآن وتشرح مقصد نزوله».

ما كان محمد ﷺ مبلغا لكتاب الله فحسب، بل كان من وظيفته مع ذلك أن يكون إماما للناس وقائدا وحاكما ومعلما ومرشدا، يشرح لهم القانون الإلهي بقوله وعمله، ويخبرهم بغايته الحقيقية ويربيهم على مطالبه ومقتضياته، ويعمل على تشكيلهم في صورة جماعة منظمة، ويري العالم كله، في قالب دولة راشدة مرشدة، كيف يقوم على مبادئ الإسلام نظام حضارة متكاملة راقية، وأن هذه المهمة التي اضطلع بها الرسول ﷺ طوال حياته النبوية (٢٣ سنة متوالية) هي السنة التي باشتراكها واجتماعها مع القرآن يكتمل القانون الاعلى من الحاكم الأعلى لرعيته في الأرض، وأن هذا القانون الأعلى هو المعروف «بالشريعة» في المصطلح الإسلامي.

حدود التشريع

وقد يظن الإنسان لأول سماعه بهذه الحقائق الأساسية أن الدولة الاسلامية لا مجال فيها أصلا لتشريع الإنسان، إذ إن الله هو الشارع الوحيد فيها، ولا وظيفة فيها للمسلمين سوى أن يتبعوا ما جاءهم به الرسول

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من قانونه، بيد أن الحقيقة أن الإسلام لا ينافي تشريع الإنسان وإنما يحيطه بسياج من القانون الإلهي ويحده بعلوه، أما ما هي دائرة تشريعه تحت القانون الإلهي الأعلى وفي ضمن حدوده، فهذا ما أريد بيانه في هذه الكلمة متوخيا الايجاز والاختصار.

تفسيرالأحكام

منها ما قد جاء فيه القرآن والسنة بحكم قاطع واضح، أو وضعا له قاعدة خاصة فليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعي أن يغير في مثل هذه المعاملات والشؤون أحكام الشريعة وقواعدها، وليس معنى ذلك أنه لا مجال مع هذه الأحكام لتشريع الإنسان، بل إن دائرة تشريع الإنسان فيها أن يعرف أولا بكل دقة ما هي أحكام الشريعة في واقع الأمر ويحدد ثانيا مفهوم تلك الأحكام، ويتبين لأي الحالات والوقائع هي، وتقرر أخيرا صور تطبيقها على القضايا الطارئة الحاضرة وتفاصيلها الفرعية إن كان فيها المجال، والذي يجب أن يشخص مع كل ذلك هو أين وإلى أي حد يجوز للإنسان التشريع للأحداث والوقائع الاستثنائية على ألا يصطدم مع أحكام الشريعة وقواعدها.

القياس

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم، ولكن لها أحكام في أمثاله وأشباهه فالتشريع في مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن تعرف علل الأحكام بدقة تامة وتنفذ في كل شأن توجد فيه تلك العلل ويستثنى منها كل شأن لا توجد فيه تلك العلل.

الاستنباط

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم صريح، ولكن جاءت فيه وفي أمثاله بقواعد جامعة أو أظهرت مرضاة الشارع عنه، فيجب العمل على تنميته وترقيته وما هو مبغض عنده يجب العمل على محوه واستئصاله، فالتشريع

في مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن يعرف ما جاء فيها من قواعد الشريعة ومرضاة الشارع، ويوضع في القضايا العملية الحاضرة من القوانين ما يقوم على هذه القواعد ويحقق مرضاة الشارع.

دائرة التشريع بحرية الرأي

ومنها ما سكتت الشريعة في بابه سكوتا تاما، فلا جاءت فيه بحكم صريح، ولا بهداية في أمثاله وأشباهه حتى يقاس عليها، فلا معنى لسكوت الشريعة في مثل هذه الشؤون إلا أن الحاكم الأعلى بنفسه قد أجاز الإنسان أن يقضيها برأيه، فالتشريع جائز فيها للإنسان بكل حرية على أن يكون موافقا لروح الإسلام وقواعده العامة، وألا تختلف طبيعته عن طبيعة الإسلام الشاملة حتى يلتئم أحسن التئام مع نظام الإسلام للحياة.

الاجتهاد

وكل هذا العمل التشريعي الذي يحرك نظام الإسلام للقانون ويرقيه حتى يلبي حاجات البشر ويجاري تطورات الزمان، لا يمكن أن يتم إلا بتحقيق علمي وخاص وبذل للقوة الذهنية على صفة غير عادية، وهو المعروف بالاجتهاد في المصطلح الإسلامي.

والاجتهاد معناه لغة بذل الجهد واستنفاده، والمراد به اصطلاحا بذل الجهد واستنفاده في استجلاء حكم الإسلام أو مقصوده في القضية تحت البحث، وقد يخطئ بعض الناس ويفسرون الاجتهاد بمعنى التمتع بحرية الرأي دونما قيد أو شرط، على أن كل من له أدنى إلمام بطبيعة القانون الإسلامي ومزاياه لا يكاد يذهب به سوء الفهم إلى أن فيه مجالا لهذا النوع من الاجتهاد لأن القانون الحقيقي في الإسلام هو القرآن والسنة، ولا يجوز التشريع فيه للمسلمين إلا بشريطة أن يكون مأخوذا من هذا القانون الحقيقي أو في ضمن الحدود التي يبيح لهم أن يتمتعوا فيها بحرية رأيهم،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فكل اجتهاد لا يستند إلى أحكام الشارع الحقيقية ولا يتقيد بحدودها ليس من الاجتهاد الإسلامي في شيء ولا مكانة له في نظام الإسلام القانوني.

الأوصاف اللازمة للمجتهدين

ولأن الاجتهاد ليس المقصود به إحداث الثلم في القانون الإلهي ليستبدل به القانون الإنساني، وإنما المقصود به فهم القانون الإلهي فهما دقيقا وجعل نظام الإسلام القانوني ملبيا لحاجات البشر مجاريا لتطور الزمان تحت هدايته وإرشاده، فلا يصح أي اجتهاد إلا بأن يكون المتولون لمهمته على جانب عظيم من الصفات الآتية:

١ - الإيمان بالشريعة الإلهية، والإيقان بكونها الحق، والعزيمة الخالصة لاتباعها، وخلو الذهن والفكر من الرغبة في التحلل من حدودها وقيودها وعدم أخذ الغايات والمبادئ من مصدر غير مصادرها.

٢ - الإلمام الجيد باللغة العربية وقواعدها وأساليب أدبها، لأن اللغة العربية هي التي بها نزل القرآن ولا يتسنى معرفة السنة إلا بها.

٣ - التضلع بعلم القرآن والسنة حتى لا يعرف به الإنسان أحكام الشريعة الفرعية ومواضعها فحسب، بل يفهم أيضا قواعدها الكلية وغاياتها معرفة جيدة.. يجب أن يعرف المجتهد ما هي خطة الشريعة لإصلاح الحياة الإنسانية بأجمعها، ويعرف إلى جانب ذلك ما هي مكانة كل شعبة من شعب الحياة في هذه الخطة الجامعة الشاملة، وما هي الخطوط التي تريد الشريعة أن تؤسس عليها مختلف شعب الحياة، وما هي المصالح التي ترمي إليها في تأسيسها أو بكلمة موجزة: إن الاجتهاد شيء يتطلب من الإنسان علما بالقرآن والسنة يوصله إلى مغزى الشريعة وجوهرها.

٤ - الوقوف على تراثنا القانوني الذي ورثناه عن فقهاء السلف، والحاجة إليه ليست للتدريب على الاجتهاد فحسب، بل هي كذلك لاستمرار الارتقاء القانوني لأنه ليس- ولا يسوغ أن يكون - المقصود بالاجتهاد أن

يهدم كل جيل جديد ما بناه سالفه أو يحكم عليه بالبلى ويشرع في بنائه من جديد.

٥ - التخلق بالأخلاق الفاضلة حسب مقياس الإسلام للأخلاق، لأنه لا يمكن بدونه أن يطمئن عامة الناس إلى اجتهاد المجتهدين ولا أن تنشأ في قلوبهم عاطفة الاحترام للقانون إذا كان قد قام بوضعه الأفراد غير الصالحين.

ليس المطلوب ببيان هذه الأوصاف أن على كل مجتهد أن يثبت بدلائل على كونه متصفا بها، بل المطلوب ببيانها أنه لا يمكن بالاجتهاد إنعاش القانون الإسلامي وترقيته على الخطوط الصحيحة، إلا بأن يكون نظامنا لتعليم القانون صالحا لإعداد رجال من ذوي العلم متصفين بهذه الأوصاف والأخلاق المذكورة، وكل تشريع بدون ذلك لا يمكن أن يتفق مع نظام الإسلام القانوني ولا أن يستسيغه مجتمع المسلمين.

الطريق الصحيح للاجتهاد

وكما أن قبول الأمة شيئا من الاجتهاد والتشريع يتوقف على أن يكون المجتهدون صالحين للاجتهاد، فكذلك هو يتوقف على أن يكون اجتهادهم بطريق صحيح يطمأن إليه، فالشريطة الاولى للاجتهاد الصحيح - سواء أكان تفسيرا لحكم أو قياسا عليه أو استنباطا منه - أن يكون مبنيا على دلائل من القرآن والسنة، وأما إذا كان التشريع في دائرة المباحات فعلى المجتهد أن يأتي بالدلائل على أنه لا القرآن ولا السنة قررا حكما أو قاعدة في القضية، ولا جاء في أحدهما أساس للقياس فيها، ويجب أن يكون الاستدلال بنصوص القرآن والسنة قائما على قاعدة من القواعد المسلم بها بين أهل العلم، فإذا أراد المجتهد أن يستدل بالقرآن، فعليه ألا يفسر كل آية إلا بما تسمح به اللغة العربية وقواعدها وأساليبها المعروفة، ويتفق مع سياق عبارة القرآن، ولا يصطدم مع بيانات القرآن عن الموضوع نفسه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في مواضع أخرى، وتؤيده شروح السنة القولية والفعلية أو لا تعارضه على الاقل، وإذا أراد أن يستدل بالسنة الفعلية - مع رعاية اللغة وقواعدها وسياق العبارة- ألا يستدل في مسألة ما إلا بروايات صالحة لقيام الحجة بها حسب أصول علم الرواية، ولا يغفل ما في تلك المسألة الخاصة من الروايات القوية الأخرى ولا يستنتج من رواية ما يخالف الكتاب والسنة الثابتة بالطرق القوية الأخرى، وكل اجتهاد لا تراعى فيه هذه الأمور ولا يقوم إلا على أساس أهواء النفوس ورغباتها وأمانيها، فإنه لو جعل جزءا من القانون بالقوة السياسية، لن يقبله ضمير المسلمين الاجتماعي، ولن يكون جزءا من نظام الإسلام القانوني، إنه يبقى جزءا من القانون ما دامت القوة السياسية التي تنفذه آخذة بزمام نظام الحكومة ثم لا يكون محله مع زوالها إلا إلى سلة الأوراق المهملة.

كيف ينال الاجتهاد درجة القانون؟

ونظام الإسلام للقانون فيه عدة صور لنيل اجتهاد فرد أو طائفة درجة القانون فمنها أن ينعقد عليه إجماع أهل العلم من الأمة، ومنها أن يتلقاه الجمهور بالقبول كما قد تلقوا الفقه الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي في غير واحد من البلاد الإسلامية، ومنها أن تتبناه حكومة من حكومات المسلمين وتجعله قانونا لنفسها، ومنها أن يكون في الدولة مجلس للتشريع حسب الدستور فيسن القانون باجتهاده، أما اجتهاد مختلف أهل العلم علاوة على هذه الصور، فهو بمثابة الفتوى لا أكثر، وأما أقضية القضاة في المحاكم فهي- على نفاذها فيما يرفع إليهم من الدعاوى وكونها بمثابة النظائر والأشباه - لا تكون قانونا بالمعنى الصحيح، حتى إن أقضية الخلفاء الراشدين لم تنل درجة القانون في الإسلام ممن صدرت عنهم بصفتهم قضاة في المحكمة.

إني سأحاول في ختام هذا البحث أن أجيب - بأقصى ما يمكن من الإيجاز - على ما يمكن أن يثار حوله من اعتراضات: فالاعتراض الأول هو على المكانة التي بينتها للسنة مع القرآن في التشريع الإسلامي، فأريد- جوابا على هذا الاعتراض- أن أقدم إليكم أمورا، حتى تتضح لكم القضية وذلك بالترتيب الآتي:

أولاً - إن من الحقائق التاريخية الثابتة التي لا تقبل الإنكار والجحود أن الرسول ﷺ ما كان قد اكتفى- بعد أن اكرمه الله تعالى برسالته- بتبليغ الناس القرآن بتلاوته عليهم، بل كان مع ذلك قد قام بحركة شاملة، ظهر كنتيجة لها، مجتمع إسلامي خالص ونظام جديد للمدينة والحضارة وقامت دولة واسعة في بلاد العرب، فالسؤال الذي ينشأ في هذا الصدد: ان جميع هذه الأعمال التي قام بها الرسول عليه الصلاة والتسليم، علاوة على تبليغ القرآن بتلاوته على الناس، بأي صفة وعلى أي اعتبار كان قد قام بها؟ هل كان قيامه بها من حيث كان رسولا من الله، ممثلا لمرضاته، مثل تمثيل القرآن إياها، أم إنما كانت رسالته تنتهي بمجرد تلاوته ما ينزل عليه من القرآن حتى لم يكن بعدها إلا رجلا عاديا من عامة المسلمين، حيث لا حجة بقوله ولا عبرة بفعله في حد ذاته من الوجهة القانونية؟ فإذا سلمنا بالصورة الأولى، فلا بد لنا أن نسلم بالسنة حجة قانونية مع القرآن، وأما في الصورة الثانية، فلا مبرر البتة لجعلها من القانون.

ثانيا - أما القرآن فيبين لنا بيانا واضحا شافيا لا لبس فيه ولا إبهام، أن الرسول ﷺ، ما كان مبلغا لما ينزل عليه من القرآن فحسب، بل كان- مع ذلك- إماما للناس وحاكما ومعلما يجب على المسلمين أن يتبعوه ويطيعوه على المنشط والمكره ويعتبروا حياته أسوة لأنفسهم.

وأما العقل، فيأبى كل الإباء أن يعترف بقول من يقول إن الرسول إنما هو رسول لحد تبليغه للناس كلام ربهم، وما هو بعد ذلك إلا رجل مثل سائر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرجال، أما المسلمون منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا، فما زالوا ولا يزالون مجمعين على الاعتقاد بأن حياة الرسول ﷺ أسوة واجبة الاتباع، وأن كل أمر من أوامره ونهي من نواهيه يجب الوقوف عنده، إن هذه هي العقيدة التي ما زال ولا يزال عليها المسلمون، ولا يسع مسلما أن يجحد بأن هذه هي مكانة الرسول التي آمن بها المسلمون في كل مكان وفي كل زمان، وأنهم لأجل هذا ما زالوا يسلمون بسنته مصدرا أساسيا لقانونهم مع القرآن، وليت شعري كيف يجوز لرجل في هذا الزمان أن يتحدى هذه المكانة للسنة ما دام لا يعلن إعلانا واضحا سافرا أن محمدا ﷺ إنما كان نبيا إلى حد تبليغه القرآن، حيث كانت نبوته تنتهي بمجرد فراغه من تلاوته على الناس ثم إن هذا الرجل- اذا كان يدعي ذلك- عليه أن يبين إن كان يعطي الرسول هذه المكانة من عند نفسه أو إن القرآن هو الذي قد أعطى الرسول هذه المكانة؟ أما في الصورة الأولى فلا علاقة له بالإسلام أبدا وأما في الصورة الأخرى، فعليه أن يستدل بنص من نصوص القرآن.

ثالثا - والسؤال الذي ينشأ بعد تسليمنا بالسنة مصدرا أساسيا للقانون في حد ذاتها هو ما هي الوسيلة لمعرفة السنة؟ فأقول جوابا على هذا ان ليس لأول مرة قد واجهنا السؤال بأن السنة، التي تركتها في الدنيا تلك الرسالة التي كانت قد ظهرت في بلاد العرب قبل ألف وخمسمائة سنة، ماذا كانت هي؟ فهناك حقيقتان تاريخيتان لا تقبلان الإنكار أو المكابرة أولاهما أن المجتمع الذي تأسس على تعليم القرآن وسنة الرسول ﷺ منذ بدء الإسلام، لا يزال حيا قائما إلى هذا اليوم وما فارقته حياته ليوم واحد، وما زالت جميع مؤسساته طيلة هذه المدة قائمة بأعمالها بصفة غير منقطعة وأن التشابه الذي يوجد اليوم بين المسلمين في جميع أقطار الأرض على تباعدها في عقائدهم وأساليب فكرهم وأخلاقهم وقيمهم وعباداتهم ومعاملاتهم ونظريتهم في الحياة وطريقتهم لها، إن هذا التشابه أو التماثل بين المسلمين الذي يغلب فيه عنصر التوافق والتطابق على عنصر التخالف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والتفارق، لهو دليل واضح، وبرهان قاطع على أن المجتمع إنما أقيم على سنة واحدة بعينها، وأن هذه السنة ما زالت جارية في مجراها بصفة واحدة بدون انقطاع ولا توقف وأن هذه السنة ليست بشيء مفقود حتى نحتاج للبحث عن آثارها إلى التخبط خبط عشواء في الظلمات.

والحقيقة التاريخية الثانية، التي لا تقل عن الأولى في جلائها وسطوعها، هي أن المسلمين ما زالوا في كل زمان بعد الرسول ﷺ يبذلون سعيهم ليعرفوا ما هي السنة الثابتة، وما هو الشيء الأجنبي الذي يحاول التسرب إلى نظامهم للحياة بطريق صناعي؟ وبما أنهم كانوا يرون في السنة مصدرا لقانونهم وما كانت تحكم محاكمهم إلا بها ولا كانت تجري شؤون حياتهم- من شؤون بيوتهم إلى شؤون حكوماتهم- إلا على أساسها، فما كان لهم بوجه من الوجوه، أن يكونوا من الغافلين غير المكترثين لشيء في تحقيقها، فما زال كل جيل منا- منذ خلافة الإسلام الأولى إلى هذا اليوم- يرث عن سالفه وسائل هذا التحقيق ونتائجه ولا يزال محتفظا به عندنا اليوم كل عمل تم على يد جيل من أجيالنا الماضية بدون انقطاع ولا ضياع.

فهاتان الحقيقتان التاريخيتان إذا تأمل فيهما الإنسان ودرس ما اتخذ من الوسائل لنقل السنة دراسة علمية وافية، لا تكاد تساوره الشبهة بأن قضية تحقيق السنة ووسائل معرفتها معضلة لا يمكن أن يوجد لها حل.

رابعا - لا شك أن قد ظهرت في الماضي، ويجوز أن تظهر في المستقبل كذلك، اختلافات كثيرة في المسلمين حول تعيين المعنى لكثير من أحكام القرآن وآياته، فإذا كان لا يجوز أن يكون وجود مثل هذه الاختلافات دليلا على ترك القرآن، فكيف يجوز أن يكون دليلا على ترك السنة؟ من القواعد التي ما زال يعترف بها من قبل ولا بد من الاعتراف بها اليوم أيضا، أن كل من يدعي شيئا أنه من أحكام القرآن أو أحكام السنة، عليه أن يأتي بدليل على دعواه، فإن كانت دعواه قوية، فلا بد أن ترغم أهل العلم من الأمة أو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عددا كبيرا منهم على الأقل، على الاعتراف بصحتها، وأما إن كانت دعواه بدون وزن باعتبار الدليل، فلا تنال رواجا في الأمة أبدا، وهذه هي القاعدة التي على أساسها قد اجتمع عشرات الملايين من المسلمين في مختلف أقطار الأرض على مذهب من المذاهب الفقهية وأقامت جماعات كبيرة منهم نظامها الاجتماعي على طريق من الطرق لتفسير أحكام القرآن ومجموعة من مجامع السنة الثابتة.

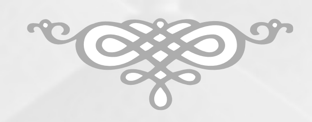
هذا هو جوابي على الاعتراض الأول، أما الاعتراض الثاني على مقالي، فهو أن فيه التناقض أي أن قولي «أن ليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعي أن يغير في أحكام الكتاب والسنة القاطعة» وقولي «إنه يجب أن يشخص بصدد تفسير الأحكام أنه أين وإلى أي حد يجوز للإنسان التشريع للحالات والوقائع الاستثنائية على ألا يصطدم مع أحكام الشريعة وقواعدها»، فهذان القولان بينهما التناقض في نظر المعترض، غير أني ما استطعت أن أجد بينهما هذا التناقض، لأن الدنيا لا يوجد فيها قانون، إلا وفيه الاستثناء من القاعدة العامة في حالة الاعتذار والاضطرار، وأن القرآن نفسه فيه غير نظير واحد لمثل هذه الرخص والاستثناءات، وأن الفقهاء قد حددوا القواعد التي لا بد من رعايتها في تعيين الرخصة ومواقعها، كقاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» وقاعدة «إن المشقة تجلب التيسير». والاعتراض الثالث على جميع أولئك الذين قد بينوا في مقالاتهم شرائط للاجتهاد والمجتهدين، وبما أني واحد من هؤلاء، أرى من الواجب على نفسي أن أقوم بالرد على هذا الاعتراض.

فالذي يحسن بي- في هذا الصدد- أن أطالب المعترض بأن يتفضل ويعيد النظر مرة أخرى فيما بينت في مقالي من الشرائط، ويبين أي هذه الشرائط يريد إسقاطه، أشرط أن يكون المجتهد مؤمنا بالشريعة الإسلامية وموقنا بكونها الحق، أم شرط أن يكون ملما باللغة العربية وقواعدها وأساليب أدبها، أم شرط أن يكون متضلعا من علم القرآن والسنة، أم شرط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن يكون واقفا على تراث الأمة القانوني الذي ورثناه عن فقهاء السلف أم شرط أن يكون مطلعا على أحوال الحياة العملية، أم شرط أن يكون متخلقا بالأخلاق الفاضلة حسب مقياس الإسلام للأخلاق؟ - هذه هي الشرائط التي بينتها في مقالي، فليتكرم المعترض ويبين بالتحديد أي شرط من هذه الشرائط يجب حذفه، أما القول بأنه لا يمكن أن يوجد في الدنيا كلها إلا عشرة أو أحد عشر رجلا يعتبر أهلا لمثل هذه الشرائط، فإني لا أرى هذا القول إلا مبالغة شنيعة في سوء الظن بمسلمي الدنيا.

ولعلنا لم ننل الانحطاط حتى في نظر أعدائنا إلى درجة ألا يروا من بين مسلمي الدنيا كلها إلا عشرة أو أحد عشر رجلا متصفين بهذه الصفات اللازمة للاجتهاد، وأقول إنكم إذا كنتم متشوقين إلى فتح باب الاجتهاد لكل زيد وعمرو، فافتحوه على الرأس والعين، ولكن بينوا لي على الأقل أن الاجتهاد الذي سيتولاه الجهال بالإسلام، غير المتقيدين بالأخلاق، غير المخلصين في إرادتهم، المشبوهين في نياتهم، ماذا ستعملون لجعل اجتهادهم شرابا عذبا فراتا يستسيغه جمهور المسلمين؟



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٢٦)

العلم يدعو للإيمان

العدد (٨١) **رمضان** (١٣٩١هـ) **أكتوبر** (١٩٧١م)

إلى متى يظل الإنسان منطلقا في هذه الحياة كالقذيفة الطائشة، لا يدري كيف يسير، ولا إلى أين المصير؟

وإلى متى يبقى مندفعا بقواه المذخورة وأهوائه المحصورة حتى إذا نفدت قوته وبطلت حركته سقط حيث طاشت به مطارح الدنيا؟

﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (**الحج: ٣١**).

عجبت لقوم ينكرون الله، ويجحدون مبتداهم منه ومنتهاهم إليه!

وأعجب من ذلك أن يتوسلوا إلى إلحادهم بالعلم! العلم الذي هو نهج الإيمان بالحق، ودليل الوجود الأعلى!

فإذا ذهبت تتعرف شبههم وجدت إما قصورا في العلم يلحق صاحبه بالجهال، وإما غرورا بأدنى الحظوظ منه.

والمغرور بالقليل يرسل أحكامه مبتسرة مضللة، لا وزن لها ولا معول عليها.

وفي بلادنا صنف من الناس ليس له زاد من المعرفة، إلا قراءات على هامش الأسفار الضخام التي كتبها العلماء الراسخون.

قابلت أحدهم يوما ما وما زلت أذكر الحوار العنيف الذي دار بيني وبينه! كان هذا المغفل يجادلني في وجود الله، ويسوق كلمات حفظها من نظرية النشوء والارتقاء، ويريد ليوهمني أن خلق الإنسان سوي المشاعر نابض الأجهزة لماح الذكاء أضحى عملا في مقدور العلم وأن معامل الكيمياء توشك أن تفاجئنا بهذا الاختراع!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلما تحسست حصيلة هذا المجادل من علوم الكون والحياة وجدتها قشورا يسيرة، فاستغربت أن رجلا بضاعته حروف الهجاء في فن من الفنون يصطنع فيه درجة الإمامة التي تمحو وتثبت! وفي ماذا؟ في حقيقة الوجود الأعلى!

فاكتفيت بأن أكشف لهذا المغرور جهالته، ثم تركته، وعلى لساني قول الشاعر:

نجا بك عرضك منجى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا!

وتذكرت قول الله تبارك تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (**الحج: ٨، ٩**).

من الخرافات الشائعة، أن كثيرا من عظماء التاريخ لا أخلاق لهم، وأن كثيرا من علماء الكون لا إيمان لهم!

وأحسب أن ترويج هذه الخرافة بعض ما تلجأ إليه الشياطين في محاربة الإيمان والأخلاق، حتى تنشأ الأجيال الغضة وهي تحسب التحلل والتمرد أقصر الطرق إلى العبقرية والسمو!

والحق أن عرى الأخلاق هي التي صنعت ألوف الرجال، وأن الإيمان بالله حقيقة مقررة لدى جمهور العلماء الراسخين.

نعم قد تكون لدى هؤلاء العلماء رِيَبٌ في أغلب الديانات المشهورة أو فيها كلها، بيد أن العيب لا يرجع إلى أولئك العلماء الماديين قدر ما يرجع إلى أصحاب الأديان الذين شوهوا رسالات الله، إما بتحريف الكلم عن مواضعه، وإما بالأعمال الشائنة التي تضع من أقدار المتدينين، وما يحملونه من دين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والقرآن الكريم لم يصم بالكفر إلا قوما تكشّف لهم الحق فجحدوه، وعرض عليهم الدين كاملا فأزروا به وانتقصوه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (**محمد: ٢٥**) ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ...﴾ (**النساء: ١١٥**)

أقول ذلك بعدما انتهيت من مطالعة كتاب «العلم يدعو للإيمان» وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه أنه تعريف بالخلائق يقودك إلى خالقها وشرح للكون ينتهي بك إلى باريه.

وهل للإيمان الذكي العميق نبع يجيش به إلا من هذه المطالعة الدارسة للحياة والأحياء؟ ولأمر ما قال الله عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (**الأنعام: ٧٥**).

إن الإيمان لا ينمو في قلب، ويتخلل شعابه، ويغمر رحابه إلا بمدى ما يعي المرء من آيات الله في ملكوته.

ومسلك المؤلف العالم في كتابه هذا يقوم على عرض الحقائق المتيقنة عرضا لا أثر فيه للأوهام والفروض، ولا مكان فيه للمغيبات والنصوص.

إنه يحترم قوانين المنطق الحديث والفلسفة الحرة ويستهدي إلى غاياته طرقا لا يختلف على صحتها المؤمنون بما وراء المادة والجاحدون لها.

ولقد تابعته بعقلي كما تتبع العين الأشعة الكاشفة، وهي تنتقل من أقصى الأفق إلى أقصى الأفق، إن ثروة هذا الرجل في المعارف الكونية طائلة هائلة، وإنك لتعجب أهو أخصائي في الفلك أم في التشريح أم في الكيمياء أم في غيرها؟

ولا غرو فهو رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك، فحديثه عن العالم الكبير الذي نعيش فيه، وعن القوانين الضابطة لسيره، وعن الأسرار الكامنة في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

متونه وحواشيه حديث الخبير الراسخ المتأنق في سرده واحتجاجه!

والكتاب كله تفصيل مطرد متسق، لما أسماه علماء التوحيد عندنا بدليل الإبداع، وأساس هذا الدليل على وجود الله لفت النظر إلى ما في الكون من دقة وحكمة.

هل رأيت شريط السكة الحديد الممتد من القاهرة إلى الإسكندرية مثلا؟

إنه يربو على مائتي ميل.. والمسافة بين الخطين المتوازيين الممهدين لانطلاق عجلات القطار فوقهما لا تزيد ولا تنقص مع بعد الشقة!

ألا يدل ثبات هذا العرض على إعداد مقصود لسير القطار فوقه؟ ألا تدل طريقة المد والتمكين على أن القطار المنساب سيجري بسرعة معينة؟ ويحمل أثقالا كثيرة؟

هل إذا رأيت أذرعة القاطرة تغمز العجلات بعدما حركتها سلسلة مضبوطة منسقة من الآلات والأجهزة، فإذا القطار يتحرك وينهب الأرض نهبا، أتحسب أن هذه الأجهزة المتراكبة والآلات المتناسقة قد أخذت أوضاعها العتيدة من غير فكرة صاحبتها وغرض تنتهي به؟

هذا مستحيل!

على هذا النحو أخذ الباحث الضليع يسوق آلاف الأمثلة من حقائق الأرض والسماء فإذا أنت أمام حشود لا آخر لها من براهين الوجود الأعلى، اسمع إليه يقول:

«قد رأينا أن العالم في مكانه الصحيح، وأن قشرة الأرض مرتبة إلى مدى عشرة أقدام، وأن المحيط لو كان أعمق مما هو بضعة أقدام لما كان لدينا أوكسجين ولا نبات! وقد رأينا الأرض تدور كل أربع وعشرين ساعة، وأن هذا الدوران لو تأخر لما أمكن وجود الحياة، ولو زادت سرعة الأرض

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حول الشمس أو نقصت لتغير تاريخ الحياة إن وجدت تغيرا تاما، وقد رأينا هذه الشمس هي الوحيدة بين الآلاف التي جعلت حياتنا على الأرض ممكنة وأن حجمها وكثافتها ودرجة حرارتها وطبيعة أشعتها يجب أن تكون صحيحة كلها على ما وجدناها، وهي صحيحة فعلا، ورأينا أن الغازات التي بالهواء منضم بعضها إلى البعض بنسب دقيقة، وأن أقل تغيير فيها يكون قتالاً... إلخ».

ماذا يعني ذلك كله؟ ألا يردك إلى الله ويعلقك به؟

ومع ذلك فيوجد من الناس من يقول لك: إن الساعة التي في معصمك قد استدارت تروسها وتشابكت آلاتها وانضبطت دقائقها تحرك عقرب الثواني، وتحرك عقرب الساعات بعدما تحرك عقرب الدقائق كل ذلك بمحض الصدفة!

فهذا الحساب المحصى للزمن لم تشرف على تسجيله وإحكام مراصده فكرة واعية ولا يد صناع! كذلك يقول بعض المتعالمين عن السموات والأرض وما بينهما.

وقد تحدث هذا العارف الحصيف عن الصدفة وما ينسبه لها الواهمون من تنظيم واقتدار فقال: «إن الصدفة تبدو شاردة غير منتظرة أو غير خاضعة لأية طريقة من طرق الحساب عند قليلي الخبرة، ضعاف الملاحظة.

ولكن إذا كنا ندهش لمفاجآتها فإنها- مع ذلك- خاضعة لقانون صارم نافذ! لنفرض أن معك كيسا يحوي مائة قطعة رخام تسعة وتسعون منها سوداء وواحدة بيضاء.. والآن هز الكيس وخذ منه واحدة، إن فرصة سحب القطعة البيضاء هي بنسبة واحد إلى مائة، والآن أعد قطع الرخام إلى الكيس وابدأ من جديد... إن فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد إلى مائة، وإن فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هي بنسبة واحد إلى عشرة آلاف (المائة بعدما ضوعفت مائة مرة)!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم جرب مرة أخرى أو مرتين تصبح الأرقام فلكية!

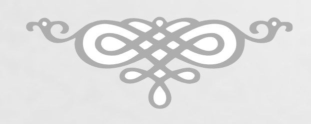
إن نتائج المصادفة مقيدة بقانون صارم تقييدا وثيقا كما أن اثنين واثنين يساويان أربعة»

ويقول في مكان آخر «وإذا نظرنا إلى حجم الكرة الأرضية ومكانها في الفضاء وبراعة التنظيمات التي تمسكها فإن فرصة حصول بعض هذه التنظيمات مصادفة هي بنسبة واحد إلى مليون. وفرصة حدوثها كلها لا يمكن حسابها حتى بالبلايين.

ونقول بل لا يمكن افتراضها إلا في تصور المستحيلات، فإن العقل الذي يمنع أن تبني المصادفات دارا من بضع حجرات يجزم آكد الجزم بأن هذا العالم الكبير- بأفلاكه وآماده وحيوانه وجماده وإنسه وجنه- يستحيل أن تنشئه صدفة عارضة!

ثم هل نحسب أن مؤونة إبقائه وحياطته أيسر من إيجاده لأول مرة؟

إن كلا الأمرين ليس إلا لله ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (**الزمر: ٦٢، ٦٣**).



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٢٧)

الحج

العدد (٨٣) ذي القعدة (١٣٩١هـ) ديسمبر (١٩٧١م)

الإسلام دين توحيد خالص، دين لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربه، ولا بمشهود محسوس يركز عليه الإنسان تفكيره، ويصرف إليه همته، ليتخيل به الإله الذي لا تدركه الأبصار، ويرتبط به في خياله ويتمسك بأذياله، فلا وسائط ولا مظاهر، ولا صور ولا أصنام، ولا هياكل ولا طبقة كهان ولا سدنة، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (**البقرة:** ١٨٦)، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (**الزمر:** ٢،٣).

إذن فالإسلام دين يطلب تجردا في الخيال، وسموا في الفكر، ونقاء في الإرادة والنية، وإخلاصا في العمل والتطبيق وانقطاعا عن الغير، لا يتصور فوقه أكثر منه، ومستوى في الفكر والعقيدة، لم تبلغ الإنسانية ولا الأديان والفلسفات، والنظم الدينية أو العقلية إلى مثله أو قريب منه، وقد وصف الله نفسه بما لا مزيد عليه في الدقة والسمو، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (**الشورى:** ١١).

ولكن الفطرة البشرية هي الفطرة البشرية، فالإنسان ما زال- ولا يزال- باحثا عن شيء يراه بعينه، فيوجه إليه أشواقه، ويقضي به حنينه ويشبع به رغبته الملحة، في التعظيم والدنو.

وقد اختار الله أمورا ظاهرة محسوسة، اختصت به ونسبت إليه وتجلت عليها رحمته، وحفتها عنايته بحيث إذا رؤيت ذكر الله، وارتبط بها وقائع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحوادث، وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه، ودينه وتوحيده، وحسن بلاء أنبيائه، وسماها «شعائر الله» التي جعل تعظيمها تعظيمه، والتفريط في جنبها تفريطا في جنبه، وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم، ورغبتهم الفطرية في الدنو والمشاهدة، بل حث على ذلك، ودعا إليه فقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (**الحج: ٣٢**)، وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ (**الحج: ٣٠**).

ثم إن الإنسان ليس عقلا مجردا، ولا كائنا جامدا يخضع لقانون، أو إرادة قاسرة، ولا جهازا حديديا يتحرك ويسير تحت قانون معلوم، أو على خط مرسوم، إن الانسان عقل وقلب، وإيمان وعاطفة وطاعة وخضوع وهيام وولع وحب وحنان، وفي ذلك سر عظمته وشرفه وكرامته، وسر قوته وعبقريته وإبداعه، وسر تفانيه وتضحيته، وبذلك استطاع أن يتغلب على كل معضلة ومشكلة، وأن يصنع العجائب والخوارق، واستحق أن يحمل أمانة الله التي اعتذرت عنها السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، ووصل إلى ما لم يصل إليه ملك مقرب، ولا حيوان ولا نبات ولا جماد.

إن صلة هذا الإنسان بربه ليست صلة قانونية عقلية فحسب، يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه، ويخضع أمامه، ويطيع أوامره وأحكامه، إنما هي صلة حب وعاطفة كذلك، صلة لا بد أن يرافقها ويقترن بها، ويتحكم فيها حنان وشوق، وهيام ولوعة، وتفان وتهالك، والدين لا يمنع من ذلك، بل يدعو إليه ويغذيه ويقويه، فتارة يقول القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (**البقرة: ١٦٥**) وتارة يقول: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ **(التوبة: ٢٤)** ويذكر أنبياءه ورسله وينوه بحبهم وحنانهم، ويحدث عن أشواقهم وتفانيهم في هذا الحب، فيقول عن يحيى عليه السلام: ﴿**وآتيناه الحكم صبيا. وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا**﴾ **(مريم: ١٢-١٣)** ويحكي قصة خليله إبراهيم، كيف آثر حب الله وطاعته على حب ولده، وفلذة كبده، وكيف وضع السكين على حلقومه، وحاول ذبحه حتى شهد ربه بصدقه وحسن بلائه، وقال: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾ **(الصافات: ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦)** ولذلك قال في وصف إبراهيم:﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴾ **(هود: ٧٥)**.

وذلك سر إطالة القرآن في ذكر صفات الله وأفعاله، وآلائه ونعمائه وإشادته بها والعودة إليها مرة بعد مرة، فإن الصفات هي التي تثير الحب وتبعث الحنان، وتوجد الأشواق، وذلك سر تفصيل القرآن الذي يعبر عنه بعض علماء الكلام وأئمة الإسلام، «بالنفي المجمل والإثبات المفصل» فإن الإثبات هو الذي ينبع منه الحب، ويفيض منه الحنان، وتنبعث به الأشواق، وتتغذى به العاطفة، فإذا كان النفي رائد العقل كان الإثبات رائد القلب، ولولا هذه الصفات العليا وأسماء الله الحسنى التي نطق بها القرآن ووردت بها السنة، وهام بها الهائمون، وتغنى بها العارفون وسبح بها المسبحون، وسبح في بحارها ونزل في أعماقها الغواصون، لكان هذا الدين جامدا، لا يملك على أتباعه قلبا، ولا يثير فيهم عاطفة، ولا يبعث فيهم حماسة، ولا يحدث في القلب رقة، ولا في الصلاة خشوعا، ولا في العين دموعا، ولا في الدعاء ابتهالا، ولا في الجهاد تفانيا، وكانت علاقة العبد بربه علاقة محدودة ميتة لا حياة فيها ولا روح، ولا مرونة ولا سعة، وكانت الحياة كلها حياة رتيبة، لا عاطفة فيها ولا أشواق، ولاحنان فيها ولا هيام، وإذن، أي فرق بين الحياة والموت، وبين الإنسان والجماد؟ لقد كان المسلم في حاجة إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غذاء للقلب، وإلى زاد للعاطفة، وإلى أن يقضي شوقه، ويروي غلته، مرة بعد مرة وعلى فترة بعد فترة، وكان في حاجة إلى أن تطفح كأسه، فما قيمة كأس تمتلئ ولا تطفح؟ وكان في حاجة إلى أن تفيض هذه الكأس، فما قيمة كأس تطفح ولا تفيض؟

لقد كان للمسلم أن يقضي هذا الشوق، وأن يبرز هذا الحنان، وأن تفيض كأسه في الصلوات التي يصليها كل يوم، فيسلي بها قلبه ويطفئ بها غلته، ويهدئ بها ثائرته، ويخفف بها حرارة شوقه، ووهج نفسه، ولكنها قطرات محدودة تتكون خشوعا، أو تسقط دموعا، إنها قطرات قد لا تفي بما يجيش في الصدر من حنان وولع، وهي قطرات قليلة في بعض الأحيان لا تسمن ولا تغني من جوع.

لقد كان المسلم في حاجة، بعد هذه الصلوات، التي يصليها كل يوم، وبعد شهر رمضان الذي يصومه كل عام، وبعد الزكاة التي يقوم بها إذا تم النصاب وحال الحول، إلى أن يشهد موسما هو ربيع الحب والحنان، وملتقى المحبين والمخلصين، ومشهد العشاق والهائمين.

وكان المسلم في حاجة إلى أن يثور على عقله الرزين الوقور، المقلد المطبق، وما لذة حياة لا ثورة فيها ولا تمرد؟ وكان في حاجة إلى أن يتخطى الدائرة المرسومة من عادات ومألوفات، وقوانين وضعية، وحضارة مصطنعة ومجتمع قاس، ويفك قيوده وأغلاله، وينتزع الزمام من يد عقله، الذي استبد به زمانا طويلا، ويعطيه لقلبه وعاطفته، فيتحكمان فيه ما شاءا، ويهيم على وجهه كما هام الهائمون، ويذهب في الحب كل مذهب كما فعل العشاق المتيمون، فلا حرية لمن ملكه المجتمع، وسيطرت عليه الحضارة، وتسلطت عليه آلهة التقاليد، ولا توحيد لمن أسرته العادات، والمألوفات والشهوات، ولا يعتبر مطيعا منقادا مسلما مستسلما من اعتمد دائما على عقله، لا ينشط لعمل، ولا يسرع لامتثال أمر حتى يزنه في ميزان عقله المخلوق، ويعرف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فوائده المادية المحسوسة. والحج بوضعه الدقيق الغامض، المنافي للمألوف المعروف لعباد العقل والمادة، وأسارى النظم والترتيبات، دعوة إلى الإيمان بالغيب، واتباع الأمر المجرد، وعزل العقل عن وظيفته لمدة محدودة، وفي مكان محدود، وصرف عن طلب الدليل والحكمة والمنطق والفلسفة في كل حين وأوان، وفي كل زمان ومكان.

والحج بمناسكه وأركانه وأعماله، كله تمرين وتمثيل للإطاعة المطلقة، وامتثال للأمر، وتلبية وإجابة للطلب، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى، وعرفات والمزدلفة، ثم منى ومكة.. يقيم ويرحل، ويمكث وينتقل، ويخيم ويقلع، إنما هو طوع إشارة ورهين أمر، ليست له إرادة ولا حكم، وليس له اختيار ولا حرية، ينزل بمنى، فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال إلى عرفات، من غير أن يقف بالمزدلفة، ويقف بعرفات، ويظل سحابة النهار مشتغلا بالدعاء والعبادة، وتحدثه نفسه بالمكث بعد الغروب، ليستجم ويستريح، فلا يسمح له بذلك، ويؤمر بالانتقال إلى المزدلفة، ويقضي حياته محافظا على الصلوات في وقتها، ويؤمر بترك صلاة المغرب في عرفة لأنه عبد لربه، ليس عبدا لصلاته وعاداته، فلا يصليها إلا بالمزدلفة، فيريد أن يطيلها، فلا يسمح له بذلك، ويؤمر بالانتقال إلى منى.

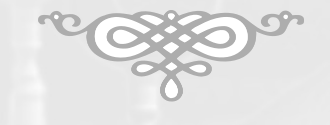
وهكذا كانت حياة إبراهيم وحياة الأنبياء، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين والمتيمين، نزول وارتحال ومكث وانتقال، وعقد وحل، ونقض وإبرام، ووصل وهجر، ولا خضوع لعادة، ولا إجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى.

وكان ينبغي أن يكون ذلك في مكان قد قام فيه أكبر المحبين وإمام المخلصين، وأشد الناس حبا لله، وأحبهم إلى الله في عصره، وأسرته الصغيرة، الطيبة المباركة، بأكبر دور في الحب والولاء، والإخلاص والوفاء، والإيثار والفداء، وقاموا بأروع رواية وأجملها في تاريخ الحب السامي والولاء الطاهر، والإخلاص المعجز، وجاء من بعدهم الأنبياء والمرسلون، والموحدون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المخلصون، والمحبون في كل عصر، فنسكوا مناسكهم وشهدوا مشاهدهم، واحتذوا حذوهم، وترسموا خطاهم، وحكوا هذه الرواية وأعادوها، فطافوا حول البيت، وسعوا بين الصفا والمروة، ووقفوا بعرفات، وباتوا في المزدلفة ورموا الجمرات ونسكوا في منى.

وكان في المكان والزمان، وفصول الرواية التي يعيدونها، والأعمال التي يقلدونها، ونسائم الحب التي ينشقونها، والجو الفائض بالإيمان والحنان الذي يعيشون فيه، وطبقات الأمة، التي يتصلون بها ويعاشرونها، وفي هذا الالتقاء الديني الروحي الذي لا نظير له على وجه الارض، وفي هذا الضجيج من الدعاء والذكر والتلبية والاستغفار، ما يعيد الحياة إلى القلوب الميتة، ويحرك الهمم الفاترة، وينبه النفوس الخامدة، ويشعل شرارة الحب والطموح التي انطفأت، أو كادت تنطفئ، ويجلب رحمة الله.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٢٨)

مشاعر أسيفة في ذكرى المولد

يا للرجال بغير دين!

العدد (٨٧) **ربيع الأول** (١٣٩٢هـ) **إبريل** (١٩٧٢م)

الله جل جلاله ربَّى محمدا ليربي بهِ العَرب وربّى العرب بمحمَّد ليربي بهم الناس

أحيانا يقترف الناس في جنب الله سيئات يظهر فيها جهلهم به، واجتراؤهم عليه، وينكشف فيها ما فاتهم من خشوع وأدب، فيكون تعليق القرآن الكريم على هذا النوع أو العوج المنكور ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (**الحج: ٧٤**) أو ما أشبه ذلك من التعليقات التي تبرز بعد الشقة بين ما يجب لله، وما يقع من الناس.

والنقائض في أفعال البشر كثيرة، ولعل أخسها بعد الإساءة إلى الله ما يلقاه محمد ﷺ من جماهير العرب في هذا العصر الأنكد! إنهم ما أحسنوا إلى تراثه، ولا قدروه، ولا غالوا بشرف الانتساب إليه عندما ابتلوا بالتقصير فيه! بل وجد فيهم من يريد العيش بعيدا عن رسالته زاهدا في دعوته.

ولما كان الله قد ربى محمدا ليربي به العرب، وربى العرب بمحمد ليربي بهم الناس، فإن معنى التجهم لمحمد وتراثه أن العرب ينتحرون في الميدان العالمي، وأنهم يحاولون أن ينأوا بأنفسهم في ركن من الأرض فقير من عناصر الشرف والسيادة ومقومات الحق في الدنيا والآخرة!

إنني أسأل نفسي بإلحاح في هذه الأيام العجاف: هل يشعر العرب بأن محمدا مرسل للعالمين؟ وأن هذه «العالمية» في دعوته تفرض عليهم بعد إذ عرفوه أن يعرفوا الناس به، وهم عندما يعرفون الناس به لن يصفوا لهم ملامحه الشخصية وإنما يشرحون لهم رسالته الإلهية!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لكن عرب اليوم لا يقدرون محمدا قدره، ولا يخلفونه بأمانة في مبادئه وتعاليمه، ولا يحسون قبح الشبهات التي أثارها خصومه ضده، بل هم- علما وعملا- مصدر متاعب للإسلام ونبيه الكريم، وشاهد زور يجعل الحكم عليه لا له! قد تقول: حسبك حسبك، إن الناس بخير، ومحبتهم لرسولهم فوق التهم فلا تطلق هذه الصيحات الساخطة فما تحب الجماهير أحدا، كما يحب أتباع محمد محمدا.

وأقول لك: سوف أغمض العين عن ألوف من المتعلمين ضلل الاستعمار الثقافي سعيهم، وشوه بصائرهم وأذواقهم، مع أن وزنهم ثقيل في قيادة الأمة العربية، فما قيمة الحب الرخيص الذي تكنه جماهير الدهماء؟

إنه حب غايته صلوات تفلت من الشفتين مصحوبة بعواطف حارة أو باردة، وقلما تتحول إلى عمل كبير وجهاد خطير، والترجمة عن حب محمد بهذا الأسلوب في وقت ينهب فيه تراثه أمر مرفوض، إن لم يكن ضربا من النفاق!

أذكر أني ذهبت يوما لأحد التجار كي أصلح شيئا لي، فاحتفى بي وقدم بعض الأشربة، وأفهمني أنه أتم ما أريد بعد أن وفيته ما أراد، ثم شعرت أن عمله كان ناقصا ولا أقول مغشوشا! فقلت: ليته ما حيا ولا رحب، وأدى ما عليه بصدق! ماذا أستفيد من تحيات لا جد معها ولا إخلاص؟

والشأن كذلك مع أقوام قد تموج أحفال المولد النبوي بهم، أو قد يصرخون بالصلاة على رسول الله في أعقاب الأذان، أو قد يؤلفون صلوات من عند أنفسهم يحار المرء في تراكيبها لإغراقها في الخيال.

وقد يكون حبهم تمسكا شديدا ببعض النوافل، وهروبا تاما من بعض الفرائض، أو حنانا لا ندى معه ولا عطاء كهذا الذي قال له الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما قدمت لي زادا

أي حب هذا؟ إن العرب لا يعرفون أي شرف كتب لجنسهم ولغتهم وأمسهم وغدهم عندما ابتعث الله محمدا منهم، وإن التقدير الحق لهذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشرف لا يكون بالسلوك المستغرب الذي يواقعونه الآن، ومنذ بدأوا يعبثون برسالة الله بينهم.

لما أراد رب العزة أن يعلن بركته النامية ورحمته الهامية اختار في كتابه العزيز عبارتين مبينتين

الأولى تتحدث عن هذه البركة في مظهر القدرة التي تجمع أزمة الكون في يده، فيستحيل أن يغلب يوما على أمره، أو يشركه أحد في ملكه، وفي هذا المعنى يقول جل شأنه: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (**الملك**:١).

والثانية تتحدث عن هذه البركة في صورة الرجل الذي حمل هداه الأخير إلى عباده، وتفجرت ينابيع الحكمة من بيانه وسيرته، فكان القرآن الذي يتلوه مشرق شعاع لا ينطفئ، يهتدي على سناه أهل القارات الخمس ما بقي الليل والنهار، وفي هذا المعنى يقول جل شأنه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(**الفرقان**: ١).

إن الإنسان المبعوث رحمة للعالمين أشعل الأمة التي ظهر في ربوعها فانطلقت لأول مرة من بدء الخليقة تحمل للناس الخير والعدل، واستطاعت أن تؤدب جبابرة الأرض الذين عاثوا في أرجائها فسادا، وظنوا أن كبرياءهم لن يخدشها أحد!

حتى جاء الرجال الذين رباهم محمد فقوموا صعر المعتدين، وأعزوا جانب المستضعفين، وكم تحتاج الدنيا في يوم الناس هذا إلى هذا الطراز من الرجال ليحموا الحق الذليل، وينقذوا التوحيد المهان، ويقروا الأخوة الإنسانية المنكورة، وينزلوا البيض إلى منزلة السود أو يرفعوا السود إلى منزلة البيض.

لكن السقطة الرهيبة للعرب المعاصرين أنهم ذاهلون عن المكانة التي

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

منحهم محمد إياها، هابطون عن المستوى الذي شدهم إليه، وفيهم من يفتح فمه ليقول: إن العرب يمكن أن يكونوا شيئا من غير محمد!

قبح الله وجهك من قائل أفاك!

ومن أيام جاءني نفر من العامة متنازعون على إدارة مسجد، بعضهم يريد في الأذان أن يقول أشهد أن سيدنا محمد رسول الله.. والآخر يريد الاكتفاء بالوارد، فلا يذكر لفظ سيدنا لأنه مبتدع.

ونظرت إلى أعراض المرض الذي يفتك بالأمة المعتلة، وقلت لهم: إن محترفي الإفك من المبشرين والمستشرقين ملأوا أقطار العالم بالافتراء على محمد وشخصه ودينه، ورسموا له صورة مشوهة في أذهان الكثيرين، وأنتم هنا لا تزالون في هذا الغباء.

ما أشقى دينا أنتم أتباعه! إن المسلمين بين ما ورثوا من جهل، وما نضح عليهم من ضلال العصر لا يزالون يهرفون بما لا يعرفون.. إن حب محمد يوم يكون لقبا يضفيه عليه الكسالى الواهنون فهو حب لا وزن له، ولا أثر! ويوم يكون أحفالا رسمية وشعبية بيوم ميلاده، فهو حب لا وزن له ولا أثر، ويوم يكون قراءة لكتابه في مواكب الموت ومجالس العزاء، فهو حب لا وزن له ولا أثر.. لأن محمدا هو الرسول الذي رسم للبشر طريق التسامي الحقيقي، ورسم للجماعات طريق التلاقي على الحقائق والفضائل، فدينه عقل يأبى الخرافة.. وقلب يعلو على الأهواء.

ماذا كسب المسلمون عندما حولوا الدين من موضوع إلى شكل؟ وماذا كسب العرب عندما شقوا طريقهم إلى المستقبل وهم يطوون اسم محمد وتراثه من نشاطهم السياسي والعسكري؟

إن مسلمي الباكستان هزمتهم سياسة امرأة ذكية ماهرة! ورجالات العرب دوختهم سياسة عجوز شمطاء يا للرجل بلا دين!



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إنني وألوفا من المؤمنين نحب محمدا ﷺ، ونشعر بما له في أعناقنا من دين، وبما أفاء علينا من نعمة، وبما يجب أن يتوطد له في الدنيا من سلطان مادي وأدبي، وبالفقر المدقع الذي يعانيه العالم لحرمانه من الرسالة التي اضطلع بها وخلفه في إبلاغها العرب، فلم يحسنوا البلاغ.

إنني ألوم نفسي، وألوم قومي، ويتردد في نفسي صدى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ (**الزخرف: ٤٤**).



قال لي أحد الصالحين: إننا نحيّي ربنا جل شأنه ونحن جلوس في صلوات، أليس كذلك؟

قلت: نعم، عقب الركوع والسجود، نهمس وأيدينا على الركب: التحيات لله...

قال: ثم نتوجه إلى الرسول بالسلام بصيغة المخاطب الحاضر، نقول- وكأن الكلام لشخص قريب منا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته...!

قلت: أجل، كذلك نفعل، على بعد المكان والزمان بيننا وبين الرسول الكريم!

قال: إن السلام أفرغ في تلك الصيغة قصدا، لأن النبي يجب أن يكون حيا في ضمير كل مؤمن، يجب أن ينتصب له مثال مرموق في وعي المسلم اليقظ تتحقق فيه ملامح الصورة الذاهبة!

وهل تؤخذ الأسوة الواجبة إلا من هذا الاستحضار الدائم؟

لقد مرت أعصار على موت الرسول ﷺ، لكن القيم الرفيعة التي تجسدت فيه ونماذج العبودية لله، والجهاد في سبيله والحنو على خلقه، وصور الكمال البشري في العفاف والعدل والإيثار والمرحمة... تلك كلها معان لم تمت، وإنما خلدت في كيان هذا النبي المحمد.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والمسلم عندما يقول في صلواته: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته إنما يقترب من إمامه الأعظم الذي أمره الله أن يتأسى به، وأن يسعى في ركابه.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ **(الأحزاب: ٢١)**



واسترسل الرجل الصالح في عاطفته المهتاجة، وأخذ يشرح لي ما يعني، قال:

إن الشمس في رائعة النهار لا تعتبر غائبة عن بصير، وتستطيع كل مرآة مجلوة الصفحة أن تعكس صورة لقرصها أو لهالتها أو لأشعتها، ومحمد ﷺ في عالم اليقين والخلق، شمس لا ينكر لها بريق ولا يغيم لها ضوء.

ان القدوة الطيبة تقوم على استحضار المثل الأعلى في الذهن، ومحاولة السير على غراره في الخارج، والائتناس الدائم بهذا المثل الأعلى هو الذي يلهج الألسنة بعد تحية الله تبارك وتعالى بالسلام على رسوله، سلام «حضور» لا سلام «غيبة» ومن ثم كان كل مصل يقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباده الصالحين».

ومحمد رسول الله- ﷺ- معقد الحقائق التي يصلح بها العالم من أزله إلى أبده، والتعاليم التي جاء بها لا يستغني عنها الأولون والآخرون إلا إذا استغنت الأكوان عن نظام الجاذبية وسائر السنن العامة، واضطراب الحياة إنما يرجع إلى تجاهل الهدايات التي جاء بها النبيون، والتي أتمها وأجملها هذا النبي الخاتم وما يثوب الناس إلى رشدهم إلا يوم يحتفون بهذه الرسالة وصاحبها ويعرفون حكم الله عن طريقه.

وكان حقا على العالم كله أن يصدق بهذه البعثة العامة، ولكن العالم تنكر لها وتطاول على رجلها الكبير.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعندي أن الشفاعة العظمى التي جاءت السنن بثبوتها لرسول الله ﷺ- لا تعدو أن تكون لونا من تأديب البشر كافة على موقفهم السابق من نبي الإسلام، فإن رسول أي عظيم يستحق من التوقير والإعزاز بقدر ما لمرسله من مكانة، والرجل الذي أرسله رب العالمين كان يجب أن يلقى من التكرمة ما يرفع ذكره، ويعلي شأنه، غير أن أكثر الناس تواصوا بالصد عنه وجحد دعوته، ورغبوا عن الحق الذي معه، وبخسوا قيمته ثم تتابعت الأجيال والخلف في أغلب بقاع الأرض يتوارثون عن سلفهم هذا التكذيب الشنيع.

ولو نظرت في هذه الألوف المؤلفة من الكنائس والمعابد، لوجدت داخلها أجهزة منظمة دوارة تعمل في غير ملل لصرف الناس عن الإسلام ونسبة أقبح النعوت إلى نبيه المبرأ الشريف.

وكأن الله تبارك اسمه شاء أن يعرف هذه الأمم مدى ما كانت فيه من غباوة، وأن يذيقها شيئا من مرارة الجريمة التي ارتكبتها، فهو في ساحة العرض الشامل لأصناف الخلائق يحشر سكان القارات الخمس على مر القرون.. يحشرهم في صعيد واحد، ثم يكشف الغطاء عن عيونهم وإذا هم يتبينون فداحة جهلهم بالله الكبير المتعال، ويتبينون شناعة خصامهم لإمام رسله.

وهنا يموج بعضهم في بعض، ويضطربون في حيرة مفزعة لا يرجى منها خلاص، وتتحرك جموعهم إلى كل نبي سمعوا باسمه في العالم الذي انتهى، يناشدونه أن يسأل الله لهم الرحمة، ولكن النبيين كلهم يرفضون التصدي لهذا المطلب ويعود أهل القارات الخمس متراكضين إلى الرجل الذي طالما قيل لهم إنه كاذب... إنهم يحسون الآن عن يقين أنهم أخطأوا في حقه، وأنهم يوم صدوا عنه كانوا يخسرون أنفسهم وأهليهم!

الشفاعة العظمى- في نظري- موقف يحاكم فيه التاريخ البشري كله، ليعترف أن انصرافه عن الإسلام كان مشاقة لله وعداء لأحب أوليائه وأصدق دعاته.

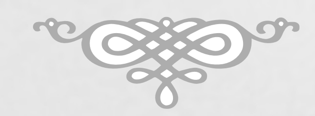
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما أعجب أن تجد الإنسانية نفسها في حرج يوشك أن يقضي عليها، ثم تعلم فجأة أن التنفيس عن كرباتها ربما تم باللجوء إلى الرجل الذي عاشت دهورا وهي تروي عنه الأكاذيب وتنسب إليه الأساطير.

والتجاء أهل الأرض إلى محمد في تلك الساعة العصيبة، ولجوؤه إلى الله يطلب مغفرته للعبيد الأغرار، ذلك في ظني هو المقام المحمود، المقام الذي نسأله لمحمد عقب كل أذان يتردد صداه في مهاب الريح ليستجيب له قوم وينصرف عنه آخرون «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته».



قلت: إن محمدا في عالم العقائد والحقائق شمس وضاحة نفاحة، لكن العميان كثير وقد مكث هذا الرسول النبيل يصدع بأمر الله وينقذ الناس من أهوائهم ومظالمهم، ثم ذهب إلى الرفيق الأعلى تاركا فينا تراثه الجليل، من كتاب وسنة فليتعلم الدعاة من حياة سيد الدعاة أن أجر الحق المبذول لا يعجل في الدنيا، وأن للمقام المحمود موعدا في غير هذه الدار يتعلق به وحده الدعاة الأبرار.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٢٩)

على هامش الإسراء

العدد (٩١) رجب (١٣٩٢هـ) أغسطس (١٩٧٢م)

عندما يتدبر التالي سورة الجمعة يرى في آياتها منعة الأمة العربية، والحكمة التي من أجلها ولدت في التاريخ!

ولك أن تسأل: ما علاقة أمة العرب بسورة الجمعة؟ وقد جرى في نفسي هذا التساؤل قبل ان أعلم أن يوم الجمعة كان يسمى في الجاهلية «يوم العروبة» ثم غلب عليه عنوان الشعيرة التي استحدثها الإسلام، والتي لم يكن العرب من قبل يحتشدون لها، أو يلتقون في عيدها!

ومعروف أن النبي ﷺ لم يصل الجمعة في مكة، وإنما صلاها بعدما قدم المدينة، فهل صليت في المدينة قبل الهجرة النبوية إليها؟

يبدو أن ذلك قد وقع، فقد روى عبدالرزاق في مسنده قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها النبي ﷺ، وقبل أن تنزل الجمعة، قالت الأنصار: إن لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك، فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي فيه، فجعلوه يوم العروبة، واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم وقد روي ذلك الحديث من طرق أخرى صحيحة.

فكأن سورة الجمعة هي سورة العروبة! فلننظر بعد هذه التقدمة إلى السورة نفسها.

لقد بدأت بتسبيح الله الملك القدوس العزيز الحكيم، والله ولي المنة والفضل، وأهل التقوى والمغفرة، وقيم السموات والأرض ومن فيهن.

ومن حكمة الله الماضية إلى يوم الدين أن يمنح اصطفاءه من شاء من الأفراد والأجناس ليكونوا مجلى رحمته، ومظهر نعمائه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الآية الثانية من هذه السورة، وبعد ثناء الرحمن على ذاته، ذكر- تبارك اسمه- أنه اختار العرب ليحملوا رسالته الخاتمة إلى خلقه ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (**الجمعة: ٢**).

وقوام هذا الاختيار ثلاثة معان بارزة:

- الأول تلاوة آيات الله، فإن أهل الكتاب أخفوا كثيرا منها، وعبثوا بمعالم الوحي حتى التبس الحق بالباطل، وتحول الدين من أفواههم إلى سقام للعقول والضمائر بدل أن يكون شفاء لما في الصدور، واستنارة لذوي الألباب.

لكن النبي الخاتم تلا على أمته آيات الله كاملة غير منقوصة، مستقيمة لا عوج فيها، وأصبح العرب من بعده أمناء الله على هداياته، وفي أيديهم وحدها الصحائف التي لا ترقى إليها ريبة، ولا تلحقها آفة.

- وتلاوة الحق يتبعها التأثر به، والارتفاع إلى مستواه سيرة وسريرة، وذلك معنى التزكية، وقد ربى محمد عليه الصلاة والسلام جيلا من الناس له فضل أدب وتقوى أهله لقيادة العالم عن جدارة لا عن دعوى، والمتأمل في مسالك هؤلاء الأميين من العرب يعجب لإدمانهم العبادة، وحبهم الجهاد، وغيرتهم على الحق، ونفورهم من الدنايا.

إن هذه الأمة الجديدة التزمت نهجا في التربية النفسية والاجتماعية أعز الإيمان وأعلى قدره!

- والمدد العقلي لهذه الرفعة الخلقية والسياسية نبع من علوم الكتاب والسنة، ومدارسة ما أودع الله فيها من حكمة بالغة.. ثم إن علوم الدين عندنا تتسع دائرتها لتشمل الكون كله، أي لتشمل كل ما يدل على الله، ويكشف عن جلاله وعظمته. ومن هنا كانت الحضارة الإسلامية تستند

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى الوحي الحق، وما ينبعث عن هذا الوحي من علم وأدب.

وذلك ما نهضت به الأمة العربية فأضاءت ظلمات التاريخ، وصححت مسيرة الحياة. وذاك ما أسداه محمد للناس وأولهم قومه ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (**الجمعة: ٢**) لكن عهد العرب بالنبوات بعيد، فإن علم «الكتاب» عرف بقوم آخرين تخصصوا فيه وتوفروا عليه، أما العرب أنفسهم فقد ألفوا الأمية وألفتهم، حتى أصبح اسم «الأميين» علما عليهم.

فأنى لهم قياد العالم في هذا المجال، وهؤلاء، بنو إسرائيل، قد احتكروا النبوات دهرا طويلا، حتى ظنوا أنفسهم همزة الوصل بين الأرض والسماء، وتسموا بالشعب المختار، إشارة إلى هذه المكانة العتيدة؟

هنا يرد قوله تعالى في سورة «العروبة»: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (**الجمعة: ٤**).

لكن الفضل الإلهي لا يتنزل على من لا يترشح له، ولا ينسحب من أمة دون سبب واضح! فلم عزل الله اليهود وأحل مكانهم العرب؟

وبدأت السورة تجيب على هذا التساؤل ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (**الجمعة: ٥**).

إنك لا تأمن على تأديب ولدك معلما سيئ الأخلاق رديء الطبائع! فكيف يكل الله تربية العالمين لشعب قاسي القلب، مظلم السريرة، جامح الشهوات؟

لقد عزل اليهود عن مكانتهم القديمة لأنهم برذائلهم ومعاصيهم هبطوا دونها.. إن صلتهم بالوحي الإلهي تشبه صلة الدابة بما تحمل من كتب.

وما داموا لم يستفيدوا هم أنفسهم منها فكيف يفيدون غيرهم؟

ومن ثم جردوا من أمجادهم الأولى وقلد العرب هذه الأمجاد، فالعرب-

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بابتعاث محمد منهم- أصبحوا الشعب المختار الجديد المكلف بحمل أمانات الوحي المؤتمن على هدايات الله!

ومضت سورة «الجمعة» أو سورة «العروبة» تسرد العيوب الجسيمة التي فشت بين اليهود فأزلتهم عما كانوا فيه من فضل رفيع.

إن موالاة الله تقتضي حتما البذل فيه، والتضحية من أجله، وإيثار ما عنده على الدنيا وما فيها.

وموالاة الله تجعل ذويها يحبون الآخرة أكثر مما يحب غيرهم الدنيا، وتطهرهم تطهيرا من الجبن والإخلاد إلى الأرض.

ولكن اليهود بلغوا في حب المال حد الشره، وفي حب الحياة حد التشبث بها والحرص عليها،

وقد أخذت السورة الكريمة تقرعهم على هذا الخلال ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ...﴾ (**الجمعة: ٦، ٧**) الآيات.

إن الأمة العربية لما اختارها الله لحمل رسالته الخاتمة كانت أنقى جوهرا، وأعمق أثرا، من بني إسرائيل!

ويبدو أن العرب- حتى في جاهليتهم الأولى- كانوا يحسون فتك الأمراض النفسية والاجتماعية بأهل الكتاب المجاورين لهم، وأن هؤلاء الكتابيين يفقدون الصلاحية المفروضة فيمن يتصل بالوحي ويتحدث عنه!

وتأمل قوله تعالى وهو يستحث العرب على الإيمان ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ (**الأنعام: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧**).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن أولئك الأميين لا يقولون ذلك إلا لأنهم احتقروا أهل الكتاب، واكتشفوا في بواطنهم وظواهرهم ما يسوء.

والواقع أن التدين الفاسد لعنة على الحياة، وأن تحول الدين إلى كهانة واحتراف واحتكار يخلق طائفة من المرضى المستكبرين أو الموجهين المنخورين، يفسدون في الأرض ولا يصلحون، تتأخر بهم الحياة ولا تتقدم، وتشقى بهم ولا تسعد.

من أجل ذلك اصطفى الله العرب بعدما آتاهم رشدهم، وأقام عوجهم، فخرجوا على الناس وهم أسلم فطرة وأهدى سبيلا.

فكان انسياحهم في الأرض عجبا وكانت بركتهم على الحياة نامية، وكانت ضرباتهم للباطل حاسمة شافية، وما ندري أي درك كانت الدنيا جمعاء سوف تهوي إليه لو لم ينطلق العرب شرقا وغربا بهذا الدين الحنيف..

وفي الموازنة بين الأمة الجديدة، حاملة الرسالة الخاتمة، وبين أهل الكتاب الأوائل يقول الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (**آل عمران: ١١٠**).

والأمم تصلح للحياة والسيادة بمقدار كثرة الخير وقلة الشر فيها.

إن مادة الشر يستحيل أن تنحسم من بين الناس ولو كان الأنبياء رعاتهم ولكن الأمم إذا توارى الانحراف في مساربها وشعر فاعلوه بنكره، واستعلن البر في أرجائها، وشعر فاعلوه بمجده كانت أجدر بالبقاء، وأحق برعاية الله.

أما إذا قل الأخيار، وبرز الفجار، فإن البلاء يعم، والانكسار يحيق، ما يغني في دفعه صلاح نادر وتقوى ضئيلة!

والأمر بالمعروف يجيء إثر الإحساس بحقه في الظهور والسيادة، والنهي عن المنكر يجيء إثر الإحساس بضرورة استخذائه واستخفائه، وهذا وذاك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يلدهما الإيمان النابض بالقدرة والنشاط،

وقد كان ذلك الإيمان سمة الأمة الفتية الناشئة من قلب الصحراء.

أما بقايا أهل الكتاب فإن العفن الفكري أو النفسي كان ضاربا في أحوالهم وأعمالهم.

وربما اصطلحت ضمائرهم مع المنكر فأساغته، وتراخت عن المعروف فتركته ينسحق تحت أقدام الطغاة والفساق.

كان العالم- والحالة هذه- فقيرا إلى نجدة تسعف الحق المهزوم، والشر المتبجح، وذلك ما فعله أبناء القرآن الكريم الذين نفخ فيهم محمد من روحه وتعهدهم بحكمته!

وفي سورة «الجمعة»، أو سورة «العروبة»، نرى أن الله ذكر فضله على العرب بهذه الرسالة فقال ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (**الجمعة: ٤**).

ثم شرع بذكر مآسي بني إسرائيل وغدرهم بما أخذ عليهم من عهود، أما في سورة آل عمران فإن الله جل شأنه ذكر أولا انحراف اليهود وفسقهم عن أمر الله، ثم أعلن عزله لهم، ونزع الملك منهم، واختيار العرب دونهم لقيادة العالم.

فقال أولا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (**آل عمران: ٢٣**).

وبعد أن رفض هذا السلوك، وبنى عليه طرد أصحابه وجه الخطاب إلى نبيه محمد: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(**آل عمران: ٢٦**) وظاهر من السياق أن ذلك في إيثار محمد وأمته العربية على بني إسرائيل! قد نقول: ما علاقة هذا كله بقصة الإسراء؟ والجواب أن ليلة الإسراء كانت تقريرا عمليا للحقائق التي أبرزناها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من سورة الجمعة وغيرها، قلنا في كتابنا «فقه السيرة»: لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة؟

إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم، فقد ظلت النبوات دهورا طوالا وهي وقف على بني إسرائيل، ظل بيت المقدس مهبط الوحي، ومشرق أنواره على الأرض، وقصبة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار.. فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء، حلت بهم لعنة الله، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد، ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالا بالقيادة الروحية في العالم، من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية «إسرائيل» إلى ذرية «إسماعيل».

وقد كان غضب اليهود مشتعلا لهذا التحول، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ﴾ **(البقرة: ٩٠)**.

لكن إرادة الله مضت، وحملت الأمة الجديدة رسالتها، وورث النبي العربي تعاليم: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضي، وإدماج الكل في حقيقة واحدة، أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في الإسلام، وأن ينتقل إليه الرسول في إسرائه فيكون هذا الانتقال احتراما للإيمان الذي درج- قديما- في رحابه.. ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية في هذه الأرض وما حولها ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة.

إن النبوات يصدق بعضها بعضا، ويمهد السابق منها للاحق، وقد أخذ الله الميثاق على أنبياء بني إسرائيل بذلك ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ **(آل عمران: ٨١)**.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي السنة الصحيحة أن الرسول صلى بإخوانه الأنبياء ركعتين في المسجد الأقصى فكانت هذه الإمامة إقرارا مبينا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، أخذت تمامها على يد «محمد» بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين، والكشف عن منزلة محمد ﷺ ودينه ليس مدحا يساق في حفل تكريم، بل هو بيان حقيقة مقررة في عالم الهداية ومنذ تولت السماء إرشاد الأرض، ولكنه جاء في إبانه المناسب.

لماذا سردت هذا القصص الغابر؟ إنه ليس سرد تاريخ مضى، وخبر كان.. إنه تعريف أمة تائهة بحقيقتها، ورسالتها، وقدرها المكتوب، وحسابها الدقيق!

إن العرب ينبغي أن يعرفوا من هم، وبم أوثروا، وما المطلوب منهم لليوم الحاضر والغد القريب.

وسورة الإسراء التي حكت في الآية الأولى وحدها خلاصة القصة، ثم تتابعت آياتها تستعرض الحكم، وتسوق النذر.. هذه السورة أكدت للعرب مثلما أكدت لغيرهم أن الله يعامل شتى الأجناس بقانون موحد لا مكان فيه لمحاباة أو فوضى.

فمن تطلع إلى الدنيا وحدها حبسه الله في نطاقها ورمى إليه- جل شأنه- بما يريد منها، أما الآخرة فلا بد لكسبها من شروط ثلاثة:

- أن تكون إليها الوجهة.
- أن يقترن الاتجاه بالسعي الجاد.
- أن يقترن السعي بالإيمان الخالص.

وفي الفريقين معا يقول الله جل شأنه ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومًا مَّدۡحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ (**الإسراء: ١٨، ١٩**) هذا الحكم ينطبق على خلق الله أجمعين لا يستثنى منهم أحد.

فماذا يريد العرب من الله؟ إن غيرهم لما أهان وحيه نزعت منه الراية، وأهين في الأرض والسماء، فهل يريدون أن يتنكروا لوحي الله لديهم، ومواريثه بينهم، ثم يتجاوز عنهم، ويبسط يده عليهم بالخير والنصر

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ (**الجاثية: ٢١**).

ونعود إلى خواتيم سورة الجمعة أو سورة «العروبة»، لنرى فيها السعي إلى ذكر الله وإقام الصلاة، فإذا وفينا بحق الله انتشرنا في الأرض لننال من خيرها ما يعيننا على أسباب الفلاح.

إن الدين والدنيا قد اجتمعا عندنا في قرن، واتسقا في غاية ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (**الجمعة: ١٠**).



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٣٠)

رمضان
بين تقاليد الماضي وهزائم الحاضر

العدد (٩٣) رمضان (١٣٩٢هـ) أكتوبر (١٩٧٢م)

للجسد الإنساني وقوده الذي يحيا به ويتحرك، ويستحيل حرمان هذا الجسد من مصادر وجوده ونمائه وتنقله هنا وهناك!

التجويع التام يقتله، والحرمان من عناصر رئيسية يثير الاعتلال في كيانه، ويفرض عليه الذبول واللغوب.

ولم يجئ في شرع الله تكليف من هذا النوع المحرج، بل جاء في السنة استعاذة النبي عليه الصلاة والسلام من هذا البلاء «أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت»،

لكن الواجدين من الناس عندما يطعمون لا يكتفون بتناول الغذاء المطلوب لأبدانهم، بل يلتهمون مقادير أكبر.. كل على قدر نهمته وطاقته! ونحن نفتن في تزويد أنفسنا بأزيد من حاجتها، والرغبات تمتد مع التلبية المستمرة، وتألف ما اعتادت، وتطلبه إن فاتها!

وهذا الجسد العجيب قادر على اكتناز ما يفرض عليه، إما بدانة مفرطة، أو قبولا لما يشحن به، ثم عملا صوريا فيه، ثم خلاصا معنتا منه! وهو الخاسر في هذا الجهد الضائع، والحياة العاقلة من حوله تقول: لو كان هذا نصيب معدة فارغة لكان خيرا له ولها، ولكان أسعد وأرشد، وقديما قيل:

والنفس طامعة إذا أطمعتها وإذا تـرد إلى قـليل تقـنـع!

لعل فريضة الصيام تذكرنا بهذه الحقيقة النفيسة التائهة، لكن هناك شيئا آخر يجيء رمضان ليذكرنا به نحن العرب والمسلمين في أقطار الأرض كلها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نعم، إذا كانت شهية بعض الناس مفتوحة للمزيد من ملذات الدنيا فما أحرى المنهزمين بأن تنكمش أيديهم وتغص حلوقهم، وإذا كان أهل الأديان كلها يمرحون ويهشون فما أحرى بني الإسلام بالصيام عن فنون المتع وألوان السرور.

ذلك أن المرحلة التي يمرون بها لا تتحمل من ذلك قليلا ولا كثيرا.. في أعقاب المتاعب التي تصيب الأمم، وتنتظم آلامها الأفراد والجماعات، يحدث تغير شامل في السلوك القومي العام. ويزهد الصغار والكبار في فنون من المتع كانوا من قبل يألفونها، وأنواع من المرح طالما ابتهجوا أيام السلام بها.

وهذه عادة عربية قديمة، كان أسلافنا الأوائل إذا نال منهم عدو أو حل بهم مكروه، هجروا تقاليد السرف والترف، وصدوا عن أسباب اللهو والمجون، وما يسمح أحدهم لنفسه بسرور غامر، وضحك عال إلا إذا نال ثأره أو استرد ما فقده، أو أوقع بخصمه مثل ما نزل به، فإذا تم له ما يبغي قال وهو مستريح:

فساغ لي الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

وقد نزل أبوسفيان، وجمهور أهل مكة على هذه العادة بعد هزيمتهم في معركة بدر، فحلف أبوسفيان أن يحرم نفسه شتى الملذات حتى يدرك ثأره من محمد.

واتسق هذا المعنى في تقاليد البطولة التي شاعت بعد بين المسلمين، فيقول شاعرهم:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار!

والمعنى أنه في ساعات الجد لا ينبغي الاكتراث بما عداه، وفي أيام الكفاح يجب على الأمم أن تقتصد اقتصادا شديدا في مظاهر الفرح والتسلية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما دام أبناؤنا وإخوتنا في الجبهة وما دامت قطع من أرضنا تحت أقدام العدو، وما دام جحد حقوقنا ظاهرا في أسلوب التبجح الذي نستمع إلى نبراته، فما مكان الراحة والهدوء عند محبي الراحة والهدوء؟

وما كان التوسع في الإنفاق والبذل في المرفهات عند عشاق البعثرة والترفيه؟

لقد آن الأوان ليراجع العرب والمسلمون سلوكهم الخاص والعام، فيحذفوا من أساليب معايشهم وأفراحهم وأحزانهم الكثير مما لا يتفق مع أيام الحرب، وليعلموا أن حبل الكفاح طويل، وأنهم بإزاء عدو ماكر غادر تختبئ وراءه كل قوى العدوان في الأرض، وأن هدف المعركة الإتيان على تاريخهم ورسالتهم وحاضرهم ومستقبلهم، فكيف مع هذه النيات الهائلة نستخف بالأمر،

أو نأذن لمشاعر الدعة والهزل أن تخامر القلوب؟

إن الأثر النفسي العظيم لفريضة الصيام هو تدريب المؤمن على ضبط نفسه، وإحكام أمره، وتقييد شهواته، فهو إذ يترك بعض الأعمال المباحة يتمرن على ترك جميع الأعمال المحظورة، أو التي تفرض ظروف المروءة وأعباء الكفاح أن يتركها، وقديما قال رجل عزيز صلب:

يقولون: هــذا مـورد! قلـت: قـد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما!

ولقد كان رسول الله ﷺ صاحب طاقة كبيرة على الحياة، مهما تباينت ظروفها، واختلف عليها العسر واليسر، والانكسار والانتصار، ولقد علم أصحابه أن الاستسلام للشهوات المادية، والحرص على نمط معين من الملذات، سقوط بالهمة وخور في العزيمة، واسترخاء مع الشيطان.

قال عليه الصلاة والسلام يصف المجتمعات المعتلة «إن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم» وقال: «إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقال: «إن شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم، نبتت عليه أجسادهم» وقال- يصف عشاق الليونة والرخاوة والمظاهر الجوفاء- «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة» والقطيفة والخميصة أنواع من الأقمشة الملبوسة والمفروشة تمتاز بالفخامة والنعومة، يحرص عليها طلاب الراحة وعبيد المثل الدنيا لا المثل العليا.

ويظهر أن بعض المسلمين لا يستفيدون من صيامهم هذه الآثار النفسية والاجتماعية التي تعين على خلق شعوب مجاهدة تتحمل متاعب الحصار الاقتصادي والعسكري، وأنهم حريصون في جوانب كثيرة من حياتهم على تقاليد اليسار والسعة، والتشبث بما ألفوه أيام السلام والسلامة!

وما نفكر في تحريم مباح، ولا في زجر الناس عن طيبات أحلت لهم، ولكنا نفكر في مواجهة العدو المتربص وضرورة وعي الأساس الأوحد للقائه، وهو أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم.. عندما أعلن غاندي المقاطعة السلبية، وحمل شعبه على الرضا بخيوط المغزل الهندي، وهجر الإنتاج الرائع لمصانع إنجلترا ونسيجها الرقيق الجيد كان ذلك «الصيام» بداية التحرر ونهاية الاستعمار، ولذلك يقول الشاعر العربي رشيد سليم الخوري

لقد صام هندي فـدوَّخ دولـة فهل ضار علجًا صوم مليون مسلم ؟

إنني ألفت أنظار قومي إلى أننا أمام جهاد شاق المراحل، ثقيل التكاليف، وأن النجاح فيه يتطلب من الآن نظرة عابسة، ورفضا لصنوف المباهج!

ترى هل أستطيع أن أقترح إلغاء أفراح الأعياد؟ والاكتفاء بشعائرها الدينية الرصينة وحسب؟

إن ولع العرب الشديد باللهو واللعب منته بهم بتة إلى التلاشي، ودلالته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واضحة على موت القلوب، وقبول الدنايا، وعشق الدنيا وكراهية الموت.

إن عبادة الحياة، وتكريس القوة والوقت لها وحدها علة قديمة بين الناس وهي العلة التي أرخصت القيم الرفيعة، وألهبت الغرائز الوضيعة، وصرفت القصد عن الله، وعلقت الهمة بالحاضر القريب، ونسيت ما عداه!

في المجتمعات التي فتكت بها هذه العلة يقول جل شأنه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ **(الإنسان: ٢٧)** ويقول: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ **(النجم: ٢٩، ٣٠)**.

ومظاهر هذه العلة معروفة في انتهاب اللذات من غير شبع، والبحث عنها دون اكتراث بحل أو حرمة، واعتبار الوجود الأرضي هو الإطار الأوحد للحس والإدراك.

فإن فات فليس عنه عوض، وإن أقبل فيجب التفاني فيه وارتشافه حتى الثمالة! إنه لا شيء بعده يرتقب! وأحسب أنه في هؤلاء يقول جل شأنه وهو يذيقهم عقابه ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ **(غافر: ٧٤، ٧٥، ٧٦)**.

والمدنية الحديثة قد ضاعفت لأبنائها الفرص لعبادة الحياة والعب منها دون ارتواء، وذلك أن الشهوة تغري بالشهوة، كما أشرنا آنفا، والرغبات الإنسانية قد يضر بها القرب، ولا يزيدها الظفر إلا اشتعالا، على نحو ما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال الشاعر:

أعانقها والنفس- بعد- مشوقة إليها، وهل بعد العناق تداني؟
وألثم فاها كي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهيمان!

والأديان في أوروبا وأمريكا عجزت عجزا تاما عن علاج هذا السعار، لقصورها الذاتي أولا، ولاشتغالها مع ذلك بمحاربة الإسلام بدل أن تتعاون معه على فعل شيء ما يحفظ على الإنسانية مستقبلها المتداعي.. والغريب أن المسلمين نافسوا غيرهم في التهاوي على هذه المتع والتشبع منها جهد المستطاع.

قد تقول: وما الغرابة في ذلك؟ أليسوا بشرا كالبشر؟

وأجيب: إنني لا أنكر على المسلمين- خاصة- أن يشاركوا الأوروبيين والأمريكيين في ألوان المتاع التي اخترعوها.. إنني قد أفهم أن يعود رواد الفضاء من رحلة مضنية ليلتمسوا بعض النزه البريئة أو المريبة في ليل أو نهار.. أما الذين يتسكعون بين دورهم وأجران القمح والأرز، أو الذين يتركون خيامهم على مدى سهم في مراعيهم الساذجة، أو الذين يركبون سياراتهم ليجلسوا في الدواوين محسودين لا مجهودين أو... أو... فما لهؤلاء والبحث عن الملذات المخترعة في الشرق أو الغرب؟

إن بعض الناس يذهب إلى العواصم العالمية المرموقة ثم يعود ليتحدث عن لياليها الصاخبة!

فهلا تحدث عن أيامها الجادة، وعن العرق المتصبب من أجساد الكادحين الصغار والكبار على سواء؟

إن المهندس هناك قد يغير وجهه وملبسه كله طول النهار ثم ينطلق بعد ذلك ليستجم وفق ما يفهم ويعتاد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويوجد عندنا من يقلده في الانطلاق الأخير، ولا يتأسى به قيد أنملة في الكفاح الذي سبقه!

أي بلاء أصاب العرب والمسلمين حتى عموا عما يجب أن يرى، وحملقوا عيونهم فيما يجب أن تغضَّ عنه، وتسترخي بإزائه؟

إنهم لو فقهوا سر الصيام، وسر الحياة العفيفة المبنية عليه لكان لهم موقف آخر.

بل لو أنهم أدركوا ما كانوا عليه، وما صاروا إليه، وما تبيته القوى المتربصة بهم، لكان لهم قبل الصيام صيام، وقبل القيام سهر يطير معه المنام!

من سنين طوال ورمضان يستقبله العرب والمسلمون بطريقة رتيبة.. روايات أقلها جاد وأكثرها هازل تعرضها الإذاعات المسموعة والمرئية.. أغان بعضها ديني(!) والآخر لا دين له، تشنف الآذان.. فكاهات تخلق الأجواء الضاحكة، وتسلي الجماهير التائهة.. مواعظ تقليدية ممجوجة يفر أغلب الناس من سماعها أو كتابات إسلامية في موضوعات مختارة عن عمد لتخدير الفكر وتفتير الهمم.

صور جميلة أو دميمة للمساجد والآثار الإسلامية.. أحفال باهتة جرى رسمها وإخراجها بحيث تنعدم فيها الروح ويضعف التأثير.

إن أعداء الإسلام لا يطلبون من أمة الإسلام أن تفعل بنفسها أكثر من ذلك!

لما مات أبو امرئ القيس الخليع الضليل قال هذا الشاعر يصف ما سيفعل: اليوم خمر وغدا أمر! لقد جعل لسكره حدا ينتهي عنده، إنه اليوم وحسب!

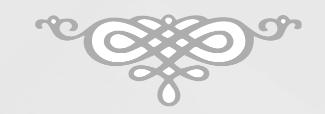
ومات امرؤ القيس وهو يجاهد لاستعادة مجده، ويقول لصاحبه يسليه عن هموم الكفاح ومشقات الضرب في الارض:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقلت له لا تبك عينك، إنما   نحاول ملكا أو نموت فنعذرا!

لكن جمهرة كبيرة من شباب العرب لا يزالون يقولون: اليوم خمر وغدا خمر.. فمتى الصحو؟

ألا يستحق المسجد الأقصى وقفة تدبر واستعبار، يتلاوم فيها المفرطون، ثم يغضبون لله غضبة تمحو العار، وتدرك الثأر؟



(٣١)

الإلحاد ليس تطورًا

العدد (٩٨) صفر (١٣٩٣هـ) مارس (١٩٧٣م)

ربما شك بعض الناس في حقيقة الدين الذي يعتنقه، أو في جدواه عليه!

فإن ساور هذا الخاطر أحدا من خلق الله، فإن العربي آخر امرئ يعرض له هذا الظن، بل يقرب من المستحيل أن يساوره!

ذلك أن فضل الإسلام على العرب كفضل الضياء والماء على الزرع..

لا أقول: أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، بل أقول: أوجدهم من عدم، وجعل لاسمهم حقيقة، وأقام بهم دولة وأنشأ حضارة!

قد تكون بعض العقائد عقاقير مخدرة للنشاط البشري!

لكن الاسلام لما جاء العرب شحذ هممهم، وأنار عقولهم، ووحد صفهم، وطار بهم إلى آفاق مادية وأدبية لم يحلم بها آباؤهم، ولا تخيلها أصدقاؤهم أو أعداؤهم!

مضى العرب في طريق المجد الذي شقه الإسلام لهم، فعرفهم العالم وكان من قبل يجهلهم، وأفاءوا على ماضيه القريب ما لا ينكره إلا متعصب كنود!

وارتبطت مكانة العرب الذاتية والعالمية بهذا الدين، فهم يتقهقرون إذا تخلوا عنه، ويستباح حماهم! وهم يرتقون ويتقدمون إذا تشبثوا به، وتحترم حقوقهم!

على عكس ما عرف في أمم أخرى لم تستطع التحليق إلا بعدما تخففت من مواريثها الدينية، كلاّ، أو جزءا!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد استطاع مسلمو الجزائر في هذا العصر أن يستخلصوا حريتهم من براثن عاتية، وأن يدفعوا ثمن هذا الخلاص مليونا ونصفا من الشهداء!

وما ينبغي تقريره في هذا المجال أن الاسلام وحده كان وقود هذا الكفاح القاسي، الإسلام لا القومية!

فلما ظفر الجزائريون باستقلالهم بدأوا يستعيدون عروبتهم التي فقدوها خلال قرن وربع، وضعت مشروعات لجعل الأفراد والجماعات ينطقون بالعربية ويتفاهمون بها، بعدما كادت هذه اللغة تبيد أمام زحف الفرنسية وسيادتها في الشوارع والدواوين!

إن الإسلام بالنسبة إلى العروبة ولي نعمتها وصانع حياتها، وقد اعترف مسيو جارودي- وهو شيوعي فرنسي عاش ردحا من الزمن في جبهة التحرير الجزائرية- .

- الإسلام ولي نعمتنَا وصَانع حضَارتنا
- سَيبقى الليل حتى يحمل العَرب رسَالة الإسلام

اعترف بأن الدين وحده هو الذي أوقد شرر هذا الكفاح العزيز الغالي، وأن الإسلام يستحيل أن يوصف بأنه مخدر للشعوب!

والإسلام لا يجعل من العرب شعبا مختارا يفضل غيره لسلالة معينة أو دم خاص، كلا كلا، إن الله اختار لعباده تعاليم راشدة وشرائع عادلة، ثم وكل إلى العرب أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع، ليعملوا بها وليعلموها من شاء.

والله يأبى كل نعرة عنصرية أو استعلاء قومي.

وينصح الأمة كلها بالطاعة والإصلاح ويتهدد عدوها بالطرد والهوان، ثم يأمرها بالمقاومة ورفض الاستسلام، وسيكون المستقبل لها إن هي أبقت حبلها موصولا بربها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ۝٣٤ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾(**محمد: ٣٣، ٣٤، ٣٥**).

إنها مبادئ محددة، تنطلق الأمة منها، فتكون بعين الله، أو تند عنها فيدعها الله لنفسها!

بالوفاء لهذه المبادئ تصعد، فإن فرطت هوت.. ولذلك يقول الله للمنهزمين في أحد ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩﴾ (**آل عمران: ١٣٩**) فالعلو والتدبر في هذه الآيات الثلاث يعطي فكرة بينة أن تفضيل الأمة هو تفضيل سلوك ومنهج، لا تفضيل دم أو لون.. وأن الإيمان الشريف والاستقامة الواضحة أساس العزة المنشودة.. وأنه مهما لاقى المسلمون من صعاب وهزائم فلا يجوز أن يقبلوا سلما مخزية، ولا أن يعطوا الدنية من أنفسهم.

ولهم أن يركنوا إلى الله، ولن يذل جانبهم، ما آمنوا به وعملوا له.

واليقظة العزيزة التي صنعها الإسلام وهو يبني الأمة يمكن أن نتابعها من مرحلتين:

الاولى في العهد المكي، يوم كان المسلمون قلة تتوقع الضيم ويتجرأ عليها الأقوياء! لقد أمر المسلمون إبان هذه المحن أن يثبتوا ويشمخوا بحقهم، ويتنكروا لكل هوان ينزل بهم، ويطلبوا ثأرهم ممن اعتدى عليهم، فإن عفوا فعن قدرة ملحوظة لا عن ادعاء مرفوض!

انظر كيف وصفت سورة الشورى المكية طلاب الآخرة الذين يؤثرون ما عند الله على هذه الدنيا، إنهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ

بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ **(الشورى: ٣٨، ٣٩، ٤٠)**.

فطلاب الآخرة- كما وصفتهم السورة المكية- ليسوا الذين يعيشون في الدنيا أذنابا مستباحين، أو ضعافا مغموصين، أو كما يقول الشاعر يصف قوما تافهين:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستأمرون وهم شهود!

لا، لا، إن هؤلاء المؤمنين بالدار الآخرة يفرضون أنفسهم على هذه الحياة الدنيا، ويكرهون العدو والصديق على أن يحسب حسابهم ويزن رضاهم وسخطهم، ويعلم أن نتائج العدوان عليهم أذى محذور وشر مستطير!

لأنهم إذا بغي عليهم ينتصرون، ويلطمون السيئة بمثلها!

وليس هذا بالنسبة إلى الحق الأدبي للجماعة كلها، بل هو كذلك بالنسبة إلى حق الفرد في ماله الخاص.

فقد سئل النبي ﷺ: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟

قال : لا تعطه مالك!

قال : أرأيت إن قاتلني؟

قال : قاتله!

قال : أرأيت إن قتلته؟

قال : هو في النار؟

قال : أرأيت إن قتلني؟

قال : فأنت شهيد![1]

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٧٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هل هذه الوصايا هي التي تخدِّر الأفراد والجماعات؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فإذا تجاوزنا العهد المكي إلى العهد المدني نجد توجيها ينبع من هذه الروح الأبية الشامخة.

إن الهوان جريمة، وقضاء الحياة في ضعف واستكانة مرشح أول للسقوط في الدار الآخرة

ومن هنا أثبت القرآن الكريم هذا الحوار بين ملائكة الموت وبين الذين عاشوا في الدنيا سقط متاع، وأحلاس ذل!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (**النساء: ٩٧**).

والهجرة المفروضة هنا هي التحول من مكان يهدر فيه الإيمان وتضيع معالمه إلى مكان يأمن فيه المرء على دينه.

ولكن حيث استقرت دار الإسلام، فلا تحول، وإنما يبقى المسلمون حيث كانوا ليدافعوا عن ترابهم ذرة ذرة، ولا يسلموا في أرض التوحيد لعدو الله وعدوهم.

والآية تحرم قبول الدنية وإلف الاستضعاف، وتوجب المقاومة إلى آخر رمق.. ومما يؤكد هذا المعنى أن القرآن أحصى الطوائف التي تُعذر في هذا التمرد المطلوب على قوى الشر.

ومع استثنائها فإن مصيرها ذكر معلقا على رجاء المغفرة والعفو لا على توكيد ذلك!

﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ (النساء: ٩٨، ٩٩).

والتعبير بعسى هنا مثير للقلق، وهي إثارة مقصودة حتى لا يقعد عن مكافحة المعتدين من يقدر على إلحاق أي أذى بهم مهما قل.

إن المؤمن لن يكون أبدا ثالث الصنفين اللذين عناهما الشاعر في قوله:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان، عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشق فلا يرثى له أحد!

المسلم لا يقبل الحياة على أية صورة وبأي ثمن، إما أن تكون كما يبغي، وإما رفضها وله عند ربه خير منها وأشرف!

ومن صيحات الكرامة والإباء قول رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»!

وفي حديث آخر «من قتل دون مظلمته فهو شهيد!».

هل رأيت استنهاضا للهمم، واستنفارا للنضال، واستثارة للذود عن الدماء والأموال والأعراض، أحر من هذه المبادئ؟

أيمكن في منطق العقل والإنصاف أن يوصف هذا الدين بأنه مخدر للشعوب؟ ألا شاهت الوجوه!

وربما اتصل بهذه التهمة المتهافتة تصور البعض أن الدين رباط مع الماضي، وأن التطور ينافيه..

ونتساءل نحن: ما هذا التطور؟ إن الإلحاد ليس تطورا! بل هو ترديد لكفر الصغار من جهلة القرون الأولى.

من ألوف السنين وقفت قبيلة عاد من رسولها موقفا كأنما لخصت فيه كل ما يقال في هذا العصر على ألسنة الشطار من دعاة الإلحاد: ﴿ أَيَعِدُكُمْ

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾(**المؤمنون: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨**).

إن التحلل من قيود الدين وفضائله ليس تجديدا ولا ابتكارا، بل هو خنوع للغرائز الدنيا التي أنامت ألوف الخلعاء والخبثاء من عشرات القرون، وجعلتهم يحيون وفق شهواتهم وحدها! فأي ارتقاء في ذلك المسلك الرخيص..؟؟

يا شباب العرب، اقدروا التراث النفيس الذي شرف الله به أمتكم، وأقام عليه تاريخكم.

إن الدين الذي تنتمون إليه رفع مناركم قديما، وهو وحده القدير على استنقاذكم من ورطات هذه الأيام!

لا تنخدعوا بمن يزهدكم في رسالتكم، فهو يرسم لكم طريق الموت!

إن أمما أخرى لاذت بعقائد أردأ جوهرا وأسوأ منهجا، واستطاعت أن تغالبكم وأن تنال منكم، فعودوا سراعا إلى دينكم وثقوا أنه وحده العاصم من الغرق.

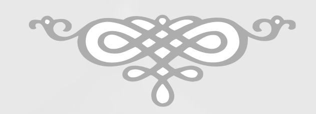
كم يحزنني أن أرى شبابا عربيَّ النسب أعجمي الفكر واللغة والضمير!

لا يستند إلى عقيدة، ولا يعتز بتاريخ، ولا يستظل براية، ولا يسير إلى غاية، خدعوه فقالوا: الجيل الصاعد.. ولو صدقوه لقالوا: الجيل الضائع الهابط..

أنظر إليه مليا، ثم أهمس في حسرة: إنك بهذا الشرود والفراغ تصنع الهزيمة تلو الهزيمة، وتجر الكارثة بعد الكارثة!

متى تعود إلى كتاب ربك، وسنة نبيك؟

سيبقى الليل حتى تقع هذه العودة المرتقبة، ويحمل العرب مرة أخرى رسالة الإسلام.



https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

(٣٢)

آية الكرسي

العدد (١١٤) جمادى الآخرة (١٣٩٤هـ) يونيو (١٩٧٤م)

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ **(البقرة: ٢٥٥)**.

هذه الآية تعرف بين المسلمين بآية الكرسي، وقد نوهت السنة النبوية بفضلها ومكانتها، وتتكون من عشر جمل متصلة المعنى في الحديث عن ذات الله وصفاته.

(١) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾ ليس في الوجود أحد يتجاوز مرتبة العبودية، فكل ما عدا الله عبد له، وهو وحده المتفرد بالألوهية في السموات والأرض.

من قال عن نفسه إنه إله فهو كاذب، ومن قال عنه الناس ذلك فهم عليه كذبة، وقد تمر بالناس أعصار يتخذون فيها بعض الجمادات والدواب آلهة، وهذه أعصار الانحطاط الذهني والنفسي التي نرجو أن يتم خلاص البشر جميعًا منها.

ولكن الضلال الشائع إلى اليوم اتخاذ بعض البشر الطيبين آلهة مع الله بحجة أنهم انبثقوا منه أو أنه حال فيهم.

وقد حارب الإسلام هذه الضلة حربا شديدة، وأكد أن البشر مستحيل أن يرتفعوا إلى مصاف الآلهة، وأن الله العلي الكبير لا يمكن أن يهبط إلى منازل البشر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إنه الإله الذي خلق غيره، ومنحه الحياة، وقام على أمره من المهد إلى اللحد ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾(**الفرقان: ٣**).

ورسول الإسلام- وهو قمة البشرية- عندما يدعو الله يؤكد هذه الحقيقة: «اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفي قبضتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك».

(٢) ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ...﴾ والأحياء من الخلق ليس لهم من أنفسهم ما يوجب الحياة، إن الحياة عرض مفاض عليهم من خارج أنفسهم.

وهو عرض يفارقهم يومًا ولا يعود إليهم إلا وفق مشيئة مفيضه جل شأنه، الحي الذي لا بداية لحياته ولا نهاية، فحياته وصف ملازم له أزلًا وأبدًا، وذلكم الفارق بين حياة الخالق والمخلوق.

ومن ثم يقول الله لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (**الزمر: ٣٠**) أما المتفرد بالحياة العظمى فهو الله.

ولما كانت هذه الحياة وضاحة نفاحة ناسب أن يجيء عقبها وصف القيوم أي الذي يمد الأكوان والخلائق كافة بحركاتها وسكناتها، ويشرف إشراف إحاطة وهيمنة على شؤونها وأحوالها، فهي أحوج ما تكون إليه وهو أغنى ما يكون عنها.

وقد ورد في الآيات والآثار أن الله قائم على كل نفس بما كسبت وأنه القيم على السموات والأرض ومن فيهن.

والقائم على الشيء، والقيم عليه أو القوام عليه، ألفاظ تتفاوت في الكشف عن هذه الإحاطة الشاملة لفنون التصريف وألوان السيطرة على العالم.

ولكن لفظ القيوم جاء على هذه الصيغة في المبالغة إشارة إلى أنه من

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المستحيل أن يفلت زمام الأمور من الخالق أو أن تسير في وجهة غير ما قضى، إذ كل شيء يستند في وجوده وبقائه وتقلبه إلى هذا الوجود الأعلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ (**فاطر: ٤١**).

وهذه الجملة - الحي القيوم - أولى الجمل التسع التي ترادفت أشبه بالاستدلال على الوحدانية المتقررة في الجملة الأولى من آية الكرسي.

إذ هذه الأوصاف تنفي الشركة نفيا حاسمًا، وتشهد للباري أنه لا إله غيره.

(٣) ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ السنة ما يخالط الأجفان من أوائل النعاس، والنوم هو الاستغراق التام.

والمراد أننا نحن البشر تدركنا ساعات غفلة نفقد فيها الشعور بأنفسنا وما حولنا.. بل نحن في إبان اليقظة يختلف انتباهنا ونشاطنا الذهني نحو ما نفكر فيه وما يحيط بنا.. وعند الكلال يضعف هذا الانتباه، وتهن العزيمة، وتكثر الأخطاء.

لكن رب العالمين لا يشغله شأن عن شأن، ولا يغفل عن أمر في السماء لاهتمامه بأمر في الأرض، ولا تلحقه عوارض الوهن والإعياء، ولا تنفك قبضته الواعية عن ذرة من العرش أو الفرش لسهو أو إغفاء.

(٤) ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ الله واسع الملك، وما تقول في غنى يشمل آفاق السموات وفجاج الأرض؟

إن العالم كله، علوه وسفله، ملك لله وحده.

والذين يظنهم الجاهلون شركاء لله، ليس لهم في هذا العالم ذرة، إن كانوا أصناما فما هي الأصنام؟ تماثيل نحتها المصورون فهم في الحقيقة يملكونها ولا تملكهم.

إن كانوا بشرا، فهؤلاء البشر ملك لمن صورهم في الأرحام، وجعل صدورهم تهبط وتعلو بالشهيق والزفير، ولو شاء أن يقف دقات قلوبهم في أية لحظة من ليل أو نهار ما رده راد.

إن هناك مُلاَّكاً على المجاز يضعون أيديهم على بعض التراب ليرتفقوه حينا، وربما طغوا بما يملكون ظاهرا، ثم يجيئهم الموت فيدعون الحياة صفر الأيدي، يدعونها لمالكها الحق الذي له ميراث السموات والأرض ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ (**الأنعام: ٩٤**).

(٥) ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ القاعدة العامة في الإسلام أنه لا شفاعة لمشرك، أو ملحد.. وأنه لا حق لأحد من الملائكة أو المرسلين يذهب به إلى الله ليقول له اعف عن فلان أو اترك فلانا.. وأن الأساس الأول للنجاة هو الإيمان والعمل الصالح.

ولذلك قال الله تعالى قبل هذه الآية مباشرة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (**البقرة: ٢٥٤**).

ويقول مخبرا عن مصاير المشركين والمجرمين ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (**المائدة: ٧٢**). ويقول أيضا ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (**فاطر: ١٨**).

وقد يقع- لمن ينجون بأعمالهم- شيء من الفضل ترتفع به درجاتهم فوق ما يستحقون.

أو يقع- لمن قاربوا ولم يصلوا- شيء من العفو ينجحون به ولا يرسبون، ويجعل الله السبب الظاهر في ذلك شفاعة المرسلين أو الصالحين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهي شفاعة لا ترجع إلى أن هؤلاء المرسلين أو الصالحين يجيرون على الله أو ينقذون منه من يريد عقوبته، كلا، فما يجرأ ملك ولا نبي على أن يقف من الله هذا الموقف.

إنهم لايشفعون إلا بإذنه، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى.

قال تعالى ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ **(الأنبياء: ٢٧، ٢٨)**.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ **(طه: ١٠٩)**.

وربما قال قائل: ولم هذه الشفاعة وما قيمتها؟ والجواب.. أنها لا تعدو لونا من إكرام الله في الدار الآخرة لمن أهينوا بسببه في الدنيا، فيريد الله أن يصلح بالهم وأن يعلي قدرهم، وأن يشعر عباده بما لهم عنده من مثوبة ومنزلة، وأن يطوي قلوب المقصرين والمتأخرين على محبتهم وإعزازهم لما سبق إليهم من فضل على أيديهم.

بيد أن الشفاعة المذكورة لا تهدم قواعد العدل، ولا تعطل موازين الحساب ولا يحتاج إليها سابق بالخير، ولا ينتفع بها مارق من الحق.

(٦) ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ليس يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، وعلم الأمس واليوم والغد عنده سواء.. كأن العالم منذ خلق، وإلى أن تبدل معالمه صفحة واحدة يستوي فيها القريب والبعيد والأول والآخر.

وذاك- بداهة- لأن الخالق يعلم ما خلق، ولا يتصور أن أحدا صنع من ورائه شيئًا فيكون هو- سبحانه- جاهلا به.

إن الإبداع - وهو إبراز شيء من العدم- لا يقدر عليه إلا الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والتغيرات التي تحدث في المادة - وهي محور الأعمال البشرية- لا تتم إلا بأقدار الله، ومن هنا كانت إحاطة العلم.

ومن هنا كان معنى قولنا: إن الله لا يعلم هذا الشيء.. إن هذا الشيء لا وجود له، إذ لو كان موجودًا لعلمه حتمًا، وهذا معنى الآيات الكريمة.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (**يونس: ١٨**).

ولقد تجول الفكرة في خاطري- وكم يحمل تيار الشعور الساري في كيان المرء من خطرات وسوانح- فأقول: إن الله يعلم هذه الخطرة المارة، كما تمر السحب بالآفاق.

ثم أقول: وعلمه بها منذ أجيال!

وأَستَتْلِي القول: وهو يعلم من غيري مثل ما يعلم مني!

ومن غيري ألوف مؤلفة تزحم أرجاء العالم.

وعلمه يسع هؤلاء في عصرنا.. وما قبل عصرنا وما بعد عصرنا!

وما يملك المرء وهو يتابع هذا التصور إلا أن يهتف بالآية.

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (**غافر: ٧**).

(٧) ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ ينابيع المعرفة تنبجس ابتداء من مشيئة الخالق، حتى العلم بما يقع في مجال السمع والبصر، إنه لولا ما ركب في الإنسان من عقلٍ مُدركٍ لمَّاحٍ ما استطاع أن يفقه مما حوله شيئًا.

والاطلاع على ما هو أعمق من ذلك موكول إلى مراتب الذكاء الإنساني،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأنصبتنا من هذا الذكاء مقسومة علينا ونحن أجنة في بطون الأمهات.

ومن هنا كان فتح نوافذ قليلة يطل منها العقل البشري على آفاق من العلم محدودًا بما تهيئ المشيئة العليا من أسباب عادية أو غير عادية.

ومصادر المعرفة المعتادة مبثوثة في كتاب الكون المفتوح، وفي تجارب الناس مع الحياة العامة، ويمكن بالوعي والتأمل والتجربة أن نبلغ آمادا بعيدة في هذا المضمار دون حرج ودون قيد.

أما المعارف الغيبية التي مصدرها الوحي الأعلى، فإن الله قد اصطفى لها رسله الأولين وقد انتهى هذا المصدر بالرسالة الخاتمة.

ولن يحيط أحد بشيء من هذا العلم عن الاتصال بالله أو بملائكته، ومن زعم ذلك فهو كاذب.

وقريب من ذلك الإنباء بالغيوب، فإن هذا ليس من العلوم الميسرة، للخلق حتى تتاح فرصها للبشر على سواء، ولا مكان لوحي ينزل به بعد انقضاء النبوات.

ومن ثم فلا يقبل من أحد القول بأنه داخل ضمن الإمكان العام في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

(٨) ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

المتبادر إلى الأذهان أن السموات والأرض هما حدود الملك الإلهي، وهذا خطأ، فإنهما بعض آثار القدرة العليا فحسب، وكذلك قال في آية أخرى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ (**الشورى: ٢٩**).

وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ...﴾ (**الروم: ٢٥**).

هما من آيات الله، وآيات الله الشاهدة بجلاله لا يحاط بها، وكرسيه من الرحاب بحيث يسع السموات والأرض وسائر ما لا نحصي من آيات.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ونحن لا ندري ما الكرسي؟ ولا نكلف باكتناه ذلك.

وكل ما ندركه من هذه الجملة هو ما توحي به من الإشراف الإلهي العالي على سائر الخلق، ما نرى منه وما لا نرى منه، وأن السموات والأرض ما يستغرقان إلا جزءًا من الملكوت الواسع الذي اشتمل عليه هذا الكرسي ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾(**البروج: ٢٠**).

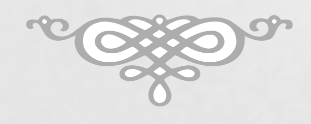
(٩) ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ لا يتجشم أية مشقة في ضبط السموات والأرض وتدبير الأمر بينهما، كما أنه لم يتجشم أية مشقة في الخلق الأول، وهذا ما ذكره في قوله ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (**الذاريات: ٤٧**).

أي إن ذلك البناء شيء هين إلى جانب ما في وسعنا، كما ينفق صاحب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فلوسًا قليلة، فلا يرى أنه أعطى شيئًا طائلا، كذلك- ولله المثل الأعلى- بناء العالم وحفظه، وما يتعب الخالق المدبر، ولا يثقله ولا يرهقه، لفرط عظمته.

والجملة السابقة في وصف الكرسي تشير إلى علو الذات.. ولذلك جاءت الجملة الأخيرة.

(١٠) ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

تذييلا يختم المعاني السابقة بذكر اسمين من أسماء الله الحسنى مناسبين للمقام، مقام العلو والعظمة الواجبين لذي الجلال والإكرام.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٣٣)

نظرات في سورة «الأنعام»

العدد (١٠٩) محرم (١٣٩٤هـ) يناير (١٩٧٤م)

سورة «الأنعام» من السور الطوال التي نزلت بمكة تقيم قواعد الإيمان، وتنصب حوله البراهين، وتجادل عنه الأعداء والجاهلين.

وأسلوب السورة يتسم بالأخذ والرد، والحوار الحي، والنزول إلى أرض الواقع، واستخراج كل ما لدى المشركين من شبهات ومزاعم.

ولذلك تكررت كلمة «قل» للنبي- عليه الصلاة والسلام- أربعا وأربعين مرة يتنزل بعدها التوجيه الإلهي إعلانا للحق وخذلانا للباطل.

وسورة الأنعام بهذه الخاصة من أشد السور قمعا للضلال، وإخمادا لأنفاسه، وإعلانا لمنار التوحيد وجمعا للأفكار والأفئدة عليه.

ونبدأ بإلقاء «نظرة» على مراحل الصراع بين الإسلام وأعدائه في هذه السورة المباركة.

إن الحق الغريب في البيئة العاتية يبدأ ضعيف الشأن قليل الناصر يلقاه الأقوياء بالنظر المتجهم، ويتناولونه بالسخرية الظاهرة، ويرفضون رفضا شديدا أن يدخلوا فيه بل أن يسمحوا له بالسير.

والله عز وجل في هذه السورة يوجه الحديث إلى الطرفين المتنازعين فيطلب من المشركين أن يحذروا المستقبل وأن يتأملوا في تاريخ الماضين لتتحسم سخريتهم: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (**الأنعام:** ١٠، ١١).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وفي الوقت الذي يُنَبَّهُ المشركون فيه إلى مصيرهم يقال لصاحب الرسالة ومن معه من المؤمنين: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ **(الأنعام:٣٤)**.

أي اثبتوا أيها المؤمنون، وتحملوا صنوف الأذى، وصابروا الليل الطويل حتى يطلع فجر النصر- ولا بد أن يطلع - فإن كلمات الله لعباده وقوانينه في خلقه لن تتغير، ويمكن استقراء الصراع القديم بين الهدى والضلال لتعرف هذه الحقيقة.

بيد أن حبل النزاع طويل ويظهر أن طوله يستغرق أعمارا كاملة، وأن النتيجة المرتقبة تتحرك ببطء رهيب.. بطء يغري الكافرين بالتطاول والصلف، وتكاد معه أرواح المؤمنين أن تزهق.

وتستطيع أن تتبين موقف الفريقين في هذا الحوار ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۗ ...﴾ **(الأنعام: ٥٧، ٥٨)**.

إن الله عز وجل يعطي المبطلين فرصا واسعة ليؤمنوا إذا أرادوا، ويبدو أن سعة هذه الفرص لا تزيدهم إلا ضراوة، ولقد راقبت سيرة المشركين مع النبي عليه الصلاة والسلام فوجدت أن المشركين أنفسهم هم الذين فتلوا الحبال التي شدت حول أعناقهم وأجهزت على حياتهم.

إنهم هم الذين صنعوا معركة بدر وكانوا قادرين على العودة من حيث جاءوا بعد نجاة قافلتهم، لكن مشاعر الكبر التي أدارت رؤوسهم وترجم عنها أبوجهل في كلمته الحمقاء «لا نعود حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور وتغني لنا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدًا».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه الكلمة هي التي ألحقت بالشرك أول هزيمة قاتلة، وأحنت رأسه إحناء مذلا إلى آخر الدهر، وكما فعل المشركون بأنفسهم ذلك في بدر كرروا صنيعهم قبيل الفتح الأعظم ليعطوا المسلمين حق دخول مكة بعدما نقضوا العهد المبرم ورفضوا الهدنة الممتدة.

إن الخط الذي رسمه القدر كان فوق فكر البشر، وذلك هو السر في قول الله لنبيه:

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **(الأنعام: ٥٨)**.

إن على أهل الحق شيئا واحدا.. أن يعيشوا به وأن يعيشوا له.

أما كيف يديل الله لهم من عدوهم فهذا ما استأثر العلم الإلهي به، وتعجز القوى عن دركه وارتفاع أهل الحق إلى مستواه في خلقهم وسلوكهم شيء صعب ولكن ما منه بد.

ثم هم بعد هذا الارتفاع لا بد أن يخضعوا لسنن الله الكونية التي تتناول أولياءه وأعداءه على سواء، ويُعَدّ التعرض لها جزءا من الاختيار الشامل في قصة الموت والحياة.

وتأسيسا على ذلك يأمر الله نبيه أن يفهم المؤمنين بأنه «بشر» لا يملك طاقات فوق العادة، وأنه يتعرض مع جماهير المؤمنين لتكاليف الصراع الخالد بين الإيمان والكفر، فلا هو صاحب مال لا ينفد ولا هو مدرك للغيوب، ولا هو ملك متخفف من خواص المادة الإنسانية.. إنه صاحب دعوة اصطفاه الله لفتح البصائر المغلقة وهداية الجماهير التائهة.

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ **(الأنعام: ٥٠)**.

وقد قضت الحكمة العليا أن تغير الظروف التي يعيش البشر فيها تغييرا

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يرغم على الانتباه لما يطلب منهم، فإن الناس إذا ألفوا النعماء قلّ تقديرهم لها وقلّ شكرهم لمرسلها الكبير وقلّ اكتراثهم بحقه وقلّ استماعهم لرسله.

ومن ثم فإن الله يسلبهم ما يطغيهم لعلهم يعتدلون!

وقد صح أن النبي عليه الصلاة والسلام لما رأى كبرياء قريش وطول صدودها دعا الله عليهم فقال: «اللهم سبعا كسبع يوسف!»

أي أرسل عليهم سبع سنين عجاف تكسر كبرياءهم وترد إليهم صوابهم.

وهذا علاج حق فإن الذاهب بنفسه قد يتواضع ويعقل إذا فقد ما غره من مال أو جاه.

وفي هذه السورة الكريمة يقرر الله جل شأنه هذه السنة الحكيمة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ **(الأنعام: ٤٢)**.

والبأس سوء الأوضاع الاقتصادية، والضراء سوء الأحوال الصحية.

وليس أضرى بالأفراد والجماعات من هذين البلاءين، وجدير بمن فقد صحته وماله أن يجأر إلى الله تائبا طالبا النجدة.

ومع ذلك فإن هناك شعوبا بليدة تنزل بها القواصم فما تطلب من الله رفعها وما تقف بساحته منيبة ضارعة بل تبقى على غوايتها وكفرها ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ **(الأنعام: ٤٣)**.

وهذا لون خطير من موت القلوب وعصف الشهوات بالأمم، وقد كان المفروض أن الآلام ترد الناس إلى بارئهم كي يحجب سخطه عنهم فإذا أوذوا وظلوا في عماهم فمعنى ذلك أن الفساد تغلغل في كيانهم واستبد بزمامهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد يطول بالأمم العناء- والحالة هـذه- كما قال تعالى في سورة أخرى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (**المؤمنون: ٧٥، ٧٦، ٧٧**).

لكن سورة الأنعام تذكر لونا آخر من مكر الله بالأمم، فإن الله يرفع العذاب النازل بالأمم الشاردة ويعيد إليهم ما فقدوا من نعمة ومتاع، بل ربما أرسل اليهم أكثر مما ألفوا ليزدادوا ترفا وشرها. ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (**الأنعام: ٤٤، ٤٥**).

إن قطع دابر «المتكبرين» بعدما طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد نعمة تقر بها العيون وتنشرح بها الصدور وتتبادل عليها التهنئة ويشكر عليها رب العالمين.

وظاهر من وصف القرآن لمراحل التغيير من رخاء إلى شدة ومن شدة إلى رخاء؛ أن الزمان طويل، وأن أهل الحق خلال أيامه ولياليه يجب أن يصبروا ويصابروا «والعاقبة للتقوى». نعم زمان طويل يبدأ فيه النضال والباطل قوي مستقر والحق ضعيف منكور، ثم تنشب الحرب النفسية والدموية لتتغير بعدها الأوضاع فيقوى الحق ويضعف الباطل.. بيد أن هذا التغيير يقطع من الزمن طريقا طويلا، وإلى قبيل النهاية لا تؤذن الأمور بانهيار في جبهة الضلال، بل قد تظل مرهوبة الجانب محذورة الشر.

ولذلك فإن المعادن الهشة تتفتت على مراحل الطريق، وينجم النفاق، ويؤثر الضعاف والجبناء أن ينجوا بأنفسهم ويستريحوا إلى دنياهم.

من أجل ذلك يأمر الله نبيه بالثبات على الحق وتثبيت المؤمنين عليه ويكشف له عورات الشرك ومقابحه لينفر العقلاء منها ويفروا من طريقها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ...﴾ **(الأنعام: ٧١)**

فليبق الحيارى ضالين عن رشدهم وليلزم المؤمنون صراطهم المستقيم مهما تجشموا من مشقات ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ **(الأنعام: ٧١، ٧٢)**.

لكن متى ينتهي هذا الصراع؟ وترتفع راية الحق؟ لا ندري! ولا بد من نهاية له على أية حال ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ **(الأنعام: ٦٧)**.

وعلى أصحاب الإيمان طال المدى أو قصر أن يعيشوا له، وأن يعيشوا به. وهذا المعنى هو الذي سيطر على المسلمين في العصر المكي فَتَكوَّن منهم جيل اعتنق الإسلام وربط به سفره وإقامته، وتعبه وراحته، وصداقته وخصومته وحياته ومماته.

وقد قررت سورة الأنعام ذلك في خواتيمها لتجعل فيه منهجا خالدا لكل جيل مكافح إلى قيام الساعة.

وعلى صدر الطريق نلمح خاتم الأنبياء يتلو ما أمر الله به ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ **(الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)**.. أجل إنه الأول تجردا لله وتبتلا إليه ودأبا على عبادته وتسبيحا له وتمجيدا وركوعا وسجودا، ثم حماية لهذا الدين بالنفس والمال فالحياة لله والموت في سبيله.

وعندما استوحش التوحيد في زحام العالم وطمعت الخرافة أن تأتي عليه من القواعد، نهض الإنسان الكبير «مُحمد بن عبد الله» ورمى بكل ما يملك من طاقات في المعركة البائسة المضطربة فإذا الشيطان يخور.. وإذا الشرك السافر والمقنع يتقهقر.. وإذا التوحيد الخالص يتقدم ويشيع.. وإذا العدالة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الحساب والسلوك تتقرر ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ **(الأنعام: ١٦٤)**.

إن الخلاف الديني سوف يبقى ما بقيت الأرض ولن يبت فيه إلا الله وحده! وستنشأ الأجيال الجديدة وهي في مهدها حاملة مظاهر هذا الخلاف.

والمهم أن يكون المؤمن بالله ورسوله رفيع اليقين والخلق معا، طاهر القلب والسيرة جميعا، مقتفيا أثر نبيه العظيم وهو يؤكد أن صلاته ونسكه وحياته ومماته لله جل شأنه، إن هزائم الحق في أغلب الأحيان تجيء من تفريط المؤمنين وهبوطهم دون هذا المستوى المطلوب فمن ولد مسلما ورزقه الله هذا الشرف فليعلم أنه مكلف بخدمة الحق وتزيين صورته وتنقية حقيقته، وحسن عرضه والقيام به وتلك هي الفريضة المنوطة بعنقه.

إنك لم تولد مسلما تفضل غيرك دون جهد مبذول وعبء محمول، بل قد يفضلك غيرك يوم تبتذل النعمة الموروثة وتتركها للضياع أو الامتهان.

في هذه السورة الجليلة نلمح منطق القرآن الكريم في بناء العقائد وغرس الإيمان وهو منطق بعيد عن التقعر، بريء من الغموض يقوم على وصف الله جل شأنه بما ينبغي له من نعوت الجلال والكمال، ويلفت النظر إلى آفاق الملكوت كي يدرك الإنسان عظمة ربه خلالها، وصدر سورة الأنعام يتسق مع هذا المنهج فقد بدأ الكلام بحمد الله خالق السموات والأرض وجاعل الظلمات والنور، ثم لفت القرآن الكريم النظر إلى تاريخ الأمم الأولى وموقفها من قضية الإيمان وكيف أن غفلتها هوت بها! وأن جحودها لنعمة الله أوردها شر الموارد.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ **(الأنعام: ٦)**

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بيد أن جماهير الناس ربما ضاقت بهذا المنطق ولم يعجبها أن تقاد من عقلها، ولا أن تستثار مواهبها العليا كي تؤمن، إنها تريد شيئا آخر، تريد خوارق للعادات تشد انتباهها أو تشبع فضولها أو تتجاوب مع الاتجاهات المادية في ذوقها وحكمها، والرسالة الخاتمة لا ترضى هذه النزعة ولا تحمدها.

ومن ثم فإن المنطق القرآني مضى في طريقه يحرك العقل الجامد ويطلب إليه أن يؤدي وظيفته العتيدة في البحث والموازنة والحكم.

والعرب في جاهليتهم أصروا على مقترحاتهم في ضرورة أن تسند الدعوة «معجزات حسية» وقاوموا النداء المتتابع بضرورة أن يفتحوا عيونهم إلى آيات الله في كونه وإبداعه في خلقه ودلائل عظمته المسطورة بين سمعهم وبصرهم.

ونحن نرى أن إصرار الجاهلية على موقفهم إنما نشأ عن عناد كريه، وجحد بكل ما يجب التسليم به من مقررات إنسانية محترمة. ولو أنهم أجيبوا إلى ما طلبوا ما اعترفوا بالحق ولا انقادوا له، وهنا نجد في سورة الأنعام مجموعة من النصوص تشرح هذه الحقيقة ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(**الأنعام:** ٧) فهم لا يؤمنون ولو نزل عليهم كتاب من السماء يلمسون أوراقه ويحسون وجوده! وقد طلبوا أن يتحدث إليهم أحد الملائكة لكن كيف يتم هذا؟

إن البشر جهزوا بحواس محدودة لا تستطيع أن ترى الماديات إلا في حجم معين، وعلى بعد معين فكيف ترضيهم السماء ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ (**الأنعام:** ٨) أي أنهم سيسترسلون في عنادهم ويرفضون الإيمان بعد استجابة مطلبهم وعندئذ تعجل عقوبتهم وينزل بهم العذاب الأليم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أن ذلك كله مع قدرتهم على رؤية الملك في طبيعته النورانية، فإذا استحال ذلك وتجسد لهم الملك فإن الشبهات باقية والمماراة مستمرة ﴿... وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ **(الأنعام: ٩)**.

وتناولت سورة الأنعام الخوارق مرة ثانية في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **(الأنعام: ٣٧)**.

أي أن الخوارق المطلوبة ليست مما يعجز القدرة العليا، ولكن الحكمة الإلهية فوق رغبات الطفولة، وعندما يريد الصغار ألا يكبروا.. وعندما تريد الإنسانية ألا ترتفع إلى مستواها العقلي، فإنه لا بد من إرغامها على الصعود والأخذ بيدها إلى أعلى وتكليفها أن تحترم العلم، ولعل ذلك السر في أن النبي عليه الصلاة والسلام قارن بين ما منح من معجزات، وما أجراه الله على أيدي المرسلين الأولين من آيات. ثم قال: «ما من نبي من الأنبياء قبلي إلا وأوتي من الآيات ما على مثله آمن البشر وكان الذي أوتيته وحيا أوحي إلي.. فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».[1]

إن هذا الحديث يشعر بأن الله جل شأنه يريد أن يبني الناس إيمانهم على حسن البحث والنظر وصدق الفطانة والاستنباط لا أن يهملوا أفضل ما أوتوا، وينتظروا القوارع والخوارق كي يعرفوا ربهم.

والمرء عندما يجحد الخاصة التي رجح بها بقية الحيوانات ويريد أن يحيا بغرائزه البدائية وأفكاره الساذجة وحدها.. لا ينبغي أن يجاب إلى ما يشتهي، وهذا سر ختم الآية بقوله جل شأنه ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وتعود سورة الأنعام إلى تصوير لجاجة المشركين في طلب الآيات الحسية

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٨١).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتعليق الإيمان على وقوعها، قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (**الأنعام: ١٠٩، ١١٠**).

ومن حقنا أن نتساءل عن قيمة هذا القسم من مشركين سووا بالله مخلوقاته وحلفوا أيضا على أنه لن يبعث أحدا وأن الدنيا هي الحس كله ولا شيء بعده.

إن هؤلاء المشركين كأنما يذكرون اسم الله من باب الاسترسال مع الخصم، أو كأنهم يقولون نقسم بالله الذي تزعمونه معشر المؤمنين وتتعلقون به.

أي قسم هذا؟

إن الأمر لا يعدو التشبث بما اقترحوه من قديم، أي إنهم ما زالوا متعلقين بالخوارق التي بنوا عليها إيمانهم، وهي إن جاءت فلن تؤسس في نفوسهم يقينا ولن تزحزحهم قيد أنملة عن جاهليتهم التي ورثوها وأوهامهم التي ألفوها.

وما الظن بقوم يقولون لله: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (**الأنفال: ٣٢**).

أما كان حريا بهم لو كانوا مخلصين أن يقولوا: اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

ولكنها الطفولة البشرية كما قلنا هي التي دفعت إلى هذه المطالب دون تقدير لها، أو ارتباط بنتائجها.

ولا بد من أن نسجل هنا خطأ سرى في الفكر الإسلامي سريانا مستغرباً هو اهتمام المسلمين بالخوارق وربط الصلاح النفسي بها حتى أصبحت الولاية عند الجماهير لا مفهوم لها إلا وقوع الخوارق على أيدي الأحياء أو الأموات!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن هذا الخطأ امتداد للطفولة البشرية التي أنكرها الإسلام على الجاهلين القدامى عندما تشبثوا بخوارق العادات وربطوا صدق النبوة بها، واستهانوا بقيمة العقل في تقديرها وإثباتها.

وعلماء الكلام.. بل علماء الأديان عموما لا ينكرون وقوع الخوارق، ولكنهم يرون أن هذه الخوارق الواقعة عديمة الدلالة على ما يزعم لها؛ إذ هي تقع من المؤمن والكافر والبر والفاجر، وفي كتب علم التوحيد عندنا تسميات شتى لخوارق العادات بحسب صدورها من الناس، ولم يقل أحد إن لهذه العجائب دلالة حاسمة أو غير حاسمة على صدق الإيمان وقرب المنزلة عند الله.

الولاية كما عرفها القرآن الكريم هي الإيمان والتقوى سواء حدث لصاحبها شيء من هذه العجائب أم لم يحدث!

وقد نبه المحققون إلى ذلك عندما قالوا: «لو رأيت إنسانا يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تشهد له بخير حتى ترى مسلكه مع الكتاب والسنة».

وهذا كلام جيد وهو يربط الكمال المنشود بالرقي المعنوي والاستقامة النفسية ولا يعطي ما وراء ذلك قيمة ما! إننا عندما نتدبر سورة يوسف نجد أنها تضمنت ثلاث رؤى كشفت عن المستقبل، فجاء تطبيقها صادقا كوضح النهار.

- أولى الرؤى الثلاث لنبي كريم المعدن حسن الدعوة إلى الله.
- أما الرؤييان الأخريان فهما لقوم لا يعرفون الله ولا يحسنون معاملته.

بعضهم كان سجينا وعاش بعد سجنه يسقي سيده الملك خمرا، والبعض الآخر كان ملكا غريبا على دائرة الإيمان ومنطقه.

وقد بنيت خطة الدولة الاقتصادية على رؤياه خمسة عشر عاما. وأحسبني لو صورت فكر المسلمين الآن لقلت: إنهم يحسبون الرؤيا الصادقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمارة على عظمة المنزلة عند رب العالمين ولو كان صاحبها لا يعرف صلاة ولا صياما، وقد لاحظنا ونحن نقرأ سورة الأنعام أنها زجرت المشركين زجرا شديدا لتطلعهم إلى الخوارق، وغفلتهم عن التدبر والوعي.

والسورة بهذه اللفتة الكريمة تريد أن تنبه إلى أن العظمة الإنسانية لها أصولها العتيدة وأبعادها المحددة. وإذا كان الله قد رزقنا عقلا فيجب على هذا العقل أن يبحث ويقضي.. والأديان إنما تستمد وجاهتها وتستحق القبول بما حوت من زكاة للنفوس ورشد للسلوك.. والأديان الفاشلة أو المهتزة القواعد تتحايل على إثبات صحتها وجمع الناس حولها بإطلاق الإشاعات عن خوارق وقعت لأحيائها أو موتاها.

وهذه الخوارق في الأغلب مفتعلة لا تعتمد على شيء.. إنما هي الخيال أو التوهم، ولو أن ما زعموه كان صحيحا ما دل هذا على شيء طائل، فإن الأديان تقوم على الصدق العقلي والنضارة الخلقية، وهذا ما طلبت منا سورة الأنعام أن نستيقنه وأن نبني عليه حكمنا.. هل معنى ذلك أن حياة «محمد» عليه الصلاة والسلام كانت خلوا من الخوارق؟ كلا!

لقد صحت «الأسانيد» أن جملة من الآيات الباهرة ظهرت في سيرة النبي الكريم، ورأت جماهير من الناس كيف زاد الطعام في يده وكيف نبع الماء من بين أصابعه وكيف هطل المطر توا استجابة لدعوته، وكيف... وكيف...

إن عشرات من هذه الآيات الحسية ثبتت له- عليه الصلاة والسلام- ولكن هذه الآيات لم تعتبر سنادا لإثبات النبوة ولا كان بها التحدي إلى آخر الدهر.

لقد اعتبر أمرها ثانويا بالنسبة إلى القرآن الكريم.. الكتاب الذي أحيا الفكر وأيقظ القلب وأنهض الأمم ودفع الأجيال في طريق حضارة يانعة وربط بين الناس وربهم ربطا يتجدد على مر الأيام إذ لا يزال هذا الكتاب منذ نزل إلى يوم الناس هذا.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، صانع الإيمان الحر، وسائق العقول بطريق الاستدلال إلى معرفة ربها والانقياد له.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه السورة المكية حافلة بالدلائل التي تسوق الناس سوقا إلى الله، وتفتح الأبصار على الآيات الشائعة في ملكوته، والروائع التي بثها هنا وهناك تشهد بوحدانيته وعلوه ولطفه.

إن بعض المستشرقين والمبشرين تحدث عن الأسلوب المكي فقال: إنه عاطفي يعتمد على الإثارة أكثر مما يعتمد على التفكير، وتبعهم في ذلك سماسرة مستأجرون في ميدان الأدب والثقافة تحمسوا لهذه الأكذوبة وأخذوا يروجونها.. والقضية كلها دعوى تافهة، وسورة الأنعام- من بين السور المكية- مليئة بالبصائر التي تنير طريق الحق وتجلو الغشاوات عن سالكيه.

وكلمة «بصائر» في قوله تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ﴾ **(الأنعام: ١٠٤)** هذه الكلمة واضحة الدلالة على العمل العقلي الذي يمزق الظلمات ويكشف الشبهات ويعرف الناس بربهم عن طريق السريرة الصافية والفطرة الواعية.

وعلى ما ألفنا في هذه السورة نسمع بعد كلمة «قل» سؤالا عن رب المكان يجيء على هذا النحو ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ﴾ **(الأنعام: ١٢)** أهو رب المكان وحده؟ لا، إنه رب الزمان أيضا ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ **(الأنعام: ١٣)**.

إن اليقين في تلك السورة يؤسس على النظر العقلي المتأمل المستنتج الذي يستعرض شتى الفروض ثم يرفض الخطأ ويقر الصواب، وإنك لترى ذلك في السياحة الفلكية التي تضمنتها هذه السورة لإبراهيم عليه السلام، وهو ينتقل من الكواكب إلى مكوكبها، ومن الشارق الغارب إلى من لا يغيب تجليه، ولا تنقطع قيوميته على العالم الرحيب ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾(٧٥).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن ثم نلحظ أن وصف الله في هذه السورة يجيء أحيانا بعد اسمه العلم الظاهر، وأحيانا بعد ضمير الغيبة، فيكاد الوصف البارز ينقل ضمير الغيبة إلى ضمير حضور وقد بدا ذلك من الصفحة الأولى في السورة:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً...﴾**(الأنعام: ٢)**،

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُم...﴾**(الأنعام: ٣)**،

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ...﴾**(الأنعام : ٦)**،

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ...﴾**(الأنعام : ٦٠)**،

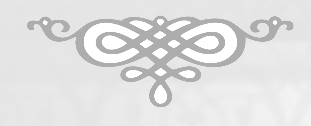
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...﴾ **(الأنعام : ٩٧)**،

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ...﴾**(الأنعام : ٩٨)**.

ويظل الأمر كذلك حتى آخر السورة، فكما بدئت بضمير الغيبة الذي يبعث على الشهود ختمت به... ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ **(الأنعام : ١٦٥)**

وهكذا تقف الإنسانية كلها بإزاء الاختيار الكبير الذي ينتظم جميع أفرادها.. تقف أمام ربها العدل الذي يكلف كل امرئ بقدر ما أوتي من إمكانات مادية وأدبية.

على أنه مهما تفاوت الذكاء البشري بساطة وعمقا، فلا يجوز أن يعمي عن الله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٣٤)

صورة شاملة
لسورة (يس)
من التفسير الموضوعي

العدد (١٠٠) ربيع الآخر (١٣٩٣هـ) مايو (١٩٧٣م)

لن نحتاج إلى كبير عناء في استبانة الخيوط الخفية التي تشد أجزاء هذه السورة وتجعل من معانيها وأغراضها كيانًا متماسك الحقائق وضيء الملامح.

بدأت السورة بقسم جليل .. قسم بما في الدليل من دقة وحكمة على صدق الدعوى ووجاهة صاحبها! ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢، ٣، ٤).

إن القرآن هو الشاهد الثقة على أن محمدا حق.

وما تضمنه القرآن من حكمة بالغة حجة فوق الريب على أنه وحي من السماء، وأن الذي يتلوه مصدق الدعوة راشد الطريق.

ثم تضمنت السورة تمهيدًا وجيزًا عن مواقف الناس من هذه الرسالة وانقسامهم بين مؤيد ومعارض وليس ذلك عجبًا.

فالناس من قديم الزمان صنفان.. صنف يحتبس في المواريث الفكرية التي آلت إليه لا يعدوها ولا يحب أن يستخرجه أحد مِنّ نطاقها، وصنف آخر مرن التفكير، حر الوجهة يعطي نفسه حق المقارنة والترجيح ثم ينطلق بعدئذ على ما أحب.

ومن الصنفين جميعًا كان الكافرون والمؤمنون.

وعقب هذا التمهيد ثلاثة مشاهد متميزة استغرقت السورة كلها، ودارت على محور واحد هو إضاءة الطريق أمام السائرين، وسط الأدلة التي تدعم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحق، وتذيب التعصب للباطل وتبني الإسلام على أصوله العتيدة من حركة العقل، ووعي التجارب، واحترام الفطرة..

- المشهد الأول دليل تاريخي من الماضي البعيد يقص نبأ القرية التي قاومت المرسلين وكذبت تعاليمهم فأصابها ما أصابها.
- والمشهد الثاني دليل من الحاضر المحسوس يلفت النظر إلى آيات الله في البر والبحر والفضاء، ويرجع البصر بين فجاج الأرض وآفاق السماء كي يستخلص العبر الدالة على رب العالمين.
- والمشهد الثالث والأخير: دليل من المستقبل الآتي يؤكد للبشر أن لعالمهم الذي يعيشون فيه أجلا ينتهي إليه، وأن وراءه عالمًا آخر يسعد فيه المهذبون العقلاء ويشقى فيه من سفه نفسه، وحقر عقله، وأساء سيرته، وفقد شرفه.

من التمهيد الذي افتتحت به هذه السورة الكريمة ومن تلك البراهين الثلاثة المستمدة من الماضي والحاضر والمستقبل تكونت «يس».

ونستطيع أن نلمح الروابط بين أول السورة وآخرها إذا ما أعدنا قراءتها متدبرين حال العرب الذين فوجئوا ببعثة محمد يدعوهم إلى توحيد الله وحمل الرسالة التي اصطفاهم الله لها ومتدبرين كذلك الأدلة المثيرة المتلاقية كلها على أن الله حق، ونبيه حق، وهي أدلة كانت ولا تزال تهدي الحيارى في كل زمان ومكان.

فلنعد مرة أخرى إلى التمهيد وما بعده.

إن ناسا كثيرين يحيون داخل فكرة ثابتة سيطرت عليهم دون بحث أو نقاش..

والسجناء في أوهامهم ينظرون يمينًا ويسارًا فلا يرون إلا السدود التي احتبسوا فيها والأحوال التي عاشوا في ضيقها وجهلوا ما وراءها ﴿إِنَّا جَعَلْنَا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فِىٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِىَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ (٨، ٩).

والأغلال التي تحيط بالرجل العتيد وتجعله يعجز عن لي عنقه هنا وهناك في حركة حرة يبصر بها شتى المناظر والأوضاع.. هذه الأغلال من صنع نفسه ابتداء وما ضاعفها الله عليه إلا لأنه هو يريد استبقاءها كما قال جل شأنه في سورة أخرى:

﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ ﴾ (**مريم: ٧٥**).

ويستطيع أي امرئ أن يخرج من ذلك السجن الظلوم إذا رحم نفسه وخشي ربه وعرف الحكمة من محياه ومماته.. إنه عندئذ يؤمن بالله ويهتدي بوحيه، وذلك ما بدأت الأدلة تتساق لتحقيقه.

فلنقف قليلًا عند المشهد الأول منها وهو الذي يبدأ بقوله تعالى:

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ (١٣).

لقد كذب أهل القرية رسالات السماء تقريبًا كما فعل أهل مكة وقالوا لرسلهم ﴿ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ ﴾ (١٥).

وماذا يملك الأنبياء للناس؟ إنهم لا يحملون عصا يسوقون بها الجماهير، ولكنهم يملكون قدرة على الإقناع وتجلية الحقائق لذلك قالوا: ﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (١٧).

بيد أن العميان يكرهون الضوء، وما كان عليهم من بأس لو تركوا رسل الله يتكلمون بما لديهم فمن ارتضى منطقهم دخل فيه وإلا انصرف عنه؟

إن أهل القرية لم يفعلوا ذلك بل قالوا لهم﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (١٨).

وأقبل من بعيد رجل منصف لم يذكر القرآن اسمه ليكون أسوة للرجال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذين إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا.. الرجال الذين يعملون بعيدًا عن الشهرة والظهور.

وتحدث الرجل حديث العقل ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٢) ما دام الله هو الذي خلق وما دام المرجع إليه فما معنى البعد عنه والتجهم لهداه؟ ولمن أذهب؟ ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٢٣، ٢٤).

وذهب الرجل ضحية الإيمان الذي أعلنه وشرح أسبابه.. ويبدو أنه كان عميق الإخلاص لقومه شديد الرغبة في هدايتهم فلما استقبلته بشاشة النعمة والرضوان تمنى لو أن قومه يعلمون ذلك المصير.. ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾(٢٦، ٢٧).

فماذا كانت عاقبة مكذبي الرسل، ومهددي الحريات، ومخرسي صوت العقل؟ هل احتاج الأمر إلى تجريد جيش من السماء لتأديبهم ؟ كلا، يقول الله ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾ (٢٨، ٢٩).

كان جديرًا بأبناء آدم أن يعوا هذا المصير وأن يرويه الأسلاف للأخلاف غير أن عبر الماضي تمر دون أن يذكرها الكثيرون ولو استفاد الحاضر من الغابر لتجنب الناس ويلات شتى.

ومع روعة المثلات الأولى فإن الإفادة منها قلَّت إلى حد أن القرآن الكريم يرسل هذه الصيحة المندِّدة المفنِّدة ﴿ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٣٠).

فلنطو هذا المشهد ولنلق نظرة على مشهد ثان في هذه السورة يُعرّف الناس بربهم ويقفهم أمام آياته التي يرونها في الصباح والمساء.

يبدأ هذا المشهد بوصف ما تنبت الأرض.. خذ حفنة من هذا التراب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي لا نهاية له في الحقول والحدائق، أترى فيه سكرًا أو دهنًا أو نشا أو أملاحًا أو ألوانًا أو غير ذلك كله مما تحسه وتطعمه في الحبوب والفواكه التي تأكلها؟ كيف خرجت من هذا الطين البارد الجامد شتى الألوان التي تصبغ الثمر والزهر بالصفرة والشقرة؟ وكيف خرجت الطعوم الحلوة من هذا الكدر والقذى؟ ومن لف هذه الحبوب في أغلفتها المحكمة ولف هذه الفواكه في قشورها الزاهية؟ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٣، ٣٤، ٣٥).

ودليل ثان مما يمتد إليه سمع الناس وبصرهم من ترادف الليل والنهار عليهم.. إن انحصارنا في حركاتنا المحدودة يشغلنا عن حركة الفلك الدائر وذلك أننا نصبح ونمسي ونودع شتاء ونستقبل صيفًا دون أن ندري كيف تداولنا الليل والنهار والحر والبرد.

إن ذلك كله نتيجة جريان هائل للكوكب الذي نسكنه والكواكب التي تشرف علينا، وهو جريان مرهوب السرعة في هذا الفضاء الرحب.

ومع أننا نسكن كونًا دوارًا لا يني يسبح في ملكوت شاسع الأبعاد فإن هذا الدوران وذلك السبح محكومان بنظام محيط ملجمان بزمام ضابط ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٤٠) ودليل ثالث من هذه السفن التي تجري في الماء.. يقدر أن الأجسام ترسب وتطفو وفق قانون مدروس مطرد، ومن ثم أمكن صنع سفن في أحجام الجبال تحمل الألوف من الأنفس والقناطير المقنطرة من المتاع ثم تنطلق متهادية فوق اللجج لو شاء ربها أبقاها فوصلت إلى مرافئها سالمة، أو شاء نفخ في الأمواج الحاملة فأرغت وأزبدت ورمت في قاع البحر بما حملت فما يستطيع أحد إسداء عون، ولا إنجاء هالك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾(٤٣، ٤٤) ودليل رابع من هذه الأنعام المسخرة لنا ننتفع من محياها ومماتها..

لكن قبل أن نشرح هذا الدليل وغيره ينبغي أن نذكر أن وسط السورة قد قام على معنى محدد معقول، أما المشهد الخاتم للسورة فهو حديث عن البعث والجزاء يبدأ من قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾(٤٨، ٤٩).

ويستمر هذا الحديث إلى نهاية «يس» وربما تخلله من المشهد الثاني ما يلفت العقل إلى آيات الله الجديرة بالنظر كقوله جل شأنه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾(٧١، ٧٢).

إلا أن ذلك الامتداد العقلي لا ينقص من انفراد آخر السورة بكلام مثير عن نهاية العالم وبداية عصر الثواب والعقاب.. فلننعم النظر في المشهد.. إنه ينبئنا بأن أمر الله يأتي مباغتًا والناس مستغرقون في أعمالهم اليومية لا يتوقعون حدثًا ما..

قد يخرج الموظف إلى عمله فلا يبلغ الديوان إلا وقد وقعت الواقعة.. أجل وربما قامت الساعة والخادم ذاهب لشراء بعض السلع فلا يعود بها، وتصوير القرآن لقيام الساعة يوضح أنه يتم والناس مسترسلون في الحديث حول شؤونهم يتجادلون في تقرير وجهات نظرهم وبينما هم كذلك ينفخ في الصور ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٥٠).

حتى الهاجعون في مقابرهم من آماد بعيدة.. إن قومتهم ليوم الحساب تجيئهم مفاجئة حتى ليصيحون دهشين ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ ويجيب كل شيء

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

﴿... هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(٥٢).

ولا نمضي في وصف النعيم وترغيب المؤمنين فيه ولا في وصف العذاب وترهيب المنحرفين منه، وإنما نتوقف لنتأمل في بعض أدلة البعث التي ختمت بها السورة.

ألم تسأل نفسك يوما: ماذا كنت قبل مائة عام، قبل أن يوجد هذا البدن المكتنز بالشحم واللحم يتوقد فيه هذا الروح المنعم بالفكر والشعور؟ ماذا كنا؟ بعض هذا الهواء المنتشر في الجو؟ بعض هذا التراب الممتد على الأرض؟ لا ندري!

وإذا كان ذلك نسبنا المادي فمن أي أصل تولد الفكرة والشعور؟

إنني أجزم بأني وجدت بعد عدم، وأن هذا الإيجاد يتكرر جيلًا بعد جيل، ومع دلالة هذا الخلق على رب مبدع عظيم، على رب مقتدر حكيم.. مع هذه الدلالة الصارخة فإن هناك صُمّا لا يسمعون وعميانا لا يبصرون وناسًا يتكلم أحدهم عن الله ولقائه بجهل غريب ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾(٧٧، ٧٨).

وإن الشخص الذي يعرف من أي باب دخل الحياة لا يليق به أن يرسل هذا السؤال، إنه يتناقض مع نفسه حينما يستبعد وجوداً كان هو صورة حية له ودليلًا أبديا على إمكانه..

من يحيي العظام وهي رميم؟ يحييها منشئ الإنسان من نقطة الصفر.. إن البعث ليس وعدًا بشيء يتم في المستقبل فهو يستغرب الآن.. إنه تكرار لعمل يتم كل يوم بل كل ساعة من ليل أو نهار فما وجه الاستغراب في وقوعه؟ ولكنه الجهل الغليظ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا...﴾(٧٩، ٨٠)

فلنرسل فكرنا وراء هذه اللفتة، هناك في الحقول الناضرة والحدائق

الغناء حيث الصمت السائد والنماء البطيء يتنفس النبات دون أن نشعر وفي شهيقه وزفيره يقول علماء الطبيعة إنه يمسك «الكربون» ويرسل «الأكسوجين» يمسك النار ويرسل لنا الحياة ما أعجب القدرة وما أغرب هذه المتناقضات.

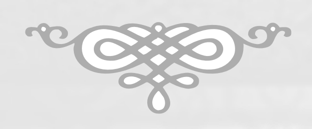
ومضى النظم الكريم يستكمل أدلة البعث، ويشرح دلائل العظمة الإلهية ثم يختم السورة بهذا الختام ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾(٨٣) هذه سورة «يس»، مقدمة تناولت رسالة محمد بالشرح الوجيز وتناولت معارضيه ومؤيديه بالتعليق اليسير، ثم ثلاثة مشاهد فصلت وجه الحق في هذه الرسالة الخاتمة تفصيلًا تناول العالم من أزله إلى أبده واستطاعت أن تدفع الباطل وتَذْرُوهُ هباء.

هذه هي السورة التي ارتفع صوت الوحي فيها ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (٧٠) ومع ذلك فإن جماهير المسلمين تواضعت على قراءتها في المقابر بين رفات الموتى.

ألا ما أظلم المسلمين لكتاب ربهم، وتراث نبيهم، وأساس تاريخهم، ومهاد حضارتهم!

ولسنا نزعم أن المقدمة والمشاهد الثلاثة المذكورة قد انتظمت في قوالب فنية كما يصنع العلماء المحدثون في تأليفهم، كلا إن القرآن أكبر من ذلك فاحتواؤه على المعاني يشبه احتواء الكون المادي على مصادر المعرفة في وحدة لا انفصام بين أجزائها.

ولكننا في هذا اللون من التفسير نجتهد في اكتشاف محور تدور عليه السورة كلها أو ملامح تشيع في كيانها العام. ثم نصف ذلك للقارئ حتى يحسن الانتفاع بالكتاب الكريم.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٣٥)

الممتحنة

سورة الحُبّ والبغض في الله

العدد (١٠٢) جمادى الآخرة (١٣٩٣هـ) يوليو (١٩٧٣م)

التعصب وصف رديء عندما يكون معناه جمود الفكر، وانحصارالأفق، والتشبث بالهوى، والجنوح إلى الباطل مهما بدا عواره.

ونحن نرفض هذا الوصف ونأباه على أنفسنا وقومنا..

ولكن عندما يكون التعصب أثرًا لاحترام الحق، وإكبار أهله، ودعم جانبهم، وكره عدوهم، فإن التعصب هنا يرادف الإيمان والجهاد، ولا يتخلى عنه امرؤ ذو دين!

وفي العالم اليوم:

- حقائق أرخصها الضعف.
- وحقوق هضمها البغي.
- وقوى شرسة استمرأت العدوان.
- ومسلمون طمع فيهم من لا يدفع عن نفسه، حتى كأن البغاث بأرضنا يستنسر!

أفلا يوقظنا مرأى هذه الصور الكريهة إلى أن نعرف من نحن؟ وماذا نحمل من رسالات الله؟ وماذا نستطيع أن نسديه لأنفسنا وللعالم أجمع لو غالينا بديننا وتاريخنا، وشققنا الطريق إلى المستقبل على سناه الهادي؟

وعندما أقرأ سورة «الممتحنة» يحيا في نفسي معنى التعصب للحقيقة، والدفاع عنها، والوقوف إلى جانبها على رقة الحال، وكآبة المنظر في الأهل والمال!

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إنه ليس من الشرف أن أجامل من يهين الحق، وليس من صدق اليقين أن أمالئه وأترضاه.

وقد نزلت سورة «الممتحنة» لتلقن المؤمنين هذا الدرس حتى يبقى حيا في نفوسهم إلى يوم الدين، فقال جلَّ شأنه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ..﴾.

عيب واضح أن أصادق عدو الله وعدوي، وأن أبسط يدي ولساني له بالسلام، وهو يزدري ما عندي- ولا يتوانى!- ومن هنا عللت السورة النهي عن المصافاة، فقالت بعد إثبات كفرهم:

﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ..﴾

لماذا؟ ﴿... أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾

ثم اطرد السياق القرآني يقول:

﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ...﴾

أي فلا تسلكوا هذا المسلك، وتطووا قلوبكم على حب من طردكم وأهانكم!

كيف تفعلون هذا؟.

﴿... تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾؟

والتعبير بـ «أنا» في هذا الوضع يفرض علينا أن نتوقف قليلا لنتدبره فقوله جلَّ شأنه:

﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ فيه معنى التحذير من الرقيب الخبير.

وهذا المعنى صرحت به سورة أخرى في مثل هذه القضية قال تعالى:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ ﴾ **(آل عمران: ٢٨)**

والغريب أن هذا التحذير يتكرر في الموضع نفسه، مؤكدا علم الله بما نخفي وما نعلن، حتى لا نتورط في مسالمة عدو يبتغي إبادتنا، أو الوقوف منه موقفا بعيدا عن الصرامة والمفاصلة، فقال جل شأنه: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ **(آل عمران: ٣٠)**

تحذير يتكرر مرتين بعبارة رهيبة هي ﴿... وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ ﴾ إنها هناك توضيح لقوله هنا: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (١).

هكذا بدأت سورة «الممتحنة» تعلمنا ضرورة التعصب للحق، والتمسك بأهدابه، وكراهية المعتدين عليه، والنفور من مودتهم.

وإذا كان هذا المعنى الحاسم قد تصدرها فإنه قد تمشى في آياتها على صورة متفاوتة، ثم كان لها الختام المبين فقال جلَّ شأنه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾(١٣).

إن «الأحياء» من الكفار قد قنطوا من عودة إخوانهم الذين ماتوا إلى الحياة مرة أخرى، أو إن «الموتى» من الكفار قد يئسوا من الحصول على مكان عند الله في الدار الآخرة.. سواء كان هذا المعنى أو ذاك فإن المؤمنين لا يليق أن يصادقوا قوما تلك حالتهم!

ولنلق على السورة من بدئها إلى ختمها نظرة جامعة نتعرَّف بها أسباب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النزول كما ذكرها المفسرون والمؤرخون.



لقد استغرق نزول هذه السورة- على وجازتها- قريبا من عامين، وصدرها نزل في السنة الثامنة عندما قررت الكتائب المؤمنة أن تجهز على الوثنية المتحكمة في مكة، وأن تعيد إلى دائرة التوحيد هذا المعقل الأشم.

ووسط السورة نزل في السنة السادسة بعد ما تم عهد الحديبية بين المسلمين، وأهل مكة، وبدأ التنفيذ وظهرت بعض المشكلات.

وآخر السورة نزل بعد الفتح الكبير، وإقبال أهل مكة رجالا ونساء على مبايعة الرسول ﷺ والالتزام بتعاليم الإسلام.

ومع الاختلاف الزمني الملحوظ في نزول الآيات فإن ترتيبها لم يفقد ذرة من الاتساق والتماسك، بل هو نسق من الإعجاز الساري في أسلوب القرآن الكريم كله.

وأشعر بأن القرآن في علم الله القديم كان على هذا الترتيب الذي نحفظه، وأن الآيات كانت تنزل وفق الأحداث، ثم يأمر الرسول بوضعها في مكانها بتوقيت إلهي، فتعود إلى وضعها الأزلي على النحو الذي يقرأ الآن، والمحور الذي دارت عليه السورة كلها، هو الحب والبغض في الله، وهو قاسم مشترك بين أجزاء السورة منذ بدأ النزول، ولذلك فإن وحدة الموضوع ظاهرة شائعة فيها؛ ففي أوائل السورة نقرأ كيف رفض القرآن الكريم ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة الذي راسل أهل مكة يخبرهم باستعداد الرسول للسير نحوهم، كي يأخذوا أهبتهم! وهو عمل شنيع، ولولا أن رسول الله ﷺ عفا عن الرجل تقديرا لسابقته في خدمة الإسلام لكان جزاؤه القتل.

وهنا نرى الوحي- بعد استنكار التصرف السابق- يقول للمؤمنين:

﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا

﴿تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣). أي لا يجوز أن يخفف شيء ما من حدة الخصام للكفر وشيعته، ولو كان الحرص على القرابة والولد والمال؛ فإن جانب الله أولى بالرعاية.

والمثل الأعلى أن يقول المؤمنون لأعدائهم ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ (٤).

وهذه مصارحة بالقطيعة في سبيل الله، ومعالجته بالحب لله والبغض لله، وليس أمام المؤمنين إلا هذا السلوك.

وقد كان إبراهيم والمؤمنون معه على هذا الغرار، وإذا كان إبراهيم قد لاين أباه يوما وقال له ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾(٤).. فذلك اللين ليس مهادنة للضلال، ولا ضعفا في الإحساس بحق الله.. كلا ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ (**التوبة: ١١٤**).

وهكذا تقطعت أغلى الصلات إيثارًا لحق الله.

إن حق الله على عبده لا يرجحه شيء في الأولين ولا في الآخرين، والاستهانة به ضلال مبين.

هل هذا التجهم الشديد ضد الضلال والضالين يرجع إلى غلظة طبع أو شراسة خلق! لا.. لا.

إننا في شوق إلى سيادة السلام، وامتداد عواطف الحب إلى كل قلب، والأمر بيننا وبين خصومنا واضح مستقيم، فمن حاسننا حاسنّاه، وكنا أسرع إليه بالود والرحمة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن كيف نلين مع من استباح كرامتنا، ونَشَدَ إساءتنا وإهانتنا، وأخرجنا من ديارنا وأموالنا؟ إن مصادقة من يفعل ذلك بنا نذالةٌ، وخسةٌ لا يهبط إليها مؤمن، قال تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٨، ٩).

والظلم هنا الهوان، وقبول الدنية، والاستكانة إلى الضيم، والرضا بحياة الفسوق والمروق، والعيش في كنف الفاسقين المارقين.

هذا صدر السورة الذي استغرق نصفها، ونزل في السنة الثامنة.

أما وسطها الذي نزل من قبل، فهو يعود بنا إلى نص في معاهدة الحديبية يقضي بأن يرد المسلمون عن المدينة من لحق بهم مؤمنًا من أهل مكة، وإن كان أهل مكة يقبلون من لحق بهم مرتدا!

ومع أن الأيام أثبتت جدوى هذا النص على المؤمنين إلا أن القرآن الكريم استثنى النساء ابتداء من تطبيقه، وأمر المؤمنين أن يمتحنوا المؤمنات الفارات بدينهن، فإذا علموا منهن صدق الاعتقاد وشرف الغاية قبلوهن في المجتمع الإسلامي فورا.

إن هؤلاء النسوة المهاجرات التاركات لأزواج كافرين يجب أن نرحب بهن وأن نقدم تحية إكبار للعاطفة التي خرجت بهن إلى دار الإيمان، لقد كرهن رجالهن وفارقنهم لله فلا ينبغي أن يُعَدّن لهم، قال تعالى:

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ ﴾(١٠).

وإتمامًا لإقامة المجتمع على احترام الدين، وإعزاز مشاعر الحب والبغض لله صدر الأمر بتسريح الزوجات الكافرات: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ (١٠).

إن قبول هؤلاء النساء المؤمنات ومفارقة الكافرات تشريع متكامل وحكمته واضحة، وقد نفذت معاهدة الحديبية بالنسبة إلى الرجال الذين ما لبثوا أن نظموا حرب العصابات ضد أهل مكة حتى اضطروهم إلى أن يطلبوا من الرسول قبولهم في المدينة!

ونصل إلى آخر السورة لنقرأ بيعة النساء، كان ذلك بعد فتح مكة واستسلام أهلها لكتائب الرحمن.

إن أولئك الناس طالما آذوا الله ورسوله، وها هي ذي «هند» المرأة التي أكلت كبد حمزة قد أعلنت دخولها في الإسلام، فماذا نصنع معها؟

لا شيء! ننسى الماضي، ونغفر الأخطاء ونعلمها وصاحباتها كيف يتأدبن بآداب الإسلام، ثم يصبحن- بَعْدُ- أخواتنا:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢).

نعم.. إن الله غفور رحيم، فلننس الماضي ولنتحاب في الله.. لقد كان القرآن في هذه السورة يرقب متاب هؤلاء وعودتهن إلى الصواب وإقلاعهن عن إيلام المؤمنين، قال تعالى:

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والمودة المرتقبة إنما تقع مع أناس يخف ضغط التعصب على قلوبهم ورؤوسهم، ويجوز أن تتقشع غيوم الغفلة عن آفاقهم وضمائرهم.

فإن المرء قد يخطئ لملابسات معينة أحاطت به، وربما ظل على خطئه لأن هذه الملابسات بقيت في مكانها، لم تجد من يزيلها أو ينتقصها.

لكن ما الموقف إذا تشبث الإنسان بالزلل وهو يدعى إلى الاستقامة،أو أصر على الخطأ وهو يرى وجه الحق وضيئا مشرقا؟

إن هذا الإنسان أجدر خلق الله بالمقت وأولاهم بالعقاب الآجل والعاجل.

وإنك لترى الوحي الإلهي طافحا بالوعيد وهو يتناول أولئك الجاحدين من صرعى التعصب الأعمى.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ (**الأعراف: ١٤٦**).

ولنلفت النظر إلى أن الغفلة هنا ليست قصور عقل عن المعرفة الغائبة، ولكنها بلادة قلب عن استيعاب المعرفة المبذولة، والنصح القريب!

وهذا هو التعصب الذي يأباه على نفسه كل عاقل أو منصف.

والقرآن في آيات كثيرة يلمح إلى هذا المعنى وإن لم يذكر التعصب بلفظه، فإذا قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (**البقرة: ٦**).

فإن المقصود أناس طال نصحهم وطالت لجاجتهم، طال تعليمهم وطال صدودهم.. وليس المقصود وصف أقوام تعرض عليهم الدعوة لأول مرة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وبديهي أن ينتهي هذا الصدود بما ينتهي به كل جحد وتبجح، من استمراء للشر واستهانة بالخير واستحلاء للقبيح.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ (**النمل: ٤، ٥**).



وقد صحب التعصب من قديم حيف شديد على أهل الإيمان، وتطاول على حقوقهم المادية والأدبية، وتصوير كذوب لأقوالهم وأعمالهم، وإلحاق للمعايب والمقابح بسيرتهم وتاريخهم وكان نصيب الأمة الإسلامية كبيرًا من هذا التعصب الجائر الآثم.

ولست أستغرب مسالك الأشرار إذا جاءت وفق طبائعهم فإن الذئب المفترس لا يستكثر عليه أن يعقر ويغتال.

إنما الغرابة من موقف المسلمين الذين كثرت حولهم الأنياب الجائعة، والطوايا الكنود، ومع ذلك فهم غارّون مسترسلون في «طيبتهم» وتهاونهم.. فإلى متى؟

إن أرضنا انتقصت من أطرافها شرقًا وغربًا وفق خطة رسمت بأناة وروية.. ثم بدأت الإغارة على قلب العالم الإسلامي استكمالا للإجهاز عليه طولًا وعرضًا، فهلا عرفنا ما يراد بنا؟

إن في العالم الآن طوفانًا نجسًا من التعصب ضد الإسلام وأمته، وأمامي وأنا أكتب هذه السطور أنباء الدماء المراقة والأشلاء الممزعة للمسلمين المستضعفين في الفلبين، وما قصة الإسلام الذبيح في الفلبين إلا نموذج مكرر لأقطار أخرى من الأرض، أهين فيها الدين واستبيح حماه، وشرد أهلوه، وأكلت حقوقهم! بل إن المسلمين- حيث يكونون كثرة في بلاد أخرى- تجرأ عليهم كل ذي ملة وتطلع إلى ما لم يكن يحلم به في يوم من الأيام!

ألا نتعلم التعصب للشرف والعرض والأرض في هذه الظروف العصيبة؟

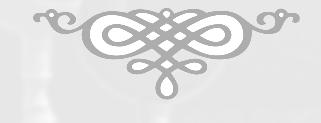
لعلنا .. لعلنا ..

فإذا تحقق ما نصبو إليه فلله الحمد .

نحن ما نسعى إلى قتال ولا نشتاق إلى سفك دم.

لكن إذا فرض علينا القتال فإن الذرة من التهاون في كراهية المعتدين جريمة.

يجب أن ندخل المعركة بكل ما لدينا من غضب وقسوة وصرامة.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٣٦)

تفسير سورة الكافرون

العدد (١١٦) شعبان (١٣٩٤ هـ) أغسطس (١٩٧٤م)

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾.

من الأخطاء التي وقع فيها الكثيرون تعريفهم للعبادة بأنها «مطلق الخضوع» سواء كان خضوعًا أعمى، أو خضوعًا كارهًا.

ونحن- المسلمين- عندما نقول: إننا عبيد الله، لا نقصد شيئًا من ذلك، فنحن نخضع لربنا خضوع حب وبصر، أي إن شدة حبنا له، ومعرفتنا به، هي التي دفعتنا إلى الانقياد له والاتباع لأمره.

وليست علاقتنا بالله علاقة المغلوبين على أمرهم تحت وطأة حاكم ظالم، أو علاقة الهائمين على وجوههم وراء قوة مبهمة.. كلا .. كلا.. فإننا نَعْبُد الله الذي أنشأنا من عدم، ورزقنا من فضله وحده، ونرفض عبادة غيره، لأنه لا معنى لاستجداء صعلوك، أو تخوف عاجز، ولا معنى للارتباط بناس ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ **(الفرقان: ٣)**.

إن صلة المسلم بالله وبما عداه، تدور على هذا المحور الفذ، فهو على بينة من ربه، يدري جيدًا ما يستحقه من كمال، وما يبذله من عطاء، ويدري جيدًا أن غيره صفر، أو وهم، أو اسم لا مفهوم له، ومن ثم فهو يقول- كما أمره الله- لأعداء الله ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾.

وقد جاء في السنة الشريفة استحباب القراءة بهذه السورة، وسورة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإخلاص في أول النهار وآخره، فعن عبدالله بن عمر: رمقت النبي ﷺ أربعًا وعشرين، أو خمسًا وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بـ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

وظاهر أن السورة الأولى تشرح التوحيد العملي، والثانية تشرح التوحيد القلبي، فيكون الجمع بينهما مطابقة بين السلوك والشعور النفسي، ويكون بدء اليوم بهما وختمه إشعارًا بأن كدح الإنسان في حياته كلها محصور داخل هذا الإطار الواضح المستقيم.

روى أحمد في مسنده عن الحارث بن جبلة قال: قلت يا رسول الله: علمني شيئًا أقوله عند منامي؟ قال: «إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ فإنها براءة من الشرك».

ومن هم الكافرون الذين نبتعد عن خطهم، ونبرأ من طريقهم؟

إنهم فرق شتى.. فهناك الماديون الذين يجحدون الألوهية، ويتعلقون بعالم الحس وحده، ويكرسون العمر لتحصيل الشهوات وعبادة الهوى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ...﴾ (**الجاثية: ٢٣**).

إن التقدم العلمي عند هؤلاء لا يغير من ضلالهم شيئًا، وما داموا ينكرون الله الواحد فهم كافرون حقًّا.

وهناك ناس يعبدون إلها من صنع الخيال، وقلما يوفرون له ما ينبغي توافره للإله الواحد من تنزيه وتحميد.

والغريب أن جماهير كثيفة في المشارق والمغارب تقع في هذا العوج ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(**يوسف: ١٠٦**).

وبدعة أن العالم تحكمه شركة من الآلهة، أو أعضاء في أسرة مقدسة شاعت قديمًا وحديثًا: وقد رفضها الإسلام جملة وتفصيلًا، وأقام العقيدة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على تجريد الألوهية من كل خرافة، ودعا دعوة حارة إلى التوحيد المطلق، وذلك سر التكرار الملحوظ في سياق هذه السورة ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾.

قال أبوالعباس بن تيمية: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ نفي قبوله لذلك بالكلية، لأن النفي بالجملة الاسمية آكد، فكأنه نفي الفعل وقبوله له، أي نفي الوقوع وإمكانه شرعًا وعقلًا، وظاهرًا، وباطنًا.

وطبيعي أن يكون مع هذا التشبث بالحق، تعصبًا للباطل، وبقدر ما يغالي المؤمنون يغالي خصومهم بالجحود أو التعديد! وتلك سنة الحياة ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ **(هود: ١١٨)**.

وقد بين القرآن الكريم في مواضع أخرى أن المبطلين قد يستبد بهم الضلال فلا يكترثون لدليل، أو يلتفتون لحجة ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ **(البقرة:١٤٥)** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ **(يونس: ٩٦، ٩٧)** فهم ماضون في طريقهم المعوج، لا يلوون على شيء، ولا يصيخون لناصح.

لكن ماذا يستتبعه هذا المسلك من نتائج؟ إن كل ما يستتبعه هو زيادة العبء على المؤمنين، فلا يضعفون ولا ينكصون، وعليهم أن يرسخوا أقدامهم في طريق الحق فلا تهزهم فتنة، ولا تردهم عاصفة ولا ينال منهم مر الزمان، وذلك ما توحي به هذه السورة التي تحدد المواقف، وتمنع الميوعة واللبس.

وكلمة «قل» خطاب لصاحب الرسالة- عليه الصلاة والسلام- بيد أن كل مسلم مكلف بهذا النداء الحاسم، وما تضمن من تحديات.

نعم، ينبغي أن نتأسى بالنبي الكريم فيما كلفته به هذه السورة، ففي حياته ﷺ مُثُلٌ عليا يفزع إليها كل صاحب رسالة فاضلة عادلة، ليرتوي منها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذا صدي، ويسعد بها إذا شقي، وليقتبس منها دروسًا مجدية في طرائق الجهاد المضني عندما يتجرد الحق إلا من إشراقه، ويتشدد الباطل لكثرة عدته وعتاده.

بدأ هذا الرسول فوضع فواصل غليظة بين الحق الذي اهتدى إليه، وبين الباطل الذي توارث الناس العمل به، والاحتكام إليه.

إنه- من ناحية العدد- قليل بنفسه وإخوانه، وهؤلاء كثيرون بأنفسهم ونظمهم المألوفة، وأفكارهم القديمة، وأوضاعهم العتيدة، فلا بد إذن من قطع كل أمل في أن يتفق معهم، أو يخضع لهم.

لقد سلك نهجًا غير الذي ألفوا، ولن يجمعه بهم طريق ما داموا على معتقداتهم.

في هذه السورة تسمع صرخة الحق العنيد عندما يفترض أن الباطل سيلج في غوايته، وأن هذه اللجاجة لن تثني لأصحاب الحق عزمًا، أو تقيد لهم قدمًا، وآيات هذه السورة ترمي إلى مجاهرة الكافرين بهذه الحقيقة الرائعة، وهي أن كتيبة الله انطلقت لأداء رسالتها، وعرفت أنها متمردة على الأوضاع الباطلة، ثم هي مسرورة بهذا التمرد، آنسة به، وأنه يزداد سرورها عندما يعلم الكفار ذلك، وعندما يؤمنون بأن الكتيبة المؤمنة قد بنت حاضرها ومستقبلها على ذلك.. فلن ترجع إلى الكفر حتى يلج الجمل في سم الخياط.

والرسول العظيم- في هذه الخطة- يقتفي أثر جده إبراهيم -عليه السلام- لما نابذ قومه بالخصومة، وجعل من أهله المؤمنين حزبًا يمثل الحق، وينافح عنه.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (**الزخرف:** ٢٦، ٢٧، ٢٨).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٣٧)

تفسير سورة المسد

العدد (١١٣) جمادى الأولى (١٣٩٤هـ) مايو (١٩٧٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾

يخطئ من يظن أن المرأة في الجاهلية كانت صفرًا، لا رأي لها ولا وزن.

إن التأمل في النشاط النسائي- عند ظهور الإسلام- يفيد أن المرأة كانت صديقًا للدعوة، له آثاره النافعة، وأنها- كذلك- كانت خصمًا له خطره المحذور.

وقبل أن نذكر عداوة أم جميل- زوج أبي لهب- للدعوة الإسلامية، وتحاملها السيئ على الرسول ﷺ نريد أن نذكر نماذج لبعض النسوة اللائي وسعن رقعة الإسلام، وشرحن به صدورًا ضيقة، أو أنرن به عقولًا مظلمة.

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه خطب أم سليم رضي الله عنها (يعني قبل أن يسلم) فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟ فقال بلى. قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟ إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقا غيره.

قال: حتى أنظر في أمري، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وأخرج الواقدي، وابن عساكر عن عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهما- قال: لما كان يوم الفتح أسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام- امرأة عكرمة بن أبي جهل ثم قالت أم حكيم: «يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اليمن، وخاف أن تقتله فأمَّنه، فقال رسول الله ﷺ: «هو آمن»، فخرجت في طلبه ومعها غلام لها، فأدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر فجعل نوتي السفينة يقول له: أخلص قال: أي شيء أقول؟ قال: قل «لا إله إلا الله» قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا، فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر فجعلت تلح عليه وتقول: يا بن عم جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك. فوقف لها حتى أدركته. فقالت: إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ قال: أنت فعلت؟ فقالت نعم، أنا كلمته فأمنك، فرجع معها وقد شرح الله بالإسلام صدره، فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنًا مهاجرًا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت» فلما التقى برسول الله ﷺ قال له، بعدما أعلن إسلامه، ووثق بالحق صلته: أما والله يارسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالا كنت أقاتل في صد عن سبيل الله، إلا أبليت ضعفه في سبيل الله.. ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيدًا.

مَن السبب في هذا الخير؟ من صانع هذه البطولة؟ زوجة مؤمنة مخلصة متحركة أدت واجبها، ونصحت لله ورسوله، فكانت يمنًا على رجلها ودينها.

كانت زوج أبي لهب تستطيع أن تكون واحدة من أولئك السيدات الراشدات المرشدات، لكنها كانت امرأة شريرة، سيطر الحقد على فؤادها فراحت تبعثر الفتنة هنا وهناك.

أغرت أبا لهب بالكفر، فكفر وصد عن سبيل الله، وصبت غضبها على بنات النبي ﷺ فأغرت بتطليقهن، وهدمت بيوتًا كانت مستقرة، وأخذت تنتقل في أحياء قريش توغر الصدور على رسول الله، وتضع العوائق أمام دعوته.

وقد عبر القرآن عن هذه السيدة الشرسة بقوله- جل شأنه- ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

ولم تكن امرأة أبي لهب ممن يحملن الحطب للوقود في بيوتهن، فهي امرأة غنية عريضة الجاه، إنها بنت أبي سفيان، وامرأة رجل من عظماء بني هاشم ولديها من الخدم ما يكفيها هذا العمل، ولكن المقصود بهذه العبارة أنها تشعل الفتن، وتثير النفوس ضد محمد، وأنها تحكم الوسائل لبلوغ هدفها، ولا تتراجع عن كيد بدا لها.. وهذا سر التعبير بأن في عنقها حبلًا من مسد، والمسد هو الصوف، والتركيب كله يعني أنها تحارب الإسلام بعنف، وتوغر الصدور ضد نبيه، وتنشر الإشاعات المثبطة، والأنباء المحرضة على النيل منه.

وأرى أنها السبب في ضلال زوجها، فهو من هذا الصنف الذي يتبع امرأته ويطلب رضاها، ولو كان في ذلك حتفه، وقد كان أبولهب أول المكذبين لرسول الله ﷺ مع أنه عمه الشقيق، وهو لم يكذبه فقط بل انطلق وراءه ينفر منه، ويحول دون دخول الناس في دينه، روي عن طارق المحاربي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في السوق يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل خلفه يرميه بالحجارة، وقد أدمى عقبه ويقول: لا تطيعوا محمدا فإنه كذاب فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد وعمه أبولهب[1].

لم يكن هذا المسلك جديدًا من أبي لهب فإنه منذ سمع بنبوءة محمد ودعوة التوحيد عارض بعنف ذلك الدين الحنيف، وخاصم الرسول الكريم، ولم تحجزه قرابته عن عمل شائن يسيء به إلى ابن أخيه، واستعان بغناه ووجاهته على مقاومة الإسلام في كل مكان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾

---

(١) رواه أحمد برقم (١٦٠٣٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(**الشعراء: ٢١٤**) صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي- لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء أبولهب وقريش، فقال النبي ﷺ: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا..

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبولهب: تبا لك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزل قوله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ...﴾.

وروى ابن الأثير: قال جعفر بن عبدالله بن أبي الحكم: لما أنزل الله على رسوله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، اشتد ذلك عليه، وضاق به ذرعًا فجلس في بيته كالمريض فأتته عماته يَعُدْنه؛ فقال ما اشتكيت شيئا، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي، فقلن له: فادعهم ولا تدع أبا لهب فيهم، فإنه غير مجيبك، فدعاهم فحضروا ومعهم نفر من بني عبدالمطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلًا، فبادره أبولهب وقال «هؤلاء هم عمومتك، وبنو عمك فتكلم ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت ما أنت عليه، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب فما رأيت أحدًا جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به» فسكت رسول الله ولم يتكلم في ذلك المجلس، ثم دعاهم ثانية وقال «الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن، وإنها للجنة أبدًا، أو النار أبدًا».

فقال أبوطالب: ما أحب إلينا من معونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبدالمطلب.

فقال أبولهب: هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم، فقال أبوطالب: والله لنمنعنه ما بقينا.

وبلغت الخسة بأبي لهب وامرأته مداها عندما أمرا ابنيهما بتطليق بنات الرسول ﷺ.

إن الحقد على الدين الجديد تأدى بهما إلى هذا التصرف النابي، فعاقبا أولاد محمد بهذه القطيعة الشاذة، فكان عاقبتهما أن حقت فيهما كلمة الله، فقد هلك أبولهب ومات مفجوعًا بانتصار المسلمين في بدر، ثم انتقل إلى آخرته ليصلى نارا ذات لهب.

وجمع العذاب بينه وبين قرينته هناك مصداق قوله تعالى ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (**الصافات: ٢٢، ٢٣**).



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٣٨)

النهوض الحقيقي لأمتنا

العدد (١٠٨) ذو الحجة (١٣٩٣هـ) ديسمبر (١٩٧٣م)

النهوض الحقيقي لأمتنا هو قدرتها على الاستغناء بعلمها وإنتاجها، والاستهداء بإيمانها وفضائلها، والاستعلاء على متاع الدنيا بحيث تأخذ منه بقدر، وتتصرف عنه متى تشاء!

ويؤسفني التصريح بأن الشعوب الإسلامية، حتى يومنا هذا، لم تبدأ نهضة صحيحة، وأن مظاهر التقدم التي نراها أو نسمع عنها هي امتداد لنشاط القوى الكبرى في العالم أكثر مما هي تطلع المتأخرين للتقدم.

فالغرب الصليبي يصطنع شعوبًا شتى لخدمة مآربه ويمدها بكثير من عونه المادي وقليل من تقدمه الحضاري.

والشرق الشيوعي ينافسه في ذلك الميدان، ويحاول الاستفادة من أخطائه، أو يحاول ميراثه إذا انتهى في مكان ما..

وجمهرة المتعلمين أوزاع، بعضهم يؤثر النمط الغربي في الفكر والسلوك، وآخرون قد أعجبتهم الماركسية فاصطبغوا ظاهرًا وباطنًا بنزعتها.

أما الذين يتشبثون بالعقائد والفضائل الإسلامية ويريدون بناء المجتمع الكبير على دعائم الوعي المحمدي فقلة غامضة في الناس، ولا أقول منكورة الوجهة منكورة الحظ.

هب أن ثورة قامت في بقعة من الأرض الإسلامية تجعل الحياة الصينية أو الروسية مثلها الأعلى، أتكون هذه الثورة نهضة إسلامية؟ أم تكون نجاحًا للفكر الشيوعي العالمي؟

من أجل ذلك قلت: إن الشعوب الإسلامية لم تبدأ بعد نهضة صحيحة، تكون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

امتدادا لتاريخها، وإبرازا لشخصيتها أو نماء لأصلها وتثبيتًا لملامحها..

ومن الغلط تصور أني أحرم الاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم! كيف وهؤلاء الآخرون ما تقدموا إلا بما نقلوه عن أسلافنا من فكر وخلق ووعي وتجربة؟

إن دولة الخلافة الراشدة اقتبست في بناء النظام الإسلامي من مواريث الروم والفرس دون غضاضة..

وعندما آكل أطعمة أجنبية أنا بحاجة إليها، فالجسم الذي نما هو جسمي، والقوى التي انسابت في أوصاله هي قواي!

المهم عندي أن أبقى أنا بمشخصاتي ومقوماتي!

المهم أن أبقى وتبقى في كياني جميع المبادئ التي أمثلها والتي ترتبط بي وأرتبط بها، لأنها رسالتي في الحياة، ووظيفتي في الأرض.

هذا هو مقياس النهضة، وآية صدقها أو زيفها، فهل في العالم الإسلامي نهضات جادة تجعل الإسلام الحنيف وجهتها والرسول الكريم أسوتها؟

إننا هنا شديدو الحرص على جعل البناء الجديد ينهض على هاتيك الدعائم..

وإذا كنا نستورد من الخارج ثمرات التقدم الصناعي، وننتفع من خبرات غيرنا من آفاق الحياة العامة، فليكن ذلك في إطار صلب من شرائعنا وشعائرنا.

فإنه لا قيمة لأحدث الآلات إذا تولى إدارتها قلب خرب، ولا قيمة لأفتك الأسلحة إذا حاول الضرب بها فؤاد مستوحش مقطوع عن الله مولع بالشهوات..

إن بناء النفوس والضمائر يسبق بناء المصانع والجيوش، وهذا البناء لا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يتم إلا وفق تعاليم الإسلام.. تنشئة تصوغ الأجيال الجديدة، وتقاليد تحكم العلاقات السائدة، ورعاية ظاهرة وباطنة للعبادات المفروضة، ومعالنة جازمة بما في الدين من أهداف، ومقاطعة حاسمة لما يعترضه من مسالك.

وكل بناء معنوي للأمة يتنكر للإسلام، أو يخافت بذكره، أو يغض من شأنه، فهو مرفوض جملة وتفصيلًا!

ولقد جربنا جعل مظاهر المدنيه فوق باطن فارغ مظلم فماذا صنعنا؟

صنعنا ناسًا: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ...﴾ (**المنافقون: ٤**).

وهذا اللون من الناس فاشل في سلمه، مخذول في حربه، ما تسانده إلى غاية أرض ولا سماء.

البناء الحقيقي للنفوس يستهدف أمرين جليلين..

أولهما إسلامي بحيث يحرك المسلم من يقظة الفجر إلى هدأة الليل بحماس العقيدة، وطهر الصلاة، وشرف الإخلاص، وحب الله ورسوله.

وكلتا الجبهتين الشرقية والغربية تكره ذلك الأمر، وتأبى أن يأخذ الإسلام طريقه في الحياة بهذا الوضوح.

والأمر الآخر حيوي بحت، أساسه التفوق العلمي والعملي في كل أفق امتدت إليه الحضارة الحديثة من استصلاح التربة إلى غزو الفضاء!

ولنكن صرحاء! إن هذا التفوق لا يولد من تلقاء نفسه، إن التبريز في هذا المجال يتطلب رغبة في المعرفة، وشوقًا إلى المجهول، وعزما على اقتحام كل عقبة، وهذه لا تلدها إلا عقيدة مكينة!

وإذا كانت الحاجة أم الاختراع كما يقولون فإن العقيدة المسيطرة أقوى من الحاجة في الاندفاع والتحمل واستشفاف الغيوب!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الجندي المؤمن يرمق الظلام في جنح الليل بطرف يكاد يخترق سدوله، ويبحث عن ألف حيلة لمقاومة العدو ودحره..

والعامل المؤمن يجفف العرق، وينفي عن نفسه التعب، لأنه ببواعث الحب لا القهر يريد خدمة أمته وإعلاء رسالته.

والمحزن في شؤون المسلمين أنهم من عشرات السنين لا يمكنون من الحياة وفق إيمانهم الأثير، وأنهم- أيضًا- يلفظون كل ما يعرض عليهم من إيمان بديل!

ونتج عن ذلك أن أعمالهم الخاصة ونهضاتهم العامة تولد ميتة، وأنهم إن تحركوا ففي مكانهم!

وقد تحركت اليابان منذ قرن في موكب نهضة صناعية عارمة، ونجت حركتها من هذا التدافع اللعين بين ما يفرض على الشعب من خارج، وما يهفو إليه من داخل؛ فماذا كانت النتيجة؟

أضحت أمة من أنجح أمم الدنيا، ولا تزال برغم هزيمتها في الحرب الأخيرة أمة مرهوبة العزم، إن لم يكن في صناعات الحرب، ففي صناعات السلام..

أما العالم الإسلامي خلال هذا القرن فقد رزق بمن يريدون محو دينهم أو تشويه صلته بهذا الدين، فكانوا شؤمًا على يومه وغده..

إن النهضة الحقيقية هي التي تفلح في استثارة قوى النفس، وفي جعل الأمة على اختلاف طوائفها كخلية النحل نشاطًا ونظامًا.

ولنزد الموضوع جلاء..

لقد نشأ عن الانفكاك بين العقيدة والعمل عجز رهيب في أداء الأعمال العادية حتى ليخيل إلي أن عوام المسلمين أصبحوا دون غيرهم من الخلق في نواحي الإنتاج المادي والأدبي.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وكثيرًا ما كنت أذكر قول أبي الطيب المتنبي:

إنا لفي زمن ترك القبيح به

من أكثر الناس إحسان وإجمال

فأحس مقدار هبوطنا عن المستوى الإنساني الرفيع في الإتقان والإجادة!

إن النجاة من السقوط قد تكون شيئًا مقبولًا، ولكن ليس كل نجاح يحسب تفوقا.. قد يبدأ إنسان من العرج ويستطيع السير، ولكنه لا يمنح جائزة بتاتًا في العدو لمجرد القدرة على المشي.

والمتنبي يحتقر أهل زمانه لأنهم فقدوا ملكة الإجادة ولا يحسنون فعل العظائم!

فكيف لو رأى المعاصرين لنا من موظفين وعمال في كل شأن دق أو جل.

إن هؤلاء- لانعدام بواعث الإيمان والتقوى- تعوج في أيديهم الأعمال المستقيمة فلا يصلون بها إلى المستوى المقبول بله مستوى النبوغ والعبقرية!

راقبت يومًا بعض الناس الذين تكثر دعاواهم ولا تُؤْمَن بلاياهم، ثم عدت من نظرتي إليه وأنا أضع يدي على سبب مبين من أسباب تأخرنا.

نظرت إليه فوجدت العمل يخرج من بين يديه ناقصًا غير تام، شائها غير جميل، ووجدته لا يأسى على ذلك، ولا تحركه أشواق إلى إدراك ما فاته، وبلوغ مرتبة أفضل.

فعلمت أنه إنسان تنقصه موهبة الإتقان، وأن أمامه أشواطًا واسعة من التدريب والعلاج حتى تكسب يده المهارة المطلوبة وتستحب نفسه الإجادة والتفوق..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأعدت النظرة مرة أخرى في سلوكه فرأيته يطلب على عمله الناقص ثمنًا كبيرًا ويرتقب من غيره التقدير المضاعف.

أو هو يفرض على الآخرين مطالبه مهما فدحت دون تقديم مقابل معقول!

فأحسست أن له طبعًا جشعًا كثير التطلع إلى طيبات الحياة، وليته يتوسل إلى مطامعه بجهد مبذول مقدور.

كلا، إنه من الناحية النظرية ضعيف الكفاية، ومن الناحية النفسية ضعيف الأمانة، فأي بلاء هذا؟

أمثال هذه العلل هبوط حقيقي بالمستوى الإنساني، ونزول مؤكد عن مرتبة الإحسان التي يفرضها الدين، ويبني تربيته على تحصيلها.

إن الحصاد الغالي للجهد البشري بعد طول الكدح في هذه الحياة أن يخرج الإنسان من هذه الدنيا بثمرة واحدة هي «العمل الحسن».

وذلك ما أكده القرآن الكريم عندما قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (**الملك: ٢**).

وقال ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (**الكهف: ٧**). فأي عمل حسن لامرئ منطلق الرغبات كالطفل المدلل يطلب فقط، وعلى الدنيا أن تلبي!

إن النجاح الكبير في هذه الحياة وعند الله أن تتمى عقولنا وقلوبنا تنمية توفي على الغاية، والله جل شأنه يقول ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ﴾ (**الأنعام: ٤٨**).

الإيمان والإصلاح قرينان لا ينفكان، وليس من الإصلاح المنشود المفروض أن يكون الإنسان غير مأمون على إجادة واجب، أو غير مأمون- إذا

أجـاده - على المغالاة فيه، وطلب مكانة لا يستحقها عليه!

ومرة أخرى نقول: إن إعادة الحياة إلى العقيدة الإسلامية لتحتل مكانها في الضمير ثم إلى الشريعة لترسم خط السير في المجتمع الكبير، هي وحدها طريق النهوض الصحيح.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

(٣٩)

التبشير والاستعمار

وآلام أخرى

العدد (١١٥) رجب (١٣٩٤هـ) يوليو (١٩٧٤م)

يكاد المراقبون والنقاد يجمعون على أن الأوروبيين والأمريكيين ليسوا مولعين بالتدين، ولا ميالين إلى التقوى، وأن صلتهم بالله لا تتجاوز الشكل إلى الموضوع، وأن احتفاءهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل أيام الآحاد ومختلف الأعياد إلى فرص للاستجمام وشباك للهو والمرح بريئًا أو غير بريء.

والأوروبيون والأمريكيون- إجمالًا- يجنون ثمرات تقدم علمي رائع رفَّه معايشهم، ونعم حضارتهم، وربما استطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم ويهذب غرائزهم إلا أن بيئات كبيرة في كلتا القارتين لم يرفع العلم الإنساني مستواها إلا في الكلمات والملابس!

أما ما وراء ذلك فهناك القتل، والخطف، والاغتصاب، والفوضى الجنسية، والكبرياء العنصرية، وعبادة الحياة الدنيا، والتجهم أو الإنكار لما وراءها..

ومع هذا السلوك الهابط فإن الأوروبيين والأمريكيين يهتمون بالتبشير ويرصدون لرجاله وأغراضه أموالًا طائلة، ويتابعون نشاطه ونتاجه بيقظة!

ومع أن الحكومات في كلتا القارتين لا تبالي أن يؤمن أبناؤها أو يلحدوا.. إلا أنها تولي الدين في إفريقية وآسيا قدرًا ملحوظًا من رعايتها، وتتوسل به إلى تذليل الصعاب، وحطم الخصوم.

ولننظر إلى فلسطين في ظل الانتداب البريطاني لنرى آثار هذا الاتجاه في تحقيق الأغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر المحروب..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان تسعة أعشار الفلسطينيين مسلمين عربًا فكيف يمكن تذويب عروبتهم وإسلامهم معًا؟ وكيف يمكن خلق الظروف التي تتمخض عن قيام «إسرائيل» كما وعدت بذلك بريطانيا؟

لن أتعرض هنا للأساليب الاقتصادية والعسكرية على شناعتها ووحشيتها، وإنما أتعرض للنواحي الدينية وحسب.

كان بفلسطين معهد لتخريج الدعاة المسلمين يسمى «الكلية الصلاحية» أمر الانتداب البريطاني بالإجهاز عليه عشية باشر الحكم في البلاد.

وقد نشرت إحدى الصحف تاريخًا موجزًا لهذه الكلية جاء به:

«كلية صلاح الدين الأيوبي».

كانت تقوم في الناحية الشمالية الشرقية على بعد عشرات الأمتار من الحرم الشريف في المكان المعروف بدير القديسة حنا، ويقال إن هذا المكان جعل مدرسة إسلامية قبل صلاح الدين الأيوبي.

ولكن اسمها قد التصق بصلاح الدين حينما جعل منها مدرسة للفقه الشافعي بطلب من فقهاء الشافعية، ومرَّ عليها زمن تقلبت فيه بين يد النصارى والمسلمين.

«حتى كانت سنة ١٩١٤م -١٣٣٣هـ، وقام على بلاد الشام القائد التركي جمال باشا، حيث أعادها مدرسة دينية إسلامية لإعداد مبشرين للعالم الإسلامي وبالأخص للهند والصين وسماها «كلية صلاح الدين الأيوبي» وعرفت بين الناس بالكلية الصلاحية كما درس بها علماء من مختلف البلاد في ذلك الوقت؛ من أمثال: محمد إسعاف النشاشيبي، وجودت الهاشمي، وعبدالقادر المغربي السوري الذي كان فيما بعد نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، ثم عبدالعزيز جاويش، ورستم حيدر، وجميل النيال، وعبدالرحمن سلام... الخ، وكان شيخ الإسلام في الأستانة يحول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مرتبات هذه المدرسة من تركيا بوساطة متصرف القدس، وبدخول الجيش الإنجليزي القدس في ١٩١٧/١٢/٨م أعيدت هذه المدرسة إلى يد الآباء البيض الفرنسيين وهي اليوم مدرسة أكليريكية دينية للروم الكاثوليك».

والواقع أن هذا التاريخ مدخول، فالمدرسة كانت تقوم بتعليم الفقه الإسلامي ثم حولها الترك إلى كلية للدعاة تخدم الإسلام في الداخل والخارج.. فلما ملك الإنجليز الأمر حولوها إلى كلية لتخريج المبشرين المسيحيين، وسلموها إلى جماعة الآباء البيض الفرنسية وهي جماعة لها دور هائل في محاولة تنصير المغرب العربي أيام الاحتلال الفرنسي.

والتعبير بأنها «أعيدت» للفرنسيين يتمشى مع الفكر التبشيري الذي يرى أن آسيا الوسطى ومصر والشمال الإفريقي كله كانت مستعمرات رومانية، ويجب أن تعود كما كانت وقد بذل الاحتلال البريطاني لمصر جهودًا شاقة لإبعاد الأمة عن دينها، وعن المناسبات التاريخية التي تربطها به.

نشرت جريدة الأخبار تحت عنوان «احتج الإنجليز على الاحتفال بعيد الهجرة في إذاعة القاهرة منذ ٤٠ عامًا» قالت: احتفل العالم الإسلامي أمس بعيد الهجرة، وهو بداية العام الجديد منذ أمر عمر بن الخطاب بجعل الهجرة أساس التقويم الإسلامي. وقد احتفلت به الإذاعة المصرية لأول مرة سنة ١٩٣٤ ميلادي بقرار من مدحت عاصم أول مدير للإذاعة المصرية بعد أن أصبحت حكومية، وكانت من قبل تشرف عليها مؤسسات أهلية، وأمر المدير المصري أن يبدأ الاحتفال بصلاة الفجر.

وعد ذلك حدثا غريبا، وواجه المدير المصري معارضة شديدة من الانجليز المشرفين على الإذاعة!

وكانت الحجة المعلنة أن الإداريين والفنيين سوف يسهرون إلى الثانية صباحًا، ورد عليهم السيد مدحت عاصم بأن هؤلاء يسهرون في رأس السنة الميلادية حتى مطلع الفجر، وبعده إلى الصباح، وإذن فلا بد- بالقياس- من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاحتفال بالسنة الهجرية وسكت المعترضون كارهين، فإن الاحتفال بالسنة الميلادية لذيذ أما الاحتفال بذكرى الهجرة فشيء ممجوج، أو لعله شيء رجعي!

المهم أن الإنجليز بعد أن ألغوا الكلية الصلاحية، واطمأنوا إلى أنه لن يكون للإسلام دعاة مرشدون في فلسطين رأوا أن يستجلبوا إلى الأرض المستباحة مللا أخرى تثير الفوضى الدينية فيها، وتبلبل الأفكار، وتكثر الظروف المهيئة لقيام إسرائيل.. وهم من قبل شجعوا البهائية، واحتضنوا طاغيتها الداهية عباس عبدالبهاء، ورفعوا منزلته ماديا وأدبيا، فجعلوا عكا كعبة البهائيين المبثوثين في بقاع شتى، وربطوهم بفلسطين روحيا، ووثقوا الصلات بين المحافل البهائية ودعاة الصهيونية، حتى تخدم إحداهما الأخرى ويتظاهران جميعا على الإسلام.

بيد أن ذلك لا يكفي فلا بد من استقدام القاديانية إلى فلسطين هي الأخرى كي تشارك في صنع الشتات الإسلامي وتمهد للوجود اليهودي.

وغلام أحمد منذ نشأ في الهند كان صوت سادته ومنفذ إرادتهم، وأذكر أني لما زرت أوغنده منذ عامين وجدت مسجدًا للقاديانية في أعظم ميادين العاصمة..

وشاء الله أن ينقرض هؤلاء السماسرة من أوغنده بعد أن انقطع الاستعمار الانجليزي منها.

لكنهم في فلسطين بقوا بعد أن تركت لليهود يبنون بها دولتهم التي رفع الإنجليز قواعدها.. والمجلة التي نقلنا عنها خبر الكلية الصلاحية البائسة تذكر النشاط القادياني داخل إسرائيل وكأنه ولد ونما بطريقة طبيعية، فهي تسوق القصة على هذا النحو:

«لقد كان الأستاذ المولوي جلال الدين شمس أول مبشر أوفد من قبل الخليفة الثاني للجماعة الأحمدية إلى بلدان الشرق الأوسط، وذلك في أواخر العشرينات من هذا القرن، وكان قد مهد لهذه الحملة حضرة المولوي

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

زين العابدين أستاذ تاريخ الأديان في كلية صلاح الدين الأيوبي في القدس، وقد بدأ عمله في دمشق الشام إلى أن اضطر إلى الانتقال لمدينة حيفا بفلسطين بسبب المعارضة الشديدة التي لقيها من علماء المسلمين هناك وبناء على طلب من الحكومة الفرنسية آنذاك.

وفي حيفا أسس جماعة وبشر بدعوة المهدي زمنا ما حتى تسنى له الاتصال بأهل قرية الكبابير الواقعة على جبل الكرمل والمجاورة لحيفا فقبل معظم سكانها الأحمدية وأقام بها مركزا تبشيريا سنة ١٩٢٩م وفي السنة التالية بنى المسجد الموجود حاليا ثم أضيفت إليه دار التبليغ، وأنشئت سنة ١٩٣٤م المطبعة الأحمدية وبدأ المركز يصدر مجلة «البشرى» وهي المجلة الأحمدية الوحيدة في بلاد الشرق الأوسط التي ما زالت تصدر بإسرائيل كما بوشر في الحال بفتح مدرسة ابتدائية لتعليم البنين والبنات وكذلك مدرسة ليلية لتعليم الكبار.

وقد تطورت المدرسة مع الزمن إلى أن أصبحت اليوم تضم ثمانية صفوف ابتدائية وروضة أطفال ولها بناية أنيقة وقاعة جميلة.

والمدرسة الأحمدية في الكبابير هي أيضًا المدرسة الإسلامية الوحيدة في البلاد التي تدار بصورة مستقلة عن جهاز التعليم الحكومي.

لقد كان المركز في الكبابير حتى قيام دولة إسرائيل يشرف على الأعمال التبشيرية الأحمدية في جميع بلدان الشرق الأوسط. وكانت الكبابير نقطة انتقال للمبشرين القاصدين من الشرق إلى الغرب أو العائدين من الغرب إلى الشرق.

لكن نشاطه انحصر بعد سنة ١٩٤٨م في إسرائيل وحدها..

وبعد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧م امتد نشاط الجماعة إلى الضفة الغربية وإلى قطاع غزة. وللأحمدية اليوم عدد غير قليل من الأتباع في هذه المناطق.

ولا بد من التنويه إلى أن الجماعة الأحمدية في إسرائيل تمارس نشاطها

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بحرية ولها مكانة محترمة لدى الأوساط الرسمية والشعبية في هذا البلد.

ويشرف على المركز اليوم الأستاذ بشير الدين عبيدالله تساعده هيئة إدارية ينتخبها أفراد الجماعة المحلية، وكذلك جمعية خدام الأحمدية للشباب ولجنة إماء الله للنساء يقومون كل يوم بواجباتهم نحو الجماعة تحت رعاية المبشر.

وفي الكبابير اليوم نحو ثمانمائة أحمدي يكونون الغالبية الساحقة من سكان القرية.. والمعروف أن كلتا النحلتين المبتدعتين، البهائية والقديانية تخدم الاستعمار العالمي وتشد أزره في ضرب الإسلام والعدوان على أمته، وهي لون آخر من التبشير يتفق في الغاية ويختلف في المنهج.

وليس كل مدد يصل إلى المبشرين من الشعوب الأوروبية والامريكية يتسم بالعدوان، ويتعمد مقدمه النيل منا والعدوان علينا.. ففي الدهماء عدد كبير من السذج والقاصرين يحسب أنه يرضي الله بما يبذل من مال..

وربما عذر حكومته وهي تباشر أحط وسائل الفتنة والسرقة للعقائد والمقدسات..

على أن الحكومات الاستعمارية عقدت صلحا دائما بين ضميرها وهواها، وأقنعت به نفسها ورعاياها، واستمرأت بمقتضاه تسخير الدين في تحقيق ما تسعى وراءه من أطماع..

والتبشير يتطلب أمرين متكاملين:

أولهما: العنوان الذي يستر خبيئته ويجعل له- في الظاهر- وظيفة أخرى ثقافية أو اجتماعية أو طبية.. إلخ، يمضي تحت شعارها إلى هدفه.

والثاني وهو في نظرنا شديد الخطورة: تكوين الظروف التي تشغل الشعوب بحوار مفتعل، أو قضايا وهمية، أو مسالك محيرة تتبدد فيها الطاقة، وتتشعب الآراء والأهواء.

إن هذه الظروف المصنوعة تشبه سحب الدخان التي تتحرك خلفها الجيوش الزاحفة، فلا يوضع أمامها عائق ولا يوقفها استعداد أو حذر.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وما أشك في أن التبشير العالمي، جند أقلاما كثيرة في الأمة العربية والإسلامية:

- تشن حربًا من الصمت مثلًا على كتب جيدة نافعة لتقدم أخرى ضارة تافهة..
- أو تطفئ شعلة من الحق في مكانها قبلما تتحول إلى سراج وهاج لو تركت للنمو الطبيعي.
- أو تخلق سرابًا من المناهج تحدو إليه ألوف الشباب ليلهثوا في طلبه ثم يعودوا بخفي حنين.
- أو تسوي بين اليقينيات والأوهام لتهدم مكانة الأولى وما ينبغي لها من قداسة أو تتدخل في الجبهة المناوئة لها كي تساعد على جعل قيادتها معتلة هزيلة.

المهم إحداث شتات وبعثرة في الوقت الذي يجدّ فيه رجال التبشير للقيام بدورهم كاملًا والميدان خال من الحراس، أو الحراس مشغولون فيه بغيرهم.

وقد وصل الذين يعملون في خدمة الأغراض التبشيرية إلى أعداد رهيبة، وننقل هنا ما ذكرته مجلة دعوة الحق التي تصدرها وزارة الأوقاف المغربية في عددها الأخير قالت: نشرت دائرة معارف الكنيسة (انسكلوبيديا(الأرقام التالية عن النشاط الكنسي:

(١) لدى الكنيسة الكاثوليكية ٢٥٠,٠٠٠ متفرغ في العالم (مبشرين) بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكنيسة الكاثوليكية ١,٦٠٠,٠٠٠ (مليون وستمائة ألف نسمة).

(٢) خلال ربع قرن من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٥٢ حول المبشرون ١٣,٠٠٠,٠٠٠ (ثلاثة عشر مليون) شخص إلى الكاثوليكية بمعدل نصف مليون سنويا.

(٣) لدى الكنيسة البروتستانتية ٤٣,٠٠٠ (ثلاثة وأربعون ألف) متفرغ (مبشرين) يديرون (١٦٠٠) ألفا وستمائة مركز ومستشفى في العالم لأغراض التبشير.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد زاد عدد البروتستانت في ربع القرن من عام ١٩٢٥ إلى ١٩٥٢ حوالي ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ (ثلاثين مليونًا) والجدير بالغرابة أن هذا النشاط الباهر يتم في صمت، وأن صحفنا البارعة الذكية متواصية على كتمانه، زاهدة في الإشارة إليه.

وتلتحق بحرب التبشير حرية الإسكان والتهجير، وقد تمت- بتآمر عالمي- جريمة محو الوجود العربي في فلسطين، وتسليم الأرض إلى المستوطنين اليهود المجلوبين من أطراف الدنيا..

وقد ذكرنا في بعض كتبنا كيف أخذت إنجلترا جزيرة قبرص من تركيا، وكانت إسلامية خالصة طول ثلاثة عشر قرنا فاستقدمت إليها المستوطنين اليونانيين حتى كادت تذهب بصيغتها الأولى.. وتقوم الآن حركة لضمها إلى اليونان، التي لم تعرف هذه الجزيرة من بدء التاريخ!

وفي ظلام الغفلة والصمت تحاول عناصر معينة شراء أراض ذات قيمة تاريخية أو عسكرية ثم تحشد أتباعها فيها ليظهروا بغتة بمطالب شاذة يحميها القانون! ولا أدري إلى متى يبقى العرب والمسلمون ذاهلين عن مصيرهم مع تلك المؤامرات المدروسة التي تفاجئهم بين حين وحين..

ولا أحس غضاضة من التنبيه إلى قضية تحديد النسل.. إن أعداء الإسلام يعرفون النتائج المادية والمعنوية التي تترتب على الكثرة العددية للأمة الإسلامية، ومن ثم يجتهدون في إقناع المسلمين- وحدهم- بجدوى قلة النسل، وأقول مؤكدًا- وحدهم- لأن رؤساء الأديان الأخرى أجمعوا أمرهم على تكثير نسلهم..

ومن المفيد أن أذكر أن المسلمين في الأقطار الشيوعية بعد ذبول معروف الأسباب أخذوا يكثرون.

لعل هذه الكثرة مصداق المثل السائر «بقية السيف أنمى»!

وقد قرأت دراسة علمية دقيقة نشرتها مجلة «دعوة الحق» في هذا الموضوع ختمته بهذه الحقائق «بعد انحسار دام نصف قرن على الأقل أخذ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

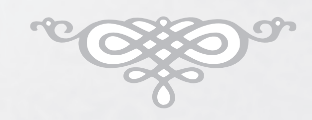
المسلمون يتزايدون تزايدًا طبيعيا كبيرًا في كل المناطق التي درسناها، وبهذا زادت نسبتهم في السنين الأخيرة في البلاد الشيوعية الأربع (الاتحاد السوفيتي، يوغسلافيا، ألبانيا، بلغاريا)، التي سبقت دراستها..

- فمن بين كل ألف سوفيتي كان ١١٣ مسلمًا سنة ١٩٣٩ فصار ١٣٦ مسلمًا سنة ١٩٧١.
- ومن بين كل ألف يوغسلافي كان ١١٢ مسلمًا سنة ١٩٣١ فصار ١٥١ مسلمًا سنة ١٩٧١.
- ومن بين كل ألف ألباني كان ٦٨٦ مسلمًا سنة ١٩٣٠ فصار ٧٠٧ مسلمين سنة ١٩٦٩.
- ومن بين كل ألف بلغاري كان ١٣٣ مسلمًا سنة ١٩٤٩ فصار ١٧٠ مسلمًا سنة ١٩٧١.

وهذا هو نفس الوضع في معظم بلاد العالم حيث يتزايد المسلمون أكثر من غيرهم وهذا يكشف هدف الدعايات الخبيثة لتحديد النسل بين المسلمين.

فواجب كل مسلم من جهة، الوقوف ضد هذه الدعايات ومن جهة أخرى العمل على تحسين وضع المسلمين المادي والمعنوي.

ونحن نضع بين أيدي قرائنا هذه المعلومات ليدركوا الكثير مما يُغَيّب عمدا عن العيون.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٤٠)

اللّٰه

(١)

العدد (١١٠) صفر (١٣٩٤هـ) فبراير (١٩٧٤م)

هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التي نؤمن بها، ونعمل لها ونعرف أن منها حياتنا وإليها مصيرنا.

والله تبارك وتعالى أهل الحمد والمجد وأهل التقوى والمغفرة، لا نحصي ثناء عليه، ولا نبلغ حقه توقيرا وإجلالا.

ولو أن البشر منذ كتب لهم تاريخ وإلى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة؛ نسوا الله؛ ما خدش ذلك شيئا من جلاله، ولا نقص ذرة من سلطانه، ولا كسف شعاعا من ضيائه، فهو سبحانه أغنى بحوله وطوله وأعظم بذاته وصفاته وأوسع في ملكوته وجبروته من أن ينال منه وهم واهم أو جهل جاهل.

ولئن كنا في عصر عكف على هواه، وذهل عن أخراه، وتنكر لربه، إن ضير ذلك يقع على أم رأسه ولن يضر الله شيئًا.

ووجوده تعالى من البداهات التي يدركها الإنسان بفطرته، ويهتدي إليها بطبيعته، وليس من مسائل العلوم المعقدة، ولا من حقائق التفكير العويصة، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، واقتراب المسافة جدًّا قد يعطل الرؤية ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (**ابراهيم: ١٠**).

وقد جاءت الرسل لتصحيح فكرة الناس عن الألوهية، فإنهم وإن عرفوا الله بطبيعتهم إلا أنهم أخطأوا في الإشراك به والفهم عنه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة فهي تمسخها وتشرد بها وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيغ الفج، وذلك سر انصراف فريق من الناس عن الإيمان وقبولهم الكفر أو الإلحاد مع منافاة ذلك لمنطق العقل وأصل الخلقة.

وقد اقترنت حضارة الغرب التي تسود العالم اليوم بنزوع حاد إلى المماراة في وجود الله والنظر إلى الأديان جملة نظرة تنقص، أو قبولها كمسكنات اجتماعية.

ولا شك أن المحنة التي يعانيها العالم اليوم أزمة روحية منشؤها كفره بالمثل العليا التي جاء بها الدين، فلا نجاة له مما يرتكس فيه إلا بالعودة إلى هذه المثل يهتدي إليها بفطرته كما يهتدي الجنين سبيله في ولادته، ومتى هدي العالم إلى الفطرة هدي إلى الإسلام فإن الإسلام هو دين الفطرة.

إن الإنسان لم يخلق نفسه، ولم يخلق أولاده، ولم يخلق الأرض التي يعيش عليها، ولا السماء التي يستظل بها، والبشر الذين ادعوا الألوهية لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك، فمن المقطوع به أن وظيفة الخلق والإبداع من العدم لم ينتحلها لنفسه إنسان ولا حيوان ولا جماد، ومن المقطوع به كذلك أن شيئًا من ذلك لا يحدث من تلقاء نفسه؛ فلم يبق إلا الله.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ **(الطور: ٣٥، ٣٦)**.

ولو دخل المرء دارا فوجد فيها غرفة مهيأة للطعام وأخرى للمنام وأخرى للضيافة وأخرى للنظافة لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده، وأن هذا الإعداد النافع لا بد قد نشأ عن حكمة وتقدير وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والناظر في الكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب، وما وصل إليه علم الإنسان من أسرار الكون حاسم في إبعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ **(الفرقان: ٦١، ٦٢)**.

وهذه الكواكب السيارة التي تخترق أعماء الجو التي تلتزم مدارا واحدا لا تنحرف عنه يمينًا ولا يسارًا، وتلتزم سرعة واحدة لا تبطئ فيها ولا تعجل، ثم نرتقبها في موعدها المحسوب فلا تخالف عنها أبدا..

هذه الكرات الغليظة الحجم، الحي منها والميت، المضيء منها والمعتم معلقة لا تسقط، سائرة لا تقف، كل في دائرته لا يعدوها، وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أهل بصر وعقل.. أما هذه الكواكب التي تزحم الفضاء فإنها لا تزيغ ولا تصطدم.

من الذي هيمن على نظامها وأشرف على مدارها؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة.. إنها لا ترتكز في علوها إلا على دعائم القدرة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ **(فاطر: ٤١)**.

أما كلمة الجاذبية فدلالتها العلمية كدلالة حرف «س» على المجهول.. إنها رمز لقوانين تصرخ باسم الله، ولكن الصم لا يسمعون.

إن وجود كل منا له بداية معروفة، فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يذكر ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ (**الإنسان: ١**).

وعناصر الكون الذي نعيش فيه كذلك لها بداية معروفة، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها أعمارًا محدودة، مهما طالت فقد كانت قبلها صفرا.. وكان هناك ظن بأن المادة لا تفنى، اعتمد عليه فريق من الناس في القول بقدم العالم وما يتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل.. على أن تفجير الذرة هدم هذا الظن، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن على أنه حقيقة ثابتة فإن المفتاح الذي يفتح على العالم أبواب الفناء ليس من الضروري أن يضعه الله في أيدي العلماء، وعدم اهتداء الناس إلى ما يدمر مادة الكون لا يعني أن مادة الكون غير قابلة للدمار والفناء.

إننا جازمون بأن وجودنا محدث لأن تفكيرنا وإحساسنا يهدينا لذلك، وغير معقول أن يتطور العدم إلى وجود تطورًا ذاتيا.

إنه إذا وقعت حادثة لم يدر فاعلها قيل إن الفاعل مجهول، ولم يقل أحد إنه ليس لها فاعل، فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وبين ربه؟ إننا لم نكن شيئًا فكنا.. فمن كوننا؟ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (**الأنعام: ٩١**).

نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا جزافًا، فوضع الأرض أمام الشمس مثلا، ثم على مسافة معينة لو نقصت بحيث ازداد قربها من الشمس لاحترقت أنواع الأحياء من نبات وحيوان، ولو بعدت المسافة لعم الجليد والصقيع وجه الأرض وهلك كذلك الزرع والضرع.. أفتظن إقامتها في مكانها ذاك جاء خبط عشواء؟

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وحركة المد والجزر التي ترتبط بالقمر، أفما كان من الممكن أن يقترب القمر من أمه الأرض أكثر فيسحب أمواج المحيطات سحبًا يغطي به وجه اليابسة كلها ثم ينحسر عنها وقد تلاشى كل شيء؟

من الذي أقام القمر على هذا المدى المحدود ليكون مصدر ضوء لا مصدر هلاك؟

إننا على سطح الأرض نستنشق الأوكسجين لنحيا به ونطرد الكربون الناشئ من احتراق الطعام في جسومنا، وكان ينبغي أن يستنفد الأحياء وما أكثرهم هذا العنصر الثمين في الهواء فهم لا ينقطعون عن التنفس أبدا.. لكن الذي يقع أن النبات الأخضر يأخذ الكربون ويعطي بدله أوكسجين، وبهذه المعاوضة الغريبة يبقى التوازن في طبيعة الغلاف الهوائي الذي يحيا في جوه اللطيف الحيوان والنبات جميعا .. أفتحسب هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه؟

إنني أحيانا أسرح الطرف في زهرة مخططة بعشرات الألوان ألتقطها من بين مئات الأزهار الطالعة في إحدى الحدائق، ثم أسأل نفسي: بأي ريشة نسقت هذه الألوان؟ إنها ليست ألوان الطيف وحدها.. إنها مزيج رائق ساحر من الألوان التي تبدو هنا مخففة وهنا مظللة وهنا مخططة وهنا منقطة.

وأنظر إلى أسفل .. إلى التراب الأعفر إنه بيقين ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها.. هل الصدفة هي التي أشرفت على ذلك؟ إن المرء يكون غبيا جدا عندما يتصور الأمور على هذا النحو.

إن إنشاء الحياة في أصغر خلية يتطلب نظامًا بالغ الإحكام، ومن الحمق تصور الفوضى قادرة على خلق «جزيء» في جسم دودة حقيرة فضلًا عن خلق جهازها الهضمي والعصبي، فما بالك بخلق هذا الإنسان الرائع البنيان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الهائل الكيان، ثم ما بالك بخلق ذلك العالم الرحب؟

إن العلم بريء من مزاعم الإلحاد ومضاد لما يرسل من أحكام بلهاء.. الحق أن الإلحاد الذي يشيع بين طوائف المتحذلقين والمتنطعين لا يستند البتة إلى ذرة من المعرفة أو التفكير السليم.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٤١)

مَنْ؟ إلا الله ...!

(٢)

العدد (١٣٥) ربيع الأول (١٣٩٦هـ) مارس (١٩٧٦م)

ذكر الطيار الروسي «تيتوف» مشاهده وهو في الفضاء يدور بسفينته العجيبة حول الأرض، لقد رأى مظاهر كونية شتى كلها ساحر رائع، ثم قال:

«ولكن أروع من هذا كله منظر الأرض وهي معلقة في الفضاء، إنه منظر لا يستطيع الإنسان أن ينساه ولا أن يضيعه من خياله، كرة تشبه الصور المرسومة لها في الخرائط، معلقة في الفضاء ليس هناك من يحملها، كل ما حولها فراغ.. فراغ.. فراغ..

وقد أصبت بالذهول مدة لحظات وساءلت نفسي في دهشة: ترى ما الذي يبقيها معلقة هكذا هناك..؟»

والجواب: من إلا الله؟ إن هذا السؤال الذي توحي به الفطرة البريئة لا نرى أيسر ولا أصرح ولا أخصر من إجابة القرآن الكريم عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ (فاطر: ٤١)، إنه هو الذي أبقاها معلقة هكذا في مكانها، كما أبقى القمر، والشمس اللذين نراهما ليلاً ونهاراً، لا ركيزة لأحد هذه الكواكب إلا أعمدة القدرة العليا قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ (لقمان: ١٠). إن سفينة الفضاء التي قبع في داخلها تيتوف، لم تنطلق من تلقاء نفسها، ولم تتجمع آلاتها وأجهزتها خبط عشواء، ولم تقم برحلتها السماوية دون نظام محكم رسمه لها أذكى العلماء، فهل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يا ترى انطلقت الأرض في فضائها من تلقاء نفسها، ودون مشرف على حركاتها، ودون تقدير دقيق لصلتها بغيرها من شتى الكواكب ودون رعاية لحاجات الألوف المؤلفة من الأحياء المحتشدة فوق سطحها.. إن هذا ما ينفيه العلم نفسه، وما تشهد بغيره سفينة الفضاء التي ركبها الرائد الروسي المتسائل المدهوش.. إننا نسأل مع هذا الطيار وغيره: من الذي يستبقي الأرض، وجميع الكواكب القريبة والبعيدة في مداراتها الرحبة، تسبح دون إعياء، ودون اضطراب في فضاء الكون العظيم؟ ومن ينسق لها حركاتها فلا تصطدم ولا تنحرف؟

إننا لا نسأل نحن، بل القرآن نفسه يسأل ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (**المؤمنون**: ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩).

إن الإيمان ليس حالة تنشأ من ركود النشاط الفكري، وتأثر العقل بالأوهام والخرافات، وإيمان من هذا القبيل لا وزن له..

ولعلماء المسلمين كلام في قيمة إيمان المقلد، لقد رفضه فريق منهم، ورأى أنه لا يفيد صاحبه! لماذا؟ لأن الله يقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (**النجم**: ٣٩) وإيمان المقلد ليس من سعيه، وإنما هو من سعي غيره له.

أجل إنه من سعي الأذكياء الذين فكروا وواصلوا، أما هو فلم تعتمل في نفسه فكرة، ولم تتحرك في كيانه همة، بل تتبع الآخرين دون وعي، وهذا لا يعد جهدًا محترما حقيقا بالمثوبة. ومن ثم فنحن نحب أن يسأل «تيتوف»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأن يسأل غيره من الناس عن مظاهر الكون كلها، وأن يبحثوا بحماسة عن الخالق الكبير وأن يتحروا الحقيقة في تقرير الإجابة وألا يكتفوا بالتساؤل المبتور، أو ينطقوا بالسؤال ثم تقلبهم تيارات مجنونة دون انتظار الجواب..

إنا سمعنا من فم الوحي- قبل أن نسمع من الطيار الروسي المبهور- هذا السؤال عن الأرض ومن فيها قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وسمعنا الجواب الحتم عقب هذا السؤال الواجب ﴿قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ **(الأنعام: ١٢)**.

إن الإسلام دين فجر الطاقة العقلية في البشر وجعل اليقين في الله نتيجة لا بد منها لتجوال الفكر الإنساني المستيقظ النابه في آفاق السموات والأرض، ولذلك لا يوجل الإسلام من البحوث العلمية ولا الكشوف الكونية، بل على العكس يدفع إليها دفعا ويحض عليها حضا. وكل خطوة يخطوها العلم الكوني تؤكد أن الله من وراء كل حركة وسكنة، وأن المادة يستحيل أن تتخلق من غير شيء، وأن هذا الاطراد والاتساق في القوانين التي تربط بين أجزاء المادة يستحيل أن يتولد من الهباء ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ **(النمل: ٩٣)**.

والعقل الإنساني كفر بما ينبغي الكفر به على الإجمال!

تقول: كيف هذا والجواب أن الناس مع إطباقهم على ضرورة الألوهية ونفرتهم من التعطيل، وإنكار رب العالمين، مع هذا فقد أبوا إلا تصور الألوهية على أنحاء منكرة وارتسمت لها في أذهانهم صور أغلبها باطل، والعقل الذي يرفض عبادة حيوان أو جماد معذور في كفره بهذه الآلهة، والعقل الذي يأبى التسليم بآلهة شركاء، وأب وأبناء، معذور في إبائه هذا، ولأمر ما كانت كلمة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ مكونة من شقين، أولهما نفي والآخر إثبات.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا إله.. هذا الشق الأول من الكلمة يعني نفي ما صنعه الخيال البشري من آلهة أرضية وهي آلهة شاع الإيمان بها- ولا يزال- في أقطار كثيرة، وبين جماهير غفيرة.

ونحن المسلمين نكفر بهذه الآلهة المختلفة، ونقول ما قاله القرآن الكريم ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ (**يوسف: ٤٠**).

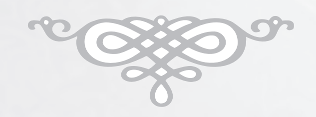
والماديون اكتفوا بهذا الشق، ولو عقلوا لأدركوا أنه بعد الكفر بالآلهة التي صنعها الناس لا بد من الإيمان بالله الذي صنع كل شيء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

لا بد بعد كلمة لا إله التي تنفي كل ألوهية باطلة أن يجيء بعدها الإثبات العظيم الحق وهو.. إلا الله.

الله الذي أحس الطيار بعض آثاره عندما رأى الأرض معلقة في الفضاء يكتنفها الفراغ من كل ناحية، فهتف دهشا: من يحملها؟ ونحن نجيب: من إلا الله؟

ثم نقول من أعماق قلوبنا:

لا إله إلا الله محمد رسول الله.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٤٢)

الحقائق وحدها من أجل الإنسان

العدد (١٣٢) ذو الحجة (١٣٩٥هـ) ديسمبر (١٩٧٥م)

يجب إحكام الرقابة على الطرائق التي نؤثر بها فكرة على فكرة، واتجاهًا على اتجاه، فإن الغش في المقاييس العظيمة أكبر شيوعًا من الغش في موازين التجار الخونة!

والغريب أن الإنسان قد يضيق إذا بخس حقه في سلعة دفع ثمنها كاملًا، ويشعر بسوأة الختل وسوء المعاملة، بيد أن هذا الإنسان نفسه لا يشعر بكثير حرج عندما يصدر حكمًا خاطئًا على أمر من الأمور، أو عندما يقتنع بصدق أسطورة مبتوتة الصلة بالواقع.. وقد حرك القرآن الكريم جمهور المشركين كي يستبينوا طبيعة ما لديهم من عقائد ومذاهب وأهاب بهم أن يعيدوا النظر في تقويمها! وأن يكشفوا الغش الذي زين لهم قبولها! وساءلهم أين الدليل على ما ذهبوا إليه؟

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ **(الأنبياء: ٢٤)**.

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ **(النمل: ٦٤)**.

والمطالبة بالبرهان في كلتا الآيتين ليست أكثر من عرض لإعادة النظر في المواريث الفكرية السائدة حتى ينبذ منها ما لا دليل عليه، وحتى يتخلص الإنسان من قيود الوهم التي تشل قدرته وتضلل غايته.

ولسنا هنا في مقام التنديد بقوم ألغوا عقولهم، وتبعوا ما انتقل إليهم عن آبائهم، فإذا بدا لهم خطلهم أصروا عليه، لبلادة غلفت عقولهم بالتعصب،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وجعلتهم يردون هاديهم إلى الحق بهذا الجمود ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ **(الزخرف: ٢٤)**. فإن هذا الصنف من الدهماء مهدر الكرامة، بيّن الرذيلة.

إنما حديثنا هنا عن كثير من أولي العقل الذكي، والفكر النير، من يحترمون المنطق وينحنون للدليل، ولكنهم لأمر ما سمحوا لأفكار شتى أن تتسرب إلى نفوسهم، وأن تؤثر في سلوكهم دون وعي كامل ونقد حصيف، والزلل الفكري لهؤلاء الكبار بعيد المدى.

وأشيع ما يكون هذا الزلل بين المبرزين في فن ما عندما يتكلمون في فن آخر.

إن الرجل قد يتبوأ القمة في علم الطب، فإذا تحدث في التشريع أو اللغة وقع فيما لا تقع فيه الناشئة، وبعض المخترعين تحدث في الدين بكلمات تثير الضحك، وأبدى آراءً لا وزن لها.

وإذا تركنا ميادين التخصص العلمي المختلفة وجدنا أنفسنا أمام عوائق أخرى دون الحقيقة المجردة.

إن العلماء في ميدان واحد قد يبدأون البحث من أساس هو موضع ثقتهم التامة، مع أن هذا الأساس نفسه مدخول خادع.

وما أكثر الوراثات والإشاعات والأفهام التي لا تثبت على التمحيص وهي عند أصحابها عقائد مكينة، ومن ثم فنحن أحوج ما نكون إلى المنطق العلمي الصارم في تقويم كل شيء، وترتيبه حسب منزلته من اليقين. يقول الكسيس كاريل: في جميع الأزمان كانت الإنسانية تتأمل نفسها من خلال منظار ملون بالمبادئ والمعتقدات والأوهام، فيجب أن تهمل هذه الأفكار الزائفة غير الصحيحة. ومنذ أمد بعيد أشار كلود برنار في كتاباته الداعية إلى التحرر الفكري إلى ضرورة التخلص من النظم الفلسفية والعلمية السائدة كما يفعل الإنسان حينما

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يحطم سلاسل العبودية العقلية، ولكن بلوغ مثل هذه الحرية لم يتحقق بعد لأن البيولوجيين والمعلمين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع كانوا إذا ما واجهتهم مشكلات شديدة التعقيد غالبًا ما يستجيبون للإغراء الذي استحوذ عليهم لكي يبنوا نظريات ثم يقلبوها بعد ذلك إلى معتقدات، ومن ثم تبلورت علومهم على شكل تراكيب شأنهم في ذلك شأن المتعصبين للديانات، إننا نلاقي كثيرًا من دواعي التعب بسبب هذه الأخطاء في جميع نواحي المعرفة.

ونحن نود لو عولجت الآراء والمقترحات والمذاهب بأقصى ما لدى البشر من ذكاء وتجرد وحرية، فإن الأوهام بين الناس أكثر من الحقائق، ولو كانت الظنون العلمية والاجتماعية والدينية تتساقط من أذهان أصحابها كما يتساقط ورق الشجر في فصل الخريف، لعريت عقول كثيرة مما يتماسك بها، وما يطلبه مؤلف «الإنسان ذلك المجهول» هو ما سلكه كبار العلماء عندنا.

إن نشدان اليقين هو غاية المفكرين المسلمين في مزدحم الآراء التي تلقاهم ولا شك أن القرآن الكريم من وراء هذا السعي الحميد.

وتأمل في هذه الآيات التي تجمع الرذائل الفكرية والنفسية لأي رأي وتحذر من مقارفتها ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ **(الذاريات: ١٠، ١١، ١٢)**.

التخرص، والانغماس في الغفلة، والسهو عن الواقع.. هذه آفات لا تنتج حقيقة أبدًا، ومثلها غفلة الحواس وذهولها ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ **(ق: ٣٧)** فكم من حاضر الجسم غائب اللب أترى ذلك يعي ما أمامه؟

﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ **(المؤمنون: ٥٤، ٥٥، ٥٦)**.

المرء المغمور بصور مادية ومعنوية معينة قلما يخرج من محبسه ليدرك

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مشاهد أخرى للحياة أو جوانب من الحق لا يحسها.. إلا أن تدركه أقدار حسنة فتتيح له أن يعرف ما كان يجهل.

والحضارة الإسلامية في أعصار ازدهارها، وقربها من منابعها كانت تلمع فيها هذه الصبغة الباهرة، صبغة التجرد للحق، والبحث عن اليقين.

ولنتناول طرفا من حياة الغزالي الكبير، كنموذج إسلامي في مجتمع شبيه بعصرنا هذا، كانت الأفكار فيه والمذاهب تتصارع في كل قرية ومدينة، إذ إن الثقافات الأجنبية العالمية تمت ترجمتها تقربًا إلى العربية في الوقت الذي بلغت فيه علوم الدين واللغة مرتبة الاستقرار، وشاع الجدل العلمي في كل ناحية وانتشرت مجالسه ومناظراته.

فكان طالب الحق يجد نفسه أمام ألوان شتى من التفكير، وبين دعوات تجتذبه من هنا ومن هناك. وإنك لتلمح مدى الحرية العقلية التي تمتع الغزالي بها وهو يصف نفسه في كتابه «المنقذ من الضلال» إذ يقول: «ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورقة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار كل طائفة لأميز بين محقق ومبطل ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنيًّا إلا وأحب أن أطلع على بطانته، ولا ظاهريًّا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته، ولا فلسفيًّا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلمًا إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفيًّا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقًا معطلًا إلا وأتحسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته.

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا؛ إذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله ﷺ حيث قال: «كل مولود يولد على الفطر فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (صحيح رواه الطبراني في الكبير) فتحرك باطني إلى حقيقة الفطرة الأصيلة وحقيقة المعارضة بتقليد الوالدين والأستاذين، والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها عن الباطل.

فقلت في نفسي: أولًا إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافًا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم».

والمنهج العلمي البحت الصارم في ضبط المقدمات ووزن النتائج بموازين الذهب، لا يلقى أشرف من هذه السيرة ولو وُضِعَتْ هذه السطور المضيئة أمام المؤلف الفرنسي الكبير لامتلأ قلبه إجلالًا لصاحبها، ونحن- حين نخط هذه السطور- نشفق من متاجرين بالحرية العقلية، لا يؤيدونها إلا بمقدار ما تعطي الشبهات حق الحياة، والخطأ حق الانطلاق، والفوضى حق التدمير.

فإذا أتاحت لهم الحرية ما يبتغون سدوا على خصومهم أفواه الطرق ودفعوا بالمجتمع كله صوب ما يعتنقون.

وهذه ثمار مرة لا يرى عاقل أن يمهد لها، والأمر يحتاج إلى تفصيل ومحاذرة.

ففي ميدان العلم، وفي مجامعه الكبرى، وصفوفه العليا يمكن أن ندرس النقائض، وتسمع شتى الآراء، وتناقش جهرة دون حرج ومع تأمين مطلق لذويها.

أما أن يتمكن بعض المنحرفين من آذان العامة ويصبوا فيها ألوان الإغراء،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومنازع الشر، فهذا هدم لا بناء، وخطره على المجتمع شديد، إذ هو سيزلزل القيم التي يتحرك بها، ويوهي الأواصر التي تشد بعضه إلى بعض.

ولقد رأيت بعد إنعام النظر واستقراء الأحداث أن الباطل لا يسير في الأرض بقواه الذاتية، وإنما تسيره عوامل الرغبة والرهبة، وتسنده الرشا والسيوف، وعندما تتخلى عنه يتهاوى من تلقاء نفسه.

أما الحق فإن تجاوبه مع فطرة الله في النفوس يجعله مقبولًا مستحبًا ويقدره على تخطي العقبات واجتياز السدود، أي أن الحق لا يخشى الحرية أبدًا.

ومن ثم فنحن مع توفير الحرية التامة في أرجاء المجتمع، نعتقد أن هذه الحرية بما فيها من حرارة ستنضج السنابل النافعة وتقتل الحشرات الضارة.. سيأخذ الحق منها جواز مروره إلى الأعقاب على اختلاف الليل والنهار، وسينكمش الباطل في جوها، فإما صعق لفوره، وإما تحرك قليلًا ريثما يلقى حتفه، وكم من عوج في الدنيا ما يمسك بقاءه إلا استخفاء هذه الحرية العزيزة ولو هبت رياحها يومًا لخلعت جذوره.

وبديهي أن الحرية التي نعشق هي تلك التي تحد من جهاتها الأربع بما لا يضر الآخرين.. إنها الجو الذي يعيش على تمحيص الحقيقة ويساعد على قبولها دون قسر أو ختل.

والعلم بالإنسان ورسالته، وضمان حاضره ومستقبله، والتسامي به مبنى ومعنى جهد رحيب الدائرة، بل إن العلم بالإنسان لا يصح إلا مع خبرة محترمة بعلوم الكون والحياة وإحاطة حسنة بجملة الحقائق المادية والتاريخية والاجتماعية.

ولا غرو فالإنسان أثمن درة في هذا الوجود، والقصور لا يجدي في فهم قضاياه، ولذلك يقول الكسيس كاريل: «إن علم الإنسان يستخدم جميع العلوم الأخرى، وهذا سبب من أسباب بطئه وصعوبته» ويقول: «من الواضح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طبعًا أنه لا يوجد عالم يستطيع أن يتحكم ويتفوق في جميع الفنون التي لا غنى عنها لدراسة مشكلة واحدة من مشكلات الإنسان».

وليس هذا مثبطًا للهمم أو معجزًا للباحثين، ولنبدأ السير من الآن، سيكون علم الإنسان مهمة المستقبل فيجب أن تقنع الآن بالبداية سواء من الناحية التحليلية أو من الناحية التركيبية المتعلقة بالصفات الإنسانية.. وهنا نشرف على أنفس ما وصل إليه العالم الغربي الألمعي!

ما الإنسان الذي نحيطه بتلك الهالة النيرة؟

لقد كرم الله الإنسان من قديم، وفضله على صنوف البر والبحر.

وفي عصرنا هذا نجد الإنسان بدل أن يصعد السلم بقدمين يحمله المصعد إلى أعلى، وبدل أن يقطع المسافات الشاسعة في سفره تحمله الطائرات إلى أعلى ما يبغي.

إن عناصر وفيرة في الأرض والسماء مسخرة لإراحة البشر وترفيههم، وكلما ارتفعت الحضارة زادت أعداد العناصر المسخرة للإنسان، وزادت مقدرة الإنسان على تطويعها لرغباته.

فهل كرامة الإنسان وعظمته تعودان إلى هذه المهارة؟ كلا، إن الإنسان الذي يصعد السلم على قدميه وهو يلهث أشرف من ممتطي المصعد، إذا كان الأول يحمل بين حناياه قلبا زكيًا، ونفسًا تقية، وكان الآخر لا يعرف إلا ملء معدته وإطفاء شهوته.

ليس شرف الإنسان بمدى سطوته في الأرض، بل بمدى تنمية مواهبه العليا وملكاته النبيلة.

وفي هذه الأيام نستقبل أنباء غزاة الفضاء وهم يحاولون -ببأس شديد- أن يتعرفوا الكواكب الأخرى ويضعوا أقدامهم على سطحها.

إن هذا تقدم علمي رائع بيد أن قيمته الإنسانية هابطة ما بقي البشر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على ظهر الأرض يأكل أبيضهم أسودهم، ويستذل قويهم ضعيفهم، ويصبحون ويمسون وهم لا يحسنون إلا خدمة الإهاب الطيني الذي احتوى خصائصهم ووظائفهم المادية والمعنوية «فإن كل إنسان منصرف الآن- هكذا يقول كاريل- إلى الاهتمام بالأشياء التي تزيد من ثروته وراحته في حين لا يوجد من يدرك أن الصفة البنائية والوظيفية والعقلية لكل فرد يجب أن تتناولها يد التحسين، فإن صحة العقل والحاسة الفعالة والنظام الأدبي والتطور الروحي تتساوى في أهميتها مع صحة الأبدان ومنع الأمراض المعدية، ويستطرد كاريل فيقول:

إننا لن نصيب أية فائدة من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكية وقد يكون من الأجدى ألا نضفي مثل هذا القدر الكبير من الأهمية على اكتشافات الطبيعة والفلك والكيمياء، ومن ثم فإن من الأفضل كثيرًا أن نوجه اهتمامًا أكثر إلى أنفسنا عن أن نبني بواخر أكثر سرعة وسيارات تتوافر فيها أسباب الراحة وأجهزة راديو أقل ثمنًا أو تلسكوبات لفحص هيكل سديم على بعد سحيق، ما هو مدى التقدم الحقيقي الذي نحققه حينما تنقلنا إحدى الطائرات إلى أوروبا أو إلى الصين في ساعات قلائل؟ هل من الضروري أن نزيد الإنتاج من غير توقف حتى يستطيع الإنسان أن يستهلك كميات أكثر باطراد من أشياء لا جدوى منها؟ ليس هناك أي ظل من الشك في أن علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء عاجزة عن إعطائنا الذكاء والنظام الخلقي والتوازن العصبي والأمن والسلام.

يجب أن نصرف حب استطلاعنا عن سبيله الحاضر ونوجهه في اتجاه آخر..

يجب أن ننصرف عن الأبحاث الطبيعية والفسيولوجية لتتبع الأبحاث العقلية والروحية».

وقائل هذا الكلام رجل يستمد معرفته من المعمل والأرقام، والوقائع وهو

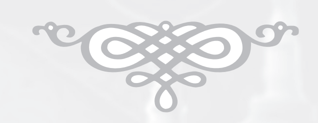
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يبغي بمنطق العلم التجريبي المنزه عن الوهم والمجازفة أن يعرف الإنسان نفسه ومصلحته العاجلة أو الآجلة.

ولو وعى رجال الدين وظيفتهم لأسهموا بنصيب كريم في هذا الميدان.. أعني أن يلتفتوا إلى هذا العلم الجديد (علم الإنسان) ليضيئوا متاهاته بمنارات الوحي، فإن كل علم للإنسان يجب إرساء قواعده على الإيمان بالله واليوم الآخر، وعلى اعتداد مرحلة العمر فترة اختبار لها ما بعدها.

وعبيد الدنيا ينكرون هذا الكلام أشد الإنكار، ويتوهمون أن مستقبلهم هنا وحسب.

ما أشبههم برجل قرر أن يزرع صحاري القطبين، واستصحب في رحلته إليها قناطير البذور.. إنه لن يجني من جليدها إلا متاع الغرور.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٤٣)

عباقرة

العدد (١٣٧) جمادى الأولى (١٣٩٦هـ) مايو (١٩٧٦م)

التواضع لله من دلائل الرشد وأمارات الإيمان، بل هو من علامات الصحة العقلية والنفسية، فإن المعجب بنفسه المتكبر على غيره إنسان لم يعرف حقيقته، ولم يتصرف في نطاق هذه الحقيقة فهو مصدر تعب وقلق حيث كان!

ومبلغ علمي أن أصحاب المواهب النفيسة متواضعون، وأن الذي رزقهم النبوغ لم يشنهم بهذا اللون من الجهالة، فهم يضعون تفوقهم الشخصي في خدمة الآخرين.

وبقدر ما في معادنهم من صلابة يبذلون أنفسهم لأمتهم ومبادئهم، دون قلق على مكانة موهوبة أو منزلة مزعومة، أما الذين يستخفون وراء أسوار من المراسم والشارات فأغلبهم هش المعدن، قريب العطب.

وأغلب من عرفت من المتكبرين أقوام صغار المواهب يسترون علاتهم بافتعال مظاهر لا أصل لها!

ولو أن امرءا ما استكبر بعلم حقيقي أو بطولة رائعة، أو مال ممدود، أو قيادة حكيمة، أو غير ذلك من أسباب الرفعة لكان مخطئًا أفدح الخطأ.

لماذا؟ لأن واهب النعمة والخير والبروز هو الله جل شأنه.

والإنسان جسر يعبر عليه هذا الفضل الأعلى، ومجلى لهذه العارية الطارئة عليه من غيره لا من ذاته، فلم الكبرياء على الله؟

ما أحسن قول الرجل المؤمن لأخيه المغتر بثرائه ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ **(الكهف: ٣٩)**. إن المدل بجماله لم يصنع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شيئًا من ملاحمه الوسيمة، وذوو المواهب العليا رزقهم التفوق من خلقهم، ومهد لهم واختبرهم بما آتى، فلماذا الغرور بالنفس؟

ولنترك هذا الضرب من الكبر الذي يعتمد على سناد، أي سناد في تفكير أصحابه! ولننظر إلى قوم آخرين يستكبرون بالهباء، أو بما لا يزن شيئًا طائلًا.

وقد كثر هذا النوع في بلادنا وتوزع على مناصب شتى هنا وهناك ومسخت دعاواهم كل شيء..

ترى الواحد منهم فقيرًا في معرفته ضئيلًا في إنتاجه، ومع ذلك يرمق الحياة والأحياء بالنظر الشزر ويعامل الناس معاملة العملاق للأقزام، والفيلسوف للعوام.

في غير ميدان قابلت هؤلاء وهم يتكلمون أو يعملون، أو يحكمون، فرأيتهم حراصًا على الظهور في شارات الناس الكبار، على حين تضعهم أقدارهم وثمارهم في المستوى الهابط والمكانة النازلة!

قلت في نفسي: الناس يستكبرون بالعلم وهؤلاء يستكبرون بالجهل، الناس قد تأخذهم عزة بالطاعة وهؤلاء تأخذهم العزة بالإثم، ما أشقى بلادنا بهؤلاء!

لو أدرك هؤلاء ما في كفاياتهم من نقص لاستكملوه! لكن الحجاب المسدل على بصائرهم خيل إليهم أنهم عباقرة فعاشوا ينكبون الناس بقصورهم وغرورهم.

وربما اغتر الأعور بنصف بصره بين لفيف من العميان..

أما أن يغتر بعاهته بين أصحاب البصر الحديد فهذه النكبة الجائحة!

والعالم الآن مشحون بأصحاب المواهب المعجبة، والخبرات الجيدة والتجارب المصقولة، والثروات الأدبية والمادية الهائلة، فإذا سرنا نحن في

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموكب العالمي بهذه الحفنة من الأدعياء الفارغين فماذا يكون تقديرنا؟ وماذا يكون مصيرنا؟ والشخص التافه يفلسف الأوضاع حوله بما يشبع كبره، ويصدق وهمه، أي أنه بدلًا من أن يستيقظ على الحقائق اللاذعة ينظر إليها من جانب يرضيه ويطغيه.

وقد روت كتب الأدب القديم قصة هي، على ما فيها من هزل، صورة صادقة لكثير من ذوي المناصب المرموقة في الأمة العربية الآن.

كان أبوحية النميري جبانًا بخيلًا كذابًا! قال ابن قتيبة: «وكان له سيف يسميه «لعاب المنية» ليس بينه وبين الخشبة فرق!

وكان أجبن الناس، دخل ليلة إلى بيته فسمع صوتًا لا عهد له به فانتضى سيفه، ووقف في وسط الدار، وأخذ يقول: أيها المغتر بنا المجترئ علينا، بئس- والله- ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل (لعاب المنية) الذي سمعت به. مشهورة ضربته لا تخاف نبوته! اخرج بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك! إني والله إن أدع قيسًا إليك لا تقم لها.. وما قيس؟ تملأ- والله- الفضاء خيلًا ورجلًا سبحان الله ما أكثرها!

وبينا هو كذلك إذ خرج كلب من باب الدار فقال:

«الحمد لله الذي مسخك كلبًا وكفانا حربًا»!

لست أبعد إذا قلت: إنني رأيت صورًا لهذا الجبان المستأسد في بعض الساسة الذين كتبوا تاريخ الشرق العربي في العصر الحديث.

العجز الحريص على الصدارة، والدعوى الفارضة نفسها على الواقع، والهوى الذي يطوي الأشخاص والأشياء والأحداث في تياره ويضفي عليها صبغته الجادة أو الهازلة.

وعلى هذا السنن البائس تجري أمور العرب.

ذكرت الجنرال أيزنهاور قائد الحرب العالمية الثانية التي انتصرت فيها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمريكا وحلفاؤها، إن أمريكا لم تعط رجلها لقب «ماريشال» مع أنه خاض حربًا تم له فيها النصر بعد أن دمرت مئات المدن والقرى وقتل وجرح سبعون ألف شخص.

وعرفت مديرًا أجنبيًا لمصنع كبير قيل لي في وصف إدارته: تراه جوالًا بين الآلات والمكاتب مغبر الجبين بتراب العمل وعرقه، ملوث الثياب بالزيوت والشحوم التي قد تسقط عليه وهو تحت آلة يعالجها، أو في طريق وعرة إلى مهمة ثقيلة!

فتذكرت شكوى أحد المربين وهو يصف لي بعض الشباب في بلادنا العربية: إنهم يبغون مكتبًا أنيقًا يجلسون إليه و«تليفونا» يثرثرون فيه، ونمطا من العيش لا يضني ولا يقلق!

قلت: والله هذه أخلاق الهزيمة والضياع، وأصحابها هم عللنا المقعدة، أما الرجال المعنيون بالعمل الحق، الحمالون لأعبائه الثقال، فهم أهل النصر والتقدم!

إنني أغوص في بحر من الحيرة والأسف حين أرى عظماء العالم على جانب رائع من دماثة الخلق، ولطف المعاشرة، وسهولة الطبع، وقلة التكلف، على حين نرى المتسولين من موائدهم متعجرفين متعاظمين كأنهم أتوا بالذئب من ذيله كما يقول العوام في أمثالهم.

إن بناة التاريخ من سلفنا الصالح كانوا يتميزون بخلقين: عظم الكفاءة، ونكران الذات! ذلك ما استفادوه من إيمانهم الوثيق بالإسلام، قدرة ملحوظة في مجالات النشاط الإنساني، وإخلاص لله يدفع أحدهم إلى الجود بما عنده: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (**الليل: ١٩، ٢٠**).

والغريب أن الخلف الطالح جاء على الضد، فهو مكشوف العجز في جنبات الدنيا ماديًا وأدبيًا، وهو طالب شهرة يجري وراءها كالطفل الغرير،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويريد أن يرمقه الناس بالتجلة على غير شيء!

إن خصومنا لم يخرقوا العادات فيما يفعلون ويتركون، لقد رأيتهم منطقيين في شتى أحوالهم.. أما نحن فقد هبطنا عن المستوى العادي ولم نكن منطقيين في تصرفاتنا..

ومن وراء هذا الخلل الجسيم البعثيون والقوميون الذين نفثوا سمومهم في كل شيء.

فقد جرأوا العرب على قطع نسبهم إلى الإسلام، جرأوهم على اطراح عقائده وفضائله، ثم وثبوا على الحكم عقب انقلابات مصطنعة لا تتصل بالشعوب العربية من قريب أو بعيد، ثم أخذوا يتعسفون السير نحو أغراضهم على حطام الأخلاق والأبطال.. ثم واجه العرب اليهود، والعرب حطام من الداخل وإن كان الظاهر مزوقًا فكانت النكبة..

فهل تعلم العرب من هزائمهم المترادفة أن يثوبوا إلى رشدهم؟

وتصور معيدًا في كلية يصبح عميدها، أو كاتبًا في محكمة يصبح رئيسها، لكن هكذا تجري الأمور في غيبة الدين والدنيا معًا.

لقد أبى المتنبي الذهاب إلى الأندلس، لأنه أدرك تفاهة حكامها من ضخامة الألقاب التي يحملونها، وكأن الرجل يصف أحوال العرب في عصرنا هذا لا في عصره هو، عندما يقول:

في كل أرض وطئتها أمم

يقودها عبد كأنهم غنم!

إن العرب الآن يخوضون معركة بقاء أو فناء.

وفي غيبة الإيمان وتقاليده وشمائله عن مجتمعاتهم نمت أخلاق أخرى لا تصلح بها حياة ولا تضمن بها آخرة.. ومن الخير أن يتحسسوا هذا البلاء في صفوفهم فيحسموه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الحقائق تفرض نفسها طوعًا أو كرهًا مهما تجاهلناها، وعندما يكون الشعب شكلًا لا موضوع له فهو صفر.. وعندما يكون الرؤساء أوراقًا مالية ليس لها غطاء نقدي محترم فهم عملة زائفة قد تروج بين المغفلين، ولكن إلى حين.

على العرب أن يعيدوا تشكيل نفوسهم وصفوفهم ومتقدميهم ومتأخريهم وفق القانون الإلهي العتيد: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾**(النساء: ١٢٣، ١٢٤)**.

ما يفعل الله للعرب إذا كان رؤساؤهم يستهينون بكلام نبيهم؟ ما يفعل الله للعرب إذا كان خصومهم في كل ميدان يقودهم أقدرهم وأشجعهم، أما قادة العرب فأخلاط من الناس فرضتهم في أماكنهم حظوظ سيئة؟

ما يفعل الله للعرب إذا كانوا يهزلون وخصمهم جاد؟

لا بد من إعادة النظر في شأننا كله، وإلا حقت علينا كلمة ربك.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٤٤)

نقد الأحاديث فن لا مسلاة

العدد (١٤٢) شوال (١٣٩٦هـ) أكتوبر (١٩٧٦م)

لم يفزع علماء المسلمين من اعتراض يقيمه أحد الباحثين في وجه حديث من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ إذا كان هذا الاعتراض قائمًا على أساس علمي محترم.

وقد وجدنا أئمة الفقه الإسلامي الذين بنوا مذاهبهم على الكتاب والسنة يتوقفون في قبول بعض الأحاديث لا لشيء إلا لأنهم ينقدون سندها أو متنها نقدًا مؤسسًا على التعمق لا التعنت، والدراية لا الدعوى.

ونقد السند يعتمد في لبابه على معرفة الرجال وأحوالهم وهو ما تكفل به علم الجرح والتعديل.

وقد كان لهذا العمل أساطينه في عصور خلت، أما اليوم فإن خبراءه انعدموا، أو بقي منهم نفر لا يبلغون أصابع اليد عدا.

وتراث الأوائل في هذا المجال حقيق بالدراسة الواعية، وهو مرآة لجهود جليلة في غربلة الأخبار وفحص نقلتها.

أما نقد المتن فقوامه مقارنة الحديث المنقول بما صح من نقول أخرى، والنظر إليه على ضوء ما تقرر إجمالًا وتفصيلًا في كتاب الله وسنة رسوله.

وقد استباح بعض القاصرين لأنفسهم أن يردوا بعض السنن الصحاح لأنهم أساءوا فهمها فسارعوا إلى تكذيبها دون تبصر.

أذكر أن رجلًا جاءني يوما يتهم أحد الخطباء بالكذب على رسول الله ﷺ فقلت له: ماذا نسب إلى صاحب الرسالة؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقال: زعم أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في بيته، فجاء أحد الناس يريد الدخول، فقال عنه قبل أن يدخل: بئس أخو العشيرة هو، فلما دخل تطلق في وجهه وألان له الكلام حتى انصرف، فراجعته السيدة عائشة في ذلك، كيف وصفه أولًا بما قال؟ ثم كيف لاطفه حتى صرفه؟ قال لها يا عائشة متى عهدتني فاحشا؟ إن من شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه.

قلت للرجل: وما وجه الكذب على رسول الله ﷺ في هذا الحديث؟ فقال: إنه يتهم الرسول بالنفاق.

فقلت له: أخطأت الفهم، إن النفاق شيء ومداراة السفهاء شيء آخر.

النفاق رذيلة أساسها ضعف الشخصية والتلون مع الناس وعدم الارتباط بالقيم الثابتة، أما مداراة السفهاء ففضيلة أساسها الضن بالكرامة والوقت أن يضيعا مع أحمق لا يحسن الخطاب ولا السماع، وكم في الناس من أدعياء لا تنقصهم الجراءة والسلاطة لو تنزل المرء إلى مستواهم لأزرى بعقله وخلقه فما بد من سد أفواههم حتى لا ينسكب منها ما يؤذي، والحلم نِدام السفيه كما يقولون.

الحديث صحيح يا أخا العرب ولا تسارع إلى تكذيب ما لم تحط به خبرًا.

وكتب السنة المعتبرة في ثقافتنا التقليدية مليئة بالأحاديث الصحيحة والحسنة، وفيها كذلك الضعيف الذي كشف العلماء علله.

وعندي أن المشكلة الأولى ليست في ميز الصحيح من الحسن والحسن من الضعيف، بل في فهم الحديث على وجهه وترتيبه مع غيره من السنن الواردة..

وهذا هو عمل الفقهاء وجهدهم الكبير.

على أن من حقنا أن نغضب لتطاول البعض دون بصيرة علمية على أصول الإسلام، ومصادر ثقافته، والجري وراء الاستعمار الثقافي في التطويح بالسنن والتهوين من رجالها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والسنة هي الاستحكامات الخارجية حول أسوار القرآن، فإذا تم تدميرها فدور القرآن آت بعدها، وذاك أمل المستشرقين المبشرين وسائر أعداء الدين.

ومن خصائص الإسلام أن أصوله العلمية ظفرت بصيانة فريدة أبقتها إلى آخر الدهر مستعصية على التبديد والتحريف.

فالقرآن منذ نزل من عند الله حتى هذه الساعة محفوظ من أول حرف فيه إلى آخر حرف منه.. تتوارثه القرون بطريق التواتر، وهو طريق فوق الشك والريبة، إذ هو مجيء الخبر عن طريق جموع يحكم العقل باستحالة تواطئها على الكذب.

ونستطيع القول بأن القرآن هو الكتاب الفذ الذي حبته العناية العليا هذه الخاصة، وليس بين أيدي الناس كتاب من الأرض أو من السماء حصنته كل هذه الضمانات.

ثم هناك السنة وهي المصدر الثاني لتعاليم الإسلام.. وقد لقيت هي الأخرى من عناية الأمة الإسلامية ما يجعلها مستيقنة في الجملة.

ولما كان بعض الناس ضعيف الدراية بطبيعة هذا المصدر فنحن نشرحه بكلمات وجيزة.. ونسارع إلى القول بأن التاريخ لم يحك عن أمة من الأمم أنها احتفت بآثار نبيها، واستقصتها وغربلتها، ووضعت أدق القوانين العلمية لقبولها، مثلما فعل المسلمون بتراث محمد من قول وفعل وقضاء وتقرير.

وليس في دين من الأديان، ولا مذهب من المذاهب هذا الوزن العجيب للأسانيد والمرويات وهذه المحاكمة المنصفة لما ينقل عن صاحب رسالة.

من السنة ما هو متواتر لا يقل في ثبوته عن القرآن الكريم نفسه كهيئات الصلاة مثلًا.

ومنها ما هو متواترالمعنى.. أي أن النقول تجيء بوقائع شتى وألفاظ متفاوتة، ولكن ينتظمها جميعًا قدر مشترك من المعاني.

ومنها ما جاء بأسانيد آحاد.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والإسناد- وإن شاع الجهل به الآن- إلا أنه شيء خطير في حقيقته وأثره، ولذلك قال العلماء: الإسناد من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء!

وذلك أن المسلمين متفقون على أن ما أمر به الرسول أو نهى عنه يجب أن نطيعه فيه، فذلك حقه، بل حق الأنبياء كلهم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ **(النساء: ٦٤)**.

والاجتهاد بين الناس إنما يحدث في معرفة هل قال الرسول ﷺ ذلك أو لم يقله.

ولا شك أن العقائد كلها وجمهرة الأحكام التي هي عماد الدين بلغت الناس بطرق مشهورة لا محل للجهل بها.

بيد أن هناك أحكامًا جاءت عن طريق سنن الآحاد التي أشرنا إليها آنفًا، ونحن هنا نريد أن ننظر بإنصاف وفي حياد تام إلى أسلوب المسلمين في تلقي هذه السنن.

هل هو أسلوب يتسم بالمجازفة والتراخي، أو هو أسلوب يتسم باليقظة والدقة؟ ولنضرب مثلًا بالأخبار التي تذاع عن الرؤساء الكبار في عصرنا!

هب أن مستشارًا لرئيس دولة كبرى أدلى بتصريح عن رأي رئيسها في قضية ما، فنقل هذا التصريح رجل من الحاشية، ثم تلقفه أحد الصحافيين فنشره، ما تكون قيمة هذا الخبر؟ نجيب بأنه خبر يحتمل الصدق والكذب ولا يترجح إلى إحدى الناحيتين إلا إذا عرفنا قيمة المصدر الذي أتى منه هذا النبأ، فإذا عرفنا أن الخبر نقلته الصحيفة بالفعل عن رجل الحاشية، عن مستشار الرئيس مباشرة، وكان كل واحد من هؤلاء مشهورا بأمرين.. الضبط التام لما يسمع، والصدق التام فيما ينقل.. فما يكون رأينا في هذا الخبر؟ أنصدقه أو نكذبه؟ الجواب أننا نتجه إلى تصديقه.. وذلك هو ما يطلب علماء المسلمين توافره في الخبر ليكون صحيحًا، وتقبل نسبته لرسول الله ﷺ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

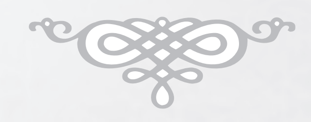
بل هم يزيدون إلى هذا أمرين آخرين.. لقد اطمأنوا إلى الخبر من ناحية مصدره، أعني الرواة الذين نقلوه، لكن الخبر نفسه ما هو؟ إنه قد يكون مخالفًا لما استقر بطريق أوثق، فإذا كان مخالفًا، عد شاذا، ووقع التوقف فيه، ثم قد تكون هناك علل أخرى خفية تتسرب إلى الحديث المروي فترفع الثقة به ولا يعد الحديث صحيحًا إلا إذا برئ من سائر هذه العلل القوادح.

ثم ماذا بعد هذه الاشتراطات كلها؟

إن الحديث بعد أن نطمئن إلى سلسلة الرواة الذين نقلوه، وأنهم أمناء واعون، وأن كل واحد منهم تلقى عن الآخر تلقيا مباشرًا، وأن ما نقلوه متفق مع ما علم من الدين بالطرق الأخرى وليست هناك علة فيه.. هذا الحديث يفيد العلم الظني، أي أنه ليس مصدرًا للعقائد الدينية وإنما مجال الأخذ به في الأعمال الشرعية الأخرى.

هل في الدنيا تدقيق وتحقيق وراء هذا المسلك؟ هل عرف دين من الأديان هذا المنهج في نقد ما ينسب إلى رئيسه؟

ومع ذلك كله تجد شخصًا يضع قدمًا على أخرى ويتكئ على كرسيه ثم يقول في استهانة صبيانية: الأحاديث غير صحيحة ويرمي نصف الإسلام في البحر.. يا قوم.. بعض الإنصاف.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٤٥)

عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق

العدد (١٥٠) جمادى الآخرة (١٣٩٧هـ) يونيو (١٩٧٧م)

كان الوحي الإلهي قديما يتخير بقاعا من الأرض لينزل بها، كما ينزل الغيث في مكان دون مكان.

لكن بعثة محمد عليه الصلاة والسلام كانت نقلة جديدة بالعالم كله، وتحولا في حركة الوحي الإلهي على ظهر الأرض.. إذْ جاءت الرسالة الأخيرة لكل بشر يعقل ما يسمع.. ثم هي قد صحبت الزمان في مسيرته، فإذا انتهى جيل من الناس، فإن الجيل الذي يليه، مخاطب بها، مكلف أن يمشي في سناها.

والإجماع معقود بين المسلمين على عموم الرسالة وخلودها، ونريد أن نلقي نظرة على الآيات التي دلت على عالمية الرسالة لنستخلص منها حكما محددا.

قال تعالى في سورة التكوير ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ (**التكوير: ٢٦، ٢٧، ٢٨**) وقال في سورة القلم ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (**القلم: ٥١، ٥٢**)

وقال في سورة سبأ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (**سبأ: ٢٨**) وقال في سورة الفرقان ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (**الفرقان: ١**)

وقال في سورة الأنبياء ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (**الأنبياء: ١٠٧**)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقال في سورة يوسف ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(**يوسف: ١٠٣، ١٠٤**)

وقال في سورة الأنعام﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ (**الأنعام:١٩**).

وقال أيضا في السورة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾(**الأنعام:٩٠**).

وهذه الآيات كلها مكية، أي أن عالمية الرسالة تقررت منذ الوحي وفي الأيام التي كانت الدعوة فيها تعاني الأمرَّين، كان القرآن يقرر أنه رسالة للعالم كله، في الوقت الذي كان فيه أهل مكة يستكثرون أن يكون محمد ﷺ رسولا لهم وحدهم!

ولم تنزل بالمدينة آية تتحدث عن هذه العالمية، اكتفاء بما تمهد في صدر الدعوة، إلا آية واحدة من سورة الأحزاب هي قوله جل شأنه ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾(**الأحزاب: ٤٠**) وختم النبوة تقرير لهذه العالمية، فإن القارات الخمس إلى قيام الساعة لن يطرقها من السماء طارق، ولن يجيئها من عند الله رسول، وسيبقى كتاب محمد ﷺ وحده، صوت السماء بين الناس، إلي أن يحشروا للحساب فيقال لهم ﴿ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (**الروم: ٥٦**) وآية ختم النبوة صدقتها الأيام المتتابعة فها قد مضت أربعة عشر قرنا، وما نزل من السماء وحي، وقد حاول الاستعمار الأوروبي أن يضع يده على مخبول في الهند، وآخر في إيران، ليصنع منهما أنبياء يكابر بهما نبوة محمد ﷺ، وهيهات هيهات! فإن الأوروبيين أنفسهم احتقروا الرجل الذي صنعوه، فما تبع أحدهم نبي الهند، ولا نبي العجم، وبدأت اللعبة تتكشف ويفر عنها المستغفلون!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن الصباح العريض الذي بزغ مع رسالة محمد ﷺ سوف يظل وحده النور الذي يغمر العالم ويملأ الأفق إلى أن يأذن الله بانتهاء الحياة والأحياء.

وإنما لفتنا النظر إلى أن الآيات الناطقة بعالمية الرسالة مكية، كي ندحض فرية لبعض المستشرقين الذين زعموا أن محمدا ﷺ بدأ عربي الرسالة، معنيا بقومه وحدهم، فلما نجح في إخضاعهم أغراه النجاح بتوسيع دائرة الدعوة، فزعم أنه للخلق كلهم! وهذا تفكير متهافت بيّن السخف، فقد رأيت بالاستقراء أن عالمية الرسالة تم التصريح بها في أوائل ما نزل من الوحي!

ثم نسأل: متى خضع العرب لمحمد ﷺ حتى يغريه النجاح بمزيد من التوسع؟ إن مكة التي طاردته لم تفتح له إلا قبل الممات بسنتين اثنتين، فأين استقرار النصر، والتطلع إلى إخضاع الدنيا، وهو لما ينته من الجزيرة العربية نفسها؟

إن هذا الفكر الاستشراقي لم يلق حفاوة من عاقل، ولذلك نخلص منه لنقرر حقائق أخرى نابعة من هذه الحقيقة المؤكدة، أن محمدا رسول العالمين، وأول ما نقرره أن هذه الصفة انفرد بها محمد عليه الصلاة والسلام، فكل الأنبياء من قبله محليون، رسالتهم محدودة الزمان والمكان، ابتداء من آدم إلى عيسى.

والنصارى يرون أن رسالة عيسى عالمية، وينطلقون بها في كل مكان، ليبلغوها وينشروها، ونحن نحب نبي الله عيسى، ونعتقد أنه رسول حق إلى بني إسرائيل خاصة ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ...﴾(**الصف**: ٦).

على أن النصرانية التي تشيع بين الناس اليوم، وتساندها قوى كثيرة تخالف رسالات السماء كلها، إذ هي فلسفة تجعل من عيسى إلها، أو شبه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إله، يرسل الرسل، وينزل الكتب، يغفر الذنوب، ويحاسب الخلائق.

والنصرانية بهذا المفهوم المستغرب لا يعنينا أن تكون عالمية أو محلية، لأنها شيء آخر غير ما ينزل به الوحي على سائر الرسل، قال تعالى لنبيه محمد ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ **(الأنبياء: ٢٥)** إن هذه النصرانية الجديدة لا تتصل بعيسى الذي مهد لمحمد ﷺ، كما لا تتصل بعيسى الذي بلغ تعاليم إبراهيم وبنيه، ومن ثم فهي في نظرنا منهج بشري، مستقل بأفكاره عما قبله وعما بعده.. ورسل الله، يصدق بعضهم بعضا، ويمهد السابق للاحق ما استطاع.

ورسالة محمد ﷺ، أقامت مفهوم العالمية فيها، على أن الدين واحد من الأزل إلى الأبد، وأن الأنبياء إخوة في التعريف بالله والدلالة عليه، واقتياد البشرية إليه.. وأن القرآن الكريم جمع في سياقه الباقي كل ما تناثر على ألسنة النبيين من عقائد وفضائل، ولذلك فإن الإيمان بهم جميعا مطلوب، والكفر بأحدهم انسلاخ من رسالة محمد ﷺ نفسه، ومن الطبيعي أن تبدأ الرسالة عملها في بقعة ما من أرض الله، وقد شرع النبي العربي محمد ﷺ يعلم الأميين من عبدة الأوثان، ويرشد الحائرين والجاحدين من أهل الكتاب، وبعد تسعة عشر عاما من الدعوة الدائبة، استطاع أن يظفر من الوثنية الحاكمة بحقه في الحياة، وحق من يتبعونه في العيش بدينهم والتجمع عليه.

عندما نال هذا الحق في معاهدة الحديبية، وأصبح له موضع قدم يستقر فيه، ويدعو منه، أخذ يرسل إلى أهل الأرض يبلغهم الحق، ويفتح عيونهم على سناه.

ومن أهل الأرض يومئذ؟ الروم غربي الجزيرة وشمالها، والفرس في الناحية المقابلة، وحكام آخرون يعيشون في جوارهم، أو يدورون في فلكهم.

هل كان وراء الرومان من يفهمون الخطاب شمالي أوروبا أو وسطها؟ أو

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وسط إفريقيا وجنوبها؟ كانت هناك قبائل السكسون، والجرمان، والغالة، والوندال، وقبائل أخرى مشابهة لها في أفريقيا، وكانت هناك وراء الفرس شعوب جاء وصفها في قصة ذي القرنين في القرآن الكريم بأنهم لا يكادون يفقهون قولا.

على أية حال فإن النبي المبعوث للعالم أرسل إلى إمبراطور الروم وملك الفرس، وحاكم مصر ونجاشي الحبشة، وإلى الأمراء المنتشرين حول الجزيرة العربية يدعوهم إلى توحيد الله، واعتناق الإسلام، لعله بدأ بالجيران الذين يلونه، فبلغ أمر ربه، حتى إذا أتم هدايتهم تجاوزهم إلى من يلونهم من أجناس البشر.

أو لعل الفكر البشري في هذه الآونة لم يبلغ درجة الوعي، وأهلية الخطاب إلا في هذه البقاع المتحضرة والتي ظهرت فيها جمهرة الرسالات السماوية من قديم.

على أية حال فإن اليقظة الإنسانية التي بدأت في جزيرة العرب ما كانت نهضة جنس متفوق، ولا طماح زعيم متطلع، بل كانت حركة قبيل من الناس، اختارتهم العناية العليا، ليربطوا جماهير البشر بالله الواحد، وليسيروا في هذه الدنيا وفق هداه لا وفق هواهم ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾(**إبراهيم: ١، ٢**).

وأكذب الناس على الله وعلى عباده من يزعم الإسلام طور من أطوار البعث العربي، إن هذا الكلام لا يساويه في الرخص والغثاثة إلا ما تضمنه من إفك وتضليل، فإن محمدا عليه الصلاة والسلام رفض رفضا باتا أن يكون للعرق أو اللون أو القوة أو الثروة أي رجحان في موازين الكرامة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإنسانية، والمحور الذي دار عليه الإسلام هو التوحيد في العبادة والتشريع وإخلاص الوجه الله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ (**الأنعام**: ١١٥) وقد قلنا، ولا نزال نقول: إن الله تعالى ربى محمدا عليه الصلاة والسلام ليربي به العرب وربى العرب بمحمد عليه الصلاة والسلام ليربي بهم الناس، فرسالة العرب أن يكونوا جسورا لهدايات السماء، وأن يعلموا الخلق ما تعلموه من الخالق.

وإذا كانوا تلامذة لخاتم الرسل، فهم بما درسوا أساتذة للشعوب الأخرى تتلقى عنهم وتستضيء بهم.

وهذه المكانة للأمة العربية مكانة عالية حقا، بيد أنها لا تقوم على الدعوى، بل على البلاغ، ولا تقوم على البطالة، بل على التضحية، وذلك معنى قول الله تبارك اسمه: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾(**الحج**: ٧٨)

وقد قامت دولة الاسلام بدورها العالمي هذا على عهد النبوة وأيام الخلافة الراشدة، وتدافع التيار إلى مداه أيام الأمويين والعباسيين والعثمانيين، وإن كان هذا التيار قد شابه من الكدر والدخن ما أزرى به وحط قدره حتى توقف آخر الأمر!

والمسلمون في هذا العصر يكادون يجهلون أن لهم رسالة عالمية، بل إن حياتهم وفق شرائع دينهم وشعائره موضع ريبة وقد تكون موضع مساومة!

وأذكر أن حوارا دار بيني وبين الأستاذ علي أمين بعدما كتب يستنكر أذان الفجر ويزعم أنه يزعج النيام المستريحين (!) قلت له: إن إيقاظ الناس للصلاة مقصود قصدا، وفي أذان الفجر كلمة تقول: الصلاة خير من النوم! قال: من أراد الصلاة فليشتر «منبها» يوقظه ليصلي، قلت له: إن جمهور

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المسلمين وهم كثرة هذا البلد يريدون الصلاة علانية ويريدون أن يصبغوا الحياة الاجتماعية بها، وأن ينظموا نومهم وانتباههم على أوقاتها، فإذا شاء الكسالى غير ذلك فليتواروا بإثمهم، لا أن يفرضوه على المجتمع ويطلبوا من المؤمنين التواري بدينهم.

وأشهد أن الرجل لان وتأثر واستكان، وأرجو أن يكون قد تاب ومات مغفورا له، وإنما ذكرت هذا الحوار، ليعرف من جهل مبلغ ما انحدرت إليه أمتنا!

إن الشيوعية تريد أن تكون نظاما عالميا، وكذلك المادية والإباحية، وكذلك الصهيونية والصليبية، أما الإسلام فإن طبيعته العالمية يراد إنكارها، وإذا تم ذلك فإن وجوده المحلي ينبغي الخلاص منه والإجهاز عليه.

وأريد أن نعرف من نحن؟ وما ديننا؟ وما هدفنا؟ وما طبيعة جهادنا؟ إننا ورثة الإسلام وحملته وأصحاب الحضارة الوحيدة التي تعترف بالدنيا والآخرة، والروح والجسد والعقل والعاطفة.

وفي قرآننا وسنة نبينا صلاحنا وصلاح العالم من حولنا، وقد هنا على أنفسنا، فكان طبيعيا أن نهون على غيرنا، وزهدنا في ديننا، فكان طبيعيا أن يزهد العالم فيه.

وقد بدت في الأفق تباشير عودة ناجحة إلى هذا الدين العظيم، فلنصور بدقة طبيعة النور الذي خصنا الله به، طبيعة الرسالة التي شاء الله أن تحق الحق وتبطل الباطل، وتهدي الحيارى في المشارق والمغارب ويفرض علينا هذا المعنى أمورا ذات بال.

أولها ما دام محمد عليه الصلاة والسلام للعالم كله وليس للعرب خاصة، فيجب على العرب وهم الذين تحدث محمد ﷺ بلغتهم، وكلفوا بنقل رسالته إلى غيرهم، يجب عليهم أن يوصلوا هذا القول إلى كل قبيل من الناس، وبكل لغة يتم التفاهم بها..

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أي إنه يجب عليهم أن يتقنوا كل اللغات العالمية، وما استطاعوا من اللغات المحلية، وأن يودعوها خلاصة كافية هادية من تعاليم الإسلام في مجال العقيدة والخلق والعبادة وشتى أنواع المعاملات، وأن يذكروا بدقة ولطف الفروق الكبيرة بين أصول الإيمان عندنا وعند أهل الأديان الأخرى، سماوية كانت أو أرضية.

إن هذا الواجب لم يكن منه بد، حتى لو كان الميدان خاليا لنا وحدنا، فكيف وهناك أجهزة عالمية ضخمة تخصصت في تحقير الإسلام؟ فكيف وقد تآمرت على الإسلام شتى القوى، وتألب ضده خصوم خبثاء يصطادون الشبه ويتلمسون للأبرياء العيوب؟

إن الاستعمار سخر أجهزة إلحادية وصليبية سبقتنا إلى أجيال كثيفة من الزنوج والجنس الأصفر، وتركت في نفسه سموما ضد محمد عليه الصلاة والسلام ودينه، وانتهزت الصمت الذي خيم على أجهزة الدعاية الإسلامية والسلبية المشينة التي لذنا بها، وراحت تكذب وتكذب حتى نجحت في تلويث سمعتنا، وقدرت على غرس تدين مختل الأصول، مضطرب السلوك، وأمكنها بسهولة أن تصد عن سبيل الله وتردم معالم الصراط المستقيم! إن ذلك يوجب علينا الإحساس المضاعف بخطئنا وتخلفنا وتحملنا عبء المسارعة إلى تعليم الجاهل، ومراجعة المخدوع وتعريف الناس بربهم الواحد الأحد، الفرد الصمد، وربطهم بالدين الذي حمل رايته جميع الأنبياء، ثم نقاه وشد دعائمه وثبت أهدافه النبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ.

والأمر الثاني المتصل بعالمية الرسالة، يرجع إلى اللغة العربية، فلغة الرسالة الخالدة يجب أن تتبوأ مكانة رفيعة لدى أصحابها، ولدى الناس أجمعين، فإن الله باختياره هذه اللغة وعاء لوحيه الباقي على الزمان قد أعلى قدرها وميَّزها على سواها والواقع أن اللغة العربية مهاد القرآن وسياجه، فإذا تضعضعت وأقصيت عن أن تكون لغة التخاطب والأداء ولغة العلم والحضاره، أوشك القرآن نفسه أن يوضع في المتاحف، ولهذه الغاية

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخاسرة تعمل فئات غفيرة من المستعمرين وأذنابهم، وما أكثر أولئك الأذناب في الجامعات والمجامع ودور الإذاعات والصحف وغيرها!

إن آباءنا عليهم الرضوان نشروا اللغة العربية بكل الوسائل المتاحة لهم، وما تأسست مدرسة لخدمة الدين إلا انقسمت علومها بين مناهج الشريعة ومناهج اللغة والأدب.. ويلاحظ الآن انكماش مفزع في هذا الميدان ورواج سمج للهجات العامية والمصطلحات الأجنبية، والترجمات الركيكة، والكلمات الدخيلة.

واللغة العربية لا تخدم بالحماس السلبي، بل لا بد من إعادة النظر في شؤون شتى تتصل بكيانها وتعاليمها.

ولنفرق من الآن بين طرق تعليمها للتلامذة الأجانب وتلامذتنا، ولنبتكر أساليب ميسورة لتدريس المصادر، وتصريف الأفعال وجموع التكسير وأنواع المترادفات وغير ذلك مما يعانيه طلاب العربية.

إن هناك لغات لم يشرفها الله بوحي، ولم تصحب حضارة إنسانية مشرقة يخدمها أبناؤها بذكاء نادر، فما دهى العرب حتى تركوا لغتهم توشك أن تكون من اللغات الميتة أو الثانوية في هذه الدنيا؟

إننا عجزنا عن جعل اللغة العربية لغة أولى بين «الألف مليون مسلم» الذين يعتنقون الإسلام، وهذا وحده فشل ذريع نؤاخذ به يوم الحساب، ويرجع هذا الفشل إلى أن العرب أنفسهم لا يجلون لغتهم، بل لقد استطاع الاستعمار الثقافي أن يكرهها لهم أو يحقرها لديهم، فأي بلاء هذا؟ والمطلوب الآن للفور إقصاء اللهجات العامية والرطانات الأعجمية عن جميع منابر الصحافة والإعلام وإعادة الحياة إلى اللغة الفصحى في كل محفل.

وأكرر مطلبا آخر ذكرته في أحد المؤتمرات وهو إنشاء مدارس وإرسال بعثات لنشر اللغة العربية وحدها أي دون ربط اللغة بالدين، فإن هذا التعليم المجرد سيوسع القاعدة الثقافية للغة القرآن، وسيكون يوما ما رافدا من روافد الحق والإيمان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والأمر الثالث والأخير في عملية الدعوة يتصل بالوضع الأدبي والمادي داخل الأمة الإسلامية نفسها، إن الخلق الزاكي لغة إنسانية عالمية تعجب وتقنع، وبهذه اللغة تفاهم الصحابة والتابعون مع الشعوب التي عرفوها وعرفتهم فدخل الناس في دين الله أفواجا.

أي أن القدوة الحسنة، فردية كانت أو جماعية، تفرض احترام العقيدة والحفاوة بها، وهذه القدوة ليست دورا تمثيليا يؤدى بالخداع واجتذاب المشاهدين، كلا كلا! فحبل الكذب قصير، إن هذه القدوة هي الحلاوة في الثمرة الناضجة أو الرائحة في الزهرة العاطرة، أي هي نضج الكمال الذاتي وقد شاء الله أن يؤتي السلف الصالح أنصبة جزلة من هذا الحسن الذاتي، ففتحت لهم المدن العظام أبوابها وألقت إليهم الجماهير بقيادها.

وإنني أشعر اليوم بغضاضة شديدة حين أرى السائحين والسائحات يجوبون بلادنا ويدرسون أحوالنا، ثم يتجاوزوننا بقلة اكتراث أو باستهانة بالغة!

إنهم لا يرون- فيما يشهدون- أثر الإسلام الحق في نظافته وسموه، بل يرون شعوبا أقل منهم كثيرا في المستوى الحضاري ولا أقول في المستوى الخلقي المعتاد.

وتلك أحوال تصد عن الإسلام ولا تغري باعتناقه، وعالمية الإسلام تفرض على أتباعه أن يقدموا من سلوكهم الخاص والعام نماذج جديرة بالإكبار، أو على القليل جديرة بالسؤال عن حقيقة الإسلام لمن لم يعرفوا هذه الحقيقة، وما أكثرهم في أرض الله.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(٤٦)

الإنسان في القرآن الكريم

العدد (١٨٢) صفر (١٤٠٠هـ) ديسمبر (١٩٧٩م)

كانت الملائكة متشائمة من مستقبل الإنسان على ظهر الأرض، لعلها أحست أن أصله الترابي سيجعله هشا أمام الاختبارات الصلبة، وأنه سيفقد تماسكه أمام الأهواء والمغريات، لعلها رأت أنه يشبه أجناسًا أخرى لم تصدع بأمر الله، ولم تحسن تنفيذ وصاياه، أو لعل شعاعًا من عالم الغيب طلع عليها فرأت معه صورًا من الحروب الدامية والمسالك المعوجة التي سوف يخوضها البشر ويظلمون بها أنفسهم.

على أية حال لقد تساءلت الملائكة مستغربة وقالت لله جل شأنه ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ (**البقرة: ٣٠**) وكان الجواب الأعلى ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وخلق الله آدم ووهب له عقلًا محيطًا بالأشياء كلها، ووضع في هذا العقل خاصة باهرة ليتمكن بها من معرفة الأسرار والظواهر، ويهيمن بها على شتيت من القوى والعناصر، إن هذا الإنسان المحدود في أعضائه ومشاعره، يملك طاقات ضخمة تجعله سيدًا لما حوله، بل تجعله ملكًا واسع السلطان ممدود النفوذ، ولعل الملائكة اليوم ترقبه دهشة وهو يخترق الفضاء ويغزو الكواكب.. لكن عظمة الإنسان لا تكمن في هذه القدرات الطيعة، إنها تكمن في أمر آخر أهم منها وأجل، هو معرفته لمن خلقه فسواه، لمن أعلى قدره ورفع مستواه، لله الذي خلق هذا الكون ومكنه فيه وسخره له..

إن هذا الفريق من الناس الذي عرف ربه وأسلم له وجهه، وافتتح مغاليق الحياة باسمه، هو الذي يبرز الحكمة من وجود الإنسان في العالم، وأحسب أن هذا الفريق الصالح المصلح، هو الذي استشفت الملائكة خبره ثم قالت

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لله ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (**البقرة: ٣٢**)، وقصة الحياة الإنسانية كما ساقها القرآن الكريم تستوقف النظر من نواح عدة نحب أن نبينها، أولها هذا التنعيم الذي أحاط بها منذ بدايتها، فبين يدي عرض القصة في سورة البقرة نقرأ قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (**البقرة: ٢٩**)، وقبل ذلك بقليل نقرأ ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ (**البقرة: ٢٢**).

وبين يدي عرضها في سور الأعراف نقرأ قوله ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾(**الأعراف: ١٠، ١١**).

وبين يدي عرضها في سورة الحجر سرد للنعم التي تحف الحياة البشرية نقرأ منه قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾(**الحجر: ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠**).

والواقع أن الرغيف الذي يطعمه إنسان، تشترك في إنباته وإنضاجه فجاج الأرض وآفاق السماء فتربة الأرض، والسحب الهامية، والأشعة العمودية أو المائلة التي تتعرض لها الحقول خلال دوران الأرض حول الشمس، وأثر الضوء في تكوين الخضرة، وأشياء أخرى كثيرة تتعاون جميعًا على تكوين الغذاء والكساء والدواء، الذي يحتاج إليه البشر، إن شبكة من المواد الدقيقة جدًا، والجسيمة جدًا، انتظمت في خدمة الإنسان وتأمين معايشه وتخطيط حاضره ومستقبله، كل يؤدي دوره بوفاء وقدرة.. الكواكب السابحة في الفضاء، والجرائم التي لا تراها العين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وذاك سر الأقسام الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم مشيرة إلى فخامة هذا العالم ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾(**الانشقاق:** ١٦، ١٧، ١٨، ١٩)، ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾(**المدثر:** ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥) وتدبر القسم بالرياح المثيرة والسحب الحافلة وما يتبع ذلك من زرع وحصاد وتجارة واحتراف وخبرات تعم البشر﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ﴾ (**الذاريات:** ١،٢،٣،٤،٥) إن رب العالمين أبدع ما صنع، وحدثنا عن هذا الإبداع لنعجب به ونتذوق جماله. وإني لأستغرب أحوال ناس ينتسبون إلى الإسلام ويديرون ظهرهم للكون، فلا يدرسون له قانونًا، ولا يكشفون له سرًا.

أي إيمان هذا؟ وأي جهل بقصة الحياة ووظيفة آدم وبنيه في ربوعها؟

إن الإنسان في القرآن الكريم كائن مكرم مفضل محترم مخدوم، ومن حق الله تبارك اسمه أن يعاتب البشر على سوء تقديرهم لآلائه ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ (**لقمان:** ٢٠).

هذه ناحية تتصل بالتكريم المادي للإنسان، وثم ناحية ثانية تتصل بكيانه المعنوي فالإنسان نفخة من روح الله الأعلى.. هكذا بدأ خلق آدم، وهكذا تتخلق الأجنة في بطون الأمهات، إن الحياة في شتى الأجسام المتحركة شيء، وخصائص الحياة الرفيعة في أبناء آدم شيء آخر، وقد أشاع الله نعمة الخلق بين خلائق كثيرة برزت من العدم إلي الوجود، بيد أن آدم وحده هو الذي وصفه بقوله ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾(**ص:** ٧٢) واطرد هذا التكريم في ذريته إلى قيام الساعة ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ ﴾(**السجدة**: ٧، ٨، ٩).

والإنسان بهذه النفخة كائن جديد يعلو فوق ما يشبهه من ضروب الحيوان ولذلك قال جل شأنه ﴿... فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ (**المؤمنون**: ١٤) وبعد أن تم خلق آدم على هذه الصورة أمر الله الملائكة أن تسجد له سجود تعظيم وتوقير لا سجود عبادة! والملائكة هي التي أبدت دهشتها لإيجاد هذا الإنسان واستنكرت ما سوف يقع منه من فساد وفوضى.

إنها طولبت بالسجود له بعدما تم تكوينه! وعوقب من رفض السجود بالطرد من رحمة الله وسواء كان إبليس من الملائكة، أم صادف وجوده بينهم وهو من الجن، فإن النتيجة لا تختلف، إذ إن الاستهانة بالإنسان هي عند الله عصيان وخيم العاقبة! وهذا التكريم البين ينضم إليه أمر آخر عظيم الدلالة على مكانة الإنسان وحفاوة الله به، هذا الأمر هو الفرح الإلهي بعودة الإنسان التائب واستقبال الله له بإعزاز بالغ، وتجاوزه عما فرط منه من خطأ، وقوله في عفو شامل ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (**طه**: ٨٢).

كلتا الناحيتين من تكريم وتنعيم استتبعت ناحية ثالثة، كان لها الأثر الأكبر في مستقبل الإنسان ومستقبل الكوكب الذي أعد لسكناه، بل في مستقبل المجموعة الشمسية كلها التي سينتثر عقدها وينطفئ نورها مع انتهاء الرسالة الإنسانية على ظهر الأرض.. هذه الناحية هي التكليف، فإن الله الذي زود الإنسان بهذا السمو في مواهبه لم يتركه سدى، بل أمره ونهاه وطلب منه أن يفعل، وأن يترك! وربما كلفه أن يفعل ما يثقله، وأن يترك ما يشتهيه!! وهنا نقف وقفة يسيرة أمام سر التكليف ومعناه لنتناول جملة أمور.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إن أبانا آدم، وهو الإنسان الأول، كلف ألا يأكل من شجرة معينة وكان جديرًا به أن يعرف حق الآمر جل شأنه وأن يدع الأكل من هذه الشجرة أبدا ولكنه بعد مرحلة من الذهول والضعف، عرضت له ساعة انهيار في إرادته وامتداد في رغبته، فأكل من الشجرة المحرمة، وشاركته زوجته في عصيانه فطردا جميعًا من الجنة، وكانا قد أحسا بالخطأ الذي تورطا فيه، فدعوا الله نادمين ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (**الأعراف**: ٢٣، ٢٤، ٢٥)، ونزل أبوانا إلى الأرض، وشرع كثير من الأبناء يمثلون القصة نفسها، ويرتكبون الخطأ ذاته، ولكنه ليس أكلا من شجرة، بل اتباعا للشهوات التي تقود إلى العصيان والحرمان!

العنوان متغير والحقيقة واحدة.. إن هذا السلوك من الإنسان الأول يجعلنا نتساءل عن علته، والعلة واضحة، فإن الإنسان بدأ حياته بطبيعة مزدوجة، قبس من نور الله داخل غلاف من طين الأرض!

إن الله تبارك وتعالى بعدما صور الإنسان من التراب وسواه، نفخ فيه من روحه، فإذا كائن عجيب يجمع النقائض في تركيبه، يقدر على التسامي وعلى الإسفاف، يقدر على الاستقامة وعلى الانحراف! وقد نبه القرآن الكريم إلى هذا الخليط في التكوين البشري فقال جل شأنه ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(**الإنسان**: ٢) كما نبه إلى أن إلمامه بالخطايا ليس مستغربًا، إنه ينزع إلى عرق فيه! ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ ﴾(**النجم**: ٣٢).

وكلتا النزعتين الأرضية والسماوية تجد في الحياة أو في البيئة ما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يضعفها أو يقويها وقبل ذلك كله، تجد في الإنسان نفسه ما يرجح كفة على أخرى، وما يسلم زمامه للخير أو للشر، كما يريد هو لنفسه دون تدخل من أحد في اتجاهه هنا أو هنا.

إن إيثار الوقوف عند الإشارة الحمراء أو المروق منها والتعرض لأخطار الانطلاق الأحمق تصرف إنساني محض.

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ (**الأعراف**: ١٧٥، ١٧٦) أي لو تسامى وترفع ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ فتركه الله حيث شاء لنفسه.

ولا بد من توكيد هذه الحقيقة، حقيقة الإرادة الحرة في الصعود والهبوط، في التقوى والفجور، في إغضاب الله أو إرضائه، فإن الرحمن الرحيم يستحيل أن يظلم إنسانا سعى في مرضاته كما أنه لا يرضى عن إنسان سعى في إغضابه.

وبعض الناس يماري في هذه الحقيقة عن مكابرة، أو تمحل أعذار، وهيهات، فقصة الوجود الإنساني تقوم على اختيار حقيقي لاكتشاف المحسن والمسيء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (**الملك**: ٢) والمحسن إنسان أتقن العمل واحترم الصواب، والمسيء إنسان فرط ولزم العوج، والعراك داخل النفس الإنسانية لاختيار أحد النهجين عراك حقيقي لا صوري، وتلمح صدق هذا العراك وقبول نتائجه في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (**النازعات**: ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١). إن السالم في هذا العراك إنسان يشعر بقيام الله عليه وعلى سائر الكائنات، ومع نماء هذا الشعور يخفت صوت

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الهوى، ويغلبه صوت الضمير اليقظان أو القلب الحي.. فأين التمثيل أو المحاباة أو الخداع في هذه الحالات؟

الله جل شأنه ينادي الإنسان ويذكره ويهديه، وعلى الإنسان أن يلبي ويتذكر ويهتدي، فإذا أبى إلا الشرود فهو وحده الملوم، ومن ثم تقررت هذه الأحكام العادلة التي تدركها من قوله تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ (**الأنعام: ١٠٤**) ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (**الشمس: ٧، ٨، ٩، ١٠**)، والتزكية والتدسية جهد بشري محض، أو كذلك يكون أول الطريق، ثم يلحقه من مشيئة الله ما يصل به إلى النهاية ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(**النساء: ١١٥**).

ونتساءل مرة ثانية: ما قيمة الصوت المضلل الذي يستمع إليه الإنسان فيزيغ ويشقى؟ الحق أن صداه الضخم أضعاف أضعاف حقيقته التافهة، إنه كنقيق الضفدعة يملأ أكناف الليل ومصدره لا قيمة له!

ما الشجرة التي أكل منها آدم؟ هل أحس طويلا لذة ثمرها ومتعة ازدرادها؟ لقد كانت وهما هذه النشوة المأمولة، ولو فرضناها لذة ساعة فما قيمتها إذا ووزنت بما أعقبته من حسرات سنين عددا؟ بل دهرا طويلا!

إن الإنسان في هذه الدنيا تهيجه رغبة حمقاء إلى شيء محرم، ما إن يواقعه حتى يحس الفراغ والضياع، وحقيق بالإنسان أن يتماسك أمام عوامل الاستفزاز ومزالق القدم.

ونتساءل مرة أخرى: ما مصدر هذا الصوت النابي الجهول الذي يزل الإنسان؟ والجواب أن له مصدرين اثنين أولهما نفس الإنسان، أو الإهاب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الترابي الذي غلفت به، والمصدر الثاني من كائن آخر خاصم الإنسان من النشأة الأولى وهو الشيطان الذي آلى على نفسه استدامة هذا الخصام إلى يوم النشور.

في المصدر الداخلي للمعصية يقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾(**طه: ١١٥**).

فالنسيان وضعف العزيمة رذائل وقع فيها الإنسان الأول، ومع تولدها في نفسه تتهيأ الإمكانات للشيطان كي يوسوس ويخادع، ويقول لآدم وامرأته ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ (**الأعراف: ٢٠، ٢١، ٢٢**). وما تمت هذه التدلية ولا نجح الشيطان في خدعته إلا لأن آدم كان قد ضعفت ذاكرته وضعفت إرادته.

الضعف النفسي أولا! ثم وساوس الشيطان ثانيًا! ولا عبرة بما يتعلل به المخطئون من أن الشيطان هو السبب الأول والأخير في انحدارهم!

إن للشيطان محطة إرسال يذيع منها فنون الإغراء والإغواء، والإنسان هو الذي يهيئ أقطار نفسه لاستقبال هذه الإذاعات والتجاوب معها.

وأنت الذي تتخير ما تسمع من محطات «الراديو» المختلفة، ولو شئت أغلقت للفور ما تعاف سماعه، وابتعدت عنه، حتى لا يصل صداه إلى سمعك، أو قاومته بمشاعر النفور والمقت حتى لا يستولي عليك وقد منح الشيطان من أول يوم القدرة على إغراء الإنسان وخداعه.

ودفعته خصومته إلى ابتكار وسائل كثيرة ونصب أحابيل مختلفة لإيقاع الأغرار والغافلين وقيل له:

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(**الإسراء: ٦٤**) ولكن الشيطان لا يملك أكثر من الكلام، يكذب فيه ويغر، وقد نبه الله آدم وبنيه إلى هذا الكاذب.. وحذرهم من الشراك المنصوبة والأقاويل المزورة.

إن الشيطان يعد كاذبا، ويقسم حانثا، وينصح غاشا، ويلين ليلدغ، وينحني ليثب ويصرع، وهو في هذا كله لا يملك إلا شيئًا واحدًا، الكلام، الكلام وحده! فلا يجوز أن نصدقه ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾(**طه: ١١٧**) ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ (**الكهف: ٥٠**) ومع ذلك فقد قدر الشيطان بالكلام المضلل أن يزيغ الكثيرين.. وسيقول يوم القيامة لمن استجابوا له ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ ﴾(**إبراهيم: ٢٢**).

إن سلاح الشيطان مفلول والنجاة منه ميسورة ميسورة! وعندما يقع البعض في قبضته فلا حماية له، لأن القانون لا يحمي المغفلين! ومن ثم فالجهد الحقيقي في النصح والتربية يتجه إلى الإنسان أولا وآخرا ليوقظ فيه أسباب الحذر، وليسد الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها الشيطان بوساوسه الماكرة، لقد أشرنا إلى الأمشاج التي يتكون منها الإنسان، والحق أن في الإنسان- مع أصله السماوي - طباعًا لا يجوز تركها حرة تتصرف كما تشاء، لا بد من مراقبتها بدقة وإخضاع حركتها وسكناتها لحكم الله، وإلا جرته من القمة إلى الحضيض ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴾(**التين: ٤، ٥**).

وليس معنى هذا الرد أنه تحول إلى مسخ ذميم بعدما كان في ذروة الحسن! كلا.. المعنى أن إمكانات الهبوط جاورت معاني الرفعة في نفسه، وأنه يستطيع التحليق والإسفاف معًا وذاك سر الاستثناء بعد ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾(**التين**: ٦)، أي سوف يبقى قوامهم حسنًا ماديًا ومعنويًا!

وجاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تقرر الطبائع الرديئة التي ينبغي الخلاص منها، فالإنسان أناني يحب نفسه وحسب، وقد تكون محبة النفس أصلًا في استبقاء الحياة، ولكن هذه المحبة تتحول إلى مرض خطير، يورث الشره، والطمع، والبغي، واجتياح الحقوق بنزق، وقد ذكر القرآن أن هذه الأثرة لا يطفئها الغنى مهما اتسع ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ (**الإسراء**: ١٠٠)، والإنسان نسّاء أو غافل، وقد يكون هذا أو ذاك أصلا في استبقاء الحياة، فلو استصحب المرء حزنه إلى الأبد على ما فقد ما صلحت الدنيا.

ولكن هذا الذهول قد يكون جرثومة الكنود ونكران الجميل ونسيان الرب وما أولى ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾(**الإسراء**: ٦٧)، ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴾ (**العاديات**: ٦، ٧) والإنسان الذي يحلو له أحيانا أن يفخر، ويتطاول، وينظر إلى السماء بقلة اكتراث تذله علة في أي مكان من جسمه أو تزله غلطة في أي وقت من تفكيره مهما كان عبقريا ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ (**النساء**: ٢٨)، والإنسان محتال كبير في الدفاع عن نفسه والتماس الأعذار لأخطائه وعد ما يقع منه وجهة نظر مقبولة أو مغفورة ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾(**الكهف**: ٥٤).

وهذه الطبائع جميعًا مزالق لمن يسترسل معها، وقد نبه القرآن الكريم إلى أمراض شتى تعتري النفس، فالإنسان قد يبطر مع الغنى، ويطغى مع السلطة، ويقنط مع الفشل، وقد يستحلي من شهوات النساء، والرياء، والاستعلاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما يحيله إلى عبد لنفسه وهواه، ولكن الفكاك من هذه الآثام كلها ميسور، فإن القرآن الكريم لما خوف عواقب هذه الانحرافات الإنسانية ذكر أسباب النجاة منها، ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (**العصر: ١، ٢، ٣**)، وما أجملته سورة العصر من وصف للداء والدواء، فصلته سور أخرى، نختار منها سورة المعارج التي أسندت للإنسان هذه الخلال ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾(**المعارج: ١٩، ٢٠، ٢١**)، لكن الإنسان يبرأ من هذه العلل إذا قام بجملة العبادات المفروضة.

ونتساءل: هل هذه العبادات «مصل» واق، أم شفاء من أمراض توجد وتتجدد؟ قد يكون هذا أو ذاك! ولنتدبر أولًا الاستثناء الذي تضمنته السورة الكريمة ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ (**المعارج: من ٢٢ إلى ٣٥**).

لا شك أن هذه العبادات مجتمعة تنشئ إنسانًا كاملا، شريطة أن تؤدى أداء حقيقيا لا أداء تمثيليا! وأحب أن أقف عند واحدة من هذه العبادات لأتأملها وأتعرف على آثارها النفسية، وهي قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾. إن الإنسان المسلم يجب أن يكون مستعدا دائمًا لأداء الشهادة على وجهها، ليحق الحق، ويبطل الباطل، ويدعم العدالة. والقيام بالشهادة يتطلب صراحة لا تخاف في الله لومة لائم، ذلك أن الحق يختنق في هذه الدنيا وسط دخان الشهوات المتصاعد من هنا ومن هناك. والمرء ينكل عن الإدلاء بالرأي الصحيح والقول الصحيح، لأنه يخشى على مستقبله مثلا، أو يريد محاباة قريب، أو يطمع في مال، أو يتطلع إلى منصب، إنه لا يستبين وجه الله من غلظ الحجب على بصيرته! والمجتمع الإسلامي يسقط مع اختفاء الذين هم بشهاداتهم قائمون. وكم رأينا من أناس قدموا وحقهم التأخير، أو أخروا وحقهم التقديم، لأن المؤمنين ليسوا بشهاداتهم قائمين، ربما سكتوا أو قالوا فلم يعدلوا!

ولقد عرفت لماذا سبقت بعض المجتمعات سبقا بعيدًا، عندما قرأت أن زوج الملكة في هولندا عزل وجرد من أوسمته، لما كشفت صلته بقضية رشوة، وأن رئيس وزراء اليابان عزل ورمي به في السجن للتهمة نفسها!

إن القيام بالشهادة يعني ألا نترك صاحب حق مستوحشا في هذه الدنيا لا صديق له ولا ظهير، والشهادة بداهة ليست ما يقال أمام المحاكم فقط، بل ما يقال في كل خلاف أو مشورة أو اختيار أو انتخاب أو أي شأن ذي بال. والقائم بالشهادة رجل أسلم لله وجهه وقرر أن يحيا للحق وحده! وقد تتشابك في نفس الإنسان عدة طباع مثل تشهي الحياة، وتعجل النتائج، وغلبة الأثرة، فيصدر أحكاما خاطئة على ما يصيبه من خير أو شر، وتستبد به المبالغة فتجمح به مشاعره نحو نفسه ونحو الناس، وفي هذا يقول جل شأنه ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١ ﴾**(هود: ٩، ١٠، ١١)**، في هذه الآيات صورة الإنسان الذي

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تستبد به الساعة الحاضرة وحدها، فهو عند فقد ما يسر منهزم كسير من شدة القنوط، وعند وجدانه ينتشى ويغتر من شدة الفرح، وكان يجب أن يتمالك نفسه في الحالتين وينظر إلى أصابع القدر وراء ما يمسه فيستكين لله ويؤدي ما عليه بتعقل.. ثم ينضم إلى هذا الإحساس المعتدل شعور آخر أساسه أن ما يناله من خير ليس تمتيعا له وحده، فإن للمحرومين سهمًا فيما جاءه، وقد يكون سهما كبيرا ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ١٥-٢٠)، وأن الفقر ابتلاء، ومن الخطأ تصور الإغناء تكريما والإفقار إهانة.. العبرة بالنتائج، فإن الذي يستعف في فقره أسبق عند الله وأرجح في الميزان من الذي يطغى بغناه.

والذي يمنح الثراء فيفتح أبوابه لليتيم والمسكين ويسارع بالبذل في مواطن النفقة هو الإنسان الناجح في الامتحان، السابق في الميدان.. لكن البشر- للأسف- يحسبون العطاء تدليلًا لأشخاصهم، والحرمان إهانة وإذلالا.. وذلك خطأ بالغ في فهم الدين والدنيا.. وعندما خال الناس أن الغنى تكريم ذاتي لبعض الأفراد والأسر، وأن الفقر هوان ذاتي قصده الله لبعض الأفراد والأسر، عندما شاع ذلك انفجرت براكين الأحقاد ضد أصحاب الثروات، وانفجرت معها عواصف الإلحاد والكفر، وتعرض مستقبل الإنسانية كلها للبوار، وهل انتشرت الشيوعية إلا في هذا الجو؟

إن العبادة هي السلم الفذ الذي تصعد فيه النفس الإنسانية إلى الكمال المنشود. يجب على الإنسان أن يعرف ربه، وأن يقف في ساحته عبدا نقيا من الآفات والعاهات، إن آدم لما نسي وضعف، أضحى دون مستوى الجنة فأخرج منها. ولن يعود أبناؤه إلى الجنة وهم يحملون أوزار النسيان والضعف،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا بد من إيمان واضح، وعمل صالح وفي طول القرآن وعرضه توكيد لهذه الحقيقة التي حاول كثيرون الزوغان منها..

ونعود إلى الخاصة الأولى في تكوين آدم وبنيه، خاصة العقل العالم بالأشياء الخبير بالحقائق والأسماء، إن الإنسان المكلف بعبادة الله لا يعبده بشبحه المحدود، وجسمه المادي القاصر! إنما يعبده بتطويع طاقاته كلها لله. إنه يضع بصماته المؤمنة على الأرض حتى إذا سجد، سجد معه زرعها وضرعها وحديدها وذهبها وكل ما ملك وارتفق!

وأرى أن ذا القرنين عندما ساوى بين الصدفين، وذوب الحديد والنحاس داخل سلسلة من القلاع التي تحمي الضعاف وتذود الطغاة- أرى أنه أحق الحق، وأبطل الباطل، لا بالكلام وحده، ولكن بجعل الأرض ومعالمها ومعادنها تؤدي وظيفته، وتحمل طابعه، وكأنها امتداد لنبض قلبه وبطش يده، وهل ملك الله الأرض للإنسان إلا لهذا؟

عندما تعطي خادمك أسباب الزينة والوجاهة، فيجيئك أشعث أغبر، فأنت تضيق به، والعباد الجهلة بالحياة، الغرباء في الكون، سوأة زرية، وجهل أو تمرد على الخلافة الإنسانية في العالم، ونحن المسلمين سنحاسب حسابًا عسيرًا على تخلفنا الفاضح في العلوم الطبيعية، ربما احتاج الإنسان كي يصلي إلى مساحة من الأرض لا تعدو ذراعًا في ذراع، ولكنه كي يدفع العدوان عن هذا المسجد الضئيل، يحتاج إلى معرفة تمتد من الأرض إلى المريخ، بل إلى الشمس، معرفة في هذا العصر تهيمن على ما في الأرض وما فوق الثرى، وتخترق طباق الجو متحسسة آفاقًا بعد آفاق من أغوار الكون البعيد.

كتب الدكتور فاروق الباز الخبير في غزو الفضاء عن حاجة العرب إلى «متنقل فضائي» يستعينون به على اكتشاف أرضهم، وما أودع فيها من خيرات، وأهاب بالحكومات العربية أن تمول هذا المشروع، قال: «ليس من المستبعد في نظري أن تخطو دولة عربية هذه الخطوة فتحقق ما فيه الخير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للعالم العربي كله، نحن نعلم أن الصحراء تكون ٩٦٪ من جملة الأراضي العربية ولا بد من الانتفاع بجزء كبير من هذه الصحراء، إلى جانب دراستها دراسة علمية صحيحة، فنحن لا نعلم عن الصحراء إلا قليلًا، وربما كان سبب هذا أن علماء الغرب لم يهتموا لقلة الصحاري في بلادهم، ولصعوبة التنقل في صحرائنا الشاسعة!

ويلزم العلماء العرب أن يدرسوا الصحراء وتضاريسها وتراكيبها، دراسة تفصيلية لأن البادية منبع كل ما هو عربي.. والصحراء تحيط بالعرب من كل ناحية، يتضح هذا لرواد الفضاء في المدار الأرضي وضوحًا تاما حتى إن رواد القمر كانوا يتعجبون لظهور الصحراء العربية في صورهم الملتقطة كتلة واحدة على بعد أربعة ملايين كيلومتر».

قال: «وتعتبر الصحراء خزانا عظيم الشأن للنفط وللمياه الجوفية، ويصلح بعض أجزائها للزراعة المثمرة، وأهم من ذلك كله أن الصحراء خزان عظيم لطاقة لا نهاية لها هي الطاقة الشمسية، ولذلك يجب أن تشمل دراسة الصحراء العربية تحديد أصلح الأماكن لأبحاث الطاقة الشمسية، وطرق الإفادة منها ومن الناحية الاجتماعية يجب أن تشمل الدراسة التعرف على الأماكن المختارة لمعيشة الإنسان، وإنشاء المدن الكبيرة والصغيرة وطرق المواصلات ومنتجعات السياحة والترفيه، وتحديد بنية الخضرة في الصحراء لاستغلالها، ومعرفة المؤثرات المختلفة على حياة البدو، إلى غير ذلك مما يجعل الصحراء بقاعًا لائقة للعيش الكريم».

قال: «وينجح هذا العمل إذا تم على مستوى عربي جماعي! فالصحراء العربية برغم ترامي أطرافها، إقليم واحد، له ميزات ومعالم جغرافية واحدة، ولا صلة لهذه الوحدة بالحدود السياسية الوهمية بين الدولة وخطوط الشتات التي مزقت الكيان الواحد».

قال: «وأما المطلوب لدراسة الصحراء على المدار الأرضي، فهو في اعتقادي قمر صناعي يرحل إلى الفضاء (المتنقل الفضائي) الذي سبق

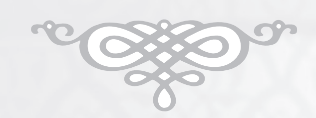
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للدكتور الباز اقتراحه- ويرجع صوره الملتقطة إلى الأرض رواد الفضاء المختارون، وذلك بين آونة وأخرى! ويكون هذا القمر عربيا في أغلب نواحيه، يختار مكوناته علماء يقومون بتشغيله، وتدرس المعلومات المرسلة في عدة معاهد عربية أو في مركز عربي موحد تشترك فيه الدول العربية كلها».

قال: وكنموذج للمكونات التي يجب أن يشتمل عليها القمر الصناعي العربي ينبغي وجود عدة كاميرات أهمها كاميرا للتصوير الطبوغرافي، وكاميرا للتصوير الدقيق أي بانورامية وكاميرا لأخذ الصور المتعددة الأطياف، على نمط أجهزة لاندسات، بل أكثر دقة وأقل تعقيدًا. الكاميرات الطبوغرافية تلزم لأخذ الصور المطلوبة لخرائط على مقياس ١:١٥٠٠٠٠ من ارتفاع ١٨٠ كيلومتر وطول عدسة هذه الكاميرا هو ٣٠٥ ملليمترات ومساحة الصورة الواحدة ٢٣×٤٦ سنتيمترا... الخ. إنني تعمدت هذا النقل ليعلم من يجهل أن دراسة الكون شيء مثير وخطير، ولا بد منه لدنيانا وديننا معًا، وأن هذه الدراسة برع فيها غيرنا ونبت لديه جيل من الرواد والباحثين العباقرة على حين تراجعنا نحن وراء وراء.

إن هذا التخلف إذا بقي فسوف تتلاشى عقائد الإيمان بالله واليوم الآخر، وينهزم التوحيد هزيمة نكراء.. وإنني لأصيح دون مواربة بأن هذا التخلف جريمة دينية لا تقل نكرا عن جرائم الربا والزنا والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وغير ذلك من الكبائر التي ألفنا الترهيب منها. بل لعلها أشنع وأوخم عقبى.

إن الجو الذي يحيا فيه قارئ القرآن يسع البر والبحر، والسماء والأرض، ويطلق الفكر سابحًا في ملكوت لا نهاية له. ويؤكد للإنسان أنه ملك يخدمه كل شيء فما الذي جعل الفكر الديني يعيش في قوقعة؟ إنني أحس فزعًا كبيرًا عندما أرى بعض المتصدرين في العلوم الدينية- هكذا يوصفون- يماري في دوران الأرض، أو ينكر وصول الإنسان إلى القمر! لماذا؟ لأنه يعيش في مغارة سحيقة، صنعها أشخاص قاصرون، لا يتصلون بحقيقة القرآن إلا كما يتصل القروي بعلوم الذرة.



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٤٧)

الكتاب والسنة معاً

العدد (١٨٥) جمادي الأولى (١٤٠٠هـ) مارس (١٩٨٠م)

لا يعرف التاريخ إلا قرآنا واحدًا منشور النسخ بين جماهير المسلمين من ليلة القدر الأولى إلى يوم الناس هذا، ولم يحدث خلاف على هذه الحقيقة خلال أربعة عشر قرنًا مضت، فكتاب المسلمين واحد وقد حاول بعض المستشرقين الصغار أن يختلق ريبة حول ذلك فزعم أن عند الشيعة مصحفًا آخر، وهو زعم ساقط كان أقل من أن نثبته هنا، ولكنا ترخصنا في ذكره ليعلم من يجهل أن القرآن الذي يحفظه جميع المسلمين ويحتفظون بنسخه في بيوتهم واحد! واحد!.

ولم يؤثر عن شيعي أو سني أو خارجي أو صوفي أن لديه قرآنًا آخر غير هذا الكتاب الفذ، إن المصحف يطبع في القاهرة فيقتنيه مسلمو إيران والهند من الشيعة دون أي تردد عالمين بأن هذا هو الوحي الذي نزل على نبيهم.

وظاهر أن الأقدار ضاعفت أسباب الصيانة لهذا الكتاب حتى انفرد بهذه المكانة التي لم يظفر بها كتاب سماوي آخر.

ومع كثافة الأسانيد المتواترة التي دفعت بهذا الكتاب إلينا، فإن هناك نظرًا آخر جديراً بالاحترام كله، إن حديث القرآن عن الله ولقائه ومطالبه من عباده يعلو كثيرًا جدًّا عن نظيره في الكتب الأخرى.

فتالي القرآن يشعر بأن الله واحد، واسع، عظيم، أعلى، جدير بالحمد كله، والمجد كله، يستحيل أن ينسب إليه نقص أو يكون فوق كماله كمال.

وتالي العهد الجديد يشعر بأن الله تجسد وقتل في سياق غامض حافل بالمتناقضات، وفي التوراة كما سجلها العهد القديم لا توجد كلمة عن لقاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الله، ولا يوجد ذكر ليوم القيامة، الحديث كله عن الشعب المختار، وحقوقه في هذه الدنيا وواجباته تجاه رب إسرائيل! فأي تدين هذا؟

والحديث عن يوم القيامة في العهد الجديد إما أن يؤخذ عن طريق الرؤى في المنام، أو الإشارات الروحية ليوم الدينونة.

والبون بعيد بين هذا الأسلوب الخافت وبين الهدير الذي يسمع دويه في الوعد والوعيد، ومشاهد القيامة وصور الحساب والثواب والعقاب كما تكاثرت في سور القرآن.

والجانب الإنساني الحر ظاهر في القرآن الكريم، فأنت وحدك صانع مستقبلك، ومصور ملامحك، إن أحسنت لم يستطع أحد أن يعترض طريقك إلى الجنة.. وإن أسأت لم يستطع أحد أن ينقذك من النار ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ **(فصلت: ٤٦)** فلا وسطاء ولا شفعاء ولا قرابين على نحو ما تصور الوثنية أو على نحو ما تصور الأديان السماوية التي انحرفت.

والقرآن- بهذا الواقع المشرق- جدير أن يكون الصوت الفذ المنبعث من السماء، فلو لم تدعمه أسانيد التواتر الغنية السخية لقال العقل: ما يصح عن الله إلا هذا.

ومن هنا فنحن نوقن بأن القارات الخمس لا تحوي سجلًا للوحي الأعلى إلا في هذا الكتاب العزيز.

ومن هنا أيضًا جاء خلود الرسالة التي بقي مصدرها الأول خالدًا ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ **(فصلت: ٤٢)**.

وقد اتفق المسلمون على أن القرآن هو المصدر الأول لتعاليم الإسلام، والمعجزة الباقية أبد الدهر لنبيه عليه الصلاة والسلام، كما اتفقوا على أن

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السنة المطهرة هي مصدره الثاني، ونقف وقفة قصيرة أمام هذا المصدر.

تواجه السنة النبوية هجومًا شديدًا في هذه الأيام وهو هجوم خال من العلم ومن الإنصاف، وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعي الاكتفاء بالقرآن وحده.

ولو تم لهذه الجماعات ما تريد لأضاعت القرآن والسنة جميعًا، فإن القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله.

إن محاربة السنة لو قامت على أسس علمية لوجب ألا يدرس التاريخ في بلد ما، لماذا يقبل التاريخ- على أنه علم- وتهتم كل أمة به، مع أن طرق الإثبات فيه مساوية أو أقل من طرق الإثبات في الحديث النبوي؟

وأمر آخر نحب أن نثيره، لماذا تدرس سير العظماء وكلماتهم وتعرض للتأسي والإعجاب ويحرم من ذلك الحق رسل الله، وفي صدارتهم سيد أولئك الرسل مروءة وشرفًا، وبيانًا، وأدبًا، وجهادًا، وإخلاصًا؟

إن بعض البله يتصور الأنبياء أبواقًا لأمين الوحي، يرددون ما يلقيه إليهم، فإذا انصرف عنهم هبطوا إلى مستوى الدهماء، وخبا نورهم.

أي غفلة صغيرة في هذا التصور؟

إن الأنبياء رجال أكابر أكارم، مصطفون من بين الألوف المؤلفة لصفاء فطرتهم، وزكاة أفئدتهم، ونفاسة معادنهم.

والوحي الذي يمر بنفوسهم يتألق في جوانبهم ويتأنق في سيرهم ويضوع شذاه في إيمانهم وصلاحهم، فإذا لم يكن هؤلاء قدوة فمن القدوة؟

الأدباء القوالون وحسب؟ الساسة الماكرون وحسب؟ القادة السفاحون وحسب؟ ما أغرب أحكام البشر!

إن الله في كتابه أحصى أسماء ثمانية عشر نبيًا من الهداة الأوائل ثم قال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للهادي الخاتم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾**(الأنعام: ٩٠)**.

فإذا برز للإنسانية إنسان كامل، التقت في سيرته شمائل النبوات كلها، وتفجرت الحكمة على لسانه كلمات جوامع، واستطاع- وهو الفرد المستوحش- أن يحشد من القوة ما يقمع كبرياء الجبابرة، ويكسر قيود الشعوب، ويوطئ الأكناف للحق المطارد.. إذا يسر الله للإنسانية هذا الإنسان العابد المجاهد الناصح المربي جاء غر يقول: لا نأخذ منه ولا نسمع له، ثم يستطرد مخفيًا غشه: حسبنا كتاب الله! وهل السنة الا امتداد لسناه، وتفسير لمعناه وتحقيق لأهدافه ووصاياه؟ على أننا نعتب على جماعات كثيرة تنتسب للسنة وتظهر التمسك بها، فإن مسلكها قد يكون من وراء انصراف بعض الناس عن السنن وشكهم في جدواها، ونأخذ على هذه الجماعات أمرين، أولهما أنها تخلط الصحيح بالسقيم، ولا تدري بدقة ما يقبل ويرد من المرويات.

وقد لاحظت عند تحديد الوضع الاجتماعي للمرأة أنه ما يجيء حديثان في قضية تتصل بها إلا أخر الصحيح وقدم الضعيف! فزيارة المرأة للقبور ترويها أحاديث صحيحة، ولكن بعض أهل العلم يقدمون عليها حديثًا ضعيفًا يلعن زائرات القبور.

ورؤية المرأة للرجال- مع غض البصر- ترويها أحاديث صحيحة ولكن بعض أهل العلم يطوون ما صح وينشرون آثارًا واهية أن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل! وقد وضعت تفاسير وذكرت مرويات لتقرير أن وجه المرأة عورة، وأن الإسفار عنه جريمة، وليس وراء هذا الزعم سنة صحيحة، ولا فقه قائم.

ولعل هذا القصور العلمي وراء الانهيار الاجتماعي أمام زحف المدنية الحديثة، خذ مثلا هذه القضية الاجتماعية الحساسة، قضية المهور، فإن الأحاديث الصحيحة وردت برفض المغالاة فيها.. روى مسلم عن أبي هريرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي على كم تزوجتها؟ فقال: على أربع أواق من فضة، فقال له النبي ﷺ على أربع أواق! كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل!»

وظاهر من تعليق الرسول أنه استكثر المهر.

والأصل في المهور التيسير، وسنته ﷺ في نسائه وفي بناته التيسير، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ولكن هذه الأحاديث الكثيرة طويت طيًّا وانهزمت أمام رواية جاءت أن امرأة جادلت عمر بن الخطاب في زيادة المهور وهزمته مستشهدة بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا﴾ (**النساء: ٢٠**).

وهذه الرواية لم تأت بسند صحيح، بل في رجالها انقطاع وضعف، ولو تجاوزنا ذلك- وما يجوز تجاوزه- فإن موضوع الآية ومعناها ليس محل الاستشهاد، إذ الآية في شخص يريد تبديل زوجة بأخرى ويريد أن يسترد من الزوجة المتروكة ما أعطاه إياها مهرًا فرفض القرآن هذا المسلك الصغير، وبيّن أنه ما يجوز أخذ شيء من المرأة المهجورة ولو أمهرها قنطارًا.

والعبارة تفيد المبالغة، ولو لم تفدها فالأمر يتصل بقضية أخرى غير إنشاء البيوت، وإعفاف الرجال والنساء، وإغلاق أبواب الحرام وتفتيح أبواب الحلال، وحماية الأمة من التسول الجنسي ومقاذر الانحراف.

وقد لاحظت أن هناك أحاديث ضعيفة تحكم المجتمعات الإسلامية وتهزم الأحاديث الصحيحة بل المتواترة، خذ مثلًا رفض صلاة النساء في المساجد، فقد فهم من أحاديث لم يروها رجال الصحيح ومع ذلك فقد أقر الرفض عمليًّا، وطويت الأحاديث المتواترة والصحيحة في هذه القضية المتصلة بأهم عبادات الإسلام، والتصرف في السنة بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون دينًا قويمًا ولا صراطًا مستقيمًا، أما الأمر الثاني الذي يؤخذ على المشتغلين بالسنن عمومًا فهو قصورهم الفقهي وليست لهم قدم راسخة في فقه الكتاب الكريم! مع أنه الأصل، كما أنهم يأخذون الأحاديث مقطوعة عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ملابساتها، ولا يضمون إليها ما ورد في موضوعها من مرويات أخرى قد تؤيدها وقد تردها.

خذ هذين المثلين مما عرض لي في القاهرة وأنا مهموم بقضايا الدعوة.

أولًا: وقف خطيب يدعي السلفية يروي للناس أن والد الرسول ﷺ في النار، وكان ذلك لمناسبة احتفال المسلمين بالمولد النبوي! وقلت للناس: هذا الحديث يخالف قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(**الإسراء: ١٥**) وقد ثبت أن جيل الرسول الكريم وصحابته كلهم لم يبعث أحد إلى آبائهم ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾(**يس: ٦**) ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(**السجدة: ٣**) ومعنى هذا أن عبدالله وأمثاله لا يعذبون، ولا يدخلون النار، ويكفي هذا الخلاف لنقض الحديث فهو علة تقدح في صحته.

وعلماء المصطلح يردون المتن إذا خالف ما هو أصح وأوثق.

وليس بعد حكم القرآن الكريم حكم، ولعل الراوي فهم أن تعذيب المشركين جميعًا هو الأساس، وأن استثناء أهل الفترة رحمة فوق العدل، فساق الحديث لتوكيد المعنى الأول.

وعلى أية حال فإن رواية هذا الحديث في خطبة جامعة وفي مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي جلافة وجهالة غليظتان.

ثانيا: وقال خطيب آخر يدعي التصوف: إن الله ليلة المعراج نزل لمحمد وأوحى إليه. وقلت للناس: ما روي في ذلك كان رؤيا منام، ومع ذلك فقد رفضه الحفاظ وردوه ردًّا شديدًا وعدوه من العثرات القليلة التي أخذت على راويه. وقد لاحظت أن المطابع وضعت في أيدي الجماهير نسخًا كثيرة من الموطأ ومن الصحيحين، وكثيرًا ما يقرأ العامة أحاديث فوق مستواهم،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والحديث إن لم يقدمه عالم فقيه، أو إذا لم يصحب بشرح يلقي ضوءًا كاشفًا على معناه، ربما كان مثار فتنة ولغط.. وكم من أنصاف متعلمين أساءوا إلى السنة بضعف الفقه وقصور البصر.. والخلاصة أن طاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله تبارك وتعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(**آل عمران: ١٣٢**) ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(**النساء: ٨٠**) وأن من زعم أن الرسول يجوز عصيانه فيما أمر به ونهى عنه فهو كافر باتفاق المسلمين.. وقد بذلت جهود لم يبذل مثلها في الوقوف على تراث بشر كي يعرف ماذا قال الرسول حقًا.. وانتهت هذه الجهود بجملة حقائق محترمة:

١ - إن في السنة ما هو متواتر لفظًا أو معنى، وهذا النوع من السنن يشبه القرآن الكريم فيما أتى به من أحكام، ولا يمكن رده، وهو كثير في التراث النبوي وعليه تقوم الكثرة الكاثرة من الأحكام المقررة، وليس بصحيح أن المتواتر في السنة ضيق النطاق، ربما كان ذلك فيما تواتر لفظه، أما ما تواتر معناه فهو أساس مقررات فقهية كثيرة والواقع أن أخبار الآحاد من الناحية العملية لا تشكل مساحة كبيرة من السلوك الإسلامي المهم، فإن ما لا بد منه تكفلت به نصوص ثابتة بيقين.

٢ - وجمهور الأمة يقبل سنن الآحاد ويعدها دليلًا على الحكم الشرعي الذي نتعبد الله بإقامته، ومن الناس من عد هذه السنن مفيدة لليقين الذي يفيده التواتر- ما دامت صحيحة- ولكن جمهور العلماء يقبل سنن الآحاد في الأحكام العملية والفروع الفقهية ولا ينقلها إلى ميدان العقيدة الذي يقوم الأمر فيه على القطع، ومعنى ذلك أن سنن الآحاد تفيد الظن العلمي وحسب.

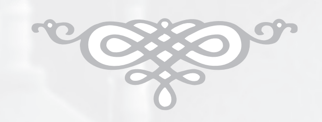
٣ - مع اتفاق الفقهاء على أن سنن الآحاد قرينة مقبولة في إفادة الحكم الشرعي فإن عددًا من الأئمة يتجاوز هذه السنن إذا كانت هناك قرينة أقوى منها في إفادة حكم الله، «فمالك» مثلًا يرى عمل أهل المدينة أدل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على السنة النبوية من حديث الآحاد مهما كانت صحته، و«الأحناف» يرون أن حديث الآحاد لا ينهض على إثبات الفرضية وحده، ولا ينهض كذلك على إثبات الحرمة ولكنه يثبت أحكامًا أقل رتبة.. وغالى بعضهم فجعل القياس القطعي أرجح من سنن الآحاد.

ودراسة السنة علم له رجاله الخبراء، ولا يقبل في هذا الميدان ما يرسله السفهاء من أحكام طائشة تجعل التطويح بالسنة الشريفة أمرًا جائزًا أو تجعل تكذيب حديث ما هوى مطاعًا.

إنه لا فقه بغير سنة ولا سنة بغير فقه، وقوام الإسلام بركنيه كليهما من كتاب وسنة وفي ذلك يقول الأستاذ الإمام حسن البنا: «القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولاتعسف ويرجع في فهم السنة إلى رجال الحديث الثقات».



https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

(٤٨)

حوار جاد حول التقليد والاجتهاد

العدد (١٨٧) رجب (١٤٠٠هـ) مايو (١٩٨٠م)

أحب للمتحدثين في الإسلام- وأنا منهم- أن يرزقوا سعة العلم وعمق الفقه، إن فقر العلم كفقر الدم لا يعين على نشاط ولا يجود معه إنتاج، وغزارة العلم مع ضحالة الفقه تضليل للسعي وضياع للثمرة.

وكثيرًا ما أستشعر الضيق في مواجهة صنفين من الناس، صنف حار العاطفة قليل الدراية، وصنف ظاهر الجحود لأنه لا يدري شيئًا، أو يدري الأمور على نحو بعيد عن الحقيقة.

وعصرنا هذا عصر حضارة ذكية الفكر عارمة الهوى.. وليس يجدي في تقويمها إلا أصحاب بصائر نيرة، وقلوب عامرة، لهم من رحابة الاطلاع والأفق ما يسدد حكمهم ويقنع خصمهم.

وقد آلت إلينا في هذا العصر مواريث عقلية ونقلية ضخمة، تمثل جهد آبائنا في خدمة الإسلام وعلومه، كما أن غيرنا لديه أشياء كثيرة يستريح إليها ولا يتنازل عنها بسهولة.. ترى هل أحسنا الإفادة مما ورثنا؟

ثم هل عرضناه- بعد- العرض الذي يهيئ له القبول؟ رأيي لا، وبيننا وبين الخدمة الناجحة للإسلام أمد بعيد.

وسأسوق بعض المجادلات التي دارت بيني وبين قوم يشتغلون بالقضايا الفقهية لعل في سوقها ما يكشف الغاية التي أريد..

حدث في مدينة الإسكندرية أن قتل رجل ولديه، ويظهر أنه فعل ذلك إسقاطًا لنفقتهما، بعدما طلق أمهما! وحكم القضاء الوضعي بإعدام الرجل، وأحال أوراقه إلى المفتي للتصديق.. ورفض المفتي التصديق على الحكم،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لأن الشريعة تأبى ذلك، ولكن القضاء الوضعي مضى في طريقه وقتل الأب القاتل..

وثار لغط كثير حول القانون والشريعة في هذه القضية الشاذة.. وقال لي أحد الناس: لماذا تصمت في هذا الموضوع؟ قلت: إن هواي مع الإمام مالك في القصاص من هذا الأب المجرم! قال: إن المفتي ذكر في اعتراضه الحديث الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لايقتل الوالد بالولد» قلت: هذه هي القاعدة، والآباء يشقون ليسعد أبناؤهم، بل قد يموتون في سبيلهم، فإذا حدث أن غلبت على الوالد نزوة غضب أو ساعة طيش فقتل ابنه، عوقب بغير القتل، لأن ما وقع منه لا يتصور- غالبًا- أن يكون تعمد إهلاك، أو قصدا واعيا لإزهاق روح أعز الناس عليه.. فإذا تبين من التحقيق أن الأب شاذ، وأنه تعمد ذبح ابنه عن إصرار وروية، وجب القصاص.

وقاتل ابنيه في قضية الإسكندرية الآنفة استدرجهما ثم حملهما إلى أعماق البحر المتوسط، بعيدًا عن الشاطئ، ورمي بهما بين الأمواج، وعاد ليفر من أداء النفقة الواجبة لمطلقته ولهما معها!

إن الإمام مالكًا يحكم بالقصاص منه، ويحمل الحديث على صور القتل العارضة، التي لا تحمل طابع التعمد والعدوان الدنيء!

قال لي صاحبي: إن غبارًا لحق بسمعة الشريعة في هذه القضية، أما كان ينبغي على المفتي أن يرى رأي مالك في هذا الحدث؟

قلت: إنه حنفي المذهب، وله وجهة نظره، ولكن أبا حنيفة في بعض قضايا القتل رجح ظاهر القرآن على نصوص السنة، وقضى بقتل المسلم بالكافر إعمالًا لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾(المائدة: ٤٥) وحمل الحديث الذي يفيد عدم قتل المسلم بالكافر بأنه يعني كافرًا لا عهد له ولا ذمة ولا أمان! أما من عاش في ذمة المسلمين فلا يهدر دمه ويجب الاقتصاص له!

وقد كان المفتي قادرًا على تقليد مالك أو التمشي مع منطق الأحناف إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نهاية الطريق وهو منطق يرجح القصاص من الأصل في عدوانه على الفرع، لأن وجهة نظرهم تقديم ظاهر القرآن على حديث الآحاد..

والطريف أن الأحناف والمالكية اتفقوا في قضية مسترق النظر، ورأوا أن ما جاء بها من سنن هو للإرهاب والتغليظ وحسب!

إن بعض الناس قد يضع عينه في ثقب باب مثلًا ليطلع على عورات البيت ويستكشف محارمه، وهذا بلا ريب سلوك دنيء، وقد حذر النبي ﷺ منه، وبين أن رب البيت لو فقأ عين هذا المتلصص ما كان عليه من بأس!

وفي ذلك روى أحمد والنسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فلا دية له ولا قصاص".

وبظاهر الحديث أخذ الحنابلة والشافعية، أما أبوحنيفة ومالك فحملوا الحديث على الترهيب وإشعار سارق النظرات أنه يفعل ما يهدر حقه وكرامته، قالوا: لأن الأخذ بالظاهر يخالف الأصول العامة، إذ إن هذا المرء لو اقتحم البيت، وارتكب جريمة الزنى- وهو بكر- أو ارتكب من المنكر ما دون الزنى وهو متزوج، ما فقئت عينه شرعا. بل يجلد أو يعزر حسب حالته فكيف يكون المراد فقء عينه على الحقيقة، وممَ يقتص منه؟ يمكن تأديبه بعقاب مناسب، وإذا حدث أن فقأ عينه رب البيت لزمه تعويض عن العاهة التي أحدثها.

والمفهوم من كلام الأحناف والمالكية أن صاحب البيت الذي دافع عن محارمه يعذر فلا يقتص منه! ولكنه يؤاخذ فيحكم عليه بغرم مالي!

قال لي محدثي: وماذا تقول أنت في هذا الخلاف؟ قلت: لم أكوّن رأيا مكتملًا فيه! ولا أستطيع الآن ترجيح رأي على آخر! أنا قصدت فقط استعراض وجهات النظر في فقهنا الإسلامي.. وكان بجانبنا شاب يكاد يتميز من الغيظ، فعندما وصل الكلام إلى هذه المرحلة صاح يقول: تفاضلون بين أقوال الرجال وسنة رسول الله، وتتناولون الأحاديث الصحيحة بهذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأسلوب السيئ، إن هذا عمل يكاد ينتهي بأصحابه إلى الكفر! هذا تقديم بين يدي الله ورسوله! هذا ... قلت للشاب الهائج: على رسلك.. إنك قبل أن تخوض في هذه الأمور باسم السلف يجب أن تستجمع خصلتين مهمتين، أدب النفس وحسن الفقه.. ولن نقبل ممن فقد الأدب والفقه كلامًا في هذه القضايا.

أما الأدب فأساسه ألا نلتمس للبرآء العيب، وألا نتشهى إلصاق التهم بالناس، وإذا غلبنا سوء الظن بالآخرين استغفرنا الله للمخطئ كما نستغفر لأنفسنا.. عندما اختلف الصحابة السائرون إلى بني قريظة أيصلون العصر في بني قريظة كما أمرهم الرسول بذلك صراحة، أم يرعون حق الوقت ويصلون في الطريق كما فهم غيرهم، لم يقل الأولون للآخرين: خالفتم أمر رسول الله وكرهتم تنفيذه لأنكم أصحاب أهواء ولأنكم... لم يقولوا لإخوانهم كلمة سوء، ولما بلغ الأمر الرسول ﷺ لم يلم أحدا أو يخطئه، ووقف الكل جبهة واحدة ضد اليهود!

إن أدب الإسلام كان صبغة عامة، ولو كنت- والخطاب للشاب الهائج - أنت وأمثالك في هذ الميدان لصنعتم مأساة في الطريق، وربما سفكتم الدم الحرام.. ولندع الكلام عن أدب النفس واللسان لنرى فقه الموضوع الذي يفوت القاصرين.

قال الإمام ابن تيمية: في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه عام الخندق «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، فأدركتهم صلاة العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي إلا في بني قريظة، وقال بعضهم: لم يرد منا هذا.. وصلوا في الطريق.. فلم يعب الرسول- لما بلغه الخلاف- واحدة من الطائفتين.

قال ابن تيمية يشرح فقه القضية: الأولون تمسكوا بعموم الخطاب فجعلوا صورة الفوات داخلة في العموم- يعني أنهم رأوا إضاعة وقت العصر من مفهوم النص النبوي،- والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الصورة عن العموم إذ المقصود المبادرة إلى اللحاق باليهود قبل أن يتهيئوا للقتال.

وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلافًا مشهورًا: هل يخص العموم بالقياس أم لا؟ قال ابن تيمية: ومع هذا فالذين صلوا في الطريق كانوا أصوب فعلا! هكذا يقول كبير العلماء السلفيين في العصور الأخيرة.

ولست هنا أرجح رأيا على رأي، وإنما يعنيني أن يتأدب ويتفقه من يخوضون في هذه القضايا وأشباهها ثم ليختلفوا نظريًا ما شاءوا.

أما أن يتهجم نفر من الطلاب، أو بعض البوابين والبقالين، على الأئمة الكبار، وينالوا من قيمهم الدينية والعلمية فهذا سفه منكور..

إن جعل أمتنا بلا تاريخ ولا قادة عمل أخرق.. وتقدير الرجال الذين خدموا الثقافة الإسلامية لا يعني نسبة العصمة لأحدهم كما أن نقدهم ليس كلأ مباحا لكل من فك الخط، أو حفظ جملًا من الأحاديث أو حتى حفظ ألوفًا من السنن.. إن نقد الأئمة لا يتصدى له إلا من قارب مستواهم على الأقل.. وكان نقده بيانًا للحق كما وقر في نفسه دون أن يجعل الحق حكرًا على فهمه هو، ودون أن يحرم عباد الله الصالحين أجورهم على ما اجتهدوا، أخطأوا أم أصابوا.

قال محدثي: قد يكون الحق معك بيد أننا ينبغي أن نرفق بمن يرفضون تقليد الأئمة، ويعتمدون على أنفسهم في فقه الكتاب والسنة..

قلت: إنني لا أتعصب لمذهب معين! ولكني أحترم القيمة العلمية للفقه المذهبي، وأقدر الرجال الكبار الذين تناقلوه في تاريخنا الثقافي، وأرد الزعم الغريب بأنه قسيم لفقه السنة وأن كلا الطرفين بعيد عن الآخر.

كأن المحدثين ألصق برسول الله وأغير على سنته وكأن الأئمة الأعلام بعداء عن السنة، يشقون لهم في ميدان المعرفة الدينية مجرى آخر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذا غير صحيح، وربما غاب عن أحدهم أو عن بعضهم حديث ما، فذاك لا يغض من جملة الحقائق التي قررها..

ثم إن إنشاء فقه جديد يستمد مباشرة من الكتاب والسنة- كما يقال- جهد لا نعترضه عند من تكتمل ثقافتهم وتنضج ملكاتهم، وليس لهؤلاء أن يعدوا أفهامهم هي مراد الله ورسوله فإنهم قد يوافقون أحكامًا سبق أن قررها غيرهم من العلماء، وقد يقررون أحكامًا جديدة لا عصمة لها بداهة كما أنه لا عصمة لأقوال غيرهم..

وقد رأيت الحصيلة الأخيرة لجهود هؤلاء فوجدت تشكيلة من فقه المذاهب القديمة أساسها التلفيق، ورأيت أحكامًا جديدة يدعي من بلغوها أنها الدين وهي لا تزيد عن أنها آراء لأصحابها يؤجرون عليها إن شاء الله أصابوا أم أخطأوا!

مشكلة هؤلاء أنهم يفهمون في الأثر المروي فهمًا ما، فإذا خالفهم غيرهم قالوا: خالف الرسول ﷺ. لا، يا قوم إنه خالف فهمكم لمروياته وقد يكون فهمكم شرا مستطيرا على السنة وصاحبها، والدين ومستقبله، فمن حق أولي الألباب أن يأخذوا على أيديكم ويحذروا الناس منكم!

قال لي صاحبي: أوضح لنا ما تقول: قلت: ألف بعضهم رسالة يزعم فيها أن شن الحرب على الأعداء يتم دون دعوة إلى الإسلام، واستند إلى فهمه المنكور لحديث البخاري أن الرسول ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون، أي اجتاح أرضهم على غرة، وأن الدعوة إلى الإسلام كانت في صدر الإسلام.. ثم أصبح المسلمون قطاع طريق عند هذا الأحمق الذي يدعي أنه يقرر فقه السلف.. أصبحوا يغيرون على أعدائهم هكذا دون نذير.

والحقيقة أنه ﷺ دعا وتريث وأمل الخير في الناس، فلما وجدهم جمعوا الجموع لقتاله لم ينتظر حتى يستكملوا عدتهم فأخذهم على غرة!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأخذ بعضهم ينشر أن الزكاة لا تؤخذ إلا من الحبوب التي تدخر، قلت له: إن أبا حنيفة يوجبها في الفواكه والموالح والأزهار والشاي والبن، وكل ما تنتج الأرض من قطن ومطاط وقصب... الخ.

قال: السنة ما نقول: وأبوحنيفة في ميدان السنة ليس بشيء!

قلت: السنة أن نترك زارع الشاي يكسب من فدانه ألف جنيه لا زكاة فيها، ونأخذ من زارع الشعير الذي لا يكسب من فدانه خمسين جنيهًا زكاة؟

قال: نعم هذه السنة.. قلت ساخرًا: بدعة أبي حنيفة خير من سنتكم، إنكم وبال على الإسلام بهذا الأسلوب.. إن أبا حنيفة اعتمد في مذهبه على قرآن محكم.. وربما ترك رسول الله ﷺ أخذ الزكاة من الفواكه لأنها في عهده أو في أرضه لا تمثل ثروة محترمة أما اليوم والحصائل الزراعية مال خطير فما يمكن تركها.. وأبوحنيفة أرعى للسنة منكم، وأدرى بملابسات الأحكام.

إنكم تحفظون مئات الأحاديث دون وعي، والقليل الذي حفظه أبوحنيفة أحسن الاستفادة منه.. هناك رجل يملك مائة بندقية ولا يحسن إصابة الهدف بواحدة منها، وربما أراد الضرب فقتل بريئًا، أو قتل نفسه.. خير منه من يملك بندقية واحدة يحسن استخدامها، ذاك مثلكم ومثل أبي حنيفة الذي تتطاولون عليه!

عندما كنت مديرًا للمساجد وصيت الخطباء فقلت: إذا رأيتم من دخل المسجد أثناء الخطبة يصلي ركعتي التحية فلا تجلسوه.. وإذا رأيتموه جلس دون صلاة فلا تنهضوه للصلاة.. قال لي أحدهم: السنة أن يقوم ليصلي ويلفته الإمام إلى ذلك!

قلت: ذاك ما رآه الإمام الشافعي وأحمد في الحديث المروي في هذه القضية.. أما الإمام مالك وأبوحنيفة فيقولان يجلس ليسمع الخطبة ولا ينشغل عنها بشيء!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقول مالك هكذا وجدنا الناس يفعلون في المسجد النبوي! متوارثين ذلك عن الصحابة والتابعين، فعملهم أدل على السنة من حديث البدوي الذي صح أن الرسول أمره بالصلاة، لعل هذا الأمر كان ثم نسخ!

وقال أبوحنيفة تلك وقعة حال، كان الرجل فقيرًا يرتدي أسمالا بالية فاستوقفه الرسول وحث على الصدقة ليستدر العطف عليه، والأصل أن الخطيب يتحدث ليستمع الجميع إليه لا ليشتغل الداخلون عنه بالصلاة.

قال لي محدثي: إن ظاهر الحديث مع أحمد والشافعي، قلت: نعم وظاهر الحديث مع السائرين إلى قريظة ألا يصلوا في الطريق! ومع ذلك فإن ابن تيمية رجح الصلاة في الطريق..

ونحن في توصيتنا لعلماء المساجد نرفض التعصب المذهبي ونمنع فتنا سخيفة، من تابع أبا حنيفة ومالكا فليتبعهما، ومن تابع الشافعي وأحمد فليتبعهما!

وما زلت أوصي الخطباء بذلك وأرفض الزعم بأن نصف الأئمة خالف السنة الواردة، قد يكون خالف فهمنا للسنة الواردة وله حقه غير منكور، وللجميع أجرهم إن شاء الله وأخيرًا قلت لمحدثي: إن دقة الفقه لا تتاح لكل مسلم صالح، إنها هبة يؤتيها الله من شاء، أرأيت الخلاف الذي نشب بين عمر وبعض الصحابة حول الأقطار المفتوحة؟ كان هذا البعض يريد تخميسها وفق آية الأنفال، ولو استجاب عمر له لوقف الفتح الإسلامي وتحول الفاتحون إلى إقطاعيين وانهار بناء الإسلام.

لكن عمر رضي الله عنه جعل التخميس الذي نصت عليه الآية في الأمتعة والأسلحة والأغذية وشتى المنقولات المغنومة، أما الأرض المفتوحة فبقيت لأصحابها، ووضعت عليها ضرائب معقولة لمصلحة الدولة..

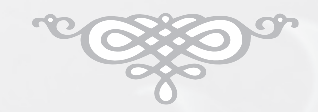
هذا هو الفقه وإن خالف ظاهر النص.. إننا لا نسمح أن يجيء نفر من الدهماء ليرفع خسيسته على حساب كبار الأئمة وعندما تختفي القمم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفقهية من تاريخنا خلال أربعة عشر قرنًا فمن يبرز بعد ذلك؟

أين الأدب الذي علمنا رسول الله ﷺ الأخذ به في قوله: "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه"؟

إن المجتهد- أخطأ أم أصاب - معذور ومأجور، فلم التطاول والإيذاء؟ ثم من ألزم الجماهير برأي معين لواحد من هؤلاء الأكابر؟ ليكن أفقنا واسعًا وخلقنا أوسع؟



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفِهرِس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إصــــدارات

مجلة الوعي الإسلامي

١- القدس في القلب والذاكرة.

٢- حقوق الإنسان في الإسلام.

٣- النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية.

٤- الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.

٥- المجموعة القصصية الأولى للأطفال.

٦- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.

٧- الحج ولادة جديدة.

٨- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد.

٩- لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

١٠- المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.

١١- التجديد في التفسير... نظرة في المفهوم والضوابط.

١٢- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.

١٣- رياض الأفهم شرح عمدة الأحكام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

مقالات العلامة

الشيخ عبد العزيز بن باز

في مجلة الوعي الإسلامي

مقالات حصرية نشرت في المجلة

ما بين ١٣٨٩-١٤٠٣هـ للشيخ ابن باز المتوفى سنة ١٤٢٠هـ



الإصدار الثالث عشر
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تصدير

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ، ووهب له العقل ليعقل عن ربه ما شرعه وأبان ، وأنزل القرآن تبصرة للعقول والأذهان ، أحمده حمدًا يملأ الميزان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل يوم هو في شأن ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى الناس كافة بالدليل والبرهان ، اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فإن الله ، سبحانه وتعالى ، قد أعزّ العلم والعلماء ، وشرّفهم في الأرض والسماء ، وهم في الناس كالنجوم ، يهتدون بها في البر والبحر ، وإن العالم يستغفر له ما في السموات وما في الأرض ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم قدوة الأتقياء ، بل هم صفوة الأولياء ، وهم واسطة بين الله تعالى وبين بريته ، فإن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العالم قائم في الأمة مقام الأنبياء ، وهو سراج الأمة وضياؤها بلا مراء ، يبين لهم الأحكام ، ويفرِّق لهم الحلال من الحرام ، ويخرجهم بفتواه من الآثام ، ويوضح لهم شرائع الإسلام ، فيا له من شرف ما أعلاه ، ومن عزٍّ ومنصبٍ ما أسماه ، وما أخطره على من لم يتحرّ في فتواه ، ولم يراقب في علمه وعمله مولاه !

فالعلماء سُرُج الأرض ، وكل عالم مصباح زمانه ، يستضيء به أهل زمانه وعصره ،

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها
متى يمت عالم منها يمت طرفُ

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها
وإن نأى عاد في أكنافها التلف

قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد: ٤١].

أي موت علمائها وفقهائها ، فإن بهم صلاح الدين ، وقمع المعتدين ، ومعرفة رب العالمين ، ومن أعلام هذا العصر العلامة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ت :١٤٢٠هـ) رحمه الله وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه ، وقد نفع الله بعلمه ، وانتشرت كتبه في أصقاع المعمورة ، وهو كما وصفه العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله : «لا يوجد له مثيل في تصديه لنفع الناس ودعوتهم وإرشادهم» [مجموع الفوائد لابن سعدي] ، لكن علم الشيخ رحمه الله تعالى المحفوظ في الصدور والمسطور في الأوراق بحاجة إلى العناية والرعاية حتى ينتفع به طلاب العلم ، ومن هذه العلوم والكتب ما كتبه الشيخ وخصّ به مجلة «الوعي الإسلامي» ما بين عامَي (١٣٨٩-١٤٠٣هـ) ، فكان منه هذا الديوان البديع النافع الذي هو حلقة في سلسلة التراث العلمي لمواصلة العمل الجاد لتحقيق وتوثيق ثروة العلماء ليُنتفع بها بعد موتهم وتُخلد ذكراهم .

وهذه المقالات التي بين يديك ما هي إلا نموذج على الهمة العالية ، وما كان عليه أولئك الجلة من كريم الأخلاق وجميل الصفات .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الختام لا يفوتني أن أشكر من ساهم في طبع هذا الكتاب ، وأخص بالذكر الأستاذ/ تركي محمد النصر على ما قام به من الإعداد والترجمة والمتابعة ، فجزاه الله خير الجزاء .

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين النفع العميم ، كما أسأله تعالى أن يجعله سببًا لفوزي ووالديّ ومشايخي ومن يسعى في طبعه ونشره بالدرجات العلا في دار النعيم .

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

الكويت - ١/رمضان/١٤٣١هـ -الموافق- ١١/٨/٢٠١٠م

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن باز

اسمه ونسبه ومولده

هو أبو عبدالله ، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن سعد آل باز ، ولد في الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ بمدينة الرياض ، في أسرة كريمة ترجع للأشراف من آل أبي نُمَيّ ، وظهر فيها بعض أهل العلم الذين تولوا القضاء والتدريس .

من أعيانهم : الشيخ عبدالمحسن بن أحمد بن باز (ت : ١٣٤٢هـ) ، وابنه مبارك(ت : ١٣٨٥هـ) ، وغيرهم .

وتوفي والده رحمه الله وهو في الثالثة من عمره ، تاركًا من الأولاد : عبدالرحمن ، ومحمد ، وعبدالعزيز (فضيلة الشيخ) .

تزوج الشيخ أربع زوجات ، وله من الأولاد :عبدالله ، وعبدالرحمن ، وأحمد ، وخالد . ومن البنات : سارة ، والجوهرة ، ومضاوي ، وهيا ، وهند ، ونوف .

نشأته

نشأ الشيخ رحمه الله أول عمره ضعيف الجسم ، ولم يستطع المشي إلا بعد بلوغه الثالثة من عمره ، وكان الشيخ في بداية حياته مبصرًا ، غير أنه فقد بصره لاحقًا فتأثرت له والدته كثيرًا ، ودعت له بأن يعوضه الله البصيرة بدل البصر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تولت والدته (هيا بنت عثمان بن عبدالله بن حُزَيْم ، ت : ١٣٥٦هـ) تربيته ، ودفعته مبكرًا لطلب العلم ، وكان فضلها بعد فضل الله عليه كبيرًا في التربية وغرس الصفات الحميدة في نفسه .

فقده البصر

كان الشيخ أول عمره مبصرًا ، ثم بدأ المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ ، ثم فقد بصره تمامًا عام ١٣٥٠هـ إثر عودته من الحج ، وحاول العلاج لكن قدر الله نافذ ، وعوّضه الله البصيرة والأجر إن شاء الله .

وكان الشيخ يقرأ ويكتب ويعلق على الكتب التي قرأها على المشايخ .

طلبه العلم

أتم سماحته حفظ القرآن الكريم وهو في السادسة عشر من عمره على الشيخ عبدالله بن مفيريج رحمه الله .

وبدأ رحمه الله يتلقى العلم مبكرًا سنة ١٣٤٤هـ ، وهو في سن الثالثة عشر من عمره بهمة عالية ، يدل على ذلك تنوع مشايخه ، وكثرة مقروءاته ومسموعاته ، فضلًا عن جودة تحصيله وحفظه لجملة طيبة من المتون في الفنون ، وكان إلى ذلك مسارعًا في الخيرات .

شيوخه

١ـ العلامة قاضي الرياض صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حسين بن محمد بن عبدالوهاب ، (ت : ١٣٧٢هـ) . قرأ عليه الشيخ ثلاثة الأصول ، وكتاب التوحيد ، وكشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وعمدة الحديث للشيخ عبدالغني المقدسي .

٢ـ الشيخ حمد بن فارس ،(ت : ١٣٥٤هـ) . قرأ عليه الشيخ في النحو من متن الآجرومية .

٣ـ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، (ت : ١٣٤٩هـ) . قرأ عليه الشيخ أبوابًا من كتاب التوحيد ، وكان ذلك برفقة زميليه الشيخين : عبدالله ابن محمد بن حميد رحمه الله ومحمد بن عبدالرحمن بن إسحاق آل الشيخ .

٤ـ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسين ابن الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، (ت : ١٣٦٧هـ) . قرأ عليه الشيخ كتاب التوحيد ، وغيره من الكتب الأخرى .

٥ـ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، (ت : ١٣٨٩هـ) حيث لازمه الشيخ حوالي عشر سنين ، ما بين عامي ١٣٤٧هـ و ١٣٥٧هـ ، في مسجده وبيته ، وتأثر به الشيخ كثيرًا ، وقال : «لقد أكرمني الله سبحانه وتفضل عليّ وله الحمد والمنّة بأن كنت من أخص تلاميذ شيخنا المذكور ، ولازمته عشر سنين . . . هو الذي علمنا وتخرجنا على يديه . . . كان من أعلم الناس في زمانه ، ومن أحسنهم تعليمًا وتفقيهًا وعناية بالطالب» وسمع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليه جميع العلوم الدينية من : عقيدة ، وتفسير ، وحديث ومصطلحه ، وفقه وأصوله ، ونحو وصرف .

ومن الكتب التي قرأها أو سمعها عليه : التوحيد ، وثلاثة الأصول ، وكشف الشبهات ، ومختصر السيرة ، وأصول الإيمان والإسلام ، والواسطية ، وبلوغ المرام ، وزاد المستقنع ، والرحبية ، والكتب الستة ، والآجرومية ، وقطر الندى ، وألفية ابن مالك ، وبعض المطولات ، وجملة من مدارج السالكين ، ومن معالم السنن للخطابي ، وعمدة الحديث ، وشرح نخبة الفكر ، والورقات ، والحموية ، وملحة الإعراب وغيرها .

زملاؤه

ومن زملائه ورفاقه في طلب العلم المشايخ : عبدالله بن بكر ، وعبدالله بن حميد ، وسليمان بن عبيد ، وعبدالله بن يوسف الوابل ، وسعود بن محمد الرشود ، وعبدالله بن محمد بن سعدون ، وصالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ، وعبدالرحمن بن محمد بن عبداللطيف آل الشيخ ، وعبدالرحمن بن عبدالله بن حمد بن عتيق ، والأمير محمد ابن عبدالعزيز آل سعود ، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

صفاته وأخباره

ومن أخباره رحمه الله : أنه كان منذ الصغر محبًا للعلم والعلماء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وطلبة العلم ، كريمًا بهم ، ولم يكن يحتقر شيئًا مما يقدمه لضيوفه ، وكان يقول دائمًا : «إن الله كريم ، وسيبسط لنا في الرزق» .

وكان رحمه الله أول نشأته يعمل مع شقيقه محمد في سوق الحراج ، يبيع «البشوت» الرجالية ونحوها تجولًا في السوق ، مع تردده على الكتّاب لحفظ القرآن ، ثمّ تفرغ كليًا لطلب العلم .

توليه القضاء

في سنة ١٣٥٤هـ رشّحه شيخه المفتي الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله لتولي القضاء ، لما لمس منه من تميز في العلم والعمل ، وفي ٢٥ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧هـ صدر أمر الملك عبدالعزيز رحمه الله بتعيينه قاضيًا في بلدة «الدّلم» ، وتولى الإمامة والخطابة في جامعها الكبير ، وبدأ القضاء في «الدلم» وما حولها وهو في السابعة والعشرين من عمره .

وكان في قضائه وسائر أعماله قويًا من غير عنف ، ولينًا من غير ضعف ، وكان ينفذ الأحكام بنفسه حتى على أمراء القرى والوجهاء والأثرياء ، وأعطاه الله محبة ومهابة لدى الناس ؛ حيث كانت أحكامه نافذة على الجميع ، وكان يجلس للقضاء من الضحى إلى صلاة الظهر ، وربما جلس بعد العصر أحيانًا ، وكان رحمه الله يحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وكان يقول :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«أنا ولله الحمد لستُ بمتعصب ، ولكني أحكم بكتاب الله والسنة ، وأبني فتاوايَ على ما قاله الله ورسوله ، ولا على تقليد الحنابلة ولا غيرهم ، الفتاوى التي تصدر مني إنما أبنيها على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة حسب ما ظهر لي ، وهذا الذي سرت عليه منذ عرفت العلم ، منذ أن كنت في الرياض قبل القضاء ، وبعد القضاء ، وكذلك في المدينة ، وما بعد المدينة . . .» .

قيامه بمصالح الناس

كانت أيام الشيخ أيام خير وبركة في «الدلم» حيث شارك فيها أهل البلد في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية ورعى مصالح الناس وعايشهم وأفادهم ، وقام بأمورهم خير قيام ، وكل ذلك حسبة لوجه الله إضافة إلى عمل القضاء ، ومن أعماله رحمه الله : شق الطرق وتوسيعها ، ومنها طريق المحمدي وطريق الشبيلي ، كما قام بتجديد بناء الجامع الكبير سنة ١٣٥٨هـ ، وأتم بناء عدة مساجد أخرى ، وسعى في فتح أول مدرسة نظامية في الدلم ، وكان رحمه الله يرعى جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برفقة طلبته ، وكان يحرص على زيارة المرضى والخروج للجنائز وإكرام الضيوف ، والشفاعة للناس مع أدب رفيع وتواضع جم .

وكان رحمه الله يجلس لتعليم الطلاب بعد صلاة الفجر ، حيث يبدأ مع المبتدئين في المتون القصيرة ، مثل الآجرومية ، والثلاثة الأصول ، وكتاب التوحيد ، والأربعين النووية . ثم يقوم بتعليم الكبار في المطولات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كمختصر المقنع ، وألفية ابن مالك ، وبلوغ المرام ، ويستمر حتى الضحى . ثم يستأنف دروسه بعد صلاة العصر ، ثم بعد صلاة المغرب حيث خصص هذا الوقت لقراءة الرحبية في علم الفرائض ، وتوافد إليه طلاب العلم من البلاد المجاورة وسعى في إقامة سكن لهم ولعائلاتهم فكان رباط الشيخ عبدالعزيز بن باز الذي حُوِّلَ في سنة ١٣٦٨هـ إلى المدرسة السعودية الابتدائية ، كما سعى رحمه الله لتخصيص المساعدات المالية لطلاب العلم .

وكان من أعيان مَنْ دَرَسَ عند الشيخ في الدّلم :

راشد بن صالح بن خنين ، عبدالله بن صالح بن قعود ، عبدالعزيز بن محمد بن جلال ، عبدالله بن سليمان المسعري ، عبدالله بن عبدالرحمن الشثري ، عبدالله بن عبدالعزيز بن سمحان ، صالح بن محمد الصيرامي ، عبدالرحمن بن عثمان الجاسر ، سعيد بن عبدالله الغامدي ، مسفر بن سعيد الزهراني ، صالح بن حسين العلي العراقي ، محمد بن عبدالله العديني اليمني ، محمد بن سليمان الأشقر الفلسطيني ، عبدالكريم الهرري الحبشي . . . ، وغيرهم ، وجماعة منهم وصلت إلى مراتب العلم العليا والإفتاء .

ومن نشاطاته في تلك المرحلة كتاب الفتاوى والمقالات والرسائل والردود ونشرها في الصحف والمجلات داخل وخارج المملكة ، وشارك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رحمه الله في تصحيح بعض الكتب وعلَق على بعضها الآخر .

وفي عام ١٣٧٠هـ تم افتتاح المعهد العلمي في الرياض ، وهو من أهم المدارس الشرعية في البلاد ، فطلب المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم من الملك عبدالعزيز نقل الشيخ للتدريس فيه لينتفع بعلمه أكبر عدد ممكن من طلاب العلم ، فأوفد أهل «الدلم» الأعيان إلى الملك عبدالعزيز مطالبين ببقاء الشيخ عندهم ، فوافق الملك وأبقاه عندهم ، إلا أن إلحاح سماحة المفتي بنقله إلى الرياض لقي نجاحًا في سنة ١٣٧١هـ وحزن أهالي «الدلم» للخبر الذي فاجأهم ، إلا أن الشيخ لم يقطعهم بل بقي يتردد عليهم ويزورهم ويلبي دعواتهم .

عمله في التدريس

رجع الشيخ إلى الرياض نهاية سنة ١٣٧١هـ وعمل مدرسًا للعقيدة في المعهد العلمي من أول سنة ١٣٧٢هـ ، ثم انتقل إلى كلية الشريعة سنة ١٣٧٣هـ وبقي يدرس فيها علوم التوحيد والحديث والفقه إلى نهاية سنة ١٣٨٠هـ كما درّس في كلية اللغة العربية أول افتتاحها سنة ١٣٧٤هـ ، وكان خلال تدريسه في الكليتين محافظًا على الدوام متواضعًا ، لا يرى لنفسه ميزة على أقرانه من الأساتذة ، وكان لا يضيع دقيقة من المحاضرة ، ويبدو في عمله وقوله الإخلاص ومحبة العلم وطلابه ، والحرص على البحث ومراجعة المصادر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتولى الشيخ في هذه الفترة إمامة الجامع الكبير في الرياض بعد وفاة الشيخ عبدالرحمن بن عودان رحمه الله .

وقد استُقدم إلى الرياض في هذه الفترة عدد من العلماء للتدريس وأبرز من درّسَ مع الشيخ : العلامة محمد الأمين الشنقيطي ، والعلامة محمد المختار الشنقيطي ، والشيخ إبراهيم بن عبدالله الشنقيطي ، والعلامة عبدالرزاق عفيفي ، والشيخ حماد الأنصاري ، والشيخ مناع القطان ، والشيخ إسماعيل الأنصاري ، ومجموعة من العلماء رحمهم الله تعالى .

تواصله مع العلماء

كانت الرياض في هذه الآونة تزخر بالعلماء ومجالسهم ، كمجلس سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم ، ومجلس الشيخ عبدالعزيز الشثري ، ومجلس العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، وكان من أعيان من يحضر تلك المجالس : الشيخ عبدالله بن صالح الخليفي ، والشيخ عبدالرزاق عفيفي ، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ، وغيرهم ، كما كان لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله جلسات علمية كثيرة يحضرها عدد من الأعيان والمشايخ وغيرهم ، وكانت هذه المجالس علمية وأدبية ، يكون فيها قراءة وبحث ، والشيخ من أوائل المشاركين والمعلقين بطرح النكات والألغاز والطرف العلمية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أعيان مَنْ دَرَسَ عند الشيخ في الرياض

تخرج على الشيخ عدد من كبار العلماء والمشايخ في هذه الآونة ، ومن أعيان من درس عليه في تلك الحقبة : الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، والمفتي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ، والشيخ عبدالله بن جبرين ، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الفريان ، والشيخ عبدالله بن غديان ، والشيخ عبدالمحسن العباد ، والشيخ صالح الفوزان ، الشيخ عبدالله بن حسن القعود ، والشيخ راشد بن صالح الخنين ، والشيخ محمد بن عبدالله السبيل ، والشيخ عبدالله بن سليمان المنيع ، والشيخ عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، والشيخ الأمير عبدالرحمن بن محمد بن مقرن آل السعود ، والشيخ أبو بكر الجزائري ، والشيخ محمد ابن سليمان الأشقر ، والشيخ عمر بن سليمان الأشقر ، والشيخ صالح ابن غانم السدلان ، وغيرهم كثير .

وهؤلاء وغيرهم من طلاب الشيخ وصلوا أرفع المستويات والمناصب في شتى الأعمال الشرعية من تدريس وإفتاء ودعوة وتأليف ، وشهرتهم تغني عن الإطناب في ذلك .

عمله في الجامعة الإسلامية

تم افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة ١٣٨١هـ وعُهدت رئاستها لمفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وعُيِّن الشيخ ابن باز نائبًا له ، وابتدأ عمله بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٣٨١هـ ، بهمة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عالية ، فاختار العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، وغيره من الموجودين داخل المملكة ، كما انتدب أمين عام الجامعة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي للتعاقد مع عدد من أهل العلم خارج البلاد فكان من أجلهم العلامة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى .

كان سماحته يهتم اهتمامًا ملحوظًا بشؤون الجامعة فيتفقد الفصول ، ويستمع إلى دروس المشايخ ، ويلقي التوجيهات الحكيمة بمنتهى الفطنة والحكمة ، ويدقق على الجانب العقدي الذي يعتبره المنطلق الأساس لتكوين شخصية الطالب ، وكان يحاور المحاضرين في شؤون التعليم ويحثهم على التزام العربية الفصحى كلغة أساسية في التخاطب مع الطلبة ، ويشجعهم على بذل المزيد من الجهد في خدمة العلم وطلابه ابتغاء ما عند الله .

وكان رحمه الله يجتمع بالمدرسين نهاية كل عام فيتدارس معهم شؤون المقررات وملاحظاتهم عليها ، ورأيهم في مسيرة الدروس ، وفي سلوك الطلاب ، وما جمعوه من انطباع خلال العام ، ثم يعرضها على مجلس الجامعة للانتفاع بها .

كما كان يحاضر ويشرف بنفسه على المحاضرات الأسبوعية التي تُلقى في دار الحديث التابعة للجامعة ، كما كان يقوم بزيارة الطلبة في مكان إقامتهم .

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

وامتدّ نشاطه العلمي إلى الأقاصي البعيدة فانتدب رحمه الله عددًا من المدرسين باسم الجامعة للتدريس في أكثر من دولة من دول الإسلام وبخاصة الهند وإفريقية وباكستان .

فكانت الجامعة بفضل الله ثم بجهود سماحته مركزًا للإشعاع العلمي على مستوى العالم كله .

ولم يقتصر الشيخ على نشاطه في الجامعة الإسلامية فقط بل امتد نشاطه في المدينة المنورة ليطول المسجد النبوي الذي كان يدرس فيه بين المغرب والعشاء على مدار الأسبوع عدا ليلة الثلاثاء ، كما كان له درس بعد صلاة العصر .

مناصبه في هذه المرحلة

١ـ في عام ١٣٨٩هـ وبعد وفاة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم أصدر الملك فيصل رحمه الله المرسوم الملكي القاضي بتعيين الشيخ عبدالعزيز ابن باز رئيسًا للجامعة الإسلامية ، ثم زاره الملك فيصل وأمر ببناء بيت كبير له بعد أن رأى بيته المتواضع ، إلا أن الشيخ رفض أن يُسجل البيت باسمه ، واقترح بأن يسجله باسم رئيس الجامعة الإسلامية .

٢ـ في عام ١٣٩١هـ أصدر الملك فيصل رحمه الله تعالى المرسوم الملكي القاضي بتأسيس هيئة كبار العلماء مؤلفة من سبعة عشر عالمًا ، وكان الشيخ أحدهم ، وكما قام برئاسة بعض دورات الهيئة مع استمراره

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في رئاسة الجامعة .

٣ـ في عام ١٣٩٥ هـ أصدر الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله مرسومًا بتعيينه رئيسًا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض ، وكان رحيل الشيخ إلى الرياض مفاجأة أذهلت محبيه وطلابه في المدينة المنورة .

قال الشيخ محمد المجذوب في رحيله :

بكينا وفاءً لامرئٍ قَلَّ أن يُرى
له في الدعاةِ العاملينَ نظيرُ

فخلُّوا ملاميْ إنْ ألحَّ بي البُكا
فإنَّ فِراقَ الصالحينَ عسيرُ

عاد رحمه الله إلى الرياض رئيسًا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بمرتبة وزير ، وصار أبرز مرجع للمسلمين في العالم .

٤ـ في عام ١٤١٤ هـ أصدر الملك فهد رحمه الله الأمر الملكي بتعيينه مفتيًا عامًا للمملكة ورئيسًا لهيئة كبار العلماء ، ورئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء .

٥ـ عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وكان سماحته يرأس اجتماعاتها عند غياب رئيسها الأعلى خادم الحرمين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشريفين الملك فهد- رحمه الله .

٦ـ عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة .

٧ـ رئيس المجلس الأعلى لدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة من عام ١٤٠٥هـ .

٨ـ إمام الفروض (دون خطابة) في الجامع الكبير في الرياض .

٩ـ رئيس جمعية إعانة المتزوجين منذ تأسيسها سنة ١٤٠١هـ .

١٠ـ رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

١١ـ رئيس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع للرابطة .

١٢ـ رئيس المجلس الأعلى العالمي للمساجد .

١٣ـ عضو المجلس الاستشاري للندوة العالمية للشباب الإسلامي .

١٤ـ عضو الصندوق الإسلامي للتنمية الشبابية .

ومع كل هذه الأعمال التي أُسندت إليه فقد كان يقوم بها بهمة عالية واهتمام واضح ملموس ، وإن بعض ذلك لا يقوى عليه الأشداء من الرجال ، بينما الشيخ يقوم بذلك وهو في سنٍّ متقدمة ، وما ذاك إلا ببركة عظيمة أودعها الله في وقته تظهر جليًّا في جلوسه للتدريس وإفادة طلاب العلم ، حيث كان يقول -رحمه الله- فيما نقله عنه الشيخ عبدالعزيز الراجحي : «الدروس أحبُّ شيء إلى نفسي» ، حيث درّس في هذه المدة العديد من الكتب منها : «صحيح البخاري مع شرحه فتح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الباري ، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي ، وسنن أبي داود مع شرحه من عون المعبود ، وسنن الترمذي مع شرحه من تحفة الأحوذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجة ، والموطأ ، ومسند الإمام أحمد وترتيبه الفتح الرباني للساعاتي ، ومسند الدارمي ، والتوحيد لابن خزيمة ، وصحيح ابن حبان ، والكامل لابن عدي ، وشرح السنة للبغوي ، وعمدة الأحكام ، وبلوغ المرام . . . وغيرها كثير» .

وقد استفاد من دروس الشيخ عدد كبير من المشايخ وطلبة العلم من المملكة ومن خارجها .

تواصله مع الإعلام

كان –رحمه الله– يستغلُّ وسائل الإعلام في الدعوة والإفتاء والنصح والإرشاد ، كان له عبر إذاعة القرآن الكريم برنامج الفتوى الشهير «نور على الدرب» قريبًا من ثلاثين سنة ، كما كان له تواصل مع العديد من المجلات العربية والإسلامية من أشهرها مجلة الوعي الإسلامي الكويتية ، ومجلة «التوحيد» المصرية ، ومجلة «البحوث الإسلامية» ، ومجلة «أهل الحديث» في الهند ، كما كانت تنشر نصائحه وإرشاداته في العديد من الصحف اليومية .

منزلته عند العلماء

نظرًا لما جمعه الله للشيخ من العلم والعمل فقد أطلق عليه الكثير من

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

العلماء لقب شيخ الإسلام ، ولقب إمام أهل السنة في عصرنا ، وهذه مقتطفات من أقوال أهل العلم والفضل فيه :

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله : «إن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- لا يحتاج إلى تعريف ، لأن أفعاله تنطق بما قدّم . . . وهو من أعلم الناس بالحديث و التوحيد والفقه» .

وقال العلامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل : « . . . أعطاه الله علمًا لَدُنِيًّا لا يتوقف على مدى ما تعلمه من مشايخه . . . ونوّر الله بصيرته عوضًا عمّا فقده من بصره ، فله اليد الطولى في الحديث ، والعقيدة السلفية ، وعلوم الحديث ، والفقه ، وغيرها ، أخذ من كل فنٍّ منها بنصيب وافر» .

وقال العلامة الشيخ محمد السبيّل على منبر المسجد الحرام : «عالم الأمة ، وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر ، علامة زمانه ، وفقيه أوانه ، الداعية إلى الله تعالى على علم وبصيرة ، المجاهد في سبيل الحق والهدى ، سماحة العلامة الجليل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز» .

مؤلفاته

ترك الشيخ مؤلفات وآثارًا كثيرة جدًا مكتوبة ومسموعة ، منها ما هو مطبوع ، ومنها ما لم يُطبع ، من أبرزها :

أولًا : الرسائل الكبيرة والمتوسطة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

١- الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب .

٢- الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب وعلى جريان الشمس وسكون الأرض .

٣- إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين .

٤- الإمام محمد بن عبدالوهاب . . دعوته وسيرته .

٥- بيان معنى كلمة لا إله إلا الله .

٦- التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة .

٧- تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل .

٨- ثلاث رسائل :

- العقيدة الصحيحة وما يضادها .

- الدعوة إلى الله .

- تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة إلى الشيخ أحمد .

٩- رسالتان مهمتان :

- وجوب العمل بالسنة وكفر من أنكرها .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- الدعوة إلى الله سبحانه وأخلاق الدعاة .

١٠- الرسائل والفتاوى النسائية .

١١- الفتاوى .

١٢- فتاوى إسلامية .

١٣- فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة .

١٤- فتاوى المرأة لابن باز واللجنة الدائمة ، جمع وترتيب محمد المسند .

١٥- فتاوى مهمة تتعلق بالحج والعمرة .

١٦- فتاوى وتنبيهات ونصائح .

١٧- الفوائد الجلية في المباحث الفرضية .

١٨- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، أشرف على تجميعه وطبعه د . محمد بن سعد الشويعر ، من ١ - ١٢ طبعة دار الإفتاء .

١٩- مجموعة رسائل في الطهارة والصلاة والوضوء .

٢٠- مجموعة الفتاوى والرسائل النسائية .

٢١- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع .

٢٢- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢٣- وجوب العمل بالسنة وكفر من أنكرها .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٤- شرح ثلاثة الأصول .

ثانيًا : الرسائل الصغيرة

١- الأذكار التي تقال بعد الفراغ من الصلاة .

٢- إيضاح الحق في دخول الجني في الإنسي والرد على من أنكر ذلك .

٣- التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله .

٤- التحذير من البدع .

٥- التحذير من القمار وشرب المسكر .

٦- التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج .

٧- تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة من الأدعية والأذكار .

٨- تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي .

٩- ثلاث رسائل في الصلاة :

- كيفية صلاة النبي ﷺ .

- وجوب أداء الصلاة في الجماعة ،

- أين يضع المصلي يديه بعد الرفع من الركوع .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٠- الجواب الصحيح من أحكام صلاة الليل والتراويح .

١١- الجواب المفيد في حكم التصوير .

١٢- حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات .

١٣- حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار .

١٤- حكم الصلاة على النبي ﷺ والإشارة إليها بالحروف .

١٥- حكم الغناء .

١٦- حكم مقابلة المرأة للسائق والخادم .

١٧- خطر مشاركة الرجل للمرأة في ميدان عمله .

١٨- الدروس المهمة لعامة الأمة .

١٩- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة .

٢٠- رسالتان في الصلاة .

٢١- رسالتان موجزتان عن أحكام الزكاة والصيام .

٢٢- رسالة عن حكم شرب الدخان .

٢٣- رسالة في إعفاء اللحى .

٢٤- رسالة في الجهاد .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢٥- رسالة في حكم السحر والكهانة .

٢٦- رسالة في مسائل الحجاب والسفور .

٢٧- رسالة في وجوب الصلاة جماعة .

٢٨- رسائل في الطهارة والصلاة .

٢٩- السفر إلى بلاد الكفرة .

٣٠- العقيدة الصحيحة وما يضادها .

٣١- عوامل إصلاح المجتمع مع نصيحة مهمة عامة .

٣٢- الغزو الفكري ووسائله .

٣٣- فتاوى في حكم الغناء والإسبال وحلق اللحى والتصوير وشرب الدخان .

٣٥- فضل الجهاد والمجاهدين .

٣٦- كيفية صلاة النبي ﷺ .

٣٧- ماذا يجب عليكم شباب الإسلام .

٣٨- مجموعة رسائل في الصلاة .

٣٩- موقف اليهود من الإسلام .

٤٠- نصيحة المسلمين وفتاوى بشأن الخدم والسائقين وخطرهم على الفرد والمجتمع .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٧- رسالة في التبرك والتوسل .

٥٨- مسؤولية طالب العلم .

٥٩- إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية .

٦٠- نصائح عامة .

وغيرها كثير بين مطبوع وغير مطبوع ، فضلًا عن الدروس والمحاضرات والندوات ، أما ما سجل في الإذاعة فبلغت الأشرطة الموجودة سبعة وأربعين وستمائة شريط .

الأيام الأخيرة من حياته

بدأ الشيخ يعاني من الآلام عند الأكل والشرب بسبب إصابته بمرض سرطان المريء سنة ١٤١٩هـ ، ولاقى الشيخ تعبًا كثيرًا فلا يأكل ولا يشرب إلا القليل جدًّا ، مع ذلك فقد صام رمضان كاملًا ، ومضى في دروسه والقيام بشؤون الناس ، وهو لا يقتات إلا على القليل من السوائل فقط .

اقتصر الشيخ على علاجه داخل المملكة ، واستمرت صحته بالتدهور ، وبالرغم من ذلك فقد صلّى الشيخ على جنازة صديقه الشيخ صالح بن غصون -رحمه الله- وذهب لتعزية أهله ، وفي آخر ليلة له بالرياض وقبل ذهابه إلى مكة زاره جمع غفير من الناس لتوديعه وألقى فيهم كلمة مؤثرة ، وكانت هذه آخر كلمة له في الرياض .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سافر الشيخ إلى مكة وأدى العمرة ، وبقي فيها إلى نهاية ذي الحجة ، ثم توجه إلى الطائف حيث باشر بإلقاء دروسه المعتادة وهو لا يقتات إلا على كوب صغير من اللبن في جميع يومه ، وكان آخر درس ألقاه في الطائف يوم الاثنين ١٧/ ١/ ١٤٢٠هـ ، وكان يوم الثلاثاء الذي يليه آخر أيامه في الدوام الرسمي .

في يوم الأربعاء ١٩ محرم ١٤٢٠هـ دخل الشيخ المستشفى بعد إرهاق شديد ، وبقي فيها إلى يوم الثلاثاء ٢٥ محرم ، حيث أصدر البيان الشهير مع اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، في الرد على الأصوات التي بدأت تنادي بإخراج المرأة السعودية من بيتها ، وقيادتها للسيارة ، ووضع صورتها في البطاقة الشخصية ، وما إلى ذلك من خطوات التغريب والفتنة ، فكان ذلك البيان الذي قمع أولئك المنادين في ذلك الوقت ، ودفع الله به شرًا عظيمًا .

غادر الشيخ المستشفى يوم الأربعاء وقام بإنجاز المعاملات في بيته ، وتوافد الناس للسلام عليه فقام بنصحهم والدعاء لهم وكانت هذه آخر نصائحه العامة ، ثم أمضى الشيخ ليلته مع أهله وأسرته وهو في أنس وسرور وراحة بال تامة ثم انصرفوا عنه لينام .

وفاته

نام الشيخ ليلته بعد أن توضأ وصلّى ما شاء الله له أن يصلي ، وسمع أهله تزايدًا في نَفَسِهِ ، فحملوه إلى المستشفى ، وعند حمله فاضت روحه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى بارئها ، وكان ذلك قبيل الفجر من يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ في مدينة الطائف عن عمر ناهز تسعة وثمانين عامًا اختتمها بالتسبيح والصلاة والذكر وقيام الليل ، ونقل جثمانه إلى منزله بمكة لغسله وتكفينه والصلاة عليه .

تلقى العالم خبر وفاته عن طريق بيان صدر من الديوان الملكي ، وأصيب المسلمون بحزن وأسى لا يعلمه إلى الله .

توافد الناس إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة للصلاة على جنازته حيث فاق عددهم المليون ، امتلأ بهم المسجد في مشهد لا ينسى ، وسُمع البكاء والنشيج من أرجاء الحرم .

وبعد صلاة الجمعة حُمِلت جنازته للصلاة عليها ، وصلّى عليها الشيخ محمد السبيِّل ، وتقدم المصلين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد- رحمه الله ، ثم حُملت الجنازة إلى مقبرة العدل بمكة حيث دُفِنَ بها رحمه الله رحمة واسعة ، وصُلِّي عليه صلاة الغائب في جميع مساجد المملكة العربية السعودية ، وفي بعض المساجد في الدول الإسلامية .

وبوفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله تعالى- خسر المسلمون خسارة كبيرة ، حيث فقدوا بفقده عالمًا جليلًا وهب كلّ حياته في سبيل العلم ، وخدمة الإسلام والمسلمين على اختلاف أوطانهم في جميع أنحاء المعمورة ، وامتاز -رحمه الله- بالقبول العظيم عند الموافق والمخالف ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وشهد له الجميع بالأمانة والصدق وحسن النصيحة ، مع الغيرة العظيمة على حرمات الله .

فقد كان الشيخ -رحمه الله- من أئمة الهدى ، وأوعية العلم ، لما كان يتمتع به من الاتباع العظيم للكتاب والسنة ، والحرص الشديد على اقتفاء آثار السلف . فرحمه الله رحمة واسعة ، وغفر لنا وله ولجميع المسلمين .

مصادر الترجمة

١- ترجمة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، لعبدالعزيز القاسم ، ومحمد زياد التكلة .

٢- الإبريزية في التسعين البازية : لمحمد بن إبراهيم الشتوي .

٣- أصول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في الرد على المخالفين : للشيخ صالح الفوزان ، والشيخ محمد السدحان ، والشيخ فيصل الجاسم .

٤- موقع الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز على الشبكة العنكبوتية .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقالات العلامة

الشيخ عبد العزيز بن باز

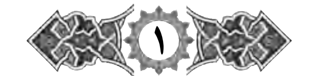
في مجلة الوعي الإسلامي

مقالات حصرية نشرت في المجلة

ما بين ١٣٨٩-١٤٠٣هـ للشيخ ابن باز المتوفى سنة ١٤٢٠هـ

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



رؤيا مكذوبة على النبي ﷺ

العدد (٥٦) شعبان : (١٣٨٩هـ)، أكتوبر: (١٩٦٩م)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . أما بعد ، فقد اطلعت على ورقة ذكر لي أنها انتشرت في كثير من بلدان المملكة مضمونها أن رجلًا يدعى الحاج عبداللطيف أو الحاج عبدالله مصطفى زعم أنه رأى النبي ﷺ في المنام بمكة المكرمة ، وأوصاه أن يبلغ المسلمين بالتعاون والإيمان ، وزعم أن من يقرأ تلك الورقة يجب عليه أن يكتبها ثماني مرات ثم يوزعها ، ومن لم يوزعها يصاب بمرض الدم ، ومن يوزعها يفرح فرحة كبيرة بعد عشرة أيام ، ودعا على نفسه إن كان كاذبًا أن يموت على دين الكفر ، هذه خلاصتها .

ولواجب النصح للمسلمين ، وتكذيب المفترين ، رأيت أن أنبه الناس على أن هذه الرؤيا وأشباهها من جملة المرائي المكذوبة على رسول الله ﷺ ، ويتنزه الرسول ﷺ أن يقول ، أو يوصي بمثل ما ذكره هذا المفتري من الأمر بكتابتها ثماني مرات أو أقل أو أكثر ، ويرتب على ذلك الثواب ، وعلى تركه العقاب ، فهذا من أبطل الباطل .

وقد أجمع علماء المسلمين على أن الإنسان لو لم يكتب القرآن الكريم ، وهو أعظم الكلام وأفضله لم يكن عليه بأس ، وهكذا سنة

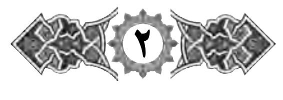
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رسول الله ﷺ ، لو لم يكتب شيئًا منها لم يكن عليه بأس ، وكفاه أن يتعلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما لا يسعه جهله ، وبهذا يعلم كل مسلم له أدنى بصيرة أن هذه المرائي وأشباهها من أكاذيب شياطين الإنس والجن ، فالواجب تنبيه الناس عن الاغترار بمثل هذه المرائي الكاذبة ، والمشروع لمن وجدها أن يمزقها ، ويحذر الناس من الاغترار بها .

وأسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ، ويمنحهم الفقه في الدين ، وأن يكبت أعداء الإسلام وجميع المفترين ، وأن ينصر دينه ويخذل أعداءه . . إنه سميع قريب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



شهر رمضان

العدد(٦٩) رمضان : (١٣٩٠هـ)، أكتوبر: (١٩٧٠م)

حل بنا شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والإحسان ، شهر تفتح فيه أبواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات ، وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات ، وترفع الدرجات ، وتغفر فيه السيئات ، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات ، ويجزل فيه لأوليائه العطيات ، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام فصامه المصطفى ﷺ وأمر الناس بصيامه وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن قامه إيماناً واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ، فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات ، والتناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم .

وفي الصيام فوائد كثيرة وحِكَم عظيمة منها :تطهير النفوس وتهذيبها ، وتزكيتها عن الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل ، وتعويدها الأخلاق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكريمة ، كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصيام : أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه سبحانه وتعالى ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله- سبحانه- والاستعانة بنعمه على طاعته ، ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم .

وقد أشار الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ١٨٤ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]

فأوضح- سبحانه- أنه كَتَبَ علينا الصيام لنتقيه سبحانه ، فدلّ على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي : طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه عن إخلاص لله- عز وجل- ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ، ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شؤون الدين والدنيا .

وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض فوائد الصوم في قوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضُ للبصر وأحصنُ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء»[1] فبين النبي ﷺ أن

---

(١) أخرجه البخاري: [٥٠٦٥].

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الصوم وِجَاء للصائم ووسيلة لطهارته وعفافه ، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ، ويذكر بالله وعظمته ، فيضعف سلطان الشيطان ، ويقوي سلطان الإيمان وتكثر به الطاعات من المؤمن ، وتقلّ به المعاصي .

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمتأمل من ذوي البصيرة ، ومنها : أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ، ويكسبه صحة ، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء ، وعالجوا به كثيرًا من الأمراض . وقد ورد في فضله وفريضته آيات وأحاديث كثيرة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٤ – ١٨٥]

وفي الصحيحين [البخاري ٨ ، ومسلم ٧] ، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول لله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت» .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأخرج الترمذي [٢٦١٦] عن معاذ بن جبل ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني عن النار فقال : «لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، ثم قال النبي ﷺ ألا أدلُّك على أبواب الخير : الصوم جُنّة ، والصدقة تُطْفِئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧]

ثم قال ﷺ : «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه» قلت : بلى يا رسول الله ، فقال : «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» ، ثم قال ﷺ : «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت بلى يا رسول الله ، قال : «كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه» فقلت يا رسول : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ﷺ «ثكِلَتْك أمك يا معاذ وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم ، أو قال على مناخرهم ، إلا حصائدُ ألسنتهم»؟ .

إن الصوم عمل صالح عظيم ، وثوابه جزيل ، ولاسيما صوم رمضان فإنه الصوم الذي فرضه الله على عباده ، وجعله من أسباب الفوز لديه ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : «كلُ عملِ ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضِعْف ، يقول الله- عز وجل -إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخُلوفُ فمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[1] وفي الصحيح [البخاري ٣٢٧٧] عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغُلّقت أبواب النار ، وسُلسِلت الشياطين» .

وأخرج الترمذي[٦٨٢] وابن ماجه [١٦٤٢]عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفّدت الشياطين ومردة الجن ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» .

وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يُبَشّر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول لهم : «جاء شهر رمضان بالبركات فمرحبًا به من زائر وآت» ، وأخرج ابن خزيمة [١٨٨٧] عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنهُ عن النبي ﷺ أنه خطب الناس في آخر يوم من شعبان فقال : «أيها الناس : إنه قد أظلّكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى

(١) أخرجه ابن خزيمة: [١٨٩٧].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، إلى أن قال : فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بها ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار ، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار» .

وفي الحديث الصحيح عن ابي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «من صام رمضان ايمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[(١)] .

وثبت عنه ﷺ أنه كان في الغالب لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثًا ، وثبت عنه ﷺ انه في بعض الليالي يصلي ثلاث عشرة ركعة وفي بعضها أقل من ذلك ، وليس في قيام رمضان حد محدود لقول النبي ﷺ لما سئل عن قيام الليل قال : «مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» [(٢)] ولم يحدد ﷺ للناس في قيام الليل ركعات معدودة

---

(١) أخرجه البخاري : [٣٨].

(٢) أخرجه البخاري: [٤٧٢].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بل اطلق لهم ذلك ، فمن أحب أن يصلي إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة أو ثلاثًا وعشرين أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه ولكن الافضل هو ما فعله النبي ﷺ ودام عليه في أغلب الليالي وهو إحدى عشرة ركعة من الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة وعدم العجلة لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب والخشوع فيها وأداؤها كما شرح الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب ، كما قال الله سبحانه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]

وقال النبي ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» [١] وقال للذي أساء في صلاته «اذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» [٢] .

وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها ، بل ينقرها نقرًا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة ، فالواجب الحذر من ذلك ، وفي الحديث عنه ﷺ قال : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال :

---

(١) أخرجه النسائي: [٣٩٣٩].

(٢) أخرجه البخاري: [٦٢٥٢].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وثبت عنه ﷺ انه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها» .[1]

فيا معشر المسلمين عظموا الصلاة وأدوها كما شرح الله واغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه رحمكم الله بأنواع العبادة والقربات ، وسارعوا فيه الى الطاعات فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده يتسابقون اليه فيه بالطاعات ، ويتنافسون في أنواع الخيرات ، فأكثروا فيه رحمكم الله من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن الكريم والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام ، والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير .

وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان فاقتدوا به ﷺ في مضاعفة الجود والإحسان في شهر رمضان ، وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام ، واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبي ﷺ إنه قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [2] ، وقال ﷺ: «الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن امرؤ سابه أحد فليقل اني أمرؤ صائم» .[3]

---

(١) أخرجه أحمد: [١١٥٤٩].

(٢) أخرجه البخاري: [١٩٠٣].

(٣) أخرجه النسائي: [٢٢١٧]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجاء عن النبي ﷺ انه قال : «ليس الصيام من الطعام والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفث» [1] وصح عن النبي ﷺ أنه قال : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر» .[2]

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء» [3] .

فينبغي للصائم الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل ، والإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار وسائر أنواع القربات في الليل والنهار اغتنامًا للزمان ، ورغبة في مضاعفة الحسنات ، ومرضات فاطر الأرض والسماوات ،واحذروا رحمكم الله كل ماينقص الصوم ويضعف الأجر ، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي ، كالتهاون بالصلاة ، والبخل بالزكاة ، وأكل الربا ، وأكل أموال اليتامى ، وأنواع الظلم ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، والغيبة ، والنميمة ، والكذب ، وشهادة الزور ، والدعاوى الباطلة ، والأيمان الكاذبة ، والتكبر ، وإسبال الثياب ،واستماع الأغاني ،وآلات الملاهي ،وتبرج النساء وعدم تستُّرهن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: [٨٩٧٥].
(٢) أخرجه مسلم: [٥٧٤].
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: [٣٣٧٤].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من الرجال ، وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله .

وهذه المعاصي التي ذكرناها محرمة في كل زمان ومكان ، ولكنها في رمضان أشد تحريمًا ، وأعظم إثمًا لفضل الزمان وحرمته ، ومن أقبح هذه المعاصي واخطرها على المسلمين ما ابتلي به الكثير من الناس من التثاقل عن الصلوات والتهاون بأدائها في الجماعة في المساجد ، ولاشك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]

وقال النبي ﷺ «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر»[١] ، وقال له ﷺ رجل أعمى يا رسول الله إني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلائمني ، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ «هل تسمع النداء للصلاة؟ قال : نعم ، قال : فأجب» وقال : عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله ﷺ : لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، وقال رضي الله عنه : لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم[٢] .

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضًا ما بلي به الكثير من الناس من

---

(١) أخرجه ابن ماجة: [٧٩٣].

(٢) أخرجه مسلم: [١٥٢٠].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

استماع الأغاني وآلات الطرب وإعلان ذلك في الأسواق وغيرها ، ولاريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن والانتفاع به ، ومن أعظم الأسباب أيضًا في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ [لقمان: ٦]

وقد فسر أهل العلم «لهو الحديث» بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق ، وقال النبي ﷺ «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» (١) والحر هو الفرج ، والحرير معروف ، والخمر هو كل مسكر ، والمعازف هي آلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب ، والمعنى أنه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال آلات الملاهي ، وقد وقع ذلك كما اخبر به النبي ﷺ وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام ، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا

---

(١) أخرجه البخاري: [٥٥٩٠].

(٢) أخرجه البيهقي: [٢١٥٣٦].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة ، والله المسؤول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه ، وأن يتقبل منا جميعًا صيامنا وقيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شيء ، إنه على كل شيء قدير وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



من مسائل الربا

العدد (٧٣) محرم: (١٣٩١هـ)، فبراير: (١٩٧١م)

أما بعد، فقد سألني غير واحد عن معاملة يتعاطاها كثير من الناس، وهي أن بعضهم يدفع إلى البنك أو غيره مالًا معلومًا على سبيل الأمانة، أو ليتجر به القابض على أن يدفع القابض إلى الدافع ربحًا معلومًا كل شهر أو كل سنة، مثال ذلك أن يدفع شخص إلى البنك أو غيره عشرة آلاف ريال أو أكثر، على أن يدفع إليه القابض مائة ريال أو أكثر كل شهر أو كل سنة، وهذه المعاملة لاشك أنها من مسائل الربا المحرم بالنص والإجماع، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن أكل الربا من كبائر الذنوب ومن الجرائم المتوعد عليها بالنار واللعنة، قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٩]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ففي هذه الآيات الكريمة الدلالة الصريحة على غلظ تحريم الربا وأنه من الكبائر الموجبة للنار ، كما أن فيها الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى يمحق كسب المرابي ويربي الصدقات ، أي يربيها لأهلها وينميها حتى يكون القليل كثيرًا إذا كان من كسب طيب ، وفي الآية الأخيرة التصريح بأن المرابي محاربه الله ورسوله وأن الواجب عليه التوبة إلى الله سبحانه وأخذ رأس ماله من غير زيادة ، وقد صح عن رسول الله ﷺ «أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال هم سواء» [١] .

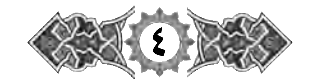
فالواجب على كل مسلم أن يتقي الله سبحانه ويراقبه في جميع الأمور وأن يحذر ما حرم الله عليه من الأقوال والأعمال والمكاسب الخبيثة ، ومن أعظمها وأخطرها مكاسب الربا الذي أنزل الله فيه ما يوجب الحذر منه والتواصي بتركه ، وقد نقل أبومحمد عبدالله بن أحمد بن قدامة ، رحمه الله ، في كتابه المغني عن الحافظ ابن المنذر إجماع العلماء على تحريم مثل هذه المعاملة ، وفي ذلك كفاية ومقنع لطالب الحق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم: [٤١٧٧].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



الدعوة إلى الله سبحانه وأثرها في المجتمع

العدد: (٨٠) شعبان (١٣٩١هـ)، سبتمبر: (١٩٧١م)

لقد رفع الله شأن الدعاة إليه وأبلغ في الثناء عليهم حيث يقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور، ويخفف عبء الدعوة إلى الانطلاق في سبيلها بكل نشاط وقوة، وقد روى عبدالرزاق عن معمر عن الحسن البصري - رحمه الله - أنه تلا هذه الآية الكريمة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض الى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله. انتهى.

ولا ريب أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم سادة الناس في الدعوة وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التي ذكرها الحسن - رحمه الله - وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال إمامهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وصبر على الدعوة إلى ربه أتم صبر وأكمله حتى أظهر الله به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجا ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا في الدعوة ونشروا لواء الإسلام في غالب المعمورة لكمال صدقهم وعظيم جهادهم وصبرهم على الدعوة صبرا لا يعتريه ضعف أو فتور ، وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل في جميع الأحوال فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها في الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح ، وبذلك انتصروا على أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب السبق في كل ميدان ، وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التي ذكرها الحسن ، وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة إلى الله وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هذا الثناء الجزيل الذي دلت عليه الآية الكريمة والصفات الحميدة التي وصف بها الحسن الدعاة إلى الحق .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[1] وقال عليه الصلاة والسلام : «من دعا إلى هدى كان له من

(١) أخرجه مسلم: [٥٠٠٧].

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[1] ، وقال لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم»[2] .

وفي هذه الأحاديث وما جاء في معناها تنبيه للدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيله على أن المقصود من الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه هو هداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور وانتشالهم من وهدة الشرك وعبادة الخلق إلى عز الايمان ورفعة الإسلام وعبادة الإله الحق الواحد الأحد الذي لا تصلح العبادة لغيره ولا يستحقها سواه سبحانه وتعالى ، وليس المقصود من الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية .

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الإسلام التي يشهد له بها أهل الإنصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه ، وذلك من رحمة الله الحكيم العليم الذي جعل هذا الدين الإسلامي دين رحمة وإحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان ويفوق كل قانون ونظام ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا على أن يأتوا بمثله أو أحسن منه لم يستطيعوا

---

(١) أخرجه مسلم: [٦٩٨٠].

(٢) أخرجه البخاري: [٢٩٤٢]

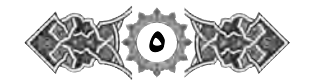
https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلى ذلك من سبيل ، فسبحان الذي شرعه ! ما أحكمه وأعدله ! وما أعلمه بمصالح عباده وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث وما أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة !

فيأيها الأخ المسلم ، ويأيها العاقل الراغب في الحق ، تدبر كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ وادرس ما دلا عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفي قلبك ويروي غلتك ويشرح صدرك ويهديك إلى سواء السبيل .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



الفتاوى (١)

العدد: (٨٤) ذوالحجة (١٣٩١هـ)، يناير: (١٩٧٢م)

وردت هذه الأسئلة إلى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز من بعض مناطق اليمن، وقد تفضل بالإجابة التالية عنها:

السؤال: ما حكم الأذان والإقامة في قبر الميت عند وضعه فيه؟

الإجابة : لا ريب أن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، لأن ذلك لم ينقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم ، والخير كله في اتباعهم ، وسلوك سبيلهم ، كما قال الله سبحانه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقال النبي ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق على صحته[البخاري٢٦٩٧ ، ومسلم ٤٥٩٨ واللفظ له] وفي لفظ آخر قال ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (١) وكان ﷺ يقول في خطبة الجمعة : «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» [أخرجه مسلم في صحيحه[٢٠٤٢] من حديث جابر رضي الله عنه] .

---

(١) أخرجه البخاري: [٧٣٤٩].

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السؤال: ما حكم ما جرت به عادة بعض الناس من ذبح الإبل والغنم وإقامة وليمة عند موت الميت يجتمع فيها المعزون وغيرهم ويقرأ فيها القرآن؟

الإجابة : هذا كله بدعة لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم وقد ثبت عن جرير بن عبدالله الصحابي الشهير رضي الله عنه قال : «كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة» [أخرجه الإمام أحمد [٦٩٠٥] وابن ماجة [١٦١٢] بسند صحيح] ، وإنما المشروع أن يصنع الطعام لأهل الميت ، ويبعث به إليهم من أقاربهم أو جيرانهم أو غيرهم لكونهم قد شغلوا بالمصيبة عن إعداد الطعام لأنفسهم لما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال : لما أتى نعي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال النبي ﷺ «اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد أتاهم ما يشغلهم» [أخرجه الإمام أحمد [١٧٥١] وأبوداود [٣١٣٤] والترمذي [١٠١٤] وابن ماجة [١٦١٠] بإسناد صحيح] ، وهذا العمل مع كونه بدعة ، فيه أيضا تكليف أهل الميت وإتعابهم مع مصيبتهم ، وإضاعة أموالهم في غير حق ، والله المستعان .

السؤال: هل على السيارات التجارية التي تسافر وتجلب الحبوب وغيرها زكاة، وهكذا ما أشبهها من الجمال؟

الإجابة : ليس على السيارات والجمال المعدة لنقل الحبوب والأمتعة وغيرها من بلاد إلى بلاد زكاة ، لكونها لم تعد للبيع وإنما أعدت للنقل والاستعمال ، أما إن كانت السيارات معدة للبيع ، وهكذا غيرها من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجمال والحمير والبغال وسائر الحيوانات التي يجوز بيعها- إذا كانت معدة للبيع- فإنها تجب فيها الزكاة ، لأنها صارت بذلك من عروض التجارة فوجبت فيها الزكاة لما روى أبوداود وغيره عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «كان النبي ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع»[1] وإلى هذا ذهب جماهير أهل العلم ، وحكاه الإمام أبوبكر بن المنذر (رحمه الله) وعليه إجماع أهل العلم .

السؤال: بلادنا تنتج الحب، والعملة عندنا بالحبوب لقلة النقود، فإذا جاء وقت البذر اشترينا من التجار الصاع بريال، فإذا جاء وقت الحصاد وصفيت الحبوب سلمنا للتجار عن كل ريال صاعين مثلًا، لأن السعر في وقت الحصاد أرخص منه في وقت البذر، فهل تجوز هذه المعاملة؟

الإجابة : هذه المعاملة فيها خلاف بين العلماء ، وقد رأى كثير منهم أنها لا تجوز ، لأنها وسيلة إلى بيع الحنطة ونحوها بجنسها متفاضلًا ونسيئة ، وذلك عين الربا من جهتين ، جهة التفاضل ، وجهة التأجيل ، وذهب جماعة آخرون من أهل العلم إلى أن ذلك جائز إذا كان البائع والمشتري لم يتواطآ على تسليم الحنطة بدل النقود ، ولم يشترطا ذلك عند العقد ، هذا هو كلام أهل العلم في هذه المسألة ، ومعاملتكم هذه يظهر منها التواطؤ على تسليم حب أكثر بدل حب أقل ، لأن النقود قليلة وذلك لا يجوز ، فالواجب على الزراع في مثل هذه الحالة أن يبيعوا

---

(١) أخرجه أبوداود: [١٥٦٤].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحبوب على غير التجار الذين اشتروا منهم البذر ، ثم يوفوهم حقهم نقدًا ، هذا هو طريق السلامة ، والاحتياط والبعد عن الربا ، فإن وقع البيع بين التجار والزراع بالنقود ، ثم حصل الوفاء من الزراع بالحبوب من غير تواطؤ ، ولا شرط فالأقرب صحة ذلك ، كما قاله جماعة من العلماء ، ولاسيما إذا كان الزارع فقيرًا ويخشى التاجر أنه إن لم يأخذ منه حبا بالسعر بدل النقود التي في ذمته فات حقه ولم يحصل له شيء ، لأن الزارع سوف يوفي به غيره ويتركه أو يصرفه- أي الحب- في حاجات أخرى ، وهذا يقع كثيرًا من الزراع الفقراء ، ويضيع حق التجار ، أما إذا كان التجار والزراع قد تواطأوا على تسليم الحب بعد الحصاد بدلًا من النقود ، فإن البيع الأول لا يصح من أجل التواطؤ المذكور ، وليس للتاجر إلا مثل الحب الذي سلم للزراع من غير زيادة تنزيلًا له منزلة القرض لعدم صحة البيع مع التواطؤ على أخذ حب أكثر .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



الفتاوى (٢)

العدد: (٨٨) ربيع الآخر (١٣٩٢هـ)، مايو: (١٩٧٢م)

وردت هذه الأسئلة لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز فأجاب عنها، وتفضل بإرسالها إلى هذا الباب.

السؤال: إذا تخاصمت قبيلتان أو شخصان حكَم شيخ القبيلة على المدعى عليه بعقائر من الإبل أو الغنم تعقر وتذبح عند من له الحق، فما الحكم في ذلك؟

الإجابة: الذي يظهر لنا من الشرع المطهر أن هذه العقائر لا تجوز لوجوه، أولها: أن هذا من سنة الجاهلية، وقد قال النبي ﷺ «لا عقر في الإسلام» [1]، والثاني أن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق، والتقرب إليه بالعقيرة، وهذا من جنس ما يفعله المشركون من الذبح لغير الله، ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم بعض العظماء، وقد قال جماعة من العلماء: إن هذا يعتبر من الذبح لغير الله، وذلك لا يجوز بل هو في الجملة من الشرك، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، والنسك هو الذبح، قرنه الله بالصلاة لعظم شأنه فدل ذلك على أن الذبح يجب أن يكون

(١) أخرجه أبوداود: [٣٢٢٤].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لله وحده ، كما أن الصلاة لله وحده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر :١-٢] ، وقال النبي ﷺ «لعن الله من ذبح لغير الله» [1] ، الوجه الثالث : أن هذا العمل من حكم الجاهلية ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة : ٥٠] ، وفيه مشابهة لأعمال عباد الأموات ، والأشجار ، فالواجب تركه وفيما شرع الله من الأحكام ، ووجوه الإصلاح ما يغني ويكفي عن هذا الحكم ، والله ولي التوفيق .

السؤال: قد اشتهر عندنا أن الرجل إذا غاب عن بلاده ثم قدم، أن النساء من جماعته يأتين إليه ويسلمن عليه ويقبلنه، وهكذا في الأعياد، عيد الفطر، وعيد الأضحى، فهل هذا مباح؟

الإجابة : قد علم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن المرأة ليس لها أن تصافح أو تقبل غير محرمها من الرجال ، سواء كان ذلك في الأعياد أو عند القدوم من السفر أو لغير ذلك من الأسباب ، لأن المرأة عورة ، وفتنة فليس لها أن تمس الرجل الذي ليس محرمًا لها ، سواء كان ابن عمها أو بعيدًا منها ، وليس لها أن تقبله أو يقبلها ، لا نعلم بين أهل العلم- رحمهم الله- خلافًا في تحريم هذا الأمر وإنكاره لكونه من أسباب الفتن ، ومن وسائل ما حرم الله من الفاحشة ، والعادات المخالفة للشرع لا يجوز للمسلمين البقاء عليها ، ولا التعلق بها بل يجب عليهم أن يتركوها ، ويحاربوها ، ويشكروا الله سبحانه الذي من عليهم بمعرفة

---

(١) أخرجه مسلم: [٥٢٤٠].

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

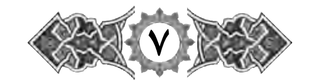
حكمه ووفقهم لترك ما يغضبه ، والله سبحانه بعث الرسل- عليهم الصلاة والسلام- وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ لدعوة الناس إلى توحيده سبحانه ، وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، ومحاربة العادات السيئة التي تضر المجتمع في دينه ، ودنياه ، ولاشك أن هذه العادات من العادات السيئة .

فالواجب تركها ، ويكفي السلام بالكلام من غير مس ، ولا تقبيل ، وفيما شرع الله وأباح غنية عما حرم ، وكره ، وكذلك يجب أن يكون السلام مع التحجب ولاسيما من الشابات لأن كشف الوجه لا يجوز لكونه من أعظم الزينة التي نهي عن إبدائها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ ﴾ [النور:٣١] ، إلى آخر الآية الكريمة ، وقال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النور: ٦٠] ، والقواعد هن العجائز ، بين الله سبحانه وتعالى أنه لا حرج عليهن في وضع ثيابهن عن الوجه ونحوه إذا كن غير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

متبرجات بزينة ، وأن التستر والتحجب خير لهن لما في ذلك من البعد عن الفتنة ، أما مع التبرج بالزينة فليس لهن وضع الثياب بل يجب عليهن التحجب عن الرجال في جميع الأحوال ، سواء كن متبرجات بالزينة أم غير متبرجات لأن الفتنة بهن أكبر ، والخطر في سفورهن أعظم ، وإذا حرم سفورهن فتحريم الملامسة ، والتقبيل من باب أولى ، لأن الملامسة والتقبيل أشد من السفور ، وهما من نتائجه السيئة ، وثمراته المنكرة ، فالواجب ترك ذلك كله ، والحذر منه ، والتواصي بتركه ، وفق الله الجميع لما فيه رضاه ، والسلامة من أسباب غضبه ، إنه جواد كريم ، والذي أوصي به الجميع ، هو تقوى الله سبحانه ، والمحافظة على دينه ، ومن أهم ذلك وأعظمه المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها ، وأداؤها بالخشوع والطمأنينة ، والمسارعة من الرجال إلى أدائها في الجماعة في مساجد الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما قال الله سبحانه : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور: ٥٦] ، ومن الأمور المهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق والصبر عليه ، وهذه هي أخلاق المؤمنين ، والمؤمنات ، وصفاتهم كما بين الله ذلك في قوله عز وجل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



فضل الجهاد والمجاهدين

العدد: (٩٣)، رمضان: (١٣٩٢هـ)، أكتوبر: (١٩٧٢م)

إن الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات ، ومن أعظم الطاعات ، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون ، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض ، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين ، وقمع الكافرين والمنافقين ، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين ، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور ، ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين ، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين ، وقد ورد في فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يحفز الهمم العالية ، ويحرك كوامن النفوس إلى المشاركة في هذا السبيل ، والصدق في جهاد أعداء رب العالمين ، وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين ، وقد يكون في بعض الأحيان من الفرائض العينية التي لا يجوز للمسلم التخلف عنها إلا بعذر شرعي ، كما لو استنفره الإمام أو حصر بلده العدو أو كان حاضرا بين الصفين ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة ، ومما ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى : ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة : ٤١-٤٥] .

ففي هذه الآيات الكريمات يأمر الله عباده المؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد خفافًا وثقالًا ، أي شيبًا وشبانًا وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ويخبرهم عز وجل أن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة ، ثم يبين سبحانه حال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم ، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤٢] ، ثم يعاتب نبيه ﷺ عتابا لطيفا على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة : ٤٣] ، ويبين عز وجل أن في عدم الإذن لهم تبين الصادقين وفضيحة الكاذبين ، ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يستأذن في ترك الجهاد وبغير عذر شرعي لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويحفزه إلى المبادرة إلى الجهاد والنفير مع أهله ، ثم يذكر سبحانه أن الـذي يستأذن في تـرك الجهاد هو عـادم الإيمـان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به الرسول ﷺ وفي ذلك أعظم حث وأبلغ تحريض على الجهاد في سبيل الله ، والتنفير من التخلف عنه ، وقال تعالى في فضل المجاهدين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾ [التوبة : ١١١] .

ففي هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم في الجهاد في سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله لله عز وجل ، وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمن أهله الجنة وأنهم يقاتلون في سبيله فيقتلون ويقتلون ، ثم ذكر سبحانه أنه وعدهم بذلك في أشرف كتبه وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم بين سبحانه أنه لا أحد أوفى بعهده من الله ليطمئن المؤمنون إلى وعد ربهم ، ويبذلوا السلعة التي اشتراها منهم ، وهي نفوسهم وأموالهم في سبيله سبحانه عن إخلاص وصدق وطيب نفس حتى يستوفوا أجرهم كاملًا في الدنيا والآخرة ، ثم يأمر سبحانه المؤمنين أن يستبشروا بهذا البيع لما فيه من الفوز العظيم والعاقبة الحميدة والنصر للحق والتأييد لأهله وجهاد الكفار والمنافقين وإذلالهم ونصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أوليائه عليهم وإفساح الطريق لانتشار الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة ، وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف : ١٠-١٣] .

ففي هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله هما التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة ، ففي ذلك أعظم ترغيب وأكمل تشويق إلى الإيمان والجهاد ، ومن المعلوم أن الإيمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله وإخلاص العبادة له سبحانه ، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم ، ويدخل في ذلك الجهاد في سبيل الله لكونه من أعظم الشعائر الإسلامية ومن أهم الفرائض ، ولكنه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه ، وللترغيب فيه لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التي سبق بيان الكثير منها ، ثم ذكر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين من المغفرة والمساكن الطيبة في دار الكرامة ليعظم شوقهم إلى الجهاد ، وتشتد رغبتهم فيه ، وليسابقوا إليه ويسارعوا في مشاركة القائمين به ، ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئًا معجلاً يحبونه وهو النصر على الأعداء والفتح القريب على المؤمنين ، وفي ذلك غاية التشويق والترغيب .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والآيات في فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جدا ، وفيما ذكر سبحانه في هذه الآيات التي سلف ذكرها ما يكفي ويشفي ويحفز الهمم ويحرك النفوس إلى تلك المطالب العالية والمنازل الرفيعة والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة ، والله المستعان .

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين ، والتحذير من تركه والإعراض عنه فهي أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ولكن نذكر منها طرفا يسيرا ليعلم المجاهد الصادق شيئا مما قاله نبيه ورسوله الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم في فضل الجهاد ومنزلة أهله ، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[أخرجه البخاري٢٨٩٢ ،ومسلم٥٠٤٧] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «مثل المجاهد في سبيل الله- والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة» أخرجه مسلم في صحيحه ،[٤٩٧٧] وفي لفظ له «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة» [أخرجه مسلم ٤٩٦٧] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال رسول الله ﷺ «ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك» متفق عليه [أخرجه البخاري ٥٥٣٣ ، ومسلم٤٩٦٧] ، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» [رواه أحمد١٢٢٦٨ ، والنسائي٢٤٢٧] وصححه [الحاكم٣٠٩٦] ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل أي العمل أفضل؟ قال «إيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا؟ قال «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا؟ قال «حج مبرور» متفق على صحته [أخرجه البخاري٢٦ ، ومسلم٢٥٨] ، وعن أبي عبس بن جبر الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار» رواه البخاري في صحيحه [٢٨١١] ، وفيه أيضا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» [أخرجه البخاري٢٧٩٠] وفي صحيح مسلم [٥٠٤٠] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق» وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أحمد وأبو داود [٣٤٦٢]وصححه ابن القطان ، وقال الحافظ في البلوغ رجاله ثقات ، والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية ، والثواب الجزيل ، وفي الترهيب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من ترك الجهاد والإعراض عنه كثيرة جدًا ، وفي الحديثين الأخيرين ، وما جاء في معناهما الدلالة على أن الإعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق ، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع ، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمر الله والجهاد في سبيله ، فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعًا بالرجوع إلى دينه وأن يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم جميعا للفقه في الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتى يعزهم ويرفع عنهم الذل ، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المقصود من الجهاد

الجهاد جهادان ، جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإعلاء دين الله في أرضه وأن يكون الدين كله لله وحده كما قال عز وجل في كتابه الكريم من سورة البقرة ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ . . . ﴾ [البقرة : ١٩٣] ، وقال في سورة الأنفال ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ . . . ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، وقال عز وجل في سورة التوبة : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة : ٥] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقال النبي ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل» متفق على صحته من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-[أخرجه البخاري١٣٩٩ ، ومسلم١٣٣] ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» وفي صحيح مسلم عنه أيضًا رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به»[أخرجه مسلم١٣٤] ، وفي صحيح مسلم أيضًا عن طارق الأشجعي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل»[١] ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وفي هذه الآيات والأحاديث الدلالة الظاهرة على وجوب جهاد الكفار والمشركين وقتالهم بعد البلاغ والدعوة إلى الإسلام ، وإصرارهم على الكفر حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد ﷺ ويتبعوا ما جاء به ، وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم إلا بذلك ، وهي تعم جهاد الطلب ، وجهاد الدفاع ، ولا يستثنى من ذلك إلا من التزم بالجزية بشروطها إذا كان من أهلها عملا بقول الله عز وجل

---

(١) أخرجه مسلم:١٣٩، وأحمد: ١٥٩١٥ واللفظ له

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة : ٢٩] ، وثبت عن النبي ﷺ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر ، فهؤلاء الأصناف الثلاثة من الكفار وهم اليهود والنصارى والمجوس ثبت بالنص أخذ الجزية منهم فالواجب أن يجاهدوا ويقاتلوا مع القدرة حتى يدخلوا في الإسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أما غيرهم فالواجب قتالهم حتى يسلموا في أحد قولي العلماء ، لأن النبي ﷺ قاتل العرب حتى دخلوا في دين الله أفواجًا ، ولم يطلب منهم الجزية ، ولو كان أخذها منهم جائزًا تحقن دماؤهم وأموالهم لبينه لهم ، ولو وقع ذلك لنقل ، وذهب بعض أهل العلم إلى جواز أخذها من جميع الكفار لحديث بريدة المشهور في ذلك المخرج في صحيح مسلم ، والكلام في هذه المسألة وتحرير الخلاف فيها وبيان الأدلة مبسوط في كتب أهل العلم من أراده وجده ، ويستثنى من الكفار في القتال النساء والصبيان والشيخ الهرم ونحوهم ممن ليس من أهل القتال ما لم يشاركوا فيه فإن شاركوا فيه أو ساعدوا عليه بالرأي والمكيدة قوتلوا كما هو معلوم من الأدلة الشرعية ، وقد كان الجهاد في الإسلام على أطوار ثلاثة ، الطور الأول : الإذن للمسلمين في ذلك من غير الزام لهم به كما في قوله سبحانه ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ﴾ [الحج : ٣٩] ، الطور الثاني : الأمر بقتال من قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم ، وفي هذا النوع نزل قوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ . . . ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ . . ﴾ [الكهف : ٢٩] ، وقوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة :١٩٠] ، في قول جماعة من أهل العلم ، وقوله تعالى في سورة النساء ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ [النساء : ٨٩-٩٠] ، والآية بعدها ، الطور الثالث : جهاد المشركين مطلقا وغزوهم في بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ليعم الخير أهل الأرض وتتسع رقعة الإسلام ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد وينعم العباد بحكم الشريعة العادل ، وتعاليمها السمحة وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام ، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق سبحانه ، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة وأحكامها الرشيدة ، وهذا هو الذي استقر عليه أمر الإسلام وتوفى عليه نبينا محمد ﷺ وأنزل الله فيه قوله عز وجل في سورة براءة وهي من آخر ما نزل ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ . . . ﴾ [التوبة :٥] ، وقوله سبحانه ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة :١٩٣] ، والأحاديث السابقة كلها تدل على هذا القول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتشهد له بالصحة ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الطور الثاني وهو القتال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم قد نسخ لأنه كان في حال ضعف المسلمين ، فلما قواهم الله وكثر عددهم وعدتهم أمرهم بقتال من قاتلهم ومن لم يقاتلهم حتى يكون الدين لله وحده أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها ، وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الطور الثاني لم ينسخ بل هو باق يعمل به عند الحاجة إليه ، فإذا قوي المسلمون واستطاعوا بدء عدوهم بالقتال والجهاد في سبيل الله فعلوا ذلك عملاً بآية التوبة وما جاء في معناها ، أما إذا لم يستطيعوا ذلك فإنهم يقاتلون من قاتلهم وتعدى عليهم ، ويكفون عمن كف عنهم عملا بآية النساء وما ورد في معناها ، وهذا القول أصح وأولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كتاب العصر وغيرهم أن الجهاد شرع للدفاع فقط قول غير صحيح والأدلة التي ذكرنا وغيرها تخالفه ، وإنما الصواب هو ما ذكرنا من التفصيل كما قرر ذلك أهل العلم والتحقيق ، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه –رضي الله عنهم– في جهاد المشركين اتضح له ما ذكرنا وعرف مطابقة ذلك لما أسلفنا من الآيات والأحاديث .

وجوب الإعداد للأعداء

وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يعدوا للكفار ما استطاعوا من القوة وأن يأخذوا حذرهم كما في قوله عز وجل ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ﭐسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ... ﴾ [الأنفال :٦٠] ، وقوله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ... ﴾ [النساء : ٧١] ، وذلك يدل على وجوب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان ، كما يدخل في ذلك إعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة وكيفية استعمالها ، وتوجيههم إلى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده في الكر والفر والأرض والجو والبحر وفي سائر الأحوال ، لأن الله سبحانه أطلق الأمر بالإعداد وأخذ الحذر ولم يذكر نوعا دون نوع ولا حالًا دون حال ، وما ذاك إلا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع ، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقوى والجهاد قد يكون ابتداء وقد يكون دفاعًا ، فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله سبحانه الأمر بالإعداد وأخذ الحذر ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم في إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة في ذلك ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال :«الحرب خدعة»[1] ومعناه : أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب ما لا يدركه بالقوة والعدد وذلك مجرب معروف ، وقد وقع في يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود والكيد لهم على يد نعيم بن مسعود رضي الله عنه بإذن النبي ﷺ ما كان من أسباب خذلان

(١) أخرجه البخاري: [٣٠٢٩]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكافرين وتفريق شملهم واختلاف كلمتهم ، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه ومكره لهم كما قال عز وجل ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ومما تقدم يتضح لذوي البصائر أن الواجب امتثال أمر الله والإعداد لأعدائه وبذل الجهود في الحيطة والحذر ، واستعمال كل ما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنوية مع الإخلاص لله والاعتماد عليه والاستقامة على دينه ، وسؤاله المدد والنصر ، فهو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه والمعين لهم إذا أدوا حقه ، ونفذوا أمره وصدقوا في جهادهم وقصدوا بذلك إعلاء كلمته وإظهار دينه ، وقد وعدهم الله بذلك في كتابه الكريم وأعلمهم أن النصر من عنده ليثقوا به ويعتمدوا عليه مع القيام بجميع الأسباب قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد : ٧] ، وقال سبحانه ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم :٤٧] ، وقال عز وجل ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤٠-٤١] ، وقال عز وجل ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ . . . ﴾ [النـور : ٥٥] ، وقال تعالى ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] ، وقال سبحانه ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال : ٩-١٠] ، وقد سبق في هذا المعنى آية سورة الصف وهي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف : ١٠-١٣] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ولما قام سلفنا الصالح بما أمرهم الله به ورسوله وصبروا وصدقوا في جهاد عدوهم نصرهم الله وأيدهم وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة أعدائهم كما قال عز وجل ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة :٢٤٩] ، وقال عز وجل ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[آل عمران : ١٦٠] ، ولما غير المسلمون وتفرقوا ولم يستقيموا على تعاليم ربهم وآثر أكثرهم أهواءهم أصابهم من الذل والهوان وتسليط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

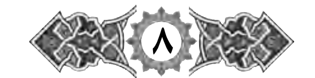
الأعداء ما لا يخفى على أحد ، وما ذاك إلا بسبب الذنوب والمعاصي ، والتفرق والاختلاف وظهور الشرك والبدع والمنكرات في غالب البلاد ، وعدم تحكيم أكثرهم الشريعة كما قال الله سبحانه ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى : ٣٠] ، وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ . . . ﴾(الأنفال :٥٣) ، وقال عز وجل ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم : ٤١] ، ولما حصل من الرماة ما حصل يوم أحد من النزاع والاختلاف والاخلال بالثغر الذي أمرهم النبي ﷺ بلزومه جرى بسبب ذلك على المسلمين من القتل والجراح والهزيمة ما هو معلوم ، ولما استنكر المسلمون ذلك أنزل الله تعالى قوله ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٦٥] ، ولو أن أحدا يسلم من شر المعاصي وعواقبها الوخيمة لسلم رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام يوم أحد وهم خير أهل الأرض ويقاتلون في سبيل الله ومع ذلك جرى عليهم ما جرى بسبب معصية الرماة التي كانت عن تأويل لا عن قصد للمخالفة لرسول الله ﷺ والتهاون بأمره ، ولكنهم لما رأوا هزيمة المشركين ظنوا أن الأمر قد انتهى وأن الحراسة لم يبق لها حاجة وكان الواجب عليهم أن يلزموا الموقف حتى يأذن لهم النبي ﷺ بتركه ، ولكن الله سبحانه قد قدر ما قدر وقضى ما قضى لحكمة بالغة وأسرار عظيمة ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومصالح كثيرة قد بينها في كتابه سبحانه وعرفها المؤمنون وكان ذلك من الدلائل على صدق رسول الله ﷺ وأنه رسول الله حقًا ، وأنه بشر يصيبه ما يصيب البشر من الجراح والآلام ونحو ذلك ، وليس بإله يعبد وليس مالكًا للنصر ، بل النصر بيد الله سبحانه ينزله على من يشاء ، ولا سبيل إلى استعادة المسلمين مجدهم السالف واستحقاقهم النصر على عدوهم إلا بالرجوع إلى دينهم والاستقامة عليه وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه ، وتحكيمه في أمورهم كلها ، واتحاد كلمتهم على الحق وتعاونهم على البر والتقوى كما قال الإمام مالك بن أنس -رحمة الله عليه- «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها» وهذا هو قول جميع أهل العلم ، والله سبحانه إنما أصلح أول هذه الأمة باتباع شرعه والاعتصام بحبله والصدق في ذلك والتعاون عليه ، ولا صلاح لآخرها إلا بهذا الأمر العظيم ، فنسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه في دينهم وأن يجمعهم على الهدى وأن يوحد صفوفهم وكلمتهم على الحق وأن يمن عليهم بالاعتصام بكتابه وسنة نبيه- عليه الصلاة والسلام- وتحكيم شريعته والتحاكم إليها ، والاجتماع على ذلك والتعاون عليه إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



كيف نحارب الغزو الثقافي الغربي والشرقي

العدد: (٩٨) ، صفر: (١٣٩٣هـ) ، مارس: (١٩٧٣م)

إن أخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافي بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى ، ذلك أن الاستعمار في العصر الحديث قد غير من أساليبه القديمة لما أدركه من فشلها وعدم فعاليتها ومحاربة الشعوب واستماتتها في الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها ، حيث إن الأخذ بالقوة وعن طريق العنف والإرهاب مما تأباه الطباع وتنفر منه النفوس ، لاسيما في الأوقات الحاضرة بعد أن انتشر الوعي بين الناس واتصل الناس بعضهم ببعض ، وأصبح هناك منظمات وهيئات كثيرة تدافع عن حقوق الشعوب وترفض الاستعمار عن طريق القوة وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب ، وأن لأهل كل قطر حقهم الطبيعي في سيادتهم على أرضهم واستثمار مواردهم وتسيير دفة الحكم في أوطانهم ، حسب ميولهم ورغباتهم وطريقتهم في الحياة ، وحسب ما تدين به تلك الشعوب من معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم مما اضطر معه الى الخروج عن هذه الأقطار بعد قتال عنيف ، وصدامات مسلحة وحروب كثيرة دامية .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ولكنه قبل أن يخرج من هذه الأقطار فكر في عدة وسائل ، واتخذ كثيرا من المخططات بعد دراسة واعية وتفكير طويل وتصور كامل لأبعاد هذه المخططات ومدى فعاليتها وتأثيرها ، والطرق التي ينبغي أن تتخذ للوصول إلى الغاية التي يريد .

وأهدافه تتلخص في إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين ، مبالغة في الدهاء والمكر والتلبيس ، ركز فيها على خدمة أهدافه ونشر ثقافته وترسيخ الإعجاب بما حققه في مجال الصناعات المختلفة ، والمكاسب المادية في نفوس أغلب الناس ، حتى إذا ما تشربت بها قلوبهم وأعجبوا بمظاهر بريقها ولمعانها وعظيم ما حققته وأنجزته من المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة ، لاسيما في صفوف الطلاب والمتعلمين الذين لا يزالون في سن المراهقة والشباب ، اختارت جماعة منهم ممن انطلى عليهم سحر هذه الحضارة لإكمال تعليمهم في الخارج في الجامعات الأوروبية والأميركية وغيرها ، حيث يواجهون هناك بسلسلة طويلة من الشبهات والشهوات على أيدي المستشرقين والملحدين بشكل منظم وخطط مدروسة وأساليب ملتوية في غاية المكر والدهاء ، وحيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتفكيك ومجون وإباحية .

وهذه الأسلحة وما يصاحبها من إغراء وتشجيع وعدم وازع من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دين أو سلطة ، قل من ينجو من شباكها ويسلم من شرورها إلا من عصم الله وهم القليل ، وهؤلاء بعد إكمال دراستهم وعودتهم إلى بلادهم وتسلمهم المناصب الكبيرة في الدولة خير من يطمئن إليهم المستعمر بعد رحيله ، ويضع الأمانة الخسيسة في أيديهم لينفذوها بكل دقة ، بل بوسائل وأساليب أشد عنفا وقسوة من تلك التي سلكها المستعمر ، كما وقع ذلك فعلا في كثير من البلاد التي ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به .

أما الطريق إلى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئه وأضراره ، فيتلخص فيما أقدمت عليه حكومتنا السنية بعد إدراك كامل للمصلحة العامة ، وتقدير للمسؤولية من إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعاث إلى الخارج ، وتدريس العلوم بكافة أنواعها في المملكة حرصا على سلامة عقيدة هؤلاء الشباب وصيانة أخلاقهم ، وخوفا على مستقبلهم ، وحتى يساهموا في بناء مجتمعهم على ضوء من تعاليم الشريعة الإسلامية وحسب حاجات ومتطلبات هذه الأمة المسلمة ، وضيقت من نطاق الابتعاث إلى الخارج وحصرته في علوم معينة لا يتوفر في الوقت الحاضر تدريسها في الداخل .

وإنا لنشكر لحكومتنا السنية هذا الصنيع ، وحرصها الشديد على

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

مستقبل الأمة والوطن وعلى ما حققته وأنجزته من المشاريع النافعة والمكاسب الضخمة ، ونسأل الله لها مزيدًا من التوفيق للأعمال الصالحة والخدمات النافعة للمسلمين ، ولكن هذا المقام مع ما ذكرنا يحتاج إلى مزيد من العناية في إصلاح المناهج وصبغها بالصبغة الإسلامية على وجه أكمل ، والاستكثار من المؤسسات العلمية التي يستغني بها أبناء البلاد عن السفر إلى الخارج ، واختيار المدرسات والمديرين والمديرات ، وأن يكون الجميع من المعروفين بالأخلاق الفاضلة والعقيدة الطيبة والسيرة الحسنة والغيرة الإسلامية والقوة والأمانة ، لأن من كان بهذه الصفات أمن شره ورجي خيره ، وبذل وسعه في كل ما من شأنه إيصال المعلومات إلى الطلبة والطالبات سليمة نقية .

أما إذا اقتضت الضرورة ابتعاث بعض الطلاب إلى الخارج لعدم وجود بعض المعاهد الفنية المتخصصة لاسيما في مجال التصنيع وأشباهه ، فأرى أن يكون لذلك لجنة علمية أمينة لاختيار الشباب الصالح في دينه وأخلاقه المتشبع بالثقافة والروح الإسلامية ، واختيار مشرف على هذه البعثة معروف بعلمه وصلاحه ونشاطه في الدعوة ليرافق البعث المذكورة ، ويقوم بالدعوة إلى الله هناك ، في الوقت نفسه يشرف على البعثة ويتفقد أحوالها وتصرفات أفرادها ويقوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بإرشادهم وتوجيههم وإجابتهم عما قد يعرض لهم من شبه وتشكيك وغير ذلك .

وينبغي أن تعقد لهم دورة قبل ابتعاثهم ولو قصيرة يدرسون فيها جميع المشاكل والشبهات التي قد تواجههم في البلاد التي يبتعثون إليها ، ويبين لهم موقف الشريعة الإسلامية منها والحكمة فيها حسب ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام أهل العلم ، مثل أحكام الرق وتعدد الزوجات بصفة عامة وتعدد أزواج النبي ﷺ بصفة خاصة ، وحكم الطلاق وحكمة الجهاد ابتداء ودفاعًا ، وغير ذلك من الأمور التي يوردها أعداء الله على المسلمين حتى يكونوا على استعداد تام للرد على ما يعرض لهم من الشبه .

أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاف ، والدعاية المضللة والأدب الرخيص والصور العارية ، والدعوة إلى الفساد ، فأرى أن من أهم علاج ذلك أن تهتم الدول الإسلامية لاسيما حكومتنا السنية بإيجاد هيئة من أهل العلم والبصيرة والغيرة على الإسلام والثقافة الواسعة ، وتُفرغ لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة والدعوة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إلى الإسلام والرد على الغزو الثقافي المنظم ، وكشف عواره وتبيين زيفه ، حيث إن الأعداء قد جندوا كافة إمكاناتهم وقدراتهم وأوجدوا المنظمات المختلفة والوسائل المتنوعة للدس على المسلمين ، فلابد من تفنيد هذه الشبهات ، وعرض الإسلام عقيدة وتشريعا وأحكامًا وأخلاقًا عرضًا شيقًا صافيًا جذابًا بالأساليب الطيبة العصرية المناسبة ، وعن طريق الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن ، فهو الدين الكامل الجامع لكل خير ،الكفيل بسعادة البشر وتحقيق الرقي الصالح والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحياة الكريمة والفوز في الدنيا والآخرة .

وما أصيب المسلمون إلا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب ، وعدم فهم الأكثرين لحقيقته ، وما ذلك إلا لإعراضهم عنه وعدم تفقههم فيه ، وتقصير أكثر العلماء في شرح مزاياه وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره والصدق والصبر في الدعوة إليه ، وتحمل الأذى في ذلك بالأساليب والطرق المتبعة في هذا العصر ، ومن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف وجهل الأكثر لأحكام الإسلام والتباس الأمور عليهم .

ومعلوم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، والذي صلح به أولها هو اتباع كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم كما قال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف : ٣] ، وقال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقال سبحانه ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] ، قد وعدهم الله سبحانه على ذلك النصر المبين والعاقبة الحميدة كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم : ٤٧] ، وقال سبحانه ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] وقال عز وجل ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور : ٥٥] ، وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد : ٧] ، الآيات في هذا المعنى كثيرة .

ولما حقق سلفنا الصالح هذه الآيات الكريمات قولًا وعملًا وعقيدة نصرهم الله على أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونشر بهم العدل ورحم بهم العباد ، وجعلهم قادة الأمة وأئمة الهدى ، ولما غير من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعدهم غير عليهم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١ ﴾ [الرعد: ١١]

فنسأل الله سبحانه أن يرد المسلمين حكومات وشعوبًا الى دينهم ردًا حميدًا ، وأن يمنحهم الفقه فيه والعمل به والحكم به ، وأن يجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم للتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على نبينا وسيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه بإحسان .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



الوصُول إلى القمر

العدد: (١٤٣)، ذوالقعدة: (١٣٩٦هـ)، نوفمبر: (١٩٧٦م)

تكرر الحديث في الآونة الأخيرة عن وصول بعض رواد الفضاء إلى سطح القمر وعما يحاولونه من الوصول إلى غيره من الكواكب، ولكثرة التساؤل والخوض في ذلك رأيت أن أكتب كلمة في الموضوع تنير السبيل، وترشد إلى الحق في هذا الباب - إن شاء الله - فأقول: إن الله سبحانه وتعالى حرم على عباده القول بغير علم وحذرهم من ذلك في كتابه المبين، فقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:]

وأخبر سبحانه: أن الشيطان يأمر بالقول عليه بغير علم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩]

وأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتثبت في أخبار الفاسقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦] ، فالواجب على المسلمين عمومًا ، وعلى طلبة العلم خصوصا ، الحذر من القول على الله بغير علم ، فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول : هذا حلال ، وهذا حرام ، أو هذا جائز ، وهذا ممتنع ، إلا بحجة يحسن الاعتماد عليها ، وإلا فليسعه ما وسع أهل العلم قبله ، وهو الإمساك عن الخوض فيما لا يعلم ، وأن يقول : الله أعلم أو لا أدري ، وما أحسن قول الملائكة عليهم السلام لربهم عز وجل : ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٢]

وكان أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم إذا سألهم الرسول ﷺ عن شيء لا يعلمونه قالوا : «الله ورسوله أعلم» . وما ذاك إلا لكمال علمهم وإيمانهم ، وتعظيمهم لله عز وجل ، وبعدهم عن التكلف ، ومن هذا الباب وجوب التثبت فيما يقوله الكفار والفساق وغيرهم ، عن الكواكب وخواصها ، وإمكان الوصول إليها ، وما يلتحق بذلك ، فالواجب على المسلمين في هذا الباب كغيره من الأبواب التثبت ، وعدم المبادرة بالتصديق أو التكذيب ، إلا بعد حصول المعلومات الكافية ، التي يستطيع المسلم أن يعتمد عليها ويطمئن إليها ، في التصديق أو التكذيب ، وهذا هو معنى قوله سبحانه في الآية السابقة من سورة الحجرات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الآية ، والتبين هو التثبت ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حتى توجد معلومات أو قرائن تشهد لخبر الفاسق ونحوه ، بما يصدقه أو يكذبه ، ولم يقل سبحانه : إن جاءكم فاسق بنبأ فردوا خبره . ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ لأن الفاسق سواء كان كافرا ، أو مسلماً عاصياً ، قد يصدق في خبره ، فوجب التثبت في أمره وقد أنكر الله سبحانه على الكفار تكذيبهم بالقرآن بغير علم ، قال تعالى: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يونس: ٣٩]. وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في قصيدته الكافية الشافية :

إن البدار برد شيء لم تحط علمًا به سبب إلى الحرمان

وأعظم من ذلك وأخطر ، الإقدام على التكفير أو التفسيق بغير حجة يعتمد عليها ، من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، ولاشك أن هذا من الجرأة على الله وعلى دينه ، ومن القول عليه بغير علم ، وهو خلاف طريقة أهل العلم والإيمان من السلف الصالح رضي الله عنهم وجعلنا من أتباعهم بإحسان ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما»[1] ، وقال ﷺ : «من دعا رجلًا بالكفر أو قال : يا عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه» [2] أي : رجع عليه ما قال وهذا وعيد شديد يوجب الحذر من التكفير والتفسيق ، إلا

(١) أخرجه البخاري: [٦١٠٤].
(٢) أخرجه مسلم: [٢٢٦].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن علم وبصيرة ، كما أن ذلك وما ورد في معناه يوجب الحذر من ورطات اللسان ، والحرص على حفظه إلا من الخير .

إذا علم هذا فلنرجع إلى موضوع البحث المقصود ، وقد تأملنا ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات المشتملة على ذكر الشمس والقمر والكواكب ، فلم نجد فيها ما يدل دلالة صريحة على عدم إمكان الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب ، وهكذا السنة المطهرة لم نجد فيها ما يدل على عدم إمكان ذلك وقصارى ما يتعلق به من أنكر ذلك أو كفر من قاله ، ما ذكره الله في كتابه الكريم في سورة الحجر ، حيث قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) ﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨] ، وقال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) ﴾ [الفرقان: ٦١] ، وقال في سورة الصافات : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠]. وقال سبحانه في سورة الملك : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: ٥] ، وقال في سورة نوح : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) ﴾ [نوح: ١٥ ـ ١٦] ، وظنوا أن ما ذكره الله في هذه الآيات الكريمات وما جاء في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

معناها يدل على أن الكواكب في داخل السماء ، أو ملصقة بها ، فكيف يمكن الوصول إلى سطحها ، وتعلقوا أيضا بما قاله بعض علماء الفلك : من أن القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة .

وقد نقل ذلك كثير من المفسرين وسكتوا ، والجواب أن يقال : ليس في الآيات المذكورات ما يدل على أن الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب في داخل السماء ولا أنها ملصقة بها ، وإنما تدل الآيات على أن هذه الكواكب في السماء وأنها زينة لها ، ولفظ السماء يطلق في اللغة العربية على كل ما علا وارتفع ، كما في قوله سبحانه : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك: ١٦ – ١٧] ، قال جماعة من المفسرين في هاتين الآيتين : إن «في» للظرفية ، وأن السماء ، المراد بها : العلو ، واحتجوا بذلك على أن الله سبحانه في جهة العلو فوق العرش ، وما ذاك إلا لأن إطلاق السماء على العلو أمر معروف في اللغة العربية وقال آخرون من أهل التفسير : إن «في» هنا بمعنى على ، وأن المراد بالسماء هنا : السماء المبنية ، كما قال سبحانه : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [التوبة: ٢] ، أي على الأرض ، وعلى هذا يكون المعنى : أن الله سبحانه فوق السماء ، فيوافق ذلك بقية الآيات الدالة على أنه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سبحانه فوق العرش، وأنه استوى عليه استواء يليق بجلاله عز وجل، ولا يشابهه فيه استواء خلقه، كما قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)﴾ [النحل: ٧٤]. ومن أنكر هذا المعنى ووصف الله سبحانه وتعالى بخلافه، فقد خالف الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، الدالة على علو الله سبحانه، واستوائه على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، كما خالف إجماع سلف الأمة، ومن هذا الباب قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢]، ذكر جماعة من المفسرين أن المراد بقوله سبحانه في هذه الآية: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أن المراد بالسماء هنا: هو السحاب، سمي بذلك لعلوه وارتفاعه فوق الناس، ومن هذا الباب أيضًا قوله عز وجل في سورة الحج: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥]، قال المفسرون: معناه فليمدد بسبب إلى ما فوقه من سقف ونحوه، فَسَمَّاه سماء لعلوه بالنسبة إلى من تحته، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ، فقوله هنا : في السماء ، أي في العلو ، وقال صاحب القاموس : سما سموا ارتفع ، وبه أعلاه كأسماه ، إلى أن قال : والسماء معروفة تؤنث وتذكر وسقف كل شيء ، انتهى .

والأدلة في هذا الباب من كلام الله سبحانه وكلام رسوله محمد ﷺ وكلام المفسرين ، وأئمة اللغة ، على إطلاق لفظ السماء على الشيء المرتفع كثيرة .إذا عرف هذا فيحتمل أن يكون معنى الآيات أن الله سبحانه جعل هذه الكواكب في مدار بين السماء والأرض ، وسماه سماء لعلوه ، وليس فيما علمنا من الأدلة ما يمنع ذلك ، وقد ذكر الله سبحانه أن الشمس والقمر يجريان في فلك في آيتين من كتابه الكريم وهما قوله عز وجل في سورة الأنبياء : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقوله سبحانه في سورة يس : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠] ، ولو كانا ملصقين بالسماء لم يوصفا بالسبح لأن السبح هو الجري في الماء ونحوه .

وقد ذكر ابن جرير رحمه الله في تفسيره المشهور أن الفلك في لغة العرب هو الشيء الدائر ، وذكر في معناه عن السلف عدة أقوال ، ثم قال ما نصه : «والصواب من القول في ذلك : أن يقال كما قال الله عز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجل : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠] وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد : كحديدة الرحا ، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحا ، وجائز أن يكون موجا مكفوفا ، وأن يكون قطب السماء وذلك أن الفلك في كلام العرب : هو كل شيء دائر ، فجمعه أفلاك» ، ونقل رحمه الله عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال ما نصه : «الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم ، والشمس والقمر ، وقرأ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الفرقان: ٦١]. وقال : تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض . انتهى .

وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير كلام ابن زيد هذا ، وأنكره ولا وجه لإنكاره عند التأمل ، لعدم الدليل على نكارته ، وقال النسفي في تفسيره ما نصه : «والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم» انتهى .

وقال الألوسي في تفسيره : «روح المعاني» ما نصه : «وقال أكثر المفسرين : هو موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر» انتهى .

وعلى هذا القول في تفسير الفلك والآيات المتقدمة آنفا ، لا يبقى إشكال في أن الوصول إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب لا يخالف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأدلة السمعية ، ولا يلزم منه قدح فيما دل عليه القرآن من كون الشمس والقمر في السماء ، ومن زعم أن المراد بالأفلاك السَّموات المبنية فليس لقوله حجة يعتمد عليها فيما نعلم ، بل ظاهر الأدلة النقلية وغيرها يدل على أن السموات السبع غير الأفلاك ، ويحتمل أنه أراد بالسماء في الآيات المتقدمة : السماء الدنيا ، كما هو ظاهر في آية الحجر وهي قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحجر: ١٦] ، ولم يرد سبحانه أن البروج في داخلها ، وإنما أراد سبحانه أنها بقربها وتنسب إليها كما يقال في لغة العرب فلان مقيم في المدينة ، أو في مكة وإنما هو في ضواحيها وما حولها ، وأما وصفه سبحانه للكواكب بأنها زينة للسماء فلا يلزم منه أن تكون ملصقة بها ، ولا دليل على ذلك ، بل يصح أن تسمى زينة لها ، وإن كانت منفصلة عنها ، وبينها وبينها فضاء كما يزين الإنسان سقفه بالقماش والثريات الكهربائية ونحو ذلك من غير ضرورة إلى إلصاق ذلك به ، ومع هذا يقال في اللغة العربية : فلان زين سقف بيته ، وإن كان بين الزينة والسقف فضاء .

وأما قوله سبحانه في سورة نوح : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥ – ١٦] ، فليس في الأدلة ما يدل على أن معناه أن الشمس والقمر في داخل السموات ، وإنما معناه عند الأكثر : أن نورهما في السَّموات لا أجرامهما فأجرامهما خارج السَّموات ونورهما في السموات والأرض ، وقد روى ابن جرير رحمه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الله عند هذه الآية عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، ما يدل على هذا المعنى حيث قال في تفسيره : حدثنا عبدالأعلى ، قال حدثنا ابن ثور ، عن معمر عن قتادة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : إن الشمس والقمر وجوههما قبل السَّموات ، وأقفيتهما قبل الأرض . انتهى .

وفي سنده انقطاع ، لأن قتادة لم يدرك عبدالله بن عمرو ، ولعل هذا - إن صح عنه - مما تلقاه عن بني إسرائيل ، وظاهر الآية يدل على أن نورهما في السَّموات لا أجرامهما ، وأما كون وجوههما إلى السَّموات وأقفيتهما إلى الأرض فموضع نظر ، والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك .

وأما قول من قال من أهل التفسير : أن ذلك من باب إطلاق الكل على البعض لأن القمر في السماء الدنيا ، والشمس في الرابعة ، كما يقال : رأيت بني تميم وإنما رأى بعضهم فليس بجيد ، ولا دليل عليه ، وليس هناك حجة يعتمد عليها فيما نعلم ، تدل على أن القمر في السماء الدنيا والشمس في الرابعة ، وأما قول من قال ذلك من علماء الفلك ، فليس بحجة عليها لأن أقوالهم غالبًا مبنية على التخمين والظن ، لا على قواعد شرعية ، وأسس قطعية ، فيجب التنبه لذلك ، ويدل على هذا المعنى : ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾ حيث قال ما نصه :

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

أي واحدة فوق واحدة ، وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات؟ فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا ، فأدناها القمر في السماء الدنيا ، وهو يكسف ما فوقه ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة ، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ، ففي فلك ثامن يسمونه : «فلك الثوابت» ، والمتشرعون منهم يقولون : هو الكرسي ، والفلك التاسع : وهو الأطلس ، والأثير عندهم : الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات ، وهي من المغرب إلى المشرق وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ، ومعها يدور سائر الكواكب تبعًا ، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها ، فإنها تسير من المغرب إلى المشرق ، وكل يقطع فلكه بحسبه ، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة ، والشمس في كل سنة مرة ، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة ، وذلك بحسب اتساع أفلاكها ، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة ، هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم ، في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها» انتهى .

فقول الحافظ رحمه الله هنا : على اختلاف بينهم . . . إلخ ، يدل على أن علماء الفلك غير متفقين على ما نقله عنهم آنفًا ، من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كون القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة . . إلخ وغير ذلك مما نقله عنهم ، ولو كانت لديهم أدلة قطعية على ما ذكروا ، لم يختلفوا ، ولو فرضنا أنهم اتفقوا على ما ذكر فاتفاقهم ليس بحجة ، لأنه غير معصوم ، وإنما الإجماع المعصوم هو إجماع علماء الإسلام الذين قد توافرت فيهم شروط الاجتهاد لقول النبي ﷺ فيما رواه الشيخان : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» [أخرجه البخاري ٧٣١١ ، ومسلم٤١٢ واللفظ له] . فإذا اجتمع علماء الإسلام على حكم ، اجتماعًا قطعيًا لا سكوتيًا ، فإنهم بلاشك على حق ، لأن الطائفة المنصورة منهم .

وقد أخبر النبي ﷺ أنها لا تزال على الحق ، حتى يأتي أمر الله ، وظاهر الأدلة السابقة ، وكلام الكثير من أهل العلم أو الأكثر كما حكاه النسفي ، والألوسي : أن جميع الكواكب ومنها الشمس والقمر تحت السَّموات ، وليست في داخل شيء منها ، وبذلك يعلم أنه لا مانع من أن يكون هناك فضاء بين الكواكب والسماء الدنيا ، يمكن أن تسير فيه المركبات الفضائية ، يمكن أن تنزل على سطح القمر أو غيره من الكواكب ولا يجوز أن يقال بامتناع ذلك إلا بدليل شرعي صريح يجب المصير إليه ، كما أنه لا يجوز أن يصدق من قال إنه وصل إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب ، إلا بأدلة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

علمية تدل على صدقه ، ولا شك أن الناس بالنسبة إلى معلوماتهم عن الفضاء ، ورواد الفضاء يتفاوتون ، فمن كان لديه معلومات قد اقتنع بها بواسطة المراصد أو غيرها ، دلته على صحة ما ادعاه رواد الفضاء الأمريكيون أو غيرهم ، من وصولهم إلى سطح القمر فهو معذور في تصديقه ، ومن لم تتوافر لديه المعلومات الدالة على ذلك فالواجب عليه التوقف ، والتثبت حتى يثبت لديه ما يقتضي التصديق أو التكذيب ، عملًا بالأدلة السالف ذكرها ، ومما يدل على إمكان الصعود إلى الكواكب : قول الله سبحانه في سورة الجن فيما أخبر به عنهم : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن: ٨ – ٩] ، فإذا كان الجن قد أمكنهم الصعود إلى السماء حتى لمسوها ، وقعدوا منها مقاعد ، فكيف يستحيل ذلك على الإنس في هذا العصر الذي تطور فيه العلم ، والاختراع حتى وصل إلى حد لا يخطر ببال أحد من الناس ، حتى مخترعيه قبل أن يخترعوه؟ أما السَّموات المبنية فهي محفوظة بأبوابها وحراسها ، فلن يدخلها شياطين الإنس والجن ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٢] ، قال تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجر: ١٧]. وثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء مع جبريل ، لم يدخل السماء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدنيا وما بعدها إلا بإذن ، فغيره من الخلق من باب أولى ، وأما قوله سبحانه في سورة الرحمن : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٣]. فليست واضحة الدلالة على إمكان الصعود إلى الكواكب لأن ظاهرها وما قبلها وما بعدها يدل على أن الله سبحانه أراد بذلك بيان عجز الثقلين ، عن النفوذ من أقطار السَّموات والأرض ، وقد ذكر الإمام ابن جرير رحمه الله وغيره من علماء التفسير في تفسير هذه الآية الكريمة أقوالا أحسنها قولان . أحدهما : أن المراد بذلك يوم القيامة ، وأن الله سبحانه أخبر فيها عن عجز الثقلين يوم القيامة عن الفرار من أهوالها ، وقد قدم ابن جرير هذا القول ، وذكر أن في الآية التي بعدها ما يدل على اختياره له .

والقول الثاني : أن المراد بذلك : بيان عجز الثقلين عن الهروب من الموت لأنه لا سلطان لهم يمكنهم من الهروب من الموت ، كما أنه لا سلطان لهم على الهروب من أهوال يوم القيامة ، وعلى هذين القولين يكون المراد بالسلطان : القوة ، ومما ذكرناه يتضح أنه لا حجة في الآية ، لمن قال إنها تدل على إمكان الصعود إلى الكواكب ، وأن المراد بالسلطان : العلم ، ويتضح أيضا أن أقرب الأقوال فيها : قول من قال : إن المراد بذلك يوم القيامة ، أخبر الله سبحانه فيها أنه يقول ذلك للجن والإنس في ذلك اليوم ، تعجيزًا لهم وإخبارًا أنهم في

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

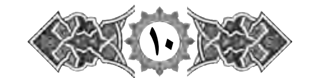
قبضة الله سبحانه ، وليس لهم مفر مما أراد بهم ، ولهذا قال : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٥]

فالمعنى والله أعلم : أنكما لو حاولتما الفرار في ذلك اليوم ، لأرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران منهما ، أما في الدنيا فلا يمكن لأحد النفوذ من أقطار السَّموات المبنية لأنها محفوظة بحرسها وأبوابها كما تقدم ذكر ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



فضل شهر رمضان المبارك

العدد: (١٦٥)، رمضان: (١٣٩٨هـ)، أغسطس: (١٩٧٨م)

إننا الآن في شهر عظيم مبارك، ألا وهو شهر رمضان، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات، وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع فيه الدرجات، وتغفر فيه السيئات، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه العطيات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى ﷺ وأمر الناس بصيامه، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم، فاستقبلوه بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم.

وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة، منها تطهير النفس وتهذيبها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتزكيتها من الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل ، وتعويدها للأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه ، ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء فيوجب له ذكر شكر الله سبحانه ، والاستعانة بنعمه على طاعته ، ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه ، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي : طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه عن إخلاص لله عز وجل ، ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ، وقربى إلى المولى عز وجل ، ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شؤون الدين والدنيا .

وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض فوائد الصوم في قوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» [البخاري٥٠٦٥ ، ومسلم١٤٠٢ واللفظ له] .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فبين النبي ﷺ أن الصوم وجاء للصائم ، ووسيلة لطهارته وعفافه ، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ويذكر بالله وعظمته ، فيضعف سلطان الشيطان ويقوي سلطان الإيمان وتكثر بسببه الطاعات من المؤمنين ، وتقل به المعاصي .

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمتأمل من ذوي البصيرة ، ومنها أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة ، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء وعالجوا به كثيرًا من الأمراض ، وقد ورد في فضله وفرضيته آيات وأحاديث كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [البقرة: ١٨٣] إلى أن قال عز وجل : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وفي الصحيحين [البخاري٨ ،ومسلم٧] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت» . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقول الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، وَلَخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» [أخرجه مسلم٢٧٦٠] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وسلسلت الشياطين» [أخرجه مسلم٢٥٤٩] .

وأخرج [الترمذي٦٨٢ ، وابن ماجه١٦٤٢] عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي مناد : ياباغي الخير أقبل ، وياباغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة» .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه» [البخاري٣٨ ، ومسلم ١٨١٧] وثبت عنه ﷺ أنه «كان في الغالب لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا»[1] وثبت عنه ﷺ أنه في بعض الليالي «يصلي ثلاث عشرة ركعة»[2] وليس في قيام رمضان حد محدود لقول النبي ﷺ لما سئل عن قيام الليل قال : «مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى»[رواه أحمد٤٤٩٢] .

ولم يحدد ﷺ للناس في قيام الليل ركعات محدودة ، بل أطلق لهم تلك ، فمن أحب أن يصلي إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة ، أو ثلاثا وعشرين ، أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه .

ولكن الأفضل هو ما فعله النبي ﷺ وداوم عليه في أغلب الليالي ، وهو إحدى عشرة ركعة مع الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة ، وعدم العجلة ، لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب والخشوع فيها ، وأداؤها كما شرع الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب . كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ١ – ٢] ، وقال النبي ﷺ : «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[3] ، وقال للذي أساء في صلاته : «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر

---

(١) أخرجه البخاري [٣٥٦٩].

(٢) أخرجه الترمذي [٤٤٢].

(٣) أخرجه النسائي [٣٩٣٩]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» [البخاري٦٢٥٢ ، ومسلم٩١٢] .

وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها بل ينقرها نقرًا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة ، فالواجب الحذر من ذلك ، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» قالوا : يا رسول الله ، كيف يسرق صلاته؟ ، قال : «لا يتم ركوعها ولا سجودها» [رواه أحمد١١٥٤٩ ، والحاكم٨٣٥] .

وثبت عنه ﷺ أنه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها ، فعلى المسلمين اغتنام هذا الشهر العظيم وتعظيمه بأنواع العبادات والقربات ، فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده يتسابقون إليه فيه بالطاعات ويتنافسون فيه بأنواع الخيرات ، والإكثار فيه من الصلوات والصدقات وقراءة القرآن الكريم والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام ، وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، وعلى المسلمين كذلك حفظ صيامهم عما حرمه الله عليهم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [رواه البخاري١٩٠٣] وقال عليه الصلاة والسلام : «الصيام جنة ، وإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وإن امرؤ سابه أو شتمه فليقل : إني صائم»[1] وجاء عنه ﷺ أنه قال : «ليس الصيام عن الطعام والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفث» [رواه الحاكم ١٥٧٠ ، والبيهقي ٨٥٧١] .

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء»[2] . فينبغي للصائم الإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار ، وسائر أنواع القربات في الليل والنهار ، اغتناما للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات ، ومرضاة فاطر الأرض والسموات . والحذر من كل ما ينقص الصوم ، ويضعف الأجر ، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي ، كالتهاون بالصلاة والبخل بالزكاة وأكل الربا وأكل أموال اليتامى ، وأنواع الظلم وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، والغيبة والنميمة ، والكذب ، وشهادة الزور ، والدعاوى الباطلة ، والأيمان الكاذبة ، وتبرج النساء ، وعدم تسترهن من الرجال ، والتشبه بنساء الكفرة في لبس الثياب القصيرة ، وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله ﷺ .

وهذه المعاصي التي ذكرنا محرمة في كل زمان ومكان ، ولكنها في رمضان أشد تحريمًا ، وأعظم إثمًا ، لفضل الزمان وحرمته .

---

(١) أخرجه النسائي: [٢٢١٧].

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: [٣٣٧٤].

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

ومن أقبح هذه المعاصي وأخطرها على المسلمين ما ابتلي به كثير من الناس من التكاسل عن الصلوات والتهاون بأدائها في الجماعة في المساجد ، ولاشك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢] ، وقال النبي ﷺ «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر» [رواه ابن ماجه٧٩٣ وابن حبان٢٠٦٤ والحاكم٨٩٤] ، وقال له ﷺ رجل أعمى : يا رسول الله ، إني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلائمني ، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ : «هل تسمع النداء للصلاة؟» قال : نعم ، قال : «فأجب» ، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله ﷺ : «لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض»[1] .

وقال رضي الله عنه : «لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم »[2]

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضا ما بلي به الكثير من الناس من استماع الأغاني وآلات الطرب وإعلان ذلك في الأسواق وغيرها . ولاريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن

---

(١) أخرجه ابن ماجة: [٧٩٢].

(٢) أخرجه مسلم: [١٥٢٠].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به ، ومن أعظم الأسباب أيضا في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان: ٦] .

ولقد فسر أهل العلم لهو الحديث بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق . وقال النبي ﷺ«ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحِرَّ والحرير والخمر والمعازف» [رواه البخاري ٥٥٩٠ ، وأبوداود ٤٠٤١] . والحر هو الفرج الحرام والحرير معروف والخمر هو كل مسكر والمعازف هي الغناء وآلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب ، والمعنى أنه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال الغناء وآلات الملاهي ، وقد وقع ذلك كما أخبر به النبي ﷺ وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع» [1] فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله ، واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره ، وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة . . والله المسؤول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه وأن

---

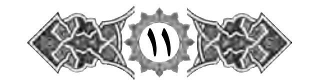
(١) أخرجه البيهقي: [٢١٥٣٦].

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يتقبل منا جميعا صيامنا وقيامنا ، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه ، وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شيء إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



أنقذوا أفغانستان المسلمة من طغيان الملاحدة

العدد: (١٨٥) ، جمادى الأولى: (١٤٠٠هـ) ، مارس: (١٩٨٠م)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا أيها المسلمون ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لا يخفى عليكم ما جرى ويجري الآن في أفغانستان البلاد المسلمة من اعتداء روسيا الشيوعية عليها واحتلالها وتقتيل المسلمين وتشريدهم من ديارهم ومحاولة الشيوعية القضاء على الإسلام والمسلمين في أفغانستان ، البلد المسلم ، ومع هذا فهم جادون في الدفاع عن دينهم ثم عن أنفسهم وأعراضهم وبلادهم أمام هذه الحملة الكبيرة الكافرة الظالمة ، وهم في أشد الحاجة بل الضرورة إلى مساعدتهم من إخوانهم المسلمين ، لأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وإنه يؤلمنا ما يؤلم إخواننا ويسرنا ما يسرهم ، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على وجوب جهاد أعداء الله بالنفس والمال ولاسيما إذا هجموا على شيء من بلاد المسلمين ، وإن المسلمين متى تركوا ذلك أثموا جميعا .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن المعلوم أن الخطر الشيوعي يهدد كل دول الإسلام وإننا معرضون لهجمات الشيوعية الحاقدة على الأديان ، ولقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يكفي ويشفي في فضل الجهاد والحض عليه ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦] . وقوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]. وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠ – ١٣]. والآيات في فضل الجهاد كثيرة ، ومما جاء في السنة النبوية المطهرة في ذلك ما رواه الصحابي الجليل أبو هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال : «الإيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا؟ قال : «حج مبرور» [أخرجه البخاري٢٦ ، ومسلم٢٥٨] وما رواه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال : «الصلاة على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقتها» قلت : ثم أي؟ قال : «بر الوالدين» قلت : ثم أي؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» [أخرجه البخاري٥٢٧ ، ومسلم٢٦٤]

وما رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال :أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال : أي الناس أفضل؟ قال : «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» قال : ثم من؟ قال : «مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ، ويدع الناس من شره» [أخرجه البخاري٢٧٨٦ ، ومسلم٢٩٩٤] والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

ويجب الجهاد على الأعيان في ثلاثة مواضع ، أحدها : إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان ، لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنفال: ١٥] ، الثاني : إذا نزل الكفار ببلد ، تعين على أهله قتالهم ودفعهم ، كما هو الواقع في أفغانستان ، ويجب على إخوانهم المسلمين في كل مكان دعمهم ومساعدتهم لعموم قوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة: ٤١]

ثالثا : إذا استنفره من له استنفاره ، تعين عليه ، لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ﱡٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ﱠ [التوبة: ٣٨] . ولقول النبي ﷺ «وإذا استنفرتم فانفروا» [أخرجه البخاري ١٨٣٤ ، ومسلم ٣٣٦٨] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، يجب جهاد الكفار واستنقاذ ما بأيديهم من بلاد المسلمين وأسراهم ، ويجب على المسلمين أن يكونوا يدا واحدة على الكفار ، وأن يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله ويدعو المسلمين إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من الصدق وحسن الأخلاق ، فإن هذا من أعظم أصول الإسلام وقواعد الإيمان التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه وأمر عباده عمومًا بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف ، كما قال الله تعالى : ﱡأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚﱠ [الشورى: ١٣] قَالَ تَعَالَى: ﱡوَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ١٠٥ﱠ [آل عمران: ١٠٥] ، وأخبر سبحانه بأنه أرسل جميع الرسل بدين الإسلام كما قال تعالى : ﱡمِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَاﱠ [الحج: ٧٨] .

فيا أيها المسلمون في كل مكان ، إن علينا جميعًا أن نشكر الله سبحانه على ما من به علينا من النعم الظاهرة والباطنة وأن نمد يد المعونة والمساعدة لإخواننا المسلمين الأفغانيين الذين يعانون من أعداء الإسلام التقتيل والتشريد والتيتيم والتشتيت في العراء والصحراء في البرد والجوع ، فالواجب على المسلمين جميعًا أن يبذلوا لهم ما يعينهم على جهاد أعداء الإسلام ويمكنهم من أسباب النصر عليهم كل حسب

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

استطاعته لقول الله عز وجل : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: ١٦] ، وقول النبي ﷺ : «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[١] وقوله عليه الصلاة والسلام : «من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»[٢] ، والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والنفقة فيه كثيرة ، ولا مانع من صرف الزكاة لهم لأنهم من الأصناف الثمانية المذكورة في قوله تعالى :﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦٠ ﴾ [التوبة: ٦٠] ، والمجاهدون هم المقصودون بقوله تعالى : ﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ولا بأس بتعجيلها وإخراجها لهم قبل وقتها ، أي قبل أن يحول عليها الحول ، ويشرع للجميع الدعاء لهم بالنصر والتأييد على أعداء الإسلام لأن الدعاء من أفضل القربات مع بذل جميع الأسباب الممكنة في جهاد الأعداء وإعانة المجاهدين ، ومن أعظم الأسباب التوبة إلى الله سبحانه من جميع الذنوب والاستقامة على أداء فرائضه وترك محارمه لأن المعاصي من أعظم أسباب الخذلان وتسليط الأعداء كما قال الله عز وجل ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠ ﴾ [الشورى: ٣٠]

---

(١) أخرجه أبوداود: [٢٥٠٦].

(٢) أخرجه البخاري:[٢٨٤٣] ، ومسلم [٥٠١١]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

قال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ [النساء: ٧٩] .

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ويصلح قادتهم وأن يمن على الجميع بالتوبة النصوح وأن ينصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان وفي كل مكان وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن يذل أعداء الإسلام ويشتت شملهم ويفرق جمعهم ويجعل تدميرهم في تدبيرهم وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، إنه على كل شيء قدير .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



تكريم المصحف

العدد: (٢٠٧)، ربيع الأول: (١٤٠٢هـ)، يناير: (١٩٨٢م)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن كلام الله تعالى أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون هدى ونورًا للعالمين إلى يوم القيامة، وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظه في الصدور والعمل به في جميع شؤون الحياة والتحاكم إليه في القليل والكثير.

ولا يزال فضل الله سبحانه ينزل على بعض عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حسًا ومعنى، ولكن هناك طوائف كبيرة وأعداد عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام حرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول محمد ﷺ وأخشى أن ينطبق بحق كثير منهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠]. إذ أصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورًا.. هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولقد غفل كثير منهم عما يجب عليهم من تكريم كتاب الله وحفظه، إذ قصروا في مجال الحفظ والتدبر والعمل كما لم يقوموا بما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العالمين ، ولقد عمت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات ، وكثيرًا ما تشتمل على آيات من القرآن الكريم في غلافها أو داخلها ، لكن قسما كبيرًا من المسلمين حينما يقرأون تلك الصحف يلقونها فتجمع مع القمائم وتوطأ بالاقدام بل قد يستعملها بعضهم لأغراض أخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات ، والله سبحانه وتعالى يقول عن كتابه الكريم : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ **[الواقعة: ٧٧ – ٨٠]** ، والآية دليل على أنه لا يجوز مس القرآن إلا إذا كان المسلم على طهارة ، كما هو رأي الجمهور من أهل العلم ، وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ أن لا يمس القرآن إلا طاهر .

ويروى عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر»[(١)] وروى عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنه قال : لا يمس القرآن إلا المطهرون ، فقرأ القرآن ولم يمس المصحف حين لم يكن على وضوء ، وعن سعد أنه أمر ابنه بالوضوء لمس المصحف ، فإذا كان هذا في مس القرآن العزيز ، فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على آيات من القرآن العزيز سفرة لطعامه ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات؟ ! لاشك أن هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين .

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظوا على الصحف والكتب

---

(١) أخرجه الطبري في الكبير: [٣٠٦٤]، والحاكم في المستدرك: [٦٠٥١]

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وغيرها مما فيه آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو كلام فيه ذكر الله أو بعض أسمائه سبحانه فيحفظها في مكان طاهر ، وإذا استغنى عنها دفنها في أرض طاهرة أو أحرقها ولا يجوز التساهل في ذلك ، وحيث إن الكثير من الناس في غفلة عن هذا الأمر وقد يقع في المحذور جهلًا منه بالحكم رأيت كتابة هذه الكلمة تذكيرًا وبيانًا لما يجب على المسلم العمل به تجاه كتاب الله وأسمائه وصفاته وأحاديث رسوله ﷺ وتحذيرًا من الوقوع فيما يغضب الله ويتنافى مع مقام كلام رب العالمين ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا والمسلمين جميعًا لما يحبه ويرضاه .

* * *

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



وجوب الرجوع إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب

العدد: (٢٢٥)، رمضان: (١٤٠٣هـ)، يوليو: (١٩٨٣م)

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، إلى من يطلع عليه من المسلمين:

وفقني الله وإياكم للتذكر والاعتبار، والاتعاظ بما تجري به الأقدار، والمبادرة بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والأوزار.. آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإن الله عز وجل بحكمته البالغة، وحجته القاطعة، وعلمه المحيط بكل شيء، يبتلي عباده بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، وبالنعم والنقم، ليمتحن صبرهم وشكرهم، فمن صبر عند البلاء، وشكر عند الرخاء، وضرع إلى الله سبحانه عند حصول المصائب، يشكو إليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه، أفلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة، قال الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣].

والمقصود بالفتنة في هذه الآية الاختبار والامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب، والصابر والشاكر، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٢٠].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٨]

والحسنات هنا هي النعم من الخصب والرخاء والصحة والعزة ، والنصر على الأعداء ونحو ذلك ، والسيئات هنا هي المصائب ، كالأمراض وتسليط الأعداء والزلازل ، والرياح العاصفة والسيول الجارفة المدمرة ونحو ذلك ، وقال عز وجل : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] ، والمعنى أنه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات والسيئات وما ظهر من الفساد ؛ ليرجع الناس إلى الحق ، ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم ، ويسارعوا إلى طاعة الله ورسوله ؛ لأن الكفر والمعاصي هما سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة .

وأما توحيد الله والإيمان به وبرسله ، وطاعته وطاعة رسله ، والتمسك بشريعته ، والدعوة إليها ، والإنكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة ، وفي الثبات على ذلك والتواصي به والتعاون عليه ؛ عز الدنيا والآخرة ، والنجاة من كل مكروه ، والعافية من كل فتنة ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١] .

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥] .

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقد بين سبحانه في آيات كثيرات أن الذي أصاب الأمم السابقة من العذاب والنكال بالطوفان والريح العقيم والصيحة والغرق والخسف وغير ذلك كله بأسباب كفرهم وذنوبهم ، كما قال عز وجل : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] .

وأمر عباده بالتوبة إليه ، والضراعة إليه عند وقوع المصائب ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [التحريم: ٨] .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٣] .

وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده ، وترغيب لهم إذا حلت بهم المصائب من الأمراض والجراح والقتال والزلازل والريح العاصفة وغير ذلك من المصائب ، أن يتضرعوا إليه ويفتقروا إليه فيسألوه العون ، وهذا هو معنى قوله سبحانه : ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ والمعنى هلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا .

ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم ، وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة ، كل ذلك بسبب صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار ، فقال عز وجل : ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ .

وقد ثبت عن الخليفة الراشد- رحمه الله- أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه كتب إلى عماله في البلدان وأمرهم أن يأمروا المسلمين بالتوبة إلى الله والضراعة إليه والاستغفار من ذنوبهم ، وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع في عصرنا هذا من أنواع الفتن والمصائب ، ومن ذلك تسليط الكفار على المسلمين في أفغانستان والفلبين والهند وفلسطين ولبنان وأثيوبيا وغيرها .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبلدان كثيرة ، ومن ذلك ما وقع من فيضانات مدمرة ، والريح العاصفة المدمرة لكثير من الأموال والأشجار والمراكب البحرية وغير ذلك ، وأنواع الثلوج التي حصل بها ما لا يحصى من الضرر ، ومن ذلك المجاعة والجدب والقحط في كثير من البلدان ، وكل هذا وأشباهه من أنواع العقوبات والمصائب التي ابتلى الله بها العباد بأسباب الكفر والمعاصي ، والانحراف عن طاعته سبحانه ، والإقبال على الدنيا وشهواتها العاجلة ، والإعراض عن الآخرة ، وعدم الإعداد لها إلا من رحم الله من عباده ، ولا شك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة إلى الله سبحانه من جميع ما حرم الله عليهم ، والبدار إلى طاعته وتحكيم شريعته ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق والصبر عليه ، ومتى تاب العباد إلى ربهم وتضرعوا إليه ، وسارعوا إلى ما يرضيه ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، أصلح الله أحوالهم ، وكفاهم شر أعدائهم ، ومكن لهم في الأرض ونصرهم على عدوهم ، وأسبغ عليهم نعمه ، وصرف عنهم نقمه ، كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [هود: ٣].

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

فأوضح عز وجل في هذه الآيات أن رحمته وإحسانه وأمنه وسائر نعمه إنما تحصل على الكمال الموصول بنعيم الآخرة لمن اتقاه وآمن به، وأطاع رسله واستقام على شرعه، وتاب إليه من ذنوبه، أما من أعرض عن طاعته، وتكبر عن أداء حقه، وأصر على كفره وعصيانه، فقد توعده سبحانه بأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة، وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤ — ٤٥].

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا إلى ربكم واستغفروه ، وبادروا إلى طاعته ، واحذروا معصيته ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ، وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت ، وارحموا ضعفاءكم ، وواسوا فقراءكم ، وأكثروا من ذكر الله واستغفاره ، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون ، واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي ، والله يتوب على التائبين ، ويرحم المحسنين ، ويحسن العاقبة للمتقين ، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩] .

والله المسؤول بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرحم عباده المسلمين ، وأن يفقههم في الدين ، وينصرهم على أعدائه وأعدائهم من الكفار والمنافقين ، وأن ينزل بأسه بهم الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

– انتهى –

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفهرس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إصدارات



١- القدس في القلب والذاكرة.

٢- حقوق الإنسان في الإسلام.

٣- النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية.

٤- الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.

٥- المجموعة القصصية الأولى للأطفال.

٦- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.

٧- الحج ولادة جديدة.

٨- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد.

٩- لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

١٠- المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.

١١- التجديد في التفسير.. نظرة في المفهوم والضوابط.

١٢- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.

١٣- رياض الأفهام شرح عمدة الأحكام.

١٤- مقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية



تأليف

أ.د. وليد عبد الله المنيس

الإصدار السابع عشر

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

https://t.me/megallat

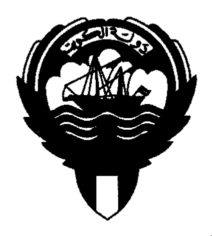
oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

Al-Waei Al-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري



الطبعة الأولى

الإصدار السابع عشر

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧

الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:

w.w.walwaei.com

الإشراف العام:

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقدمة

الحمد لله الكريم المتعال، العميم الإفضال، الذي وفق من شاء للسفر والانتقال، وأطاب له إلقاء عصا الترحال، فيما تيسر من البلدان والمحال، والصّلاة والسّلام على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه المسددين في الأقوال والأفعال.

أما بعد، فهذا كتاب تيسر تأليفه بعون الله تعالى ليضم مجموعة من العلماء والأعلام، الذين زاروا الكويت في فترات سابقة، فمنهم من طاب له المقام، فأقام، ومنهم من استقر ثم بدا له أن يرجع إلى موطنه في أخريات عمره، ومنهم من تكررت زيارته فلا يكاد ينقطع عن الكويت إما لدعوات خاصة أو لزيارات مخصصة لمهام معيّنة.

وسيقف القارئ الكريم على أسماء لامعة ومبرزة في فنون العلم والآداب، كما سيلاحظ أسماء تجتمع على تخصص أو وظيفة. فهناك مثلاً القراء، وهناك أهل الحديث المسندين، والفقهاء المدققين، والأدباء المحققين مما يدل على حياة هذا البلد المضياف ودوام اتصاله بالعلماء والأعلام.

وهذا الكتاب لم يقصد استقصاء كل وارد وصادر، وداخل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومغادر، **لكن وقع الاختيار على ما يزيد عن تسعين شخصية ممن لهم حضور في الكويت أو العالم العربي والإسلامي، أو كان لهم آثار في نشر العلم والإفادة في الكويت** خاصة؛ ولا يمنع ذلك، بحسب ما يتيسر، أن نذيّل على كتابنا هذا بذكر علماء وأعلام لم يتسع المقام لذكرهم وذلك في كتاب آخر، والله المستعان.

ومن المهم أن نقول أن ترتيب أسماء العلماء والأعلام في كتابنا هذا إذا لم يكونوا على قيد الحياة فنذكر الأقدم وفاةً، أما إذا كانوا على قيد الحياة فالأسبق ولادةً. ويتناول الكتاب العلماء والأعلام في حوالي ثلاثة قرون وزيادة بحسب ما يسمح به المقام وشروط الاختيار.

ومن المهم أن نقول أن بعض العلماء والأعلام ذكرناهم في كتابنا هذا رغم وجودهم في كتب التراجم والتاريخ في الكويت والسبب لأن لهم بصمات واضحة في العلم، وأحياناً لا نذكر بعض العلماء والأعلام والسبب لأنه قد تكرر ذكرهم في كتب تاريخ الكويت وصاروا وجوهاً مألوفة، ومن هؤلاء: الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، والشيخ عبد العزيز العلجي رحمه الله، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله، وكثير من الأسماء على هذا المنوال.

وحتى لا يقول قائل هناك فوائت، والحال أن الحصر التام لله تعالى ولا حول ولا قوة إلا به، وحسبنا أن نجعل الكتاب يحتوي على أسماء وأعلام لم تعرف من قبل.

ولعل من أبرز مقاصد هذا الكتاب أنه بقدر المستطاع يحاول أن يجمع بين دَّفتَيْه تراجم وأخبار ثلة كريمة من العلماء والأعلام الذين لم يذكروا في كتب الأعلام أو التاريخ أو المتابعات الخاصة بالكويت بشيء من التفصيل، أو لم يذكروا أصلاً، أو ذكروا بصفة عابرة لم تف بالتعريف بهم، من غير استقصاء لأن ذلك يشق، بل بقدر الوسع والطاقة كما قدمنا.

ولا بد لي هنا من شكر رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي الشيخ فيصل يوسف العلي الذي ما فتئ يتابع هذا الكتاب، وينبه عن هذا العالم أو العَلَم أو ذاك، خاصة وإن من أبرز العلماء المذكورين قد جاءوا بدعوة مباشرة منه بعون الله تعالى، وبمؤازرة من وزارة الأوقاف الكويتية، كما أنه أمدني بأمهات المراجع المتصلة بالأعلام التي سهلت مهمة إتمام الكتاب، كما أنه تابع طباعة الكتاب إلى حين إتمامه؛ والشكر موصول للأستاذ الدكتور يعقوب يوسف الغنيم على مقترحاته والمعلومات الدقيقة التي قدمها عن بعض المحققين، وملاحظاته المهمة على مجمل الأسماء ومضمون الكتاب، وكذلك للأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم على ما زودني به من معلومات عن بعض الأعلام، حفظهما الله.

كما أشكر كل من أمدني بمعلومات عن بعض الأعلام، أو نبه عن عالم عابر أو عَلَمٍ زائر، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. وليد عبد الله المنيس

الكويت، حرسها الله تعالى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١

محمد بن فيروز

(١٠٧٢ ـ ١١٣٥هـ/١٦٥٢ ـ ١٧١٥م)

هو العلامة الشيخ القاضي محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن فيروز الوهيبي، التميمي نسباً النجدي ثم الكويتي بلداً[١].

مشايخه:

قرأ على علماء عصره حتى برع وفاق أقرانه إلى أن ولي القضاء، أخذ العلم عن الشيخ سيف بن عزاز، والشيخ عبد الوهاب بن عبد الله.

أول من ولي القضاء في الكويت:

اتفق مؤرخو الكويت الموثوقون على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن فيروز هو أول قاض للكويت، بعد هجرته من بلده في نجد.

أقوال مؤرخي الكويت:

تحدث مؤرخو الكويت عن موضوع القضاة وتسلسلهم، فقد ذكر المؤرخ الشيخ عبد العزيز الرشيد ما نصه:

---

(١) هكذا عرف به ابن بسام في: «علماء نجد» (٦/ ٢٦٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«أما أول من تولاه ـ أي القضاء ـ فغير معروف على التحقيق، وأقدم من عرف هو الشيخ محمد بن فيروز كما أخبرني أستاذنا الفاضل الشيخ عبد الله الخلف نقلاً عن الشيخ إبراهيم بن عيسى المؤرخ النجدي، ولا يبعد أن يكون الأستاذ هو أول قضاتها لأنه توفي عام ١١٣٥هـ في الكويت[١].

ويؤكد ذلك القاضي الشيخ يوسف بن عيسى القناعي المالكي الكويتي عندما رتب سلسلة قضاة الكويت بقوله:

«سلسلة القضاة في الكويت، الشيخ محمد بن فيروز، وقد توفي ١١٣٥هـ»[٢]. ثم شرع بذكر من يليه.

وفي موضع آخر يقول ابن بسام عن انتقال ابن فيروز من بلده إلى الكويت:

«بلدة أشيقر إحدى بلدان الوشم والذي انتقل منها إلى الكويت هو الشيخ محمد بن فيروز ـ فالمنتقل هذا هو جد العالم المشهور في الإحساء ـ وصار قاضياً في الكويت حتى توفي عام ١١٣٥هـ، ويقال إنه أول من تولى قضاء الكويت، ثم انتقل ابنه عبد الله من الكويت إلى الإحساء واستوطنه»[٣].

---

(١) عبد العزيز الرشيد: «تاريخ الكويت»، ص٩٢، ط ١٩٧٨م.
(٢) يوسف بن عيسى القناعي: «صفحات من تاريخ الكويت»، ص٣٩، ط ١٩٧٨م.
(٣) ابن بسام (٦/ ٢٣٦).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي هذا دليل على أن ابنه تفقه على والده في الكويت قبل أن يغادر إلى الإحساء، ومما يذكر أن العتوب، وهم الأسر الذين أسسوا الكويت والبحرين، كانوا على اتصال بابن فيروز منذ وصولهم الزبارة في قطر في بداية تحركهم نحو شرق الجزيرة كما ذكر في بعض المصادر.

توافق تاريخ تسلسل القضاة مع تأسيس الكويت:

المطلع على تاريخ تولي العلامة محمد بن فيروز القضاء في الكويت مع ربط ذلك بتاريخ تأسيسها عام ١٠٢٢هـ كما ذكر الشيخ مبارك الكبير، وأن القاضي ابن فيروز الذي ولد عام ١٠٧٢هـ، ومات عام ١١٣٥هـ في الكويت، ليؤكد التوافق الزمني والتقارب التاريخي بين زمني التأسيس والتسلسل القضائي في الكويت كما أورده الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الكويتي[١].

تحقيق مسألة نشأة القضاء وتسلسل القضاة في الكويت عند د. يعقوب يوسف الغنيم[٢]:

ممن تعرض لمسألة القضاة في الكويت وتسلسلهم وأحوال القضاء وتاريخه في الكويت مع تحرير هذه القضية المهمة

---

(١) انظر: «صفحات من تاريخ الكويت»، للشيخ يوسف بن عيسى القناعي، ص٣٩ ـ ٤٠، ذكر تسلسل القضاة إلى ما يقرب من نهاية حكم مبارك الكبير ١٣٣٩هـ.

(٢) هو معالي الأديب المؤرخ د. يعقوب يوسف الغنيم وزير التربية السابق وابن أخت علامة الكويت الشيخ محمد بن سليمان الجراح رحمه الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

د. يعقوب يوسف الغنيم في موسوعته الحافلة «الأزمنة والأمكنة»، وهي موسوعة تخص الحوادث والأيام والناس في الكويت، مع تحقيق وتحرير مواضع النزاع في تاريخ الكويت الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

يقول د. الغنيم ما نصه:

وقبل كل شيء فإنه لا بد من الإشارة إلى أن القضاء قد نشأ بوجود قاضي الشرع منذ البداية حتى لقد رأينا الشيخ عبد العزيز الرشيد يستدل به على بداية الكويت، فهو يرى أن الكويت تأسست قبل سنة ١١٣٥هـ (١٧٢٢م)، وذلك لأنه رجح أن أول من تولى القضاء في الكويت هو الشيخ محمد بن فيروز، وقال: «ولا يبعد أن يكون ذلك الأستاذ هو أول قضاتها لأنه توفي في الكويت سنة ١١٣٥هـ».

ويقينا أن هذا التاريخ لا يدل على زمن تأسيس الكويت لعدة أسباب أولها: أن هذا هو تاريخ وفاة القاضي وليس تاريخ بدء عمله، وثانيهما: أن البلد بقيت مدة طويلة يتقاضى الناس بينهم فيها عن طريق التفاهم، وهنا يقول الشيخ الرشيد: «نكاد نجزم أن آل صباح لم يولوا القضاء أحداً أول ما نزلوا في أرض الكويت، وأن الذي كان يتولاه إذ ذاك هو من يقع اختيار المتنازعين عليه».

ويضيف: إن التقاضي موجود منذ نشأة الكويت، ولكن أسلوبه مختلف إلى أن استقر الرأي على اختيار قاض يُعتمد عليه، فتم اختيار الشيخ محمد بن فيروز لكي يقوم بهذه المهمة، ومع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك فهو لا يدل دلالة قاطعة على تاريخ نشأة الكويت لأننا لا نعرف الفترة التي كان التقاضي يتم بها بين الناس عن طريق اختيار حكَم يرجعون إليه، ولا الفترة التي مرت بين وقت اختيار ابن فيروز وتاريخ وفاته، بل إن الشيخ عبد العزيز الرشيد يصرح بأن أول من تولى القضاء غير معروف على التحقيق وإن كان أقدم من عُرف هو الشيخ ابن فيروز، وهذا يعطي دلالة أخرى على النشأة إذ تبين لنا هنا أن هذا المرفق المهم قد مر بثلاثة أطوار، الأول منها التقاضي بين الناس عن طريق انتداب من يرون تحكيمه في مشكلاتهم، والثاني تولية قضاة لم نعرفهم كما ذكر الرشيد، والثالث هو ابن فيروز المذكور.

بعد وفاة ابن فيروز تولى قضاء الكويت أحد أفراد آل عبد الجليل، وعبر عن ذلك الشيخ عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى بقولهما: يقال أن أحد آل عبد الجليل قام بالقضاء بعده، أي بعد ابن فيروز.

وفي هذه الأثناء وصل إلى البلاد رئيس آل عدساني كما سماه الرشيد، وكان عالماً صالحاً، أعجب القاضي (العبد الجليل) ذلك منه فقام بالتنازل عن منصب القضاء له، ومنذ ذلك الوقت استمر هذا العمل في أيدي أفراد من هذه الأسرة الكريمة حتى صار لفظ العدساني يعادل لفظ القاضي، وأذكر أنه كان يُحكى أن بعض البحارة الكويتيين حدثت لهم حادثة في البحرين فذهبوا للتقاضي هناك، وعندما أتوا إلى الكويت رووا حكايتهم قائلين: ذهبنا إلى عدساني البحرين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويواصل د. الغنيم قوله أنه قد تولى القضاء عدد من آل عدساني منهم:

١ - الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن العدساني الذي توفي في سنة ١١٩٧هـ (١٧٨٢م).

٢ - الشيخ محمد بن محمد العدساني الذي توفي في سنة ١٢٠٨هـ (١٧٩٣م).

٣ - الشيخ محمد صالح العدساني الذي استقال في سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م).

بعد ذلك تولى القضاء الشيخ علي بن شارخ حتى سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م)، وتوفي بعد سنتين أو ثلاث من تاريخ تعيينه، وهنا عاد القضاء إلى آل عدساني، وكان أول واحد منهم بعد الشارخ الشيخ محمد صالح العدساني الذي عاد مرة أخرى، وبقي في منصبه هذا حتى وفاته في سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٧م).

عند وفاة محمد صالح العدساني لم يكن الذي سوف يحل محله من الأسرة ذاتها مستعداً للقيام بالمهمة، وكان يحتاج إلى وقت إضافي لذلك، فتولى القضاء رجلان هما الشيخ علي بن نشوان ومحمد بن محمود حتى سنة ١٢٣٥هـ (١٨١٩م)، وهنا تولى العدساني المشار إليه وهو عبد الله مهام القضاء حتى سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م).

وهكذا استمرت السلسلة العدسانية فيما بعد إلى أن تغيرت الأمور، واختلفت الأنظمة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويناقش د. الغنيم مسألة التشابه بين اسمين من آل فيروز ممن التبس على بعض المؤرخين بقوله:

١ ـ كتب الأستاذ عبد الله خالد الحاتم عن تاريخ القضاء في الكويت في ص٢٠٥ من كتابه: «من هنا بدأت الكويت» فذكر تولي محمد بن فيروز للقضاء عندنا، فقال بكل جرأة: «وهذه الرواية بدورها مغلوطة، كما نجد ذلك واضحاً من رواية الشيخ عثمان بن سند»، وبين أن ابن سند معاصر لابن فيروز الذي توفي في البصرة ودفن في الزبير، في سنة ١٨٠١م، ويتساءل فأين هذه الرواية من تلك؟ واستدرك قائلاً: «اللهم إلا إذا كان الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز هذا هو غير محمد بن فيروز المذكور في تاريخ الكويت»، ويا ليت الأستاذ حاتم اكتفى بهذا الاستدراك الذي يبدو أنه غير مقتنع به، ولو قرأ كتاب الشيخ عبد العزيز الرشيد جيداً لعرف الحقيقة، فتاريخ وفاة ابن فيروز في الكويت بعد أن أدار قضاءها كانت في سنة ١٧٢٢م، ووفاة ابن فيروز الذي تحدث عنه ابن سند كانت في سنة ١٨٠١م، ويبدو من سياق حديث ابن سند أن صاحبه لم يأت إلى الكويت أصلاً، ولذا فإن قاضي الكويت المقصود هو شخص آخر، وقد ساق الشيخ عبد العزيز حديثاً قاطعاً يدل على صحة ما ذهبنا إليه، وذلك حين قال عن القضاة: «وأقدم من عرف هو الشيخ محمد بن فيروز جد ابن فيروز المشهور كما أخبرني أستاذنا الفاضل الشيخ عبد الله الخلف نقلاً عن الشيخ إبراهيم بن عيسى المؤرخ النجدي».

هذا والاسم الكامل لهذا القاضي هو محمد بن عبد الله بن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيروز، وصاحب ابن سند اسمه: محمد بن عبد الله بن محمد بن فيروز، وكان هذا من نقاد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذا يؤكد عدم تلقي الشيخ إبراهيم بن صالح العلم على يديه.

ولم يكن الشيخ إبراهيم بن صالح قد عاصر الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز، لأن هذا الأخير توفي قبله بزمن، والشيخ ابن صالح من مواليد سنة ١٢٧٠هـ، في الوقت الذي رأينا فيه أن وفاة ابن فيروز القاضي في الكويت كانت في سنة ١١٣٥هـ، ولكن اسمه ورد ضمن السند الذي وصل إلى آخر شيخ درس عليه وهو الشيخ أحمد بن عيسى.

ويخلص بقوله إن: الصواب في هذه المسألة ما ذكره الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن صالح البسام في كتابه: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ـ ٦/ ٢٣٦ ـ وهو أن محمد بن عبد الله بن فيروز قاضي الكويت الذي توفي في سنة ١١٣٥هـ (١٧٣٣م) أنجب ابناً اسمه عبد الله اشتغل بالعلم الديني وانتقل بعد وفاة أبيه إلى الأحساء، وأنجب عبد الله هذا ولداً سماه محمداً هو الذي طلب العلم ونبغ فيه وانتقل إلى العراق للسبب الذي أشرنا إليه.

وعلى هذا فإن من اسمه محمد بن عبد الله بن فيروز اثنان أحدهما قاضي الكويت والآخر هو الذي ذكره صاحب كتاب «سبائك العسجد» وتبنى الحاتم قوله دون تمحيص، وهذا هو حفيد صاحبنا.

٢ ـ ذكرنا في أول حديثنا أن رجلاً من آل عبد الجليل تولى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القضاء بعد وفاة الشيخ محمد بن فيروز، وليست لدينا معلومات عن حياته ومقدرته العلمية، ولكن اختياره لم يتم في ذلك الوقت لولا استطاعته القيام بالمهمة الموكلة إليه.

ولعل مما يدل على هذه الفترة أن الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن العدساني تولى القضاء منذ سنة ١١٧١هـ (١٧٥٦م) وبينه وبين وفاة ابن فيروز خمس وثلاثون سنة، وهذا هو ما يؤكد وجود قاضٍ بين الإثنين، ولا توجد معلومات وافية عن هذا القاضي إلا أنه هو مؤسس مسجد العدساني في المنطقة التجارية» اهـ[١].

❐ ❐ ❐

---

(١) هذا آخر ما نقل من ملاحظات د. يعقوب الغنيم على مسألة القضاة وتسلسلهم في الكويت وما يتصل بذلك من أمور.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢

عبد الرحمن السويدي

(١١٣٤ ـ ١٢٠٠هـ/١٧١٤ ـ ١٧٨٠م)

هو العلامة المحدث الفقيه الشيخ عبد الرحمٰن زين الدين بن عبد الله البغدادي الشهير بالسويدي.

قال عنه الإمام العلامة محمود الألوسي(١):

هو شبل الشيخ عبد الله أبي البركات كان بدراً في العلوم تقتبس أنواره، وإماماً في الفضائل لا يشق غباره، حافظ حديث النبي ﷺ وكوكب سمائه، علامة الآفاق الذي أخفى الجهل بإظهار علمه، وفهّامة أهل العراق بفقه نفسه، ومزيد فهمه.

كان رحمه الله تعالى ذا زهد وتعفّف، وورع ودين رصين فهو خير خلف لمن مضى من آبائه السالفين، له نظر ثاقب في معرفة رجال السنن والآثار، وتمييز ما طاب عما خبث من الآثار، وكان ذا باع طويل في جميع العلوم المنطوق منها والمفهوم، فدرّس وأفاد،

---

(١) انظر محمود شكري الألوسي: «المسك الإذفر في نشر مزايا القرن الثالث عشر والرابع عشر» ص١٣١؛ ط دار العلوم، الرياض، وانظر: «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣١٤).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونال به الطالبون غاية المراد، له تأليفات مشحونة بفرائد الفوائد، وتصانيف تزري بالعقود... إلى أخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مؤلفاته:

له «حاشية على تحفة العلامة ابن حجر المكي»، و«حاشية جليلة على الحضرمية»، و«حاشية على شرح القطر»، و«إرواء المحتسي من كؤوس الشراملسي»، و«تاريخ بغداد: حديقة في سيرة الوزراء».

زيارته للكويت وإقامته فيها شهراً:

زار الكويت بعد وقوع الطاعون في بلاده عام ١١٨٦هـ، ووصف رحلته، كما وصف أهل الكويت في عبارات صادقة وجميلة بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فخرجت على الكويت، وخرج معي جماعة، والكويت بلدة على ساحل البحر، وكانت المسافة ستة أيام براً، فدخلتها وأكرمني أهلها إكراماً عظيماً، وهم أهل صلاح وعفة وديانة، وفيها أربعة عشر جامعاً، وفيها مسجدان، والكل في أوقات الصلوات الخمس تملأ من المصلين، أقمت فيها شهراً لم أُسأل فيها عن بيع أو شراء ونحوهما، بل أُسأل عن صيام وصلاة وصدقة، وكذلك نساؤها ذوات ديانة في الغاية...».

كما وصف دروسه في مسجد ابن بحر وكثافة الحضور الذين حضروا دروسه واهتمام الناس بالعلم ودروس الفقه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كما يدل وصفه على حضور ذهنه وتثبته وفطنته، حيث وصف مشاهداته بدقة وتَحرٍّ رغم قصر إقامته التي دامت حوالي شهر.

أبرز العلماء الذين أدركهم في الكويت:

أدرك العلامة السويدي بعض العلماء والقضاة في الكويت من أبرزهم القاضي الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن العدساني (ت١١٩٧هـ)، والقاضي الشيخ محمد العدساني تولى القضاء في الكويت إلى عام ١٢٠٨هـ[1].

❐ ❐ ❐

(١) يوسف بن عيسى القناعي «صفحات من تاريخ الكويت»، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص٣٩.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣، ٤

عبد الواحد بن عبد الله الغزنوي
عبد الرحيم بن عبد الله الغزنوي

ـ زارا الكويت في عهد الشيخ مبارك الكبير الذي حكم الكويت في الفترة (١٨٩٦ ـ ١٩١٥م) ـ

هما الشيخان المسندان عبد الواحد وعبد الرحيم ابنا الشيخ المحدث العلامة الزاهد السيد عبد الله الغزنوي (ت١٢٩٨هـ)، وشقيقهما العلامة السيد محمد بن عبد الله الغزنوي صاحب التعليقات والحواشي على «جامع البيان في تفسير القرآن» للعلامة السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمٰن الحسيني الإيجي الشافعي (٨٣٢ ـ ٨٩٤هـ) رحمه الله تعالى، وقد توفي المحشي الشيخ محمد بن عبد الله الغزنوي في عام ١٢٩٦هـ.

امتازت هذه العائلة بالانتصار للسنة المحضة في أفغانستان فأجليت إلى الهند، ومنهم العلامة عبد الجبار الغزنوي (ت١٣٣١هـ).

عبد الواحد وعبد الرحيم الغزنوي:

مما عرف عن الشيخين عبد الواحد والشيخ عبد الرحيم ابني العلامة عبد الله الغزنوي أنهما سارا على خطا والدهما في العلم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والزهد، ومن المشتغلين بالتدريس والإفادة والتصنيف والإفتاء والدعوة إلى الكتاب والسنة ونشر التوحيد الخالص ونصر السنة المحضة، وكذا فعل شقيقهما عبد الجبار بن عبد الله الغزنوي المتفق على مكانته وجلالته، وقد أخذ عنه شقيقه عبد الرحيم، وبعد التخرج على أيدي كبار أهل العلم اشتغل العلامة عبد الواحد الغزنوي في المدرسة الغزنوية الشهيرة، ثم انتقل إلى لاهور وتولى الإمامة والخطابة ومسند التدريس في المسجد الجامع الشهير بمسجد جينيانوالي، وقضى فيه أغلب أيام حياته، وقد تولى الخطابة في هذا المسجد كبار علماء أهل الحديث، منهم العلامة الزاهد محمد داود الغزنوي أمير جماعة أهل الحديث لعموم باكستان، والمجاهد الشهيد ـ بتوفيق الله ـ إحسان إلهي ظهير رحمهما الله تعالى توليا الخطابة فيه طيلة حياتهما.

صلتهما بمحدث الهند نذير حسين:

اتصل الشيخان بعلامة الهند الإمام العالم الكبير المحدث نذير حسين بن جواد علي الحسيني البهاري ثم الدهلوي المتفق على جلالته في العلم والحديث.

يذكر مؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسيني في كتابه «الإعلام» عند حديثه عن تلاميذ العلامة نذير حسين بقوله:

وأما تلامذته فعلى طبقات «... ثم يقول: ومنهم المقاربون بالطبقة الأولى ومنهم من يلي الطبقة الثانية، وأهل هاتين الطبقتين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يبلغون الآلاف، وأما أشهرهم في الهند فمنهم الشيخ عبد الله الغزنوي العارف المشهور وبنوه الأتقياء محمد وعبد الجبار وعبد الواحد وعبد الله.. إلخ»[1].

هذه العبارة تدل على أن محمداً وعبد الجبار وعبد الواحد وعبد الله قد تتلمذوا على الإمام نذير حسين فضلاً عن والدهم السيد الشيخ عبد الله الغزنوي كما مر.

ومما ذكر في ترجمة العلامة السيد محمد بن عبد الله الغزنوي صاحب التعليقات والحواشي على «جامع البيان» الذي سبق ذكره، أن أخوي المحشي السيد عبد الواحد والسيد عبد الرحيم جاءا إلى الكويت للتجارة والتقيا الأمير عبد الرحمٰن آل سعود والملك عبد العزيز حين إقامتهما في الكويت قبل فتح الرياض، فتأثرا بعلمهما وفضلهما كثير، مع وحدة العقيدة والمنهج، وقد استقدمهما الأمير عبد الرحمٰن آل سعود رحمه الله إلى الرياض بعد فتحها فجاءا وأقاما هناك خمس سنوات وتصدرا

---

(١) انظر: «الإعلام بمن زار الهند من الأعلام»، لمؤرخ الهند العلامة الشريف عبد الحي بن فخرالدين الحسيني المتوفى سنة ١٣٤١هـ، المجلد الثالث، الجزء السابع والثامن يتضمن تراجم علماء الهند وأعيانها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، دار ابن حزم، وانظر: «علماء أهل الحديث في الهند»، للشيخ أبو بكر بن عبد الجليل، ١٤١٩هـ، دار الكتاب والسنة، الرياض، ص٥٥، ٩٣، ٩٧.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للتدريس، فتتلمذ عليهما عدد كبير من آل سعود وغيرهم من أهل نجد[١].

ومما هو جدير بالذكر أن الأميرة نورة ـ شقيقة الملك عبد العزيز ـ والملك سعود بن عبد العزيز قد درسا في الكويت لما هاجر الأمير عبد الرحمٰن آل سعود للإقامة في الكويت، وذلك في كُتّاب المطوعة شريفة حسين العلي العمر، وكتّاب المطوعة موزة بنت حمادة[٢].

❒ ❒ ❒

---

(١) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» للعلامة معين الدين محمد بن عبد الرحمٰن الحسيني الإيجي الشافعي، علق عليه العلامة السيد محمد بن عبد الله الغزنوي المتوفى ١٢٩٦هـ، قدم له وراجعه صلاح الدين مقبول أحمد، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ط غراس، الكويت، انظر ص١٧؛ ولا بد من شكر الأخ يحيى عبد الله الكندري الذي نبه عنهما، والشكر موصول للشيخ عارف جاويد الذي أمدني بترجمة مفصلة عنهما وعن مشاهير الغزنوية رحمهم الله تعالى.

(٢) «تاريخ التعليم في دولة الكويت: دراسة توثيقية»، المجلد الأول، «التعليم في الكويت منذ نشأتها حتى سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)»، البدايات الأولى، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ـ ٢٠٠٢م، ص٤٣.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥

عثمان بن عبد الجبار بن شبانة(١)

(ت١٢٤٢هـ ـ ١٩٢٣م)

هو الشيخ عثمان بن عبد الجبار بن محمد بن شبانه آل مسند، واشتهرت هذه الأسرة بآل عبد الجبار نسبة إلى والد الشيخ عثمان.

ولد الشيخ عثمان في المجمعة عاصمة بلدان سدير حيث تقيم عشيرته الشهيرة آل شبانة.

طلبهُ العلم:

أخذ العلم عن علماء بلده وعلماء أسرته فمن مشايخه الشيخ محمد بن عثمان آل شبانة والشيخ أحمد بن محمد التويجري. ثم رحل إلى الدرعية ودرس على أشهر مشايخها العلامة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عبد العزيز بن عبيد، وكانت الثمرة أن أصبح عالم زمانه في المذهب معظماً عند أهل الدرعية، حافظاً للقرآن عن ظهر قلب.

---

(١) ابن بسام، (٥/ ٨٣)، وانظر عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»، ط ١٣٩٤هـ، ومما ذكره: أن الشيخ عثمان بن عبد الجبار قد أخذ عن قاضي الكويت علي ابن نشوان بن شارخ قاضي الكويت..» انظر ص٢١٧.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وظائفه:

تقلد القضاء في عدة أماكن، منها أنه كان قاضياً لبلدان عسير، وقاضياً في عمان، وفي رأس الخيمة وغيرها.

زيارته للكويت:

ارتحل إلى الإحساء والكويت والزبير للتزود من العلم، وأشهر مشايخه العالم علي بن شارخ القاضي في الكويت والزبير.

وفاته في ليلة فاضلة:

توفي في بلدة المجمعة ليلة السابع والعشرين من رمضان عام ١٢٤٢هـ.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦

نـــافـــع

(كان حيّاً عام ١٢٥٨هـ ـ ١٨٣٨م)

حل بالكويت الشيخ نافع أحد تلاميذ ابن سلوم فَقُرئَ عليه «غاية أولي النهي في الجمع بين الإقناع والمنتهى» للعلامة مرعي بن يوسف الكرمي (ت١٠٣٣هـ)، وهو أبرز كتبه وبه ظهرت إمامته وتبحره في المذهب الحنبلي.

ولما ارتحل العلامة السيد عبد الجليل الطبطبائي من البحرين بعد وقعتها المشهورة سنة ١٢٥٨هـ واستوطن الكويت، في أثناء وجوده فيها قدم الشيخ نافع أحد تلامذة الشيخ عبد الرزاق بن سلوم[١] الكويت، فأكرم قدومه، وأنزله في داره، وأحسن ضيافته، وأقام عنده حولاً يقرأ عليه ويستفيد منه، فقرأ عليه «المنتهى» كما أسلفنا. والفترة التي تواجد فيها الشيخ نافع في الكويت كانت زاخرة بوجود كبار القضاة كالقاضي ابن شارخ والقضاة العداسنة

---

(١) هو الشيخ عبد الرزاق بن محمد بن علي بن سلوم التميمي من مشايخ إمارة الزبير، كانت ولادته ١٢٥٤هـ، رحل إلى بغداد وتفقه على علمائها، وكان زميلاً للعلامة محمود شكري الألوسي عند الشيخ علاء الدين الموصلي، ومن مشايخه أحمد بن عبد الله آل عقيل النجدي ثم الزبيري.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كالشيخ عبد الله العدساني تولى القضاء إلى عام ١٢٧٤هـ، وابنه الشيخ محمد بن عبد الله العدساني إلى عام ١٣٣٨هـ، وأدرك بعض علمائها الذين جاء ذكرهم في مؤلفنا هذا.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧

محمد بن عبد الله السبيّل(١)

(١٣٠٠ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٨٨٠ ـ ١٩١٦م)

من تلاميذ عالم الكويت القاضي الشيخ عبد الله الخلف الدحيان

ولد الشيخ في بلدة البكيرية إحدى مدن القصيم في ١٣٠٠هـ، وكان والده من حفاظ القرآن الكريم وإماماً لأحد مساجد البلدة.

درس في الكتاب في سن التمييز عند الشيخ حمد بن علي المحمود، ثم طلب العلم على مشايخ البكيرية، حيث قرأ على قاضي البكيرية في زمنه عبد الله بن حمد بن سليم، وعلى قاضيها عبد الله بن سلمان بن بليهد، وعلى أخيه حمد بن سلمان بن بليهد قاضي البكيرية.

هجرته إلى الكويت:

نظراً لصعوبة الظروف المعيشيّة في موطنه نجد فقد سافر إلى الكويت للعمل فيها وذلك في حدود ١٣٣٠هـ، فمكث فيها عامين.

حضوره لدروس الشيخ عبد الله الخلف:

أثناء وجوده في الكويت كان يحضر دروس علامة الكويت

---

(١) ابن بسام، (٦/ ٢٢٢).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقاضيها الشيخ عبد الله الخلف وانتفع به انتفاعاً كبيراً.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ ذكياً حافظاً لكتاب الله، وجد على مصحفه الخاص عبارة بخطه فيها أنه صلى بالناس في رمضان، وختم لهم القرآن ثلاث مرات، ولم يغلط إلا في موضعين، وكان خطه حسناً، كما إنه نسخ القرآن ثلاث مرات.

سبب موته:

ذكر ابن بسام أنه شوهد ومعه كتاب «آداب المشي إلى الصلاة» بخطه الحسن، فأخذ المشاهد العجب من حال الكتاب، فَحُسد من غير قصد فأصابه اكتئاب قيل إنه سبب وفاته. والله أعلم.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨

إبراهيم بن حمد بن جاسر(١)

توفي ودفن في الكويت
(١٢٤١ ـ ١٣٣٨هـ/ ١٨٢٢ ـ ١٩١٨م)
كان ممن تدارس العلم مع علامة الكويت
الشيخ عبد الله الخلف الدحيان

هو الشيخ العلامة إبراهيم بن حمد بن عبد الله بن جاسر ولد في بريدة عام ١٢٤١هـ ونشأ فيها وقرأ القرآن وجوده ثم حفظه عن ظهر قلب.

وشرع في طلب العلم فقرأ على علماء بريدة وما حولها.

مشايخه:

الشيخ محمد بن عمر بن سليم، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم وهما من كبار قضاة بريدة، كما أخذ العلم عن الشيخ حسن الشطي في دمشق وأكثر في الأخذ عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن عجلان.

---

(١) انظر عبد الله البسام: «علماء نجد في ثمانية قرون» (١/ ٢٧٧)، وانظر: «تسهيل السابلة» للبردي (٣/ ١٧٦٧)، وانظر: «روضة الناظرين» لمحمد بن عثمان القاضي (١/ ٤١).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مكانته العلمية:

وصف بأنه بحر لا يجارى، وعالم لا يمارى، لا سيما في التفسير والحديث واللغة، وقد ارتحل لطلب العلم خارج البلاد في صالحية دمشق وفي الجامع الأموي ولازم علماء الحنابلة. وممن لازمهم آل الشطي، فدخل بيتهم الذي كان معموراً بالتدريس في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ثم انتقل إلى نابلس فقرأ على أعيان الحنابلة، ثم عاد إلى القصيم، ولما ذهب إلى الزبير عرض عليه العمل لإمامة وخطابة مسجد النقيب في بلدة الزبير، ولما رأى في الجزء الأخير من المسجد قبراً في حجرة خرج مسرعاً، وقال: لا أصلي ولا فرضاً واحداً مأموماً فكيف أصير إماماً.

كما أثر عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بالإنكار على الصوفية إبان الحكم العثماني لما رآهم في المسجد الحرام فعلاهم بعصاه، ولما رفع أمره إلى أمير مكة الشريف عون عرف أنه على صواب.

صلته بعلماء الكويت:

أما صلته بعلماء الكويت ووجهائها فهو واضح من خلال مراسلاته مع عالم الكويت القاضي الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان (ت١٣٤٩هـ) وذلك فيما يدور بينهما في المراسلات من تحية وسؤال وذكر بعض الوجهاء في السلام كما سيأتي.

زيارته للكويت ووفاته فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قام الشيخ إبراهيم بن جاسر بزيارة الكويت لعارض مرض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

انتابه فعاجلته المنية فتوفي ودفن في الكويت رحمه الله، وكان ذلك عام ١٣٣٨هـ، وله من العمر ٩٧ عاماً.

رسالته إلى الشيخ عبد الله بن خلف:

المتأمل لرسالته إلى الشيخ عبد الله الخلف يقف على جملة من الدلائل والمؤشرات التي تثبت أن العلامة الجاسر كان معروفاً في الكويت وله مجالس علمية سواء في بلده أو في الكويت، وله كتب يدرسها ظهر اسمها في مرثية الشيخ عبد الله الدحيان التي سنتعرض لها فيما بعد.

أما الرسالة فتاريخها في ٩ شوال ١٣٣٠هـ[1].

* أبرز الملاحظات على الرسالة:

١ ـ الدعاء بتعميم نفعه للأمة بقوله: نفع الله به الأمة المحمدية وجعله من سادة الطائفة الناجية المرضية.

٢ ـ الموجب للرسالة والسؤال بقوله: فالموجب للكتاب إهداء السلام والدعاء بالعصمة والتوفيق والمتابعة.

٣ ـ القرب والمعرفة بينهما، وذلك بسؤاله عن الأصحاب والأحباب بالاسم سواء من الوجهاء أو غيرهم مع إرسال السلام من جهته على التفصيل.

---

(١) انظر: محمد بن ناصر العجمي «علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان: حياته ومراسلاته العلمية وآثاره» (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م) مركز البحوث والدراسات الكويتية، ص٤٥٤.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤ ـ أنه كتبها قبل وفاته بثمان سنوات فقد توفي الشيخ الجاسر عام ١٣٣٨هـ، ورسالته تاريخها ١٣٣٠هـ.

رثاء الشيخ عبد الله الخلف له مع بعض الفوائد[(١)]:

كما رثاه الشيخ عبد الله الخلف وأحسن ذكره، وبيّن أبرز صفاته وسجاياه ومآثره وعلمه ومكانته على ما يأتي:

يقول في صدر مرثيته:

قف بالطلول وروّها بالأدمع   وقل العفا بعد العفا للأربُعِ
واترك فؤادك يلتظي حيث الأسى   بين الجوانح في حشا متصدع

ويقول في علمه وورعه وديانته وكفالته للأرامل والأيتام:

قد مات حَبْر العلم إنسان العُلا   بحرُ المعارف خير شيخ أوْرع
بحرُ العلومِ أخو الديانةِ والتُّقى   كهفُ الأرامِلِ واليتامى الرضّع

ويقول في عبادته وخشوعه:

العابد الأواه مصباح الدجا   بدر الدُّجنّةَ قدوة المتخشع
لم تلقه الأسحار إلا قائماً   في الساجدين وفي الهداة الركع

وفي تعليمه للطلاب:

يملي على الطلاب جم فوائد   عن غير هذا الحبر ذاتُ تمنّع

والتفسير والحديث:

من ذا يفسّر أو يحدث بعده   في كتبه والأمهات اللّمع

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٧.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وذكره لأبرز كتب العلم التي يدرسها أو يتعامل معها:

والفقه ذاق لموته مرَّ الأسى من ذا سواه لمغني ولمقنع

وقوله:

من ذا يدرس فقهنا وينيره بأدلةٍ تهدي لذاك المَهْيَعُ

وأخيراً فإن الشيخ أتمها في خامس ربيع أول ١٣٤١هـ يعني بعد حوالي ٣ سنوات من وفاة ابن جاسر.

أقوال أهل العلم فيه:

مما قيل عنه أنه كان يحفظ الصحيحين، قال عنه الشيخ يوسف الهندي: «لم أر مثله في الإطلاع على الحديث إلا شيخي نذير حسين محدث الهند الأول في زمنه».

وقال عنه الشيخ محمد بن عبد العزيز[(١)] بن مانع إنه أعجوبة في سعة الإطلاع في التفسير والحديث. وقال عنه الشيخ أمين الشنقيطي أنه أحفظ للحديث من الشيخ شعيب الماسي، وأنه أعلم وأحفظ من لقيت في الحديث، وقال عنه العلامة عبد الرحمٰن[(٢)] بن

---

(١) الشيخ العلامة الفقيه محمد بن عبد العزيز بن مانع، تأتي ترجمته رقم ١٩٩، انظر ص٤٣.

(٢) العلامة الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي غني عن التعريف، علامة الجزيرة في وقته، شيخ شيخنا العلامة عبد الله العقيل، توفي عام ١٣٧٦هـ رَحِمَهُ اللَّهُ، وللعلامة ابن سعدي تلاميذ في الكويت منهم الوجيهان منصور بن عبد الرحمٰن الزامل، وعبد العزيز بن سلمان القاضي رحمهما الله، وقد توفيا عام ١٤٢١هـ في العشر الأخير من رمضان، =

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سعدي إنه كان يستحضر شرح النووي على مسلم، وكان قوي الحافظة حاد الذهن إذا تكلم في مسألة وفاها حقها وزيادة. وقد ولي قضاء عنيزة وبريدة في الفترة ما بين عام ١٣١٨ إلى عام ١٣٢٦هـ، كما ولي الخطابة والإمامة في جامع عنيزة.

أبرز تلاميذه منهم:

١ ـ العلامة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي.

٢ ـ الشيخ عثمان بن صالح القاضي.

٣ ـ الشيخ عبد العزيز بن عقيل (شقيق شيخنا العلامة عبد الله بن عقيل).

٤ ـ الشيخ صالح عثمان القاضي.

سجاياه وأخلاقه:

عرف عنه السخاء لا يدخر لنفسه شيئاً إذا أتاه المال فرقه قبل غروب شمس يومه، وكانت تأتيه الصدقات من داخل البلاد وخارجها، وكان سريع الدمعة غزيرها يحبسه البكاء والنحيب من الاستطراد في دروسه بعد العصر في الوعظ وبين العشاءين.

❐ ❐ ❐

= كما إن لشيخنا العلامة محمد بن جراح مراسلات مع العلامة ابن سعدي، انظر: «الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية» فيه مراسلات علماء الكويت مع العلامة ابن سعدي ط ٢٠٠٢م، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩

عبد الله محمد آل الشيخ

(ت١٣٤٠هـ/ ١٩٢٠م)

هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١].

مولده وطلبه للعلم:

ولد في الرياض وسكن حيث تقيم أسرة آل الشيخ، وتعلم فيها على المشايخ هناك، وعاصر عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وقد طلب العلم في بلدان شتى كالمدينة ومصر وتونس والمغرب والهند والعراق والكويت التي كانت زاخرة بالعلماء كالعلامة الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، والمشايخ من آل فارس وآل عدساني.

هجرته إلى الكويت:

ذكر ابن بسام أنه كان مع آل سعود في انتقالهم إلى الكويت، وذلك في عهد الشيخ مبارك آل صباح[٢].

---

(١) انظر ابن بسام: «علماء نجد في ثمانية قرون» (٤/ ٤٥٧).

(٢) ابن بسام (٤/ ٤٥٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٠

محمد عبد الكريم بن شبل

(١٢٥٧ ـ ١٣٤٣هـ/١٨٣٧ ـ ١٩٢٣م)

هو الشيخ محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن شبل، ولد عام ١٢٥٧هـ في بلدة عنيزة، وسعى في طلب العلم مبكراً، كما سعى في استجازة العلماء، يظهر ذلك في إجازته لشيخ الكويت القاضي عبد الله بن خلف الدحيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث ذكر فيها العلماء الذين أجازوه.

مشايخه:

وهم كثر ومن أشهرهم:

١ ـ الشيخ علي بن محمد بن آل راشد قاضي عنيزة.

٢ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع.

كما قرأ على علماء الزبير في رحلته إليهم ومنهم:

١ ـ الشيخ عبد الجبار بن علي البصري.

٢ ـ الشيخ صالح بن حمد المبيض.

٣ ـ الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد صاحب «السحب الوابلة».

زيارته للكويت:

ذكر صاحب «تاريخ علماء نجد» أنه سافر إلى دول عديدة لطلب العلم والإجازة من علمائها ومنها الكويت، ويؤكد ذلك ما قاله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في إجازته لشيخ الكويت عبد الله بن خلف الدحيان بقوله: «وأدركت في بلدنا عنيزة عبد الله أبابطين، وفي الكويت السيد أحمد عبد الجليل ولم يحصل لي اجتهاد في الطلب على هؤلاء الأفاضل».

ففي هذه العبارة دلالة أنه زار البلد لكن لم يتمكن من الجلوس إلى أحد علمائها، ويؤكد ذلك القاضي بقوله: لما رجع الشيخ الشبل من رحلته العلمية بقوله: وكان رجوعه من طريق الكويت حيث أقام بها مدة ودرس فيها وأجاز تلميذه عبد الله الخلف الدحيان بقلمه عام ١٣٢٥هـ[1].

علو سنده:

امتاز الشيخ الشبل بعلو سنده[2] يظهر ذلك أثناء كلامه في إجازته للشيخ عبد الله بن خلف الدحيان بقوله:

«فقد طلب مني الأخ الصالح والتقي الفالح عبد الله بن خلف الدحيان أن أنظمه وأنسبه فيما انتسبت من مشايخنا وأئمتنا الحنابلة... إلخ ويقول في آخرها: «.....فهذه سلسلة شريفة مباركة، فعلى هذا يكون الشيخ عبد الله المذكور أعلاه وبين إمامه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحو ثلاثين شيخاً.

غنى مكتبته بنوادر المخطوطات والكتب:

للشيخ الشبل مجموعات نادرة من المخطوطات والكتب حتى غدت مكتبته من أشهر المكتبات في المنطقة وأغناها بالعناوين

---

(١) ابن بسام: «علماء نجد» (٦/ ١٢٠).

(٢) القاضي: «روضة الناظرين» (٢/ ٢٤٠).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والرسائل وفي هذا يقول حفيده الشاعر محمد السليمان الشبل:

جمعت يا دُرَّة الأقلام والكتب ... شمل العلا وشتات العلم والأدب

قدمت للعلم والتاريخ قائمة ... غراء من ذكريات الصفوة النجب

وجئت كالروضة الغناء زاخرة ... بكل ما تشتهيه النفس من أدب

حتى غدوت من التاريخ مكتبة ... تروي الذي قد مضى في منطق عجب

أبرز أعماله التي تقلدها:

١ ـ تولى إمامه مسجد الجور في عنيزة والوعظ فيه وإلقاء الدروس.

٢ ـ عرض عليه القضاء عام ١٣١٧هـ فرفض قبوله.

أشهر تلامذته:

عد له صاحب علماء نجد حوالي واحداً وعشرين عالماً منهم:

١ ـ العلامة الشيخ عبد الرحمٰن السعدي.

٢ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع.

٣ ـ الشيخ علي بن حميد صاحب السحب الوابلة.

٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن عقيل (شقيق شيخنا العلامة عبد الله بن عبد العزيز عقيل).

٥ ـ الشيخ حمد العلي بن تركي.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

توفي في عنيزة ٧/١٢/١٣٤٣هـ، وصُلِّي عليه في مسجدها الجامع وأمَّ الصلاة قاضي عنيزة الشيخ صالح آل عثمان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١١

إبراهيم بن صالح بن عيسى

(١٢٧٠ ـ ١٣٤٣هـ/ ١٨٥٠ ـ ١٩٢٣م)

هو الشيخ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عيسى.

وهو ممن يصعب القول في حقه أنه لم يزر الكويت رغم أننا لم نقف على دليل قاطع في ذلك؛ ومما يعزز قولنا أنه ربما زار الكويت أربعة أمور:

أولها: أنه أثبت بخطه وتوقيعه أنه قرأ على الشيخ محمد سعيد[١] بقوله: ابتدأنا قراءة على شيخنا العالم العلامة الفاضل محمد سعيد الكويتي حفظه الله تعالى في ٢٣ جمادى الثاني ١٣٠٢ قاله كاتبه إبراهيم بن صالح بن عيسى... إلخ».

ثانيها: أنه درس في الزبير ولا يتصور أنه لم يمر بالكويت كما هو معلوم آنذاك.

ثالثهما: أجاز الشيخ عبد الله الخلف الدحيان شيخ الكويت وقاضيها إجازتين.

---

(١) هو الشيخ محمد سعيد بن عبد الله العازمي المشهور عند أهل الكويت بالشيخ مساعد العازمي توفي رحمه الله ١٣٦٢هـ؛ انظر، يوسف بن عيسى القناعي: «صفحات من تاريخ الكويت» ١٩٧٨م، ص٥١، وانظر محمد بن ناصر العجمي: «روضة الأرواح» ط ١٤١٧هـ، ص٦٩.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قرأ على المشايخ الذين قرأ عليهم الشيخ عبد الله الخلف.

رابعها: أنه سافر إلى بلدان كثيرة كالعراق والهند والإحساء فلا يتصور أنه لم يمر بالكويت.

خامسها: مراسلاته مع شيخ الكويت عبد الله الخلف يعزيه فيها بوفاة علامة العراق الشيخ السيد محمد شكري الألوسي الذي توفي في ٨/ ١١/ ١٣٤٢هـ توحي بقرب الصلة والتواصل بينهما.

مشايخه:

١ ـ قرأ التوحيد والفقه على الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى قاضي المجمعة وأجازه في رواية الكتب الستة.

٢ ـ الشيخ صالح بن حمد المبيض قرأ عليه في الزبير.

٣ ـ الشيخ عيسى بن عكاس قاضي الإحساء قرأ عليه في الفقه والفرائض.

٤ ـ الشيخ علي بن عيسى قاضي شقراء قرأ عليه في الفقه والفرائض.

تلاميذه ومؤلفاته:

أما تلاميذه فقد ذكر ابن بسام حوالي عشرة من تلاميذه منهم الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان رحمه الله تعالى.

أكثر مؤلفاته عن تاريخ نجد وأحوالها منها «عقد الدرر» و«تاريخ نجد» بدءًا من عام ١٣٠٣هـ إلى عام ١٣٣٩هـ ونحو ذلك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إجازته لشيخ الكويت العلامة القاضي عبد الله بن خلف الدحيان رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفيها يقول: وأن ممن لاحظته العناية ورمقته أعين الوقاية الشيخ العالم الفاضل الجليل الهمام البارع النبيل الأخ في الله والمحب لوجه الله بهجة الزمان ومعدن الجود والإحسان الشيخ المبجل عبد الله بن خلف دحيان الحربي نسباً، النجدي أصلاً، الكويتي مسكناً. . . إلخ.

ويقول أيضاً: فقد أجزت أخانا المذكور ضاعف الله لي وله الأجور أن يروي الكتب الستة، وكذا مسند الإمام أحمد وموطأ الإمام مالك.

وذكر تفصيلاً في كل مروياته. . . ثم أنهى كلامه بقوله:

قد أجزت أخانا الشيخ عبد الله بن خلف المذكور بجميع ما تقدم وجميع ما يجوز لي روايته بشرطه المعتبر عند أهل الأثر. . .[1] إلخ.



(١) إجازة الشيخ ابن عيسى بكاملها موجودة في مركز المخطوطات بوزارة الأوقاف الكويتية بخط الشيخ المجيز (رقم ٩٢٢ ـ المخطوطات الأصلية).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٢

إبراهيم بن ناصر الأحمد[١]

من علماء القرن الثالث عشر

هو الشيخ إبراهيم بن ناصر بن عثمان الأحمد، وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجري، نزح جدهم إلى نجد، ونزل بلدة التويم من قرى سدير، ثم إلى وادي الدواسر، وضاقت عليه سبل العيش فاتجه إلى الزبير وأقام فيها وتزوج هناك.

ووالده ناصر بن عثمان الأحمد هو الذي خلف الشيخ محمد الشنقيطي مؤسس مدرسة النجاة الأهلية في الزبير.

طلبه للعلم:

درس الشيخ إبراهيم في مدرسة النجاة، ودرس على الشيخ محمد بن عوجان، والشيخ عبد الله بن حمود وغيرهم ممن قرأ عليهم مشايخ الكويت أيضاً.

---

(١) ابن بسام: «علماء نجد خلال ثمان قرون» (١/ ٤٣١)، وانظر عبد الرزاق الصانع، عبد العزيز العلي: «إمارة الزبير بين هجرتين ٩٧٩ ـ ١٣٤٢هـ» ط ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص١٢٠.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

انتقاله إلى الكويت، ووفاته فيها:

لما تخرج الشيخ إبراهيم بن ناصر الأحمد في مدرسة النجاة وأدرك عند مشايخه صار يدرس في مدرسة النجاة، وبعد وفاة والده غادر إلى الكويت يفيد ويستفيد وتوفي في الكويت رحمه الله تعالى.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٣

جمعة الجودر

(ت١٣٥٠هـ / ١٩٣٠م)

هو الشيخ جمعة بن علي بن جمعة آل جودر، ولد في مدينة المحرق في بلدة البحرين.

طلبه للعلم:

طلب الشيخ جمعة الجودر العلم في البحرين على علمائها ومنهم الشيخ سلطان بن علي الجودر، ثم ذهب إلى الإحساء والزبير وهما من أبرز الأماكن التي كانت تعج بالعلماء والفقهاء واستمر في طلب العلم إلى أن تمكن منه.

زيارته الكويت وعمله فيها:

كان الشيخ جمعة الجودر من العلماء المعروفين في الكويت فهو واحد من تلاميذ علامة الكويت الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان، كما تتلمذ على يد كثير من علماء الكويت منهم الشيخ عبد العزيز حمادة، والشيخ عبد الله النوري قرأ عليه «قطر الندى لابن هشام»، ثم إن الشيخ صار إماماً لمسجد الملا صالح الواقع في حي الصالحية الذي هو امتداد لحي جبْلة ـ أو الحي القبلي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان إضافة إلى الإمامة يدرس العلم في مسجده ويتردد عليه طلبة العلم، كما أن الفترة التي تواجد فيها في الكويت كانت زاخرة بالعلماء بوجود علامة الكويت وقاضيها الشيخ عبد الله الخلف الدحيان الذي كان من تلامذته شيخنا العلامة محمد بن جراح الحنبلي وشقيقه شيخنا العلامة إبراهيم الجراح الحنبلي، والمشايخ الذين مر ذكرهم مثل الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله الفارس الحنبلي، والشيخ أحمد الخميس الحنبلي والشيخ يوسف بن حمود المالكي وغيرهم، فكان يتصل بهم ويلتقي بهم عند شيخ الجميع الشيخ عبد الله الخلف.

طلبه للقضاء:

مما يذكر أن الشيخ جمعة الجودر عرض عليه تولي القضاء في الكويت فاعتذر عن ذلك.

زواجه في الكويت:

تزوج الشيخ جمعة الجودر من أسرة اليحيى الكويتية ورزق من زوجته بولد وثلاثة بنات، وهو متزوج من فاطمة بنت عيسى الجودر في البحرين وله منها ذرية أيضاً، ولدان وثلاثة بنات، فصار الشيخ يذهب في الشتاء إلى الكويت، أما في الصيف وموسم الغوص فيمضيه في البحرين، وكان طواشا مشهوراً ـ تاجر لؤلؤ ـ، ولما توفي رَحِمَهُ اللهُ، أوصى بأن يكون بيته الذي في البحرين لأهله في البحرين، والذي في الكويت لأهله في الكويت.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٤

عبد الله الرواف[١]

(١٢٩٢ ـ ١٣٥٩هـ/ ١٨٧٠ ـ ١٩٤٠م)

هو الشيخ القاضي عبد الله بن أحمد الرواف، ولد في بريدة عام ١٢٩٢هـ، وتنقل ما بين دمشق والمدينة المنورة، وولي القضاء في المكلا بحضرموت (١٣٢٩ ـ ١٣٤٦هـ) ثم سافر إلى عمان، فولي القضاء في بلده جعلان (١٣٤٩ ـ ١٣٥٩هـ)، وتنقل بين دول الخليج.

زيارته للكويت ومراسلاته مع قاضي الكويت الشيخ عبد الله الخلف:

زار الشيخ عبد الله الرواف مناطق مختلفة من الخليج ومنها الكويت وكانت له صلة وثيقة بقاضي الكويت وعالمها الفقيه الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، وكانت بينهما مراسلات منها الرسالة التي أرسلها الشيخ عبد الله الخلف إلى الشيخ الرواف، وهي

---

(١) انظر: «رسالة الكويت» رسالة تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية، السنة السابعة العدد (٢٥) يناير ٢٠٠٩م، ص١٢، وانظر عن عائلة: «الرواف، إمارة الزبير بين هجرتين» للصانع والعلي، مصدر سابق، الجزء الأول ص٢٣٩.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مؤرخة في: (٢٠ ربيع الأول ١٣٣٩هـ) (٢٠/١٢/١٩٢٠م) وكانت مرسلة عن طريق مكتب عائلة الحمد في عدن، وقد تضمنت الرسالة مجموعة من الأخبار عن أحوال الكويت والجزيرة العربية، ومن ذلك حديثه عن معركة الجهراء التي وقعت في: (١٠/١٠/١٩٢٠) أي بعد شهرين من المعركة المذكورة وقد ذكر أن جماعة الدويش قد أغاروا على الكويت مرتين، «اجتاحوا الأموال وأسرفوا في الدماء حتى قتلوا الأطفال، لكن الوقعة الأخيرة كانت على الجهراء وكان قتلاهم نحو ألف وثلاثمائة وجرحاهم نحو سبعمائة، وقتلانا نحو مائتين»، ويختم الشيخ عبد الله الخلف رسالته بسؤال فقهي عما وقف عليه القاضي من كلام أهل العلم في هذه الأوراق المعروفة بالأنواط أو بنك نوت، وقد ذكر منهم أن لها نظير في اليمن في القرن التاسع، وإنهم أفتوا بفتاوى فأرجو الإفادة عما وقفتم عليه فيها... إلخ[1].

وفاة القاضي الرواف:

قتل القاضي عبد الله الرواف في منزله غيلة في عُمان في بلدة «جعلان» عام ١٣٥٩هـ، بعد أن ولي القضاء فيها منذ ١٣٤٩هـ، أي بعد عشر سنوات من شغله مهنة القضاء فيها.



(١) المصدر السابق، ص١٢.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٥

محمد بن عبد الله التويجري

(١٣٠٨ ـ ١٣٦٢هـ/١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م)

هو العالم الجليل الورع الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد التويجري، ولد عام ١٣٠٨هـ، وقيل: عام ١٢٩٨هـ، والأول أصح[١].

طلبه للعلم:

اعتنى والده بتربيته فأدخله عند مقرئي القرآن، حتى قرأ القرآن الكريم وجوَّده ثم حفظه عن ظهر قلب وشرع في طلب العلم، ومن أبرز مشايخه:

١ ـ الشيخ عبد الله بن حمد بن سليم.

٢ ـ الشيخ عبد العزيز العبادي.

٣ ـ الشيخ عمر بن محمد بن سليم.

حيث لازمهم في دروس علم أصول الدين وفروعه وفي الحديث والتفسير والمعرفة.

---

(١) «روضة الناظرين» للقاضي، (٢/ ٢٥٦).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأعمال التي تقلدها:

كان عمدة في التوثيقات وفي عقود الزواج ثم إنه صار إماماً لجامع القصيعة وخطيباً لهم.

رحلته إلى الكويت:

ارتحل إلى الكويت عام ١٣٢٧هـ، ثم إلى الزبير لطلب العلم فلازم علماء الحنابلة هناك كما لازم الشيخ محمد أمين الشنقيطي في الزبير والكويت.

إقامته في الكويت ثلاث سنين:

وكانت الكويت آنذاك مقراً لكثير من العلماء منهم القاضي الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي فأقام حوالي ٣ سنين.

عودته إلى بلده وتلاميذه:

بعد استفادته من رحلته العلمية عاد إلى قريته القصيعة، وتعين إماماً لجامعها وخطيباً لجمعتها فيه، ودرس في الجامع والتف حوله الطلبة منهم:

١ ـ ابنه صالح المحمد رئيس محكمة تبوك.

٢ ـ عبد الكريم بن محمد الذي خلفه على وظيفة الجامع.

٣ ـ عبد العزيز بن محمد.

٤ ـ قاضي عنيزة عبد الله بن سلمان بن بطي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥ ـ عبد الله بن سعد الشرمبي.

ثم تعين قاضياً في أبي عريف، ثم قاضياً في جيزان عام ١٣٥٩هـ.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

أصابه مرض في الرئة المعروف بالسل، ولم يزل معه حتى وافاه الأجل المحتوم في شهر ربيع الآخر ١٣٦٢هـ رحمه الله تعالى.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٦

مقبل بن عبد العزيز الذكير[(١)]

(١٣٠٠ ـ ١٣٦٣هـ/ ١٨٨١ ـ ١٩٤٤م)

هو الشيخ مقبل بن عبد العزيز بن مقبل بن عبد العزيز بن ماجد آل ذكير، ولد في المدينة المنورة في زيارة لأهله لها ونشأ في وطنه ووطن أهله عنيزة، وتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وصار لديه خط جميل سليم من الأخطاء الإملائية.

مؤلفه في التاريخ:

له مؤلف في تاريخ عنيزة وحوادث نجد فيه وصف لبعض الحوادث. ويذكر فيه أنه سافر مع خاله مقبل عبد الرحمٰن الذكير من عنيزة إلى الكويت، ووصل في ٢٥/ ٤/ ١٣١٣هـ، وكان عمره يومها ١٤ عاماً، فأبقاه خاله في بيت يوسف بن إبراهيم لتعلم الكتابة، وكان في معية أولاد آل إبراهيم يخرج معهم إلى النزهة.

سبب خروجه من الكويت:

كان زمن قدومه متوافقاً مع النزاع الذي وقع بين الشيخ مبارك

---

(١) ابن بسام، مصدر سابق.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصباح وأخويه الشيخ محمد والشيخ جراح، وعلى إثر ذلك غادر مقبل الذكير إلى البحرين.

استعانته بكويتيين في عمله:

أسند الملك عبد العزيز إليه إدارة مالية الأحساء عام ١٣٤٣هـ، فقام بتنظيم الشؤون المالية فيها ورتب دفاترها وسجلاتها، واستعان على عمله هذا بعدد من الشباب الكويتيين الذي عرف عنهم خبرتهم وكفاءتهم في هذا المجال فأسند إليهم أقسام المالية فترتبت أعمالها على أحسن ما يرام إلى أن استقال من عمله عام ١٣٤٩هـ.

وفاته:

توفي في البحرين التي استقر بها بعد الكويت، وكان له في البحرين محلٌّ لتجارة اللؤلؤ، كان وفاته عام ١٣٦٣هـ رحمه الله.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٧

عبد المحسن البابطين

(ت١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)

هو العلامة الفقيه القاضي الشيخ عبد المحسن بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن أبابطين، من كبار علماء الزبير، وهو في الأصل من نجد، هاجر والده إلى الزبير فولد هناك ونشأ وترعرع فيها فصارت موطنه.

نشأته وطلبه للعلم وأبرز مشايخه:

أخذ مبادئ الكتابة والقراءة في الزبير التي كانت تعج بالعلماء والفقهاء وكانت تسمى الشام الصغير لأجل ذلك، ولما شب شرع في طلب العلم على علماء الزبير وكبار علماء العراق عموماً.

ومن أبرز مشايخه في الزبير:

عبد الله بن حمود، وهو أيضاً شيخ قاضي الكويت العلامة عبد الله بن خلف الذي ربطته علاقة محبة ووقار وزمالة مع المترجم له الشيخ عبد المحسن البابطين.

ومن مشايخه أيضاً محمد بن عوجان، والشيخ محمد بن ناصر الدايل وغيرهم، كما سافر إلى بغداد وقرأ على علمائها ومن أبرزهم

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الإمام محمود شكري الألوسي وكفى به عالماً، وعبد الله بن حمود[(١)].

شعره:

والشيخ عبد المحسن له مساجلات أدبيه فهو من الأدباء الشعراء أيضاً وله قصائد ود وأخوانيات مع أصحابه فمن ذلك، القصيدة التي أرسلها قاضي الكويت الشيخ العلامة عبد الله بن خلف له[(٢)]:

أهاج القلب شوقاً وادكارا ... لمن زارت وقد شطت مزارا

وبرح هجرها بالصب دهرا ... وأضرم نأيها في القلب نارا

ومنت بالوصال وخير وصل ... وصال بالعفاف المحض صارا

هي الأخلاق يعشقها هُمام ... لرفعة قدره رفعت منارا

إلى ذاك الكريم ومن لعبد ... أضيف لمحسن يهوى الوقارا

هو الحبر الهمام وأي حَبرٍ ... وبحر في العلوم فلن يجارى

به بلد الزبير تجر فخرا ... ويكفيها من العليا فخارا

لقد حاز المكارم وارتقاها ... وسارع للعلى ليلاً ونهارا

وأجابه القاضي الشيخ عبد المحسن البابطين بقصيدة مطلعها:

هي الأشواق تجعل في المعنّى ... غراماً لا يطيق له اصطبارا

بنفسي من أضعت به حياتي ... وعلمني الصبابة ثم جارا

---

(١) هو العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن الحمود الحنبلي الزبيري، ت١٣٥٩هـ، له «الفتاوىٰ الزبيرية» تحقيق كاسب البدران، وعبد الخالق عبد المقصود، تقديم الشيخ إبراهيم المبيض، والأستاذ إبراهيم الصقير، ط ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد، السعودية.

(٢) وانظر ابن بسام (٥/ ٥ ـ ١٥)، وانظر: «إمارة الزبير بين هجرتين» للصانع، والعلي، ١٤٠٨هـ ـ ص١٣٨.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بنفسي من يعير البدر حسنا ... وتخجل وجنتاه الجلّنارا

ويقول في الشيخ عبد الله الخلف:

هو النحرير عبد الله مَنْ قد ... تحَلَّى بالفضائل منذ صارا

له ذكر حميد في البرايا ... وفي الأقطار والآفاق سارا

ومضياف وذو خلق عظيم ... وفرد بالمعالي لا يبارى

يذكرنا بسيرته أناساً ... تطيب بذكرهم سلفاً خيارا

به بلد الكويت سمت وطابت ... وحازت من مكارمه استعارا

توليه القضاء في الكويت:

بالنظر إلى مكانته وعلمه وخبرته في القضاء تقلد القضاء في الكويت باستدعاء من علماء الكويت وفضلائها منهم العلامة الشيخ عبد الله الخلف الدحيان والشيخ أحمد الخميس وغيرهم.

ولما جاء إلى الكويت عُين مدرساً في المباركية بأمر من الشيخ عبد الله الجابر الصباح فدرس العربية وعروض الشعر والتاريخ إلى عام ١٣٥٧هـ.

وفي عام ١٣٥٧هـ عينه حاكم الشيخ أحمد الجابر الصباح رئيساً لقضاء الكويت وعُين مساعداً له كل من الشيخ عبد العزيز حماده والشيخ أحمد عطية ـ الأثري رحمهما الله.

ظل الشيخ البابطين ملازماً للتدريس والقضاء إلى عام ١٣٦٨هـ، وعاد إلى الزبير في رحلة استجمام وبقي هناك، واستدعي لتقديم محاضرات إلى أن توفي عام ١٣٧٢

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رحمه الله تعالى[1] في الزبير.

حفظه «لمنتهى الإرادات» ذكره شيخنا ابن جراح:

مما يذكر عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه كان يحفظ «منتهى الإرادات» للعلامة ابن النجار وهو من أشهر متون المذهب الحنبلي، الذي اختصره فيما بعد العلامة مرعي الكرمي الحنبلي وأسماه «دليل الطالب»، كما إنه جمع بينه وبين الإقناع في «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى».

وقد أكد لنا ذلك شيخنا العلامة ابن جراح أثناء قراءتنا عليه في حديثه عن الشيخ البابطين وذكره لإتقانه وحفظه للمنتهى رحمهما الله؛ ومما يذكر[2] أيضاً أنه كان يحفظ «الإقناع» و«ألفية ابن مالك» وغير ذلك.

❒ ❒ ❒

(١) ابن بسام (٥/ ١٢ ـ ١٣)؛ ذكر خالد الحاتم في كتابه «من هنا بدأت الكويت» كيف أن الشيخ البابطين تعرض لبعض المكائد حسداً بقصد منعه من الاستمرار، ط ١٩٨٠م، ص٢٠٧.

(٢) «إمارة الزبير بين هجرتين» ٩٧٩ ـ ١٣٤٢هـ، عبد الرزاق الصانع وعبد العزيز العلي، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص١٤٤.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٨

محمد بن عبد العزيز المانع[(١)]

موطنه عنيزة (١٣٠٠ ـ ١٣٨٥هـ/١٨٨١ ـ ١٩٦٥م)

هو العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد بن مانع بن شبرمة، ولد في بلدة عنيزة بالقصيم عام ١٣٠٠هـ، ودخل الكتاب للتعلم لما بلغ السابعة من عمره، وكان والده قاضياً لعنيزة، ولما توفي والده قرأ القرآن واشتغل بالعلم، فقرأ المختصرات في العلوم الشرعية والعربية ككتاب التوحيد، ودليل الطالب، وبلوغ المرام، والآجّرومية على علماء عنيزة وبريدة، وأشهرهم الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، والشيخ صالح العثمان القاضي، والشيخ إبراهيم[(٢)] بن جاسر وغيرهم.

رحلته في طلب العلم:

لما ناهز البلوغ سافر إلى بغداد للاستزادة من العلم فقرأ على علمائها ومن أبرزهم السيد محمود شكري الألوسي، والعلامة السيد علي نعمان الألوسي، والشيخ عبد الرزاق

(١) له ترجمة حافلة واسعة لتلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحيم الصديقي لخصها الشيخ عبد الله البسام في كتاب علماء نجد (٦/ ١٠٢).
(٢) تقدمت ترجمته رقم (٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأعظمي البغدادي، والعلامة الشيخ عبد الوهاب أفندي نائب أمين الفتوى في بغداد، والعلامة السيد يحيى بن قاسم الأثري، وغيرهم. فقرأ عليهم ثم سافر إلى دمشق، واتصل بعلمائها، فقرأ وتزود منهم في علوم العربية، والذين من أشهرهم العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ بدر الدين الحسني.

كما اتصل بعلماء الزبير، ومن أشهر من اتصل به الشيخ محمد بن عوجان، وذلك عام ١٣٣٠هـ، أي في حوالي الثلاثين من عمره رحمه الله.

الوظائف التي تقلدها:

ترأس نادي البحرين لمواجهة المنصرين، وانتقل إلى قطر عام ١٣٣٤هـ، فتولى القضاء ٢٣ عاماً، ثم مدرساً بالمسجد الحرام عام ١٣٥٨هـ، ومديراً للمعارف وهيئات التمييز والإرشاد، والامر بالمعروف، ثم عاد إلى قطر عام ١٣٧٤هـ، ليعمل مشرفاً على التعليم.

أشهر تلامذته:

١ ـ العلامة الشيخ عبد الرحمٰن السعدي.

٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع.

٣ ـ الشيخ عثمان صالح القاضي.

٤ ـ الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأحسائي، قاضي المبرز.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥ ـ شيخنا زهير الشاويش[١].

أبرز أعماله ومؤلفاته:

١ ـ مختصر عقيدة السفاريني.

٢ ـ حاشيته على عمدة الفقه.

٣ ـ حاشية على دليل الطالب.

ونظراً لأهمية ما ذكره الشيخ محمد العثمان القاضي عن ابن مانع وصلته بالكويت فقد آثرت أن أفرده مفصلاً:

*** قال الشيخ محمد العثمان القاضي[٢]:**

«.. محمد عبد العزيز المانع مدير المعارف، زار الكويت والإمارات وانتهى به المسير والسكن في الدوحة ـ في قطر ـ وصار مع آل ثاني أينما اتجهوا اتجه، وصديقه الخاص الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني، ثم علي بن عبد الله، وكان ابن مانع مستشاراً للمعارف في قطر عقب ما راح منا وتقاعد في الدوحة وتوفي عام

---

(١) هو شيخنا المحقق زهير الشاويش، تيسر لي زيارته مرتين مع الأخ الشيخ فيصل العلي الأولى عام ١٤٢٦هـ، والثانية في ٣٠ صفر ١٤٣١هـ في منزله في الحازمية في بيروت بحضور الأخ الشيخ محمد زياد التكلة، وقد ذكر لنا الشيخ زهير بالتفصيل صلته بالعلامة ابن مانع وأنه أجازه بكتاب التوحيد وغيره، وتأتي ترجمته.

(٢) نقلاً عن الأخ محمد الفوزان الكويتي الذي يدرس في القصيم وله لقاءات دورية مع الشيخ القاضي وتربطه به علاقة حميمة، وكان لقاؤه معه في جمادي الأولى ١٤٣١هـ في عنيزة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٣٨٥هـ على عملية أجراها في بيروت ودفن بالدوحة، وأبناؤه كلهم ماتوا، آخرهم أحمد المانع، توفي منذ أربع أو ثلاث سنوات بالرياض، كان ملحقاً للتعليم بالقاهرة، ثم صار ممثلاً للسعودية في جامعة الدول العربية ـ أي أحمد ابن الشيخ ـ، وكل أولاد الشيخ ولدوا في مكة ولهجتهم حجازية...».

لقاؤه الشيخ عبد الله خلف وتلميذه شيخنا محمد بن جراح:

ويكمل بقوله: وكان الشيخ ابن مانع أول ما رحل لطلب العلم سكن عند الألوسيين، ولازم محمود شكري الألوسي ـ الإمام العالم المعروف ـ ودرس عليه وعلى أبيه في بغداد، ثم راح لدار الشطية بدمشق ودرس على مشايخ الحنابلة جميل وحسن الشطي ثم عرج على القاهرة ودرس بالأزهر، وقبل هذا كان في عنيزة يدرس على جدي صالح العثمان القاضي، ودرس والدي والعلامة ابن سعدي وابن مانع في علوم العربية: النحو والصرف والبلاغة، **والتقى في الكويت بالشيخ عبد الله الخلف الدحيان والشيخ محمد الجراح..»**.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

توفي في ٢٤ رجب ١٣٨٥هـ في بيروت بعد أن أجري له عمليه، ونقل جثمانه إلى قطر في ٢٦ رجب، وصلّي عليه، ودفن فيها رَحِمَهُ اللَّهُ، وله من الأبناء عبد العزيز وأحمد وعبد الرحمٰن (ت١٤٠٣)[1].

---

(١) ذكر لنا شيخنا زهير الشاويش عن وفاة الشيخ ابن مانع في المستشفى رَحِمَهُ اللَّهُ في لبنان وقصة نقله إلى قطر رَحِمَهُ اللَّهُ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٩

عبد الله بن سلامة المزروع

(١٣٢٠ ـ ١٣٨٥هـ/١٩٠٠ ـ ١٩٦٥م)

هو الشيخ عبد الله بن سليمان بن سلامة[١] المزروع.

مولده:

ولد الشيخ عبد الله في الإحساء عام ١٣٢٠هـ وتوفيت أمه وهو صغير، فكفلته جدته لأمه وأحسنت تربيته، وأولاه عمه الشيخ حسن بن محمد بن مزروع عناية تامة، وصار له بمنزلة الابن ذلك أن والده كان كثير الأسفار والترحال.

ذهابه إلى الكويت ودخوله المدرسة المباركية:

انتقل مع والده إلى البحرين ودخل فيها في مدرسة نظامية ليتعلم فيها حسن الخط والحساب، ثم صار يتجول في بلدان الخليج وزار الهند، وفي هذه الأثناء زار الكويت ودخل المدرسة المباركية، واتصل بمؤرخ الكويت الشيخ عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

---

(١) ابن بسام (٤/١٥١).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي تجواله ما بين الكويت والبحرين صارت له صداقة مع الشيخ عبد الله الأحمد الجابر الصباح، والشيخ محمد بن عبد الله بن عيسى آل خليفة.

وعُرِفت عنه عنايته بالأدب والتاريخ والأنساب، وصارت له رحلات إلى مصر واتصل بأدبائها أمثال طه حسين، وعباس العقاد، وعبد القادر المازني، وأحمد حسن الزيات وغيرهم.

وفاته رحمه الله:

عاد إلى موطنه عام ١٣٤٣هـ لما استقرت الأوضاع للملك عبد العزيز، واستمر في اهتمامه بالأدب والاتصال بالأدباء والوجهاء، وتقلد مناصب حكومية، ثم وافاه الأجل عام ١٣٨٥هـ رحمه الله.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٠

عبد الله الكوهجي[1]

(١٣١٨ ـ ١٣٦٨هـ/١٨٩٧ ـ ١٩٤٨م)

هو فضيلة الشيخ الفقيه عبد الله بن حسن آل حسن الكوهجي ولد عام ١٣١٨هـ في بلدة كوهج إحدى بلاد ساحل فارس، وقد اشتهرت هذه البلدة بالعلم والعلماء والصالحين، والمترجم من أولئك الرجال.

طلبه للعلم وشيوخه:

تعلم القرآن في مسقط رأسه كوهج، وقرأ الحديث والفقه على يد والده، وأخيه الشيخ أحمد بن الشيخ حسن، وعلى يد الشيخ محمد أخيه الأكبر. وكان رَحِمَهُ اللَّهُ حريصاً على نيل العلم وخاصة الفقه.

لما بلغ من العمر فوق الـ ٣٥ سنة وقرب من الأربعين هاجر إلى مكة، ومكث فيها مدة من السنين، وكان يتلقى الدروس في

---

(١) انظر: «زاد المحتاج بشرح المنهاج» للشيخ عبد الله الكوهجي، اعتنى بطبعه عبد الله الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، انظر ص٦.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحرم على الشيخ علي حسين المالكي، والشيخ عباس المالكي رحمهما الله، وكان الشيخ حسن مشاط زميلاً له في الدراسة، ثم درس في المدرسة الصولتية وعاصر المشايخ الموجودين فيها مثل الشيخ جعفر الكثير، والشيخ عمر حمدان المحرسي، كما درس الشيخ بالحرم فترة من الزمن.

مؤلفاته:

له رَحِمَهُ ٱللَّهُ «سلم الواعظين»، و«شرح على الورقات»، و«مختصر في علم المصطلح»، و«زاد المحتاج بشرح المنهاج»، وهذه الكتب تدل على تضلعه في الفقه وأصوله والحديث.

عودته إلى بلاده:

ثم إن الشيخ عبد الله الكوهجي عاد إلى بلدته عام ١٣٥٨هـ ينشر العلم فيها، وبذل جهداً في تأليف كتابه المشهور «زاد المحتاج في شرح المنهاج» وقد استفاد من صاحب مغني المحتاج العلامة محمد الخطيب الشربيني، وزاد وأفاد.

كما إنه ارتحل للحج ومر بالكويت عام ١٣٦٨، وذكر أبياتاً في ذلك كما سيأتي.

زيارته للكويت:

كان الشيخ عبد الله الكوهجي يتردد على الكويت كعادة علماء المنطقة حيث يستدعون من قبل الوجهاء لتدريس العلم وللوعظ في المواسم، وكان إذا جاء إلى الكويت نزل في حي «شرق» ضيفاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على عبد الله العوضي، ولما عاد من رحلة الحج قال قصيدة فيها ما يدل على مروره بالكويت وأسماها «الرحلة الكويتية والنحلة المكية» ذكر فيها أبياتاً منها..

تنقلت في أرض الكويت لأربع وعشرين من ذي قعدة متفضل
بعام ثمان بعد ستين اتبعت ثلاث مئين بعد ألف مكمل

أي في ٢٤ ذي القعدة ١٣٦٨هـ أي أن عمره كان ٥٠ عاماً رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قراءة شيخنا العلامة ابن جراح عليه:

أخبرنا شيخنا محمد بن سليمان الجراح أنه قرأ على الشيخ عبد الله الكوهجي منظومة في الصرف هي منظومة «نيل المنى في نظم قواعد البنا».



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢١

السيد أحمد صقر[١]

(١٣٣٥ ـ ١٣٨٩هـ/١٩١٥ ـ ١٩٦٩م)

هو الشيخ العلامة السيد أحمد صقر نشأ في بيت علم، كان والده مدرساً بكُلية أصول الدين بالأزهر، وكان عالماً مرموقاً يتولى الخطابة في مسجد قريته، وقد أثر ذلك في شخصيته فاتجه إلى الدراسة الشرعية فذهب إلى الأزهر ودرس فيه منذ المراحل الأولى حتى تخرج من كلية الشريعة، فصار مدرساً للأدب العربي.

اسمه السيد أحمد:

اسم الشيخ مركب فهو «السيد أحمد» وليس كما يظن البعض أن اسمه أحمد، وأن كلمة السيد وضعت أمام اسمه كما هو معتاد في توقير العلماء ونحوهم، وأنه ـ مع ذلك ـ لم يبعد عن الصواب من وصفه بذلك فهو سيد اسماً وصفةً، لمكانته العلمية وُعُدَّ من أدباء الطراز الأول.

---

(١) انظر مقالة د. يعقوب الغنيم: «الأزمنة والأمكنة: الشيخ العلامة أحمد صقر في الكويت»، مصدر سابق غير منشور.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مكانته العلمية وتحقيقاته وأعماله:

يتصف الشيخ السيد أحمد صقر بالدقة والبحث والتحري فيما يكتب أو يحقق، وقد وصفه الأديب الدكتور محمود الطناحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «أديب من الطراز الأول، ولو أنه أطلق لمكانته الأدبية العنان لكان من كبار أدباء العربية، ولكنه انصرف إلى تحقيق النصوص متجهاً في أول أمره إلى الأصول، ثم كانت عنايته أخيراً بعلوم الحديث ومصنفاته بعد أن خلت الساحة بوفاة المحدث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر..».

ويضيف بقوله عنه:

«وهو من أقدر الناس على تقديم كتاب، وتقويم نص، وتوثيق نقل، وتخريج شاهد، واستقصاء خبر».

معرفته بالكتب ونوادر المخطوطات والمطبوعات:

له معرفة تامة في الكتب ونوادرها حيث يذكر د. يعقوب الغنيم أنه دعاه مرة إلى مكتبته الخاصة التي كانت تمتلئ بأندر المخطوطات والمطبوعات النفيسة، ثم إنه تحدث عن فروق الطبعات وجودتها كطبعة دار الكتب، أو طبعة بولاق، يضاف إلى ذلك توقيره لكتب العلم وعنايته بها، وكيف يمسك الكتاب وكيف تقلب صفحاته ونحو ذلك، بما يوقر الكتاب والعلم في نفس القارئ، وبما يضمن سلامة النسخ والمطبوعات من التلف.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أبرز أعماله العلمية:

له عدة تحقيقات ودراسات تدل على علو مكانته:

نذكر بعضها، فمنها:

١ ـ كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

٢ ـ كتاب غريب القرآن لابن قتيبة.

٣ ـ «الإلماع في علم الحديث» للقاضي عياض البحصبي، وهذا يبين اتجاهه لدراسة كتب الحديث دراية ورواية.

٤ ـ «أمثال الحديث» للرامهرمزي.

٥ ـ «أعلام السنن» للخطابي.

وقد حقق ١٤ كتاباً من أمهات الكتب النافعة التي تبين طول باعه ورسوخ قدمه في التحقيق والبحث والنشر وقد حصل بعض أعماله على جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

زيارته وعمله في الكويت:

أقام في الكويت فترة يدرس ويفيد، فقد درّس في المعهد الديني حينما كان زاخراً بالعلماء في أوائل الخمسينيات ما بين ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧م و١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م، وقد توفي رحمه الله تعالى عام ١٩٦٩م.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٢

صالح بن ناصر آل صالح[(١)]

(١٣٢٢ ـ ١٤٠٠هـ/١٩٠٢ ـ ١٩٨٠م)

هو الشيخ صالح بن ناصر بن عبد المحسن آل صالح، ولد وشقيقه التوأم عبد المحسن عام ١٣٢٢هـ في عنيزة مقر تجارة والدهم إذ هم أصلاً من المجمعة، وقد نشأ الأخوان في عنيزة ثم عادا إلى المجمعة بطلب من والدهما، ثم رجعا مرة أخرى إلى عنيزة، وعمر كل منها ١٢ عاماً.

الذهاب إلى الكويت:

كان عمهما عبد المحسن آل صالح يقيم في الزبير، فذهب إلى الشيخ صالح ودرس في مدرسة النجاة الأهلية التي أسسها الشيخ محمد أمين الشنقيطي، ثم ذهب إلى الكويت فدخل المدرسة المباركية فدرس فيها وتعلم الخط فأجاده وتعلم الحساب، وطالع كتب الأدب ودواوين الشعر ثم غادر إلى البحرين.



(١) ابن بسام (٢/٥٤٩)، والقاضي: «روضة الناظرين» (١/ ١٩٤).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٣

أحمد الشرباصي

(١٣٣٦ ـ ١٤٠٠هـ/١٩١٦ ـ ١٩٨٠م)

هو الشيخ الأديب الخطيب ذو المواهب أحمد الشرباصي، ولد في قرية البجلات في محافظة الدقهلية في مصر عام ١٣٣٦هـ، حوالي ١٩١٦م، أو عام ١٩١٨م.

طلبه للعلم ودراسته وتفوقه:

حفظ القرآن الكريم بكتّاب القرية، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمعهد دمياط الديني وهو في الثانية عشرة من عمره، ثم التحق بمعهد الزقازيق الثانوي سنة ١٣٥٤هـ (١٩٥٣م)، ثم حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م)، ثم التحق بكلية اللغة العربية وحصل على الشهادة عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٣م) وتم تكريمه بقصر رأس التين بالإسكندرية، ثم نال شهادة العالمية الأزهرية وإجازة التدريس سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م)، وحصل على الدكتوراه في الأدب والنقد عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م).

الوظائف التي تقلدها:

عين وكيلاً لرواق الأحناف بالأزهر سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م)،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وانتدب لتدريس الشريعة الإسلامية في معهد الخدمة الاجتماعية بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ (١٩٥٨م)، ثم عمل مستشاراً لهيئة الرقابة على المطبوعات ومراجعة الكتب الدينية، وعين مدرساً للغة العربية في كلية اللغة العربية.

نشاطه وموهبته:

امتاز الشيخ أحمد الشرباصي بكونه متعدد المواهب فهو الخطيب المفّوه، والأديب الناقد، والكاتب، والمؤلف حتى أن كتاباته لا تكاد تخلو منها مجلة أو صحيفة معتبرة، وله من الكتب والمؤلفات في التشريع الإسلامي، والدراسات القرآنية، والتاريخ والأيام حتى أوصلها البعض إلى حوالي مائة كتاب فمن أعماله:

- موسوعة أخلاق القرآن ٧ أجزاء.
- يسألونك ٧ أجزاء.
- موسوعة الفداء في الإسلام ٤ أجزاء.
- النيل في القرآن.
- القصاص في القرآن.
- أسماء الله الحسنى.
- أمير البيان شكيب أرسلان حياته وأدبه. وهو أطروحته للماجستير في جزءين، «ورشيد رضا صاحب المنار» وهو أطروحته للدكتوراه، في ثلاثة أجزاء، هذا عدا عن عشرات أو مئات المقالات في الصحف والمجلات والمناسبات.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كما شارك في الجمعيات الإسلامية مثل جمعية الشبان المسلمين، وتولى أمانتها، وجمعية الهداية الإسلامية، وجماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر، وجمعية النهضة الأزهرية.

زيارته الكويت وإقامته فيها وحبه لها:

- زار الكويت موفداً من الأزهر وأمضى فيها حوالي فترة من الزمن والمطلع على نشاطه في الكويت لا يستغرب همة هذا الرجل.

فإذا قلبت صحف الكويت كمجلة البعثة تجد له مقالات وكتابات هادفة ونافعة.

وإذا قلبت كتابه «أيام الكويت» والمعلومات التي وردت فيه والصور التي ملأت الكتاب تتعجب من نشاطه وهمته ومثابرته، إذ لا تكاد تجد مناسبة أو موقعاً له مكانه أو موسماً أو مناسبة إلا وتجده مساهماً فيها حتى أنه سمي بـ«صديق الكويت» و«المصري الكويتي».

ويندهش المتتبع لنشاطه إذا علم أنه أقام في الكويت عاماً دراسياً كاملاً ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣م، وغادر الكويت في ٢٨ رمضان ١٣٧٢هـ.

ولو تجولنا في كتابه «أيام الكويت» لرأيت حوالي ٥٠٠ عنواناً عن مشاهداته ورأيه وتوجيهاته وزياراته والمناسبات التي شارك فيها في كتاب حجمه ٥٤٤ صحيفة عن الكويت فيه كثير من النقولات مما كتبه سابقاً ومن استفاده مما كتب عن الكويت.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٤

محمد تقي الدين الهلالي[1]

(١٣١١ ـ ١٤٠٧هـ/١٨٩٣ ـ ١٩٨٧م)

هو العلامة اللغوي المحدث الأديب الشيخ محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، عالم ورحالة تنقل في الأقطار، وأفاد واستفاد، ذو همة عالية وقوة وعزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مولده ونسبه ونشأته:

ولد الشيخ محمد تقي الدين الهلالي في قرية الغيضة وتسمى «الفرخ» من بادية سلجماسة في المغرب عام ١٣١١هـ التي هاجر إليها أجداده، ووالده عبد القادر الهلالي نسبة إلى هلال وهو الجد الحادي عشر وينتسب إلى الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد أقر هذا النسب السلطان الحسن الأول حين قدم بلاد سلجماسة سنة ١٣١١هـ، وكان أهل بيته من أهل العلم والصلاح.

---

(١) انظر: محمد المجذوب «علماء ومفكرون عرفتهم» الجزء الأول، ١٩٩٢م، دار الشواف: القاهرة، ص١٩٣، وانظر: المستشار عبد الله العقيل «من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة» ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٣م، ص٤٨٩. ويُشكر الشيخ عارف جاويد الذي نبه إلى حضور الشيخ تقي الدين الهلالي إلى الكويت وزودني بما يثبت ذلك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طلبه للعلم:

قرأ القرآن الكريم على والده وجده فحفظه وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقد صحح قراءته على مجود الوقت أحمد الصالح، يكتب كل يوم ربع جزء في لوح من حفظه ويصححه على الشيخ بمساعدة أم الشيخ تقي الدين.

يقول الشيخ: كنت أخذت الطريقة التيجانية، ولم يكن يخطر ببالي طلب العلم بل كنت أسعى في الحصول على علم الباطن بالاجتهاد بالعبادة على طريقة المتصوفة، فلما رأيت النبي ﷺ في المنام قلت: يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي إلى الله، فقال وهو منقبض: ٱقرأ العلم. فقلت: العلم الظاهر أم الباطن؟ فقال لي: العلم الظاهر. ومن هذه اللحظة سعى الشيخ في طلب العلم واجتهد فيه وترك التصوف.

رحلته في طلب العلم:

وكان أول مشايخه الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي، فقص عليه رؤياه واستشاره في الرحلة في طلب العلم في بلاد المغرب وتونس والجزائر، فجلس في مدرسة الشيخ الشنقيطي التي يعلم فيها على طريقة علماء شنقيط وحصّل عنده مبادئ العلوم، ومكث عند الشيخ الشنقيطي سنتين في البادية ثم انتقل إلى مدرسة أخرى في «المشربة» فبقي مع الشيخ خمس سنين أخرى؛ فتأسس الشيخ في علوم العربية والأصول العلمية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ ـ الرحلة إلى المغرب:

ارتحل الشيخ إلى المغرب ووصل مدينة فاس سنة ١٣٤٠هـ، فدرس على مشايخها منهم: الشيخ الفاطمي الشيراوي، والأستاذ محمد بن العربي الزماني، الذي ذكره الشيخ بأنه أستاذه الذي أنقذه الله على يده من البدع والخرافات. وجرت بيني وبينه مناظرة ذكرتها في كتاب «فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني»، كما استفاد من الشاعر العالم الأديب أحمد سوكيرج، يقول الشيخ: ولا أرتضي من شيوخ المغاربة من حيث العقيدة إلا الأوَّلَيْن ـ أعني: الشيخ الشيراوي والعلوي ـ».

ثم حصل الشيخ على شهادة من جامع القرويين، وقد عادلتها «بون» بالشهادة الثانوية، وبها صار طالباً في جامعة بون كما سيأتي:

٢ ـ الرحلة إلى القاهرة:

في أواخر سنة ١٣٤٠هـ سافر إلى القاهرة، وأقام بمصر سنة، اجتمع بها بالشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد الرمالي، والشيخ حسن عبد الرحمٰن، والشيخ العدوي، والشيخ عبد العزيز الخولي، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة وهما إماما الحرم المكي فيما بعد، والشيخ محمد أبو زيد.

ويواصل الشيخ بقوله ونصحني أحد علماء الأزهر بطلب علم الحديث عند أهله، فعزمت على السفر إلى الهند.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ ـ رحلة الحج ثم الهند:

ثم إن الشيخ لما رجع للقاهرة تيسر له الذهاب للحج، ثم إلى الهند، واجتمع بعلماء أهل الحديث وأقام فيها ١٥ شهراً، واجتمع بالشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري، ثم قرأ أطرافاً من الكتب الستة على الشيخ محمد بن حسين بن محسن الأنصاري اليماني نزيل بهوبال.

٤ ـ الرحلة إلى البصرة والزبير:

ثم توجه الشيخ عقب الهند إلى البصرة ثم الزبير، ولقي فيها العالم المحقق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي كان نزيل الكويت، وتزوج بابنته، وأقام ثلاث سنين في البصرة، والتقى غيره من علماء الزبير آنذاك ممن كانت لهم صلة بعلماء الكويت، وصار يدرس في مدرسة النجاة التي أنشأها الشيخ الشنقيطي. وقد أرسل رسالة إلى الشيخ المباركفوري تدل على اهتمامه بعلم الحديث: جاء في رسالته إلى الشيخ عبد الرحمٰن المباركفوري من البصرة:

«إلى حضرة مولانا الشيخ الإمام بقية السلف وقدوة الخلف الشيخ عبد الرحمٰن المباركفوري بارك الله في حياتكم والسلام عليكم ورحمة الله، من كاتبه محبكم محمد بن عبد القادر الهلالي ومن جميع إخوانه المحمديين هنا،على قلتهم، فقد طال العهد بأخباركم والقلب يترقبها دائماً ولا سيما خبر شرح الترمذي، لا أدري أوفقتم لطبعه أم لا؟ وتلك حسنة عظيمة نؤمل أن يقر الله أعيننا وأعينكم بها. . .» إلخ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥ ـ السفر إلى السعودية:

ثم إن الشيخ سافر إلى الحجاز، وفي طريقه مر على السيد رشيد رضا وأخبره أنه متوجه إلى الحجاز، فكتب الشيخ محمد رشيد رضا إلى الملك عبد العزيز: «إن محمداً تقي الدين الهلالي المغربي أفضل مما جاءكم من علماء الآفاق؛ فأرجو أن تستفيدو من علمه». فأقام في ضيافة الملك شهراً.

٦ ـ العمل في المسجد النبوي:

عين الملك الشيخ تقي الدين مراقباً للمدرسين في المسجد النبوي، فأقام في المدينة سنتين.

٧ ـ العمل في المسجد الحرام:

ثم انتقل إلى مكة وعمل في المسجد الحرام والمعهد السعودي بمكة، وأقام هناك سنة.

٨ ـ العودة إلى الهند والعمل في جامعة كلية ندوة العلماء:

ثم إن الشيخ غادر إلى الهند وعمل أستاذاً للأدب في كلية ندوة العلماء، وبقي هناك ثلاث سنين، وتعلم الإنجليزية.

٩ ـ السفر إلى جنيف:

سافر الشيخ إلى جنيف ونزل عند أمير البيان، الأمير شكيب أرسلان بطلب منه ـ وقد سمى الشيخ أول أبنائه شكيباً، فكنيته أبو شكيب على اسم الأمير شكيب ـ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٠ ـ السفر إلى ألمانيا والتدريس في جامعتي بون وبرلين:

ثم إن الشيخ غادر جنيف إلى ألمانيا وذلك بوساطة من الأمير شكيب أرسلان الذي كتب خطاباً إلى أحد أصدقائه في وزارة الخارجية الألمانية ببرلين بقوله: «عندي شاب مغربي أديب ما دخل ألمانية مثله، وهو يريد أن يدرس في إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكاناً لتدريس الأدب العربي براتب يستعين به على الدراسة».

وقد جاء الجواب بالقبول، وعيِّن محاضراً في جامعة بون، وشرع في تعلم الألمانية، وحصل على دبلوم اللغة الألمانية بعد عام، مما يدل على ذكائه وقوة عزمه، وقد عمل مع بعض المستشرقين في ترجمة بعض الأعمال مثل «كتاب البلدان الجغرافية العالمية» لمحمد بن الفقيه البغدادي المتوفى أواخر المائة الثالثة، والثاني: «طيف الخيال» لمحمد بن دانيال الكحال، يعني طبيب العيون الموصلي نزيل مصر.

١١ ـ الحصول على الدكتوراه من جامعة برلين:

ثم إن الشيخ بقي ثلاث سنين في بون وأعير إلى جامعة برلين وصار مرجعاً لغوياً للإذاعة العربية في برلين، وفي صيف ١٩٤٠م قدم رسالة الدكتوراه وهي ترجمة كتاب «الجماهر في الجواهر» وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من عشرة من العلماء، وقد فند في رسالته آراء بروكلمان وكان أشهر مستشرقي زمانه، ورد على آراء مارتن هارتمن.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم دخل الاختبار الشفهي فنجح أيضاً وأوصت الجامعة بطباعة رسالته.

رحلته إلى بغداد:

ثم إن الشيخ عاد إلى بغداد وعمل في جامعة بغداد أستاذاً مساعداً ثم أستاذاً، وقد دعته جامعة بون كأستاذٍ زائرٍ إليها لمدة سنةٍ عام ١٩٥٤م، فغادر إليها ثم عاد إلى العراق، وقد مكث في العراق فترة، وقرأ عليه فيها الشيخ صبحي السامرائي.

أبرز مؤلفاته:

للشيخ محمد تقي الدين الهلالي مؤلفات كثيرة تصل إلى أكثر من ٤٠ مؤلفاً ما بين صغير وكبير، لعل من أهمها:

١ ـ «الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري»، المجلد الأول. ٢ ـ «الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام»، ٣ ـ «القاضي العدل في حكم البناء على القبور»، ٤ ـ «العلم المأثور والعلم المشهور في بدع القبور»، ٥ ـ «آل البيت ما لهم وما عليهم»، ٦ ـ «حاشية على كتاب التوحيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ٧ ـ «حاشية على كشف الشبهات»، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ٨ ـ «دليل الحاج إلى مناسك الحج»، ٩ ـ «البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخلٌ في العبودية وبريء من الألوهية»، ١٠ ـ «رحلة من الزبير إلى جنيف»، ١١ ـ «رحلة إلى ألمانيا»، ١٢ ـ «تقويم اللسانين»، ١٣ ـ «تمثيليات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طيف الخيال» لمحمد بن دانيال، ١٤ ـ «الجماهر في الجواهر» وهي رسالة الدكتوراه، وغيرها.

زيارته الكويت:

يذكر شيخنا صبحي السامرائي أن شيخه محمد تقي الدين الهلالي لا بد وأنه زار الكويت، خاصة وأنه درس في الزبير والبصرة فترة من الزمن، وعاصر العلماء الذين تفقه بهم علماء الكويت، وإننا إذا ذهبنا لزيارته أحياناً لا نجده في مسكنه عدة أيام فلا يستبعد ذهابه إلى الكويت.

أما زيارته المؤكدة فقد ذكر المستشار عبد الله العقيل أنها في السبعينيات، وذلك في كتابه عن أعلام الدعوة[1]، حيث خصص فصلاً عن الشيخ الهلالي، قال فيه:

كما إنه شرفني في بيتي بالكويت حين زارها أواخر السبعينيات الميلادية حيث تناولت أحاديثه وذكرياته في الزبير والهند وألمانيا والمغرب.



(١) انظر: عبد الله العقيل «من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة»، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م، مصدر سابق، ص٤٩٥، ويشكر الباحث الشيخ عارف جاويد الذي نبه عن هذه المعلومة المهمة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٥

عبد السلام هارون

(١٣٢٦ ـ ١٤٠٨هـ/١٩٠٦ ـ ١٩٨٨م)

هو العالم المحقق عبد السلام هارون، ولد في مدينة الإسكندرية عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٩م)، وقد نشأ في بيت علم، فجده الشيخ هارون بن عبد الرزاق عضو جماعة كبار العلماء، وأبوه هو الشيخ محمد بن هارون الذي أصلح المحاكم الشرعية ووضع لوائحها، أما جده لأمه فهو محمود بن رضوان الجزيري عضو المحكمة العليا.

عنايته بالعلم منذ صغره:

اعتنى به أبوه وعلمه مبكراً فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والتحق بالأزهر عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) ودرس العلوم الدينية والعربية، ثم أنهى مرحلة تجهيزية دار العلوم، وهي مرحلة تعد الطالب للالتحاق بمدرسة دار العلوم، وحصل على شهادة البكالوريوس سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م)، ثم إنه التحق بدار العلوم، وتخرج فيها سنة ١٣٥١هـ (١٩٤٥م).

الوظائف التي تقلدها:

عمل في البداية مدرساً بالتعليم الابتدائي ثم مدرساً عام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٣٦٥هـ (١٩٤٥م) بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وهي من أول الغرائب في تاريخ الجامعات وذلك بالانتقال من التعليم الابتدائي إلى السلك الجامعي وما ذاك إلا لمكانته وغزارة علمه، ثم صار أستاذاً مساعداً بكلية دار العلوم، ثم أستاذاً ورئيساً لقسم النحو بها سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م).

أبرز أعماله:

ذكر الطناحي[1] إنه أخرج صفحات مضيئة في التراث العربي، فقد أخرج على امتداد خمسين عاماً قدراً كبيراً من النفائس التراثية منها للجاحظ «البيان والتبيين»، (أربعة مجلدات)، و«الحيوان» في (ثمان مجلدات)، و«رسائل الجاحظ» (أربعة مجلدات) تشتمل على ٤٥ كتاباً ورسالة، «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (ستة مجلدات)، «مجالس ثعلب» (مجلدان)، «شرح حماسة أبي تمام»، «المصون» لأبي دريد، طبعته ونشرته وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، «شرح القصائد السبع الطوال»، لأبي بكر الأنباري، «الكتاب» لسيبويه (خمس مجلدات)، «خزانة الأدب» للعلامة عبد القادر البغدادي (أحد عشر مجلداً) مع مجلدين يحتويان على الفهارس الفنية. كما شارك الشيخ أحمد محمد شاكر في بعض الأعمال مثل «إصلاح المنطق» لابن

---

(١) محمود الطناحي: «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي» ١٩٨٤م، مصدر سابق، ص٩٧.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السكيت، و«المفضليات»، و«الأصمعيات» وغير ذلك من الأعمال رحمه الله تعالى.

ذهابه إلى الكويت:

دُعي إلى الكويت عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) للمساهمة في إنشاء جامعة الكويت، ولما أنشئت عام ١٩٦٧م تولى رئاسة قسم اللغة العربية فيها، وقسم الدراسات العليا حتى عام ١٩٧٥م. ولعل من أبرز تلامذته من الكويت: الدكتور يعقوب يوسف الغنيم الذي تتلمذ على يديه أثناء دراسته في كلية دار العلوم في مصر، وهو الذي أمدنا بأبرز المعلومات عنه[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) انظر: د. يعقوب يوسف الغنيم «الأزمنة والأمكنة»، مصدر سابق، ٢٠٠٩م، موسوعة تحت النشر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٦

صالح بن عبد العزيز بن عثيمين البردي

(١٣٢٠ ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٩٠م)

صاحب «تسهيل السابلة»،
ومن تلاميذ عالم الكويت الشيخ عبد الله بن خلف

هو العلامة الفقيه المؤرخ صاحب «تسهيل السابلة»[1] الشيخ صالح بن عبد العزيز بن علي الشهير بابن عثيمين النجدي القصيمي البردي داراً ومولداً، ولد في عام ١٣٢٠هـ بمدينته بريده ـ ونسب إليها بالبردي ـ، ونشأ وتعلم في كتاتيبها ثم جاور في مكة في أخرياته وفيها توفي.

مشايخه وأشهرهم:

١ ـ الشيخ القاضي عبد الله بن خلف الدحيان الكويتي الحنبلي.

٢ ـ الشيخ القاضي يوسف بن عيسى القناعي الكويتي المالكي.

٣ ـ الشيخ عبد العزيز الرشيد الكويتي الحنبلي.

٤ ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم.

---

(١) انظر: «تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة»، تحقيق الشيخ بكر أبو زيد، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، (١/ ٤).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥ ـ الشيخ عمر بن محمد بن سليم.

سفره إلى الكويت وأخذه عن مشايخها:

بعد أن طلب العلم وتمكن من إدراكه صار لديه همة عالية في نشر الدعوى والتوجيه والتعليم، وتنقل بين البلدان، وكان عنده طموح في الاستزادة من العلم فسافر إلى الكويت وفيها القاضي الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان فأخذ عنه، كما أخذ عن الشيخ عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى القناعي وغيرهم، واستفاد منهم[١].

كما أنه عمل في الكويت، ودخل البحر غواصاً، وذكر الشيخ بكر أبو زيد بقوله: فدخل الكويت ثم عمل مدرساً فيها ثم مديراً لأحدى المدارس فيها بجانب عمله بالغوص لسداد العيش، وذكر أنه أخذ عن الشيخ عبد الله الخلف وعبد العزيز الرشيد ويوسف القناعي[٢].

ارتحاله إلى الهند وطلبه للعلم والإجازة:

سافر إلى الهند وزار موطن المحدثين فيها مثل مدينة (بهوبال) و(عليكره) و(ديوبند، ومرات)، وقرأ على تلاميذ العلامة المحدث الشيخ نذير حسين، وتلاميذ العلامة الشيخ صديق حسن

---

(١) عبد الله البسام: «علماء نجد في ثمان قرون» (٢/ ٤٨٩).

(٢) انظر: «تسهيل السابلة» مرجع سابق، (١/ ٤).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خان رحمهما الله تعالى، قرأ في الأمهات الست وأجيز بها[1]، وذكر الشيخ بكر أبو زيد تاريخ كل إجازة ونصها منهم عبد الستار الدهلوي في ٥ ذي الحجة ١٣٥٣هـ، ومشايخه كبدر الدين المخللاتي في ٤/ ١/ ١٣٥٤هـ.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

توفي في مكة رَحِمَهُ اللَّهُ أصابه مرض ألزمه الفراش، وكانت وفاته يوم الاثنين ٢٤ ذي الحجة ١٤١٠هـ وصلي عليه في المسجد الحرام، ودفن في مقبرة العدل رحمه الله تعالى.

ترجمته لشيخه علامة الكويت القاضي عبد الله بن خلف الدحيان:

لعل من أبرز ما ترك رَحِمَهُ اللَّهُ، وبما يتصل بعملنا ترجمته الحافلة للعلامة القاضي الشيخ عبد الله الخلف الدحيان رَحِمَهُ اللَّهُ، نختار منها هذه الفقرات الدالة على صدق الوصف وعمق المحبة وقرب المعرفة كما تدل على طول إقامته في الكويت.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

....هو من أجل علماء الكويت في زمنه الذين رأيتهم بها وأصلحهم، فقد امتاز رَحِمَهُ اللَّهُ على علمائها بالهدوء والسكون وحسن المعاشرة والأخلاق الفاضلة والآداب التي يغبط عليها من العبادة والورع والزهد والصلاح.

---

(١) انظر نص الإجازات بما فيها «تسهيل السابلة» (١/ ٨ ـ ٢٤)، مصدر سابق.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويقول أيضاً:

وكان متخلقاً بأخلاق السلف الصالح، منجمعاً عن الناس لا يخالط أحداً، وكان الأكابر من الأمراء والتجار تغشاه لمكانته عندهم.

ويقول عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان جليسه لا يملّ مجلسه، ولا يخلو مجلسه من فائدة، ولا يذكر فيه حديث الدنيا، وكان يستفيد ناظره برؤيته قبل أن يسمع كلامه فضلاً عن أن يختبر أعماله.

ويقول:

وكان فقيهاً شديد التثبت في الأحكام ملازماً طريقة المتقدمين لا يلتفت إلى من خالفهم.

ويقول:

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع ذلك طارحاً للتكلف متقشفاً في مأكله وملبسه ومسكنه شديد الخشونة في ذلك، وكان كثير الإيثار والصدقات لتلاميذه، محبباً إلى الناس عامة وإلى العلماء خاصة.

ويقول عنه:

لا يخلو مجلسه من العلماء من أهل الكويت والواردين إليه، وكان لا يرد الكويت عالم أو أديب إلا أخذه إلى بيته وضيفه وأكرم مثواه، وانصرف عنه شاكراً.

ويقول:

وكان مع غزارة علمه لا يستنكف عن الأخذ عمن هو دونه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلقد جالسته مراراً ودار البحث بيني وبينه في مسائل عديدة فكان يظهر لي الشكر على توقيفه على أقوال العلماء فيها كأنه لم يعرفها وهو أعلم مني بما أذكر له، ولكن لصدق لهجته وحسن نيته وكرم أخلاقه وبعده عن الحسد الحامل على ترك الفائدة كان منه ذلك، وكان من التواضع ولين الجانب بمكان لا أستطيع وصفه.

وأخيراً يقول عنه:

وكان غزير الدمعة إذا مر بآية رحمة أو آية عذاب...[1].

رحمهما الله آمين.

وأرخ وفاته في بيتين بعد أن رثاه بتسعين بيتاً هما:

بتسعين بيتاً قد تقضت كأنها   لآلي بسلك الدّر مني تؤلف
وأرّخَ كوى شهر الصيام مماته   فما الوردُ قبر جسم سيدي يتحف

❒ ❒ ❒

---

(١) انظر: «تيسير السابلة» (٢/ ١٧٩٥ ـ ١٧٩٧)
ومما سمعت مراراً من الوالد حفظه الله أن الشيخ عبد الله الخلف كان يمر على الناس ويألفهم ويألفونه، وكان يمر على ديوان العائلة مرة في الأسبوع للسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٧

يوسف بن راشد آل مبارك[١]

(١٣١٥ ـ ١٤١٦هـ/١٨٩٥ ـ ١٩٩٦م)

هو الشيخ يوسف بن راشد بن عبد اللطيف آل مبارك، ولد في المبرز شرق الجزيرة ١٣١٥هـ.

مشايخه:

واصل تعليمه على عمه إبراهيم بن عبد اللطيف ودرس العربية، درسها في دبي في المدرسة الجيشية.

انتقاله إلى الكويت:

انتقل إلى الكويت للتزود من العلم ودرس في المدرسة المباركية ومن أبرز مشايخه:

١ ـ الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

٢ ـ الشيخ عبد العزيز حمادة.

طلبه للعلم في أكثر من مكان:

كما تقدم فإنه سافر إلى الكويت في شبابه ثم انتقل إلى

---

(١) ابن بسام، مصدر سابق.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البحرين وقرأ على مشايخها، منهم: عبد اللطيف بن سعد وعبد العزيز بن جامع وذلك في ما بين (١٣٥٥ ـ ١٣٥٩هـ).

وفي عام ١٣٧٣هـ سافر إلى مصر وزار الأزهر وتعرف على علمائها والتقى المشايخ حسنين مخلوف ومحب الدين الخطيب وغيرهم، وتوفي عام ١٤١٦هـ.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٨

عبد الصمد شرف الدين[1]

(١٣١٩ ـ ١٤١٦هـ/١٩٠١ ـ ١٩٩٦م)

هو العلامة المحدث المحقق الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي، ولد في مدينة بهيمري من مضافات بومباي، ثم انتقل مع أسرته واستوطنوا بومباي المدينة الشهيرة والمركز التجاري المعروف.

تدرجه في طلب العلم:

تلقى الشيخ العلوم الابتدائية في مدينة بومباي وفيها تعلم اللغات كالإنجليزية والفارسية والعربية والمرهتية وأتقنها وبرع فيها ففتح عليه بها واتسع إطلاعه ومداركه، كما أنه درس المحاماة باللغة العربية.

فتح مكتب لتلقي التجار العرب:

لما كانت الهند قبلة التجار قبل ظهور النفط في منطقة الخليج افتتح له مكتبة باسم «شرف الدين الكتبي وأولاده» وهي بمثابة

---

(١) بقلم عبد الخالق محمد صادق، مقدم من الأخ الشيخ عارف جاويد جزاه الله خيراً.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مكتبة ومعرضاً وأيضاً لتلقي التجار العرب وتسهيل مهماتهم التجارية هناك واسمه معروف لدى أبناء العوائل التجارية في الكويت رَحِمَهُ اللَّهُ، ومكتبته هذه هي أول مكتبة في بومباي للكتب العربية والإسلامية[1].

التقاؤه العلماء والانتفاع بهم:

حصل للشيخ عبد الصمد لقاءات مع العلماء الأجلاء وتمكن من لقائهم والاستفادة منهم، ومن أبرزهم الشيخ محمد السورتي والد الشيخ طاهر السورتي، وإمام الهند أبو الكلام آزاد، والحافظ بهادر علي، والعلامة محمد الأشبيلي، والشيخ محيي الدين قضوري، والشيخ شهاب مالير كرئلوي، والشيخ عبد الجبار العطار، والشيخ إسماعيل تونكي، والشيخ عبد الرزاق السعيد وغيرهم من العلماء الأفاضل.

إنشاء مدرسة لتعليم التجار اللغة العربية:

ومما يدل على علو همته وسعيه في الخير إنشاؤه مدرسة لتعليم اللغة العربية للتجار الهنود لتيسير تعاملهم مع التجار العرب، وقد زار هذه المدرسة الشيخ عبد الله السالم حاكم الكويت وكان

---

(١) ذكر د. يعقوب يوسف الغنيم أنه زار مكتبة الشيخ عبد الصمد شرف الدين الواقعة في الشارع المسمى «علي رود» في بومباي وأحضر منها كتباً قيِّمة، كما أنه اصطحب أبناء الشيخ في زيارتهم الكويت لما قدموا من بومباي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كثير التردد على الهند، كما زارها الشيخ عبد الله الجابر، وزارها أيضاً الملك سعود بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى.

زيارته للكويت وعنايته بطباعة كتب التراث والسلف وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية:

زار الكويت في الستينيات في فترة حكم الشيخ عبد الله السالم، ثم إن للشيخ عبد الصمد قرابة في الكويت وهم أبناء أخيه وقد حصلوا على الجنسية الكويتية منهم د. صالحة شرف الدين وابنها د. إبراهيم شرف الدين، ومما ينبغي ذكره هنا أن الوجيه محمد نصيف رئيس رابطة العالم الإسلامي السابق رَحِمَهُ اللَّهُ قد تزوج من ابنة الشيخ عبد الصمد شرف الدين التي هي والدة عمر محمد نصيف[1].

وكان للشيخ عبد الصمد عناية تامة في كتب السلف وكتب شيخ الإسلام وهو الذي نقلها إلى الهند وتولى طباعة أبرزها، فمن ذلك أنه بدأ سلسلة تأليف الكتب وطباعتها فأول كتاب طبعه هو «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»[2] في سبع مجلدات، وكتاب

---

(١) انظر مثلاً: «محمد نصيف حياته وآثاره»، تأليف محمد أحمد سيد، عبده العلوي وقدم له جماعة من العلماء، ط المكتب الإسلامي، ١٤١٤ ـ ١٤١٥هـ، ومنه مراسلات للشيخ عبد الصمد مع الوجيه محمد نصيف حول طباعة وتبادل الكتب، انظر ص٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢.

(٢) رغم أن هذا الكتاب قد اعتنى به مجموعة من المستشرقين ونشره أ.ي. ونسنك أستاذ العربية في جامعة ليدن (١٩٣٦م)، إلا أن أحد العلماء =

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» للمزي، بتحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين في ١٣ مجلداً، وقد استغرقت طباعته ٢٠ عاماً من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٨٣م.

وكذلك كتاب «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية»، و«الكشاف لتحفة الأشراف» وغير ذلك من الكتب العلمية رحمه الله تعالى، وهذه الكتب كلها وصلت الكويت في فترة مبكرة مما يدل على تواصله مع الكويت في إرسال كتبه.

❐ ❐ ❐

= يؤكد أن هذا الكتاب أصله من عمل أحد علماء المسلمين وعثر على أصوله في إيطاليا في أحد الأديرة وأن هؤلاء المستشرقين قد اعتنوا بإخراجه للقارئ ونسبوا العمل لهم، والله أعلم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢٩

بديع الدين السندي[١]

(١٣٤٢ ـ ١٤١٦هـ/١٩٢٦ ـ ١٩٩٦م)

هو العلامة المحدث السيد بديع الدين الراشدي السندي، ولد بقرية بيرجهندا بالسند عام ١٣٤٢هـ حوالي ١٩٢٦ في بيئة دينية وعلمية محافظة.

كان جده السيد رشد الله شاه الراشدي الحسيني من أكابر علماء الحديث ومن تلامذة السيد نذير حسين المحدث، وأنشأ مدرسة «دار الرشاد» التي تخرج فيها أغلب علماء الحديث. وكان أبوه السيد إحسان الله شاه الراشدي عالماً متبحراً حاملاً للواء السنة والحديث في بلاد السند ضابطاً لأسماء الرجال.

طلبه للعلم:

تلقى تعليمه في مدرسة أسرته «دار الرشاد» فدرس فيها المهمات من كتب التفسير والحديث، والفقه والأصول وغيرها، وحفظ القرآن الكريم في ثلاثة أشهر وعمره حينذاك ثلاث وعشرون سنة.

---

(١) مما قدمه الأخ الشيخ عارف جاويد، إعداد صلاح الدين مقبول أحمد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أخذ الإجازة من كبار علماء الحديث في عصره أمثال الشيخ أبي محمد عبد الحق البهاولفوري المهاجر المكي، والعلامة أبي الوفاء ثناء الله الأمر تسري، والحافظ محمد عبد الله الروبري كما درس على الشيخ عبيدالله السندي.

درَّس في مدرسة أسرته عدداً كبيراً من الطلبة، ثم أنشأ هو مدرسة باسم «المدرسة المحمودية» في قريته سعيد آباد الجديدة، ودَرَّس فيها في مراحلها المختلفة.

شارك في المؤتمرات والدروس الدعوية في السند وباكستان وكان له أسلوب مؤثر يتميز بالاستدلال بالكتاب والسنة، وله مجالس علمية ومناظرات للإعتصام بالسنة والعقيدة الصحيحة ونبذ البدع والخرافات.

وله مؤلفات كثيرة وقلم سيال بلغت مؤلفاته ١٠٨ مؤلفاً بين رسائل صغيره وكبيرة منها ستون كتاباً في العربية، وثمانية وعشرون بالسندية، وتسعة عشر كتاباً بالأردية، وله رسائل متداولة منها «زيادة الخشوع بوضع اليدين في القيام بعد الركوع»، و«جلاء العينين في تخريج روايات البخاري في جزء رفع اليدين»، وله تلاميذ كثر منهم الشيخ د. عمر بن محمد بن عبد الله السبيل إمام الحرم رحمه الله تعالى، وبشار عواد معروف، وحمدي عبد المجيد محقق «المعجم الكبير للطبراني» وغيرهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته للكويت:

زار الكويت عام ١٩٩٤م بدعوة من جمعية إحياء التراث للاستفادة من علمه وجهده في الحديث ولتقديم استشارات علمية ونحو ذلك، مما هو من خلاصة تخصصه جرياً على ما هو معتاد من الاستفادة من العلماء أهل التخصص من أهل الحديث.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٠

محمود محمد شاكر

(١٣٢٧ ـ ١٤١٨هـ/١٩٠٩ ـ ١٩٩٧هـ)

هو أستاذ العربية، الشيخ الأديب، محمود بن محمد شاكر بن أحمد، من أسرة أبي علياء من أشراف جرجا بصعيد مصر، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما.

مولده:

ولد في الإسكندرية في ليلة العاشر في محرم سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وانتقل إلى القاهرة في نفس العام مع والده الذي تعين وكيلاً للجامع الأزهر، وكان قبل ذلك شيخاً لعلماء الإسكندرية.

نشأته:

نشأ في بيئة متدينة، فقد نشأ في كنف أبيه الذي كان كبير علماء الإسكندرية ثم وكيلاً للأزهر في تلك الأيام التي توافر فيها العلماء مما يدل على علو مكانته، تلقى تعليمه في القاهرة ودخل مدارسها من الابتدائية إلى الثانوية القسم العلمي، وكان يقضي أوقاتاً طويلة في الأزهر يسمع الشعر حتى حفظ ديوان المتنبي، قبل دخوله الثانوية، ورغب في قسم اللغة العربية لمحبته لها، وكان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك متعذراً لأنه من الثانوية القسم العلمي لكن أستاذه طه حسين سعى له لدى رئيس الجامعة المصرية فالتحق بها سنة ١٩٢٦م، لكنه ترك الجامعة ولم يكملها لما سمع من أستاذه وشيخه طه حسين ما يدل على أنه يتبنى ما يردده بعض المستشرقين في التنقص من الشعر في العصر الجاهلي، ومنعه تأدبه من أن يرد على أستاذه، فترك بسبب ذلك الجامعة وهو في السنة الثانية.

ذهابه إلى الحجاز:

وفي عام ١٩٢٨م ذهب إلى الحجاز مهاجراً وأنشأ بناء على طلب الملك عبد العزيز مدرسة جدة السعودية الابتدائية ثم إن والده استدعاه فعاد إلى القاهرة سنة ١٩٢٩م.

اتصاله بأدباء وعلماء عصره:

لما رجع إلى مصر قرأ الدواوين في الشعر والأدب واتصل بالعلماء والأدباء مثل أحمد تيمور، وأحمد زكي باشا، ومصطفى صادق الرافعي وعباس محمود العقاد، وبدأ يكتب في مجلة «الفتح» و«الزهراء» لمحب الدين الخطيب، وبدأ يغوص في المعاني ويعيد القراءة، ثم توجه إلى القراءة المركزة.... بدءاً من علوم القرآن، والتفسير، مروراً بالحديث، والجرح والتعديل، وكتب أصول الفقه والدين، والبلاغة والنحو، والتاريخ، ولم تخل حياته من مناظرة ونقد حول بعض المسائل الأدبية مع بعض الشخصيات حيث عرف عنه عدم سكوته على السطو أو التطاول أو الافتراء على الحضارة، مما وصفه الدكتور محمود الطناحي بقوله:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«إن محمود شاكر قد رزق عقل الشافعي وشجاعة ابن تيمية»، وسموه عاشق العربية وشيخها وحارس التراث وفارس الأصالة.

أعماله وتحقيقاته:

أعماله وتحقيقاته كثيرة ورصينة رَحِمَهُ اللَّهُ، منها: «المتنبي»، و«القوس والعذراء»، و«أباطيل وأسمار»، ومن تحقيقاته «فضل العطاء على اليسر» لأبي هلال العسكري، و«طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحي، و«إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع» للمقريزي، وغير ذلك، ولو رتبناها بتواريخ طباعتها فهي على ما يأتي:

- «فضل العطاء على العسر» لأبي هلال العسكري، المطبعة السلفية ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م.
- «إمتاع الأسماع»، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٠م.
- «طبقات فحول الشعراء»، دار المعارف ط أولى ١٩٥٢م.
- «تفسير الطبري» الأول والثاني ١٩٥٤، والثالث والرابع، والسادس والسابع والثامن ـ دار المعارف ١٩٦٠، السادس عشر ـ دار المعارف ١٩٦٩م.
- «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكار ـ مكتبة دار العروبة ١٣٨١ السفر الأول.
- «دلائل الإعجاز» للجرجاني ـ مكتبة الخانجي ١٩٨٩.
- «أسرار البلاغة» للجرجاني ـ دار المدني ١٩٩٧.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته الكويت:

زار الكويت في بداية السبعينيات وكان محل حفاوة عند محبيه، وتلامذته منهم خاصة د. يعقوب الغنيم وأ.د. عبد الله الغنيم وغيرهم. ثم تكررت زياراته، وكان آخرها بعد التحرير جاء مهنئاً لتحرير الكويت رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ومما يذكر عنه أنه ظل يقنت في صلاة الفجر طوال مدة الغزو إلى أن فرج الله عن البلاد والعباد وطرد المعتدين.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣١

الشاذلي النيفر[١]

(١٣٣٦ ـ ١٤١٨هـ/ ١٩١١ ـ ١٩٩٨م)

هو العالم المحقق الفقيه محمد الشاذلي النيفر، والده قاضي الجماعة بتونس الشيخ محمد الصادق النيفر الحسيني نسبة إلى سيدنا الحسين رضي الله عنه.

مولده وطلبه للعلم:

نزح أسلافه من الأندلس مع الجالية التي ألجأها الإسبان للهجرة سنة ١٠١٦ واستقروا بها إلى يومنا هذا، ومما يذكر أن لقب النيفر يعود إلى مقاطعة Navar بالجزيرة الأندلسية.

ولد الشيخ عام ١٩١١م[٢] بمدينة تونس في بيت علم ونشأ في رعاية والده أحد أعلام الزيتونيين ـ نسبة إلى جامعة الزيتونة ـ، فأحسن تربيته وتعلم عليه مبادئ العلوم الشرعية واللغة العربية، ثم التحق بالمدرسة القرآنية، وفي عام ١٩٢٤م التحق بجامعة الزيتونة

---

(١) الترجمة مستخلصة مما أعده الشيخ قيس بن محمد آل مبارك، أستاذ الفقه، جامعة الملك فيصل الأحساء.

(٢) يذكر البعض أنه ولد عام ١٩٠٨م.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٣٠م، وحصل على الشهادة التي تؤهله للتدريس بجامع الزيتونة وتسمى «شهادة التطويع».

أما أبرز مشايخه فمنهم الشيخ محمد العزيز جعيط (ت١٩٣٧م)، والشيخ محمد البشير النيفر (ت١٩٧٤م)، وأجازه الشيخ محمد الطاهر عاشور (ت١٩٧٣م).

واستمر الشيخ محمد الشاذلي النيفر في دروسه بجامع الزيتونه والمعاهد التابعة له ولم يزل كذلك حتى سنة ١٩٩٠م حيث أقعده المرض.

المناصب التي تقلدها:

تولى الشيخ النيفر الإمامة والخطابة بجامع باب الأقواس منذ سنة ١٩٤٦م، وفي سنة ١٩٧٧م اختير عميداً للكلية الزيتونية فمارس التدريس والإدارة العلمية وإلقاء المحاضرات خارج الكلية في المناسبات، كما ترأس الجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم، وخدم القرآن الكريم في مساجد بلده، وكان له صلة قوية بمختلف أقطار العالم الإسلامي، وأصبح عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي وشارك في أغلب ندواتها فتيسر له السفر إلى بلاد الإسلام.

مؤلفاته:

منها تحقيق أول شرح لصحيح مسلم، وهو كتاب «المُعْلم بفوائد مسلم» للإمام المازري في ثلاثة أجزاء صدّره بدراسة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مستفيضة، «ومسامرات الظريف بحسن التعريف» للشيخ عبد الله السنوسي، تحقيق ودراسة، في أربع أجزاء، عن الحياة العلمية والأدبية في تونس، وأحاديث فضل أفريقيا، وغير ذلك.

مكتبتهُ العامرة وبذلها لطلبة العلم:

للشيخ النيفر ولع بالكتب والمخطوطات ومما يذكر أن مكتبته احتوت على ١٢ ألف كتاب مطبوع، و٨٠٠ مخطوط نادر، ولم يكتف الشيخ بذلك بل حفظها وفهرسها ووضعها في مبنى خاص بها واستأجر من يديرها ويسهل الوصول إلى نوادرها، وتم افتتاحها رسمياً في ٢ جمادى الثاني من عام ١٤١٢هـ في حفل بهيج بحضور عدد كبير من أهل العلم والفكر والأدب.

زيارته الكويت[١]:

زار الشيخ النيفر الكويت بحكم عضويته في مجمع الفقه الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي التي كانت تعقد اجتماعاتها في العالم الإسلامي ومنها الكويت، ومما يذكر أنه زار الكويت مراراً خاصة في اجتماعات الطب الإسلامي الذي عقد في الكويت..



(١) أخبرني الأخ الشيخ فيصل يوسف العلي أنه زار الشيخ النيفر في تونس وزار مكتبته العامرة وقرأ عليه جزء من الموطأ وحصل منه على الإجازة، وأثنى على كرمه وحسن رعايته وعنايته بمن يزوره وبطلبة العلم خاصة مع تواضع ملحوظ، وذلك عام ١٩٩٣م.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٢

محمد متولي الشعراوي

(١٣٣١ ـ ١٤١٨هـ/ ١٩١١ ـ ١٩٩٨م)

هو العلامة المفسر الشيخ محمد متولي الشعراوي من المبرزين في توضيح معاني القرآن الكريم وإظهار إعجازه اللغوي والأدبي والرد على كثير من شبهات المستشرقين والمشككين في السياق والقصص القرآني بلغة مبسطة مباشرة وعرض مشوق، مع تضلع باللغة والشعر والأيام وشواهد اللغة والحوادث والتاريخ.

مولده وطلبه للعلم:

ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وهو من أسرة يمتد نسبها إلى علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه، حفظ القرآن في الحادية عشرة من عمره، وفي عام ١٩١٩م التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري وأظهر نبوغاً في حفظ الشعر والمأثور من القول والحكم.

حصل على الابتدائية الأزهرية عام ١٩٢٣م، ودخل المعهد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الثانوي وزاد اهتمامه بالشعر والأدب وبرع فيهما وصار مرجعاً لزملائه في ذلك.

التحق بكلية اللغة العربية عام ١٩٣٧م وتخرج عام ١٩٤٠، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م وعُين في المعهد الديني بطنطا، ثم المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية.

اشتهر الشيخ محمد متولي الشعراوي فطُلِبَ للعمل في المملكة العربية السعودية عام ١٩٥٠، ليعمل أستاذاً في جامعة أم القرى، وليدرس مادة العقائد، مما يدل على توافقه مع العقيدة السلفية وهي العقيدة المعمول بها في الجامعات السعودية، ثم إنه في عام ١٩٦٣ عاد إلى بلده، ليرجع مرة أخرى للتدريس في جامعة الملك عبد العزيز في نهاية الستينيات.

تقلده للمناصب العالية وحصوله على جوائز عالمية وإقليمية:

تقلد الشيخ الشعراوي عدة مناصب مما يدل على علو همته وقدرته ومواهبه، فمن ذلك أنه عُين مديراً لأوقاف محافظة الغربية، ثم وكيلاً للأزهر، ثم وزيراً للأوقاف عام ١٩٧٨، وهو أول من أصدر قراراً وزارياً بإنشاء أول بنك إسلامي في مصر وهو بنك فيصل، كما إنه اختير عضواً بمجمع اللغة العربية.

ومنح الشيخ الشعراوي وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى لمناسبة بلوغة سن التقاعد عام ١٩٧٦م قبل تعيينه وزيراً للأوقاف،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومنح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣م وعام ١٩٨٨م. كما حصل على الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعتي المنصورة والمنوفية.

كما اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضواً بالهيئة التأسيسية لمؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

زيارته للكويت:

زار الكويت أكثر من مرة بدعوات رسمية ودعوات خاصة، وقد ارتبط بعلاقة صداقة مع الأستاذ عبد العزيز محمد العتيبي رحمه الله الذي كان آنذاك أميناً عاماً لمجلس الوزراء[١].

وكان إذا زار البلاد زيارة رسمية وفرغ من التزاماته الرسمية ينزل ضيفاً على صديقه عبد العزيز العتيبي، يقول ابنه الأستاذ عصام العتيبي أن الشيخ الشعراوي استضيف لمدة ٦ أيام عند الوالد وكان يحاضر في بعض المساجد، كما إنه افتتح مسجد الوالد الواقع أمام ساحة الصفاة في مدينة الكويت عام ١٩٨٦م.

ويضيف بأن الشيخ الشعراوي كان متواضعاً، ذكياً، حافظاً، سهل الصحبة، غزير العلم، متبسط وبعيد عن التكلف، وذكر لنا قصته في طلب العلم مع والده، وأن والده قد دعا له بأن يكون عالماً فتحققت دعوته.

---

(١) أفاد بهذه المعلومات ابنه الأستاذ المحامي عصام عبد العزيز العتيبي في ٢٩ شوال ١٤٣١هـ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دعوة العلامة الشيخ محمد بن سليمان الجراح للقاء العلامة الشيخ الشعراوي:

مما أتذكره أثناء قراءتنا على شيخنا العلامة الشيخ ابن جراح، أنه ذكر لنا مرة أن السيد عبد العزيز العتيبي دعاه إلى مجلسه، وقال له إن الشيخ الشعراوي سيحضر هذا المجلس لتلتقي به فوافق الشيخ ابن جراح، والتقى الشيخ الشعراوي في مجلس عبد العزيز العتيبي، وذكر لنا الشيخ ابن جراح طرفاً مما دار بينهما، فمن ذلك أن الشيخ قال له: يا شيخ أنت عالم ولك مكانتك في العلم، إلا أن بعض الكلمات لا أفهمها أثناء شرحك أحياناً لأنها باللهجة المصرية، ولا أعرف ماذا تقصد بها، فلو جعلت كل محاضراتك وحديثك بالفصحى فهمك الجميع، وقال الشيخ الشعراوي: أفعل إن شاء الله أفعل وهو يبتسم..

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٣

محمود الطناحي

(١٣٥٣ ـ ١٤١٩هـ/١٩٣٥ ـ ١٩٩٩م)

هو الأستاذ الدكتور محمود بن محمد بن علي الطناحي، ولد بقرية كفر طبلوها بمحافظة المنوفية عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٥م)، وهو أحد أعلام اللغة العربية ورائد من رواد التحقيق الذين خدموا التراث العربي، وقد برع في علم المخطوطات قراءة ومعرفة وانتقاء ووصفاً.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

نشأ في قريته ثم انتقل إلى القاهرة في الثامنة من عمره، وأتم حفظ القرآن وهو في الثالثة عشر، ثم التحق بالأزهر ودَرَس فيه حتى حصل على الثانوية عام ١٩٥٨، ثم التحق بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، فحصل على الشهادة الجامعية في علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية عام ١٩٦٢، ثم نال شهادة الماجستير من نفس الكلية عام ١٩٧٢، حول «ابن معطي وآراؤه النحوية مع تحقيق كتاب الفصول الخمسون»، ثم نال درجة الدكتوراه في كلية دار العلوم أيضاً عام ١٩٧٨ على أطروحته «ابن الشجري وآراؤه النحوية» مع تحقيق الجزء الأول من كتاب الأمالي النحوية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مشايخه وأساتذته:

تتلمذ على ثلة كريمة من العلماء والأساتذة الكبار منهم، فؤاد السيد عالم المخطوطات بدار الكتب المصرية، والشيخ محمد أبو زهرة، والنحوي المتمكن صاحب «النحو الوافي» عباس حسن، والنحوي اللغوي المحقق عبد السلام هارون، والقارئ المتقن عامر السيد عثمان، وعالم اللغة الأديب السيد أحمد صقر، وإمام أهل اللغة والتحقيق في عصره شيخ العربية محمود محمد شاكر وغيرهم رحمهم الله تعالى، لهذا لا عجب أن يكون متقناً متفنناً في علمه وقلمه.

أعماله العلمية:

اتصل بالمخطوطات منذ أن كان طالباً في دار العلوم ناسخاً، ومفهرساً، ومحققاً فنسخ كثيراً من المخطوطات وأعان بعض الباحثين والمستشرقين ممن نزل مصر، في التحقيق وعمل مصححاً في مطبعة البابي الحلبي المشهورة، وشارك في أنشطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة على امتداد ثلاثة عشر عاماً كما انتدب لتقصي المخطوطات وتصويرها في بعض البلدان كتركيا عام ١٩٧٠م، والمغرب، ١٩٧٢م، ١٩٧٥م والسعودية عام ١٩٧٣م وشمال اليمن عام ١٩٧٤م، كما عمل خبيراً في مجمع اللغة العربية وعضواً في كثير من الهيئات وكتب مقالات كثيرة في مجال تخصصة في الأدب والمخطوطات والتراث.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته وعمله في الكويت:

عمل في جامعة الكويت عام ١٩٩٤م، وشارك في أنشطة معهد المخطوطات وله محاضرات عامة في تحقيق التراث[١].

ومن أبرز تحقيقاته:

- «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير الجزري (خمسة أجزاء).

- «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي (عشرة أجزاء) بالاشتراك مع عبد الفتاح الحلو.

- «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»، لتقي الدين الفارسي (الجزء الثامن).

- «الغريبين، غريب القرآن والحديث» لابن عبيد الهروي (الجزء الأول).

- «الفصول الخمسون» لابن معطي.

- «تاج العروس» للزبيدي (الأجزاء ١٦، ١٨، ٢٠).

- «كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب» لأبي علي الفارسي (جزآن).

- «٩ أمالي» لابن الشجري (ثلاثة أجزاء).

---

(١) وقد قدم في نادي جامعة الكويت محاضرة عن تحقيق التراث كانت من أشمل وأكمل ما سمعت، في التسعينيات رَحِمَهُ اللَّهُ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- «أعمار الأعيان» لابن الجوزي.

وغير ذلك، أما مؤلفاته فكثيرة منها «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي»، «ديوان المعاني» لابن هلال العسكري، «مستقبل الثقافة».

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٤

عبد الرؤوف الرحماني[١]

(١٣٢٨ أو (١٣٣٠) ـ ١٤٢٠هـ/١٩٠٨ أو (١٩١٠) ـ ١٩٩٩م)

هو خطيب الهند الشيخ عبد الرؤوف الرحماني بن حاجي نعمت الله، ولد في سنة ١٩٠٨ أو (١٩١٠م) في قرية كدربتوا بنيبال.

اشتغاله بالعلم:

تلقى الشيخ العلوم الابتدائية من مشايخ وعلماء قريته، ثم رحل في طلب العلم إلى أماكن شتى، واستفاد من أساطين العلم ومحدثي زمانه، أمثال: الشيخ المسند أحمد الله برتاب كرهي، والشيخ المحدث عبيد الله الرحماني صاحب مرعاة المفاتيح، والشيخ سكندر علي، والشيخ نذير أحمد الرحماني، وخطيب الهند محمد جونا كرهي وغيرهم.

وبعد أن تخرج وأكمل الدراسة عُين مدرساً في مدرسة أسسها والده وكان من الأثرياء وهي مدرسة سراج العلوم التي أسست عام ١٩١٤م للعلوم الشرعية.

---

(١) تقرير مقدم من الأخ الشيخ عارف جاويد، وفقه الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كما أنه أسس جمعية أهل الحديث بنيبال ١٩٨٩م كما رتب أنشطة أهل التوحيد وأهل الحديث في نيبال، وعمل في اللجان والروابط الدعوية، ورشح لعضوية رابطة العالم الإسلامي عام ١٩٧٧م.

خطيب الهند:

كان الشيخ داعية كبيراً وخطيباً بارعاً، وكان يلقب بخطيب الإسلام وبلبل الهند، لحسن صوته وفصل خطابه.

مصنفاته ومؤلفاته:

كان صاحب قلم سيال، بلغت مؤلفاته خمسين مؤلفاً، منها أربعون كتاباً باللغة الأردية منها:

«إيمان وعمل» مجلد كبير و«نصرة الباري في بيان صحة البخاري» في مجلد واحد، و«صيانة الحديث» في مجلد واحد.

وكان يكتب في المجلات الهندية والباكستانية مقالات علمية مفيدة.

زيارته للكويت:

كان كثير التجوال في سبيل الله يدعو ويفيد في كل بلد يصل إليه، زار الكويت عام ١٩٩٤م، واتصل بالمتخصصين بعلم الحديث ووزارة الأوقاف والمهتمين بالدعوة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفاته رحمه الله تعالى:

مرض الشيخ في أواخر عمره وكان إذا اشتد عليه المرض صار من سجيته أنه كلما أخذ جرعة دواء يقول: «بسم الله... من كان آخر كلامه «لا إله إلا الله» دخل الجنة» لعله يظفر بها، حتى فاضت روحه، وذلك في ٢١ شعبان ١٤٢٠ (٣٠/١١/١٩٩٩م) عن عمر يناهز ٩٨ سنة رحمه الله تعالى، وقد نعته الجمعيات الإسلامية في الكويت.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٥

سليمان بن حمد السكيت[١]

(١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٠٧ ـ ٢٠٠٠م)

من تلاميذ علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان

هو الشيخ سليمان بن حمد بن سليمان السكيت، ولد في حائل سنة ١٣٢٧ ونشأ في كنف والده حمد، ولما بلغ سن الخامسة رحل به والده إلى القصيم وأدخله الكتاتيب في بريدة فتعلم القراءة والكتابة والخط والحساب وختم القرآن قراءة على شيخه عبد الله المعارك، ودرس «الأصول الثلاثة»، و«كشف الشبهات»، و«آداب المشي إلى الصلاة»، على شيخه عمر بن سليم في بريدة، واستجازه وهو صغير.

رحلته إلى الكويت:

ارتحل إلى الكويت مع والده الذي كان يعمل في التجارة

---

(١) انظر ترجمته في: «منبع الكرم والشمائل» عن علماء حائل، لحسان بن إبراهيم الرديعان، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، مكتبة فهد العريفي بحائل ـ السعودية، ص٤٨٢، ص٤٨٢ ـ ٤٩٥، وقد أعلمني بخبره الأخ يحيى الكندري، وفقه الله.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واستقر فيها ودرس في مدرسة المباركية، أربع سنوات من عام ١٣٣٩ إلى عام ١٣٤٣هـ.

قراءته على شيخ الكويت الشيخ عبد الله بن خلف:

أثناء تواجده في الكويت طلب العلم على الشيخ عبد الله بن خلف بن حيان ودرس عليه «بلوغ المرام» شرحاً وحفظاً.

طول إقامة والديه في الكويت:

خلال رحلته الطويلة هذه مازال والداه في الكويت بعد أن غاب عنهما حوالي ١٢ عاماً.

ولما أسس مدرسة سبل الرشاد عاد إلى الكويت ليقنع والديه في العودة إلى حائل وسبقهم إلى حائل، وما إن وصل حتى بلغه وفاة والده بمرض الجدري، ثم إن والدته غادرت إلى حائل مع أخيه سكيت، وقد عُمّر الشيخ سليمان حتى وافاه الأجل عن حوالي ٩٣ عاماً رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٦

مصطفى الزرقاء

(١٣٢٤ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٠٤ ـ ٢٠٠٠م)

هو العلامة الفقيه الأصولي الشيخ مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقاء، ولد في مدينة حلب ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) من عائلة علمية، فوالده الشيخ أحمد بن محمد الزرقاء من أعلام تلك المدينة اشتهر بالفقه الحنفي، وكان مدرساً في المدارس الشرعية المنتشرة آنذاك.

طلبه للعلم:

دَرَس الشيخ مصطفى العلوم الشرعية على مشايخ بلده في المدرسة الخسروية، كما درس العلوم العصرية أيضاً، وقد نال الشهادة الشرعية والثانوية الحكومية، وقد أهّله ذلك للالتحاق بكلية الحقوق والآداب عام ١٩٣٠، ونال شهادتيهما بتفوق بعد ثلاث سنوات واشتغل بالمحاماة عشر سنوات، وحصل خلالها على دبلوم الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً).

عمله:

عمل أستاذاً في الجامعة السورية في الأربعينيات لمادة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشريعة والقانون في كلية الحقوق ومحاضراً في كليتي الشريعة والآداب لمادة الحديث النبوي الشريف، وظل في هذا المنصب إلى عام ١٩٦٦م وأحيل إلى التقاعد، وقد انتخب قبل ذلك نائباً في المجلس النيابي في عام ١٩٥٤ و١٩٦١، وأسندت إليه وزارة العدل والأوقاف عام ١٩٥٦ و١٩٦١، وقد حصل على جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٤/ ١٤٠٤ تقديراً لإسهاماته.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة في الفقه منها كتابه المشهور «المدخل الفقهي العام».

زيارته الكويت:

أمضى في الكويت مدة طويلة، واستقر بها فترة من الزمن، وكان له دورٌ كبيرٌ في تأسيس أكبر مشروع فقهي في البلاد وهو «الموسوعة الكويتية الفقهية»، وقد اختارته الكويت خبيراً لها في الموسوعة الكويتية عام ١٩٦٦، وبقي في الكويت ٥ سنوات قائماً بهذه المهمة، وقد أنجز في مشروع الموسوعة الفقهية ٥١ موضوعاً موسوعياً محرراً على المذاهب الفقهية، ومعجماً للفقه الحنبلي يقع في ١١٤٢ صفحة على الترتيب الهجائي.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٧

محمد ناصر الدين الألباني

(١٣٣٣ ـ ١٤٢٠هـ/١٩١٣ ـ ٢٠٠٠م)

هو المحدث العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من أبرز العلماء الذين تفردوا بعلم الحديث دراية ورواية في الوقت الحاضر.

مولده واسمه:

ولد الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) في مدينة أشفوردة عاصمة دولة ألبانيا حينذاك، وكان أبوه عالماً يرجع له الناس ويستفتونه في أمور دينهم.

هجرته إلى الشام وشيوخه:

هاجر الشيخ مع والده في طفولته من بلده ألبانيا إلى دمشق وأتم فيها دراسته الابتدائية، ثم إن والده ارتأى أن لا يدخله المدارس النظامية لما رأى فيها من تحول وانحراف عن الجادة، ووضع لابنه منهجاً يعلمه فيه القرآن الكريم والتجويد والنحو والصرف وفقه المذهب الحنفي، وختم القرآن حفظاً على والده برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كتاب مراقي الفلاح في الفقه الحنفي، وبعض كتب اللغة والبلاغة، كما حضر دروس الشيخ بهجة البيطار في الشام.

ميله وتوجهه إلى علم الحديث:

رغم أنه نشأ على المذهب الحنفي وتفقه به، بدأ يميل إلى علم الحديث وعلومه في ريعان شبابه وهو في العشرين من عمره، وكانت بداية قراءته من مجلة المنار التي أصدرها محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان أول أعماله هو نسخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقي.

أبرز المؤثرات في توجهه نحو الحديث دراية ورواية والمنهج السلفي عموماً:

لعل من أبرز الأمور التي أثرت في توجهه نحو البحث والتحري خاصة في علم الحديث دراية ورواية ما يأتي:

أولاً: تخصيص غرفة له في المكتبة الظاهرية التي هي من أبرز مكتبات الإسلام فوقف على الكتب والرسائل في مصدرها ونهل من معينها، وتعرف على المناهج وأساليب الكتابة في كتب وأمهات الحديث والسنة.

ثانياً: توجهه نحو المنهج السلفي، وذلك باهتمامه بمؤلفات الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وبكتاب «فتح المجيد» لعبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الرحمٰن، و«الروضة الندية» للشوكاني بشرح صديق حسن خان، خاصة بعد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إقامته في السعودية بعد الشام، كما درس «الباعث الحثيث» لابن كثير شرح المحدث أحمد محمد شاكر، ودرس الفقه من كتاب فقه السنة لسيد سابق، وكان يحضر له طلبة العلم وبعض أساتذة الجامعات.

ورغم ما لاقاه من محاربة إلا أن العلامة بهجت البيطار والشيخ عبد الفتاح الإمام والشيخ توفيق الدرة يحضرون دروسه ويشدون من أزره. كانت هذه أبرز المؤثرات في توجهه العلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثالثاً: تخريجه لأحاديث كتاب «منار السبيل شرح الدليل» للعلامة إبراهيم بن ضويان، والمتن للإمام مرعي الكرمي الحنبلي، الذي لاقى قبولاً من طلبة العلم حيث خرج أحاديثه التي تصل إلى ٣٠٠٠ حديث في حوالي ٨ مجلدات باسم «إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل»، وقد أُخرج كتاب منار السبيل مؤخراً في مجلد واحد وعليه هذه التخريجات التي خدمت الكتاب[١]. كما اعتنى بتخريج كثير من كتب الحديث، وأخرج سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة، وله بعض الرسائل

---

(١) كانت الطبعة الأولى بإشراف شيخنا زهير الشاويش الذي تعاون مع الشيخ ناصر الألباني في إخراج منار السبيل، ثم إن الشيخ زهيراً أخرجه مرة أخرى في جزء واحد بعنوان «منار السبيل: وحاشية الأنوار على منار السبيل من إرواء الغليل»، وقد تسلمته منه وذلك في الرحلة إليه مع الأخ الشيخ فيصل العلي بتاريخ ٢٩/ ١/ ٢٠١٠م.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخاصة في بعض النوازل والمسائل وبين مذهبه واختياره فيها .

زيارته للكويت :

زار الكويت في شتاء عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) وألقى فيها عدة محاضرات ودروس علم سجلت في أشرطة تصل إلى قرابة ٣٠ شريطاً متنوعة[١]، كما إن بعض من طلبة العلم من الكويت كانوا يرتحلون إليه وينتفعون بعلمه ويتداولون مؤلفاته .

❐ ❐ ❐

---

(١) انظر محمد إبراهيم الشيباني : «حياة الألباني» منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الطبعة الثانية، الكويت (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص٧٥.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٨

أحمد آل بوطامي

(١٣٣٥ ـ ١٤٢٣هـ/ ١٩١٥ ـ ٢٠٠٢م)

هو الشيخ القاضي الفقيه أحمد بن حجر بن محمد بن حجر آل بوطامي البنعلي.

موطنه ومولده وطلبه للعلم:

ولد الشيخ القاضي أحمد آل بوطامي حوالي ١٣٣٥هـ يوافق عام ١٩١٥م ـ مع عدم الجزم بذلك ـ ثم شرع في طلب العلوم الشرعية مبكراً منذ صغره، فحفظ القرآن الكريم طفلاً، ثم درس الفقه الشافعي والعقيدة السلفية.

سافر إلى الإحساء عام ١٩٣١، وكانت تعج بالعلماء من المذاهب الأربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، وكان عمره حينذاك ١٥ سنة، ومكث في الإحساء حوالي ٤ سنوات منقطعاً لطلب العلم على أيدي علماء الإحساء.

تنقله بين دول الخليج العربي في طلب العلم:

انتقل الشيخ في رحلته العلمية بعد الإحساء، فانتقل إلى قطر، ثم إلى إمارة رأس الخيمة حيث أقام بها مدة ودرّس وأفتى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيها، ثم عمل بالقضاء، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٩٥٦ فاشتغل بالتدريس في معهد الدعوة، وقد عمل في القضاء حوالي نصف قرن.

مشايخه:

تلقى العلم على مشايخ الإحساء في الفقه الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي مما يدل على سعة مداركه، فقرأ على الشيخ عبد الله محمد الحنفي وأحمد نور بن عبد الله تلقى عليهما علم التجويد، والعقائد والفقه والفرائض والنحو.

كما درس على الشيخ أحمد بن علي العرفج الفقه الشافعي، ثم الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي في النحو والصرف والقوافي والبلاغة والعروض وشرح صحيح مسلم.

كما تلقى على الشيخ محمد بن أبي بكر الملا الحنفي شرح كتاب «سبل السلام»، والشيخ عبد العزيز العكاس تلقى عليه شرح كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث، ومشكاة الحديث، والسيرة النبوية الشريفة.

مؤلفاته:

له مؤلفات تدل على علمه وحسن متابعته لما حوله من وقائع ونوازل، فمن مؤلفاته «تطهير الجنان من درن الشرك والكفران»، وله «العقائد السلفية» وهي منظومة، و«جوهرة الفرائض»، منظومة، «اللآلئ السنية في التوحيد»، «شرح العقائد السلفية بأدلتها»، «سبيل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجنة بالتمسك بالسنة»، «تحذير المسلمين من البدع والابتداع في الدين»، «الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر المفترى عليه»، «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفيه ودعوته الإصلاحية»، «نيل الأمالي شرح مباسم الغواني في نظم عزية الزنجاني في علم الصرف»، «نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين»، وغيرها.

زيارته الكويت:

زار الكويت قديماً في الخمسينيات وربما قبلها وأدرك بعض علمائها كالشيخ القاضي يوسف بن عيسى القناعي المالكي، والشيخ القاضي عبد العزيز حمادة المالكي، والشيخ عبد الرحمٰن الدوسري الحنبلي، والشيخ محمد بن سليمان الجراح، والشيخ أحمد الخميس، والشيخ عبد الوهاب الفارس، والشيخ إبراهيم الجراح، ومما يذكر أنه زار الكويت عام ١٩٥٤ مع الشيخ حميد بن محمد القاسمي بتكليف رسمي من الشيخ صقر بن محمد حاكم رأس الخيمة آنذاك إلى حكومة الكويت والبحرين لطلب المساعدة في فتح مدارس حديثة في رأس الخيمة فاستجابت حكومة الكويت وأرسلت مدرسين وكتباً[١].

---

(١) ومما هو جدير بالذكر أننا حاولنا أن نتحرى ما إذا كان الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية في قطر قد زار الكويت أم لا، وقد تحدثت إلى معالي الشيخ يوسف الحجي وزير الأوقاف الكويتي السابق ورئيس الهيئة الخيرية الإسلامية سابقاً، ما إذا كان الشيخ =

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفـاتـه رَحِمَهُ اللَّهُ:

توفي الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي بعد مرض ألزمه الفراش صباح الثلاثاء ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ (١٤/٦/٢٠٠٢م) عن عمر يناهز ٨٨ عاماً رحمه الله تعالى.

❐ ❐ ❐

= المحمود قد زار البلاد فقال أنه لا يتذكر، كما قام مكتب الشيخ فيصل العلي بالتحدث إلى الشيخ سعيد المري في وزارة الأوقاف في قطر عن نفس الموضوع فتحرى مشكوراً وثبت أنه لم يزر الكويت.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢

كبار القراء

الشيخ: محمود خليل الحصري (١٣٣٥ ـ ١٤٠١هـ)

الشيخ: محمد صديق المنشاوي (١٣٤٠ ـ ١٣٨٩هـ)

الشيخ: عبد الباسط عبد الصمد (١٣٤٧ ـ ١٤٠٨هـ)

الشيخ: سعيد محمد نور (ت١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)

نظراً لخصوصية وتوافق أسماء القراء الكبار أثرت أن أجمعهم مع بعض نظراً لشهرتهم التي ملأت الآفاق بما يغني عن إفراد كل منهم في صفحة وحتى يتسق الكلام حولهم.

٣٩ ـ الشيخ محمود خليل الحصري

ولد الشيخ محمود خليل الحصري في غرة ذي الحجة ١٣٣٥هـ (١٧/٩/١٩١٧م) في قرية شبرا النملة التابعة لطنطا بمحافظة الغربية بمصر وكان والده من قراء القرآن بالقراءات العشر.

تعلمه للقرآن الكريم وإتقانه:

أخذه والده إلى الكتّاب وله من العمر ٤ سنين ليحفظ القرآن، فأتم حفظه في الثامنة من عمرة، وكان يذهب يومياً إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المسجد الأحمدي بطنطا ليحفظ القرآن يومياً، وفي الثانية عشر من عمره انضم إلى المعهد الديني في طنطا، ثم تعلم القراءات العشر بعد ذلك في الأزهر، ثم نال شهادة علم القراءات، ثم تفرغ لدراسة علوم القرآن.

وقفات في حياته:

وهبه الله تعالى صوتاً مميزاً عذباً وأداء حسناً يسحر الألباب فلذلك تبوأ مراكز عديدة ومرت عليه وقفات تبين مكانته، نوردها باختصار:

- عين مفتشاً للمقارئ المصرية عام ١٩٥٧.
- عين وكيلاً لمشيخة المقارئ المصرية عام ١٩٥٨.
- نال شهادة القراءات في الأزهر عام ١٩٥٨.
- عين مراجعاً ومصححاً للمصاحف بقرار مشيخة الأزهر ١٩٥٩.
- عين بالقرار الجمهوري شيخ عموم المقارئ المصرية ١٩٦١.
- أول من سجل المصحف المرتل في أنحاء العالم برواية حفص عن عاصم ١٩٦١، ثم برواية ورش عن نافع، ثم برواية قالون، ورواية الدوري عن أبي عمرو البصري ١٩٦٨.
- عين رئيساً للجنة مراجعة المصحف في الأزهر ١٩٦٢.
- زار دول العالم الإسلامي وحصل على جوائز لا حصر لها.
- وهو أول من رتل القرآن الكريم في الأمم المتحدة عام ١٩٧٧.
- وله مؤلفات في علوم القرآن مثل «أحكام قراءة القرآن»،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والقراءات العشر في الشاطبية والدرة» و«أحسن الأثر في معرفة القراءات الأربعة عشر» وغير ذلك.

زيارته للكويت:

زارها أكثر من مرة وكان أول زياراته عام ١٩٦٣ بدعوة رسمية من وزارة الأوقاف لتلاوة القرآن في رمضان وذلك في عهد سمو الأمير الشيخ عبد الله السالم الصباح، كما زارها عام ١٩٧٠م[1].

٤٠ ـ الشيخ محمد صديق المنشاوي

ولد الشيخ محمد بقرية المنشاة التابعة لمحافظة سوهاج عام ١٩٢٠، وأتم حفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره، حيث نشأ في أسرة اعتنت بالقرآن فوالده الشيخ صديق المنشاوي هو الذي علمه القرآن.

تعلمه للقرآن الكريم وإتقانه:

أتقن القرآن الكريم حفظاً وأداء وتميز صوته بالعذوبة والخشوع حتى عرف أداؤه باسم: المدرسة المنشاوية، وسجل القرآن كاملاً في المسجد الأقصى والشام، وكما سجل ختمة مجودة بالإذاعة، وله قراءة مشتركة برواية الدوري مع القارئين كامل البهتيمي وفؤاد العروسي.

---

(١) وقد أجريت معه مجلة الوعي الإسلامي مقابلة في عددها رقم (٦٠) (ذي الحجة ١٣٨٩هـ ـ فبراير ١٩٧٠م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته للكويت:

زار الكويت في فترة الستينيات في عهد الأمير الشيخ عبد الله السالم الصباح وسجل له في الإذاعة الكويتية وفي المناسبات.

٤١ ـ الشيخ عبد الباسط عبد الصمد

هو الشيخ المتقن القارئ من أصحاب المدارس التي تفردت بأسلوب الأداء القرآني، والذي انتشرت تسجيلاته في بقاع العالم الإسلامي والعالم أجمع.

ولد الشيخ عبد الباسط بقرية المراعزة في قنا في صعيد مصر، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد الأمير شيخ كتاب القرية، وأخذ القراءات على يد الشيخ المتقن محمد سليم حمادة.

دخل الإذاعة المصرية عام ١٩٥١، ثم عين قارئاً لمسجد الإمام الشافعي سنة ١٩٥٢ ثم مسجد الإمام الحسين عام ١٩٨٥ خلفاً للشيخ محمود البنا، وجاب العالم يتلو كتاب الله في دول العالم، وعين نقيباً لقراء مصر عام ١٩٨٤.

زيارته للكويت:

زار الكويت مرات عديدة في الستينيات، والسبعينيات، وسجلت له الإذاعة بصوته بدعوات رسمية من وزارة الأوقاف والإعلام.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٢ ـ الشيخ سعيد محمد نور

عرف عنه بطريقة أدائه في قراءة بما يستدر الدموع والخشوع، كان في جامعهِ الخازندار بحي شبرا، أسمر اللون أصله من النوبة أو السودان، وفي عهد الملك عبد العزيز ذهب إلى الحج ووصلت أخباره هناك، وفي عام ١٣٦٨هـ تم تسجيل قراءته لسورة مريم وطه والحديد والتكوير، وقد سجلت آلاف النسخ منها ووزعت على الناس.

هجرته إلى الكويت ووفاته فيها:

هاجر الشيخ سعيد محمد نور إلى الكويت في منتصف الثمانينيات الهجرية، وسجلت له الإذاعة الكويتية، وكانت قراءته تذاع في ساعات الفجر، وقدر الله أن يفقد كثير من هذه الأشرطة بسبب الغزو الغاشم.

وفـاته ودفنه في الكويت:

توفي الشيخ سعيد محمد نور في الكويت في منتصف الثمانينيات الهجرية، والبعض يقول أنه توفي عام (١٩٨٢م) في الكويت، وعلى كل حال فهو مدفون في الكويت في المقبرة القديمة بعد أن ألقى عصى الترحال فيها واتخذ الكويت موطناً وقابلته بالترحيب واحتضنته، وطاب له المقام إلى وفاته رحمه الله تعالى.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قراء آخرون:

وممن زار الكويت من كبار القراء أيضاً: الشيخ المقرئ راغب مصطفى غلوش، والشيخ القارئ محمد البحيري وقد التقاهم د. يعقوب الغنيم وزير التربية والتعليم آنذاك، واستضافهم في لقاءات خاصة، عدا عن الدعوات الرسمية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٣

عمر بن محمد السبيِّل

(١٣٧٨ ـ ١٤٢٣هـ/١٩٥٨ ـ ٢٠٠٣م)

هو الشيخ عمر بن محمد بن عبد الله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام، ولد في البكيرية بمنطقة القصيم عام ١٣٧٨هـ.

نشأته وتعليمه:

نشأ في بيئة علمية في كنف والده الشيخ محمد بن عبد الله السبيل الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وعضو هيئة كبار العلماء والإمام والخطيب في المسجد الحرام.

حفظ القرآن:

حفظ القرآن الكريم مبكراً كما قرأ على عدد من المشايخ في القرآن وحصل على إجازة برواية حفص على الشيخ الحافظ محمد أكبر، وعلى قراءة عاصم برواية حفص وشعبه وإجازة بقراءة ابن كثير براوييه على الشيخ سعيد محمد العبد الله.

دراسة الفقه:

كما درس الفقه على والده إمام وخطيب المسجد الحرام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشيخ محمد السبيل، والعلامة الشيخ عبد الله بن حميد والعلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة عبد الله بن غديان، كما درس الفرائض على الشيخ الفرضي عبد الفتاح راوه، والحديث على الشيخ محمد عبد الله الصومالي وغيرهم.

تدرجه في التعليم:

حصل على شهادة البكالوريوس في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض عام ١٤٠٢هـ من كلية الشريعة وتم تعيينه معيداً في نفس الكلية، ثم معيداً في جامعة أم القرى حيث واصل دراسته إلى أن حصل على الماجستير عام ١٤٠٦هـ، والدكتوراه عام ١٤١٢هـ، وكانت رسالته تحقيق ودراسة: «كتاب إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل» للعلامة عبد الرحيم بن عبد الله الزريراني الحنبلي المتوفى عام ٧١٤هـ.

وقد عين عضواً في هيئة التدريس في جامعة أم القرى في كلية الشريعة، ثم وكيلاً لكلية الشريعة، ثم عميداً لها، ثم صدر الأمر بتعيينه إماماً وخطيباً في المسجد الحرام عام ١٤١٣هـ.

وفاته رحمه الله:

كان في رحلة مع أسرته بسيارته وتعرض لحادث انقلاب وقدر أن يتوفى بعد الحادث بعد أن رقد فترة في العناية المركزة، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته للكويت[1]:

زار الكويت رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر من مرة وفي إحدى زياراته شاهدته يزور علامة الكويت شيخنا محمد بن جراح في مسجده المعروف باسم مسجد «السهول» الواقع في ضاحية عبد الله السالم عام ١٤١٦هـ، كما أني تشرفت بزيارته لي صباحاً في منزلي على طعام الفطور بحضور جمع من الكرام منهم معالي أ. د. عبد الله الغنيم وزير التعليم العالي السابق، والأخوة المشايخ فيصل يوسف العلي، محمد بن ناصر العجمي، جراح الجراح، ياسر المزروعي، وامتاز الشيخ عمر بحسن حديثه وأدبه ولباقته، كما أني تشرفت بتناول طعام السحور على مائدته مع المشايخ محمد بن ناصر العجمي، ورمزي دمشقية رَحِمَهُ اللَّهُ في منزله في مكة في منطقة «العوالي» في أوائل العشر الأواخر، سحر الأربعاء ١٩ رمضان ١٤٢٢هـ[2].

□ □ □

---

(١) وذلك في ٣٠ شوال ١٤٢١هـ (٢٥/ ١/ ٢٠٠١م) في منزلي في قرطبة، الكويت.

(٢) وانظر لمزيد من التفصيل عن الشيخ عمر: «الغيث المجلل في ترجمة الشيخ عمر بن محمد السبيّل»، إعداد: سلمان بن سائد المشعل، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، الرياض.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٤

عبد الرحمن الكمالي[(١)]

(١٣٥١ ـ ١٤٢٤هـ/ ١٩٣١ ـ ٢٠٠٤م)

هو الشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن كمال العماني ثم الكويتي.

نشأته وطلبه للعلم:

ولد الشيخ عبد الرحمٰن في عام ١٩٣١م ونشأ في ولاية خصب في محافظة مسندم في سلطنة عمان حيث عاش في بيت شرف وعلم وأدب، فقد كان والده شيخاً وإماماً لمسجد الشيخ راشد في شرقي خصب، فتعلم عليه مبادئ علوم الشريعة والفقه واللغة، توفي والده وهو صغير فتولت أمه تربيته وأكمل دراسته في الشرع والفقه وعلوم العربية فدرس على يد قاضي خصب العام الشيخ أحمد بن إبراهيم بن يحيى الكمالي.

ثم انتقل للتعلم في المدرسة الكمالية في فلج القبائل في ساحل الباطنة من سلطنة عمان، فدرس على يد العالم الجليل

---

(١) انظر: «بغية الواعظين ومنار المتعظين» له، عناية د. عبد الرؤوف محمد الكمالي، ط ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، دار البشائر، ص٨ ـ ١٦.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد الكمالي، وعمل إماماً في مسجد المخيليف بولاية صحم في محافظة صحار، ثم انتقل إلى الإحساء طلباً للعلم فدرس على يد الشيخ محمد بن أبي بكر ثم انتقل إلى مكة المكرمة فدرس على يد الشيخ محمد نور بن سيف بن هلال المهيري المولود في دبي.

قدومه إلى الكويت وإقامته بها:

قدم الشيخ عبد الرحمٰن الكويت في ١٩٥٣/٩/١٥، وكان عمره نحو اثنين وعشرين عاماً، وتوظف فيها إماماً وخطيباً بجامع الجهراء القديم الذي هو أول مسجد في الجهراء وذلك بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩٥٣ وبقي فيه إلى أن توفي، أي أنه أكمل فيه خمسين عاماً رحمه الله إضافة إلى كونه مأذوناً شرعياً يعقد الأنكحة ويكتب لهم أوقافهم ويصلي على جنائزهم ويرقي مرضاهم ويزورهم في المجالس، فهو وجه معروف ومألوف في الجهراء والكويت رحمه الله. وقد ذكر لنا الشيخ أحمد الغنام كثيراً من مآثره وأخلاقه وكانا يتزاوران، حيث عرف عن الشيخ دماثة الخلق والكرم وطلاقة الوجه.

الخطابة والوعظ:

وقد تسنم الشيخ عبد الرحمٰن منبر الوعظ والخطابة وتذكير الناس فعرف بحسن السبك وجمال الأسلوب الخطابي. وقد ساعده في ذلك أنه كان يقرظ الشعر ويتذوقه، وهذا له أثر في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مفرداته وعباراته إضافة إلى حسن خطه مما كّمل أدوات الخطابة عنده رَحِمَهُ اللَّهُ.

مؤلفاته:

له عديد من المؤلفات لعل من أبرزها «ديوان الخطب العصرية المنبرية في الوعظ وإرشاد البرية»، «والمواعظ السنية لأيام شهر رمضان البهية»، «وديوان الجواهر المرصعة في الخطب المنوّعة»، «وديوان بغية الخطباء والواعظين ومنار الهدى للمتعظين»، وهو آخر مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

ذريته:

له أولاد عددهم سبعة، وثلاث بنات، وهم بعون الله على درب والدهم في الصلاح والأخلاق وفقهم الله تعالى.

وفاته رحمه الله تعالى:

توفي الشيخ عبد الرحمٰن الكمالي في يوم فاضل وشهر فاضل، فقد توفي فجر الجمعة غرة ذي الحجة ١٤٢٤هـ عن عمر يناهز الثالثة والسبعين عاماً (يوافق ٢٣/ ١/ ٢٠٠٤م)، بعد مرض لازمه ٤ سنوات، وهو مرض تكسر الدم إلى وفاته رحمه الله رحمةً واسعة وتقبله في الصالحين.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٥

محمد حسين شيخوبوري

(١٣٣٨ ـ ١٤٢٥هـ/١٩١٨ ـ ٢٠٠٥م)

هو الشيخ الداعية الخطيب المحدّث محمد حسين بن شودري بلندخان شيخوبوري، ولد ١٩١٨م في مدينة أجنالة من مضافات أمر تسر بالهند.

طلبه للعلم:

أخذ العلوم الابتدائية عن شيخ قريته ملا غلام بني، ثم التحق بالمدرسة الحكومية حتى نال الشهادة الثانوية، ثم التحق بالجامعة الشرعية في بلدة مكيربور وتتلمذ على مشايخها الكبار، منهم محدث العصر ومسند الوقت الحافظ محمد عبد الله الروبري، والشيخ محمد حسين روبري، والشيخ نور محمد، والحافظ خير الدين، وحافظ عبد الرحمٰن الروبري، والشيخ الله بخش مكبربوري.

الدعوة وخدمة الكتاب والسنة:

يعد الشيخ محمد حسين من كبار الخطباء، وسمي بخطيب باكستان، وقد أفنى حياته في خدمة الكتاب والسنة عن طريق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدعوة والإرشاد. كان خطيباً بارعاً حتى لقبه الشيخ إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ ٱللَّهُ «بأخطب خطباء باكستان».

كان يلقي الدروس والمحاضرات في موسم الحج بالحرم المكي والمدني باللغة الأردية، وفي مجال الدعوة سافر إلى بلدان العالم كالكويت والسعودية وأمريكا وبريطانيا وغيرها.

كان من كبار علماء الحديث في باكستان، وكان هو الأمين العام لجمعية أهل الحديث لعموم باكستان سابقاً، وقد أنشأ مدرسة دينية في مدينة شيخوبوره، وكان يشارك في المنظمات واللجان الداعية لتطبيق وتحكيم الشريعة في باكستان حتى سجن في سبيل ذلك مرات عديدة.

زيارته الكويت:

ذكرنا أن الشيخ محمد حسين كان يسافر إلى بلدان العالم للدعوة ونشر الإسلام، وقد زار الكويت لهذا الغرض، حيث زارها مرتين إحداهما قبل عام ٢٠٠٥م، كما أنه زارها في عام ٢٠٠٥م وهي السنة التي توفي فيها في عودته إلى بلده وقد توفي في ٥/٨/ ٢٠٠٥م يوم الجمعة في مدينة شيخوبوره، وقد حضر جنازته جمع لم يشاهد أهل شيخوبوره مثله، وصُلي عليه مرات عديدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورفع منزلته.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٦

شوقي ضيف

(١٣٣٠ ـ ١٤٢٥هـ/ ١٩١٠ ـ ٢٠٠٥م)

هو الأديب الناقد، النحوي، المحقق الدكتور أحمد شوقي عبد السلام ضيف من مواليد القاهرة عام ١٩١٠م، غني عن التعريف يعد من أعلام الأدب العربي، بما ترك من أعمال علمية وأدبية في تخصصه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تدرجه العلمي:

تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٥م قسم اللغة العربية في ذلك الوقت الذي تعج فيه الجامعة بكبار الأساتذة والعلماء، ثم واصل دراسة الماجستير ثم الدكتوراه عام ١٩٤٢م.

الوظائف التي تقلدها:

اشتغل بالتدريس في الكلية التي تخرج فيها حتى عام ١٩٧٠م، ثم تقاعد، ثم صار أستاذا في الجامعات العربية، إضافة إلى عضويته في المجامع العلمية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي.

الجوائز التي حصل عليها:

نال سنة ١٩٨٣م جائزة الملك فيصل العالمية، كما نال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجائزة التشجيعية، ثم الجائزة التقديرية في الأدب من مصر، وجائزة الرئيس حسني مبارك في سنة ٢٠٠٣ تتويجاً لآثاره العلمية.

آثاره العلمية:

عمل في عضوية اللجان العلمية والمجامع اللغوية مما يدل على علو مكانته وحضوره العلمي إقليمياً.

انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم صار رئيساً للمجمع عام ١٩٩٦م، صار عضواً في عدد من المجالس العلمية بما لا يقل عن عشرة مجالس في مصر.

أما أبرز أعماله: فهي:

١ ـ رسالة الدكتوراه الخاصة به التي أشرف عليها أستاذه الأديب طه حسين.

٢ ـ إشرافه على رسالة الماجستير للأديب إحسان عباس «الأدب العربي في صقلية الإسلامية».

٣ ـ سلسلة نوابغ الفكر العربي له كتاب «ابن زيدون» ط ١٩٩٩م.

٤ ـ سلسلة فنون النقد العربي، له عدة كتب منها «المقامة»، «النقد»، «الرحلات»، وغيرها.

٥ ـ أعماله تصنف كما يأتي:

ـ الدراسات القرآنية.

ـ تاريخ الأدب العربي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- مكتبة الدراسات الأدبية.
- الدراسات النقدية.
- الدراسات البلاغية واللغوية.
- نوابغ الفكر العربي.
- فنون الأدب العربي.
- التراث المحقق.
- سلسلة اقرأ.

كما ألف عنه كثير من العلماء وتناولوا سيرته وأعماله، وكان يشار إليه بأنه موسوعة علمية أدبية إبداعية وأنه رائد النقد الأدبي.

زيارته الكويت:

زار الكويت مرتين، المرة الأولى عام ١٩٥٨م، ضمن وفد بلاده إلى مؤتمر الأدباء العرب الرابع، من ٢٠ إلى ٢٨/ ١٢/ ١٩٥٨م، والزيارة الثانية وهي في الحقيقة إقامة لمدة ٤ سنوات منذ عام ١٩٧٠م إلى عام ١٩٧٤م في قسم اللغة العربية في جامعة الكويت بصفته أستاذاً، وقد تخرج على يده أجيال من المبدعين، وفي أحد كتبه الذي نشر الجزء الثاني منه عام ١٩٨٨م بعنوان «معي» ذكر الكويت ووصفها ووصف أهلها.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٧

بكر أبو زيد

(١٣٦٥ ـ ١٤٢٧هـ/ ١٩٤٥ ـ ٢٠٠٧م)

هو العلامة المحقق المدقق الفقيه الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رئيس مجمع الفقه الإسلامي وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء سابقاً في السعودية.

طلبه للعلم:

دَرَس في الكتّاب حتى السنة الثانية الابتدائي، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٧٥هـ وأتم دراسة الابتدائية هناك، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، حتى تخرج عام ١٣٨٧هـ في كلية الشريعة بالرياض، وكان ترتيبه الأول.

وفي عام ١٣٨٤هـ انتقل إلى المدينة المنورة فعمل أميناً للمكتبة العامة بالجامعة الإسلامية.

وكان إلى جانب دراسته ملازماً للمشايخ الكبار في الرياض، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة.

مشايخه:

لازم العلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حوالي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عشرة سنوات يقرأ عليه في تفسيره «أضواء البيان» الغني عن التعريف، و«آداب البحث والمناظرة» وانفرد بأخذ علم النسب عنه.

كما قرأ «كتاب الحج» من كتاب المنتقى على شيخه العلامة عبد العزيز بن باز في مكة، وقرأ عليه في المدينة في كتاب «فتح الباري» وكتاب «بلوغ المرام» ورسائل التوحيد والحديث وقد لازمه حوالي سنتين يتردد عليه في بيته.

الوظائف التي تقلدها:

تقلد عدة وظائف وأعمال بما يدل على همته، على ما يأتي:

حصل عام ١٤٠٣هـ على العالمية العالية (الدكتوراه)، وفي عام ١٣٩٠هـ عُين مدرساً في المسجد النبوي واستمر في ذلك إلى عام ١٤٠٠هـ.

وفي عام ١٣٩١هـ صدر أمر ملكي بتعيينه إماماً وخطيباً في المسجد النبوي، واستمر في ذلك إلى عام ١٣٩٦هـ، وفي عام ١٤٠٠هـ اختير وكيلاً لوزارة العدل إلى نهاية عام ١٤١٢هـ، وصدر أمر بتعيينه بالمرتبة الممتازة عضواً في اللجنة الدائمة للإفتاء وهيئة كبار العلماء.

وفي عام ١٤٠٥هـ صدر أمر ملكي بتعيينه ممثلاً للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي عن منظمة المؤتمر الإسلامي واختير رئيساً للمجمع إلى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته الكويت:

زار الكويت مرات عديدة بحكم ترأسه لمجمع الفقه الإسلامي الذي عقد كثيراً من اجتماعاته في الكويت، وقد تيسر لي مع إخوة الالتقاء به والسلام عليه، كما إني كنت أتردد على دار الإفتاء وكنت أراه في مكتبه قبل أن يترك العضوية.

مؤلفاته:

اعتنى الشيخ بكر بالتأليف والتحقيق وامتاز قلمه بالدقة والحرفية وخلف مؤلفات وتحقيقات ورسائل كثيرة الفوائد منها: «المدخل المفصل» خاص بمذهب الإمام أحمد، «ومؤلفات ابن القيم»، وتحقيق «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لابن حميد، و«تسهيل السابلة» للبردي[1] في طبقات الأصحاب.



(١) انظر ترجمته رقم (٢٦).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٨

أم السعد

(١٣٤٥ ـ ١٤٢٧هـ/ ١٩٢٥ ـ ٢٠٠٦م)

هي الشيخة الحافظة القارئة أم السعد بنت محمد علي نجم الإسكندرانية، إحدى كبار الحافظات المتقنات للقراءات العشر، وذلك منذ حوالي نصف قرن.

مولدها ونشأتها:

ولدت الشيخة أم السعد في ١١/ ٧/ ١٩٢٥م في قرية البندارية مركز تلا بمحافظة المنوفية شمال القاهرة، وداهمها مرض في عينيها في عامها الأول، واتجهت للعلاج الشعبي فنتج عنه أنها فقدت بصرها بالكلية، وكعادة أهل الريف مع العميان نذرها أهلها لخدمة القرآن الكريم، فحفظت القرآن الكريم في مدرسة حسن صبح بالإسكندرية في الخامسة عشر، وعاشت في حي في حارة الشمرلي في الإسكندرية.

شيختها الحافظة نفيسة أبو العلا:

لما أتمت حفظ القرآن الكريم ذهبت إلى الشيخة نفيسة أبو العلا شيخة زمانها في هذا الفن، وطلبت منها أن تقرأ عليها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القراءات العشر، فاشترطت عليها شرطاً عجيباً وهو أن لا تتزوج أبداً لأنها لاحظت أن من تقرأ عليها وتتزوج تنشغل بالزواج وتنسى الحفظ، كما أنها لاحظت أن شيختها لم تتزوج وأنها ماتت عن ٨٠ سنة من غير زواج رحمها الله.

ثم أتمت الشيخة أم السعد على شيختها نفيسة القراءات العشر وأجازتها، وكان عمرها حينذاك ٢٣ سنة، وتعتبر الشيخة أم السعد من أعلى المسندات من طريق الشاطبية.

تلاميذها:

أما تلاميذها فأكثر من أن يحصون على مختلف الأعمار والدرجات العلمية والمواطن والبلدان رحمها الله تعالى، منهم د. ياسر المزروعي، والطبيب أحمد نعينع، وغيرهم كثير.

مجيئها الكويت عام ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م:

كان سبب مجيئها إلى الكويت ما قامت به وزارة الأوقاف الكويتية من خلال خطة علمية القصد منها جذب كبار القراء لتأهيل أبناء الكويت بإشراف د. ياسر إبراهيم المزروعي الذي تابع هذا العمل يوماً بيوم وساعة بساعة، فحضر ثلة كريمة من القراء منهم الشيخة أم السعد، والشيخ عبد الرزاق علي إبراهيم موسى، والشيخ محمد تميم الزعبي، وتولوا تدريس عدد من أبناء الكويت من الرجال والنساء تحت إشراف دقيق فتخرج عليهم قراء متقنين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد خصص لها مسكن في ضاحية الشامية في محافظة العاصمة بسعي مباشر من د. ياسر المزروعي ورعاية من وزارة الأوقاف.

وقد مكثت الشيخة أم السعد فترة لا بأس بها في الكويت إلى أن أتمت برنامجها وعادت إلى مصر، ثم ما لبث أن دعتها مملكة البحرين للغرض نفسه فنشر الله تعالى علمها وبارك في جهدها رحمها الله.

وقد تيسر لي لقاؤها في منطقة الجابرية في الكويت مع د. ياسر المزروعي في ذي الحجة ١٤٢٥هـ، وقرأتُ الفاتحة أمامها رحمها الله، وقالت خيراً.

وفاتها في أيام مباركة:

توفيت الشيخة أم السعد في ١٦ رمضان المبارك ١٤٢٧هـ، رحمها الله تعالى وتقبلها بواسع رحمته وفضله وكرمه.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤٩

شاكر الفحام

(ت١٤٢٨/٢٠٠٨م)

هو العلامة الأديب الموسوعي الناقد، وأحد أعمدة اللغة والأدب العربي، الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، الذي يدل سجله العلمي والمواقع التي ترأسها وعمل عضواً فيها على كثرة جهوده وعلو همته وطول باعه في اللغة العربية وأدابها.

المناصب التي تقلدها:

كان رئيساً لجامعة دمشق منذ ١٩٨٦م حتى سنة ١٩٧٠م، ووزيراً للتعليم العالي منذ ١٩٧٠م حتى سنة ١٩٧٣م، ثم وزيراً للتربية منذ ١٩٧٣م حتى سنة ١٩٨٨م، ثم وزيراً للتعليم العالي مرة أخرى عام ١٩٨٠م، وكان سفيراً لسوريا في الجزائر وعضواً لمجمع اللغة العربية بدمشق، ثم نائباً للمجمع منذ سنة ١٩٧٧م ثم رئيساً للمجمع إلى وفاته عام ٢٠٠٨م.

ثم إنه كان عضواً في عدة مجامع علمية، منها المجمع العلمي العراقي، والمجمع العلمي الهندي، وعضو المجلس الاستشاري لمعهد المخطوطات العربية في السبعينيات، ومدير عام هيئة الموسوعة العربية بدمشق ١٩٨١م ـ ١٩٩٤م.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كما عمل عضو شرف، وعضواً عاملاً في مجامع اللغة في الأردن، والقاهرة والمغرب في التسعينيات.

كما حاز على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ١٩٨٨م.

ومما يذكر أنَّ له علاقة وطيدة بالأستاذ محمود شاكر، وكان مقيماً عنده طوال فترة دراسة الدكتوراه.

مؤلفاته:

له مؤلفات مشهورة من أبرزها تحقيق كتاب «اللامات» للإمام اللغوي أحمد بن فارس، نشرهُ مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٣م، وثاني كتبه «ديوان الفرزدق» وحصل عليه درجة الدكتوراه.

وله «الدلائل في غريب الحديث» لقاسم بن ثابت السرقسطي، كما قام بدراسات مهمة على الشعراء مثل بشار بن بُرد، وابن الرومي، والمتنبي، وعن الشعر الأندلسي وغير ذلك.

زيارته الكويت:

زار الكويت كثيراً في السبعينات، والثمانينات، والتسعينات، بالنظر إلى مكانته العلمية ودوره في تحكيم كثير من الأعمال.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٠

عبد القيوم البستوي الرحماني السلفي

(١٣٣٨ ـ ١٤٢٩هـ/١٩١٨ ـ ٢٠٠٩م)

هو العلامة المحدث المفسر شيخنا عبد القيوم بن زين الله البستوي الرحماني السلفي، من كبار رجالات الهند ووجهائها خاصة في تاريخها المعاصر.

مولده وطلبه للعلم:

ولد الشيخ في ٢٠/١/١٩١٨م في قرية دودنيا مديرية سرهارت نغر (بستي سابقاً) يوربي الهند، في أسرة ذات وجاهة دينية ودنيوية.

تلقى تعليمه الابتدائي في قريته الواقعة على حدود النيبال، والمتوسط في الجامعة الإسلامية (فيض عام) في مأو، والعالي في دلهي (دار الحديث الرحمانية).

مشايخه:

تتلمذ على كبار مشايخ الهند في الحديث، منهم: الشيخ عبد الله الرحماني المباركفوري (صاحب مرعاة المفاتيح) وقرأ عليه سنن الترمذي وبلوغ المرام حرفاً حرفاً، وشيخ الحديث: أحمد الله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القرشي، والشيخ نذر أحمد الملوي، والشيخ عبد الغفور البكوهري، والشيخ سكندر علي الهزاروي.

تخرج فيها سنة ١٩٤٠م وممن قرأ عليهم شرف الدين الدهلوي قرأ عليه حجة الله البالغة، كما أخذ بلوغ المرام حرفاً حرفاً عن الشيخ عبد الله الرحماني، كما أنه أخذ بالتمام والكمال البخاري ومسلماً عن شيخه الكبير، أحمد الله القرشي الذي قال عنه أنه جلس للتدريس ٣٠ عاماً.

كما حصل الشيخ على شهادة (مولوي فاضل) من هيئة بنجاب التعليمية أيضاً، وله إسهامات، في السياسة وجهود في تحرير الهند من الاستعمار الإنجليزي، وأودع السجن ثلاث مرات تراوحت كل فترة بين عدة أشهر وأقصاها ثلاث سنوات أكب فيها على القراءة والمطالعة، ثم إنه اتجه إلى الدعوة والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ يشارك في المجالس العامة وإلقاء الخطب يذكّر الناس مع المحاضرات العامة في طول الهند وعرضها، وكان يستدل بالآيات استدلالاً دقيقاً بذلك سمي بمفسر القرآن».

عرف عن الشيخ زهده وتقلله في مأكله ومشربه وملبسه.

زيارته للكويت:

زار الكويت بعد حج عام ١٤١٧هـ، ومكث فيها حوالي أسبوعين، حيث وصل الكويت في محرم من تلك السنة وذلك بدعوة خاصة من أحد الفضلاء وهو الشيخ فيصل يوسف العلي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي تكفل بتغطية رحلته إلى الحج والمدينة المنورة ثم الكويت ثم إلى وطنه.

ولما وصل الكويت تيسر قراءة صحيح البخاري ومسلم كاملين عليه، وكذلك قراءة «بلوغ المرام» «والشمائل» وغيرها، وكانت إقامته في منزل الأخ الشيخ محمد ناصر العجمي، وكنت من الحاضرين لذلك السماع.

ولاحظت على الشيخ ما يلي:

١ ـ تواضعه وتبسطه في ملبسه وهيئته.

٢ ـ عليه مهابة العلماء قليل التبسم ولا يخوض فيما لا يفيد.

٣ ـ وفاءه لمشايخه، فكثيراً ما يذكر مآثرهم وأعمالهم وفضلهم ويترحم عليهم ويُحْيي ذكرهم.

٤ ـ قوة ذاكرته وحسن تمثله واستشهاده بالآيات حسب ما يتطلب المقام.

٥ ـ انتباهه لما يقرأ بين يديه ومتابعته فلا يغفل ولا ينشغل بأي شيء أثناء القراءة.

٦ ـ تحسره على علماء أهل الحديث وكيف فتنوا وطوردوا فخرجوا إلى أطراف العالم الإسلامي وتركوا حواضر الإسلام بسبب ما لاقوهُ من أهل الكلام.

٧ ـ كان بحمد الله ممتعاً بحواسه وقوته ولا يحتاج إلى معاون رغم بلوغه التسعين؛ فكان يقرأ ويتابع من غير نظارات.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨ ـ كان يدعو طلبة العلم إذا طالت القراءة إلى تجديد الوضوء لأنه على حد قوله يجدد القوة وينشط البدن، وقد جربنا ذلك فظهر أثره، حتى تيسر لنا إتمام البخاري ومسلم عليه في مدة وجيزة بأقل من أسبوعين ليلاً ونهاراً دون كلل منه أو تعب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩ ـ كان يحب أن يبدأ المجلس بترتيل شيء من القرآن الكريم وكان يتخير لذلك من وهبه الله تعالى حسن أداء وصوت مثل الأخ الشيخ القارئ عبد الله بن عيسى آل عيسى، فكان يقرأ بين يدي المجلس ما تيسر فيسر الشيخ بذلك.

١٠ ـ كان يفسر بعض الآيات تفسيراً مناسباً وموافقاً للمعاني بطريقة تدعو إلى الإعجاب بعلمه كقوله مثلاً على ما جاء في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ. . .﴾ الآية ـ نوح. قال الشيخ: تأملوا يمددكم بالبنين أي: «الذكور» إذا استغفرتم، ونحو ذلك من الإشارات اللطيفة.

١١ ـ تثبته وصدقه في الرواية فكان رَحِمَهُ اللَّهُ رغم قراءته الكتب الستة، إلا أنه يُقرئ الصحيحين والترمذي لأنه يضبطهما قراءة على مشايخه.

نقل السند الهندي إلى الكويت:

غادر الشيخ عبد القيوم الكويت مصحوباً بالدعاء له والشكر إذ إن عمل الشيخ هذا بقراءة البخاري ومسلم عليه في الكويت،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بسعي مشكور من الأخ الشيخ فيصل العلي كما قدمنا، يعني نقل سند الحديث من الهند إلى الكويت من طريقهِ أيضاً فهو يروي البخاري بسماعه شيخه العلامة المحقق أحمد الله القرشي الدهلوي وهو من العالمين العاملين والمحدثين البارزين محدث الديار الهندية السيد نذير حسين بن جواد علي الدهلوي، والقاضي حسين بن محسن الأنصاري وهو سمعه من العلامة المحدث محمد ناصر الحازمي، والشيخ نذير حسين سمعه من محمد بن ناصر الحازمي الأول سماعاً والثاني إجازة من الشيخ المحدث محمد بن إسحاق الدهلوي، وهو سمعه من جده لأمه عبد العزيز الدهلوي، وهو سمعه من جده لأمه عبد العزيز الدهلوي، وهو سمع الصحيح إلى كتاب الحج والباقي إجازة من أبيه المحدث ولي الله الدهلوي صاحب ثبت: الإرشاد إلى مهمات علو الإسناد، وهو سمع صحيح البخاري من أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكوراني بالمدينة المنورة سنة أربع وأربعين بعد الألف والمائة في خمسين مجلساً أخرها مجلس الختم عصر يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر رجب من تلك السنة، وهو قرأ جميع الصحيح على الشيخ حسين العجيمي هذا تيسر سماعه عليه مع جمع في الكويت وهم الآن حملة السند في الكويت من طريق الشيخ عبد القيوم رحمه الله تعالى.

وصفه كما شاهدته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أسمر اللون على سحنة أهل الهند، متوسط الطول أو أقرب إلى الطول، نحيف البدن قليل اللحم، شعره ولحيته بيضاوان،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لحيته تزيد على القبضة وهي مسترسلة ليست جعدة، وكذا شعر رأسه مسترسلاً، ولا يخضب بالحناء.

* يرتدي الطاقية أو ما يشبه الطربوش عريض القمة من الصوف، يضع على ظهره نحو جبة طويلة ويضع لفافة من الشال أو الصوف الخفيف حول رقبته.

* كلامه مفهوم وواضح يتأنى في كلماته، تعتريه حدة في عرض كلامه دون انفعال.

* يشرح اختياراته بطريقة السؤال ثم يجيب هو عن ذلك ويتكلم بالفصحى المفهومة.

* له اختيارات وملاحظات على ما جاء من أحاديث ويذكر فيها فوائد جليلة.

* المجلس عنده إذا قرأ الطالب فهو مجلس.

* يربط بعض الأحكام بما يحدث الآن كالتصوير ونحوه وينهى عنه.

* لا يستعمل النظارات في القراءة وكان ربما ركز وأمعن النظر في بعض السطور ويغلق عينه اليمنى ليظهر له بوضوح.

* ينتبه للقراءة ولا يسهو وينظر إلى السطور ويتابع.

* يده اليمنى فيها رجفة خفيفة جداً، متبسط في أحواله فربما نام على الأرض ويخرج في الخارج أحياناً ضحى ليعرض جسمه للشمس بكل بساطة ولا يكترث.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

* يجدد الوضوء ضحى، دقيق في مواعيده قليل التبسم، ولا يكاد يتبسم، لكنه غير مقطب الجبين وليس متجهماً، في نظراته شيء من الحزن إذا أطرق، وهو في أواخر الثمانين من عمره حوالي ٨٩ سنة، أما ابنه فهو في حوالي الخمسين، وخَطَه الشيب خاصة في لحيته ولا يشارك كثيراً في السماع بل يتابع والده من بعيد ويعتني به.

وفاته رحمه الله:

عاد الشيخ إلى بلاده، وبعد حوالي عامين وافته المنية بتاريخ ٢٣ جمادي الأول ١٤٢٩هـ قبيل ظهر الأربعاء، وكان وقع وفاته جسيماً على العلماء وطلاب العلم رحمه الله تعالى.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥١

زكريا الدسوقي

(١٣٤٧ ـ ١٤٣٠هـ/ ١٩٢٧ ـ ٢٠٠٩م)

هو الحافظ المقرئ المسند الشيخ زكريا محمد عبد السلام الدسوقي الجماجموني المالكي المصري.

مولده وتعليمه:

ولد الشيخ في قرية جماجمون تابعة لمركز دسوق محافظة كفر الشيخ عام ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٧م. ولما بلغ سن السادسة تلقى مبادئ التعليم في قريته، وحفظ القرآن الكريم على شيخه الفاضلي علي أبو ليلة بالمسجد الإبراهيمي بدسوق، ودرست عليه الشاطبية للإمام الشاطبي والدرة والعشرة من الطيبة للإمام ابن الجزري رضي الله عنه بسنده المعروف.

فسنده عن الفاضلي، عن عبد الله بن عبد العظيم الدسوقي، عن علي الحدادي الأزهري، عن إبراهيم العبيدي، بسنده المعروف بينه وبين العلامة إبراهيم العبيدي رحمه الله ثلاث وسائط.

علو سنده:

أما علو سنده فهو أعلى المسندين في زمانه لأنه قرأ العشر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصغرى والكبرى على شيخه الشيخ الفاضلي علي أبو ليلة شيخ القراء بمسجد إبراهيم الدسوقي سنة ١٩٦٥م وقد عمّر الشيخ الدسوقي وتوفي عن مائة سنة وهو قرأ العشر الصغرى على الشيخ عبد الله بن عبد العظيم الدسوقي مباشرة كما هو مصرح به في أكثر من إجازة من إجازات الشيخ الفاضلي لتلاميذه، ثم إنه أخذ العشر الكبرى من الشيخ سيد أحمد أبو حطب وهو عن الشيخ عبد الله عبد العظيم الدسوقي وهو بسنده المعروف قرأ على الشيخ علي الحدادي الذي قرأ على شيخ المقارئ المصرية إبراهيم العبيدي، وبهذا يصح بين شيخنا المترجم الشيخ زكريا والشيخ العبيدي ثلاثة أشخاص في العشر الصغرى وأربعة في الكبرى.

زيارته الكويت[1]:

زار الكويت ومكث فيها حوالي شهراً وذلك قبل وفاته بحوالي شهرين أواخر عام ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، بدعوة ومتابعة خاصة من د.ياسر المزروعي ورعاية من وزارة الأوقاف الكويتية، وأُعد له سكناً في ضاحية الشامية السكنية في محافظة العاصمة بمتابعة من د.ياسر المزروعي، وصار يتلقى الطلاب ممن يقرأ عليه أو يستجيزه، وقد رأيت الشيخ وسلمت عليه وقرأتُ عليه الفاتحة وأول البقرة وأجازني برواية حفص بحضور د.ياسر المزروعي وابن الشيخ د.مصطفى.

---

(١) انظر: «فتح رب البيت في ذكر مشايخ القرآن في دولة الكويت» للدكتور ياسر المزروعي، ط ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، وزارة الأوقاف، ص٢١١.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والشيخ لطيف العبارة، متواضع غضيض الصوت، يحسن استقبال الداخلين عليه، وينصت للقارئ، ويحرك كف يده اليمنى من على فخذه عند الوقف لينبه القارئ كما شاهدته، كان ذلك في أواخر ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٢٧/ ٣/ ٢٠٠٩م.

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتغمده بواسع رحمته:

توفي الشيخ القارئ زكريا الدسوقي الجماجموني بعد صلاة العصر يوم الاثنين ٢٨ ذوالقعدة ١٤٣٠هـ (١٦/ ١١/ ٢٠٠٩م) في قريته ودفن فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٢

محمد سالم بن عبد الودود الشنقيطي

(١٣٤٨ ـ ١٤٣٠هـ/١٩٢٨ ـ ٢٠٠٩م)

هو العلامة الإمام الفقيه محمد بن سالم بن محمد بن علي بن عبد الودود الشنقيطي، ولد ببلاد شنقيط المسماة اليوم «موريتانيا».

طلبه للعلم والمناصب التي تقلدها:

درس على والديه جميع العلوم الشرعية واللغوية حتى برز في جميعها فأصبح المشار إليه بالبنان على حداثة سنه.

تولى الشيخ منصب القضاء نائباً لرئيس المحكمة الابتدائية، ثم نائباً لرئيس المحكمة العليا، ورئيساً للغرفة الإسلامية فترة طويلة حاول خلالها جاهداً إلغاء القانون الوضعي في البلاد واستبداله بقانون شرعي حتى تم بعض ذلك، ثم عين رئيساً للمحكمة العليا، ثم وزيراً للثقافة والتوجيه الإسلامي ثم رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى وهو رئيسه إلى وفاته.

والشيخ عضو في المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي أو في المجمع الفقهي للمؤتمر الإسلامي وفي المجلس العلمي للأزهر، وفي الأكاديمية المغربية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قوة حفظه وسرعة فهمه:

امتاز شيخنا العلامة سالم عبد الودود بقوة حفظه وسرعته، فقد جاء في مقدمة متن[1] الموثق: أن تلميذه الشيخ محمد الحسن الددو ذكر أنه حفظ قبل البلوغ ما يأتي:

١ ـ حفظ كتاب الله تعالى برواية ورش عن نافع.

٢ ـ حفظ الكافية الشافية في النحو والصرف لابن مالك ٢٧٨٠ بيتاً.

٣ ـ لامية الأفعال في الصرف لابن مالك مع توشيحها للحسن بن زين ١٩٥ بيتاً.

٤ ـ موطأ الفصيح في اللغة لمالك بن المرحل الأندلسي ١٣٥١ بيتاً.

٥ ـ ألفية السيوطي في البلاغة (عقود الجمان).

٦ ـ ألفية العراقي في مصطلح الحديث.

٧ ـ الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع للسيوطي ١٤٥٠ بيتاً.

٨ ـ تحفة المردود في المقصور والممدود لابن مالك ٢٥٠ بيتاً.

٩ ـ إضاءة الدجنة ٥٠٠ بيتاً.

١٠ ـ السلم المتورق في المنطق الأخضري ١٤٤ بيتاً.

---

(١) «متن الموثق من عمدة الموفق» نظم العلامة الشيخ محمد سالم بن الودود، بعناية عبد الله الجكيني ومحمد جدو، ط ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧م)، انظر ص٢٠ ـ ٢٢.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١١ ـ مختصر خليل في الفقه المالكي.

١٢ ـ الرسالة لأبي زيد القيرواني.

١٣ ـ التسهيل لابن مالك.

١٤ ـ الإعلام بمثلث الكلام ٥٠٠ بيت.

مؤلفاته:

له تصانيف منظومة نختار منها:

١ ـ «التسهيل والتكميل لمختصر خليل» في الفقه المالكي بضع عشر ألف بيت.

٢ ـ «الموثق من عمدة الموفق» ٣٧٢٢ بيتاً نظم فيه الفقه الحنبلي في كتاب الإمام الموفق عمدة الفقه.

٣ ـ «شراع الفلك المشحون بعناوين تبصرة ابن فرحون» وهو نظم.

٤ ـ «نظم تقريب التهذيب»، لم يكمل بعد.

٥ ـ وله رسائل نثرية.

والشيخ شاعر مجيد فمن ذلك مرثيته للعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز لما بلغه خبر وفاته رحمه الله تعالى فمن ذلك يقول[١]:

كان شيخ الإسلام حقاً بذا العصر   فـمـا إن لـه بـجـواز

(١) انظر: الموثق.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لست أنسى دار كدار ابن عباس   لـه لـلـعـفـاة دون امـتـيـاز
فـأرى الأخـوة الأفـارقـة الـسـود   يـنـادون قـبـل أهـل الـحـجـاز
والـتـهـامـيـن يـغـبـطـون الألـي   جاؤوا من الصين أو من القوقاز

ويختمها بقوله[1]:

أكـرم الله نـزلـه وحـبـاه   في أعالي الفردوس أسمى مفاز
وأرانـا فـي الأهـل قـرة عـيـن   وأدام الـهـدي لـهـم ذا اعـتـزاز

لقاء الشيخ محمد سالم عبد الودود:

تيسر لي مع أخوة كرام لقاء العلامة الشيخ محمد سالم العدود، كان ذلك أثناء زيارته الكويت في ٢٢/٤/٢٠٠٦م. وقد تشرفنا بمقابلة الشيخ في سكنه في فندق المريديان وكان ذلك مع الأخوة من طلبة العلم المشايخ وهم فيصل يوسف العلي، وياسر المزروعي وراقمه، وصالح السليطين مرافق الشيخ من قبل وزارة الأوقاف الكويتية.

قراءة منظومة الشيخ المسماه «مجمل اعتقاد السلف»:

وهي منظومة رصينة السبك سهلة الفهم وميسرة للحفظ وتدل على وضوح معتقد الشيخ السلفي حفظه الله بعيداً عن معتقد أهل الكلام، يقول حفظه الله في أثنائها:

أذكـر جـمـلـة مـن الـعـقـائـد   عـلى طريق الـسـلـف الأمـاجـد

---

(١) انظر مقدمة: «الموثق نظم الموقف» مرجع سابق ص٣٣ ـ ٣٤.

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

ولست ذاكراً سوى المتفق عليه من قبل نشوء الفرق
مما إليه الأشعري قد رجع متبعاً أحمد نعم المتبع

ويقول فيها حفظه الله أيضاً في إثبات الصفات:

يمرُ ما في وصفه جاء من الوحي كما يفهم من فيهم نزل
من غير ما تكييف أو تمثيل له ولا تحريف ولا تعطيل

وقوله:

وما نقول في صفات قدسه فرع الذي نقوله في نفسه

وقد تيسر سماعها كاملة، وهي حوالي ١١٤ بيتاً بقراءة شيخنا محمد سالم العدود، الذي أجازنا بها مشكوراً، مع شرح مبسط وتصويبات على بعض الأبيات، بعد ظهر ٢٥ربيع ١٤٢٧هـ.

(٢٣/ ٤/ ٢٠٠٦م) بحضور الأخوة المذكورين وبحضور ابن الشيخ أيضاً وفقه الله تعالى واسمه عبد الله.

وسلمنا قصيدة للشيخ أيضاً أنشدها الشيخ في المؤتمر الذي عقد في ذلك اليوم في الكويت وفيها:

إن الذين نمتهم الصحراء عرب نمتهم قبلها صنعاء
منها ابن[1] بي خطيبها وفقيهها فليشهد الخطباء والفقهاء
والأهدلون لهم أسانيد الهدى ولهم هنا الإنشاد والإنشاء
فنشاء ما شاؤوا ونمضي تحت ما كتبوا وحسبك من رضى إمضاء

---

(١) أي العلامة الشيخ عبد الله بن بيه، انظر: ترجمته.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونقول للبلد المضيف لحشدنا ما قاله من قبلنا الخطباء
فهو الأمين على حضارتنا هو للتراث الفترة الحصداء
صرح وثغر للرباط بحصن فندق فيه الصعدة السمراء

* أبيات موجهة إلى الشيخ سالم العدود من قبل تلميذه الشيخ/ محمد الحسن الددو، وفيها يقول:

كنز العلوم وذهب غير مكدود محمد سالم من آل عدود
وكم بث من علم ومن خلق وزان من محفل للعلم معقود
فاسأل الله رب العرش يمنحه عمراً مديداً وعزّاً جد مدود
فلي وللشيخ في الأسلاف سابقٌ والكل ما بين ذي ودٍّ ومودود

وصف الشيخ كما شاهدته حفظه الله:

يرتدي الزي الموريتاني، العمامة والقميص والثوب الموريتاني، فصيح العبارة، دائم التبسم غير متكلف مع وقار، يحفظ من الشواهد والشعر والمنظومات والنثر والعلوم ويتمثل بها بسهالة تجري على لسانه كالنفس دون تكلف بما يذهل السامع.

ولقد أدهشنا شرحه لآيات القرآن والمقارنة بينها وكيف تكرر القصص في السور وتعرض في كل سورة في قالب ويبين لنا سبب ذلك.

قرأ علينا حفظه الله عقيدة السلف كما أشرنا، التي نظمها وشرحها، وفك عبارتها بسهولة ويسر، وصحح المطبوعة، ونبه على السقط، وقال: ليتهم وضعوا نقاطاً مكان الأبيات التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسقطت حتى لا ينكسر السبك، وكان ابنه ربما فتح على الشيخ في بعض الأبيات مما يدل على ضبطه لنظم أبيه.

خلاصة القول مجلسه لا يمل متواضع، سمح سهل يجيب بسرعة دون تكلف غزير العبارة حافظ متفنن، إمام.

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ١٤٣٠هـ (٢٩/٤/٢٠٠٩م) بعد أن داهمه مرض عضال لم يمهله كثيراً فمات مأسوفاً عليه وطويت به صفحة من صفحات العلماء الراسخين.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٣

مختار أحمد الندوي[1]

(١٣٤٩ ـ ١٤٢٨هـ/ ١٩٣٠ ـ ٢٠٠٧م)

هو فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي السلفي، ولد في مدينة مئونات بهنجن شمال الهند عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) من أسرة محافظة، نشأ فيها وترعرع على حب الدين والعلم وكان من أحد أسباب ذلك أن والده كان يصطحبه إلى المؤتمرات والندوات العلمية والدعوية ويطلب من المشايخ الدعاء له فكان أثر ذلك أن أصبح عالماً من زمرة العلماء والدعاة.

طلبه للعلم:

تلقى الشيخ تعليمه في أشهر المدارس الإسلامية آنذاك مثل الجامعة العالية العربية بمنو، والجامعة الإسلامية «فيض عام» بمنو أيضاً، والجامعة الرحمانية «دار الحديث» بدلهي، ودار العلوم لندوة العلماء بلكنو على أيدي كبار العلماء الأساتذة مثل الشيخ محمد أحمد الأمين العام لجامعة فيض عام، والشيخ عبد الله شائق مؤسس دار الحديث الأثرية، والشيخ أبو القاسم البنارسي من

---

(١) مقدم من الشيخ عارف جاويد، بقلم: صلاح الدين مقبول.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تلاميذ المحدث نذير حسين، وحصل على شهادة العالمية من ندوة العلماء، والفضيلة من جامعة فيض عام، كذلك عن الهيئة التعليمية في حكومة (يو ـ بي)، ودبلوم علوم المكتبة، والليسانس باللغة الإنجليزية من جامعة علي كره الإسلامية بالهند، هذا السجل العلمي والأكاديمي الحافل أثَّر في عمله ورغبته، بحيث قامت على يده مؤسسات وجامعات مشهورة تدل على معرفته بالمناهج العلمية والمؤسسات الأكاديمية والإدارية كما سيأتي.

حياته الدعوية والمناصب التي تقلدها:

بدأ حياته بالإمامة والخطابة في المساجد، وأفنى عمره في ذلك رغم مسؤولياته حيث أمضى حوالي ٥٥ سنة من عمره في الإمامة والخطابة في جوامع أهل الحديث في كلكته، وممباي وعرف بقوة البيان وبلاغة الأسلوب.

وقد تقلد وظائف عديدة تدل على قوته وأمانته وشدة عزمه، فقد اختير نائباً لرئيس الجامعة السلفية بنارس ـ الهند وله دور كبير في السعي في تمويلها وتمويل مشاريعها في العالم الإسلامي، كما انتخب رئيساً لجمعية أهل الحديث لعموم الهند ما بين (١٩٩٠ ـ ١٩٩٧م) واشترى بناية في قلب دلهي عاصمة الهند جعلها لأهل الحديث تعرف باسم «أهل الحديث منزل».

وكان نائباً لرئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند وهي منظمة رسمية شرعية تدافع عن حقوق المسلمين على مستوى الحكومة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عرف الشيخ بعلو الهمة ويدل على ذلك ما أسسه من أعمال ومشاريع في مجال التعليم والتربية والبناء والتعمير.

حيث أنشأ ثلاث مؤسسات تعليمية تفرع عنها كليات علمية وأنشطة متصلة، هي:

١ ـ الجمعية المحمية التعليمية الخيرية عام ١٩٧٨م تنفيذاً لقرار مؤتمر «مناهج التعليم وصبغها بالصبغة الإسلامية» الذي عقدته جامعة الملك عبد العزيز بجده.

٢ ـ الجامعة المحمدية (منصورة ـ ماليغاون).

٣ ـ والجامعة المحمدية بنغلور وهما من أشهر الجامعات الدينية في الهند.

وتفرع عن هذه المؤسسات:

١ ـ كلية عائشة الصديقة رضي الله عنها (منصورة) وكلية عائشة بنغلور، وكلية فاطمة الزهراء (منو).

٢ ـ كلية الطب المحمدية (منصورة) وشهادتها معترف بها من الحكومة.

٣ ـ عدد من المستشفيات.

كما أنه أنشأ «إدارة إصلاح المساجد» التي قامت بتشييد المساجد وترميمها والمحافظة عليها في شتى ولايات الهند.

كما أنشأ الدار السلفية لنشر الكتب الدينية الدعوية، حيث طبعت ما بين ٢٥٠ كتاباً بالعربية والأردية والهندية والإنجليزية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كما أشرف الشيخ على عدد من الصحف مثل مجلة «صوت الحق» (منصورة)، ومجلة البلاغ (ممباري).

زيارته الكويت:

زار الشيخ مختار الندوي الكويت ووصف بأنه وجه معروف يزور الكويت ويزوره أهلها في الهند للدعوة وتبادل المطبوعات وطباعة الكتب ومتابعة المشروعات.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

توفي الشيخ بعد حياة حافلة بالدعوة والإرشاد ونشر الدين بعون الله في ٢٥ شعبان ١٤٢٨هـ (٩/٩/٢٠٠٧م) عن عمر يناهز الثمانين سنة.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٤

أحمد بن علي آل مبارك

(ت١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)

هو الشيخ أحمد بن علي آل مبارك، التقيناه في الأحساء[(١)] في محرم ١٤٢٧هـ.

عمله وزيارته للكويت:

عمل في السلك الدبلوماسي، وزار الكويت في فترة مبكرة في الستينيات، يقول: سنة ١٩٦١م كنت في السفارة في الكويت،

---

(١) الشيخ أحمد بن علي آل مبارك موضوع ترجمته خاص، ذلك أني تشرفت بلقائه مع الأخوة المشايخ فيصل العلي وياسر المزروعي ورائد الرومي وذلك في رحلتنا إلى منطقة الأحساء في محرم ١٤٢٧هـ، وسمعنا منه، وهذا ما تيسر تقييده وكان لقاؤنا معه في مزرعة العوالي لآل عفالق، غرة المحرم، ١٤٢٧هـ، وكانت ليلة جميلة باردة تخللها زخات من المطر.

* وقفت على نشرة تسمى «نشرة الخميسية» أهداني إياها أستاذنا الدكتور عبد الله الغنيم حفظه الله، ووجدت فيها مقالاً بعنوان «تأبين عميد الأدب الأحسائي الشيخ أحمد بن علي المبارك»، العدد السابع، جمادي الأخرى ١٤٣١هـ ص٦، إصدار مركز حمد الجاسر الثقافي، السعودية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونزلت في منطقة حولّي في بيت العوضي - في بيت من بيوته - ولي علاقة مع ابنه، وكان جنبنا مدرسة لها شهرة وبقيت في السفارة ثلاث سنوات ونصف.

قصة الشيخ عبد العزيز العلجي:

يقول: قرأت على الشيخ عبد العزيز العلجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدة سبع سنوات، وهو أول ما نشأ قرأ على المشايخ منهم محمد بن اللطيف المبارك، وقرأ على والدي على آل مبارك، وعلى عبد العزيز بن حمد رغم مقاربة العمر.

دخل التجارة وترتب على ذلك أنه خسر حيث طبعت السفينة التي كانت عليها بضاعته، كانوا يأخذون رأس المال يقترضونه ثم يردونه بعد البيع، ولما جاء وقت السداد لم يكن معه شيء، بعض التجار سامحه لعلمه بحاله، وبعضهم قال أريد عوضاً عن مالي، فباعوا جميع أملاكه وتركوا له بيته، وجلس فترة ملازماً بيته، ثم حركه بعض أصحابه وقال له: توكل على الله وتاجر، فتاجر من جديد وانقلبت السفينة مرة أخرى في الهند وطبعت، فعاد إلى بيته وترك التجارة، ورأى فيما يرى النائم من يقول له:

عينك في بيتك... !

ترددت عليه الرؤيا، فجاءه شيخه عبد العزيز بن إبراهيم المبارك وعبّر له الرؤيا وقال له ما هنا غير العلم، إن كنت في البيت كان العلم معك وإن كنت في السوق كان العلم معك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عند ذلك بدأ كالمبتدئ في طلب العلم قرأ على والدي - أي: الشيخ علي آل مبارك وجمع بعض النقود وظهرت مكانته وجلس يدرّس الناس، دَرَّس الرجال آخرهم عبد الرحمٰن المبارك وأنا، وابنه وابن بنته، في نحو ثلاثين عاماً.

عبادته:

ذكر الشيخ أحمد المبارك، أن شيخه عبد العزيز العلجي رَحِمَهُ اللَّهُ كان عابداً يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يقوم الليل، وكذا سمعنا عنه من تلميذه شيخنا العلامة محمد بن جراح رَحِمَهُ اللَّهُ.

خصومه:

وذكر الشيخ أحمد أيضاً عن شيخه العلجي أنه حصل له خصومه مع بعض العلماء منهم الشيخ عبد العزيز الرشيد في الكويت، والشيخ محمد رشيد رضا، ورد على الشيخ محمد رشيد رضا في بعض أقواله حول السماوات والكواكب مما نقله عن الأوربيين، كان الشيخ العلجي شديداً على العصريين وكان ورعاً متحرياً، وكان له شعر حسن، وضع حوالي ٤٥٠ بيتاً في الصرف، وله في الفقه حوالي ٢٠٠٠ بيتاً، ولما قالوا له ضع أبياتاً في الفقه، قال: ألفية ابن عاصم تُغْني!!

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٥

يوسف الصديقي

(١٣٣٨ ـ ١٤٣١هـ/١٩١٨ ـ ٢٠١٠م)

هو القاضي الفقيه الفرضي، والخطيب الأديب، الشيخ يوسف بن أحمد بن محمد الصديقي نسباً، الشافعي مذهباً، البحريني موطناً، ولد في عام ١٣٣٨هـ في قرية أم الشجر جنوب مدينة الحد بالمحّرق.

نشأ في كنف والده الشيخ أحمد بن محمد الصديقي الذي كان متديناً، متفقهاً بمذهب الإمام الشافعي، وعين إماماً لمسجد أم الشجر بالحد، وكان قد تفقه بعلماء «كوهج» علماء فارس.

وقد نزحت أسرة الشيخ من الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج العربي في بر فارس مع نزوح قبائل من العرب كالأنصار والخزارجة والعباسين وبني حماد وغيرهم، ثم بعد فترة تفرقوا في دولة الإمارات وفي عمان، والكويت، والسعودية والبحرين وقطر.

أما جده الشيخ محمد شريف فقد نزح إلى السعودية بمنطقة دارين وعين إماماً لمسجدها ثم قدم قرية عسكر في البحرين، ومنها إلى حالة أم الشجر ثم إلى الزلّاق ليستقر فيها وهي مسكن الشيخ يوسف الصديقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طلبه للعلم:

رحل إلى مصر والتحق بالأزهر بعد أن أمضى حوالي ثماني سنوات ينهل من علماء الأحساء فحفظ المتون العلمية الأساسية ودرس الأصول الأولى فلم يذهب إلى مصر إلا وهو مؤهل ومتمكن.

أبرز مشايخه:

والده الشيخ أحمد محمد الصديقي، وقد توفي شاباً عن عمر ٤٣ سنة، عام ١٣٥٣هـ، والشيخ علي بن محمد الأنصاري المالكي قرأ عليه نظم العمريطي في النحو، والأجرومية والشيخ العلامة محمد بن أبي بكر الملا الحنفي الأحسائي وهو من أبرز علماء شرقي الجزيرة حينذاك وقد تخرج عليه عدد من مشاهير علماء الجزيرة منهم الشيخ أحمد بن حجر[١] آل بوطامي البنعلي، والشيخ محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف آل مبارك وغيرهما.

وكان الشيخ محمد بن أبي بكر يعتني بالشيخ يوسف ويحبه كثيراً ويضرب به المثل أمام زملائه في حرصه على طلب العلم والقراءة والحفظ والاجتهاد، وكانت تربطه بعمه العلامة عبد الله بن محمد الصديقي الشافعي صداقة ومراسلات، ومن مشايخه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل عمير الشافعي الأحسائي وكان من أعلم فقهاء الشافعية.

---

(١) انظر ترجمته رقم (٣٨).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

محفوظاته:

تأصل الشيخ في طلبه العلم على طريقة المتقدمين في حفظ المتون، فمن محفوظاته «متن الغاية والتقريب» في الفقه الشافعي، «نظم الزبد» في الفقه الشافعي، «الأجرومية» ونظم «الأجرومية للعمريطي»، «ألفيه ابن مالك»، «الرحبية في الفرائض»، «المعلقات السبع»، «لامية ابن الوردي»، «البردة» لكعب بن زهير.

أما مقروءاته فكثيرة منها كفاية الأخيار، ودواوين الأدب وعموم كتب العلم[1].

زيارتنا للشيخ في منزله في الزلاق:

تيسر لنا زيارة الشيخ في منزله في شوال ١٤٢٧هـ مع الأخوة المشايخ فيصل العلي، ورائد الرومي، وياسر المزروعي، وكاتب هذه السطور[2].

وكانت زيارتنا له بعد العصر على اتفاق سابق فوجدناه ينتظرنا في مجلسه ودار بيننا حديث شيق.

ويمتاز الشيخ بالرويّة والترسل وقلة الكلام، مع تنبهه لما يطرح عليه من حديث، كما إنه حفظه الله استحسن القصيدة التي

---

(١) انظر محمد رفيق الحسيني: «الخطيب الأديب القاضي يوسف الصديقي»، بحث خاص غير منشور.

(٢) استغرقت رحلتنا إلى الأحساء وقطر والبحرين من الجمعة إلى الثلاثاء ١٩ ـ ٢٠٠٧/١/٢٤م.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نظمها الشيخ إبراهيم الجراح يرثي أخاه شيخنا العلامة محمد الجراح وكنا ننظر إليه وهو يقرأ أبياتها ويطرب لها ويستشعر ويتذوق معانيها ومطلعها:

ما كنت أحسب أن تطول حياتي حتى أراك سبقتني بمماتِ

زيارته الكويت:

أخبرنا الشيخ أنه زار الكويت في الستينيات وقرأ على الشيخ أحمد الكوهجي في النحو، وكان الشيخ الكوهجي إماماً لمسجد آل خليفة في الكويت.

* ومن أقواله التي دونتها بقلمي وهو يتحدث في مجلسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك بحضور الأخوة المشايخ فيصل العلي، رائد الرومي، ياسر المزروعي وكاتبه:

- زرت الكويت في الستينيات.
- التقيت الشيخ أحمد الكوهجي أو الفارسي في الكويت وأدركت عبد الله الكوهجي.
- رأيت الشيخ عبد العزيز العلجي مراراً، كان عالماً جليلاً.
- العلم لا يعرف له جنسية، ثم ذكر أبياتاً من نصيحة مسعود الأميري الأندلسي ينصح ابنه في العلم.
- درست في رباط الملا في أيام الصيف بالأحساء، والدوغان أكثر ما قريت على ابن عبد الله وابن عمير.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- أدركت المشايخ عبد العزيز بن حمد المبارك، ومحمد بن إبراهيم المبارك وما أدركت إبراهيم المبارك، ومكثت أدرس في الأحساء ٨ سنوات عقب الأزهر أحفظ المتون وأدرس.
- في مصر كان الشيخ محمد الخضر حسين أصله تونسي وهو شيخ الأزهر كان عالماً تغلب عليه عجمة التونسيين إذا قرأ.
- قرأت على الشيخ محمد بن عبد اللطيف في منطقة الحدْ، كان شافعياً قاضياً فاضلاً، قراءته حلوة وصوته جميل.
- القاضي الشيخ ابن مهزع كان عنده دهاء يضيع الخصم بلحظة واحدة، وعقب ابن مهزع صار القضاء: اثنان مالكية واثنان شافعية.
- قرأ الشيخ قصيدة الشيخ إبراهيم الجراح في رثاء شقيقه شيخنا محمد بن جراح وأثنى عليهما وقرأها بطريقة مؤثرة وصار يردد أبياتها.

وفاة الشيخ:

توفي الشيخ يوسف رحمه الله تعالى في الخامس من رمضان المبارك عام ١٤٣١هـ، فرحمه الله وتقبله بواسع رحمته.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٦

محمد فؤاد الزبداني

(مواليد ١٣٢٦هـ/١٩٠٦م)

هو فضيلة الشيخ الطبيب الفقيه العابد الزاهد المعمَّر شيخنا محمد فؤاد بن سليم طه الزبداني الدمشقي، من مواليد عام ١٩٠٦م، حصل على شهادة الطب البشري ولم يعمل بها، ولد في الزبداني ونشأ في دمشق.

مشايخه:

أبرز مشايخه العلامة المحدث الشيخ محمد بدر الدين بن يوسف الحسني الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قرأ عليه البخاري، ومسلم، والموطأ، والتفسير وكتب الحديث، ولازمه ملازمة تامة حوالي ٢٠ سنة إلى وفاته، كما لازم غيره من المشايخ الكبار كوالده وجده رحمهما الله تعالى، قرأ عليهما.

زيارته إلى الكويت وقصة تعرفه بالأمير الراحل سمو الشيخ صباح السالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كانت زيارته إلى الكويت في عهد سمو الشيخ صباح بن سالم بن مبارك آل صباح أمير دولة الكويت رحمه الله تعالى منذ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سنة ١٩٦٥م حتى سنة ١٩٧٧م، قال الشيخ محمد فؤاد أثناء زيارتنا له[1] في منزله في دمشق في ١٧ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ (٥/٥/ ٢٠٠٧م) في منطقة العباسيين: كنت مديراً للامتحانات في وزارة المعارف في سوريا، وكان سمو الشيخ صباح معه شهادة تحتاج إلى معادلة من الوزارة، فجاء شخص يعمل له ليصدق على الشهادة، فقمت بالواجب وقلت له أنت ضيف ولا داعي لدفع الرسوم فدفعتها أنا وخلصت الشهادة، ولم يكن فيها ما يدل على أنها مرسلة من أمير الكويت، ولم يبين المرسل أنها تخص من، ولم أكن أعرف سمو الأمير ولم أره من قبل.

تواضع الأمير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الشيخ محمد فؤاد: صارت بيننا معرفة وزارني ليشكرني، وكان يأتي كشخص عادي سائح، ولم أكن أعرف إنه أمير الكويت، واستمرت المعرفة بيننا، ولم أكن أعرف أنه الأمير كان متواضعاً بسيطاً سهلاً «الله يرحم تلك الروح».

قال الشيخ محمد فؤاد: ثم إن سمو الأمير دعاني إلى الكويت، وما زلت لم أعرف أنه أمير البلاد لتواضعه وتبسطه، ولما وصلت المطار ورأيت ما رأيت هناك عرفت أنه الأمير، فقلت له

---

(١) كانت زيارتنا له في منزله بحضور الأخوة الكرام المشايخ فيصل يوسف العلي، وليد محمد العلي، كاتب هذه السطور، عبد الله الصومالي، نور الدين طالب.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لما وصلت إلى قصره: لماذا لم تخبرني، فقال لي: «لا تزيدني الإمارة شيئاً أنا خادم للناس. . . !!!».

وقال الشيخ فؤاد طه: كان يوزع الإعانات على حوالي ٢٠٠ أسرة محتاجة في الشام. وضيفني في سكنة «قصر المسيلة» ثلاثة أيام وأحسن معاملتي وقطع التزاماته وتفرغ لي، ثم إنه عرض عليّ العمل والبقاء في الكويت فاعتذرت وشكرته، وبقي الاتصال بيننا إلى وفاته رحمه الله تعالى.

مسجد الشيخ محمد فؤاد ووصفه:

المسجد الذي يقوم فيه الشيخ العلامة عبارة عن مسجد أو مصلى قديم مساحته حوالي ٣,٥×٤ متر له غرفة علوية يرتقي لها بسلم خشبي كعادة المساجد القديمة أشبه بالزاوية.

أما وصف الشيخ محمد فؤاد فهو قد جاوز الـ١٠٧ سنوات من عمره المبارك إن شاء الله، وقور، أبيض، يضع الطاقية أشبه القلنسوة التي هي أعلى قليلاً من الطاقية، لحيته بيضاء طويلة، وليس له عوارض كثيفة، يلبس النظارات، يعلوه الوقار والسكينة والتأني في تصرفاته وكلامه، قوي الذاكرة يتحدث بوضوح وصوته جهوري مسموع، ويؤم الصلاة في المسجد، ويجلس على العقبين في التشهد الأوسط، وصلاته تامة مخففة، وتيسر لنا قراءة الأربعين العجلونية» عليه، وحوالي ١٢٠٠ حديثاً من صحيح البخاري في مسجده في حي العمارة مع الإجازة العامة والخاصة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٧

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل[١]

(مواليد ١٣٣٥هـ/١٩١٥م)

اسمه ونسبه:

هو شيخنا العلَّامة العامل الفقيه القاضي عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل آل عقيل، أبو عبد الرحمٰن العُنزي ـ نسبة إلى بلدة عُنيزة ـ يرجع أصلهم إلى المدينة المنورة، إلى السادة العقيليين، كانت ولادته في عنيزة في ١/ ٧/ ١٣٣٥هـ (١٣/ ٤/ ١٩١٧م).

طلبه للعلم ومشايخه:

نشأ في كنف والده، الوجيه الشيخ عبد العزيز العقيل، الذي يعتبر من كبار رجالات عنيزة المشهورين، ومن أدبائها وشعرائها، وهو معلمه الأول. وقد نشأ ـ بتوفيق من الله ـ في بيت علم، فإلى

---

(١) أخذت ترجمة شيخنا العلَّامة ابن عقيل من: «فتاوى ابن عقيل» له، حفظه الله، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، دار التأصيل: القاهرة، ومن «فتح الجليل» ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، دار البشائر: بيروت، للأخ الشيخ محمد زياد التكلة الدمشقي، وانظر: «الجامع للرحلة إلى ابن عقيل المشتمل على الإكليل والتكميل والتحجيل» لمؤلف هذا الكتاب، طبع دار البشائر الإسلامية ١٤٣١هـ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جانب والده الشيخ عبد العزيز، فإن أخاه الأكبر الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل وهو من حَمَلهُ لطلب العلم، وكان قاضياً لمدينة العارض في جيزان جنوبي المملكة، كما أن عمه الشيخ عبد الرحمٰن بن عقيل كان قاضياً لمدينة جيزان، فاستفاد من هذه البيئة العلمية وترعرع فيها.

درس العلوم الأولية في مدرسة الأستاذ صالح ابن صالح، ثم في مدرسة الداعية المصلح الشيخ عبد الله القرعاوي، كما استفاد من الشيخ عبد الله بن مانع، والشيخ عبد الله المطرودي، والشيخ محمد بن علي التركي، والشيخ سليمان العمري، فقرأ عليهم صحيح البخاري وزاد المستقنع ومنظومات العقيدة ومختلف الفنون.

حفظ العلَّامة شيخنا ابن عقيل القرآن الكريم، وعدداً من المتون مثل عمدة الحديث، ومتن زاد المستقنع، وألفية ابن مالك في النحو، وغير ذلك.

وبعد اجتيازه لهذه المرحلة بتفوق التحق بحلقات عنيزة وعلامة القصيم والجزيرة في وقته الشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحضر حلقات الدرس التي كان يديرها.

وقد لازمه ملازمة تامة، فتعلم عليه القرآن الكريم، والتفسير، والتوحيد، والحديث، والفقه، واللغة، واستفاد منه كثيراً، وتأثر بسلوكه وسمته.

كما استفاد من مشايخ عنيزة الموجودين آنذاك مثل:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشيخ المحدث المعمّر علي بن ناصر أبو وادي (ت١٣٦١هـ) فقرأ عليه: الصحيحين، والسنن، ومسند أحمد، ومشكاة المصابيح، وأخذ عنه الإجازة بها بسنده العالي عن شيخه محدث الهند نذير حسين (ت١٣٢٠هـ) حين ارتحل إليه عام ١٢٩٩هـ.

وفي الوقت الذي عمل فيه الشيخ عبد الله قاضياً في مدينة الرياض لم يأل جهداً في الاستفادة من سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، فلازمه واستفاد منه علمياً وانضم إلى حلقاته التي كان يعقدها في فنون العلم المتعددة، كما استفاد منه أثناء العمل معه في دار الإفتاء لمدة خمسة عشر عاماً.

ولقد استفاد من العلماء الأجلاء الذين وفدوا على مدينة الرياض للتدريس في كليات الشريعة، أمثال العلامة محمد الأمين الشنقيطي، صاحب «أضواء البيان» المتوفى ١٣٩٣هـ، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، المتوفى ١٤١٥هـ وغيرهما.

الوظائف التي تقلدها:

كان لتوفيق الله له ثم لقوة عزمه وجده واجتهاده وتحمله للمسؤولية أن اختير في مطلع شبابه عام ١٣٥٣هـ ـ كان عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً ـ مع المشايخ الذين أمر الملك عبد العزيز بابتعاثهم قضاة ومرشدين إلى منطقة جيزان، فكان نصيب الشيخ عبد الله مع عمه الشيخ عبد الرحمٰن بن عقيل قاضي جازان أن عمل ملازماً وكاتباً، مع ما كان يقوم به من الإمامة، والخطابة، والحسبة، والوعظ، والتدريس.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي تلك الفترة وأثناء مكوثه في جازان خرج مع الهيئة التي قامت بتحديد الحدود بين المملكة واليمن، حيث ظلت تتجول بين الحدود والقبائل الحدودية بضعة أشهر من سنة ١٣٥٥هـ.

وفي عام ١٣٥٧هـ رجع الشيخ إلى بلدته عنيزة، ولازم شيخه العلامة ابن سعدي مرة أخرى بحضور دروسه ومحاضراته حتى عام ١٣٥٨هـ، حيث جاءت برقية من الملك عبد العزيز لأمير عنيزة بتعيين الشيخ عبد الله لرئاسة محكمة جازان خلفاً لعمه عبد الرحمٰن، فاعتذر الشيخ عن ذلك، فلم يُقبل عذره، فاقترح الشيخ على الشيخ عمر بن سليم التوسط بنقل الشيخ محمد بن عبد الله التويجري من أبي عريش إلى جازان، ويكون هو في «أبو عريش»، فهي أصغر حجماً وأخفّ عملاً، فراقت الفكرة للشيخ عمر بن سليم، فكتب إلى الملك عبد العزيز الذي أصدر أوامرهُ بذلك، ومن ثم سافر الشيخ إلى «أبو عريش» مباشراً عمله الجديد في محكمتها مع القيام بالتدريس والوعظ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ذلك في رمضان من سنة ١٣٥٨هـ.

وفي سنة ١٣٥٩هـ نقل الشيخ إلى محكمة «فَرَسَان»، لكنه لم يمكث طويلاً فما لبث أن أعيد إلى محكمة «أبو عريش» مرة أخرى ليمكث قاضياً لمدة خمس سنوات متتالية.

وفي رمضان سنة ١٣٦٥هـ نقل الشيخ بأمر من الملك عبد العزيز على محكمة الخرج، وذلك باقتراح من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ولم يدم مكوث الشيخ عبد الله في محكمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخرج إلَّا قرابة السنة حيث تم نقله إلى المحكمة الكبرى في الرياض، وقد كان ذلك في شوال سنة ١٣٦٦هـ.

ظل الشيخ قاضياً في الرياض حتى سنة ١٣٧٠هـ إلى أن أمر الملك عبد العزيز بنقله قاضياً لعنيزة مسقط رأسه ومقرّ شيخه العلامة عبد الرحمٰن بن سعدي، حيث لم يمنعه منصبه وموقعه ـ وهو قاضي عنيزة ـ من متابعة دروسه العلمية والاستفادة من شيخه أثناء مكوثه في عنيزة، وقد أشرف خلال هذه الفترة على إنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مدينة عنيزة.

وقد ظل الشيخ قاضياً لعنيزة حتى سنة ١٣٧٥هـ. وفي تلك الأثناء افتتحت دار الإفتاء في الرياض برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعين الشيخ عبد الله بن عقيل عضواً فيها بأمر الملك سعود، وباشر عمله في رمضان ١٣٧٥هـ.

وأثناء عمل الشيخ عبد الله في دار الإفتاء أصدر مجموعة من العلماء برئاسة سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ صحيفة إسلامية سميت بـ«الدعوة»، وكان فيها صفحة للفتاوى، تولى الإجابة عليها أول أمرها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم وكل للشيخ عبد الله بن عقيل تحريرها، والإجابة على الفتاوى التي ترد من القراء، وهي التي نتج عنها مجلدان حافلان فيهما فتاوى العلامة ابن عقيل.

وبعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رئيس القضاة ـ أمر الملك فيصل بتشكيل لجنة للنظر في المعاملات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الموجودة في مكتبه كرئيس للقضاة، فترأس الشيخ عبد الله بن عقيل تلك اللجنة، التي سُميت اللجنة العلمية، وقد ضمت في عضويتها كلا من الشيخ محمد بن عودة، والشيخ راشد بن خنين، والشيخ عبد الله بن منيع، والشيخ عمر المترك.

وما إن أنهت اللجنة أعمالها حتى انتقل الشيخ ابن عقيل في عام ١٣٩١هـ بأمر الملك فيصل إلى عضوية هيئة التمييز، بمعية كل من الشيخ محمد بن جبير، والشيخ محمد البواردي، والشيخ صالح بن غصون، والشيخ محمد بن سليم، ورئيسهم الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد.

في عام ١٣٩٢هـ تشكلت الهيئة القضائية العليا برئاسة الشيخ محمد الحركان، حيث تعين فيها الشيخ عبد الله عضواً، إضافة على عضويته في الهيئة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى، وذلك في أواخر عام ١٣٩٢هـ، ثم عُين رئيساً للهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى إثر انتقال الشيخ محمد الحركان إلى «رابطة العالم الإسلامي» وتعيين الشيخ عبد الله بن حميد خلفاً له في رئاسة المجلس، كما كان الشيخ عبد الله بن عقيل يترأس المجلس الأعلى للقضاء نيابة عن الشيخ عبد الله بن حميد أيام انتدابه، وأيام سفره للعلاج، وبعد وفاته إلى حين تعيين رئيس جديد.

وقد اختير الشيخ عبد الله بن عقيل لعضوية مجلس الأوقاف الأعلى أبان إنشائه في سنة ١٣٨٧هـ، واستمر في عضويته إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جانب أعماله التي تقلدها حتى بلغ السن النظامي للتقاعد في سنة ١٤٠٥هـ.

عمله بعد التقاعد:

لم يكن تقاعده تقاعداً كلياً عن الأعمال، فالشيخ ابن عقيل كان يترأس إلى عهد قريب الهيئة الشرعية التي أنشئت للنظر في معاملات شركة الراجحي المصرفية للاستثمار مع ثلة كريمة من العلماء، وتولى أمانة هذه اللجنة ابنه الشيخ عبد الرحمٰن ابن الشيخ عبد الله بن عقيل وفقه الله تعالى لكل خير.

كما أنه لم يتوقف منذ تقاعده، عن توصيل العلم، فمجلسه العامر في منزله الكريم لا يخلو من الخير، فلا تكاد تجده إلا وهو يعلِّم، أو يفتي، أو يفك عبارة مستغلقة لطلبة العلم، أو يردّ على الهاتف ليشفي بفتواه حاجة المستفتين، أو يكتب مقدمة لرسالة علمية أو يصحح متناً، أو يجيز متعطشاً مستجيزاً من بحر علمه، كل ذلك مع حسن استقبال للوافدين عليه، وكرم ضيافة فاق الوصف شكر الله تعالى له.

زيارته للكويت:

زار الكويت أكثر من مرة بدعوة رسمية من وزارة الأوقاف الكويتية بمتابعة خاصة من تلميذه الشيخ فيصل يوسف العلي المدير في الوزارة، وكانت زيارته عام ١٤٢٦هـ حيث قرئ عليه عدد من الرسائل العلمية، وكانت زيارته الثانية عام ١٤٢٨هـ بدعوة رسمية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من وزارة الأوقاف أيضاً، وقرئ عليه «ثلاثيات مسند الإمام أحمد»، و«أخصر المختصرات»، كما قرئ عليه أيضاً «الأربعون في فضل المساجد وعمارتها» بأسانيده وكذلك «النوافح المسكية» وغير ذلك، ولا زال طلبته ومحبوه يرتحلون إليه ليقرأوا عليه ويستزيدوا من علمه.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٨

أحمد بن علي السورتي

(مواليد ١٣٣٦هـ/١٩١٦م)

هو الشيخ المسند المعمر أحمد بن علي بن محمد اللاجبوري السورتي، ولد في الهند في لاجبور عام ١٣٣٦هـ، يستوطن حالياً بريطانيا في مدينة لستر قرب العاصمة لندن ويتردد على موطنه الهند، وبلدان العالم الإسلامي.

طلبه للعلم:

درس الابتدائية في المدارس الإسلامية في لاجبور الابتدائية، والمتوسطة على والده في مدرسة الأسرة في بلدة سَوْرَت، ثم دخل الجامعة الإسلامية في دابهيل وتخرج فيها عام ١٣٦٠هـ.

قرأ البخاري والموطأ برواية محمد الشيباني ويحيى بن يحيى الليثي على عبد الرحمٰن الأمروهي، كما قرأ الترمذي على بدر عالم الميرتهي، وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه على محمد يوسف البنوري.

زيارته للكويت:

كانت أول زيارة لشيخنا أحمد السورتي إلى الكويت في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفترة من ٣٠ جمادي الأولى ١٤٣١هـ إلى ٧ جمادي الآخرة ١٤٣١هـ، (١٤ ـ ٢١/ ٥/ ٢٠١٠م)، حيث قرئ عليه صحيح البخاري مع جمع من المشايخ ممن جاء ذكرهم في كتابنا هذا، كالشيخ محمد إسرائيل، الشيخ عبد الوكيل الهاشمي، والشيخ ثناء الله المدني، والشيخ صبحي السامرائي وغيرهم في مسجد الدولة الكبير في الكويت، كما قرئ عليه الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني ويحيى الليثي. والشيخ السورتي حفظه الله جاوز الـ٩٥ من عمره، وكان لله الحمد جَلْداً متماسكاً أثناء السماع عليه، أمد الله في عمره بخير وعافية.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٩

عبد الهادي التازي

(مواليد ١٣٤١هـ/١٩٢١م)

هو الأستاذ المؤرخ الأديب الدكتور عبد الهادي التازي، من المغرب، ومن مواليد مدينة فاس سنة ١٩٢١م.

تدرجه العلمي:

نال شهادة العالمية من جامعة القرويين عام ١٩٤٧م وعُين أستاذاً بها، كما حصل عام ١٩٥٣م على شهادة معهد الدراسات المغربية.

وفي عام ١٩٦٣م حصل على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط، وشهادة في اللغة الإنجليزية من معهد اللغات ببغداد سنة ١٩٦٦م، وفي عام ١٩٧١م حصل على الدكتوراه من جامعة الإسكندرية وكانت أطروحته عن «جامعة القرويين».

الوظائف التي تقلدها وعضويته العلمية:

يعتبر الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي من الشخصيات الثقافية ذات الطابع العالمي، فهو عضو في مجمع اللغة العربية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالقاهرة، ومجمع اللغة العربية بدمشق، والمجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية بالأردن.

وقد عمل الدكتور التازي سفيراً للمملكة المغربية لدى عدد من الدول منها على سبيل المثال الإمارات، وليبيا، وإيران..

أعماله العلمية:

له أعمال علمية في تخصصه فمنها: آداب لامية العرب للشنفرىٰ، تفسير سورة النور، جامع القرويين المسجد الجامع بمدينة فاس، أوقاف المغاربة بالقدس، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية، **الكويت قبل ربع قرن**.

وله في مجال التحقيق:

«النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة» لابن أبي الرجال، «الفريد في تقييد الشريد» لأبي القاسم الفجيجي.

كما أن له ترجمات عن بعض اللغات خاصة الفرنسية

زيارته للكويت:

لعل من أبرز زياراته للكويت أنه كان ضيفاً على مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام ٢٠٠٦م للاستشارات في مجال التقييم العلمي لأعمال المتقدمين، كما أنه بحكم عضويته بمجامع اللغة العربية والآداب عموماً والعمل الدبلوماسي، فقد زار الكويت وألف الكتاب المذكور عنها قبل ٢٥ سنة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقول الدكتور التازي في مقابلته مع مجلة «الوعي الإسلامي[1]» الكويتية:

. . . إن أول رحلة لي إلى المشرق العربي هي الرحلة التي قمت بها إلى الكويت التي استضافت أعضاء مؤتمر الأدباء العرب الرابع على أراضيها فهناك في الكويت تعرفت على أكبر عدد من الأدباء والشعراء والمؤرخين. . .»، كان ذلك عام ١٩٥٨م.

ويقول:

«كنت سفيراً لدى دولة العراق. . . هناك كنت أجد في الوقت ما يساعدني على القفزات إلى الكويت، حيث كنت أجد في إخواني وأخواتي هناك ما يساعدني على فهم الدنيا أكثر. . . فعلاً كانت الكويت بالنسبة لي نافذة نافعة، كنت أعتبر المقام بها نزهة متصلة ليس هذا شعوري وحدي ولكنه شعور أم سعد وأبنائي سعد وبدر وسلوى».

. . ويقول عن كتابه الذي ألفه عن الكويت: «جاء تعبيراً صادقاً عن الهمم العظيمة التي يتمتع بها قادة الكويت الذي دفعوا بلادهم إلى المناطات العليا. .»[2].

---

(١) مجلة «الوعي الإسلامي» العدد (٥٤٥)، محرم ١٤٣٢هـ/ ديسمبر ٢٠١٠م، ص١٠، وقد نوه عن ذلك رئيس التحرير الشيخ فيصل يوسف العلي.

(٢) ومن أبرز أعماله: تحقيق رحلة ابن بطوطة «تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ـ سلسلة التراث، وقد استوفى المحقق د. عبد الهادي التازي ٣٠ مخطوطاً للكتاب في مستهل تحقيقه له.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦٠

محمد الحبيب بلخوجة

(مواليد ١٣٤٢هـ/١٩٢٢م)

هو العلامة الفقيه مفتي تونس من عام ١٩٧٦م إلى عام ١٩٨٤م، الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة.

مولده:

ولد عام ١٩٢٢م بتونس، وتدرج في طلب العلم على عادة أهل عصره، ثم التحق بكلية الشريعة بالجامعة الزيتونية ونال الشهادة عام ١٩٤٦م، ثم الدكتوراه في الآداب العربية من جامعة السربون عام ١٩٦٤م.

عمله ومؤلفاته:

بدأ عمله مدرساً بالجامعة الزيتونية عام ١٩٥١م، ثم تدرج إلى أن وصل إلى درجة أستاذ للشريعة والدراسات القرآنية بكلية الشريعة بالجامعة الزيتونية من عام ١٩٧٠م إلى عام ١٩٧٦م، ثم عُين مفتياً للديار التونسية من عام ١٩٧٦م إلى عام ١٩٨٤م.

وفي العام ١٩٨٤م اختير أميناً عاماً لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، كما أن له مؤلفات منها: تحقيق الرحلة العلمية: «ملء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العيبة» لابن رشيد، تحقيق: «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»، «كتاب مواقف الإسلام» وغيرها.

مشاركته في المؤتمرات الإقليمية والعالمية:

والشيخ بلخوجة له مشاركات في المؤتمرات العلمية والإسلامية بحكم عمله، فقد حضر مؤتمرات القمة في مكة المكرمة، ومؤتمر الفقه الإسلامي الأول بالرياض، ومؤتمر السنة والسيرة النبوية بقطر، ومؤتمرات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومؤتمر بيت المال الكويتي الإسلامي.

زيارته الكويت:

حضر الشيخ بلخوجة الكويت مراراً بحكم عمله وعضويته في مجمع الفقه الإسلامي، وفي إحدى زياراته المتعددة التي منها بتاريخ ١٠، ١١ محرم ١٤٢٢هـ في مؤتمر الزكاة الذي عقد في الكويت تحت مظلة المجمع الفقهي الإسلامي، تيسر لنا مقابلة الشيخ بلخوجة وحصلنا على الإجازة منه مع الإخوة المشايخ فيصل يوسف العلي، وياسر المزروعي، وكاتب هذه السطور.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦١

محمد المختار السلامي

(مواليد ١٣٤٥هـ/١٩٢٥م)

هو العالم الفقيه الشيخ محمد المختار بن أحمد السلامي، ولد بمدينة صفاقس التونسية عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٥م) وسعى في طلب العلم مبكراً على عادة أهل عصره.

طلبه للعلم وتدرجه فيه:

حفظ القرآن الكريم بالمدرسة الابتدائية، ثم حصل على شهادة الكلية الزيتونية، ثم الشهادة العالمية في أصول الدين.

مارس التدريس بالمرحلة الثانوية بالكلية الزيتونية بعد تأهله لها، ثم في المعاهد الثانوية، ثم صار يدرس في الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين تخصص الدراسات القرآنية، والفقه وقواعد التشريع.

الوظائف التي شغلها:

إضافة إلى تدريسه للشريعة وأصول الدين في الكلية الزيتونية، صار عضواً بمجمع الفقه الإسلامي بجدة، ورئيساً للهيئة العالمية الشرعية للزكاة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المفتي العام لبلاده:

ثم إنه صار مفتياً لبلاده ورئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى فيها.

زيارته للكويت:

بحكم عضويته بمجمع الفقه الإسلامي ورئيساً للهيئة العالمية الشرعية للزكاة الذي يعقد في بلاد المسلمين فقد تيسر لنا مقابلته في إحدى زياراته المتكررة للكويت، ومنها في محرم ١٤٢٢هـ أثناء انعقاد مؤتمر الزكاة في الكويت.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٦٢

زهير الشاويش

(مواليد ١٣٤٢هـ/١٩٢٢م)

هو شيخنا أبو بكر محمد زهير بن مصطفى الشاويش الحسيني، والدمشقي الميداني، البيروتي ثم الحازمي، من مواليد ١٩٢٢م (حوالي ١٣٤٢هـ).

قرأ على جمع كبير من العلماء[١] منهم، الشيخ صلاح الدين الزعيم، والشيخ سعدي الصباغ البيروتي، والشيخ حسين حمد المدني مرجع أسانيد الهند، والشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي، والعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع القصيمي ثم القطري، والشيخ محمد جميل الشطي الحنبلي، والشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر الإحسائي، والعلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر المصري، والشيخ محمد الحامد، وغيرهم رحمهم الله.

---

(١) نقلاً عن إجازته التي تيسرت لنا عند زيارتنا له في شهر ٦ عام ٢٠٠٥م، ولحقتها زيارة أخرى عام ٢٠١٠م شهر يناير، مع الأخ الشيخ فيصل العلي والأخ الشيخ محمد زياد التكلة حيث قرأنا عليه كتاب «التوحيد» و«الطحاوية» وكثيراً من الرسائل والأجزاء الحديثية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته للكويت:

يقول الشيخ زهير زرت الكويت وقابلت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ عبد العزيز قاسم حمادة، كما التقى عبد العزيز العلي العبد الوهاب، والشيخ عبد الله العلي العبد الوهاب وغيرهم.

مختارات من أقوال الشيخ زهير:

من خلال زيارتنا للشيخ زهير الشاويش سجلت فوائد وحوادث على لسانه، حفظه الله، نختار منها ما يلي:

- لا يوجد لـ«منار السبيل» إلا نسخة مخطوطة واحدة أرسلها المؤلف وهو تلميذ ابن مانع وهو أرسلها إلى درويش فخرو وسلمني إياها وطبعت عليها الكتاب، فلما انتهى الكتاب أراد ابن مانع أن يعيدها إلى ورثة مؤلفها صارت عند بيت الدرويش في قطر عند جاسم بن درويش، واختلف أبناؤه فلم ترجع المخطوطة!
- كلفت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أن يضع لها تخريجاً واشتغل فيه ٨ سنوات وسماه «إرواء الغليل»، وقد قام بعض السارقين فسرقوا تخريجاته وربما رأى أحياناً رأياً غير ما ذكر في بعض المواضع.
- أعطانا الشيخ طبعة جديدة لمنار السبيل بعنوان «منار السبيل وحاشية الأنوار على منار السبيل من إرواء الغليل»، ويحسن النظر إلى مقدمة الشيخ زهير يتحدث فيها عن ملابسات الطبعة والسرقات.. إلخ!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- من العلماء الذين رأيتهم العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ المرزوقي وكان إماماً للحرم، والشيخ عبد الملك بن إبراهيم، والعلامة عبد الرحمٰن السعدي رأيته في حجتي الأولى ونزلت فيها عند الوجيه محمد نصيف لأنه كان يزورني في الشام مع الشيخ بهجت وأكرمني بالنزول عنده.

- في أحد الأيام طرق عليّ الشيخ نصيف الباب وقال لي: اليوم لا تروح السوق، عندي مشايخ القصيم يحبون أن يجتمعوا بك، وهناك رأيت الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي لحيته سوداء على بياض مهذب في غاية اللطف والتهذيب، وسألني عن الشيخ ابن بدران الذي قد مات بعد مولدي بسنة.

- أظن أنني لما قابلت الشيخ العلامة ابن سعدي كان تلميذه الشيخ ابن عثيمين معه حينذاك.

- العلامة الشيخ عبد الله العقيل تعين بوظائف توجب عليه الاجتماع بالناس وتوجب على الناس الاجتماع به، وهو شيخنا في معرفة الرجال، زارني في الشام وزرته في بيته وأكرمني، وكاتبني بالإجازة.

* وفي زيارتنا الأخيرة في صفر ١٤٣١هـ (يناير ٢٠١٠م) ذكر شيخنا جملة من الأقوال نذكر منها:

- قرأت كتاب التوحيد على العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع لما جاء إلى قطر بدلاً من آل محمود.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- طباعة كتاب التوحيد أخذت مني ٣ سنوات وكان بيدي نسخة مهذبة لا أذكرها الآن.

- كان الشيخ ناصر الألباني يضعف ابن أبي ليلى ثم إنه بالأخير قواه.

- قوله في الحديث: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله».. أي: ما قبله من الذنوب لا من الخيرات بدليل حديث عمر عندما نذر في الجاهلية أن يعتكف فقال له رسول الله ﷺ: **«أوف بنذرك»**.

- العلامة أحمد عبد الدايم أكبر شيوخ ابن تيمية وقبره خلف الصالحية وراء المهاجرين وليس كما يعتقدون اليوم.

- قاتلت في فلسطين عام ١٩٤٨م، وقبلها قاتلت فرنسا في الشام مع عبد القادر الحسيني.

- شيخ الإسلام ابن تيمية كان يحفظ الطبراني، فهو محدث إمام.

- أبي وجدي تاجرا بالخيول والجمال وعبرا الجزيرة إلى الشامية ومررنا بمدينة راوه، كانوا يكرموننا ومعنا ١٠ ـ ٢٠ من الجمالة منهم عبد الجبار باشا الراوي، وإبراهيم الراوي.

- دخلت في الحنبلية منذ صغري، وكان والدي يشتغل بتجارة الخيل يعرف ذلك أهل الميدان، ونحن بالأصل شافعية، وذلك بمطالعتي لكتب الإمام أحمد ورسائل ابن تيمية.

- القدرية ظهروا منذ عهد الصحابة، أما الشيعة فظهروا بعد ذلك.

- ما شهدت أكرم من شيخي بهجت البيطار.

- قراءتي على الشيخ العلامة ابن مانع. أحياناً ينام لكنه يعقل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويصحح الخطأ فهو «نائم قاعد»، ويقول إذا أخذته غفوة: وين صرنا يا زهير..؟!

- لنا غرفة خاصة نقرأ فيها على الشيخ ابن مانع خصصها لنا الشيخ علي بن ثاني.

- الشيخ ابن مانع أعلم الناس بكتب الحنابلة.

- أدركت العلامة ابن مانع وكان حينها كبيراً، وتوفي عن ٨٤ سنة.

- كان الشيخ ابن مانع يقول: أبنائي أربعة فنقول ربما خرّف، فيقول: ابني فلان وفلان وفلان، ثم يقول: وزهيرا!.

- في الحج كنا نزور الشيخ علي الطنطاوي أنا والشيخ خالد مفتي لبنان رحمه الله، فيقول للشيخ حسن خالد: أنت تلميذي، وهذا ابني، يعني الشيخ زهيراً.

- صحيح البخاري أول قراءة لي بمفردي على الشيخ صلاح الدين الزعيم، وكان لا يقرأ إلا وبيده مخطوط، وكان يكرمني ويزورني.

- قرأنا «الروضة الندية» للعلامة صديق حسن خان والحضور كثيرون منهم عبد الرحمٰن الباني، ونديم ضبيان.

- كعب الأحبار حسن إسلامه وحُسّنت أكثر رواياته.

- الأوزاعي نسبة إلى قطعة في دمشق سميت أوزاع تقع شرق الجامع الأموي، والإمام الأوزاعي دفن في لبنان في قرية حنتوس.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- الخز خشن الحرير، يستخرج الخشن ثم الناعم.
- مقابر الشام لا تحفر فهي مبنية من الحجر والآجر مدخلها قبر ومن وراءها تسمى هاشمة.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦٣

محمد كريّم راجح

(مواليد ١٣٤٤هـ/١٩٢٤م)

هو شيخنا شيخ قراء الشام، فضيلة الشيخ القارئ المقرئ المفسر الفقيه الأديب محمد كريم بن سعيد بن كريم راجح، ولد في الميدان عام ١٣٤٤هـ في دمشق.

طلبه للعلم:

اعتنت به والدته مبكراً فقد كانت تعلم القرآن للصغار فعلمته القرآن صغيراً ثم ألحقته بالمدارس النظامية عند الشيخ ياسين الزرزور أخوها من الرضاعة وابن خالها، فتعلم القرآن والكتابة والإملاء والحساب مبكراً.

واصل تعليمه وحصل على الثانوية، وتأهل لدخول كلية الشريعة التي حصل منها على الإجازة، ثم درس دبلوم التربية، وعين في وزارة الأوقاف للتدريس.

حفظه للقرآن ومتون العلم:

حفظ القرآن الكريم في سنة واحدة بعد أن اتصل بالشيخ حسين خطاب بمتابعة من والدته، ثم إنه حفظ متون الفقه، وحفظ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الألفية لابن مالك في النحو والصرف، وقد شهدنا ذلك إذا جلسنا إليه فيستشهد بأبيات ابن مالك بسهولة ويأتي بالشواهد.

كما بدأ بجمع القراءات مع الشيخ حسين خطاب عند الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ القراءة حينذاك، وأتم جمع القراءات العشر مع الشيخ حسين خطاب عند الشيخ أحمد الحلواني الذي آلت إليه مشيخة القراء فجمع عليه القراءات العشر، والعشر الصغرى من طريق الشاطبية والدرة، وأتمها في مدة وجيزة.

أبرز مشايخه:

تلقى القراءات على أبرز المشايخ والعلماء كالشيخ سليم الحلواني وولده الشيخ أحمد الحلواني من طريق الشاطبية والدرة، ثم تلقى القراءات العشر عن طريق الطيبة من الشيخ عبد القادر قويدر، ومن مشايخه الشيخ حسن حبنكة.

مشيخة الإقراء في الشام:

آلت إلى الشيخ كريم عام ١٤٠٨هـ بعد وفاة الشيخ حسين خطاب رسمياً ووافقت وزارة الأوقاف على ذلك، ثم إن الشيخ له زيارات إلى دول العالم الإسلامي والعربي بدعوات رسمية للاستفادة من خبراته كما أن له مؤلفات أبرزها: «اختصاره لتفسير بن كثير»، كما اختصر «تفسير القرطبي»، وله تفسير «قبس من القرآن»» على طريق السلف ومعتقد أهل السنة والجماعة، تيسر لنا سماعه عليه كاملاً مع الإجازة به وبغيره كالشاطبية والجزرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومتن أبي شجاع وغيرها، وله كذلك شعر حسن في المناسبات وفي منادمة الأخوة والأصحاب.

زيارته الكويت:

زار شيخنا كريم راجح الكويت مرات عديدة، وكانت زياراته رسمية ومطوله إلى أسبوع وعشرة أيام يقدم دروسه في مساجد الدولة، كما استعين به للتحكيم في جوائز حفظ وتجويد القرآن الكريم. وقد زار الكويت عام ١٤٢٦هـ، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١هـ حفظه الله ونفع بعلمه، وتيسر لنا سماع تفسيره كاملاً عليه في أحد عشر مجلساً المسمى «قبس من القرآن»، وقد أجازنا به بتاريخ ١٣محرم ١٤٣١هـ في الكويت.

تلطفه مع طلبته:

يمتاز الشيخ الحافظ كريم راجح، حفظه الله، بحسن العشرة والتلطف إلى جلسائه ولا تغادر الابتسامة مجلسه، ففي فترات الفراغ قبل وأثناء الدرس يلقي الشيخ طرائف وملح ترطب المجلس وتقرب الشيخ من طلبته كل ذلك مع سمت ووقار لا يخرجه عن المألوف، مع فصاحة وحسن تمثل واستشهاد بشواهد المنظومات العلمية والشعر العربي والنثر والأمثال.

زيارتنا له في مسكنه ومنتجعه في الشام:

تيسر لنا زيارة شيخنا كريم في الشام وزرناه في مسكنه في الميدان، وصلينا خلفه الجمعة في مسجده في دمشق، كما أنه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تلطف ودعانا إلى مضيفه في مسكنه في الزبداني المشرف على مناظر خلابة وتناولنا على مائدته طعام الغداء ودار بيننا حديث وطرف لا تنسى حفظه الله تعالى، في مايو ٢٠٠٧م.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦٤

محمد عبد الله السبيِّل

(مواليد ١٣٤٥هـ/١٩٢٥م)

هو العلامة الفقيه الإمام محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل عثمان الملقب «السبيل».

ولادته:

ولد بمدينة البكيرية إحدى مدن منطقة القصيم في عام ١٣٤٥هـ.

طلبه للعلم ومشايخه:

حفظ القرآن الكريم على والده، وعلى الشيخ عبد الرحمٰن الكريدس، كما قرأه في مكة العلامة السلفي الشيخ سعدي ياسين، عضو رابطة العالم الإسلامي ولديه منه إجازة في القراءة.

كما دَرَسَ العلوم الشرعية والعربية في الحلقات العلمية في المساجد على علماء بلده، ومنهم:

ـ قاضي البكيرية فضيلة الشيخ محمد بن مقبل، وشقيقه فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن سبيل قاضي البكيرية ثم المدرس بالمسجد الحرام، ثم انتقل إلى بريدة وأخذ العلم عن سماحة الشيخ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عبد الله بن محمد بن حميد حينما كان رئيساً لمحاكم القصيم، كما قرأ في مكة المكرمة على المحدثين الشيخ عبد الحق الهاشمي، والشيخ أبي سعيد عبد الله الهندي، ولديه منهما إجازة في الحديث، كما إنه شرفنا بالإجازة المختومة بتوقيعه، مع إجازة بالمُدّ النبوي، مع الإخوة المشايخ فيصل العلي وياسر المزروعي ومحمد العجمي.

الوظائف التي تقلدها:

دَرّسَ في وزارة المعارف والمعاهد العلمية ما يقارب عشرين عاماً، ثم عُينَ إماماً وخطيباً في المسجد الحرام ورئيساً للمدرسين والمراقبين فيه عام ١٣٨٥هـ، ثم عُين نائباً لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام ١٣٩٠هـ، واستمر في تشكيلها الجديد باسم الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي حتى عُينَ رئيساً لها عام ١٤١١هـ.

ثم صار عضواً في المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي منذ إنشائه وعضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

ويقوم بتدريس بعض العلوم الشرعية والعربية بالمسجد الحرام منذ عين إماماً فيه، ويمتاز الشيخ بوضوح شرحه ودقته وحسن استدلاله، كما أنه يجيب على أسئلة المستمعين في برنامج نور على الدرب وغيره، كما أن له ختمة تذاع في إذاعة القرآن كل حين.

وقد قام بجولات للدعوة والإرشاد في كثير من دول العالم الإسلامي وغيرها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وشارك في عدة مؤتمرات في الداخل والخارج.

مؤلفاته:

له من المؤلفات:

١ ـ ديوان خطب صدر منه جزآن وتحت الطبع جزآن.

٢ ـ الخط المشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف ومدى مشروعيته، وله منسك مختصر في الحج.

٣ ـ رسالة في حد السرقة.

٤ ـ رسالة بعنوان الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية.

٥ ـ رسالة في القاديانية.

٦ ـ وديوان شعر.

زيارته للكويت:

زار الشيخ محمد السبيل الكويت في المؤتمرات ذات الطابع الإسلامي بمجمع الفقه الإسلامي، والهيئة الخيرية والندوات التي تعقدها وزارة الأوقاف وبصفته عضواً في المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي الذي عقد كثيراً من اجتماعاته في الكويت إضافة إلى جولاته الدعوية.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦٥

غلام الله رحمتي قندوزي

(مواليد ١٣٤٥هـ/١٩٢٥م)

هو العلامة الفهامة المحدث المفسر غلام الله رحمتي قندوزي البشاوري، ولد في أفغانستان عام ١٣٤٥هـ.

طلبه للعلم:

ارتحل الشيخ في طلب العلم فسافر إلى باكستان، ثم رجع بعد تحصيله العلمي إلى بلاده، وقد وهبه الله تعالى ذكاءً وفهماً وهمةً عاليةً فأكب على الحديث والتفسير واشتهر بالتوحيد والسنة وحورب من قبل المبتدعين.

محاربته لأهل البدع وما لاقاه من أذى منهم:

حورب من قبل أهل البدع في سبيل نشر التوحيد والسنة ووشي به عند السلطات فحبس مراراً وأوذي وضرب وشتم حتى أنه أودع السجن بسبب سعي علماء البدع مراراً في أذيته، وكان جملة ما مكثه في السجن يقرب من العشر سنوات في أوقات متقطعة.

وكان من كبار المجاهدين ضد الغزاة الروس في سبيل الله ولا نزكي على الله أحداً، وأسس «منظمة المسلمون» في ابتداء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجهاد فكان نائباً للشيخ جميل الرحمٰن رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤسس جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة.

المناصب التي تقلدها وإنشاؤه للمدارس العلمية:

عمل رئيساً للدعوة والإرشاد لجماعة الدعوة، وتولى رئاسة التعليم لجماعة الدعوة ورئيساً لقسم الإفتاء فيها، وشغل منصب رئيس المدرسين بالجامعة الأثرية ومشيخة الحديث فيها.

كما أنه يشرف على الدعاة التابعين لوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بمكتب الدعوة بإسلام آباد.

كما أسس مدرسة دار القرآن والحديث السلفية في بشاور وهو مديرها الحالي وشيخ الحديث فيها مع قيامه بتدريس الكتب الستة وتفسير القرآن.

يمتاز الشيخ غلام الله بحسن المتابعة في القراءة ويمتاز بدقة الفهم وسرعة الإجابة إذا ما سئل عن إشكال لغوي أو نصي أثناء القراءة، فتجده يجيب بسهولة ويسر ويشعر السامع لبعض كلامه أنه واسع المعرفة والحفظ والفهم، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بعلمه وسمته.

زيارته الكويت:

زار الكويت أكثر من مرة وكلها لإقراء كتب السنة، فمنها أنه قرئ عليه صحيح البخاري مع مشايخ آخرين هم الشيخ محمد إسرائيل، والشيخ محمد قاسم الوشلي، وذلك في ذي القعدة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٤٣٠هـ، وزيارته الثانية كانت في ٢٦ شوال ١٤٣١هـ إلى الثاني من ذي القعدة ١٤٣١هـ، حيث قرئ عليه صحيح مسلم مع الشيخ صبحي السامرائي والشيخ أحمد السورتي والشيخ محمد إسرائيل، والشيخ عبد الوكيل الهاشمي، والشيخ عبد الله بن عمر الأهدل، والشيخ محمد قاسم الوشلي، والشيخ محمد الأنصاري والشيخ ثناء الله بن عيسى.

كما تيسر قراءة الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن الحسن الشيباني عليه مع الشيخين أحمد بن علي السورتي، والشيخ صبحي السامرائي في ذي القعدة ١٤٣١هـ، بمتابعة خاصة من الأخ الشيخ فيصل بن يوسف العلي وفقه الله.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦٦

محمد أديب الصالح[١]

(مواليد ١٣٤٦هـ/١٩٢٦م)

هو فضيلة الشيخ الفقيه الأصولي د. محمد أديب الصالح، ولد عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٦)، في مدينة قطنا جنوب دمشق ثم انتقل إلى الميدان.

طلبه للعلم وتدرجه فيه:

بدأ تعليمه في مدارس مدينته قطنا الابتدائية، ثم انتقل إلى دمشق حيث أحرز الكفاءة العامة ثم شهادة الكلية الشرعية ثم حصل على الثانوية الشرعية مع الثانوية، العامة عام ١٩٤٦م.

بذلك صار مهيئاً للدراسة الجامعية فسجل في كلية الحقوق بجامعة دمشق، لكنه حصل على بعثة للأزهر عام ١٩٤٧م فالتحق بكلية أصول الدين فكان لقوة همته وذكائه أنه يقدم اختبارات

---

(١) تيسر لنا زيارة الشيخ محمد أديب الصالح في سكنه في الرياض وتحدثنا معه عن مسيرته العملية والعلمية وأعماله العلمية بحضور الأخوة المشايخ فيصل يوسف العلي ود. ياسر المزروعي، أنس العقيل، وكاتب هذه السطور، وذلك يوم السبت ما بين العصر والمغرب ١٥ ذو القعدة ١٤٣١هـ الموافق ٢٣/ ١٠/ ٢٠١٠م.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأزهر ثم في الوقت نفسه يقدم اختبارات الحقوق في دمشق.

حصل على الشهادتين بفضل من الله فعمل في ثانويات حلب ودمشق ودور المعلمين ما بين عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٦م، بعد ذلك صار معيداً في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ثم أوفد إلى جامعة القاهرة لتحضر الدكتوراه في كلية الحقوق وكان موضوع أطروحته «تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ـ دراسة مقارنة» حصل بها مرتبة الشرف الأولى مع التبادل بين الجامعتين.

والشيخ محمد أديب الصالح ذو وفاء مع مشايخه يذكرهم بخير وأثرهم عليه منهم شيخه إبراهيم الغلاييني، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ علي الخفيف، والشيخ كامل القصاب وغيرهم.

قام الشيخ بتدريس مادة أصول الفقه في كلية الحقوق بجامعة دمشق، كذلك في قسم اللغة العربية بكلية الآداب حيث درس مادة القرآن والحديث سنوات.

ومن توفيق الله له أن الشيخ صار مطلوباً للتدريس خارج حدود بلده، فذهب إلى الأردن ودرّس فيها لمدة سنتين لتدريس التفسير والحديث والثقافة الإسلامية إعارة، ثم استدعى كأستاذ زائر في جامعة الملك سعود في الرياض، وجامعة محمد بن سعود الإسلامية، وكلية التربية للمعلمين والمعلمات في قطر.

ثم إن الشيخ استقر في جامعة الإمام محمد بن سعود لمدة ست سنوات يتولى رئاسة قسم السنة وعلومها في الجامعة إلى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جانب نشاطه العلمي في الجامعة كأعمال اللجان العلمية، ولجان مناقشة الرسائل العلمية الماجستير والدكتوراه.

مقتطفات من حديثه:

عندما جلسنا إلى الشيخ في منزله (بين العصر والمغرب يوم السبت ١٥ ذو القعدة ١٤٣١هـ) في الرياض دونت بعضاً مما سمعته من حديثه حفظه الله، يقول الشيخ:

- خرجت معاراً لجامعة الإمام محمد بن سعود ثم صرت رئيساً لقسم القرآن والسنة، أيام الوزير شاكر الفحام رحمه الله.
- درست على الشيخ إبراهيم الغلاييني مفتي قطنة، وقال لي تفقه بالفقه الشافعي لأن قطنة شافعيه، رغم أن الشيخ حنفي المذهب.
- صرت ناظراً لمدرسة قطنة الخاصة.
- كنت أخطب وأتولى الإمامة والتراويح رغم صغر سني، قال لي الشيخ كامل القصاب: لماذا لا تكمل دراستك وأكملتها.
- أوفدنا إلى الأزهر عام ١٩٤٦م لكلية أصول الدين ورجعنا سنة ١٩٥٠م.
- صرت معيداً في كلية الشريعة عام ١٩٥٦م ثم أرسلونا إلى جامعة القاهرة للحصول على الدكتوراه ورسالتي «تفسير النصوص».
- وفي عام ١٩٦٢م أنجزت «تخريج الفروع على الأصول» للزنجاني أثناء دراستي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- أعرف مدرسة عنبر في دمشق كان يصلي فينا فيها الشيخ علي الدقر ودرست شهراً فيها.

- زرت الكويت أكثر من مرة ربما في ١٤٠٢ هجرية وحولها.

- الشيخ محمد خضر حسين جاء إلى دمشق وقدم محاضرة في مسجد الدقاق وكان الناس لا تعرفه وهو إمام عالم فصيح، وكان صغير الجسم بعكس أخيه طويل وضخم.

زيارته للكويت:

زار الشيخ محمد أديب صالح الكويت أكثر من مرة، وكانت أول زياراته عند تأسيس الهيئة الخيرية الإسلامية في الكويت، وكذلك يقول: كنا نستدعى كضيوف على وزارة الأوقاف لتقديم دروس في رمضان.

وذكر الشيخ أنه التقى شخصيات في الكويت منهم السيد يوسف الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية السابق، ورئيسها الفخري حالياً، والسيد عبد الله المطوع وغيرهم.

مؤلفات الشيخ أديب الصالح:

للشيخ محمد أديب الصالح مؤلفات كثيرة منها ما هو تحقيق ومنها ما هو تأليف نذكر منها، تخريج الفروع على الأصول للإمام الزنجاني ت٦٢٦هـ (تحقيق)؛ تفسير النصوص في الفقه الإسلامي (مجلدان)؛ لمحات في أصول الحديث؛ مصادر التشريع ومناهج الاستنباط؛ وله أبحاث منها «نظرة في الإجماع عند الشافعي»؛

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بحث في المستشرق جولد زيهر «عجمة في القلب واللسان[1]» وغيرها.

❐ ❐ ❐

(١) كتب الشيخ د. محمد أديب الصالح مقالاً في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، العدد٢، غرة صفر ١٣٨٥هـ يونيو، ١٩٦٥م، عن مقاله: «عجمة في القلب واللسان» رد فيه على أغاليط وتشكيك المستشرقين ومنهم جولد زيهر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦٧

عبد الله بن منيع

(مواليد ١٣٤٩هـ/١٩٢٩م)

هو فضيلة العلامة الشيخ الفقيه عبد الله بن سليمان بن محمد بن منيع، ولد في شقراء عاصمة منطقة الوشم في ١٥/٧/١٣٤٩هـ (حوالي ١٩٣٠م).

طلبه للعلم:

حصل على الابتدائية من مدرسة شقراء عام ١٣٦٥هـ، والشهادة الجامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٣٧٧هـ والماجستير من المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٣٨٩هـ.

عمله:

عمل مدرساً في الابتدائية في بداية تخرجه لمدة ٣ سنوات بدءً من عام ١٣٦٩هـ، ثم مدرساً في المعهد العالمي في المجمعة وشقراء عام ١٣٧٥هـ و١٣٧٦هـ، ثم أميناً لدار الكتب السعودية عام ١٣٧٧هـ، ثم عضواً في الإفتاء عام ١٣٧٧هـ حتى عام ١٣٩٦هـ. وكان يعمل في الوقت نفسه في الأعوام ١٣٩٠هـ إلى ١٣٩٤هـ في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

القضاء في الهيئة العلمية القضائية العليا التي حل محلها المجلس الأعلى للقضاء، وفي عام ١٣٩٦هـ و١٣٩٧هـ عمل نائباً عاماً لسماحة الرئيس العام للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ثم قاضياً للتمييز في المنطقة الغربية.

أعماله الأخرى:

يعمل عضواً لهيئة كبار العلماء، وعضواً في المجلس الأعلى للأوقاف، وعضواً في المجلس الأعلى لرعاية الأربطة، وعضواً في المجلس الأعلى لدار الحديث الخيرية بمكة، وعضواً في المراقبة والفتوى في مجموعة من المصارف الإسلامية، كما أنه يحضر اجتماعات للهيئات الإسلامية في دول العالم الإسلامي، ويسمع جمهور المسلمين إجاباته في إذاعة القرآن وبرامج الفتاوى على الهاتف بشكل مستمر.

زيارته للكويت:

الشيخ عبد الله بن منيع ممن يزور الكويت كثيراً وهو وجه مألوف في كثير من الاجتماعات التي تدور في المنتديات وروابط العالم الإسلامي، أبرزها اجتماعات مجمع الفقه الإسلامي، والبنوك الإسلامية والهيئات الخيرية حفظه الله، ولعل آخر زياراته للكويت كانت في ١٨، ١٩ ذي القعدة ١٤٣١هـ ٢٧، ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٠م بدعوة رسمية من الإدارة الثقافية في وزارة الأوقاف لتقديم دروس في مساجد محافظة الجهراء ومحافظة الأحمدي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كما أن له مؤلفات مختصرة منها «الورق النقدي حقيقته وتاريخه وحكمه»، وبحوث ماليه اقتصادية، وفتاوى في العبادات وهو صوت معروف عند الناس.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦٨

محمد الأشقر

(١٣٥٠ ـ ١٤٣٠هـ/ ١٩٣٠ ـ ٢٠٠٩م)

هو الشيخ الأصولي الفقيه د. محمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر الحنبلي مذهباً، من مدينة بُرقا من قُرى نابلس وتبعد عنها شمالاً حوالي ١٦ كيلومتراً.

مولد الشيخ وطلبه العلم:

ولد الشيخ محمد الأشقر في بُرقَه في ١٦ أيلول ١٩٣٠م، ونشأ في كنف والده الذي كان يعمل في الزراعة حيث عرفت منطقتهم بغناها بالأشجار المثمرة وبساتين الزيتون والعيون العذبة.

التحق الشيخ محمد الأشقر بالمدرسة الابتدائية بقريته وتخرج عام ١٩٤٤هـ، ثم التحق بالثانوية بمدرسة الصلاحية بنابلس لمدة أربع سنوات، ثم غادر إلى السعودية للتدريس في المرحلة الابتدائية في المدرسة الفيصلية في «بريدة» عام ١٣٦٩هـ.

وعندما افتتح معهد الرياض الديني الثانوي سنة ١٣٧١هـ التحق به الشيخ، ثم استمر الشيخ بالدراسة بالمعهد ثم الكلية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشرعية إلى أن تخرج عام ١٣٧٦هـ وكان في الفوج الأول من خريجيها.

مشايخه:

أخذ العلم عن كبار المشايخ في ذلك الوقت، فقد عاصر أكابرهم والبارزين منهم، فدرس التفسير وأصول الفقه على العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»، والفقه والعقيدة على الشيخ عبد العزيز بن باز، والفرائض على الشيخ عبد العزيز بن رشيد، والحديث على الشيخ عبد الرحمٰن الأفريقي.

عمله والوظائف التي تقلدها:

عمل الشيخ محمد الأشقر في التدريس في معهد شقراء العلمي وأسندت إليه إدارته عام ١٣٧٧هـ، ثم نقل للتدريس بالكلية الشرعية بالرياض التي تخرج منها.

ثم التحق بالتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة عامين، ومما عرف عن الشيخ عنايته بالمذهب الحنبلي حيث حقق كتاب «نيل المآرب» للعلامة ابن أبي تغلب الحنبلي، وغيرهما.

عمله في الكويت:

جاء الشيخ إلى الكويت فعمل في وزارة الأوقاف، وأسندت إليه أمانة مكتبة الأوقاف والشؤون الإسلامية اثني عشر عاماً (١٣٨٥ - ١٣٩٧هـ).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الوقت نفسه التحق الشيخ بجامعة الأزهر فحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه، وكان موضوع بحثه في الدكتوراه «أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية»، وقد أشرف على رسالته الشيخ عبد الغني عبد الخالق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم إن الشيخ عمل في مشروع الموسوعة الفقهية في بداياتها وهي من أكبر مشروعات الوزارة العلمية. كما أصبح عضواً في لجنة الفتوى الشرعية منذ ١٩٦٩م إلى عام ١٩٩٠م حيث جاء الغزو العراقي الغاشم فرجع بعدها إلى الأردن واستمر في نشاطه العلمي الأصولي الفقهي في المؤتمرات والندوات.

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

توفي الشيخ محمد الأشقر في الأردن بعد مرضه، وذلك ٢٧ ذي القعدة ١٤٣٠هـ الموافق (١٥/ ١١/ ٢٠٠٩م) رحمه الله تعالى.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦٩

عبد الله بن عمر الأهدل

(مواليد ١٣٥١هـ/١٩٣١م)

هو العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن عمر الأهدل الحسيني اليمني، من سكان مدينة الضَّحِي، ولد حفظه الله عام ١٣٥١هـ في قرية المعروفية ونشأ فيها.

طلبه للعلم ورحلته من أجله:

رحل الشيخ عبد الله الأهدل في طلب العلم على عادة أهل زمانه وأقرانه، حيث رحل إلى مدينة «الزيدية» فقرأ على الإمام العلامة حسين بن محمد الزواك، والسيد محمد القديمي، والشيخ أحمد عامر، وعلي بن عبد الرحمٰن القديمي، والشيخ معوضة دهموش، وقرأ في «المنيرة» على العلامة محمد دوم الأهدل.

ثم قرأ في «زبيد» على الإمام العلامة سليمان بن محمد الإدريسي، والسيد أحمد داود البطاح الأهدل، وقرأ في مدينة المراوغة على الشيخ العلامة أحمد ميقري، وغيرهم من العلماء الأفاضل.

وصف الشيخ عبد الله:

طويل القامة نحيف البدن على غير هيئة أهل اليمن، شديد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاسمرار أبيض اللحية، يضع العمامة المكورة ليس لها مذبة وعمامته أكبر قليلاً مما هو معتاد من عمم أهل اليمن، واضح الكلام، ينصت للقارئ والسائل، ويجيب بوضوح، ويستشهد بالشعر والمنظومات العلمية في الوقت المناسب فيقطع النزاع، لطيف المعشر، يبتسم ويتلطف مع طلبته، عليه سيما الزهد والتقلل، وصفه من جالسه بأنه متين الديانة زاهد ورع لين الجانب غزير الدمعة، من جالسه يتذكر الأوائل، **وأخبرني الشيخ فيصل العلي أن الشيخ يكتسب ويأكل من عمل يده فيحتطب ويبيع ما يحتطب، فتأمل!!**

سمعنا عليه صحيح مسلم كاملاً، وعمدة السالك وعدة الناسك في الفقه الشافعي لابن النقيب، شرحه مبسط وسهل، بعيد عن التعصب المذهبي البغيض، إذا علق على عبارات المذهب خفف منها بالاستدلال بالحديث وقال: استنباط علماء وسنة فقهاء محلها الاحترام والتبجيل لحومهم مسمومة، قال ذلك بقوله إن التسمية في الفاتحة يجهر بها عند الشافعية، والخلفاء الراشدون الثلاثة لم يجهروا بها.

قراءة رسائل في العقيدة عليه:

قرأنا عليه «الطحاوية» وقال في حقها:

«من أراد تجديد التوحيد فعليه أن يقرأها يومياً»

ثم قرأنا عليه الشيبانية في العقيدة وهي عقيدة سلفية نختار منها بعض الأبيات:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وليس كمثل الله شيء ولا لَهُ ... شبيهٌ تعالى ربنا أن يحددا

وقوله في الرؤية:

ومن قال في الدنيا يراه بعينه ... فذلك زنديق طغى وتمردا

وقوله:

ولكن يراه في الجنان عبادُه ... كما صح في الأخبار نرويه مسندا

وقوله في الإيمان:

وإيماننا قول وفعل ونية ... ويزداد في التقوى وينقص بالرّدَى

فلا مذهب التشبيه نرضاه مذهباً ... ولا مقصد التعطيل نرضاه مقصدا

وقوله في عذاب القبر:

وإن عذاب القبر حق وأنه ... على الجسم والروح الذي فيه أُلحدا

ومنكرهُ ثم النكير بصبحةٍ ... هما يسألان العبد في القبر مقعدا

وقوله في المغفرة:

ويغفر الشرك ربي لمن يَشَا ... ولا مؤمن إلا له كافر فِداَ

وقوله في عدم خلود الموحد:

ولم يبق في نار الجحيم موحد ... ولو قتل النفس الحرام تعمداً

وقوله فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم:

ونسكت عن حرب الصحابة ... فالذي جرى بينهم كان اجتهاداً مجردا

وقد صح في الأخبار أن قتيلهم ... وقاتلهم في جنة الخُلدِ خُلّدا

زيارته الكويت:

زار الكويت بدعوة رسمية من وزارة الأوقاف لسماع صحيح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مسلم عليه مع ثلة كريمة من العلماء المسندين، وهم أحمد علي السورتي، صبحي السامرائي، محمد إسرائيل الندوي السلفي، ثناء الله بن عيسى، محمد الوشلي، محمد الأنصاري، عبد الوكيل الهاشمي، غلام الله رحمتي البشاوري، ما بين ٢٦ شوال إلى ٦ ذي القعدة ١٤٣١هـ، كما قرئ عليه ما ذكرناه في الفقه الشافعي.

مختارات من عباراته أثناء القراءة عليه:

أثناء القراءة عليه دونت بعض من أقواله واستشهاداته ليقف عليها القارئ:

- يقول: الرحمٰن الرحيم من أسمائه وصفاته، الرحمٰن حروفه أكثر من الرحيم، رحمن الدنيا والآخرة بالمؤمنين رحيم.

- الحمد أقسامه خمسة: حامد، محمود، محمود به، محمود عليه، صيغة الحمد، ثم أنشد قائلاً:

انقسم الحمد على أقسام ... أربع جاءت على نظام

فواجب كحمده في الخُطبةِ ... **وسنة** كحمده في الخِطبة

مكروه كحمده في المزبلةِ ... **محرم** كحمده للمعصيةِ

- العبادة اسم لكل ما يحبه الله ويرضاه، وكل عبادة تحتاج إلى تصحيح وإلا دخلنا في البيت القائل:

وكل من بغير علم يعمل ... أعماله مردودة لا تقبل

وحديث عائشة رضي الله عنها «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد» في الصحيح.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ـ السفر قسمان سفر قصير كسفرنا، وسفر طويل وهو سفر الآخرة.

ـ وفي العزلة:

في اعتزال الناس ترويح لبال   إلا لأخذ علم أو إصلاح حال

وقال لأحد الصغار في المجلس وهو عبد الرحمٰن بن أنس العقيل:

اطلب العلم وكن حريصاً   كَي لا تُرى مستنكراً منقوصا

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٠

عبد الله بن محمد الغنيمان

(مواليد ١٣٥٣هـ/١٩٣٣م)

هو العلامة الفقيه الشيخ المتقن عبد الله بن محمد الغنيمان من المبرزين في العلم، المشهورين بالفهم الثاقب في معتقد أهل السنة والجماعة، كانت ولادته في بريدة عام ١٣٥٣هـ.

المناصب التي تقلدها:

تولى رئاسة قسم العقيدة بالدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وترأس قسم الدراسات العليا في كلية الدعوة في الجامعة مما يدل على دخوله معترك العلم والتعليم على الصعيد الجامعي والمجتمعي والمراكز والمساجد عموماً في تنقله للدعوة والتعليم.

مؤلفاته:

له مؤلفات خاصة في التوحيد ومجمل معتقد أهل السنة والجماعة وله أشرطة في شرح أمهات الرسائل في العقيدة، فمن مؤلفاته شرح «كتاب التوحيد» من صحيح البخاري، و«مختصر منهاج السنة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق على كتاب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«الصفات» للإمام الدارقطني، وشروحه على «العقيدة الواسطية» و«الفتوى الحموية»، و«الأصول الثلاثة»، و«كتاب التوحيد»، ودروسه في الحرم شرح كتاب «فتح المجيد» و«شرح سنن أبي داود» و«رياض الصالحين» وغير ذلك وهي في أشرطة متداولة.

زيارته الكويت:

زار الكويت أكثر من مرة بدعوات رسمية، ومن محبيه وطلبته وقام بشرح كثير من الرسائل العلمية أثناء زيارته، حيث يدعى لإحياء دورات علمية سنوية حفظه الله.

وآخر زياراته للكويت في رجب ١٤٣١هـ، ومن الرسائل التي شرحها «الرد على الجهمية» للدارمي، والشيخ عبد الله ربعة من القوم، ذو سمت ووقار، قليل التبسم، واضح العبارة، مسترسل الحديث دون اضطراب، وردوده مفحمة، ويذكر مواضع النزاع ويحررها بسهاله، مع غزارة في الأدلة والاستدلال مع هدوء وروية، ومقدرة عجيبة في شرح معتقد السلف والرد على المخالفين والمبتدعين، وقد تيسر لي سماع كثير من دروسه في الكويت، كما إني صادفته في إحدى رحلات الحج منذ أكثر من خمس عشر سنة وكانت دروسه في تلك الحملة مثار إعجاب وانجذاب للحضور.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧١

عبد المحسن العباد البدر

(مواليد ١٣٥٣هـ/١٩٣٣م)

هو العلامة المحدث الشيخ عبد المحسن بن حمد بن المحسن العباد من مواليد الزلفي، من المحدثين المبرزين في هذا العصر ومجالسه العلمية في المدينة المنورة في المسجد النبوي أشهر من أن يتحدث عنها.

طلبه للعلم:

التحق بمعهد الرياض عام ١٣٧٢هـ، ثم كلية الشريعة في الرياض، وعُين مدرساً في معهد بريدة العلمي عام ١٣٧٩هـ، ثم مدرساً بمعهد الرياض العلمي ١٣٨٠هـ، ثم مدرساً بالجامعة الإسلامية عام ١٣٨١هـ، وهو عام إنشائها.

وقد وصل في تدرجه الوظيفي إلى الجامعة، حيث أصبح نائباً لرئيس الجامعة، واشتهر عنه الالتزام بالوقت والمثابرة في العمل والورع.

تدريس العلم ومؤلفاته:

دروسه في الجامعة وخارج الجامعة معلومة، وأبرزها ما يقوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

به سنوياً من قراءة الكتب الستة فيعمل على إتمامها عاماً بعد عام وقد تيسر حضور بعض هذه الجلسات ورأيت كثرة الطلبة حوله.

أما مؤلفاته فتتعلق باهتمامه بعلم الحديث دراية ورواية، ومن أعماله: «اجتناء الثمر في مصطلح أهل الأثر»، و«شرح عشرين حديثاً في صحيح البخاري» وكذا من صحيح مسلم، و«دراسة لحديث نَضّر الله امرءاً سمع مقالتي»، وكتاب «عالم الرسل» وغير ذلك من الردود على المخالفين.

زيارته الكويت:

زار الكويت زيارة قصيرة في عام ١٩٨٦م بدعوة من جمعية إحياء التراث الإسلامي ضمن أنشطتها في نشر السنة النبوية، كما أن ابنه الشيخ د.عبد الرزاق العباد يزور الكويت كثيراً وله أنشطة في نشر العلم من خلال دعوات رسمية من وزارة الأوقاف والجمعيات الإسلامية.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٢

الشيخ صالح الفوزان

(مواليد ١٣٥٤هـ/١٩٣٤م)

هو العلامة الفقيه المتقن الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان من مواليد عام ١٣٥٤هـ في الشماسية.

طلبه للعلم:

طلب العلم مبكراً، فتعلم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة على إمام مسجد البلد الشيخ حمود التلال، ثم التحق بمدرسة الحكومة عام ١٣٦٩هـ في بلدة الشماسية، وأكمل الابتدائية عام ١٣٧١هـ، عُين مدرساً في الابتدائي، ثم التحق بالمعهد العلمي في بريدة عام ١٣٧٣هـ، وتخرج عام ١٣٨١هـ، ثم نال الماجستير في الفقه ثم الدكتوراه، ثم عمل مدرساً في المعهد الديني، ثم المعهد العالي للقضاء، ثم مدير المعهد العالي للقضاء ثم عضواً في اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية، ثم عضو في هيئة كبار العلماء إلى الآن، كما إنه يتولى الإمامة في جامعة الأمير متعب بن عبد العزيز في الملز.

الدعوة والتعليم:

والشيخ صالح مساهم فعال في مجتمع المسلمين سواء في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بلده أو في الخارج في نشر العلم والتعلم والدعوة وذلك في إجاباته في برنامج نور على الدرب، ومحاضراته العامة، ودروسه في الحرم، وفي الرياض ومؤلفاته وفتاويه التي رفعت كثيراً من الحرج عن المسلمين ودفع الله بها كثيراً من الفتن، ولأقواله واختياراته وإجاباته قبول كبير عند المسلمين لدقة تحرّيه وورعه وتثبته.

أبرز مشايخه:

أبرز مشايخه العلامة الشيخ عبد الله بن حميد والعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، والعلامة المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وفضيلة العلامة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، والشيخ عبد الله بن صالح الخليفي، وغيرهم من أئمة الحرم المكي.

وله من المؤلفات الكثير، منها:

١ ـ شرح العقيدة الواسطية.

٢ ـ شرح زاد المستقنع، وهو أحسن الشروح على الزاد وتيسر طبعه بحمد الله.

٣ ـ التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية.

٤ ـ ردود على المخالفين وتصحيح العقائد والرد على المنحرفين.

الروية والأناة:

يلاحظ على الشيخ صالح أنه واضح العبارة، يتصف بالأناة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والروية وعدم التعجل، فتجد ردوده وإجاباته واضحة جلية، لا تردد فيها، معززة بالأدلة الدامغة التي تدل على حسن فهمه ودقة استدلاله بما يقنع ويفك معضلات كثير من المسائل المصيرية مع غزارة في العلم.

زيارته الكويت:

زار الكويت في منتصف الثمانينيات الميلادية حوالي عام ١٩٨٦م لندوة السنة في جمعية إحياء التراث الإسلامي، كما أن طلبة العلم لا ينقطعون عنه في زيارتهم ودروسهم عليه إذا زاروه في الرياض أو الطائف أو في الحرم المكي.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٣

إسماعيل بن محمد بن بدران الحنبلي

(مواليد ١٣٥٤هـ/١٩٤٣م)

هو شيخنا العالم الفقيه إسماعيل بن محمد بن محمد بن الشيخ عبد الرحيم الشيخ إسماعيل بن بدران الحنبلي الدومي، ويشتهر كأسلافه بابن بدران السعدي، وهو من أقرباء العلامة الشيخ عبد القادر بن بدران[1] إذ إن والد الشيخ عبد القادر هو ابن أخ الشيخ عبد الرحيم الجد الأعلى لشيخنا إسماعيل.

مشايخه وطلبه للعلم:

أخذ القرآن والتجويد على الشيخ المقرئ أحمد عبد المجيد

(١) العلامة الفقيه الأصولي الحنبلي عبد القادر بن بدران غني عن التعريف توفي سنة ١٣٤٦هـ، كانت له مراسلات مع علامة الكويت، القاضي الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٤٩هـ) منها أجوبته عن مسائل القاضي الشيخ عبد الله الخلف، خرجت في كتاب بعنوان «سؤالات علامة الكويت الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان لعلامة الشام الشيخ عبد القادر بن بدران» وبمتابعة من الشيخ فيصل العلي بعناية د. الطاهر الخذيري، وللشيخ عبد القادر مؤلفات متداولة منها: «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» وهو مطبوع، و«منادمة الأطلال»، و«الشهاب في ألف حديث» وغيرها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحد تلاميذ المقرئ الشيخ محمد سليم الحلواني. وأكثر من لازم من المشايخ الشيخ أحمد قويدر حوالي ١٥ سنة منهما خمس سنوات في قرية عربين، وأخذ عنه الفقه الحنبلي والعربية وقرأ عليه «كشف المخدرات في شرح أخصر المختصرات»، «وصحيح مسلم» بشرح النووي.

كما أخذ عن الشيخ أحمد الشامي مفتي دوماً الفقه الحنبلي، وقرأ عليه كشف المخدرات أيضاً، كما أخذ عن الشيخ عبد المجيد المعروف بالحنبلي الصغير وقرأ عليه «دليل الطالب» و«منار السبيل» شرح العلامة إبراهيم بن ضويان، كما قرأ على الشيخ عبد القادر الحتاوي الذي أجازه في الفقه الحنبلي والعربية وقرأ عليه «غاية المنتهى» للعلامة مرعي.

وسمعته في مجلسه يقول: أي: الشيخ إسماعيل بن بدران الحنبلي حفظه الله، يقول:

١ ـ «نيل المآرب» قرأته على الشيخ عبد المجيد بن عبد المجيد الملقب بالحنبلي الصغير.

٢ ـ الشيخ عبد القادر الحفناوي كان أصولياً مجتهداً مثل الشيخ عبد القادر بن بدران، وكان طويل القامة حوالي ١٩٠سم، ووزنه ١١٠كغ، لكنه في ركوبه الدابة ونزوله خفيف الحركة، وكان كفيف البصر.

٣ ـ لم أدرك الشيخ مصطفى الشطي، وأدركت الشيخ محمد نوري الخطيب، وأدركت الشيخ محمد جميل الشطي مفتي الحنابلة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بدمشق وناولني فتوى صادرة منه في حكم الجمع بين صلاتي العشاءين تاريخها ٤ ربيع الثاني ١٣٧٥هـ، وقد ناولنا إياه الشيخ أيضاً.

٤ ـ الشيخ عبد المجيد بن عبد المجيد كان يشرب الماء بارداً مثلجاً، وأنا كذلك ـ يقول الشيخ إسماعيل ـ ومما يذكر أن الشيخ محمد رشيد رضا كان يفعل ذلك.

٥ ـ الشيخ الحفناوي فقيه ولغوي وشاعر على مستوى دوما، وهو الإمام الوحيد في وقته، وكان يصحح كتب الحنابلة في دار الكتب الإسلامية، وأجازني ثلاث مرات، وقرأ عليه العديد من كتب اللغة.

٦ ـ شيخنا الشيخ أحمد قويدر قرأنا عليه قطر الندى، وشرح صحيح مسلم كاملاً، ثم طلبنا منه أن نقرأ الفقه فقال: ما يصير أنا شافعي، ولما رأيناه في الغد رأيناه يبكي فقال: رأيت الإمام أحمد بن حنبل في المنام وقال أقرئهم الفقه الحنبلي، ومن ذلك الوقت لازمناه ملازمة تامة إلى ١٠سنوات قرأنا عليه «نيل المآرب» و«ومنار السبيل» و«كشف المخدرات» حتى توفي عام ١٩٧٠م في شهر يونيو رحمه الله تعالى ودفن في «عربين» بلده.

٧ ـ قال الشيخ أقول وبدون تعصب: إن أقرب مذهب للكتاب والسنة هو المذهب الحنبلي، ورحم الله جميع الأئمة.

٨ ـ مناطق الحنابلة في الشام «دوما» و«ضمير» و«الرحبية».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩ ـ قرأت «دليل الطالب» على الشيخ عبد المجيد بن عبد المجيد و«النيل» على الشيخ أحمد قويدر، والشيخ عبد المجيد عبد المجيد، و«منار السبيل» على الشيخ أحمد قويدر. وقرأت «غاية المنتهى» على الشيخ الحفناوي.

١٠ ـ قرأ عليّ طلبة علم من جنسيات مختلفة منهم أمريكي اسمه موسى فيربر، لازمني حوالي ٣ سنوات قرأ عليّ النحو والفقه، وكان يجد صعوبة في نطق العين والحاء.

زيارته الكويت:

زار الشيخ الكويت بدعوة خاصة من الرابع والعشرين من ربيع الثاني ١٤٣٠هـ إلى الرابع من جمادي الأولى ١٤٣٠هـ، حيث قرئ عليه «كشف المخدرات» وأصله «أخصر المختصرات» للعلامة البلباني، و«نيل المآرب» وأصله «دليل الطالب» للعلامة ابن أبي تغلب الحنبلي، وكتاب «بلوغ المقاصد» وأصله «بداية العابد» للعلامة البعلي، و«الأربعين النووية» وغيرها من الرسائل الصغيرة، وكان شرح الشيخ واضحاً دقيقاً أفاد وأجاد في كثير من المواضع، شكر الله تعالى له.

من تعليقاته على نيل المآرب:

أي: «نيل المآرب بشرح دليل الطالب» للعلامة ابن أبي تغلب.

قوله في كتاب الطهارة في الماء الطهور: ما يحرم استعماله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا يرفع الحدث ولا يزيل الخبث مع حرمة استعماله وهو ما ليس مباحاً كمسروق ومنهوب. . . إلخ.

قال الشيخ إسماعيل بن بدران:

قوله: ولا يرفع الحدث ويزيل الخبث لأن الإزالة ليست عبادة، ورفع الحدث عبادة.

قوله: ويشترط كون الماء أقل من قلتين في خلوة الأنثى به لطهارة كاملة.

قال الشيخ إسماعيل بن بدران:

الماء الكثير قلتان من قلال هجر ٨٠ رطل قدسي حوالي ٢٠٠ كيلو فما فوق أي: ٢١٠ ـ ٢٢٠ كيلو.

وعندنا في الشام يساوي ٢٥٦٥ غراماً. وقوله: ومساحتهما أي مساحة ما يسع القلتين من الماء حال كونه مربعاً ذراع وربع طولاً وذراع وربع عرضاً وذراع وربع عمقاً.

أي: عرض ٦٠ سم طول وعرض وعمق، والذراع حوالي ٤٨ سم.

قوله ـ قبل ذلك: في الماء المكروه: وهو ماء بئر بمقبرة بتثليث الباء وكرة شوكها.

قال الشيخ إسماعيل بن بدران: الكراهة كراهة تنزيه فليس عندنا كراهة تحريم عند الحنابلة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قوله: في باب الآنية: وآنية الكفار كلهم وثيابهم ولو لم تحل ذبائحهم ولو وليت عوراتهم طاهرة.

قال الشيخ إسماعيل بن بدران: الورع والاحتياط وغسلها:

- قوله في آخر باب الآنية: وسن تغطية الآنية ولو بعرض عود.

قال الشيخ ابن بدران:

فائدة العود أدركتها في معاصر الدبس عندنا قديماً، كانت أواني الدبس كثيرة، وما عندنا أغطية لها كلها فنضع العود فتمشي عليه الفأرة ولا تسقط في الدبس.

وفي كتاب كشف المخدرات:

قوله في فضل السواك:

كل وقت من الأوقات إلا لصائم بعد الزوال فيكون له السواك بيابس ورطب... إلخ.

قال شيخنا إسماعيل بن بدران:

لا حرج إذا تسوك بعد الزوال لأن الله تعالى لم يتعبدنا بالرائحة الكريهة..!

قوله في فضل المسح على الخفين:

وشرط لصحة المسح على الخف ونحو سبعة شروط أحدهما تقدم كمال الطهارة بماء... إلخ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال الشيخ إسماعيل بن بدران:

لا بد من كمال الطهارة؛ أي: الفراغ وليس رِجْل قبل رِجْل، ففي هذه الحالة؛ أي: إن غسل رِجْلاً قبل رِجْلٍ يصح وضوؤه ولا يصح مسحه.

قوله في أثناء: فصل شروط الغسل: وسن توضؤ بمد واغتسال بصاع.

قال الشيخ إسماعيل بن بدران: المد ٥٥٠ غراماً، والصاع أربعة أمداد يعني ٢٢٠٠ غراماً كما ذكرنا.

وصف الشيخ إسماعيل بدران كما شاهدته:

الشيخ في حوالي منتصف السبعينيات من عمره، متوسط الطول لحيته خفيفة يغلب عليها البياض ولا يخضب، وهو أبيض البشرة مشرب بحمرة على هيئة أهل الشام عموماً في بياض البشرة، صوته منخفض متأن في كلامه، وكلامه واضح ومفهوم، ويتمتع بذاكرة قوية، يستحضر الأقوال والأمثلة، ويعرضها بسهولة يمكن فهمها بدون لبس.

يضبط القراءة ويصحح اللحن بطريقة فيها أدب وهدوء دون أن يحرج القارئ، يتقن أقوال المذاهب الأخرى خاصة المذهب الشافعي والحنفي، ويقارنها مع المذهب الحنبلي في كثير من المواضع، فيظهر الفروق فينتفع السامع.

يتذكر اختيارات مشايخه، ويؤكد عليها، ويعرضها، ويترحم عليهم، ويحسن ذكرهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونظراً لعمله في الزراعة حوالي ٤٠ سنة، فإنه في أبواب وفصول الزرع والمساقاة وزكاة الزروع عموماً، يذكر الأمثلة ويوضح توضيح مجرب، ومشاهد، وممارس، ويبين أنواع الحبوب، والزروع، ويضبط طريقة قراءتها، ويشرح أنواعها وأشكالها بطريقة جاذبة.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٤

محمد إسرائيل السلفي

(مواليد ١٣٥٤هـ/١٩٣٤م)

هو شيخنا المحدث الشيخ المسند محمد إسرائيل بن محمد إبراهيم السلفي الندوي، وهو أمير جماعة أهل الحديث بولاية هريانة بالهند.

طلبه للعلم ومشايخه:

أخذ النحو والصرف والأدب والفقه وأصوله، والحديث بما في ذلك الكتب الستة، ومشكاة المصابيح وبلوغ المرام عن شيخه العلامة عبد الجبار الشكراوي، وهو شيخه الأول الذي تخرج به.

كما أخذ عالياً عن المسند الكبير عبد الحكيم الجيوري، الذي يروي عن شيخ الهند نذير حسين أوائل الكتب الستة وموطأ مالك وأواخرها وبلوغ المرام لابن حجر كاملاً وأجازه إجازة عامة.

انتقل إلى دار العلوم ندوة العلماء بلكنهو فأخذ النصف الأول من الترمذي عن الشيخ منظور نعماني، وتفسير القرآن عن الشيخ محمد أويس الندوي، والمدخل في أصول الفقه عن إسحاق الندوي، ورياض الصالحين عن الشيخ أبي العرفان البلياوي مؤلف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مصباح اللغات. وأخذ صحيح البخاري كاملاً، وكذا الترمذي عن الشيخ محمد شفيع الديوبندي بدهلي، وأخذ سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه والترمذي عن الشيخ محبوب إلهي الديوبندي وغيرهم.

درس سنة ١٩٦١م في الجامعة السلفية بشكراوة واستمر في التدريس إلى الآن فدرس الكتب الستة أكثر من ١٥ مرة، ومشكاة المصابيح، وبلوغ المرام وغيرها، وتولى رئاسة المحمدية ميوات للبنين والبنات.

والشيخ لديه شهادة في طب الأعشاب وتولى العمل بذلك حتى عام ١٩٩٤م.

زيارته للكويت:

قدم إلى الكويت بدعوة خاصة إلى الكويت ضمن برنامج السماع الذي أشرفت عليه وزارة الأوقاف كما قرئ عليه سنن النسائي في مجالس خاصة بإشراف وترتيب من قبل الأخ الشيخ فيصل يوسف العلي مدير الإدارة الفنية في وزارة الأوقاف حينذاك، كما قرأتُ على الشيخ رسائل مهمة في المصطلح «وبلوغ المرام» و«علوم الحديث» لابن الصلاح وغير ذلك من رسائل كثيرة، شكر الله له، في جمادي ١٤٢٧هـ، كما قرئ عليه البخاري ومسلم في آخر زياراته للكويت مؤخراً وغيرهما من كتب الحديث.

وصف الشيخ وحليته:

الشيخ محمد إسرائيل السلفي في السبعينات من عمره ولا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يظهر ذلك عليه فهو ممتع بكامل قواه بحمد الله، يتسم بالهدوء والروية لا يكاد يسمع له صوت، متواضع في كلامه ومشيه ومتبسط في ملبسه كثيراً، وعليه سيما الصلاح والورع. وكان ينتبه أثناء القراءة عليه، ويتابع ولا يسهو حفظه الله، لكنه لا يعلق وتعلوه ابتسامه إذا تحدث.

وللشيخ مؤلفات تقرب من العشرين في تخريج الحديث والتعليقات على كتب الحديث منها مثل:

١ ـ تحفة القارئ تعليقات على جزء القراءة خلف الإمام للبخاري.

٢ ـ تخريج أحاديث زوائد صحيح ابن حيان.

٣ ـ تعليقات على تقريب التهذيب وغير ذلك.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٥

عبد الله بن بَيَّهْ

(مواليد ١٣٥٥هـ/١٩٣٥م)

هو العلامة الفقيه الأصولي الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بَيَّهْ، من موريتانيا أحد كبار العلماء على مستوى العالم الإسلامي ممن نشأ على طريقة المتقدمين في الحفظ والإتقان ووضوح العبارة وحسن الاستدلال وفصاحة البيان على طريقة الشناقطه المعتادة، ويحمل الجنسية السعودية.

طلبه للعلم:

نشأ وتربى في بيت علم حيث تعلم وتفقه على يدي أبيه العلامة الشيخ المحفوظ، وأخذ العربية عن العلامة محمد سالم ابن الشين وعلوم القرآن على الشيخ بيه بن السالك المسومي.

عمله الحالي:

يشغل عدة مناصب دولية وإقليمية بحكم مكانته، فهو عضو مجمع الفقه الإسلامي، كما أنه يشغل عضوية عدة مجالس منها، إضافة إلى أنه يحمل درجة الدكتوراه في الفقه مع إجادته للغات:

- عضو المجلس الأوروبي للإفتاء.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

- نائب رئيس الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- رئيس مجلس الإفتاء ورئيس إدارة المركز العالمي للتجديد والترشيد في لندن.
- عضو المجلس الاستشاري الأعلى لمؤسسة طابة بأبو ظبي.
- وهو الآن يعمل أستاذاً في جامعة الملك عبد العزيز في جده.

مؤلفاته:

له عدة مؤلفات:

- توضح أوجه اختلاف الأقوال في مسائل معاملات الأموال.
- سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات.
- صناعة الفتوى، فتوى الأقليات.
- مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات.
- أثر المصلحة في الوقف.

وغير ذلك.

زيارته للكويت:

زار الكويت مرات عديدة بحكم منصبه الإقليمي والعالمي، وكونه عضواً في مجمع الفقه، وكذلك عضواً في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي مقرها الكويت.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٦

محمد لطفي الصباغ

(مواليد ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٥م)

هو الشيخ الأستاذ محمد لطفي الصباغ أستاذ علوم القرآن والحديث في جامعة الملك سعود في الرياض.

قرأ القرآن كله برواية حفص مرتين على الشيخ المتقن الشيخ سليم الليني، ثم قرأه على شيخ القراء شيخنا محمد كريم راجح وأجازه بها.

طلبه للعلم:

طلب العلم مبكراً، فقرأ على جملة من المشايخ منهم الشيخ حسن حبنكة، والشيخ صالح العقاد «الملقب بالشافعي الصغير»، والشيخ محمد خير ياسين، والشيخ عبد الوهاب دبس، كما استفاد من الشيخ علي الطنطاوي.

عمله وأعماله:

عمل في التدريس الجامعي حوالي أربعاً وثلاثين سنة درس فيها مادتي علوم الحديث، وعلوم القرآن كما درس النحو، والبلاغة والأدب، كما أشرف على كثير من الرسائل العلمية،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وناقش عدداً من الرسائل العلمية في الدراسات العليا، كما شارك في لجان الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية مرات عديدة.

كما شارك في التوعية الإسلامية في الحج، كما شارك في الإذاعة منذ أكثر من ٣٠ سنة في السعودية إلى الآن في البرامج العلمية والتوجيهية، إضافة إلى حضوره إلى عدد من المؤتمرات.

زيارته للكويت (لقاء خاص):

التقينا الشيخ محمد لطفي الصباغ في مجلس خاص، في منزل الأخ الشيخ محمد ناصر العجمي في ٢ ربيع الثاني عام ١٤٢٨هـ من ضحى الخميس إلى آذان الظهر، واستمعنا إلى حديثه وكان وقوراً متثبتاً.

وقد سأله محمد ناصر العجمي اختر خمسة كتب تصحبها معك في سفرك؟

فقال الشيخ محمد لطفي: القرآن الكريم، تفسير ابن كثير، تفسير الجلالين وقد أصدرت تهذيباً له طبع المكتب الإسلامي، ينتقدونه لكنه غاية في الدقة وقد عدلته على مذهب أهل السنة والسلف، وحذفت الإسرائيليات منه، كما أنه مبني على قراءة أبي عمرو بن العلاء وليس على قراءة حفص فعدلته على حفص.

وأختار «تفسير ابن كثير» ميزاته أنه يعتمد على تفسير القرآن بالسنة وقد استفاد من تفسير ابن جرير ويكاد يكون تلخيصاً له.

وأختار من الكتب الحديثة «رياض الصالحين»، و«الترغيب والترهيب» بعد أن عمل فيه الشيخ الألباني فهو جامع مانع.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا بد أن يعطى طالب العلم معجماً «كالمصباح» وهو أحسنها و«القاموس المحيط» ويراجع تاج العروس وهو منسق وأنفع «ولسان العرب» جمع خمسة كتب لكنه غير منسق.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٧

صبحي السامرائي

(مواليد ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م)

هو شيخنا العلامة الحسيب النسيب أبو عبد الرحمٰن السيد صبحي بن السيد جاسم بن حميد بن حمد بن صالح بن مصطفى بن حسن بن عثمان بن دولة بن محمد بن بدري بن عرموش، بن علي بن عيد بن بدري، بن بدر الدين بن خليل بن حسين بن عبد الله بن إبراهيم الأواه بن الشريف يحيى عز الدين بن شريف بن بشير بن ماجد بن عطية بن يعلى بن دويد بن ماجد بن عبد الرحمٰن بن قاسم بن الشريف إدريس بن ماجد بن الشريف إدريس بن جعفر الزكي، بن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر العارف، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأزواجه وذرياته وسلم تسليماً كثيراً.

فهو شريف النسب هاشمي الأب والأم.

أبرز مشايخه:

أخذ عن عدد كبير من العلماء، أبرزهم العلامة محدث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العراق السيد عبد الكريم بن السيد عباس بن ياسين الحسني الشيخلي الأزجي الملقب بأبي الصاعقة (١٢٨٥ ـ ١٣٧٩هـ). وهو أبرز شيوخه فقد لازمه منذ الصغر، والعلامة المحدث الفقيه عبيدالله بن العلامة عبد السلام المباركفوري الرحماني (ت١٤١٤هـ)، والمحدث الكبير حبيب الرحمٰن الأعظمي (ت١٤١٢هـ)، العلامة الأصيل محمد الشاذلي بن محمد الصادق النيفر التونسي (ت١٤١٨هـ)، والشيخ المحدث محمد الحافظ التجاني القاهري (ت١٣٩٤هـ)، وغيرهم.

وظائفه:

تقلد عدة مناصب منها على سبيل المثال، مدرس الحديث في جامع الآصفية بعد وفاة شيخه أبو الصاعقة، فقد درس البخاري وعمدة الأحكام وكتاب التوحيد ومعرفة الحديث للحاكم[(١)]، ومدرساً للحديث في مدرسة التربية الإسلامية، ومدرس الحديث في المسجد الحرام بمكة، درس البخاري وسنن الترمذي، وحاضر في جامعة الإمام محمد بن سعود في مخطوطات الفقه، وأصول مذهب الحنابلة، وغيرها من المناصب العلمية والعملية كما هو مذكور في ثبته (نعمة المنان).

---

(١) زرناه في بيروت التي أقام فيها منذ ٤سنين مؤخراً فارّاً بدينه مع إسرته وذلك في الفترة ٢٨ ـ ٣١/ ١/ ٢٠١٠م (صفر١٤٣١هـ) مع الأخ الشيخ فيصل العلي والأخ الشيخ محمد زياد التكلة، وقد قرأنا عليه كتاب التوحيد، وعمدة الأحكام، ومعرفة الحديث، للحاكم وغير ذلك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مختارات من أقواله:

عندما زرنا الشيخ صبحي تيسر تسجيل عدة فوائد منه على كتاب التوحيد، وكتاب العقيدة الطحاوية، وعمدة الأحكام وكثير من الرسائل والأجزاء الحديثية، على ما يأتي:

- قرأت على شيخي أبي الصاعقة: الخرقي، والمقنع، والمنتقى للمجد ابن تيمية.
- قرأت الفقه المالكي على الشيخ محمد التيجاني وقال لي: أنا لست طرائقياً كما يظنون. واتخذت هذا الاسم لأصرف المباحث عني.
- قرأت الفقه الحنفي على الشيخ كاظم الشيخلي والشيخ محمد فؤاد الألوسي، وقرأت الفقه الشافعي على الشيخ شاكر البدري.
- محلة الخرقي ما زالت تسمي بنفس الاسم في بغداد.
- النطق الصحيح لاسم صاحب «المنور في راجح المحرر» هو الأَدَمي وليس بمد الهمزة وهو الذي اطمأنت له النفس عند تحقيق كتابه المنور بحمد الله.
- شيخي أبو الصاعقة توفي عن عمر ١١٥ سنة، ولم يضيع حرفاً واحداً من محفوظاته، وكان طويل القامة ذا مهابة.
- نشر الشيخ أبو صاعقة مجلة باسم صاعقة فغلب الاسم عليه.
- الشيخ صاعقة يميل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- أمضيت في قراءة المنتقى عاماً ونصف على شيخي أبي الصاعقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واحتوى حوالي ٥٠٠٠ حديثاً، وقراءتي عليه عموماً كانت مفصلة مطولة.

- قرأت المذاهب الأربعة، والمذهب الظاهري قرأت فيه رسالة صغيرة.

- علق الشيخ صبحي تعليقات قيمة أثناء قراءة كتاب التوحيد، والطحاوية، وعمدة الأحكام عليه.

- حديث: قرن الشيطان أقول: هو نجد العراق، وهو قول شيخي أبي الصاعقة أيضاً.

زيارته للكويت:

يقول الشيخ صبحي السامرائي زرت الكويت مراراً، وكانت الزيارة إليها سهلة وميسرة دائماً ومعتادة بالنسبة لي، كنت أحب زيارتها، والتقيت أناساً وعلماء كثير فيها، وقال له الأخ الشيخ فيصل العلي: كانت أول الدعوات الرسمية لبرنامج سماع كتب الحديث موجهة إليك قبل الآخرين ولم تتيسر.

كما إنه زار الكويت مؤخراً بدعوة رسمية من وزارة الأوقاف الكويتية هو وثلة كريمة من العلماء حيث يعقد مجلس سماع صحيح الإمام البخاري في مسجد الدولة تحت رعاية معالي وزير العدل والأوقاف، وذلك في ٣٠ جمادي الأولى ١٤٣١هـ ولمدة أسبوع، قرئ عليه البخاري، ثم زيارة أخرى في شوال، وذي القعدة ١٤٣١هـ، حيث قرئ عليه صحيح مسلم والموطأ وذلك بترتيب ومتابعة من الشيخ فيصل يوسف العلي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٨

عبد الوكيل بن عبد الحق الهاشمي

(مواليد ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م)

هو شيخنا العلامة المحدث الشيخ أبو خالد عبد الوكيل بن الشيخ عبد الحق الهاشمي المكي.

مولده وطلبه للعلم:

ولد شيخنا عبد الوكيل الهاشمي عام ١٣٥٧هـ، ودرس في بداية حياته في بلدة جلال بور بملتان، ثم رحل مع والده إلى مكة المكرمة حيث عين والده مدرساً في المسجد الحرام، وذلك لعلو مكانته العلمية، ثم التحق بمدرسة تحفيظ القرآن في مكة المكرمة، وبعدها في مدرسة دار الحديث في دار الأرقم، وعمل مدرساً في المسجد الحرام باللغة الأردية.

مشايخه:

أخذ عن جمع كبير من العلماء على رأسهم والده الشيخ عبد الحق الهاشمي، والشيخ عبيدالله الرحماني تلميذ صاحب تحفة الأحوذي والشيخ عبد السلام البستوي، ولقي جمعاً من العلماء فأجازوه، كالشيخ أحمد شاكر، والشيخ عبد الرزاق حمزة، وقد قرأ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليه بعض مجلدات من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، والشيخ عبد الرحمٰن المعلمي، والشيخ سليمان بن حمدان وغيرهم.

التدريس والتأليف:

درَّس عدة مرات الكتب الستة ومسند الإمام أحمد والسنن الكبرى للبيهقي وغيرها، وله مؤلفات ومصنفات منها «عناية الباري في ضبط مواضع أسماء الرجال في صحيح البخاري»، و«إنعام الباري في معجم أحاديث شيوخ البخاري»، و«معجم أحاديث شيوخ الأئمة الستة»، و«البحر الزاخر فيما روى البخاري في جامعه عن شيخه بواسطة شيخه الآخر» وغير ذلك، وكان طلبة العلم يرتحلون إليه من أماكن كثيرة للقراءة عليه وطلب الإجازة في مسكنه في مكة.

زيارته للكويت:

كان شيخنا عبد الوكيل ضمن المجموعة التي حرص الشيخ فيصل العلي أن تكون ممن تُقْرأُ عليها الكتب السبعة في مشروع وزارة الأوقاف الكويتية، الخاص بسماع الكتب السبعة عام (١٤٢٧ ـ ١٤٢٨هـ)، كما أنه حفظه الله استدعى في صيف ١٤٢٨هـ لقراءة مسند الإمام أحمد عليه كاملاً وتيسر ذلك بحمد الله وفضله وكان يوم الختم يوماً مشهوداً، كما إنه قرئ عليه البخاري ومسلم والموطأ في زيارته في شوال وذي القعدة ١٤٣١هـ بدعوة من وزارة الأوقاف ـ الإدارة الثقافية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصف الشيخ عبد الوكيل والقراءة عليه:

في السبعينيات من عمره، أبيض مشرّب، لحيته بيضاء طويلة لا يخضب، ليس بالطويل، ممتلئ الجسم، يلبس النظارات للقراءة والمشي، يضع الغترة البيضاء ويلبس البشت على طريقة علماء الحرم ونجد، وهو حاضر الذهن ينتبه لما يقرأ بين يديه ويعلق على الأحاديث خاصة الرجال، ويطرح المسائل والطرف فيدخل السرور على المجلس، يتحدث بلهجة أهل مكة، ويتحدث اللغة الهندية بطلاقة.

قرأنا عليه البخاري ومسلم وكتب السنة كلها ومسند الإمام أحمد وما لا يحصى من الأجزاء والرسائل، ومنها رسالة الإمام البخاري في خلق أفعال العباد بتحقيق والده العلامة عبد الحق الهاشمي، وغير ذلك مما يطول حصره.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٧٩

عبد الله بن عبد المحسن التركي

(مواليد ١٣٥٩هـ/١٩٣٩م)

هو معالي الشيخ د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، من مواليد محافظة المجمعة، عضو هيئة كبار العلماء والأمين العام لرابطة العالم الإسلامية، ووزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سابقاً.

طلبه للعلم:

درس في المجمعة وتلقى فيها التعليم الابتدائي ثم المرحلتين المتوسطة والثانوية بالمعهد العلمي في المجمعة وتخرج عام ١٣٧٩هـ، ومما يذكر أن موطن العائلة الأصلي «حرمه»، ثم درس المرحلة الجامعية في كلية الشريعة، وتخرج فيها عام ١٣٨٢هـ، وفي عام ١٣٨٩هـ نال الماجستير من المعهد العالي للقضاء بالرياض بتقدير ممتاز، في موضوع أسباب اختلاف الفقهاء، وبخاصة في فهم النص وتقدير المصلحة على شروط الاجتهاد المعتبرة.

كما حصل على الدكتوراه من الأزهر عام ١٣٩٢هـ بمرتبة الشرف الأولى في موضوع أصول الإمام أحمد بن حنبل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عمل مدرساً في المرحلتين المتوسطة والثانوية بالمعاهد العلمية، ثم مديراً لإحداها، ثم موجهاً بها، ثم عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض ما بين عام ١٣٨٢ ـ ١٣٨٨هـ.

وفي عام ١٣٨٨هـ اختير عميداً لكلية اللغة العربية وظل في هذا المنصب ٦سنوات، وفي عام ١٣٩٤هـ أصبح وكيلاً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم في عام ١٣٩٦هـ أصبح مديراً لها إلى عام ١٤١٤هـ، ثم عُين وزيراً للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وتولى الإشراف على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إلى عام ١٤٢٠هـ، ثم مستشاراً في الديوان الملكي بمرتبة وزير، وفي عام ١٤٢١هـ عُين أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي ولا يزال على رأس عمله.

أما عضويته ورئاسته ومشاركته في المجالس الإقليمية والعالمية فيصعب عدها؛ فمنها أنه عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت، عضو في المجلس الأعلى الإسلامي في القاهرة، عضو في مجلس أمناء مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، عضو في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وغير ذلك من المراكز العلمية في العالم كما في النيجر، وبون، وأندونيسيا، وفرانكفورت، وشيكاغو، وغير ذلك مما يصعب حصره حفظه الله.

إسهاماته في التأليف وخدمته لمذهب الإمام أحمد:

خدم المذهب الحنبلي خاصة خدمة جليلة، فقد نشر أمهات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكتب والمراجع الأصلية وأخرجها في حلل جديدة وبذلها للناس عامة، ولطلاب العلم خاصة بما لا نظير له.

فكتب المذهب كالكافي، والمقنع، والإقناع ومنتهى الإرادات، والمغني والشرح الكبير، والفروع، والإنصاف، وغيرها قد دمجها وذَيَّل بعضها على بعض فخرجت المؤلفات ميسرة مقربة للقراء.

أما مؤلفاته الخاصة فله أكثر من ١٢ مؤلفاً، وحوالي ٢٠ كتاباً في التحقيق، منها «أصول مذهب الإمام أحمد»، «مجمل اعتقاد السلف»، «تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب».

زيارته للكويت:

لا يمكن حصر زياراته للكويت بحكم تقلده لهذه المناصب مع عضويته للجان المحلية والإقليمية والعالمية، فكونه رئيس رابطة العالم الإسلامي فهو يتردد على الكويت لمتابعة أعمالها وللتشاور حول أعمالها، وكذلك فإن له عضويته في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، كما حضر أحد مجالس سماع الحديث منها مجلس سماع الترمذي التي عقد في الكويت، وألقى كلمة أبدى فيها إعجابه بما رآه وشجع القائمين على هذا العمل بالاستمرار فيه.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٠

وهبة مصطفى الزحيلي

(مواليد ١٣٥٢هـ/١٩٣٢م)

هو الشيخ الفقيه د. وهبة مصطفى الزحيلي، ولد في دير عطية في الريف السوري عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٢م).

الشيخ د. وهبة الزحيلي:

درس الابتدائية في مسقط رأسه دير عطية، ثم المرحلة الثانوية في الكلية الشرعية بدمشق مدة ست سنوات، وكان ترتيبه الأول والامتياز على جمع حملة الثانوية الشرعية عام ١٩٥٢، وحصل على الثانوية العامة الفرع الأدبي.

ثم تابع دراسته وتحصيله في كلية الشريعة في الأزهر، فحصل على الشهادة العالية، وكان ترتيبه الأول عام ١٩٥٦م، ثم حصل على إجازة تخصص التدريس في كلية اللغة العربية بالأزهر، درس الحقوق وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس بتقدير جيد عام ١٩٥٧م، ثم دبلوم معهد الشريعة والماجستير عام ١٩٥٩م من كلية الحقوق بجامعة القاهرة.

حصل على الدكتوراه في الحقوق (الشريعة الإسلامية) عام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٩٦٣م بمرتبة الشرف الأولى، وكانت رسالة عن «آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة» بين المذاهب الثمانية والقانون الدولي.

عين مدرساً بجامعة دمشق عام ١٩٦٣م، ثم أستاذاً مساعداً عام ١٩٦٩م، ثم أستاذاً عام ١٩٧٥م.

تخصصه الدقيق في الفقه وأصول الفقه، يدرسّهما مع الفقه المقارن في كلية الشريعة ومواد الشريعة في كلية الحقوق بجامعة دمشق والدراسات العليا فيها.

الجد والمثابرة في الكتابة والتأليف والعمل:

له قلم سيال ومثابرة وصبر على الكتابة، ومما يذكر عنه بتوفيق الله أنه ربما جلس وعمل في اليوم ١٦ ساعة، وامتازت مؤلفاته بالتوسع والاستفاضة.

أبرز مشايخه:

من مشايخه في دمشق الشيخ محمود ياسين في الحديث النبوي، والشيخ محمود الزنكوسي في العقائد، والشيخ حسن الشطي في الفرائض، والشيخ هاشم الخطيب في الفقه الشافعي، والشيخ لطفي الفيومي في أصول الفقه ومصطلح الحديث، والشيخ حسن حبنكة والشيخ صادق حبنكة الميداني في علم التفسير، والشيخ صالح فرفور في علوم العربية وغيرهم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما مشايخه في مصر فمنهم، الإمام محمود شلتوت، والإمام عبد الرحمٰن تاج، والشيخ جاد الرب في الفقه الشافعي، والشيخ محمود عبد الدايم في الفقه الشافعي أيضاً، والشيخ أبو زهرة، والشيخ مصطفى عبد الخالق وشقيقه الشيخ عبد الغني في أصول الفقه، والشيخ عثمان المرازقي والشيخ حسن وهدان في أصول الفقه أيضاً، والشيخ مصطفى مجاهد في الفقه الشافعي، وغيرهم.

أنشطته العلمية خارج بلاده:

نظراً لمكانته العلمية فإن الشيخ وهبة الزحيلي قد تنقل في أقطار العالم العربي والإسلامي بل على مستوى العالم عامة للاستفادة من علمه عن طريق دعوات وعقود عمل في الجامعات، أعير إلى كلية القانون في بنغازي ليبيا عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤م، أعير إلى كلية الشريعة والقانون في جامعة الإمارات لمدة خمس سنين ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩م، أعير بصفته أستاذاً زائراً في عدد من الجامعات، أعير إلى دول الخليج الكويت وقطر وغيرهما لدروس رمضان.

له عضوية في كثير من الهيئات والمجامع، فمن ذلك أنه رئيس الرقابة الشرعية في هيئة الرقابة الشرعية لشركات المضاربة والمقاصة الإسلامية البحرين، ولندن. وخبير الموسوعة العربية الكبرى في دمشق، وعضو مجلس الإفتاء الأعلى في سوريا، وعضو لجنة البحوث الإسلامية بوزارة الأوقاف السورية، وعضو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مراسل للموسوعة الفقهية بالكويت والموسوعة العربية بدمشق والأردن، وغير ذلك.

تلامذته:

له تلامذة كثر، ومن أبرز تلامذته، شقيقه شيخنا د. محمد الزحيلي، ود. عبد اللطيف فرفور، ود. عبد الستار أبو غدة ود. محمد أبو ليل، ود. عبد السلام عبادي، ود. محمد الشوربجي وغيرهم.

زيارته للكويت:

يزور الكويت بصفة مستمرة من خلال عضويته في كثير من اللجان الإقليمية وحضوره المؤتمرات التي تدعو لها الكويت باستمرار فهو وجه مألوف هنا.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة في الفقه والفقه المقارن، وكتبه متداولة بين الناس وطلبة العلم.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨١

محمد مصطفى الزحيلي

(مواليد ١٣٦١هـ/١٩٤١م)

هو شيخنا الفقيه الأصولي د. محمد مصطفى الزحيلي الشقيق الأصغر للشيخ د. وهبة الزحيلي، ولد في دير عطية وتدرج في طلب العلم فقد نشأ في بيئة علمية منذ صغره.

حصل على الشهادة الثانوية بتقدير ممتاز في الثانوية الشرعية بدمشق، ثم إجازة الشريعة الإسلامية بدرجة امتياز عام ١٩٦٥م كلية الشريعة في دمشق، ثم إجازة الحقوق بتقدير جيد جداً ١٩٦٦م كلية الحقوق ـ جامعة دمشق، دبلوم الأحوال الشخصية بدرجة ممتاز عام ١٩٦٦م كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر، ثم ماجستير في الفقه المقارن بدرجة ممتاز عام ١٩٦٧م (ماجستير الحقوق) كلية الحقوق جامعة القاهرة، ثم الدكتوراه في الفقه المقارن بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧١م، كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر.

علمه ووظائفه:

تقلد مناصب عديدة منها عميد كلية الشريعة جامعة الشارقة ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٦م، وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية ـ جامعة دمشق ١٩٨٥ ـ ١٩٩٧م، رئيس اللجنة التنظيمية لسبعة مؤتمرات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وندوات في جامعة الشارقة ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٦م، عضو المجلس العلمي الاستشاري بجامعة الكويت ١٩٩٨ ـ ٢٠٠٠م وغير ذلك.

أستاذ الفقه المقارن والدراسات العليا جامعة الشارقة (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٦م)، أستاذ الفقه الجنائي ـ المعهد العالمي للعلوم القانونية والقضائية ـ دبي، أستاذ الفقه المقارن جامعة الكويت (١٩٩٧ ـ ٢٠٠٠م)، أستاذ بكلية الشريعة جامعة دمشق (١٩٨١ ـ ١٩٩٧م)، أستاذ الدراسات العليا جامعة أم درمان ـ فرع دمشق (١٩٩٢ ـ ١٩٩٧م)، أستاذ الدراسات العالي جامعة الأردن، وأستاذاً زائراً ومشاركاً في كثير من الجامعات منها جامعة أم القرى بمكة معاراً لمدة أربع سنوات.

كما أنه عمل في بداية حياته العملية مدرساً للتربية الإسلامية في سوريا (١٩٦٩ ـ ١٩٧٠م)، ومعيداً في كلية الشريعة ـ جامعة دمشق (١٩٧٠ ـ ١٩٧١م) ومدرساً في كلية الشريعة جامعة دمشق عام ١٩٧٦ ـ ١٩٨١م.

خبرته العلمية والعملية:

يعمل الشيخ د. محمد الزحيلي في كثير من اللجان الشرعية العاملة كعضو، منها: أنه عضو اللجنة الدائمة للفتوى في إمارة الشارقة، رئيس تحرير مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية، وعضو هيئة الرقابة الشرعية للشركة الإسلامية للتمويل ـ دبي، ورئيس اللجنة الشرعية الدائمة في الأمانة العامة للأوقاف في الشارقة، وعضو هيئة الرقابة الشرعية بشركة المال الإسلامية في الكويت،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعضو هيئة الرقابة الشرعية في الهيئة العامة لشؤون القصّر، وخبيرٌ في مجمع الفقه الإسلامي في جدة، وعضو مؤسس في مجمع فقهاء الشريعة في أمريكا، بما يصعب حصره، في حوالي ٢١ جهة ومؤسسة إما كعضوٍ، أو مؤسس، أو رئيس، أو خبير.

الإنتاج العلمي:

له أعمال علمية كثيرة تحقيقاً وتأليفاً، ففي التحقيق له «أدب القضاء» لابن أبي الدم الحموي، شرح «الكوكب المنير» في أصول الفقه لابن النجار الفتوحي الحنبلي مشاركة، «المهذب في الفقه» لأبي إسحاق الشيرازي وغير ذلك، أما الكتب الجامعة فله «أصول الفقه الإسلامي»، «فقه القضاء والدعوى والإثبات»، «القواعد الفقهية في الفقه الحنفي والشافعي» وتصل أعماله حوالي ٤٢ كتاباً، والبحوث حوالي ١٠٩ بحوث حتى عام ٢٠٠٧م، والمقالات حوالي ٤٩٠ مقالاً في المجلات الفكرية والإسلامية والجامعية.

كما أن له برامج لخدمة المجتمع كالحلقات الإذاعية مثلاً في برنامج قبس من السيرة ـ مكة المكرمة ١٩٧٧ ـ ١٩٨٠م، ٣٠ حلقة في برنامج رمضان ١٩٩٩م إذاعة الكويت، عدا عن البرامج الإذاعية والتلفزيونية لبعض القضايا، كما أنه قد أشرف على حوالي ٢٥ رسالة علمية ماجستير ودكتوراه في عدة جامعات كجامعة الكويت، وجامعة أم القرى، وجامعة الشارقة وجامعة دمشق، وكلية الإمام الأوزاعي في بيروت وغير ذلك.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته للكويت:

أقام في الكويت فترة تدريسه في كلية الشريعة بجامعة الكويت ما بين ١٩٩٧م إلى عام ٢٠٠٠م، كما أنه قد تيسر لي القراءة عليه في «مختصر التحرير» للعلامة الفتوحي وشرحه الكوكب المنير وسجلت ذلك، وقد انتفعت منه كثيراً جزاه الله خيراً، كان الشيخ لطيفاً كريماً جاداً في الشرح وكانت مقدرته فائقة في شرح أصول الفقه بطريقة ميسرة وسهله، وكانت أول قراءة لي عليه في ١٠ شعبان ١٤١٨هـ (١٠/١٢/١٩٩٧م) من متن «مختصر التحرير» ثم إني شرعت أقرأ في «شرح الكوكب» الذي هو شرح للمتن من تحقيقه.

ومن إحدى زياراته الأخيرة كانت في أواخر ذي القعدة ١٤٣١هـ المؤتمر السنوي السابع لمجمع فقهاء الشريعة في أمريكا، الذي عقد في الكويت مؤخراً حيث شارك الشيخ محمد في الندوات المقامة في أعمال هذا المؤتمر.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٢

عبد الحكيم بن عبد اللطيف الحنبلي

(مواليد ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)

هو الشيخ المتقن القارئ الحافظ عبد الحكيم بن عبد اللطيف بن سليمان، أصله من بلد اسمها الطويرات في صعيد مصر، ولد في منطقته الدمرداش في ١٧/٩/١٩٣٦م (غرة رجب ١٣٥٥هـ)، نزح والده من الصعيد مبكراً في شبابه وكان يعمل في التجارة في مواد البناء.

طلبه للعلم:

بعث به والده وعمره ما بين ٤ إلى ٥ سنوات إلى مكتب المحمدي في منطقة الدمرداش فأتم حفظ القرآن وعمره ١٢ أو ١٣ سنة، وكان شيخ المكتبة الشيخ إمام عبده حلاوه، وقد تلقى الشيخ إمام عبده القرآن الكريم عن الشيخ حسن الجريسي، عن أبيه الشيخ حسن الجريسي أيضاً الشهير ببدير، عن الشيخ المتولي، برواية حفص، وأخذ أيضاً عن شيخ من شيوخ المتولي.

وبعد أن أتم القرآن قرأ الشيخ عبد الحكيم على تلميذ شيخه الشيخ علي مصطفى عرفة عدة ختمات وعلى غيره من مشايخ هذا المسجد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

معهد القراءات:

التحق بالمعهد الديني الابتدائي بالأزهر وبعد أن انتظم في الدراسة أصر والده على أن ينتقل إلى معهد القراءات بالأزهر، كان ذلك عام ١٩٥٠م، كان معهد القراءات بالأزهر يتكون من قسمين، قسم للمبتدئين وقسم للشهادة العالية، وحضر على مشايخ المعهد، وكانوا من كبار العلماء ولا يدرس في المعهد إلا من قرأ القراءات العشر، و«ناظمة الزهر» في العد، و«العقيلة» في الرسم، مع حصوله على العالمية في القراءات.

إجازة التجويد بحفص:

من أبرز المشايخ الذين حضر لهم واستفاد منهم في مرحلة إجازة حفص:

١ ـ الشيخ محمود علي بِسَّة، كان محامياً شرعياً، واعتزل المحاماة واشتغل بالتدريس، وكان يحمل الابتدائية الأزهرية، والثانوية الأزهرية، والعالمية وتخصص القضاء الشرعي، وتخصص التدريس وتلقى القراءات العشر ودرس الرسم والفواصل، أخذ عنه الشيخ عبد الحكيم إجازة التجويد فقرأ عليه عدة ختمات وحضر له شرح التحفة والجزرية وألف كتاباً حافلاً في التجويد سماه «العميد في علم التجويد».

تمذهب الشيخ عبد الحكيم بالمذهب الحنبلي وحبه له:

يذكر الشيخ عبد الحكيم أن الشيخ محمود علي بسة كان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حنبلياً، قال: «وهو الذي حنبلني»، وحببني في هذا المذهب، وأرشدني إلى كتب الحنابلة ككتاب المقنع لابن قدامة وغيره، وأذكر أن الشيخ لما تشرفت بدعوته في منزلي مع القراء ـ سيأتي ذكر ذلك ـ لما ذكرت له منظومة ابن نصر الله الحنبلي رغب فيها فأهديته نسخة عنها مجلدة ففرح بها كثيراً.

حبه للقراءات:

أحب الشيخ عبد الحكيم علم القراءات وعشقها وأجراها الله في دمه فحرص على تقوية ذلك من كبار المشايخ سواء في المعهد أو من خارج المعهد بالتلقي والرحلة والسعي في ذلك.

عالية القراءات:

بعد أن أتم الشيخ المرحلة الأولى وهي إجازة التجويد بحفص انتقل إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة عالية القراءات وتتضمن دراسة الشاطبية والدرة وغير ذلك من التفسير والرسم والفواصل والنحو والصرف والفقه.

فقد حضر في هذه المرحلة على الشيخ محمد عيد عابدين شرح الشاطبية والدرة، وكان الشيخ عابدين حنفياً وله مثل مؤهلات الشيخ محمود علي بسة، وكان شديداً على الطالب المقصر لدفعه إلى الجد في الطلب، وحضر على الشيخ أحمد مصطفى أبو الحسن في العرض والتطبيق للشاطبية والدرة، كما حضر على الشيخ أحمد علي مرعي، والشيخ متولي الفقاعي، والشيخ أحمد الأشموني.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تخصص القراءات:

انتقل الشيخ إلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة التخصص وحضر فيها على كبار المشايخ منهم الشيخ عامر السيد عثمان شيخ المقارئ المصرية، والشيخ حسن المري وهو من تلاميذ الشيخ الزيات، والشيخ أحمد عطية، والشيخ أحمد عبد العزيز الزيات قرأ عليه في المعهد، والشيخ خميس نصار، والشيخ عبد المنعم السيد، والشيخ محمود بكر.

خارج المعهد:

اعتنى الشيخ بتلقي القراءات من خارج المعهد فأول من تتلمذ عليه في الشاطبية والدرة الشيخ مصطفى الملواني، والشيخ الملواني قد قرأ على الشيخ حسن الجريسي الصغير، ثم قرأ على الشيخ مصطفى الباجوري شيخ مقرأة الحسين، قرأ عليه ختمة لحفص مع التحفة والجزرية شرحاً وتطبيقاً، ثم قرأ عليه بالشاطبية والدرة إفراداً وجمعاً إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ آخر سورة القصص، وقد أجازَهُ مشافهة.

كما اختبره الشيخ عبد الفتاح القاضي وسر بقراءته ومدحه، ولازم الشيخ عبد العزيز الزيات وقرأ عليه الطيبة، وكان الشيخ يحاوره في الشاطبية والدرة إلى أن أتم ذلك في سنة ونصف.

كما قرأ على الشيخ إبراهيم السمنودي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته الكويت:

زار الشيخ عبد الحكيم مرات عديدة للإشراف على مسابقات القرآن الكريم مع وزارة الأوقاف الكويتية، وبدعوات من الأخ الشيخ د.ياسر المزروعي تلميذ الشيخ، للإشراف على طباعة مصحف الكويت.

زيارة الشيخ لمنزلي:

تشرفت بدعوة القراء الذين جاءوا الكويت للإشراف على طباعة مصحف الكويت بسعي مشكور من د. ياسر المزروعي وهم الحافظ الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف، الحافظ الشيخ كريم راجح شيخ قراء الشام، الحافظ الشيخ التهامي الهاشمي المغربي، الشيخ الحافظ محمد صفا الأزرق المغربي، الشيخ الحافظ أحمد المعصراوي شيخ المقارئ في مصر، الشيخ المحدث محمد إسرائيل الندوي الهندي، بحضور الأخوة المشايخ فيصل يوسف العلي، د.ياسر المزروعي، محمد بن ناصر العجمي.

وقد قرأ الشيخ عبد الحكيم بين يدي المجلس ما تيسر من سورة سبأ كما قرأ الشيخ المعصراوي والشيخ الأزرق ما تيسر، وقد أجاز الشيخ عبد الحكيم الجالسين بالحديث المسلسل بالأولية، كان ذلك بتاريخ ٢٥ محرم ١٤٢٨ (١٣/٢/٢٠٠٧م) كما استجاز المشايخ كلهم الشيخ محمد إسرائيل فأجازهم. وفي الجلسة سمعت الشيخ عبد الحكيم يستشهد من أبيات ابن نصر الله الحنبلي، فقلت له: عندي مخطوط للمنظومة وأهديته له ففرح به،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكنت قد تشرفت بلقاء الشيخ في شقته القديمة في العباسية قبل أن ينتقل لسكنه الجديد أنا والأخ د.ياسر المزروعي وقد قرأت عليه الفاتحة وربع البقرة عام ٢٠٠٦م هناك، كما إني قرأت عليه مرة أخرى الفاتحة والأرباع الثلاث الأول من البقرة في الفندق الذي نزل فيه في الكويت شتاء ١٤٣٠هـ.

من تلاميذ الشيخ المبرزين:

منهم الشيخ د.أحمد المعصراوي شيخ عموم المقارئ المصرية الآن، والشيخ د.ياسر المزروعي قرأ عليه ختمة «حفص»، وراجع له ختمته ليعقوب الحضرمي كاملة.

تسجيلاته:

سجل ختمتين لحفص أحدهما بقصر المنفصل، وختمة لشعبة، وشرع في ختمة مصورة لأبي جعفر في قناة الفجر، وله برامج في إذاعة القرآن الكريم في مصر، برنامج اقرأوا القرآن في التجويد التطبيقي، ثمان حلقات في التجويد العلمي، وشرع في شرح الشاطبية.

زياراته ونشاطه الإقليمي والعالمي:

الشيخ عبد الحكيم زار كثيراً من دول العالم بدعوات رسمية للإشراف على المسابقات القرآنية، زار أستراليا، وتايلند، وبومبي، وبنغلادش وساحل العاج وسيراليون وروسيا والولايات المتحدة (نيويورك وكاليفورنيا) في رمضان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفيما يتعلق ببلدان العالم العربي فإنه زار الكويت أكثر من مرة، وزار الإمارات وشارك في لجنة مسابقة دبي ومراجعة مصحفها وزار قطر والسعودية التي أقام فيها سنة كاملة في المدينة المنورة يدرس فيها التجويد والقراءات.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٣

التهامي الهاشمي

(مواليد ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م)

هو الشيخ الحافظ المقرئ د. التهامي الراجي الهاشمي، ولد بالبهاليل وهي مدينة صغيرة تبعد عن مدينة فاس ٢٨ كيلو متراً، ٢٤/٥/١٩٣٦م، ينتسب إلى عائلة شريفة متدينة، عرفت عائلته أيضاً «بفقيه الدين» نسبة إلى جده سيدي الهاشمي بن سيدي أحمد الذي طلبه أهل سكان البهاليل للمجيء إلى قريتهم عام ١٨٤٧م للقيام بواجباته الشرعية وتذكيرهم بشرع الله بسبب انشغال الناس بالمواشي وشيوع الأمية والجهل، وقد جاءهم من جامعة القرويين وأدى ما كلف به رحمه الله.

طلبه للعلم:

أدخله والده وهو في السابعة إلى المدرسة الابتدائية، وتدرج فأصبح أستاذ كرسي علوم القرآن بكلية الآداب التابعة لجامعة محمد الخامس الرباط، وأستاذ كرسي القراءات بمسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، وهو أستاذ التعليم العالي بالرباط إلى الآن، وتقلد نائباً لوزير التربية في مكناس وأكادير وطرفاية وطنجه وتطوان وفي الستينيات والسبعينيات وعديد من المناصب الإقليمية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قدم دروساً في القراءات أمام الملك الحسن الثاني في ليال رمضان ١٤١٤هـ فعينه الملك أستاذ كرسي القراءات بمسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، وهي المهمة التي مازال يقوم بها إلى الآن، وكلفه أيضاً بمراقبة معاهد القراءات المنتشرة في البلاد المغربية.

زيارته الكويت:

زار الكويت أكثر من مرة إحداها عام ١٤٢٨هـ، وذلك للنظر في إعداد مصحف الكويت مع ثلة من العلماء من مصر والشام، كما حضر أيضاً عام ١٤٣١هـ مسابقة صاحب السمو الأمير في حفظ القرآن والقراءات السبع، وقد تشرفت بدعوته في منزلي عام محرم ١٤٢٨هـ، حيث حضر مشكوراً مع القراء الذين دعتهم وزارة الأوقاف؛ منهم: شيخنا الشيخ كريم راجح شيخ قراء الشام، والشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ المقارئ، والشيخ أحمد المعصراوي شيخ عموم المقارئ في مصر وغيرهم، وسبقت الإشارة إلى ذلك.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٤

محمود الطحان

(مواليد ١٣٥٥هـ/١٩٣٥م)

هو فضيلة الشيخ العلامة المحدث د. محمود بن أحمد الطحان الحلبي التُّعيمي، يرجع نسبه إلى علي بن الحسين بن أبي طالب ﵁.

مولده ونشأته:

ولد شيخنا أبو حفص محمود الطحان في قضاء الباب من أعمال حلب عام ١٩٣٥م (١٣٥٥هـ)، ثم انتقل إلى «منبج»، ثم إلى حلب، وقد نشأ في أسرة متدينة في كنف أبيه الحاج الشيخ أحمد الطحان.

تدرجه في طلب العلم والتعليم:

درس في «قضاء الباب» مسقط رأسه المرحلة الابتدائية وأكملها في منبج التي انتقل إليها، ثم نال الثانوية الشرعية عام ١٩٥٤م.

أكمل حفظ القرآن الكريم في سنتين على الشيخ محمد نجيب واستكمله في الثانوية الشرعية وفي جامع الخسروية عليه، ثم التحق بكلية الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٥٦م وتخرج عام ١٩٦٠م، وقد تزوج أثناء دراسته، ثم استكمل الماجستير والدكتوراه كما سيأتي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أبرز شيوخه:

درس على ثلة كريمة من المشايخ والعلماء في بلده، من أبرزهم مفتي منبج الشيخ جمعة أبو زلام، درس عليه الفقه والنحو وجزء من ألفية ابن مالك، ومن مشايخه في الثانوية الشرعية الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين، والشيخ محمد الملاح قرأ عليه في علم المصطلح والفقه الحنفي، والشيخ محمد نجيب خياطة شيخ القراء بحلب تلميذ الشيخ أحمد أبو التيج المدني مؤسس علم القراءات في حلب قرأ عليه التجويد والتلاوة والفرائض، والشيخ محمد سلقيني والشيخ الفقيه اللغوي سعد عبجي مفتي حلب في علم العروض، والشيخان محمد ناجي أبو صالح وعبد الله حماد قرأ عليهما في علم الصرف.

أما شيوخه في الأزهر حيث حصل على الدكتوراه في علم المصطلح من كلية أصول الدين، منهم الشيخ د. محمد أبو زهو صاحب كتاب «الحديث والمحدثون»، والشيخ د. محمد السماحي وغيرهم.

عمله:

تقلد أعمالاً كثيرة، فقد عمل خطيباً وإماماً في جامع الزيارة في منبج وفي عدة مساجد في حلب، ثم مدرساً لمادة التربية الإسلامية في سوريا في عدة مناطق في الحقة، واللاذقية، وحلب إلى عام ١٩٦٥م.

انتقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودَرَّس فيها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحديث والمصطلح كما درس الماجستير وسعى للدكتوراه وبقي يدرس في السعودية لأكثر من عشر سنوات، خلال وجوده في السعودية حصل الماجستير عام ١٩٦٩م، ثم حصل على الدكتوراه في الحديث الشريف من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٧١م وعنوان رسالة «الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث»، أشرف عليه الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ثم الشيخ محمد عبد الحكيم رحمهما الله.

انتقل إلى كلية الشريعة في الرياض في جامعة محمد بن سعود، وبقي فيها سبع سنوات، وألف فيها أشهر كتبه «تيسير مصطلح الحديث» عام ١٩٧٧م، وقد لاقى هذا الكتاب قبولاً وطبع مرات عديدة حتى يومنا هذا، ثم أَلَّف بعده الكتاب الآخر الذي لاقى شهرة كالسابق، وهو «أصول التخريج ودراسة الأسانيد»، وهو أول كتاب جامع في التخريج، وكلاهما مقرر في الجامعات وكليات العالم الإسلامي إلى أيامنا هذه.

زيارته للكويت:

انتقل إلى جامعة الكويت عام ١٩٨٢م وبقي فيها إلى أن بلغ السبعين عام ٢٠٠٥م، وغادر بعدها إلى حلب مسقط رأسه..

وفي أثناء وجوده في الكويت كانت له دروس علمية منظمة في مسجد المواش في منطقة الجابرية يدرس فيه علم المصطلح من كتاب «تيسير علم المصطلح» وكتاب «مقدمة ابن الصلاح».

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة ومساهمات في المجلات الإسلامية والصحف اليومية وله دروس في الإذاعة في الكويت خاصة، ومن أبرز مؤلفاته كما مر «تيسير مصطلح الحديث»، و«أصول التخريج»، وتحقيق المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، وله ردود على كثير ممن خرجوا عن إجماع المسلمين في بعض المسائل.

شخصيته وعلمه:

الشيخ محمود غزير العلم خاصة في مصطلح الحديث، ويدرسه لك كقراءة الفاتحة للجالس أمامه بتمكن وعلم وقدرة فائقة وبلغة بسيطة يفهما أوساط الناس(١).

---

(١) وقد تيسر لي القراءة على الشيخ محمود عن قرب وقد لازمته حيث درست عليه كتابه «تيسير مصطلح الحديث»، وكتاب «أصول التخريج» وتشرفت بتعلم التخريج على يديه، كما أني لازمته ملازمة متصلة وقرأت عليه كتاب «الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث» للحافظ ابن كثير، وقد شرحه حفظه الله شرحاً وافياً وقيدت ما قاله وعلق عليه، وأجازني به بخطه وتوقيعه، وكانت أول قراءة عليه في «الباعث الحثيث» بتاريخ ٢٣/ ٧/ ١٩٩٧م (ربيع الأول ١٤١٨هـ) وأنهيته مع الإجازة به في ربيع الأول ١٤١٩هـ كتب لي ذلك بخطه على نسختي بتوقيعه الكريم بتاريخ ٢٢/ ٧/ ١٩٩٨م، أما «تيسير مصطلح الحديث» فكانت أول القراءة بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٤٠٩هـ (١٢/ ٦/ ١٩٨٩م)، أما كتابه «أصول التخريج» فكانت أول القراءة منه على مؤلفة شيخنا محمود الطحان بتاريخ ١٤ ذي القعدة ١٤١٢ (١٦/ ٥/ ١٩٩٢م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٥

حسن جلبي[1]

(مواليد ١٩٣٨م/١٣٥٨هـ)

هو أستاذ الخط وإمامه في عصرنا الحاضر وتلميذ آخر أئمة الخط العلامة موسى عزمي الأمدي (ت١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م) الذي تتلمذ بحميد مصطفى عاكف، وحلمي أفندي، وخلوصي ونظيف.

مولده:

ولد الأستاذ الشيخ حسن جلبي في قرية أنجي التابعة لمحافظ أرضروم ـ تركيا، عام ١٩٣٨م، وكانت الأوضاع شديدة التوتر في فترة الحرب العالمية الثانية.

(١) وقد تشرفت بكتابة هذه الترجمة ـ في المسجد النبوي الشريف ٦ شعبان ١٤٣٠هـ بعد صلاة الفجر ـ من مقدمات أمشاقه ولوحاته، آخرها مايو ٢٠٠٩م، وزارة الأوقاف الكويتية (مركز الكويت للفنون الإسلامية ـ المسجد الكبير) وفي «مجلة الوعي الإسلامي» ع (٥٢٧) رجب ١٤٣٠هـ، وكذلك مما تيسر من سماع مسيرته وأحواله من كلامه، حيث تيسر لي لقاؤه مرات عديدة منذ عام ٢٠٠٧م إلى الآن بحمد الله كان آخرها في شهر شعبان في المدينة المنورة ١٤٣١هـ، ثم في شوال ١٤٣١هـ في مدينته اسكدار في إسطنبول.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تدرجه الوظيفي:

لما بلغ سن الدراسة الابتدائية لم تكن قرى الأناضول قد عرفت المدارس الرسمية بعد، إلا أن رجلاً متعلماً من أفراد هذه القرية قد دأب على إحضار الصحف إلى القرية وتعليقها في مكان عام ليراها الناس ويقرؤها الجميع، ومن تلك الصحف تعلم الأستاذ الشيخ حسن جلبي القراءة، ولما أنشئ في قريته كُتَّاب لتحفيظ القرآن الكريم وحفظه، وأقيم لهذه المناسبة حفل أثار إعجاب الأستاذ الشيخ حسن جلبي، وكان طفلاً آنذاك، فاتجه إلى حفظ القرآن الكريم على يد خاله وأتم حفظه.

في عام ١٩٤٥م أي: حوالي نهاية الحرب العالمية الثانية، انتقل إلى العاصمة اسطنبول لتلقي المزيد من علوم القرآن الكريم، وهناك استقر في مدرسة «أوج باش» في غرفة رتب أمرها أحد أبناء قريته الوافدين إلى اسطنبول، درس العربية والعلوم الدينية، وبعد مرور ستة أشهر تم نقله إلى مدرسة «جينلي» في حي «اسكدار» في اسطنبول وتم تعيينه مؤذناً في «جامع مهرماه سلطان» في عام ١٥/ ٥/ ١٩٥٦م.

الأذان والإمامة:

كان عمله مؤذناً كما أشرنا في بداية الأمر في جامع مهرماه، إلى عام ١٩٥٧م حيث أدى الخدمة العسكرية إلى عام ١٩٥٨م، ثم لما فرغ منها عُين إماماً في «مسجد محمد نصوحي»، ثم نقل في ٢٧/ ٥/ ١٩٦٠م ليعمل مؤذناً خارج اسطنبول في شمال شرق تركيا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهناك التقى بالمفتي الحافظ بكر الذي عمل على إعادته إلى العاصمة اسطنبول مجدداً، ومن ثم ترقيته إلى وظيفةِ إمامٍ بعد أن كان مؤذناً، وذلك في ١٥/٨/١٩٦٣م.

وقد عمل إماماً لجامع «الشيخ» منذ ١٩٦٤م، ثم انتقل إلى جامع «سلامي علي».

نبوغه في الخط وبروزه:

عندما تقاعد الشيخ حسن عن الإمامة عام ١٩٧٨م تفرغ للعمل في مجال الخط، وكان قد حصل على إجازة الخط عام ١٩٧٥م في مسجد «سلامي علي»، وقد خصص يوم السبت من كل أسبوع لتعليم الخط.

مشايخه في الخط وتلاميذه:

من أوائل مشايخه الخطاط حليم ـ تلميذ الإمام حامد الأمدي ـ الذي مدح خطه في حرف الفاء المرسل ولم يتمكن من التردد عليه كثيراً بسبب وفاته بعد ٤ أشهر بحادث مروري، فعاد الشيخ جلبي إلى الأستاذ حامد الأمدي، وكان الأستاذ حامد قليل الكلام لهذا أمضى الشيخ جلبي قرابة عامين ليكتب وينهي أول لوحه «رب يسر ولا تعسر»، ثم أجازه بعد ٦سنوات، كما أخذ خط التعليق عن الشيخ كمال بطّان الذي أجازه به.

أبرز تلاميذه:

تتلمذ على يد الشيخ حسن طلبة كثيرون من داخل تركيا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وخارجها وبرز منهم مخلص أوصاد، برأت كولن، داود بكداش وغيرهم من طلبته في العالم الإسلامي.

المراحل التي مر بها الخط العربي:

ذكر الشيخ المراحل التي مر بها الخط العربي وهي ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى:

وهي من حين ما ابتدأ نزول الوحي على النبي ﷺ بالقرآن الكريم وأمره عليه الصلاة والسلام بكتابته على الجلود والعظام ونحوها.

ومنذ هذه الفترة إلى عهد العباسيين، ومنها تطور استعمال الخط الكوفي في أغلب أحيانه ومع ذلك، فقد شهدت هذه الفترة خاصة في آخر عهد الأمويين وبداية عهد العباسيين بالبحث عن خط بديل للكوفي عندما رأينا اشتهار الخطاط علي بن[1] هلال الشهير بابن البواب في كشف وتأسيس الخط الريحاني والقلم المحقق.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز المعروف بابن البواب، يرجح أنه ولد عام ٣٥٠هـ (١٩٦١م)، هذب طريقة ابن مقلة الخطاط الإمام البارع، تعلم ابن البواب الخط على يد ابن أسد تلميذ ابن مقلة، كان ابن البواب يحفظ القرآن الكريم ويروى أنه كتب ٦٤ مصحفاً بيده، توفي عام ٤١٣هـ (١٠٢٢م).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرحلة الثانية:

تبدأ بما أبدع به الخطاط ابن البواب في المحقق والريحاني، واستفادة ياقوت المستعصم منه، وفي هذه الفترة شهدت التجارب القلم المحقق والريحاني وابتداء الثلث، وهو الذي وقف عند ياقوت، وياقوت هو الذي اعتنى به وقام بتطويره حتى بلغ غايته.

ظهر في هذه الفترة معرفة كيفية قطع القلم وبحثه عن إمكانات تطويره وتأهيله للخطوط حتى انتهى من تصميم وهيكلة الحروف، واستمر هذا الفكر إلى بداية العهد العثماني وهو نهاية المرحلة الثانية.

المرحلة الثالثة:

تبدأ من حيث انتهى إليه ياقوت إلى تصفية الحروف ووضع القواعد لها وأساليب جديدة في فنون الخط وهي التي كانت في عهد الخطاط الشيخ «حمُدالله» في بداية القرن التاسع الهجري، وبالشيخ «حمدالله» ابتدأت المرحلة الثالثة الذي عاش ما بين ١٤٢٦هـ إلى ١٥٣٠م.

وهو الذي لقب بإمام الخطاطين وعرف بابن الشيخ، وذلك أن والده عرف عنه العلم والصلاح.

وفي عصر السلطان بايزيد ابتدأ حكمه باستدعاء الخطاط «حمد الله» إلى مقر الحكم في الدولة العثمانية اسطنبول، وطلب منه أن يضع كل ما اخترعه ووصل إليه في العلم بالخط العربي. فاعتكف الخطاط أربعين يوماً يستخير ربه ويستعين به وما يسترشد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

له في مستقبل أمره فتوصل إلى قواعد الخط العربي والأشكال والفنون لأنواع الخطوط وأساسات هذه الخطوط، وبهذا وضع الأساس العلمي والفني والذوقي لهذا العلم.

زيارته الكويت وزيارته لي في منزلي:

قام الأستاذ الشيخ حسن جلبي بزيارة الكويت عدة مرات، وله تلاميذ من الكويت يحرصون أشد الحرص على دعوته لزيارة البلاد وعرض لوحاته، خاصة المعارض التي يشرف عليها «مركز الخط والفنون الإسلامية» في مسجد الدولة برئاسة الأستاذ فريد العلي، والمهندس جاسم المعراج الذي أجيز مؤخراً من قبل الشيخ وقد تتلمذ هو والأستاذ أيمن حسن على الشيخ حسن وتلميذه داود.

كما أن وزارة الأوقاف استضافت الشيخ حسن للاستفادة منه في موضوع طباعة مصحف الكويت.

وقد حضرت معظم المعارض التي أقامها في الكويت وتشرفت بدعوته في منزلي في ١٢جمادي الأول ١٤٣٠هـ (٧/ ٥/ ٢٠٠٩م) بحضور جمع كبير من المهتمين بحضور الشيخ[١].

---

(١) حضر الدعوة ابن الشيخ د.مصطفى، وحضر الأستاذ فريد العلي، والمهندس جاسم المعراج من الكويت، والأستاذ أيمن حسن من سوريا، والأستاذ محمد مندي من تلاميذ الشيخ من دولة الإمارات، جميعهم من تلاميذ الأستاذ داود بكداش تلميذ الشيخ حسن واتصالهم دائماً بالأستاذين، كما حضر الدعوة الشيخ فيصل يوسف العلي، =

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قراءة رسالة في علم القلم لابن البواب في الكويت:

تيسر لي مع قدوم الشيخ إلى منزلي بتاريخ ١٢ جمادي ١٤٣٠هـ (٧/ ٥/ ٢٠٠٩م) أني وجدت بتوفيق الله الفرصة مواتية لقراءة هذه الرسالة القيمة التي وضعها إمام الخط العربي ابن البواب، فعرضنا ذلك على الشيخ حسن فوافق مشكوراً، وتيسر لي قراءتها بسماع الجميع المذكورين أعلاه، ثم إن الشيخ شرفنا بتوقيعه على كل نسخة من النسخ التي بين أيدي الحاضرين، وأجازنا بها، والحمد لله رب العالمين.



= ود. ياسر المزروعي، والشيخ محمد ناصر العجمي، والشيخ جراح داود الجراح، ود. وليد العلي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٦

ثناء الله بن عيسى المدني

(مواليد ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)

هو فضيلة شيخنا العلامة المحدث الحافظ الفقيه ثناء الله بن عيسى المدني خان بن إسماعيل خان، من باكستان.

مولده وطلبه العلم في بداية عمره:

ولد في قرية «كلسي» قرب لاهور سنة ١٩٤٠م، حصل على الدراسة الابتدائية في قريته، وحفظ كتاب الله عن ظهر قلب في صغره قبل التحاقه بجامعة أهل الحديث بلاهور التي أتم الدراسة فيها حتى أكمل الدراسات العليا على يد كبار العلماء، ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في كلية الشريعة وتخرج فيها ١٩٦٨م، واستفاد من ثلة العلماء الأعلام في تلك الفترة في كما سيأتي، ثم عاد إلى بلده مدرساً وداعياً فيها.

مشايخه[١]:

مشايخة كثير من أبرزهم الفقيه الحافظ عبد الله الأمر تسري

(١) انظر للتفصيل: إجازة الرواية المسماة: تذكرة الجهابذة الدُّرَرِي في سند ثناء الله المدني، رتبها القارئ محمد إبراهيم مير محمدي المدني أحد تلامذة الشيخ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الـروبـري، والـعـلامـة الـمـحـدث الـكـبـيـر الـحـافـظ مـحـمـد أعـظـم الكوندلوي، الأستاذ أبو القاسم محمد عبده الفلاح نزيل فيصل آباد باكستان، معالي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس القضاة في السعودية والمفتي العام حينها، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي عام السعودية، والعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب تفسير «أضواء البيان»، العلامة المحدث الشيخ حماد الأنصاري، العلامة المحدث الشيخ محمد ناصرالدين الألباني، فضيلة الشيخ العلامة عطية سالم، فضيلة الشيخ المحدث عبد المحسن العباد وغيرهم.

الوظائف التي تقلدها:

تولى مهمة التدريس في عديد من الجامعات والمدارس، كما تعين مديراً للتعليم في الجامعة السلفية في فيصل آباد، وهو الآن شيخ الحديث في جامعة لاهور الإسلامية، وعمل سنوات عديدة في التوعية الإسلامية في الحج، وله نشاطات متعددة في بلده باكستان، وجمع كبير من الطلبة والتلاميذ وله مصنفات منها «الفتاوي الثنائية المدنية»، وكتاب «جائزة الأحوذي في التعليقات السلفية على سنن الترمذي»، وكتاب «شرح الشمائل المحمدية» أمتع الله تعالى بعلمه وعمله.

زيارته للكويت:

كانت زيارته للكويت بدعوة رسمية من قبل الأخ الشيخ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيصل بن يوسف العلي مدير الإدارة الفنية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت سابقاً، ورعاية الوكيل المساعد لشؤون المساجد الأستاذ عبد الله الشهاب سابقاً لإتمام مشروع قراءة الكتب السبعة الذي يشرف عليه شخصياً الشيخ فيصل العلي وفقه الله تعالى، ثم تكررت زيارته عدة مرات عام (١٤٢٧ ـ ١٤٢٨هـ) (٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨م) وذلك في مسجد الدولة الكبير، بحضور جمع كبير، هذا عدا عن القراءات الخاصة التي حرص فيها طلبة العلم على الاستزادة من علمه حفظه الله، وقد امتازت تعليقاته حفظه الله بدقتها وجزالة نفعها، كما ظهر للجميع قوة حفظه وحسن استحضاره لما شرع في شرح آخر حديث في صحيح البخاري: «كلمتان خفيفتان»[1].

تمكنه وجزالة شرحه وتعليقاته:

المتأمل لطريقة الشيخ ثناء الله في التعليق على الأحاديث واستنباط الأحكام مع ذكر الفوائد والتنبيهات سيعرف قدر الشيخ ومكانته فمن ذلك:

أولاً: دقة عباراته ووضوحها للسامع.

ثانياً: اختياره للمواضع التي يحتاج السامع إلى بيانها فيشفي السامع بإجاباته ويجنبه التساؤل والغموض.

---

(١) ومما ذكر الشيخ أنه أقرأ البخاري ٤٠ مرة، وهذا دأبه كل عام، نفع الله بعلمه حيث يشرع بشرحه سنوياً.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثالثاً: يعلق على الأحاديث والرجال والسند ويفك المستغلقات.

رابعاً: يجمع بين الفقه وعلم الحديث رواية ودراية.

خامساً: حرصه الواضح على سلوك خطى علماء الأمة من المحققين وأئمتهم المبرزين كابن تيمية وابن القيم.

سادساً: دقة متابعته للقارئ فلا يفوته شيء مما يقرأ ولا يكاد يرفع رأسه عن الكتاب.

سابعاً: كان من أوسع تعليقاته على آخر حديث في صحيح الإمام البخاري: كلمتان خفيفتان.. ظهر فيها قوة حفظه وسعة علمه، ودقة فهمه، وفصاحته وحسن تعليقه.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٧

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

(مواليد ١٣٦٠هـ/ ١٩٤٠م)

مولده:

هو العلامة الفقيه عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن الراجحي، ولد بمدينة البكيرية ضمن منطقة القصيم عام ١٣٦٠هـ.

حياته العلمية:

نشأ في أسرة صالحة مشجعة لطلب العلم، ثم ارتحل إلى الرياض والتحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في كلية الشريعة، ثم التحق بكلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة وعمل فيها أستاذاً مشاركاً.

مشايخه:

طلب العلم على علماء كبار عاصرهم واستفاد منهم وتفقه بهم. أما أبرز مشايخه:

١ ـ سماحة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم ويحضر دروسه صباحاً ومساءً.

٢ ـ سماحة العلامة الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأعلى رحمه الله تعالى ووالد الشيخ صالح الحميد رئيس مجلس الشورى سابقاً، وإمام وخطيب الحرم المكي، ورئيس مجلس القضاء الأعلى حالياً.

٣ ـ سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وهو أكثر من لازمه وذلك من حين مجيئه من المدينة المنورة حتى وفاته رحمه الله، ويظهر أثر الشيخ ابن باز في سمته وطريقة شرحه وعموم تدريسه.

دروسه العلمية ومؤلفاته:

للشيخ الراجحي دروس علمية رصينة في اليوم والليلة على عادة أهل العلم، كما أن له مشاركات إذاعية، فكثيراً ما يُستفتى ويُسأل عبر إذاعة القرآن الكريم في السعودية وإجاباته جلية، ملفتة للنظر لرصانتها ووضوحها.

كما أن له مؤلفات مهمة وعناية خاصة في العقيدة وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ومذهب الإمام أحمد رحمه الله.

وله أشرطة ومحاضرات ومشاركات في الندوات العامة والتوجيه والإرشاد، وله دروس في شرح الكتب الستة والموطأ، وصحيح ابن خزيمة، وبلوغ المرام، ورياض الصالحين، ونخبة الفكر، وكتاب التوحيد، والحموية، والتدمرية لشيخ الإسلام وغير ذلك.

فمن مؤلفاته:

١ ـ الإشراف على تحقيق كتاب بيان تلبيس الجهمية ـ مطبوع.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢ ـ تبصير الأنام بشرح نواقض الإسلام، للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

٣ ـ إثراء المقال في شرح رد الإمام الجهمي الضال.

٤ ـ الإفهام في شرح بلوغ المرام في مجلدين.

٥ ـ من آداب الحج وأحكامه.

٦ ـ القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والنهي عن المنكر.

٧ ـ شرح كتاب «كشف الشبهات».

٨ ـ تعليقات على شرح «لمعة الاعتقاد».

٩ ـ شرح البخاري في ٤٠٠ شريط.

١٠ ـ شرح مسلم في حوالي ١٧٠ شريطاً.

١١ ـ عمدة الفقه كاملاً في ٣٩ شريطاً.

زيارته للكويت:

وجهت للشيخ الراجحي دعوة رسمية في جمادي ١٤٢٨هـ ضمن دورة العلامة محمد صالح العثيمين ـ إشراف لجنة الدعوة والإرشاد لمنطقة بيان ومشرف قام مشكوراً بشرح رسائل قيمة مثل:

١ ـ «اللمعة في الأجوبة السبعة» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢ ـ «الأربعون في دلائل التوحيد» للهروي.

وقد تيسر لي حضور هذه الشروح كاملة بحمد الله وكانت في مسجد الزبن في ضاحية بيان.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصف الشيخ الراجحي:

الشيخ ربعة في الجسم أقرب إلى القصر، غير ممتلئ البدن يخضب بالحناء والكتم، طويل اللحية، أسمر اللون يلبس الشماغ والبشت.

يستحضر الآيات والأدلة بصورة عجيبة ومقنعة، وإجاباته وافية، يحافظ على الأذكار في أدبار الصلوات، ويطيل القراءة في صلاته، ويطمئن في ركوعه وسجوده، ما سمعت ردوداً مفحمه على أهل الكلام مثل ما سمعت منه حفظه الله.

ولا يمل من الشرح ولا يضجر، ويفحم السائل بإجاباته، وكلماته متلاحقة متصلة غير متقطعة مما يدل على غزارة الأدلة وحسن ترتيبها في ذهنه بفضل من الله تعالى.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٨

محمد بن قاسم الوشلي

(مواليد ١٣٦٠هـ/١٩٤٠م)

اسمه ومولده:

هو الشيخ العلامة محمد بن قاسم بن إسماعيل الوشلي الحسني، ولد بمدينة الزيدية في اليمن عام ١٣٦٠هـ.

نشأته ودراسته:

حفظ القرآن بمدرسة الزيديّة الرسمية على يد العلامة الشيخ علي بن أبي بكر صائم الدهر، وتعلم القراءة والكتابة والحساب وغيرها في مساجد قريته، ورافق والده الذي كان يرتحل لنشر العلم في الكثير من مدن اليمن حيث كان والده يتصدر لإقراء الصحيحين، وتلاوة كتاب الله وتفسيره.

ارتحل الشيخ إلى مكة ودرس فيها على العديد من العلماء وحصل منهم على الإجازة.

أبرز شيوخه:

والده العلامة قاسم بن محمد الوشلي، والسيد علوي عباس مالكي الحسني، والعلامة عبد الله سعيد محمد عبادي اللحجي،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والعلامة محمد العربي التباني، والعلامة السيد حسين بن محمد الزواك الذي قرأ عليه البخاري وغيره من الكتب الحديثية، والسيد محمد يحيى دوم الأهدل، والعلامة أحمد بن محمد عامر الشحري، وجده العلامة إسماعيل بن محمد الوشلي.

قراءة صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما عليه:

ومما هو جدير بالذكر أن الشيخ الوشلي قد استدعي إلى الكويت في برامج السماع الذي أشرف عليه الشيخ فيصل العلي برعاية وزارة الأوقاف فسُمع عليه صحيحا البخاري ومسلم مع ثلة كريمة من العلماء، وكانت آخر زياراته للكويت في شوال ١٤٣١هـ، وقبلها في ذي القعدة ١٤٣٠هـ.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٨٩، ٩٠

محمد المختار الشنقيطي (مواليد ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)
عبد الله الشنقيطي (مواليد ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م)

الشيخ محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي.

هما ولدا العلامة الفقيه الإمام المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب تفسير «أضواء البيان» الغني عن التعريف.

وقد زارا الكويت بدعوة رسمية من وزارة الأوقاف الكويتية بمتابعة خاصة من الشيخ فيصل يوسف العلي مدير القطاع الثقافي في الوزارة آنذاك.

وذلك في الفترة ما بين ٢١/٧ إلى ٢٦/٧/٢٠٠٧م.

وصف الشيخين:

كلاهما في الستينيات من العمر يعلوهما الوقار ويرتديان الغترة والبشت، طوال القامة نحاف الجسم يتقاربان في الهيئة والسمت ولحاهما بيضاء ولا يغيران الشيب.

وقد تحدثا عن والدهما الإمام الشيخ محمد الأمين وعقبا وردا كثيراً مما قيل في حقه في بعض المسائل والحوادث خاصة فيمن يحاول أن يوهم أن الشيخ كان بسيطاً لا يعرف شيئاً عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عصره، كقول البعض أنه لم يكن يفرق بين الريال والعشرة، وردوا قصة من قال في حقه أنه لما سئل عن شهادة الزور فقال: الشهادات الجامعية، وأنه لم يقل ذلك، بل كان متيقظاً فطناً، وكان رده بقوله لأحد الطلبة: «ستتخرج ولا تعرف الشهادة»، فحرفها الناس.

زيارة حافلة:

وضعت لهما الوزارة ـ قطاع المساجد ـ برنامجاً حافلاً حيث شرح الشيخ محمد المختار الشنقيطي كتاب الورقات للإمام الجويني؛ وشرح مقدمة تفسير ابن جُزَيْ للشيخ عبد الله الشنقيطي ما بين العصر إلى صلاة العشاء في أحد مساجد محافظة الفروانية.

زيارات خاصة:

كما لبَّى الشيخان دعوات بعض المحبين وقُرِئَ عليهما رسائل علمية خاصة في هذه الجلسات، حيث تشرفت بدعوتهما مرتين وقرأنا عليهما مع الإخوة المشايخ فيصل العلي، محمد العجمي، كاتب السطور، ياسر المزروعي، وليد العلي، الطاهر الخذيري، عيسى العيسى، و«مراقي السعود» وهي ألف بيت في الأصول وهو «نثر الورود على مراقي السعود» مع تعليقهما وتصويبهما وفك العبارات، والآجرّومية، كما دعتهما الوزارة في أبراج الكويت، ودعاهما بعض الأخوة أيضاً.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩١

إحسان إلهي ظهير

(١٣٦٣ ـ ١٤٠٧هـ/١٩٤٣ ـ ١٩٨٧م)

هو الأستاذ الشيخ المجاهد الكبير، العلامة إحسان إلهي ظهير داعية باكستان ولسانها الناطق الذي حمل لواء الذود عن أصحاب رسول الله ﷺ، مع البحث الأصيل والتحقيق الدقيق في الحوادث والسيرة والوقائع الإسلامية بما يحمي السنة النبوية الشريفة من البدع والضلالات.

ولادته وطلبه للعلم:

ولد الشيخ إحسان في «سيالكوت» عام ١٣٦٣هـ، ولما بلغ التاسعة كان قد حفظ القرآن كاملاً، وكانت أسرته تعرف بالانتماء إلى أهل الحديث، وأكمل دراسته الابتدائية وتردد في الوقت نفسه على العلماء في المساجد مما يدل على شغفه في الاستزادة من العلم.

ثم إنه التحق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في وقت كانت فيه المدينة تزخر بكبار العلماء، فكان ترتيبه الأول على دفعته في الجامعة عام ١٩٦١م وحصل على الليسانس في الشريعة.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبعد ذلك رجع إلى باكستان وانتظم في جامعة البنجاب في كلية الحقوق والعلوم السياسية، وعُين خطيباً في أكبر مساجد لاهور ثم حصل على الليسانس.

ست شهادات ماجستير:

استمر يدرس عقب حصوله على الليسانس الثاني، في مرحلة الماجستير إلى أن حصل على ست شهادات ماجستير مكنته من التوسع في العلم واللغة والإطلاع على ما كتبه الآخرون فحصل على ماجستير في الشريعة، وماجستير في اللغة العربية، وماجستير في الفارسية، وماجستير في الأردية، وماجستير في السياسة من جامعة البنجاب، ثم حصل على ليسانس ثالث في الحقوق من جامعة كراتشي، فتأمل همته وصبره وتفوقه في طلب العلم.

المناصب والوظائف التي تقلدها وأثرها في جهده في الدعوة:

صار رئيساً لمجمع البحوث الإسلامية، وترأس تحرير مجلة «ترجمان الحديث» التابعة لجمعية أهل الحديث في لاهور في باكستان، ومديراً لتحرير مجلة أهل الحديث الأسبوعية، كما عرض عليه العمل في السعودية فآثر البقاء للدعوة في بلده.

آثاره العلمية:

ترك مؤلفات كثيرة لا تقل عن ٢١ كتاباً في الرد على الفرق الضالة، والمبتدعة، وبعض كتبه ترجم إلى عدة لغات بحكم قدرته اللغوية كما تقدم في سيرته العلمية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زيارته الكويت:

زار الكويت في الثمانينيات عام ١٩٨٢م بدعوات خاصة لتقديم دروس في نصرة السنة النبوية رحمه الله تعالى بشتى الوسائل المشروعة، فتارة يتصل بالمشايخ ويلازمهم ويسألهم خاصة وأن المدينة المنورة كانت تعج بأكابر العلماء، كما أنه كان يتصل بالعلماء في فترة الحج مما يمكنه من الرد على الأباطيل والفرق الضالة.

تحصل له علم مفصل وردود مفحمة ضد الخصوم من الفرق الضالة والمبتدعة فطفق يدافع عن السنة النبوية الشريفة ويعري أهل البدع، فكثر أعداؤه، ولكنه لم يكترث بل شرع في نشر السنة النقية بكل ما أوتي من قوة ومقدرة سواء في خطبه أو ندواته أو دروسه أو في الأشرطة وفي تأليف الرسائل العلمية.

وكان مما قوَّى حجته أنه يرد على الفرق الضالة والمبتدعة من كتبهم ومن أقلامهم فقارع الحجة بالحجة ولم يدع للخصوم مجالاً لتضليل الناس والتلبيس عليهم وذلك من أقوالهم وأفعالهم، رحمه الله تعالى.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

استمر الشيخ إحسان في تنمية علمه وعمله في الدعوة، وفي إحدى المحاضرات في أحد المساجد في بلده وُضِع أمامه مزهرية فيها قنبلة موقوته، فانفجرت لتصيبه بجروح بالغة وتقتل معه سبعة من العلماء في الحال تبعهم اثنان فيما بعد.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دفنه في البقيع:

لما علم شيخه العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ اقترح على الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يحضر الشيخ إلى السعودية للعلاج في المستشفى العسكري لكنه توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نسأل الله تعالى أن يقبله من الشهداء وذلك في شعبان عام ١٤٠٧هـ، فنقل بالطائرة إلى المدينة المنورة، ودفن في مقبرة البقيع.

❒ ❒ ❒

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩٢

مساعد بشير الحسيني

(مواليد ١٩٤٤م/١٣٦٤هـ)

هو شيخنا العلامة المحدث الفقيه مساعد بشير علي الحاج سعد الحسيني، ولد في العسيلات شرق النيل ١/١/١٩٤٤ في السودان.

طلبه للعلم في بداية عمره:

طلب العلم مبكراً على أحد شيوخ ومحدثي هذا العصر هو الشيخ عمر عثمان الأموي، بدأ بالقرآن الكريم بقراءة ورش، ثم الفقه، ثم السنة، والتفسير واللغة ثم درس المتوسطة في مدرسة السيد، ثم المعهد النموذجي للقرآن الكريم، ثم معهد أم درمان العلمي للعلوم الإسلامية، ثم بدأ الدراسة في الأزهر كلية أصول الدين ولم يكمل دراسته فيها.

سنده في الفقه المالكي:

والشيخ مساعد تفقه بالفقه المالكي وهو معروف في أقطار المغرب العربي على شيخه الفكي عمر بن عثمان الأموي، عن الشيخ محمد البدري، عن الشيخ عليش، ويروي الفكي عمر بنزول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن الشيخ محمد عبد الماجد العباسي، عن محمد البدري عن عليش، عن الأمير الصغير: العشماوية، العزية، الأخضري، وابن عاشر، وميارة الصغرى والكبرى، والرسالة، وأقرب المسالك، وخليل والمدونة وأجزاء في الفقه المالكي.

زيارته للكويت:

استدعى الشيخ مساعد ضمن مشروع سماع الكتب السبعة وحضر وانتفع به الحضور (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) جمادي الآخرة ـ يوليو.

وصف الشيخ:

طويل القامة، في أوائل الستين من عمره، يلبس العمامة والثوب السوداني على عادة أهل بلده، متواضع، بعيد عن التكلف، يعظم السنة ويعلق ويعقب على ما يقرأ بين يديه بوضوح وجرأة، وبما يدل على رسوخه في العلم، وأخبرنا أنه أقرأ البخاري وشرحه أكثر من أربعين مرة.

طريقته في التدريس وطرف من أخلاقه:

أبرز ما يلاحظ عليه في التدريس.. أنه يعلق تعليقات مفيدة ويقف وقفات نافعة مع إجابة واضحة على المسائل، وأحياناً تعتريه حدة في الرد يضعها في صورة استفهام، مع حرصه على التبسم المغطى بجدية ورزانة. كما يظهر تضلعه في علم الحديث والرجال والسيرة والحوادث.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقروءات على الشيخ:

سمعنا عليه شرح مسلم والمنتقى لابن الجارود، وألفية العراقي، ورفع اليدين للبخاري، وغير ذلك مما تيسر، كما أني تشرفت مرة بأنه صلى معي الجمعة في الكويت وسلمت عليه حينها.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩٣

عبد الرحمن العقيل[(١)]

(مواليد ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)

هو الشيخ الأستاذ عبد الرحمٰن ابن العلامة القاضي الشيخ عبد الله بن عقيل.

نشأته وطلبه للعلم:

تدرج في طلب العلم إلى أن تخرج في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٩٦٨ ومنها انطلق في الاستزادة من العلوم الشرعية خاصة وأنه نشأ في كنف أبيه العلامة الشيخ عبد الله بن عقيل.

عمل في دار الإفتاء بالمملكة بإدارة الدعوة في الداخل، ثم ابتعث إلى الخارج للدراسة فتعلم الإنجليزية، ثم عمل في رقابة المطبوعات، وإدارة البحوث العلمية التابعة لهيئة كبار العلماء والأمانة العامة للدعوة، وانتدب للعمل مساعداً للأمين العام

---

(١) عن ورقة مقدمة حول سيرته من ولده الأخ الشيخ أنس عبد الرحمٰن العقيل، أعدها هشام العربي رئيس قسم البحوث بدار التأصيل، مع بعض الإضافات، مع إضافات ألحقت إلى الترجمة من نفس المصدر.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للشؤون العلمية في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، كما أنه أسس دار التأصيل لخدمة السنة والتراث النبوي منذ عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م إلى الآن.

عمل في الحرم النبوي الشريف مديراً عاماً للشؤون المالية والإدارية، كما عمل في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة مستشاراً ثم أميناً عاماً مساعداً.

والشيخ عبد الرحمٰن العقيل من الساعين في العمل الإسلامي المصرفي والمالي من خلال عضويته وتأسيسه لكثير من المؤسسات الإسلامية المعروفة.

فهو عضو مؤسس لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار، وكان المسؤول عن إجراءات تأسيسها وظل عضواً بمجلس إدارتها وعضواً باللجنة التنفيذية بها حتى عام ١٩٩٩م، وكان أيضاً أمينا للهيئة الشرعية بها ثم عضواً فيها حتى ١٩٩٩م أيضاً.

كما عمل عضواً ومقرراً للهيئة الشرعية لشركة المستثمر الدولي في الكويت منذ عام ١٩٩٢م، وهو مستشارٌ شرعي أيضاً لها.

وهو عضو بالهيئة الشرعية لبنك الخليج الإسلامي إلى الآن، ومستشار لمجموعة الجميح منذ أكثر من عشرين عاماً، وكان مؤسساً للبنك الإسلامي الذي تقدم به الجميح ومجموعة من كبار رجال الأعمال وقدمه لخادم الحرمين الشريفين واختير مع ثلاثة من المؤسسين لاستكمال إجراءات التأسيس لكن لم يكتب لها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاستكمال إلى الآن، كما أسس عدداً من الشركات الإسلامية داخل وخارج المملكة منذ ما يقرب من ٢٥ عاماً.

وهو عضو مؤسس وعضو مجلس إدارة الهيئة الخيرية الإسلامية، ومؤسس دار التأصيل للنشر.

قراءته وحضوره لمجالس كبار المشايخ والعلماء:

عاصر العلامة الشيخ عبد الرحمٰن السعدي أيام عمل والده شيخنا العلامة عبد الله بن عقيل قاضياً في مدينة عنيزة، وكان يحضر دروس العلامة ابن سعدي في السنوات ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥هـ، وكذلك سماع خطبه في أيام الجمع ودروس التفسير، والعقيدة كالثلاثة الأصول بعد المغرب، فهو بذلك قد ارتفع بسنده في الفقه الحنبلي إلى قريب من درجة والده شيخنا العلامة ابن عقيل الذي هو من أبرز تلاميذ العلامة ابن سعدي.

كما قرأ على والده شيخنا العلامة ابن عقيل في أحد المساجد بعنيزة، وحضر معه معظم الأنشطة العلمية والاجتماعية في عنيزة، ودرس الفقه عليه، كما درس على العلامة الشيخ صالح الفوزان الفرائض أيام إقامته وعمله في المدينة المنورة.

وحضر على العلامة المسند المحدث الشيخ عبد الحي الكتاني في الحديث، والعلامة محمد السالك الشنقيطي في الحديث أيضاً، ودروس التجويد للحافظ القارئ علي حسن الشاعر، وقرأ على العلامة القارئ الحافظ أحمد الزيات كما حضر عند العلامة القارئ الحافظ الشيخ عبد الفتاح القاضي عندما كان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يستمع ويصحح للقراء بين يديه، وكذلك العلامة الحافظ القارئ الشيخ عامر، والشيخ محمد سيبويه والمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

كما حضر بعضاً من دروس العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، والعلامة الشيخ محمد الصالح العثيمين، والعلامة الشيخ محمد بن مانع، والعلامة علي بن حجر آل بوطامي، والشيخ عبد الله بن محمود، وحضر دروسه، والتقىٰ شيخنا المحقق زهير الشاويش.

زيارته للكويت:

من المعروف أن الشيخ عبد الرحمٰن يتردد على الكويت بحكم عمله واستشاراته فهو وجه معروف في البلد، ولعل أول زياراته إلى الكويت كانت عام ١٩٧٤م، كما أنه رافقَ والدَهُ شيخَنا العلامة عبد الله بن عقيل في زيارته للكويت.



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩٤

صالح بن عبد الله بن حميد[١]

(مواليد ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م)

هو معالي رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية الشيخ الفقيه إمام وخطيب المسجد الحرام د. صالح ابن العلامة عبد الله بن محمد بن حميد، ولد في بريدة في منطقة القصيمة عام ١٣٦٩هـ ونشأ بها وتلقى تعليمه النظامي بها.

لازم والده العلامة الفقيه عبد الله بن حميد، أخذ عنه فنون التوحيد والفقه واللغة العربية، وحفظ متون التوحيد والعقيدة، والفقه كأخصر المختصرات وزاد المستقنع وغير ذلك.

واصل تعليمه إلى أن حصل على العالمية (الدكتوراه) في الفقه وأصوله.

حفظ القرآن الكريم مجوداً في المسجد الحرام في السادسة عشرة من عمره على الشيخ الحافظ محمد أكبر شاه المقرئ.

الوظائف التي تقلدها:

نظراً لنشأته الدينية فكان يؤم المصلين ويعتلي المنابر خطيباً منذ سن مبكرة نيابه عن بعض الخطباء.

---

(١) الزهراني، المصدر السابق، ص٤٨.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في عام ١٤٠٤هـ صدر الأمر بتعيينه إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام.

وقبل ذلك في عام ١٣٩٢هـ كان معيداً في كلية الشريعة، وفي عام ١٤١١هـ صدر أمر ملكي بتعيينه نائباً للرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وفي عام ١٤١٤هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه عضواً لمجلس الشورى، وفي عام ١٤٢٢هـ صدر الأمر بتعيينه رئيساً للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وفي عام ١٤٢٣هـ رئيساً لمجلس الشورى، ثم إنه صار مؤخراً رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء عقب الشيخ العلامة صالح اللحيدان حفظه الله تعالى».

كما أن له مؤلفات منها: «توجيهات وذكرى»، و«ديوان خطب»، ورسالة في «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية»، وله «أدب الخلاف» وغيرها.

زيارته للكويت:

زار الكويت مراراً في عدة مناسبات بل يعتبر ممن زار الكويت كثيراً بحكم المناصب التي تقلدها، سواء أكان ذلك على مستوى بلده أم على المستوى الإقليمي، مع كونه إماماً وخطيباً في الحرم المكي.

❐ ❐ ❐

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المراجع

١ ـ الإيجي محمد بن عبد الرحمٰن، «**جامع البيان في تفسير القرآن**»، تعليق العلامة محمد الغزنوي، تقديم صلاح الدين مقبول أحمد، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، غراس: الكويت.

٢ ـ أبو بكر عبد الجليل، «**علماء أهل الحديث في الهند**» ١٤١٩هـ، ط دار الكتاب والسنة: الرياض.

٣ ـ الزركلي، «**الأعلام**» ط ١٩٨٠م، دار العلوم للملايين: بيروت.

٤ ـ لجنة متخصصة، «**تاريخ التعليم في الكويت: دراسة توثيقية**»، المجلد الأول، التعليم في الكويت منذ نشأتها حتى عام ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م، البدايات الأولى، ٢٠٠٢م، مركز البحوث والدراسات الكويتية: الكويت.

٥ ـ صالح عبد العزيز عثيمين البردي، «**تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة**» تحقيق الشيخ بكر أبو زيد، ٣ أجزاء، ويليه «**فائت التسهيل**»، ط ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

٦ ـ عبد الرحمٰن منصور أبا حسين، «**الحركة العلمية في أشيقر**»، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م: الرياض.

٧ ـ عبد العزيز الرشيد، «**تاريخ الكويت**» ط ١٩٧٨م، منشورات دار مكتبة الحياة: الكويت.

٨ ـ عبد الله العقيل، «**من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة**»، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م، دار التوزيع الإسلامي.

٩ ـ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام، «**علماء نجد في ثمانية قرون**»، ط٢، ١٤١٩هـ، دار العاصمة: الرياض.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١٠ ـ عبد الله بن عبد العزيز العقيل، «**فتاوى ابن عقيل**» ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، دار التأصيل: القاهرة.

١١ ـ عبد الرزاق الصانع وعبد العزيز العلي، «**إمارة الزبير بين هجرتين**»، ١٣٤٢هـ ـ ١٩٨٥م، حقوق الطبع محفوظة، غ.م.

١٢ ـ عبد الله بن عبد الرحمٰن الحمود الزبيري، «**الفتاوي النجدية**»، تحقيق كاسب البدران، وعبد الله عبد المقصود، تقديم الشيخ إبراهيم المبيض، والأستاذ إبراهيم الصغير، ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد: السعودية.

١٣ ـ عبد الله الكوهجي، «**زاد المحتاج بشرح المنهاج**»، اعتنى به عبد الله الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية: بيروت، (سنة النشر غ م).

١٤ ـ عبد الحي فخر الدين الحسيني، «**الإعلام بمن زار الهند..**»، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، دار ابن حزم: بيروت.

١٥ ـ محمد بن ناصر العجمي، «**علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان**» ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، مركز البحوث والدراسات الكويتية: الكويت.

١٦ ـ محمد بن عثمان بن صالح القاضي، «**روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**»، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، مطبعة الحلمي.

١٧ ـ محمد بن ناصر العجمي، تحقيق ودراسة «**روضة الأرواح**» ويليه «**درة الغواص في حكم الذكاة بالرصاص**» للعلامة عبد القادر بن بدران، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م: الكويت.

١٨ ـ محمد زياد التكلة، «**فتح الجليل**»، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار البشائر: بيروت.

١٩ ـ محمود الألوسي، «**المسك الإذخر في نشر مزايا القرن الثالث عشر والرابع عشر**»، ط دار العلوم: الرياض.

٢٠ ـ محمد إبراهيم الشيباني، «**حياة الألباني**» منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م: الكويت.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢١ ـ محمد المجذوب، **«علماء ومفكرون عرفتهم»**، ١٩٩٢م، دار الشواف: القاهرة.

٢٢ ـ صفحات الشبكة العنكبوتية في التعريف بالعلماء والأعلام.

٢٣ ـ وليد عبد الله المنيس، **«الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية»**، ٢٠٠٢م، مركز البحوث والدراسات الكويتية: الكويت.

٢٤ ـ وليد عبد الله المنيس، **«الجامع للرحلة لابن عقيل»**، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٠م، دار البشائر: بيروت.

٢٥ ـ يعقوب الغنيم، **«الأزمنة والأمكنة»**، مجموعة أبحاث وتحقيقات علمية وثائقية عن تاريخ الكويت، موسوعة (معدة للطبع).

٢٦ ـ ياسر إبراهيم المزروعي، **«فتح رب البيت في ذكر مشايخ القرآن بدولة الكويت»** ط ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الكويت.

٢٧ ـ يوسف بن عيسى القناعي، **«صفحات من تاريخ الكويت»**، ١٩٧٨م، ذات السلاسل: الكويت.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الموضوعات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الموضوع	الصفحة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الموضوع	الصفحة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الموضوع	الصفحة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

لا إنكار في مسائل الاجتهاد

تأليف

الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

الوعي الإسلامي
الإصدار التاسع / ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com





وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

لا إنكار في مسائل الاجتهاد

تأليف
الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي



الإصدار التاسع
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية



تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت
في مطلع كل شهر عربي
جميع الحقوق محفوظة
الإصدار التاسع
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

الطبعة الثانية
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الموقع على الانترنت: www.alwaei.com
البريد الألكتروني : E-Mail: info@alwaei.com

العنوان
ص. ب ٢٣٦٦٧ الصفاة
١٣٠٩٧ - الكويت
هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تصدير

الحمد لله الذي ذلل صعاب علوم الاجتهاد لعلماء الأمة، وحفظها بأساطين الحفاظ وجهابذة الأئمة، وأشهد أن لا إله إلا الله، المتكفل بحفظ علوم الدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي يحمل علمه من كل خلف عُدُوله، أما بعد:

فإن الله أوجد في هذه الأمة أئمة حفاظا للكتاب والسنة، وخص منهم أصحاب الفقه والحديث الذين ميزوا بين القوي والضعيف، واستنبطوا من الحسن والصحيح، فاستخرجوا الأحكام فيما لم يجدوا فيه النص الصريح، وكان لهم شأن كبير في تطبيق ما تعارض، وترجيح ما اختلف، وتوضيح ما أشكل، وتفسير ما أجمل، لكنهم مع اتحاد المقصود، وائتلاف القلوب اختلفوا في كثير من المسائل والأحكام، للاختلاف في وجوه الترجيح وطرق الاستنباط، والناس أعداء لما جهلوا، ومن لا علاقة له بالعلم والفهم يعترض على الفقهاء والعلماء، ولأجل ذلك صنف العلماء كتبا ورسائل في أسباب الخلاف مثل: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لابن تيمية، وغيره.

وقال صاحب كشاف القناع: «ولا إنكار في مسائل الاجتهاد على من اجتهد فيها أو قلد مجتهدا، لأن المجتهد إما مصيب أو كالمصيب في حط الإثم عنه، وحصول الثواب له»، وقال صاحب الفروع: «وفي كلام الإمام أحمد أو بعض الأصحاب ما يدل على أنه إن ضعف الخلاف أنكر فيها وإلا فلا»، وكان إسحاق

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ابن بهلول سمى كتابه: «كتاب الاختلاف» فقال له الإمام أحمد سمه كتاب السعة.

ولذا يسر مجلة «الوعي الإسلامي» أن تهدي للقراء الكرام كتاب «لا إنكار في مسائل الاجتهاد» للباحث الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي، جزاه الله خيرا ونفع بعلمه، فلقد أصّل في بحثه لهذا الأمر تأصيلا، وقيد القاعدة بقيود علمية دقيقة، وضبطها بضوابط سديدة، ونقل أقوال العلماء والمحققين، وعالج في بحثه قضية الاختلاف، وذكر أنواعه وضوابطه، وأشار إلى أدب الخلاف والتحلي به، والحرص على جمع الكلمة، والبعد عن الفرقة، وحرمة التطاول على أهل العلم.

وفي الختام: إن كان في المسألة إجماع فلا نزاع، وإن كانت من مسائل الاجتهاد فالمعلوم أنه لا إنكار على من يسلك الاجتهاد، والإنصاف خير الأوصاف في باب الاختلاف، والرجوع إلى الاتفاق أولى من الافتراق... نسأل الله تعالى التوفيق والسداد والهداية والرشاد.

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه صلاة أزدلف بها إلى مغفرته، وسلم عليه تسليماً يحشرني به في زمرة أوليائه.

وبعد:

فإن من القواعد الفقهية التي تعبر عن جملة كبيرة من ضوابط الحياة العلمية والاجتماعية، وتؤصل مسيرة الهدى والرشد في الشريعة المباركة، وتبين السبق الناضج للثقافة الإسلامية مقارنة بالثقافات الأخرى في موضوع إرساء ثقافة الأمة الواحدة مع استيعاب التعدد الفكري، والاختلاف المعرفي قاعدة: «**لا إنكار في مسائل الخلاف**».

ولكن استعمالها بإطلاق أوقع لبساً كبيراً عند فئةٍ حاولت رفضها إجمالًا، وفئة حاولت الاستدلال بها مطلقاً.

ولضبط هذه القاعدة الفقهية بحيث توضع في حاقِّ موضعها فقد ألف في شرحها، وتفصيل المراد بها عددٌ من العلماء: منهم الإمام البدر محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني فقد ألف رسالةً سماها «**نهاية التحرير في رد قولهم**

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ليس في مُخْتَلَفٍ فيه نكير» وهي رسالةٌ مخطوطةٌ لم تطبع بعد[١]، كما تناولها عددٌ من المعاصرين بالتفصيل والبيان في محاولةٍ لفهم النفسية الفقهية الجليلة التي انصبغت بها الحياة الإسلامية العلمية على مر القرون.

ومن هذه القاعدة استُنْبِطَتْ قواعد أخلاقية وعلمية انصبغ بها المجتمع الفقهي المتراحم المتحاور ورواده وطلابه.

- **الجدال بالتي هي أحسن، واحترام الرأي الآخر بين الحقيقة والادعاء:**

وزاد من ضرورة التناول لهذا الموضوع والاهتمام به ارتفاعُ رايات الحوار «**الهادئ**» و«**الموضوعي**»، وشيوع مبدأ «**الرأي الآخر**».

وصارت هذه الألفاظ أسساً أخلاقية، ومبادئ ثقافيةً عامة في أوساط الاجتماعات الفكرية والفئوية الناضجة التي تجيد فن إدارة الحوار، والجدال بالحسنى، كما أضحت أُسساً عقديةً تتشدق بها منابر الاستكبار العالمية كأنما هي في حقها صنيعةٌ خاصة لها نالت عليها براءة الاختراع والتقنين، مع أنها حقاً نالت وسام القبح إذ استعملتها في باطلها، ونبذتها وراءها ظهرياً في حاق موضعها، بيد أن هذه الألفاظ - نظرياً على الأقل - باتت مقياساً يدل على مدى التمتع بالظاهرة الحضارية، والنضج الثقافي والإيماني عند الأفراد والجماعات، وبموجبها أصبح كلٌ يعبر عن رأيه، ويحق للآخر أن ينتقده وفق أي قناعةٍ فكرية.

وهذه القاعدة الفقهية «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» تختزل كثيراً من

---

(١) في وقت نزول الكتاب في طبعته الأولى عن وزارة الأوقاف القطرية، وكان لدى الباحث نسخة خطية منها حينها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تفاصيل تلك المبادئ، وتعبر عن السبق الإسلامي الفقهي النظري والتطبيقي لهذه الدعاوى بضوابطها الشرعية، وأُسسها الأخلاقية.

ومما يؤكد أهمية الموضوع أن المذاهب الإسلامية التي لم تنشأ إلا لتيسير استيعاب الشريعة، والمتانة الفقهية، والتقعيد الأصولي:. أصابتها عوارض التعصب بعد حين، مما أحدث عند «**البعض**» ردة فعل إزاءها فتنكر لها، وحاول تكوين مذهب «**اللامذهب**».

وفي واقعنا المعاصر نشأت حركات إسلامية باتجاهات معاصرة، ولكن سرت إليها عوارض مذهبية وقبلية مَرَضِيَّة في وقتٍ مبكر نسبياً عند مقارنتها بالمذاهب؛ إذ تكاد هيمنة التعصب الحزبي، والعصبية القبلية الحركية، وتقديس نصوص مؤسسيها أو قادتها أن تطمس أنوار الشريعة التي قامت أصلًا لنصرتها، ونشر تعاليمها، وجمع المسلمين حولها قرآناً وسنة، فإذا بها مع طول المدى تحاول جمع المسلمين حول نصوص قياداتها، وآرائهم، وفي هذه الأثناء تضيع معالم بارزة للدين:

أولها: الأخوة الإسلامية العامة: حيث تطرد العملة الرديئة العملة الجيدة، فالتعصب للأخوة الخاصة يلغي الأخوة العامة ويقضي على بهائها، وتحل الحالقة، ويتفرق المؤمنون في الدين، وقد أُمروا ألا يتفرقوا فيه.

وثانيها: يتلاشى النصح الصادق، ويختفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما لحق أشخاص قيادات الاتجاه الواحد، وأقوالهم وأفعالهم من هالات التقديس التي تنغرس مع الزمن في العقل الباطن لأتباعهم، ويحل محل ذلك التأويل لكل فعل يصدر عنهم، أو رأي يتبنونه، ويُتحيل باسم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدين للوصول إلى ذلك، وثالثة الأثافي أن يحاول بعضها طمس أنوار بعض.

ولذا كان لا بد من دراسة هذه القاعدة دراسةً فقهيةً أصولية ودعوية ليستبين لطلبة الهدى مكامن الآفاق الرفيعة فيها، ولتحد من عبث الأهواء بمدلولها، ولتوقف من يقذف بها حيث شاء بما لم يقصده واضعوها، ولتُرْبَط بالتصور الإسلامي الكلي العام، والفقهي الخاص، فتكتمل بذلك جوانب المناقشة العلمية التي تؤدي إلى إخبات من وصله العلم.

ومن ثم فإن هذا البحث يكشف عن مقدار الاستيعاب الفقهي للخلاف سواء من حيث الاعتراف الواقعي بوجوده، أو من حيث كيفية التعامل معه، أو الاعتراف بمشروعيته فيما هو مشروعٌ فيه، أو بالتوقي من شروره حال تأديته إلى ذلك، وذلك كله من خلال قاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» التي تعكس صورة من صور الانفتاح الفقهي المنضبط على آراء الآخرين واختلافاتهم، وتضبطها بالنصوص الشرعية والمقاصد العامة للتشريع، وتستوعبها ضمن الأخوة الإسلامية، ووحدة جماعة المسلمين.

- **الهيكل الموضوعي للبحث**:

يتمحور البحث حول مفهومين أساسيين هما القاعدة الفقهية «**لا إنكار في مسائل الخلاف**»، والإنكار نفياً وإثباتاً؛ اللذان يظهران كأساسين في هذه القاعدة الفقهية التي تعبر في عمومها عن كونها قاعدة فقهية، كما تعبر في فحواها عن الإنكار نفياً وإثباتاً.

ويهتم البحث ببيان الموقف من الخلاف في المسائل الشرعية، وتوضيح

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الموضع الصحيح للاستشهاد بهذه القاعدة، ومدى النسبية والإطلاق فيها مما يستلزم معرفة القول الصحيح في معيار التذكير بالإنكار.

ويمكن القول إن هذا البحث محاولة لاستيفاء شرح قاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**»، وبيان المراد من وضعها في الأصل، وضرورة الاستشهاد بها في موضعها، مع بيان الخطأ والصواب في ذلك، لتستبين من ثم الآفاق التي أرادها الفقهاء في وضع هذه القاعدة ورديفاتها من القواعد الفقهية صيانة للدين، واستيعاباً لاختلاف الآراء، وضبطاً لتعدد الأفكار والرؤى، ووقوفاً وسطاً بين الغالي في الحق والجافي عنه.

واللّه المستعان، ومنه يُرْجى الهدى والرشاد، ويُستلهم السداد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفقير إلى ربه الغني - جل ذكره -

عبد السلام مقبل المجيدي

الأستاذ المشارك للقراءات والدراسات القرآنية

كلية التربية/ جامعة ذمار

almagidy@hotmail.com
almajeedy1973@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل الأول

القواعد الفقهية

السمات العامة... ومرتكزات المعالجة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث الأول

خصائص القواعد الفقهية، وسماتها العامة

لعله من الأهمية بمكان في مستهل هذا البحث الإشارة إلى أن القواعد والضوابط الفقهية عموماً إنما وضعت لتقريب استيعاب المسائل الشرعية خاصة في جزيئات الفقه المشتهرة بين أهل العلم بـ«**علم الفروع**»، وهي تتميز بمجموعة من الخصائص من أهمها:

١- **أنها صياغة بشرية**: وضعها الفقهاء استنباطاً، وهذا يجعل حصر جميع متعلقاتها الشرعية أمراً فوق الطاقة البشرية[(١)]، ومن ثم فهي أغلبية تشمل معظم الجزئيات التي تتعلق بها وليست كلية.

والغاية من وضعها أن: «تضبط للفقيه أصول المذهب، وتطلعه من مآخذ الفقه على ما كان عنه قد تغيب، وتنظم له منثور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد وتقرب عليه كل متباعد» [(٢)].

٢- **أنها نسبية**: شأنها شأن كثيرٍ من الضوابط العلمية في اللغة والنحو والقراءات وضعت في وقتٍ متأخرٍ عن نشوء العلم المعين الذي يُتَلقى تلقياً، وحاول واضعوها إدخال عددٍ من الجزئيات العلمية فيها، ولذا تجد أن أهل

(١) قال القرافي - وهو يتحدث عن القواعد الفقهية -: «لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى». انظر: الفروق للقرافي١/ ٢ .

(٢) القواعد لابن رجب ص٥ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ذلك الفن يكثرون من الاستثناءات من ذلك الضابط في فنهم.

ومن ثم فقد يقال بأن القاعدة الفقهية المعينة صحيحة بالنسبة لهذه الجزئية غير صحيحة بالنسبة لأخرى، ويترتب على هذا أن يستعان بالقاعدة للرجوع إلى النص المتعلق بها، ويجعل القاعدة الفقهية محل استشهاد لا استدلال.

فمثلًا قاعدة «اليقين لا يزول بالشك»: رأى أهل العلم أن الاستدلال المطلق بها قد يأتي بالبطلان على بعض النصوص الصريحة كمسألة من رأى على ثوبه منياً فشك فيه، ولم يذكر احتلاماً فإن طبقت هذه القاعدة فاليقين أنه نام على طهارةٍ، والمني على الثوب عارضٌ مشكوكٌ فيه وقد يكون سببه سابقاً على نوم، فالقاعدة قاصرةٌ في مقابل النص الآمر بالاغتسال ها هنا، فهي غير صحيحةٍ بالنسبة لهذه المسألة في هذا الموضع، ولذا أردفوها بقاعدةٍ أخرى جعلوها فرعاً عنها وهي: «الأصل في الحادث أن يقدر بأقرب الزمان»[(١)].

٣- **أن فهمها إنما يكون بحسب ما يُفهِم منها أصلُ الوضع لا بحسب ما يعطيه العقل من ظاهر لفظها**: وهذه سمةٌ وخاصيةٌ[(٢)] ضروريةٌ في فهم نصوص القواعد الفقهية التي وضعها أهل العلم، وعلى هذا فلا ينبغي الاغترار بما يظهر من تعميمٍ لعبارات أهل الفنون واصطلاحاتهم وتطبيقها

---

(١) انظر الفوائد الجنية ١/ ٢٠٤ .

(٢) لفظة خاصية لم أجدها في المعاجم اللغوية، لكنها شاعت على ألسنة بعض العلماء مثل عبد الله بن عبد العزيز البكري ت٤٧٨هـ في كتابه معجم ما استعجم ٤/ ١٣١١، وياقوت الحموي ت٦٢٦هـ في معجم البلدان في أكثر من موضع منها ١/ ٣٢٦، والمناوي ت١٠٣١هـ في التعاريف١/ ٣٢٧ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على القضايا المتناولة مع عدم بذل الجهد في معرفة طبيعة القاعدة، وقرائنها الحالية المصاحبة، وأصل وضعها؛ وذلك لأن دلالة الكلام «نوعان: حقيقيةٌ وإضافية، فالحقيقية تابعةٌ لقصد المتكلم وإرادته وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافية تابعةٌ لفهم السامع، وإدراكه، وجودة فكره وقريحته، وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ، ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متباينا بحسب تباين السامعين في ذلك، وقد أنكر النبي ﷺ على عمر فهمه إتيان البيت الحرام عام الحديبية من إطلاق قوله «**إنك ستأتيه وتطوف به**»، فإنه لا دلالة في هذا اللفظ في تعيين العام الذي يأتونه فيه»[١].

ومثال ذلك: قاعدة «**الأمور بمقاصدها**» وضعت للكلام على أبواب العبادات المحضة ولذا قالوا: إن معناها: الأمور بالنيات، وهي تتناول إفراد اللَّه بالعبادة، وقالوا فيها:

مقصودها التمييز للعبادة مما يكون شبهها في العادة[٢]

فإن استُدِلَّ بها على جواز أن تُفْعل بعض المنكرات في سبيل تحقيق مصلحةٍ دينية متوهمة، كإباحة التعامل بالربا لاستثمار الصدقات:- فهذا استدلالٌ بالقاعدة بظاهر لفظها لا بما وضعت له، فالاستدلال هنا خطأ في ذاته.

٤- أهمية الحذر من الانسياق إلى التعميم في الأدلة والقواعد قبل

---

(١) مجلة البيان السنة الرابعة عشرة العدد١٤٠ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ اغسطس ١٩٩٩م مقال بعنوان المصطلح وإشكالية الاصطلاح .

(٢) الفوائد الجنية ص١٠٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الفحص: فإن كثيراً من نصوص القواعد الفقهية توهم العموم المطلق، وهذا يحتاج إلى التروي فيه، وإذا كان العموم المطلق في الأدلة الشرعية مما يُتروى في الاستدلال به فأولى أن يكون ذلك في القواعد الفقهية البشرية الوضع.

وذلك مثل قول اللَّه ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، فإن «**ال**» في «**النصارى**» و«**اليهود**» ليست على ظاهرها في العموم أو الاستغراق، إذ إن فئة من اليهود فقط هي التي قالت هذا القول، وليس كل النصارى يدعون أن المسيح ابن الله، فـ«**ال**» في كلا الكلمتين ليست استغراقية، ويقاس على هذا بقية القواعد الفقهية.

وقريبٌ من هذا أن ظاهر بعض القواعد الفقهية ذاته قد يكون خاضعاً لعصرٍ معين أُطلقت فيه تلك القاعدة: ومثلها القواعد الأصولية، فمصطلح «**سنة**» تختلف دلالتها الأصولية والفقهية الخاصة عن معناها الشرعي العام ومن ذلك قول ابن عباس: «**اللَّه أكبر سنة أبي القاسم**»[(١)] في حج التمتع يعني بها طريقة النبي ﷺ الشاملة للوجوب والاستحباب، ومثله قول ابن مسعود: «**ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم**»[(٢)]، بينما هي في اصطلاح الأصوليين مرادفة للمندوب غالباً.

---

(١) مسلم٢/ ٩١١ .

(٢) مسلم١/ ٤٥٣ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٥- **لا بد من مراعاة التطور الدلالي في فهم القواعد الفقهية**(١): «لأن دلالة الخطاب إنما تكون بلغة المتكلم وعادته المعروفة في خطابه لا بلغة وعادة واصطلاحٍ أحدثه قومٌ آخرون بعد انقراض عصره وعصر الذين خاطبهم بلغته وعادته كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]»(٢)، والأمثلة التي تجلي ذلك كثيرة.

ومنها:

القاعدة التي وضعها الإمام الشافعي - رحمه اللَّه تعالى - «**الأعظم إذا سقط عن الناس سقط ما هو أصغر منه**»(٣) تطبق على قول الكفر الذي أُكره عليه الإنسان فهو يسقط فيسقط معه ما دونه كالطلاق الذي يُكْرَه عليه، لكن لا يستشهد بها للدلالة على سقوط الإيماء للصلاة حال العجز بسقوط أركانها الأصلية كالقيام والركوع والسجود، وكذلك لا تطبق عند المحققين على فعل الزنا للمكره عليه، وإن جاز للمكره نطق كلمة الكفر.

ونظراً لقصور هذه القاعدة من هذه الناحية فإنهم أردفوها بقاعدة فقهية أخرى تكملها هي: «**المقدور عليه لا يسقط بالمعجوز عنه**»(٤).

ونظير هذا في قاعدة البحث أن لفظ «**خلافية**» لم يكن يُعنى بها كل

---

(١) حتى أنه يمكن الإشارة إليه - لشدة خفائه على المتصدرين في محاريب الفكر والقلم في عصرنا - بـ(علم حفريات المصطلح).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ١٢٣.

(٣) الأم ٣/ ٢٣٦.

(٤) وضعها الإمام الجويني في أول كتاب الصلاة من كتابه الجليل الغياثي. انظر: القواعد الفقهية للندوي ص١٠٧.

خلاف بل عنى بها واضعوها - كما سترد عباراتهم - ما قوي الخلاف فيه، وكذلك «**لا إنكار**» عنوا به نفي الإنكار باليد لا ما ظنه البعض من نفي الإنكار بالكلية على تفصيل سيأتي - إن شاء اللَّه تعالى ..

وهذا كله يوجب على المستشهد بقاعدةٍ فقهيةٍ أو ضابطٍ علميٍ :. أن يلتزم نوعاً من الورع القلبي، والعلمي الخالص لكي يتمكن من الوصول إلى البينة الحقيقية في المسألة محل البحث لا أن ينقاد للهوى المزَيَّن كأنه بيِّنَةٌ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد: ١٤].

٦- بناؤها على أساس النصوص:

فالنص الشرعي هو مرجع القواعد الفقهية، وإليه تُحاكَم، فلا يُغالى فيها حتى يُحاكم النص إليها، فإذا جاءت القاعدة مخالفةً للنص الشرعي اطُّرحت واتُبع النص الشرعي ضرورةً؛ إذ كيف تعود على أصلها بالإبطال؟.

وعلى رأس ذلك قاعدة البحث حتى أنكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونعى على من يُشهِر هذه القاعدة - أو أي قاعدةٍ - في وجه النصوص فقال:

«والحاصل أن العالم العارف بقواعد الشرع إذا مرت به هذه المسائل المدونة في هذه الفصول وأمثالها لم يسعه إلا تكرير الاسترجاع، وربما يقوم في وجهه من يريد تقويم الباطل فيقول له: «**لا إنكار في مسائل الاجتهاد**»، فيقال له: ومتى فوض اللَّه من يدعي الاجتهاد على الشريعة التي أنزلها على رسوله، وجعله حاكماً فيها بما شاء وعلى ما شاء؟ فإن هذه نبوةٌ لا اجتهاد، وشريعةٌ حادثةٌ غير الشريعة الأولى، ولم يرسل اللَّه سبحانه وتعالى إلى هذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأمة إلا رسولًا واحداً»[١].

٧- بعض القواعد الفقهية مجرد ضوابط لفهم نصٍ بعينه أو مجموعة نصوص، وليست قواعد مطردة:

ومن ذلك مثلًا قاعدة: «**النص الوارد على خلاف القياس يقتصر على مورده**» أوردوها لفهم جواز بيع السلم، وبيع الاستصناع، وبيان وجود نصٍ دل على جوازهما مع أنهما على معدوم، بخلاف غيرهما من العقود التي تكون على معدوم فتدخل في إطار نصٍ آخر يمنعها، فالقاعدة هنا مجرد بيان لعدم جواز القياس على هذين العقدين[٢].

٨ - التقابل بين القواعد الفقهية الذي يؤدي إلى التكامل:

فبسبب النسبية والوضع البشري في القواعد الفقهية، ولكونها أغلبية فإن كل قاعدةٍ يقابلها - في الغالب - قاعدةٌ أخرى حتى يتم ضبط المسائل الشرعية من جميع الجوانب المأمور بها[٣].

ومثال ذلك: قاعدة «**الضرورات تبيح المحظورات**» لم تفِ بضبط النص الذي هو أصلها، وهو: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقرة:١٧٣] فأردفوها بقاعدة أخرى تكملها وتضبطها، وهي «**ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها**»، ومثل ذلك قاعدة «**يستحب مراعاة الخلاف**» يقابلها

(١) السيل الجرار٣/ ٢١٨ .

(٢) انظر: درر الأحكام شرح مجلة الأحكام١/ ٣٣ .

(٣) ومن هنا قال المحققون لتعريف القواعد الفقهية: إن ما يستثنى من المسائل في قاعدة يدخل تحت قاعدة أخرى، ولذا يُرتضى - تجاوزاً - تعريف القاعدة الفقهية بأنها حكم كلي، انظر: الأشباه والنظائر لابن الوكيل١/ ١٩، القواعد الفقهية للندوي ص٤٣ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قاعدة «**رعاية الخلاف إنما تطلب حيث لم تفوت مطلوبا**»[١]، بل احتاجوا للأسباب المتقدمة إلى وضع قاعدة بل قواعد مبينة لقاعدة مراعاة الخلاف، منها: «**لو تعارض خلافان قدم أقواهما**»[٢].

ومن هنا فإن من قال بأن القواعد الفقهية كلية فإنه يعني بها أن ما لا يدخل في قاعدة يدخل في مقابلها من القواعد[٣].

- **تطبيق مفهوم التقابل على قاعدة البحث:**

ومن المفاهيم العلمية الضرورية الخاصة بالبحث: مفهوم التقابل بين قاعدة البحث «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» وغيرها من القواعد الفقهية؛ إذ كما وضع الفقهاء هذه القاعدة «**لا إنكار في مسائل الاجتهاد**» فكذلك وضعوا عدة قواعد تقابل هذه القاعدة توضع في مواضعها المناسبة مثل قاعدة: «**الخروج من الخلاف مستحب**»[٤]، ومثل «**اتقاء الشبهات**».

بل إن القواعد المقابلة لهذه القاعدة قد تكون أوسع منها بكثير في الاستعمال والشمول للجزئيات مثل قاعدة «**الأخذ بالأحوط**»، وقاعدة «**سد الذرائع**»، فكثيراً ما يرجع هنا إلى «**أصل الاحتياط فإنه ثابتٌ معتبر**»[٥]، ومثل

---

(١) انظر: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج١/ ٢٨٤ .

(٢) نهاية المحتاج٢/ ٢٣١ .

(٣) انظر: تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية ١/ ٣٦، والأشباه والنظائر لابن الوكيل١/ ١٨، غمز عيون البصائر١/ ٦٣ .

(٤) الفوائد الجنية ٢/ ١٧٠ .

(٥) الموافقات ١/ ٣٤٥، وينبغي ألا يُنساق وراء عبارات الاستهزاء ببعض الأصول الثابتة في الإسلام كهذه القاعدة فيقال «جعلتم الدين أحوطيات» من قول الفقهاء: «هذا أحوط» لأن =

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الزجر عن تتبع رخص الفقهاء[(١)]، وقاعدة «**الحذر من زلل العلماء**» حتى قالوا: «**من يتبع رخص المذاهب وزلات المجتهدين فقد رقَّ دينه**».

وقال سليمان التيمي: «إن أخذت برخصة كل عالمٍ اجتمع فيك الشر كله»[(٢)].

وقال إسماعيل القاضي: «وما من عالمٍ إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه»[(٣)].

فمن استشهد بقاعدة «عدم الإنكار في مسائل الخلاف» على مسألةٍ معينةٍ يجب أن يبحثها حتى يستبين له الأمر: أهذه المسألة داخلةٌ ضمن هذه القاعدة، أم أنها داخلة ضمن القواعد المقابلة لها، فكل هذه المتقابلات قواعد فقهية قد تكون المسألة داخلة في هذه وقد تكون في مقابلها، ولا تضم الواحدة منها جميع المسائل، ولكن توضع كل قاعدةٍ في مكانها الذي وضعت له، ولا يُستدل بكل واحدةٍ على الإطلاق.

- **حجية الاستدلال بالقواعد الفقهية:**

في ضوء هذه الخصائص والسمات منع أهل العلم الإفتاء المحض بموجبها دون تدبر في أصولها النصية، وتحرير لمحل الفتوى: هل يدخل في

= حديث اتقاء الشبهات دال عليه، لكن بدون إيغال في ذلك، وبدون غلو في مقابلها من القواعد كقاعدة البحث (لا إنكار في مسائل الخلاف).

(١) انظر في ذلك: تتبع رخص الفقهاء لجاسم الفهيد الدوسري، التعالم لبكر بن عبد الله أبو زيد.

(٢) انظر: جامع بيان العلم ٢/ ١٣٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٦٥.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هذه القاعدة أو تلك.

ولذا قال الإمام ابن نجيم: «لا يجوز الفتوى بما تقتضيه الضوابط لأنها ليست كلية بل أغلبية، وقال ابن دقيق العيد : الفروع لا يطرد تخريجها على القواعد الأصلية»[١]، وعلى هذا أيضاً تكون القواعد الفقهية محل استشهاد لا استدلال[٢].

ولا يصح للمفتي أن يَرُدَّ استدلاله على فتوى معينةٍ إلى هذه القاعدة أو تلك، بل يستعين بالقاعدة للرجوع إلى النص المتعلق به، إلا أن يكون متأكداً من دخول الجزئية المعينة تحت هذه القاعدة مع الأخذ بعين الاعتبار ما سبق من خصائص القواعد الفقهية؛ فلا بأس على ما هو الشائع في فتاوى أهل العلم.

* * *

---

(١) الفوائد الجنية ١/ ٥، وابن دقيق العيد يعني بالأصلية هنا القواعد الفقهية لا الأصولية كما هو سياق كلامه .

(٢) وهذا من أهم الفروق التي تميز القواعد الفقهية عن القواعد الأصولية .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المبحث الثاني

مرتكزات المعالجة

تتمحور المرتكزات الرئيسة لمعالجة هذا الموضوع حول أربعة مفاهيم وأسس عقدية إيمانية هي:

أولًا: الاستسلام لله رب العالمين.

ثانياً: الأخوة الإسلامية، ولزوم جماعة المسلمين العامة.

ثالثاً: الاجتهاد في طلب الهدي الشرعي.

رابعاً: اختلاف الآراء طبيعة بشرية، وفطرة إلهية.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مرتكزات المعالجة

أولاً: الاستسلام لله رب العالمين

الاستسلام لله رب العالمين معنى يكشف عن سر تسمية الدين الحق بـ«**الإسلام**» أن هذه التسمية تحوي في طياتها معاني: «**الانقياد، وإظهار الخضوع**»(١)، والإخلاص وكمال الاتباع، ولذا فما يقال: «**فلان مُسْلِمٌ**» إلا لأنه يحمل معنيين:

أحدهما: أنه المُسْتَسْلِمُ لأَمر اللَّه.

والثاني: أنه المُخْلِصُ للَّه العبادة(٢).

وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١-١٢]، ولأن الأمر كله لله فإن المسلم المستسلم لربه كثيراً ما يردد في أول صلاته ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣](٣).

من أجل ذلك كان الاستسلام والانقياد للأمر الشرعي من صفات المؤمنين في مقابل صفات المنافقين كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(١) لسان العرب ١٢/ ٢٩٣ .

(٢) لسان العرب ١٢/ ٢٩٣ .

(٣) هذه الآية جزء من نوع من أنواع أدعية الاستفتاح في الصلاة، رواه مسلم ١/ ٥٣٥ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١]. وبذلك تظهر منافاة الإسلام، ومنهج المسلمين في التلقي لكل تصورٍ فكريٍ أو حركةٍ عمليةٍ يظهر فيهما شائبة تمردٍ على إرادة اللَّه سبحانه وتعالى الكونية القدرية، أو أمره الشرعي الواجب إما منافاةً كليةً، وإما منافاةً جزئية بحسب الواقع.

وينتج عن هذا الأساس أساس آخر هو: قداسة النص المعصوم «**النص القرآني ومثله النص النبوي الصحيح**»، فيكون للنص المعصوم تعظيمه وتقديسه، وهيبته. فلا يستحيي المسلم - بمقتضى ذلك - أن يُنعت بأنه «**رجل نصٍّ**»، أو أن مجتمعه «**مجتمع نصي أو نصوصي**»، ولا يفر من التسليم للنص ببعض العبارات التي لا تنتمي للنص(١)، ويكفي أن الرضا بأمر اللَّه سبحانه وتعالى، وقضاء رسوله ﷺ، وانتفاء شائبة الحرج الصدري هو دليل وجود الإيمان لا غير كما قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

ولكن الإنسان في مقابل هذا الاستسلام لله يُكرَّم عن تقديس آراء الرجال، وفهمهم الشخصي للنص، وإن كانت هذه الآراء تحترم لكنها لا تأخذ صبغة النص المعصوم، وهذا بعينه ما نص عليه أئمة المذاهب فيما اشتهر، ولخصه بعض أهل العلم بقوله:

قال أبو حنيفة الإمامُ ... لا ينبغي لمن له إسلامُ
أخذٌ بقولي حتى يعرضا ... على الكتاب والحديث المرتضى

(١) وانظر: فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ١٧٤ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومـالـكٌ إمـام دار الـهـجـرة　　قال وقد أشار نحو الحجرة
كـل كـلامٍ مـنـه ذو قـبـول　　ومـنـه مـردودٌ سـوى الـرسـول
والـشـافـعـي قـال: إن رأيـتـم　　قـولـي مـخـالـفـاً لـمـا رويـتـم
من الحديث فاضربوا الجدارا　　بـقـولـي الـمـخـالـف الآثـارا
وأحـمـد قـال لـهـم لا تـكـتـبـوا　　ما قلته والأصل ذاك فاطلبوا
فاسمع مقالات الهداة الأربعة　　واعمل بها فإن فيها منفعة
وقـمـعـهـا لـكـل ذي تـعـصـبِ　　والمنصفون يقتدون بالنبي(١)

❊ ❊ ❊

(١) أخذت هذا النظم من فم شيخنا العالم المبارك الشيخ الدكتور / عبده عبد الله الحميدي ، وهو نقله عن شيخه شيخ مشايخ الحرم المكي/ محمد العربي التباني المالكي وذكر أنه ذكره في كتابه: إرشاد الباحث السري.

https://t.me/megallat　oldbookz@gmail.com

ثانياً: الأخوة الإسلامية

وأمَّا الأخوة الإسلامية فدعامة أساسية من الدعائم التي يقوم عليها الدين، ويتربى عليها المسلمون، ولذا ذكر اللَّه أخوة الدين باعتبارها:

- **أعظم النعم التي امتنَّ بها على المسلمين** في قوله ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ آل عمران: ١٠٣-١٠٥».

- **أعظم النعم التي امتن بها اللَّه على النبي ﷺ** في قوله جل جلاله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣].

وذكَّر النبي ﷺ بالمعنى ذاته فئة من المسلمين فقال: «**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم اللَّه بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم اللَّه بي؟ وكنتم عالة فأغناكم اللَّه بي**»[1].

- **من أسباب إقامة أمر الدين**: ذلك أن الاجتماع على إقامة الدين هو وصية اللَّه ﷻ لهذه الأمة ومن سبقها من أمم الأنبياء كما قال اللَّه

(١) البخاري ٤/ ١٥٧٤ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

لقد «بعث اللَّه الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة»[١]، كما أن في ذلك توجيهاً بأن لا تتفرقوا «عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا»[٢].

- وذكر النبي ﷺ نعمة الاجتماع والألفة والأخوة في أظهر ما يجتمع عليه المسلمون فقال: «**اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»[٣] أي: «أقرءوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه، وقاد إليه فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهةٍ تقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فاتركوا القراءة وتمسكوا بالمحكم الموجب للأُلفة، وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة»[٤].

ولا يعني هذا سد باب المباحثة، والمناظرة الموضوعية كما قال الزمخشري: «فإنه سدٌ لباب الاجتهاد، وإطفاء لنور العلم، وصد عما تواطأت العقول والآثار الصحيحة على ارتضائه، والحث عليه، ولم يزل الموثوق بهم من علماء الأمة يستنبطون معاني التنزيل، ويستثيرون دقائقه،

(١) تفسير البغوي٤/ ١٢٢ .

(٢) تفسير النسفي١/ ١٧٠ .

(٣) البخاري٦/ ٢٦٨٠، مسلم٤/ ٢٠٥٣ .

(٤) فتح الباري٩/ ١٠١ وهو ضمن كلام نقله عن القاضي عياض .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويغوصون على لطائفه وهو ذو الوجوه . . . ومن ثم تكاثرت الأقاويل واتسم كل من المجتهدين بمذهب في التأويل»[١] .

ينبني على هذه القطعية العظيمة مفاهيم كبرى في إنشاء المجتمع المسلم وحماية كيانه من التصدع، والحفاظ على دينه من أن يتخذ عضين، أو يصير أبناؤه عزين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وحسبنا هنا أن هذا المعلم قطعي الثبوت قطعي الدلالة في الشريعة وهو وصية الأنبياء من أولي العزم كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

أركان الحقوق والواجبات البينية في البنية الأخوية المجتمعية التي تؤدي إلى الصفاء الاجتماعي العام بل تضمن ما هو أكبر من مجرد السلم الاجتماعي كالتكامل الوثيق، والتناصر التام، والحب المتبادل، وهذه الأركان مثل:

- **ركن المحبة:**

فهو حقٌ لكل فرد كما هو واجب مطلوب من كل فرد، والوجوب هنا ليس وجوباً صناعياً فنياً، وليس وجوباً اقتضته ضرورة التعاون بل هو وجوب شرعي، وانعدامه من فردٍ لآخر ضمن المجتمع مهما اختلف انتماؤهما المذهبي أو الفكري يقدح في الإيمان كما قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٢] .

---

(١) فيض القدير٢/ ٦٣ .

(٢) البخاري١/ ١٤، مسلم١/ ٦٧، الترمذي٤/ ٦٦٧ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

- **ومن ذلك ركن التعاون والتآزر وحسن الظن، والتكافل والنصرة، والنصح**، وفي المقابل فهناك الأركان السلبية التي ينبغي سلبها ومنع تسربها مثل: غيبة المسلمين أياً كانت انتماءاتهم، تحريم الكذب، تحريم البهتان، تحريم احتقار المسلم، تحريم خذلان المسلم.

وفي هذا النوع حسبنا حديثاً واحداً عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط اللَّه حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه اللَّه ردغة الخبال حتى يخرج مما قال**»[١].

- وعند حدوث التنازع، أو التباغض أو التدابر أو التقاطع - مع النهي عن ذلك كله - يذكر لنا النبي ﷺ هذا الحديث العجيب: «**ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**»[٢]، وفي الصفح الجميل ملاذ من إيذاء بعض الجاهلين، وقد قال النبي ﷺ: «**المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر**

(١) أبو داود٣/ ٣٠٥، ابن ماجة٢/ ١١٢٠، أحمد٢/ ٨٢، وصححه الألباني في تعليقه على أبي داود والأرناؤوط في تعليقه على أحمد، وردغة الخبال هي عصارة أهل النار.

(٢) أبو داود٤/ ٢٨٠، الترمذي ٤/ ٦٦٣، وقال: «هذا حديث صحيح»، وصححه الألباني في تعليقه، ورواه دون توضيح معنى الحلق أحمد٦/ ٤٤٤، وكذا ابن حبان١١/ ٤٨٩، وصححه الأرناؤوط في تعليقه عليهما.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أذاهم»[١].

- **الأخوة في الدين حقيقةٌ قطعية ترد إليها كل مسألة ظنية محتملة:**

فالإسلام آخى بين المسلمين ووحدهم، فهو «بمعنى تحالف شامل لكل المسلمين يقتضي التناصر والتعاون بينهم على من قصد بعضهم بظلم»[٢] لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١]، وقول النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**»[٣]، وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٤]، وقوله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره**»[٥].

عقبة بن عامر قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر**»[٦]، وقوله ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم**»[٧].

(١) الترمذي٤/ ٦٦٢، ابن ماجة٢/ ١٣٣٨، وصححه الألباني في تعليقه عليهما، ورواه أحمد٢/ ٤٣، وصححه الأرناؤوط على شرط الشيخين.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٨/ ٨٩ .

(٣) البخاري١/ ١٨٢، مسلم٤/ ١٩٩٩ .

(٤) البخاري١/ ١٤، مسلم١/ ٦٧ .

(٥) البخاري٢/ ٨٦٢، مسلم٤/ ١٩٨٦ .

(٦) مسلم٢/ ١٠٣٤ .

(٧) الموسوعة الفقهية ١٨/ ٨٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فمن توفرت فيه هذه الصفة الإيمان بحسب ظاهره كان أخا لكل مؤمن، ووجب على كل مؤمن أن يقوم بحقوقه، وإن لم يجر بينهما عقد خاص، فإن اللَّه ورسوله قد عقدا الأخوة بينهما بما سبق.

والمؤمن الذي تثبت له أخوة الإيمان هو الذي وصفه النبي ﷺ: «**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة اللَّه وذمة رسوله، فلا تخفروا اللَّه في ذمته**»[1]، ففي هذا الحديث المحكم: «أن أمور الناس محمولةٌ على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك»[2].

- **ويتفرع عن هذا الأساس أسس أخرى منها:**

١- النصوص من الآيات والأحاديث التي وردت في الأخوة الإيمانية أو تحدثت عن الجماعة، ولزومها إنما وردت في الأخوة العامة: ولا يحل لأحد أن ينزلها على الأخوة الخاصة مع مصادرة مدلوها العام، أو أن يستدل بها على أخوة لحزب أو تنظيم أو جماعة إسلامية، أو مذهب فكري، أو فقهي.

٢- مشروعية الأخوة الخاصة بحيث تحكمها الأخوة العامة: فالأخوة الإسلامية العامة مقدمة على كل إخاءٍ جزئي، أو عقد تحالفٍ خاص في حال التعارض.

والأصل أن الأخوة الخاصة إنما تكون لزيادة التثبيت على مبادئ الإسلام

(١) البخاري١/ ١٥٣.

(٢) فتح الباري١/ ٤٩٦.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والقيام بها، وعلى رأس المبادئ الإسلامية التي يلزم القيام بها النصح للمسلمين والقيام بحقوقهم، فإذا كانت هذه الحقيقة مستقرة فلا بأس من الإخاء الخاص في ضوء ذلك كما قال النووي: «المؤاخاة في الإسلام، والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق، هذا باقٍ لم ينسخ. . .وهذا معنى قوله ﷺ: «**وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة**» وأما قوله ﷺ: «**لا حلف في الإسلام**» فالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه»[١].

٣- الأخوة الإسلامية العامة ثابتة بحقوقها وواجباتها مهما ظهر من اختلاف فرعي بين المسلمين: فالأخوة الإسلامية ولزوم جماعة المسلمين، والحرص على بقاء ذات البين متساميةً عاليةً يهيمن عليها الحب، وتطغى عليها الألفة ركيزةٌ من ركائز الدين، وشعيرةٌ عامةٌ من شعائره: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

ولذا قال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**»[٢]، وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[٣].

تأمل في النصوص، قَلِّبْ صفحاتها، لا تجد إلا وصفاً واحداً لكل ذلك

(١) شرح النووي على صحيح مسلم١٦/ ٨٢ .
(٢) مسلم٤/ ١٩٩٩ .
(٣) مسلم٤/ ١٩٩٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هو:. المسلم؛ لم يقيد بأنه أخٌ من هذا التيار أو ذاك؛ ولذا فإن ربنا جل شأنه يقول: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨].

فالتسمية منه لا منا، هو ولستم أنتم.

إن فقه أصل الأخوة الإسلامية واستيعابه يضمن ما هو أكثر من السلم الاجتماعي، والائتلاف الوطني:. إنه يضمن التعاون والتآزر والتحاب بين سائر الفئات التي تشكل المجتمع الواحد، وبالتالي فالأمر ليس في أن نختلف بل أن نختلف ونبقى إخواناً وهذا يعود إلى تزكية النفس.

ومن ثم فإن حقوق المسلم على المسلم ثابتة مهما اختلف معه في وجهة نظرٍ، أو مسألةٍ فرعيةٍ، ومن حقوقه عليه أن ينصحه مع اصطحاب الرفق والحب واللين والحكمة والموعظة الحسنة حال خلافه في مسألةٍ فيها دليل شرعي على خلاف ما ذهب إليه.

وعند حدوث اجتهاداتٍ في مسألةٍ محتملةٍ تتفاوت فيها المدارك، وتتجاذبها الأدلة **فلزوم الجماعة حقيقة قاطعة تقدم على ما قد يثيره الاختلاف الطبعي بين المسلمين،** فلا يثير الاختلاف رغبة تفرق، وإرادة بغض.

ومن الحوادث التي تنسحب عليها هذه القاعدة ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال: «لما قدم رسول اللّه ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمننا. فأوثق لهم فأسلموا. قال: فبعثنا رسول اللّه ﷺ في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حيٍ من بنى كنانة إلى جنب جهينة، فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً، فلجأنا إلى جهينة. فمنعونا. وقالوا: لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من البلد الحرام في الشهر الحرام. فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبي اللَّه ﷺ فنخبره. وقال قومٌ: لا! بل نقيم ههنا. وقلت أنا في أناسٍ معي: لا! بل نأتي عير قريش فنقتطعها. فانطلقنا إلى العير، وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئا فهو له. فانطلقنا إلى العير، وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ : فأخبروه الخبر فقام غضباناً محمر الوجه فقال: «**أذهبتم من عندي جميعا وجئتم متفرقين؟ إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة. لأبعثن عليكم رجلًا ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش**»، فبعث علينا عبد اللَّه بن جحش الأسدي فكان أول أميرٍ أُمِّرَ في الإسلام[١].

فقد اختلف الصحابة رضي اللَّه عنهم هنا على ثلاثة اجتهادات، ولكن النبي ﷺ كره تفرقهم، وعدم اجتماعهم.

- **الأخوة الخاصة توثق القيام بواجبات الإسلام القطعية ومنها أخوة المسلمين العامة:**

ذلك أن الأصل في عقد الأخوة الخاصة - وهي التي كان يسلكها أتباع المذاهب قديماً، وأتباع الجماعات والأحزاب حديثاً، وأصحاب الصداقات الخاصة عموماً أن تكون أول أبجدياتها القيام بواجبات الإسلام وعلى رأسها التزام حقوق المسلمين عموماً.

وهي الحقوق التي وجبت بمقتضى الأخوة الايمانية التى أثبتها اللَّه جل

---

(١) أحمد١/ ١٧٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢/ ٤٨٢: «وفيه المجالد ابن سعيد وهو ضعيف عند الجمهور ووثقه النسائي في رواية، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح»، والحديث فيه ضعف وإن كان المعنى صحيحاً وهو أن لا عيب في اختلاف الاجتهاد، إنما العيب في التفرق بسبب الخلاف.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جلاله بين المؤمنين عموماً.

«فهذه الحقوق واجبةٌ بنفس الإيمان، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما أوجب اللَّه ورسوله وهذه ثابتةٌ لكل مؤمن على كل مؤمن وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة"[١].

«فمن كان قائما بواجب الإيمان كان أخاً لكل مؤمن، ووجب على كل مؤمن أن يقوم بحقوقه، وإن لم يجر بينهما عقد خاص، فإن اللَّه ورسوله قد عقدا الأخوة بينهما»[٢].

واجتماع بعض المسلمين على طاعة اللَّه ضمن إطارٍ خاص لا يُسْقِطُ حقوق الأخوة العامة، ولا يسول لهم «التعصب لمن دخل فى حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل فى حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق الذى ذمه اللَّه تعالى ورسوله فإن اللَّه ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان»[٣].

الأخوة الإسلامية تنادي بالأمة الواحدة التي ذكرها اللَّه تعالى في سورتي الأنبياء والمؤمنون، وتحرم التهور الذي أصاب بعض المسلمين بداء التعصب فكفروا وفسقوا تصريحاً أو تأويلًا:

وعلى سبيل المثال فقد وقف الإمام الشوكاني - رحمه اللَّه تعالى - أمام قول بعض علماء أحد المذاهب الإسلامية المتأثرين بشيء من التعصب

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ١٠٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٩٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٩٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الطارئ: «والمتأول كالمرتد وقيل كالذمي وقيل كالمسلم»، فَبَيَّنَ الشوكاني خطلَ هذا القول وخطورته، وذكَّر بالمحكمة العظيمة التي تكرر التأكيد عليها في القرآن وهي: الأمة الإسلامية الواحدة، وحذر من الكوارث التي جلبها التعصب على الأمة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حرقة ظاهرة، وإدراك مبكر لخطورة التعصب المذهبي والحزبي: «أقول: اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهانٍ أوضح من شمس النهار؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعةٍ من الصحابة أن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما هكذا في الصحيح.

وفي لفظٍ آخر في الصحيحين وغيرهما: «**من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو اللَّه وليس كذلك إلا حار عليه**»، أي: رجع.

وفي لفظ في الصحيح: «**قد كفر أحدهما**».

ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير، وقد قال اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦] فلا بد من شرح الصدر بالكفر، وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعلٍ كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظٍ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه.

فإن قلت: قد ورد في السنة ما يدل على كفر من حلف بغير ملة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الإسلام، وورد في السنة المطهرة ما يدل على كفر من كفر مسلماً، وورد في السنة المطهرة إطلاق الكفر على من فعل فعلًا يخالف الشرع كما في حديث«**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»(١)، ونحوه مما ورد مورده، وكل ذلك يفيد أن صدور شيءٍ من هذه الأمور يوجب الكفر، وإن لم يرد قائله أو فاعله الخروج من الإسلام إلى ملة الكفر.

قلت: إذا ضاقت عليك سبل التأويل، ولم تجد طريقاً تسلكها في مثل هذه الأحاديث فعليك أن تقرها كما وردت، وتقول من أطلق عليه رسول اللَّه ﷺ اسم الكفر فهو كما قال ولا يجوز إطلاقه على غير من سماه رسول اللَّه ﷺ من المسلمين كافرا إلا من شرح بالكفر صدراً، فحينئذ تنجو من معرة الخطر، وتسلم من الوقوع في المحنة؛ فإن الإقدام على ما فيه بعض البأس لا يفعله من يشح على دينه؛ ولا يسمح به فيما لا فائدة فيه؛ ولا عائدة فكيف إذا كان يخشى على نفسه إذا أخطأ أن يكون في عداد من سماه رسول اللَّه ﷺ كافراً، فهذا يقود إليه العقل فضلا عن الشرع ومع هذا فالجمع بين أدلة الكتاب والسنة واجب وقد أمكن هنا بما ذكرناه فتعين المصير إليه فحتم على كل مسلم أن لا يطلق كلمة الكفر إلا على من شرح بالكفر صدراً، ويقصر ما ورد مما تقدم على موارده

وهذا الحق ليس به خفاء ... فدعني من بنيات الطريق
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ... ومنهج الحق له واضح»(٢)

---

(١) البخاري (٦١٦٦)، مسلم (٦٥).

(٢) السيل الجرار ٤/ ٥٧٨، والبيت الأخير منسوب إلى أبي نواس كما في تاريخ دمشق ١٣/ ٤٤ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثالثاً: الاجتهاد في طلب الهدي الشرعي

وذلك ببذل الجهد الشرعي – من أهله – للوصول إلى الهدى المستقيم في نصرة اللَّه ﷻ، وهذا يقتضي – مما يقتضيه – إعمال العقل في البحث عن مراد اللَّه سبحانه وتعالى في كلامه أو كلام رسوله ﷺ، وإعمال الجوارح في القيام بما يحب اللَّه ﷻ، وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ونصرة اللَّه ﷻ تشمل القيام بدقائق الإسلام وجلائله، إجهاداً للنفس في الوصول إلى مراد اللَّه سبحانه وتعالى مما يؤدي إلى الاستقامة على الهدى المستقيم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤] ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت: ٦٩]، ولذا عَرَّفَ صاحب «**مسلم الثبوت**» الاجتهاد: «**بأنه بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكمٍ شرعي ظني**»[(١)].

ولكن هذا الإعمال للعقل والجوارح ابتغاء مرضاة اللَّه ﷻ مقيدٌ: بالضوابط العلمية لفهم النصوص، وهي ضوابط جُمِّعت من استقراء النصوص، ومقيدٌ بكيفية فهم الرسول ﷺ للنصوص وتطبيقه لها، وكيفية اتباع الصحابة رضي اللَّه عنهم لذلك؛ إذ قد شرفهم اللَّه سبحانه وتعالى بصحبة نبيه ﷺ فتأهلوا لتأويل نصوص الوحي المعصوم، ووضعه في مواضعه بما لم يتأهل له غيرهم كما قال إبراهيم التيمي: خلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يومٍ يحدث نفسه، فأرسل إلى ابن عباس رضي اللَّه عنه فقال: «كيف تختلف هذه

(١) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت٢/ ٣٦٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الأمة، ونبيها واحد، وكتابها واحد وقبلتها واحدة، فقال ابن عباس ﷺ: يا أمير المؤمنين! إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم أُنْزِل، وإنه سيكون بعدنا أقوامٌ يقرؤون القرآن، ولا يعرفون فيم نزل، فيكون لكل قومٍ فيه رأيٌ، فإذا كان لكل قومٍ فيه رأيٌ اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. فزبره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس ﷺ، ثم دعاه بعد فعرف الذي قال، ثم قال: إيه أعد علي»[١].

لقد كان الصحابة رضي اللَّه عنهم من أوائل من أرادوا من المسلمين أن يلتزموا ضوابط الفهم للنص المعصوم: فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قلت لعائشة زوج النبي - وأنا يومئذٍ حديث السن -: «أرأيتِ قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨]، فما نرى على أحدٍ شيئاً أن لا يطوف بهما. فقالت عائشة: كلا! لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أُنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول اللَّه عن ذلك فأنزل اللَّه ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾» [البقرة:١٥٨][٢].

وأحكام الدين من حيث كونها محكمةً أو مجالاً للاجتهاد ومن ثم الاختلاف ترجع إلى قسمين:

---

(١) سنن سعيد بن منصور١/ ١٧٦ .

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٥١ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القسم الأول: هو أساس الدين سواء ما يتصل منها بالعقيدة أو الأمور العملية، وقد وردت في آيات محكمة لا تحتمل التأويل، ولا تثير الاختلاف، لأن اللَّه سبحانه وتعالى أراد أن تكون هذه الأمور ثابتة على مر العصور كأصول العقيدة الإسلامية، ومن أهمها: أركان الإيمان الستة إجمالًا «**مسائل عقدية**»، وأركان الإسلام الخمسة «**مسائل قولية عملية**»، ومسائل الأخلاق كالصدق، والأمانة، والمروءة، والوفاء بالعهد، والرحمة، وحسن التعامل مع العالمين: بشراً، وحيواناً، وشجراً، ومدراً،وأكثر أحكام المواريث، وأصول أحكام الأحوال الشخصية، وأصول الأحكام الحارسة للكليات الخمس.

والمسلم الذي يقوم بهذه الأحكام بل بأركان الإسلام الخمسة أما يكفيه ذلك لتثبت له أخوة الإسلام وحقوقها؟ هل يجب أن يصنف مذهبياً أو سياسياً أو دعوياً ضمن هذا التيار أو ذاك لترضى عنه الأهواء التي اطرحت منهج الحق المبين المتسع ليشمل سائر المسلمين بظلال الأخوة الإسلامية الوارف المتين؟.

لقد شكا الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ مما فعله المتعصبون من أتباع المذاهب ببعضهم بل بدينهم حيث فرقوا دينهم وصاروا شيعاً، وها هو الأمر يتجدد جذعة وأعظم تحت اسم التيارات الدعوية أو السياسية أو الفكرية، وينسى المسلمون أن الاختلاف الإيجابي تحت ظل الثوابت يقوي مبدأ الأمة الواحدة ولا يوهيها.

لنستمع إلى الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ يسكب عبراته على الواقع البائس للأمة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الإسلامية التي تفرقت وحدتها مع أنها سبقت الأمم في إرساء قواعد الاختلاف، يقول رحمه اللَّه تعالى: «أقول ها هنا تسكب العبرات، ويناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا لسنةٍ ولا لقرآن ولا لبيان من اللَّه ولا لبرهان، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين، وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقنهم إلزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء، والسراب البقيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين، والرزية التي ما رزىء بمثلها سبيل المؤمنين، وأنت إن بقي فيك نصيب من عقلٍ وبقيةٌ من مراقبة اللَّه ﷻ، وحصة من الغيرة الإسلامية قد علمت وعلم كل من له علم بهذا الدين أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم سئل عن الإسلام قال في بيان حقيقته وإيضاح مفهومه أنه إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، وشهادة أن لا إله إلا الله، والأحاديث بهذا المعنى متواترة فمن جاء بهذه الأركان الخمسة، وقام بها حق القيام فهو المسلم على رغم أنف من أبى ذلك كائناً من كان، فمن جاءك بما يخالف هذا من ساقط القول وزائف العلم بل الجهل فاضرب به في وجهه، وقل له قد تقدم هذيانك هذا برهان محمد بن عبد اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه:

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

وكما أنه قد تقدم الحكم من رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم ـ لمن قام بهذه الأركان الخمسة بالإسلام فقد حكم لمن آمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره بالإيمان، وهذا منقول عنه نقلا

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

متواتراً، فمن كان هكذا فهو المؤمن حقاً، وقد قدمنا قريبا ما ورد من الأدلة المشتملة على الترهيب العظيم من تكفير المسلمين، والأدلة الدالة على وجوب صيانة عرض المسلم واحترامه، يدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح، فكيف إخراجه عن الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية؛ فإن هذه جنايةٌ لا تعدلها جنايةٌ وجرأةٌ لا تماثلها جرأة، وأين هذا المجترىء على تكفير أخيه من قول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وهو ثابت في الصحيح، ومن قول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم الثابت عنه في الصحيح أيضاً: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**»، ومن قول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم الثابت عنه في الصحيح أيضا: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»، ومن قول رسول اللَّه ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**»، وهو أيضا في الصحيح وكم يعد العاد من الأحاديث الصحيحة والآيات القرآنية والهداية بيد اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾»[1].

القسم الثاني: قسمٌ تنتمي إليه معظم أحكام الفقه الفرعية، وقليلٌ من الجزئيات العقدية الموغلة في الفرعية: وهي محلٌ لاختلاف الأنظار بحسب مبلغ علم كل ناظر، وبحسب جهده في إعمال أدوات الاستنباط في كل مسألة، وهذه حكمة العليم الخبير، وعلى هذا فاختلاف الأنظار لا ضير فيه إذا لم يكن مبنياً على الهوى والتشهي، وكان المراد منه تحري الصواب قدر

(١) السيل الجرار ٤/ ٥٨٤ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإمكان، وهذا دالٌ على مدى قصد الشارع لاجتهاد من يملكون أدوات الاجتهاد في الاستنباط، وإن وقع الاختلاف بينهم[١].

والاجتهاد لا يكمن فقط في إدراك الحكم الشرعي في الواقعة الجزئية، والاستسلام لحكم اللّٰه فيها بعد معرفته بل في الاجتهاد أيضاً في تنزيلها على الواقع وفق الشرع، وفي هذا الباب قد تتفاوت الأنظار، وتختلف الموازنات، وباستصحاب الأسس السابقة يتم التعامل في المختلف فيه.

* * *

(١) انظر: الموسوعة الفقهية١/ ١٩ - ٢٠، ٣٣.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رابعاً: اختلاف[1] الآراء طبيعة بشرية، وفطرة إلهية

وأما كون الاختلاف طبيعة بشرية وفطرة إلهية فذلك لطبيعة نقص الإنسان وقصوره فالاختلاف بين أفراد البشر أمرٌ طبيعي بل إنه آيةٌ من آيات اللَّه تعالى في الخلق ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، والاختلاف داخل ضمن قسمة رحمة اللَّه بين عباده في الدنيا للابتلاء والاختبار ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

(١) الاختلاف لغة: مصدر اختلف. والاختلاف نقيض الاتفاق، واختلف الأمران لم يتفقا، ومنه: الحديث: «سَوُّوا صُفوفَكم، ولا تَخْتَلِفوا فتَخْتَلِفَ قلوبُكم» «مسلم١/ ٣٢٣» أي إذا تقدَّم بعضُهم على بعض في الصُّفوف تأَثَّرَت قُلوبهم ونشأَ بينهم الخُلْفُ، وفي الحديث الآخر: «لتُسَوُّنَّ صُفوفَكم أَو ليُخالِفَنَّ اللَّهُ بين وُجُوهِكُم»«البخاري١/ ٢٥٣» يريد أَنَّ كلّاً منهم يَصْرِفُ وجهَه عن الآخر ويُوقَعُ بينهم التباغُضُ، فإِنَّ إِقْبالَ الوجْهِ على الوجهِ من أَثَرِ المَوَدَّةِ والأُلْفَةِ «انظر: لسان العرب٩/ ٨٣، النهاية في غريب الحديث٢/ ٦٧».

إلا أننا نجد أن استعمال «خالف» يكون في حالة العصيان الواقع عن قصد، كمن يخالف الأوامر، وعليه قول تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ (النور/ ٦٣»، واستعمال «اختلف» يكون في حالة المغايرة في الفهم الواقع من تفاوت وجهات النظر، وعليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]، ولم يقل: خالفوا فيه. وقوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣] فجعله اختلافاً لا مخالفةٍ «موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص١٦». وأَصَّل أبو البقاء لذلك من الناحية المصطلحية فبين أن ثمة فوارق اصطلاحية بين الخلاف والاختلاف:

فالاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفاً، والمقصود واحداً، والخلاف أن يكون كلاهما مختلفاً، والاختلاف ما يستند إلى دليل، والخلاف ما لا يستند إلى دليل. . .ولو حكم القاضي بالخلاف ورفع لغيره يجوز فسخه، بخلاف الاختلاف، فإن الخلاف هو ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد، وهو ما كان مخالفاً للكتاب والسنة والإجماع (انظر: الكليات ص٦٢).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]. . .

ومن جملة الاختلاف: اختلاف الآراء والأفهام والاستيعاب للنصوص: الذي ظهر في عهد النبي ﷺ، ثم ظهر بعد عهده في عهد الخلفاء الراشدين أي في عهد خير القرون.

ومن صور الاختلاف في الرأي ما يرجع إلى الحفظ، ومنه ما يرجع إلى الفهم[1]، ومنه ما يرجع إلى اختلاف التقدير في مراعاة المقاصد العليا للشريعة، ومن ذلك انقسام الصحابة رضي اللَّه عنهم حول أسرى بدر إلى فرقٍ ثلاث للاختلاف في الفهم والنظر إلى المقاصد الشرعية العليا لما كان يوم بدر قال رسول اللَّه ﷺ : ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله! قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل اللَّه أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله! أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم، وقال عبد اللَّه بن رواحة: يا رسول الله! انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرم عليهم ناراً، فقال العباس: قطعت رحمك. فدخل رسول اللَّه ﷺ ولم يردَّ عليهم شيئاً، فقال ناسٌ: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال: ناس يأخذ بقول عبد اللَّه بن رواحة. فخرج عليهم رسول اللَّه ﷺ فقال: «**إن اللَّه ليلين قلوب رجالٍ فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن اللَّه**

(١) انظر: أسباب اختلاف الفقهاء، فقه الخلاف بين المسلمين ص٣٥، أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء ص.٣٨

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ليشدد قلوب رجالٍ فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦]، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨]، وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨][(١)]. الحديث.

فهاهنا كان الاختلاف بين ثلاثة من الصحابة ثم انقسم الصحابة بعدهم إلى فرقٍ ثلاث تبعاً لهم، وسبب الاختلاف هو الفهم والنظر إلى المقاصد العليا للشريعة وتنزيلها على الواقع، وقد بقي الاختلاف في عهد النبي ﷺ جارياً بسبب ذلك كما في حادثة بني قريظة، وصلاة العصر، فإن من صلاها في وقتها نظر إلى النص وإلى فهم مراد النبي ﷺ من الأمر بصلاتها في بني قريظة وهو الإسراع والتعجيل.

ومن أخذ بظاهر أمره نظر إلى ضرورة عدم التقدم بين يدي اللَّه ورسوله وبناء الأمور على الظاهر كما قال النبي ﷺ مرة لما استوى يوم الجمعة: «**اجلسوا**»، فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرآه رسول

(١) أحمد١/ ٣٨٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦ / ٦٠: «ورواه أبو يعلى بنحوه ورواه الطبراني أيضاً وفيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه ولكن رجاله ثقات»، وذكر أن له رواية عند الطبراني، وأنها متصلة وفيها موسى بن مطير وهو ضعيف، وضعف إسناده الأرناؤوط لانقطاعه.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اللَّه ﷺ فقال: «**تعال يا عبد اللَّه بن مسعود**»[١].

كما اختلف المهاجرون والأنصار ومسلمة الفتح إلى فرقتين في الفهم المقاصدي نظراً لعدم بلوغهم حديث رسول اللَّه ﷺ:

فعن عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما: أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أهل الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين. فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمرٍ، ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول اللَّه ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال: ارتفعوا عني ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم. فقال ارتفعوا عني ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟. فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدةوكان عمر يكره خلافه - نعم! نفر من قدر اللَّه إلى قدر الله. أرأيت لو كانت لك إبلٌ فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله. قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن

---

(١) أبو داود١/ ٢٨٦ .

عندي من هذا علماً سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**»، قال: فحمد اللَّه عمر بن الخطاب ثم انصرف[١].

لقد اجتمع في هذا الحديث عدة أسباب للاختلاف:

١- الاختلاف في تنزيل المقاصد العليا للشريعة على نازلة الطاعون، فبعضهم نظر على الحفاظ على رجال المسلمين، وبعضهم رأى عدم الرجوع فيما عزم عليه خليفة المسلمين من أمر خطة سفره بدخول الشام، وهذا الخلاف بين خيرة أهل الأرض بعد الأنبياء وهم المهاجرون الأولون والأنصار ثم مسلمة الفتح رضي اللَّه عنهم .

٢- الاختلاف في فهم الصحابيين المبشرين بالجنة: عمر وأبي عبيدة رضي اللَّه عنهم في مسألة القدر، وتبرير الموقف المتخذ.

٣- الاختلاف كان بسبب الفهم نظراً لفقدان النص من حافظة الجيش كاملًا مع من استقبلهم من الصحابة رضي اللَّه عنهم في الشام حتى أخبرهم به واحد هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وهذا يجعلنا نقرر أن الاختلاف طبيعة بشرية، وواقع لا مفر منه[٢].

ولعل من أهم دلالات ذلك على الفرد والمجتمع: استيعاب واقعية الخلاف في الواقع: فيتم تقبل وجوده كظاهرة، وعدم أخذه بعنف، أو استفزاز لأنه يدخل ضمن الحكمة الإلـهية، وإنما يقابل بما أمرَ اللَّه به

---

(١) البخاري٥/ ٢١٦٣، مسلم٤/ ١٧٤٠ .

(٢) وانظر: أسباب اختلاف الفقهاء ص٩، فقه الخلاف بين المسلمين ص٨ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ورسوله ﷺ بحسب أنواعه، وأسبابه.

والاختلاف إجمالًا يمكن تقسيمه إلى اختلاف تنوع واختلاف تضاد، حيث تكاد تتفق نظرات أهل العلم قديماً وحديثاً على ذلك:

فاختلاف التنوع كثيرٌ في المسائل الفقهية بل في المسائل الدينية عموماً، حيث «يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعا كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رضي اللَّه عنهم حتى زجرهم النبي ﷺ وقال: «**كلاكما محسن**»، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح ومحل سجود السهو والتشهد وصلاة الخوف وتكبيرات العيد ونحو ذلك مما قد شُرِعَ جميعه»[(١)].

ومن ذلك مثلًا: ما جاء عن غضيف بن الحارث قال: «قلت لعائشة رضي الله عنها: أرأيت رسول اللَّه ﷺ كان يغتسل من الجنابة في أول الليل أو في آخره؟. قالت: ربما اغتسل في أول الليل وربما اغتسل في آخره. قلت: اللَّه أكبر الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. قلت: أرأيت رسول اللَّه ﷺ كان يوتر أول الليل أم في آخره؟ قالت: ربما أوتر في أول الليل، وربما أوتر في آخره. قلت: اللَّه أكبر الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. قلت: أرأيت رسول اللَّه ﷺ كان يجهر بالقرآن أم يخفت به؟ قالت: ربما جهر به، وربما خفت. قلت: اللَّه أكبر الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة»[(٢)].

---

(١) شرح الطحاوية ص٥٨١ .

(٢) أصله في مسلم٢/ ١٨٠، ورواه أبو داود١/ ٥٨، والترمذي١٠/ ١٦٧ وقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ» .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويمكن القول: إن اختلاف وسائل العمل الإسلامي يدخل في اختلاف التنوع: فمن المسلمين من ينهد لإحياء العلم الشرعي، ومنهم من ينهد[١] للجهاد في سبيل الله، ومنهم من ينهد لإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم من ينهد لنفع الناس، وقضاء حوائجهم، والتخفيف من كرباتهم... ومما يعبر عن ذلك أصدق التعبير أن اللَّه تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢] فذكر قوماً نفروا للجهاد في سبيل الله، وبين أن المؤمنين لن ينفروا له كافة وما كان لهم ذلك شرعاً وقدراً، وأنه ينبغي أن تنفر فئة منهم لطلب العلم وبثه بين الناس، واستحداث الوسائل المساعدة على تحقيق ذلك الهدف.

وأما اختلاف التضاد فينقسم إلى سائغ وغير سائغ، وليس مذموماً على إطلاقه، ولكن الاختلاف المحرم نوعان:

أحدهما: «**كل ما أقام اللَّه به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ منصوصاً بينا لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه**»[٢]، فإن اللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة: ٤]، وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فذم الاختلاف فيما جاءتهم به البينات»[٣].

(١) ينهد: ينهض وزناً ومعنى، وفي العين١/ ٢٦٥: «إلَا أَنَّ النُهوضَ قيامٌ عن قُعودٍ ومُضِيٌّ، والنُّهُودُ: مُضِيٌّ على كلّ حال».

(٢) الرسالة ص٥٦٠.

(٣) الرسالة ص٥٦٠.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وثانيهما: كل بغيٍ ينشأ عن اختلافٍ لا بد منه كاختلاف التنوع أو اختلاف الاجتهاد فيما يجوز فيه الاجتهاد، فالمنع هنا للنتيجة وإن كانت المقدمة صحيحة، وذلك لقطعية الأخوة الإسلامية في مقابل الظنون التي تنشأ عن الاجتهادات.

إمكانية إزالة بعض الخلاف بزوال سببه . مع التأكيد على عدم زواله مطلقاً:

يمكن تحويل عددٍ كبيرٍ من مسائل الاختلاف إلى مسائل اتفاق؛ إذ إن سبب الخلاف فيها عائدٌ إلى الطبيعة البشرية في عدم الإحاطة بالعلم كله، فإذا كان سبب الخلاف غياب النص عن أحد الطرفين، أو أخذه بجزئية في مفهوم نصٍ مع احتماله لغيره، فيمكن إبراز النص لمن علمه فيختفي الاختلاف، وهذا ما كان الصحابة رضي اللَّه عنهم يفعلونه فيحيلون كثيراً من مسائل الخلاف إلى مسائل اتفاق بعد وضوح النص عند من حفظه كما في حادثة الطاعون المتقدمة، وأشار الشافعي إلى هذين الأمرين فقال: «الناس مختلفون في هذه الأشياء وفي كل واحد منها كتاب أو كتاب وسنة. قال: ومن أين ترى ذلك؟ فقلت: تحتمل الآية المعنيين فيقول أهل اللسان بأحدهما، ويقول غيرهم منهم بالمعنى الآخر الذي يخالفه، والآية محتملة لقولهما معا لاتساع لسان العرب وأما السنة فتذهب على بعضهم وكل من ثبتت عنده السنة قال بها إن شاء اللَّه ولم يخالفها لأن كثيراً منها يأتي واضحا ليس فيه تأويل»[١].

(١) الأم (٧/ ٢٧٩) .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلى الرغم من عدم إمكانية زوال الخلاف في الرأي مطلقاً، إلا أنه قد يوجد في الاختلاف المنضبط مقاصد شرعية: فالخلاف في الرأي لم يزل منذ خير القرون، فتصور بعضهم أنه يمكن إزالة هذا الخلاف ينافي الشرع، والطبيعة، والواقع، والعقل.

أما الشرع: فظاهرٌ أن اللَّه سبحانه وتعالى شرع بعض الأحكام التي تختلف فيها اجتهادات البشر، كما تختلف في استنباط دلالات نصوصها، وهي غير المحكمات الشرعية القطعية، وهذا بحد ذاته دالٌ على جواز الاختلاف[1] لا على جواز إرادة الخلاف.

وأما الطبيعة: فلأن اللَّه تعالى جعل الاختلاف في الأرزاق من آياته في طبيعة الناس، ومنها رزق الذكاء والذاكرة وقوة الفهم والحفظ،

وأما الواقع: فإن واقع الصحابة رضي اللَّه عنهم وهم خير القرون يقول بأنهم اختلفوا فكيف غيرهم؟

وأما العقل: فإن كل ما سبق يطبع العقل على وجود الخلاف حتى إن الشخص الواحد قد يخالف رأياً ارتآه بالأمس في دليلٍ شرعي، وقد قال عمر ابن الخطاب في مسألة «**المُشَرِّكة**» حيث اختلف قضاؤه فيها عنه قبل عام: تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي[2].

واستقرار حقيقة عدم زوال الخلاف بين الناس يوسع صدور المسلمين

(١) وانظر: أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين ص٢٥ .

(٢) الدارمي١/ ١٦٢، ابن أبي شيبة ٦/ ٢٤٧ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لاحتماله[١] خاصةً ما كان سائغاً، وينبغي أن تقوم مناهج التربية على تطبيع المسلمين على هذه الحقيقة وتقبلها، والتعامل معها وفق الشرع بمختلف أقسامها.

ويظهر من كلام من تشدد في ذم الخلاف مطلقاً أنه يعني النزاع والفرقة وليس مجرد الاختلاف في الرأي مع بقاء عصمة الأخوة وحقوقها[٢]، بل إن الاختلاف قد يكون نعمةً في ذاته ما دام في حدوده المنضبطة لم يخرج إلى نزاع أو اقتتال، ولذا ألف السيوطي كتابه: «جزيل المواهب في اختلاف المذاهب».

استيعاب الفقه الإسلامي الراشد للخلاف: يسهل على النفسية السوية أن تستوعب وقوع الخلاف في المجتمع الواحد خاصة إن كان اختلاف تنوع، بل يعد ذلك من ضرورات قيام الحياة وإعمارها، ومن ضرورات كون الخلق خلقاً كما قال ﷻ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩]، ولذا فإن الذم في ذلك يكون واقعاً على من بغى على أخيه الآخر لا على الاختلاف من حيث هو اختلاف، «وقد دل القرآن على حمد كل واحد من الطائفتين في مثل ذلك إذا لم يحصل بغي كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، وقد كانوا اختلفوا في قطع - أشجار العدو المحارب -، فقطع قومٌ وترك آخرون، وكما في قوله تعالى ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ

---

(١) فقه الخلاف بين المسلمين ص٤٦ .

(٢) انظر مثلًا: الاختلاف رحمة أم نقمة ص١٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٨] فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم، وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ولمن أخرها الى أن وصل الى بني قريظة، وكما في قوله «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[١].

نوع اختلاف السلف: وعليه فإن سلف الأمة وجميع الأئمة لم يختلفوا ليخالف بعضهم بعضاً، أو يخطئ بعضهم بعضاً، وإنما اختلفوا في سبيل الوصول إلى الحق وتحقيق مقاصد الشرع بما يتوصلون إليه من فهم كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ[٢].

وقد استوعب الفقه الإسلامي وجود الاختلاف لأن أكثر النصوص «يحتمل التأويل». . . ومن الفقه ما «يُستدْرَكُ قياساً»[٣]، فذهاب المتأول أو القايس إلى معنىً يحتمله الخبر أو القياس اجتهادٌ يؤجر عليه ولو أخطأ؛ ما دام قد سلك سبيل الاجتهاد، وإن خالفه فيه غيره.

- **السبق التاريخي للمنهجية الإسلامية المتميزة في التعامل مع ظاهرة الاختلاف:**

ومن المفارقة الكبيرة أننا عندما نتحدث عن فقه الاختلاف، وفن إدارته نجد تبايناً عظيماً بين واقع الأمة قديماً وحاضرها، فعند إلقاء نظرة على

---

(١) شرح الطحاوية ص٥٨٢ .

(٢) موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص١٧ .

(٣) الرسالة ص٥٦٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاختلاف في التصور الإسلامي، وفي التطبيق الواقعي الذي مارسته المدارس الثقافية الفقهية المتعددة طوال ألفٍ وثلاثمائة سنة؛ نرى واقعاً جميلًا مشرقاً يزخر بما كانت تحبو البشرية للوصول إليه خلال قرونها المنصرمة، كما نرى فقه الخلاف في الإسلام بناءً ثقافياً سامقاً في ناحيتيه النظرية والعملية، إذا عالجنا هذا الموضوع من حيث الزاوية التاريخية البحتة، بعيداً عن الاستغلال السياسي الذي كان يحدث أحياناً للخلاف الفكري

والأدلة التطبيقية العملية على هذه النظرة المتفائلة إزاء الواقع الثقافي التاريخي في جانبيه النظري والعملي تتمثل في التالي:

أولًا: قيام المنهج الإسلامي على الاجتهاد بعد تأسيس الثوابت القطعية وهي المحكمات التي لا خلاف فيها:

وقد بدأت مرحلة الاجتهاد منذ نزل الوحي القرآني على نبينا محمد ﷺ، وكان هو سيد المجتهدين فيما لم ينزل عليه فيه وحي، وهذه مسألة أصولية مشهورة، وسورة الأنفال، وعبس، والتحريم تبين أمثلة ذلك فيما هو مشهور، ثم سارت حركة الاجتهاد بين أصحابه رضي اللَّه عنهم في عهده وبعد عهده ﷺ في إطار المحكمات، والاجتهاد يقتضي للوهلة الأولى من إطلاق كلمة الاجتهاد: قبول إبداء الناس لآرائهم، وعدم الإلزام برأيٍ بعينه، ولذا قيل: أتفتحون باب الاجتهاد ثم تلزمون الناس برأيكم؟.

ثانياً: الثروة الفقهية العظيمة التي كانت ثمرة لاختلاف الرأي من جهة، وثمرةً للوئام الذي ساد بين المذاهب الفقهية من جهة أخرى:

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إذا استبعدنا الاستغلال السياسي والتعصب، وإذا قلب المرء صفحات آلاف المجلدات لن يجد صعوبة في معرفة أن كل فقيه يصرح بكلمة «**رأيي**» «**أو هذا رأي ارتأيته**»، وها هو أبو حنيفة فقيه القوم يلخص الاجتهاد الفقهي بقوله لصاحبه أبي يوسف: «ويحك يا يعقوب لا تكتب كل ما تسمع مني فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدا وأرى الرأي غدا وأتركه بعد غد»[١]. . .

ثالثاً: القواعد القانونية «الفقهية والأصولية» التي تنشر ثقافة الاختلاف وتضبطه وتنمي جوانبه الإيجابية:

وهذه القواعد وضعها أئمة المذاهب ومجتهدوها، وهي قواعد قانونية محددة تدير الاختلاف في الرأي بحيث ينمي التعددية في الرأي، ويستثمرها ويعطيها التجدد والحيوية الفقهية والفكرية، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى النزاع والتعصب.

ومن هذه القواعد التي وضعوها القواعد التالية: لا إنكار في مسائل الخلاف، المجتهد مصيب، مراعاة الاختلاف مندوبة، الخروج من الخلاف مستحب، طلب الشيء لا يسقط بإرادة الخلاف، مسائل الخلاف إذا اتصل ببعضها قضاء حاكم تعين القول به وارتفع الخلاف، إذا تعارض خلافان قدم أقواهما.

وضع الفقهاء والأصوليون هذه المبادئ العظيمة استنباطاً من أن العصمة للنص لا للفهم الشخصي للنص.

وهذه القواعد تأتي إضافة إلى القواعد الشرعية المقررة في الشرع والتي

---

(١) تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ٣/ ٥٠٤ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يتم من خلالها إدارة الخلاف مثل: «**الحوار بالحسنى، والجدال بالتي هي أحسن**» بل منع اللَّه كل جدال إلا بالتي هي أحسن كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وهاتان القاعدتان تأخذان صفة العموم حتى مع اليهود والنصارى فضلًا عن أن يكون ذلك فيما بين المسلمين كمذاهب فقهية، أو اتجاهات فكرية، أو تيارات تنموية ذات أصول علمية.

ومن لطيف ما ذكره ابن العربي في قانون التأويل أن مجالس المناظرات بينهم وبين اليهود والنصارى في بيت المقدس كانت منعقدةً قائمةً على الحوار العلمي المحض دون تعنت أو تعصب أو عنف، ومن ذلك قصة مناظرة الحبر اليهودي الشهير التستري الذي وصفه بأنه كان لقناً فيهم ذكياً بطريقهم، وذكر بعض مناظراته[(١)].

وهذه صورةٌ لما كان عليه المسلمون في فقه الاختلاف مع غيرهم من نضجٍ ثقافي، وتطبيقٍ مثالي لقواعد الإسلام.

وقد استقى الغربيون هذه المبادئ وأعادوا صياغتها ليوهموا العالم أنهم أصحابها، ولا ننسى أن التقنين الدستوري الفرنسي في وضعيته بعد الثورة الفرنسية قد تأثر بالتقنين الفقهي المالكي.

رابعاً: تأسيس علوم مستقلة لها متونها الخاصة تعنى بوضع القوانين التي تضبط الحوار بين أهل الاجتهاد كعلم البحث وعلم المناظرة وعلم الجدل،

(١) انظر: قانون التأويل ص٤٣٨ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعلم الخلاف:

وعلى سبيل المثال فقد عرفوا علم المناظرة بأنه: «علمٌ يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين، وموضوعه الأدلة من حيث إنها يثبت بها المدَّعَى على الغير، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب»[(١)].

وقد امتدت فوائد هذا العلم لأنه يخدم العلوم كلها، إذ البحث والمناظرة «عبارةٌ عن النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب»، وعللوا وجوده بأن «المسائل العلمية تتزايد يوماً فيوماً بتلاحق الأفكار والأنظار فلتفاوت مراتب الطبائع والأذهان لا يخلو علمٌ من العلوم عن تصادم الآراء، وتباين الأفكار، وإدارة الكلام من الجانبين للجرح والتعديل والرد والقبول وإلا لكان مكابرة، فلا بد من قانون يعرف مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو المردود وتلك القوانين هي علم آداب البحث»[(٢)].

وبناء على هذا شاع عندهم التعبير عن اجتهادهم بأنه «**رأي**» يمكن نقضه ونقده والبحث عما هو أفضل منه، وليس حكماً منزلًا، ولا كتاباً مفصلًا لا يأتيه الباطل:

لننظر مثلًا إلى بعض أقوال خير القرون على الإطلاق،إنه قرن الصحابة رضي اللَّه عنهم:

فأبو بكر ﷺ يقول: «**أقول فيها برأيي فإن كان صوابا** . . .».

---

(١) كشف الظنون١/ ٣٨ .

(٢) كشف الظنون١/ ٣٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومثله ابن مسعود ﷺ يقول عن اجتهاده في قضية: «سأقول فيها بجهد رأيي؛ فإن كان صوابا؛ فمن اللَّه وحده لا شريك له، وإن كان خطأ؛ فمني، واللَّهُ ورسولهُ منه بريء»[1]، فجعل قوله اجتهاداً، وجعله رأياً.

ولما قال ابن عباس للصحابة في مجلس عمر عن مسألة: «أحدثكم برأيي» أي: لا نص مقدس، وإنما وجهة نظري. قال له عمر: عن ذلك نسألك»[2].

ولعله تعلم هذا الرقي في العبارة من زيد بن ثابت فقد عاتبه ابن عباس في اجتهاد ظنه مخطئاً فيه فقال له زيد: «إنما أقول برأيي وتقول برأيك»[3] فهذه العبارة هي المعادلة لشعار الثقافة في عصرنا: الرأي والرأي الآخر.

بل حذروا من عد الرأي ووجهة النظر حكماً ملزماً يعادل النص القطعي كما قال محمد بن سيرين في مسألة استنبط منها شيئاً: «فظننت ظناً فلا تجعلوه أنتم يقيناً»[4].

فاجتهاده مجرد ظن ووجهة نظر فلا ينبغي أن يجعلها من يسمعه ممن هو أخل للنظر حكماً منزلًا، أو نصاً قاطعاً.

وكانت إدارة الحوار تتم بين الأطراف المختلفة وفق قاعدة ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وهذا في مسائل العقائد

(١) الموطأ٢/ ٤٦٠، النسائي٦/ ١٢٢، ورواه الحاكم٢/ ١٩٦، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) ابن خزيمة ٣/ ٣٢٢، وراوه الحاكم١/ ٦٠٤، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص٢٧٨ .

(٤) المصاحف ٢/ ٢٢٠، وصحح المحقق إسناده .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فما بالك في مسائل الفروع، وقضايا العمل الدعوي الإسلامي الإداري؟.

وعلى الرغم من الضرورة الواقعية للاختلاف في المجتمع المسلم فإننا لحظنا بعين الاستقراء التاريخي في الحوادث العامة أن الاستقرار الاجتماعي، والسلم العام بين سائر الفئات والمذاهب كان هو السائد في فترات تاريخنا الماضي إجمالًا، فقد مثلت المذاهب الفقهية الأربعة أو الخمسة أو الستة، بل التي يمكن إيصالها إلى ما يزيد على العشرة؛ مثلت هذه المذاهب رؤى فكرية متباينة، واجتهادات ثقافية مختلفة، ويمكن اعتبار المذاهب الفقهية بحق أحزاباً سياسيةً في الفقه، أو جماعاتٍ دعويةً في الفروع.

وعلى الرغم من هذه المساحات الكبيرة للتعددية في المحيط الإسلامي حينها إلا أن الجميع كان يسودهم روح الإخاء، والترابط الوثيق، وتجمعهم قاعدة ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] وهذا كله يوضح حقيقة السبق الإسلامي لنشر ثقافة الحوار لو كان عند «البيت الدولي، والنظام العالمي» إنصافٌ لمنتجاتنا الثقافية.

التعصب لآراء الأفراد والجماعات: بطر الحق وغمط الناس: يطفيء نور الحق ويمزق المسلمين: وإذا كان الخلاف أمراً واقعاً، وضرورة خلقية، فإنه لا يحدث الفرقة ما دام منضبطاً بميزان الشرع بل إن الذي يحدث الفرقة هو بطر الحق، والتعصب للرأي، والاستعلاء على الآخرين.

وقد تنازع بعض التابعين تنازعاً شديداً في القراءات المتواترة مع أنها جميعاً مشروعة حتى قام عثمان رضي الله عنه بالعمل العظيم في تعميم المصاحف، وذكرهم بمشروعية القراءة على الأحرف المنزلة.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعلى الرغم مما يلحظ في زماننا من أن أكثر أعمال الاتجاهات الإسلامية تكاملية؛ إذ إن معظم الأعمال التي يبرز فيها هذا الاتجاه أو ذاك هي أعمالٌ نوعية تعود إلى اختلاف التنوع، ولكن النزاع والتنافس ونبذ استيعاب هذا النوع من الاختلاف هي السمة الطاغية، وقد يجمع كل طرفٍ من أطراف الاختلاف حقاً وباطلًا فتحل العصبية الذميمة وتصادِرُ من كل طرفٍ حقه وباطله ثم يضيع الهدى نتيجةً لهذا التنازع الذميم، ويترتب على ذلك التقاطع والتدابر والمكر ببعضهم.

وقد يكون سبب ذلك:

إما عدم استيعاب وقوع الخلاف فكرياً أو نفسياً أو عملياً.

وإما الإصرار على تثبيت الخطأ والصواب من كل ذي انتماء على أنه صواب محض من حزبه وفئته.

وقد يستدل على ذلك بأدلة، منها: قاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**».

«إذ التعصب سببٌ يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات علماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة، والمقابلة، والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذباً عن الدين ونضالًا عن المسلمين وفيه على التحقيق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هلاك الخلق، ورسوخ البدعة»[١].

فإذا عرف أن الاختلاف حقيقةٌ واقعية، بل إن الاختلاف فى الأحكام أكثر من أن ينضبط سهل تربية النفس على الموقف الصحيح منه نابذاً ابتداء كل تقطيعٍ لعرى الأخوة لمجرد وقوع الخلاف بينهما، «**ولو كان كلما اختلف مسلمان فى شىء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة**»[٢].

ووقوع الاختلاف يؤدي إلى أخذ الصواب من كل طرف، ولا تمنع هيبة المخطئ من الإنكار عليه دون حطٍ أو تفريطٍ في حقوق الأخوة الإسلامية؛ كما قال الذهبي: «وبين الأئمة اختلاف كبير في الفروع وبعض الأصول، وللقليل منهم غلطات وزلقات، ومفردات منكرة، وإنما أُمِرْنا باتباع أكثرهم صواباً، ونجزم بأن غرضهم ليس إلا اتباع الكتاب والسنة، وكل ما خالفوا فيه لقياس أو تأويل، وإذا رأيت فقيها خالف حديثا أو رد حديثا أو حرف معناه فلا تبادر لتغليطه، وإنما وضعت المناظرة لكشف الحق، وإفادة العالم الأذكى العلم لمن دونه، وتنبيه الأغفل الأضعف»[٣].

وقد يكون مع كل طرفٍ شيءٌ من الصواب وشيء من الخطأ فيؤخذ الصواب من كل طرف مع التماس العذر في وقوع الخطأ.

❊ ❊ ❊

---

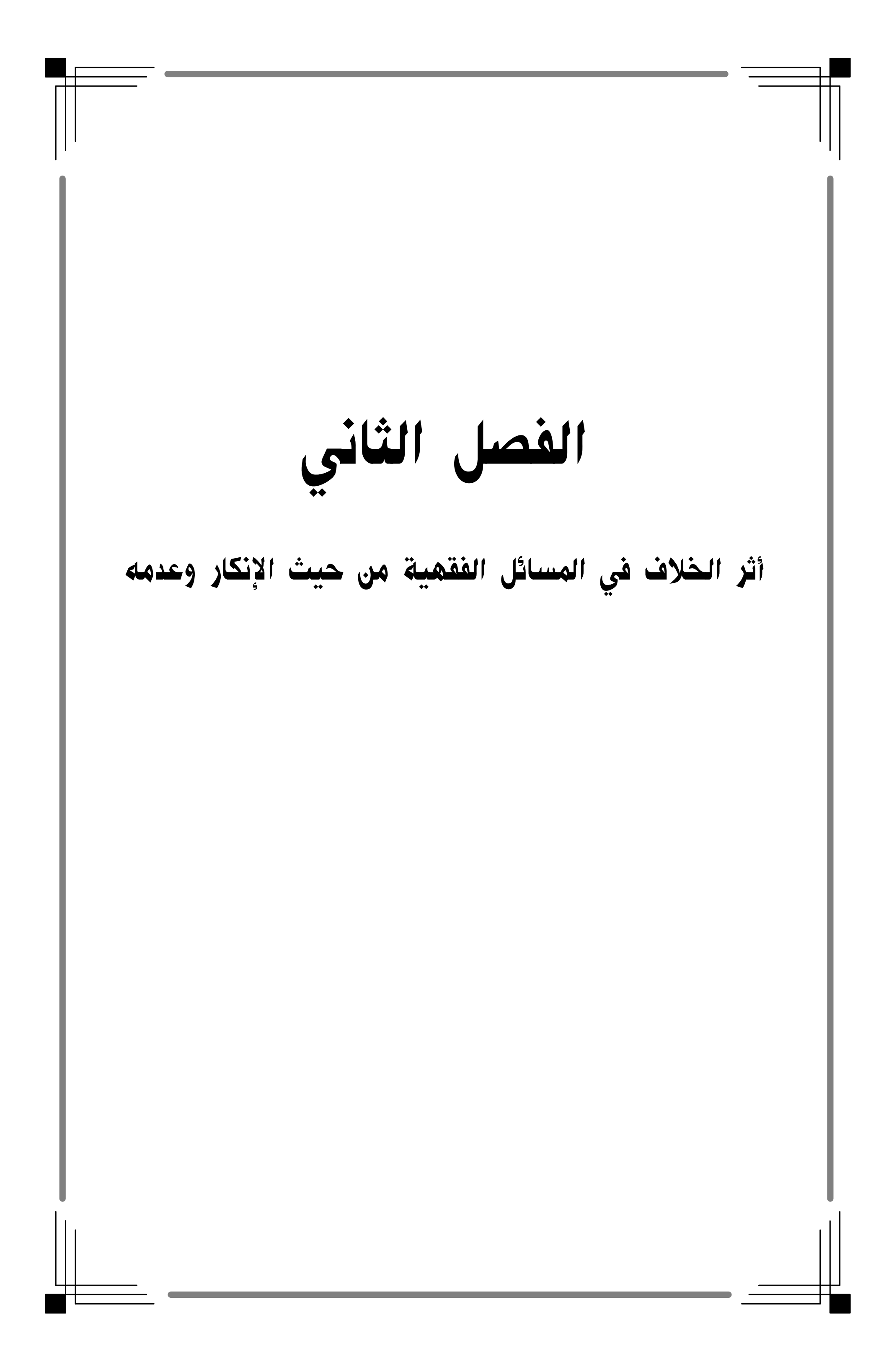
(١) إحياء علوم الدين١/ ٤٠ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤/ ١٧٣ .

(٣) فيض القدير١/ ٢١٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



الفصل الثاني

أثر الخلاف في المسائل الفقهية من حيث الإنكار وعدمه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تمهيد

البحث عن الخلاف، وطبيعته، وأسباب حدوثه، وآدابه ليس من مجال هذا البحث؛ إذ إن هذا البحث يتعلق بالخلاف من حيث أنه حدثٌ واقعٌ ظاهر في حياة المسلمين العلمية في الميدان الشرعي، ولا بد من شرح مبسط لقاعدة البحث قبل الدخول في مناقشتها باعتبارها وضعت «**قننت**»حكماً عند حدوث الاختلاف، وأرشدت إلى معالم لاستيعاب الخلاف سارت عليها الحياة الفقهية عند الأمة الإسلامية.

فقد تضمنت هذه القاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» عدة معالم علمية وفقهية، وأرست عدة مبادئ للجدل والحوار بحسب ظاهر لفظها ومفهومها، ومنها:

١- أرست هذه القاعدة مبادئ للحوار والمناظرة بين المختلفين يقف على رأسها حسن الظن بالمخالف، وعدم الإنكار عليه باليد، أما الإنكار عليه نصحاً، أو مناظرةً، أو مشاورةً، أو مباحثةً، أو تخطئة على نتيجة الاجتهاد مع أدب القول، فهذا كان دأب أهل العلم في كل خلاف مذ كان عهد النبي ﷺ .

٢- لا يسري النهي عن المنكر فيما اختلف فيه الفقهاء ما دام لم يخالف نصاً ولا إجماعاً ولا قياساً جلياً . والقيد هنا قد أشار إليه واضعو القاعدة.

٣- الأصل في الخلاف بين المسلمين التماس العذر للمخالف، وإحسان

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الظن به، ولذا لا يسري الإنكار إليه باليد، وإنما يتم الحجاج العلمي معه.

٤- قسمت هذه القاعدة الأحكام الشرعية إلى قسمين: محكمات قطعية، ومسائل فرعية، وذلك حتى يتسنى لكل ناظر في الفقه الإسلامي أن يفرق بين النوعين من حيث أهميتهما، وحكم تركهما أو فعلهما.

٥- خضوع كل من يخالف في محكمات الشريعة للإنكار عليه بحسب مفهوم القاعدة.

٦- المحكمات الشرعية هي أساس الدين وجوهره، وعليها مدار اتفاق المسلمين، ويجب حراستها بالإنكار على الخارج عليها بحسب مستوى الإنكار اللائق به.

٧) لا يخرج عن طائلة الإنكار والنقد فيها أياً كان مهما جل قدره، أو عظمت مكانته إلا أن يكون نبياً معصوماً، فالعبرة في النظر للفعل لا للفاعل.

ولكن هذه القاعدة بحسب ظاهرها: جعلت الخلاف حكماً ومرجعاً يُعتمد عليه: فعند حدوث نقاشٍ في مسألةٍ فقهية اختلفت فيها الأنظار، وأراد كل طرفٍ أن يظْهِر ترجيح أحدها، فإن كل طرفٍ مُلْزَمٌ بأن يتحاكم إلى هذه القاعدة، والحكم هو ألا تنكر الرأي الآخر مهما ظهر أن النص ضده أو معه، أو أن الرجحان رفعه أو وضعه، وهذا بحسب ظاهرها.

كما حوت - بحسب ظاهرها أيضاً - نفياً بمنطوقها، وإثباتاً بمفهومها: فنفت الإنكار في المسائل المختلف فيها، وأثبتت الإنكار في المسائل المتفق عليها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

- **ومن الإشكالات المتبقية في فهم هذه القاعدة ما يلي:**

١- ما المراد بالإنكار المنفي هنا؟ هل هو الإنكار باليد أم باللسان؟ .

٢- هل المراد الإنكار الواجب أم المستحب؟.

٣- حال كونه باليد، فكيف تكون عبارة المنكر باللسان ليناً ورفقاً؟.

٤- وهل تجوز بعد ذلك المباحثة والمناقشة والإقناع بين الطرفين إذا كان النفي متوجهاً لجميع أساليب الإنكار من يدٍ ولسان؟.

٥- وهل يؤخذ بظاهر لفظها فيجعل خطاباً عاماً للعالم فيخاطب به المسلمون وغيرهم، في المسائل العلمية والعملية: الأصلية والفرعية؟.

٦- هل كل المسائل المختلف فيه لا تنكر بأي أسلوبٍ من أساليب الإنكار؟.

إنما أورد الكاتب هذه الاستشكالات لمنع المسارعة في أخذ القاعدة على ظاهرها وإطلاقها، ولتكون مدخلًا لبحث القضايا الرئيسة في مدلولاتها.

وعند النظر في عبارات أهل العلم يظهر جلياً أن الإطلاق في هذه القاعدة ليس على ظاهره فقد اتفقوا على التذكير بالإنكار على المخطئ في المسائل المختلَف فيها في الجملة، لانتماء التذكير بالإنكار إلى عدد من القطعيات الشرعية، ولكن عباراتهم اختلفت في تفصيل المعيار الصحيح الدقيق للإنكار في المختلف فيه، كما يأتي تفصيله إن شاء اللَّه تعالى.

***

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث الأول

معيار التذكير بالإنكار

اختلفت عبارات أهل العلم في معيار التذكير بالإنكار في المسائل المختلَف فيها[١] على عدة أقوال، منها:

القول الأول: معيار الإنكار هو ما ضعف الخلاف فيه، وكان ذريعةً إلى محظور متفقٍ عليه:

وذهب إلى هذا الرأي الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ومثله أبو يعلى الفراء.

فقد قال الماوردي: «وأما ما اختلف الفقهاء في حظره وإباحته فلا مدخل في إنكاره إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه، وكان ذريعةً إلى محظورٍ متفقٍ عليه»[٢].

ولكن الماوردي أورد فرقاً بين ما إذا كان المنكر له ولاية الاحتساب أم لا فقال:

«واختلف الفقهاء من أصحاب الشافعي، هل يجوز له أن يحمل الناس فيما ينكره من الأمور التي اختلف الفقهاء فيها على رأيه واجتهاده أم لا ؟ على وجهين:

أحدهما: وهو قول أبي سعيد الإصطخري أن له أن يحمل ذلك على

(١) أما المتفق عليه فقد أُجمع على الإنكار على من خالفها إجماعاً ضرورياً .
(٢) الأحكام السلطانية ص٣١٥ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رأيه واجتهاده، فعلى هذا يجب على المحتسب أن يكون عالما من أهل الاجتهاد في أحكام الدين ليجتهد رأيه فيما اختلف فيه.

والوجه الثاني: ليس له أن يحمل الناس على رأيه واجتهاده ولا يقودهم إلى مذهبه لتسويغ الاجتهاد للكافة، فيما اختلف فيه، فعلى هذا يجوز أن يكون المحتسب من غير أهل الاجتهاد إذا كان عارفا بالمنكرات المتفق عليها»[١].

ونص صاحب الفروع على مثل هذا فقال: «فقد بينا الأمر على أن مسائل الاجتهاد لا إنكار فيها، وفي كلام أحمد أو بعض الأصحاب ما يدل على أنه إن ضعف الخلاف فيها أنكر وإلا فلا، وللشافعية أيضاً خلافٌ فلهم وجهان في الإنكار على من كشف فخذيه»[٢].

وذكر تفصيلًا لفروع كثيرة وردت فيها نصوص، وضعف الخلاف فيها، ونقل عن عدد من أئمة الشافعية والحنابلة الإنكار فيها.

واعتبار أن يكون الخلاف ضعيفاً لحدوث الإنكار هو ما عبَّروا عنه بقولهم:

فليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلافٌ له حظ من النظر[٣]

فإن كان معتبراً لم ينكر على صاحبه إنما تبادل الطرفان بيان الحجة،

---

(١) الأحكام السلطانية ص٣٠٠ .

(٢) الفروع٢/ ١٤ .

(٣) البيت لأبي الحسن ابن الحصار المالكي ت٦١١هـ ضمن قصيدة في ذكر السور المكية في كتابه الناسخ والمنسوخ، ونقلها الإمام السيوطي. انظر: الإتقان١/ ٤١ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإقناع المستفتي بما عندهما من أدلة.

فتحصل من هذا:

١) أن عبارة الماوردي تدل على ترك الإنكار في المختلف فيه حيث قال: «**ما اختلف الفقهاء في حظره وإباحته**».

لكن استثناءه دالٌّ على أنه يريد أن ثمة مسائل خاصة من مسائل الخلاف لا بد من إنكار القول الآخر فيها إن كان ضعيفاً أو شاذاً، وأن بعض مسائل الخلاف التي يقوى فيها دليل كل طرف فلا إنكار فيها ولنصطلح على تسمية هذا النوع الذي يقوى الخلاف فيه بـ«مسائل الاجتهاد»؛ وذلك لأن إجهاد الذهن فيها مطلوب لمعرفة أقرب الأقوال فيها إلى نص الشارع ومقاصد التنزيل والشريعة لعدم ظهور نصٍ أو إجماعٍ أو قياسٍ جلي فيها.

٢) أن الإنكار المنفي هنا إنما هو عن غير من له ولاية الحسبة، فأما من له ولاية الحسبة فله حق الإنكار على أحد الوجهين لما يترجح عنده أنه منكر.

٣) أن ما ضعف الخلاف فيه ينكر، وهذا يدل على تقسيمهم مسائل الخلاف إلى قسمين، وإن لم يصطلح أهل العلم هنا على تسمية مستقلة لكل قسم.

القول الثاني: معيار الإنكار في مسائل الخلاف هو مذهب المحتسَب عليه:

وصرح بهذا الإمام الغزالي -رحمه اللَّه تعالى - حين ذهب إلى أن من شروط الإنكار: «أن يكون كونه منكراً معلوماً بغير اجتهاد، فكل ما هو في

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

محل الاجتهاد فلا حسبة. فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية، ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ غير المسكر، وتناوله ميراث ذوي الأرحام، وجلوسه في دارٍ أخذها بشفعة الجوار. نعم لو رأى الشافعي شافعياً يشرب النبيذ، وينكح بلا وليٍ ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والإنكار» [١].

وتابعه الشيخ زكريا الأنصاري في كتابه «**أسنى المطالب**» إلا أنه استثنى من ناحية عملية بعض المسائل المختلف فيها كشرب النبيذ فإن «أدلة عدم تحريمه واهية»[٢] على حد تعبيره، وهذا يدل على شعوره بأن القاعدة لا تنطبق على كل مسألةٍ مُخْتَلَفٍ فيها.

وبذلك فإن الإمام الغزالي يرى:

١) أن من شروط الإنكار: أن يكون المنكر معلوماً، ولكن كلمة «**معلوماً**» ليست واضحة هنا: هل المراد بها ورود نص قطعي الدلالة أو يكفي أن تكون دلالته ظاهرة؟.

٢) أنَّ ما هو محل الاجتهاد فلا حسبة فيه.

٣) أنه ليس لأحدٍ أن ينكر على أحدٍ فعله ما دام مباحاً في مذهب الفاعل.

٤) أنه يجب على كل مقلدٍ اتباع مذهب مقلده فإن خالفه أُنْكِر عليه في الأظهر.

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٢٥، ونحوه قرر محمد القرشي الشافعي في كتابه معالم القربة في معالم الحسبة ص١٩٧ .

(٢) أسنى المطالب شرح روض الطالب٤/ ١٨٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٥) أن معيار التذكير بالإنكار الفعلي والقولي هو المذهب، فمن فعل شيئاً رآه جائزاً في مذهبه فلا يُنْكَرُ عليه وإن كان مخالفاً لظاهر النص.

على أن الإمام الغزالي - رحمه اللَّه تعالى - قد بنى مذهبه هذا على أن كل مجتهد مصيب في المسائل الفقهية حيث قسم المسائل العلمية الشرعية إلى: المسائل الفقهية وهي أحكام الحل والحرمة التي يتصور أن يقال فيها «**كل مجتهدٍ مصيبٌ**»، والمسائل العلمية العقدية والعقلية التي لا يتصور فيها ذلك(١).

وواضحٌ أنه - إذا سلمنا عدم مجانبة هذا القول للنص الشرعي الآمر عند التنازع بالرد إلى الكتاب والسنة - فإن أقل ما فيه أنه مخالفٌ لما اشتهر من إنكار الصحابة رضي اللَّه عنهم بعضهم على بعض مما سترد أمثلة له-إن شاء اللَّه تعالى -، بل لفعل الفقهاء حيث يرد بعضهم قول بعض عند مناقشة كثيرٍ من مسائل الفقه كما هو ظاهر في كتب علم الكلام أو علم الأصول، أو علم الفقه المسمى بعلم الفروع.

والظاهر أن هذا غير غائبٍ عن الإمام رحمه الله، فلعله أراد بالإنكار هنا التغيير باليد، وأما باللسان فأقل الحالات أنه لا بأس ببيان كون المختلف فيه منكراً عند القائل به على سبيل الإقناع والإرشاد، وبيان الدليل من غير اصطحاب توبيخ أو تقريع؛ ولذا فإن أكثر الشافعية يرون حد الحنفي إذا شرب نبيذاً لضعف أدلته(٢).

---

(١) انظر: الإحياء ٢/ ٣٢٦ .

(٢) انظر: تحفة المحتاج٩/ ٢١٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

القول الثالث: معيار الإنكار مذهب المحتسب عليه إلا في حالات استثنائية أهمها بُعْدُ المأخذ:

وإليه ذهب الإمام السيوطي فقد قال في كتابه الأشباه والنظائر: «لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه»[١].

وتستثنى صورٌ ينكر فيها المختلف فيه:

إحداها: أن يكون ذلك المذهب بعيد المأخذ بحيث ينقض، ومن ثم وجب الحد على المرتهن بوطئه المرهونة، ولم ينظر لخلاف عطاء.

الثانية: أن يُتَرافَعَ فيه لحاكمٍ فيحكم بعقيدته، ولهذا يحد الحنفي بشرب النبيذ إذ لا يجوز للحاكم أن يحكم بخلاف معتقده.

الثالثة: أن يكون للمنكر فيه حقٌ كالزوج يمنع زوجته من شرب النبيذ إذا كانت تعتقد إباحته، وكذلك الذمية على الصحيح"[٢].

وضعف المأخذ هو ما ارتضاه العز بن عبد السلام معياراً للإنكار في المختلف فيه[٣].

وذهب إلى شيءٍ قريبٍ من هذا الإمام القرافي فإنه مال إلى اعتبار مذهب المحتسب عليه هو معيار الإنكار ثم قال: «**إلا أن يكون مدرك القول بالتحليل ضعيفاً جداً** ينقض قضاء القاضي بمثله لبطلانه في الشرع كواطئ الجارية بالإباحة معتقداً لمذهب عطاء، وشارب النبيذ معتقداً مذهب أبي حنيفة»،

(١) وكذلك ذكر الإمام النووي في شرح مسلم ٢/ ٢٣ .

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي١/ ١٥٨، وقد نظم هذه القاعدة الإمام أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل في نظمه للأشباه والنظائر الموسوم بالفرائد البهية في القاعدة الخامسة والثلاثين .

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام١/ ١٢٩ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأرشد إلى وجود نوعٍ من المسائل تكون أقل درجة في الإنكار من غيرها من الخلافيات فقال: "وإن لم يكن معتقدا تحريماً، ولا تحليلًا، **والمدارك في التحريم والتحليل متقاربة أرشد للترك برفق من غير إنكار وتوبيخ؛** لأنه من باب الورع المندوب، والأمر بالمندوبات والنهي عن المنكرات هكذا شأنهما الإرشاد من غير توبيخ»[(١)].

وبالنظر إلى الترتيب الزمني للأئمة السابقين فإننا نلحظ أن قاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» قد قيدها الماوردي والفراء، ثم أطلقها الغزالي تقريباً، مع أنه قيدها بمسائل الأصول ففيها الإنكار عنده، ثم عاد القرافي وابن مفلح والسيوطي فقيدوها، ومنعوا إطلاقها.

كما نلحظ أن السيوطي ذكر أن مذهب أحد الطرفين إن كان بعيداً شرع الإنكار، وهذا مساوٍ تماماً لما في القول الأول من مشروعية الإنكار عند ضعف الخلاف.

القول الرابع: رأي الإمام عبد اللّه بن سليمان الجرهزي ت١٠٣٥هـ[(٢)]:

فقد ذكر كلام السيوطي وزاد مجموعة زياداتٍ، ولذا يمكن أن نعد كلامه رأياً رابعاً، وتتلخص هذه الزيادات في الآتي[(٣)]:

١- بين نوع الإنكار المنفي في قولهم «لا ينكر المختلف فيه»، فالإنكار المنفي إنما هو «**باعتبار الإنكار الواجب، أما المندوب فيندب حتى في**

(١) الفروق ٤/ ٢٥٧ .

(٢) صاحب المواهب السنية في شرح الفرائد البهية وفيه شرح كلام السيوطي المنظوم في الفرائد البهية .

(٣) انظر: الفوائد الجنية ٢/ ٣٣٣ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المختلف فيه برفق»، ومعنى ذلك أن الإنكار المندوب لا يُنفى عن المختلف فيه بل يثبت لكل منكرٍ أي حرامٍ مجمعٍ على حرمته، أو مختلفٍ فيه، فيطلب ويدعى على وجه النصيحة إلى الخروج من الخلاف.

٢- هذا الإنكار المنفي «الإنكار الواجب، الإنكار باليد» عن المختلف فيه إنما هو لغير المحتسب الذي نصبه الإمام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما المحتسب «فينكر وجوباً على أن من أخل بشيءٍ من الشعائر الظاهرة ولو سنة كصلاة العيد، والأذان[١]، فيلزمه الأمر بهما»، وكون الحاكم له حق الإنكار في المختلف فيه ذكره صاحب البحر الزخار؛ إذ لا يد فوق يده وعموم ولايته[٢].

ويلحظ مما سبق أن أياً من الفقهاء لم يُصرِّح بأن المعيار المعتبر هو النص، بل حقيقة قولهم أن جعلوا نص المذهب مقدماً على النص الإلهي أو النبوي الصحيح، وذلك لا لأن نصوص المذاهب تخالف النص، بل لأنه قد صار من المعلوم بالضرورة أن نصوص المذاهب ووجوهها وطرقها إنْ هي إلا محاولاتٌ استنباطية للحوادث والمسائل الفقهية من النص، وإن كان التعبير - عند بعضهم - عن هذه المسألة بـ«الإلزام المذهبي» مع أنه نصٌ في النهاية غير سائغٍ من الناحية «**المنهجية**» الأدبية والعلمية أمام النص، على أنه يوجد في نصوص المذاهب اختلافاتٌ تعبر عنها الوجوه والطرق، والاختيارات تؤول في الأخير إلى الاختلاف في فهم النص، فلماذا تعسير

---

(١) المراد على قول من يقول بأن ذلك سنة .

(٢) البحر الزخار٥/ ٤٦٦ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطريق والرجوع إلى نصٍ غير معصومٍ تعددت وجوهه لما فيه من خلاف في المذهب الواحد؟.

ولا يُفهم من هذه الملحوظة أن الأئمة يُقدمون النص المذهبي على النص؛ بل المحمل الحسن الواجب لهم - وهو الواقع منهم - هو اعتقاد أن النص المذهبي يُعبر عن الفهم للنص فذهبوا إليه مباشرة دون أن يُعبروا عن ذلك بالقول مثلًا: معيار الإنكار هو مذهب المحتسَب عليه في فهمه للنص.

وتدل العبارات الواردة في كلام الأئمة من مثل: أن يكون ذلك المذهب بعيد المأخذ بحيث ينقض، «**أن يكون الخلاف ضعيفاً**»، «**ألا يكون معتبراً**»، «**وهو ما ليس له حظٌ من النظر**»، على معنىً واحد هو أن الإنكار في المختلف فيه ينتفي إن كان الخلاف قوياً، ويُثْبَتُ إذا كان الخلاف ضعيفاً «**غير معتبرٍ، بعيد المأخذ**»، ولكن الإشكال هو في معيار الضعف، فما هو معيار الضعف؟ فقد يكون الخلاف عندك ضعيفاً، وعند غيرك قوياً!.

ومع ذلك فإن إجماع الأئمة منعقدٌ على عدم الأخذ بإطلاق قاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**»، وعلى عدم اعتبار الخلاف حكماً؛ فهم لم يجمعوا على معيارٍ محددٍ في الإنكار لفظياً حيث اختلفت عباراتهم فيه.

ونلحظ أنه كلما تأخر عهد العالم كان أشد احترازاً في ضبط القاعدة، وهو يثبت ما تقدم من أن الوضع البشري يعتريه القصور في التعبير عن القاعدة، وعلى الرغم من ذلك فإن حاصل المذاهب السابقة يكاد يكون واحداً يتلخص في أن معيار الإنكار هو مذهب المحتسَب عليه، إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

- **ليس كل خلاف مروي هو خلاف حقيقي:**

ومما يدل على عدم الأخذ بإطلاق هذه القاعدة، وعلى عدم اعتبار الخلاف حكماً: أنه يقف حائلًا بين هذا الرأي الذي يجعل للمذهب اعتباراً في الإنكار وبين صدق تطبيقه: أنه ليس كل خلافٍ مروي في كتب الفقه يعد خلافاً، ذلك بأن كثيراً من مسائل الخلاف -ويقال عند التنزُّل -: إن عدداً لا يستهان به من مسائل الخلاف إنما يُنقل فيه قول المخالف احتمالًا؛ أي: سُمِع عن فلان أنه قاله نقلًا عن صاحبه، وبينهما قرون، أو نقله أحدهم في كتابٍ عن صاحبه، والسند منقطعٍ أو معضل بينهما، وقد يكون الانقطاع لأجيال، أو تقَوَّله عليه لغلٍّ شخصيٍّ، وقد يورده أحدهم تخريجاً[1]، أو احتمالًا، دون تأكدٍ من صحة الخلاف عنه، ولا وسيلة للتثبت من قوله فيه، فلماذا نجعل المسألة متعلقةً بخلاف فلان، وليس عندنا ما يدل على أنه خالف حقيقة.

ومن أمثلة هذا: ما عزاه البعض إلى سفيان الثوري؛ من جواز إمامة المرأة للرجال؛ وما عزاه البعض إلى الإمام الطبري من جواز كون المرأة قاضيةً مطلقاً في الحدود وغيرها؛ وما ذكروه عن أبي حنيفة من جواز درء الحد عن واطئ الخادمة؛ وما ذكروه عن أبي جعفر الطحاوي أنه أجاز الشرب من المسكر ما لم يسكر؛ أو ما نُسب إلى أبي الخطاب بن دحية أنه أفتى

---

(١) صرح أحمد ولي الله الدهلوي من المحققين أن أكثر الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي مُخَرَّجٌ على كلام الأئمة، وأنه لا تصح به رواية عن أبي حنيفة وصاحبيه . انظر: حجة الله البالغة ١/ ٤٥٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بقصر المغرب في السفر ركعتين؛ بل ما نسبه الناسبون لابن عمر ثم مالك بن أنس من قولهما بجواز إتيان المرأة في دبرها وكذباه وأنكراه أشد الإنكار- وذلك في حياتهما[١].

ونحو ذلك مما يوجد في كتب الفروع الموسعة.

ويذهب ابن تيمية إلى أن ذلك يعود إلى أن «القول المحكي قد يسمع من قائلٍ لم يضبطه، وقد يكون القائل نفسه لم يحرر قولهم بل يذكر كلاماً مجملًا يتناول النقيضين ولا يميز فيه بين لوازم أحدهما ولوازم الآخر فيحكيه الحاكي مفصلًا ولا يجمله إجمال القائل، ثم إذا فصله يذكر لوازم أحدهما دون ما يعارضها ويناقضها مع اشتمال الكلام على النوعين المتناقضين أو احتماله لهما أيضاً، وقد يحكيه الحاكي باللوازم التي لم يلتزمها القائل نفسه، وما كل من قال قولًا التزم لوازمه، بل عامة الخلق لا يلتزمون لوازم أقوالهم»[٢].

ويقول عن نقل بعضهم: «وكثيرٌ من ذلك لم يحرر في أقوال المنقول عنهم، ولم يذكر الإسناد في عامة ما ينقله بل هو ينقل من كتب من صنف المقالات قبله»[٣].

كما يذهب ابن القيم إلى أنه: «كثيراً ما يحكى عن الأئمة ما لا حقيقة له، وكثيرٌ من المسائل يخرجها بعض الأتباع على قاعدةٍ متبوعةٍ مع أن ذلك الإمام

---

(١) انظر: تفسير القرطبي٣/ ٩٥ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل٢/ ٣١١ .

(٣) منهاج السنة النبوية٦/ ٣٠٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لو رأى أنها تُفضى إلى ذلك لما التزمها، وأيضاً فلازم المذهب ليس بمذهب وإن كان لازم النص حقاً؛ لأن الشارع لا يجوز عليه التناقض، فلازم قوله حق، وأما من عداه فلا يمتنع عليه أن يقول الشيء ويخفى عليه لازمه، ولو علم أن هذا لازمه لما قاله، فلا يجوز أن يقال هذا مذهبه، ويقوِّلُهُ ما لم يقلْهُ»[١].

ومما يمكن أن يضاف إلى أدلة عدم الأخذ بإطلاق هذه القاعدة، وعلى عدم اعتبار الخلاف حكماً أن خلاف العالم في مسألةٍ ما قد تكون من زلات أهل العلم، أو من شواذ الأقوال وهو ما حذر منه أهل العلم قديماً وحديثاً، وقد يستمرئ العالم زلته وهو لا يشعر، ولا ينقص ذلك من قدره لطبيعته البشرية، وهذا ما حذر منه الراشدون:

فقد قال عمر رضي الله عنه: «**ثلاثٌ يهدمن الدين: زلة عالم، وجدال منافقٍ بالقرآن، وأئمةٌ مضلون**».

وقال أبو الدرداء: «**إن مما أخشى عليكم زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حقٌ، وعلى القرآن منارٌ كأعلام الطريق**»[٢].

من أمثلة ذلك بيان ابن عباس - رضي اللّه عنهما - لزلة غيره فقد روى عكرمة عن ابن عباس قال في مسألة فقهية قال فيها ابن مسعود بقول: ما قالها ابن مسعود، وإن يكن قالها فزلة من عالم في الرجل يقول: إذا تزوجت فلانة فهي طالق قال اللّه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٦ .

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٣٦ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

طَلَّقۡتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] ولم يقل إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن.

ورواه البيهقي من طريقه من وجه آخر عن سعيد بن جبير: سئل ابن عباس عن الرجل يقول: إذا تزوجت فلانة فهي طالق، قال: ليس بشيء إنما الطلاق لما ملك، قالوا فابن مسعود قال: إذا وقت وقتا فهو كما قال قال: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن لو كان كما قال لقال اللَّه إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن(١)، ومن ذلك ما رواه أبو مسلم الخولاني أنه قدم العراق فجلس إلى رفقةٍ فيها ابن مسعود فتذاكروا الإيمان، فقلت: أنا مؤمن فقال ابن مسعود: أتشهد أنك في الجنة، فقلت: لا أدري مما يحدث الليل والنهار. فقال ابن مسعود: لو شهدت أني مؤمن لشهدت أني في الجنة. قال أبو مسلم: فقلت: يا ابن مسعود ألم تعلم أن الناس كانوا على عهد رسول اللَّه ﷺ على ثلاثة أصناف مؤمن السريرة مؤمن العلانية، كافر السريرة كافر العلانية، مؤمن العلانية كافر السريرة؟ قال: نعم! قلت: فمن أيهم أنت؟ قال: أنا مؤمن السريرة مؤمن العلانية. قال أبو مسلم: قلت وقد أنزل اللَّه ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] فمن أي الصنفين أنت؟ قال: أنا مؤمن. قلت: صلى اللَّه على معاذ. قال: وماله؟ قلت: كان يقول اتقوا زلة الحكيم، وهذه منك زلة يا ابن مسعود. فقال: أستغفر الله(٢).

---

(١) الحاكم٢/ ٢٢٣، سنن البيهقي الكبرى٧/ ٣٢٠.

(٢) مسند الشاميين٢/ ٣٣٣، وهو في مسند أبي حنيفة ص٦٨، وكذلك في مسند البزار٧/ ١١٦، وفي مصنف ابن شيبة٧/ ٢١٤ في قصة نحوها.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وعن أبي عوانة قال: شهدت أبا حنيفة وكتب إليه رجل في أشياء فجعل يقول يقطع يقطع حتى سأله عمن سرق من النخل شيئا فقال: يقطع فقلت للرجل: لا تكتبن هذا. هذا من زلة العلم. قال لي: وما ذاك. قال قلت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا قطع في ثمر ولا كثر**» قال: امح ذاك، واكتب لا يقطع لا يقطع[١].

ولذا ذكر القرطبي عدداً من المسائل المنقولة عن أهل العلم والدين، وبين بأنها زلات لا يجوز اتباعها.

ومن ذلك قوله: «**ذكر النسائي في كتابه أن أول من أحل المسكر من الأنبذة إبراهيم النخعي؛ وهذه زلة من عالم، وقد حذرنا من زلة العالم، ولاحجة في قول أحدٍ مع السنة.**

وذكر النسائي أيضاً عن ابن المبارك قال: ما وجدت الرخصة في المسكر عن أحد صحيحا إلا عن إبراهيم»[٢].

وعن إسماعيل بن إسحاق القاضي قال: دخلت على المعتضد فدفع إلي كتابا نظرت فيه، وكان قد جمع له الرخص من زلل العلماء، وما احتج به كل منهم لنفسه فقلت له: يا أمير المؤمنين! مصنف هذا الكتاب زنديق، فقال: لم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء والمسكر، وما من عالمٍ إلا وَلَهُ زلة، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه، فأمر

(١) السنة لعبد الله بن أحمد١/ ٢٢١ .

(٢) القرطبي١٠/ ١٣٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المعتضد فأحرق ذلك الكتاب[١].

فإذا أخذنا بالخلاف في كل شيء فكيف تعد الزلة خلافاً ؟.

ومما يدل - أيضاً - على عدم الأخذ بإطلاق هذه القاعدة، وعلى عدم اعتبار الخلاف حكماً عند من قرر قاعدة البحث من ناحية عملية أنهم ينكرون بعض مسائل الخلاف باليد عند الاقتضاء.

ومما يدل على عدم الأخذ بإطلاق هذه القاعدة، وعلى عدم اعتبار الخلاف حكماً: التطبيق العملي للقرآن الكريم: وهو السيرة النبوية الشريفة، وما يتبع ذلك من فهم للصحابة وعملٍ يوائم الشريعة؛ إذ عليهم نزل القرآن، وكان رسول اللَّه ﷺ فيهم يتلو عليهم آيات اللَّه سبحانه وتعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ولم يوجد أحد منهم يعتبر المذهب الخاص به هو معيار الإنكار بل كان النص عندهم هو معيار الإنكار مادام ظاهر الدلالة، والحجة عليه لائحة، والفهم فيه غير بعيد المأخذ.

ونخلص من ذلك كله إلى أن القائلين بقاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» - رحمهم اللَّه تعالى جميعاً - عندما قرروا بهذه القاعدة الجليلة لم يريدوا بها التطبيق المطلق على كل مسألة مختلَفٍ فيها كما يتبادر من لفظها، بل قد يكون مرادهم منها نفي الإنكار باليد، أو بالقول على سبيل التوبيخ والنعي الشديد، أما الإنكار بمعنى النصح، وبيان الحجج العلمية فهو مشروعٌ عندهم جميعاً، والنفي متوجهٌ لمن ليس له ولاية الحسبة، أما من له ولاية

(١) سنن البيهقي الكبرى(١٠/ ٢١١).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الحسبة فيحملهم على القول الصحيح في المسألة المختلَف فيها[١]، مع أن هذا قابلٌ للتفصيل ويخضع لمرونة في التطبيق بحسب الواقع.

كما قد يكون مرادهم من كلمة «مسائل الخلاف» الواردة في هذه القاعدة - وبعضهم سماها مسائل الاجتهاد - الذي ينتفي فيه الإنكار السابق: الخلاف القوي، أما الخلاف الضعيف فيُنكَر فيه على من ضعف قوله باليد ممن يحق له ذلك أو باللسان على حسب كلٍ، وهذا ظاهرٌ من كلامهم إلا الإمام الغزالي، ففي قوله نوع ترددٍ ظاهر.

ومعنى هذا أنهم قسموا عملياً المسائل الخلافية إلى قسمين: مسائل الخلاف وهي ما كان أحد القولين فيها ضعيفاً، حيث يكون فيها نصٌ أو إجماعٌ أو قياسٌ جليٌ، وليست داخلة ضمن القاعدة، ومسائل الاجتهاد وهي ما كانت الأقوال فيها قوية، وهي المراد بالقاعدة، وهذا التقسيم بهذه الهيئة العملية، صار تقسيماً اصطلاحياً عند المتأخرين تحت الاسمين السابقين.

لقد قيَّد أهل العلم هذه القاعدة، ولم يطلقوها كما يوهم ظاهر اللفظ، وذلك لخطورة القول بهذه القاعدة على إطلاقها.

❊ ❊ ❊

---

(١) في ذلك تفصيل: فإن الحمل على القول الصحيح في المسألة المختلف فيها واجب على من له ولاية الحسبة وغيره إلا أن حق الإلزام إنما يكون لمن له ولاية الحسبة، أما المسألة الاجتهادية فليس للحاكم أن يحمل فيها غيره على قولٍ يظنه راجحاً.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المبحث الثاني

آثار الاستدلال بهذه القاعدة على إطلاقها

الفهم الخاطئ لهذه القاعدة، والاستشهاد بها على إطلاقها دون بيانٍ وتفصيلٍ للمراد من مدلولها في العموم كقاعدة، ومن مدلول كلمة«**الخلاف**» أو كلمة «**الاجتهاد**» في الخصوص يوقع لبساً كبيراً شأن كل احتجاجٍ بالكلام المجمل دون بيان تفصيلي يتبعه كما قيل:

فعليك بالتفصيل، والتمييز، فالـ إطـلاق، والإجـمـال دون بـيـان
قد أفسدا هذا الوجود، وخبطا الـ أذهـان والآراء كـل زمـان[١]

وقد اشتكى كثرةٌ من المحققين من ذلك حتى قال الشاطبي:

«وقد زاد هذا الأمر على قدر الكفاية حتى صار الخلاف في المسائل معدوداً فى حجج الإباحة، ووقع فيما تقدم وتأخر من الزمان الاعتماد فى جواز الفعل على كونه مختلفا فيه بين أهل العلم، لا بمعنى مراعاة الخلاف فإن له نظراً آخر غير ذلك، فربما وقع الإفتاء فى المسألة بالمنع فيقال: لِمَ تَمْنَعُ، والمسألة مختلفٌ فيها؟، فيجعل الخلاف حجةً فى الجواز لمجرد كونها مختلفاً فيها، لا لدليلٍ يدل على صحة مذهب الجواز، ولا لتقليد من هو أولى بالتقليد من القائل بالمنع، وهو عين الخطأ على الشريعة حيث جعل ما ليس بمعتمد معتمداً، وما ليس بحجةٍ حجةً.

(١) نونية ابن القيم بشرح أحمد بن إبراهيم بن عيسى ١/ ٣٢٥ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حكى الخطابي فى مسألة البِتْع المذكور فى الحديث[١] عن بعض الناس أنه قال: «إن الناس لما اختلفوا فى الأشربة وأجمعوا على تحريم خمر العنب، واختلفوا فيما سواه حرمنا ما اجتمعوا وأبحنا ما سواه. قال: وهذا خطأٌ فاحشٌ وقد أمر اللَّه تعالى المتنازعين أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى اللَّه والرسول».

قال: «ولو لزم ما ذهب إليه هذا القائل للزم مثله فى الربا والصرف ونكاح المتعة؛ لأن الأمة قد اختلفت فيها».

قال: «وليس الاختلاف حجة، وبيان السنة حجة على المختلفين من الأولين والآخرين هذا مختصر ما قال والقائل بهذا قد أخذ القول وسيلة إلى اتباع هواه لا وسيلة إلى تقواه وذلك أبعد له من أن يكون ممتثلا لأمر الشارع وأقرب إلى أن يكون ممن اتخذ إلهه هواه»[٢].

وهذا الفهم الخاطئ يؤذن بآثار خطيرة، منها:

١) تقليل الاعتماد على النصوص، وضعف النظر إليها لأنه لا تكاد تخلو مسألةٌ من خلاف، وذلك بخلاف المسائل الاجتهادية فالخلاف فيها سائغٌ، والغلو في الاستدلال بهذه القاعدة يجعلها ترجع على أصلها - وهي النصوص - بالإلغاء والإبطال فتكون نداً للنص، وهذا ما جعل الأمير

---

(١) روى البخاري٤/ ١٥٧٩ عن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ بَعَثَهُ إلى الْيَمَنِ فَسَأَلَهُ عن أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بها فقال وما هِيَ قال الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ فقلت لِأَبِي بُرْدَةَ ما الْبِتْعُ قال نَبِيذُ الْعَسَلِ وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ فقال كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ.

(٢) الموافقات٤/ ١٤١ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الصنعاني ينكر على من يستدل بهذه القاعدة في مقابل النص إنكاراً شديداً - عند ذكره مسألة مختلفاً فيها، والنص النبوي فيها واضح - فيقول: «فإن كان هذا منكراً في عصره - يعني النبي ﷺ -، ونهى عنه فما الذي صيره معروفاً بعد وفاته حتى يقال لا نكر؟ هل بعد وفاته نسخٌ أو وحي يُصير المنكر معروفاً؟ إن هذا لشيءٌ عجاب! أبعد رسول اللَّه ﷺ شيءٌ يُستدرك عليه، ويُثْبِت ما نفاه، ويبطل إنكار ما أنكره؟ ليت شعري ما الذي صير طاعته[١] بعد وفاته ليست بواجبة؟»[٢].

٢) تتبع زلل العلماء وشواذ الأقوال؛ إذ هي منقولةٌ كخلاف، ولا بد من التحقيق الدقيق الذي يبين الفارق بين شاذ قول أهل العلم وخلافهم المعتبر.

٣) تسويق إلى التناول السطحي لاختلاف العلماء، وينتج عن ذلك تسويغ كلٍ من الرأيين الواردين في المسألة الواحدة ولو كان الخلاف فيها ضعيفاً أو شاذاً، وهذا يؤدي إلى العمل بالرخص مطلقاً، وتؤخذ الأقوال بالتشهي ولو كانت مجرد رأي فقيه، لا دليل له من النص الصحيح، مما يؤذن بانحلال عزائم المكلفين في التعبد، ويصير ما يُزعم أنه الشريعة عبادةٌ للهوى، كما قال الشاطبي - رحمه اللَّه تعالى -: «الترخيص إذا أُخِذَ به في موارده على الإطلاق كان ذريعةً إلى انحلال عزائم المكلفين في التعبد على الإطلاق، فإذا أُخِذ بالعزيمة كان حرياً بالثبات في التعبد والأخذ بالحزم فيه،

---

(١) أي النبي ﷺ، والأمير الصنعاني رحمه الله تعالى - يناقش من عد الصلاة التي لا اطمئنان فيها صحيحة، ولا تنكر لأنه مختلفٌ فيها، مع أن النبيﷺ أنكرها على المسيء صلاته؟ .

(٢) رسالة نهاية التحرير للصنعاني ص٤٦٩ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فإذا اعتاد الترخص صارت كل عزيمة في يده كالشاقة الحرجة، وإذا صارت كذلك لم يقم بها حق قيامها وطلب طريق الخروج منها، وهذا ظاهر، وقد وقع هذا المتوقع في أصول كليةٍ وفروع جزئية كمسألة الأخذ بالهوى في اختلاف أقوال العلماء، ومسألة إطلاق القول بالجواز عند اختلافهم بالمنع والجواز»(١).

٤) انهيار قواعد الإسلام أصوله وفروعه؛ إذ إن أهل البدع إنما خالفوا في مسائل تصدق عليها هذه القاعدة، وهم لم ينكروا نصاً بل حرفوا وسموا تحريفهم تأويلًا، ولا مفر من تطبيق هذه القاعدة عليهم عند قبولها على إطلاقها، مع تأثُّر بعض أجلة العلماء ممن لا يُشَكُّ في دينهم ببعض بدعهم.

٥) اجتثاث علم الجرح والتعديل؛ إذ إن كثرة من رجال الحديث قد اختلف العلماء في قبولهم وردهم، والتطبيق العملي لهذه القاعدة ألا يُبحث عن الراجح في ذلك بل من جرَّح أخذ بذلك ومن عدَّل أخذ بذلك، دون إنكارٍ وبحثٍ للراجح.

٦) تضييع شرائع الإسلام من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة، والتواصي، وأطر الظالم على الحق أطراً.

٧) اندراس وسائل التقويم الداخلي داخل صفوف الحركات الإسلامية، وذهاب أعظم معالم الدين كالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الشوكاني: «هذه المقالة - أي لا إنكار في مسائل الخلاف - قد صارت أعظم ذريعة إلى سد باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما

---

(١) الموافقات١/ ٣٩١ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالمثابة التي عرفناك، والمنزلة التي بيناها لك، وقد وجب بإيجاب اللَّه ﷻ وبإيجاب رسوله ﷺ على هذه الأمة الأمر بما هو معروف من معروفات الشرع، والنهي عما هو منكر من منكراته، ومعيار ذلك هو الكتاب والسنة، فعلى كل مسلم أن يأمر بما وجده فيهما أو في أحدهما معروفاً، وينهى عما هو فيهما أو في أحدهما منكراً، وإن قال قائلٌ بما يخالف ذلك من أهل العلم فقوله منكرٌ يجب إنكاره عليه أولًا، ثم على العامل به ثانياً»[(١)].

وحقيقة الأمر أن لآثار هذه القاعدة عند الأخذ بها على إطلاقها[(٢)] أثراً بالغ في انحراف المفاهيم العقدية الأساسية، مع أن الأمر واضحٌ في أن القاعدة بالنظر إلى أصل وضعها لم يقصد بها الواضعون لها تعميم الإطلاق كما هو ظاهر، وهذا ما جعل الشوكاني يقول مبيناً خطورة إطلاق هذه القاعدة: «وأما ما سيأتي للمصنف[(٣)] في السير من أنه لا إنكار في مختلف فيه على من هو مذهبه فتلك مقالة تستلزم طي بساط غالب الشريعة»[(٤)].

* * *

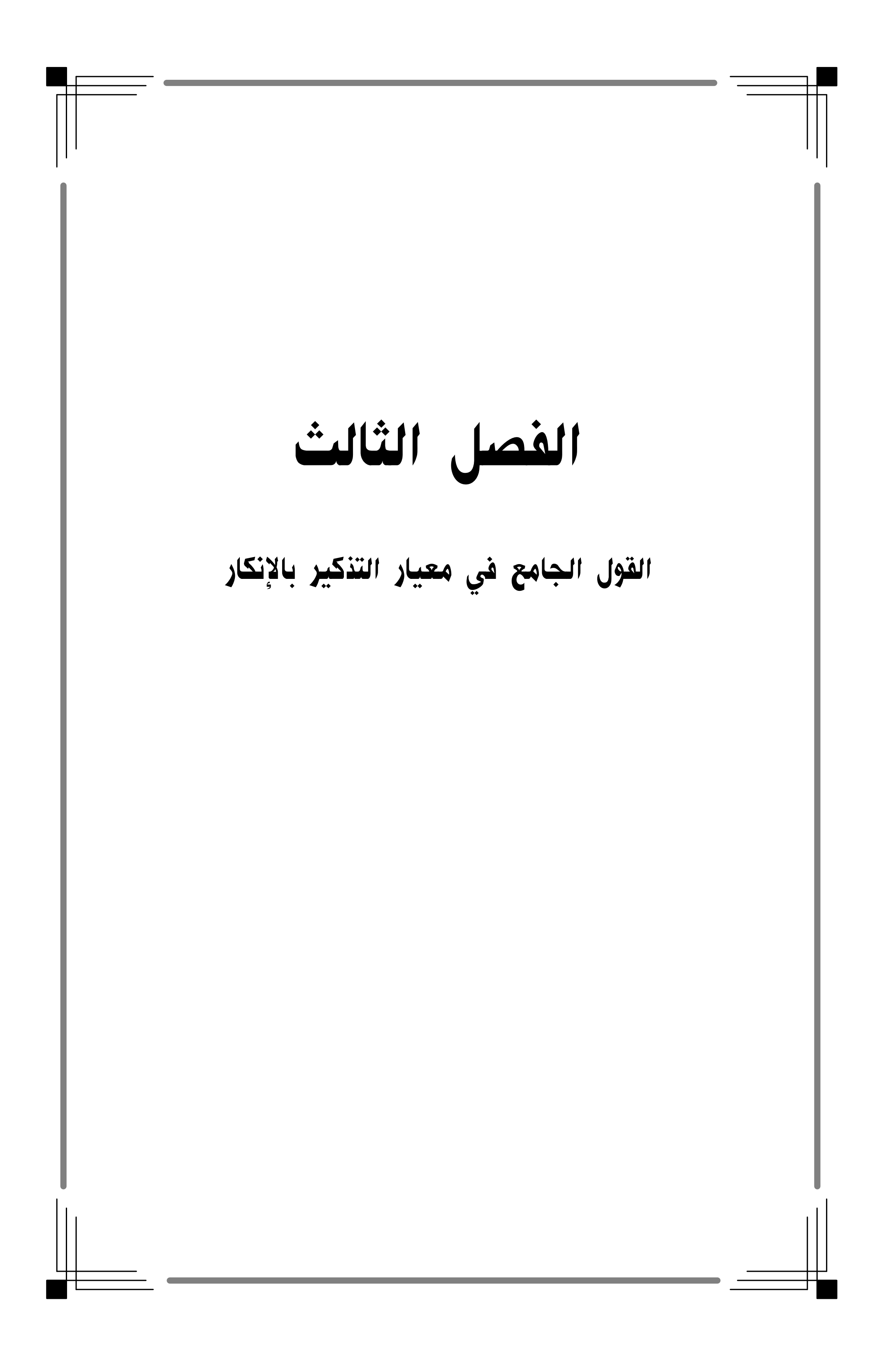
(١) السيل الجرار ٤/ ٥٨٨، وانظر: شرح النووي على مسلم٢/ ٢٤ .

(٢) ومثل ذلك القاعدة الدعوية الشهيرة (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) .

(٣) يعني المهدي أحمد بن المرتضى صاحب كتاب الأزهار في فقه الهادوية؛ فالسيل الجرار حاشيةٌ عليه، ويعني بالسير كتاب السير من الأزهار .

(٤) السيل الجرار٣/ ٢١٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



الفصل الثالث

القول الجامع في معيار التذكير بالإنكار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث الأول

بيان القول الجامع في معيار التذكير بالإنكار

القول الجامع في معيار التذكير بالإنكار هو: أن الإنكار يشرع عند ظهور مخالفة النص بضوابط فهمه التي تُلُقيت منه، وتناقلها أهل العلم في أصولهم وكتبهم، وعلى هذا تجتمع عبارات أهل العلم.

● **أبعاد «القول الجامع»:**

وقد سماه الكاتب «**قولًا جامعاً**» ولم يسمه «**قولًا راجحاً**» لأن حقيقة أقوال السابقين تؤول إليه، وإنما اختلفت عباراتهم مع أنها تدور حول هذا المعنى لرغبة كلٍ منهم الدقة في التعبير عن مراده، ولليقين في أن المذاهب المختلفة إنما تدور حول النص، والاستنباط منه.

فالحقيقة التي تظهر من استقراء أقوال الأئمة أنها تجتمع على حقيقةٍ واحدة لا يخالف فيها أحد من المتقدمين، أو ظنوا أن الأصلح في المخاطبة أن يعبروا بما عبروا به خاصةً والعلم مزدهرٌ، ودولة الإسلام قائمة قياماً دونه كل قيامٍ، ولم يكن قد نبغ من يُحَمِّل عباراتهم ما لا تحتمل كما هو الحال اليوم، ولذا أطلق الباحث على آرائهم مصطلح «قول» لا رأي لأنها في الجملة لا تختلف.

وقد أجمع على ذلك المسلمون بدءاً من الصحابة رضي اللَّه عنهم كما في قول ابن عباس - رضي اللَّه تعالى عنهما -: «أراهم سيهلكون! أقول:

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قال النبي ﷺ، ويقول نهى أبو بكر وعمر»[١]، مروراً بأهل العلم مثل الإمام ابن حزم - رحمه اللَّه تعالى - الذي قال: «ولما وصفناه من أنه إذا لم يكن إجماعٌ فلا بد من الخلاف ضرورةً لأنهما متنافيان إذا ارتفع أحدهما وقع الآخر ولا بد، وإذا كان كذلك فالمرجوع إليه هو ما افترض اللَّه ﷻ علينا الرجوع إليه من القرآن والسنة بقوله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال سبحانه وتعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم: ٣- ٤].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فصح أنه لا يحل التحاكم عند الاختلاف إلا إلى القرآن والسنة»[٢].

ويذهب الإمام النووي إلى القول بأنه: «ليس للمفتى ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً»[٣]، فلم يجعل المذهب هو المعيار للإنكار.

وقرر الإمام النووي أنه «لا يُنْكَرُ مختلَفٌ فيه»، تقييداً لقاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» بالمسائل التي لا نص فيها، ولا إجماع، ولا قياس جلي.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد صرح في كتابه «إقامة الدليل على إبطال

---

(١) أحمد١/ ٣٣٧ .

(٢) النبذة الكافية ص٢٩ .

(٣) شرح النووي على مسلم٢/ ٢٤ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التحليل» بأن معيار الإنكار هو النص، وتبعه تلميذه ابن القيم في إعلام الموقعين، حيث وضع ابن القيم لذلك عنواناً ظاهراً فقال: «خطأ من يقول لا إنكار في مسائل الخلاف»[(١)] قائلًا: «وكيف يقول فقيهٌ: لا إنكار في المسائل المختلَف فيها» والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنةً، وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء»[(٢)].

ثم بيَّن أن الإنكار لا يتوجه على المسائل الاجتهادية: «وأما إذا لم يكن في المسألة سنةٌ ولا إجماعٌ، وللاجتهاد فيها مساغٌ لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً»[(٣)].

وذهب الزركشي إلى أن الخلاف لم يزل «بين السلف في الفروع ولا ينكر أحد على غيره مجتَهَداً فيه[(٤)]، وإنما ينكرون ما خالف نصاً أو إجماعاً قطعياً أو قياساً جلياً»[(٥)].

وشدد على ذلك الإمام الشوكاني بقوله: «فالواجب على من علم بهذه الشريعة ولديه حقيقةٌ من معروفها ومنكرها أن يأمر بما علمه معروفاً، وينهى عما علمه منكراً، فالحق لا يتغير حكمه، ولا يسقط وجوب العمل به، والأمر بفعله، والإنكار على من خالفه بمجرد قولِ قائلٍ، أو اجتهاد مجتهد أو ابتداع مبتدع. فإذا قال تارك الواجب أو فاعل المنكر: قال بهذا فلانٌ، أو

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٨ .

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٨ .

(٣) إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٨ .

(٤) يعني المسائل الاجتهادية لا الخلافية بدليل ما بعده .

(٥) المنثور في القواعد الفقهية ٢/ ١٤٠ .

ذهب إليه فلانٌ أجاب عليه بأن اللَّه لم يأمرنا باتباع فلانك، بل قال لنا في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فإن لم يقنع بهذا حاكمه إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ»[١].

وأكد على ذلك الإمام ولي اللَّه الدهلوي[٢].

أدلة هذا القول إجمالًا:

لقد قام الإجماع القطعي على اعتبار النص معيار الإنكار والتذكير، لا محيد عنه، ولا محيص منه للمسلمين في التعامل مع المسائل الشرعية، ومما يمكن الاستدلال به لزيادة الاطمئنان:

١) أن هذا هو الذي قام عليه الدليل الصحيح الصريح الذي لا معارض له، كما في قوله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٢]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فالرد عند التنازع إلى غير القرآن والسنة حرام[٣]، بل إن الرد عند التنازع إلى غير الشريعة المعصومة، والاحتجاج بهذه القاعدة على النص -عند الشوكاني- يظهر كأنه نوعٌ من التشريع، وإظهار نبوة جديدة بعد نبوة النبي ﷺ كما قال: «وربما يقوم في وجهه من يريد تقويم الباطل فيقول له «لا إنكار

---

(١) السيل الجرار ٤/ ٥٨٨ .

(٢) انظر: حجة الله البالغة ١/ ٤٤٣ .

(٣) انظر: حجة الله البالغة ١/ ٤٤٣ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في مسائل الاجتهاد» فيقال له: ومتى فوض اللَّه سبحانه وتعالى من يدعي الاجتهاد على الشريعة التي أنزلها على رسوله ﷺ وجعله حاكماً فيها بما شاء، وعلى ما شاء فإن هذه نبوةٌ لا اجتهاد، وشريعةٌ حادثةٌ غير الشريعة الأولى، ولم يرسل اللَّه سبحانه إلى هذه الأمة إلا رسولًا واحداً»[(١)].

٢) **أن هذا هو الذي طبقه الصحابة رضي اللَّه عنهم فيما بينهم من مسائل خلافية**، وكان يجري بينهم التذكير والإنكار بالمجادلة والمحاورة ثم يفيء منهم مَن فاء إلى النص.

٣) **وقد امتنع بعض الصحابة ومنعوا من اتباع اختيار الحاكم في المسألة الخلافية**، وأنكروا عليه، فكيف غيره.

٤) **وهذا هو الذي قال به السلف الصالح ونصوا عليه.**

٥) **وهو الذي نص عليه أئمة المذاهب الأربعة، وشددوا على التحاكم إليه.**

٦) **وهذا هو الذي تدل عليه عبارات أصحاب الأقوال السابقة عند التحقيق** فإن حاصل ما ذكروه أن هذه القاعدة الفقهية الجليلة «لا إنكار في مسائل الخلاف» ليست على إطلاقها، بل هي مقيدةٌ بما لم يُخالَف فيها نصٌ أو إجماعٌ أو قياسٌ جليٌ، أما إذا كان القول الآخر ضعيفاً، أو بعيد المأخذ، أو ليس له حظٌ من النظر فالإنكار فيه مشروع.

٧) **أن هذا هو السبيل الوحيد لوحدة المسلمين**: فإنه لا يمكن جمع المسلمين إلا بردهم إلى النص الصحيح الصريح بشروط الاجتهاد المعلومة

---

(١) السيل الجرار٣/ ٢١٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

في الاستنباط منه، أما إذا قُبل أن يكون المتحاكَم إليه هو المذاهب، ويكون الخلاف مرجعاً كما حدث في القرون المتأخرة؛ فإن الشريعة الواحدة تصير بالمذاهب كشرائع متعددة متنافرة(١).

ولكن هل هذا ينسجم مع قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]؟ هل ينسجم هذا الكلام الضعيف مع قوله ﷻ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣]؟.

نعم! قد تكون التوسعة ظاهرةً في اختلاف التنوع بالسر والجهر في البسملة، وبتنوع عدد تكبيرات العيد والجنازة، وبالسر والجهر في صلوات الليل مما ورد بكلٍ منها ما صح من الأخبار، وقد تكون التوسعة ظاهرة في اختلاف التضاد نظراً لاختلاف الاجتهاد فيما يصح فيه مع بقاء عواصم الأخوة والجماعة والألفة وتحري الصواب، ولكن كيف تكون التوسعة في أن يكون الاختلاف دليلًا ليختار كل ما يشتهيه ويطلبه، على أنه لا ينبغي أن ينساق

---

(١) أما ما قاله المناوي في فيض القدير١/ ٢٠٩ «الشريعة الواحدة كشرائع متعددة بُعِث النبي ﷺ بكلها لئلا تضيق بهم الأمور من إضافة الحق الذي فرضه الله ﷻ على المجتهدين دون غيرهم، ولم يكلَفوا ما لا طاقة لهم به توسعةً في شريعتهم السمحة السهلة، فاختلاف المذاهب نعمةٌ كبيرة، وفضيلة جسيمة خصت بها هذه الأمة، فالمذاهب التي استنبطها أصحابه فمن بعدهم من أقواله وأفعاله على تنوعها كشرائع متعددة له» فهو في هذا ناقل عن الإمام السيوطي في كتابه (جزيل المواهب في اختلاف المذاهب)... وهو يعني هنا شرائع متعددة متآلفة، كما في تعدد القراءات، وتنوع الكفارات وحق المسلم في اختيار أيها شاء، ومثل التوسعة في المسائل الاجتهادية بحسب ما سبق .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرء وراء عواطف يتوهمها، ويستدل عليها من حديث محل نظر[١].

وأن يكون ذلك هو السبيل الوحيد لوحدة المسلمين؛ فذلك لأن الفقهاء الذين يختلفون في المسألة الواحدة يمكن أن يرد بعضهم على بعض وفق الأدلة العلمية التي يميل إليها كل منهم مع شرح بعضهم لبعضٍ صدره، واطمئنانه إلى صدور اجتهاده عن غيرة للدين، والبحث عن هدى اللَّه المستقيم، كما كان شأنهم مذ نبغت المذاهب المتبوعة حيث تجري النقاشات بين الليث بن سعد ومالك، والشافعي وأصحاب أبي حنيفة، والشافعي وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل، وذلك ما نشاهده من حال الدول المتقدمة في هذه الأيام.

٨) **والرجوع عند التنازع إلى الكتاب والسنة الصحيحة، واعتبارهما معياراً للإنكار، والتذكير، والنصح هو الذي يوازن** بين قاعدة «لا إنكار في مسائل الاجتهاد» وبين القواعد الفقهية الأخرى مثل: «سد الذرائع»، و«الأخذ بمذهب الاحتياط»، و«استحباب الخروج من الخلاف»، و«اتقاء الشبهات»، «الزجر عن تتبع رخص الفقهاء»، وقاعدة «الحذر من زلل العلماء».

فالمسائل الخلافية ليست كالمسائل الاجتهادية التي تُظْهَرُ فيها الحجج العلمية دون إنكارٍ لقوة الخلاف فيها، لكن زلة العالم في المسألة الخلافية توجب الرجوع إلى النص.

٩) **وهذا هو الذي ينسجم مع القواعد الشرعية القطعية مثل:** «وجوب

---

(١) هما حديثان (اختلاف أمتي رحمة) (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، ولأهل العلم كلام في هذين الحديثين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التذكير»، و«النصيحة»، «ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر»، «والرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة».

١٠) **أن ذلك هو الذي يحقق المقاصد الإسلامية:** من جعل الشريعة هي الحاكمة، والفاصلة بين المختلفين، وهو الذي يحقق نبذ الهوى، ومخالفته، وإخضاع النفس للشريعة، كما قرر محققو العلماء أنه «ليس للمقلد أن يتخير في الخلاف، كما إذا اختلف المجتهدون على قولين فوردت كذلك على المقلد، فقد يعد بعض الناس القولين بالنسبة إليه مخيراً فيهما كما يخير في خصال الكفارة فيتبع هواه وما يوافق غرضه دون ما يخالفه، وربما استظهر على ذلك بكلام بعض المفتين المتأخرين، وقواه بما روى من قوله عليه الصلاة والسلام: «أصحابي كالنجوم».

وإن صح فهو معمولٌ به فيما إذا ذهب المقلد عفواً فاستفتى صحابياً أو غيره فقلده فيما أفتاه به فيما له أو عليه، وأما إذا تعارض عنده قولا مفتيين.

فالحق أن يُقال ليس بداخلٍ تحت ظاهر الحديث لأن كل واحدٍ منهما متبعٌ لدليلٍ عنده يقتضي ضد ما يقتضيه دليل صاحبه فهما صاحبا دليلين متضادين فاتباع أحدهما بالهوى اتباعٌ للهوى، فليس إلا الترجيح بالأعلمية وغيرها، وأيضاً فالمجتهدان بالنسبة إلى العامي كالدليلين بالنسبة إلى المجتهد فكما يجب على المجتهد الترجيح أو التوقف كذلك المقلد، ولو جاز تحكيم التشهي والأغراض في مثل هذا لجاز للحاكم»[1].

(١) الموافقات٤/ ١٣٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن هذا هو الكفيل بإرساء قواعد الشريعة التي تبين كون الشيء حلالًا أو حراماً، فإن المعايير السابقة[١] جعلت بيان كون الشيء حلالًا أو حراماً، منكراً أو معصيةً أو معروفاً عائدٌ إلى ما قرره أصحاب المذاهب وقد يوجد في المذهب الواحد أكثر من قول، وليست الشريعة هي ما يقرره فلانٌ من الأئمة بحسب فهمه للشريعة، بل ما ثبت من النص، واتضح فيه فهم الرسول ﷺ بأنه كذلك، وقد شدد العلماء في هذا الباب على اعتبار النص الصحيح هو المقياس لاعتبار المنكر منكراً.

قال الشوكاني - وهو يتكلم عن فقه الاحتساب -: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما العمادان العظيمان من أعمدة هذا الدين، والركنان الكبيران من أركانه، وهو مجمعٌ على وجوبهما إجماعاً من سابق هذه الأمة ولاحقها، لا يعلم في ذلك خلافٌ - ثم قال -: وظهور كون هذا الشيء منكراً يحصل بكونه مخالفاً لكتاب اللّه سبحانه وتعالى، أو لسنة رسوله ﷺ، أو لإجماع المسلمين»[٢].

كما أن التعبد إنما يكون بترك ما نهى عنه الشرع أو فعل ما طلبه، ولا يكون التعبد بالخلاف بأي حال، وإنما ذلك من عمل الذين يريدون الدين

(١) ربما يقول البعض هنا: قد جعل البحث مذاهب العلماء المتبوعين في مقابل النص، كأنهم لا يصدرون عن النص! وفي هذا امتهانٌ لهم ومعاذ الله أن يظن الباحث هذا بالأئمة، وإنما المراد الإتيان بضابط لا يختلف عليه اثنان وتثبت له العصمة، وتكمل الأمة ممثلة بفقهائها بعضها بعضاً فيه .

(٢) السيل الجرار ٤/ ٥٨٦ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بالتشهي وهو المسمى بالهوى شرعاً، كما قال ابن عبد البر: «الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الأمة إلا من لا بصر له، ولا معرفة عنده، ولا حجة في قوله»[١].

❊ ❊ ❊

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٠٩ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث الثاني

الإنكار في المسائل الخلافية في عهد النبي ﷺ مع وحدة الصف، ورقي الأسلوب

النص معيار الإنكار هو الذي طبقه الصحابة رضي اللَّه عنهم في عهد النبي ﷺ وبعده للنظر فيما بينهم من مسائل خلافية، وكان يجري بينهم التذكير والإنكار بالمجادلة والمحاورة مع الخلق الرفيع والأدب العالي وحمل بعضهم لبعض على أحسن المحامل حتى وإن غلظت العبارة أحياناً ثم يفيء منهم من فاء إلى النص، وهذا كثيرٌ وافرٌ، ومن أمثلته:

١) عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت: واللَّه لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجلٌ من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ، فذكرناه فرفع النبي ﷺ يديه فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين**»[(١)].

ونلحظ هنا أن ابن عمر ومن معه أبوا طاعة الأمير فيما ظهر لهم أنه يخالف الشرع، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك، وعَرَّضَ بخالدٍ أن يفعل ما لا ينبغي، ويأمرهم به، مع أن خالداً هنا كان الأمير، واجتهد فيم أمرهم به.

(١) البخاري ٤/ ١٥٧٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢) عن علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺسريةً فاستعمل عليها رجلًا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟. قالوا: بلى! قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف**»[(١)].

ويظهر هنا جلياً أنه لم يكن عندهم نصٌ بالامتناع عن طاعة الأمير، بل النص الصريح بطاعته، إنما قاسوا الأمر، ورجعوا إلى المقاصد العليا للإسلام، فأقرهم النبي ﷺ وبين لهم خطورة الطاعة، ولم يشفع لهم حسن نيتهم.

٣) عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: واللَّه ما أخذت سيوف اللَّه من عنق عدو اللَّه مأخذها قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا! يغفر اللَّه لك يا أخي[(٢)].

انظر إلى الخلاف بين أبي بكر وبين أولئك النفر المؤمنين رضي اللَّه عنهم في كيفية توجيه الخطاب لأبي سفيان لم يُثِرْ ضغينةً بينهم، بل ارتفعت

(١) البخاري ٤/ ١٥٧٨ .

(٢) مسلم٤/ ١٩٤٧ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

نفسياتهم عن التأثر بالخلاف في معالجة القضية التي أمامهم على الرغم من اختلاف الأسلوب في محل النزاع، على أن المرجع في تصحيح الوجهة هو النبي ﷺ الذي أبان للشاكي ضرورة أخذ الصفح ممن اشتكى منه.

٤) عن أنس بن مالك قال: كان عبداللَّه بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ قال: تعال نؤمن بربنا ساعة. فقال ذات يوم لرجلٍ، فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ألا ترى إلى ابن رواحة يَرْغَبُ عن إيمانك إلى إيمان ساعة. فقال النبي ﷺ: «**يرحم اللَّه ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة**»[1]، وواضح أن النبي أقر الرجل على إنكاره على ابن رواحة لكنه بين له خطأ فحوى الإقرار.

❊ ❊ ❊

(١) أحمد١/ ٢٣٠، وفي مجمع الزوائد١٠/ ٧٦: «وإسناده حسن»، وضعفه محقق المسند، ومثل كلمة ابن رواحة جاء عن معاذ في البخاري١/ ٧ تعليقاً.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المبحث الثالث

الإنكار في مسائل الخلاف بعد عهد النبي ﷺ

لقد امتد الإنكار في مسائل الخلاف بين الصحابة رضوان اللَّه تعالى عليهم إلى ما بعد عهد النبي ﷺ، ولكن مع وحدة الصف، ورقي الأسلوب، ومن أمثلة ذلك:

١) **إنكار الصديق** رضي الله عنه على من اقترحوا حبس جيش أسامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن رسول اللَّه ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبع مائة إلى الشام فلما نزل بذي خشب قبض النبي ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة واجتمع إليه أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقالوا: يا أبا بكر! رُدَّ هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول اللَّه ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول اللَّه ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول اللَّه ﷺ . فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوا الروم فهزموهم، وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام[(١)].

ونلحظ أن المصلحة التي كانت في حبس الجيش هنا أظهر ما تكون بحسب المقياس البشري، ولكن أبا بكر ما كان ليؤخره، وقد كانت وصية النبي ﷺ بإنفاذه قبل أن يموت، فهذه مصلحة في مقابل نص، فينبغي أن تُلْغى.

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص٣٤٥، وقد روي من وجوه أخرى.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢) الرجوع إلى النص في تنازعٍ بين النعمان بن مقرن المزني والمغيرة بن شعبة في إدارة معركة حربية: وذلك بعد أن تأكد النعمان أن الظروف الحربية موائمة للعمل بالنص، وأنكر النعمان على المغيرة نظره إلى مصلحة أخرى في مقابل النص فقد قال المغيرة بن شعبة حين رأى كثرة العدو في نهاوند، وهم يأتون ساحة المعركة أرتالًا بعضهم إثر بعض، والمسلمون ينتظرونهم فلا يناجزونهم: لم أر كاليوم فشلًا! إن عدونا يتركون أن يتتاموا فلا يُعْجَلوا، أما واللَّه لو أن الأمر إلي لقد أعجلتهم به، وكان النعمان رجلا بكاء فقال: قد كان اللَّه جل وعلا يشهدك أمثالها فلا يخزيك ولا يعري موقفك، وإنه واللَّه ما منعني أن أناجزهم إلا بشيء شهدته من رسول اللَّه ﷺ . أن رسول اللَّه ﷺ كان إذ غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلوات، وتهب الأرواح، ويطيب القتال. . .» الحديث، ثم انتصر المسلمون في المعركة، وشهد الانتصار على نفاذ بصيرة النعمان[١].

٣) إنكار عددٍ من السلف على عمر بن الخطاب ﵁ بعض اجتهاداته: أنكر شيبة بن عثمان العبدري على الفاروق - رضي اللَّه عنهما - عزمه على توزيع مال الكعبة كما رواه البخاري عن أبي وائلٍ: قال: جلست إلى شيبة في هذا المسجد، قال: جلس إلي عمر في مجلسك هذا فقال: هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين. قلت: ما أنت بفاعل!. قال: لِمَ؟ قلت: لم يفعله صاحباك. قال: هما المرءان يقتدى بهما[٢].

---

(١) ابن حبان ١١/ ٦٤ .

(٢) البخاري ٦ / ٢٦٥٥ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والإنكار هنا لاختيار الحاكم في مسألة اجتهادية لا نص فيها بخصوصها إلا وجوب الاقتداء، وتم الإنكار قبل الفعل.

وقوله: لم يفعله صاحباك؟ فيه فائدة في تكوين البصائر الإيمانية للسياسة الواقعية فإن منا من يزعم أن السابقة التاريخية من عمل المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين لا تعد دليلًا على شيء، وهذا زخرفٌ من القول ظاهر؛ فإن الأصل في السابقة التاريخية هو قول النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[1]، وقوله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر**»[2] ونحو ذلك.

وكذلك أنكر سعد بن أبي وقاص وابن عمر على عمر بن الخطاب **رضي اللَّه عنهم** نهيه عن التمتع بالحج: فعن محمد بن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال الضحاك بن قيس: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله. فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي. فقال الضحاك بن قيس: فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك. فقال سعد: قد صنعها رسول اللَّه ﷺ وصنعناها معه.

وعن ابن شهاب أن سالم بن عبد اللَّه حدثه أنه سمع رجلًا من أهل الشام وهو يسأل عبد اللَّه بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد اللَّه بن عمر: هي حلال .فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها. فقال عبد اللَّه بن

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٢٠٠ .

(٢) الترمذي ٥/ ٦١٠ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول اللَّه ﷺ أأمر أبي نتبع أم أمر رسول اللَّه ﷺ . فقال الرجل: بل أمر رسول اللَّه ﷺ .فقال: لقد صنعها رسول اللَّه ﷺ(١).

وهنا نلحظ أن الإنكار كان لاختيار الحاكم، وفي هذين الحديثين تحريضٌ ظاهرٌ على نقض اختيار الحاكم حال ظهور مجانبته للراجح شرعاً، مع أن عمر إنما اجتهد بالنظر إلى مقاصد أخرى في الشريعة، ولم يقل أحد في هذه الحالة لا إنكار عليه لأنها مسألة فرعية خلافية.

كما أنكر سالم بن عبد اللَّه بن عمر على جده نهيه عن التطيب بعد رمي الجمرة قبل طواف الإفاضة، فقد قال سالم: قالت عائشة: «**كنت أطيب النبي** ﷺ بعدما يرمي الجمرة قبل أن يفيض إلى البيت» قال سالم: «فسنة رسول اللَّه ﷺ أحق أن نأخذ بها من قول عمر»(٢).

٤) إنكار ابن مسعود وغيره على عثمان بن عفان إتمام الصلاة بمنى: فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات. فقيل ذلك لعبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه فاسترجع ثم قال: صليت مع رسول اللَّه ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين، وصليت مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بمنى ركعتين، ثم تفرقت بكم الطرق فيا ليت حظي من أربع ركعاتٍ ركعتان متقبلتان(٣)، وفي رواية: أن عبد اللَّه صلى أربعاً، فقيل له:

---

(١) الترمذي ٣/ ١٨٥ .

(٢) مسند أحمد ٦/ ١٠٦ .

(٣) البخاري١/ ٣٦٨ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عبت على عثمان ثم صليت أربعاً قال: الخلاف شر[١].

٥) **إنكار ابن عباس ﷺ على علي ﷺ حرقه للمرتدين لوجود النص، وتصديق علي له:** فعن عكرمة أن عليا ﷺ حرق قوماً فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ : «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٢] فبلغ ذلك علياً فقال: صدق ابن عباس[٣].

٦) **إنكار علي بأسلوب بليغ على ابن مسعود - رضي اللَّه تعالى عنهما - فتياه في قضية فرضية:** فعنه ﷺ أنه أُتِيَ في فريضة ابني عم أحدهما أخ لأم فقالوا: أعطاه ابن مسعود المال كله فقال: يرحم اللَّه ابن مسعود إن كان لفقيها! لكني أعطيه سهم الأخ للأم ثم أقسم المال بينهما[٤].

٧) **إنكار عائشة - رضي اللَّه تعالى عنها - على عددٍ من الصحابة رضي اللَّه عنهم بأسلوبها الراقي المتميز، وبيانها الصواب فيما أخطأوا فيه:**

أ) إنكارها على عمر ﷺ: فقد أنكرت عليه في حديث تعذيب الميت ببكاء أهله: فعن ابن عباس قال: صدرت مع عمر من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل شجرة فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب. فنظرت فإذا هو صهيب قال: فأخبرته فقال: ادعه لي. قال: فرجعت إلى صهيب فقلت: ارتحل فالحق أمير المؤمنين. فلما أن أصيب عمر دخل

---

(١) أبو داود٢/ ١٩٩ .

(٢) البخاري٣/ ١٠٨٩ .

(٣) الزيادة عند الترمذي٤/ ٥٩ .

(٤) الدارقطني٤/ ٨٧ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صهيب يبكي يقول: وا أخاه وا صاحباه فقال عمر: يا صهيب أتبكي علي؟ وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه**». فقال ابن عباس: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت: يرحم اللَّه عمر! لا واللَّه ما حدث رسول اللَّه ﷺ: إن اللَّه يعذب المؤمن ببكاء أحد ولكن قال: «**إن اللَّه يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه**» قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم:٣٨] قال: وقال ابن عباس عند ذلك: واللَّه أضحك وأبكى[١].

ب) إنكارها بأسلوبها الراقي على ابن عمر - رضي اللَّه تعالى عنهما - مثل ذلك فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء أهله عليه فقالت: رحم اللَّه أبا عبد الرحمن! سمع شيئا فلم يحفظه إنما مرت على رسول اللَّه ﷺ جنازة يهودي وهم يبكون عليه فقال: «**أنتم تبكون وإنه ليعذب**»[٢]، وفي لفظ: فقالت عائشة: غفر اللَّه لأبي عبد الرحمن! أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ إنما مر رسول اللَّه ﷺ على يهوديةٍ يُبكىٰ عليها فقال: «**إنهم ليبكون عليها وأنها لتعذب في قبرها**»[٣].

وعن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه أنه سأل ابن عمر عن الطيب عند الإحرام فقال: لأن أتطيب بقطران أحب إلي من أن أفعل. قال فذكرته

---

(١) مسلم ٢/ ٦٤٢ .
(٢) مسلم ٢/ ٩١٧ .
(٣) الترمذي ٣/ ٣٢٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لعائشة فقالت: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن قد كنت أطيب رسول اللَّه ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضخ طيبا[١].

وعن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما جالس إلى حجرة عائشة وإذا ناس يصلون في المسجد صلاة الضحى قال فسألناه عن صلاتهم فقال: بدعة ثم قال له: كم اعتمر رسول اللَّه ﷺ قال: أربعا إحداهن في رجب، فكرهنا أن نرد عليه. قال وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين في الحجرة فقال عروة: يا أماه، يا أم المؤمنين ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: ما يقول؟ قال: يقول إن رسول اللَّه ﷺ اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب قالت: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن ما اعتمر رسول اللَّه ﷺ عمرة إلا وهو شاهد، وما اعتمر في رجب قط[٢].

ج) **إنكارها على ابن مسعود** رضي الله عنه: فعن أبي عطية الوادعي قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا: إن ابن مسعود قال: من أحب لقاء اللَّه أحب اللَّه لقاءه ومن كره لقاء اللَّه كره اللَّه لقاءه، والموت قبل لقاء اللَّه فقالت: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن حدثكم بحديث لم تسألوه عن آخره، وسأحدثكم عن ذلك: إن اللَّه إذا أراد بعبده خيراً قيض له ملكاً قبل موته بعامٍ فسدده ويسره حتى يموت، وهو خير ما كان، فإذا حضر فرأى ثوابه من الجنة فجعل يتهوع نفسه ودَّ أنها خرجت، فعند ذلك أحب لقاء اللَّه فأحب اللَّه لقاءه، وإذا أراد

(١) البخاري١/ ١٠٤، مسلم٢/ ٨٤٩ .

(٢) البخاري٢/ ٦٣٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بعبد سوءاً قيض له شيطاناً قبل موته بعام، فصده وأضله وفتنه حتى يموت شر ما كان، ويقول الناس: مات فلان، وهو شر ما كان، فإذا حضر فرأى ثوابه من النار جعل يتبلع نفسه ودَّ أنه لا يخرج، فعند ذلك كره لقاء اللَّه وكره اللَّه لقاءه[١].

د) **إنكارها على أبي هريرة** ﷺ: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعراً**» فقيل لعائشة رضي اللَّه عنها: إن أبا هريرة يقول: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً**». فقالت عائشة - رضي اللَّه عنها -: يرحم اللَّه أبا هريرة حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره، إن المشركين كانوا يهاجون رسول اللَّه ﷺ فقال: «**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعراً**» من مهاجاة رسول اللَّه ﷺ[٢].

وكان أبو هريرة ﷺ يفتى أن من أدركه الفجر وهو جنب فقد أفطر فبلغ ذلك عائشة - رضى اللَّه عنها - فقالت: يرحم اللَّه أبا هريرة لم يحفظ كان رسول اللَّه ﷺ يخرج الى الفجر ورأسه يقطر من ماء الجنابة ثم يصوم فبلغ ذلك أبا هريرة ﷺ فقال: هي أعلم منى فرجع عن قوله[٣]، ولفظ مسلم: عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر قال: سمعت أبا هريرة ﷺ يقص يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنبا فلا يصم. فذكرت ذلك

(١) مصنف عبد الرزاق٣/ ٥٨٧ .

(٢)شرح معاني الآثار٤/ ٢٩٦ .

(٣) الآثار لأبي يوسف القاضي ص١٨١ .

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

لعبد الرحمن بن الحارث - لأبيه - فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي اللَّه عنهما، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك قال: فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنبا حلم ثم يصوم. قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان، فذكر ذلك له عبد الرحمن فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول. قال: فجئنا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كله، فذكر له عبد الرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال نعم قال: هما أعلم. ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمعه من النبي ﷺ، قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك. قلت لعبد الملك: أقالتا في رمضان؟ قال: كذلك كان يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم[1].

٨) **أمهات المؤمنين ينكرن على عائشة - رضي اللَّه عنهن - اختيارها في رضاع الكبير، ويأبين الأخذ به مع بقاء المودة والأخوة:** فقد قالت لها أم سلمة: إنه يدخل عليك الغلام الأيفع الذي ما أحب أن يدخل علي. قال فقالت عائشة: أما لك في رسول اللَّه ﷺ إسوة قالت: إن امرأة أبي حذيفة قالت: يا رسول اللَّه إن سالما يدخل علي وهو رجل، وفي نفس أبي حذيفة منه شيء. فقال رسول اللَّه ﷺ : «**أرضعيه حتى يدخل عليك**»، ثم قالت أم سلمة: أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليهن أحدا بتلك الرضاعة وقلن لعائشة: واللَّه ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول اللَّه ﷺ لسالم خاصة،

(١) مسلم٢/ ٧٧٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا[١].

٩) **ابن عباس ينكر على عدد من الصحابة رضي اللَّه عنهم** : فقد أنكر ابن عباس على معاوية استلامه غير الركنين اليمانيين حيث أخرج البخاري عن أبي الشَّعْثَاءِ أَنَّهُ قال: وَمَنْ يَتَّقِي شيئا من الْبَيْتِ وكان مُعَاوِيَةُ يَسْتَلِمُ الأَرْكَانَ فقال له ابن عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما: أنه لَا يُسْتَلَمُ هَذَانِ الرُّكْنَانِ فقال ليس شَيْءٌ من الْبَيْتِ مَهْجُورًا[٢].

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: ما قالها ابن مسعود، وإن يكن قالها فزلة من عالم - في الرجل يقول: إذا تزوجت فلانة فهي طالق - قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] ولم يقل إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن.

ورواه البيهقي من طريقه من وجه آخر عن سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن الرجل يقول إذا تزوجت فلانة فهي طالق قال: ليس بشيء إنما الطلاق لما ملك. قالوا: فابن مسعود قال: إذا وقت وقتا فهو كما قال. قال: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن لو كان كما قال لقال اللَّه إذا طلقتم المؤمنات ثم نكحتموهن[٣].

كما أنكر ابن عباس على المسور بن مخرمة فتياه بمنع المحرم من غسل

(١) مسلم٢/ ١٠٧٦ .

(٢) البخاري٢/ ٥٨٢، الترمذي٣/ ٢١٣ .

(٣) الحاكم٢/ ٢٢٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ومال صاحب إرواء الغليل٧/ ١٦١ إلى أنه حسن، ورواه البيهقي في الكبرى (٧/ ٣٢٠).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

رأسه: فعن إبراهيم بن عبد اللَّه بن حنين عن أبيه أن عبد اللَّه بن العباس والمسور بن مخرمة اختلفا بالأبواء، فقال عبد اللَّه بن عباس: يغسل المحرم رأسه، وقال المسور: لا يغسل المحرم رأسه، فأرسلني عبد اللَّه بن العباس إلى أبي أيوب الأنصاري فوجدته يغتسل، وهو يستتر بثوب، فسلمت عليه فقال: من هذا؟ فقلت: أنا عبد اللَّه بن حنين أرسلني إليك عبد اللَّه بن العباس أسألك كيف كان رسول اللَّه ﷺ يغسل رأسه وهو محرم، فوضع أبو أيوب يده على الثوب فطأطأه حتى بدا لي رأسه ثم قال لإنسان يصب عليه: صبَّ، فصب على رأسه، ثم حرك رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر وقال: هكذا رأيته ﷺ يفعل[١].

١٠) **إنكار ابن عمر - رضي اللَّه عنهما- ينكر على غيره**: فقد أنكر على ابن عباس منعه الحاج من طواف القدوم قبل الوقوف بعرفات كما رواه مسلم عن وَبَرَةَ قال: كنت جَالِسًا عِنْدَ ابن عُمَرَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فقال: أَيَصْلُحُ لي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ قبل أَنْ آتِيَ الْمَوْقِفَ. فقال: نعم! فقال: فإن ابن عَبَّاسٍ يقول لا تَطُفْ بِالْبَيْتِ حتى تَأْتِيَ الْمَوْقِفَ. فقال: ابن عُمَرَ فَقَدْ حَجَّ رسول اللَّهِ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ قبل أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْقِفَ فَبِقَوْلِ رسول اللَّهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ تَأْخُذَ أو بِقَوْلِ ابن عَبَّاسٍ إن كُنْتَ صَادِقًا[٢].

وذُكِرَ لابن عمر أن أنساً يحدث أن رسول اللَّه ﷺ أهل بعمرة وحج فقال ابن عمر: يرحم اللَّه أنساً. وهل أنس. إنما أهل رسول اللَّه ﷺ بالحج

(١) البخاري٢/ ٦٥٣ .

(٢) مسلم ٢/ ٩٠٥ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وأهللنا معه فلما قدم قال: «**من لم يكن معه هدي فليجعلها عمرة**» وكان مع النبي ﷺ هدي فلم يحل[١].

وأنكر ابن عمر على أبي أيوب وأبي هريرة ومعقل الأسدي قولهم بعموم النهي عن استقبال القبلة واستدبارها عند قضاء الحاجة[٢]، إذ قال ؓ: إن ناساً يقولون إذا قعدت على حاجتك فلا تستقبل القبلة ولا بيت المقدس. فقال عبد اللَّه بن عمر: لقد ارتقيت يوماً على ظهر بيت لنا فرأيت رسول اللَّه ﷺ على لبنتين مستقبلًا بيت المقدس لحاجته[٣].

قال الشافعي: «أنكر على من يقول لا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ورأى أنه لا ينبغي لأحدٍ أن ينتهي عن أمر فعله رسول الله»[٤].

١١) **أمثلة غير ذلك من واقع الصحابة والتابعين:**

أ) إنكار أم سلمة على سمرة بن جندب فتواه بقضاء صلاة الحائض[٥].

ب) إنكار أبي بن كعب على عبد اللَّه بن مسعود قوله في ليلة القدر فعن زر بن حبيش قال أتيت أبي بن كعب فقلت: يا أبا المنذر! ما تقول في ليلة القدر فإن عبد اللَّه يقول: من يقم الحول يصبها فقال: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن إنه ليعلم أنها في رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ولكنه عمي على ناسٍ كثير لكي لا يتكلوا فوالذي أنزل الكتاب على محمد ﷺ إنه لفي رمضان

(١) أحمد٢/ ٧٩ .
(٢) فتح الباري ١/ ٢٤٧ .
(٣) البخاري١/ ٦٧ .
(٤) الرسالة ١/ ٢٩٥ .
(٥) فتح الباري١/ ٤٢١ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وإنها ليلة سبع وعشرين. قال قلت: أبا المنذر بم علمت ذلك؟ قال: بالآية التي حدثنا بها رسول اللَّه ﷺ فحفظنا وعددنا إنها لهي هي ما يستثنى قال: قلت لزر: وما الآية قال: تطلع الشمس غداتئذ كأنها طست ليس لها شعاع[١].

ج) إنكار مجاهد على طاوس فتواه فيمن ترك رمي حصاة: عن ابن أبي نجيح قال: سئل طاوس عن رجل ترك من رمي الجمار حصاة فقال: يطعم لقمة وربما قال: تمرة. فقال مجاهد: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن ألم يسمع ما قال سعد بن أبي وقاص، إن سعداً قال: رجعنا من الحجة مع رسول اللَّه ﷺ وبعضنا يقول: رميت بسبع حصيات وبعضنا يقول: رميت بست فلم يعب بعضنا على بعض وربما قال: فلم يعب هذا على هذا، ولا هذا على هذا[٢].

* * *

(١) الطبراني في الكبير ٩/ ٣١٥ .

(٢) المختارة ٣/ ٢٤٤ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المبحث الرابع

الإنكار بأسلوب تذكيري أقوى عندما يبعد مأخذ المخالف

يأخذ الإنكار نوعاً من الحدة المطلوبة لبعد مأخذ أحد الطرفين عند الاختلاف، ويضعف الخلاف دون أن يؤثر ذلك على حقوق الأخوة الواجبة، ويظهر هذا في أمثلة عديدة منها:

١) إنكار الصحابة رضي اللَّه عنهم على بعضهم بأسلوب أعلى من حيث حدة الإنكار دون الخروج عن حقوق الأخوة العامة والطاعة:

- فقد أنكرت عائشة رضي اللَّه عنها على زيد بن أرقم ﷺ بيعه وشراءه بما يشبه صورة الربا فعن العالية قالت: كنت قاعدة عند عائشة - رضي اللَّه تعالى عنها - فأتتها أم محبة فقالت لها: يا أم المؤمنين أكنت تعرفين زيد بن أرقم؟ قالت: نعم! قالت: فإني بعته جاريةً إلى عطائه بثمانمائة نسيئة وإنه أراد بيعها فاشتريتها منه بستمائة نقداً. فقالت لها: بئس ما اشتريت وبئس ما اشترى أبلغي زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول اللَّه ﷺ إن لم يتب[١].

- وكان ابن عمر رضي اللَّه عنهما يوتر من أول الليل فإذا قام سحراً جمع إلى وتره ركعة فبلغ ذلك عائشة رضي اللَّه عنها فقالت: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن إنه ليلعب بوتره. ما عليه لو أوتر أول الليل فإذا قام سحراً صلى ركعتين ركعتين فإنه يصبح على وتر[٢].

---

(١) الدارقطني٣/ ٥٢، سنن البيهقي الكبرى٥/ ٣٣٠ .

(٢) الآثار ص٦٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

- وأنكر ابن عمر على ابنه بلال اجتهاده في منع النساء من الصلاة في المساجد فعن عبد اللَّه بن عمر قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها. فقال بلال بن عبد الله: واللَّه لنمنعهن، وفي لفظ: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلًا قال: فأقبل عليه عبد اللَّه فسبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط وقال: أخبرك عن رسول اللَّه ﷺ وتقول: واللَّه لنمنعهن[1].

وعلى الرغم من أن عائشة تكاد أن توافق هذا الاجتهاد عندما قالت: لو يعلم رسول اللَّه ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل[2] إلا أن إنكار ابن عمر شديداً كما هو ظاهر.

٢) إنكار الصحابة رضي اللَّه عنهم على الحاكم اختياره بأسلوب أعلى في حدة الإنكار دون الخروج عن حقوق الأخوة العامة والطاعة:

- فقد أنكر ابن عباس - رضي اللَّه عنهما- على غيره نهيهم عن حج التمتع لمجرد اجتهاد أبي بكر وعمر -رضي اللَّه عنهما- في ذلك فعنه قال: تمتع النبي ﷺ فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عباس: ما يقول عرية؟ قال يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون أقول: قال النبي ﷺ ويقول: «نهى أبو بكر وعمر[3].

وفي رواية: قال رجل من بني الهجيم لابن عباس: ما هذه الفتيا التي قد

---

(١) مسلم١ / ٣٢٧ .

(٢) البخاري ١/ ٢٩٦ .

(٣) أحمد١ / ٣٣٧ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تشغفت أو تشغبت بالناس أن من طاف بالبيت فقد حل فقال: سنة نبيكم ﷺ وإن رغمتم[١].

- وأنكر ابن عباس على عمر والصحابة رضي اللَّه عنهم الذين قالوا بالعول مع تقادم الأمر، وقال: أترون الذي أحصى رمل عالج عدداً جعل في مالٍ نصفاً وثلثاً وربعاً، إنما هو نصفان وثلاثة أثلاث، وأربعة أرباع .

وعن عطاء قال: قلت لابن عباس: إن الناس لا يأخذون بقولي، ولا بقولك، ولو مت أنا وأنت ما اقتسموا ميراثاً على ما نقول. قال: فليجتمعوا فلنضع أيدينا على الركن، ثم نبتهل فنجعل لعنة اللَّه على الكاذبين. ما حكم اللَّه بما قالوا[٢].

وظاهرٌ أن المسألة التي ذكرها ابن عباس اجتهادية، ولكن ابن عباس زاد في حدة إنكاره في مسألة يظهر أن الصواب فيها مع غيره لا معه.

- ومثل ذلك حدث لأبي الدرداء مع معاوية: فعن عطاء بن يسار أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال أبو الدرداء: سمعت رسول اللَّه ﷺ ينهى عن مثل هذا إلا مِثلًا بمثل فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأسا. فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول اللَّه ﷺ ويخبرني عن رأيه لا أساكنك بأرض أنت بها. ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر ذلك له، فكتب عمر ابن

(١) مسلم٢/ ٩١٢ .

(٢) سنن سعيد بن منصور١/ ٦١ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخطاب إلى معاوية أن لا تبيع ذلك إلا مِثلًا بمثلٍ وزناً بوزنٍ[١].

- **الأساس الشرعي التعليمي لارتفاع حدة الإنكار:**

ولعل هذه الحدة في الإنكار مطلوبة أحياناً عندما يبعد مأخذ أحد طرفي الخلاف ما دامت لا تؤثر على حقوق الأخوة، ووحدة الجماعة المسلمة، وذلك لتنبيه الطرف الآخر لبعد مأخذه، وضرورة مراجعته لموقفه.

وهذا أسلوبٌ نبويٌ كريم متبع في التعليم والتنبيه، ومما يشهد له قوله ﷺ لأسامة بن زيد عندما قتل الرجل الذي نطق بالشهادة عملًا بمصلحة متوهمة: «**يا أسامة! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله**» قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[٢].

وهذا الموقف يدل على أمور منها:

١) أن الحدة قد تكون مطلوبة في الإنكار إن ضعف مأخذ أحد طرفي الخلاف.

٢) لا ينبغي أن تنساق الظنون والأوهام في رصد تصرفات المنتمين لجماعة فكرية، أو حركة إسلامية من قبل أفراد في جماعة أخرى، فيفسرون كل تصرف ولو كان عملًا خيرياً أو دعوياً محضاً بالسوء لمجرد انتمائه إلى اتجاه فكري أو حركي مغاير.

ما هكذا يظن المسلم بأخيه المسلم، لقد سرت الظنون الكاذبة في أوساط أفراد بعض الحركات ففرقت المسلمين، وأوغرت الصدور، ودنست

---

(١) الموطأ ٢/ ٦٤٣ .

(٢) البخاري ٤/ ١٥٥٥ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

صفاء النفوس.

٣) وقوع الخطأ الذي تزداد فيه حدة الإنكار من قبل طرفٍ لآخر:- لا يعني غمط فضيلة المنكَر عليه، فإن النبي ﷺ على الرغم من عتابه الشديد لأسامة أبقاه أميراً على البعوث حتى بعد وفاته ودافع عنه ﷺ فقال وهو على المنبر: «**إن تطعنوا في إمارته - يريد أسامة بن زيد - فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم اللَّه إن كان لخليقا لها، وأيم اللَّه إن كان لأحب الناس إلى،** وأيم اللَّه إن هذا لها لخليق - يريد أسامة بن زيد - وأيم اللَّه إن كان لأحبهم إلي من بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم»[١].

فمتى تنصبغ نفسياتنا الدعوية على جمع هذه المعاني جميعاً؟.

* * *

(١) البخاري٤/ ١٨٨٤ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المبحث الخامس

من أقوال السلف في معيار الإنكار[١]

أَمر السلف باتباع النص، والرجوع إليه عند الاختلاف، وأظهروا قصور البشر غير المعصومين عن عدم الوقوع في الخطأ، وأكدوا أنه تقع من العالم الزلة، وشددوا في التحذير منها، ومن ذلك:

- قال مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك وغيرهم: «**ليس أحد من خلق اللَّه إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ**»[٢].

قال ابن عبد البر معلقاً: «هذا إجماعٌ لا أعلم فيه خلافا، وقد روى عن النبي ﷺ وأصحابه رضي اللَّه عنهم في هذا المعنى ما ينبغي تأمله». فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني أخاف عليكم ثلاثاً، وهنَّ**

(١) انظر الأحاديث والآثار في ذلك في:
مجمع الزوائد ١/ ١٨٦، وكذلك في ٢/ ٣١٣ وما بعدها، سنن البيهقي الكبرى ١٠/ ٢١١، مسند أبي حنيفة ص ٦٨، مسند البزار ٧/ ١١٥، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ١٣٣ إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٥، التمهيد لابن عبد البر ١/ ٢٥٥، فيض القدير ١/ ١٤٠، وكذلك ١/ ١٨٧، الموافقات٤/ ١٦٩ ، والمذكورة أعلاه نبذة مختارة.

(٢) القراءة خلف الإمام ص٢١٣ عن ابن عباس ومجاهد، قرة العينين برفع اليدين في الصلاة ص٧٣ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كائناتٌ: زلة عالم، وجدال منافقٍ بالقرآن، ودنيا تفتح عليكم»[١]، وقد ورد ذلك في عدة آثار يستأنس بها[٢].

- وعن زياد بن حدير قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم زلة الإسلام؟ قال: قلت لا! قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين[٣].

- وقال معاذ بن جبل: «وإياك وزيغة الحكيم، وحكم المنافق .فقيل: وكيف لي أن أعلم زيغة الحكيم؟. قال: كلمة ضلالةٍ يلقيها الشيطان على لسان الرجل، فلا يحملها، ولا يتأمل منه، فإن المنافق قد يقول الحق فخذ العلم أنى جاءك فإن على الحق نوراً»[٤].

- وعن أبي إدريس الخولاني قال: أدركت أبا الدرداء رضي اللَّه تعالى عنه، ووعيت عنه، وأدركت عبادة بن الصامت رضي اللَّه تعالى عنه، ووعيت عنه وفاتني معاذ بن جبل رضي اللَّه تعالى عنه، فأخبرني يزيد بن عميرة أنه كان يقول في كل مجلسٍ يجلسه: اللَّه حكم قسط تبارك اسمه هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن

---

(١) والحديث في إسناده نظر، وإن كان المعنى ظاهراً. وانظر مع تخريجه في: مجمع الزوائد١/ ١٨٦ .

(٢) مجمع الزوائد١/ ١٨٧ .

(٣) الدارمي١/ ٨٢ .

(٤) مستدرك الحاكم ٤/ ٤١٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيقول: قرأت القرآن فما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ثم يقول ما هم متبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة، اتقوا زلة الحكيم فإن الشيطان يلقي على في الحكيم الضلالة، ويلقي للمنافق كلمة الحق قال قلنا: وما يدريك يرحمك اللَّه أن المنافق يلقى كلمة الحق وأن الشيطان يلقي على الحكيم كلمة الضلالة؟ قال: اجتنبوا كلام الحكيم كل متشابه الذي إذا سمعته قلت: ما هذا؟ ولا ينئيك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع ويلقى الحق فاسمعه فإن على الحق نوراً[(١)].

وأنى تُعرف زيغة الحكيم، وزلة العالم إلا بالرجوع إلى النص؟ وكيف يمكن عَدُّ ما صدر عن أيٍّ كان خلافاً مع احتمال أن يكون زللًا وإن كان اجتهاداً ؟ وهنا بين معاذ ﵁ معيار معرفة الزلل برده إلى النص.

- وقال سلمان الفارسي: «كيف أنتم عند ثلاث زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم؟ فأما زلة العالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم، وتقولون: نصنع مثل ما يصنع فلان، وإن أخطأ فلا تقطعوا إياسكم منه فتعينوا عليه الشيطان، وأما مجادلة منافقٍ بالقرآن؛ فإن للقرآن مناراً كمنار الطريق فما عرفتم منه فخذوا وما لم تعرفوا فكلوه إلى اللَّه تعالى، وأما دنيا تقطع أعناقكم فانظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم».

- وعن ابن عباس: «ويلٌ للأتباع من عثرات العالم. قيل: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئاً برأيه ثم يجد من هو أعلم منه برسول اللَّه ﷺ، فيترك

---

(١) سنن أبي داود٤/ ٢٠٢، المستدرك ٤/ ٥٠٧، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قوله ثم يمضي الأتباع»[١] أي يمضون على قوله الأول.

- ومثل ذلك تحذير أهل العلم من نوادر العلماء... وهي الشواذ، وفيها قال أبو بكر الآجري: «فليس ينبغي إذا زل بعض من يُشار إليهم زلة أن يُتبع على زلله، هذا قد نهينا عنه، وقد خيف علينا من زلل العلماء»[٢]، وقد بوب ابن عبد البر لذلك، فقال: باب في خطأ المجتهدين من المفتين والحكام[٣]، ومن كلامه السائر في هذا الموضع: «شبه الحكماء زلة العالم بانكسار السفينة، لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير»[٤].

وهذه الآثار الجليلة التي نرى فيها أساطين العلم والتربية من الصحابة يكادون أن يتفقوا على ألفاظ بعينها في التعبير عن معنى واحد توضح لنا جملة حقائق منها:

١- أن العالم بشر كسائر البشر فليس كل ما صدر منه هو الهدى، أوالفعل الحق، أوالقول الفصل، بل هو مجتهد في إصابة الحق فقد يصيبه فيؤجر أجرين، وقد يُخالفه فيؤجر أجراً واحداً، وهذا يجعل متابعيه وسائليه -من غير العامة المقلدين- يتبصرون في أقواله ويوازنون في فتواه بين أدلته وأدلة غيره، ثم ينظرون أيهما الحق.

٢- أن وقوع الخلاف بين أهل العلم طبعي يعود لبشريتهم، فإما أن يكون

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٣٥ .

(٢) انظر: أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين ص١١٧ .

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٢٩٠ .

(٤) انظر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٣٣٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الخلاف لزلة واحد منهم، أو لخطئه، أو لعدم وصول العلم إليه، أو نحو ذلك من الأعذار.

٣- أن العالم قد يفتي شيئاً لا يصح أن يُعتمد، وكونه أفتى بشيء خالفه فيه غيره لا يخول اتباعه على أية حال، ولذا كم خالف مقررو المذاهب كلام أئتمهم، وذكروا أن الأصح في غيره.

ووضع الشاطبي في ذلك قاعدةً جامعةً تبين قصور الاستدلال فقط بقول العالم في كل مسألة، ثم الاحتجاج بالخلاف دلالة على أن المسألة سهلة فقال: «إن زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة، ولا الأخذ بها تقليداً له، وذلك لأنها موضوعةٌ على المخالفة للشرع، ولذلك عدت زلةً، وإلا فلو كانت معتداً بها لم يجعل لها هذه الرتبة، كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلى التقصير ولا أن يشنع عليه بها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة»[١].

وبعضهم يظن أن الخلافيات فيها مصلحةٌ للأمة بالتوسعة عليها، ولكن الخلافيات قد تكون بعض الآراء فيها هي زلات لعلماء فهي عين مخالفة النص.

والعالم وإن كانت زلته دون قصدٍ ولا تعمدٍ وهو في اجتهاده «معذور ومأجور، لكن مما ينبني عليه في الاتباع لقوله فيه خطر عظيم، وقد قال الغزالي: إن زلة العالم بالذنب قد تصير كبيرة وهى في نفسها صغيرة - وذكر منها أمثلة - ثم قال: فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره

---

(١) الموافقات٤/ ١٧٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مستطيرا في العالم أياما متطاولة فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه»[1].

لكنني أؤكد أن كل ما سبق لا يؤثر على مقدار العالم وتبجيله في وسط المجتمع المسلم، ولا يجعل أتباعه أيضاً يتبعونه في كل شيء ويسلموه دينهم في كل شيء تعصباً، ولا يجعل مخالفيهم يتشغبون عليه وعليهم تفسيقاً وتضليلًا وتبديعاً، بل غاية ما يفعلونه نصحهم بود، وإنكار خطأهم برفق.

ولننظر في القصة التالية، وكيف تعامل معها محقق كالإمام الذهبي فيما لو صحت، فقد قال أحمد بن حنبل: «**بلغ بن أبي ذئب أن مالكا لم يأخذ بحديث البيعان بالخيار فقال: يُستَتَابُ فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم قال أحمدُ: هو أورع وأقول بالحق من مالك.**

قلت: لو كان ورعاً كما ينبغي لما قال هذا الكلام القبيح في حق إمام عظيم، فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث لأنه رآه منسوخاً، وقيل: عَمِلَ بِهِ، وحمل قوله «**حتى يتفرقا**» على التلفُّظ بالإيجاب والقبول، فمالك في هذا الحديث، وفي كل حديث له أجر، ولا بد فإن أصاب ازداد أجراً آخر، وإنما يرى السيف على من أخطأ في اجتهاده الحرورية، وبكل حال فكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعوَّل على كثير منه فلا نقصت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه، ولا ضعف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه، بل هما عالما المدينة

---

(١) الموافقات (٤/ ١٧٠) والعبارة فيها نظر إلا أن إثباتي لهذه المباحثة العلمية على هذا النحو إنما هو سنة أهل العلم وعادتهم في المباحثة على ما استشهد به علم اليمن الوزير صاحب العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ فكان يردد: وجدال أهل العلم ليس بضائر ما بين غالبهم إلى المغلوب.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في زمانِهما رضي اللَّه عنهما[١].

وقد اعتذر الأمام أحمد للإمام مالك في تأوله لهذا الحديث بما يدل على سعة صدره مع مخالفيه فقال: «**ومالك لم يرد الحديث ولكن تأوله ذلك**»[٢].

❊ ❊ ❊

(١) سير أعلام النبلاء٧/ ١٣٩، وقد ثبتت القصة عنهما،وانظر تفصيل ذلك في: أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين ص.١٣٢

(٢) تهذيب الكمال٢٥/ .٦٣٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث السادس

من أقوال الائمة الأربعة في معيار الإنكار

النقول عنهم في ذلك كثيرة، ومنها:

أولًا: من أقوال أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وتقعيداته للمذهب:

١) «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[١].

٢) «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه» قاله أبو حنيفة وأبو يوسف[٢].

٣) «وإذا قلت قولًا يخالف كتاب اللَّه سبحانه وتعالى وخبر الرسول ﷺ؛ فاتركوا قولي»[٣].

وفي بيان ذلك يقول ابن الشحنة: «إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب عُمِل بالحديث، ويكون ذلك مذهبه، ولا يخرج مقلده عن كونه حنفياً بالعمل به؛ فقد صح عن أبي حنيفة أنه قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

وقد حكى ذلك الإمام ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة[٤].

فصار ما يدل عليه الدليل قولًا للإمام، وإن لم يقل به بخصوصه، لأنه

---

(١) رد المحتار على الدر المختار١/ ٦٨ .

(٢) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للصنعاني ص١٤٥، إيقاظ همم أولي الأبصار ص٥٣ .

(٣) إيقاظ همم أولي الأبصار ص٦٢ .

(٤) نقله عنه ابن عابدين في حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، انظر مقدمة الكتاب١/ ٦٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قعَّد قاعدة عامة يتحاكم إليها في المسائل الجزئية كما قال ابن عابدين: «قد يجاب بأن الإمام لما أمر أصحابه بأن يأخذوا من أقواله بما يتجه لهم منها عليه الدليل صار ما قالوه قولًا له لابتنائه على قواعده التي أسسها لهم، فلم يكن مرجوعاً عنه من كل وجه، فيكون من مذهبه أيضا، فإذا نظر أهل المذهب في الدليل وعملوا به صح نسبته إلى المذهب لكونه صادراً بإذن صاحب المذهب؛ إذ لا شك أنه لو علم ضعف دليله رجع عنه واتبع الدليل الأقوى»[(١)].

وفي هذا النقل أبلغ القول على تثبيت حقيقة رجوع الأئمة واتباعهم المجتهدين إلى النص عند الاختلاف، ومن ثم فهو معيار الإنكار؛ لأن ما صح فيه الخبر بلا معارض فهو مذهب للمجتهد وإن لم ينص عليه.

ثانياً من أقوال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ وتقعيداته للمذهب:

١- «إنما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[(٢)].

٢- وها هنا قصةٌ توضح رجوع الإمام مالك إلى النص، وعدم علمه السابق به فقد قال ابن وهب: سمعت مالكاً سُئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟ فقال: ليس على ذلك الناس. قال: فتركته حتى خف الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة. فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد

---

(١) حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار١/ ٦٨ .

(٢) الموافقات٤/ ٢٨٩، مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول ص٦١، القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ص٤٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: «**رأيت رسول اللّه ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه**». فقال: إن هذا حديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة. ثم سمعته بعد ذلك يسأل، فيأمر تخليل الأصابع[1].

ثالثاً: من أقوال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتقعيداته للمذهب:

١- «ما من أحدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسول اللّه ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول، أو أصلت من أصل، فيه عن رسول اللّه ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول اللّه ﷺ، وهو قولي»[2].

٢- «أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول اللّه ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد»[3].

٣- «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول اللّه ﷺ فقولوا بسنة رسول اللّه ﷺ، ودعوا ما قلت»، وفي رواية: «فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قول أحد»[4].

٤- «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[5].

---

(١) سنن البيهقي الكبرى١/ ٧٦ .

(٢) إعلام الموقعين٢/ ٢٠٤ .

(٣) إعلام الموقعين٢/ ٢٨٢، إيقاظ الهمم ص٥٨ .

(٤) إعلام الموقعين٢/ ٢٨٥، إيقاظ الهمم ص١٠٠، المدخل لابن بدران ص١٤٠ .

(٥) المجموع شرح المهذب١/ ١٣٦، ٤١٨، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام١/ ٢٣٧، وذكر ابن عابدين أنه نقل هذا القول ابن عبد البر والعارف الشعراني عن الأئمة الأربعة، انظر: رد المحتار ١/ ٣٨٥ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥- «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول اللَّه ﷺ فقولوا بسنة رسول اللَّه ﷺ ودعوا قولي»[١].

٦- «أنتم أعلم بالحديث والرجال مني. فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني به أي شيء يكون: كوفياً أو بصرياً أو شامياً، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً»[٢].

٧- «وكل مسألة صح فيها الخبر عن رسول اللَّه ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي»[٣].

٨- «وإذا رأيتموني أقول قولًا، وقد صح عن النبي ﷺ خلافه، فاعلموا أن عقلي قد ذهب»[٤].

٩- «كل ما قلت، فكان النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي ﷺ أولى، فلا تقلدوني»[٥].

رابعاً: من أقوال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ وتقعيداته للمذهب:

١) «لا تقلدوني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا»، وفي رواية: «لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخير».

---

(١) المجموع شرح المهذب١/ ١٠٤.

(٢) إيقاظ الهمم ص١٠٢، طبقات الحنابلة١/ ٢٨٢.

(٣) إيقاظ الهمم ص١٠٤، إعلام الموقعين٢/ ٢٨٥.

(٤) مختصر المؤمل ص٥٧، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص٥٠، إيقاظ الهمم ص١٠٥، إعلام الموقعين٢/ ٢٨٥.

(٥) مختصر المؤمل ص٥٨.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقال مرة: «الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد التابعين مخير»[(١)].

٢) «رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار»[(٢)].

وهذه النقول توضِّح أسساً علمية هامة في مجال الاجتهاد ومجال البحث العلمي، وآداب الاختلاف، منها:

١) رجوع الأئمة عند التنازع إلى النص، وجعله معيار الإنكار والتذكير العام، وهذا إجماعٌ لا ريب فيه كما قال الشيخ ولي اللَّه الدهلوي: «فلم يُبِحِ اللَّه تعالى الرد عند التنازع إلى أحد دون القرآن والسنة، وحرم بذلك الرد عند التنازع إلى قول قائل؛ لأنه غير القرآن والسنة.

وقد صح إجماع الصحابة رضي اللَّه عنهم كلهم أولهم عن آخرهم، وإجماع التابعين أولهم عن آخرهم على الامتناع والمنع من أن يقصد منهم أحد إلى قول إنسان منهم أو ممن قبلهم، فيأخذه كله.

فليعلم من أخذ بجميع أقوال أبي حنيفة، أو جميع أقوال مالك، أو جميع أقوال الشافعي، أو جميع أقوال أحمد رضي اللَّه عنهم، ولم يترك قول من اتبع منهم أو من غيرهم إلى قول إنسانٍ بعينه - أنه قد خالف إجماع الأمة كلها أولها عن آخرها بيقين لا إشكال، فيه وأنه لا يجد لنفسه سلفاً ولا إنساناً في جميع الأعصار المحمودة الثلاثة، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين. نعوذ

---

(١) إعلام الموقعين ٢/ ١٣٩ .

(٢) إيقاظ الهمم ص٢١ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باللَّه من هذه المنزلة»[١].

٢) الأئمة كغيرهم من البشر يفوتهم من العلم ما هو لازم نقصانهم، ولا يحط هذا من مكانتهم، وإن أقوالهم في المسائل الاجتهادية تظل آراء على الرغم من قيمتها العلمي، وصدورها من أهل الذكر الذين هم جهة الاختصاص للإفتاء في المسائل الشرعية، ولكن ينظر في أدلة كلٍ وحجته، دون تثريب على الآخر لمن أراد التفحُّص والبحث.

٣) تأكيد الرجوع إلى النص عند استبانة مخالفته بالعمل بقول واحدٍ منهم، والزجر الشديد عن تقليدهم حال ظهور أنه يخالف النص.

٤) لا يعني هذا الحط من مكانة المذاهب كطرق تعليمية متدرجة للفقه الإسلامي الرحب، ولا الخروج على الناس بمذهب «**اللامذهبية**»؛ إذ ما نمت المذاهب إلا نمو الاصطلاحات الفقهية التي لم تكن بارزة في عهد النبي ﷺ لتسهل الفقه، وتفرعه تفريعاً مناسباً، وليست هي خطأ بذاته بل الخطأ ما قد يصحبها من تعصب، أوتحزب[٢].

حتى عد الإمام السيوطي اختلاف المذاهب منةً كبرى، ونعمة ظاهرة، وهي كذلك خاصة في بحثها لمظان هدى الله، ورجوعها إلى النصوص

---

(١) حجة الله البالغة١/ ٤٤٤ .

(٢) وانظر: موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص٨ لفضيلة الشيخ عطية محمد سالم، وفيه يقول عن أئمة المذاهب: «هؤلاء الأئمة رحمهم الله لم يخرجوا في مناهجهم عن الكتاب والسنة، وبدل أن تكون المذاهب أربعة ستصبح أربعين بل أكثر» أي لمن يقابل بين النصوص وبين هذه المذاهب مقابلة جافة كأن المذاهب شرائع أخرى مغايرة لا صادرة عن الشرع الحكيم.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشرعية، وضوابط فهمهما، والتثبت منها عند الاختلاف[١].

- **وهنا يجب اصطحاب قاعدةٍ أساسيةٍ في التعامل مع أهل العلم في أقوالهم التي ترد في المسائل الخلافية هي: أنه «لابد من أمرين أحدهما أعظم من الآخر:**

أحدهما: النصيحة لله ولرسوله وكتابه ودينه، وتنزيهه عن الأقوال الضعيفة الخاطئة أو المخطئة المناقضة لما بَعَثَ اللَّه سبحانه وتعالى به رسوله من الهدى والبينات، إذ هي «**خلاف الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل، وبيان نفيها عن الدين، وإخراجها منه، وإن أدخلها فيه من أدخلها بنوع تأويلٍ**» فإنه «**لا حجة في قول أحدٍ مع السنة**[٢]»[٣].

«**والثاني**: معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول، فقالوا بمبلغ علمهم، والحق في خلافها لا يوجب اطِّراح أقوالهم جملة وتنقصهم والوقيعة فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، **فلا نؤثم ولا نعصم**»[٤].

---

(١) جزيل المواهب في اختلاف المذاهب ص هـ، وهو في مقدمة كتاب الإفصاح عن معاني الصحاح .

(٢) المراد بالسنة هنا المعنى اللغوي أي طريقة النبيﷺ في إسلامه لله رب العالمين، شاملاً ذلك القرآن والسنة الاصطلاحية .

(٣) التمهيد لابن عبد البر١/ ٢٥٥ .

(٤) إعلام الموقعين٣/ ٣٨٣ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فمخالفة الأئمة في مسألةٍ ما ظهر أن الراجح فيها ليس في أقوالهم «لا يغض من أقدارهم ولا يسوغ اتباعهم فيها»[١]، كما أنه «ليس في قول العالم إن هذه المسألة قطعية أو يقينية ولا يسوغ فيها الاجتهاد طعن على من خالفها ولا نسبةٌ له إلى تعمد خلاف الصواب»[٢].

وهذا ما رأينا عليه الصحابة رضي اللَّه عنهم تطبيقاً حين ترد عليهم المسائل الَّتي اختلفت فيها أنظارهم فيثنون على المخالف ويبينون عذره فيما أخطأه، ثم يبينون الصواب، وفعل عائشة خير مثال، وقد تشتدُّ أحياناً في نفي ما تراه مخالفاً للشريعة في نصِّه أو مراميه.

وفي ذلك قال بعض أهل العلم:

وإذا أتتك مقالةٌ قد خالفت ... نصَّ الكتابِ أو الحديثِ المسندِ
فاقْفُ الكتابَ ولا تمِلْ عنهُ، وَقِفْ ... متأدِّباً مع كلِّ حَبرٍ أوحَدِ
فلحومُ أهلِ العِلمِ سُمٌّ للجُناةِ ... عليهم فاحفظ لسانك وابعدِ[٣]

وهذا يقودنا إلى بيان حقيقة هي النتيجة لما سبق، وهي التي توضح بصورةٍ أجلى معنى هذه القاعدة الجليلة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**»، وهذه الحقيقة نصها: هناك فرقٌ بين مسائل الخلاف ومسائل الاجتهاد.

- **هل يُفهم من الكلام السابق أن التقليد محرم بِمَرَّةٍ؟**

لا! وليس الكاتب في المقام الذي يتجرأ فيه على مثل هذا الحكم بعد

---

(١) إعلام الموقعين٣/ ٢٨٤ .

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٩ .

(٣) ذكر في موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص١٢٢ أن القرافي ذكرها .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخلاف الواسع الوارد في ذلك، ويظهر أن الاختلاف في المسألة يكاد يكون لفظياً، وأن الذي ذكروا أن التقليد محرم، ومنهم ابن حزم، وابن عبد البر[١]، وابن القيم، والشوكاني، وغيرهم محتجين بأن اللَّه تعالى ذم التقليد بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وقوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧] ونحو ذلك من الآيات، وأن الأئمة قد نهوا عن تقليدهم كما سبق؛ قد بيَّنوا جواز التقليد العام.

إذ بيَّن ابنُ القيِّم أنَّ التقليد الذي يرى امتناعه هو: «اتخاذ أقوال رجلٍ بعينه بمنزلة نصوص الشارع لا يلتفت إلى قولٍ سواه، بل لا إلى نصوص الشارع، إلا إذا وافقت نصوص قوله؛ قال: فهذا هو التقليد الذي أجمعت الأمة على أنه محرَّم في دين الله، ولم يظهر في الأمة إلا بعد انقراض القرون الفاضلة»[٢].

وأثبتَ ابنُ القيم والإمام ابن الوزير والشوكاني تبعاً لابن عبد البر[٣] فوق التقليد مرتبة أقل من الاجتهاد، هي مرتبة الاتباع.

وحقيقتُها: - «**الأخذ بقول الغير مع معرفة دليله**»، على حد ما ورد في قول أبي حنيفة وأبي يوسف: «**لا يحل لأحدٍ أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا**».

وفي بيان الفرق بين التقليد والاتباع، يقول الإمام محمد بن إبراهيم الوزير:

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٣٣٥ .

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ٢٣٦، وانظر: إيقاظ الهمم ص١٥٠ .

(٣) انظر ذلك مثلاً في: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٣٣٧، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هم قلَّدوهم واقتديتُ بهم فكم بين المقلِّد في الهوى والمقتدي
من قلَّد النعمان أمسى شارباً لمثلثٍ نجسٍ خبيثٍ مزبدِ
ولو اقتدى بأبي حنيفة لم يكن إلا إماماً راكعاً في المسجدِ[١]

غير أنه لا يُظَنُّ أن أحداً يخالف:- أن التقليد لا بالمعنى الذي ذكره هؤلاء الأعلام من اتباع كل خطأ وصواب استبان فيه ذلك، هذا النوع من التقليد يجوز عند الضرورة حتى للعالم فضلًا عن العامي.

ومن ذلك إذا لم يظفر العالم بنصٍ من الكتاب أو السنة، ولم يجد إلا قول من هو أعلم منه، فيقلده.

أما التقليد المحرم: فهو أن يكون العالم متمكناً من معرفة الحق بدليله، ثم مع ذلك يعدل إلى التقليد، فهو كمن يعدل إلى الميْتة مع قدرته على المذكَّى.

والتقليد إنما هو لمن لم يكن قادراً على الاجتهاد، أو كان قادرا عليه لكن لم يجد الوقت لذلك، فهي حال ضرورة كما قال ابن القيم.

وقد أفتى الإمام أحمد بقول الشافعي، وقال: إذا سئلت عن مسألة لم أعرف فيها خبراً أفتيت فيها بقول الشافعي، لأنه إمام عالم من قريش، وقد قال النبي ﷺ : «**لا تسبوا قريشاً، فإن عالمها يملأ طِباقَ الأرضِ عِلماً**»[٢].

ومن الناحية الدعوية فالأمر ظاهر في واقع الناس فلا يمكن أن يكون عند كل منهم أهلية الاجتهاد صغيراً وكبيراً وذكراً وأنثى.

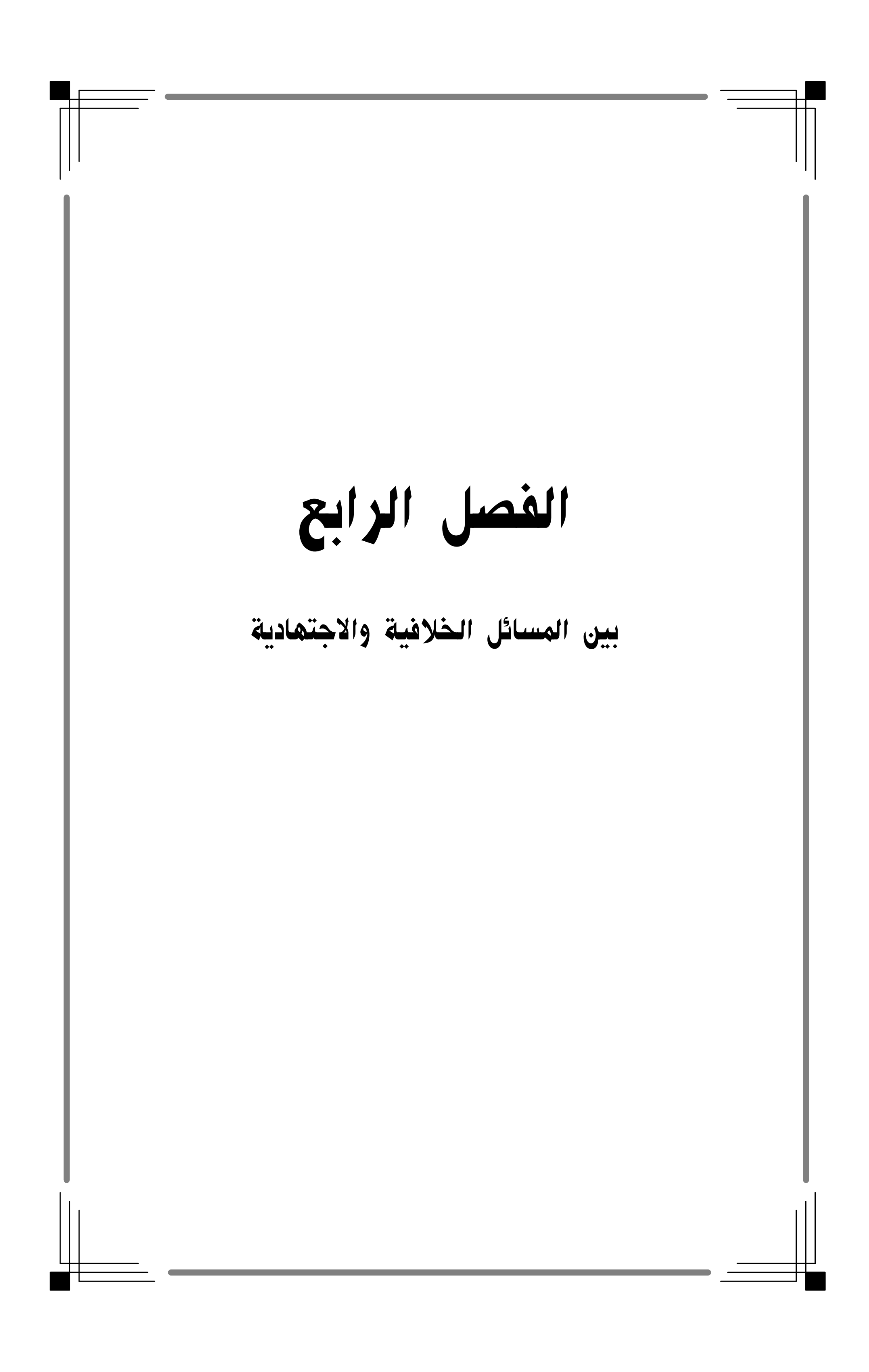
❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم١/ ٣٥ .

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية ١٣/ ١٦٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com



الفصل الرابع

بين المسائل الخلافية والاجتهادية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل الرابع

بين المسائل الخلافية والاجتهادية

انتهينا فيما سبق إلى تأكيد أهمية وجوب الرجوع عند التنازع للنص المعصوم، وألا يُجْعل الخلاف مرجعاً عند التحاكم، وأن يُطّرَح التشهي والهوى عند تعاطي مسائل الشريعة التي اختلفت فيها الأنظار، وخاصة في المسائل المتنازع عليها مما تعم به البلوى، ويشتهر؛ إذ يحاول كل عالمٍ إبراز أدلته ووجهته فيها، فتكون فرصة للاستماع إلى الأدلة، ثم الأخذ بما تطئمن إليه النفس من غير تشهٍ ولا هوى.

وفي هذا الفصل من البحث محاولة للتفريق بين المسائل الخلافية، والمسائل الاجتهادية وتحديد الموضع الصحيح للاستشهاد بقاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» انطلاقاً من كونها لا تدخل في جميع مسائل الخلاف كما يُوهِم منطوقها.

❊ ❊ ❊

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث الأول

الفرق بين المسائل الخلافية والمسائل الاجتهادية

عدم التفريق[١] **بين: المسائل الاجتهادية** - وهي التي لا يُنكر على القائلين فيها بقولٍ اجتهادي، ولكن تبقى المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن بغية التباحث، ولذا وضع أهل العلم علماً مستقلًا بذاته له متونه التي تُحْفَظ، **وبين المسائل الخلافية** وهي التي ينكر فيها على المخالف ما دامت لا تدخل ضمن المسائل الاجتهادية، وتتفاوت درجات الإنكار فيها بحسب حال كل قضية - هو الذي أدخل اللبس في فهم هذه القاعدة.

فاعتقد البعض «أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد كما اعتقد ذلك طوائفُ من الناس ممن ليس لهم تحقيقٌ في العلم»[٢]، مع أن كل مَن نصَّ على هذه القاعدة بعبارة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» إنما يعني بها مسائل الاجتهاد، وإن لم تكن التسمية الاصطلاحية التي تفرِّق بين النوعين مستقرةً.

ولذا عبَّر بعضُهم عن هذِهِ القاعدةِ بالعبارةِ السَّابقةِ، وعبَّر آخرون عنها

---

(١) مصطلح الاجتهاد يتسع ليشمل المسائل الخلافية - كما هو صنيع الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -، ومثله مصطلح الخلاف يشمل النوعين في المعنى العام، فالتفريق هنا تفريق اصطلاحي، لا لغوي.

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بقولهم: «**لا إنكار في مسائل الاجتهاد**»[1].

وهذا أدق في اصطلاح البحث.

ويظهر هذا التقسيم - مسائل خلافية ومسائل اجتهادية - في عبارات العلماء الواردة أقوالهم فيما سبق، حيث ورد في عباراتهم عند الاستثناء من قاعدة «لا إنكار في مسائل الخلاف»: «أن يكون ذلك المذهب بعيد المأخذ بحيث ينقض، أن يكون الخلاف ضعيفاً، ألا يكون معتبراً، ما ليس له حظٌ من النظر».

وكل هذه العبارات ترجع إلى معنىً واحد هو أن الإنكار في المختلَف فيه ينتفي إن كان الخلاف قوياً، ويُثْبَتُ إذا كان الخلاف ضعيفاً «**غير معتبرٍ، بعيد المأخذ. . .**».

ولكنها في الحقيقة تجعل الخلاف القوي ضابطاً للمسألة الاجتهادية، فكل ما فيه خلافٌ قويٌ فهو مسألةٌ اجتهادية؛ فلا إنكار فيها كالجهر بالبسملة والإسرار بها في الصلاة، لكن لا بد من تحرير القوَّة والضعف ليتحدد الأمر أكثر.

(١) وردت عبارة (لا إنكار في مسائل الاجتهاد) في عدد من المصادر مثل: دليل الطالب ص٤٦، منار السبيل١/ ١٢٥، كشف القناع١/ ٤٧٩، وتقدمت في كلام الغزالي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعريفُ المسائلِ الاجتهاديَّة[١]

المسائل الاجتهاديَّة التي يكون الخلاف فيها قوياً معتبراً له حظٌ من النظر هي التي يظهر فيها وصفٌ من الأوصاف الآتية:

أ) **ما تجاذبها أصلان شرعيان صحيحان:** فترددت بين طرفين وضح في كلٍ منهما قصد الشارع في الإثبات في أحدهما، والنفي في الآخر: فلم تنصرف البتة إلى طرف النفي ولا إلى طرف الإثبات.

ومنها:

زكاة الحلي: تردَّدت بين النقدَين والعروض.

وقبول رواية مجهول الحال وشهادته: تردد بين العدل والفاسق[٢].

ومن ذلك مسألة من جاء يتابع الإمام وهو في السجود الأخير من آخر ركعة: هل يكبر ويقرأ أذكار ما بقي من الصلاة أم يتابعه بالحركات دون الأذكار ثم يستأنف تكبير الإحرام بعد السلام؟.

ومثل جلسة الاستراحة عند من قال بها: هل لها ذكرٌ أم يسكت عندها؟ بل أهي للاستراحة أم للحاجة أم للتعبد؟.

فهذه من «محالِّ الاجتهاد المعتبر»[٣].

ومثل هذه تماماً قصة صلاة العصر في بني قريظة، مع ملاحظة أمرٍ جليلٍ

---

(١) قد يُقال: كيف يبدأ البحث ببيان حكم المسألة الاجتهادية والمسألة الخلافية قبل التعريف، والجواب واضح في أن الحكم أشهر لشهرة القاعدة، والتعريف أخفى فبدأ بالأوضح، ثم انتقل إلى الأخفى على أن تفصيل الحكم سيأتي لاحقاً - إن شاء الله تعالى -.

(٢) انظر: الموافقات٤/ ١٥٥ .

(٣) الموافقات٤/ ١٥٥ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هو وجود النبي ﷺ بين أظهرهم للإقرار أو الإنكار.

أمَّا الآن؛ فليس إلا لزوم آداب الخلاف، والاجتهاد في تحري الهدى سواء بالنفس للمتأهل لذلك، أو بالنظر في الثقة الأمين وأخذ أقواله بدليل أو بتقليدٍ بحسب كلٍّ.

ب) **المسائل التي ليس «فيها دليلٌ يجب العمل به وجوباً ظاهراً**: مثل حديثٍ صحيح لا معارض له من جنسه، فيسوغ فيها إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به الاجتهاد لتعارض الأدلة، أو لخفاء الأدلة فيها»[١] كخروج النجاسات من غير السبيلين، وأخذ رجلٍ حقه من مغتصبه دون الرجوع إلى قضاء في حال ظلم القضاء.

وممَّا يدخل ضمن هذا النوع: **كيفية التعامل مع النوازل الطارئة في الواقع**[٢]: حيث تنتابها الاجتهادات المختلفة مما يواجه المسلمين في مختلف ميادينهم، فاجتهاد العلماء في معالجة تلك الواقعة داخل ضمن النطاق الاجتهادي.

ويوضح ذلك ما حدث لهارون عليه السلام في تعامله مع نازلة الشرك التي حدثت من بعض قومه بعد أن ذهب عنهم موسى عليه السلام، وفيها عبرٌ كثيرةٌ ليس هذا ميدان بسطها إنما الإشارة إلى أن المسألة في فحواها كبيرة؛ إذ الكلام عن شرك وتوحيد، ولكن الاجتهاد هو في أسلوب التعامل.

ومثل ذلك: اختلاف آراء الصحابة رضي اللَّه عنهم في كيفية التعامل مع

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٩ .

(٢) انظر في هذا الموضوع: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نازلة المرتدين ومانعي الزكاة.

وكما يشدَّدُ هنا على تذكر الأخوة الإيمانية الواجبة ومصادرة الظنون التي قد تنشأ عن الاجتهادات المختلفة كذلك ينبغي أن نصطحب أنه ينبغي بيان الحجج العلمية في اتخاذ أسلوب لمعالجة الموقف وإشاعته بين الناس، وأن ذلك لا يعد تشهيراً، وإلا لما وَصَلَنا شيء مما نستدل به الآن، أو نستنبط منه الأحكام المختلفة.

ج) **ما تجاذبه نصان أو أكثر وكل واحدٍ مقبولٌ سنداً ظاهرٌ دلالة:** كتكبيرات العيد والجنائز، والجهر والإسرار بالبسملة، وكاستعمال الماء الكثير بعد وقوع النجاسة فيه إذا لم تغيره، والتوضُّؤ من مسِّ الذكر والنساء، والقراءة بالبسملة سراً أو جهراً، وترك ذلك، وتنجيس بول ما يؤكل لحمه وروثه[(١)].

ومن النماذج التي يمكن ضربها لتقريب هذه المسألة: ما رواه عبد الوارث بن سعيد قال: قدمت مكة فوجدت بها أبا حنيفة، وابن أبي ليلى، وابن شبرمة، فسألت أبا حنيفة: عن رجل باع بيعاً، وشرط شرطاً، فقال: البيع باطل، والشرط باطل.

ثم أتيت ابن أبي ليلى فسألته، فقال: البيع جائز، والشرط باطل.

ثم أتيت ابن شبرمة، فسألته فقال: البيع جائز، والشرط جائز.

فقلت: يا سبحان الله! ثلاثة من فقهاء العراق اختلفوا في مسألة واحدة؟ فأتيت أبا حنيفة فأخبرته، فقال: ما أدري ما قالا، حدثني عمرو بن شعيب

---

(١) انظر: ابن تيمية ٣٠/ ٨٠.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عن أبيه عن جدِّه عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عن بيعٍ وشرطٍ. البيع باطل، والشرط باطل.

ثم أتيتُ ابن أبي ليلى فأخبرته، فقال: ما أدري ما قالا، حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أمرني النبي ﷺ أن أشتري بريرة فأعتقها، البيع جائز، والشرط باطل.

ثم أتيت ابن شبرمة فأخبرتُه، فقال: ما أدري ما قالا، حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن دثار عن جابر قال: بعتُ النبي ﷺ ناقة، وشرط لي حملانها إلى المدينة البيع جائز، والشرط جائز[(١)].

فهذه مسألة اجتهادية تجاذبتها الأدلة المختلفة فاختلفت فيها الأنظار.

د) ما ورد فيها نصٌّ، ولكنه ليس محلَّ اتفاقٍ في دلالتِهِ، مع ظهورِ قوَّةِ استدلالِ الطَّرَفَينِ، وذلك كرفع اليدين في تكبيرات العيدين والجنائز، وإعادة اليدين إلى موضعهما بعد الركوع، وكيفية الهوي إلى السجود.

ومن أمثلتها: الخلاف في رؤية النبي ﷺ ربه.

وفي الخلاف في تفضيل عثمان على علي.

والخلاف في تكفير تارك الصلاة، والأركان الأربعة غير الشهادتين تكاسلًا، ووجوب المضمضة والاستنشاق أو استحبابهما، ووجوب قضاء الفوائت بدون عذر أو عدم جواز قضائهما أصلًا.

والخلاف في اختلاف المطالع ودوره في إثبات الشهر، وطلاق الثلاث بلفظ واحد وهل يقع ثلاثاً أو واحدة.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط٤/ ٣٣٥، وهو في مسند أبي حنيفة ص١٦٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

- **اختلاف خمسة من الصحابة رضي اللَّه عنهم في مسألة اجتهاديَّة:**

ومن النماذج التي يمكن أخذها هنا ما رواه الشعبي قال: دعاني الحجاج فسألني عن الفريضة المخمسة وهي: أم وجد وأخت، فقال لي: ما قال فيها الصدِّيق رحمه الله؟ قلت: أعطى الأم الثلث، والجد ما بقي، لأنه كان يراه أباً. قال: فما قال فيها أمير المؤمنين - يعني عثمان بن عفان ﷺ؟ قلت: جعل المال بينهم أثلاثاً. قال: فما قال فيها ابن مسعود؟ قال: "كذا". قلت: أعطى الأخت النصف، والأم ثلث ما بقي، والجد الثلثين، لأنه كان لا يفضل أماً على جد. قال: فما قال فيها زيد بن ثابت؟ قلت: أعطى الأم الثلث، وجعل ما بقي بين الأخت والجد، للذكر مثل حظ الأنثيين، لأنه كان يجعل الجد كأحد الإخوة إلى الثلاثة. قال: فزم بأنفه ثم قال: بم قال فيها أبو تراب؟ قال: قلت: أعطى الأم الثلث، والأخت النصف، والجد السدس[1].

فهذه مسألة واحدة اختلف فيها سادات أهل العلم من الصحابة رضي اللَّه عنهم بعد الاجتهاد في دلالات النصوص الوارد فيها.

أما المسائل الخلافية: فهي أعمُّ من ذلك إذ تشمل كل ما وقع فيه خلافٌ، وإن كان ضعيفاً أو شاذّاً أو ممَّا اعتبر من زلات العلماء، وذلك كالخلاف في نكاح المتعة، أو في عدة المتوفى عنها، أو في ربا الفضل، أو

---

(١) انظر: الكامل للمبرد١/ ١٧٩، والقصة رواها: البيهقي في سننه الكبرى٦/ ٢٥٢، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد٤/ ٢٢٩ أن البزار أخرجها، وانظر: تلخيص الحبير٣/ ٨٨، وليس فيها ذكر لقضاء أبي بكر، وذكروا بدلًا عنه ابن عباس .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

في ربا البنوك فكل مسائل الاجتهاد من مسائل الخلاف وليس العكس[١] بحسب اصطلاح هذا البحث.

- **الفرق في الحكم بين المسائل الاجتهادية والمسائل الخلافية:**

ومن الفروق الأساسية في الحكم بين المسائل الاجتهادية والمسائل الخلافية أن المسائل الاجتهادية لا إنكار فيها باليد، ولا باللسان بإقذاعٍ وتثريب، وليس لأحدٍ أن يُلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يُتَكلم فيها بالحجج العلمية فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه، بخلاف المسائل الخلافية الأخرى.

ومن النماذج التي يمكن ذكرها لتوضيح ذلك أن أبا حنيفة اجتمع مع الأوزاعي بمكة في دار الحنَّاطين، كما حكى ابن عيينة فقال الأوزاعي: «ما بالكم لا ترفعون عند الركوع والرفع منه؟، فقال: لأجل أنه لم يصح عن رسول اللَّه ﷺ فيه شيء، فقال الأوزاعي: كيف لم يصح وقد حدثني الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول اللَّه ﷺ كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وعند الركوع وعند الرفع منه، فقال أبو حنيفة: حدثنا حماد عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن عبد اللَّه بن مسعود أن النبي ﷺ كان لا يرفع يديه إلا عند افتتاح الصلاة، ثم لا يعود لشيءٍ من ذلك، فقال الأوزاعي: أحدثك عن الزهري عن سالم عن أبيه وتقول حدثني حماد عن إبراهيم؟ فقال أبو حنيفة: كان حماد أفقه من الزهري، وكان إبراهيم أفقه من سالم، وعلقمة ليس بدون من ابن عمر في الفقه، وإن كانت لابن عمر صحبة وله فضل صحبة فالأسود له

---

(١) انظر: مدخل لترشيد العمل الإسلامي ص٢٣ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فضل كثير، وعبد اللَّه هو عبد الله[١].

ولا بد من التأكيد هنا أن كلام الأئمة حول قاعدة البحث فيه ما يشير إلى تقسيم المختلَف فيه إلى قسمين من حيث التعريف، ومن حيث الحكم: مسائل خلافية يكون فيها الإنكار قائماً بأنواعه، ومسائل اجتهادية لا إنكار فيها إلا تذكيراً علمياً ومباحثة.

ولكنك تلمح وجود هذا التقسيم بصورةٍ عملية في ثنايا كلامهم، وإن لم يكن التقسيم الاصطلاحي مستقرّاً، فالسيوطي يستثني من قاعدة البحث، والاستثناء يقتضي وجود اثنين مستثنىً وهو المسائل الخلافية؛ فالإنكار فيها قائمٌ، ومستثنىً منه، وهو المسائل الاجتهادية؛ فالإنكار فيها هو المنفي على تفصيل في ذلك.

والماورديُّ يجعل الإنكار قائماً فيما ضعف فيه الخلاف وهذه هي المسائل الخلافية، وينفي الإنكار فيما عدا ذلك من المسائل الخلافية وهي المسائل الاجتهادية[٢].

ومِثلُهُ الفرَّاءُ.

فتقسيم المسائل الخلافية إلى نوعين أحدهما يكون فيه الإنكار، والآخر لا إنكار فيه مما يجعل القاعدة أكثر انضباطاً، وهذا واضحٌ في كلام العلماء من ناحيةٍ عملية، وإن لم يوجد من حيث الاصطلاح .

---

(١) فتح القدير ١/ ٣١٨ .

(٢) وكذلك عند الإمام الزركشي في المنثور فقد أقر هذه القاعدة محل البحث، ولكن بعبارة تدل على إقراره العملي بالتقسيم .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومن أجل هذا الحكم للمسائل الخلافية: فإن المعمول به عند أئمة الفقهاء قيام الإنكار باليد حال الاقتضاء لبعض المختلَف فيه فعند «فقهاء الحديث مثلًا أن من شرب النبيذ المختلف فيه حُدَّ، وهذا فوق الإنكار باللسان بل عند فقهاء أهل المدينة يُفَسَّقُ، ولا تقبل شهادته، وهذا يرد قول من قال لا إنكار في المسائل المختلف فيها، وهذا خلاف إجماع الأئمة.

وقد نص الإمام أحمد على أن من تزوج ابنته من الزنا يُقتل، والشافعي وأحمد ومالك لا يرون خلاف أبي حنيفة فيمن تزوج أمه وابنته أنه يدرأ عنه الحد بشبهةٍ دارئةٍ للحد، بل عند الإمام أحمد يقتل، وعند الشافعي ومالك يحد حدَّ الزِّنا في هذا»[1].

ويظهر من هذا ومما سبق في كلام الأئمة أن الحمل على القول الصحيح في المسألة المختلف فيها واجبٌ على من له ولاية الحسبة وغيره، والإنكار الشديد على من فعل منكراً مطلوبٌ شرعاً بدرجات الطلب الشرعية، إلا أن حق الإلزام إنما يكون لمن له ولاية الحسبة.

وفي المقابل فللرعيَّة الإنكار على الحاكم اختيارَه غيرَ الصحيح في مسألة خلافية ضعف الخلاف فيها كما فعل علي في الإنكار على عمر وعثمان، وكما فعل ابن عباس في الإنكار على عليٍّ مما سبق التمثيل له.

أمَّا المسألة الاجتهادية فليس للحاكم أن يحمل فيها غيره على قولٍ يظنه راجحاً، فضلًا عن غيره.

---

(١) إعلام الموقعين٣/ ٢٨٧ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مفهوم الإنكار المنفي في المسائل الاجتهادية

وعلى هذا فإن مفهوم الإنكار المنفي في المسائل الاجتهادية: هو الإنكار باليد، أو التشنيع على المخالف، أو القدح في دينه وعدالته كرميه بالبدعة أو الفسق، وهجره من أجلها، فإن هذا كله يطبق على من أتى منكراً في مسألة غير اجتهادية سواءً كان ذلك في مسألة إجماعية أم خلافية، وكل شيءٍ بحسبه.

ولا يتنافى في هذا مع بيان الراجح من الرأيَين[١]

وهذا كان فعل الصحابة رضي اللَّه عنهم فعن عبد اللَّه بن عمر: «أن عمر ابن الخطاب بينا هو يخطب الناس يوم الجمعة دخل رجلٌ من أصحاب رسول اللَّه ﷺ - من المهاجرين الأولين - فناداه عمر أية ساعةٍ هذه؟ فقال: إني شُغِلْتُ اليوم فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت النداءَ، فلم أزد على أن توضأت. قال عمر: والوضوء أيضاً؟ وقد علمت أن رسول اللَّه ﷺ كان يأمر بالغسل»[٢].

ونلحظ أن الإنكار هنا على رؤوس الأشهاد، فهو يتعدى مجرد بيان الحجة العلمية، مع أن الصحابة رضي اللَّه عنهم أنفسهم مختلفون في وجوب غسل الجمعة، فحكم غسل الجمعة مسألةٌ اجتهادية، وكذلك التأخر عنها حتى يخطب الإمام ليس بحرام، ولكن عمر أنكر على عثمان في كلٍ منهما.

ولذا فحتى المسائل الاجتهادية تختلف مراتب بيان الحجج العلمية فيها،

---

(١) انظر: مدخل ترشيد العمل الإسلامي ص٢٤ .

(٢) البخاري ١/ ٢٩٩، مسلم ٢/ ٥٨٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فقد يصل فيها بيان الحجة العلمية إلى نوعٍ من التشهير كما سبق وكما في إنكار عائشة -رضي اللَّه تعالى عنها - في مسألةٍ اجتهاديةٍ هي رؤية النبي ﷺ لربه تعالى؛ فعن مسروق قال: «كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة ثلاثٌ من تكلم بواحدةٍ منهن فقد أعظم على اللَّه الفرية! . قلت: ما هن؟ قالت: مَن زَعَم أنَّ محمَّداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على اللَّه الفرية. قال: وكنت متكئاً، فجلستُ، فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل اللَّه ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير:٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم:١٣]؟. فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول اللَّه ﷺ فقال: «إنما هو جبريل. لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض». فقالت: أو لم تسمع أن اللَّه يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣] ؟، أو لم تسمع أن اللَّه يقول﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى:٥١]؟. قالت: ومن زعم أن رسول اللَّه ﷺ كتم شيئاً من كتاب اللَّه فقد أعظم على اللَّه الفرية، واللَّه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [النمل:٦٧]، قالت: ومَن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على اللَّه الفرية، واللَّه يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل:٦٥]»[١].

(١) مسلم١/ ١٥٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ويظهر من الحديث أن إنكار عائشة إنما كان في مسألةٍ اجتهادية - هي رؤية النبي ﷺ لربه تعالى - قد جعلته عائشة مساوياً لإنكارها الزعمَ بكتمانِ النَّبيِّ ﷺ شيئاً من الرسالة.

وقد تخفت حدة الإنكار حتى تصل إلى مجرد قيام كلٍ من المجتهدين بعمل ما يظنه صواباً، وبيان وجهته في ذلك كما في حادثة بني قريظة فعن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحدٌ العصرَ إلَّا في بنِي قريظةَ»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر للنبي ﷺ، فلم يعنف واحداً منهم»[1].

ولكن الذي نشدِّدُ عليه أن كلًّا من المختلفين أو المتبعين لقول اجتهادي يجب ألا يضحي بالأخوة الإسلامية القطعية الثبوت والدلالة، وحقوقها في مقابل مسألة خلافية الخلاف فيها محتملٌ، أو اجتهادية قد سبق الخلاف في مثلها أو نحوها بين أهل العصور الفاضلة فما أذهبت وداً، وأوقدت بغضاء، ولا قدحت في دين، ما دام ذلك في الإطار العام للأصول والثوابت الإسلامية القطعية.

إن المسائل الاجتهادية - وليس كل مسألة خلافية - هي التي فيها سعة ورحمة.

وقد قال فيها عمر بن عبد العزيز: «ما أحب أن أصحاب رسول اللَّه لم يختلفوا؛ لأنه لو كان قولًا واحداً كان الناس في ضيق، وإنهم أئمةٌ يقتدى

(١) البخاري١/ ٣٢١ .

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

بهم، فلو أخذ رجلٌ بقول أحدهم كان في سعةٍ».

وفيها قال القاسم بن محمد عن القراءة خلف الإمام فيما لم يجهر فيه قال: «**إن قرأت فلك في رجال من أصحاب رسول اللَّه** ﷺ أسوة، وإذا لم تقرأ فلك في رجال من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أسوة».

وفيها قال يحيى بن سعيد: «ما برح أولو الفتوى يفتون فيحل هذا ويحرم هذا، فلا يرى المحل أن المحرم هلك لتحريمه، ولا يرى المحرم أن المحل هلك لتحليله».

وفيها قال سفيان الثوري: «إذا رأيت الرجل يعمل بعمل قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه»[١].

ولذا عقَّب ابن عبد البر عند ذكره لبعض هذه الآثار مسندة: «هذا فيما كان طريقه الاجتهاد»[٢]، وهي التي يقول فيها أهل العلم: «ولا إنكار في مسائل الاجتهاد»[٣].

- **سبب اختيار الباحث للمصطلح:**

الاصطلاح على المسائل التي لا إنكار فيها بالمسائل الاجتهادية أوجبه ضرورة التوقف عند ظاهر النص ما لم تكن هناك ضرورةٌ لتأويله فتسمى المسألة خلافيةً حال بروز الخلاف فيها ولو لم يكن الخلاف فيها سائغاً، فقد يكون ضعيفاً.

---

(١) حلية الأولياء٦/ ٣٦٨، التمهيد٩/ ٢٢٩ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله٢/ ٣٠٢ .

(٣) انظر مثلًا: كشف القناع١/ ٤٧٩، منار السبيل١/ ١٢٥.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما المسائل الاجتهادية فسبب التسمية هو تسويغ الاجتهاد في فهم النص أو النصوص الواردة فيها لعدم غلبة ترجيح أحدها غلبةً ظاهرة، فيجتهد العقل وفق الضوابط المعلومة في ترجيح قولٍ من الأقوال الواردة فيها، بخلاف الخلافية غير الاجتهادية فإن النص فيها ظاهرٌ فيتوقف عنده، وإن خالف البعض فيها لسببٍ أو لآخر.

وعلى هذا: فكل مسألة اجتهادية هي خلافية، ولكن ليس كل مسألة خلافية هي مسألة اجتهادية[١].

ولم يشترط أهل العلم للتفريق بين المسائل الاجتهادية والمسائل الخلافية

---

(١) وهذا مجرد اصطلاح اتبع فيه الباحث ما ظهر من عبارات الأئمة السابقين، ثم من حقق أقوالهم؛ إذ المراد من الاجتهاد هنا هو بذل الوسع في معرفة مراد الشارع في النازلة المعينة فيما ليس فيه نصٌ، أو إجماعٌ، أو قياسٌ جلي، أو فيما فيه عارضٌ من العوارض المذكورة أعلاه، والمراد بالخلافية ما دخله الخلاف حتى لو كان فيه نصٌ أو ادعي فيه إجماعٌ أو قياسٌ جلي، وهذا هو استعمال الفقهاء والعامة، وقد يقول بعض أولي العلم الأولى أن يُقال: «كل مسألة دخلها الاجتهاد فهي اجتهادية، فإن أُورث الاجتهاد خلافاً فهي خلافية، وإن أورث إجماعاً فهي مجمعٌ عليها، وعلى هذا فكل مسألة خلافية فهي اجتهادية، ولا عكس» وهذا له وجاهته والأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحاً، ومن ثم فلا يرى الباحث مبرراً لمن يرفض التعبير عن هذه القاعدة بـ(لا إنكار في مسائل الخلاف)؛ إذ قد عبر بذلك بعض العلماء كما سبق، وهو مجرد اصطلاح، وإن اختار الباحث تعبير (الاجتهاد) بدلًا من الخلاف كما هو ظاهر، على أن منشأ الاصطلاح المختار هنا عائد إلى أن من اختار عموم الخلافية نظر إلى الواقع (وهو شمول الخلاف لما فيه نصٌ صريح) مع حرمة التقدم بين يدي الله ورسوله، فلا اجتهاد مع النص، ،عن قال في المسألة قائل فصارت في واقعها خلافية، وبدونه يسوغ الاجتهاد .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

أن تكون المعرفة بكون المنكر منكراً معرفةً قطعية، بل قد يكون في اعتبار كونه منكراً خلافٌ، ولكنه خلافٌ ضعيف.

وردَّ المحققون على من أبى إلا أن تكون المعرفة بكون المنكر منكراً قطعية، ومن ذلك قول الشوكاني: «وأما قول الجلال[١] ها هنا إلى المنكر هو ما كان دليله قطعياً بحيث لا خلاف فيه فمن ساقط الكلام وزائفه؛ فإن إنكار المنكر لو كان مقيداً بهذا القيد لبطل هذا الباب وانسد بالمرة، وفعل من شاء ما شاء؛ إذ لا محرم من محرمات الشريعة في الغالب إلا وفيه قولٌ لقائل، أو شبهةٌ من الشبه، وسيأتي في هذا الكتاب[٢] في السير أنه لا إنكار في مختلَفٍ فيه، وهو أيضاً باطل من القول، وإن كان أقل مفسدة من هذا الكلام»[٣].

على أنه ينبغي التنبيه إلى أن إيجاد ضابطٍ مانعٍ جامعٍ يحجز بين الأنواع المختلفة لمسائل الاجتهاد ودرجات بيان الحجة العلمية ومتى ترتفع حدة الإنكار والتثريب فيها أمرٌ عسير الضبط[٤]، لكن المشترك فيها عدم التغيير باليد، وعدم التجريح والرمي بالبدعة أو الفسق أو النفاق أو نحو ذلك، ومثل هذا يُحتَرَزُ منه جداً لشيوع تساهل البعض فيه خاصة وقد قال النبي ﷺ: «**ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله**»[٥]، كما قال: «**لا**

(١) يشير إلى الإمام الحسن الجلال في كتابه (ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار).

(٢) يعني كتاب الأزهار في فقه الهادوية، والسيل الجرار حاشية عليه.

(٣) السيل الجرار٣/ ٨١.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٢٤/ ١٧٣.

(٥) البخاري٥/ ٢٢٦٤.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يرمي رجلٌ رجلًا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»[١].

- **أسباب وضع هذه القاعدة «لا إنكار في مسائل الاجتهاد»:**

بقي أن يُشار إلى أن الأئمة الذين وضعوا هذه القاعدة لم يقصدوا بها أن تكون على إطلاقها لتصادر النصوص الصحيحة الصريحة بمجرد وجود خلاف قطعاً، بل حَمَلَهم على وضعها - فيما يظهر - ما يلي:

١- **الحجز بين المتنازعين من مقلدة المذاهب**: وفي الواقع المعاصر يبرز مكانهم مقلدو الحركات والأحزاب الإسلامية، أو أتباع الاتجاهات الإسلامية المعاصرة.

٢- **تخفيف وطأة الخلاف بين العلماء**: فيما فيه سعة من مسائل الاجتهاد التي مضى تقريرها آنفاً خوفاً من أن يختلفوا ظاهراً فيخالف اللَّه بين قلوبهم باطناً، «ولا شك أن الخلاف الفقهي في ذاته لا ينتهض لإحداث الفرقة، وإنما تتسبب الفرقة عن ضيق الصدور، واستحكام الهوى، والتعصب للرأي»[٢].

٣- **الحث على الاجتهاد في النوازل والمسائل الخلافية على أوسع نطاق بين المتأهلين للوصول إلى هدى اللَّه في الواقعة المعينة**: وهذا هو الذي جعل أبا حنيفة يقول في المسائل الاجتهادية: «**قولنا هذا رأيٌ، وهو أحسن ما**

---

(١) البخاري٥/ ٢٢٤٧ .

(٢) مراعاة الخلاف ص٣٤ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا، فهو أولى بالصواب منا»[١].

ومما يدل على أن أبا حنيفة أراد بقوله هنا «**المسائل الاجتهادية**» لا غيرها: - الجمع بين قوله هذا وبين فعله العملي، حيث روى الخطيب البغدادي عنه في الموضع ذاته أنه خطَّأ ابن أبي ليلى في إقامته حد القذف على مجنونة، وخَطَّأ الحسن في مسألة أفتى فيها، ونقلها بعض من كان عند أبي حنيفة لورود النص الحاجز لأن تعد المسألة اجتهادية.

وتقدم في هذا المبحث عدم رجوعه في مسألة أنكرها عليه الأوزاعي لورود النص.

وجمع بيان الأمرين الإمام أحمد في قوله: «رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار»[٢].

٤) **التذكير بوجود اختلاف التنوع**: وفيه يتم الجمع بين الأقوال التي تعتمد على جانبٍ واحدٍ عند النظر إلى أدلة المسألة الواحدة، وهو ما يُسمى اختلاف «**الوهم**»، وقريب منه «**اختلاف الضبط**»، و«**اختلاف السهو والنسيان**»[٣].

ويدرجه المعاصرون في اختلاف التنوع ومن أمثلته ما جاء عن سعيد بن جبير قال: «قلت لعبد اللّٰه بن عباس: يا أبا العباس! عجبت لاختلاف

---

(١) تاريخ بغداد١٣/ ٣٥٢.

(٢) إيقاظ الهمم ص٢١ .

(٣) انظر تفصيل ذلك في: حجة الله البالغة١/ ٤١١ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أصحاب رسول اللَّه ﷺ في إهلال رسول اللَّه ﷺ حين أوجب، فقال: إني لأعلم الناس بذلك، إنها إنما كانت من رسول اللَّه ﷺ حجةٌ واحدة، فمن هناك اختلفوا؛ خرج رسول اللَّه ﷺ حاجاً، فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه أوجب في مجلسه، فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه **فسمع ذلك منه أقوام فحفظته عنه**، ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهل وأدرك ذلك منه أقوام - **وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالًا** - فسمعوه حين استقلت به ناقته يهلُّ، فقالوا: إنما أهل رسول اللَّه ﷺ حين استقلت به ناقته، ثم مضى رسول اللَّه ﷺ فلما عَلَا على شرف البيداء أهلَّ **وأدركَ ذلك منه أقوام**، فقالوا: إنما أهلَّ حين عَلَا على شرف البيداء. وأيمُ الله؛ لقد أوجب في مصلاه، وأهل حين استقلت به ناقته، وأهل حين علا على شرف البيداء»[(١)].

وهذا النوع كثيرٌ في الشريعة الإسلامية ومن أمثلته في الأحكام الشرعية بل في الأصول الدينية المرعية: اختلاف وجوه القراءات وقد كان الصحابة ينكرون على بعضهم أشد الإنكار عندما يسمعون قراءة غير قراءتهم، ولكن النبي ﷺ لما بيَّن لهم أن ذلك يسرٌ من الله، ومزيد فضيلة للأمة؛ انتهوا عن الاختلاف، ومثله عدد تكبيرات الجنائز، وعدد ركعات صلاة الوتر، وعدد ركعات سنة الظهر، وأدعية الاستفتاح «التوجه»، وعدد تسليمات صلاة الجنازة.

ومن المفارقات:- أن كثيراً من مسائل اختلاف التنوع قد شُرِعَ فيها الوجهان، أو الوجوه المذكورة، ولكنك «تجد لكثيرٍ من الأمة في ذلك

(١) سنن أبي داود ٢/ ١٥٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها، ونحو ذلك، وهذا عين المحرم، وكذا تجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر والنهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ»[1].

لعل هذه بعض أسباب وضع هذه القاعدة، ولم يقصد الفقهاء من وضعها أن تعود القاعدة الفقهية على أصلها وهو النص وما تبعه بالإلغاء والإبطال.

* * *

(١) شرح الطحاوية ص٥٨١ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث الثاني

التفريق بين وجهة النظر الشخصية، والالتزام بالشرع حال ظهوره

ربما اعترض معترض:- بأنه لا خلاف في الرجوع إلى النص عند التنازع، ولا خلاف في جعله معياراً للإنكار والتذكير، ولا يعقل أن تُجْعل نصوص الأئمة مقابل النص المعصوم، ولكن القاعدة السابقة التي تجعل معيار الإنكار هو مذهب المحتَسَب عليه ما وضعها الفقهاء إلا لأنهم أيقنوا أن اختلاف الأئمة إنما كان في دلالة النص، وكلٌ له قرائنه في نصرة فهمه للنص المعصوم سواءً فهم أن النص الذي يُرجع إليه يجب تأويله، أو أنه خاص، أو عام، أو مطلق، أو مقيد، أو منسوخ، وكلٌ من المذاهب ينصر رأيه، ويعتقد أنه الحق، ولسان حال كلٍّ: «**ليس فهمك للنص بأولى من فهمي للنص**»، ولذا وُضِعَتْ هذه القاعدة؟.

وبتعبير آخر قد يقال: لا خلاف في الأخذ بالنص، بل عندما تَدَّعي أن النص «**الشرع**» معك في مسألة معينة اختلفنا فيها ندعي - نحن- أن النص معنا فيها، فما تقول بأنه حرامٌ لدليلٍ نقول هو حلالٌ لدليلٍ، فضابط أن يكون معيار التذكير بالإنكار هو النص لا خلاف عليه لكنه غير ضابطٍ لاختلاف الأنظار فيه.

هذه الشبهة العظيمة قد صارت شنشنةً عصرية يردِّدها غير المتخصصين، وأحياناً يرددها خصوم الشريعة، ووقع فيها بعض المتخصصين، ولذا باتت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يرددها أعمدة بعض الصحف الليبرالية عند مناقشة أي قضيةٍ من زاويةٍ إسلامية، وصار سلاح «**هذا فهمك للنص، ووجهة نظرك فيه فلا تفرضها على غيرك**» سلاحاً فعالًا عند العلمانيين تلقفه بعض الإسلاميين تحت وطأة الانهزام النفسي، والضغط الهائل على أمة الإسلام من كل جهة.

وقد كانت نتيجة ذلك في العصور المتأخرة للدولة الإسلامية قبل حل الخلافة العثمانية:- أن يكون لكل مذهبٍ قاضياً في المدينة الواحدة، وقد يتطور الأمر إلى أن يكون لكل مذهبٍ إماماً في الصلاة!(١).

وأما بلاط الحكم أي مقر الحكم المملوكي، أو الخلافة العثمانية فإنه يكون متمذهباً بمذهبٍ واحد.

ولكن النتيجة الخطرة لاستقرار هذا النوع من التعامل مع النص- إن نجح في العصر الحديث - أن يُرضى بالعلمانية بديلًا عن تحكيم الشريعة، وذلك لأن كل إنسانٍ - بحسب هذه الشبهة - لا ينبغي له أن يفرض «رأيه الفقهي» على الآخر، فيصير الأمر فوضى، أو يُقبل بالمذاهب المختلفة، وفضاً للنزاع بين المذاهب «**الفهوم**» المختلفة فالمقترح المناسب لموضة العصر هو العلمانية التي تكفل لكل مذهبٍ «**فهمٍ**» حريته، وتبقى الدولة في منأى عن ذلك، وتختار لها الفهم المناسب لها.

أما في الواقع الحالي فإن مذهبية الاتجاهات الإسلامية المعاصرة قد بلغت من الاختلاف حداً كبيراً في فترة وجيزة عند مقارنتها بنشأة المذاهب

---

(١) فصارت الشريعة الواحدة بالمذاهب كشرائع متعددة متنافرة لا بالمعنى الذي أراده السيوطي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفقهية الإسلامية، وبداية التعصب فيها، وصار خصوم الإسلاميين يرون العلمانية الحل الأمثل للجمع بين هذه التيارات التي لم تجمعها مقاصد الدين، ونصوصه القطعية.

فهي شبهة ذات شِقَّين: هل كل مسألة خلافية يقبل فيها بكل الآراء لمجرد أنها خلافية، ويهدر النص لمجرد الاختلاف في دلالته، وفي مقابل ذلك فإن كثيراً من الناس يجعلون رأياً قيل في مسألةٍ اجتهادية أمراً قاطعاً تدور حوله الولاءات، وتقطع من أجله الصلات الشرعية القطعية، مع أن هذا الرأي يعبر عن صاحبه، ووجهة نظره في فهم المسألة والنظر في الفتوى الشرعية المناسبة لها من خلال النصوص والمقاصد العامة.

وأما الجواب على هذه الشبهة:- فيتمثل أساساً في أن الخلاف في بعض المسائل نشأ بسبب غياب النص من حافظة المجتهد، وهذه الشبهة مبنيةٌ على أن إمام المذهب ثم أتباعه من بعده قد أحاطوا بالنصوص علماً، بحيث تبقى المشكلة فقط في دلالة النص!.

وهذا خلاف نصوص أئمة المذاهب المتقدمة كما أنه لا يجرؤ أحدٌ على التصريح به، فإن الخطأ في الاجتهاد قد يعرض «**إما بخفاء بعض الأدلة حتى يتوهم فيه ما لم يقصد منه، وإما بعدم الإطلاع عليه جملة**»[(١)].

ولذا قال الشافعي منبهاً على هذا التقعيد النفسي الفاسد في النظر إلى أئمة المذاهب المتبوعة: «**ما من أحدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسول اللَّه** ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول، أو أصلت من أصل، فيه عن رسول اللَّه ﷺ

(١) الموافقات٤/ ١٦٩ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول اللَّه ﷺ، وهو قولي»[١].

فما الذي يجب عند ذلك ؟ لقد قَعَّد الإمام الشافعي القاعدة التي تجب إزاء ذلك، فقال: «**أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول اللَّه ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد**»[٢].

وقال ابن عابدين مبيناً علة إمكان أن تنسب بعض الاختيارات الشافعية للحنفية: «لأن ما صح فيه الخبر بلا معارض فهو مذهب للمجتهد، وإن لم ينصَّ عليه لما قدمناه في الخطبة عن الحافظ ابن عبد البر والعارف الشعراني عن كل من الأئمة الأربعة أنه قال: «**إذا صح الحديث فهو مذهبي**»»[٣].

ولذلك فقد صرح عددٌ من علماء المذاهب بظهور القول الصحيح بعد وفاة إمامٍ قال بقول غير صحيح لعدم علمه بالدليل.

ومن ذلك ما قاله الشعراني: «**فإن قلت**: فما أصنع بالأحاديث التي صحت بعد موت إمامي ولم يأخذ بها؟ **فالجواب** الذي ينبغي لك: أن تعمل بها، فإن إمامك لو ظفر بها وصحت عنده لربما كان أَمَرَكَ بِهَا، فإن الأئمة كلهم أسرى في يد الشريعة.

ومن فعل ذلك فقد حاز الخير بكلتا يدَيهِ، ومن قالَ: لا أعمل بحديث إلَّا إن أخذ به إمامي، فاتَهُ خيرٌ كثير كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب، وكان الأولى لهم العمل بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذاً

---

(١) إعلام الموقعين٢/ ٢٠٤ .

(٢) إعلام الموقعين٢/ ٢٨٢، إيقاظ الهمم ص٥٨ .

(٣) رد المحتار ١/ ٣٨٥ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لوصية الأئمة، فإن اعتقادنا فيهم أنهم لو عاشوا وظفروا بتلك الأحاديث التي صحت بعدهم لأخذوا بها، وعملوا بما فيها وتركوا كل قياس كانوا قاسوه، وكل قول كانوا قالوه»[١].

إن كثيراً من مسائل الفقه التي يحتاج إليها الناس وتعم بها البلوى، ويفتون بها هي ثابتةٌ بالنص أو الإجماع، وإنما وقع النزاع فيها لعدم وصول الدليل لا للتنازع في دلالته، والمراد أن الكثير من مسائل الفقه في الأمور الدينية المحضة، قد اختلف فيها لكن ظهر القول الراجح فيها بعد الاختلاف كما في النص على التعامل مع نازلة الطاعون اختلف فيها الصحابة من العشرة المبشرين والمهاجرين والأنصار ومعهم مسلمة الفتح رضي اللَّه عنهم، ثم استبان الراجح بما رواه لهم عبد الرحمن بن عوف.

على أن ميدان المسائل الاجتهادية ما زال بعد ذلك واسعاً جداً سواء كان في الأمور الدينية المحضة، أو الدنيوية المحضة، أو الدينية غير المحضة.

ومثال ذلك الصلاة: فإن أصل حكمها وأصل حكم تاركها بالكلية، وأصل أركانها التي تكون ماهيتها العامة، كل ذلك معلوم يدخل ضمن النص أو الإجماع، وفي كتب الفروع خلافات واسعة واجتهادات كبيرة في تفاصيل الصلاة بعد ذلك.

والمعتمد في الخلاف فيها عدم الإنكار بالتجريح والحط على المخالف بل بيان الحجج العلمية مع عدم ضيق كل من الطرفين نشر حجج الآخر بأمانة وحسن ظن عند مناقشتها.

---

(١) الميزان (١/ ١٤١).

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ومثال ما ظهر فيه القول الراجح مما ورد فيه الخلاف: «كون الحامل تعتد بوضع الحمل لا بأطول الأجلَين، وأن إصابة الزوج الثاني شرط في حلها للأول، وأن الغسل يجب بمجرد الإيلاج وإن لم ينزل، وأن ربا الفضل حرام، وأن المتعة حرام، وأن النبيذ المسكر حرام، وأن المسلم لا يقتل بكافر، وأن المسح على الخفين جائز حضراً وسفراً، وأن السنة في الركوع وضع اليدين على الركبتين دون التطبيق، وأن رفع اليدين عند الركوع والرفع منه سنة، وأن الشفعة ثابتة في الأرض والعقار، إلى أضعاف ذلك من المسائل.

وعلى كل حال فلا عذر عند اللَّه ﷻ يوم القيامة لمن بلغه ما في المسألة من هذا الباب وغيره من الأحاديث والآثار التي لا معارض لها إذا نبذها وراء ظهره، وقلد من نهاه عن تقليده، وقال له: لا يحل لك أن تقول بقولي إذا خالف السنة، وإذا صح الحديث فلا تعبأ بقولي، وحتى لو لم يقل له ذلك كان هذا هو الواجب عليه وجوباً لا فسحة له فيه، وحتى لو قال له خلاف ذلك لم يسعه إلا اتباع الحجة»[1].

ومن ثم فلا يصح أن تختلف الأنظار في المسائل التي جاء النص فيها صريحاً فلا يُتعدى عند ظهور صراحته، ويؤخذ بظاهره إلا إذا استثني ما يجب تأويله لسبب علمي منضبط، ويعضد بعمل السلف الصالح وذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] فكيف بمن تعداها؟.

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٩ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إلا أن وجهة النظر الشخصية تبرز بين المجتهدين في مسائل كثيرة مما تقدم تصنيفه ضمن إطار المسائل الاجتهادية، وليس في كل مسألة خلافية، وقد تقدم أنها غير ملزمة إلا لصاحبها، أو من ظهر له رجحان قوله أو اطمأن إلى تقليده.

واختلاف الآراء في المسائل الاجتهادية «**راجعٌ في الحقيقة إلى الوفاق، لاتفاق أطرافه على تحري مقصود الشارع، وهو واحد**»[(١)].

بين عصبيتين:

وفي الوقت الراهن فإن أمر العصبية العصرية قد سرى سرياناً غريباً إلى الأحزاب والاتجاهات الإسلامية المعاصرة حتى صار أصلًا من أصول الممارسات اليومية عندها، ونما في العقل الباطن لأفرادها، بل جزءاً من التركيبة النفسية لهم، وفاق العصبية العارضة التي كانت تعتري بعض أتباع المذاهب.

وتمثلت العصبية في أمرين:

الأمر الأول: الإصرار على تقديم وجهة النظر الشخصية في المسائل التي يوجد فيها نص، فيكون مأخذ القائل فيها ضعيفاً بعيداً لكنهم يصرون عليها كأنها نصٌ منزل، ثم يقمعون كل من يحاول النصح وبيان النص للعامة، ويمنعون كل من يبرز خطأهم في تلك المسألة، فتصبح وجهة النظر الشخصة هي الأصل وتُتَأول لها النصوص.

ويرحم اللَّه تعالى الإمام العز بن عبد السلام فقد اشتكى بمرارة من ظاهرة

(١) الثوابت والمتغيرات ص.٥

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العصبية المذهبية لمتبوع مع ضعف مأخذه قائلًا: «ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً ومع هذا يقلده فيه، ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جموداً على تقليد إمامه، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالًا عن مقلده.

وقد رأيناهم يجتمعون في المجالس، وما رأيت أحداً رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره بل يصير عليه مع علمه بضعفه وبعده، فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد إليه، ولم يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح .

فسبحان اللَّه ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكر، وفقنا اللَّه لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر، وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم في الأحكام ومسارعتهم إلى اتباع الحق إذا ظهر على لسان الخصم.

وقد نقل عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال : ما ناظرت أحدا إلا قلت: اللهم أجرِ الحقَّ على قلبه ولسانه، فإن كان الحقُّ معي اتبعنِي، وإن كان الحقُّ معَهُ اتبعتُه»[١] .

وإذا قارنا بين هذه الصورة المؤسفة التي رسم ملامحها العز بن عبد

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام٢/ ١٣٥ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

السلام وبين واقع العصبية التنظيمية المعاصرة في بعض الحركات والجماعات، نجد أن التعلل بالأعذار هي ذاتها عند محاولة المناقشة لما تصدره قيادات هذه الحركات من فعاليات فكرية أو عملية، وتقويمها والنقد لها.

الأمر الثاني: الإصرار على منع الآراء الأخرى في المسائل التي لا تعدو أن تكون اجتهادية، والرأي فيها مجرد رأي، وقد يُقدَر على أحسن منه، مع أن الأصل الإكثار من السماح بظهور الآراء المختلفة، وتنمية هذا الحس رغبة في الوصول إلى أحسن ما يمكن أن يُوصَل إليه.

- **التوسع في «الفهوم»:**

إن مسألة الفهم للنص، وكون فهم فلانٍ للنص ليس بأولى من فهم مقابله على ما جاء في الشبهة، فهذا صحيح في المسائل الاجتهادية مما سبق بيانه، ولكنه غير صحيح على إطلاقه أي غير صحيح أن يقال في كل مسألة خلافية؛ إذ قد يكون الفهم عملًا بالظاهر، والقرائن التي تحف به تقتضيه أو تنفيه، وقد يكون الفهم تأويلًا صحيحاً، وقد يكون تأويلًا فاسداً، وقد يكون الفهم تحريفاً للكلم عن مواضعه.

فهل كل فهمٍ يُقبل حتى يُقال ليس فهم فلانٍ بأولى من فهم الآخر؟.

إن للفهم ضوابطه التي يقبل بها، وموازينه التي يوزن بها، فهو ليس مرسلًا على عواهنه.

وتكمن المشكلة في أن النزاع لو رُدَّ إلى المذاهب «**الفهوم**» لآلَ ذلك إلى أن يكون الدين بالهوى والتشهي فيختار كلٌّ ما هو أسهل له في الخلاف؛ إذ

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

يعتبره فهماً للنص، فلا مناص من الرجوع إلى النص معياراً للتذكير والإنكار فهو السبيل للخروج من الهوى وفق الضوابط المعلومة.

وقد جعل الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك في مسائل الخلاف «**ضابطاً قرآنياً ينفى اتباع الهوى جملة وهو قوله تعالى**: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٨].

وهذا المقلد قد تنازع في مسألته مجتهدان فوجب ردها إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ والرسول ﷺ والمراد الرجوع إلى الأدلة الشرعية من كتابٍ وسنةٍ صحيحة، وهو أبعد من متابعة الهوى والشهوة فاختياره أحد المذهبين بالهوى والشهوة مضاد للرجوع إلى اللَّه والرسول، وهذه الآية نزلت على سبب فيمن اتبع هواه بالرجوع إلى حكم الطاغوت ولذلك أعقبها بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ٥٩] الآية»[١].

لذلك فإن ظاهر النص، أو تأويله الصحيح لا يصادَر بهذه المقولة العابرة «**هذا فهمك للنص**» لأن المسائل الشرعية التي يُخْتلَف عليها يجب سلوك السبيل العلمي المنهجي القويم لفهمها، الذي يتمثل في:

١) النظر في النص ثبوتاً ودلالة وفق قواعد الأصول وضوابط الفقه.

٢) ثم في الفهم النبوي له.

٣) ثم في التطبيق النبوي لمدلوله.

٤) ثم في بيان الصحابة رضي اللَّه عنهم له، وعملهم الذي يوضح فهمهم

(١) الموافقات ٤/ ١٣٤ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

له «**في ضوء أصول الشريعة**»[١].

٥) الرجوع في كل شأنٍ علمي إلى مكان الاختصاص فيه، فإن كان الاختلاف في التفسير فيرجع إلى المفسرين، وإن كان في الحديث رُجع إلى المحدثين، وإن كان في اللغة رجع إلى أولي العلم بها، وإن كان في الفقه رُجِع إلى الفقهاء، لأن كلّاً منهم في اختصاصه يكون من أهل الذكر الوارد ذكرهم في سورة النحل.

٦) أن يكون المستنبط من أهل الاجتهاد، أو ممن يحق له البحث في تلك المسألة «**الاجتهاد الجزئي**»، وقد امتلك أدواتها.

٧) نبذ ما وقع فيه العلماء من زلات، وإن كان هذا لا يعد طعناً فيهم كما سبق، فلا يقبل فهمهم له، بمعنى أننا لا نقبل الفهم الذي تدل الدلائل على أنه زلة، مع بقاء مكانة القائل دون بخسٍ أو هضمٍ أو غلو.

٨) ويجب اصطحاب التفريق بين نوعي المسائل العامة: المسائل الاجتهادية التي لا تنكر على القائلين بقول اجتهادي فيها، والمسائل الخلافية كما سبق.

كل هذه الترتيبات العلمية تُضَيِّق هوة التوسع في فهم النص، وتضبطه.

---

(١) وأدلة ذلك مبسوطة في مواضعها كقوله ﷺ : «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»رواه الترمذي ٥/ ٢٦، وانظر: مجمع الزوائد١/ ١٥٦، ١/ ١٨٩، وانظر تفصيل تخريجه في صفة الغرباء لسلمان بن فهد العودة ص٢٨وما بعدها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن النماذج التي يمكن ذكرها بياناً لرد ما يخص كل فنٍ إلى أهله والمتخصصين فيه، ويظهر فيه أسلوب أهل العلم في المناظرات في المسائل الاجتهادية ما رواه محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: «حضرت مجلس المزني يوماً وسأله سائل من العراقيين عن شبه العمد فقال السائل: إن اللَّه تبارك وتعالى وصف القتل في كتابه صفتين عمداً وخطأ فلم قلتم: أنه على ثلاثة أصناف ولم قلتم: شبه العمد؟ فاحتج المزني بحديث: «**ألا إن قتيل الخطأ شبه العمد قتيل السوط والعصا، فيه مائة من الإبل، منها أربعون خلفة في بطونها أولادها**»، فقال له مناظِرُهُ: أتحتجُّ بعلي بن زيد بن جدعان؟ فسكت المزني. فقلت لمناظره: قد روى هذا غير علي بن زيد. فقال: ومن رواه غيره؟ قلت: رواه أيوب السختياني وخالد الحذاء. قال لي: فمن عقبة ابن أوس؟ فقلت: عقبة بن أوس رجل من أهل البصرة وقد رواه عنه محمد ابن سيرين مع جلالته. فقال للمزني: أنت تناظر أو هذا؟ فقال: إذا جاء الحديث فهو يناظر لأنه أعلم بالحديث مني، ثم أتكلم أنا[(١)].

- **من آداب الوصول إلى فهم النص:**

إن من آداب الوصول إلى هدى اللَّه ﷻ الحق من فهم النص: أن يُقدَّمَ النصُّ على الرأي الشخصي والقناعات المسبقة؛ إذ شأن القناعات المسبقة تأويل النص وفق الهوى.

وقد أشار ابن مسعود ﷺ إلى هذا بقوله: «**إنك في زَمَانٍ كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ قُرَّاؤُهُ، تُحْفَظُ فيه حُدُودُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيَّعُ حُرُوفُهُ، قَلِيلٌ من يَسْأَل، كَثِيرٌ**

(١) سنن البيهقي الكبرى٨/ ٤٤ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

من يعطي، يُطِيلُونَ فيه الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُونَ الْخُطْبَةَ، يُبَدُّونَ أَعْمَالَهُمْ قبل أَهْوَائِهِمْ، وَسَيَأْتِي على الناس زَمَان، قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ يحفظ فيه حُرُوفُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ كَثِيرٌ من يَسْأَلُ، قَلِيلٌ من يُعْطِي، يُطِيلُونَ فيه الْخُطْبَة، وَيَقْصُرُونَ الصَّلَاةَ، يُبَدُّونَ فيه أَهْوَاءَهُمْ قبل أَعْمَالِهِمْ»[١].

فالهوى الشخصي، أو الاستجابة لضغوط الواقع، ورغبات الفئات المختلفة، أو تكوين القناعات المسبقة قبل معرفة الهدى في النص يجعل سوء العمل مزيناً كأحسن العمل، وفرقٌ بين البينة والتزيين، وهو ما كان ينأى عنه السلف الصالح، إذ معنى: «**يبدُّون أهواءهم قبل أعمالهم**»، أيْ: يتبعون أهواءهم ويتركون العمل بالذي افترض عليهم[٢].

ولذا كان السلف يرجعون إلى النص عند وضوحه، فكم رجع عمر إلى قول أبي بكر، أو إلى قول علي، وكم رجع أبو هريرة إلى قول أمهات المؤمنين.

فالخلاف في المسائل الفقهية واقعٌ لا ريب فيه، ولكن لا بد في النظر إلى النص من حيث السبيل المنهجي، ومن حيث الأدب العلمي، ومن حيث المقاصد العليا للشريعة، إذ إن الاستدلال بالشريعة حتى على ما يظهر أنه ليس منها بديهة قائمة إن لم تراع الآداب السابقة، بل قد ظهر للعيان أنه لا يوجد أحدٌ من المجادلين في المسائل الشرعية إلا استند على ما جعله له دليلًا، وخالف فيه، فهل يقال في خلافه إنه مصيب؟ حتى قال الإمام

---

(١) الموطأ ١/ ١٧٣ .

(٢) انظر: تفسير القرطبي١/ ٤٣٧ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولذلك لا تجد فرقةً من الفرق الضالة، ولا أحداً من المختلفين في الأحكام يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة، بل قد رأينا من الفساق من يستدل على مسائل الفقه بأدلة ينسبها إلى الشريعة المنزهة، فهذا كله يوجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل»(١).

ولذا فعند وصول دفاع الحِجاجِ في المسألة الخلافية غير الاجتهادية إلى الحد الذي يدعي فيه كل من الطرفين بروز فهمه للنص المعصوم على الآخر يأتي فاصلًا بيناً قولُ النبي ﷺ: «استفت نفسك، استفت قلبك، يا وابصة! ثلاثا البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك»(٢).

* * *

(١) الموافقات٣/ ٧٦.

(٢) مسند أحمد ٤/ ٢٢٨، سنن الدارمي٢/ ٣٢٠.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المبحث الثالث

بين حجية الإجماع ورحمة الاختلاف

قد يستدل على عدم الإنكار على المختلَف فيه بما ذكروه من القول الشهير «**إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة**»[١].

وهي قاعدةٌ عظيمة تناقلها علماء الإسلام، كما قد يُستدل على ذلك بقول عمر بن عبد العزيز: «ما يسرني أن أصحاب رسول اللَّه ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قولٍ فخالفهم رجلٌ كان ضالًا، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا، ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة، وكذلك قال غيره من الأئمة ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه»[٢].

وتنطوي هذه القاعدة على جوانب من الإيجاب والسلب وفقاً لما نحن بصدده هنا، ومن ذلك:

١- هذه القاعدة كقاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» سواء بسواء تشتمل على معالم جليلة في الحياة الفقهية الإسلامية، غير أنها ليست على إطلاقها، وما قيل في تلك يُقال في هذه.

٢- المراد من كون الاختلاف رحمة، ومن قول عمر بن عبد العزيز رحمه اللَّه تعالى - إن صحَّ عنه - هو السعة في جواز أصل الاجتهاد، فكما

---

(١) ذكر هذه العبارة ابن قدامة في المغني١/ ١٧، ويظهر أن ابن تيمية نقلها كما في الفتاوى في عدة مواضع مثل: ٢٢/ ٢٥٢، ٣٠/ ...٨٠والذكر على سبيل الإقرار .

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٣٠/ ٨٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

حلَّ لهم الاجتهاد حتى اختلفوا حلَّ لمن بعدهم.

فالرحمة في جواز أصل الاجتهاد، وفيما أدى إليه اجتهادهم في المسائل الاجتهادية، لا فيما أدى إليه اجتهادهم في كل مسألة ورد فيها خلاف؛ إذ قد يظهر النص لقوم ويغيب عن آخرين.

ولا ينبغي لأحدٍ عنده قولان في مسألة خلافية -غير اجتهادية - أن يأخذ إلا بما يعضده الحَكَم الحق عند التنازع وهو النص قرآنياً كان أو نبوياً.

قال ابن حزم - رحمه اللَّه تعالى -: «وإذا صح الاختلاف بين الصحابة رضي اللَّه عنهم فلا يجوز أن يحرم على من بعدهم ما حل لهم من النظر، وأن يمنعوا من الاجتهاد الذي أداهم إلى الاختلاف في تلك المسألة إذا أدى إنساناً بعدهم دليل إلى ما أدى إليه دليل بعض الصحابة رضي اللَّه عنهم»[(١)].

وهذا صنيع ابن تيمية وهو الذي أكد على الرحمة في الاختلاف حيث كان يتوسع في المسائل الاجتهادية، وينكر في غيرها من الخلافيات على من خالف الدليل.

٣- بل من العلماء من أنكر أن يكون «**الاختلاف رحمة**» مطلقاً، ومنهم بعض من نُسِب إليه القول المذكور؛ فقد رد الإمام مالك وغيره على ذلك فيما ذكره الشاطبي في قوله: «وأما قول من قال: إن اختلافهم رحمة وسعة فقد روى ابن وهب عن مالك أنه قال: ليس في اختلاف أصحاب رسول اللَّه ﷺ سعة، وإنما الحق في واحد. قيل له: فمن يقول: إن كل مجتهد

---

(١) النبذة الكافية ص٢١ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مصيب. فقال: هذا لا يكون قولان مختلفان صوابين[١].

ولو سُلِّم صحة هذا القول فيحتمل أن يكون من جهة فتح باب الاجتهاد، أي أن المجتهد مصيبٌ بسلوكه طريق الاجتهاد، فهو حثٌ على الاجتهاد، وعدم الاتكال على الغير، وأن مسائل الخلاف قد جعل اللَّه سبحانه وتعالى فيها سعةً بتوسعة مجال الاجتهاد لا غير ذلك .

قال القاضي إسماعيل: «إنما التوسعة في اختلاف أصحاب رسول اللَّه ﷺ توسعةٌ في اجتهاد الرأي، فأما أن يكون توسعة أن يقول الإنسان بقول واحد منهم من غير أن يكون الحق عنده فيه فلا، ولكن اختلافهم يدل على أنهم اجتهدوا فاختلفوا»، قال ابن عبد البر: كلام إسماعيل هذا حسن جدا»[٢].

٤- ومن محامل الكلام السابق: أن المراد به مسائل الاجتهاد في العبادات المحضة أو غير المحضة مما لم يظهر الدليل فيها بوضوح، أو تجاذبته الأدلة ومقاصد الشريعة الشريفة، وهذا ما يدل عليه عمل من قعد القاعدتين الواردتين في أول هذا المبحث، وفي ذلك يقول أبو مزاحم الخاقاني جامعاً بين الأمرين:

وأخـذي بـاخـتـلافـهـم مـبـاحٌ ... لـتـوسـيـع الإلـه عـلى الأنـامِ
ولست مخالفاً إن صح لي عـ ... ـن رسول اللَّه قولٌ بالكلامِ[٣]

(١)هكذا! ولعل (صوابين) منصوبة بفعل مقدر، وتقدير الجملة: هذا لا يكون. لا يكون قولان مختلفان صوابين.

(٢) جامع بيان العلم وفضله٢/ ٣٠٤، ونقله صاحب الموافقات ٤/ ١٢٩ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله٢/ ٣٠٤ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

- **الاجتهاد من مقاصد الشريعة، وفي مسائله السعة الفكرية والاجتماعية:**

وما سبق يؤكد على حقيقة هامةٍ من حقائق الشريعة هي: - أن الاجتهاد من مقاصد الشريعة، وفي مسائله السعة.

وأما الاختلاف الذي يؤدي للتنازع فليس مقصوداً للشريعة، ولا هو من طبيعتها، فالشريعة «لا اختلاف فيها، وإنما جاءت حاكمةً بين المختلفين فيها، وفي غيرها من متعلقات الدين، فكان ذلك عندهم عاماً في الأصول والفروع حسبما اقتضته الظواهر المتضافرة والأدلة القاطعة، فلما جاءتهم مواضع الاشتباه وكلوا ما لم يتعلق به عملٌ إلى عالمه على مقتضى قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

و[لأن] الفِطَر والأنظار تختلف فوقع الاختلاف من هنا لا من جهة أنه من مقصود الشارع، فلو فرض أن الصحابة رضي اللَّه عنهم لم ينظروا في هذه المشتبهات الفرعية، ولم يتكلموا فيها وهم القدوة في فهم الشريعة، والجري على مقاصدها لم يكن لمن بعدهم أن يفتح ذلك الباب للأدلة الدالة على ذم الاختلاف»[(١)].

وقد أنكر الصحابة رضي اللَّه عنهم بعضهم على بعض في المسائل الاجتهادية من المسائل الخلافية، لكن الإنكار لم يتعد أن يكون باللسان.

وقد يتسع بهذا الأسلوب إلى نوعٍ من التشهير غير القادح في صحة الدين، ولا التارك لحسن الظن بالمسلمين، وهو ما صارت أمم الأرض تفاخر به إن وجد عندها، وتدرجه تحت إطار النقد، وتعتبره قيمة إنسانية

(١) الموافقات٤/ ١٣٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عليا، وحقاً من حقوق الإنسان في علاقته مع الآخر، دون أن يشق ذلك على الآخر أو يعتبره تهجماً، أو قدحاً في العرض أو الدين، وتقدم بعض ما يدل على ذلك.

ومما يدل عليه أيضاً: ما جاء عن عبد الرحمن بن يزيد قال: «**صلى بنا عثمان بن عفان** ﷺ بمنى أربع ركعات فقيل ذلك لعبد اللّه بن مسعود ﷺ فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول اللّه ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب ﷺ بمنى ركعتين، [ثم تفرقت بكم الطرق]، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان[(١)] لكن عبد اللّه صلى - بعد ذلك مع عثمان في موقف منى - أربعاً. فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعاً؟ قال: الخلاف شر[(٢)].

- **وتتجلى في موقف ابن مسعود ﷺ عدة آداب شرعية في كيفية التعامل مع المسائل الاجتهادية:**

* إنكاره على عثمان في مسألة اجتهادية إنكاراً تشهيرياً على الرغم من أن عثمان هو أمير المؤمنين فلم يقل: «حكم الحاكم ملزم»، ولا «المسألة اجتهادية»، ولا «لا ينبغي الإنكار خوفاً من الوقوع في التشهير»، ولم يقل: «**النصح يجب أن يكون سراً**».

* إنكاره عليه الإتمام مع أن المسألة اجتهادية عند الصحابة أنفسهم؛ فإن عائشة وعبد اللّه بن مسعود ذاته وعثمان يرون أن القصر رخصة، وأن الإتمام

(١) البخاري١/٣٦٨، مسلم١/ ٤٣٨ .

(٢) أبو داود٢/ ١٩٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مشروع، لكن ابن مسعود أنكر ترك السنة التي فعلها النبي ﷺ في منى، فهذا إنكارٌ لترك سنة لا لفعل محظور.

* لم يتعد الإنكار في هذه المسألة الاجتهادية هذا القدر، بل عاد ابن مسعود عمليّاً فتابع عثمان، وقال: الخلاف شر.

وهذا يوضح بجلاء أن الصحابة رضي اللَّه عنهم كانوا ينكرون على بعضهم، ويخطئون الاجتهاد، لم يقولوا: لا إنكار في مختلفٍ فيه، ولا قالوا: الخلاف رحمة واسعة، بل ابن مسعود يقول: الخلاف شر، ولا قالوا: كل محتهدٍ مصيب، بل خطَّأ بعضهم بعضاً في عددٍ من المسائل الفقهية (الفرعية)، ولم يجعلوا أحداً فوق النقد، ولكنهم لم يفسدوا الأخوة العامة، وواجباتها القطعية بمثل هذه المسألة، بل بعد أن يبين أحدهم حجته، ويُظْهِرَ خطأ الآخر يبقي يقره على اجتهاده بغض النظر عن مخالفته له في نتيجة هذا الاجتهاد «وقد اتفق الصحابة رضي اللَّه عنهم في مسائل تنازعوا فيها على إقرار كل فريقٍ للفريق الآخر على العمل باجتهادهم كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك»[١].

- **بيد أنه من المفارقات المؤلمة في الواقع الإسلامي المعاصر:- أن نشاهد صورتين طاغيتين:**

الأولى: قد ترى من يقوم بالنقد والتذكير الشرعي في مسألة فيها نص شرعي فإذا تمَّ التذكير به ثار المذكَّر على المذكِّر وأشهر في وجهه سلاحاً قاطعاً لكل تذكيرٍ ونصحٍ وحوارٍ هو سلاح «**المسألة خلافية**» و«**لا إنكار في**

---

(١) فتاوى ابن تيمية١٩/ ١٢٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مسائل الخلاف»، وقد تُصادَرُ بمثل ذلك النصوص المعصومة ابتداءً، ويُصادَر العمل بمقتضاها تبعاً كما قال الشوكاني -رحمه اللَّه تعالى-: «**وربما يقوم في وجهه**[١] **من يريد تقويم الباطل فيقول له: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد**»[٢]، فتصادر النصوص باسم أن الأفهام متغايرة، ولا بد من قبول الرأي الآخر .

الثانية: قد ترى من يقوم بالنقد والنصح والتذكير والإنكار بما يقتضيه الموقف، وبيان الأخطاء التي يجب أن تتوقى في عملٍ إسلامي أو فعل عام، أو اجتهاد خاطئ من قبل عالمٍ متبوع أو داعية مقلَّد، فيصادَر النصح، ويقمع التذكير، ويكبت الإنكار، ويُتَهمُ أصحابه بالجهالة والغرور والعمالة والفسق والفجور، والنفاق، إلى آخر المصطلحات القاتمة التي يعبث بها العابثون، فيتهمون الناقد بتوجيهها إليهم في حين يقومون بتسديدها له سهماً إثر سهم يقطعون أوصال الأخوة الإسلامية، ويقطعون أرحامهم.

ويظهر بعض هؤلاء ليدين اللَّه باقتفاء منهج السلف، وترك آثار من «**تلف!**»، ويظهر آخرون منهم ليخبروا المجتمع الإسلامي، والرأي العام الدولي أنهم أول المؤمنين بالحوار، والنابذين للصنمية الشخصية، وأفعالهم تبدي لنا غير ذلك، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

❊ ❊ ❊

---

(١) يعني من يُذَكِّرُ بالنصوص .

(٢) السيل الجرار٣/ ٢١٨ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث الرابع

من معالم استيعاب الاختلاف في التقعيد الفقهي

الناظر في الفقه الإسلامي يلحظ مدى حفاوة أهل العلم بتقعيد قواعد متعددة لاستيعاب الخلاف استقاء من مقاصد الشريعة، ومن أهم هذه القواعد: قاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» التي حاولنا مناقشتها ووضعها في مواضعها الحقة عند الاستشهاد بها فيما مضى.

ومن القواعد الهامة التي وُضِعَتْ لاحتواء الخلاف خوفاً من أن يؤدي إلى التنازع، ولتكوين النفسية التي تقبل بوجوده وطبيعيته، بل وأهميته أحياناً قاعدتان أخريان تذكران أحياناً في أصول الفقه وأحياناً في القواعد الفقهية وهما: «**كل مجتهد مصيب**»، و«**استحباب الخروج من الخلاف**».

- **أولًا: قاعدة «كل مجتهدٍ مصيب»**[١]:

قال الإمام النووي - رحمه اللَّه تعالى -: «إنما ينكرون ما أجمع عليه أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأنه على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد والمخطئ غير متعين لنا والإثم مرفوع عنه»[٢].

---

(١) انظر في هذه القاعدة: اللمع في أصول الفقه ص١٣٠، البرهان٢/ ٨٦٠، إرشاد الفحول ص٤٣٦، التبصرة ص٤٩٨ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم٢/ ٢٣، وانظر: قواعد الفقه١/ ٥١١ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقال غيره: «ولا إنكار في مسائل الاجتهاد على من اجتهد فيها، وقلد مجتهداً، لأن المجتهد إما مصيب أو كالمصيب في حط الإثم عنه وحصول الثواب له»[١].

والمقصد الأرشد والأسمى في وضع هذه القاعدة أمران:

الأول: هو الحفاظ على وحدة المسلمين، والنظر إلى أن مبدأ الأخوة الإسلامية مبدأ قطعي بخلاف المسائل الفقهية الفرعية التي ينتمي كثير منها إلى دائرة الظنيات.

والثاني: الحث على الاجتهاد لمن يملك أدواته في محاولة الوصول إلى هدى اللَّه في الوقائع النازلة.

وقد غلا بعضهم في هذه القاعدة فزعم أنها تشمل المسلمين وغيرهم ممن عرف الإسلام وسمع به، وقامت حجته عليه[٢].

غير أن هذه القاعدة فيها نزاعٌ في أصلها، وقد اختلفت فيها أقوال الأصوليين حتى تشعبوا، ولكنهم كما قال الشوكاني: «لم يأتوا بما يشفي طالب الحق»[٣]، لذلك انتهى الشوكاني أن الدليل البين الذي يرفع النزاع «ويوضح الحق إيضاحاً لا يبقى بعده ريب لمرتاب، هو الحديث الثابت في الصحيح من طرق: «**أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وان اجتهد**

(١) كشف القناع١/ ٤٧٩ .

(٢) انظر مثلًا: روضة الناظر١/ ٣٦٢، الإبهاج٣/ ٢٦٠ .

(٣) إرشاد الفحول ص ٤٣٧، ومثله كلام صاحب التبصرة ص٥٠٥، وانظر تفصيلًا جامعاً فيها: مجموع فتاوى ابن تيمية١٩/ ٢٠٣ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

فأخطأ فله أجر» فهذا الحديث يفيدك أن الحق واحد، وأن بعض المجتهدين يوافقه فيقال له مصيب ويستحق أجرين، وبعض المجتهدين يخالفه ويقال له مخطئ واستحقاقه الأجر لا يستلزم كونه مصيباً، واسم الخطأ عليه لا يستلزم أن لا يكون له أجر»[١].

وقد كان الصحابة رضي اللَّه عنهم يُخَطِّئ بعضهم بعضاً في الاجتهادات حتى في المسائل الاجتهادية كما تقدم.

وكما «روي أن عليا رضي الله عنه وابن مسعود وزيداً خطَّؤوا ابن عباس في ترك القول بالعول حتى قال ابن عباس: «**من شاء باهلتُه، إن الذي أحصى رمل عالج عددا لم يجعل في مال واحد نصفا ونصفا وثلثا، قد ذهب النصفان بالمال فأين موضع الثلث؟**».

وروي عن ابن عباس أنه قال: «**ألا لا يتقي اللَّه زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا ولا يجعل أب الأب أبا**».

وهذا إجماعٌ ظاهرٌ على تخطئة بعضهم بعضاً في مسائل الاجتهاد، فدل على أن الحق من هذه الأقوال في واحد وما سواه باطل»[٢].

بل «كان ينكر بعضهم على بعض أقاويلهم في مسائل الاجتهاد إنكار من يجوز أنه من أهل النار، وإن كان غفرانه في الجملة مقطوع»[٣]، بل ثبوت أجره على الاجتهاد أمر بَدَهِي في الشريعة الإسلامية.

---

(١) إرشاد الفحول ص ٤٣٧، ومثله كلام صاحب التبصرة ص٥٠٥، وانظر: أضواء البيان ٢/ ١٧٤.

(٢) التبصرة ص٥٠١.

(٣) المعتمد ٢/ ٣٩٢.

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

لذلك يمكن القول: إن المراد بهذه القاعدة - حالَ التَّسليمِ بِهَا - هو أن الاجتهاد صواب في ذاته لا في نتيجته، وقد يكون المراد صواب الاجتهاد في المسائل الاجتهادية التي لكلٍ فيها حظٌ من النظر لا في المسائل الخلافية.

ولذا قال الزركشي: «الإنكار من المنكر إنما يكون فيما اجتمع عليه فأما المختلف فيه فلا إنكار فيه؛ لأن كل مجتهد مصيبٌ أو المصيب واحد ولا نعلمه، ولم يزل الخلاف بين السلف في الفروع ولا ينكر أحد على غيره مجتهداً[١] فيه وإنما ينكرون ما خالف نصا أو إجماعا قطعيا أو قياسا جليا»[٢].

فهذا الذي قرره الزركشي هو مدار البحث وهو متفق عليه لا يخالف فيه أحد، إنما يتفرقون في التعبير والتفصيل بعد ذلك، ولكن المحاكمة تكون إلى هذا الأصل.

- **ذكر أمثلة مثل بها من ذكر هذه القاعدة، ومناقشتها:**

ممَّا مثَّل بِهِ أنصار هذه القاعدة بإطلاقها: ركوعُ العامي وسجوده الذي لا يطمئن فيهما؛ أيْ: صلاته كنقر الغراب، قالوا: هذا الفعل يوافق قول أبي حنيفة ومن تبعه، فلا يُنْكَر عليه لأنه ظني، ولا إنكار في الظنيات؛ إذ المقلد

---

(١) لاحظ أن عدم الإنكار في المسائل الاجتهادية إنما هو على الاجتهاد في ذاته لمن تأهل له، وأما نتيجة الاجتهاد فقد أنكر الصحابة بعضهم على بعض، والفقهاء بعضهم على بعض إنكاراً لم يتعد اللسان، وهذه كتب (الفروع) زاخرة بذلك، وهي تمثل صورة راقية تدل على مدى استيعاب الفئات الفقهية المختلفة للخلاف، وعدم خرم الأخوة الإسلامية بذلك.

(٢) المنثور ٢/ ١٤٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

والمجتهد فيه مصيبان[١].

وهذا من التمثيل الذي يوضح الخلل البين لإطلاق هذه القاعدة على عواهنها دون تقييد؛ فإن النبي ﷺ قد أنكر على المسيء صلاته عدم اطمئنانه، وأمره بإعادة الصلاة مرتين. **أفيُتْرَكُ الإنكار عليه لقولٍ قيل بعده ربما لم يبلغ صاحبه الحديث أو لم يصح عنده؟**.

فعن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على رسول اللَّه ﷺ فرد رسول اللَّه ﷺ السلام. قال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**»، فرجع الرجل فصلى كما كان صلى، ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وعليك السلام**»، ثم قال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**»، حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا، علمني. قال: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**»[٢].

فاشتمل الحديث على النكير على هذا الرجل بتخفيفه صلاته، وأئمة الحديث يذكرونه في باب الاطمئنان كأنها وقعت الإساءة منه فيه، ونفى ﷺ عنه الصلاة نفياً مطلقاً بقوله: «**فإنك لم تصل**»، فإن كان هذا منكراً في

---

(١) انظر: رسالة (نهاية التحرير في رد قولهم ليس في مختلفٍ فيه نكير) لابن الأمير الصنعاني مخطوط ضمن مجموع لرسائل ابن الأمير ص٤٦٩ .

(٢) البخاري١/ ٢٦٣، مسلم ١/ ٢٩٨ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عصره، ونهى عنه فما الذي صيره معروفاً بعد وفاته حتى يقال لا نكر[١] ؟ .

والصحابة رضي اللَّه عنهم كما سبق لم يعرفوا هذه القاعدة إلا وفق هذا الفهم: الصواب في أصل الاجتهاد لمن كانت فيه شروطه، لا لما يؤدي إليه الاجتهاد.

ونزيد هنا أمثلة أُخر فعن الحسن قال: «**أرسل عمر بن الخطاب إلى امرأة مغيبة كان يُدْخل عليها، فأنكر ذلك فأرسل إليها فقيل لها: أجيبي عمر، فقالت: يا ويلها! ما لها ولعمر؟ قال: فبينا هي في الطريق فزعت فضربها الطلق، فدخلت داراً، فألقت ولدها فصاح الصبي صيحتين ثم مات، فاستشار عمر أصحاب النبي** ﷺ، وفي لفظ للبيهقي: المهاجرين، فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شيء إنما أنت والٍ ومؤدب، قال: وصمت عليٌّ، فأقبل عليه، فقال: ما تقول؟ قال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم، وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك، أرى أن ديته عليك، فإنك أنت أفزعتها، وألقت ولدها في سببك. قال فأمر علياً أن يقسم عقله على قريش[٢]، يعني يأخذ عقله من قريش لأنه خطأ.

فقد أنكر عليٌ على المهاجرين، لم يقل «**كل مجتهد مصيب**»، والتمس لهم عذراً في اجتهادهم مع خطئه، ولم يرَ أمير المؤمنين فوق النقد أو الإنكار عليه.

وكذلك أنكر علي على ابن عباس رضي اللَّه عنهم وقال له: «**إنك رجل**

(١) رسالة نهاية التحرير للأمير لصنعاني ص٤٦٩ .

(٢) مصنف عبد الرزاق٩/ ١٥٤، سنن البيهقي الكبرى٦/ ١٢٣ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

تائه»[١]، وابن عباس هو ابن عباس علماً وديناً وفقهاً.

وَتَقَدَّمَ أَنَّ علياً أقرَّه على إنكاره عليه تحريق المرتدين، «**لم يقل: أنا مجتهد لا نكير عليّ**»[٢]، ولم يجعل نفسه فوق النقد، ولا غضب وهو أمير المؤمنين، ولم يفسد ما حدث بينه وبين ابن عباس من إنكار كلٍ على الآخر حبال الأخوة، وعرى حقوقها وواجباتها.

وقد أشار ابن الأمير إلى خطورة الانسياق إلى الإطلاق في هذه القواعد الثلاث «لا إنكار في مسائل الاجتهاد»، «الإنكار في القطعي لا الظني»، «قد قال به قائل» فقال: «صارت سيفاً مسلولًا في يد المتمذهبين[٣] أغلقوا أبواب بابي الأوامر والنواهي، وألجموا بها أفواه الآمر والناهي، فتارةً يقولون له مسألة ظنية، وتارة يقولون مسألة خلافية، وتارة مسألة قد قال بها قائل، وصارت هذه الكلمات يناطحون بها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وهي قواعد مهدومة من الأساس، مخالفة للأدلة من الكتاب والسنة والقياس»[٤].

على أنه يمكن القول بأن الخلاف حول هذه القاعدة لفظي عند الجمع

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٢٧، مسند ابي عوانة ٥/ ٢٨ .

(٢) رسالة نهاية التحرير للأمير لصنعاني مخطوط ضمن مجموع رسائله ص٤٧٣ .

(٣) أقرب من يشبه أصحاب التقليد المذهبي في عصرنا أصحاب التقليد الحركي، والتقليد الحزبي .

(٤) رسالة نهاية التحرير للأمير لصنعاني مخطوط ضمن مجموع رسائله ص٤٧٣، ويُنتبه إلى أن الباحث قد فصل مسألة الاستشهاد بالقاعدة الأولى، وأنها لا ترد جملة، ولا تقبل على إطلاقها، وبين أن ذلك مراد من وضعها .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بين النواحي التنظيرية والتطبيقية للفقهاء القائلين بها لقيامهم بالإنكار على مخالفيهم في الاجتهاد في مسائل خلافية، وعند القول بأن المراد من أن كل مجتهد مصيب في أصل الاجتهاد، أو في رفع الإثم عنه وثبوت الأجر له، أو في الاجتهاد في مسألة اجتهادية محتملة. . .

وهذا كله يقود إلى أن المراد الأعظم من وضع هذه القاعدة الحث على الاجتهاد، واستكثار الآراء في المسألة للمتأهلين من أجل الوصول إلى الهدى الرباني أن يجتمع المسلمون حول عاصم الأخوة، وحقائقها القطعية كما قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسواء علينا أقلنا بالتخطئة أم قلنا بالتصويب . . . فرجع القولان إلى قولٍ واحدٍ بهذا الاعتبار، فإذا كان كذلك فهم في الحقيقة متفقون لا مختلفون، ومن **هنا يظهر وجه الموالاة والتحاب والتعاطف فيما بين المختلفين في مسائل الاجتهاد حتى لم يصيروا شيعاً ولا تفرقوا فرقاً**؛ لأنهم مجتمعون على طلب قصد الشارع، فاختلاف الطرق غير مؤثر، كما لا اختلاف بين المتعبدين لله بالعبادات المختلفة؛ كرجلٍ تقرُّبُه الصلاة، وآخر تقربه الصيام، وآخر تقربه الصدقة، إلى غير ذلك من العبادات، فهم متفقون في أصل التوجه لله المعبود، وإنِ اختلفوا في أصناف التوجه، فكذلك المجتهدون لما كان قصدهم إصابة مقصد الشارع صارت كلمتهم واحدةً، وقولهم واحداً»[(١)].

ثانياً: استحباب الخروج من الخلاف:

خوفاً من أن يؤدي الاختلاف إلى التنازع، ويطغى على حقوق الأخوة

---

(١) الموافقات٤/ ٢٢١ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الإسلامية؛ فإن أهل العلم قد وضعوا قاعدة أخرى تمثل تتميماً لقاعدة«**لا إنكار في مسائل الخلاف**»، وذلك بالنظر إلى النصوص القطعية التي تمنع التنازع بين المسلمين وتحرمه، واعتبار ذلك أحد المقاصد الهامة للشريعة الإسلامية، ولأن الاختلاف مهما كان مبرره هو بوابة التنازع، وهذه القاعدة هي «**لا إنكار في مسائل الخلاف**».

وقد صارت «**مراعاة الخلاف**» قاعدة فقهية معتمدة وعُرِّفت بأنها: «إعمال دليل [المخالف] في لازم مدلوله الذي أُعْمِلَ في نقيضه دليلٌ آخر»، أو يقال هي: «اعتبار خلاف الغير بالخروج منه عند قوة مأخذه بفعل ما اختلف فيه»[١].

- **ومن أمثلة ذلك:**

- أن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ اختار أن يكون الوتر ثلاث ركعات «**لأن جماعة من أهل العلم يقولون: الوتر ثلاث ركعات لا سلام فيها فأراد مالك إبقاء الصورة إذ لم يجز عنده اتصالها**»[٢].

- والشافعية يستحبون مسح الرأس كله في الوضوء مع أنهم لا يقولون بوجوب ذلك مراعاة لخلاف المالكية.

- وقال ابن قدامة في وقت صلاة الجمعة: «**فالأولى أن لا تصلى إلا بعد الزوال**»[٣] ليخرج من الخلاف، مع أن مذهب الحنابلة في وقتها أنه قبل

(١) انظر تفصيل ذلك في: مراعاة الخلاف بحث أصولي ص١٣ .

(٢) المنتقى شرح الموطأ١/ ٢٠٩ .

(٣) المغني٢/ ١٠٥ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزوال.

وقسم العز بن عبد السلام الخروج من الخلاف إلى أقسام:

القسم الأول: أن يكون الخلاف في التحريم والجواز، فالخروج من الاختلاف بالاجتناب أفضل.

القسم الثاني: أن يكون الخلاف في الاستحباب أو الإيجاب فالفعل أفضل؛ كقراءة البسملة في الفاتحة؛ فإنها مكروهة عند مالك، واجبة عند الشافعي.

وكذلك رفع اليدين في التكبيرات، فإن أبا حنيفة لا يراه من السنن، وكذلك مالك في أحد الروايتين عنه، وهو عند الشافعي سنة للاتفاق على صحة الأحاديث وكثرتها فيه.

والضابط في هذا:- أن مأخذ المخالفة إن كان في غاية الضعف والبعد من الصواب، فلا نظر إليه ولا التفات إليه إذا كان ما اعتمد عليه لا يصح نصه دليلًا شرعاً، ولا سيما إذا كان مأخذه مما ينقض الحكم بمثله، وإن كانت الأدلة في سائر الخلاف بحيث لا يبعد قول المخالف كل البعد فهذا مما يستحب الخروج من الخلاف فيه حذراً من كون الصواب مع الخصم، والشرع يحتاط لفعل الواجبات والمندوبات كما يحتاط لترك المحرمات والمكروهات[(١)].

ولكن الخلاف الذي يُراعى هنا هو ما كان في المسائل الاجتهادية لا في كل خلاف، أيْ: ما كان مأخذ المخالف فيما ذهب إليه قوياً بحيث لا يعد

---

(١) قواعد الأحكام١/ ٢١٥ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

هفوة أو شذوذاً، فإن ضعف وَنَأَى عن مأخذ الشرع؛ فهو معدودٌ في جملة الهفوات والسقطات، لا من الخلافيات المجتهدات، ومن هاهنا لم يراع خلاف أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرواية المنقولة عنه في بطلان الصلاة برفع اليدين، وكذلك إسقاطه الحد في القتل بالمثقل، واعتباره إياه شبهة تدرأ الحد، ومنه أيضاً ما نقل عن عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إباحة وطء الجواري بالعارية[(١)].

وإنما كان الحرص على الخروج من الخلاف لسببين: خوفاً من احتمال التورط في نقيض مقصود الشارع بفعل ما هو خلاف الأولى مطلقاً، وللحاجة الماسة للأمة الإسلامية إلى تقريب وجهات النظر بينها، عسى أن تجتمع كلمتها، وتتحد صفوفها كأنها بنيان مرصوص.

وللأهمية الشديدة لذلك اختلف أهل العلم: هل يجب رعي الخلاف من قبل المجتهد وفق التقسيم السابق، وقيل في ذلك:

ورعيُ خُلْفٍ كان طوراً يُعْمَلُ به، وعنه كان طوراً يعدلُ
وهل على مجتهدٍ: رعي الخلاف يجب أم لا؟ قد جرى فيه اختلاف[(٢)]

فإن اختلاف التنافي أو التضاد يؤدي إلى التنازع، بل إن اختلاف التنوع قد أدى إلى التنازع في صور قديمة ومعاصرة فكيف إذا كان اختلاف تنافٍ؟.

ومن المفاسد العظيمة التي يؤدي إليها مفسدتان:

أولاهما: ظلم النصوص بوضعها في غير موضعها، ومصادرة ما عند كل

---

(١) مراعاة الخلاف ص٧٣ .

(٢) مراعاة الخلاف ص(١٧).

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طرفٍ من حقٍّ وباطلٍ، وخطأٍ وصوابٍ، لمجرد أنه ينتمي فكرياً إلى اتجاه إسلامي آخر، ثم يعقب ذلك أن تختار بعض هذه الاتجاهات من المذاهب والأقوال ما تشتهيه ويوافق هواها لا ما يوافق هدى الرحمن، واللَّه تعالى يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] ويقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقد يزين هذا الخطأ الكبير بالاستدلال بقاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» أمام عامة أتباعهم، ثم يمارسون أقسى أنواع الإنكار في واقعهم العملي.

وثانيهما: ظلم كثير من الأمة أو أكثرهم بعضهم لبعض، وبغيهم عليهم، تارة بنهيهم عمل لم ينه اللَّه عنه، وبغضهم من لم يبغضهم الله، وتارة بترك ما أوجب اللَّه من حقوقهم وصلتهم، لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثرونه، حتى يؤثرون في الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات، وإسناد الوظائف[1]، وبذل المساعدات، وتيسير المعاملات من يكون فاقداً لأهلية ما أُسند إليه قوة وأمانة، ويحاربون القوي الأمين بغياً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق لمجرد الرغبة الشخصية في وجود شخص موافق لهم في كل صغير وكبير دون أدنى تقويمٍ أو نصح حقٍ، مكتفين بإلهاء أتباعهم بشيءٍ صوري من النصح والتذكير والإنكار.

(١) موقف الأمة من اختلاف الأئمة ص١٨٠ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المبحث الخامس

من أخلاق الصحابة رضي اللَّه عنهم والسلف في الإنكار

استوعب الصحابة رضي اللَّه عنهم فقه الاختلاف، فلم يفسد الخلاف بينهم المعالم الإسلامية القطعية، مثل: الأخوة الإسلامية بحقوقها من حبٍّ ومودةٍ ونصرةٍ وتعاون، فأعملوا في ذلك هذه القاعدة «**لا إنكار في مسائل الاجتهاد**» في موضعها فلم تمزق لهم وحدة، ولا شققت لهم أخوة.

ولم يتركوا النصح فيما بينهم والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، وَرَدَّ الخَطَأ، والتنبيه عليه عندما يظهر في اجتهاد أحدهم، ولم يجعلوا هذه القاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**» على إطلاقها تستعلي على النصوص، وعلى المحكمات الشرعية لمجرد ظهور خلاف فلان منهم فيها، مع التماس العذر له في خلافه من سهوٍ أو نسيانٍ أو عدم بلوغ دليل.

لقد تمَّت عملية تطبيعٍ تربوية للصحابة رضي اللَّه عنهم بشأن عدم التنافي بين الإنكار وبين بقاء عاصم الأخوة وحقوقها، وبقاء جلالة قدر كل من الطرفين عند الطرف الآخر، ومن ذلك ما رواه عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: «واللَّه ما أخذت سيوف اللَّه من عنق عدو اللَّه مأخذها»، قال فقال أبو بكر: «أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم»، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فأتاهم أبو بكر فقال يا أخوتاه أغضبتكم قالوا:

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لا! يغفر اللَّه لك يا أخي»[١].

لذلك فإن المتأمل في مواقف بعض الصحابة رضي اللَّه عنهم مما ورد في ثنايا هذا البحث وأقوالهم وعباراتهم التقويمية في الإنكار، بعضهم على بعض، أساليبهم الراقية في التعامل مع الخلاف، يخلص إلى ما يأتي مما يمكن تسميته «**آداب التذكير والإنكار في المسائل الاجتهادية**»:

١- قد يسمع المرء النص، ويعرفه، ولكنه لا يتقن حفظه، فيبين الآخر أن هذا هو عذره: وهذا كما قالت السيدة عائشة -رضي اللَّه عنها - في ابن عمر: «**رحم اللَّه أبا عبد الرحمن! سمع شيئاً فلم يحفظه**».

٢- قد يسمع المرء النص، ويعرفه، ولكنه لا يفهم كيفية الجمع بينه وبين نصٍ آخر إلا بهيئةٍ غير صحيحة، كما حاول ابن عمر الجمع بين أن تكون آخر صلاته من الليل وتراً، وبين حُبِّهِ التنفُّلَ إن قام من نومه، فيضيف إلى الوتر في أول الليل ركعة أخرى لتصبح شفعاً، فقالت السيدة عائشة رضي اللَّه عنها في الإنكار عليه: «**يرحم اللَّه أبا عبدالرحمن إنه ليلعب بوتره**».

٣- قد يسمع المرء النص فلا يورده على أصل ما سمعه إما لنسيان وإما لخطأ، وفي ذلك قالت السيدة عائشة في ابن عمر رضي اللَّه عنهم: «**غفر اللَّه لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ**».

٤- قد يسمع المرء النص ويعرفه، ولكنه يحفظ بعضه ويترك بعضه دون شعوره أو لطارئ حدث أثناء الحديث. تقول السيدة عائشة رضي اللَّه عنها: «**يرحم اللَّه أبا هريرة! حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره**».

---

(١) مسلم٤/ ١٩٤٧ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٥- قد يغفل المرء عن النص لعدم علمه به فيفتي على خلافه: وفي ذلك تقول السيدة عائشة رضي اللَّه عنها: «**يرحم اللَّه أبا هريرة لم يحفظ**».

وقد رجع أبو هريرة إلى فتواها لما بلغه النص.

٦- قد يذكر المرء النص دون أن يبين معناه فيقع السامع في حيرة لتعارض ظاهر ما سمع مع نصوص أخرى. تقول السيدة عائشة في ابن مسعود رضي اللَّه عنهم: «**يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن حدثكم بحديث لم تسألوه عن آخره**».

٧ - قد يستلزم الإنكار نوعاً من التذكير بأهم الحقائق الإسلامية، وهي التحاكم إلى اللَّه ورسوله ﷺ، وترك غيرهما ولو كان من أفضل الخلق.

وفي ذلك تثبيت لحقيقة الاستسلام لله وحكمه، لا لظن أن العالم يخالف قول اللَّه عمداً.

ومن ذلك قول ابن عمر رضي اللَّه عنهما منكراً على اجتهادٍ لأبيه: «**أرأيت إن كان أبي نهى عنها، وصنعها رسول اللَّه ﷺ؛ أأمرَ أبي نتَّبعُ أم أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأخذ ذلك ابنه سالم فقال في مسألة شبيهة: «فسنة رسول اللَّه ﷺ أحق أن نأخذ بها من قول عمر**».

ومثل ذلك قال في ابن عباس رضي اللَّه عنهما: «**فبقول رسول اللَّه أحق أن نأخذ أو بقول ابن عباسٍ إن كنت صادقاً**»؟.

٨- قد يكون العذر لمن أخطأ في الفتوى عدم تركيزه أثناء الإفتاء لعارض طارئ مما لا يخلو منه المرء أحياناً، كما قال ابن عمر في أنس بن مالك رضي اللَّه عنهم: «**يرحم اللَّه أنساً، وَهِلَ أنس**».

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٩- قد يكون سبب الخطأ في الفتوى زلل العالم، وذلك لا يخلو منه أحد، وفي ذلك يقول ابن عباس رضي اللَّه عنهما: «**ما قالها ابن مسعود، وإن يكن قالها فزلة من عالم**»، وهو هنا استبعد على ابن مسعود قولها، ثم استدرك أنه قد يحدث ذلك للطبيعة البشرية، فتكون زللًا ولا تؤثر على مقداره وجلالته.

- **الثناء على المجتهد والدعاء له قبل الإنكار عليه:**

فممَّا يلحظ في الروايات السابقة كلها:- تقديم الثناء على المجتهد في المسائل الفرعية، والدعاء له على بيان سبب خطئه وتصحيح ذلك الخطأ، ومن ذلك قول علي بن أبي طالب ﷺ في فتوى لابن مسعود ﷺ وقد خالف اجتهاده فيها: «**يرحم اللَّه ابن مسعود! إن كان لفقيهاً**»!.

وممَّا يصوِّرُ طبيعةَ التَّوادِّ بين أصحاب الرسول ﷺ في المسائل التي اختلفوا فيها:- ما وقع بين عائذ بن عمرو وأبي برزة رضي اللَّه عنهما فقد كان عائذ بن عمرو يلبس الخز[1]، ويركب الخيل، وكان أبو برزة لا يلبس الخز، ولا يركب الخيل، ويلبس ثوبين ممصرين، فأراد رجلٌ أن يشي بينهما فأتى عائذ بن عمرو فقال: ألم تر إلى أبي برزة يرغب عن لبسك وهيئتك ونحوك، لا يلبس الخز ولا يركب الخيل فقال عائذ: «**يرحم اللَّه أبا برزة! من فينا مثل أبي برزة**»، ثم أتى أبا برزة فقال: ألم تر إلى عائذ يرغب عن هيئتك

(١) في النهاية٢/ ٢٨: «الخزُّ المعروف أوّلا ثياب تُنْسَج من صُوف وإبْرَيسم وهي مُبَاحة، وقد لَبسها الصَّحابة والتَّابعون فيكون النَّهى عنها لأجْل التَّشبُّه بالعجم، وَزِيّ المُتْرَفِينَ، وإن أريد بالخَزِّ النَّوعُ الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام لأن جميعَه معمولٌ من الإبْرَيَسم وعليه يحمل الحديث الآخر قَومٌ يَسْتَحِلُّون الخَزّ والحرير».

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ونحوك، يركب الخيل ويلبس الخز فقال: **يرحم اللَّه عائذاً! ومن فينا مثل عائذ**[١].

وهذا الثناء على المخالف في مسألة معينة قبل بيان الصَّوابِ سمتٌ عند الأكابر والفضلاء في الأمة.

فعن شريح القاضي أنه أتاه رجل فقال: «**إني آليت من امرأتي فمضت أربعة أشهر قبل أن أفيء، فقال شريح**: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٢٧﴾ [البقرة: ٢٢٧] لم يزده عليها، فأتى مسروقاً فذكر ذلك له فقال: **يرحم اللَّه أبا أمية!** لو أنا قلنا مثل ما قال لم يُفَرِّجْ أحد عنه، وإنما أتاه ليفرج عنه ثم قال: هي تطليقة بائنة وأنت خاطب من الخطاب»[٢].

وهذا كقول اللَّه جل جلاله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، فقدم العفو على عتابه فيما فعل، وهذا يوضح لنا صورة الأدب الرفيع في التعامل مع الخطأ، وأن هذا الأدب لا يمنع من إنكار الخطأ مهما كان مقام العالم، وأن حدوث الاختلاف في الفتوى بين الأفاضل مع بقاء توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ووحدة صفهم مسألة بدهية في المجتمع المسلم يتقبلها العقل المسلم تلقائياً.

- **من أدب الشافعي في الخلاف:**

للإمام الشافعي في استيعاب واقعية الاختلاف في المسائل الاجتهادية مع بقاء الأخوة بحقوقها أدب ونهج مستمد من نبع النبوة، فقد اختلف الإمام

---

(١) الطبقات الكبرى ٤/ ٣٠٠.

(٢) الطبري ٢/ ٤٣٠.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الشافعي مع تلميذه يونس بن عبد الأعلى الصدفي، ولكن الصدفي تحدث عن الشافعي واستيعابه لفقه الخلاف فقال: «ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة»(١).

ومدرسة الشافعي مليئة بالنماذج الفذة من هذا الوجه الذي يستوعب فقه الخلاف، ففي ترجمة محمد بن عبد اللّه بن عبد الحكم، وهو من تلامذته، ذُكِر تصانيفه ومنها: «**كتاب في الرد على الشافعي**»، و«**كتاب في الرد على فقهاء العراق**».

قال الذهبي: «وما زال العلماء قديماً وحديثاً يرد بعضهم على بعض في البحث، وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم وتتبرهن له المشكلات»(٢).

من أدب ابن حنبل في الخلاف:

ومن مدرسة ابن حنبل يُتَعلم كيفية استيعاب فقه الخلاف: فقد روى العباس بن عبد العظيم العنبري [ت٢٤٠هـ] قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكباً على دابة، فتناظرا في الشهادة - أي الشهادة بالجنة للمبشرين بها -، وارتفعت أصواتهما، حتى خفت أن يقع بينهما جفاء، وكان أحمد يرى الشهادة، وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء١٠/ ١٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء١٢/ ٥٠٠ .

(٣) أدب الاختلاف ص٧٢، وانظر أمثلة أخرى في جامع بيان العلم وفضله٢/ ٣٠٠ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأرسل إبراهيم بن عبد العزيز إلى إبراهيم النظام مالًا أحوج ما يكون إليه، وقال له: «إن كنا اختلفنا في المقالة - أي في الرأي والمذهب - فإنا نرجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق والحرية[(١)]، وقد رأيتك حيث مررت بي على حالٍ كرهتها، وينبغي أن تكون نزعت بك حاجة، فإن شئت فأقم بمكانك مدة شهر أو شهرين، فعسى نبعث إليك ببعض ما يكفيك زماناً من دهرك، وإن اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون ديناراً فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر»[(٢)].

فاستوعب أهل الفقه الخلاف، فلم تمنعهم الأخوة وطلب اجتماع المسلمين من الرد على بعضهم، وبيان آرائهم في صواب صاحبه وخطئه، ولم يؤد بهم الرد ولا الاختلاف في الاجتهاد إلى التنازع والتناحر والوقيعة فيما بينهم، وتمزيق عرى أخوتهم.

وبقي بعضهم يثني على بعضٍ.

❊ ❊ ❊

---

(١) أي شرف النفس والإنسانية، وأخلاق الرجال الأحرار أي الكرماء .

(٢) صفحات من صبر العلماء ص٢٢٠ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خـاتمـة

لقد حاولت فيما سبق أن أعرض لجانب من الجوانب المهمة في الفقه الإسلامي يكشف عن مدى ما يتوفر عليه من السعة والرحابة في استيعاب الخلاف من خلال هذه القاعدة الفقهية الجليلة: «لا إنكار في مسائل الخلاف»، وأنها يجب أن توضع في موضعها اللائق بها.

كما حاولت أن أبين أن هذا الاستيعاب إنما يتجسد في الاتساق التام بين هذه الثلاثية الفريدة: إشاعة التقويم بأنواعه المختلفة، والتعامل الشرعي معه وفقَ أقسام مسائل الخلاف مع بقاء الأخوة الإسلامية، والمحافظة على صلاح ذات البَيْنِ.

فالتقويم «ومثله النقد» يعتبر في المجتمع الإسلامي مَعْلَماً شرعيّاً، وركيزة أساسية، وقيمة خلقية، سواء تمَّ من خلال النصح مع الستر والإسرار في الحالات الفردية أو الأفكار الشخصية، أو من خلال الإنكار مع الإظهار في حالة كون الخلل أفكاراً علنية أو أفعالًا مقتدى بها، وعدم استعلاء أيٍ كان على النقد أو ترفعه، أو تكوين حساسياتٍ مفرطة إزاء ذلك فضلًا عن مصادرة النقد، أو التهجم على أصحابه، أو الحط عليهم بشتى الألقاب، مما يفعله بعض المتأخرين من محاولة محاربتهم في كل وادٍ وناد.

والتقويم والنقد يمثلان القيمة التي يتباهى بها العالم اليوم، مع أنها كانت من أهم القيم التي اتضحت خلال مسيرة أمة الإسلام الحافل بجليل القيم والأعمال حتى اعترانا ما اعترانا من نبذ كثيرٍ من معالم الدين وراءنا ظهرياً،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم كان الانبهار بالوافد، والانصهار فيه.

كما يتجسد هذا الاستيعاب في ظاهرة التطبيع التربوي على تقبل الخلاف نفسيّاً، والقبول بظاهرة تعدد الآراء، والاستيعاب النفسي لها مع مناقشتها على درجاتٍ من التقويم والتسديد بحسب اقترابها من النص والمقاصد العامة والخاصة للتشريع، فكلما بعدت ازدادت حدة الإنكار في ظل حسن الظن، والأخوة الإسلامية، وهذا ما أرسته قاعدة «**لا إنكار في مسائل الخلاف**»، مع تذكُّرِ أنَّ الإنكار قد يعلو إذا كان الخلاف بعيداً، أو ضعيفاً في حال كون النص ظاهراً في الدلالة محتفّاً بقرائنَ تَدُلُّ على المراد.

ولا يعني ذلك انثلام عُرى الأخوة بين المتناصحين، ولا انفراط عقد المحبة بين طرفي الإنكار، بل يزداد الصف المسلم صلابة وقوة وتماسكاً، وتبقى حقوق كل مسلم على أخيه المسلم وواجباته من المسائل القطعية التي لا تُصادرها المسائل الظنية المختلف فيها ما دام ذلك باقياً في ظل الأصول المعلومة.

وقد ذكر النبي ﷺ هذه المعالمَ الثلاثَ وأكَّدَ عليها مجموعةً في عدَّةِ أحاديثَ: منها ما رواه عنه أبو هريرة ؓ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جميعاً ولا تفرقوا، وأن تنصحوا لمن ولَّاهُ اللهُ أمرَكُم**» الحديث[1]، فقوله: «**أن تعتصموا بحبل اللَّه حميعاً**»: يشير إلى أهميّة عروة الأخوة الإسلامية، وقرنها بعبادة اللَّه وحده لا شريك له.

(١) مسلم٣/ ١٣٤٠ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وقوله «**بحبل الله - ولا تفرقوا - وأن تنصحوا**»: يشير إلى ضرورة استيعاب الخلاف في النفسية المؤمنة فلا يؤدي إلى التفرق بما أنه مسألة طبعية، وغريزة فطرية على أن يكون استيعابه من جهة الحفاظ على آدابه، وأخلاقه مع التقويم المستمر الذي يعبر عنه النصح في الحديث في حال حدوث الخلاف على أمر ما بياناً لحبل اللّه الذي يعتصم به إن كان الخلاف ضعيفاً، واستيعاباً لعدم إثارته للتفرق إن كان الخلاف قوياً، وهذا كقول النبي ﷺ : «**ثلاث لا يُغَلُّ عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن الدعوة تحيط من ورائهم**»[١]، فجمع بين النصح ولزوم الجماعة.

والمراد:- جماعة المسلمين العامة، ولا ينبغي تنزيلها على جماعة بعينها من المسلمين.

ومنها ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» فقال رجل : يا رسول اللّه أنصره إذا كان مظلوماً؛ أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك نصره**»[٢]، وفي لفظ قال: «**تأخذ فوق يديه**»[٣]، وفي رواية: «**لينهه فإنه نصره**»[٤].

فقوله ﷺ : «**انصر أخاك**» ثبت حقيقة الأخوة الإسلامية قبل كل شيء، ثم

---

(١) الترمذي٥/ ٣٤، ابن ماجة١/ ٨٤ .

(٢) البخاري٢/ ٢٥٥٠ .

(٣) البخاري٢/ ٨٦٣ .

(٤) الدارمي٢/ ٤٠١ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

على خطٍ موازٍ لها ومبينٍ لبعض حقائقها أمر بنصرة الأخ المسلم أياً كان: تلميذاً أو شيخاً أو حزباً أو جماعة أو أميراً أو مأموراً، وجعل من أهم حقائق نصرته أن يحجزه عن خطئه، وينهاه عن ظلمه وهذا هو التقويم للعوج، والنصح والإنكار مع بقاء حقوق الأخوة بل جعل هذا من حقوق الأخوة.

وسمى الخطأ الذي يقع فيه أخوه المسلم ظلماً؛ لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه؛ سواء كان قولًا أو رأياً أو فعلًا.

وقد تجسدت هذه المعاني التي تنطوي عليها هذه القاعدة في كثير من النماذج التطبيقية التي تقدم بجلاء ووضوح صورة المجتمع الإسلامي الراشد، وهو يجمع بين هذه القيم الرفيعة ما حدث بين عمار بن ياسر وأبي موسى الأشعري من جهة، وبَيْنَ عمر بن الخطاب وابن مسعود من جهة أخرى رضي اللَّه عنهم؛ فقد أنكر عمار بن ياسر على عمر بن الخطاب فتواه بعدم تيمم الجنب، وأنكر أبو موسى على ابن مسعود الفتوى ذاتها، ودار بين الجميع حوارٌ قمة في المثالية والواقعية:

عن شقيق قال: «كنت جالساً مع عبد اللَّه وأبي موسى فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! أرأيت لو أن رجلا أجنب فلم يجد الماء شهراً كيف يصنع بالصلاة؟ فقال عبد الله: لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً، فقال أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة المائدة ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا﴾ [النساء:٤٣] فقال عبد الله: لو رخص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد. فقال أبو موسى لعبد الله: ألم تسمع قول عمار بعثني رسول اللَّه ﷺ في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «**إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا**»، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه، فقال عبد الله: أو لم تر عمر لم يقنع بقول عمار؟».

وفي رواية: فقال عمر: «**اتق اللَّه يا عمار! قال: إن شئت لم أحدث به. فقال عمر: نوليكَ ما توليتَ**»[(١)].

وعلى الرغم من جلالة هذين الاثنين: عمر وابن مسعود إلا أنه لم يؤخذ بقولهما في عدم صلاة المسلم عند فقد الماء، وتُرك قولهما رضي اللَّه عنهما كما قال ابن عبد البر: «فلمَّا بيَّن رسول اللَّه ﷺ مراد ربه من معنى آية الوضوء بأن الجنب داخل فيمن قصد بالتيمم عند عدم الماء بقوله ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾ [المائدة: ٦] تعلق العلماء بهذا المعنى ولم يعرِّجوا على قول عمر وابن مسعود، وليس أحد من خلق اللَّه إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ، فيما يصحُّ»[(٢)].

فلم يوجد تقديسٌ لشخصٍ بعينه، ولا احتج بعضهم على بعض بأنه لا إنكار في مسائل الخلاف، بل تم الإنكار، ولكن وجود الإنكار لم يقضِ على الخلاف، بيد أن أخوة الإسلام وحقوقها وواجباتها، ومعرفة كل ذي فضلٍ فضله بقيت لم تمس.

وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي: «ووجدنا أصحاب رسول اللَّه ﷺ من

---

(١) البخاري ١/ ١٣٣، مسلم١/ ٢٨٠ .

(٢) التمهيد ١٩/ ٢٧٤ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعده قد اختلفوا في أحكام الدين، ولم يفترقوا ولم يصيروا شيعاً؛ لأنهم لم يفارقوا الدين، وإنما اختلفوا فما أُذِن لهم من اجتهاد الرأي والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصّاً واختلفت في ذلك أقوالهم، فصاروا محمودين؛ لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به، وكانوا مع هذا أهل مودةٍ وتناصحٍ، أخوة الإسلام فيما بينهم قائمة.

ودليل ذلك :- قوله تعالى﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

فإذا اختلفوا، وتقاطعوا كان ذلك لحدثٍ أحدثوه من اتباع الهوى»[١].

«وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر اللَّه تعالى فى قوله ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [النساء:٥٩]، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورةٍ ومناصحةٍ، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين»[٢].

وبذا يتَّضِحُ من البحث أن الأمة الإسلامية تستطيع الفخر بدينها وثقافتها، وحريٌ بها أن تعود إليها منهاجاً وسلوكاً، فقد تعددت جوانب البناء الدقيقة التي ميزت النظام الإسلامي وجعلته منهج حياة، وبرنامجاً حقيقياً لمعالجة أدواء البشر، وفطرهم التي خلقوا عليها، وكانت من أوائل الجوانب الحضارية التي جاء بها الوحي الإلهي تشييداً للبناء المرصوص للدين

---

(١) الموافقات١/ ١٨٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية٢٤/ ١٧٢ .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

الإسلامي أمران: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

ففي كلمة التوحيد: تتوجه النفس نحو خالقها ليهيئ لها برنامج حياتها فهو الذي فطرها، ولذا كان الدين هو الفطرة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

وعارٌ كما هو غباءٌ على من يسير الآلة على برنامج صانعها، أن يأبى تسيير البشر على النظام الذي وضعه خالقهم.

وفي توحيد الكلمة: يتسق التكامل الديني والدنيوي، والتآزر العلمي والعملي، والتعاون النخبوي والعام، والترابط المجتمعي لإقامة الدين كله لله، وإنشاء مؤسسات النهضة والتعبئة الثقافية العامة، ولإحراز النصر في مجالات الإعمار المختلفة، والتقدُّم العام الشَّامل لسعادة الدنيا والآخرة ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٧].

وقد جمع هذان الأمران في قوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٣]..

والجمع بين الأمرين بفقهٍ واعٍ يورث التطبيع النفسي لفقه الاختلاف، ويؤدي إلى إشاعة التعددية في الرأي مع وحدة الموقف العام، ويوجد برامج جديدة في معالجة الواقع، والتخلص من حالة الاستضعاف، واستثمار الفرص، وتحقيق المكاسب في المواقع المختلفة، أو على الأقل تقليل الخسائر المتراكمة، وهو ما حاول البحث أن يبرز.

وبذا يصل البحث إلى غايته، يصحبه عجز كاتبه، وتقصير مسطره عن

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

كمال إقامته، يبوء بتقصيره ومعصيته، لكنه -على الرغم من ذلك - يرجو من اللَّه حناناً وزكاة، وأن ينشر له من رحمته، ويحبوه بأوسع نعمته، وكمال عافيته، وأعلى الدرجات في جنته، بفضله ولطفه وإحسانه ومودته ورحمته، سائلاً اللَّه أن يقيه شؤم كل تزيُّنٍ لغيره سبحانه، ويغفر ما فيه من تصنُّعٍ لسواه.

اللهم إني أعوذ بك أن أقول بحقٍّ أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزيَّن للناس بشيءٍ يَشينُني عندك.

أعوذ بك أن أستعين بشيءٍ من معاصيك على ضرٍّ نزل بي.

أعوذ بك أن تجعلني عبرةً لأحدٍ من خلقك في مقام الخزي.

اجعلني ممن ابتدأته بفضلك، وأعقبته بودك، ورأفتك، ورحمتك.

اغفر لي ولوالدي ولأهلي وذريتي، واجعلني -برحمتك وفضلك - من المصطفين الأخيار، المخبتين المخلَصين المخلِصين المنيبين الأبرار، أولوا الأيدي والأبصار، الناجين من النار، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين، يا رحيم يا غفار .

اللهم ارحم أمة عبدك محمدٍ صلى اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم رحمة عامة.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، وأصلح ذات بينهم، وألف بين قلوبهم، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وثبتهم على ملة نبيك صلى اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم، وأوزعهم أن يوفوا بالعهد الذي عاهدتهم عليه، وانصرهم على عدوك وعدوهم إله الحق واجعلنا منهم،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا نادمين، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل

والحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى ربه الغني- جل ذكره -

عبد السلام مقبل المجيدي

الأستاذ المشارك للقراءات والدراسات القرآنية

كلية التربية/ جامعة ذمار

almagidy@hotmail.com

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مراجع البحث

١- (ابن أبي العز) صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد الحنفي ت ٧٩٢ هـ: شرح العقيدة الطحاوية، ط٩، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.

٢- (ابن أبي شيبة) عبد اللَّه بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر ت٢٣٥هـ: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ١٤٠٩هـ.

٣- (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير الجزري: النهاية في غريب الأثر، مراجعة طاهر أحمد الزاوي + محمود محمد الطباخي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر - بيروت.

٤- (ابن الجارود) عبد اللَّه بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري ت٣٠٧هـ: المنتقى من السنن المسندة، تحقيق: عبداللَّه عمر البارودي مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت،ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥- (ابن الشاط) أبو القاسم قاسم بن عبد اللَّه بن محمد الأنصاري: إدرار الشروق على أنواء الفروق (بهامش كتاب الفروق) -عالم الكتب - بيروت.

٦- (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرعي أبو عبد اللَّه ت٧٥١هـ: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٧- (ابن الوزير) محمد بن إبراهيم اليماني ت٨٤٠هـ: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٨- (ابن الوكيل) صدر الدين محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن المرحل، أبو عبد اللَّه (ت٧١٦هـ) : الأشباه والنظائر، تحقيق ودراسة: د. أحمد بن محمد العنقري، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩- (ابن بدران) عبد القادر بن بدران الدمشقي ت١٣٤٦هـ: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، د. عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٢، ١٤٠١هـ.

١٠- (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت٧٢٨هـ: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢١- ١٩٩١م.

١١- (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت٧٢٨هـ: مقدمة في أصول التفسير من تحقيق: الدكتور عدنان زرزور المدرس بكلية الشريعة جامعة دمشق، والكتاب ضمن كتاب مجموعة الرسائل الكمالية «رقم ١» في المصاحف والقرآن والتفسير «خمسة كتب»، مكتبة المعارف، محمد سعيد حسن الكمال، الطائف.

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

١٢- (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت٧٢٨هـ: منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم (دكتور)، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٣ -(ابن حبان) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت٣٥٤هـ: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ت٣٥٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٤- (ابن حجر) أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت ٨٥٢هـ: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٥- (ابن حزم) علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، أبو محمد ت٤٥٦هـ: المحلى، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
١٦- (ابن حزم) علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، أبو محمد ت٤٥٦هـ: النبذة الكافية في أحكام أصول الدين، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٧- (ابن دقيق العيد) تقي الدين أبو الفتح ت٧٠٢هـ: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨- (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ت ٢٣٠هـ : الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.
١٩- (ابن ضويان) إبراهيم بن محمد بن سالم، ت ١٣٥٣هـ: منار السبيل في

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

شرح الدليل، تحقيق: عصام القلعجي، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، هـ . ١٤٠٥.

٢٠- (ابن عابدين) محمد أمين: حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٨٦هـ.

٢١- (ابن عبد البر) يوسف بن عبد اللَّه بن عبد البر النمري أبو عمر ت٤٦٣هـ: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ.

٢٢- (ابن عبد البر) يوسف بن عبد اللَّه بن عبد البر النمري أبو عمر ت٤٦٣هـ: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله - دار الفكر.

٢٣- (ابن عبد السلام) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ت٦٦٠هـ: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤- (ابن قدامة) موفق الدين عبد اللَّه بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي أبو محمد ت٦٢٠هـ: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٥- (ابن قدامة) موفق الدين عبد اللَّه بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي أبو محمد ت٦٢٠هـ: روضة الناظر وجنة المناظر، مكتبة المعارف - الرياض.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٢٦- (ابن مفلح) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد اللّٰه بن محمد ت٨٠٣هـ: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٠م.

٢٧- (ابن مفلح) محمد بن محمد المقدسي ت٧٦٣هـ: الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب.

٢٨- (ابن مفلح) محمد بن محمد المقدسي ت٧٦٣هـ:الفروع وتصحيح الفروع، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٩- (ابن منظور) محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ: لسان العرب، اعتنى بتصحيحها : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي- بيروت، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٣٠- (أبو إسحاق) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي ت٤٧٦هـ: التبصرة في أصول الفقه، تحقيق: د. محمد حسن هيتو - دار الفكر -دمشق - ط١، ١٤٠٣هـ.

٣١- (أبو الحسين) محمد بن علي بن الطيب البصري، ت ٤٣٦هـ: المعتمد في أصول الفقه، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٢- (أبو شامة) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ت٦٦٥هـ:

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٣هـ.
٣٣ -(أبو عوانة) يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني ت٣١٦هـ: مسند أبي عوانة، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٣٤- (أبو نعيم) أحمد بن عبد اللَّه بن إسحاق الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
٣٥- (أبو يوسف) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري القاضي ت١٨٢هـ: الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٥هـ.
٣٦- (الأصبحي) مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ت١٧٩هـ: موطأ الإمام مالك، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي، مصر.
٣٧- (الأنصاري) زكريا بن محمد بن زكريا ت٩٢٦هـ: أسنى المطالب شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي.
٣٨- (الأنصاري) عبد العلي محمد بن نظام الدين: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه للشيخ محب اللَّه بن عبد الشكور، دار الفكر.
٣٩- أحمد بن عبد الرحمن الصويان: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، لندن، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٤٠- الأمين الحاج محمد أحمد: الاختلاف رحمة أم نقمة، مكتبة دار

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

المطبوعات الحديثة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٤١- (البخاري) محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله ت٢٥٦ هـ: صحيح البخاري، مراجعة د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٤٢- (البخاري) محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله ت٢٥٦ هـ: قرة العينين برفع اليدين في الصلاة، تحقيق: أحمد الشريف، دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
٤٣- (البغوي) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق: خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧.
٤٤- (البكري) عبد اللَّه بن عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد٤٨٧هـ: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
٤٥- (البهوتي) منصور بن يونس بن إدريس: كشف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي - مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت - ١٤٠٢هـ.
٤٦- (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر ت٤٥٨هـ: السنن الكبرى، مراجعة : محمد عبد القادر عطا، ١٩٩٤م- ١٤١٤هـ، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة.
٤٧- (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ت٤٥٨هـ: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٤٨- (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر ت٤٥٨هـ: الكافية الشافية بشرح أحمد بن إبراهيم بن عيسى، ط٣، المكتب الإسلامي.

٤٩- (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر ت٤٥٨هـ: الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر القاهرة، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

٥٠- (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر ت٤٥٨هـ: كتاب القراءة خلف الإمام، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زعلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥١- بكر بن عبد اللّه أبو زيد (دكتور): التعالم وأثره على الفكر والكتاب، مكتبة الراية، ط٣، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٥٢- (الترمذي) محمد بن عيسى السلمي، أبو عيسى ت٢٧٩هـ: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٣- (الجرجاني) علي بن محمد بن علي : التعريفات، حققه، وقدم له، ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي - بيروت.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٥٤- (الجوادي) محمد الحسن بن أحمد الخديم اليعقوبي المالكي الموريتاني: سلم المطالع لدرك الكوكب الساطع، حققه أبو محمد بن محمد الحسن، طبع على نفقة السيد محمد ولد الجيلاني اليعقوبي، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٥٥- (الحاكم) محمد بن عبد اللَّه بن البيع النيسابوري أبو عبد اللَّه ت٤٠٥هـ: المستدرك على الصحيحين، مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٥٦- (الحموي) أحمد بن محمد: غمز عيون البصائر بشرح الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية.

٥٧- خالد بن عثمان السبت: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)، المنتدى الإسلامي، لندن، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٥٨- (الخراساني) سعيد بن منصور، أبو عثمان ت٢٢٧هـ: سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د.سعد بن عبد اللَّه بن عبد العزيز آل حميد.

٥٩- (الدارقطني) علي بن عمر بن أحمد البغدادي أبو الحسن ت٣٨٥هـ: سنن الدارقطني، السيد عبد اللَّه هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٦٠- (الدارمي) عبد اللَّه بن عبد الرحمن، أبو محمد ت ٢٥٥هـ: سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٦١- (الدهلوي) أحمد المعروف بشاه ولي اللَّه بن عبد الرحيم الدهلوي: حجة اللَّه البالغة، قدم له وشرحه وعلق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، دار احياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦٢- (الذهبي) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، أبو عبد اللَّه ت٧٤٨هـ: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.

٦٣- (الرملي) شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين ت١٠٠٤هـ: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، ١٤٠٤هأ- ١٩٨٤م.

٦٤- (الزركشي) محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد اللَّه ت ٧٩٤هـ: المنثور في القواعد، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، زارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٦٥- (الزنجاني) محمود بن أحمد، أبو المناقب ت٦٥٦هـ: تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: د. محمد أديب صالح - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢، ١٣٩٨هـ.

٦٦- (السجستاني) سليمان بن الأشعث، أبو داود الأزدي ت ٢٧٥هـ: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفك .

٦٧- سلمان بن فهد العودة: صفة الغرباء، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٦٨- سلمان بن فهد العودة: قضايا في المنهج، خرج الآيات والأحاديث

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

وترجم للأعلام: محمد العجمي، دار مكتبة القدس، صنعاء، ط٣، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٦٩- (السيوطي) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ: الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت.

٧٠- (السيوطي) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ: الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.

٧١- (السيوطي) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ: جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، تحقيق أبي عبد اللَّه حمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، في مقدمة كتاب الإفصاح عن معاني الصحاح في الفقه على المذاهب الأربعة للوزير عون الدين بن هبيرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٧٢- (السيوطي) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٩٩هـ.

٧٣- (الشاطبي) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، أبو إسحاق ت ٧٩٠ هـ: الموافقات في أصول الشريعة، توزيع عباس أحمد الباز، الطبعة لم تذكر.

٧٤- (الشافعي) محمد بن إدريس أبو عبد اللَّه الشافعي ت٢٠٤هـ: الأم، دار المعرفة، بيروت،ط٢، ١٣٩٣هـ.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

٧٥- (الشعراني) عبد الوهاب بن أحمد، أبو المواهب ت٩٧٣هـ: الميزان، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.

٧٦- (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب. بيروت.

٧٧- (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: نثر الورود على مراقي السعود. تحقيق وإكمال تلميذه الدكتور: محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، الناشر: محمد محمود محمد الخضر القاضي، دار المنارة جدة ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٥م.

٧٨- (الشوكاني) محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥هـ: إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧٩- (الشوكاني) محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥هـ: السيل الجرار، تخريج محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ.

٨٠- (الشوكاني) محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥هـ: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الخالق دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٦هـ.

٨١- (الشيباني) أحمد بن حنبل، أبو عبد اللَّه ت٢٤١هـ: مسند الإمام أحمد ابن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر .

٨٢- (الشيباني) عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل الشيباني ت٢٩٠هـ: السنة، تحقيق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦هـ، ط١.

٨٣- صلاح الصاوي (دكتور): الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، دار الإعلام الدولي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

٨٤- صلاح الصاوي (دكتور): مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، دار الآفاق الدولية للإعلام، ط١، ١٤١٣هـ١٩٩٣م.

٨٥- (الصنعاني) البدر محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ت١١٨٢هـ: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية، الكويت،ط١، ١٤٠٥هـ.

٨٦- (الصنعاني) البدر محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ت١١٨٢هـ: رسالة نهاية التحرير مخطوط ضمن مجموع رسائله.

٨٧- (الطبراني) سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الدنيا أبو القاسم ت٣٦٠هـ: المعجم الكبير، مراجعة: حمدي عبد الحميد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م.

٨٨- (الطبراني) سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الدنيا أبو القاسم ت٣٦٠ هـ: المعجم الأوسط، مراجعة : محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

٨٩- (الطبراني) سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الدنيا أبو القاسم ت٣٦٠هـ: مسند الشاميين، مراجعة: حمدي بن عبد المجيد السلفي،

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م.

٩٠- (الطبري) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، أبو جعفر ت ٣١٠هـ : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩١- (الطحاوي) أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر ت٣٢١هـ: شرح معاني الآثار، مراجعة محمد زهري النجار، ط١، ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٢ -(عبد الرزاق) بن همام الصنعاني، أبو بكر ت٢١١هـ: المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٩٣- عبد الرحمن بن معمر السنوسي: مراعاة الخلاف بحث أصولي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩٤- عبد الفتاح أبو غدة: صفحات من صبر العلماء، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٥، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩٥- عبد اللّٰه عبد المحسن التركي (دكتور): أسباب اختلاف الفقهاء. مكتبة الرياض الحديثة بالرياض - ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٩٦- عطية محمد سالم: موقف الأمة من اختلاف الأئمة، مكتبة دار التراث المدينة المنورة، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٩٧- علي أحمد الندوي: القواعد الفقهية (مفهومها، نشأتها، تطورها، دراسة مؤلفاتها، أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها)، قدم لها: مصطفى الزرقا، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩٨- علي حيدر: درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، دار الجيل.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩٩- (العمري) صالح بن محمد بن نوح ت١٢١٨هـ: إيقاظ همم أولي الأبصار، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
١٠٠- (الغزالي) محمد بن محمد، أبو حامد ت٥٠٥هـ: إحياء علوم الدين - دار المعرفة - بيروت.
١٠١- (الغزالي) محمد بن محمد، أبو حامد ت٥٠٥هـ: المستصفى من علم الأصول، دار الفكر.
١٠٢- (الفاداني) أبو الفيض محمد ياسين بن عيسى الفاداني المكي: الفوائد الجنية حاشية المواهب السنية شرح الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية (في الأشباه والنظائر على مذهب الشافعية)، اعتنى بطبعه وقدم له: رمزي سعد الدين دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت - ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٠٣- فضل إلهي ظهير (دكتور): حكم الإنكار في مسائل الخلاف، ط٢، ١٤٢٠هـ.
١٠٤- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (دكتور): منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
١٠٥- (القرافي) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المشهور القرافي: الفروق، عالم الكتب، بيروت.
١٠٦- (القرشي) محمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة: معالم القربة في معالم الحسبة، دار الفنون - كمبردج.
١٠٧- (القرطبي) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله: الجامع

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

١٠٨- (الكفوي) أيوب بن موسى الحسيني، أبو البقاء ت١٠٩٤هـ: الكليات، أعده للطبع: د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

١٠٩- (الماوردي) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي: أدب الدنيا والدين، حققه مصطفى السقا، دار الرشاد الحديثة – دار الفكر، ط٣ .

١١٠- (الماوردي) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب ت٤٥هـ: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية – بيروت.

١١١- (المبرد) محمد بن يزيد، أبو العباس ت٢٨٥هـ: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت.

١١٢- مجلة الأسرة العدد ٧٢ربيع الأول ١٤٢٠هـ.

١١٣- محمد العبدة – طارق عبد الحليم: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، دار الأرقم، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

١١٤- محمد عوامة: أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١١٥- محمد ناصر الدين الألباني: صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، ط١٤، ١٤٠٨هـ١٩٨٧م.

١١٦- (مسلم) بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العربي، بيروت.
١١٧- مصطفى سعيد الخن (دكتور): أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.
١١٨- (المقدسي) محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي، أبو عبد اللَّه ت ٦٣٤هـ: الأحاديث المختارة، تحقيق : عبد الملك بن عبد اللَّه دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.
١١٩- (المكي) محمد علي بن حسين المكي المالكي: تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية (بهامش كتاب الفروق) - عالم الكتب - بيروت.
١٢٠- (المناوي) محمد عبد الرؤوف الحداد ت بعد ١٠٣٠هـ: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
١٢١- (المناوي) محمد عبد الرؤوف الحداد، ت بعد١٠٣٠هـ: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
١٢٢- الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.
١٢٣- (المهدي) أحمد بن يحيى بن المرتضى ت٨٤٠هـ: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ط١، ١٣٦٦هـ١٩٤٧م.
١٢٤- (النسفي) أبو البركات عبد اللَّه بن أحمد بن محمود ت٧٠١هـ: تفسير النسفي.

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

١٢٥- (النووي) محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا ت٦٧٦هـ: روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٢٦- (النووي) محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا ت٦٧٦هـ: شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٢٧- (النووي) محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا ت٦٧٦هـ: المجموع شرح المهذب، تحقيق: محمود مطرحي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.

١٢٨- (الهيتمي) أحمد بن محمد بن علي بن حجر: تحفة المحتاج إلى شرح المنهاج، دار إحياء التراث العربي.

١٢٩- (الهيثمي) علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧هـ: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة - بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٣٠- ياسر حسين برهامي (دكتور): فقه الخلاف بين المسلمين: دعوة إلى علاقة أفضل بين الاتجاهات الإسلامية المعاصرة، دار المسلم، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

* * *

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

فهرس الموضوعات

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

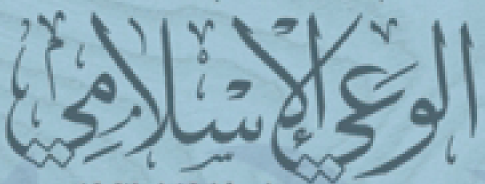
* * *

تم الصف والإخراج بشركة غراس للنشر والتوزيع
هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ - الكويت

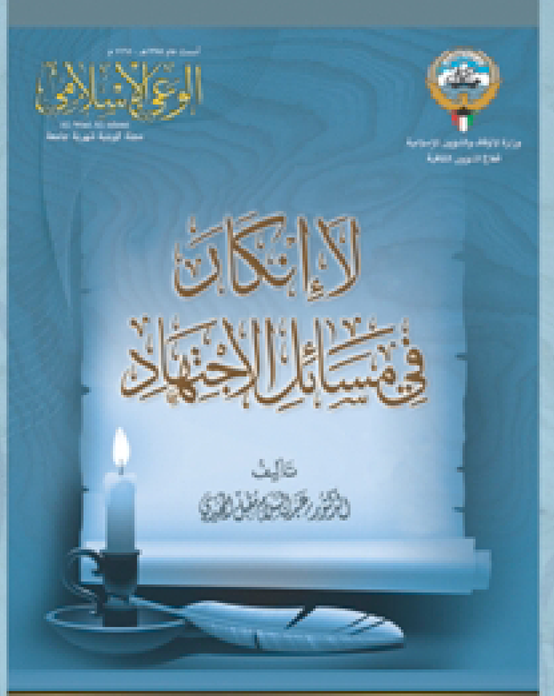
https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

إصـدارات

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة



- ١ - القدس في القلب والذاكرة.
- ٢ - حقوق الإنسان في الإسلام.
- ٣ - النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية.
- ٤ - الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.
- ٥ - المجموعة القصصية الأولى للأطفال.
- ٦ - المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.
- ٧ - الحج ولادة جديدة.
- ٨ - الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد.
- ٩ - لا إنكار في مسائل الاجتهاد.
- ١٠ - المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.
- ١١ - التجديد في التفسير.. نظرة في المفهوم والضوابط.
- ١٢ - مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.
- ١٣ - رياض الأفهام شرح عمدة الأحكام.
- ١٤ - مقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي.
- ١٥ - موسوعة الأعمال الكاملة - للإمام محمد الخضر حسين.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com